

الجزء الثاني والتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الرابع والسبعون في التوبة شعر

وبه الأله الحق يشرح صدره

رضى الأله عن الموافق أمره

لا سيما ان كنت تعرف سره

ما ناله ان كنت تجهل قدره

الأعتراف متاب كل محقق

رضى الأله عن المخالف مثل ما

مإذا كثير ان ينال مناله

من عين منته ينال مخالف

أعلم أيدنا الله وإياك ان الله يقول وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون فأمر بالتوبة عباده ثم لقنهم الحجة لو خالفوا أمر فقال تعالى "ثم تاب عليهم ليتوبوا" ليقولوا إذا سئلوا ذلك أي لو تبت علينا لتبنا مثل قوله تعالى "ما غرك بربك الكريم" ليقول كرمك فهذا من باب تعليم الخصم الحجة خصمه ليحاجه بذلك إذا كان محبوباً وجاء بلفظة الانسان بالألف واللام والأغرار ليعلم جميع الناس فهذا مما يدل على ان أرادة الحق بهم السعادة في المال ولو نالهم ما نالهم مما يناقضها غير ان توبة الله مقرونة بعلي لان من أسمائه الاسم العلي وتوبة الخلق مقرونة بإلى لانه المطلوب بالتوبة فهو غايتها وأجتمع الحق والخلق في من من التوبة فهم رجعوا إليه من انفسهم والعارفون رجعوا إليه منه والعلماء بالله رجعوا إليه من رجوعهم إليه وأما العامة فانها رجعت من المخالفات إلى الموافقة والحق عز وجل رجع إليهم من كناية ان يخذلكم ليرجعوا إليه بحسب ما تقتضيه مقاماتهم التي فصلناها انفاً فرجوع الحق عليهم ليرجعوا إليه مثل قوله "يحبهم ويحبونه" فرجوعه عليهم رجوع عناية محبة أزلية ليتوبوا فإذا تابوا أحبهم حب من رجع إليه فهو حب جزاء قال تعالى "ان الله يحب التوابين" فهذا الحب منه ما هو الأول وللعبد حب آخر زائد على قوله ويحبونه وهو انه قال صلى الله عليه وسلم "أحبوا الله لما يغذوكم به" من نعمة فهذا حب جزاء المنعم لما انعم به عليهم فهذا الحب منهم في مقابلة ان الله يحب التوابين حب جزاء لحب جزاء الأول حب عناية منه ابتداء وحبهم إياه حب ايثار لجنابه لا حب آلاء ونعم فالتوبة منهم عن محبة منتجة لمحبة أخرى منه فهي بين محبتين متعلقتين بهم من الله كتوبته عليهم عن محبة منهم منتجة محبة أخرى منهم فتوبته عليهم بين محبتين أيضاً وهذا من باب خلق الله آدم على صورته أي جميع ما تقبله الحضرة الإلهية من الصفات يقبلها الانسان الصغير والكبير وحدها ترك الزلة في الحال والندم على ما فات والعزم على انه لا يعود لما رجع عنه ويفعل الله بعد ذلك ما يريد فأما ترك الزلة في الحال فلا بد منه لان سلطان وقته الحياء والحياء يحول بسلطانه بين من قام به وبين تعدى حدود الله ومن أسماء الله تعالى المذكور في السنة الحى وان الله يستحي يوم القيامة من ذي الشبهة فحياء الله من العبد انه قد أعلمه انه سبحانه لا يتوبون إليه حتى يتوب عليهم فإذا وقف الخذل الذي لم يتب الله عليه فلم يتب إليه وكان في حال وقوفه بين يديه يوم القيامة ذاكراً في نفسه هذه الآية ثم تاب عليهم ليتوبوا استحيا الله منه ان يؤاخذه بذنب كما ان العبد يستحي من الله في حال توبته من الله ان يقع منه زلة وهو في هذا الحال فانه

ليس بتائب في تلك الحال ونحن تكلمنا في التائب فالحياء له لازم والحياء يقتضي ترك الزلة في الحال ومن ترك الزلة في الحال للتائب إذا كان عارفاً هو ترك تسبئها إلى ربه فينسبها إلى نفسه أدباً مع الله وفي نفس الأمر الفعل فعل الله والقدر من الله والحكم بكونها معصية وزلة حكم الله ومع هذا فالأدب يقول له انسبها إلى نفسك لما تعلق بها لسان الذم ولهذا قال في حد النفس كل خاطر مذموم والأصل فألهمها فجورها وتقواها ومن العلماء بالله من يكون ترك الزلة في الحال عندهم ان لا يشهدوا انهازلة وهو عين قضاء الله فيها لانه الذي حكم انهازلة ومن حيث انها فعل من أفعال الله فهي في غاية الحسن والجمال وانما سميت زلة من زل إذا زلق أي زلت من نسبة كونها من أفعال الله إلى حكم الله فيها بالذم فحكم الله فيها بالزلل عن هذه المرتبة فاعلم ومن العلماء بالله من يكون ترك الزلة في حقه ان يشهد الزلة في ذلك الفعل من كونها زلة لا من كونها فعلاً يتعلق به الذم أو الحمد فيشهد نسبئها للعبد التي بها سميت زلة ثم يتبعها الذم وان كان كل فعل ألهي نسب إلى العبد من هذا الباب فجميع الأفعال الكونية كلها زلل محمودها ومذمومها ومن الناس من يكون ترك الزلة في الحال في حقه شغله برجوعه إلى ربه والذلة رجوعه عن ربه فهو في النقيض ومن هو في النقيض بالحال لا يكون في نقيضه فبالضرورة لا يكون له في هذه الحال زلة ومن الناس من يكون ترك الزلة في الحال في حقه هو شغله بشهوده رجوع الحق عليه ليرجع إليه ليفرق ما بين رجوعه عليه ليرجع إليه وبين رجوع آخر لا

ليرجع إليه ليميز بين الرجوعين ليقيم على نفسه ميزان ما يجب عليه في ذلك من الله من عمل من الأعمال من ذكر بلسان أو قلب أو عمل بجارحة أو المجموع أو بعض المجموع ومن كان بهذه المثابة من الشغل فلا تقوم به زلة في الحال ومن الناس من يكون ترك الزلة في الحال في حقه ان يشهد رجوع الحق إليه لا ليميز ولا ليرجع إليه بل ليعلم حقيقة معنى الرجوع الألهي لماذا ينسبه هل إلى الذات أو لأسم ألهي وما سبب ذلك الرجوع هل هو ذاتي أو غير ذاتي أولاً نسبة له إلى الذات فهذه الوجوه وأمثالها مما يطلبه ترك الزلة في الحال وأما الركن الثاني وهو الندم على مافات وهو عند الفقهاء الركن الأعظم بمثلة قوله "الحج عرفة" لانه الركن الأعظم وهنا تشبه أمور كثيرة في التائبين ميم الندم منقلبة عن باء مثل لازم ولازب وهو أثر حزنه على مافاته يسمى ندماً والندب الأثر فقلبت ميماً وجعلت لأثر الحزن خاصة وأما تعلقه بالفوات فمن أصحابنا من رأى انه تضيق للوقت فانه مافات لا يسترجع ومن أصحابنا من يرى انه صاحب الوقت وان فائدته ان يجبر له ما مضى ويحتج بقوله "ألا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات" ومن أصحابنا من يرى انه لا يندم ألا باحضارة في نفسه ذنبه الحائل بينه وبين مافاته من طاعة أمر ربه عز وجل وذكر الجفاء في حال الصفاء جفاء فينبغي له ان ينسى ذنبه وهو خلاف الأول فانه قال التوبة ان لا تنسى ذنبك والكلام فيما فاته فمنهم من يندم على مافاته من الاستغفار في عقب كل ذنب ومنهم من يرى الندم على مافاته من الوقت ومن الناس من يرى الندم على مافاته من الطاعة في وقت المخالفة ومن الناس من يرى الندم على مافاته من فعل الكبائر في وقت المخالفة لانه يشاهد التبديل كل سيئة بما يوازها من الحسنات كقتل نفس بأحياء نفس وذم بمحمدة وصدقة بغضب أو سرقة أو خيانة ومن الناس من يرى الندم على مافاته من الحضور مع الله في قضائه بالمعصية في حال المعصية ومن الناس من يرى الندم على مافاته من إضافة ذلك الفعل إلى الفاعل في حال الفعل وهو نور عظيم شعشعاني حجاب زين له سوء عمله فرآه حسناً فقرن به السوء لما أضافه إليه فرآه حسناً ولا بد من حضرة وجودية هي التي أوجبت له الحسن الذي رآه محل الفعل إذا لعدم لا يراه الممكن وما ثم حسن ألا كونه من أفعال الله وما أساءه ألا أضافته إلى العبد فانه قال أفمن زين له بكونه لربه سوء عمله من كونه عمله فكسبه السوء فرآه حسناً بالتزيين الألهي وزينة الله غير محرمة فهو في نفس الأمر مزين بزينة الله وعند العبد بحسب ما يحضر فيه فان حضره تزيين

الشیطان فهو سوء على سوء وان حضره تزيين الحياة الدنيا فهو غفلة في سوء وان حضره تزيين الله والأضافة إلى العبد فهو حسن في سوء فان أخذ أضافة السوء إلى العمل أدباً ألهياً فهو حسن في حسن كل شيء انت فيه حسن لا يبالي حسن ما لبسا من ثوب مخالفة أو موافقة فانك ان لم توافق الأمر وافقت الإرادة ولولا ما بين السيء والحسن مناسبة تقتضي جمعها في عين واحدة يكون بها حسناً سيئاً ما قبل التبديل في قوله "يبدل الله سيئاتهم حسنات" ولا كان يتصف سوء العمل بالحسن في رؤيته فما أتصف بالحسن عنده حتى قبل العمل صفة الحسن في وجهه من الوجوه الوجودية فهو سوء بالخبر حسن بالرؤية فكان الرؤية لا تصدق الخبر وشاهد الرؤية أقطع ولكن للعيان لطيف معنى لذا سأل المعaine الكليم والناس يطلبون ان يصدق الخبر والخبر الرؤية ولم نر أحداً يطلب ان يصدق الخبر الرؤية كما يصدق الخبر الخبر ولهذا أختلف في شهادة الأعمى ولم يختلف في شهادة صاحب البصر ولهذا قال في الآية "فان الله يضل من يشاء" أي يحيره في مثل هذا حيث وصفه بالسيئ والحسن فلا يدري المكلف ما يغلب وبقوله زين بنيه ما لم يسم فاعله فلا يدري من زينه هل تزيين الله أم تزيين الشياطين أو تزيين الحياة الدنيا ثم قال "ويهدي من يشاء" أي يوفق للإصابة في معنى السوء والحسن ولهذا العمل ما معناه وكيف ينبغي ان يأخذه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات أي فلا تكثر لهم حسرة عليهم فهي بشرى من الله بسعادة الجميع فانه ما حيل بينه صلى الله عليه وسلم وبين انسانيته فهو انسان في كل حال ولا تزول الحسرات عنه وهو انسان كامل إلا بإطلاعه على سعادتهم في المآل فلا يبالي في العوارض فان السوء للعمل عارض بلا شك والحسن له ذاتي وكل عارض زائل وكل ذاتي باقي لا يبرح ان الله خير أي عليم عن ابتلاء بما يصنعون من كل ما يظهر فيكم من الأفعال وعندكم وفي هذا الركن أيضاً في قوله ما فات من فات فلان فلاناً جوداً إذا أربى عليه في الجود وزاد فهذا يرى الندم في التوبة على ما فات أي ما زاد حسن السيئة المبدلة على حسن الحسنة غير المبدلة فان حسن الحسنة بنفسها لا بأمر آخر وحسن السيئة إذا أبدلت لها حسنان حسن ذاتي وهو الحسن الذي لكل فعل من حيث ما هو لله وحسن زائد وهو ما خلج الحق على هذا الفعل بالتبديل فكسى ما ظهر فيه من السوء حسناً ففات سوء العمل حسن على حسن العمل بما كساه الحق بالحسنة كشخص جميل في غاية الجمال لا بزة عليه وشخص جميل مثله في غاية الجمال طراً عليه وسخ من غبار فنظف من ذلك الوسخ العارض فبان جماله ثم كسى بزة حسنة فاخرة تضاعف بها جماله وحسنه ففات الأول حسناً فالتائب يندم على ما فات حيث لم تكن أفعاله كلها معلومة له انما بهذه المثابة فيتصل فرحة قال في هذه الآية "وكان الله غفوراً" أي يستر عمن شاء الوقوف على مثل هذا كشفاً رحيماً رحمة به لمعنى علمه سبحانه لم يعينه لنا فندم مثل هذا الذي هو أثر الحزن مثل ما يجده الحب على محبوبه من الوجد والحزن والكرب والندم على ما فرط في حق محبوبه الذي زين له فكان يتلقاه بأعظم مما تلقاه من الحرمة ومن الحشمة يقول لسان آدم

ومعصيتي لولاك ما كنت مجتبي

فيا طاعتي لو كنت كنت بحسرة

قال تعالى "ثم اجتبه ربه فتاب عليه وهدى" فله كان التائب لا آدم والذي صدر من آدم ما اقتضته خاصية الكلمات التي تلقاها وما فيها ذكر توبة وانما هو مجرد اعتراف وهو قوله "ربنا ظلمنا انفسنا" حيث عرضوها إلى التلف وكان حقها عليهم ان يسعوا في نجاتها بامثال نهي سيدهم "وان لم تغفر لنا وترحمنا" أي وان لم تسترنا عن وارد المخالفة حتى لا يحكم سلطانه علينا وترحمنا بذلك الستر لنكونن من الخاسرين ما رجحت تجارتنا فانتج لهم هذا الاعتراف قوله فتاب عليهم وهدى أي يرجع عليهم بستره فحال بينهم ذلك

الستر الإلهي وبين العقوبة التي تقتضيها المخالفة وجعل ذلك من عناية الإجتباء أي لما إجتباه أعطاه الكلمات وهدى أي بين له قدر ما فعل وقدر ما يستحقه من الجزاء وقدر ما انعم به عليه من الإجتباء ومع التوبة قال اهبط هبوط ولاية واستخلاف لا هبوط طرد فهو هبوط مكان لا هبوط رتبة

هبوط مكان لا هبوط مكانة

لنتلقى به فوزاً وملكاً مخلداً

كما قال من أغواه صدقاً لكونه

راه كلاماً من إله مسدداً

فان ابليس قال به هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فسمع ذلك الخطاب من ربه تعالى فكان صدقاً لحسن ظنه بربه فعرض له من أجل الخلد الذي ظهر فيه خطاب الحق وأورثه ظهور السوات من أجل الخلد وأورثه الأكل الخلد والملك الذي لا يبلى ولكن بعد ظهور سلطانه ونيابته وثيابه بنيه في خلقه حكماً مقسطاً عدلاً يرفع القسط ويضعه أورثه ذلك كله توبة ربه واعلم ان توبة ربه مقطوع لها بالقبول وتوبة العبد في محل الإمكان لما فيها من العلل وعدم العلم باستيفاء حدودها وشروطها وعلم الله فيها فالعارفون آدميون يسألون من ربهم ان يتوب عليهم وحظهم من التوبة الاعتراف والسؤال لا غير ذلك هذا معنى قوله تعالى "وتوبوا إلى الله جميعاً" أي ارجعوا إلى الاعتراف والدعاء كما فعل أبوكم آدم فان الرجوع إلى الله بطريق العهد وهو لا يعلم ما في علم الله فيه خطر عظيم فانه ان كان بقي عليه شئ من مخالفة فلا بد من نقض ذلك العهد فينتظم في قوله "الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه" فلم ير أكمل معرفة من آدم عليه السلام حيث اعترف ودعا وما عهد مع الله توبة عزم فيها انه لا يعود كما يشترطه علماء الرسوم في حد التوبة فالناصح نفسه من سلك طريق آدم فان في العزم سوء أدب مع الله بكل وجه فانه لا يخلو ان يكون عالماً بعلم الله فيه انه لا يقع منه زلة في المستأنف أم لا فان كان عالماً بذلك فلا فائدة في العزم على ان لا يعود بعد علمه انه لا يعود وان لم يعلم وعاهد الله على ذلك وكان ممن قضى الله عليه ان يعود ناقض عهد الله وميثاقه وان أعلمه الله انه يعود فعزمه بعد العلم انه يوعده مكابرة فعلى كل وجه لا فائدة للعزم في المستأنف لا لذي العلم ولا لغير العلم فالتوبة التي طلب منا انما هي صورة ما جرى من آدم عليه السلام هذا معنى التوبة عند أهل الله فان الله يحب كل مفتن ثواب أي كل من اختبره الله في كل نفس فيرجع إلى الله فيه لا عزم انه لا يعود لما تاب منه فهو جهل على الحقيقة فان الذي تاب منه من المحال ان يرجع إليه وان رجع انما يرجع إلى مثله لا إلى عينه فان الله لا يكرر شيئاً في الوجود فالعالم بذلك لا يعزم على انه لا يعود والذي ينظره أهل الله ان التائب يعزم انه لا يعود ان ينسب إليه ما ليس إليه وان عاد بنسبته إليه فقد علم عند العزم ان ذلك العود إلى الله لا إليه فلا تضره الغفلة بعد تصحيح الأصل وهو بمنزلة النية عند الشروع في العمل فان الغفلة لا تؤثر في العمل فساداً وان لم يحصر في أثناء العمل ما أحضره عند الشروع فهكذا العازم في عزمه واعلم ان مقام التوبة من المقامات المستصعبة إلى حين الموت ما دام مخاطباً بالتكليف أعني التوبة المشروعة وأما توبة المحققين فلا ترتفع دنيا ولا آخرة فلها البداية ولا نهاية لها إلا ان يكون الاسم التواب في المظهر عين الظاهر فلا بدء في أحواله ولا نهاية وان كانت كل توبة لها بدء والتوبة الكونية ملكية جبروتية عند الجماعة وهو محل اجماعهم وزاد بعضهم انها ملكوتية فمن لم يرى انها ملكوتية قال انها تعطي صاحبها ثمانمائة مقام وثمانية مقامات ومن رأى انها ملكوتية قال انها تعطي أرعمائة مقام وثلاثة عشر مقاماً الواقفية أرباب المواقف مثل محمد بن عبد الجبار النفري وأبي يزيد البسطامي قال هي غيبية آثارها حسية وجميع ما تتضمنه هذه

المعاملات من المقامات الإلهية الجسام ما فيها مقام يتكرر على ما قد تقرر في الأصل ولو تاب الخلق كلهم ملك وانس وجان ومعدن ونبات وحيوان وفلك ونالوا هذه المقامات كلها لما اجتمع اثنان في ذوق واحد منها وهي منازل فيها يتزلها العبد إذا أحكم ذلك المقام الذي هو التوبة أو غيره ويعطيه كل منزل منها من الأسرار والعلوم مالا يعلمه إلا الله ولهذا المقام الحجاب والكشف ومما يؤيد ما ذكرناه من ان التوبة اعتراف ودعاء لا عزم على انه لا يعود ما ثبت في الأخبار الإلهية وصح ان العبد بذنب الذنب ويعلم ان له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ولم يزد على هذا مثل صورة آدم سواء ثم يذنب الذنب فيعلم ان له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ويأخذ بالذنب فيقول الله له في ثالث مرة أو رابع مرة أعمل ما شئت فقد غفرت لك وهذا مشروع ان الله قد رفع في حق من هذه صفته المؤاخذة بالذنب على من يرى ان الخطاب على غير من ليس بهذه الصفة منسحب وأما ظاهر الحديث فان الله قد أباح ما قد كان حرج عليه لأجل هذه الصفة كما أحل الميتة للمضطر وقد كانت محرمة على هذا الشخص قبل ان تقوم به صفة الاضطراب ثم انه قد بينا ان من عباد الله من يطلعه الله على ما يقع منه في المستأنف فكيف يعزم على ان لا يعود فيما يعلم بالقطع انه يعود ولم يرد شرع نقف عنده ان من حد التوبة المشروعة العزم في المستأنف فلم تبق التوبة ألا ما قررناه في حديث آدم عليه السلام ثم يؤيد ذلك قوله تعالى "ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب" يعني في الحالتين ما هم انتم ينظر إليه قوله "وما رميت أذ رميت ولكن الله رمى" وقوله "فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم" وقوله "ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبأذن الله" والأذن الأمر الألهي أمر بعض الشجر ان تقوم فقامت وأمر بعض الشجر ان تنقطع فانتظمت بأذن الله لا بقطعهم وبأذن الله لا بتركهم مع كونها موصوفين بالقطع والترك فانه لا يناقض أذن الله فان أذن الله لها في هذه الصورة كالاستعداد في الشيء فالشجرة مستعدة للقطع فقبلته من القاطع فقوله فبأذن الله يعني للشجرة كقوله "فيكون طائراً بأذني" فالنفخ من عيسى لوجود الروح الحيواني أذ كان النفخ أعني الهواء الخارج من عيسى هو عين الروح الحيواني فدخل هذا الطائر وسرى فيه أذ كان هذا الطائر على استعداد يقبل الحياة بذلك النفس كما قبل العجل الحياة مما رمى فيه السامري فطار الطائر بأذن الله كما خار عجل السامري بأذن اله ولهذا قال وليجزى الفاسقين الخارجين عن معرفة هذا الأذن الألهي الذي قطع هذه الشجر وترك الأخرى ولشيوخنا في هذا المقام حدود أذكر منها ما تيسر وأبين عن مقاصدهم فيها بما يقتضيه الطريق وهكذا أفعل ان شاء الله في كل مقام إذا وجدنا لهم فيه كلاماً على انهم إذا سئلوا عن ماهية الشيء لم يجيبوا بالحد الذاتي لكن يجيبون بما ينتج ذلك المقام فيمن أتصف به فعين جوابهم يدل على ان المقام حاصل لهم ذوقاً وحالاً وكم من عالم بحده الذاتي وليس عنده منه رائحة بل هو عنه بمعزل بل ليس بمؤمن رأساً وهو يعلم حده الذاتي والرسامي فكان الجواب بالنتائج والحال أتم بلا خلاف فان المقامات لا فائدة فيها ألا ان يكون لها أثر في الشخص لانها مطلوبة لذلك لا لانفسها والله المرشد وأختلف أصحابنا ما أول منزل من منازل السالكين فقال بعضهم اليقظة وقال بعضهم الانتباه وقال بعضهم التوبة وروى ان الرسول الله صلى الله عليه وسلم قال الندم توبة فقد يخرج مخرج قوله الحج عرفة ولو قال صلى الله عليه وسلم الندم التوبة لكان أقرب إلى الحد من قوله الندم توبة وقد تقدم الكلام في الشروط الثلاثة المصححة للتوبة في هذا الباب قال بعضهم وهو أبو علي الدقاق التوبة على ثلاثة أقسام لان لها بداية ووسطاً وغاية فبذوها يسمى توبة ووسطها يسمى انابة وغايتها يسمى أوبة فالتوبة للخائف والانابة للطائع والأوبة لراعي الأمر الألهي يشير بهذا التقسيم إلى ان التوبة عنده عبارة عن الرجوع عن المخالفات خاصة والخروج عما يقدر عليه من أداء حقوق الغير المترتبة في ذمته مما لا يزول ألا بعفو الغير عن ذلك أو القصاص أورد ما يقدر على رده من ذلك وقال رويم وقد سئل عن التوبة التوبة من التوبة كما قال ابن العريف

ومقالات القوم في التوبة كثيرة مذكورة في كتب المقامات للمنزري والقشيري والمطوعي وعمر بن عثمان المكي وغيرهم فليُنظر هنالك

الباب الخامس والسبعون في ترك التوبة

متى خالفته حتى تتوب

فترك التوب يؤذن بالشهود

فقل للتائبين لقد حجبتم

عن أدراك الحقائق بالورود

فممن أوالي من قد رجعتم

وليس سوى المسود والمسود

فمن عين الذي قد جئت منه

إليه به ومن عين العبيد

وأسماء الأله هي التي لم

تزل موصوفة بسنا الوجود

أعلم وفقك الله انه من كان صفته وهو معكم أينما كنتم وهو بكل شيء محيط وألم يعلم بان الله يرى والذي يراك حين تقوم ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون فلا يتوب ألا من لا يشعر ولا يبصر هذا القرب والشعور علم أجمالي قطعي ان ثم مشعوراً به لكن لا يعلم ما هو ذلك المشعور به فالعلم بالله شعور والشعور لا علم بما هو عليه المشعور به وعلمه بنا ليس كذلك فلا يصرف العبد معناه إلى معنى ألا والحق في الصارف والمصرف والصرف فيلأ أين أتوب ان نادى فهو المنادى لانه لا ينادى ألا من يسمع وهو سمعك فلا تسمع ألا به فما فقدته في ندائه أياك هذا حد العلم الصحيح ولهذا لم يأمر بالتوبة ألا المؤمنين فقال "وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون" بغير ألف لحكمة أخفاها يعرفها العالم ولا يشعر بها المؤمن فهي بالألف هاء التنبيه إذا قال أيها المؤمنون وهي بغير الألف هي هويته قرأها الكسائي برفع هاء أيه وحذف الواو لألتقاء الساكنين يقول هو المؤمنون لانه المؤمن وما يسمع نداء الحق ألا الحق والسماع مؤمن والسامعون كثيرون فهو المؤمنون فترك التوبة ترك الرجوع لانه قال أرجعوا وراءكم لمن كان في ظلمة كونه فالتمسوا نوراً انظروا إلى موجدكم وهو النور الذي به الظهور فإذا رأيتم النور كشف لكم عنكم فعلمتم انه أقرب إليكم منكم ولكن لا تبصرون لعدم النور فلما حصلت لهم المعرفة هنا بهذا القدر لم تصح منهم توبة عندهم انهم تائبون فتاب عليهم فكان هو التائب على الحقيقة والعبد محل ظهور الصفة ولذلك قال ليتوبوا ثم قال ان الله هو التواب وهو لفظ المبالغة أذ كانت له التوبة الأولى من قوله "ثم تاب عليهم" والثانية من قوله "ليتوبوا" فالتوبتان له من كل عبد فهو التواب لا هم "وما رميت أذ رميت ولكن الله رمى" وهذا حكم سار في جميع أفعال العباد فما تاب من تاب ولكن الله تاب ولهذا قالت الجماعة التوبة ترك التوبة والتوبة من التوبة فنفيتها أثباتها وأثباتها نفيتها فترك التوبة حال التبري من الدعوى فليست التوبة المشروعة ألا الرجوع من حال المخالفة إلى حال الموافقة أعني مخالفة أمر الواسطة إلى موافقة أمرها لا غير والتوبة من التوبة هي الرجوع منه إليه به فالتوبة من التوبة لها الكشف وما لها حجاب وصاحبها مسؤول لانه تبرأ من الدعوى بها أعني بالدعوى وكل مدع مطالب بالبرهان على صحة دعواه فالمكمل من يثبت التوبة حيث أثبتها الحق ولمن أثبتها ولا يعيدها محلها فلها رجال يقومون بها ولها رجال يحكمون

بها وهم عنها مبعدون لانها حالة غربة وهم في الموطن الذي فيه ولدوا فلا غربة ما يرجع إلى أهله ألا الغائب والغائب غريب فالغريب هم التائبون فالحبة من الله لهم محبة أهل الغائب إذا ورد عليهم غائبهم فمن كان من أهله مشاهد اله في حال غربته لم يفرح به لنفسه فانه غير فاقد له وانما فرحه به لفرحه برجوعه إلى موطنه فهو فرح موافقة كمحبة المحبوب لحبه لانها عين حبه لنفسه ولهذا يبغض من يبغضه لحبه لنفسه ان الله يحب التوابين إليه في كل حال من خلاف ووافق فهو مقبول محبوب على كل حال وإذا كانت التوبة تحب لأجل الوصلة فالمتصل لا يتصل فهو أشد في المحبة وأعظم في اللذة وهو المعبر عنه بترك التوبة ومن رأى ان الأمر الألهي وأتساع الحقيقة الربانية لا يدوم لها حال معين ولا ينبغي ولذلك هو كل يوم في شان ولا يكرر فلا تصح توبة فانها رجوع ولا يكون رجوع ألا من مفارقة لآمر يرجع إليه والحق على خلافه فلا رجوع فلا توبة وقوله "وإليه يرجع الأمر كله" لما تغرب الأمر عند المحجوبين عن موطنه بما أدعوه فيه لنفوسهم قيل لهم إليه يرجع الأمر كله لو نظرتم لرأيتم من نسبتم إليه هذا الفعل منكم انما هو الله لا انتم وما الله بغافل عما يعلمون من دعواكم ان الأمر إليكم وهو الله فالأصل انه لا رجوع وان الأمر في مزيد إلى مالا نهاية له ولا أحاطة أذ لا نهاية لواجب الوجود فلا نهاية للممكنات أذ هو الخلاق دائماً ولا يصح ان يزول عنه هذا الحكم لانه مالا يثبت نفيه ألا بأبائته فنفيه محال فكل باب من أبواب هذا الكتاب مما يقتضي ترك ما أثبتاه في الباب الذي قبله فهو كالذيل له فهو منه فنسوقه مختصراً لانه لا يحتمل التطويل وهو فصل من فصول الباب الذي قبله فنقتصر في ذلك والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب السادس والسبعون في المجاهدة

فالنعل يرجع بالهدى اكليلًا

فيه وكن للنائبات خليلاً

يهوي الخطوب ويعشق التعليلاً

تردى وكن للحادثات وصولاً

سبح المك بكرة وأصيلاً

جاهد هواك ولا تكن ذا فترة

ان المجاهد لا يزال مكابداً

لا تركزن إلى البطالة انها

أعلموا وفقكم الله اني لما شرعت في الكلام على هذا الباب أريت مبشرة عرفت فيها ان الناس لا بد ان يتزل بهم أمر الهى عارض يحتاجون فيه إلى حمل مشقة وجهد نفسي وحسي وقيل لي لا تغفل في كل باب ان تدرج فيه الحروف الصغار وتبين ان بأشباعها تكون الحروف الثلاثة التي هي حروف العلة وهي حروف المدوالين وهي الحروف المركبة من علة ومعلول ويكون كلامك فيها وأشارتك إلى الأربعة الأصناف وهم العارفون الذين لهم العوارف الألهية الوجودية الجودية في معرفتهم وأهل المواقف عند الحدود الألهية لتلقي الأدب بين كل مقامين عند الانتقال في حال لا يتصفون فيه بالمقام الأول ولا بالثاني وهم أهل البرازخ وكذلك أيضاً أهل الوصال والانس تعين ما لهم من الدرجات في كل مقام كما تبين ما لأهل المواقف سواء حتى لا يختلط على السالك وكذلك أيضاً المنكرة أحوالهم وهم الملامية الذين يعرفون ولا يعرفون تميزهم من أهل عوارف المعارف وتظهر ما لهم من الكمال وهم العلماء بالله فهؤلاء الأربعة لا بد من تمشية أحوالهم في كل مقام وهم العارفون واللامية وأهل الانس والوصال وأصحاب المواقف والقول وهم الأدباء فانك مأمور بالنصح لعباد الله عن أمر الله والدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم فلما

فرع وارد البرزخ في الواقعة فمننا من مرقدنا وسألنا الله تعالى العصمة في القول والعمل والحال وكنت أرى معي في هذه الواقعة صاحبنا تاج الدين عباس بن عمر السراج وهو الذي كان ينهي عن الحق تعالى على الكلام في الحروف الصغار التي تتولد عنها حروف العلل الثلاثة فلنبيين أولاً ما المراد بالحروف الصغار وما مراتب أولادها وهي حروف العلل وان كنا قد ذكرناها في الباب الثاني باب الحروف من هذا الكتاب فلا بد من ذكر طرف هنا منها لأجل الواقعة فصل أعلم ان المراد بالحروف الصغار الحركات الثلاثة وهي الضمة والفتحة والكسرة وهذه الحروف حالان حال أشباع وحال غير أشباع فإذا أتصف واحد منها بالأشباع كان علة لوجود معلول يناسبه فان أشبعت الضمة كان عنها الواو المعلولة وان كانت فتحة كان عنها الألف وان كانت كسرة كان عنها الياء المعلولة وانما قيدنا الواو والياء بالعلة لانهما قد يوجدان في مقام الصحة غير موصوفين بالعلية والألف لا توجد أبداً إلا معلولة ولذلك لا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً أبداً فهذه تسمى حروف العلة أي وجدت معلولة عن هذه العلل فخرجت على صورة عللها في الحكم فأعربت بها الكلمات كما أعربت بعللها تقول زيد أخوك فعلامة الرفع في زيد ضمة الدال وعن أشباع الضمة في قولك أخوك تكون الواو علامة الرفع في أخوك وكذلك في النصب في رأيت زيدا أخاك وفي الخفض مررت بزيد أخيك وكذلك رأيت أخاك زيدا الفتحة في زيد علامة النصب والألف في أخاك المتولدة عن فتحة الخاء علامة النصب وكذلك مررت بأخيك زيد فالكسرة في زيد علامة الخفض والياء في أخيك علامة الخفض فأعطيت الياء حكم معلولة فأعلت الكلمة هذه الحروف فلها حكم أبائها إلى الذي هو الرفع له من الاسماء العلي والفتح له من الاسماء الرحمن ما يفتح الله للناس من رحمة والكسر له من الاسماء المتعالي وآثار هذه الاسماء الألفية في الكون معلومة كما هي في الحق متميزة بحدودها يمتاز بعضها عن بعض وقد بينها في الباب الثاني من أبواب هذا الكتاب وبيننا فيه حركات البناء من حركات الأعراب ومرتبة السكون الحي والميت والحاق النون بحروف العلة في حكم الأعراب في الخمسة الأمثلة من الفعل وهي يفعلان وتفعلان ويفعلون وتفعلون وتفعلين وأثباتها أعراب وحذفها أعراب بحسب العوامل الداخلة عليها ولما كان المعلول موصوفاً بالمرض كان ذا جهد ومشقة لما يقاسيه من ألم العلة القائمة به أذ لا يوجد عن العلة إلا معلول فلها جعلناه في باب المجاهدة لان المجاهدة مشقة وتعب وبها سمي الجهاد جهاداً ودين الله يسر وقول الله صدق حيث قال "ما عليكم في الدين من حرج" وقال يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولهذا جعلنا باباً لترك الجهاد وهو الذي يلي هذا الباب وهو الباب السابع والسبعون في ترك المجاهدة لا ترك العمل لان المجاهدة حال الأعمال في وقت والأحوال مواهب والأعمال مكاسب ولهذا أقيم الكسب مقام العمل والعمل مقام الكسب فجاء في آية وتوفي كل نفس ما عملت وفي آية ما كسبت فسمى العمل كسباً وناب كل

واحد منها مناب صاحبه ولهذا قلنا في الأعمال مكاسب ومن العمال من يكون عليهم في عملهم مشقة وهي المجاهدة ومنهم من لا يجدها فلا يكون صاحب مجاهدة فلو اقتضى العمل المشقة لكانت صفة كل عامل وأعلم أيديك الله ان المجاهدين هم أهل الجهد والمشقة والمكابدة وهم أربعة أصناف مجاهدون من غير تقييد بأمر وهو قوله تعالى "وفضل الله المجاهدين على القاعدين" والصنف الثاني مجاهدين بتقييد في سبيل الله وهو قوله "والمجاهدون في سبيل الله" والصنف الثالث المجاهدون فيه وهو قوله "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا" أي نبين لهم حتى يعلموا فيمن جاهدوا فيجاهدون عند ذلك أولاً يجاهدون والصنف الرابع المجاهدون في الله حق جهاده فميزهم عن المجاهدين من غير هذا التقييد كالذين يتقون الله حق تقاته ويتلون الكتاب حق تلاوته فهي مرتبة رابعة في الجهاد وهذه المجاهدة من المقامات المستصحبة للتكليف فما دام التكليف موجوداً كانت المجاهدة قائمة العين فإذا زال حكم التكليف زالت

المجاهدة ولهذا نفس الله عن المكلفين بصنف المباح لما شفعت فيهم الصورة التي خلقوا عليها لأنها غير محجور عليها فلما رأت من يشبهها قد حجر عليه سألت فيه رفع الحجر عنه فقبل لها إلى ذلك مآله في الآخرة فقالت فلا بد له ان يكون له حكم في الحياة الدنيا ليكون لي بشرى بقبول الشفاعة فانك القائل لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة فان هذه الصورة متزهي وموضع نظري فإذا رأيت عليها التحجير أرى الانكسار فيها ولا نرى أثر العنايتي فيها مع كونها مخلوقة على صورتي ولا تحجير علي فشرع الله لها في الدنيا المباح فلا تنظر إليها الصورة الإلهية إلا في وقت تصرفها في المباح وهو أرفع أحوال النفس في الدنيا فانه من الحياة الآخرة التي لا تحجير فيها فإذا انتقلت من المباح إلى مكروه أو مندوب أعرضت الصورة عن المكلف قليلاً ونأت بجانبها مع بعض النفات إليها فإذا انتقلت إلى محظور أو فعل واجب أسدلت الحجاب وأعرضت بالكلفة عن ذلك المكلف فلما رأى ذلك من كلفها وحجر عليها وهو الله تعالى أوجب على نفسه ما أوجبه مثل قوله "كتب ربكم على نفسه الرحمة وكان حقاً علينا نصر المؤمنين" فرفع الحجاب ونظرت الصورة إلى كل واحد في كل حال من أحوال الأحكام فانظر يا ولي ما ألطف الله وما أرفه بعباده حيث شرك نفسه معهم في حكم الوجوب وما أسقط الوجوب عنهم بل أدخل نفسه معهم فيه إذ قد اتصفوا به ابتداء فلو أزاله عنهم لم يقدح عندهم مقام ادخال نفسه معهم فيه أي ذقنا ما ذوقناكم هذا وغاية اللطف في الحكم والتزل الإلهي كما نزل معهم في العلم المستفاد إذ كان علمهم مستفاداً فقال ولنبلونكم حتى نعلم" وهو العليم فانسهم وفيه حكم إيمان يعتض به من يسمع ممن لا يعرف الله قوله ان الله لا يعلم الجزئيات وان كانوا أقصدوا بذلك التثنية وهذه مسئلة لا يمين تحقيقها بالعقل ما لم يكن الكشف بكيفية تعلق العلم الإلهي بالمعلومات وانه ليس في حق الحق ماض ولا آت وان انه لم يزل ولا يزال لا يتصف انه بانه لم يكن ثم كان ولا بانقضاء بعدما كان وربما يعطي الله هذه القوة لمن شاء من عباده وقد ظهر منها نفحة على محمد صلى الله عليه وسلم علم بما علم الأولين والآخرين فعلم الماضي والمستقبل في الان فلولا حضور المعلومات له في حضرة الان لما وصف بالعلم بما فهذا يعلم ان الله يعلم الجزئيات علماً صحيحاً غاب عنه من قصد التثنية بنفيه عن جناب الحق ثم نرجع ونقول ان المجاهدة حمل النفس عن المشاق البدنية المؤثرة في المزاج وهنا وضعفاً كما ان الرياضة تهذيب الأخلاق النفسية بحملها على احتمال الأذى في العرض والخارج عن بدنه مما لا حركة فيه بدنية ثم ان هذه الحركات البدنية المحمودة شرعاً منها حركات في سبيل الله مطلقاً وهي انواع سبيل كل بر مشروع فمنه ما فيه مشقة فيسمى بمجاهدة ومنه ما لا مشقة فيه فيرتفع عنها حكم هذا الاسم وهذا الباب مخصوص بما فيه مشقة لهذا سميناه باب المجاهدة فنظرنا إلى أعظم المشاق فلم نجد أعظم من اتلاف المهج في سبيل الله وهو الجهاد في سبيل الله الذي وصف الله قتلاه بانهم أحياء يرزقون ونهى ان يقال فيهم أموات ونفى العلم عنهم يلحقهم بالأموات للمشاركة في صورة مفارقة الاحسان وعدم وجود الانفاس وهذا من أدل دليل على أبطال القياس لان المعتقدين موت المجاهدين المقتولين في سبيل الله انما اعتقدوه قياساً على المقتول في غير سبيل الله بالعلة الجامعة في كونهم رأوا كل واحد من المقتولين في صورة واحدة من عدم الانفاس والحركات الحيوانية وعدم الإمتناع مما يرد من الفعل بهم من قطع الأعضاء وتمزيق الجلود وأكل سباع الطير والسباع واستحالة أجسامهم إلى الدود والبلا فقاسوا فأخطأوا القياس ولا قياس أوضح من هذا أولاً أدل في وجود العلة منه ومع هذا أكذبهم الله وقال لهم ما هو الأمر في المقتول في سبيلي كالمقتول في غير سبيلي "فلا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين" فقال لهم ذلك الحكم الذي حكمتهم علي ليس بعلم وإذا لم يكن علماً لم يكن صحيحاً وإذا لم يصح لم يجز الحكم به من علمنا بإخبار الله ان ذلك ليس بصحيح ثم قال "ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون" فنفى

عنهم العلم الذي أعطاهم القياس فإذا كان حكم هذا القياس على وضوحه وعدم الريب فيه وتوفر أسبابه وظهور علله الجامعة بينه وبين غيره من القتلى وهو باطل بإخبار الله فما ظنك بقياس الفقهاء في النوازل وقياس العقلاء بحكم الشاهد على الغائب في معرفة الله هيهات صدق الله وكذب أهل القياس على الله والله لا أشبه من ليس كمثله شئ من مثله الأشياء فلما كان اتلاف المهج أعظم المشاق على النفوس لهذا سمي جهادا فان النفوس نفسان نفس ترغب في الحياة الدنيا لألفتها بها فلا يريد المفارقة وتشق عليها ونفس ترغب في الحياة الدنيا لتزيد بذلك طاعة وأفعالا مقربة ومعرفة إلهية وترقياً دائماً مع الانفاس فشق عليها مفارقة الحياة الدنيا فلهذا سمي جهادا في حق الطائفتين فأما المجاهدون في سبيل الله وهي الطريق إلى الله أي إلى الوصول إليه من كونه إلهاً فهو جهاد لنيل معرفة المرتبة التي عنها ظهر العالم والأحكام فيه وعنهما تكون الخلاف في الأرض فينالهم في هذه السبل من المشقة ما يناله المسافر في طريق المخوفة فانه في طريق عرض نفسه في السلوك فيه إلى اتلاف ما له ونفسه ويتم أولاده وفقد مألوفاته قال تعالى "وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله" وقال "ويقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون" ولما علم الله من العباد انه يكبر عليهم مثل هذا لدعواهم ان نفوسهم وأموالهم لهم كما أثبتنا الحق لهم والله لا يقول إلا حقا فقدم شراء الأموال والنفوس منهم حتى يرفع يدهم عنها فبقي المشتري يتصرف في سلعته كيف يشاء والبائع وان أحب سلعته فالعوض الذي أعطاه فيها وهو الثمن أحب إليه مما باعه فقال "ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم" وبعد هذا الشراء أمر ان يجاهد بها في سبيل الله ليهون ذلك عليهم فهم يجاهدون بنفوس مستعارة أعني النفوس الحيوانية القائمة بالأجسام والأموال مستعارة فهم كمن سافر على دابة معارة ومال غيره وقد رفع عنه الحرج مالكة عندها ما أعاره ان نفقت الدابة وهلك المال فهو مستريح القلب فما بقي عليه مشقة نفسية ان كان مؤمناً إلا ما يقاسي هذا المركب الحيواني من المشقة من طول الشقة وتعب الطريق وان كان في قتال العدو فما ينال من الكر والفر والظعن بالرمح والرشف بالسهم والضرب بالسيوف والانسان مجبول على الشفقة الطبيعية فهم يشفق على مركبه من حيث انه حيوان لا من جهة مالكة فان مالكة قد علم منه هذا المعبر انه يريد اتلافه فذلك محبوب له فلم يبقى له عليه شفقة إلا الشفقة الطبيعية فالنفوس التي اشتراها الحق في هذه الآية انما هي النفوس الحيوانية اشتراها من النفوس الناطقة المؤمنة فنفس المؤمنين الناطقة هي البائعة المالكة لهذه النفوس الحيوانية التي اشتراها الحق منها لانها التي يحل بها القتل وليست هذه النفوس بمحل الايمان وانما الموصوف بالايمان النفوس الناطقة ومنها اشترى الحق نفوس الأجسام فقال اشترى من المؤمنين وهي النفوس الناطقة الموصوفة بالايمان أنفسهم التي هي مراكزهم الحسية وهي الخارجة للقتال بهم والجهاد فالؤمن لا نفس له في الشفقة عليها إلا الشفقة الذاتية التي في النفس الناطقة على كل حيوان وأما المجاهدون الذين لم يقيدهم الله بصفة معينة لا في سبيل الله ولا فيه ولا بحق جهاد فهم المجاهدون بالله الذي ليس من صفته التقييد فجهاده في كل شئ وهو الجهاد العام ونسبة الجهاد إليه الذي هو المشقة لكونه سما مجاهد أو لم يقيد فيما ذا يجاهد فهو حكم القضاء والقدر في الأشياء التي يحصل منه الكره في المقضي عليه بما قضى به عليه والحق لا يريد مساءته لما له بهذا العبد من العناية فقال من لقائي يقول ولا بد له من الموت لما سبق به العلم فيقبضه عن مجاهدة مطلقة غير مقيدة بأذى ولا غيره ولكن تنبيهه تعالى بالتردد دليل على حكم مناسب حكم المجاهدة فانه ما جاء به ألا ليقيدنا العلم بالأمر على ما هو عليه فانه سبحانه المعلم عباده العلم وهو قوله "وقال الذين أوتوا العلم" وهو الذي أعطاهم العلم من أسمه الرحمن الذي قال فيه علم الانسان ما لم يعلم فالمجاهدون من العباد الذين لا يتقيدون كما أطلقهم الله هم المترددون في الأفعال الصادرة أعيانها فيهم هل ينسبونها إلى الله ففيها ما لا ينبغي ان ينسب إليه أدباً وتبرأ الحق منها كما قال "براءة من الله" أو ينسبونها لانفسهم ففيها ما ينبغي ان ينسب إلى الله أدباً مع

الله ونسبة حقيقته ورأوا الله يقول "وما رميت أذ رميت" فنفي وأثبت عين ما نفى ثم قال ولكن الله رمى فجعل الأثبات بين نفيتين فكان أقوى من الأثبات لما له من الأحاطة بالثبوت ثم قال وليلي المؤمنين في نفس هذه الآية فعلنا ان الله خير المؤمنين وهو ابتلاؤه بما ذكر من نفي الرمي وأثباته وجعله بلاء حسناً أي ان نفاه العبد عنه أصاب وان أثبته له أصاب وما بقي ألا أي الأصابتين أولى بالعبد وان كان كله حسناً وهذا موضع الحيرة ولذلك سماه بلاء أي موضع اختبار فمن أصاب الحق وهو مراد الله أي الأصابتين أو أي الحكمين أراد حكم النفي أو حكم الأثبات كان أعظم عند الله من الذي لا يصيب ذلك فهؤلاء هم المجاهدون الذين فضلهم الله على القاعدين عن هذا النظر أجراً عظيماً وما عظم الله فلا يقدر قدره درجات منه وما جعلها درجة واحدة كما قال في المجاهدين في سبيل الله حيث جعل لهم درجة واحدة ثم زادهم ما ذكر في تمام الآية فهذان صنفان قد ذكرنا وأما الصنف الثالث وهم الذين جاهدوا في الله حق جهاده فالهاء من جهاده تعود على الله أي يتصفون بالجهاد أي في حال جهاده صفة الحق كما ذكرنا في التردد الألهي أي لا يرون مجاهداً ألا الله وذلك لان الجهاد وقع فيه ولا يعلم أحد كيف الجهاد في الله ألا الله فإذا ردوا ذلك إلى الله وهو قوله حق جهاده فنسب الجهاد إليه بأضافة الضمير فكان المجاهد لا هم وان كانوا محل ظهور الآثار فهم المجاهدون لا مجاهدون قال الله لموسى "ياموسى أشكرني حق الشكر قال يا رب ومن يقدر على ذلك قال إذا رأيت النعمة مني فقد شكرتني حق الشكر" وهذا الحديث خرج ابن ماجه في سننه فكل عمل أضفته إلى الله عن ذوق وكشف ومشاهدة لا عن اعتقاد وحال بل عن مقام وعلم صحيح فقد أعطيت ذلك العمل حقه حيث رأيت من هو له فحيث ما وقع لك مثل هذا فشرحه ما شرحه به الله على لسان رسوله فبلغه إلينا وهي طريقة موصلة إلى الله سهلة لينة قريبة المأخذ مستوية لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً والصنف الرابع هم الذين قال الله فيهم والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا الذين قلنا لهم فيها ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله يعني السبيل التي لكم فيها السعادة وألا فالسبيل كلها إليه لان الله منتهى كل سبيل فإليه يرجع الأمر كله ولكن ما كل من رجع إليه سعد فسبيل السعادة هي المشروعة لا غير وانما جميع السبل فغايتها كلها إلى الله أولاً ثم يتولاهما الرحمن آخر أو يبقى حكم الرحمن فيها إلى الأبد الذي لا نهاية لبقائه وهذه مسألة عجيبة المكاشف لها قليل والمؤمن بما أقل ولما كان سبب الجهاد أفعالاً تصدر من الذين أمرنا بقتالهم وجهادهم وتلك الأفعال أفعال الله فما جاهدنا ألا فيه لا في العدو وأذ لم يكن عدواً ألا بما فإذا جاهدنا فيه وتبين لنا بقوله "إذا جاهدنا فيه ان يهديننا سبله" أي يبين لنا سبلها فندخلها فلا نرى إذا جاهدنا غير أفأستغفرنا الله مما وقع منا وكان من السبل مشاهدة ما وقع منا انه الموقع لا نحن فاستغفرنا الله أي طلبنا منه ان لا نكون محلاً لظهور عمل قد وصف نفسه بالكراهية فيه فقد ثبت انه ما في الوجود ألا الله فما جاهد فيه سواء ولولا ما هدانا سبله ما عرفنا ذلك ولذلك تم الآية بقوله "وان الله لمع المحسنين" والأحسان ان تعبد الله كأنك تراه فإذا رأيت علمت ان الجهاد انما كان منه وفيه فهذا قد أعربت لك عن أحوال أهل المجاهدات وهم المجاهدون والكلام يطول في تفاصيل هذا الباب والكتاب كبير فان استقصينا أيراد ما يطلبه منا كل باب لا يفني العمر بكتابته فإذا ولا بد من الأقتصار فلنقتصر على ما يجري من كل باب مجرى الأمهات لا غير وكل أم مثل حواء مع نبي آدم فأنهم بنوها كلهم فلو أعطانا الله الكتابة الألهية أبرزنا جميع ما يحويه هذا الكتاب على الاستيفاء في ورقة صغيرة واحدة كما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابين في يده بالكتاب الألهي الذي ليس لمخلوق فيه تعمل وأخبر ان في الكتاب الذي في يمينه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائرتهم من أول خلقهم إلى يوم القيامة والكتاب الآخر مثله في أسماء أهل الشقاء ولو كان ذلك بالكتاب المعهود ما وسع ورقة المدينة فمثل ذلك لو وقع لنا أظهرناه في اللحظة وقد رأينا تلك الكتابة وهي كالجنة في عرض الحائط والنار وكصورة

السماء في المرآة فلنذكر ما لهذه الصفة التي هي المجاهدة من المقامات التي هي مراتبها ومنازلها الذين يترها أهلها وهم الملامية وهم قسمان أهل أدب بوقوف عند حد وأهل انس ووصال وكذلك ما للعارفين من هذا الباب وهم قسمان أهل أدب ووقوف عند حد وأهل انس ووصال وهذا سار في كل مقام فالذي للملامية منه من الصنف الذي له أدب الوقوف عند الحدود فثلاث وخمسون درجة وانما عدلنا إلى ذكر الدرجات لما سمعنا الله يقول بالدرجات في فضلهم فأتبعنا ما قال الله فهو أولى بنا والتي للملامية أهل الانس والوصال من الدرجات في هذا الباب أربعمئة درجة وثلاث وخمسون وأما درجات العارفين أهل الانس والوصال فلهم أربعمئة درجة وأربع وثمانون درجة وأما الذي لأهل الأدب والوقوف عند الحدود من العارفين فتسع وثمانون درجة تسعون ألا واحدة بينه وبين درجات الاسماء الألهية عشرة

الباب السابع والسبعون في ترك المجاهدة

هو عين الذي تجاهد فيه

أي عقل يرضاه أو يصطفيه

فتراه بالعلم أو تنفيه

وهو نفي والنفي يستوفيه

لا تجاهد فان عين المنازع

وإذا كان واحداً من تناوي

هل لعين الشريك عين وجود

كيف يفنى من كان في الأصل نفياً

لما أطلع المجاهد فيه وفي سبيله وفي الله وفي سبيل الله على السبل التي هداه الله إليها فبانت عنده فرأى انه ما جاهد غير الله فاستحيى لأجل هذا المشهد فترك الجهاد لأقتضاء الموطن وهو المجاهد تعالى وما هو ممن يتصف بالمشقة فانه يقول فيما هو أعظم من هذا وما مسنا من لغوب وقال وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وليس هذا الهين عن صعوبة في الأبتداء ولهذا القول بالمفهوم ضعيف في الدالة لانه لا يكون حقاً في كل موضع ونسب ذلك إلى الله كما شاهده كما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعظيم عزة الله إذا أتصف بها أحد من عباد الله مثل قوله "عبسى وتولى ان جاءه الأعمى" فانه صلى الله عليه وسلم كان يحب الفأل الحسن وبعثه بدعوة الحق وأظهار الآيات انما يظهرها لمن يتصف بانه يرى فلما جاءه الأعمى قام له حقيقة من بعث إليهم وهم أهل الأبصار فأعرض وتولى لانه ما بعث لمثل هذا فهذا كان نظره صلى الله عليه وسلم وما عتبه سبحانه فيما علمه وانما عتبه جبر القلب ابن أم كلثوم وأمثاله لانهم غائبون عن الذي يشهده صلى الله عليه وسلم وأمره ان يحبس نفسه معهم فقال له "وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه" وكان خباب بن الأرت وبلال وغيرهم من الأعبد والفقراء لما تكبر كبراء قريش وأهل الجاهلية عن ان يجمعهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس واحد وأجابه إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لسان الظاهران النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعل لهم ذلك ليتألفهم على الإسلام لان واحداً منهم كان إذا أسلم أسلم لأسلامه بشر كثير لكونه مطاعاً في قومه و يترجم عن هذا المقام لسان الحقيقة ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشاهد سوى الحق فأينما يرى الصفة التي لا تنبغي ألا الله عظمها ولم يشاهد معها سواها وقام لها ووفاهها حقها مثل العزة والكبرياء والغنى فقال له ربه أما من أستغنى فنبهه ببينة الاستغفال فانت له تصدى وقد علم انه لمن تصدى محمد صلى الله عليه وسلم يقول له وان كنت تعظم صفتي

حيث تراها لغلبة شهودك أي أي فقد أمرتك ان لا تشاهدها مقيدة في الحديثين وهو قوله عليه السلام ان الله أدبني فأحسن أدبي وهذا من ذلك التأديب وكان رسول صلى الله عليه وسلم إذا رأى هؤلاء تلك ألا عبد يقول مرحباً بمن عاتبني فيهم ربي فكلما جلسوا عنده جلس جلوسهم لا يمكن لهم ان يقوم ولا ينصرف حتى يكونوا هم الذين ينصرفون فان الله قال له "وأصبر نفسك" ولما علموا ذلك منه وانه عليه السلام قد تعرض له أمور يحتاج إلى التصرف فيها فكانوا يخفون فلا يلبثون عنده ألا قليلاً وينصرفون حتى ينصرف النبي صلى الله عليه وسلم لأشغاله فترك صلى الله عليه وسلم ذلك الأمر الذي كان له فيه مشهد صحيح ألهي مراعاة لحفظ القلوب المنكسرة فان الله عند المنكسرة قلوبهم غيباً يثبتها الايمان وينفيها العيان وهو عند المتكبرين عينا يثبتها العيان وينفيها الايمان فنقل الله نبيه صلى الله عليه وسلم من العيان إلى الايمان وأخبره ان تحليه تعالى في أعيان الأعزاء المتكبرين من زينة الحياة الدنيا فهي زينة الله للحياة الدنيا لا لنا والذي لنا زينة الله من غير تقييد بالحياة الدنيا وما يلزم من كونه زينا لزيد ان يكون زينا لعمر وفمن الناس من لا شهود له ألا زينة الله ومن الناس من لا شهود له ألا زينة الحياة الدنيا من حيث ما هي زينة الله لها لا لنا فيشهدها لها وان لم تكن لنا زينة ومن الناس من يشهد زينة الشيطان في عمله وأعمال الخلق في قوله "فزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين" فهم الذين أضلهم الله على علم فيشهدها أهل الله زينة الله للشيطان لانه عمله ومن الناس من يشهد من زين له عمله ولا يدري من زينه هل متعلق تلك الزينة الذم أو الحمد وهو موضع الشبهة كمن يرى رجلاً يحب ان يكون نعله حسناً وثوبه حسناً فلا يدري أهو ممن يحب زينة الحياة الدنيا أو هو ممن يتجمل لله في قوله "خذوا زينتكم عند كل مسجد" وقد قال عليه السلام للرجل الذي قال له اني أحب ان يكون نعلي حسناً وثوبي حسناً ان الله جميل يحب الجمال فوقع لهذا الرجل الاشتباه فلا يدري لمن ينسب تلك الزينة كمن يسمع شخصاً يقول الحمد لله رب العالمين فلا يدري هل هو تال أو هو ذاكر من غير قصد تلاوة القرآن لان اللفظ واحد وهو المشهود

والقصد غيب والأولى ان تحسن الظن بمن يتجمل فانك مندوب إليه وسوء الظن انت مأمور بإجتنابه في حق المسلمين ولهذا فسر النبي صلى الله عليه وسلم كلامه للرجلين في اعتكافه حين انقلب يشيع صفية اني خشيت ان يقذف الشيطان فما أساء الظن ألا بأهله وهو الشيطان فينبغي لك إذا سمعت من يقول كلمة هي في القرآن كما قلنا فيمن سمع من يقول الحمد لله رب العالمين ان تسمعها تلاوة قرآنية وان لم يقصدها قائلها فانك تؤجر أجر من سمع القرآن ولا بد وهذا مشهد عزيز قل ان ترى له ذائقاً وهو قريب سهل لا كلفة فيه وأما قوله "أفمن زين له سوء عمله" فمن قوله سوء عمله عرفت من زينه وان لم يذكره ومع هذا فالاحتمال لا يرفع عنه فان الله يقول في مثل هذا "زيناهم أعمالهم فهم يعمهون" فجاء بنون الكناية عن نفسه ونسب الحيرة إليهم بهذا التزيين فمثل هذا إذا لم يبين الله له في كشفه لمن هو هذا التزيين يقبله على مراد الله فيه من غير تعيين فيكون جزاؤه على الله من غير تعيين عندنا وان كان معيناً عند الله فانه عند الله أيضاً لا معين فانا لم نعيه فهو يعلمه معيناً لا معيناً بنسبتين مختلفتين فأفهم ذلك انتهى الجزء الثاني والتسعون

الجزء الثالث والتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثامن والسبعون في معرفة الخلوة

ولو كان غيري لم يصح وجودها

خلوت بمن أهوى فلم يك غيرنا

فان نفوس الخلق طرا عبيدها

إذا أحكمت نفسي شروط انفرادها

لجادت بها جوداً على من يجيدها

ولو لم يكن في نفسها غير نفسها

أعلم وفقنا الله وأياكم ان الخلوة أصلها في الشرع من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه فهذا حديث ألهي صحيح يتضمن الخلوة والجلوة وأصل الخلوة من الخلاء الذي وجد فيه العالم

فهي طريق حكمها حكم البلا

فمن خلا ولم يجد فما خلا

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الله ولا شيء معه وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أين كان ربنا قبل ان يخلق خلقه قال كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء ثم خلق الخلق وقضى القضية وفرغ من أشياء وهو كل يوم في شان وسيفرغ من أشياء ثم يعمر المنازل بأهلها إلى الأبد الخلوة أعلى المقامات وهو المنزل الذي يعمره الانسان ويملؤه بذاته فلا يسعه معه فيه غير فتلك الخلوة ونسبتها إليه ونسبته إليها نسبة الحق إلى قلب العبد الذي وسعه ولا يدخله وفيه غير بوجه من الوجوه الكونية فيكون خالياً من الأكوان كلها فيظهر فيه بذاته ونسبة القلب إلى الحق ان يكون على صورته فلا يسع فيه سواه وأصل الخلوة في العالم الخلاء الذي ملأه العالم فأول شيء ملأه الهباء وهو جوهر مظلم ملأ الخلاء بذاته ثم تجلي له الحق باسمه النور فانصبغ به ذلك الجوهر وزال عنه حكم الظلمة وهو العدم فأتصف بالوجود فظهر لنفسه بذلك النور المنصبغ به وكان ظهوره به على صورة الانسان وبهذا يسميه أهل الله الانسان الكبير وتسمى مختصره الانسان الصغير لانه موجود أودع الله فيه حقائق العالم الكبير كلها فخرج على صورة العالم مع صغر جرمه والعالم على صورة الحق فالانسان على صورة الحق وهو قوله ان الله خلق آدم على صورته ولما كان الأمر على ما قرره لذلك قال تعالى "لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون" لكن يعلم القليل من الناس فالانسان عالم صغير والعالم انسان كبير ثم انفتحت في العالم صور الأشكال من الأفلاك والعناصر والمولدات فكان الانسان آخر مولد في العالم أوجده الله جامعاً لحقائق العالم كله وجعل خليفة فيه فيعطاه قوة كل صورة موجودة في العالم فذلك الجوهر الهبائي المنصبغ بالنور هو البسيط وظهور صور العالم فيه هو الوسيط والانسان الكامل هو الوجيز قال تعالى "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم" ليعلموا ان الانسان عالم وجيز من العالم يحوي على الآيات التي في العالم فأول ما يكشف لصاحب الخلوة آيات العالم قبل آيات نفسه لان العالم قبله كما قال تعالى "سنريهم آياتنا في الآفاق" ثم بعد هذا يريه الآيات التي أبصرها في العالم في نفسه فلو رآها أو لا في نفسه ثم رآها في العالم ربما تخيل ان نفسه رأى في العالم فرفع الله عنه هذا الإشكال بان قدم له رؤية الآيات في العالم

كالذي وقع في الوجود فانه أقدم من الانسان وكيف لا يكون أقدم وهو أبوه فأبانت له رؤية تلك الآيات التي في الآفاق وفي نفسه انه الحق لا غيره وتبين له ذلك فالآيات هي الدلالات له على انه الحق الظاهر في مظاهر أعيان العالم فلا يطلب على أمر آخر صاحب هذه الخلوة فانه ما ثم جملة واحدة ولهذا تم تعالي في التعريف فقال "أو لم يكف بربك" انه على كل شئ من أعيان العالم شهيد على التجلي فيه والظهور وليس في قوة العالم ان يدفع عن نفسه هذا الظاهر فيه ولا ان لا يكون مظهرًا وهو المعبر عنه بالإمكان فلو لم يكن حقيقة العالم الإمكان لما قبل النور وهو ظهور الحق فيه الذي تبين له في الآيات ثم تم وقال "انه بكل شئ" من العالم محيط والإحاطة بالشئ تستر ذلك الشئ فيكون الظاهر المحيط لا ذلك الشئ فان الإحاطة به تمنع من ظهوره فصار ذلك الشئ وهو العالم في المحيط كالروح في للجسم والمحيط كالجسم للروح الواحد شهادة وهو المحيط الظاهر والآخر غيب وهو المستور بهذه الإحاطة وهو عين العالم ولما كان الحكم للمصوف بالغيب في الظاهر الذي هو الشهادة وكانت أعيان شيثيان العالم على استعدادات في انفسها حكمت على الظاهر فيها بما تعطيه حقائقها فظهرت صورها في المحيط وهو الحق فقيل عرش وكرسي وأفلاك وأماك وعناصر ومولدات وأحوال تعرض وما ثم إلا الله الفالحق من كونه محيطا كبيت الخلوة لصاحب الخلوة فيطلب صاحب الخلوة فلا يوجد فان البيت يحجبه فلا يعرف منه إلا مكانه ومكانه يدل على مكانته فقد أعطيته مرتبة الخلوة التي نريد في هذا الكتاب لا الخلوة المعهودة عند أصحاب الخلوات ودرجاتها ألف وسبع وستون درجة فظهر في الدرجات صورة التورية وإذا لم يعمر الخلاء إلا العالم فهو في خلوة بنفسه هذا أصله ثم انه لما انصبغ بالنور كان في خلوة برية وبقي في تلك الخلوة إلى الأبد لا يتقيد بالزمان لا بأربعين يوماً ولا بغير ذلك فالعارف إذا عرف ما ذكرناه عرف انه في

خلوة بربه لا بنفسه ومع ربه لا مع نفسه فيرى من حيث أثره في المحيط به بالصور التي ظهر بها المحيط نفسه بنفسه ومن حيث تعدد أعيانه رأى منه به وكانت كل عين مغايرة لصاحبيتها ولذلك اختلفت صور العالم وان كان واحداً كما اختلفت صورة الانسان في نفسه وان كان الانسان واحداً فيده ما هي رجله ورأسه ما هو صدره وعينه ما هو أذنه ولا لسانه ولا فرجه وعقله ما هو فكره ولا خياله فهو متنوع متعدد العين بالصورة المحسوسة والمعنوية ومع هذا يقال فيه انه واحد ويصدق ويقال فيه كثير ويصدق فمن حيث أحديته نقول رأى نفسه بنفسه ومن حيث كثرته نقول رأى بعضه ببعضه فتكلم بلسانه وبطش بيده وسعى برجله واستنشق بانفه وسمع بأذنه ونظر بعينه وتخيل بخياله وعقل بعقله فهذا بكثير وما ثم إلا هو فمن حصل له هذا العلم كما قررناه كان صاحب خلوة ومن حرمه فليس بصاحب خلوة فقد تبين لك ان الحق بالعالم والعالم بالحق فهويته عين المجموعة كما ان المجموعة هو الانسان بغيته وشهادته ونطقه وحيوانيته فهو واحد في الكثرة وكثير في الأحدية فالخلوة من المقامات المستصعبة دنيا وآخرة إلى الأبد من حصلت له لا تزول فانه لا أثر بعد عين وأما الخلوة المعروفة المعهودة فليست مقاماً ولا تصح إلا لمحجوب وأما أهل الكشف فلا تصح لهم خلوة أبداً فالهم يشاهدون الأرواح العلوية والأرواح النارية ويرون الكائنات ناطقة أكوان ذاته وأكوان بيت خلوته فهو في الملاء كما هو في نفس الأمر فإذا أخذ الله عن بصره هذه المدركات وفصل بين الحيوان والجماد والملائكة وعالم الصمت من عالم الكلام وعالم السكون من عالم الحركات ويجب ان يخلو بربه حتى لا يشغله عنه نطق كون ولا حركة كون فمن يطلب الخلوة لمزيد علم بالله من الله لا من نظره وفكره وهذا أتم المقاصد فانه مأمور بذلك والعمل على الأمر الإلهي هو غاية كما العمل والله يقول له "قل ربي زدني علماً" فمن تحدث في خلوته في نفسه مع كون من الأكوان فما هو في خلوة قال بعضهم لصاحب خلوة "اذكري عند ربك" في خلوتك فقال له إذا ذكرتك فلست معه في خلوة ومن هنا تعرف قوله تعالى "انا جليس لمن ذكرني" فانه لا يذكره حتى يحضر

المذكور في نفسه ان كان المذكور ذا صورة في اعتقاده أحضره في خياله وان كان من غير عالم الصور أو لا صورة له أحضرته القوة
الذاكرة فان القوة الذاكرة من الانسان تضبط المعاني والقوة المتخيلة تضبط المثل التي أعطتها الحواس أو ما تركبه القوة المصورة من
الأشكال الغريبة التي استفادت جزئياتها من الحس لا بد من ذلك ليس لها تصرف إلا به فمن شرط الخلوة في هذا الطريق الذكر
النفسي لا الذكر اللفظي فأول خلوته الذكر الخيالي وهو تصور لفظة الذكر من كونه مركباً من حروف رقمية ولفظية بمسكها
الخيال سمعاً أو رؤية فيذكر بها من غير ان يرتقي إلى الذكر المعنوي الذي لا صورة له وهو ذكر القلب ومن الذكر القلبي ينقذ له
المطلوب والزيادة من العلوم وبذلك العلم الذي انقذ له يعرف ما المراد بصور المثل إذا اقيمت له وانشأها الحس في خياله في نوم
ويقظة وغيبية وفناء فيعلم ما رأى وهو علم التعبير للرؤيا ومنهم من يأخذ الخلوة لصفاء الفكر ليكون صحيح النظر فيما يطلبه من
العلم وهذا لا يكون إلا للذين يأخذون العلم من أفكارهم فهم يتخذون الخلوات لتصحيح ما يطلبونه إذا ظهر لهم بالموازن المنطقية
وهو ميزان لطيف أدنى هواء يحركه فيخرجه عن الاستقامة فيتخذون الخلوات ويسدون المجاري إلا هواء لثلا تؤثر في الميزان حركة
تفسد عليهم صحة المطلوب ومثل هذه الخلوة لا يدخلها أهل الله وانما لهم الخلوة بالذكر ليس للفكر عليهم سلطان ولا له فيهم أثر
وأي صاحب خلوة استنكحه الفكر في خلوته فليخرج ويعلم انه لا يراد لها وانه ليس من أهل العلم الإلهي الصحيح إذ لو أراد الله
لعلم الفيض الإلهي لحال بينه وبين الفكر ومنهم من يأخذ الخلوة لما غلب عليه من وحشة الانس بالخلق فيجد انقباضاً في نفسه برؤية
الخلق حتى أهل بيته حتى انه ليجد وحشة الحركة فيطلب السكون فيؤديه ذلك إلى اتخاذ الخلوة ومنهم من يتخذ الخلوة لاستحلاء ما
يجد فيها من الألتذاذ وهذه كلها أمور معلومة لا تعطي مقاماً ولا رتبة وصاحب الخلوة لا ينتظر وارداً ولا صورة ولا شهوداً وانما
يطلب علماً بربه فوقاً يعطيه ذلك في غير مادة ووقتاً يعطيه ذلك في مادة ويعطيه العلم
بمدلول تلك المادة الخلوة لها الدعوى وصاحبها مسؤول لها الحجاب الأقرب هي نسبة ما هي مقام أعني الخلوة المعهودة عند القوم لا
الخلوة التي هي مقام التي ذكرناها في أول الباب وهذه وان لم تكن مقاماً فانها تحصل لصاحبها بالذكر مقامات لها إحاطة بالملك
والملكوت والجبروت عند العارفين والملازمة من الأدباء أرباب المواقف وأما أهل الوصال والانس من العارفين والملازمة فلا يرون لها
في الملكوت دخولا وانما مخصوصة بعالم الجبروت والملك لا غير إلا انها لها قرب من الملكوت ما بينها وبينه إلا درجتان فالأدباء
الواقفون من الملازمة يرون لها ستمائة درجة واحدى وأربعون درجة والعارفون من أهل الانس يرون لها ألف درجة وسبعاً وستين
درجة والأدباء من العارفين الواقفين يرون لها ستمائة درجة وسبعاً وستين درجة والملازمة من أهل الانس والوصال يرون لها ألف
درجة وستة وثلاثين درجة

الباب التاسع والسبعون في ترك الخلوة وهو المعبر عنه بالجلوة

لدى كل عين فالخلاء محال

ولله فيه فيصل ومقام

إذا لم يرى الانسان غير إلهه

فان كنت هذا كنت صاحب خلوة

اعلم أيدنا الله وإياكم ان الكشف يمنع من الخلوة وان كان فيها فان الحجاب لها فإذا كوشف علم انه لم يكن في خلوة فأتخاذ الخلوة
المعهودة دليل على جهل متخذها فانه عند الكشف يعرف جهله فكل من جهل انه جهل فهو صاحب جهلين ومن عرف انه جهل

فهو ذو جهل واحد والذين علموا ان الظاهر من كونه ظاهراً في أعيان العالم وما ثم سواه فهو في خلوة في نفسه إذا لم ينظر إلى من ظهر فيه فأورثه الملا والخلوة فلا تصح له الخلوة من هذا الوجه فمن الناس من يرجح صاحب الخلوة ومن الناس من يرجح نقيضه وهو صاحب الجلوة فالاسم الأول والباطن يطلبان الخلوة والاسم الآخر والظاهر يطلبان تركها وهي الجلوة وانت لأي اسم غلب عليك ولا مفاضلة في الاسماء من وجه ومآل الخلق إلى المقلوب من المآل وهو المآل فالخلوة دينوية والجلوة أخروية ولا آخرة خير

الباب الموفي ثمانين في العزلة

ولا تعرج على أهل ولا ولد

وغب عن الشرك والتوحيد بالأحد

بغير فكر ولا نفس ولا جسد

سما باسمائه الحسنى بلا عدد

بالنور حبساً جلياً لا إلى أمد

إذا اعتزلت فلا تركز إلى أحد

ولا توالي إذا واليت منزلة

وانزع إلى طلب العلياء منفردا

وسابق الهمة العلياء تحظ بمن

وأعلم بانك محبوس ومكتنف

لا يعتزل ألا من عرف نفسه ومن عرف نفسه عرف ربه فليس له مشهود ألا الله من حيث أسماؤه الحسنى وتخلقه بها ظاهراً وباطناً وأسماءه الحسنى سبحانه على قسمين أسماء يقبلها العقل ويستقل بأدراكها وينسبها ويسمى بها الله تعالى وأسماء أيضاً ألهية لولا ورود الشرع بها ما قبلها فيقبلها إيماناً ولا يعقلها من حيث ذاته ألا ان أعلمه الحق بحقيقة نسبة تلك الاسماء إليه كما علمها انبياءه وأوليائه فصاحب العزلة هو الذي يعتزل بما هو له ربه من غير تخلق بما ينفرد به في زعم العقل من الاسماء الألهية المشروعة التي لولا الشرع ما سمى العقل الله بها فهي للحق وقد جبل الانسان عليها وخلقه مجلا لها فهو المسمى بها ولا يتمكن له الاعتزال عن مثل هذه الاسماء الألهية وبقي القسم الآخر من الاسماء الألهية يعتزل عنها لما يطرأ عليه منها من الضرر كما قال ذق انك انت العزيز الكريم وقوله "كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار" فيعتزل عن مثل هذه الاسماء الألهية لما فيها من الذم لمن تسمى بها وظهر بحكمها في العالم فالانسان حقيقته ان يكون عائلاً والعائل لا يكون متكبراً فانه ظهر بما ليس هو له بنعت ولذلك لا ينظر الله إليه وهو واحد من الثلاثة الشيخ الزاني والملك الكذاب والعائل المستكبر ذكره مسلم في صحيحه فمن رأى التخلق بالاسماء الحسنى ومزاحمة الحق فيها لكونه خلق على الصورة فلا بد ان يظهر بها ويتلبس على الحد المشروع الحمود فهذه مزاحمة عبودية ربوبية وذلك لما رأى ان له أسماء هي له حقيقة ينفرد بها ورأى ان الحق زاحمه فيها كالضحك والفرح والتعجب والمحبة والمتردد والكاره والناسى والاستحباب وما أشبه ذلك مما ورد ذكره في الكتاب والسنة إلى ما يداخل النشأة من يدو يدين وأيدو وجل وعين وأعين إلى ما يداخل النشأة من الأحوال من استواء ومعية ونزول وطلب وشوق وأمثال ذلك ورأى هذا المعتزل قبل اعتزاله ان الحق قد زاحمه في هذه النعوت التي ينبغي ان تكون للعبد كما هي في نفس الأمر عنده قال الأليق بي ان أعتزل باسمائي عن أسمائه ولا أزاحمه فيها تكون عارية عندي إذ كانت العارية أمانة مؤداة وحامل الأمانة موصوف بالتعريف الألهي بالظلم والجهل فأعتزل صاحب هذا النظر التخلق بالاسماء الحسنى وانفرد بفقره وذله وضغاره وعجزه وقصوره وجهاه في بيته كلما قرع عليها الباب أسم الألهي قيل له ما هنا من

يكلمك فإذا انقدح له بهذا الاعتزال ان الله له نفي الأولية وانه أزلي الوجود ونظر في كلامه سبحانه وفيما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يوصله ألينا من صفاته وأسمائه لنعرفه بذلك ويخلع علينا بهذا التعريف خلع العلم تشريفاً لنا فاعلمنا ان هذه الصفات التي زعمنا انا نستحقها وانها لنا حقيقة ان الأمر على خلاف ذلك أذ قد أتصف هو بها وتسمى بها ونحن ما كنا فلا فرق بين هذه الاسماء والتي أعتزلنا عنها فأما ان نعتزل عن الجميع وأما ان نتسمى بالجميع فقلنا له أعتزل عن الجميع وأترك الحق ان شاء سماك بالاسماء كلها فأقبلها ولا تعترض وان شاء سماك ببعضها وان شاء لم يسمك ولا بواحد منها لله الأمر من قبل ومن بعد فرجع العبد إلى خصوصيته وهي العبادة التي لم تراحم الربوبية فتحلى بها وقعد في بيت شئنة ثبوته لا بشئنة وجوده ينظر تصريف الحق فيه وهو معتزل عن التدبير في ذلك فان تسمى من هذه حالته بأي أسم كان فالله مسميه ما هو تسمى وليس له رد ما سماه به فتلك الاسماء هي خلع الحق على عباده وهي خلع تشريف فمن الأدب قبولها لانها جاءت من غير سؤال ولا استشراف وقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأخذ مثل هذا العطاء وترك ما استشرفت النفس إلى أخذه وتمنى ذلك بالاستطلاع إليه ووقف عند ذلك على انه كان غاضباً لله فيما كان يزعم انه له فإذا هو لله وهو قوله تعالى "وإليه يرجع الأمر كله" فأخذ منه جميع ما كان يزعم انه له ألا العبادة فانه لا يأخذها أذ كانت ليست بصفة له فقال له تعالى لما قال "وإليه يرجع الأمر كله" فأعبده وهو أصله الذي خلق له وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدوني فالعبادة أسم حقيقي للعبد فهي ذاته وموطنه وحاله وعينه ونفسه وحقيقته ووجهه فمن أعتزل هذه العزلة فهي عزلة العلماء بالله لا هجران الخلائق ولا غلق الأبواب وملازمة البيوت وهي العزلة التي عند الناس ان يلزم الانسان بيته ولا يعاشر ولا يخالط ويطلب السلامة

ما أستطاع بعزلته ليسلم من الناس ويسلم الناس منه فهذا طلب عامة أهل الطريق بالعزلة ثم ان ارتقى إلى طور أعلى من هذا فيجعل عزلته رياضة وتقدمة بين يدي خلوته لتألف النفس قطع المألوفات من الانس بالخلق فانه يرى الانس بالخلق من العلائق والعوائق الحائلة بينه وبين مطلوبه من الانس بالله والانفراد به فإذا انتقل من العزلة بعد أحكامه شرائطها سهل عليه أمر الخلوة هذا سبب العزلة عند أهل الله فهذه العزلة نسبة لا مقام والعزلة الأولى التي ذكرناها مقام مطلوب ولهذا جعلناها في المقامات من هذا الكتاب وإذا كانت مقاماً فهي من المقامات المستصحبة في الدنيا والآخرة للعارفين من أهل انس والوصال في العزلة من الدرجات خمسمائة درجة وثمان وثلاثون درجة وللعارفين الأدباء الواقفين مائة وثلاث وأربعون درجة وللملامية فيها من أهل الانس خمسمائة درجة وسبع درجات وللملامية من أهل الأدب الواقفين معهم مائة وأثنى عشرة درجة والعزلة المعهودة في عموم أهل الله من المقامات المقيدة بشرط لا تكون ألا به وهي نسبة في التحقيق لا مقام ألا انها تحصل عنها فوائد أقلها العصمة لها الدعوى صاحبها مسؤول وعلتها سوء الظن بنفسك أو بمن أعتزلت عنهم وهذا كله في عزلة العموم وهي من عالم الجبروت والملكوت ما لها قدم في عالم الشهادة فلا تتعلق معارفها بشيء من عالم الملك

الباب الحادي والثمانون في ترك العزلة

جهل وأين الله والأرواح

ومع الجلال جليسه المصباح

لا تفرحن بالأعتزال فانه

نور الأله أجل منك نفاسة

لم يعتزل عن نور كون حادث

والى التعلق ذاته ترتاح

لو ان نور الحق معتزل لما

ظهر الوجود دودامت الأفراح

بالنور من فلك البهاء إذا بدا

للناظرين أضاءت الأشباح

أعلم أيدنا اه وإياك ان مثير العزلة انما هو خوف القواطع عن الوصلة بالجناب الإلهي أو رجاء الوصلة بالعزلة به لما كان في حجاب نفسه وظلمة كونه وحقيقة ذاته يبعثها على طلب الوصلة ما هي عليه بالصورة الإلهية كما يطلب الرحم الوصلة بالرحمن لما كانت شحنة منه ثم ان العبد رأى ارتباط الكون بالله ارتباطاً لا يمكن الانفكاك عنه لانه وصف ذاتي وتجلي له في هذا الارتباط وعرف من هذا التجلي وجوبه به وانه ما تثبت لمطلوبه هذه الرتبة إلا به وانه سرها الذي لو بطل لبطلت الربوبية ورأه في كل شئ مثل ما هو عنده ونسبة كل شئ إليه كنسبته هو إليه فلم يتمكن له الاعتزال فتأدب مع قوله تعالى "مثل نوره كمشكات فيها مصباح" أي صفة نوره صفة مصباح ولم يقل صفة الشمس فان الإمداد في نور الشمس يخفى بخلاف المصباح فان الزيت والدهن يمدد لبقاء الإضاءة فهو باق بامداد دهني من شجرة نسبة الجهات إليها نسبة واحدة متزهة عن الاختصاص بحكم خهة وهو قوله "لا شرقية ولا غربية" وهذا الامداد من نور السبحات الظاهرة من وراء سبحات العزة والكبرياء والجلال فما ينفذ من نور سبحات هذه الحجب هو نور السموات والأرض ومثله كمثله المصباح والنور الذي في الدهن معلوم غير مشهود وضوء المصباح من أثره يدل عليه وعلى الحقيقة ما هو نور وانما هو سبب لبقاء النور واستمراره فالنور العلمي منفر ظلمة الجهل من النفس فإذا أضاءت ذات النفس أبصرت ارتباطها بربها في كونها وفي كون كل كون فلم ترعمن تعتزل وجعل هذا النور في مشكاة وزجاجة مخافة الهواء ان يجيره ويشد عليه ويفطفيه فكان مشكاته وزجاجته نشأته الظاهرة والباطنة فانهما من حيث هما عاصمان فانهما من الذين يسبحون بحمد الله الليل والنهار لا يفترون وهما اللذان يشهدان على النفس المدبرة إذا انكرت بين يدي الله فهما أهل العدالة قال تعالى "شهد عليهم سمعهم وأبصارهم" وهما من النشأة الباطنية وجلودهم وهي من النشأة الظاهرة فما من شخص يروم مخالفة حق إلا ونشأته تقولان له لا تفعل أيها الملك ولا تحوجنا ان نكون سببا في اهلاكك فان الله ان استشهدنا شهدنا ألا ترى الرسول صلى الله عليه وسلم لما بلغ وانذر ووعدو أوعد قال لقومه انكم لتسئلونني فما انتم قائلون قالوا نشهد انك بلغت ونصحت وأديت فقال اللهم أشهد وقد سأل هود قومه مع شركهم فقال أشهد اني برئ مما تشركون فاستشهدهم لعلمه انهم لا بد ان يسألهم ونحن رعيته ولا حركة لنا إلا بك فلا تحركنا إلا في أمر يكون لك لا عليك والمحجوب غافل عن هذا غير سامع لصمم كان به من شدة الهواء الذي أصمه فالله يجعلنا ممن سمع نطق جوارحه بالموعظة قبل سماعه إياها بالشهادة انه ولى جواد كريم ذو الفضل العظيم

الباب الثاني والثمانون في الفرار

جزاء من فر ان ينبا

فرار موسى لما تأبأ

من فر منه به إليه

صير محبوباً محبا

وكان وتراً فصار شفعا

وكان عيناً فصار قلبا

أظهرني في الوجود تاجاً

فعدت في ساعديه قلبا

أعطاني كن ثم قال عبي

فقال كن بي تكون ربا

الضمير في ساعديه يعود على الوجود قال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام انه قال لفرعون وآله ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين ثم قال "وتلك نعمة تمنها علي" ان عبدت بني اسرائيل فقله وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل فقله وتلك نعمة قوله "ألم نربك فينا" فتلك النعمة تربية فرعون والمن يبطل الانعام لانه استعجال جزاء فلو لم يقل لنفعه ذلك عند الله إذ كان من شان فرعون اذلال بني اسرائيل وموسى منهم وكان قد أعزه وتبناه فهذا معنى قوله ان عبدت بني اسرائيل والفرار انتج لموسى الرسالة والحكم فكان خليفة رسولا لان الرسول لا يكون حاكما حتى يكون خليفة ثم قال لنا ربنا لما قضاه من ان جعلنا ورثة النبيين والمرسلين في نبوتهم ورسالتهم ما أعطانا الله من حفظ دينه والفتيا فيه والاجتهاد في استنباط الحكم فقال ففروا إلى الله فجاء بالاسم الجامع والمراد منه اسم خاص يقتضي لنا ما أقتضى لموسى عليه السلام في فراره وهو الاسم الوهاب الذي يعطي لينعم خاصة وذلك الوهب يجعله رسولا ضرورة لان الحكم في غير محكوم عليه لا يصح وقال فيمن تربص في أهله ولم يفر إليه ما ذكره في كتابه وهو قوله تعالى "قل ان كان آباؤكم وابناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا" والتربص نقيض الفرار ففروا إلى الله اني لكم منه نذير مبين وقد ذكرنا هذا الفرار الموسوي في كتاب الأسفار عن نتائج الأسفار وسميت هذا الفرار الموسوي سفر الطلب فلنحقق هنا معنى الفرار وكيف هو مقام وما ينتج فانه يظهر انه نسبة لا مقام كالعزلة والخلوة فان كونه من المقامات مجهول عند أكثر أهل الله فاعلم ان الفرار بين طرفي ابتداء وانتهاء فابتدأه من وانتهأه إلى فقد يكون السبب الموجب للفرار من كفرار موسى عليه السلام ولا يتعين إلى فان الفار من من انما يطلب النجاة من غير تعيين غاية والفار إذا كان هو السبب الموجب للفرار لا بد ان يكون معيناً ولا يتعين من وهو عكس الأول ولما كان الأمر بهذه المثابة أمرنا الله ان نفر إليه ولا بد وقد نفر إليه منه مثل قوله وأعوذ بك منك وقد نفر إليه من كونه من الأكوان أو من صفة ما من الصفات الإلهية كانت أو غير إلهية أو صفة فعل أو غير صفة فعل فعلمنا الله كيف نفر في قوله إلى الله وهذه عناية من الله بنا أعني بهذه الأمة المحمدية يستروح منها ما لا يخفي على أحد فان الانبياء عليهم السلام يصدقون في كل مل يخبر به من أحوالهم متهون ان يلبسوا ثوبي زور فقال موسى عليه السلام "ففررت منكم لما خفتكم" فانتج له ذلك الفرار الحكم الذي هو الامامة والخلافة والرسالة مع كون السبب الموجب الذي ذكره وما ذكر إلى أين فر فإذا فر الفار إلى الله وعين من فر إليه وأبهم ما فر منه فما ترون تكون جائزته فان جائزة موسى جائزة منقطعة فان الخلافة هنا تترك والرسالة كذلك ينقطع الأمر ان بالموت والانقلاب إلى الدار الآخرة فهذا أعطى حكم ما فر منه لما كان منقطعا فانه انقطع بغرقه أو بموته لو مات ولا بد له من الموت فكانت النتيجة والهبة مناسبة بما أعطيه من انقطاعهما بالموت فان الامامة والرسالة ينقطعان بالموت والفرار إلى الله يعطي ما يبقى ببقاء الله ولا أعين فان التعيين في ذلك إلى الله وسواء كان الفرار من الله أو لم يكن فان المراعاة هنا لمن فر إليه وفي حق موسى لمن فر منه وإذا كانت هذه الأمة مع الانبياء بهذا الحكم وبهذه المتزلة فما ظنك بمزلة أمم الانبياء منا والله ما يعرفون على أي طريق سلكت هذه الأمة في فرارها فان الله مجهول الأينية والفرار كان إليه فلا

يدري أحد يفر إليه إذا تلقاه وأخذ بيده إلى أين يسير به فان الله أسرع إلى من فر إليه في تلقيه من الفار إليه فانه يقول وهو الصادق تعالى ومن أتاني يسعى أتيته هرولة فوصف نفسه بالأقبال على عبده إذا أتاه بأضعاف مما يأتيه به من الحال وأتيان الفار أشد من الهرولة فيكون أتيان الحق إليه أشد من ذلك فتحقق هذا في العلم الإلهي تر العجب فيما أعطى الله هذه الأمة بعناية محمد صلى الله عليه وسلم فاعلم ان مقامك من الفرار لا يتعين فتكلم عليه فان حكمه في الفار بحسب ما فر منه وهي أمور كثيرة لا تنضبط جزئياتها وان انحصرت

أمهاتها أو ما فر إليه وهي أسماء كثيرة إلهية أو أحكام بحسب ما يراه الفار إليه ولكن الذي أمر الله به ان نفر إلى الله والفرار إلى الله لا يصح من حيث المجموع فانا منه نفر اليه فان فيه ما نفر منه ومن والي لا يجتمعان فان أحكامهما مختلفة فان قلت فقوله وأعوذ بك منك قلنا فيه وجهان الواحد ان قوله وأعوذ بك ما هو حكم الباء هنا حكم إلى فانه يستعيز بالله في حال فراره وما بلغ إلى حكم إلى ونحن انما نتكلم في لفظة إلى من حيث ما تدل عليه وهذا التعويد النبوي انما وقع بالباء فلا وجه لقولك هذا بالاستعاذة والوجه الآخر انه وان جعلتها مطلوب إلى عين المستعاذ به في نهاية الفرار فمعلوم انه لو كان عين من تفر منه عين من يفر إليه من غير اختلاف نسبة لم يصح فرار فلا بد من اختلاف النسبة فالنسبة التي جعلتك تفر منه عين النسبة التي فررت إليه من أجلها والعين واحدة مثل قوله "يوم نحشر المتقين إلى الرحمن" فالعين التي تحشر منها هي العين التي تحشر إليها وبعينها ما وصفت به فانظر أي إسم يكون مشهود المتقى فما تجده الرحمن وان كان معه في حال اتقائه ولكن تحشر إليه لينفرد بك دون ان تكون لإسم آخر تصرف فيك وقوله "إني لكم منه نذير مبين" تعلم ما هو الاسم الذي من أجله كان الانذار المبين من المتر لك وقوله منه يعود على الله هو الذي وجهه إليك ليأمرك بالفرار إلى الله وانما جاء بالاسم الجامع إذ كان في عرف طبع السنتاد إلى الكثرة يقول النبي صلى الله عليه وسلم يد الله مع الجماعة فالنفس يحصل لها الأمان باستنادها إلى الكثرة والله مجموع أسماء الخير إذا حققت معرفة الاسماء الإلهية وجدت أسماء الأخذ قليلة وأسماء الرحمة كثيرة في الاسم الله فلذلك أمرك بالفرار إلى الله فاعلم ذلك وما من أسم إلهي ألا ويريد ان يربطك به وتقيدك وتكون له لظهور سلطانه فيك وانت قد علمت ان سعادتك في المزيد والمزيد لا يكون لك ألا بالانتقال إلى حكم أسم آخر لتستفيد علماً لم يكن عندك والذي انت عنده لا يتركك فتعين الفرار ويكون الانذار ان لا يحكم عليك الاسم الذي انت عنده بالبقاء معه ففررت إلى موطن الزيادة فالفرار حكم يستصحب العبد في الدنيا والآخرة ودرجات العارفين من أهل الانس والوصال منه خمسمائة وأثنى عشرة درجة ودرجات العارفين من أهل الأدب والوقوف مثلهم ودرجات الملامية من أهل الانس والوصال أربعمائة وأحدى وثمانون درجة ودرجات الملامية من أهل الأدب والوقوف مثلهم أو ما فر إليه وهي أسماء كثيرة إلهية أو أحكام بحسب ما يراه الفار إليه ولكن الذي أمر الله به ان نفر إلى الله والفرار إلى الله لا يصح من حيث المجموع فانا منه نفر اليه فان فيه ما نفر منه ومن والي لا يجتمعان فان أحكامهما مختلفة فان قلت فقوله وأعوذ بك منك قلنا فيه وجهان الواحد ان قوله وأعوذ بك ما هو حكم الباء هنا حكم إلى فانه يستعيز بالله في حال فراره وما بلغ إلى حكم إلى ونحن انما نتكلم في لفظة إلى من حيث ما تدل عليه وهذا التعويد النبوي انما وقع بالباء فلا وجه لقولك هذا بالاستعاذة والوجه الآخر انه وان جعلتها مطلوب إلى عين المستعاذ به في نهاية الفرار فمعلوم انه لو كان عين من تفر منه عين من يفر إليه من غير اختلاف نسبة لم يصح فرار فلا بد من اختلاف النسبة فالنسبة التي جعلتك تفر منه عين النسبة التي فررت إليه من أجلها والعين واحدة مثل قوله "يوم نحشر المتقين إلى الرحمن" فالعين التي تحشر منها هي العين التي تحشر إليها وبعينها ما وصفت به فانظر أي إسم يكون مشهود المتقى فما تجده الرحمن وان كان

معه في حال اتقائه ولكن تحشر إليه لينفرد بك دون ان تكون لإسم آخر تصرف فيك وقوله "اني لكم منه نذير مبين" تعلم ما هو الاسم الذي من أجله كان الانذار المبين من المتر لك وقوله منه يعود على الله الذي وجهه إليك ليأمرك بالفرار إلى الله وانما جاء بالاسم الجامع إذ كان في عرف طبع الستناد إلى الكثرة يقول النبي صلى الله عليه وسلم يد الله مع الجماعة فالنفس يحصل لها الأمان باستنادها إلى الكثرة والله مجموع أسماء الخير إذا حققت معرفة الاسماء الإلهية وجدت أسماء الأخذ قليلة وأسماء الرحمة كثيرة في الاسم الله فلذلك أمرك بالفرار إلى الله فاعلم ذلك وما من أسم إلهي ألا ويريد ان يربطك به وتقيده وتكون له لظهور سلطانه فيك وانت قد علمت ان سعادتك في المزيد والمزيد لا يكون لك ألا بالانتقال إلى حكم أسم آخر لتستفيد علماً لم يكن عندك والذي انت عنده لا يتركك فتعين الفرار ويكون الانذار ان لا يحكم عليك الاسم الذي انت عنده بالبقاء معه ففررت إلى موطن الزيادة بالفرار حكم يستصحب العبد في الدنيا والآخرة ودرجات العارفين من أهل الانس والوصال منه خمسمائة وأثنى عشرة درجة ودرجات العارفين من أهل الأدب والوقوف مثلهم

الباب الثالث والثمانون في ترك الفرار

وهل يجوز عليه هل هو أو ما هو

أو قلت ما هو فما هو ليس ألا هو

فكل شيء تراه ذلك الله

أين الفرار وما في الكون ألا هو

ان قلت هل فشهود العين ينكره

فلا تفر ولا تترك إلى طلب

أعلم أيديك الله ان قوله تعالى فتربصوا عقيب ما تعدد من الأعيان أذن وأمر بالتربص ان كان الله مشهود الكم في كل ما ذكرناه فان ذلك الشهود هو المطلوب بهذا الفرار لان الله أمرنا بالفرار إلى الله وقوله أحب إليكم من الله أي من أجل الله أي شهودكم الله في هذه الأعيان أحب إليكم من شهودكم إياه في أعيان غيرها للمناسبة القرية التي بينكم وبين هذه الأشياء المذكورة وان كان الكامل منا يشهده في كل عين ولكن بعض الأعيان قد يكون لبعض الأشخاص أحب من أعيان آخر وقوله ورسوله مثل قوله من الله أي ومن أجل رسوله حيث أمركم ببر هؤلاء وجعل لهم حقوقاً عليكم فحقوق الآباء والابناء والإخوان والأزواج والعشائر معلومة منصوص عليها لا تخفى على من وقف على العلم المشروع وكذلك حقوق الأموال نعم المال الصالح للرجل الصالح وحقوق التجارة معلومة فان صدق التجارة لا يكون لغيرها والتاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع النبيين والشهداء كذا قال صلى الله عليه وسلم وقوله "تحشون كسادها" يقول تخافون ان تتركوها لأجل الكساد طلباً للأرباح وأي ربح أعظم من ربح صدق التاجر وقوله وجهاد في سبيله أي ومن أجل أيضاً شهودكم إياه تعالى في الجهاد في سبيله لانه أمركم بهذا وعلمتم انه مشهودكم في كل ما ذكرناه ولما ذكرناه منزلة شريفة عندكم فتربصوا أي لا تفروا فانه ما أمرنا بالفرار إلا لكوننا ليست لنا هذه المشاهدة وقوله حتى يأتي الله بأمره وهو قيام الساعة أو الموت الذي يخرجكم عن مشاهدة هؤلاء وقوله "والله لا يهدي القوم الفاسقين" يقول الخارجين عن حكم هذه المشاهدة التي انتم فيها والتي دعيت إليها فما هي في حق أصحاب هذه النظرية آية وعيد وانما هي آية وعدو بشري وتقرير حال وسكون أي تربصوا إذا كان هذا مشهودكم فقد حصل المطلوب فان انتقلتم بعد هذا فهو انتقال من خير إلى خير ومن خير أدنى إلى خير أعلى فتفهم وتدبر ما ذكرنا تسعد ان شاء الله تعالى

الباب الرابع والثمانون في تقوى الله

لكل ما في الكون من حكمته

ويتقي النعمة في نعمته

وباطن فيه فمن نعمته

منه على المختار من أمته

من كل ما يقضى فمن همته

ما يتقي الله سوى جامع

فيتقي النعمة في نعمته

فكل ما في الكون من ظاهر

وهي التي أسبغها منة

فكل ما يجريه سبحانه

اعلموا يا أخواننا انار الله أبصاركم وأصلح سرائركم وخلص من الشبه أدلتكم انه لما أمتن الله علينا بالاسم الرحمن فأخرجنا من الشر الذي هو العدم إلى الخير الذي هو الوجود ولهذا أمتن الله علينا بنعمة الوجود فقال "أولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً" فما تولانا منه سبحانه ابتداء إلا الرحمة ولهذا قال ان رحمة الله سبقت غضبه فلما نظرنا في قوله تعالى "اتقوا الله" أي اتخذوه وقاية من كل ما تحذرون ورأينا مسمى الله يتضمن كل إسم إلا هي فينبغي ان يتقي منه ويتخذ وقاية فانه ما من إسم من الاسماء الإلهية للكون به تعلق إلا ويمكن ان يتقي منه وبه أما خوفاً من فراقه ان كان من أسماء اللطف أو خوفاً من نزوله ان كان من أسماء القهر فما يتقي إلا حكم أسمائه وما تتقى أسمائه إلا باسمائه الاسم الذي يجمعها هو الله فإذا كان الله مجموع الاسماء المتقابلة وقد علمنا ان المتقابلين إذا كانا على ميزان واحد سقط حكمهما لان المحل لا يقبل حكم تقابلها فيسقطان فإذا رجع ميزان أحدهما كان الحكم للراجح وقد رجع إسم اللطيف بوجدونا لان إسم الرحمن يحفظنا فترجحت الرحمة فنفذ حكمها فهي الأصل بالإيجاد والانتقام حكم عارض والعواض لا ثبات لها فان الوجود يصحبنا فما كنا إلى الرحمة وحكمها فلهذا أمرنا بتقوى الله أي نتخذه وقاية ونتقيه لما فيه من التقابل وهو مثل قوله في الإستعاذة منه به فقال وأعوذ بك منك وهو من المقامات المستصحبة في الدنيا والآخرة فانه إذا اتقيت أحكام الاسماء ولا سيما في الجنة التي حكم الانسان فيها للصورة الإلهية التي فطر عليها فيقول للشئ كن فيكون ذلك الشئ فرما يحجبه هذا المقام عن الذي هو أعلى في حقه فيذهل عن الكتيب الذي هو خير له مما هو فيه فيأتي الاسم المذكور الإلهي فيذكره بشرف رتبة الكتيب وما يحصل له فيه وما يرجع به إلى أهله فيتقي هذا الاسم الذي مسكه في الجنة عن التشوق إلى ما هو أفضل في حقه مما يحصل له في الكتيب فلهذا قلنا باستصحاب مقام التقوى في الدنيا والآخرة فإذا علمت هذا علمت ان مقام التقوى تقوى الله مكتسب للعبد ولهذا أمر به وهكذا كل مأمور به فهو مقام يكتسب ولهذا قالت الطائفة ان المقامات مكاسب والأحوال مواهب والتقوى الإلهية على قسمين في الحكم فينا أي انقسم فيها الأمر قسمين قسم أمر الله ان نتقيه حق تقاته من كوننا مؤمنين وقسماً أمرنا فيه ان نتقيه على قدر الاستطاعة وما عين في هذا التكليف صفة تخص بها طائفة من الطوائف مثل ما عينها في حق تقاته وان كان المؤمنون قد تقدم ذكرهم فاعاد الضمير عليهم ولكن مثل هذا لا يسمى تصريحاً ولا تعييناً فيترل عن درجة التعيين فيحدث لذلك حكم آخر فقال "فاتقوا الله ما استطعتم" ابتداء آية بفاء عطف وضمير جمع لمذكور متقدم قريب أو بعيد فان المضمرات تلحق بعالم الغيب والمعينات تلحق بعالم الشهادة لان المضمر صالح لكل معين لا يختص به واحد دون آخر فهو مطلق والمعين مقيد فانك إذا قلت زيد فما هو غيره من الاسماء لانه موضوع لشخص بعينه وإذا قلت انت أو هو أو

انك فهو ضمير يصلح لكل مخاطب قديم وحديث فلهذا فرقنا بين المضممر والمعين بالاسم أو الصفة برزخية بين الاسماء وبين الضمائر فانك إذا قلت المؤمن أو الكاتب فقد ميزته من غير المؤمن فأشبهه زيداً من وجه ما عينته الصفة وأشبه الضمائر من وجه اطلاقه على كل من هذه صفته غير ان الضمير الخطابي مثلاً يعم كل مخاطب كائناً من كان من مؤمن وغير مؤمن وانسان وغير انسان فتقوى الله حق تقاته هو رؤية المتقى التقوى منه وهو عنها بمعزلما عدى نسبة التكليف به فانه لا ينعزل عنها لما يقتضيه من سوء الأدب مع الله فحال المتقى لله حق تقاته كحال من شكر الله حق الشكر وقد تقدم معنى ذلك وهذه الآية من أصعب آية مرت على الصحابة وتحيلوا ان الله خفف عن عباده بآية الاستطاعة في التقوى وما علموا انهم انتقلوا إلى الأشد وكنا نقول بما قالوه ولكن الله لما فسر مراده بالحقية في أمثال هذا هان علينا الأمر في ذلك وعلمنا ان تقوى الله بالاستطاعة أعظم في التكليف فانه عزيز ان يبذل الانسان في عمله جهد استطاعته لا بد من فضلة يقيها وفي حق تقاته ليس كذلك وعلمنا ان الله أثبت العبد في الاستطاعة فلا ينبغي ان ننفيه عن الموضع الذي أثبت الحق فيه فان ذلك منازعة لله وفي حق تقاته أثبت له

النظر إليه في تقواه وهو أهون عليه فما كان شديدا عندهم كان في نفس الأمر أهون وعند من فهم عن الله وما كان هيناً عليهم كان في نفس الأمر شديدا وعند من فهم عن الله جعلنا الله ممن فهم عنه خطابه فأتاه رحمة من عنده وهو ما أعطاه من الفهم وعلمه من لدنه علما فلم يكله إلى عنديته ولا إلى نفسه بل تولى تعليمه ليرى لما هو عليه من الضعف ولولا ان العبد ادعى الاستطاعة في الأفعال والاستقلال بما ما انزل الله تكليفاً قط ولا شريعة ولهذا جعل حظ المؤمن من هذه الدعوى ان يقول وإياك نستعين وقال في حقنا وحق أمثالنا ممن تبرا من الأفعال الظاهر وجودها منه قولوا لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عن ان يشارك فيها فهي له خالصة فكم بين الحالتين بين التبري والدعوى فالمدعي مطالب بالبرهان على دعواه والمتبري غير مطالب بذلك ولا تقل ان التبري دعوى فان التبري لا يبقى شيئاً وعلى ذلك ينطلق إسم المتبري ونحن نتكلم في الأمر المحقق فان كتابنا هذا بل كلامنا كله مبناه في الكلام على الأمور بما هي عليه في انفسها والتبري صفة إلهية سلبية والعبد حقيقته سلب والدعوى صفة إلهية ثبوتية لا تنبغي إلا الله عز وجل والعبد إذا اتصف بها لم يزاحم الله فيها ويقول لا حول ولا قوة إلا بالله ومهما قال وإياك نستعين فانما يقولها تالياً لا حقيقة فله ما نوى وهو بحيث علم ولولا ما ظهر العبد بالدعوى ما قيل له اتقوا الله ما استطعتم بالقوة التي جعلتها لكم فيكم بين الضعفين فمن تنبه على ان قوته مجعولة وانها لمن جعلها لم يدع فيها بل هي أمانة عنده لا يملكها والانسان لا يكون غنياً إلا بما يملكه والأمانة عارية لا تملك مأمور من هي عنده بردها إلى أهلها وهو قوله لا حول ولا قوة إلا بالله أي القوة قائمة بالله لا بنا فالمدعون في القوة يجعلون ما من قوله ما استطعتم مصدريه وأهل التبري يجعلونها للنفي في الآية فنفي عندهم الاستطاعة في التقوى وأثبتها عند من جعلها مصدريه ولما كان المعنى في التقوى ان تتخذ وقاية مما ينسب إلى المتقى فإذا جاءت النسبة حالت الوقاية بينها وبين المتقى ان تصل إليه فتؤذيه فتلقته الوقاية فلا أحد أصبر على أذى من الله فان السهم والطعن والحجر والضرب بالسيف وما أشبه ذلك عند المشايق انما تتلقاها الوقاية وهي الجن الذي بيده وهو من ورائها ماسك عليها لكنه يحتاج إلى ميزان قوى لأمر عوارض عرضت للنسبة تسمى مذمومة فيقبلها العبد ولا يجعل الله وقاية أدبا وان كان لا يتلقاها إلا الله في نفس الأمر ولكن الأدب مشروع للعبد في ذلك ولا تضره هذه الدعوى لانها صورة لا حقيقة وإذا علم الله ذلك منك جازاك جزاء من رد إليه وعول في كل حال عليه وسكن تحت مجاري الأقدار وتفرج فيما يحدث الله في أولاد الليل والنهار فهذا تقوى الله قد أومانا إلى تحقيقه إيماء فان للكلام في معناه مجالاً رحباً يطول فاكتفينا بهذا وانتقلنا إلى تقوى الحجاب والستر والكل من تقوى الله فانه الأصل انتهى الجزء الثالث والتسعون

الجزء الرابع والتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الخامس والثمانون في تقوى الحجاب والستر

من يتقي الستر فذاك الذي	يعلم ان الستر من نفسه
إذا أتى يوم عليه يرى	يبكي على ما فات من أمسه
لو رفع الستر بدار الفنا	من قبل ان يرفع في رمسه
لنا ما نال في رجال سمت	همتهم عن جنتي قدسه
ولاح وجه الحق في سرهم	في بدره وقتنا وفي شمسهم
فلا يرى الترجيح فيما يرى	بعقله من ذاك أو حسه
كما يخاف العقل من عقله	كذا يخاف الحس من حسه
لأجل هذا يتقي المتقي	كمتقى الشيطان من مسه

اعلم أيدنا الله وإياك ان الله تعالى قال "كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون" وقال صلى الله عليه وسلم ان الله "سبعين حجاباً من نور وظلمة لو كشفها لحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه" فانظر ما ألطف هذا الحجب وما أخفاها فانه قال "ونحن أقرب إليه من حبل الوريد" مع وجود هذه الحجب تمنعنا من رؤيته في هذا القرب العظيم وما نرى لهذا الحجب عينا فهي أيضاً محجوبة عنا وقال تعالى "ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون" نعم يا ربنا ما نبصر ولا نبصر الحجب فنحن خلف حجاب الحجب وانت منا بمكان الوريد أو أقرب إلينا منا وهذا القرب هو سبب عدم الرؤية منا ان تتعلق بك الانسان لا يرى نفسه فكيف يراك وانت أقرب إلينا من انفسنا فغاية القرب حجاب كما غاية البعد حجاب وانما العجب الذي قصم الظهر وحيّر العقل قولك وعلمنا ان الله يرى في قولك توبيخاً وتنبهاً ألم يعلم بان الله يرى وقولك "وهو معكم أينما كنتم" ثم قلت انك لو رفعت الحجب بيننا وبينك من كونك موصوفاً بالسبحات الوجهية لأحترق ما أدركه بصرك بسبحات وجهك بالنور صح ظهور العالم وهو وجوده فكيف يعدم من حقيقته الإيجاد هنا هي الحيرة ثم انه على الأمرين أدخلت نفسك تحت حكم التحديد وهذا ينكره ما جعلته فينا من القوة العقلية النازلة بالصفة الفكرية وما لنا إلا حس وعقل فبالحس ما ندرك وبالعقل ما ندرك فقد وقع الحد ان كنت خلف الحجاب فانت محدود وان كنت أقرب إلينا من الحجاب فانت محدود وان كنت بكل شيء محيط فانت أقرب إلى نفي الحد فلماذا أدخلت نفسك في الحد بما أعلمتنا به من الحجب الحائلة بينك وبيننا وبيننا وبينك حارت العقول وما خاطب إلا العقول ونصب أدلتها متقابلة فما أثبتته دليل نفاه آخران هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأي غفر أشد من هذا جزى الله عنا موسى عليه السلام حيراً إذ ترجم عنا بقوله ان هي إلا فتنتك اختبرت عبادك بالأدلة وما ثم دليل

يوصل إليك الدليل موضوع ليدل على واضح لا يدل على حقيقة واضعه فما رأينا بعد السير والتقسيم وما أعطاه الكلام القديم إلا ان تكون انت عين الحجب ولهذا احتجبت الحجب فلا نراها مع كونها نوراً وظلمة وهو ما تسميت به لنا من الظاهر والباطن وقد أمرتنا ان نتقي الله فان لم يكن الله عين الحجاب عليه النوري من الاسم الظاهر والظلمى من الاسم الباطن وإلا كنا مشركين وقد ثبت انا موحودون فثبت انك عين الحجاب فما احتجبتنا عنك إلا بك ولا احتجبت عنا إلا بظهورك غير انك لا نعرف لكوننا نطلبك من إسمك كما نطلب الملك من إسمه وصفته وان كان معنا غير ظاهر بذلك الاسم ولا بتلك الصفة بل ظهور ذاتي فهو يكلمنا ونكلمه ويشهدنا ونشهده ويعرفنا ولا نعرفه وهذا أقوى دليل على ان صفاته سلبية لا ثبوتية لأظهرته إذا ظهر بذاته فما نعرف انه هو إلا بتعريفه فنحن بالمعرفة مقلدون له فلو كانت صفاته ثبوتية لكانت عين ذاته وكنا نعرفه بنفس ما نراه ولم يكن الأمر كذلك فدل على خلاف ما يعتقد أهل النظر وأرباب الفكر الصفاتين من المشبهة من أرباب العقول وهذا الأمر أدانا إلى ان نعتقد في الموجودات على تفصيلها ان ذلك ظهور الحق في مظاهر أعيان الممكنات بحكم ما هي الممكنات عليه من الاستعدادات فاختلقت الصفات على الظاهر لان الأعيان التي ظهر فيها مختلفة فتميزت الموجودات وتعددت لتعدد الأعيان وتميزها في نفسه فما في الوجود إلا الله وأحكام الأعيان وما في العدم الشئ إلا أعيان الممكنات مهيأة للإتصاف بالوجود فهي لا هي في الوجود لان ظاهر أحكامها فهي ولا عين لها في الوجود فلا هي كما هو ولا هو لانه الظاهر فهو والتميز بين الموجودات معقول ومحسوس لاختلاف أحكام الأعيان فلا هو فيا انا ما هو انا ولا هو ما هو هو مغازلة رقيقة وشارة دقية ردها البرهان ونفاها وأوجدتها العيان وأثبتها فقل بعد هذا ما شئت فقد انبت لك عن الأمر ما هو فما أخطأ معتقد في اعتقاده ولا جهل منتقد في انتقاده

وما ثم إلا الله والكون ظاهر

بقولي فاني عن قريب أسافر

سوى عين أولادي فذا المال حاضر

فما ثم إلا الله والكون حادث

فما العلم إلا الجهل بالله فاعتصم

ومالي مال غير علمي ووارث

الباب السادس والثمانون في تقوى الحدود الدنياوية

اعلم وفقك الله

بهذه الدار والأفراد آحاد

برازخ وهي في التحقيق اشهاد

غورا وفي غور ذاك الغور الحاد

حظي به من له سعد واسعاد

فغاية القرب قرب فيه ابعادا

فازوا بها وبها على الورى سادوا

المتقون حدود الله أفراد

ان الحدود إذا حققت صورتها

فلتتقي حدك الرسمي ان له

وقف لدى حظك الذاتي تحظ بما

الفقر والعجز في دنيا وآخرة

هذي طريقة أقوام لهم همم

قال الله تعالى "واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب" وأي عقوبة أشد من عقوبة تعم المستحق بها وغير المستحق والظالم وغير الظالم والبرئ والفاعل وهي هذه الحدود الدنيوية لأنها دار امتزاج ونطفة أمشاج فتعم عقوبتها لعدم التمييز وحدود الآخرة ليست كذلك لأنها دار تمييز فلا تصيب العقوبة إلا أهلها فلو كانت نشأة الآخرة من نطفة أمشاج كما ذهب إليه ابن قسي لعمت العقوبة أهلها وغير أهلها ومن هنا ان نظرت تعرف نشأة الآخرة أنها على غير مثال سبق كما ان نشأة الدنيا على غير مثال سبق وهو قوله "ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون" أنها كانت على غير مثال ولهذا أتى بكلمة التحضيض وهذه الفتنة العامة والعقوبة الشاملة والحدود المتداخلة من صفة قوله "فعال لما يريد" فان ظاهرها لا يقتضي العدل وباطنها يقتضي الفضل الإلهي ففي الآخرة لا ترز وازرة وزر أخرى وهنا ليس كذلك في عموم صورة العقوبة ولكن ما هي في البرئ عقوبة وانما هي فتنة وفي الظالم عقوبة لأنها جاءت عقيب ظلمة فما يستوجبها البرئ ولكن حكم الدار عليه كما يحكم على أهل دار الكفر الدار وان كان فيها من لا يستحق ما يستحقه الكافر قال تعالى "ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار" والنبي صلى الله عليه وسلم قد جعل مولى القوم منهم في الحكم وما هو منهم في نفس الأمر جعلنا الله ممن عامله بفضله ولم يطلبه بواجب حقه إذا قال الله في حق من اصطفاه من عباده انه ظالم لنفسه حيث حمل الأمانة وهذا هو ظلم المصطفين من عباد الله لا ظلم يتعدى الحدود الإلهية فانه من يتعدى حدود الله فقد ظلم نفسه لان لنفسه حداً تقف عنده وهي عليه في نفسها وذلك الحد هو عين عبوديتها وحد الله هو الذي يكون له فإذا دخل العبد في نعت الربوبية وهو الله فقد تعدى حدود الله ومن يتعدى حدود الله فأولئك هم الظالمون لان حد الشيء يمنع ما هو منه ان يخرج منه وما ليس منه ان يدخل فيه هذه هي الحدود الذاتية فمن يتقيها فأولئك هم المفلحون تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون فوصفهم بالتقوى إذا لم يتعدوها وجعلوها وقاية لهم وليس بأيدينا من الحدود الذاتية لله شيء والذي عندنا انما هي الحدود الرسمية ولهذا اجترأ العباد عليها وتعدوها ومنها عوقبوا كما إذا أدخلهم الحق صاحب الحد فيما هو له لم يتصف بالظلم فما استوجب عقوبة ولما كان حداً رسمياً قبل العبد الدخول فيه فان دخل فيه بنفسه من غير ادخال صاحبه فقد عرض نفسه للعقوبة فصاحب الحد بخير النظرين ان شاء عاقب وان شاء أثنى كامتصف بالكرم والعفو والصفح وهذه كلها حدود رسمية للحق فاعلم ما نبتهك عليه من العلم الغريب في هذه المسئلة فإنها من لباب المعرفة بالله وأما حدود الله اللفظية فما حجر منها شيئاً سوى كلمة الله واختلفوا في كلمة الرحمن بالألف واللام وكذلك أيضاً لم يكن عن أمر الإلهي مشروع وانما كانت حماية غيبية أغفل الله عن التسمية بهذا الاسم المركب الناس ويكفي هذا القدر من تقوى الحدود

الباب السابع والثمانون في تقوى النار

قال تعالى "واتقوا النار التي أعدت للكافرين" "واتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة" وقال "قوا انفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة"

يحشر للرحمن من قبره

فليشكر الله على شكره

في ذلك اليوم على كبره

من يتقى النار فذاك الذي

من إسمه الجبار أو مثله

لاسيما والنار مشهودة

لا تقى النار ولا مثلها

فان تقوى النار من مكره

لا تقى غير الاله الذي

أبطن نفع الشخص في ضره

اعلم وفقك الله وفهمك ان النار قد تتخذ دواء لبعض الأمراض فهي وقاية وهو الداء الذي لا يتقي إلا بالكلى بالنار فقد جعل الله النار وقاية في هذا الموطن من داء هو أشد من النار في حق البتلى به وأي داء أكبر من الكبائر فجعل الله لهم النار يوم القيامة دواء كالكي بالنار في الدنيا فدفع بدخولهم النار يوم القيامة داء عظيماً أعظم من النار وهو غضب الله الذي قام مقام الداء الذي يكون من يخاف عليه منه بالنار ولهذا يخرجون بعد ذلك من النار إلى الجنة قد امتحشوا كما يخرج إلى العافية صاحب الكي بالنار هذا إذا جعلناها وقاية كما جعلنا في الحدود الدنياوية وقاية من عذاب الآخر ولهذا هي كفارات أي تستره هذه الحدود عن عذاب الآخرة ومن هنا قلنا في المحار بين الله ورسوله ان المعنى بهم الكفار فان الله لما عقبهم في الدنيا لم يجعل عقوبتهم كفارة مثل ما هي الحدود في حق المؤمنين بل قال ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم وهذا لا يكون إلا للكفار والعذاب العظيم هو ان يعم الظاهر والباطن بخلاف عذاب أهل الكبائر من المؤمنين فان الله يمجيتهم في النار إمارة حتى يعودوا حمم شبه الفحم فهؤلاء ما أحسوا بالعذاب لموتهم فليس لهم حظ في العذاب العظيم فتتقي النار لما يكون من الألم عند تعلقها بنا والذين هم جمر لها يزيدون في فعلها فانهم المحروقون بالنار مثل الجمرات ثم تفعل النار بوساطة الجمرات التي ظهرت فيها فعلاً آخر قد يكون فيه منفعة كالجمرات التي تكون تحت القدر لانضاج ما في القدر ليقع بذلك الانضاج منفعة المتمتع مما نضج ولما كانت كرة الأثير واسعة الشمس تؤثر في مولدات الفواكه والمعادن بجرارتها نضجاً لما في ذلك من المنفعة لنا كانت رحمة مع كونها ناراً كذلك من عرف نشأة الآخرة وموضع الجنة والنار وما في فواكه الجنة من النضج الذي يقع به إلا لتذاذ لأكله من أهل الجنان علم أين النار وأين الجنة وان نضج فواكه الجنة سببها حرارة النار الذي تحت مقعر أرض الجنة فتحدث النار حرارة في مقعر أرضها فيكون صلاح ما في الجنة من مأكولات وما لا يصلح إلا بالحرارة من حرارة النار وهو لها كحرارة النار تحت القدر فان مقعر أرض الجنة هو سقف النار وقد بينا ذلك في التزييلات الموصلية أو الشمس والقمر والنجوم كلها في النار وعن أحكامها بما أودع الله فيها كانت منافع الحيوانات بها فتفعل بالأشياء هنالك علواً كما كانت تفعل هنا سفلاً وكما هو الأمر هنا كذلك ينتقل إلى هناك بالمعنى وان اختلفت الصور ألا ترى أرض الجنة مسكاً وهو حار بالطبع لما فيه من النار وأشجار الجنة مغروسة في تلك التربة المسكية كما يقتضي حال نبات هذه الدار الدنيا الزبل لما فيه من الحرارة الطبيعية لانه معفن والحرارة تعطي التعفين في الأجسام القابلة للتعفين وهذا القدر كاف في تقوى النار أعاذنا الله منها في الدارين

الباب الثامن والثمانون في معرفة الأسرار أصول أحكام الشرع

الشرع ما شرع إلا لاه تخلقا

فهو العليم بحقهم وحقه

فإذا أتى عبد يشرع شرعة

قام الإله بحقها في حقه

والشرعتان هما من أصل واحد

ما لم يقل قال الإله لخلقه

فإذا يقول فانها أحبولة

ليصدقوا ما قلدوا أفكارهم

فلتعتبر أحكام أصل كتابها

نجم القرين بنجمها من أفقه

فهو الكذوب وان أتاك بصدقه

فلربما غص اللعين بريقه

اعلم ان أصول أحكام الشرع المتفق عليها ثلاث الكتاب والسنة المتواترة والاجماع واختلف العلماء في القياس فمن قائل بانه دليل وانه من أصول الأحكام ومن قائل بمنعه وبه أقول قال الله تعالى "واتقوا الله ويعلمكم الله" وقال "ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا" وقال "اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته" ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم مثل قوله في عبده خضر "أتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً" فجعل إعطاءه العلم عبده من رحمته والتقوى عمل مشروع لنا فلا بد ان تكون التقوى نسبة حكمه إلى الدليل من هذه الأدلة أو إلى كلها في أي مسألة يلزمنا فيها تقوى الله قال الجنيد علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة وهما الأصلان الفاعلان والاجماع والقياس انما يثبتان وتصح دالتهما بالكتاب والسنة فهما أصلان في الحكم منفعلان فظهرت عن هذه الأربع الحقائق نشأة الأحكام المشروعة التي بالعمل بها تكون السعادة فان الموجودات ظهرت عن أربع حقائق إلهية وهي الحياة والعلم والإرادة والقدرة والأجسام ظهرت عن أربع حقائق عن حرارة وبرودة ويوسة ورطوبة والمولدات ظهرت عن أربعة أركان نار وهواء وماء وتراب وجسم الانسان والحيوان ظهر عن أربعة أخلاط صفراً وسوداً ودم وبلغم فالحرارة والبرودة فاعلان والرطوبة واليوسة منفعلتان فاعلم ولما كان من لا يؤمن بالشرائع المترلة يشاركنا بالرياضة والمجاهدة وتخليص النفس من حكم الطبيعة يظهر عليه الاتصال بالأرواح الطاهرة الزكية ويظهر حكم ذلك الاتصال عليه مثل ما يظهر من المؤمنين العاملين منا بالشرائع المترلة بما وقع من التشبيه والأشتراك فيما ذكرناه عند عامة الناس ونطقنا بالعلوم التي يعطيها كشف الرياضة وأمداد الأرواح العلوية وانتقش في هذه النفوس الفاضلة جميع ما في العالم فنطقوا بالغيوب قال الجنيد علمنا هذا وان وقع فيه الأشتراك بيننا وبين العقلاء فأصل رياضتنا ومجاهدتنا وأعمالنا التي أعطتنا هذه العلوم والآثار الظاهرة علينا انما كان من عملنا على الكتاب والسنة فهذا معنى قوله علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة وتتميز يوم القيامة عن أولئك بهذا القدر فانهم ليس لهم في الألهيات ذوق فان فيضهم روحاني وفيضنا روحاني وألهي لكوننا سلكننا على طريقة إلهية تسمى شريعة فأوصلتنا إلى المشرع وهو الله تعالى لانه جعلها طريقاً إليه فاعلم ذلك ولما كان شرع الله وحكمه في حركات الانسان المكلف لا يؤخذ ألا من القرآن كذلك لم توجد ألا بالمتكلم به وهو الله تعالى فقال للشيء كن فكان فالقران أقوى دليل يستند إليه أو ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قام الدليل على صدقه انه مخبر عن الله جميع ما شرعه في عبيد الله وقد يكون ذلك الخبر أما بأجماع من الصحابة وهو الأجماع أو من بعضهم بنقل العدل عن العدل وهو خبر الواحد وبأي طريق وصل إلينا فنحن متعبدون بالعمل به بلا خلاف بين علماء الإسلام ولهذا يقول أهل الأصول في الأجماع انه لا بد ان يستند إلى نص وان لم ينطق به وأما القياس فمختلف في اتخاذه دليلاً وأصلاً فان له وجهاً في المعقول ففي مواضع تظهر قوة الأخذ به على تركه وفي مواضع لا يظهر ذلك ومع هذا فما هو دليل مقطوع به فأشبهه خبر الآحاد فان الاتفاق على الأخذ به مع كونه لا يفيد العلم وهو أصل من أصول أثبات الأحكام فليكن القياس مثله إذا كان جلياً لا يرتاب فيه وعندنا وان لم نقل به في حقي فاني أجزى الحكم به لمن أداه اجتهاده إلى أثباته أخطأ في ذلك أو أصاب فان الشارع أثبت حكم المجتهد وان أخطأ وانه مأجور

فلولا ان المجتهد أستند إلى دليل في أثبات القياس من كتاب أو سنة أو أجماع أو من كل أصل منها لما حل له ان يحكم به بل ربما يكون في حكم النظر عند المنصف القياس الجلي أقوى في الدلالة على الحكم من خبر الواحد الصحيح فانا انما نأخذه بحسن الظن برواته ولا نزكيه علماً على الله فان الشرع منعنا ان نزكي على الله أحداً ولنقل أظنه كذا وأحسبه كذا والقياس الجلي يشاركنا فيه النظر الصحيح العقلي وقد كنا أثبتنا بالنظر العقلي الذي أمرنا به شرعاً في قوله أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة وفي القران من مثل هذا كثير فقد أعتبر الشارع حكم النظر العقلي في اثبات وجود الله أولاً وهو الركن الأعظم ثم اعتبره في توحيده في

ألوهته فكلفنا النظر في انه لا إله إلا الله بعقولنا ثم نظر بالدليل العقلي ما يجب لهذا الإله من الأحكام ثم نظرنا بالنظر العقلي الذي أمرنا به في تصديق ما جاء به هذا الرسول من عنده إذ كان بشراً مثلنا فنظرنا بالعقول في آياته وما نصبه دليلاً على صدقه فاثبتناه وهذه كلها أصول لو اتخذ ركن منها بطلت الشرائع ومستند ثبوتها النظر العقلي واعتبره الشرع وأمر به عباده والقياس نظر عقلي أتري الحق يبيحه في هذه المهمات والأركان العظيمة ويحجزه علينا في مسألة فرعية ما وجدنا لها ذكراً في كتاب ولا سنة ولا اجماع ونحن نقطع انه لا بد فيها من حكم إلهي مشروع وقد انسدت الطرق فلجأنا إلى الأصل وهو النظر العقلي واتخذنا قواعد اثبات هذا الأصل كتاب وسنة فنظرنا في ذلك فأثبتنا القياس أصلاً من أصول أدلة الأحكام بهذا القدر من النظر العقلي حيث كان له حكم في الأصول فقسنا مسكوتاً عنه على منطوق به لعله معقولة لا يبعد ان تكون مقصودة للشارع تجمع بينها في مواضع الضرورة إذا لم نجد فيه نصاً معيناً فهذا مذهبنا في هذه المسئلة وكل من خطأ عندي مثبت القياس أصلاً أو خطأ مجتهداً في فرع كان أو في أصل فقد أساء الأدب على الشارع حيث أثبت حكمه والشارع لا يثبت الباطل فلا بد ان يكون حقاً ويكون نسبة الخطأ إلى ذلك نسبة انه خطأ دليل المخالف الذي لم يصح عند المجتهد ان يكون ذلك دليلاً والمخطئ في الشرع واحد لا بعينه فلا بد من الأخذ بقوله ومن قوله اثبات القياس فقد أمر الشارع بالأخذ به وان كان خطأ في نفس الأمر فقد تعبد به فان للشارع ان يتعبد بما شاء عباده وهذه طريقة انفردنا بها في علمنا مع انا لا نقول بالقياس بالنظر إلينا ونقول به بالنظر لمن أداه إليه اجتهاده لكون الشارع أثبته فلو انصف المخالف لسكت عن النزاع في هذه المسئلة فالحق أوضح من ان ينازع فيها والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ثم نبين في هذا الباب ما يتعلق بأصول الأحكام عند علماء الإسلام كما عملنا في العبادات وكان الأولى تقديم هذا الباب في أول العبادات قبل الشروع فيها ولكن هكذا وقع فانا ما قصدنا هذا الترتيب عن اختيار ولو كان عن نظر فكري لم يكن هذا موضوعه في ترتيب الحكمة فاشبه آية قوله "حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى" بين آيات طلاق ونكاح وعدة وفاة يتقدمها ويتأخرها فيعطي الظاهر ان ذلك ليس موضعها وقد جعل الله ذلك موضعها لعلمه بما ينبغي في الأشياء فان الحكيم من يعمل ما ينبغي لما ينبغي كما ينبغي وان جهلنا نحن صورة ما ينبغي في ذلك فالله تعالى رتب على يدنا هذا الترتيب فتركناه ولم ندخل فيه برأينا ولا بعقولنا فالله يملئ على القلوب بالإلهام جميع ما يسطره العالم في الوجود فان العالم كتاب مسطور إلهي وإذا تعارض آيتان أو خبران صحيحان وأمكن الجمع بينهما واستعمالهما معاً فلا نعدل عن استعمالهما فان لم يكن استعمالهما معاً بحيث ان يكون أحدهما استثناء فيجب ان يؤخذ بالذي فيه استثناء وان كان في أحدهما زيادة أخذت الزيادة وعمل بها فان لم يوجد شيء من ذلك وتعارضوا من جميع الوجوه فينظر إلى التاريخ فيؤخذ بالتأخر منهما فان جهل التاريخ وعسر العلم به فلينظر إلى أقربهما إلى رفع الحرج في الدين فيعمل به لانه يعضده ما عليكم في الدين من حرج ودين الله يسر ويريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه

فدعوه فان تساويا في رفع الحرج فلا يسقطان وتكون مخيراً فيهما تعمل بأي الخبرين شئت أو الآيتين وإذا تعارض آية وخبر صحيح من جميع الوجوه من أخبار الآحاد وجهل التاريخ أخذ بالآية وتركت الخبر فان الآية مقطوع بها وخبر الواحد مظنون فان كان الخبر متواتراً كالآية وجهل التاريخ ولم يمكن الجمع بينهما كان الحكم التخيير فيهما ألا ان يكون أحدهما فيه رفع الحرج فيقدم الأخذ به وكل خبرين أو آيتين تعارضاً أو آية وخبر صحيح متواتر أو غير متواتر وفي أحدهما زيادة حكم قبلت الزيادة وعمل بها وترجع الأخذ بحديث الزيادة على معارضه ولا يؤخذ من الحديث ألا ما صح فان كان المكلف مقلداً أو بلغ إليه حديث ضعيف مسند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عارضه قول أمام من الأئمة أو صاحب لا يعرف دليل ذلك القول فيأخذ بالحديث الضعيف ويترك ذلك القول فان قصاره ان يكون في درجة ذلك القول ان كان

الحديث في نفس الأمر ليس بصحيح ولا يعدل عن الحديث وأما إذا صح الحديث وعارضه قول صاحب أو أمام فلا سبيل إلى العدول عن الحديث ويترك قول ذلك الامام والصاحب للخبر فان كان الخبر مرسلأً أو موقوفاً فلا يعول عليه ألا إذا علم من التابع انه لا يرسل الحديث ألا عن صاحب لا غير وان لم يعين ذلك الصاحب فيؤخذ بالمرسل فانه في حكم المسند وهو ان يقول التابع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يذكر الصاحب الذي عنه رواه ويعلم انه ممن أدرك الصحابة وصحبهم وهو ثقة في دينه ويعلم منه انه ممن لا يرى الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم في المصالح فان علم منه ذلك لم يؤخذ بحديثه ولو أسنده ولا يجوز ترك آية أو خبر صحيح لقول صاحب أو أمام ومن يفعل ذلك فقد ضل ضلالاً مبيناً وخرج عن دين الله وإذا ورد الخبر عن قوم مستورين لم يتكلم فيهم بجرح ولا تعديل وجب الأخذ به ألا شارب الخمر إذا حدث في حال سكره فان علم انه حدث في حال صحوه وهو ممن هذه صفته أخذ بقوله والأسلام العدالة والجرحة طارئة وإذا ثبتت على حد ما قلناه ترك الأخذ بحديث صاحب تلك الجرحة ولا فرق بين الأخذ بخبر الواحد الصحيح وبين المتواتر ألا ان تعارضاً كما قلناه وما أوجب الله علينا الأخذ بقول أحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كوننا مأمورين بتعظيمهم ومحبتهم وأما النسخ فلا أقول به على حد ما يقولون به فانه عندنا انتهاء مدة الحكم في علم الله فإذا انتهى فجائز ان يأتي حكم آخر من قران أو سنة فان سمي مثل هذا نسخاً قلنا به وإذا كان الأمر على هذا فيجوز نسخ القران بالقران وبالسنة فان السنة مبينة لانه عليه السلام مأمور بانه يبين للناس ما نزل إليهم وان يحكم بما أراه الله لا بما أرته نفسه فانه لا يتبع ألا ما يوحى إليه سواء كان ذلك قراناً أو غير قران ويجوز نسخ السنة بالقران والسنة وإذا ورد نص من آية أو خبر لا يجوز الوقوف عن الأخذ بذلك القران أو الخبر حتى يرى هل له معارض أم لا بل يعمل بما وصل إليه فان عثر بعد ذلك على خبر أو آية ناسخ أو مخصص أو معمم للمتقدم كان بحكم ما وصل إليه بشروطه وهو ان يبحث عن التاريخ فان الخاص قد يتقدم على العام كما يتقدم العام على الخاص والأصل ان الحكم للمتأخر وإذا وردت الآية أو الخبر بلفظ ما من اللسان فالأصل ان يؤخذ بما هو عليه في لغة العرب فان أطلقه الشارع على غير المفهوم من اللسان كأسم الصلاة وأسم الوضوء وأسم الحج وأسم الزكاة صار الأصل ما فسره به الشارع وقرره فإذا ورد بعد ذلك خبر بذلك اللفظ حمل على ما فسره به الشارع ولم يحمل على ما هو عليه في اللسان حتى يرد من الرسول في ذلك اللفظ انه به ما هو عليه في اللسان فيعدل عند ذلك إليه في ذلك الخبر على التعيين وأوامر الشرع كلها محمولة على الوجوب ونواحيه محمولة على الحظر ما لم يقترن بالأمر قرينة حال تخرجه عن الوجوب إلى الندب أو الأباحة وكذلك النهي ان أقرنت به قرينة تخرجه من الحظر إلى الكراهة فان تعرى الأمر عن قرينة الندب أو الأباحة تعين الوجوب وكذلك النهي وقد يرد الأمر الألهي أو النبوي على النهي برفع التحجير خاصة لا لوجوب فعل المأمور به والأجماع أجماع

الصحابة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا غير وما عدا عصرهم فليس بأجماع يحكم به وصورة الأجماع ان يعلم ان المسئلة قد بلغت لكل واحد من الصحابة فقال فيها بذلك الحكم الذي قال به الآخر إلى ان لم يبق منهم أحد ألا وقد وصل إليه ذلك الأمر وقال فيه بذلك الحكم فان نقل عن واحد خلاف في ذلك فليس بأجماع أو نقل عنه سكوت فليس بأجماع وإذا وقع خلاف في شيء وجب رد الحكم فيه إلى الكتاب والخبر النبوي فانه خير وأحسن تأويلاً ولا يجوز ان يدان الله بالرأي وهو القول بغير حجة ولا برهان لا من كتاب ولا من سنة ولا من أجماع وان كنا لا نقول بالقياس فلا نخطئ مثبته إذا كانت العلة الجامعة معقولة جلية يغلب على الظن انها مقصودة للشارع وانما أمتنعنا نحن من الأخذ بالقياس لانه زيادة في الحكم وفهمنا من الشارع انه يريد التخفيف عن هذه الأمة وكان يقول أتركوني ما تركتكم وكان يكره المسائل خوفاً ان يتزل عليهم في ذلك حكم فلا يقومون به كقيام رمضان والحج في كل سنة وغير ذلك فلما رأيناه على ذلك منعنا القياس في الدين فان النبي صلى الله عليه وسلم ما أمر به ولا أمر به الحق تعالى فتعين علينا تركه فانه مما يكرهه صلى الله عليه وسلم وحكم الأصل ان لا تكليف وان الله خلق لنا ما في الأرض جميعاً فمن أدعى التحجير علينا فعليه بالدليل من كتاب أو سنة أو أجماع وأما القياس فلا أقول به ولا أقلد فيه جملة واحدة وأما أفعال النبي صلى الله عليه وسلم فليست على الوجوب فان في ذلك غاية الحرج ألا فعل بين به أمراً تعبدنا به فذلك الفعل واجب مثل قوله صلوا كما رأيتموني أصلي وخذوا عني مناسككم وأفعال الحج ولولا نطقه في ذلك في بعض الأفعال لم يكن يلزمنا ذلك الفعل فانه بشر يتحرك كما يتحرك البشر ويرضى كما يرضى البشر ويغضب كما يغضب البشر فلا يلزمنا أتباعه في أفعاله ألا ان أمر بذلك وتعين عليه ان لا يفعل فعلاً سراً بحيث لا يراه أحد كما تعين عليه فيما أمر بتبليغه ان لا يتكلم به وحده بحيث لا يسمعه أحد حتى ينقله إلى من لم يسمعه وأما شرع من قبلنا فما يلزمنا أتباعه ألا ما قرر شرعنا منه مع كون ذلك شرعاً حقاً لمن خاطب به لا نقول فيه بالباطل بل نؤمن بالله ورسوله وما انزل إليه وما انزل من قبله من كتاب وشرع منزل والتقليد في دين الله لا يجوز عندنا لا تقليد حي ولا ميت ويتعين على السائل إذا سأل العالم ان يقول له أريد حكم الله أو حكم رسوله في هذه المسئلة فان قال له المسئول هذا حكم الله في المسئلة أو حكم رسوله تعين عليه الأخذ بها فان المسئول هنا ناقل حكم الله وحكم رسوله الذي أمرنا بالأخذ به فان قال هذا رأيي أو هذا حكم رأيته أو ما عندي في هذه المسئلة حكم منطوق به ولكن القياس يعطي ان يكون الحكم فيه مثل الحكم في المسئلة الفلانية المنطوق بحكمها لم يجز للسائل ان يأخذ بقوله ويبحث عن أهل الذكر فيسألهم على صفة ما قلنا ويتعين على كل مسلم ان لا يسأل إلا أهل الذكر وهم أهل القرآن قال تعالى "انا نحن نزلنا الذكر" وأهل الحديث فان علم السائل ان هذا المسئول صاحب رأى وقياس فيتركه ويسأل صاحب الحديث فان كان المسئول صاحب رأى وقياس وحديث فيسأله فإذا أفتاه تعين عليه ان يقول له هذا الحكم رأى أو قياس أو عن حديث فان قال عن رأي أو قياس تركه وان قال عن خبر أخذ به ولا حكم للخطأ والنسيان إلا حيث جاء في قران أو سنة ان يكون لهما حكم فيعمل به مثل صلاة النسي وقتل الخطأ وكل مسكوت عنه فلا حكم فيه إلا الإباحة الأصلية وخطاب الشرع متوجه على الاسماء والأحوال لا على الأعيان فلا يكون حكم الفرض إلا على من حاله قبول الفرض من أمر ونهي في عمل أو ترك فكل من عجز عن شيء من ذلك مما كلفه الله به بل ما هو مخاطب به ان الله ما كلف نفساً إلا وسعها وإلا ما آتاها سيجعل الله بعد العسر يسراً وكل عمل مقيد بوقت موسعاً كان أو مضيقاً فلا يجوز عمله إلا في وقته لا قبله ولا بعده فان ذلك حد الله المشروع فيه فلا يتعدى وحكم الاجتهاد في الأصول والفروع واحد والحق في الفروع حيث قرره الشرع وقد قرر حكم المجتهدين ولا يقرر إلا ما هو حق فكله حق وأما نسبة الخطأ إلى المجتهد الذي له أجر واحد فهو كونه لم يعثر على

حكم الله أو حكم رسوله في تلك المسئلة وقد تعبد الله بما انتهى إليه اجتهاده فلو لم يكن حقاً عند الله بالنظر إليه لما تعبد به فان الله لا يقرر الباطل فإذا وصل إليه بعد ذلك حكم الله تعالى أو رسوله في تلك المسئلة بما يخالف دليله وعلم ان ذلك الحكم متأخر عن حكم دليله وجب عليه الرجوع عن ذلك الحكم الأول ولا يحل له البقاء عليه ولهذا كان من علم مالك بن انس ودينه وورعه انه إذا سئل عن مسئلة في دين الله يقول نزلت فان قيل له نعم أفتي وان قيل لم تنزل لم يفت وسببه ما ذكرنا لان المصيب للحكم المعين في تلك المسئلة واحد لا بعينه والمخطئ واحد لا بعينه ولهذا قالت العلماء كل مجتهد مصيب فإما مصيب للحكم الإلهي فيها على التعيين أو مصيب للحكم المقرر الذي أثبتته الله له إذا لم يعثر على ذلك الحكم المعين وأخطأه وهذا القدر كاف في أصول أحكام الشرع في هذا الكتاب لانه لا يحتل الاستقصاء وأما أسرار أصول أحكام الشرع المتفق عليها والمختلف فيها فان سر الكتاب هو ما يكون من الله للعبد بترك الوسائط كما قال كتب في قلوبهم الايمان فهم كتاب الله وهو قول الشارع دع ما يريك إلى ما لا يريك وقوله استفت قلبك وان أفثاك المفتون والكتابة ضمن المعاني الإلهية بما يليق بجلاله من نسبة أسماء الله الحسنى إلى المعاني التي لنا من التخلق بتلك الاسماء أي بمعانيها أو تكون أخلاقاً لنا لا تخلقا وهي نسبتها إلينا على ما يليق بنا فهو الرؤوف الرحيم وقد قال في رسوله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين رؤف رحيم وهذا مدح وسمى نفسه بالعزير الكريم وقد قال في بعض عبادته "ذق انك انت العزيز الكريم" وهو ذم وكلها أسماء الله وأسماء الخلق ومدلولاتها معقولة المعنى بآثار الكريم ان يعطي وقد وجد العطاء من الله ومن العبد على وجهة الانعام فان انضم المعنى إلى المعنى من وجه فقد افترقا من وجه لان الموصوف المسمى لا يشبه الموصوف المسمى الآخر فمن الوجه الذي يقع الاشتراك وهو الأثر من ذلك الوجه يكون كتابة لان الكتابة الضم وبضم الحروف بعضها إلى بعض سميت كتابة والكتيبة ضم الخيل بفرسانها بعضها إلى بعض فلو جاؤا متفرقين وحدانا ما سموا كتيبة فهو المؤمن وقد كتب في قلب عبده الايمان فأجب له ذلك الكتاب حكماً سمي به مؤمناً وليس الاسم غير المسمى فهو الظاهر في عين الممكن والممكن له مظهر وكل ظاهر في مظهر فقد انضم الظاهر إلى المظهر وانضم المظهر إلى الظاهر ولذلك صح ان يكون مظهراً للظاهر فيه فهذا سر أصل الأخذ بالكتاب دليلاً على ثبوت الحكم وأما سر السنة في اثبات الحكم فانه لما كان الرسول عليه السلام لا ينطق عن الهوى وان حكمه حكم الله وهو نافل عن الله ومبلغ عنه بما أراه الله والله على صراط مستقيم والسنة الطريقة والطريق لا يراد لنفسه وانما يراد لغايته فالسنة صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور لانه صراطه وهو غاية صراطه فلا بد للسالك عليه من الوصول إليه فالصراط واسطة وبوساطة استعداد المظهر بما هو عليه في نفسه حكم على الظاهر بما سمي به فهو أعطاه ذلك الاسم وذلك الحكم صحيح فهذا صراط مستقيم فنحن إذا سألنا الحق في أمر يعن لنا كان أثر سؤالنا في الله الإجابة فسمى مجيباً فلولا سؤالنا ما ثبت هذا الحكم ولا أطلق عليه هذا الاسم ونحن طريقة له في ذلك قال تعالى "أجيب دعوة الداعي إذا دعاني" فما أجابه حتى دعاه فهذا سر استدلاله بالسنة وأما الاجماع فهو ما أجمع عليه الرب والمربوب في ان الله خالق والعبد مخلوق وهكذا كل إضافة فلا خلاف بين الله وبين عباده في مسائل الأضافة أين ما وجدت وكذلك في المعلومات وأما القياس عند مشتيه فهو ظهور رب بصفة عبد وظهور عبد بصفة رب عن أمر رب فان لم يكن عن أمر رب فلا يتخذ دليلاً على حكم أو عن حميد خلق كريم فانه أيضاً يتخذ دليلاً وأما ظهور رب بصفة مربوب فلا يشترط فيه الأمر الواجب ولكن قد يكون عن دعاء وطلب وصفته الأمر والمعنى مختلف وان كان هذا مسموعاً ممثلاً والآخر كذلك ولكن بينما فرقان فهذا حكم سر القياس في الاستدلال وهو قياس الغائب على الشاهد لحكم معقول جامع بين الشاهد والغائب وينسب كل واحد من المنسويين إليه بحسب ما

يليق بجلاله وانما قلنا بجلاله لان الجليل من الأضداد يطلق على العظيم وعلى الحقير وقد انتهت أسرار أصول أحكام الشرع انتهى
الجزء الرابع والتسعون

الباب التاسع والثمانون في معرفة النوافل على الإطلاق

ان النوافل ما يكون لعينها	أصل يشاهد في الفرائض كلها
فالفرض كالإجرام ان قابلتها	بالنور والنفل المزداد كظلمها
بيد وبصورتها وليس فريضة	فيعود فرضاً في الحساب كمثلها
جاء الحديث به فبين فضلها	شرعاً وميز أصلها من أصلها
فإذا أتيت بهن فاعلم انه	ذخر الإله لكم نتيجة فعلها
فيكون عين قواك ربك فاغترف	من طلبها حتى تفوز بوبلها

اعلم أيديك الله بروح القدس ان للنوافل حكماً في الحضرة الإلهية جامعاً ينوب صاحبها فيه مناب الحق من ذاقه عرف قدره وعجز عما يستحقه واهبة من الشكر عليه ثم ان النوافل تتفاضل وتعلو بعلو فرائضها إذ كانت النوافل كل عمل له أصل في الفرائض عن ذلك الأصل يتولد وبصورته يظهر كما ظهرنا نحن بصورة الحق فنحن له نافلة وهو أصلنا ولهذا نقول فيه انه واجب الوجود لنفسه ونحن واجبون به لأبنافسنا فبهذه الدرجة يتميز عنا ونتميز عنه وما عدا النوافل فيسمى عبادة مستقلة وسلنا مبتدآت نذكرها بعد هذا الباب ان شاء الله وإذا كانت النوافل تعلو بعلو فرائضها التي هي أصولها فأعلى نوافل التزهي في الخيرات الصيام لان فرضه صوم رمضان ورمضان أسم الله والصوم عبادة لا مثل لها وهو ليس كمثله شيء ففضل نوافل سائر العبادات فانه يمنع من النكاح فله أثر فيه أي في منعه وكل من له قوة المنع فان الممنوع متصف بالضعف بالنسبة إلى تلك القوة فان كان لهذا الممنوع من القوة بحيث يؤثر في محل هذه العبادة حتى يزيل حكمها كان أقوى بلا شك فنافلة النكاح أقوى لما له من التأثير في أبطال الصوم والصلاة وغيرها والنكاح أفضل نوافل الخيرات وله أصل وهو النكاح المفروض فما وقع عن محبة التوالد والتناسل التحق بالحب الألهي ولا عالم فأحب ان يعرف فتوجه بالأرادة لهذه المحبة على الأشياء في حال عدمها القائمة في استعدادا مكانها مقام الأصل فقال لها كن فكانت ليعرف بجميع وجوه المعارف وهي المعرفة المحدثه التي لم يكن تعلق لها به أذ لم يكن العارف بها متصفاً بالوجود وذلك محبة طلب كمال المعرفة وكمال الوجود فما كمل الوجود ولا المعرفة ألا بالعالم ولا ظهر العالم ألا عن هذا التوجه الألهي على شيئية أعيان الممكنات بطريق المحبة للكمال الوجودي في الأعيان والمعارف وهي حال تشبه النكاح للتوالد فكان النكاح المفروض أفضل الفرائض وناقلته أفضل نوافل الخيرات ولأشتراك غيره من العبادات في أسم النوافل نال من أستعملها على اختلاف أنواعها منالها والأصل نوافل النكاح لان العمل إذا انتج ما لم يكن له عين قبل ذلك فذلك من حكم النكاح وما من عمل ألا وهو منتج بحسب حقيقته وطريقته فكان النكاح أصل في الأشياء كلها فله الأحاطة والفضل والتقدم وقال أبو حنيفة في النكاح انه أفضل نوافل الخيرات ولقد

قال حقاً أو صادف حقاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حبيب إليه النساء وكان أكثر الانبياء نكاحاً لما فيه من التحقق بالصورة التي خلق عليها ولكن لا يعلم ذلك إلا قليل من الناس من طريق الكشف بل من العارفين من أهل الله وقدم علينا بأشبيلية سنة ست وثمانين وخمسمائة أبو الحجاج يوسف الغليري من أهل غليرة وكان من أهل الأحوال فبينما هو قاعد معي أذ كشف له عن هذا المقام مثلاً فذكره لي في غلبة حاله بصورة ما رآه مما لا يمكنني ذكره فكوشف على العالم وفي أي صورة هو أبوه تعريفاً من الحق فما زلت أسكنه وهو هائج حتى سكن فوجود الحق هو الفرض في نفس الأمر ووجود العبد نافلة عن ذلك الفرض ولذلك خرج على صورته فنافلة النكاح قد ذكرنا ما نتج منها ونافلة الصلاة تنتج وجود العبد في حظه من القسمة منه قوله قسمت الصلاة بيني وبين عبدي" فيعرف من نوافل هذه الصلاة حظه من القسمة لاحظ ربه كما يعرف من فرضها حق ربه وقسمه منها ولكل حال شرب معلوم فإن الذي يعطي الفرض في عامله من الحكم خلاف الذي يعطي النفل لانه في الفرض عبد مصطر وفي النفل عبد مخير مختار موصوف بصفة ألهية وهي المشيئة فإن شاء فعل وإن شاء لم يفعل ونافلة الصيام ما يحصل للعبد من التزيه في نفي المماثلة من قوله ليس كمثله شيء أي ليس مثل مثله شيء وما مثله ألا من خلق على صورته فنفي سبحانه أن يماثل هذا المثل فهو أحق أن لا يماثل وماله من الصورة ألا الاسم خاصة فإن العالم كما أعطاه الله أسم الوجود الذي هو له تعالى حقيقة أعطاه العالم بأستعداده وكونه مظهراً له الأسماء الحسنى ما علمنا منها وما لم نعلم فهذا كونه على صورته ونافلة الزكاة أعطت في الإنسان البركة وهي الزيادة التي حصلت له على ما أعطته الفريضة لا غير ونافلة الحج أعطت له القصد بظهور الكون في الأطوار المختلفة مع أحدية التوجه ونافلة العمرة أعطته الدخول عليه تعالى في كل عبادة بين طرفي تحليل وتحريم وفيها ذوق وشرب وهما تحليلان معروفان عند أهل الله ونافلة الذكر الذي فرضه لا أله إلا الله وتكبيره الأحرام والسلام من الصلاة وشهادة التعيين وكل فرض يتعلق بالقول فإنه يعطيك نافلته والمواظبة عليه أن تقول لما تريده في الكون كن فيكون كما يعطيك الفرض أن تقول للحق تعالى أفعل فيفعل والباب الجامع لما يعطي جميع النوافل أن يكون الحق يحبه فانتجت النوافل محبة الله لعبده ولكن ما كل محبة التي بها يكون الحق سمعك الذي تسمع به وبصرك الذي تبصر به ويديك التي تبطش بها ورجلك الذي تسعى به وهذا معنا أن نقول في المفاضلة في الأشياء لأن العرف يعطي أن البصر أفضل من الرجل عند الجماعة وهنا قد انزل الحق نفسه أنه بصرك الذي تبصر به ورجلك التي تسعى بها وأعطى لكل حق حقيقة منه وهو لا يفضل نفسه فإنه هو الظاهر في كل ما ذكر أنه هو كما يليق بجلاله فليس البصر بأعلى ولا أفضل من الرجل ولكن أكثر الناس لا يعلمون فهذا قد ذكرنا ما تعطيه نوافل الخيرات على الإطلاق وعلى التقيد نافلة نافلة

الباب الموفي تسعين في معرفة الفرائض والسنن

مثل الطريق لها إلى غاياتها

فتكون سمع الحق في آياتها

طرق الفضائل واسع في أثباتها

أن الفرائض كالركائب والسنن

فإذا قطعت الضرب كنت فريضة

عكس النوافل فأعتبرها وألتزم

الفرائض هي الأعمال أو التروك التي أوجبها الله تعالى على عباده وقطعها عليهم وأثم من لم يقم بها وهي على قسمين فرض عين

وهو الذي لا يسقط عنه إذا عمله غيره وفرض كفاية وهو الذي يسقط عنه إذا قام به غيره وقد كان قبل قيام الغير به متعيناً عليه وعلى ذلك الغير كالصلاة على الجنائز وغسل الميت والجهاد وثم فرض آخر يلوح بينهما له طرف إلى كل واحد منهما يخالف حكم الآخر مثل الحج المفروض إذا لم يستطع وهو ان كان غير مخاطب به ألا مع الاستطاعة فهو فرض متوقف على شرطه فإذا حج عنه وليه سقط عنه وكان له الأجر أجر الأداء وليس هذا في فرض الكفاية لوجود الأجر ولا في فرض الصلاة لعدم سقوطها عن صليت عنه فلا يشبه فرض الصلاة ولا يشبه فرض الكفاية وأما السنن فكل ما عدا ما تعين عمله وهو على قسمين سنة أمر بها وحرص عليها أو فعلها بنفسه وخير أمته في فعلها وسنة أبتدعها واحد من الأمة فأتبع فيها فله أجرها وأجر من عمل بها فالفرض إذا جاء به العبد موافق فقد وفي ما تستحته الربوبية عليه من العبادة فينتج له عمل الفريضة أمراً هو أعلى من ان يكون الحق سمعه فان كون الحق سمع العبد حال للعبد وحكم الفرض يحول بينه وبين هذه الحال وهو ان يكون سمعاً للحق فيسمع الحق بالعبد وهو قوله جعلت فلم تطعمني وأما هذه الحيلولة التي أعطاها الفرض من ان يكون سمعه هي مقام محقق ثبت كما هو في نفس الأمر فيعرف عند ذلك العبد ان الحق هو لا هو وصاحب الحال يقول انا والسنن طرق الاقتداء وأعلامها الاقتداء بالحق حتى أكون في إطلاق أسمائه على قريباً من التحقق بها لا من التخلق وأدناها في حق الولي الاقتداء بالذين قال الله فيهم أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتاده والعلماء ورثة الانبياء وما ورثوا ألا العلم فالسنة النبوية عالية المقام وهي الجمعية على الدين وأقامته وان لا يتفرق فيه فهي تعلو عن يأتيها ويسلك فيها في الحضرات المحمدية إلى غايتها في المعارف والأحوال والتجلي وأما السنن التي هي الشرائع المستحسنة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الاستحسان عند الفقهاء الذي قال فيه الشافعي رحمه الله من أستحسن فقد شرع فأخذها الفقهاء منه على جهة الذم وهو رضى الله عنه نطق بحقيقة مشروعة له لم تفهم عنه فانه كان من الأربعة الأوتاد وكان قيامه بعلم الشرع حجه عن أهل زمانه ومن بعده رويناه عن بعض الصالحين انه لقي الخضر فقال له ما تقول في الشافعي فقال هو من الأوتاد فقال فما تقول في أحمد بن حنبل قال رجل صديق قال فما تقول في بشر الحافي قال ما ترك بعده مثله فهذه شهادة الخضر في الشافعي رحمه الله ولما صح عند الشافعي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال :من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها ومن سن سنة سيئة الحديث فلا شك ان الشرع قد أباح له ان يسن سنة حسنة وهي من جملة ما ورث من الانبياء وهي حسنة أي يستحسنها الحق منه وهو سننها فمن أستحسن أي من سن سنة حسنة فقد شرع ويا عجباً من عدم فهم الناس كلام الشافعي في هذا وهم يثبتون حكم المجتهد وان أخطأ في نفس الأمر وقد أقره الشارع وهو حكم شرعي مقبول لا يجل لأحد من الحكام رده وقواعد الشرع وأصوله تحفظه وكالمصالح المرسلة في مذهب مالك ولما قرر الشارع حكمها مجملاً وأبان ان واضعها ومتبعيه فيها مأجورون ونهاية التابعين فيها إلى واضعها على قدره وقدر ما سن نبهتكم بهذا ان تكون أوقاتكم معمورة بالشرائع النبوية والسنن الأصلية فان الكيس ينبغي ان لا يكون غاية عمله ألا نبوة أصلية لا فرعية أذ كان له الاختيار في الاختيار لما كانت الأمور في انفسها تقبل الاختيار كما فعل سبحانه في جميع الموجودات فأختار من كل أمر في كل جنس أمراً ما كما أختار من الاسماء الحسنى كلمة الله وأختار من الناس الرسل وأختار من العباد الملائكة وأختار من الأفلاك العرش وأختار من الأركان الماء وأختار من الشهور رمضان وأختار من العبادات الصوم وأختار من القرون قرن النبي صلى الله عليه وسلم وأختار من أيام الأسبوع يوم الجمعة وأختار من الليالي ليلة القدر وأختار من الأعمال الفرائض وأختار من الأعداد التسعة والتسعين وأختار من الديار الجنة وأختار من أحوال السعادة في الجنة الرؤية وأختار من الأحوال الرضى وأختار من الأذكار لا أله ألا الله وأختار من الكلام القرآن وأختار من سور القرآن سورة

يس وأختار من آي القرآن آية الكرسي وأختار من قصار المفصل قل هو الله أحد وأختار من أدعية الأزمنة دعاء يوم عرفة وأختار من المراكب البراق وأختار من الملائكة الروح وأختار من الألوان البياض وأختار من الأكوان الأجتماع وأختار من الانسان القلب وأختار من الأحجار الحجر الأسود وأختار من البيوت البيت المعمور وأختار من الأشجار السدرة وأختار من النساء مريم وآسية وأختار من الرجال محمداً صلى الله عليه وسلم وأختار من الكواكب الشمس وأختار من الحركات الحركة المستقيمة وأختار من النواميس الشريعة المتزلة وأختار من البراهين البراهين الوجودية وأختار من الصور الصور الآدمية لذلك أبرزها على الصورة الألهية وأختار من الانوار ما يكون معه النظر وأختار من النقيضين الأثبات ومن الضدين الوجود وأختار الرحمة على الغضب وأختار من أحوال أفعال الصلاة السجود ومن أقوالها ذكر الله ومن أصناف الأرادات النية فلها الحكم في قبول العمل وردة فانه لكل أمرئ ما نوى ويلحق غير العامل بالعامل في الأجر وزيادة وأما ذكر الله من أقوال الصلاة فان ذكر الله منها أكبر ما فيها هكذا قال عز وجل ان الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر فان الصلاة مناخاة والذاكر جليسه الحق فان ذكره به فهو تعالى لسانه وأما اختياره السجود في أفعال الصلاة فلما فيه من العصمة من الشيطان فانه لا يفارقه في شيء من أفعال الصلاة ألا في السجود خاصة لانه خطيئته وعند السجود يبكي ويتأسف ويندم والندم توبة ولا بد من قبول ذلك القدر فهو يتوب عند كل سجدة وان الله يحب كل مفتن ثواب ثم يعود إلى الأغواء عند الرفع من السجود هكذا وأما اختياره الرحمة على الغضب فلاهما تفعل بالمنة وتفعل بالوجوب ووسعت كلشيء والغضب من الأشياء التي وسعته الرحمة فما ثم غضب خالص غير مشوب برحمة والرحمة لا يشوبها غضب ومن يخلل عليه غضبي فقد هوى فالغضب جعله يهوي فإذا هوى وهو السقوط وهو حكم الغضب لا غير فيسقط في الرحمة فتسعه وتتلقاه فلا يسقط ألا إليها وبالرحمة التي في الغضب سقط فهي التي جعلت الغضب يهوي به لتستلمه الرحمة الخالصة كالرحمة التي في الدواء الكريه فيشره العليل على كراهية فيه رحمة خفية من أجلها أستعمل الدواء الكريه في الوقت لتسلمه إلى العافية وهي الرحمة الخالصة ولهذا كان المآل إلى الرحمة وحكمها وان لم يخرجوا من النار فلهم فيها نعيم والله على كل شيء قدير ألا ترى إلى ما جعل الله في النار في الدنيا من المنافع والراحات ولو لم يكن ألا الكي بها لبعض العلل فانه أقطع الأدوية ولقوته في أثره قدح في التوكل لانه يقوم في الفعل مقام الشافي والمعافي فحكمت الغيرة على المكتوي بانه غير متوكل وأما اختيار الوجود من الضدين فلانه صفته فأختار للممكنات صفته ولا يصح ألا هذا فان له الأقدار والأقتدار لا يكون عنه ألا الوجود ألا تراه لما قال ان يشأ يذهبكم قال ويأت بقوم آخرين فأبى الأقدار إلا الوجود وعلق الإرادة بالإعدام وله الاسم المانع والمنع عدم وأما اختياره الإثبات فهو عين الشيء الذي يقول له كن لانه في حال عدمه رجح له الإثبات على التفي حتى لا يزال ممكناً في حال عدمه وهي مسألة دقيقة في الترجيح في حال عدمه وبذلك الإفتقار الذاتي الذي في الممكن قبل الوجود إذا أراده الحق منه وأسرع إليه بحكم الإثبات الذي هو عليه وأما النور المختار من الانوار فان الانوار حجب ولذلك قال في الانوار الحجابية نور اني أراه ثم وعد بالرؤية وهو نور فلا بد ان يكون النور الذي يظهر فيه لعباده مختاراً من تلك الانوار الحجابية كنور الأحذية والعزة والكبرياء والعظمة فهذا كله ترفع عن البصر ويبقى حكمها في القلب فبرفعها تقع الرؤية للحق تعالى ويبقى حكمها في القلب ويفنى العبيد عن الرؤية ولولا ذلك لشهدوا نفوسهم عند شهوده وأما اختياره الصورة الآدمية فلانه خلق آدم على صورته فأطلق عليه جميع أسمائه الحسنى وبقوتها حمل الأمانة المعروضة وما أعطته هذه الحقيقة ان يردها ك ما أثبت السموات والأرض والجال حملها وحملها الانسان انه كان ظلوماً لم يحملها جهولاً لان العلم بالله عين الجهل به العجز عن درك الإدراك أدراك فانه إذا علم ان ثم ما لم يعلم فما علم وهو العلم بان ثم ما لا يعلم

وليس لعلمه متعلق ألا بالجهل به وأما اختياره البراهين الوجودية من

البراهين الجدلية وغيرها فلما تعطيه من تمام العلم بثبوت الحق وأبطال حجة الخصم والبراهين الجدلية ليست لها هذه القوة فالحق تبطل حجة الخصم وقد لا تثبت حقاً والبراهين السوفسطائية تنتج حيرة وهي أقرب إلى البراهين الوجودية في العلم الألهي من وجه من البراهين الجدلية وأما اختياره الشريعة المثلة فلما لها من عموم التعلق بالدار الآخرة ومصالح الدنيا وليست النواميس الحكيمة الموضوعة لمصالح الدنيا وبقاء الخير في عالم الدنيا لها حكم لتحكم على الله بالقرب الألهي وقبول الأعمال ورفع الدرجات وأثبت الجنات ودار الشقاء لا يستقل بذلك كله ألا الشرع المنزل من عند الله وأما الذين أبتدعوا عبادات ورعوها حق رعايتها أبتغاء رضوان الله مما لم يكتبها الله عليهم فهم أصحاب شرع منزل من عند الله فسنوا فيه سنناً حسنة مناسبة لما سنّها الشرع بالشرع المنزل فيهم وأباح لهم ان يسنوا وأما النواميس الحكيمة فما هي التي سنّها هؤلاء ولهذا جعل لهم الأجر وأما اختياره الحركة المستقيمة فانه على صراط مستقيم كما قال عن نفسه وأختص بها الانسان الذي خلقه الله على صورة الحق وفيها يحشر السعيد يوم القيامة فهي له دنيا وآخرة فان الجرمين يحشرون منكوسين وهي الحركة المنكوسة كما قال تعالى في حق الجرمين "ولو ترى أذ الجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم" والحركة المعوجة الأفقية في البهائم فلم تصح الحركة المستقيمة ألا لمن خلقه الله على الصورة وذلك الانسان الكامل الذي له هذه الصفة في الدنيا والآخرة ولهذا خص بها ذكر آدم لانه من أهل السعادة التي تبقي عليه هذه الحركة المستقيمة ولهذا نعت بالخلافة وأما اختياره الشمس فلما لها من الأمداد في جميع الكواكب المستنيرة علواً وسفلاً ولهذا قال إبراهيم عليه السلام هذا أكبر وأختصت على المذهبين بالقلب من الكرة وهي السماء الرابعة وفيها ادريس عليه السلام والله قد ذكر انه رفعه مكاناً علياً فعلموا هذا المكان من كونه قلب الأفلاك فهو مكان عال بالمكانة وما فوقه وان كان دونه فهو أعلى بالمسافة ونسبته إلى رؤسنا وهو الذي أحدث الليل والنهار بطلوعه وغروبه الذي جعل الله لهما الغشيان وهو النكاح والأيلاج لظهور أعيان المولدات وما يحدث الله في الليل والنهار من المخلوقات عن هذا الأيلاج والغشيان وجعل لكل واحد من هذين الموجودين عن الحركة الشمسية الطلب الحثيث لأبراز أعيان الحوادث عن هذا الطلب وأما اختياره محمداً صلى الله عليه وسلم فلما أقتضاه مزاجه دون الأمزجة الانسانية من الكمال والأعتدال أذ به شاهد نبوته وآدم بين الماء والطين وهو متفرق الأجزاء في المولدات العنصرية وهي مسألة دقيقة لا يعرفها ألا من عرف أخذ الذرية من ظهر آدم حين أشهدهم على انفسهم ألسنت بربكم فقالوا بلى وهي الفطرة التي ولد الناس عليها وإليها ينتهون وفي هذا الجمع قال الأرواح أجناد مجندة ولما جمعهم جمعهم في حضرة التمثيل فما كان وجهاً لوجه هناك تعارفوا هنا وما وقع ظهر الظهر هناك تناكر هنا وما بينهما من وجه إلى ظهر وجانب وغير ذلك وفي هذا أقول

في حضرة الجمع تبدو ثم تنصرف

وما تناكر منها فهو مختلف

ان القلوب لأجناد مجندة

فما تعارف منها فهو مؤتلف

وان كل أحد يقر بهذه الشهادة في الآخرة ولا ينكر ولا يدعي لنفسه ربوبية يقول تعالى "أذ تبرا الذين أتبعوا من الذين أتبعوا فكان صلى الله عليه وسلم أعظم مجلي الألهي علم به علم الأولين والآخرين ومن الأولين علم آدم بالاسماء وأوتي محمد صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم وكلمات الله لا تنفذ وله السيادة التي لا تبعد على الناس يوم القيامة فيشفع في الشافعين ان يشفعوا من ملك

ورسول ونبي وولي ومؤمن وله المقام المحمود في اليوم المشهود وأما اختياره مريم وآسية فهو ألحاقهما بالكمال الذي للرجال مع وجود الدرجة التي للرجال عليهن فان تلك الدرجة وجودية فلا تزول وأما اختياره السدرة فلالها موضع انتهاء أعمال العباد وموضع الفضل وبظلمها تستظل صور الأعمال وغشاها الله من الانوار ما غشى ألا ان تلك الانوار انوار الأعمال فلا يستطيع أحد ان ينعتها وتلك الانوار كما قلنا انوار الأعمال تنبعث من صورها فتغشاها فلا يستطيع أحد ان ينعتها فان النعت للأشياء تقييد وتمييز والأعمال تختلف ولها مراتب وانوارها على قدر مراتبها فعال وأعلى ومضى وأضوأ ونعت العالي يناقض الأعلى ونعت المضيء يقابل الأضوأ من حيث ما هو أضوأ فلا يتقيد بنعت لانك ان قيدتها بنعت أبطله لك نقيضه فما وفيتها حقها في النعته أذ لم تكن انوار الأعمال على درجة واحدة وقد غشيتها هذه الانوار وغطتها فلا يقدر أحد يصل إلى نعتها فهم وان أستظلوا بها فقد كسوها من ملابس الانوار ما فضلت به جميع الأشجار وهي طعام وغاسول ونبقها كالقلال منه ترزق أرواح الشهداء وأما اختياره البيت المعمور فلانه مخصوص بعمارة ملائكة يخلقون كل يوم من قطرات ماء نهر الحياة الواقعة من انتفاض الروح الأمين فانه ينغمس في نهر الحياة كل يوم غمسة لأجل خلق هؤلاء الملائكة عمرة البيت المعمور وهم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لا يعودون إليه أبداً وبقي السر في المكان الذي يعمرونه هؤلاء الملائكة وما ثم خلاء والعالم كله قد ملأ الخلافاً بحث عليه فانه علم جليل يوقفك على علم أستحالات الأعيان في الأعيان وتقلب الخلق في الأطوار فتعلم ان الله على كل شيء قدير لا على ما ليس بشيء فان لا شيء لا يقبل الشبهة أذ لو قبلها ما كانت حقيقته لا شيء ولا يخرج معلوم عن حقيقته فلا شيء محكوم عليه بانه لا شيء أبداً وما هو شيء فمحكوم عليه بانه شيء أبداً وأما اختياره الحجر الأسود فلانه انزله لبقيمه مقام يمينه في البيعة الأهلية أذ لم يكن في المعارف والعبادات أعظم ملازمة لما عرف ولما تعبد به من العبادات فالها فطرت على المعرفة والعبادة المحضة التي عجزت عنها حقيقة النبات والحيوان ولهذا ليس شيء منه في الانسان جملة واحدة فان جميع ما في الانسان يقبل النمو وهو للنبات كما ان الحيوان له التصرف في الجهات فكلما فارق موجوداً لمعدن التبس بصورة الدعوى بحقيقته فهي منازعة خفية لا يشعر بها كل عالم وقد نبه على بعض ذلك سهل وما وفي الأمر فيها ما هو عليه فلا أدري هل علم وأكتفى بما ذكر أو ما أطلعه الله في ذلك الوقت على أكثر مما ذكر والله أعلم فأختاره الله يميناً وأما اختياره من الانسان القلب وهو الذي وسعه لانه كل يوم في شان واليوم قدر نفس المتنفس في الزمان الفرد وبه سمي قلباً لتقلبه ألا تراه بين أصبعي الرحمن فما يقلبه ألا الرحمن ليس لغيره من الاسماء معه فيه دخول ولا يعطي الاسم الرحمن ألا ما في حقيقته فرحمته وسعت كل شيء فما من أمر تراه في تقلبه مما يؤدي إلى عناء وعذاب وشقاء ألا وفيه رحمة خفية لانه بأصابع الرحمن يقلب فان شاء أقامه وان شاء أزاعه عن تلك الإقامة فهو ميل أضافي فمال القلب إلى الرحمة بحكم سلطان هذا الاسم الذي قلبه في الزبغ كما قلبه في الإقامة فهي بشرى من الله إلى عباده "فيا عبادي الذين أسرفوا على انفسهم" وما ذكر سرفاً من سرف فعم جميع حالات المسرفين في السرف لا تقنطوا من رحمة الله فان الذي أزاعكم أصبع الرحمن "ان الله يغفر الذنوب جميعاً" وهو خير لا يدخله النسخ فيجمع بين قوله هذا وبين قوله "ان الله لا يغفر ان يشرك به" فيؤاخذ على الشرك ما شاء الله ثم يحكم عليه أصبع الرحمن فيؤل إلى الرحمن وأمر آخر من الزبغ مما دون الشرك يغفر منها ما يغفر بعد العقوبة وهم أهل الكبائر الذين يخرجون من النار بالشفاعة بعد ما رجعوا جماع كونهم ليسوا

بمشركين الايمان بذلك واجب ومنها ما يغفر ابتداء من غير عقوبة فلا بد من المال إلى الرحمة وأما اختياره من الأكوان الاجتماع فانه يعطي الأفتراق بالتمييز في عين الجمع فلا بد من رب ومربوب ومن قادر ومقدور فالجمع مختار لا بد منه لما تعطيه حقائق الاسماء

الألوية من التعلق وأما اختياره من الألوان البياض فلان الملونات كلها تستحيل إليه ولا يستحيل إليها بل بياضيته كامة فيه مستورة لحجاب اللون الذي يظهر في العين من سواد وحمرة وصفرة وغير ذلك فمنه ما يكون لوناً قائماً بالخل ومنه ما يكون لوناً في ناظر العين وليس كذلك في نفس المتلون كسواد الجبال البياض على البعد فإذا جثتها رأيها بياضاً وقد كنت تحكم عليها بالسواد وانت غلط في ذلك الحكم وصحيح في ظهور السواد به مصيب والكيفية في ذلك مجهولة وهذه المثابة زرقة السماء انما هي لنظر العين وان كانت في نفسها على لون يخالف الزرقة وأما اختياره من الملائكة الروح لانه المنفوخ فيه في كل صورة ملكية وفلكية وعنصرية ومادية وطبيعية وبها حياة الأشياء وهو الروح المضاف إليه وهو نفس الرحمن الذي يكون عنه الحياة والحياة نعيم والنعيم ملند به والإلتذاذ بحسب المزاج كما قلنا في مزاج المقرور ويتنعم بما به يتعذب المحرور فافهم ويكفيك تنبيه الشارع لو كنت تفهم بان للنار أهلاً هم أهلها وللجنة أهلاً هم أهلها وذكر في أهل النار انهم لا يموتون فيها ولا يحيون فهم يطلبون النعيم بالنار لوجود البرد وهذا من حكم المزاج وأما اختياره البراق من المراكب لكونه مركب المعارج فجمع بين ذوات الأربع وذوات الجناح فهو علوي سفلي كععض الحيوانات بري بحري وأما اختياره دعاء يوم عرفة فانه دعاء في حال تجريد وذلة وخضوع في موطن معرفة ليوم زمني لما فيه من الجمع بين الليل والنهار وأما اختياره "قل هو الله أحد" فلانها مخصوصة به ليس فيها ذكر كون من الأكوان إلا أحدية كل أحد انما لا تشبه أحديته تعالى خاصة وفي اتيانها في هذه السورة علم غريب لمن فتح الله به عليه فانه افتتح السورة بأحديته وختمها بأحدية المخلوقين فاعلم ان الكائنات مرتبطة به ارتباط الآخر بالأول لا ارتباط الأول بالآخر فان الآخر يطلب الأول والأول لا يطلب الآخر فهو الغني عن العالمين من ذاته ويطلب الآخر من مسمى الله المنعته بالأحدية فهذا قد نبهتكم على مآخذ هذا العلم الذي تحويه هذه السورة بالأحدية المتأخرة التي هي مع ارتباطها بالأول لا تماثلها لكونها تطلبه ولا تطلبها انتم الفقراء إلى الله والله الغني الحميد وأما اختياره من الآي الكرسى الآيات العلامات ولا شئ أدل على الشئ من نفسه وهذه آية الكرسى كلها أسمائه أو صفته لا يوجد ذلك في غيرها من الآيات فدل نفسه بنفسه "الله لا إله إلا هو" فنفي وأثبت بضمير غائب على إسم حاضر له مسمى غيب الحي صفة شرطية في وجود ما له من الاسماء القيوم على كل ما سواه بما كسب فانه أعطى كل شئ خلقه "لا تأخذه سنة ولا نوم" صفة تترية عما يناقض حفظ العالم الذي لولا قيوميته ما بقي لحظة واحدة له الضمير يعود عليه وهو ضمير غيب "ما في السموات وما في الأرض" ملكاً له وعبداً معين الحفظ لبقاء الحكم بالألوهة "من ذا الذي يشفع" شفعية الوتر بالحكم عنده ضمير غيب "إلا بأذنه" عدم الاستقلال بالحكم دونه فلا بد من أذنه إذ كان ثم شفيع أو شفعاء "يعلم ما في السموات وما في الأرض" من الشفعاء والمشفوع فيهم "يعلم ما بين أيديهم" وهو ما هم فيه "وما خلفهم" وهو ما يؤوولون إليه "ولا يحيطون بشئ من علمه" بالأشياء "إلا بما شاء" منها لا بكلها "وسع كرسيه" علمه "السموات والأرض" العلو والسفل "ولا يؤده" يثقله "حفظهما" لانه حفظ ذاتي معنوي وامداد غيبي وخلق دائم في سفلى وعلو وهو ضمير غيب "العلي" بغناه عن خلقه من ذاته "العظيم" في قلوب العارفين بجلاله فله الهيبة فيها فهي آية ذكر الله فيها ما بين إسم ظاهر ومضمير في ستة عشر موضعاً من هذه الآية لا تجد ذلك في غيرها من الآيات منها خمسة أسماء ظاهرة الله الحي القيوم العلي العظيم ومنها تسعة ضميرها ظاهر فهي مضمرة في الظاهر ومنها اثنان مضمران في الباطن لا عين لها في الظاهر وهما ضمير العلم والمشئنة وكذلك علمه ومشئته لا يعلمها إلا هو فلا يعلم أحد ما في علمه ولا ما في مشئته إلا بعد ظهور المعلوم بوقوع المراد لا غير

فلذلك لم يظهر الضمير فيها وأما اختاره يس من القرآن فلانها قلب القرآن ومن قرأها كمن قرأ القرآن عشر مرات والقلب أشرف

ما في الصورة الصادية كذلك السورة السينية وهي المترلة ولها من الأبراج بيت شرف الشمس وهو برج الأولية زمان الربيع اقبال
النشئ وظهور البدء وابتداء زينة عالم الطبيعة وتلطيف بخارات الانفاس التي كثفها زمان الشتاء لبرودة الجو كان يعطي الحمد في
البخارات الخارجة من المتنفسين عندما تخرج يكتفها ثم يردها ما وهو ما تجدد في يديك إذا تنفست فيه في زمان الشتاء من الندوة
وله الشؤون الإلهية التي لا يزال في كل نفس فيها جل جلاله وأما اختياره من الكلام القران وهو الذي له صفة الجمع وفي الجمع
عين الفرقان إذا الجمع دليل الكثرة والكثرة آحاد فهي عين الافتراق في عين الجمع فهو الفرقان القران وأما اختياره لا إله إلا الله فانه
ذكر عم النفي والاثبات وليس ذلك لغيره من الإذكار وأما اختياره الرضى من الأحوال فانه آخر ما يكون من الحق لأهل السعادة
من البشرى فلا بشرى بعدها فانها بشرى تصحب الابد كما ورد في الخبر وهي بشرى بعد رجوع الناس من الرؤية لا بل هي من
الله لهم في الكتيب عند الرؤية في الزور الأعظم وأما اختياره الجنة فانها دار بقاء السعادة والنظر الساترة لأهلها عن كل مكروه يكون
في الدار التي تقابلها وما يعطيه سلطان أسماء الانتقام وأما اختاره الرؤية فانها غاية البصر فاللذة البصرية لا تشبهها لذة فانها عين
اليقين في المعبود وأما اختياره من الأعداد التسعة والتسعين فانها وتر الاسماء الجامع بين الآحاد والعقد ان الله تسعة وتسعين اسماً مائة
إلا واحد من أحصاها دخل الجنة بمجرد الإحصاء حفظاً ولفظاً وإحاطة فان الله وتر يحب الوتر وأما اختياره الفرائض فلان نتيجتها
ان يكون العبد نعت الحق سمعه وبصره فان حب النوافل يعطي ان يكون الحق سمع العبد وبصره والنفل لا يكون إلى في الدرجة
النازلة عن الفرض فالفرض له الأولية ولا يتزل الحق إلى ان يكون سمعاً للعبد كما قال بما يقتضيه من الجلال فلا بد ان يتزل الله
بصفته وهو كون العبد صفة الحق للصورة التي خلق عليها فهي مقتطعة من الصورة الإلهية كما هي الرحم شجنة من الرحمن والفرض
القطع فإذا أداه ظهر له في ذلك انه صفة للحق فإذا تنقل كان صفة الحق له فتميز الفرض من النقل وكانت الدرجة العليا للفرض
ولولا ما أعطى الفرض ذلك ما ثبت ان يقول جعت فلم تطعمني وانا أشد شوقاً إلى لقاء عبدي يريد إياه أقرب إلينا من حبل الوريد
وما ترددت في شئ انا فاعلة وأمثال هذا من الأخبار الإلهية وأما اختياره ليلة القدر فان الأمور لا تتميز إلا باقدرها عند الحق
والحق غيب فختص القدر بالليلة لان الليل ستر كما يستر الغيب وأما اختياره من الأيام يوم الجمعة لان فيه ظهرت صورتان وجعل
الله ذلك اليوم اليوم للصور وهو الشهر الخامس لمسقط النطفة وهو يوم مؤنث لها الزينة وتما الخلق واختار الله فيه ساعة من ساعاته
هي كالنكتة في المرأة وهو موضع صورة المتجلي من مرآة اليوم فيرى فيها نفسه وعلى الصورة الظاهرة بين المرأة والناظر فيها يقع
الخطاب والتكليف وبها تحدث أسماء الإشارات من ذا وذان وتاونان وأولاء وأسماء الضمائر مثل هو وهي وهما وهم وهن وك وكما
وكم وكن وانت وانتما وانتم وانتن وياء ضمير المتكلم المؤثرة في انيته ان لم تحفظها نون الوقاية ولا بد لها من تأثير أما في
الانية أو في نون الوقاية لا بد لها من ذلك ولهذا نون الوقاية له الفتوة والإيثار من عالم الحروف ولهذا سميت نون الوقاية فلها مترلة
لكاف من قوله أعوذ بك ولنا فيها

من الوجود سوى صوم وخلق

فما لنا غيره في اللفظ من واق

من المكان فهو الدائم الباقي

نون الوقاية نون ليس يشبهها

له الفتوة والإيثار نشأته

شطر الوجود له من نعت خالقه

وأما اختياره الثلاثة القرون على الترتيب فان الأول من ذلك لظهور محمد صلى الله عليه وسلم غيباً وشهادة فسن الشريعة بنفسه ونسخ ما كان سنة نوابه بوجوده وقرر منه ما قرر وأقر الايمان بجميعه ما نسخ منه وما لم ينسخ وهذا هو القرن الأول ثم اثنان بعده والكل أهلفتح وظهور بمثلة الثلاث الغرر من كل شهر يقول صلى الله عليه وسلم يغز وفتام من الناس فيقال هل فيكم من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون نعم فيفتح لهم وهذا هو القرن الأول ثم يغز وفتام من الناس فيقال هل فيكم من رأى من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون نعم فيفتح لهم وهذا هو القرن الثاني ثم يغز وفتام من الناس فيقال هل فيكم من رأى من رأى من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون نعم فيفتح لهم وهذا هو القرن الثالث وما زاد صلى الله عليه وسلم على هذا وذاك انه ما ثم سوى الحضرة الإلهية وهي عبارة عن الذات والصفات والأفعال فهذا معنى خير القرون فبعناية القرن الأول فتح للجميع وهي ذات رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطت قوة نوره وسلطان ظهوره الإلهي لمن رآه أو رأى من رأى من رأى من رآه فهو قوله خير القرون قرني ثم الذين يلوني ثم الذين يروهم وانما شبهناهم بثلاث الغرر من الشهر وجعلنا زمان دعوته مشبهة بالشهر لانهم اختلفوا في القرن ما قدره من الزمان فمن جملة أقوالهم ان القرن ثلاثون سنة فلهذا انزلنا الثلاثة القرون من زمان دعوته إلى يوم القيامة منزلة شهر وجعلنا الثلاثة القرون كالثلاث الغرر منه وأما اختياره الصوم فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لشخص سأله عليك بالصوم فانه لا مثل له فنفي المثلية عن الصوم فأشبهه ليس كمثله شئ وقال الصوم لي وجميع العبادات كلها للانسان إذ كان الصوم صفة تتزيه ولا ينبغي التزيه إلا له تعالى وأما اختياره من الشهور شهر رمضان فلمشاركته في الاسم فان رمضان من الاسماء الإلهية فتعينت له حرمة ما هي لسائر شهور السنة فيظهر في كل شهر من شهور السنة فيحصل لكل يوم من أيام السنة حظ منه فان أفضل الشهور عندنا شهر رمضان ثم شهر ربيع الأول ثم رجب ثم شعبان ثم ذوالحجة ثم شوال ثم ذوالقعدة ثم المحرم وإلى هنا انتهى علمي في فضيلة الشهور القمرية وأهم على ترتيب الفضل فيما بقي من شهور السنة القمرية وذلك شهر صفر وربيع الآخر وجمادى الأولى وجمادى الآخرة وما عندي علم بترتيب الفضيلة في هؤلاء أو هي متساوية في الفضل وهو الغالب على ظني فانه أظهر ذلك وما تحققت فلم يتمكن لي ان أقول ما ليس لي به علم وأما اختياره من الأركان ركن الماء لانه من الماء جعل كل شئ حي حتى العرش لما خلقه ما كان الأعلى الماء فسرت الحياة فيه منه فهو الركن الأعظم كما قال الحج عرفة وان كان سبب الحياة أشياء معه ولكنه الركن الأعظم من تلك الأشياء وأما اختياره من الأفلاك العرش لان له الإحاطة بجميع الأجسام والله بكل شئ محيط وله الأولوية في الأفلاك فما تحتها فهو الأول المحيط فاختره للاستواء لما بين الصفتين فان كان عرش الملك فأحرى ان يكون هو من غير اختيار لانه ما ثم إلا الله وملكه وكل شئ ما سواه ملكه وقد ورد تمييزه عن غيره فتعين ان يكون مختار الأولوية والإحاطة لان السموات والأرض في جوف الكرسي كحلقة في فلاة والكرسي في جوف العرش كحلقة في فلاة واختار من العباد الملائكة فانهم مخلوقون من النور فأجسامهم نورية بالأصالة فهم أقرب نسبة من سائر المخلوقات إلى النور الإلهي ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ان يجعله الله نور لما يعرف من ظلمة الطبيعة واختار من الأئنيات العماء فكان له قبل خلق الخلق ومنه خلق الملائكة المهمة فهيهما في جلاله ثم خلق الخلق فشغلهم هيماهم في جلال جماله ان يروا سواه فهم الذين لا يعرفون ان الله خلق أحداً ما أشرفها من حالة فجعل العماء أئنية له والعرش مستوى له والسماء الدنيا التزوله والأرض لمعيته فهو معناً أينما كنا واختار من الناس الرسل ليلبغوا عن الله ما هو الأمر عليه فانه ما أخرجهم إلا للعلم به لانه أحب ان يعرف فتعرف إليهم بالرسول بما بعثهم

به من كتب وصحف فعرفوه معرفة ذاتية كما عرفوه بالعقول التي خلق لهم وأعطاهها قوة النظر الفكري فعرفوه بالدلائل والبراهين معرفة وجودية سلبية لم يكن في قوة العقل في استقلاله أكثر من هذا ثم بعد ذلك جاءت الرسل من بعده بمعرفة ذاتية فعبد الخلق الإله الذي تعرف إليهم بشرعه إذ العقل لا يعطي عملاً من الأعمال ولا قرب من القرب ولا صفة ذاتية ثبوتية للحق وما حظ العقل من الشرع مما يستقل به دليله إلا ليس كمثل شئ على زيادة الكاف لا على اثباتها صفة فاختار الرسل لتبليغ ما لا يستقل العقل بادراكه من العلم بذاته وبما يقرب إليه من الأعمال والتروك والنسب واختار من الاسماء إسم الله فأقامه في الكلمات مقامه فهو الاسم الذي ينعت ولا ينعت به فجميع الاسماء نعته وهو لا يكون نعتاً ولهذا يتكلف فيه الإشتقاق فهو إسم جامد علم موضوع للذات في علم الكلمات والحروف لم يتسم به غيره جل وعلا فعصمه من الإشتراك كما دل ان لا يكون ثم إله غيره فهذا قد ذكرنا من الاختيارات الإلهية ما يخرج مخرج التنبيه للعقول الغافلة عماد عيت إليه من الاعتبار والاستبصار ولم نستوفي الأمر حده لانا ما نعرف بطريق الإحاطة تفصيل ما خلق الله من الموجودات وان كنا نقدر بما أقدرنا الله على حصر الموجودات فيدخل في ذلك كل شئ ونحن ما تصدينا في هذا إلا لمعرفة آحاد ما اختاره واصطفاه من كل نوع نوع من المخلوقات المحصورة في الوجود القائمة بنفسها والمتحيزة وغير المتحيزة من القائمة بنفسها وغير القائمة بنفسها والنوع الذي لا يقبل التحيز إلا بالتبعية وما تألف من ذلك وما لم يتألف وانحصرت أقسام العالم والموجودات فيما ذكرناه وثم تفصيل نسبي يمكن ان يستقل به العقل وهي مفاضلة الأشياء بعضها على بعض بتميز مراتبها وانفعال بعضها على بعض وتأثير بعضها على بعض وتوقف بعضها على بعض ولكن مفاضلة القرب الإلهي بطريق العناية بهم لا بما تعطيه حقائقهم لا يكون ذلك إلا بتعريف الله إيانا بما يعطيه في قلوبنا من علوم الإلهام أو بما يبلغنا من ذلك في الكتب المتزلة والإخبارات النبوية وأما طريق آخر غير ذلك فما هو ثم فالسنن الدلالات العقلية لأنها طرق وفرائض هي التعريفات الشرعية بما هو الحق تعالى عليه بالنسبة إليه وبالنسبة إلى خلقه فاعبدوا الله عباد الله على النعت الذي وصف به نفسه في كتابه أو على لسان السنة رسله من غير زيادة ولا نقصان ولا تأويل يؤدي إلى تطفيف أو رجحان بل سلم إليه جل جلاله ما وصف به نفسه وان استحال أو تناقض فذلك لقصورنا وجهلنا بما هو الأمر عليه وقد وفينا ما أعطته القوة العقلية النظرية من العلم في وجوده وبصدق المبلغين عنه تعالى ما انزله على عبيده قلنا القبول من دون اعتراض ولو تناقض الأمر واستحال فما هو للعقل مجهول بالذات كيف يدخله فيما يرجع إلى ذاته في وجوب أو جواز أو استحالة فلا يتعدى العقل حقه ويسلم إليه سبحانه ما انزله وعرفنا به مما هو عليه فان الله يقول الحق وهو يهدي السبيل فلنا الايمان به وبما جاء من عنده على علمه في ذلك في كتاب وعلى لسان رسول الله يوفقنا للوقوف عند ذلك فانه لا يهلك على الله إلا هالك انتهى الجزء الخامس والتسعون

الباب الحادي والتسعون في معرفة الورع وأسراره

مهما أنتك وماله وجهان

وتركته ورعاً فمن نقصان

وتبين النقصان في الايمان

ورع الطريقة في اجتناب محارم

فاذا أتاك مخلصاً لجلاله

لما جهلت الأمر قلت بعكسه

الورع اجتناب وهو في الشرع اجتناب الحرام والشبه لا اجتناب الحلال قال صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك إلى ما يريبك في هذا الباب وهذا عين ما قلناه وهذا الحديث من جوامع الكلم وفصل الخطاب وقال بعضهم ما رأيت أسهل علي من الورع كل كل ما حاك له شيء في نفسي تركته عملاً بهذا الحديث فأما الحرام النص فمأمور باجتنابه لانه ممنوع تناوله في حق من منع منه لا في عين الممنوع فان ذلك الممنوع بعينه قد أبيع لغيره لكون ذلك الغير على صفة ليست فيمن منع منه أباحت له تلك الصفة بإباحة الشارع فلهذا قلنا لا في عين الممنوع فانه ما حرم شيء لعينه جملة واحدة ولهذا قال تعالى إلا ما اضطررتم فعلمنا ان الحكم بالمنع وغيره مبناه على حال المكلف وفي مواضع على إسم الممنوع فان تغير الاسم لتغير قام بالحرم تغير الحكم على المكلف في تناوله أما بجهة الإباحة أو الوجوب وكذلك ان تغير حال المكلف الذي خوطب بالمنع من ذلك الشيء واجتنابه لأجل تلك الحال فانه يرتفع عنه هذا الحكم ولا بد وإذا كان الأمر على هذا الحد فما ثم عين محرمة لعينها وأما اجتناب الشبهة فالشبهة التي هي وجه إلى الحرام ووجه إلى الحل على السواء من غير تغليب فليس اجتنابها بأولى من تناولها ولا تناولها بأولى من اجتنابها فالورع يترك تناولها ترجيحاً لجنب الحرمة في ذلك وغير الورع لا يترك ذلك فيبينهما هذا القدر وأما ترك ما لا يشبهة فيه فذلك الحلال المحض فان تركه أعني ترك الفضل منه لانه لا يصح إلا ترك الفضل منه فذلك الترك زهد لا ورع فان الزهد في الحرام والشبهة ورع والترك في الحلال الفاضل زهد وأما غير الفاضل وهو الذي تدعو إليه الحاجة فالزهد فيه معصية وما بقي إلا توقيت الحاجة إلى ذلك وما حد الفاضل منه الذي يصح فيه الزهد فنذكر ذلك في باب الزهد ان شاء الله والورع من المقامات المشروطة ويستصحب العبد ما دام مكلفاً ولا يتعين استعماله إلا عند وجود شرطه وهو عام في جميع تصرفات المكلف ما هو مخصوص بشيء من أعماله دون شيء بل له السريان في جميع الأعضاء المكلفة في حركاتها وسكونها وما ينسب إليها من عمل وترك وقد قيل ان للورع حكماً في الأسرار والأرواح وليس ذلك بصحيح في الورع المشروع فان الشبهة في المعاني والمعارف والأسرار مستحيلة عند العارفين وانما تكون الشبهات في العلوم النظرية الحاصلة بالأدلة العقلية فأولئك يجب عليهم الورع في النظر الفكري حتى يخلصوه من النظر المحرم كالنظر في الذات الإلهية ويخلصوه من الشبهة كالنظر لله أو للسمعة فيخفى على بعض النفوس ذلك لشرف العلم فيتخيل انه يطلبه لله وهو يطلبه للدنيا أو لغير الله فيجتنب نية ذلك الطلب لا يجتنب العلم فان طلب العلم ليس بمحرم عليه فمتعلق التحريم تلك النية الفاسدة وهنا نظر هل تقدر تلك النية في

فضل طلب العلم أو يبقى طلب العلم على فضله يعطي حقيقة سعادته في الآخرة وتكون العقوبة على مجرد النية في ذلك وهو الذي نعتد عليه في باب تحقيق الموازنة الإلهية فمن قال الكون كله شبهة وبه نقول فليس ذلك كما يتوهمه السامع وإنما الصورة الرحمانية أدت إلى هذا القول ومثل ذلك لا يتورع فيه ولا يجتنب فانك لا تعرف منه إلا أنت فإن انتقلت عنك فقد جهلت ذاتك ومن أوجدك فانه قال من عرف نفسه عرف ربه فالورع في هذه الشبهة محال بل ينبغي أن تتناول من حيث انها شبهة فذلك محال الذي يلحقها فانها لا تخلص لأحد الطرفين أبداً وهذا بحر هلك فيه أكثر العقول وأكثر العارفين إلا من رحم الله وركب سفينة نوح نجاته والجامع لباب الورع أن تجتنب في ظاهره وباطنه وجميع أعمال أعضائك المكلفة كل عمل وترك لا يكون على الله على الحد المشروع فيه المخلص له الذي لا شبهة تضره ولا تقدح فيه فهذا اللام الذي في الله هي الرابطة لهذا الباب وكل مقام في طريق الله تعالى فهو مكتسب ثابت وكل حال فهو موهوب غير مكتسب غير ثابت إنما هو مثل بارق برق فإذا برق إما يزول لنقيضه وإما أن تتوالى أمثاله فان توالى أمثاله فصاحبه خاسر وكل مقام فإما إلهي أو رباني أو رحماني غير هذه الثلاث الحاضرات لا يكون وهي تعم جميع الحضرات وعليها يدور الوجود بها تنزلت الكتب وعليها ترتقي المعارج والمهيمن عليها ثلاث أسماء إلهية الله والرب والرحمن من حكم إسم ما من الاسماء الإلهية ينعت به في ذلك الوقت أحد هذه الاسماء الثلاثة

ويكون حكمه بحسب مقام هذا العبد المحكوم عليه والمؤثر فيه من حيث ما هو مسلم أو مؤمن أو محسن وآثاره في عالم ملك العبد أو في عالم جبروته أو في عالم ملكوته وعمله فيه إما بحكم الإطلاق وهو العمل الذاتي وإما بحكم التقييد وهو عمل الصفة وحكمه بعمل الصفة إما بصفة تنزيه وسلب وإما بصفة فعل هذا هو الضابط للمقامات وأحوالها سواء عرفه السالك أو لم يعرفه فانه لا يخلو من هذه الأحكام كل كون لكنه لا يعرف ذلك كل أحد فأقول أن الورع له مقام ولمقامه حال وهو مشروط كما ذكرنا وينتهي بانتفاء التكليف فأما مقام الورع فهو التقييد بصفة التنزيه لأن حقيقته الاجتناب وهو إلا هي وصاحبه مجهول لا يعرف وحاله وحاله أن يكون صاحب علامة في نفسه أو في المتورع فيه والاسم الله ينظر إليه دائماً فينظر إليه في عالم ملكه من حيث ما هو مسلم فيؤثر في أفعاله وكما ظهر على جوارحه فيجتنب كل ما يقدح في حصول هذا المقام وينظر إليه في عالم جبروته من حيث ما هو مؤمن فيؤثر فيه فلا تكذب له رؤيا جملة واحدة ويجتنب في خياله كما يجتنب في ظاهره لأن الخيال تابع للحس ولهذا إذا احتلم المرید برؤيا عاقبه شيخه ألا ترى أنه ما احتلم نبي قط ولا ينبغي له ذلك ولا العارفون بالله ذوقاً فإن الاحتلام برؤيا في النوم أو في التصور في اليقظة فأنما هو من بقية طبيعته في خياله وهو كذب فانه يظن أنه في الحس الظاهر وقد قلنا أن الورع يجتنب الكذب فلو أجنبه في الحس لأثر في خياله فإذا رأيت صاحب مقام الورع يغتسل من نوم فذلك لما خرج منه وهو نائم لضعف الأعضاء الباطنية وهو مرض طراً في مزاجه لا عن رؤية أصلاً في حلال ولا حرام وأما إذا نظر إليه في عالم ملكوته فأثره فيه اجتناب التأويل فيما يرد عليه من المخاطبات الإلهية والتجلي الإلهي إذا كان كل ذلك في السور فلا يعبر ما رآه ولا يتأول ما خوطب به فانه كله إلهي وكل إلهي مجهول كما أن الورعين مجهولون لأنه اجتناب وترك ولا يتميز الأمر من خارج إلا بالفعل فان نطق الورع بما ينبغي أن يجتنب ذلك الأمر ولأجله اجتنابه فقد أحل بمقام الورع فان مقامه أن يكون مجهولاً وقد عرف بانه ورع فزال عنه حكم مقامه بل ما كان قط في مقام الورع وورعه في اجتنابه معلول فلا يسلم له وأما الرباني والرحماني فعلى هذا الجرى سواء فخذوه واعمل عليه ترى عجباً فقل أن تجده في غير هذا الكتاب فان أكثر الناس بل ربما كلهم ما أبانوا عن هذه المقامات والأحوال بما يعطيه تفصيل الوجود وان كانوا يعرفونها فأنهم اتكلوا في ذلك على أن السالك إذا دخل وصدق في التوجه أبينت له الأمور على ما هي عليه فيعرف حاله

الباب الثاني والتسعون في معرفة مقام ترك الورع

شفاعة الانسان تؤذن بالورع

والوتر فيها موجب ترك الورع

العين واحدة إذا حققتها

مضت المطامع فانقضى حكم الطمع

ما تطلب الأعمال عين وجودها

إلا لضعف في البصائر أو صدع

لما كانت الأمور كلها لها أربعة أحكام حكم ظاهر وحكم باطن وحكم حد وحكم مطلع وكان الورع يحكم على ظاهر صاحبه وباطنه بالحد فأبان له هذا العمل وجه الحق في كل شئ وهو المطلع فاطلع فما وقعت عينه على الأشياء وانما وقعت عينه على وجه الحق فيها الذي ارتبطت في وجودها به والذي ظهرت عنه فاقتضى حاله ترك الورع لانه لا ينبغي ان يجتنب رؤية وجه الحق في الأشياء وما هو من حكم ما لا ينبغي فان العبد لا يقدر ان يدفع عن نفسه التجلي إذا كان حقيقة فهو محكوم عليه به ولست أعني بقولي ترك الورع ان صاحبه يتناول الحرام أو الشبهة بعد علمه بذينك هذا لا يقول به أحد وانما صاحب هذا المقام يتناول الأشياء بحسب ما خاطبه به الشرع فلا يأكل إلا حلالاً ولا يتصرف إلا حلالاً فان العلامة أزالها الحق عنه برؤية الوجه والورع بغير علامة سوء الظن بالناس وحاشى أهل الله ولا سيما أصحاب مشاهدة الوجه ان يسيؤوا الظن بعباد الله أو يخطر شئ من قبائحهم ببال صاحب هذا الحال المتمكن في مقامه ولقد لقي بعض أصحابنا بعض الأبدال في سياحته فأخذ يذكر له ما هم الناس عليه من فساد الأحوال في الملوك والولاة والرعايا فغضب البذل وقال له مالك وعباد الله لا تدخل بين السيد وعبده فان الرحمة والمغفرة الإحسان لهؤلاء يطلبون أتريد ان تبقى الإلهية معطلة الحكم أشغل بنفسك وأعرض عن هذه الأشياء وليكن نظرك إليه تعالى وشغلك بالله ولقد اتفق لي في بدايتي وما ثم إلا بداية وأما النهاية فمقولة غير معقولة دخلت على شيخنا أبي العباس العربي وانا في مثل هذا الحال وقد تكدر على وقتي لما أرى الناس فيه من مخالفة الحق فقال لي صاحبي عليك بالله فخرجت من عنده ودخلت على شيخنا أبي عمران الميرتلي وانا على تلك الحالة فقال لي عليك بنفسك فقلت له يا سيدنا قد حرت بينكما هذا أبو عباس يقول عليك بالله وانت تقول عليك بنفسك وانتما إمامان دالان على الحق فبكى أبو عمران وقال لي يا حبيبي الذي ذلك عليه أبو العباس هو الحق وإليه الرجوع وكل واحد منا ذلك على ما يقتضيه حاله وأرجو ان شاء الله ان يلحقني بالمقام الذي أشار إليه أبو العباس فاسمع منه فهو أولى بي وبك فما أحسن انصاف القوم فرجعت إلى أبي العباس وذكرت له مقالة أبي عمران وقال لي أحسن في قوله هو ذلك على الطريق وانا دلتك على الرفيق فاعمل بما قال لك وبما قلته لك فتجمع بين الرفيق والطريق وكل من لا يصحب الحق في سفره فليس هو على بينة من سلامته فيه وكل من تورع بغير علامة له من الله في الأشياء وما ثم حكم معين في ذلك الأمر من رؤية معاملة خاصة مشاهدة في الوقت تقتضي الحرام أو الشبهة فصاحب هذا الورع مخدوع مقطوع به عن الله فان حاله سوء الظن بعباد الله فباطنه مظلم وخلقه سيء فهو ولا شئ في حكم واحد بل لا شئ أحسن منه فينبغي للانسان ان يتحفظ إذا أراد ان يكون ورعاً كما أوجب الله عليه بان يتحقق ويكون على بصيرة فيما يتورع وهذا قليل العلم به لمن لا علامة له لان الانسان لو رأى انساناً على مخالفة حق مشروع وفارقه لحظة ثم رآه في اللحظة الأخرى وحكم عليه بالحالة الأولى فما وفي الإلهية حقها ولا الأدب مع الله حقه وكان قرين ابليس حليف الخسران سيء الظن بالله وعباده وكان ورعه مقتاً والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الثالث والتسعون في الزهد

الزهد تركمحل ومحل

ومحل فازهد فزهدك ازهد

والترك شئ لا وجود لعينه

وله لسان في الشريعة يحمد

في الزهد تعظيم الأمور وماله

عند المحقق قيمة لا تجدد

الزهد لا يكون إلا في الحاصل في الملك والطلب حاصل في الملك فالزهد في الطلب زهد لان أصحابنا اختلفوا في الفقير الذي لا ملك له هل يصح له إسم الزاهد أو لا قدم له في هذا المقام فمذهبنا ان الفقير متمكن من الرغبة في الدنيا والتعمل في تحصيلها ولو لم يحصل فتركه لذلك التعلل والطلب والرغبة عنه يسمى زهداً بلا شك وذلك الطلب في ملكه حاصل فلهذا حددناه بما ذكرنا ولقد فاضت في هذه المسئلة جامعة من أهل الله فأكثرهم قال بقولنا وسبب ذلك ان صاحب الذوق لا بد ان يرى لتركه طلب الدنيا والرغبة فيها أثراً إلهياً في قلبه فلو لم يكن للأمر وجود عند الله واعتبار ما صح ان يكون له أثر في التجلي الإلهي لصاحب هذا الحال وهو الصحيح فلنقل ان للزهد الذي ذكرناه مقاماً وحالاً فمقامها إلهي مطلق وهو زهده في كل إسم إلهي يحول بينه وبين عبوديته والرباني مقيد بصفة التزيه عن حكم هذا الاسم عليه والرحماني هو صرفه على ما يستحقه أعني هذا المجهود فيه فإما في الملك من كونه مسلماً فالزهد في الأكوان وهو الحجاب إلا بعد الأقصى وأما في الجبروت من كونه مؤمناً فالزهد في نفسه وهو الحجاب الأدنى الأقرب وأما في الملكوت من كونه محسناً فالزهد في كل ما سوى الله وهنا يرتفع الحجاب عند الطائفة قال أبو يزيد الأكبر ليس الزهد عندي اني كنت زاهداً ثلاثة أيام أول يوم زهدت في الدنيا واليوم الثاني زهدت بالآخرة واليوم الثالث زهدت في كل ما سوى الله فناداني الحق ماذا تريد فقلت أريد ان لا أريد لاني انا المراد وانت المرید وقد انتقد عليه هذا القول بعض أهل الطريق وجهل مقام أبي يزيد في ذلك وقد تكلمنا على قصده بهذا القول وبيننا فساد هذا القول أعني قول المعارض عليه في غير هذا الموضع وهو من المقامات المستصعبة للعباد ما لم ينكشف له فإذا كشف الغطاء عن عين قلبه لم يزهد ولا ينبغي له ان يزهد فان العبد لا يزهد فيما خلق له ولا يكون زاهداً إلا من يزهد فيما خلق من أجله وهذا لا يصح كونه فالزهد من القائل به جهل في عين الحقيقة لانه ما ليس لي لا اتصف بالزهد فيه وما هو لي لا يمكنني الانفكاك عنه فأين الزهد فلنقل صاحب هذا الحكم هذا هو الزهد الذي يستحق هذا الاسم ولنا في هذا النظام الزهدي نظم

العييب منك وانت لا تدري

فالزهد مثل صلاة الوتر

وسراج نفسك نوره متعلق

بجميع ما في الكون من أمر

فاطف السراج يزول كل تعلق

فالزهد فيك كليله القدر

هي من غروب الشمس حتى تنتهي

بالحكم فيك كمطلع الفجر

يقول لو رأيت الحق لم ترهد فان الله ما زهد في الخلق وما ثم تخلق إلا بالله فبمن تتخلق في الزهد انظر إلى هذا المعنى فانه دقيق جداً

الزهد ترك وترك الترك معلوم

بانه مسك ما في الكف مقبوض

الأرض قبضته وهو الغني فأبي

ن الترك فهو محال فيك مفروض

لا ينعم الحق بالنعما فانت لها

وقد زهدت فهذا اللفظ تعريض

فالزهد ليس له في العلم مرتبة

وتركه عند أهل الجمع مفروض

اعلم ان ترك الترك امساك والزهد ترك وترك الزهد ترك الترك فهو عين رجوعك إلى ما زهدت فيه لان العلم الحق ردك إليه والحال يطلبه فما له حقيقة في باطن الأمر لكن له حكم ما في الظاهر فيصح هذا القدر منه وبقي هل يقع الإمساك الذي هو ترك الزهد عن رغبة في الممسوك أو لا عن رغبة فاختلفت أحوال الناس فيه فمن أمسك لا عن رغبة فهو زاهد أمين على امساك حقوق الغير حتى يؤديها إلى أربابها في الأوقات المقطرة المقررة وقد يكون عن كشف وعلم صحيح بأعيان أصحابها وقد لا يكون غير انه لا يتناول منها شيئاً في حق نفسه إذ كان بهذه المثابة ومن أمسك عن رغبة الممسوك وهم رجالان الواحد راجع عن مقام الزهد بلا شك لمرض قام به في نفسه فهذا ليس بشئ والرجل الآخر وهم الانبياء والكمال من الأولياء فامسكوا باطلاع عرفاني انتج لهم أمراً عشقه بما في الإمساك من المعرفة والتحلي بالكمال لا عن بخل وضعف يقين أرسل الله على أيوب رجل جراد من ذهب فسقط عليه فأخذ يجمعه في ثوبه فاوحى الله إليه ألم أكن أغنيتك عن هذا قال لا غنى لي عن خيرك فانظر ما أعطيته معرفته وما زهد من زهد إلا لطلب الأكثرية فزهد في الأقل قل متاع الدنيا قليل فأين الزهد فما تركوا الدنيا إلا حذاراً ان يزرأهم في الآخرة فهذا عين الطمع والرغبة فيما يتخيل فيه انه زهد وهذا هو مقام ترك الزهد وأما حاله فالزهد في الدنيا ولهذا لا يثبت

الباب الخامس والتسعون في معرفة أسرار الجود وأصناف الأعطيات

مثل الكرم والسخاء والإيثار على الخصاصة وعلى غير الخصاصة والصدقة والصلة والهدية والهبة وطلب العون وتركه

رتب العطاء كثيرة لا تحصر

وبها على أعدائنا نستنصر

بالجود صح وجودنا في عيننا

بل نحن منه على الحقيقة مظهر

فصل الجود عن الجود صدر الوجود والجود بفتح الجيم المطر الكثير وهو مقلوب وجد مثل جذب وجذب فحروفهما واحدة بالأشتراك في المعنى فمتعلق الجود من الحق في الأعيان التي هي المظاهر ظهوره فيها ومتعلق الجود من المظاهر على الظاهر ما جادت به عليه باستعدادها الذاتي من الثناء بالاسماء الإلهية التي كسبه جودها من وجودها فالجود من الحق امتنان ذاتي والجود من الأعيان ذاتي لا امتنان في هذا الفرق بين الجودين وهذا معنى قولهم في الجود انه العطاء قبل السؤال فصل الكرم وأما عطاء الكرم فهو العطاء بعد السؤال وهو على نوعين سؤال بالحال وسؤال بالمقالة فسؤال الحال عن كشف من الطرفين وسؤال المقال من العبد معلوم يا رب يا رب اعطني واغفر لي ارحمني اهديني ارزقني اجبرني عافني واعف عني لا تخزني لا تفتني وأمثال ذلك وسؤال الحق ادعوني أقم الصلاة لذكرى أقيموا الوزن بالقسط لا تخسروا الميزان لا تكونن من الجاهلين وكل طلب تصور من الحق يطلبه من عباده وهي الفرائض كلها فمن الكرم تؤدي الفرائض ومن الجود تكون النوافل إلا لمثل رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها من الجود فهي

تلحق بالفرائض وكون ذلك نافلة أخبار صادق قال تعالى "ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً فصل
السخاء ورد في حديث أبي بكر النقاش في مواقف القيامة إسم السخي على الله وهو مذكور في هذا الكتاب في باب الجنة منه وأما
عطاء السخاء فهو العطاء على قدر الحاجة وذلك عطاء الحكمة فهو من إسمه الحكيم فسخاء الحق قول موسى "ربنا الذي أعطى كل
شئ خلقه وكل شئ عنده بمقدار ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء وما ننزل إلا بقدر معلوم
وأما سخاء العبد فأطاؤه كل ذي حق حقه وانصافه فلنفسه عليه حق ولأهله عليه حق ولعينه عليه حق ولزوره عليه حق
فصل الإيثار أما الإيثار فليس للحق منه صفة إلا بوجه بعيد في ذكره سوء أدب بل ما هو حقيقة فتركه أولى وما ذهب إليه إلا من
لا علم له ولا أدب من أهل الشطح فلنقل ان الإيثار قد يكون عطاء محتاج لمحتاج وقد يكون على الخصاصة ومع الخصاصة أوتوهم
الخصاصة وأما في جانب الحق فهو إعطاؤه الجوهر الوجود لخلق عرض من الأعراض لتعلق الإرادة بإيجاده لا بإيجاد المحل فيوجد المحل
تبعاً ضرورة أذ من شرط وجود العرض وجود المحل والجوهر محتاج فيما أعطاه الحق من خلق العرض فيه أذ لا يكون له وجود ألا
بوجود عرض ما وسواء كان الجوهر متحيزاً أو غير متحيز ومؤلفاً مع غيره أو غير مؤلف فهذا عطاء على خصاصة مع خصاصة
وأما على غير الخصاصة فهو أتصاف العبد في التخلق بالاسماء الألهية وأتصاف الحق في نزوله بأوصاف المحدثات وهذا كله واقع قد
ظهر حكمه في الوجود وتبين فصل الصدقة فقد ذكرنا ذلك في باب الزكاة وهي ههنا تصدق الحق على العبد بأبقاء عينه في الوجود
بإيجاده أولاً مع علمه بانه إذا أوجده يدعى الألوهية ويقول انا ربكم الأعلى ولا بد من إيجاده لما سبق في العلم والصدقة من العبد
على الحق فان العبد يجد في نفسه عزة الصورة ومع هذا يقر بالعبودية لعزة الله وأيضاً هي ما يظهر من الحامد المحدث التي لا تصح لله
ألا بعد وجود المحدث وهو كل ما سوى الله وانما سميت صدقة لان العبد المختار في محامد الله في نفسه فانه قال تعالى في حقه لما بين
له السبيل إلى سعادته أما شاكراً وأما كفراً فانه ذو اختيار في أفعاله ولهذا يصح منه القبول والرد ويعاقب ويثاب وعلى هذا أقام
أصل الجزاء من الله تعالى لعباده فصل عطاء الصلة وأما عطاء الصلة فهي لذوي الأرحام حقاً وخلقاً يقول تعالى الرحم شجنة من
الرحمن من وصلها وصله الله ومن قطعها قطعته الله فنسبتها للحق نسبتهما للعبد فالرحمن رحم لنا ونحن رحم للرحمن فصل عطاء
الهدي وهو عطاء عن بيان ولهذا أشرت في حروف الهدى لانه بالهدى أهدي فهدي الحق للعبد نفسه وهدي العبد للحق رد تلك
النفس إليه بخلة تكسبه محبة ربه فأتبعوني يحببكم الله فصل عطاء الهبة وهو من الحق أعطاء لينعم لا يقترن معه طلب جزاء ومن العبد
عمله لحق الربوبية لا للجزاء فصل وأما طلب العوض وتركه فمن الحق قوله صلى الله عليه وسلم "حبوا الله لما يغذوكم به من نعمه
وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم" ومن العبد هو ما يطلبه من الجزاء على الذي وعده الله به أجري الأعلى الله فصل وأما ترك طلب
العوض فمن الحق انه العامل ولا يتصور من المالك إذا كان هو العامل ان يطلب مه هو عنده فان الحاصل لا يبتغي ومن العبد فانه لا
يرى نفسه عاملاً فما فعل شيئاً يطلب بذلك الفعل عوضاً من الله حيث أعطاه من نفسه فهذه فصول محققة نهناك بما على ما هو
الأمر عليه وتفصيلاً كما تبدو لك مع الانات في نفس سلوكك وهذا كله مقام ألهي في الحسين خاصة وصاحبه مجهول لا يعرف
ونكرة لا تتعرف ثم ان هذا العطاء لابد ان يكون مطلقاً أو مقيداً فمن أعطي بيد حق أطلقه فيعم عطائه جميع عباد الله لا يخص
عيناً من عين مما يصلح لذلك المعطي مثل ذلك ان كانت الأعطية من النقود فلا يعطيها إلا من له التصرف فيها وهو الانسان ولا
يشترط فيه صغيراً ولا كبيراً ولا ذكراً ولا انثى ولا غنياً ولا فقيراً ولا مؤمناً ولا كافراً ولا عاقلاً ولا مجنوناً بل هو في ذلك العطاء
كمطلق الرزق على كل حيوان وكذلك ان كان مما يلبس مثل النقود سواء يعطيه لأهله وأما ان كان مأكولاً فيعطيه لكل متغذ

يأكل ذلك الصنف من الغذاء من حيوان أو انسان وليس له اختيار ولا تمييز بل هو مع أول من يلقاه فان رده عليه حينئذ أعطاه الثاني وهكذا حتى يجد من يأخذه منه وهذا لا يكون ألا للربانيين من الاسم الرب والرحمانيين من الاسم الرحمن وليس للألهيين مدخل في العطاء المطلق وأثر هذا العطاء ظاهر في كل موجود لا أحاشي أعني من الأصناف لا في آحاد أشخاص الموجودات وهذا عطاء المحسن لا المؤمن ولا المسلم وأما ان كان العطاء مقيداً فهو بحسب ما تقيد به فحكم ذلك راجع إلى حكم الشرع فيه فيعمل الأولى ويتدي بالذي أمره الشارع ان يتدئ به ويبحث عنه حتى يجده ولا يعطي على هذا الحد ألا الألهي من الاسم الله المؤمن المحسن المسلم وأثر هذا العطاء أيضاً عام

الباب السادس والتسعون

في الصمت وأسراره

فالصمت في الأكوان نعت لازم

فهو السميع كلامه والعالم

هذا هو الحق الصريح الحاكم

الله قال على لسان عبده

ما ثم ألا من يكلم نفسه

وهو الوجود فليس ألعينه

أعلم وفقك الله ان الصمت أحد الأربعة الأركان التي بها يكون الرجال والنساء أبدالاً قليل لبعضهم كم الأبدال قال أربعون نفساً قليل له لم لم تقل رجلاً قال قد يكون فيهم النساء كما قال صلى الله عليه وسلم في الكمال فذكر انه يكون أيضاً في النساء وعين منهن مريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون وله حال ومقام فأما مقامه فهو انه لا يرى متكلاً ألا من خلق الكلام في عبادته وهو الله تعالى خالق كل شيء فالعبد صامت بذاته متكلم بالعرض وأما حاله فهو ان يرى ان الله وان خلق الكلام فيه فالعبد هو المتكلم فيه كما هو المتحرك بخلق الحركة فيه ولا يصح ان يصمت مطلقاً أصلاً فانه مأمور بذكر الله تعالى في أحوال مخصوصة أمر وجوب فهو مقام مقيد بصفة تزيه لانه وصف سلمي وحكمه في ظاهر الانسان وأما باطنه فلا يصح فيه صمت فانه كله ناطق بتسبيح الله فالصمت محال وانما الكلام على الصمت المعلوم بالعرف ومن تخلل صمته كلام في غير فرض ولا ذكر لله فما صمت فالصامت هنا هو الذي يقيم نشأة مصممة الأجزاء لا يتخللها حين فارغ مقدر حينئذ يكون صامتاً وإذا أراد الانسان ان يختبر نفسه هل هو ممن صمت كما ينبغي فلينظر هل له فعل بالهمة المجردة فيما من شأنه ان لا يفعل ألا بالكلام أم لا فان أثر وحصل المقصود فهو صامت حقيقة مثل ان يريد ان يقول لخادمه أسقني ماء وأتني بطعام أو سر إلى فلان فقل له كذا وكذا ولا يشير إلى الخادم بشيء من هذا كله فيجد الخادم في نفسه ذلك كله بان يخلق الله في سمع الخادم عن ذلك يقول فلان قال لي أفعل كذا وكذا يسمع ذلك حساً بأذنه ولكن يتخيل انه صوت ذلك الصامت وليس كذلك فمن ليست له هذه الحالة فلا يدعي انه صامت وأما الصامت المتكلم بالأشارة فهو يتعب نفسه وغيره ولا ينتج له شيئاً بل هو ممن يتشبه بالأخرس الذي يتكلم بالأشارة فلا يعول عليه وهذا مما غلط فيه جماعة من

أهل الطريق فمن نصح نفسه فقد أقمنا له ميزان هذا المقام الذي يزنه به حتى لا يلتبس عليه الأمر وهذا لا يكون إلا للإلهيين المحسنين
لا غيرهم من المؤمنين والمسلمين الذين لم يحصل لهم مقام إحسان

الباب السابع والتسعون في مقام الكلام وتفصيله

ان الكلام عبارات وألفاظ	وقد تتوب إشارات وإيماء
لولا الكلام لكنا اليوم في عدم	ولم تكن ثم أحكام وأنباء
وانه نفس الرحمن عينه	عقل صريح وفي التشريع انباء
فيه بدت صورة الأشخاص بارزة	معنى وحسا وذاك البدو انشاء
فانظر ترى الحكمة الغراء قائمة	فيها لعين اللبيب القلب أشياء

الكلام صفة مؤثرة نفسية رحمانية مشتقة من الكلم وهو الجرح فلهذا قلنا مؤثرة كما أثر الكلم في جسم الجروح فأول كلام شق اسماع الممكنات كلمة كن فما ظهر العالم إلا عنصفاً للكلام وهو توجه نفس الرحمن على عين من الأعيان ينفث في ذلك النفس شخصية ذلك المقصود فيعبر عن ذلك الكون بالكلام وعن المتكون فيه بالنفس كما ينتهي النفس من المتفلسا لمريد إيجاد عين حرف فيخرج النفس المسمى صوتاً ففي أي موضع انتهى أمد قصده ظهر عند ذلك عين الحرف المقصود ان كان عين الحرف خاصة هو المقصود فتظهر الهاء مثلاً إلى الواو وما بينهما من مخارج الحروف وهذه تسمى معارج التكوين فيها يعرج النفس الرحماني فأني عين من الأعيان الثابتة أتصفت بالوجود فلا بد لكل متكلم من أثر في نفس من كلمة غير ان المتكلم قد يكون ألهياً وربانياً ورحمانياً فمن كونه ربانياً ورحمانياً لا يشترط في كلامه خلق عين ظاهرة سوى ما ظهر من صورة الكلام التي انشأها عند التلفظ فان أثرت نشأة كلامه نشأة أخرى وهو ان يقول لزيد قم فهذا المتكلم قد انشأ نشأة قم فان قام زيد لأمره فقد انشأ هذا الأمر صورة القيام في زيد عن نشأة لفظة قم فهو ألهي لان انشاء الأعيان انما هو لله وهذا عام في جميع الخلق فان لم يسمع منه ولا أثرت فيه نشأة أمره فهو قاصراً لهما وليس بألهي في هذه الحال وانما هو رباني أو رحماني ولا يلزم للرباني والرحماني سوى إقامة نشأة الكلام خاصة والألهي هو الذي ذكرناه غير ان الألهي على نوعين ألهي كما ذكرناه وألهي يؤثر كلامه في الأشياء مطلقاً من جماد ونبات وحيوان وكون أي كون كان علواً وسفلاً فهذا هو الألهي المطلوب في هذا الطريق ولا يصح وجوده عاماً أبداً في هذه الدار بل محله الجنان فانه لا أكبر من محمد صلى الله عليه وسلم وقد قال لمن حقت عليه كلمة العذاب قل لا أله إلا الله فما ظهر عن نشأة أمره نشأة لا أله إلا الله في محل المأمور وان كان على بصيرة فيه ولكنه مأمور ان يأمر وهو حريص على الأمة فالمأمور ما أمتنع وانما الممتنع لا أله إلا الله فان هذا اللفظ هو المأمور ان يكون في هذا المحل فلم يكن فلو تكون في محل هذا الشخص لظهر عينه وأعطاه أسم الإسلام كما ان هذا الشخص لما قال له الحق كن وهو في العدم لم يتمكن له ألا ان يكون ولا بد فقد علمت من هو المأمور بالوجود في التحقيق وهو قول الله "انك لا تهدي من أحببت" أي انك لا تقدر على من تريد ان تجعله محلاً لظهور ما تريد انشاءه فيه ان يكون

محلاً لوجود انشائك فيه فليس كل متكلم في الدنيا بألهي مطلق لكن له الإطلاق فيما يريد ان ينشئه في نفسه لا في غيره فاعلم سر هذا وأعلم هل انت متكلم أو لافظ

الباب الثامن والتسعون في معرفة مقام السهر

قلب ينام فذاك الواحد الأحد

ولا يقيده طبع ولا جسد

في العالمين فلم يظفر به أحد

يؤده حفظ شيء ضمه عدد

من لا تنام له عين وليس له

مقامه الحفظ والأعيان تعبده

هو الامام وما تسري أمامته

كرسيه تخرن الأكوان فيه ولا

هذا المقام يسمى مقام القيومية وأختلف أصحابنا هل يتخلق به أم لا ولقيت أبا عبد الله بن جنيد من شيوخ الطائفة من أهل قبرفيق من أعمال رندة وكان معتزلي المذهب فرأيتُه يمنع من التخلق بالقيومية فرددته عن ذلك من مذهبه فانه كان يقول بخلق الأفعال للعباد فلما رجع إلى قولنا وابنت له معنى قوله تعالى "الرجال قوامون على النساء" فقد أثبت لهم درجة في القيومية وكان قد أتى إلى زيارتنا فلما رجع إلى بلده مشيت إلى زيارته في بلده فرددته وجميع أصحابه عن مذهبه في خلق الأفعال فشكر الله على ذلك رحمه الله فيتخيل من لا معرفة له بالحقائق انما من خصائص الحق ولا فرق عندنا بينها وبين سائر الاسماء الالهية كلها في التخلق بها على ما تعطيه حقيقة الخلق كما هي لله بحسب ما تعطيه ذاته تعالى وتقدس والسهر من أحد الأربعة الأركان التي قام عليها بيت الأبدال وهي السهر والجوع والصمت والعزلة وقد أفردنا لمعرفة هذه الأربعة جزءاً عملناه بالطائفة سميناه حلية الأبدال ونظمناها في أبيات في الجزء المذكور سؤال صاحبي عبد الله بدر الخادم ومحمد بن خالد الصديقي وهذه هي الأبيات

من غير قصد منه للأعمال

ان لم تراحمهم على الأحوال

ساداتنا فيه من الأبدال

والجوع والسهر النزبه العالي

يا من أراد منازل الأبدال

لا تطمعن بها فلست من أهلها

بيت الولاية قسمت أركانه

ما بين صمت وأعتزال دائم

فجعلوا السهر ركناً من أركان المقام الذي يكون من صفات الأبدال وآيتهم من كتاب الله تعالى سيدة آي القرآن "الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم" إلى قوله تعالى "ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم" فانظر ما أعجب هذه الآية ولهذه الصفة عنت الوجوه منا والمراد بالوجوه حقائقنا أذ وجه الشيء حقيقته فقال تعالى "وعنت الوجوه للحي القيوم" وقال "كل شيء هالك الا وجهه" فإذا لم يحفظ العبد بسهر قلبه ذاته الباطنة كما يحفظ بسهر عينه ذاته الظاهرة وان كان نائماً فيكون ممن ينام عينه ولا ينام قلبه ويحفظ غيره بحفظه فما سهر من ليست هذه صفته وتكون الخمسة من الأعداد أتم منه في مقامها في حفظها نفسها وغيرها ومن لا يقدر ان يكون له درجة الخمسة من العدد وهي جزء مما لا يتناهي فانها جزء من العدد والعدد لا نهاية له فكيف يتمكن له ان يتخلق بالقيومية مطلقاً ليس ذلك في وسع البشر مثل الكلام سواء وغاية من يقوم بها قطب الوقت فان له الأكثرية فيها من سواه فالذي يتعين علينا حفظ هذه اصفة فنحن نسهر لحفظ الكون وأقامته ما يلزمنا أكثر من هذا والله حفيظ عليم لا نحن فإذا قامت

هذه الصفة بنا فقد وفيما المقام حقه فينبغي لصاحب هذا المقام إذا سهر ان يسهر بعين الله وعين الله حافظته بلا شك الحفظ الذي يعلمه الله لا الحفظ العرضي فان الله تعالى ما رأيناه يحفظ على كل عين صورتها بل الواقع غير ذلك وهو مطلق الحفظ فأذن ليس الحفظ ما يتخيل من حفظ الصور على أعيانها وانما ينظر صاحب هذا المقام إلى الحفظ المطلق وينظر في المحفوظ وإذا كان من عالم التغيير والاتحالات فيحفظ عليه التغيير ولأستحالات فان لم يتغير ولا أستحال فما حفظ عليه ما تستحقه ذاته فينظر صاحب هذا المقام مراتب الموجودات ويكون حفظه في سهره بحسب ما تعطيه رتبة ذلك العالم ولا يلتفت إلى أغراض أشخاص ذلك النوع فان الضدين لا يجتمعان فإذا أراد السكون ان يحفظ عليه ذاته في ساكن معين لم يتمكن ان يجيبه إلى ذلك فان الساكن مأمور من الله بتغيير حاله من سكون إلى قيام لصلاة أو لأمر مشروع أو طبع كقضاء حاجته ولا يكون هذا الأبان يتغير وينتقل إلى حكم الحركة وكذلك المتحرك إذا توجه عليه الأمر بالسكون فالحافظ هنا انما يحفظ عليه حكم التغيير فان لم يحفظ عليه ذلك فما سهر ولا تحقق بالقيومية فهذا ما يعطيه مقام السهر وحاله فأفهم فانه ما من مقام وألا ويتسع المجال فيه لو تكلمنا على تفاصيله لكن نوميء إلى ما لا بد منه في كل مقام وحال بأمر كلى تقع به المنفعة ويندرج فيه كل تفصيل يحتمله فإذا بحثت عليه في كلامنا تجدنا قد وفيما المقصود انتهى الجزء السادس والتسعون

الجزء السابع والتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب التاسع والتسعون في مقام النوم

النوم جامع أمر ليس يجمعه
غير المنام ففكر فيه واعتبر
ان الخيال له حكم وسلطنة
على الوجودين من معنى ومن صور
وليس يدرك في غير المنام ولا
تبدو له صور في حضرة السور
يختص بالصاد لا بالسين حضرته
فهو المحيط بما في الغيب من صور
من لا يكيف يأبى النوم يحصره
بالكيف والكم للتحديد بالعبر

اعلم أيديك الله ان النوم حالة تنقل العبد من مشاهدة عالم الحس إلى شهود عالم البرزخ وهو أكمل العالم فلا أكمل منه هو أصل مصدر العالم الوجود الحقيقي والتحكم في الأمور كلها يجسد المعاني ويرد ما ليس قائماً بنفسه قائماً بنفسه وما لا صورة له يجعل صورة ويرد المحال ممكناً ويتصرف في الأمور كيف يشاء فإذا كان له هذا الإطلاق وهو خلق مخلوق لله فما ظنك بالخالق سبحانه الذي خلقه وأعطاه هذه القوة فكيف تريد ان تحكم على الله بالتقييد وتقول ان الله غير قادر على المحال وانت تشهد من نفسك قدرة الخيال على المحال والخيال خلق من خلق الله ولا تشك فيما تراه من المعاني التي جسدها لك وأراها أياك أشخاصاً قائمة فكذلك يأتي الله بأعمال بني آدم مع كونها أعراضاً صوراً قائمة توضع في الموازين لأقامة القسط ويؤتي بالموت مع كونه نسبة فوق العرض في البعد عن التجسد في صورة كبش أملح يريدانه في غاية الوضوح لهذا وصفه بالملحة وهي البياض فيعرفه جميع الناس فهذا محال مقدور فأين حكم العقل على الله وفساد تأويله وكذلك نعيم الجنان في فواكهه لا مقطوعة ولا ممنوعة فيتأوله من لا علم له بحمله على فصول السنة ان الفاكهة تنقضي بانقضاء زمانها ثم تعود في السنة الأخرى وفاكهة الجنة دائمة التكوين لا تنقطع هذا مبلغ علمهم في هذه المسئلة وهي عندنا كما قال الله "لا مقطوعة ولا ممنوعة" فان الله جاعل لنا فيها رزقاً يسمى قطفاً وتناولاً كما جعل الله لعالم الجن في العظام رزقاً وما نرى ينقص من العظم شيء ونحن بلا شك نأكل من فاكهة الجنة قطعاً دانياً مع كون الثمرة في موضعها من الشجرة ما زال عينها لانها دار بقاء لما يتكون فيها فهي دار تكوين لا دار أعدام وكذلك سوق الجنة تدخل في أي صورة سننا من صور السوق مع كوننا على صور تنالا ينكرنا أحد من أهلنا ولا من معارفنا ونحن نعلم ان قد لبسنا صورة جديدة تكوينية مع بقاءنا على صورتنا فأين العقول والمعقول هنا

ما عقل عين كعقل قلد الفكر

لا يعرف الله ألا الله فأعتبروا

ولما نزه الله نفسه عن صفة النوم فقال "لاتأخذه سنة ولا نوم" أي ما يغيبه شهود البرازخ عن شهود عالم الحس عن شهود المعاني الخارجة عن المواد في حال عدم حصولها في البرزخ وتحت حكمه وقد يمنح الله بعض عباده بهذا الإدراك مع كونه لا يتصف بانه لا

ينام أعني في حالة الدنيا ونشأتها وأما في الآخرة فانه لا ينام أهل الجنة في الجنة ولا يغيب عنهم شيء من العالم بل عالم على مرتبته مشهود لهم مع كونهم غير متصفين بالنوم يقال نام فلان فرأى كذا أي رأى مقلوبه وهو مان أي كذب في عرف العادة فان العلم ما هو لبن والقران ما هو غسل ولكن هكذا تراه فإذا كملت رأيته علماً في حضرة المعاني في حال رؤيتك إياه لبناً في حضرة البرزخ وهو هو لا غيره فتحقق ما أعلمناك به فقد أرحناك بما ذكرناه راحة الأبد وقد عرفناك بالأله المعرفة المطلوبة منا وإذا تحققت ما أومانا إليه في هذا الباب علمت جميع ما جاء به الشرع في المتاب والسنة قديماً حديثاً من النعوت الألهية التي ترددها العقول ببراهينها القاصرة عن هذا الإدراك فمعرفة وجود الحق مدرك العقول من حيث ما هي مفكرة وصاحبة دلالات ومعرفة ما هو الحق عليه في نفسه هو ما أعطاه الوجود لكل أدراك في عالمه فما ثم ألا حق ومصيب فسبحان من طور الأطوار وجعل في اليوم حقيقة الليل والنهار وانزل الأحكام وشرحها على التفصيل لا على الأجمال والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والنوم من أحكام الطبيعة في مولدات العناصر خاصة والنشأة الآخرة ليست من مولدات العناصر بل هي من مولدات الطبيعة فلذلك لا تنام ولا تقبل النوم كالملائكة وما علا عن العناصر ونشأة الانسان في الآخرة على غير مثال كما كانت نشأته في الدنيا على غير مثال فما ظهر قبله من هو على صورته ولهذا جاء كما بدأ كم يعني على غير مثال تعودون على غير مثال يعني في نشأة الآخرة وقال "ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون" انها كانت على غير مثال سبق فأشحذ فؤادك ووفر زادك فانك راحل عن نشأة انت فيها وما انت فيها

الباب الموفي مائة في مقام الخوف

إذا جاء سلطان المنازع في الأمر

خف الله يا مسكين ان كنت مؤمناً

بها رتب العلياء في عالم الأمر

فان جنحوا للسلم فأجنح لها تتل

كما جاء في القران في محكم الذكر

وما قلته بل قاله الله معلماً

أعلم أيديك الله وعصمك ان الخوف مقام الألهيين له الاسم الله لانه متناقص الحكم فانه يخاف من الحجاب ويخاف من رفع الحجاب أما خوفه من الحجاب فلما فيه من الجهل بما هو حجاب عنه وأما خوفه من رفع الحجاب فلذهاب عينه عند رفعه فتزول الفائدة والألتذاذ بالجمال المطلق آية المحجوب قوله تعالى "كلا اثم عن ربه يومئذ لمحجوبون" في معرض الذم وأما الحديث فقوله صلى الله عليه وسلم في الحجب لو كشفها أو لو رفعها "لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه" وما أشبه هذا المقام يقول القائل

أشكو من الطول ما أشكو من القصر

الليل ان وصلت كالليل ان هجرت

فمقام الخوف مقام الحيرة والوقوف لا يتعين له ما يرجح لقيام شاهد كل جانب عنده ومن خرج عن هذا الخوف إلى الخوف من متعلق غيره فهو خوف وليس بمقام فان كل خوف ما عدا هذا فليس له هذا الحكم فان المقام كل ماله قدم راسخ في الألوهة وما ليس له ذلك فليس بمقام وانما هو حال يرد ويزول بزوال حكم التعلق والمتعلق ببشرى أو بغيرها والخوف الذي هو مقام يستصحب للعالم بالله الذي يعلم ما ثم ومن لا يعلم ذلك فلا يستصحب خوف ألا إلى أول قدم يضعه من الصراط في الجنة أو حاضرها فالخائف هو الذي يعلم ما هو التجلي وما هو الذي يرى يوم القيامة وهو الذي يعلم ان أهل النار لهم تجل يزيد في عذابهم كما ان لأهل الجنة

تجلياً يزيد في نعيمهم أهل النار محجوبون عنه ولهذا قال عن ربهم أهل النار والرب المربي والمصلح فباب العلم بالله دون ما سواه مغلق من حيث ذاته وهو المطلوب بالتجلي فالخلق في عين الجهل بهذا الذي ذكرناه ألا من رحم الله ولقد أصابت المعتزلة في انكارها الرؤية لا في دليلها على ذلك فلو لم تذكر دلالتها لتخيلنا انها عالمة بالأمر كما علمه أهل الله لكنها في دلالتها كانت كما قال بعضهم لصاحبه حين قال له ما أعجبه وأخذ به فلما ذكر له الأسناد فيما أورده زال عنه ذلك الفرح وقال له أفسدت حين أسندت فمن لم يعرف الله هكذا لم يعرفه المعرفة المطلوبة منه

الباب الأحد ومائة في مقام ترك الخوف

لما تعلم الخوف بالعدم

انا الوجود فلا خوف يصاحبني

ان الذي خفت منه لا وجود له

قال صلى الله عليه وسلم وأجعلني نوراً في دعائه وقال تعالى "الله نور السموات والأرض" والسبحات انوار والنور لا يحترق بالنور ولكن يندرج فيه أي يلتئم معه للمجانسة وهذا هو الالتحام والاتحاد وهنا سر عظيم وهو ما يزيد في نور المتجلي من نور المتجلي له إذا انضاف إليه واندرج فيه ولما وقف صلى الله عليه وسلم على مقام الخوف الذي ذكرناه أداه إلى ان طلب ان يكون نوراً فكانه يقول أجعلني انت حتى أراك بك فلا تذهب عيني برؤيتك لكن اندرج فيك كما قال النابغة

إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

بانك شمس والملوك كواكب

وما ذهب لها عين وما ظهر لها عين فهي ترى ولا ترى لانها خلف حجاب النور الأعظم الذي له الحكم في ظاهر الأمر ولا نور الكواكب حكم في باطن الأمر مندرج في النور الأعظم يعلم ذلك أرباب علم التعاليم فهم أسعد الناس بهذا المقام وهو مقام جليل نبوي وما حجره الحق على المؤمنين ألا رحمة بهم لان الغالب في العالم الجهل بحقائق الأمور والعلماء أفراد فرحمهم الله بما حجر عليهم من ذلك وأما العلماء بالله فلا حرج عليهم فيه فانهم عالمون كيف ينسبون وكيف لا يعلمون والله يقول وأوحى في كل سماء أمرها وهو ما يعطيه من الآثار في العالم كما تعطي كل آلة للصانع بما عملت له والصنعة مضافة للصانع لا للآلة فاعلم ذلك وكن بحسب ما تعطيه قوتك والسلام وأختلف أصحابنا هذا المقام هل يأمن من المكر الألهي أم لا أما مع البشرى فيأمن ولا بدوا عني إذا جاءت البشرى بالأمن من مكر الله ولا أقدر أبسط في هذا المقام شيئاً أكثر مما ذكرناه في هذا الوقت لأسباب ولا أصرح بمذهبنا فيه ألا بقدر ما ذكرنا منه في البشرى فانه أمر محقق تدل عليه العقول والشرع وذلك ان صاحب هذا المقام ان كانت عجلت له الجنة يوجه لا يمكن أستبداله فالأمن حاصل ويصح له هذا المقام وان لم تكن له هذه الحالة فالله أعلم

الباب الثاني ومائة في مقام الرجاء

فأعزم عليه وكن منه على علم

ان الرجاء كمثّل الخوف في الحكم

ان الرجاء مقام ليس يعلمه

يلتذ صاحبه في وقته فإذا

وان ما انت راجيه لفي عدم

ألا أولوا العلم بالرحمن والفهم

يفوته كان مثل الخوف في الحكم

ولست من فقده المعلوم في عم

الرجاء متعلقه ما ليس عنده وهو مقام مخوف يحتاج صاحبه إلى أدب حاضر حاصل ومعرفة ثابتة لا يدخلها شبهة فان مقام عن جانب الطريق ما هو في نفس الطريق تحته مهواة بادني زلة يسقط صاحبه من الطريق وهو على طريق الحياة الدائمة التي بها بقاء العالم في النعيم والحال التي ينبغي ان يظهر سلطانه فيها عند الاحتضار وأما قبل ذلك فيساوي بين حكمه وبين حكم الخوف ان كان مؤمناً حقيقة قال الله تعالى "انا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيراً وكذلك ينبغي ان يظن نفسه شر إلا بربه إلا عند الموت فانه يشتغل بربه في تلك الحال ويظن به خيراً ويعرض عن ظنه بنفسه جملة واحدة بخلاف حاله في دنياه والرجاء المطلوب من أهل الله هو ما يطلبه وقته لان المرجو معدوم في تلك الحال فيخاف على الراجي ان يفوته حكم الوقت فإذا كان متعلق دجائه يطلب الوقت فهو صاحب وقت ولا بد وما يرسم في ديوان من لم يتأدب مع وقته ثم ان وقته لا يخلو من أحد ثلاثة أمور أما ان يكون صاحب وقت مرضى فمتعلق ما يطلبه الوقت المرضى وان كان غير مرضى أو لا مرضى ولا غير مرضى كالمباح فمتعلق رجائه إزالته عنه بما هو مرضى في النفس الثاني والزمان الذي يليه فمتى خرج عن هذا التعلق الخاص فليس هو الرجاء الذي هو مقام في الطريق وهو من المقامات المستصعبة في الدنيا والآخرة لا ينقطع لان الانسان حيث كان لا يزال صاحب قوت لان الأمر لا يتناهى وكلامنا في الفائق المستأنف وأما الفائق الماضي فانه لا يعود إذ لو عاد لتكرر أمر ما في الوجود ولا تكرر للتوسع الإلهي غير انه ان كان فائق الماضي مرضياً وهو لا يعود فحكم ذلك الفعل الفائق الماضي فهو انما يجنيه في الآخرة ولو اتصف به في الدنيا فقد يتعلق الرجاء بتحصيل ما لو كان الفائق الماضي لم يفت حصل له فيحصل له مثل ذلك برجائه ان كان قد كان له وجود وانقضى أو عين ذلك المرجو ان كان لم يكن برجائه فانه فائق مستأنف كان مهياً للفائق الماضي هذا غاية قوة الرجاء وقد قال صلى الله عليه وسلم في الذي يفوته خير الدنيا ويرى من له شيء من ذلك الخير يعمل به في طاعة الله لو كان لي مثل هذا العامل من الخير لفعلت مثل ما فعل فهما في الأجر سواء فهذا قد فاته العمل وجنى ثمرته بالتمني وساوى من لم يفته العمل وربما أربى عليه فان العامل مسؤول ليسأل الصادقين عن صدقهم وهذا غير مسؤول لانه ليس بعامل ولا يكون هذا إلا لمن لم يعطه الله أمنيته من الخير الذي تمنى العمل به فان أعطاه ما تمناه من الخير فليس له هذا المقام ولا هذا الأجر وينتقل حكمه إلى ما يعمل به فيما أعطاه الله من الخير ولا يبقى للتمني في الآخرة أثر فان عمل به برا كان له وان عمل غير ذلك كان في حكم المشيئة وليس رجاء القوم رجاء العاصين في رحمة الله ذلك رجاء آخر ما هو مقام وكلامنا في المقام والرجاء عند بعضهم مقام إلهي واستدلوا عليه بقوله في غير آية لعل وعسى ولهذا جعل علماء الرسوم من الله واجبة

الباب الثالث ومائة في ترك الرجاء

أصبحت من حكم الرجاء على رجا

لا تركزن إلى الرجاء فربما

اعلم أيديك الله ان حكم هذا المقام شهود نفسه من حيث ما تطلبه به الحضرة الإلهية وضعف العبودية عن الوفاء بما تستحقه أو بما يمكن ان يوفيهها من طاقتها المأمور بها في قوله تعالى "فاتقوا الله ما استطعتم" هذا من جهتنا وأما من جانب ما تستحقه الربوبية على العبودية فقله "اتقوا الله حق تقاتهولا تموتن إلا وانتم مسلمون" وليس لهم من الأمر شئ فقطع بهم هذا الأمر فهو مقام صعب وحالة شديدة فمن ترك الرجاء فقد ترك نصف الايمان فالايامن نصفان نصف خوف ونصف رجاء وكلاهما متعلقهما عدم فإذا حصل العلم حصل الوجود وزال عدم وأزال العلم حكم الايمان لانه شهد ما آمن به فصار صاحب علم وإيمان تقليد والتقليد يناقض العلم إلا ان يكون المخبر معصوماً عند المؤمن وفي نفسه من الكذب وليس بينك وبينه واسطة في اخباره فان الدليل الذي حكم لك بصدقه وعصمته عن الخطأ والكذب فكنت فيه على بصيرة وهي العلم ينسحب لك على ما يخبرك به عن الله فيكون عندك خبره علماً لا تقليداً وهذا لا يكون اليوم إلا عند أهل الكشف والوجود خاصة وأما عند أهل النقل فلا سبيل فالصحابة الذين سمعوا شفاهها من الرسول ما لا يحتمله التأويل بما هو نص في الباب لا فرق بينهم وبين أهل الكشف والوجود فهم علماء غير مقلدين ماداموا ذاكرين لدليلهم فان غابوا عن الدليل في وقت الإخبار فهم مقلدون مع ارتفاع الوسائط فاجعل دليلك ربك على الأشياء فلا تغفل عنه فانك إذا كنت بهذه المثابة كنت صاحب علم وهو أرفع ما يكون من عند الله ولهذا أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالزيادة منه دون غيره من الصفات فمن علم الماضي والحال والمستأنف لم يبق له عدم فلم يبق له متعلق رجاء فلم يبق له رجاء

من انما أجزع مما أتقي

فإذا حل فمالي والجزع

وكذا أطمع فيما أبتغي

فإذا فات فمالي والطمع

فهذان البيتان جمعاً ترك الرجاء والخوف بمحصل المخوف وقوعه وفوت المرجو حصوله إلى وهذا وان كان صحيحاً في الرجاء فلا يكون هذا في رجاء المقامات فانه ما له خوف فوت الماضي وانما له خوف فوت المستأنف لفوت سببه الذي مضى

الباب الرابع ومائة في مقام الحزن

الحزن مركبة صعب وغايته

ذهابه فولى الله من حزنا

قلب الحزين هنا تقوى قواعده

هناك والغرض المقصود منك هنا

دار التكاليف دار ما بها فرح

فالله ليس يحب الفارح اللسنا

الحزن مشتق من الحزن وهو الوعر الصعب والجزونة في الرجل صعوبة أخلاقه والحزن لا يكون الأعلى فائت والفائت الماضي لا يرجع لكن يرجع المثل فإذا رجع ذكر بذاته من قام به مثله الذي فات ومضى فأعقب هذا التذكر حزناً في قلب العبد ولا سيما فيمن يطلب مراعاة الانفاس وهي صعبة المنال لا تحصل إلا لأهل الشهود من الرجال وليس في الوسع الإمكان تحصيل جملة الأمر فلا بد من فوت فلا بد من حزن وهذه الدار وهذه النشأة غفلة ما هي نشأة حضور إلا بتعمل واستحضار فهل ما طلب منا نعجز عنه أو لا نعجز ومحال ان يطلب منا ما لم يجعل فينا قوة الإتيان به ويمكننا من ذلك فانه حكيم وقد أعطانا في نفس هذا الطلب

علمنا بان فينا قوة ربانية ولكن من حيث انا مظهرها أكسبناها قصور أعما تستحقه من المضاء في كل ممكن فطلبنا المعونة منه فشرع لنا ان نقول وإياك نستعين ولا حول ولا قوة إلا بالله فمن كان هذا مشهده فلا يزال حزنه دائماً أبداً وهو مقام مستصحب للعبد ما دام مكلفاً وفي الآخرة ما لم يدخل الجنة فان في الآخرة لهم حزن التغاين لا حزن الفرع الأكبر والخوف يرتفع عنهم مطلقاً إلا ان يكونوا متبوعين فان الخوف يبقى عليهم على الإتياع كالرسل فالحزن إذا فقد من القلب في الدنيا حرب لحصول ضده إذ لا يخلو والدار لا تعطي الفرح لما فيه من نفى المحبة الإلهية عمن قام به وما يزيل الحزن إلا العلم الخاص وهو قوله فبذلك فليفرحوا فان الحزن مثل العلم سواء يرتفع بارتفاع المحزون عليه ويتضع كذلك كالعلم يشرف بشرف المعلوم والحزن مقام صعب المرتقى قليل من الخلق عليه هو للكمال من الناس

الباب الخامس ومائة في ترك الحزن

أخلقه ثم هدى

قد فات فالحزن سدى

الحق أعطى كل شئ

فما ترى من فائت

لفائت وما عدا

فانه حكم البدا

الحزن حكم واقع

هذا فلا تحفل به

هو حال وليس بمقام وهو مؤد إلى خراب القلوب وفي طيه مكر إلهي إلا للعارف فانه لا يخرج عن مقام الحزن إلا من أقيم في مقام سلب الأوصاف عنه قيل لأبي يزيد كيف أصبحت قال لا صباح لي ولا مساء انما هي لمن تقيد بالصفة وانا لا صفة لي وذلك لما سأله بكيف وهي للحال وهو من أمهات المطالب الأربعة وله من النسب الإلهية سنفرغ لكم أياه الثقلان على قراءة الكسائي وكل يوم هو في شان ويخفف القسط ويرفعه فهذا مقام الكيف في الإلهيات وأما أبو يزيد فما قصد التمدح بهذا القول وانما قصد التعريف بحاله فان الصباح والمساء لله لا له وهو المقيد تعالى بالصفة والعبد العنصري مقيد بالصباح والمساء غير مقيد بالصفة ولهذا نفى الصفة فقال لا صفة لي لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فالصباح والمساء بملكه ولا يملك لأبي يزيد عليهما لانهما بالصفة يملكان وأبو يزيد لا صفة له فمن لا علم له بالمقام يتخيل ان أبا يزيد تأله في هذا القول ولم يقصد ذلك رضى الله عنه بل هو أجل من ان يعزى إليه مثل هذا التأويل في قوله هذا فان قال من يتأول عليه خلاف ما قلناه من انه تأله في قوله بقوله ضحكت زماناً وانا اليوم لا أضحك ولا أبكي فاعلم انه ثم تجلي يضحك وما رأيت أحد في هذا الطريق من أهل الضحك إلا واحداً يقال له على السلاوي سحت معه وصحبته سفيراً وحضراً بالاندلس لا يفتر عن الضحك شبه الموله وما رأيت جري عليه قط لسان ذنب وأما البكاؤن فما رأيت منهم إلا واحد يوسف المغاور الجلاسنة ست وثمانين وخمسمائة باشبيلية وكان يلازمنا ويعرض أحواله علينا كثير الجزع لاتفتقر له دمة صحبته في الزمان الذي صحبت الضحاك وأما كون أبي يزيد انتقل عن هذين المقامين إلى المقام الذي بينهما فانهما من الأمور المتقابلة التي ما يكون بينها واسطة كالنفى والإثبات لا كالوجود والعدم والحر والبارد فان بينهما واسطة تأخذ من كل طرف

بنسبة تميزه عن الطرفين وكذلك إذا لم يكن الشخص في موجب ضحك ولا موجب بكاء كحالة البهت لأهل الله فهو لا ضاحك ولا باك فوصفه البهت والتعري عن الموجبين فأراد التعرف ما أراد التمدح

الباب السادس ومائة في معرفة الجوع المطلوب

وهو من أعلام الهدى

فهو دواء وهودا

موفقاً مسددا

الجوع موت أبيض

ما لم يؤثر خبلا

فاحكم به تكن به

الجوع حلية أهل الله وأعني بذلك جوع العادة وهو الموت الأبيض فان أهل الله جعلوا في طريقهم أربع موتات هذا أحدها وموت أخضر وهو لباس المرتفعات إلا المشهرات كان لعمر بن الخطاب ثوب يلبسه فيه ثلاث عشرة رقعة أحدها قطعة جلد وهو أمير المؤمنين وموت أسود وهو تحمل الأذى وموت أحمر وهو مخالفة النفس في أغراضها وهو لأهل الملمية فالجوع المطلوب في الطريق هو للسالكين جوع اختيار لتقليل فضول الطبع ولطلب السكون عن الحركة إلى الحاجة فان علا فلطلب الصفة الصمدية وحده عندنا صوميوم فان زاد فإلى لسحر هذا هو الجوع المشروع الاختياري وما لنا طريق إلا الله إلا على الوجه المشروع ولولا ان الله جعل هذا حد المصلحة في عموم خلقه لما وقته إلى هذا القدر فلا يكون الانسان في الزيادة عليه أعلم بمصالح الجوع في العبد من ربه هذا غاية سوء الأدب فان كان ممن يطعم ويسقى في مبيته وفنائه ويجد أثر ذلك في قوته وصحة عقله وحفظ مزاجه فليواصل ما شاء فانه ليس بصاحب جوع وكلامنا في الجوع وان كان أيضاً ممن يستغرقه حال ووارد قوى يحول بينه وبين الطعام كأبي عقيل فان كان صاحب فائدة فهي المطلوب وان لم يكن فذلك مرض يعرض حاله على الأطباء وما ذلك مطلب القوم وأما جوع الأكابر فجوع اضطرار فان الذي ينتجه الجوع قد حصل لهم ملكة لا تزول عنهم في حال جوع ولا شبع فلم يبق إلا التقليل ولكن من الحلال أما للنشاط في الطاعات وأما لخفة الحساب فان النبي صلى الله عليه وسلم قال انكم لتستلثون عن نعيم هذا اليوم ولم يكن سوى ثمر وماء وما أدخل نفسه في الجماعة فان لله عباد سليمانين يقول الله لهم "هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب" وهم سبعون ألفاً في هذه الأمة قد نعتهم النبي صلى الله عليه وسلم والخير صحيح وعكاشة منهم بالنص عليه فينبغي للصالح السالك ان لا يزيد على الحد المشروع فيكون متبعاً فان ترك العمل بالأتباع أعظم أجراً من العمل بالإبتداع فاننا بالإتباع بحكم الأصل فان وجودنا تبع لوجود من أوجدنا فلتكن أفعال العلماء بهذه المرتبة على ذلك ولما قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فسدوا مجاريه بالجوع والعطش لم يختلف أحد من العلماء ولا من أهل الله انه أراد الصوم والتقليل من الطعام في السحور المسنون لمن واصل وفي الإفطار لمن أفطر فانه قال بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فلا يتعدى مرید الحد الذي سنه من شرع الطريق إلى الله به ولا تعرف قدر ما دلتك عليه إلا في نتيجته ان فتح لك هنا ولا تجع من غير صوم فانه غير طريق مشروع ولا تجعل سبب ذلك حديث أجر الصوم فذلك ليس لك انما هو العمل ودع النفس ترغب في الأجر التي لها على ذلك فان فيها من يطلب ذلك وانت بالسر الإلهي والروح الأمري معزل عن هذا الطلب الذي تطلبه النفس الحيوانية فانك مجموع ولا تلحق بأهل الغلط من أهل هذه الطريق

الذي يجوعونه تلامذتهم من غير صوم أو يصومونهم ثم يطعمونهم قبل غروب الشمس ذلك غلط منهم وجهل بطريق الله تعالى وان كانوا يقصدون بذلك مخالفة النفوس فما هذا موضعه وانما ينبغي ان يخالفوها في تعيين المأكول على حد مخصوص ووجه معين وميزان مستقيم يعرفه أهل الله فإذا مالت إلى طعام خاص معين عندها حتى لا تكره شيئاً من نعم الله ولقد عملت على النفس ان تشرع في الشيء ثم يحال بينها وبين التملّي منه والله الموفق لا رب غيره

الباب السابع ومائة في ترك الجوع

لفظ النبي فلا ترفع به رأساً

ولم يقيموا له وزناً وقسطاً

وقد أضل بما قد قاله الناس

فيما أراه من استعماله بأسا

فيه المحقق بالرحمن ايناسا

الجوع بنس ضجيع العبد جاءبه

قد أدرك القوم في تعيينه غلط

من قال ما الجوع لم يعرف حقيقته

جوع العوائد محمود ولست أرى

جوع الطبيعة مذموم وليس يرى

ترك الجوع عند القوم ليس الشيع وانما هو اعطاء النفس حقها من الغذاء الذي جعل الله به صلاح مزاجها وقوام بنيتها فإذا أحس صاحب هذه الحالة بالجوع فذلك جوع العادة خرج أبو بكر البزار في مسنده ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الجوع ويقول أنه بنس الضجيع ولا يذم حال يعطي الفوائد فدل انه لا فائدة في مثل هذا الجوع وان الفوائد فيما أظهر الشرع ميزانه من ذلك فترك الجوع عبادة وطريق مواصلة إلى الله وبهذا فضل سليمان على أبي الدرداء وشهد له بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لنفسك عليك حقاً ولعينك عليك حقاً ولزورك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً فقم ونم وصم وأفطر وأعط كل ذي حق حقه فإنك لا تدخل على الحق أبداً ولا حد عليك حق وأعظم الحقوق حق الله ثم حق نفسك انتهى الجزء السابع والتسعون بانتهاء السفر الثالث عشر والحمد لله.

الباب الثامن ومائة في معرفة الفتنة والشهوة

وصحبة الأحداث والنسوان وأخذ الأرفاق منهن ومتى يأخذ المريد الأرفاق

لا تصحب حدثاً ان كنت ذا حدث ولا نساء وكن بالله مشغلاً واحذر من الفتنة العمياء ان لها حكماً قوياً على القلب الذي غفلا وشهوة النفس فاحذرهما فكم فتكتبسيد قلبه عن ربه غفلاً ولا يرى أخذاً رفقا من امرأة إلا الذي من رجال الله قد كملا علم أيدك الله الفتنة الاختبار يقال فتنت الفضة بالنار إذا اختبرتها قال تعالى "انما أموالكم وأولادكم فتنة" أي اختبرناكم بهما هل تحجبكم عنا وعما حددنا لكم ان تقفوا عنده وقال موسى عليه السلام ان هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء أي تحير وتهدي من تشاء ومن أعظم الفتن التي فتن الله بها الانسان تعريفه إياه بان خلقه على صورته ليرى هل يقف مع عبوديته وامكانه أو يزهو من أجل مكانة صورته إذ ليس له من الصورة إلا الحكم الاسماء فيتحكم في العالم تحكم المستخلف القائم بصورة الحق على الكمال وكذلك من تأييد هذه الفتنة قول النبي صلى الله عليه وسلم يحكيه عن ربه ان العبد إذا تقرب إلى الله بالنوافل أحبه فإذا أحبه كان سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به وذكر اليد والرجل الحديث وإذا علم العبد انه بهذه المثابة يسمع بالحق ويبصر بالحق ويسعى بالحق لا بنفسه وبقي مع هذا النعت الإلهي عبداً محضاً فقيراً ويكون مشهوده من الحق وهو بهذه المثابة كون الحق يتزل إلى عبادته بالفرح بتوبتهم والتبشيش لمن يأتي إلى بيته والتعجب من الشاب الذي قمع هواه واتصافه بالجوع نيابة عن جوع عبده وبالظلم نيابة عن ظمأ عبده وبالمرض نيابة عن مرض عبده مع علمه بما يقتضيه عزة ربوبية وكبريائه في ألوهيته فما أثر هذا التزل في جبروته الأعظم ولا في كبريائه الانزله الأقدم كذلك العبد إذا أقامه الحق نائباً فيما ينبغي للرب تعالى يقول العبد ومن كمال الصورة التي قال انه خلقني عليها ان لا يغيب عن مقام امكاني ومثلة عبوديتي وصفة فقري وحاجتي كما كان الحق في حال نزوله إلى صفتنا حاضراً في كبريائه وعظمته فيكون الحق مع العبد إذا وفي بهذه الصفة يثنى عليه بانه نعم العبد انه أو اب حيث لم تؤثر فيه هذه الولاية الإلهية ولا أخرجته عن فقره واضطراه ومن تجاوز حده في التقريب انعكس إلى الضد وهو البعد من الله والمقت فاحذر نفسك فان الفتنة بالاتساع أعظم من الفتنة بالخرج والضيق وأما الشهوة فهي آلة للنفس تعلو بعلو المشتهي وتستفل باستفال المشتهي والشهوة ارادة الالتذاذ بما ينبغي ان يلتذ به واللذة لذتان روحانية وطبيعية والنفس الجزئية متولدة من الطبيعة وهي أمها والروح الإلهي أبوها فالشهوة الروحانية لا تخلص من الطبيعة أصلاً وبقي من يلتذ به فلا يلتذ إلا بالمناسب ولا مناسبة بيننا وبين الحق إلا بالصورة والتلذاذ الانسان بكماله أشد الالتذاذ فالتلذاذ بمن هو على صورته أشد التلذاذ برهان ذلك ان الانسان لا يسري في كله الالتذاذ ولا يفنى في مشاهدة شبكليته ولا تسري الحبة والعشق في طبيعة روحانيته إلا إذا عشق جارية أو غلاماً وسبب ذلك انه يقابله بكليته لانه على صورته وكل شئ في العالم جزء منه فلا يقابله إلا بذلك الجزء المناسب فلذلك لا يفنى في شئ يعشقه إلا في مثله فإذا وقع التحلي الإلهي في عين الصورة التي خلق آدم عليها طابق المعنى ووقع الالتذاذ بالكل وسرت الشهوة في جميع أجزاء الانسان ظاهر وباطناً

فهي الشهوة التي هي مطلب العارفين الوارثين ألا ترى إلى قيس المجنون في حب ليلى كيف أفناه عن نفسه لما ذكرناه وكذلك رأينا أصحاب الوله والحبين أعظم لذة وأقوى محبة في جناب الله من حب الجنس فان الصورة الإلهية أتم في العبد من مماثلة الجنس لانه لا يتمكن للجنس ان يكون سمعك وبصرك بل يكون غايته ان يكون مسموعك ومدرتك إسم مفعول وإذا كان العبد مدرك بحق هو اتم فلذته أعظم وشهوته أقوى فهكذا ينبغي ان تكون شهوة أهل الله وأما صحبة الأحداث وهم المردان وأهل البدع الذين أحدثوا في الدين من التسنين الحمود الذي أقره الشارع فينا فينظر العارف في المردان من حيث انه أملس لا نبات بعارضيه كالصخرة الملساء فان الأرض المرداء هي التي لا نبات فيها فذكره مقام التجريد وانه أحدث عهد بربه من الكبير وقد راعى الشرع ذلك في المطر فكلما قرب من التكوين كان أقرب دلالة وأعظم حرمة وأوفر لدواعي الرحمة به من الكبير البعيد عن هذا المقام وأما كونهم أحداثاً لهذا المعنى لأنهم حديثو عهد برهم وفي

صحبتهم تذكر حديثهم لتمييز قدمه تعالى به فهو اعتبار صحيح وطريق موصلة وأما ان كان من أحداث التسنين فيؤيده قوله تعالى "ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث وما يأتيتهم من ذكر من الرحمن محدث" فذم من لم يتلقاه بالقبول فهكذا انظر العارفين فيه وأما المريدن والصوفية فحرام عليهم صحبة الأحداث لاستيلاء الشهوة الحيوانية عليهم بسبب العقل الذي جعله الله مقابلاً لها فلو لا العقل لكانت الشهوة الطبيعية محمودة وأما النسوان فنظر العارفين فيهن وفي أخذ الأرفاق منهن فحنين العارفين إليهن حنين الكل إلى جزئه كاستيحاش المنازل لساكنيتها التي بهم حياتها ولان المكان الذي في الرجل الذي استخرجت منه المرأة عمره الله بالميل إليها فحنينه إلى المرأة حنين الكبير وحنوه على الصغير وأما أخذ الأرفاق منهن فانه يأخذه منهن لهن كما أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم حبب إلي من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة فذكر النساء أترى حبب إليه ما يبعده عن ربه لا والله بل حبب إليه ما يقر به من ربه ولقد فهمت عائشة أم المؤمنين ما أخذ النساء من قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خيرهن فأخترته فأراد الله تعالى جبرهن وإيثارهن في الوقت ومراعاتهن ان كان بخلاف مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال "لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك فأبقى عليه رحمة به لما جعل في قلبه من حب النساء ملك اليمين وهذه من أشق آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة ما كان الله ليعذب قلب نبيه صلى الله عليه وسلم ما مات صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء فمن عرف قدر النساء وسرهن لم يزهدهن في حبهن بل من كمال العارف حبهن فانه ميراث نبوي وحب إلهي فانه قال صلى الله عليه وسلم حبب إلي فلم ينسب حبه فيهن إلا إلى الله تعالى فتدبر هذا الفصل تر عجباً وأما المريدون الذين هم تحت حكم الشيوخ فهم بحكم أشياخهم فيهم فان كانوا شيوخاً حقيقة مقدمين من عند الله فهم انصح الناس لعباد الله وان لم يكونوا فعليهم وعلى اتباعهم الحرج من الله لان الله قد وضع الميزان المشروع في العالم لتوازن به أفعال العباد والأشياخ يستلون ولا يقتدي بأفعالهم إلا ان أمروا بذلك في أفعال معينة قال تعالى "فاسئلوا أهل الذكر" وهم أهل القرآن أهل الله وخاصته وأهل القرآن هم الذين يعملون به وهو الميزان الذي قلنا ولا ينبغي ان يقتدي بفعل أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فان أحوال الناس تختلف فقد يكتن عین ما يصلح للواحد يفسد به الآخران عمل به والعلماء الذين يخشون الله أطباء دين الله المزيلون علله وأراضه العارفون بالأدوية فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اختلف الناس في أفعاله هل هي على الوجوب أم لا فكيف بغيره مع قول الله تعالى "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة" وقوله "فاتبعوني يحببكم الله" وهذا كله ليس بنص منه في وجوب الإتيان في أفعاله فانه صلى الله عليه وسلم قد اختص بأشياء لا يجوز لنا إتياعه فيها ولو اقتديناه به

فيها كنا عاصين ماثومين فينبغي لكل مؤمن ويجب على كل مدع في طريق الله إذا لم يكن من أهل الكشف والوجود والخطاب الإلهي ومن لا يكون يطفى نور معرفته نور ورعه ان يجتنب كل أمر يؤدي إلى شغل القلب بغير الله فانه فتنة في حقه ويجب عليه ان يغلب عقله على شهوته بل يسعى في قطع المألوفات وترك المستحسنات الطبيعية وما يميل الطبع البشري ويجتنب مواضع التهم وصحبة المبتدعين في الدين ما لم يأذن به الله وهم الأحداث وكذلك صباح الوجوه من المرادان مجالسة والنساء وأخذ الأرفاق فان القلوب تميل إلى كل من أحسن إليها والطبع يطلبهم والقوة الإلهية على دفع الشهوات النفسية ما هي هناك والمعرفة معدومة من هذا الصنف من الناس وما صير تحت الاختبار الإلهي إلا الذهب الخالص المعدني الذي حازرتبة الكمال وما بقي فيه من تربة المعدن شيء وكل تكليف فتنة وجميع المخلوقات فتنة والاطلاع على نتائج الأعمال فتنة وهي حالة مقام يستصحب إلى الجنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صاحب الكشف إلا تم والعالم بما ثم يستعيز من فتنة القبر وعذاب النار وفتنة الحيا والممات وأما الشهوة فهي إدارة الملد وذات فهي لذة والتلذذ بملذوذ عند المشتهى فانه لا

يلزم ان يكون ذلك ملذوذ وذا عند غيره ولا يكون موافقاً لمزاجه ولا ملامية طبعه وذلك ان الشهوة شهوتان شهوة عرضية وهي التي يمنع من اتباعها فانها كاذبة وان نفعت يوماً ما فلا ينبغي للعاقل ان يتبعها لئلا يرجع ذلك له عادة فتؤثر فيه العوارض وشهوة ذاتية فواجب عليه اتباعها فان فيها صلاح مزاجه ملائمتها طبعه وفي صلاح مزاجه وفي صلاح دينه سعادته ولكن يتبعها بالميزان الإلهي الموضوع من الشارع وهو حكم الشرع المقرر وفيها سواء كان من الرخص أو العزائم إذا كان متبعاً للشرع لا يبالي فانه طريق إلى الله مشروعة فانه تعالى ما شرع إلا ما يوصل إليه بحكم السعادة ولا يلزم أيضاً ان يكون ما يشتهي في هذه الحال ان يشتهي في كل حال ولا في كل وقت فينبغي له ان يعرف الحال الذي ولد تلك الشهوة عنده والوقت الذي اقتضاها وقد تتعلق بأعمال الطاعات هذه الشهوات الغرضية فتوجب بعداً كمن يرى موضعاً يستحسنه طبعه فيشتهي ان يصلي فيه أو لفضيلة يعلمها في ذلك الزمان على غيره فان ذلك يؤثر في حاله مع الله أثر سوء وميزان ذلك إلا لتذاذ بعمل لا لشهود إلهي وهذا من المكر الخفي ولأبي يزيد في هذه قدم راسخة وقد نبه على ذلك لما سأله أمه في ليلة باردة ان يسقيها ماء وكان براها فثقل عليه القيام وقد كان ملتذاً في جميع أحواله في خدمة أمه فاتهم نفسه في تلك اللذة إذ كان يتخيل انه لا يلتذ بخدمة أمه إلا لأقامة حق الله ولا بعبادة إلا لأقامة حق الله فيها فرمى كل عبادة تقدمت له التذاذ بها وتاب توبة جديدة فأغوار النفوس لا يدركها إلا فحول أهل الله فلا تفرح بالالتذاذ بالطاعات ورفع المشقة فيها عنك دون ميزان القوم في ذلك فإذا اقترنت هذه الشهوة بصحبة أهل البدع وهم الأحداث وبصحبة الصبيان الصباح الوجوه والنساء في الله تعالى فيما تخيل له انه في الله تعالى ففي طي هذا التعلق مكر إلهي خفي ولو تعلق ذلك بالالتذاذ منه بغير هؤلاء الأصناف فليس ذلك بميزان يعرف به مكر الله حتى يفرق بين الصحبة لله والصحبة لشهوة الطبع إلا ان يصحب العلماء بالله أهل الورع أو شيخه ان كان من أهل الأذواق فذلك أمر آخر والذي ينبغي له ان يزن به حاله في دعواه انه ما صحب الأحداث والنساء إلا الله إذا وجد ألماً ووحشة عند فقد إياهم وهيجاناً إلى لقاءهم وفرحاً بهم عند إقبالهم فتعلم عند ذلك ان الصحبة لهذا الصنف معلومة ليست لله وان وقعت المنفعة للمصحوب منه فيسعد المصحوب ويشقى هذا الحب شقاوتين الواحدة فقد الحبوب والآخرة بالجهل وعدم العلم فيما كان يتخيل انه علم وانه صحب الله وفي الله وأما ان كان ممن تتعلق تلك المحبة منه بجميع المخلوقات ومن جملة المخلوقات أيضاً هؤلاء الأصناف فقد يكون ذلك خديعة نفسية وميزانه ان لا يستوحش عند مفارقة واحد فانه لا يخلو عن مشاهدة مخلوق فمحبوبة معه ما فارقته فان العين واحدة لو غاب عضو من أعضاء محبوبك مع بقاء عينه معك ما وجدت

أما والخلق كلهم أعضاء بعضهم لبعض وأيضاً ان تعلق بجميع المخلوقات على علم من صاحبه بعموم التعلق ابتداء في غير هؤلاء الأصناف ثم تظهر هؤلاء الأصناف ولا يجد مزيداً في ميزانه فيدخلهم في عموم ذلك التعلق فذلك مبناه على أصل صحيح وان انجر معه الطبع في هذا الصنف ووجد معه الألم عند فقدده على الخصوص فذلك لا يؤثر في خلوص تعلقه الإلهي في دعوته ونصيحته لصحة الأصل فان حدث عنده عموم التعلق في ثاني الحال من تعلقه بصحبة هذا الصنف فلا يعول عليه فذلك تلبس من النفس فليحذر منه ليترك صحبتهم جملة واحدة وكلامنا انما هو مع أهل الطريق ولا بد من تمحيص هذا التعميم الذي وجدته في ثاني حال من صحبتهم كما يحص نفسه صاحب السماع المقيد بالنعمة إذا أرسله مطلقاً بعد تحصيله ابتداء من المقيد بالنعمة فهو أصل معلول فلا يعتمد من هذه حالته على سماعه المطلق المكتسب في ثاني حال فان ذلك تلبس النفس حتى لا تترك السماع المقيد والانسان إذا انصف لربه من نفسه ولنفسه من نفسه عرف حاله بل كان أعرف بحاله من غيره إلا من العارفين بالله فانهم أعرف به من نفسه لان العارفين لهم أعين في قلوبهم فتحتها لهم المعرفة يرون بها منك ما تجهله انت من نفسك لانه ليست لك تلك العين ولهذا قال الجنيد العارف من ينطق عن سره وانت ساكت والسكوت عدم الكلام فمعناه يعرف منك ما لا تعرفه انت من نفسك كالخفي من سوء المزاج يعرفه الطبيب منك إذا نظر إليك ولا تعرفه انت وهؤلاء أطباء النفوس واعلموا ان الشيوخ انما حذروا من أخذ الإرفاق من النساء ومن صحبة الأحداث لما ذكرناه من الميل الطبيعي فلا ينبغي للمريد ان يأخذ رفقاً من النساء حتى يرجع هو في نفسه امرأة فإذا تانت والتحق بالعالم الأسفل ورأى تعشق العالم الأعلى به وشهد نفسه في كل حال ووقت ووارد منكوحاً دائماً ولا يصبر لنفسه في كشفه الصوري وحاله ذكر أو لا انه رجل أصلاً بل انوثة محضة ويحمل من ذلك النكاح وليد وحينئذ يجوز له أخذ الرفق من النساء ولا يضره الميل إليهن وحبهن وأما أخذ العارفين فمطلق لان مشهودهم اليد الإلهية المقدسة المطلقة في الأخذ والعطاء وكل شخص يعرف حاله والطريق صدق كله وجد لا يقبل الهزل ولا الطفيلي عنده وان سامح الحق

الباب التسع ومائة في معرفة الفرق بين الشهوة والإرادة

وبين شهوة الدنيا وشهوة الجنة والفرق بين اللذة والشهوة

ومعرفة مقام من يشتهي ويشتهي ومن لا يشتهي ولا يشتهي ومن يشتهي ولا يشتهي

رب الإرادة سيد متحكم	تجري أمور الكائنات بوفقه
والأشتهاء من الطبيعة أصله	فمن اشتهى فالتبع مالك رقه
لا يفرح أبداً عبید طبيعة	في ملكه في المنزلين بعته
والإلتذاذ تقسمت أحكامه	في كل موجود بطالع أفقه
فتراه والأعيان تطلب حقها	يعطى كل منه واجب حقه
يعطي الجزيل وما له ملك سوى	ما أودع الملك الجواد بحقه
الوهاب يأتيه بكل فضيلة	تبدو عليه بخلقه وبخلقه
فعطائه الممزوج يشهد انه	فيما يوجد عطاءه من صدقه
أما العبيد فرزقهم معبود	فالكل ان حققت عابد رزقه

اعلم أيديك الله ان المتمكن الكامل والعابد أيضاً من أهل الله صاحب المقام يشتهي ويشتهي لكمال فيعطى كل ذي حق حقه فانه يشاهد جمعيته ففيه من كل شئ حقيقة وصاحب الحال هو صاحب فناء لا يشتهي ولا يشتهي لانه لا يشهد سوى الحق بعين الحق في حال فناء عن رؤية نفسه فلا يشتهي لان الحق لا يوصف بالشهوة ولا يشتهي لانه مجهول لا يعرف غير ربه لا تعرف الأكوان ولا نفسه لغيبته بربه عن الكل فهو غيب لا يشتهي لان العلم بالمشتهى من لوازم هذا الحكم والزاهد لا يشتهي ويشتهي فان النعم له خلقت فهو يراها حجباً موضوعة فينفر منها فلا يشتهيها وهي تشتهي لعلها بانها خلقت له فيتناولها الزاهد جوداً منه عليها وإيثار إذا كان صاحب مقام والمخلط الكاذب الذي يعصي الله بنعمه يشتهي ولا يشتهي فيشتهي لغلبة الطمع عليه ولا يشتهي لان النعم انما تشتهي من تراه يقوم بحققها وهو شكر المنعم على ما انعم الله به عليه ثم اعلم ان الشهوة إرادة طبيعية مقيدة والإرادة صفة الإلهية روحانية طبيعية متعلقها لا يزال معدوماً وهي أعم تعلقاً من الشهوة فان كل حقيقة منهما تتعلق بامناسب والمناسب ما يشركها في الأصل فلا تتعلق الشهوة إلا بنيل أمر طبيعي فان وجد الانسان ميلاً إلى غير أمر طبيعي كميته إلى إدراك المعاني والأرواح العلوية والكمال ورؤية الحق والعلم به فلا يخلو عند هذا الميل أما يميل إلى ذلك كله بطريق الإلتذاذ عن تخيل صوري فذلك تعلق الشهوة وميلها لأجل الصورة فان الخيال إذا جسد ما ليس بجسد فذلك من فعل الطبيعية وان تعلق ذلك الميل بغير هذا التخييل الحاصل بل يبقى المعاني والأرواح والكمال على حاله من التجرد عن التقييد وضبط الخيال له بالتخييل فذلك ميل الإرادة لا ميل الشهوة لان الشهوة لا مدخل لها في المعاني المجردة فالإرادة تتعلق بكل مراد للنفس والعقل كان ذلك المراد محبوباً أو غير محبوب والشهوة لا

تتعلق إلا بما للنفس في نيله لذة خاصة ومحل الشهوة النفس الحيوانية ومحل الإرادة النفس الناطقة والشهوة تتقدم اللذة بالمشتهي في الوجود ولها لذة متخيلة تتعلق بتصور وجود المشتهى فتلك اللذة مقارنة لها في الوجود فتوجد في النفس قبل حصول المشتهى واللذة مقارنة لوجود حصول المشتهى في ملك المشتهى فتزول شهوة التحصيل وتبقى اللذة فليس عين الشهوة عين اللذة لفنائها لحصول المشتهى وبقاء اللذة غير ان الطبع يحدث له أو يظهر له عن كمن غيب إلهي شهوة أخرى تتعلق ببقاء المشتهى دائماً لا تنقطع فهذه شهوة لا لذة لها فان البقاء دائماً غير حاصل مطلقاً فلا يتناهى الأمر ولا يوجد البقاء فان جدد البقاء بزمان مخصوص ومقدار معين فذلك البقاء المشتهى يكون للشهوة لذة بحصوله موجوداً فاللذة مقارنة لحصول المشتهى خاصة لا تتأخر عنه ولا تتقدمه بوجود عين ووجود خيال وأما شهوة الدنيا فلا تقع لها لذة إلا بالחסوس الكائن وشهوة الجنة يقع لها اللذة بالחסوس وبالمعقول على صورة ما يقع بالחסوس من وجود الأثر البرزخي عند نبيل المشتهى المعقول سواء ولا أعني بالجنة ان هذه الشهوة التي هذا حكمها لا توجد إلا في الجنة المعلومة في العموم انما أعني حيث وجد هذا الحكم لهذه الشهوة الذي ذكرناه فهو شهوة الجنة سواء وجد في الدنيا أو وجد في الجنة وانما أضفناها إلى الجنة لانها تكون فيها لكل أحد من أهل الجنة وفي الدنيا لا تقع إلا لآحاد من العارفين والشهوة لها نسبة واحدة إلى عالم الملك ونسبتان إلى عالم الملكوت ولها مقامات وأسرار وهي الدرجات بقدر ما لحروف إسم الشهوة من العدد بالجمال الكبير بالتعريف وهو الشهوة وبالتكثير وهو شهوة بالاتصال بكلام فتعود هاء السكت تاء فلها عدد التاء وعدد الهاء في حال التكثير والتعريف فأجمع الأعداد بعضها إلى بعض فما أجمع لك من ذلك فهو قدر درجات ما يناله صاحب ذلك المقام ولا يعتبر فيه ألا اللفظ العربي القرشي فانه لغة أهل الجنة سواء كان أصلاً وهو البناء أو فرعاً وهو الأعراب وغير العربي والمغرب لا يلتفت إليه وكذلك تعمل في كل اسم مقام وهو قولهم لكل انسان من إسمه نصيب ومعناه لكل موجود من إسمه نصيب ولهذا جاءت أسماء النعوت فلا تطلب ألا أصحابها وهي زور على من تطلق عليه وليست له وهذا من أصعب المسائل فان الاسم أطلق إلهي فلا من نصيب منه لذلك المسمى غير انه يخفي في حال مسمى ما ويظهر في آخر ومدرك ذلك عزيز وعلى هذا الحد الإرادة فالمريد إلهي رباني رحمني والمشتهى رباني رحمني خاصة والمسلم المؤمن المحسن هو المرید وصاحب الشهوة مسلم نصف مؤمن نصف محسن لانه الأحسان المقيد بالتشبيه

الباب العاشر ومائة في مقام الخشوع

يبصر القلب من تدلي إليه

غير هذا فلا يكون لديه

فله الحكم لا يكون عليه

لا يكون الخشوع ألا إذا ما

وتجلي له بصورة مثل

فان أعتز في مقام التجلي

الخشوع مقام الذلة والصغار وهو من صفات المخلوقين ليس له في الألوهية مدخل وهو نعت محمود في الدنيا على قوم محمودين وهو نعت محمود في الآخرة في قوم مذمومين شرعاً بلسان حق وهو حال ينتقل من المؤمنين في الآخرة إلى أهل العزة المتكبرين الجبارين الذين يريدون علواً في الأرض من المفسدين في الأرض فالمؤمنون في صلاتهم خاشعون وهم الخاشعون من الرجال

والخاشعات من النساء الذين أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا ونعت أصحابه في الآخرة فقال خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال "وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية تسقى من عين انية ليس لهم طعام ألا من ضريع" ولا يكون الخشوع حيث كان ألا عن تجل ألهي على القلوب في المؤمن عن تعظيم وأجلال وفي الكافر عن قهر وخوف وبطش قال عليه السلام حين سئل عن كسوف الشمس "ان الله إذا تجلى لشيء خشع له خرجه البزار وإذا وقع التجلي حصل الخشوع وأورث التجلي العلم والعلم يورث الخشية "انما يخشى الله من عباده العلماء" والخشية تعطي الخشوع والخشوع يعطي التصدع وهو انفعال الطبع للخشوع والتصدع تقصف وتكسر في الأعضاء والغطيظ الذي يسمع فيها كل ذلك من أثر الطبع القابل لأثر الوارد في التجلي الألهي وهو الذي كنى عنه الشرع بالغت والغط في نزول الوحي عليه كصلصلة الجرس وهو أشده عليه فان نزوله شديد على هذا الهيكل البشري ولا سيما ان كان النزول بالقران كما قال "ولو ان قرانا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض" وقد يكون من الجبال القوة الماسكة الطبع الذي من شأنه الميل نظير الميد في الأرض ويكون من الأرض أرض الأجسام الطبيعية أو كلم به الموتى ومن أصناف الموت الجهل يقول تعالى "أو من كان ميتاً فأحييناه" لكان هذا القران يحيا بما فيه من العلم ويقطع به الأرض وتسير الجبال بما فيه من الزجر والوعيد وقوله قراناً بالتنكير دليل على أحد أمرين أما على آيات منه مخصوصة كما شرط الجبار عندما سمع صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وأما ان يكون ثم أمر آخر ينطلق عليه أسم قران غير هذا لغة ولو حرف أمتناع لأمتناع فهل هو داخل تحت الأمكان فيوجد أو ما هو ثم ألا بحكم الفرض والتقدير فأما عندنا فكل كلام ألهي من كلمة مركبة من حرفين إلى ما فوق ذلك من تركيبات الحروف والكلمات المنسوبة إلى الله بحكم الكلام فانه قران لغة وله أثر في النزول في المحل المتزل عليه إذا كان في أستعداده التأثير بتزوله فان لم يكن فلا يشترط والأستعداد من المحل ان يكون حاله العبادة والعبودية وأثره في حال العبودية أتم منه في حال العبادة فان سمع المحل أو نزل عليه في حال كون الحق سمعه حصل له النزول ولم يظهر له أثر عليه لانه حق في تلك الحالة فينتقي عنه الخشوع وهذا أصل يطرد في كل وصف لا يكون له في الألوهية مدخل كالذلة والأفتقار والخشوع والخوف والخشية فانه يتأثر صاحب هذا الحال وكل كون يكون حالة نعت ألهي كالكرم والجود والرحمة والكبرياء فانه لا يؤثر في صاحبه أصلاً فانه نعت حق فله العزة والمنع هذا مطرد وقد نزل علينا من القران ذوقاً عرفنا من ذلك صورة نزوله على نبيه صلى الله عليه وسلم فوجدنا له لم نجد لحفظ حروفه ولا لتبدير معانيه ونزل علينا في الحاليين فآثر في الحال الواحد الكوني ولم يؤثر في الحال الألهي ألا لذة خاصة فانه لا بد منها وأما خشوعاً فلا ولهذا ينسب إلى الجناب الألهي الأقدس ما ينسب من الفرح وهو التذاذ ثم ان الله جعل مثل هذا أمثالاً مضروبة للناس يضل بها كثيراً ويهدي بها كثيراً وما يضل بها ألا الفاسقين الخارج عن الحاليين والعارين عن التلبس بالحكمين وهي حالة الغافلين عما خلقوا له وعما فضلوا به لم يمت أبو يزيد حتى أستظهر القران وهو تنزيله عليه ذوقاً ومن أستظهر القران فقد أدرجت النبوة بين جنبيه كذا قال صلى الله عليه وسلم وهذا الفرق بين تنزله على النبي صلى الله عليه وسلم وبين تنزله علينا فانه منزل في النبي صلى الله عليه وسلم على قلبه وفي صدره فنبوته له مشهودة ويتزل علينا بين جنبينا من وراء حجابنا فهو لنا في الظهر لا في الظهور فنبوتنا مستورة عنا مع كوننا محالها فمن خشع تصدع ومن علم يخشى

الباب الحادي عشر ومائة في ترك الخشوع

فقوانا قواه من غير شك

هكذا نص لي الرسول عليه

إذا كان العبد في نعت ألهي وورد التجلي عليه وتلقاه بذلك النعت أورثه لذة وفرحاً وأبتهاجاً وسروراً ولم يجد خشوعاً ولا ذلة فينسب ذلك الفرح للظاهر في المظهر لا من حيث هو ظاهر فهو سرور بكمال وأثره في المظهر من حيث ما هو مظهر فهو محبوب عن ذاته بربه في حال صحوه وظهوره وحضوره وأثباته وبقائه وترك الخشوع لمن ليست هذه حالته مذموم مطرود

الباب الثاني عشر ومائة في مخالفة النفس

خالف هواك فانه محمود

وأعلم بانك وحدك المقصود

الكل يسعد غير من هو مثله

فلتلق سمعك لي وانت شهيد

انت العزيز فذق وبال صفاته

يوم القيامة والانام شهود

أعلم أيديك الله ان مخالفة النفس هو الموت الأحمر وهو حال شاق عليها وهي المخالفة نفسها فالمخالف عين المخالف وهذا سن أعجب الأمور أعني وجود المشقة نعم لو كان المخالف نفساً أخرى لم يكن التعجب من حصول المشقة في ذلك ونحن بحمد الله حيث قلنا بمخالفتها ولم نقل تخالف بالمقابل فقد يكون الخلاف بما ليس بمقابل فيجمع بين وجود الخلاف وبين المساعدة وسيأتي في الباب الذي بعد هذا الباب وفائدة المخالفة عظيمة وأعلم انه لا يخالف النفس ألا في ثلاثة مواطن في المباح والمكروه والمحذور لا غير وأما إذا وقعت لها لذة في طاعة مخصوصة وعمل مقرب فهناك علة خفية يخالفها بطاعة أخرى وعمل مقرب فان أستوى عندها جميع التصرفات في فنون الطاعات سلمنا لها تلك اللذة بتلك الطاعة الخاصة وان وجدت المشقة في العمل المقرب الآخر الذي هو خلاف هذا العمل فالعدول إلى الشاق واجب لانها ان اعتادت المساعدة في مثل هذا أثرت في المساعدة في المحذور والمكروه والمباح وانما صعب على النفس المخالفة لكريم أصلها وعلو منصبها فان النيابة الألهية في العالم لها فتقول في نفسها بيدي أزمة الأمر وملاكه ولا سيما وقد خلقتني الله تعالى على الصورة فمخالفتي مخالفة الحق من هذا المقام يكون لها المخالفة موتاً أحمر وحجبت هذه النفس عن الاتساع الألهي وعما خلقت له وعن العلم بان الصورة ليست لكل نفس وانما هي للنفس الكاملة كنفوس الانبياء ومن كمل من الناس فلو كملت هذه النفس ما كانت المخالفة لها موتاً أحمر فان لذة العرفان تعطيتها الحياة التي لا موت فيها فالوجود والفتح مقرونان بمخالفتها في كل شيء ينبغي ان تخالف فيه فافهم

الباب الثالث عشر ومائة في معرفة مساعدة النفس في أغراضها

ساعد النفس انها نفس الح

ق ونعت له فأين تغيب

انظر الحق في الوجود تراه

عينه فالبغيض فيه الحبيب

ليس عيني سواه ان كنت تدري

فهو عين البعيد وهو القريب

مخالفتها عين مساعدتها فانها بما تخالفها فانتقلت منها إليها فما زلت عنها ثم أعلم ان للنفس غرضين ذاتي وعرضي فالذاتي هو جلب المنافع ودفع المضار والعرضي هو ما عرض لها من جانب الشريعة وقد يكون من جانب الغرض وقد يكون من جانب ملائمة الطبع وقد يكون من جانب طلب الكمال فكلها في الطريق الذي نحن بسبيله غير معتبر ألا جانب الشريعة خاصة فانها التي وضعت الأسباب الفاضلة التي بفعل ما أمرت بفعله وبترك ما نهت عن فعله وجبت السعادة وحصلت المحبة الألهية وكان الحق سمع العبد وبصره ففصل الشارع لها جميع ما يرضيه منها وما يسخطه من ذلك عليها ان فعلته وما لا سخط فيه ولا رضى فما كان مما يرضى الله فهو القاء ملكي وفي حق النبي القاء ملكي وألهي وليس للألقاء الألهي مدخل في الأولياء الأتباع جملة واحدة أعني في الأحكام بتحليل أو تحريم وما كان مما يسخط الله فهو القاء شيطاني لا ناري فمن الجن من يلقي الخير في قلوب الصالحين لهم بهم تلبس عظيم وأمتزاج ومحبة فما كان مما يلقي الشيطان فهو ملذوذ للنفس ومحجب لها ومزين في عينها في الوقت مر العاقبة في المآل والقاء الملك قد يكون مرأ في الوقت لكنه ملذوذ في المآل وكلتا الحالتين لا تقتضيهما النفس من ذاتها فلا ينبغي للعاقل ان يساعد النفس فيما تتعلق به من الأمور التي تأمره به من المباح خاصة ومن ملذوذات الطاعات وأما العارف الذي الحق سمعه وقواه فيساعددها في جميع أغراضها فانه نور كله والنور مالا ظلمة فيه ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه "وأجعلني نوراً" لان النفس ما ينسب إليها ذم ألا بعد تصريحها آلتها في المذموم وهو الظلمة فيقال قد أغتاب الغيبة المحرمة عليه وقد كذب الكذب المحرم عليه وقد نظر النظر المحرم عليه وما لم يظهر الفعل على الآلات لم يتعلق بها ذم والعارف قد وقع الأخبار الألهي عنه بان الحق جميع قواه فذكر الآلات فلهذا أجنأ للعارف مساعدة النفس لما هو عليه من العصمة في ظاهره الذي هو الحفظ

الباب الرابع عشر ومائة في معرفة الحسد والغبط

وهو النفس بعاد

وهو الملك الجواد

وبهذا القوم سادوا

حسد الحق العباد

لت لما كان العناد

حسد القلب حصاد

عينه في الجنس تبدو

فانا أحسد مثلي

مالنا مثل سوانا

لو درى الناس الذي ق

الحسد وصف جبلي في الانس والجان وكذلك الغضب والغبط والحرص والشره والجن والبخل وما كان في الجبلة فمن المحال عدمه ألا ان تنعدم العين الموصوف بها ولما علم الحق ان أزالته من هذين الصنفين من الخلق لا يصح زوالها عين لها مصارف يصرفها فيها فتكون محمودة إذا صرفت في الوجه الذي أمر الشارع ان تصرف فيه وجوباً أو ندباً وتكون مذمومة إذا صرفت في خلاف المشروع وإذا عرفت هذا فلا عناد ولا نزاع قال صلى الله عليه وسلم زادك الله حرصاً ولا تعد وقال منهومان لا يشبعان طالب دنيا وطالب علم فطلب الدنيا قد يكون مذموماً وقد يكون محموداً وطلب العلم محمود بكل وجه غير ان المعلومات متفاضلة فبعضها أفضل من

بعض وتختلف باختلاف القصد فان طلب العلم بالمثال من جهة من قامت بهم لا من حيث أعيانها وطلب بعضها بطريق التجسس مذموم فما ثم على التحقيق ما هو مخلص لأحد الجانبين أين قوله "ومن شر حاسداً إذا حسد" من قوله لا حسد ألا في اثنين وكذلك أين الغضب لله من غضب الانسان لنفسه من غضبه حمية جاهلية فجميع ما جبلت النفس عليه لا يزول بالمجاهدة ولا بالرياضة وانما تختلف مصارفها فيختلف اللسان عليها بالذم والحمد فان أخذ بها جهة اليمين فبخل بدينه وحرص على فعل الخير وغضب لله حمد وان أخذ بها جهة الشمال فغضب حمية جاهلية وبخل بما فرض عليه الجود به كالزكاة وتعليم العلم ذم حقاً وخلقاً وعلم هذا الباب فيه راحة عظيمة ومنفعة للناس وهم عنها غافلون انتهى الجزء الثامن والتسعون

الجزء التاسع والتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الخامس عشر ومائة في معرفة الغيبة ومحمودها ومذمومها

إذا نزل الحق من عزه
فخذه على حد ما قاله
ولا تلقينه على جاهل
إلى منزل الجوع والمرحمه
فان به تحصل المكرمه
فتحصل في موقف المندمه
فغيبك الحق في ذكره
وان كان حقاً ولكنه
بما لم يقل وهي المشئمه
إذا قاله قائل قال مه

أعلم فهمك الله ما أسمعك ان الغيبة ذكر الغائب بما لو سمعه ساءه وهي حرام على المؤمنين فالحق لا يغتاب لانه السميع البصير في نفس الأمر وعند العلماء به وقد أبان لعباده ما يكرهه منهم وما يحمده فمنهم من آمن ومنهم من كفر فلا يغتاب أيضاً أسم فاعل وأسم مفعول فالغيبة حرام على المكلفين فيما بينهم ويحتملها أهل المروآت من غير المؤمنين نزاهة وشرف نفس لان أجتناها يدل على كرم الأصول ألا في مواطن مخصوصة فانها واجبة وقربة إلى الله وأهل الورع من المؤمنين يعرضون بها ولا يصرحون فمن ذلك في طريق الجرح الذي يعرفه المحدثون في رواية الأحكام المشروعة رويانا عن بعض العلماء بالله انه كان يقول في ذلك لصاحبه تعال نغتب في الله ومنها عند المشورة في النكاح فانه مؤتمن والنصيحة واجبة ومنها الغيبة المرسلة وهو ان يغتاب أهل زمانه من غير تعيين شخص بعينه ومنها غيبة المشايخ المريدين في حال التربية إذا كان فيها صلاح المرید إذا وصل ذلك إليه ومع كون الغيبة محمودة في هذه المواطن فعدم التعيين فيها أولى من التعيين فان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا غيبة في فاسق نهيًا لا نفيًا على هذا أخذ أهل الورع هذا الخبر وطريق التعريض هين المأخذ وما عدا أمثال هذه المواطن فهي مذمومة يجب أجتناها ومن هذا الباب تجريح الشهود إذا عرف المشهود عليه انهم شهدوا بالزور فوجب عليه نصرة الحق وأهله وخذلان الباطل وأهله ومن هنا يتبين لك ان العدم هو الشر فان شهداء الزور مالوا إلى جانب العدم ورجحوه على الوجود ووصفوا بالكون ما ليس بكائن وجعله الله على لسان رسوله من الكبائر لانه ما مدلول قولهم ألا العدم ومع هذا كله ان أستطاع من هو من أهل طريق الله التعريض لا التصريح حتى يفهم عنه ما يريد إذا علم ان في ذلك منفعة دينية فليفعل فهو أولى ويحصل الغرض ويكون اللسان قد وفي ما تعين عليه من غير فحش في المنطق وهذا كله ما دام يسمى مؤمنًا وأما ان كان هذا الشخص في مقام من كان الحق سمعه وبصره ولسانه فحاله غير حال المؤمن مع انه من أهل الايمان وأعلم ان الله تعالى ما خلق داء ألا وخلق له دواء والأدوية على نوعين دواء العامة وهو الذي يقدر عليه كل أحد والدواء الآخر دواء ملكي وهو الذي لا يقدر عليه ألا الملوك والأغنياء لنفاسته وغلو ثمنه فلا يقدر عليه ألا المتمكن من المال

والسلطان وهكذا قسم الأدوية أهل الطب وصادفوا الحق في ذلك فأما الدواء العام النافع الداخل تحت قدرة كل أحد من غني وفقير وسوقة وملوك من داء جميع الذنوب والمعاصي فهو التوبة وأرضاء الخصوم من شروطها مما يقدر عليه من ذلك وعينه عليه الشارع إذا كان ذلك الداء مما ينبغي ان يرضى فيه الخصوم وإذا كان مما لا ينبغي فيتوب ولا يرضى خصمه فانه ان أرضاه قد يقع في محذور أشد مما كان قد تاب عنه فلا يغفل عنه وأما الدواء الملكي فلا يستعمله ألا العارفون السادة من رجال الله وهم الذين يكون الحق سمعهم وبصرهم ولسانهم وهو قوله عقيب قوله "ولا يغتب بعضكم بعضاً أوجب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه" هذا خطاب عام ثم قال "وأتقوا الله" هذا هو الدواء ومعناه أتخذوه وقاية بينكم وبين هذه الأمور المذمومة التي الغيبة منها فإذا أتخذتموه جنة تعاونت هذه الجنة سهام هذه الأفعال وهي قوية لا تنفذها هذه السهام فيكون المتقي بها في حمايتها ولا يكون الحق وقاية للعبد حتى يتلبس به البعيد كما يتلبس المتوقي بالجن من الدرع الحصينة وغيرها وصورة تلبسه ان يكون الحق سمعه ولسانه وجميع قواه وجوارحه في حال تصرفها فيما هي له فيكون نوراً كله فنبه الله في كتابه على هذه الأدوية الملكية السلطانية مثل قوله تعالى "فألمهمها فجورها" والغيبة من الفجور وتقواها أي الذي يتخذها وقاية من هذا الفجور ولم يجعل الفجور من أوصافها وانما جعله مجعولاً فيها من الملهم لها كما أيد هذا بقوله أضمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فما جعل التزيين له بل قال زيناهم أعمالهم وقال زين اهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل ولما أضاف التزيين إليه سبحانه قال فهم يعمهون أي يحارون والحيرة من صفات الأكابر وصفة الحيرة في مثل هذا انه الأمر في إيجادهم للملهم المزين والمجهول فيه الملهم والمزين له مأمور باجتنابه وهو الاتصاف بما ألهم ومازين من قبل ان يظهر بالفعل فهو مذموم غير مؤاخذه حتى

يتلبس به في الظاهر ثم قال في أمور من هذا الباب انه رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه وهو البعيد من الرحمة فاجتنبوه أي وكونوا مع الاسم القريب من الرحمة ومن أسمائه سبحانه البعيد فمن أتخذ الحق جنة ووقاية كما أمر لم تضره هذه الأشياء فان الله تعالى مانبهه على استعمال هذه الأدوية الألقامة العذر منه إسئل عن مثل هذا والمؤمن غيب خاف جنته فهو في حمى فلا يخرج عن حماه والفاسق الذي لا غيبة فيه ليس بغائب خلف جنته بل هو خارج عنها لان الفسوق الخروج فقال لا غيبة في فاسق فمن أخرج غيباً يستحق ان يكون غيباً الى شهادة فقد أخطأ ولهذا أضاف الغيبة إلينا فقال ولا يغيب بعضكم بعضاً فجعلنا نشأة واحدة ذات أبعاد فان الجزء والتفصيل انما يرد على الكل فما خر عنا ولا وقعنا ألافينا فشدد الأمر عليين في ذلك فان القاتل نفسه حرمت عليه الجنة وهي الساترة فان الشئ لا يستتر عن نفسه وكل من ذكر غائباً فقد صيره شهادة وغربه عن موطنه وموت الغريب شهادة فالمغتتاب فاعل خير في من أعتابه وان كان يكره ذلك ففيه منفعة كشارب الدواء الكره وعسى ان تكرر هو شيئاً وهو خير لكم وإذا كان فاعل خير من غير قصد فهو ممن أجرى الله الخير لزيد على يديه فيكون جزاؤه جزاء من وفق لعمل خير من قصد في حق من إغتابه لكن ذلك مقصود لمن ألهمه إياه وسماه فجوزا في حقه فيصلح الله يوم القيامة بين عباده لما يراه المظلوم من الخير الواصل إليه على يدي أخيه فيشكره على ذلك فيسعدان جميعاً وفي الخير الصحيح فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين عباده يوم القيامة فالغيبة وان كانت مذمومة فهي من ذلك الوجه محمود في حق من إغتيب فما لالي الخير أذ كانت الجنة والوقاية الحائلة بينهما الحق والحق والغيبة وجود ماهي عدم فوق التناسب بين الموجودين فاندرج الأضعف في الأقوى فاعلم ذلك والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب السادس عشر ومائة في معرفة القناعة وأسرارها

ان القناعة باب انت داخله

ان كنت ذاك يرجى لخدمته

فأفنع بما أعطت الأيام من نعم

من الطبيعة لا تقنع بنعمته

لو كان عندك مال الخلق كلهم لم يأكل الشخص منه غير لقمته ليست القناعة عندنا الأكتفاء بالموجود من غير طلب المزيد أرسل الله تعالى على أيوب وهو نبي مكرم قيل فيه نعم العبد انه أواب وأثنى عليه بالصبر مع دعائه ربه في كشف الضر عنه فأزاله فلما أرسل عليه رجلاً من جراد من ذهب فأخذ يجمعه في ثوبه فقال له ربه ألم أكن أغنييتك عن هذا فقال يا رب لا غنى بي عن خيرك فان كان فعل هذا لما هو عليه ظاهر الحال فهو ما أردنا وان كان ليقندي به في ذلك فما فعل ألا ما هو أولى بالقربة إلى الله من تركه وهو من الذين هدى الله وأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالأقتداء بهداهم وقال لنا لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة والقناعة عندنا على بابها في اللسان وهي المسئلة والقانع السائل والسؤال من الله لا من غيره يقال قنع يقنع قنوعاً إذا سأل وهو الذي رفع سؤاله إلى الله وهو قوله في الظالمين يوم القيامة مقنعي رؤسهم أي رافعين إلى الله يسألونه المغفرة عن جرائمهم ويجمع الحدان في أمر وهو ان السائلين الله قنعوا به في سؤالهم وألتجأهم إليه فلم يسألوا غيره تعالى فهذا معنى قول الأكابر الأكتفاء بالموجود وهو الله بالسؤال عن طلب المزيد وهو ان يتعدى بالسؤال إلى غيره والخلق عيال الله أي الفقراء إلى الله فمن سأل غير الله فليس بقانع ويخاف عليه من الحرمان والخسران فان السائل موصوف بالركون لمن سألوه والله يقول ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون ومن ركن إلى جنسه فقد ركن إلى ظالم فان الله يقول في الانسان انه كان ظلوماً لحمله الأمانة وما من أحد من الناس ألا حملها فلا تركز إلى غير الله وأكتف بالله في سؤالك تسعد ان شاء الله وللقناعة درجات عند العارفين من أهل الانس والوصال هي ستمائة وأثنان وخمسون درجة ودرجاتها عند العارفين من أهل الأدب والوقوف مائتان وسبع وخمسون درجة ودرجاتها عند الملامية من أهل الانس والوصال ستمائة وأحدى وعشرون درجة ودرجاتها عند الملامية من أهل الأدب والوقوف مائتان وست وعشرون درجة وللقناعة الدعوى ولها نسبتان نسبة إلى عالم الجبروت ونسبة إلى عالم الملكوت وليس لها إلى عالم الملك نسبة ظاهرة بل لها نسبة باطنة إلى عالم الملك يظهر ذلك القنوع وهذا القدر كاف فيها والله الموفق

الباب السابع عشر ومائة في مقام الشره والحرص في الزيادة على الاكتفاء

وأشره فانك مجبول على الشره

فليس نائمها عنها كمننتبه

وليس مال حرام مثل مشتبه

لا تقنعن بشيء دونه أبداً

وأحرص على طلب العلياء تحظ بها

ان الحلال حلال ما وثقت به

أعلم أيديك الله ان هاتين الصفتين مجبول عليهما الانسان بما هو انسان وكل ما هو الانسان مجبول عليه فمن الحال زواله فهو مقام لا حال فانه ثابت ويتطرق إليه الذم من جهة متعلقه إذا كان مذموماً شرعاً وعقلاً قال تعالى "ولتجدنهم أحرص الناس على الحياة" وقال صلى الله عليه وسلم زادك الله حرصاً ولا تعد فالآية موجهة لطرفي الحمد والذم لولا الضمير الذي في قوله ولتجدنهم فانه يعود على قوم مذمومين وقرينة الحال تدل على ان مساقه الحرص فيها على الذم تكذيباً لهم فيما ادعوه من ان الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس فمن نظر في الحرص هنا الدلالة على كذبهم كان محموداً فيهم لانه دليل إلهي على كذبهم فهو من جانب الحق فيهم عليهم حجة لله ولله الحجة البالغة والمذموم هو المذموم من كل وجهة من حيث ما هو فيهم لا من حيث دلالتهم عليهم وكان متعلقه ما يفني وتكذيب الصادق كان مذموماً وأما في الخبر الذي أوردناه فهو محمود لانه حرص على أداء عبادته مفروضة ثم انه مع هذا فانهم صفتان من صفات العالم الوارث المكمل الذي هو سائس أمة فهو ينظر فيما فيه صلاحهم كما قال في نبيه صلى الله عليه وسلم يمدحه به حريص عليكم فمدحه بالحرص على ما تسعد به أمته وشرهه وحرصه على إسلام عمه أبي طالب إلى ان قال له قلها في أذني حتى أشهد لك بما تعلمه بان شهادته مقبولة وكلامه مسموع فيعرف الكامل نائب الله في عبادته نواب الزمان المستانفة فيستعد لها عن الأمر الذي كان له منه الإطلاع على منازلها فيتخيل من لا علم له انه سعى في حق نفسه وليس الأمر كذلك وهو كذلك فانه يباهي الأمم بالإتباع من أمته فكان يطلب الكثرة من المؤمنين ولكن لا بد لها الشره من وجود الشرطين الإطلاع والأمر الإلهي وهو الشرط الأعظم وأما الإطلاع وان اشترط فهو شرط ضعيف فانه لا يشترط إلا لمن ادعى انه يدخر في حق الغير ثم يتناول من ذلك المدخر في حق نفسه فيقال له هل أطلعك الله على من له هذا المدخر عندك وهل اطلعت على انه لا يصل إليهم إلا على يدك فان قال نعم سلم له الإدخار وان قال لا قيل له فحرصك ما قام على أصل مقطوع بصحته فدخله الخلل فان قيل فقد قالت طائفة من صح توكله في نفسه صح توكله في غيره قلنا هذا صحيح وهذا لا يناقض حال هذا الحريص على الكسب والإدخار والمزاحمة لابناء الدنيا الذين لا توكل لهم على ذلك فان التوكل أمر باطن وهو الإعتماد على الله وهذا المدخر ان كان اعتماده على ما ادخره فهذا يناقض التوكل وان لم يعتمد عليه فليس يناقض لكن يناقض التجريد الظاهر وقطع الأسباب وليس هذا من أحوال المكملين وانما هو من أحوال السالكين ليكون لهم ما اتخذوه عقداً ذوقاً فان الذوق أتم في التمكن فانه يزيل الإضطراب في حال عدم السبب الذي من عادة النفس ان تسكن إليه وسيرد تحقيق هذا في مقام التوكل بعد هذا ان شاء الله ولهذا الشره والحرص من الدرجات عند العارفين سواء كانوا من أهل الأدب والوقوف أو من أهل الانس والوصال ثمانمائة وخمس وستون درجة وعند

الملامتية سواء كان الملامي من أهل الانس والوصال أو من أهل الأدب والوقوف ثمانمائة درجة وثلاث درجات فان كان العارفون من أهل الأسرار فلهم من الدرجات ألف وخمسمائة وخمس وثلاثون درجة وان كانوا من أهل الانوار فلهم ثمانمائة درجة وخمس وستون درجة وان كان الملامية من أهل الأسرار فلهم ألف وأربعمائة وثلاث وسبعون درجة وان كانوا من أهل الانوار فلهم ثمانمائة وثلاث درجات وهو نعت إلهي فانه يقول عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وكذلك الحرص نعت إلهي أيضاً وهو الذي يقتضيه قول الله لملائكته في المتشاحنين انظروا هذين حتى يصطلحا وتسخير الملائكة في حق المؤمنين بالإستغفار والدعاء لهم فهذا من ثمرته وان لم يرد الإطلاق اللفظي به فان هذه الأمور على قسمين منهما ما ورد إطلاق اللفظ باسمائها على الجنب الإلهي ومنها ما وجد منه آثارها ولم يطلق عليه منها إسم ومنها ما نسب الفعل الذي يكون منها إليه ولم يطلق عليه منه إسماً ومنها ما أطلق عليه منه إسماً في جماعة بحكم التضمين فمثل ما نسب إليه الفعل ولم يطلق الاسم قوله الله "يستهيئ بهم" وقوله "سخر الله" منهم ومثل ما نسب إليه الفعل وأطلق عليه الاسم في جماعة بحكم التضمين قوله "ومكر الله والله خير الماكرين" ومثل ما أطلق عليه منه إسم قوله وهو خادعهم

ومثل ما وجد منه آثارها ولم يطلق عليه منها إسم ولا فعل قوله عجلنا له فيها ما نشاء

الباب الثامن عشر ومائة في مقام التوكل

سلك الصراط وكان أقوم قبيلاً

عبد الاله يقارن التنزيلاً

لا تتخذ غير إلهه وكبيلاً

من يتخذ رب العباد وكبيلاً

ان الذي فيه يوكل ربه

يا طالباً ما ليس يعلم ما له

التوكل اعتماد القلب على الله تعالى مع عدم الإضطراب عند فقد الأسباب الموضوعة في العالم التي من شان النفوس ان تركز إليها فان اضطراب فليس بمتموكل وهو من صفات المؤمنين فما ظنك بالعلماء من المؤمنين وان كان التوكل لا يكون للعالم إلا من كونه مؤمناً كما مؤمناً كما قيده الله به وما قيده سدى فلو كان من صفات العلماء يقتضيه العلم النظري ما قيده بالايمن فلا يقع في التوكل مشاركة من غير المؤمن بأي شريعة كان سبب ذلك ان الله تعالى لا يجب عليه شئ عقلاً إلا ما أوجبه على نفسه فيقبله بصفة الايمان لا بصفة العلم فانه فعال لما يريد فلما ضمن وأخير بانه يفعل أحد الممكنين اعتمدنا عليه في ذلك على التعيين وصدقناه لانه بالدليل والعلم النظري فعلم صدقه فسكوننا وعدم اضطربنا عند فقد الأسباب انما هو من الايمان بضمانه فلو بقينا مع العلم اضطربنا فالعلم إذا سكن فمن كونه مؤمناً وكونه مؤمناً من كونه عالماً بصدق الضامن وتحقيق الوكالة من يستحقها هل الله أو أهل العالم أو هل لله منها نصيب وللعالم نصيب فاعلم ان الوكالة لا تصح إلا في موكل فيه أمر يكون للموكل ليس لغيره فيقيم فيه وكبيلاً ويتصرف فيما للموكل ان يتصرف فيه مطلقاً فمن نظر ان الأشياء ما عدا الانسان خلقت من أجل الانسان كان كل شئ له فيه مصلحة يطلبها بذاته ملكاً له ولما جهل مصالح نفسه ومصالحة ما فيها سعادته خاف من سوء التصرف في ذلك وقد ورد فيما أوحى الله لموسى يا ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلي فقال إذ وقد خلق الأشياء من أجلي فما خلق إلا ما

يصلح لي وانا جاهل بالمصلحة التي في استعمالها نجاتي وسعادتي فلنوكله في أموري فهو أعلم بما يصلح لي فكما انه خلقها هو أولى بالتصرف فيها هذا يقتضيه نظري وعقلي من غير ان يقترن بذلك أمر إلهي فكيف وقد ورد به الأمر الإلهي فقال "لا إله إلا هو فاتخذ وكيلاً" نبه بهذا الأمر انه لا ينبغي الوكالة إلا لمن هو إله لانه عالم بالمصالح إذ هو خالقها كما قال "ألا تعلم من خلق وهو اللطيف الخبير" فاتخذ المؤمن العالم وكيلاً وسلم إليه أموره وجعل زمامها بيده كما هو في نفس الأمر فما زاد شيئاً مما هو الأمر عليه في الوجود ومدحه الله بذلك وما أثر في الملك شيئاً وهذا غاية الكرم الشاء بالأثر على غير المؤثر بل الكل منه وإليه فهذا الناظر الأول والناظر الثاني هو ان يقول ما خلق الله الأشياء من أجل الأشياء وانما خلقها ليسبحه كل جنس من الممكنات بما يليق به صلاة وتسبيح لتسرى عظمتة في جميع الأكوان وأجناس الممكنات وانواعها وأشخاصها فقال "كل قد علم صلاته وتسبيحه" وقال "وان من شيء إلا يسبح بحمده" فالكل له تعالى ملك وإذا كان الأمر على هذا ولم يخلق على الصورة الإلهية سوانا ووصف نفسه بالغيب عن الأشياء واسدل الحجب بينها وبين ان ندركه فهو يدركها ولا تدركه لانها لا تعرفه فأقام الانسان خليفة وهو الوكيل فقال "وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه" فحد لنا في الوكالة أمور إلا نتعدها فما هي وكالة مطلقة مثلما وكلناه نحن فحد حدوداً لنا ان تعديناها تعدينا حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه وعلى النظر الأول جاء القران كله فانهما قال إلا توكلا وقال المتوكلون فرجح النظر الأول وهو ان نتخذ وكيلاً في المصلحة لنا لا في الأشياء فيجمع بين النظرين وهي حالة ثالثة شهدناها وما رأيناها لأحد من طريقتنا فقلنا انه خلق الأشياء له لا لنا وأعطى كل شيء خلقه ومن خلقنا افتقارنا إلى ما يكون به صلاحنا حيث كنا من دنيا وآخرة ولا نعلم طريقتنا إلى المصلحة لانه ما خلق الأشياء من أجلنا فوكلناه ليسخر لنا من هذه الأشياء ما يرى فيه المصلحة لنا امتناناً منه وامثالاً لأمره فنكون في توكلنا عليه عبيداً مأمورين بمثلين أمره نرجو بذلك خيره فوق التوكل في المصلح لا في عين الأشياء وهذا برزخ دقيق لا يشعر به كل أحد للطافته وهو جمع بين الإثنين وتثبيت للحكمين وان كان قد تكلم أهل هذا المقام فيه وما من أحد منهم إلا نزع لأحد الطرفين من غير جمع بينهما فالرجال المنعوتون بهذا المقام منهم من يكون بين يدي الله فيه كالميت بين يدي الغاسل يقبله كيف يشاء ولا يعترض عليه في شيء ومنهم من حالته فيه حال العبد مع سيده في مال سيده ومنهم من حاله فيه حال الولد مع والده في مال ولده ومنهم من حاله فيه حال الوكيل مع موكله يجعل كان أو بغير جعل والذي عليه المحققون وبه نقول ان التوكل لا يصح في الانسان على الإطلاق على الكمال لان الإفتقار الطبيعي بحكم ذاته فيه والانسان مركب من أمر طبيعي وملكوتي ولما علم الحق انه على هذا الحد وقد أمر بالتوكل وما أمر به إلا وهو ممكن الإتصاف به وقد وصف نفسه بالغيرة على الإلوهية فأقام نفسه مقام كل شيء في خلقه إذ هو المفتقر إليه بكل وجه وفي كل حال فقال "يا أيها الناس" وما خص مؤمناً ولا غيره "انتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد" فما افتقرتم إليه من الأشياء هو لنا وبأيدينا وما هو لنا فما يطلب إلا منا فإلينا الإفتقار لا إليه إذ هو غير مستقل إلا بنا وليكن للتوكل أحوال يصح الإتصاف بها يسمى توكلًا وبلغني عن واحد من أهل طريق الله انه قال بما أشرنا إليه في هذه المسئلة متنا وما سممنا لهذا التوكل رائحة لانه يطلب سريانه في الكل للإفتقار الطبيعي الذي فيه والتوكل مقام لا يتبعض إلا بالحجاز ونحن أهل حقائق فلوصح في وجه كما يزعم هذا المدعي لصح في جميع الوجوه وله الدعوى وصاحبه مسؤول وله الكشف ودرجاته عند العارفين أربعمائة وسبع وثمانون ودرجات الملاميين فيه أربعمائة وست وخمسون وله نسب إلى العالم كله من ملك وملكوت وجبروت

الباب التاسع عشر ومائة في ترك التوكل

انت الخليفة فيما انت مالكة

والحق ليس به نفع ولا ضرر

ترك التوكل حال ليس يعلمه

غير الوكيل فلا روح ولا بشر

كيف التوكل والأعيان ليس سوى

عين الموكل لا عين ولا أثر

التوكل مشروع فينال الحد المشروع منه والتوكل الحقيقي غير واقع من الكون في حال وجوده فما هو ألا للمعدوم في حال عدمه وما ثم مقام يتصف به ولا يصح في الموجود من جهة الحقيقة ألا التوكل فلا يزال المعدوم موصوفاً بالتوكل حتى يوجد فإذا وجد خرج عنه التوكل فذلك المعبر عنه بترك التوكل ثم أقول لا يصح ترك التوكل المعروف عند العامة من أهل الله ألا لرجلين الواحد علم انه لا يصح فترك المشروع فيه لانه عنده لا يمكن تحصيله لما رأى نفسه إذا أخذه ألم الجوع وعنده ما يدفعه به تناوله ليزيل ألم الجوع فلا فرق بينه وبين من يسترقي ويتطبب ويلجأ إلى محل الأمن من الأمور المخوفة مع الصحو وتوفر العقل والعلم التام فالتوكل من حيث ما هو مقام هو حاصل ومن حيث حاله ليس بحاصل فالتوكل يصح لا يصح وأما الرجل الآخر قال ان الله أعلم بمصالح الخلق وقد أعطي كل شيء خلقه فقيم التوكل مع هذا الفراغ فترك التوكل فانه ما بقي له ما يعتمد على الله فيه لانه قال فرغ ربك ومع هذا فهو واقف مع الأمر والنهي عامل بما أمر به أو نهى عنه من الأعمال قائم بالحكم المشروع عليه فمن أسرار التوكل ترك التوكل فان ترك التوكل يبقى الأغيار والتوكل ينفي الأغيار وعند أكثر القوم ان الأعلى ما ينفي لأ ما يبقى وعندنا وعند شيخنا أبي السعود بن الشبلي وأبي عند الله الهواري يتنس من بلاد المغرب وأبي عبد الله الغزال بالرية ببلاد الاندلس وأبي عمران موسى بن عمران الميرتلي باشبيلية وغيرهم ان الأعلى ما يفني ما ينبغي ويبقى ما ينبغي في الحال التي تنبغي والوقت الذي ينبغي وبه كان يقول عبد القادر الجيلي ببغداد فان الله تعالى أفنى وأبقى يقول تعالى " وما عندكم ينقد " فلا تعتمد عليه " وما عند الله باق " فتعتمد على الله في بقائه فأفنى وأبقى والأفناء حال أبي مدين في وقت أمامته ولا أدري هل انتقل عنه بعد ذلك أم لا لانه انتقل عن الامامة قبل ان يموت بساعة أو ساعتين الشك مني لبعد الوقت وصاحب ترك التوكل ما له دعوى وهو غير مسؤول لانه أمر عدمي فجرى مجرى الأصل في قوله تعالى " هل أتى على الانسان حين من الدهر " لم يكن شيئاً مذكوراً يريد عدمه في عينه لانه كان مذكور الله تعالى والدهر أسم من أسماء الله ولهذا الاشتراك اللفظي نهى عن سب الدهر وقال ان الله هو الدهر وما ثم عين تسب لعينها وانما تسب لما يصدر منها وما يصدر كون ألا من الله والدهر الزماني نسبة وقوله " لم يكن شيئاً مذكوراً " يعني الانسان في ذلك الحين أي موجوداً في عينه مع وجود الأعيان ولكن ما تعرفه حتى تذكره ولا هي ذات فكر حتى تجمععه في ذهنها تقديراً فتذكره فان الفكر من القوى التي أختص بها الانسان لا توجد في غيره ثم ان هذه الآية من أصعب ما نزل في القرآن في حق نقصان الانسان وفيما يظهر من عدم الاعتناء الألهي به وعندنا ما أخر الله نشأته ووجود عينه ألا أعتناء الله به لانه لو أوجده الله أول الأشياء كان يمر عليه وقت لا يكون فيه خليفة فانه ما ثم من قد هبأه لمرتبة الخلافة والنيابة عنه فلا بد ان يتأخر وجود عينه عن وجود الأعيان حتى لا يزول عنه أسم الخلافة دنيا ولا آخرة فما وجد ألا ملكياً سيداً كما انه مع غيره لله عبد مملوك ففضل العالم كله بالخلافة فلم تكن لغير الانسان وهذه المرتبة أوجبت له ان يخلق على الصورة ومن قال ان هذه الآية تدل على عدم الاعتناء الألهي بالانسان لان الله متكلم أزلا عالم

بما يكون أزلاً ونفي ان يكون الانسان شيئاً مذكوراً مع انه شيء ولا بد لقوله "انما قولنا لشيء إذا أردناه ان نقول له كن فيكون" فما يؤمر ألا من يسمع بسمع ثبوتي أو وجودي ونفي ان يكون الانسان مذكوراً في حين من الدهر والدهر هنا الزمان والحين جزء منه لم يكن فيه الانسان مذكوراً مع وجوده صورة انسان وجهل من شاهد صورته مراد الله فيه وما علم له أسم رتبة يذكر به ولا ماله عند الله من العناية به التي ظهر أثرها عليه حين أقامه خليفة في أرضه وما غربه عن موطنه وهو التراب الذي خلق منه وموطن ذلته لشهود عبوديته فان الأرض ذلول فما حجبت الخلافة عن عبودته وان كانت أعلى المراتب فهو فيها بالذات والملائكة المقربون فيها بالعرض يقول تعالى لن يستنكف المسيح لكونه يحيي الموتى ويخلق ويرى ان يكون عبد الله ثم عطف فقال ولا الملائكة المقربون وهم العالون عن العالم العنصري

المولد فهم أعلى نشأة والانسان أجمع نشأة فان فيه الملك وغيره فله فضيلة الجمع ولهذا جعله معلم الملائكة وأسجدهم له فمساق الآية يوزن بتقرير النعم عليه وانما وقعت الصعوبة في هذا الذكر كونه نكرة والنكرة تعم في مساق النفي فالتنكير يوزن بتعميم نفي الذكر عنه من كل ذاك وهو دليل على ان الله ما ذكره لمن أوجد قبله من الأعيان وان كان مذكوراً له في نفسه ثم ذكره لملائكته بمرتبته التي خلق لها لا باسمه العلم الذي هو آدم فاعلم

الباب العشرون ومائة في معرفة مقام الشكر وأسراره

هذا من الروح والثاني من الجسد

والشكر للفوز مثل السلب للأحد

والشكر للرفد لا يجري إلى أمد

الشكر شكران شكر الفوز والرفد

فالشكر للرفد يعطيني زيادته

والشكر للفوز محصور بغايته

أعلم ان درجات الشكر في الأسرار الألهية ألف درجة ومائتان وأحدى وخمسون درجة عند العارفين من أهل الله وعند الملمية منهم ألف ومائتان وعشرون ودرجاته في الانوار عند العارفين خمسمائة وأحدى وخمسون درجة وعند الملامية من أهل الانوار خمسمائة وعشرون دلالة أعلم أيدك الله ان الشكر هو الشاء على الله بما يكون منه خاصة لصفة هو عليها من حيث ما هو مشكور ومن أسمائه الشكور وشاكر وقد قال "لئن شكرتم لأزيدنكم" فهي صفة تقتضي الزيادة من المشكور للشاكر وهي واجبة بالاتفاق عقلاً عند طائفة وشرعاً عند طائفة فان شكر المنعم يجب عقلاً وشرعاً وما تسمى الله تعالى بشاكر لنا ألا لتريده من العمل الذي أعطاه ان يشكرنا عليه لتريده منه كما يزيدنا نعمة إذا شكرناه على نعمة وآلائه ولا يصح الشكر الأعلى النعم فتفطن لنسبة الشكر إليه تعالى بينية المبالغة في حق من أعطاه من العمل ما تعين على جميع أعضائه وقواه الظاهرة والباطنة في كل حال بما يليق به وفي كل زمان بما يليق به فيشكره الحق على كل ذلك بالاسم الشكور وهذا من خصوص أهل الله وأما العامة فدون هذه الرتبة في أعمال الحال والزمان وجميع الكل فإذا أتوا بالعمل على هذا الحد من النقص تلقاهم الاسم الشاكر لا الشكور فهم على كل حال مشكورون ولكن قال الله تعالى "وقليل من عبادي الشكور" فهم خاصة الله الذين يرون جميع ما يكون من الله في حقهم وفي حق عباده نعمة ألهية سواء ساءهم ذلك أم ساءهم فهم يشكرون على كل حال وهذا الصنف قليل بالوجود وبتعريف الله أيانا بقلبتهم وأما الشاكرون

من العباد فهم الذين يشكرون الله على المسمى نعمة في العرف خاصة والشكر نعت ألهي وهو لفظي وعلمي وعملي فاللفظي الثناء على الله بما يكون منه على حد ما تقدم والعملية قوله تعالى وجفان كالجوابي وقدر راسيات أعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور فهذا هو الشكر العملي وقوله وأما بنعمة ربك فحدث" فهو موجه له وجه إلى اللفظ وهو الذكر بما انعم الله به عليه فإذا ذكر ما انعم الله به عليه من النعم المعلوم في العرف من المال والعلم فقد عرض نفسه لنقص في ذلك فيجود به على القاصد قيد خلك في الشكر العملي لان من النعم ما يكون مستوراً لا يعرف صاحبها انه صاحب نعمة فلا يقصد فإذا حدث بما أعطاه الله وانعم عليه به قصد في ذلك فلماذا أمر بالحديث بالنعم والتحدث بالنعم شكر والأعطاء منها شكر على شكر فجميع بين الذكر والعمل فيقول الحمد لله المنعم المفضل وأما الشكر العلمي وهو حق الشكر فهو ان يرى النعمة من الله فإذا رأيته من الله فقد شكرته حق الشكر خرج ابن ماجه في سننه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أوحى إلى موسى "يا موسى أشكرني حق الشكر" قال موسى يا رب ومن يقدر على ذلك قال يا موسى إذا رأيت النعمة مني فقد شكرتني حق الشكر هذا حال من رأى النعمة ومن نعمته على عبده ان يوفقه لبذل ما عنده من نعم الله على المحتاجين من عباده فيعطيههم بيد حق لا بيده فهم ناظرون في هذه النعمة وهي رؤيتهم ذلك التصريف من عند الله في مرضاة الله فيدخلون في خرب من شكره حق الشكر وهذا هو أعلى الشكر في الشاكرين وهو هين على العارفين المتجربين عن أوصافهم برد الأمور إلى الله وليس لهذا المقام نسبة ألا لعالم البرازخ وهو الجبروت ليعم الطرفين فان البرازخ أتم المقامات علماً بالأمور وهو مقام الاسماء الألهية فانها برزخ بيننا وبين المسمى فلها نظر إليه من كونها أسماؤه ولها نظر إلينا من حيث ما تعطي فينا من الآثار المنسوبة للمسمى فتعرف المسمى وتعرفنا وأختلف أصحابنا في الزيادة التي يعطيها الشكر هل هي من جنس ما وقع الشكر عليه أولاً يكون ألا من نعم آخر أو منهما فالحققون يجعلونها من الجنس المشكور من أجله وما لم يكن من جنسه فما هو من الزيادة التي أوجبها الشكر بل تكون تلك النعم من باب المنة ابتداء لا من باب الجزاء ومنهم من قال أي نعمة وقعت بعد الشكر فهي جزاء وهي الزيادة وما لم يقع عقيب شكر من النعم فهو من عين المنة وانما قالوا ذلك لعدم معرفتهم بالمناسبة بين الأشياء التي اختارها الحكيم سبحانه وقصد القوم القائلون بهذا تنزيه الحق عن التقييد بل يعطي مما شاء من غير تقييد فالحققون أكبر علماً منهم وهؤلاء في الظاهر انزه وفي المعنى الكل سواء في تنزيه الحق والله الموفق انتهى الجزء التاسع والتسعون

الباب الأحد والعشرون ومائة في مقام ترك الشكر

إذا كان حال الشكر يعطي زيادة
فلا يقبل الحق الزيادة فانتقد
فقد زال حكم الشكر من كل عالم
وكان الأله الحق سمعك والبصر
كلامي تجده عبرة لمن أعتبر
بما قلته فالترك للشكر قد شكر

أعلم انه مامن عمل إلا وهو أمر وجودي وما من أمر وجودي إلا وهو دلالة على وجود الله وتوحيده سواء كان ذلك الأمر مذموماً عرفاً وشرعاً أو محموداً عرفاً وشرعاً وإذا كان دلالة فهو نور والنور محمود لذاته فما ثم ما يجري عليه لسان ذم على الإطلاق كما انه ما ثم معصية من مؤمن خالصة غير مشوبة بطاعة وهي الايمان بكونها معصية فتحقق هذا ثم حقيقة أخرى انه ما ثم تكليف من عمل أو ترك إلا والأولية تصحبه لا بد من ذلك فيقال تركه أولى من العمل أو العمل به أولى من تركه وما دخلته الأولوية فما هو خالص لأمر معين هذا معلوم دلالة عقل وكشف والله قد جعل الشكر عبادة والعبادات لا تترك وجمل الصدق عبادة وما أطلق عليه الحمد في كل موطن فان الغيبة صدق وهو صدق مذموم والنميمة بالسوء صدق وهو مذموم ومواطن كثيرة للصدق يكون الصدق مذموماً فيها مع الإطلاق إذا الصدق صفة محمودة فإذا أخذه التفصيل ميزته المواطن عرفاً وشرعاً كما ان الكذب بمطلقه صفة مذمومة فإذا أخذه التقييد والتفصيل ميزته المواطن عرفاً وشرعاً كما ان الشكر والنعمة منه فقد أتى صفة محمودة وهو عبادة فمن أداها من حيث ما هي عبادة خاصة ولم يخطر له الشكر من أجل المزيد من جهة هذه العبادة كما انه أيضاً طلب المزيد من العلم عبادة مأمور بها فهناك يكون طلب الزيادة عبادة وأما في غير ذلك الموطن فما هو عبادة مشروعة فإذا أدى الانسان شكر رب النعمة بفصولها من غير طلب الزيادة فكانه ترك ما يعطيه الشكر وما يقتضيه طبع النفوس بذاتها من طلب زيادات النعم ولا يمنع هنا كون الحق سمعه وبصره ان يكون تاركاً لطلب الزيادة إذا كان الحق لا ينقصه شيء فان الله قد اتصف بكونه شاكراً وشكوراً وطلب الزيادة من أعمالنا من كونه شكوراً فتعين علينا بل وجب ان نعطي الشكر الإلهي حقه وهو الزيادة منا فيما شكر منا والزيادة عبادات سواء كان ذلك تركاً أو عملاً فترك الشكر برؤية العمل من الانسان ترك صحيح لحق الشكر الذي يجب له وهذا مقام المعلوم فيصح ترك الشكر من العامة من أهل الله وأما من قال شكر النعمة انه حجاب على المنعم فما عنده معرفة بالحقائق فان ذلك لا يصح في كل من شكر نعمة فبالضرورة شكر المنعم بما غير ان بعض الناس لا يرى المنعم إلا السبب وبعض الناس يرى المنعم الله سبحانه والكمال من الناس يرون الله والسبب فيشكر الله حقيقة ويشكر السبب عن أمر الله عباده من حيث أمرهم بشكره فقال ان أشكر لي ولو الديك وقال لا يشكر الله من لم يشكر الناس فهذا مقام ترك الشكر أي ترك توحيد شكر المنعم الأصلي لانه شرك في شكره بين المنعم بالأصالة وبين السبب عن أمر الله فانه مقام صعب غامض أعني ترك الشكر لكون الله

أتصف بالشكر وطلب الزيادة مما شكرنا من أجله فالتخلص من ذلك عسير وأما إذا كان مجلاه ووقته ان يكون الحق هو الشاكر والمشكور وسلب الأفعال عن المخلوقين فقد ترك الشكر في حال كونه شاكراً فيرى الحق أما شاكراً مطلقاً والعبد لا شكر له ألبتة وأما ان يرى الحق تعالى شاكراً به أي بعبدته بما هو العبد عليه من الشكر فهذا تارك للشكر من وجه موصوف بالشكر من وجه وهذا سار في جميع ما يصدر من العبد من الأفعال مشهد عزيز من عين المنة هذه المسئلة كانت عندي من أصعب المسائل وما فتح لي فيها بما هو الأمر عليه على القطع الذي لا أشك علماً سوى ليلة تقبيدي لهذا الباب في هذه المجلدة وهي ليلة السبت السادس من رجب الفرد سنة ثلاث وثلاثين وستمائة فانه لم يكن تتخلص لي أضافة خلق الأعمال لأحد الجانبين ويعسر عندي الفصل بين الكسب الذي يقول به قوم وبين الخلق الذي يقول به قوم فأوقفني الحق بكشف بصري على خلقه المخلوق الأول الذي لم يتقدمه مخلوق أذ لم يكن ألا الله وقال لي هل هنا أمر يورث التلبيس والحيرة قلت لا قال لي هكذا جميع ما تراه من المحدثات ما لأحد فيه أثر ولا شيء من الخلق فانا الذي أخلق الأشياء عند الأسباب لا بالأسباب فتكون عن أمري خلقت النفخ في عيسى وخلقت التكوين في الطائر قلت له فنفسك إذا خاطبت في قولك أفعل ولا تفعل قال لي إذا طالعك بأمر فالزم الأدب فان الحضرة لا تحتل المحاققة قلت به وهذا عين ما كنا فيه ومن يحاقد ومن يتأدب وانت خالق الأدب والمحاققة فان خلقت المحاققة فلا بد من حكمها وان خلقت الأدب فلا بد من حكمه قال هو ذلك فأستمع

إذا قرئ القرآن وانصت قلت ذلك لك أخلق السمع حتى أسمع وأخلق الانصات حتى انصت وما يخاطبك الان سوى ما خلقت فقال لي ما أخلق ألا ما علمت وما علمت ألا ما هو المعلوم عليه فله الحجة البالغة وقد أعلمتك هذا فيما سلف فألزمه مشاهدة فليس سواه ترح خاطرك ولا تأمن حتى ينقطع التكليف ولا ينقطع حتى تجوز على الصراط فحينئذ تكون العبادة من الناس ذاتية ليست عن أمر ولا نهي يقتضيه وجوب أو نذب أو خطر أو كراهة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الثاني والعشرون ومائة في معرفة مقام اليقين وأسراره

ان اليقين مقر العلم في الخلد
 ان اليقين الذي التحقيق حصله
 فان تزلزل عن حكم الثبات فما
 في كل حال بوعد الواحد الصمد
 أعكف عليه ولا تنظر إلى أحد
 هو اليقين الذي يقوي به خلدي

واليقين هو قوله لنبيه صلى الله عليه وسلم "وأعبد ربك حتى يأتيك اليقين" وحكمه سكون النفس بالمتيقن أو حركتها إلى المتيقن وهو ما يكون الانسان فيه على بصيرة أي شيء كان فإذا كان حكم المبتغي في النفس حكم الحاصل فذلك اليقين سواء حصل المتيقن أو لم يحصل في الوقت كقوله "أتى أمر الله" وان كان لم يأت بعد ولكن تقطع النفس المؤمنة بآتيانه فلا فرق عندها بين حصوله وبين عدم حصوله وهو قول من قال لو كشف الغطاء ما أزددت يقيناً مع ان المتيقن ما حصل في الوجود العيني فقال الله لنبيه ولكل عبد يكون بمثابته "أعبد ربك حتى يأتيك اليقين" فإذا أتاك اليقين علمت من العابد والمعبود ومن العامل والمعمول به وعلمت ما أثر الظاهر في المظاهر وما أعطت المظاهر في الظاهر وأعلم ان لليقين علماً وعيناً وحقاً ولكل حق حقيقة وسيرد ذلك في

باب له مفرد بعد هذا من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وانما جعل له علماً وعيناً وحقاً لانه قد يكون يقيناً ما ليس بعلم ولا عين ولا حق ويقطع به من حصل عنده وهو صاحب يقين لاصحاب علم يقين وأختلف أصحابنا في اليقين هل يصح ان يكون يقين أتم من يقين أم لا فانه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في عيسى عليه السلام "لو أزداد يقيناً لمشى في الهواء" أشار به إلى ليلة الأسراء وان باليقين صح له المشي في الهواء وهذا التفسير ليس بشيء فانه أسرى به ربه ليريه من آياته وبعث إليه بالبراق فكان محمولاً في أسرائه ومثل هذا الحديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه أشار بذلك إلى نفسه ومعلوم انه ليس أحد من البشر بمثاله في اليقين لكنه ما مشى في الهواء بيقينه وانما جاءه جبريل عليه السلام بدابة دون البغل وفوق الحمار تسمى البراق فكان والبراق هو الذي مشى في الهواء ثم انه صلى الله عليه وسلم لما انتهى البراق به إلى الحد الذي أذن له نزل عنه وقعد في الرفرف وعلا به إلى حيث أراد الله وغفل الناس عن هذا كله فما أسرى به صلى الله عليه وسلم لقوة يقينه بل يقينه في قلبه على ما هو به من التعلق بالمتيقن العام كان ما كان لكنه مما فيه سعادته لانه وصف به في معرض المدح ولنا في اليقين جزء شريف وضعناه في مسجد اليقين مسجد أبراهيم الخليل في زيارتنا لوطاً عليه السلام فقد يتيقن الجاهل انه جاهل والظان انه ظان والشاك انه شاك فيما هو فيه شاك وكل واحد صاحب يقين قاطع بحاله الذي هو عليه علماً كان أو غير علم فان قلت فأين شرفه قلنا شرفه بشرف المتيقن كالعالم سواء ولهذا جاء بالألف والام في قوله حتى يأتيك اليقين يريد متيقناً خاصاً ما هو يقين يقع المدح به بل هو يقين معين وقوله تعالى "وما قتلوه يقيناً" يريد ما هو مقتول في نفس الأمر لا عندهم بل شبه لهم فهذا يقين مستقل ليس له محل يقوم به فانهم متيقنون انهم قتلوه والله ليس بمحل لليقين فلم يبق محل لليقين سوى القتل وهذا من باب قيام المعنى بالمعنى فان اليقين معنى والقتل معنى فالقتل قد يتيقن في نفسه انه ما قام بعيسى عليه السلام فالقتل موصوف في هذه الآية باليقين وأصدق المعاني ما قام بالمعاني وهذه المسئلة عندنا من محارات العقول مما لا يقضي فيها بشيء وعند بعضنا يلحقه بالخال وعند بعضهم ممكنة واقعة وبالجملة فاليقين عزيز الوجود في الأمور الطبيعية المعتادة فان العادة تسرق الطبع ولا سيما في الأمور التي بها قوام البدن الطبيعي فإذا فقد ما به يصل إلى ما به قوامه فانه يتألم والألم لا يقدح في اليقين فانه ما يضاده ولكن قل ان يتألم ذو ألم ألا ولا بد ان يضطرب ويتحرك في نفسه ولا سيما ألم الجوع والعطش والبرد والحر والأضطراب يضاد اليقين فان اليقين سكون النفس إلى من بيده هذه الأمور المزيلة لهذه الآلام فيريد من قامت به الآلام سرعة زوالها طبعاً وإذا كان هذا فنسلك في اليقين طريقة غير ما يتخيلها أهل الطريق وهو ان الأضطراب لا يقدح في اليقين إذا كان هبوب اليقين في إزالة تلك الآلام إلى جناب الحق لا إلى الأسباب المزيلة في العادة فان شاء الحق أزالها بتلك الأسباب أزالها بان يوجد عنده تلك الأسباب وان شاء أزالها بغير ذلك فصار متعلق اليقين الجناب الألهي لا غير وهذا قد يكون كثيراً في رجال الله ودرجات اليقين عند العارفين مائتان درجة ودرجة واحدة وعند الملامية مائة وسبعون درجة وهو ملكوتي جبروتي له إلى

الملكوت نسبة واحدة وعند العارفين نسبتان لانه عند العارفين مركب من ست حقائق ونشأته عند الملامية من أربع حقائق وله السكون الميت والحي فبالسكون الحي يضطرب صاحبه وبالسكون الميت يتعلق بالله فما يضطرب فيه من غير تعيين مزيل بل بما أراد الله ان يزيله

الباب الثالث والعشرون ومائة في معرفة مقام ترك اليقين وأسراره

إذا وقف العبيد مع المريد
ويعطي الحق رتبته لئلا
يفعل ما يشاء كما يشاء
وقد دل الدليل بغير شك
لان الجوهر المعلوم باق
فيخلع منه وقتاً أو عليه

يزيل يقينه حكم الأرادة
يقيده فيقدح في العبادة
بلا جبر ولا حكم لعاده
ولا ريب على نفي الأعادة
على ما كان في حكم الشهادة
بمثل أو بضد للأفاده

أعلم وفقك الله اني أردت بنفي الأعادة الذي نقول انه لا يتكرر شيء في الوجود للأتساع الألهي وانما هي أعيان أمثال لا يدركها الحس أذ لا يدرك التفرقة بينها أريد بين ما انعدم منها وما تجدد وهو قول المتكلمين ان العرض لا يبقى زمانين لما كان اليقين فيه رائحة من مقاومة القهر الألهي مثل الصبر ترك أهل الله الأتصاف به وتعمله وطلبه من الله فإذا أتى من عند الله من غير تعمل من العبد قبله العبد أدباً مع الله ولم يردده على الله إذا أراد الله ان يصير هذا العبد محلاً لوجود هذا اليقين ويكون حكمه في هذا المحل يتعلق بالله في دفع الضرر عن العبد فيكون ذلك سؤال اليقين وتعلقه بجانب الحق لا بتعلق العبد ولا بسؤاله وذلك لما كان العبد سبباً في ظهور عين اليقين لعدم قيام اليقين بنفسه كان للمحل عند هذا اليقين يد أراد مكافأته فيسأل اليقين موجدته تعالى رفع الضرر عن هذا المحل أذ اليقين لا يوجد ألا لرفع الضرر وأما في حال المنفعة فلا حكم له ألا في أستدامتها لا فيها فانها حاصلة فان توهم العبد أزالها فان اليقين يطلب من الله أستمرار وجودها في محله فبهذا القدر يكون ترك اليقين أي العبد لا يعترض على اليقين في سؤاله ربه ما شاء فهو تاركة يفعل ما يريد فلا يتصف العبد هنا بشيء ومع هذا التحقيق فالمسألة غامضة بعيدة التصور فالعبد في أصله مضطرب متزلزل الملك فلا يقين له من حيث حقيقته فانه محل لتجدد الأعراض عليه واليقين سكون وهو عرض فلا ثبوت له زمانين والله تعالى كل يوم في شان وأصغر الأيام الزمن الفرد فقد ابنت لك ان أهل الله في نفوسهم بم عزل عما يطلبه اليقين وان اليقين هو السائل ولهذا قال له حتى يأتيك اليقين فيكون اليقين هو الذي يسأل ويتعب وانت مستريح فأفهم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل فان الوقوف مع أرادة الله لا يتمكن معها سكون أصلاً لانه خروج عن حقيقة النفس والشيء لا يخرج عن حقيقته أذ خروج الشيء عن حقيقته محال فلا طمانينة مع المريد ألا عن بشرى فانه يسكن عند ذلك لصدق القول وتكون البشرى معينة موقته وحينئذ يكون له السكون إليها وهو اليقين وقد ورد ان الملائكة يخافون من مكر الله ولا يقين مع الخوف فان سكن العبد إلى قوله فعال لما يريد لا يزول عنه فذلك السكون قد يسمى يقيناً ولكن يورث في المحل خلاف ما يطلب من حكم اليقين الذي أصطلح عليه أهل الله وأما نحن فاليقين عندنا موجود في كل أحد من خلق الله وانما يقع الخلاف بما إذا يتعلق اليقين فاليقين صفة شمول وليست من خصوص طريق الله التي فيها السعادة ألا بحكم متيقن ما فهذا تحقيقه والله الموفق لا رب غيره

الباب الرابع والعشرون ومائة في معرفة مقام الصبر وتفصيله وأسراره

تنوع سرب الصبر في كل مشرب
وليس يكون الصبر الأعلى أذى

بعن وعلى أوفي وبالباء واللام
وجوداً وتقديراً بأنواع الآم

أعلم وفقك الله ان الله تعالى يقول "ان الذين يؤذون الله ورسوله" فأخبر انه يؤذي فتسمي سبحانه بالصبور على أذى خلقه وكما سأل عباده رفع الأذى مع استحقاقه إسم الصبور كذلك لا يرفع إسم الصبر عن العبد إذا حل به بلاء فسأل الله تعالى في رفع ذلك البلاء كما فعل أيوب عليه السلام فقال مسنى انت الضر وانت أرحم الراحمين وأثنى الله عليه فقال مع هذا السؤال انا وجدناه صابراً فليس الصبر حبس النفس عن الشكوى إلى الله في رفع البلاء أو دفعه وانما الصبر حبس النفس عن الشكوى إلى غير الله والركون إلى ذلك الغير وقد ابنت لك ان الله طلب من عباده رفع الأذى الذي آذوه مع قدرته على ان لا يخلق فيهم ما خلق من الأذى فتفطن لسر هذا الصبر فانه من أحس الأسرار وقد ورد انه لا أحد أصبر على أذى من الله وهو من المقامات التي تنقطع وتزول إذا دخل أهل النار النار وأهل الجنة الجنة وتميز الفريقان تميز الانقطاع ان لا يلحق أحد بغير الدار التي هو فيها والصبر الإلهي يزول حكمه بزوال الدنيا وهذه بشرى بإزالة إسم المنتقم والشديد العقاب إذ قدر رأينا إزالة الصبور ورحمته سبقت غضبه فحكمة زوال الدنيا رفع الأذى عن الله إذ لا يكون إلا فيها فأبشروا عباد الله بشمول الرحمة واتساعها وانسحابها على كل مخلوق سوى الله ولو بعد حين فانه بإزالة الدنيا زال الأذى عن كل من أودى وبزوال الأذى زال الصبر ومن أسباب العقاب الأذى والأذى قد زال فلا بد من الرحمة وارتفاع الغضب فلا بد من الرحمة ان تعم الجميع بفضل الله ان شاء الله هذا ظننا في الله فان الله وهو الصادق يقول انا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيراً فأخبر وأمر ولم يقيد في حق الظان ولا في غيره ولهذا سمي عذاباً ما يقع به الآلام بشرى من الله لعباده ان الذي تتألمون به لا بد إذا شملتكم الرحمة ان تستعذبوه وانتم في النار كما يستعذب المقرور حرارة النار والمحرور برودة الزمهرير ولهذا جمعت جهنم النار والزمهرير لأختلاف المزاج فما يقع به الألم المزاج مخصوص يقع به النعيم في مزاج آخر يضاده فلا تتعطل الحكمة ويبقى الله على أهل جهنم الزمهرير على المحرورين والنار على المقرورين فينعمون في جهنم فهم على مزاج لو دخلوا به الجنة تعذبوا بها لأعتدالها ثم اعلم ان الصبر يتنوع بتنوع الأدوات فالصبر في الله إذا أودى فيه والصبر مع الله رؤية المعذب في العذاب والصبر على الله حال فقد له لربه بوجود نفسه غير مقترنة بوجود ربه والصبر بالله ان يكون الحق عين صبره كما هو سمعه وبصره والصبر من الله حال رفع الحول والقوة منك فلا تقول لا حول ولا قوة إلا بالله فيزول بالإستعانة والصبر عن الله وهو أعظمها مقاما وهو الصبر الذي يزول بالموت ولا يوجد في الآخرة فان صاحب هذا الصبر ينسب الصبر إليه نسبة الاسم الصبور إلى الله ولهذا يرتفع بزوال الدنيا وفي العبد بزواله عن الدنيا ومن زلت عنه فقد زال عنك فهؤلاء أخذوا الصبر عن الله كما تقول أخذت هذا العلم عن فلان فانت فيه كهو كذلك قول سليمان عليه السلام أحببت حب الخير عن ذكر ربي لانه سماه خيراً والخير منسوب إلى الله فقال عن ذكر ربي إياه بالخيرية أحببته فطفق يمسح بيده على اعرافها وسوقها فرحاً واعجاباً بخير ربه فانه أحب حب الخير وحب الخير أما ان يريد حب الله إياه أو حب الخير من حيث وصف الخير بالحب والخير لا يجب إلا الأخبار فانهم محل وجود عينه فكذلك سليمان عليه السلام قال أحببت حب الخير أي انا في حبي كالحخير في حبه ولهذا لما توارت بالحجاب أعني الصافيات الجياد اشتاق إليها لانه فقد المحل الذي أوجب له هذه الصفة الملدودة فانها كانت مجلى له فقال ردوها على وأما المفسرون الذين جعلوا التوارى

لشمس فليس للشمس هنا ذكر ولا للصلاة التي يزعمون ثم انهم يأخذون في ذلك حكايات اليهود في تفسير القرآن وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا نصدق أهل الكتاب ولا نكذبهم فمن فسر القرآن برواية اليهود فقد رد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن رد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد رد أمر الله فانه أمر ان نطيع الرسول وان نأخذ ما أتانا به وان تنتهي عما نمانا عنه إذ لا يوصلنا إلى أخبار هؤلاء الانبياء الإسرائيليين إلا نبي فنصدقه أو أهل الكتاب فنقف عند أخبارهم إذا لم يكن في كتابنا ولا قول رسولنا صلى الله عليه وسلم ولا في

أدلة العقول ما يرده وما يثبت ولا ينقضي فيه بشئ وأما مساق الآية فلا يدل على ما قالوه بوجه ظاهر ألبته وأما استرواحهم فيما فسروه بقوله ولقد فتنا سليمان فليس تلك الفتنة وهو الاختبار إذا كان متعلقة الخيل ولا بد فيكون اختباره إذا رآها هل يجبهان ذكرى لها أو هل يجبهان لعينها فأخبر صلى الله عليه وسلم انه أحبها عن ذكر ربه إياها لا نفسها مع حسننها وجمالها وحاجته إليها وهي جزء من الملك الذي طلب ان لا ينبغي لأحد من بعده فأجابه الحق إلى ما سأل في المجموع ورفع الحرج عنه وقال له "هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب" وان له عتدنا يعني في الآخرة لزلفى وحسن مآب أي ما ينقصه هذا الملك من ملك الآخرة شئ كما يفعله مع غيره حيث انقصه من نعم الآخرة على قدر ما تنعم به في الدنيا قال الله تعالى في حق قوم "اذهبتكم طبيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها" فالصبر عن الله بهذا التفسير أعظم انواع الصبر وأما الصبر عن الله على ما يتخيله العامة من الصبر عن كذا المفارقتهاياه ذلك من شان أهل الله والشبلى لما غشى عليه من قول الشاب ان الصبر عن الله أعظم الصبر غشى عليه لعظم المقام الذي لا يناله إلا الكمل من الرجال فلما لاح للشبلى من كلام الشاب كان واردة أقوى من محل الشبلى فلذلك أثر فيه الغشى وهكذا كل وارد يكون أقوى من قوة الحل فانه يفعل فيه الغشى والصعق وليس لأهل الله قدم في الصبر عن الله على تفسير العامة وللصبر درجات عند العارفين من أهل الانوار ثلثمائة وثلاث وعشرون درجة وعند أهل الأسرار منهم مائتان وثلاث وتسعة درجة وعند الملامية من أهل الانوار ومائتان واثنان وتسعون وعند أهل الأسرار منهم مائتان واثنان وستون درجة

الباب الخامس والعشرون ومائة في معرفة مقام ترك الصبر وأسراره

يقاوم قهر الحق في كل إقدام

وفي الصبر من سوء الصنيفة انه

من الضعف في بحر على سيفه طام

فلا صبر عند العارفين فانهم

اعلم علمك الله ان الصبر المعروف العامة مقاومة القهر الإلهي وسوء أدب مع الله وما ابتلى الله عباده إلا ليتضرعوا إليه ويسألوه في رفع ما ابتلاهم به من البلاء عنهم لانه دواء لما تعطيهم في نفوسهم من المرض الصورة التي خلقوا عليها فيدعيها من لم تكمل فيه الصورة فانه من كمالها الخلافة وهم المكملون من الرجال ومن لم تحصل له درجة الخلافة فما هو على الصورة فانه بالمجموع يكون بالصورة قال بعضهم وقد بكى حين أخذه الجوع انما جوعي لا بكى فهو يبكي له وعليه فان أكابر الرجال لا يجسسون نفوسهم عن شكوى إلى الله فإذا مدح الله الصابرين فهم الذين حبسوا نفوسهم عن الشكوى لغير الله وهذا مذهب الأكابر ألا ترى سمنون لما أساء الأدب مع الله وأراد ان يقاوم القدرة الإلهية لما وجد في نفسه من حكم الرضى والصبر قال "وليس لي في سواك حظ" فكيف

ما شئت فاحتبرني فابتلاه الله بعسر البول والنفس مجبولة على طلب حظها من العافية ولما سأل هذا كان في حكم حال العافية فلما سلبها بهذا البلاء طلبتها النفس بما جبلت عليه وقد ذكرنا ذلك في صفات النفس وان الله عين لها مصارف لما علمه من انها لا تنعدم إذ لو انعدمت لانعدمت النفس فهو وصف ذاتي لها ألا ترى إلى عالم العلماء وحاكم الحكماء كيف كان سؤاله العافية وأمر بها فقال إذا سألتكم الله فاسألوا العافية فان كنتم أهل بلاء فقد سألتكم العافية وان كنتم أهل عافية فقد سألتكم دوامها وهي مشتقة من غفى الأثر إذا ذهب فالعافية ذهاب أثر البلاء ممن قام به فمن الأدب مع الله وقوف العبد مع عجزه وفقره وفاقته فان الغناء بالله لا يصح عن الله ولا عن المخلوقين من حيث العموم لكنه يصح من حيث تعيين مخلوق ما يمكن ان يستغني عنه بغيره فان الله ما وضع الأسباب سدى فمنها أسباب ذاتية لا يمكن رفعها هنا ومنها أسباب عرضية يمكن رفعها فمن المحال رفع التأليف والتركيب عن الجسم مع بقاء حكم الجسمية فيه فهذا سبب لا يمكن زواله إلا بعدم عين الجسم من الوجود وإذا كانت الأسباب الأصلية لا ترتفع فلنقر الأسباب العرضية أدبا مع الله ولا نركن إليها ونبقى الخاطر معلقاً بالله ولا يصح ان يتعلق بالله فانه محال وانما يتعلق بالله للأسباب فهذا حد المعرفة بما فقد بان لك معنى ترك الصبر

الباب السادس والعشرين ومائة في معرفة مقام المراقبة

فهو سبحانه عليك رقيب

ولذالي في كل حال نصيب

لا أبالي وان ذا لعجيب

كن رقيباً عليه في كل شان

في حضور وغيبة لشؤون

فإذا ما أتى أو ان فراغ

المراقبة نعت إلهي لنا فيه شرب قال تعالى وكان الله على كل شئ رقيباً وهو قوله ولا يؤده حفظهما يعني السموات وهو العالم الأعلى والأرض وهو العالم الأسفل وما ثم إلا أعلى وأسفل وهو على قسمين عالم قائم بنفسه وعالم غير قائم بنفسه فالقائم بنفسه جواهر وأجسام وغير القائم بنفسه أكوان وألوان وهي الصفات والأعراض فعالم الأجسام والجواهر لإبقاءهما إلا بإيجاد الأعراض فيهما فمتى لم يوجد فيهما العرض الذي به يكون بقاءها ووجودها تنعدم ولا شك ان الأعراض تنعدم في الزمان الثاني من زمان وجودها فلا يزال الحق مراقباً لعالم الأجسام والجواهر العلوية والسفلية كلما انعدم منها عرض به وجوه خلق في ذلك الزمان عرضاً مثله أو ضده يحفظه به من العدم في كل زمان فهو خلاق على الدوام والعالم مفتقر إليه تعالى على الدوام افتقاراً ذاتياً من عالم الأعراض والجواهر فهذه مراقبة الحق خلقه لحفظ الوجود عليه وهذه هي الشؤون التي عبر عنها في كتابه انه كل يوم في شان ومراقبة أخرى للحق في عبادته وهي نظره إليهم فيما كلفهم من أوامره ونواهيه ورسم لهم من حدوده وهذه مراقبة كبرياء ووعيد فمنهم من وكل بهم من يحصى عليهم جميع ما يفعلونه مثل قوله "ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد" ومثل قوله "كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون" وقوله "سنكتب ما قالوا وكل شئ أحصيناه في إمام مبين وما الله بغافل عما تعملون" فهذه مراقبة الحق وأما مراقبة العبد فهي على ثلاث أقسام الواحد منها لا يصح والإثنان يصح وجودهما من العبد أما المراقبة التي لا تصح فهي مراقبة العبد ربه وهو يعلمذاته ولا نسبته إلى العالم فلا يتصور وجود هذه المراقبة لانهما موقوفة على العلم بذات المراقب بفتح القاف وثم طائفة أخرى قالت

بصحة تلك المراقبة فان الشرع قد حدد كما ينبغي لجلاله فهو معنا أينما كنا وهو على العرش استوى وهو في الأرض يعلم سرنا وجهرنا وهو في السماء كذلك ويتزل إليها وهو الظاهر في عين كل مظهر من الممكنات فقد علمنا هذا القدر منه فنراقبه على هذا الحد فمراقبتنا للأشياء هي عين مراقبتنا إياه لانه الظاهر من كل شئ فمن الناس من قال ما رأيت شيئاً ألا رأيت الله قبله يعني المراقبة وآخر بعده وآخر معه وآخر فيه فمثل هؤلاء يصححون هذه المراقبة والمراقبة الثانية مراقبة الحياء من قوله "ألم يعلم ان الله يرى" فهو يراقب رؤيته وهي تراقبه فهو يراقب مراقبة الحق إياه فهذه مراقبة المراقبة وهي مشروعة والمراقبة الثالثة هي ان يراقب قلبه ونفسه الظاهرة والباطنة ليرى آثار ربه فيها فيعمل بحسب ما يراه من آثار ربه وكذلك في الموجودات الخارجة عنه يراقبها ليرى آثار ربه فيها منها وهو قوله "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم" وهذه المراقبة تعلق بالحق إذ لا فاعل إلا الحق والمراقبة دوام المراعاة بحيث ان لا يتخللها وقت لا يكون العبد فيه مراقباً فاعلم ذلك وتحققه تعلم شؤون ربك في نفسك وما يدركه من الموجودات بصرك وما يصل إليه فكرك وعقلك وما يشهدك في مشاهدتك وما تطلع عليه من الغيوب في كونك أو حيث كان ومن هنا تعرف خواطرك وللمراقبة جاءت الموازين الشرعية وهي خمسة موازين الغرض والندب والإباحة والحظر والكراهة وللمراقبة درجات عند أرباب الانس والوصال من العارفين ومبلغها سبع مائة درجة وأربع وسبعون درجة وعند أرباب الأدب من العارفين ثلاث مائة درجة وتسع وسبعون درجة وعند الملامية من أهل الانس سبعمائة وثلاث وأربعون درجة وعند الأدباء منهم ثمان وأربعون وثلثمائة درجة ولها نسب إلى العوالم منها إلى عالم الملك نسبتان وإلى عالم الملكوت نسبة واحدة عند الأدباء من الطائفتين وثلاث نسب عند أهل الانس إلى عالم الجبروت واعلموا ان الله تعالى أطلعني في ليلة تقيدي هذا الباب على أمر لم يكن عندي في واقعة وقعت لي برزخية قيل لي فيها ألم تسمع ان الدنيا أم رقوب قلت نعم قيل لي فاجعل لها فصلاً في هذا الباب فاستخرت الله على ذلك وصل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للدنيا ابناء وإذا كان لها ابناء فهي أم لهؤلاء الابناء ومن عادة الأم ان ترقب ابناءها لانهما المربية لهم ولها عليهم حنو الأمومة والحذر عليهم ان تؤثر فيهم ضرراً وهي الآخرة فيميلون إليها فتحفظهم من مشاهدة خير الآخرة فتشتم مراقبتهم لأحوالهم ثم لتعلموا ان الدنيا هي الدار الأولى القرية إلينا نشانا فيها وما رأينا سواها فهي المشهوددة وهي الحفيظة علينا والرحيمة بنا فيها عملنا الأعمال المقربة إلى الله وفيها ظهرت شرائع الله وهي الدار الجامعة لجميع الاسماء الإلهية فظهرت فيها آلاء الجنان وآلام النار ففيها العافية والمرض وفيها السرور والحزن وفيها السر والعلن وما في الآخرة أمراً لا وفيها منه مثل وهي الأمانة الطائفة لله أودعها الله أمانات لعباده لتؤديها لهم وهذا هو الذي جعلها ترقب أحوال ابناءها ما يفعلون بتلك الأمانات التي أودعها إليهم هل يعاملونها بما تستحق كل أمانة لما وضعت له فمنها أمانة توافق غرض نفوس الابناء فترقبهم هل يشكرون الله على ما أولاهم من ذلك على يديها ومنها أمانات لا توافق اغراضهم فترقب أحوالهم هل يقبلونها بالرضى والتسليم لكونها هدية من الله فيقولون في الأولى الحمد لله المنعم المضل ويقولون فيما لا يوافق الغرض الحمد لله على حال فيكونون من الحامدين في السراء والضراء فتعطيهم الدنيا هذه الأمانات نقية طاهرة من الشوب فبعض أمزجة الابناء الذين هم البقعة للماء والأوعية لما يجعل فيها فيؤثر مزاج تلك البقعة في الماء فان الماء كله طيب عذب في أصله وهو المطر فإذا حصل في بقع الأرض وهي مختلفة البقاع في المزاج ظهر العذب في المزاج الحسن فإبقاه على أصله كما ورد طاهراً نظيفاً وزاده من مزاجه طيباً وحلاوة زائدة على ما كان عليه وهو الماء النмир وبقعة أخرى جعلته ملجأً أجاجاً وبقعة أخرى جعلته قعاماً مراً فأثر في الحال النفي هذه الأوعية والشرع انما تعلق بأفعال الانباء لا بالألام بل قال "وبالوالدين أحساناً" وبما قال "ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً وأخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب

أرحمهما كما ربيان صغيراً" فما أوصى الله تعالى بهذه الأمور ألا لعلمه بانه في الابناء من يصدر منهم مثل هذه الأفعال فأمرهم ان يراقبوا هذه الأحكام في أفعالهم حتى يأتوا منها ما أمرهم الله والدنيا شفيقة عليهم حذبة كثيرة الحنو خائفة ان تأخذهم الضرة الآخرة منها فان الدار في هذا الوقت للدنيا والحكم لها ولا ينبغي ان تعزل عنها كما ان الدار الآخرة لا تتعرض لها الدار الدنيا إذا انتقل الناس إليها فالدنيا انصف من الآخرة في الحكم فانها في دار سلطاتها وإذا جاءت الآخرة وكان يومها لا تتعرض الدنيا ولا تراحم الآخرة فما انصف أحد من الناس قال قتادة ما انصف الدنيا أحد ذمت ياساءة المسيء فيها ولم تحمد بأحسن المحسن فيها فلو كانت بذاتها تعطي القبح والسوء مل تمكن ان يكون فيها نبي مرسل ولا عبد صالح كيف والله قد وصفها بالطاعة فقال ان علوها وسفلها قالوا أتينا طائعين وقال "ان الأرض لله يرثها عبادي الصالحون" والصالح لا يرث ألا المال الصالح الذي يجوز له التصرف فيه فانه عبد صالح ولم يقل ان جميع العباد يرثها فدل ان تركتها كان كسباً صالحاً فورثه عباد الله الصالحون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قال أحدكم لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله أعصانا لربه فهذا ابن عاق لها كيف لعنها وصرح باسمها والدنيا من حنوها على ابنائها لم تقدر ان تلعن ولدها فقالت لعن الله أعصانا لربه وما قدرت ان تسميه باسمه فهذا حنو الأم وشفقتها على ولدها فيا عجباً فينا لم نقف عند ما أمرنا الله به من طاعته ولا وفقنا ولا وفينا ما رأيناه من أخلاق هذه الأم وحنوها علينا ومحبتها وقال النبي صلى الله عليه وسلم نعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر فوصفها بان حذرهما على ابنائها تذكروهم بالشروع وتقرّب بهم منها وتزين لهم الخير وتشوقهم إليه فهي تسافر بهم وتحملهم من موطن الشر إلى موطن الخير وذلك لشدة مراقبتها إلى ما انزل الله فيها من الأوامر الألهية المسماة شرائع فتحب ان يقوم بها ابناؤها ليسعدوا فهذا صلى الله عليه وسلم قد وصفها بأحسن الصفات وجعلها محلاً للخيرات فينبغي لأهل المراقبة ان يكون بدوهم

في الدخول لاكتساب هذه الصفة ان يرقبوا أحوال أمهم لان الطفل لا يفتح عينيه ألا على أمه فلا يبصر غيرها فيحبها طبعاً ويميل إليها أكثر مما يميل إلى أبيه لانه لا يعقل سوى من يريه وبأفعالها ينبغي يقتدي فان قلت فلماذا تغار من الآخرة قلنا لما كان الحكم لها وهي من الطاعة بهذه المثابة وليس للآخرة هنا سلطان والذي في الآخرة هو في الدنيا من اللذات والآلام فالداران متساويتان فيصعب عليها ان يكون ابناؤها ينسبون إلى الآخرة وما ولدتهم ولا تعبت في تربيتهم وبعد هذا كله فان الناس نسبوا ما كانوا عليه من أحوال الشرور التي عينها الشارع إلى الدنيا وهي أحوالهم ما هي أحوال الدنيا لان الشر هو فعل المكلف ما هو الدنيا ونسبوا ما كانوا عليه من أحوال الخير ومرضات الله التي عينها الشارع للآخرة وهي أحوالهم ما هي أحوال الآخرة لان الخير هو فعل المكلف ما هو الآخرة فللدنيا أجر المصيبة التي أصيبت في أولادها ومن أولادها فمن عرف الدنيا بهذه المثابة فقد عرفها ومن لم يعرفها بهذه المثابة وجهلها مع كونه فيها مشاهد الأحوال شرعاً وعقلاً فهو بالآخرة أجهل حيثما ذاق لها طعماً وهنا يطرأ غلط لأهل طريق الله في كشفهم أذ لو تيقنوا في هذه الدار وطولعوا بأحوال الآخرة فليست تلك الآخرة على الحقيقة وانما هي الدنيا أظهرها الله لهم في عالم البرزخ بعين الكشف أو النوم في صورة ما جهلوه منها في اليقظة فانهم غير عارفين منها ما ذكرناه فيقولون رأينا الجنة والنار والقيامة ويذكرون الرؤيا التي رأوها وأين الدار من الدار وأين الاتساع من الاتساع فذلك الذي رأوه حال الدنيا التي خلقها الله عليها من الخير والطاعة والعدل في الحكومة والنصيحة والوعظ والتذكيرة فانه معلوم ان القيامة ما هي الا ان موجودة فإذا رؤيت في الحياة الدنيا فما هي ألا قيامة الدنيا وجنة الدنيا ونار الدنيا وان الجنة والنار جاءتا خادمتين للدنيا أذ قال صلى الله عليه وسلم بل رؤى في صلاة الكسوف يتقدم في قبلته ثم تأخر تأخراً كثيراً ومديده حين تقدم فسئل عن ذلك اني رأيت النار حين رأيتموني تأخرت مخافة ان

يصيبي من لفحها ورأيت الجنة حين تقدمت وحين مددت يدي لأقطف منها قطفاً ولو خرجت به إليكم لا كلمت منه ما بقيت وذكر انه رأى في النار صاحبة الهرة وعمرو بن لحي الذي سيب السوائب وذلك كله في حال الصلاة في يقظته وما قال رأيت الآخرة ولا جنة الآخرة ولا نارها بل قال في عرض هذا الحائط والحائط من الدار الدنيا ولذا قال عليه السلام مثلت لي الجنة في عرض الحائط ولم يقل هي وقال رأيت الجنة ولم يصفها وذكر التمثيل وتمثل الشيء ما هو عين الشيء بل هو شبهه وقال مثلت لي كما قال في جبريل عليه السلام فتمثل لها بشراً سوياً أترى كان غير جبريل لا والله ألا جبريل فما رآهما ألا في الدنيا في دارها وحياتها وقال متمدحاً "ولله ملك السموات والأرض" وهما للدار الدنيا وقد قررنا انه كل ما في الآخرة هو في الدنيا فمنه ما عرفناه ومنه ما لم نعرفه بل في الدنيا من الزيادة ما ليست في الآخرة فالدنيا أكمل في النشأة ولولا التكيف وعدم حصول كل الأغراض لم تنزها الآخرة فان قلت فما الزيادة التي تزيد بها الدنيا على الآخرة قلنا الآخرة دار تمييز والدار الدنيا دار تمييز وأختلاط فأهل النار مميزون وأهل الجنة مميزون فأهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار يعرفون كلاً بسماهم والدار الدنيا فيها ما في الآخرة من التمييز لكن لا يعم فانه قد علمنا في الدنيا بأعلام الله ان الرسل والانبياء ومن عينته الرسل بالبشرى انه سعيد يقول الله لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة فهذا عموم الدنيا فما ينقلب أحد من أهل السعادة إلى الآخرة حتى يبشر في الدنيا ولو نفس واحد فيحصل المقصود ومن عينته الرسل بالبشرى انه شقي فقد تميز بالشقاء يقول سبحانه فبشرهم بعذاب أليم وسكت عن أكثر الناس فلم يعين منهم أحداً وظهرت صفات الأشقياء في الآخرة في هذه الدار على السعداء من الحزن والبلاء والبكاء والدلة والخشوع وظهرت صفات السعداء في الآخرة في هذه الدار من الخير والنعمة والتفكه والوصول إلى نيل الأغراض ونفوذ الأوامر على الأشقياء من أهل النار أذ هذه النشأة تعطي ان يكون لها حظ ونصيب من هذه الصفات فمنهم من تجمع له في الدار الواحدة ومنهم من تكون له في الدارين فيظهر

المؤمن بصفة الكافر حتى يحتتم له بالايمن ويظهر الكافر بصفة المؤمن حتى يحتتم له بالكفر ثم ان الله قد شرك السعيد والشقي في إطلاق الايمان والكفر وهذان اللفطان معلومان فأكثر الناس ما يطلق الايمان ألا على المؤمن بالله ولا الكافر ألا على الكافر بالله والله يقول "والذين آمنوا بالباطل" فسماهم مؤمنين وكفروا بالله فقد أعطت الدنيا ما أعطت الآخرة وهذه الزيادة التي لا تكون في الآخرة والتشريع لا يكون في الآخرة ألا في موطن واحد حين يدعون إلى السجود ليرجح بتلك السجدة ميزان أصحاب الأعراف والناس لا يشعرون ولما أوردناه يقول بعض أهل الله ولا أزكى على أحداً ان وجود الحق في الدنيا في الانسان أكمل منه في الآخرة وقد رأينا من ذهب إلى هذا وشافهنا به في مجالس وجعل دليله الخلافة فالانسان في الدنيا أكمل في الصفات الاسماء منه في الآخرة بلا شك لانه يظهر بالانعام والانتقام ولا يكون له ذلك في الآخرة فانه لا انعام له على أحد ولا انتقام وان شفع فبأذن فالانعام لمن أذن وأما في الجنة والنار بعد ذبح الموت فلا بل في القيامة يكون من ذلك طرف انتقام لحكمه ذكرناها في هذا الكتاب مثل قوله عليه السلام فسحقاً سحقاً فراقبوا الله هنا عباد الله مراقبة الدنيا ابناؤها فهي الأم الرقوب وكونوا على أخلاق أمكم تسعدوا

الباب السابع والعشرون ومائة في ترك المراقبة

واحد العين وهو عين الوجود

لا تراقب فليس في الكون ألا

فتسمى في حالة بمليك

ودليلي ما جاء من أفتقار ال

هكذا جاء في التلاوة نصاً

ثم جازاً بأقرضوا الله قرضاً

وتكني في حالة بالعبيد

فقرا إلى الغنى الحميد

في قريب من سعده وبعيد

فبدى النقص وهو عين المزيد

لما كانت المراقبة تتزلاً مثالياً للتقريب وأقتضت مرتبة العلماء بالله انه ليس كمثله شيء فأرتفعت الأشكال والأمثال ولم يتقيد أمر الأله ولا انضبط وجهل الأمر وتبين انه لم يكن معلوماً في وقت الاعتقاد بانه كان معلوماً لنا ولم يحصل في العلم به أمر ثبوتي بل سلب محقق ونسبة معقولة أعطتها الآثار الموجودة في الأعيان فلا كيف ولا أين ولا متى ولا وضع ولا إضافة ولا عرض ولا جوهر ولا كم وهو القدار وما بقي من العشرة ألا انفعال محقق وفاعل معين أو فعل ظاهر من فاعل مجهول يرى أثره ولا يعرف خبره ولا يعلم عينه ولا يجهل كونه فلمن نراقب وما ثم من يقع عليه عين ولا من يضبطه خيال ولا من يحدده زمان ولا من تعدده صفات وأحكام ولا من تكسيفه أحوال ولا من تميزه أوضاع ولا من تظهره إضافة فكيف نراقب من لا يقبل الصفات والعلم يرفع الخيال فهو الرقيب لا المراقب وهو الحفيظ لا المحفوظ فالذي يحفظه الانسان انما هو اعتقاده في قلبه فذلك الذي وسعه من ربه فان راقبت فاعلم من راقبت فما زلت عنك ولا عرفت سوى ذاتك فالحدث لا يتعلق ألا بالمناسب وهو ما عندك منه وما عندك حادث فما برحت من جنسك وما عبدت على الحقيقة سوى ما نصبته في نفسك ولهذا اختلفت المقالات في الله وتغيرت الأحوال فطائفة تقول هو كذا وطائفة تقول ما هو كذا بل هو كذا وطائفة قالت في العلم انه لون المألون انائه فهذا مؤثر بالدليل مؤثر فيه عند صاحب هذا القول في رأي العين فانظر إلى الحيرة سارية في كل معتقد فالكمال من عظمت حيرته ودامت حسرته ولم ينل مقصوده لما كان معبوده وذلك انه رام تحصيل ما لا يمكن تحصيله وسلك سبيل من لا يعرف سبيله والأكمل من الكامل من اعتقد فيه كل اعتقاد وعرفه في الايمان والدلائل وفي الألحاد فان الألحاد ميل إلى اعتقاد معين من اعتقاد فأشهدوه بكل عين ان أردتم أصابة العين فانه عام التجلي له في كل صورة وجه وفي كل عالم حال فراقب ان شئت أولاً تراقب فما ثم الأمثاب ومثيب ومعاقب ومعاقب انتهى الجزء المو في مائة

الجزء الواحد و المائة * 1

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثامن والعشرون ومائة في معرفة مقام الرضى وأسراره

سألت ربي عصمة	من كل سوء وأذى
وان أرى من أجله	كروحه منتبذاً
مختطفاً عن نفسه	مستهلكاً متخذاً
حتى أقول صادقاً	من حالنا يا حبذا
رضيت منه بكذا	رضيت عنه لكذا
وهكذا نسبه	إليه حكماً هكذا
وهو دليل قاطع	على يسير فإذا
أفردته عن من وعن	وصفته بذا وذا
وكننت ذا معرفة	بحقه وجهبذا

أعلم وفقك الله ان قولي دليل قاطع على يسير أعني الرضى يدل على يسير من كثير فيرضى به أدباً مع الله لانه وكله والرضى أمر مختلف فيه عند أهل الله هل هو مقام أو حال فمن رآه حالاً ألحقه بالمواهب ومن رآه مقاماً ألحقه بالمكاسب وهو نعت ألهي وكل نعت ألهي إذا أضيف إلى الله فليس يقبل الوهب ولا الكسب فهو على غير المعنى الذي إذا نسبناه إلى للخلق لم يبقى له تلك الصفة فحصل له بنسبته للخلق ان ثبت كان مقاماً وان زال كان حالاً وهو على الحقيقة يقبل الوصفين وهو الصحيح فهو في حق بعض الناس حال وفي حق بعض الناس مقام وكل نعت ألهي بهذه المثابة فتجري النعوت الإلهية إذا نسبت إلى الخلق مجرى الاعتقادات فكما انه يقبل كل اعتقاد ويصدق فيه كل معتقد كذلك النعوت الإلهية إذا نسبت للخلق تقبل صفات المقامات وصفات الأحوال هذا هو تحرير هذه الصفة وأمثالها وهو الذي عليه الأمر وقد وصف الله نفسه وهو ما أعطاه العبد من نفسه رضى الله به ولاضى الله عنه فيه وان لم يبذل استطاعته فانه لو بذل استطاعته التي إذا بذلها وقع في الحرج كان قد بذلها على جهد ومشقة وقد رفع الله الحرج عن عباده في دينه فعلمنا ان المراد بالاستطاعة في مثل قوله "فاتقوا الله ما استطعتم" "لا يكلف الله نفساً إلا وسعها" وما أتاها ان حدها أول درجات الحرج فإذا أحسن به أو استشرف عليه قبل الإحساس به فذلك حد الاستطاعة المأمور بها شرعاً ليجمع بين قوله تعالى "فاتقوا الله ما استطعتم" وبين قوله "ما عليكم في الدين من حرج" ودين الله يسر "ويريد الله بكم اليسر" في قوله ما استطعتم ولما فهمت الصحابة من الاستطاعة ما ذكرناه لذلك كانت رخصة لعزمه قوله حق تقاته فرضى الله منك إذا أعطيته مما كلف حد الاستطاعة التي لا حرج عليك فيها ورضيت منه انت بالذي أعطاك من حال الدنيا ورضيت عنه في ذلك وقد عرفت أحوال الدنيا

أما الطاعة الخاصة كما بينها في باب المراقبة وكلما أعطاك الحَقفي الدنيا والآخرة من الخير والنعم فهو قليل بالنسبة إلى ما عنده فان الذي عنده لا نهاية له وكل ما حصل لك من ذلك فهو متناه بحصوله في الوجود ونسبة ما يتناهى إلى ما لا يتناهى أقل القليل كما قال الخضر لموسى لما نقر الطائر بمنقره في البحر ليشرب من مائه فشبهه بما هم عليه من العلم ويعلم الله فلذلك قال رضى الله عنهم في يسير العمل ورضوا عنه في يسير الثواب لانه لا يتمكن تحصيل ما لا يتناهى في الوجود لانه لا يتناهى فلذلك قلنا متعلق الرضى اليسير وهو الرضى بالموجود فرضى به من الله وعن الله فيه وما قدم الله رضاه عن عبيده بما قبله من اليسير من أعمالهم التي كلفهم إلا ليرضوا عنه في يسير الثواب لما علموا ان عنده ما هو أكثر من الذي وصل إليهم فهو يصل إليهم مع الانات حالاً بعد حال أبداً الآباد من غير انقطاع مع انقطاع أعمالهم التي كانت عن تكليف مشروع فانقطعت الأعمال منهم ولم تنقطع العباد فإذى تنهى حد العمل الحسن والقبيح في أهل الجنة وأهل النار بقي جزاءهم جزاء العباد في السعداء وجزاء العبودية في أهل النار وهو جزاء لا ينقطع أبداً فهذا أعطاهم اتساع الرحمة وشمولها فان المحرمين لم يزل عنهم شهود عبوديتهم وان ادعوا ربانية فيعلمون من نفوسهم انهم كاذبون بما يجدونه فتزول الدعوى بزوال أو انها وتبقى عليهم نسبة العبودية التي كانوا عليها في حال الدعوى وقبل الدعوى ويجنون ثمرة قولهم بلى فكانوا بمنزلة من أسلم بعد ارتداده فحكم على الكل سلطان بلى فاعقبهم سعادة بعدما مسهم من الشقاء بقدر ما كانوا عليه من زمان الدعوى فما زال حكم بلى يصحبهم من وقته إلى ما يتناهى ديناً وبرزخاً وآخرة وعرضت عوارض لبعض الناس أخرجتهم في الظاهر عن حكم توحيدهم بما ادعوه من الإلهة في الشركاء فأثبتوه وزادوا فقام لهم الشركاء مقام الأسباب للمؤمنين وكل عارض زائل وحكمه يزول بزواله ويرجع الحكم إلى الأصل والأصل يقتضي السعادة فمال الكل ان شاء الله إليها مع عمارة الدارين ولكل واحدة ملؤها والرحمة تصحبها كما صحبت هنا العبودية لكل أحد ممن بقي عليها أو ادعى الربوبية فانه ادعى أمراً يعلم من نفسه خلافه فمقام الرضى ما ثنته لك فقل فيه بعد هذا ما شئت حال أو مقام أو لا حال ولا مقام واعلم الفرق فيه بين النسبتين نسبتته لله ونسبته للخلق والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب التاسع والعشرون ومائة في معرفة ترك الرضى

وعند أهل وجود الله آيات

من حيث ما هم به محو واثبات

بحكمه ولهم فيها علامات

بالعين علم ولا بالوجد لذات

رضى وليست له فيها نهايات

ترك الرضى عند أهل الرسم مثلبة

على تحققهم بعين موجودهم

يرضى الإله عن النفس التي ارتبطت

والنفس راضية عنه وليس لها

وما سوى النفس من عقل فليس له

جناب الله أوسع من ان أرضى منه باليسير ولكن أرضى عنه لا منه لان الرضى منه يقطع هم الرجال والله يقول أمراً نبيه صلى الله عليه وسلم "وقل ري زدي علما" مع كونه قد حصل علم الأولين والآخرين وأوتى جوامع الكلم فانه لا يعظم على الله شئ طلب منه فان المطلوب منه لا يتناهى فليس له طرف نقف عنده فوسع في طلب المزيد ان كنت من العلماء بالله وإذا كان اتساع الممكنات لا يقبل التناهي فما ظنك بالتساع الإلهي فيما يجب له وما يعطيه من المعرفة كل ممكن على عدم التناهي فيه فكيف إذا انضاف إلى

تلك المعرفة ما لا تعلق للممكن بها لا من سلب ولا من اثبات نسب فإذا ترك العبد الرضى فعلى هذا الحد يتركه فهو راض عنه لا راض منه لان الرضى منه جهل به ونقص والعبد الكامل مخلوق على صورة الكمال وأما قول بعضهم لي منذ ستين سنة أو كما وقت ما أقامني الله في أمر فكرهته قالت المشايخ أشار إلى دوام الرضى واحتجوا بهذا على ثبوت الأحوال فان الرضى عندهم من الأحوال وهذا لا يصح من غير المعصوم والمحفوظ فربما كان هذا القائل من المحفوظين أو المعصومين فان لم يكن فيريد الرضى بقضاء الله فيما أقامه لا بكل مقضى فانه لا ينبغي الرضى بكل مقضى وان رأيت وجه الحق فيه فانك إذا كنت صحيح الرؤية فيه فانك ترى وجه الحق فيه غير راض عنه فان لم تره بذلك العين الإلهي وإلا فما رأيته ان رضيت به ولا يرضى لعباده الكفر فتحفظ من هذا الحال أو هذا المقام فانه زهوق لا يثبت عليه الأقدام فان فيه منازعة الحق

الباب الموفى ثلاثين ومائة في مقام العبادة

بان نسبنا للحق معلومة

بما له من علو القدر مجهولة

فقر قد أودع الرحمن تنزيله

مابحث عليه ترى بالبحث تفصيله

اني انتسبت إلى نفسي لمعرفتي

وكونه علة للخلق مجهولة

هو الغني على الإطلاق ليس له

هذا الذي قلته القرآن فصله

العبودية نسب إلى العبادة والعبودية مخصصة من غير نسب لا إلى الله ولا إلى نفسها لانه لا يقبل النسب إليه ولذلك لم تجئ بيان النسب فأذل الأذلاء من ينتسب إلى ذليل على جهة الإفتخار به ولهذا قيل في الأرض ذلول بنية المبالغة في الذلة لان الأذلاء يطئونها فهي أعظم في الذلة منهم فمقام العبودية مقام الذلة والإفتقار وليس بنعت إلهي قال أبو يزيد البسطامي وما وجد سببا يتقرب به إلى الله إذ رأى كل نعت يتقرب به إلى الله للألوهية فيه مدخل فلما عجز قال يا رب بما إذا أتقرب إليك قال الله له بما جرت عادة الله مع أوليائه ان يخاطبهم به تقرب إلى بما ليس لي الذلة والأفتقار وهنا سر لا يمكن كشفه فمن أطلعه الله عليه عرفه نطق الله عباده عليه بان له صاحبه وولداً وأمثالاً وان له البخل وانه فقير من العرض بقولهم ونحن أغنياء ثم قال سنكتب ما قالوا وكتبه الله إيجاب وهذا موضع السر لمن فتح الله عين بصيرته ثم في قوله "لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء" فألحقهم في العقاب بالكفار وهم الذين ستروا ما يجب للحق عليهم من التنزيه والأشتراك في أسماء الصفات لا في مسمياتها فالعبد معناه الذليل يقال أرض معبدة أي مذلة قال الله عز وجل "وما خلقت الجن والانس ألا ليعبدون" وما قال ذلك في غير هذين الجنسيتين لانه ما ادعى أحد الألوهية ولا اعتقدها في غير الله ولا تكبر على خلق الله ألا هذان الجنسان فلذلك خصهما بالذكر دون سائر المخلوقات فقال ابن عباس معناه ليعرفوني فما فسر بحقيقة ما تعطيه دلالة اللفظ وانما تفسيره ليدلوا إلي ولا يدل له من لا يعرفه فلا بد من المعرفة به أولاً وانه ذو العزة التي تذلل الأعراء لها فلذلك عدل ابن عباس في تفسير العبادة إلى المعرفة هذا هو الظن به ولم يتحقق بهذا المقام على كماله مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان عبداً محضاً زاهداً في جمع الأحوال التي تخرجه عن مرتبة العبودية وشهد الله له بانه عبد مضاف إليه من حيث هويته وأسمه الجامع فقال في حق أسمه وانه لما قام عبد الله يدعوه وقال في حق هويته سبحانه الذي أسرى بعبده

فأسرى به عبداً ولما أمر بتعريف مقامه يوم القيامة قيد ذلك فقال انا سيد ولد آدم ولا فخر بالراء أي ما قصدت الفخر عليكم بالسيادة بل أردت التعريف بشري لكم أذ انتم مأمورون باتباعي وقد روي ولا فخر بالزاي ما قلته متبجحاً وانا لست كذلك فان الفخر التبجح بالباطل في صورة حق فالعبد مع الحق في حال عبوديته كالظل مع الشخص في مقابلة السراج كلما قرب من السراج عظم الظل ولا قرب من الله ألا بما هو لك وصف أخص لأله وكلما بعد من السراج صغر الظل فانه ما يبعدك عن الحق الآخر وجك عن صفتك التي تستحقها وطمعك في صفته كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وهما صفتان لله تعالى وذق انك انت العزيز الكريم وهذا قوله صلى الله عليه وسلم أعوذ بك منك وهذا المقام لا يبقى لك صفة تخص الحق وينفرد بها ولا يمكن حصول اشتراك فيها من النعوت الثبوتية لا النعوت السلبية والأضافية ألا ويعلمها صاحب هذا المقام خاصة ولكن عز صاحبه ذوقاً فان الوصف الأخص منك إذا تحققت به وانفردت ودخلت به على الحق لم يقابلك ألا بالنعوت الأخص به الذي لا قدم لك فيه وإذا جئت بالنعوت المشترك تجلى لك بالنعوت المشترك فتعرف سر نسبته إليك من نسبته إليه وهو علم غريب قل ان تجد له ذائقاً ومع هذا فهو دون الأول الذي هو الأخص بك فاعلم ذلك فتحقق بهذا المقام فهذا أعطاك مقام العبودية وأما مقام العبودية فلا تدري ما يحصل لك فيه من العلم به فانك تنفي النسب فيه عنه تعالى وعن الكون وهو مقام عزيز يزجدا لانه لا يصح عند الطائفة ان يبقى الكون مع أمكانه بغير نسب وهو بالذات واجب لغيره والتنبيه على هذا المقام وصف الظاهر في المظهر بنعت العبد فان الظاهر ينصبغ بحقيقة المظهر كان ما كان فلا ينتسب الظاهر إلى العبودية فانه ليس وراءها نزول والمنتسب لا بد ان يكون انزل في المرتبة من المنسوب إليه ولا ينتسب الظاهر ألا إليه فان الأثر الذي أعطاه عين المظهر ليس غير الظاهر وليس وراء الله مرمى والشئ لا ينسب إلى نفسه فلهذا جاءت العبودية بغير ياء النسب يقال رجل بين العبودية والعبودية أي ذاته ظاهرة ونسبه مجهول فلا ينسب فانه ما ثم إلى من فهو عبد لا عبد

الباب الأحد والثلاثون ومائة

في مقام ترك العبودية

وانت لله لا للخلق فازدجروا

ومظهر الكون عين الكون فأعتبروا

حقاً بذاً حكم التشريع والنظر

فهو ألا له الذي في طيه البشر

وما التصرف والأحكام والقدرة

ولا يخيب من تسري به العبر

ان انتسبت إلى معلول انت له

نحن المظاهر والمعبود ظاهرها

ما جاء بي عبثاً لكن لنعبده

ولست أعبد إلا بصورته

فما القضاء إذا حققت صورتنا

فكلها عبر ان كنت ذا نظر

ترك العبودية لا يصح ألا عند من يرى ان عين الممكنات باقية على أصلها من العدم وانما مظاهر للحق الظاهر فيها فلا وجود ألا الله ولا أثر ألا لها فانها بذاتها تكسب وجود الظاهر ما تقع به الحدود في عين كل ظاهر فهي أشبه شيء بالعدد فانها معقول لا وجود له وحكمه سار ثابت في المعدودات والمعدودات ليست سوى صور الموجودات كانت ما كانت والموجودات سبب كثرتها أعيان الممكنات وهي أيضاً سبب اختلاف صور الموجودات فالعدد حكمهم مقدم على حكم كل حاكم ولما وصلت في أول هذا الباب من هذه النسخة إلى العدد والمعدودات نمت فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامي وانا بين يديه وقد سألني سائل وهو يسمع ما أقل الجمع في العدد فمنت أقول له عند الفقهاء أثنان وعند النحويين ثلاثة فقال صلى الله عليه وسلم أخطأ هؤلاء وهؤلاء فقلت له يا رسول الله فكيف أقول قال لي ان العدد شفع ووتر يقول الله تعالى والشفع والوتر والكل عدد فميز ثم أخرج خمسة دراهم بيده المباركة ورمى بها على حصير كنا عليه فرمى درهمين بمعزل ورمى ثلاثة بمعزل وقال لي ينبغي لمن سئل في هذه المسألة ان يقول للسائل عن أي عدد تسأل عن العدد المسمى شفعاً أو عن العدد المسمى وتراً ثم وضع يده على الأثنين الدرهمين وقال هذا أقل الجمع في عدد الشفع ثم وضع يده على الثلاثة وقال هذا الباب كما رأيته حين أستيقظت وخرج عن ذكرى مسائل كثيرة كانت بيني وبينه صلى الله عليه وسلم مما يتعلق بغير هذا الباب وانا في غاية السرور والفرح برؤيته صلى الله عليه وسلم ووجدت في خاطري عند انتباهي صحة النهي عن البتير فانتهيت في طريقه فما رأيت معلماً أحسن منه وأخذت في تقييدي لهذا الكتاب فنرجع ونقول فالعدد حكمه مقدم على حكم كل حاكم فحكم على الممكنات بالكثرة كثرة الممكنات واختلافات استعداداتها على الظاهر فيها مع أحديته فكثرت كثرة الممكنات ولما كان الأمر هكذا لم يمكن ان يكون للعبودية عين فلهذا المقام يقال بترك العبودية ومن حكم العدد وقوة سريانه وان لم يكن له وجود قول الله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة ألا هورابعهم ولا خمسة ألا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك يعني الأثنين وهذا يعضد رؤيانا المتقدمة ولا أكثر ألا هو معهم أينما كانوا من المراتب التي يطلبها العدد فينسحب عليها حكم العدد وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله تسعة وتسعين اسماً مائة ألا واحد هذا من حكم العدد وقال لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ولم يكفر من قال انه سبحانه رابع ثلاثة وذلك انه لو كان ثالث أو رابع أربعة على ما توطأ عليه أهل هذا اللسان لكان من جنس الممكنات وهو سبحانه وتعالى ليس من جنس الممكنات فلا يقال فيه انه واحد منها فهو واحد أبداً الكل كثرة

وجماعة ولا يدخل معها في الجنس فهو رابع ثلاثة فهو واحد وخامس أربعة فهو واحد بالغاما بلغت فذلك هو مسمى الله فهو وان كان هو الوجود الظاهر بصور ما هي المظاهر عليه فما هو من جنسها فانه واجب الوجود لذاته وهي واجبة العدم لذاتها أزلاً فلها الحكم فيمن تلبس بها كما للزينة الحكم فيمن تزين بها فنسبة الممكنات للظاهر نسبة العلم والقدرة للعالم والقادر وما ثم عين موجودة تحكم على هذا الموصوف بانه عالم وقادر فلهذا نقول انه عالم لذاته وقادر لذاته وهكذا هي الحقائق فالعدد حاكم لذاته في المعدودات ولا وجود له والمظاهر حاكمة في صور المظاهر وكثرتها في عين الواحد ولا وجود لها عندنا في العلم الألهي مسئلة أغمض من هذه المسئلة فان الممكنات على مذهب الجماعة ما أستفادت من الحق ألا الوجود وما يدري أحد ما معنى قولهم ما أستفادت ألا الوجود ألا من كشف الله عن بصيرته وأصحاب هذا الإطلاق لا يعرفون معناه على ما هو الأمر عليه في نفسه فانه ما ثم موجود ألا الله تعالى والممكنات في حال العدم فهذا الوجود المستفاد ما ان يكون موجوداً وما هو الله ولا أعيان الممكنات وأما ان يكون عبارة عن وجود الحق فان كان أمراً زائداً ما هو الحق ولا عين الممكنات فلا يخلو ان يكون هذا الوجود موجوداً فيكون موصوفاً بنفسه وذلك هو الحق لانه قد قام الدليل على انه ما ثم وجود أزلاً ألا وجود الحق فهو واجب الوجود لنفسه فثبت انه ما ثم موجود لنفسه غير الله فقلبت أعيان الممكنات بحقائقها وجود الحق لانه ما ثم وجود ألا هو وهو قوله "وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما ألا بالحق" وهو الوجود الصرف فانطلق عليه ما تعطيه حقائق الأعيان فحدث الحدود وظهرت المقادير ونفذ الحكم والقضاء وظهر العلو والسفل والوسط والمختلغات والمتقابلات وأصناف الموجودات أجناسها وانواعها وأشخاصها وأحوالها وأحكامها في عين واحدة فتميزت الأشكال فيها وظهرت أسماء الحق وكان لها الأثر فيما ظهر في الوجود غيره ان تنسب تلك الآثار إلى أعيان الممكنات في الظاهر فيها وإذا كانت الآثار للأسماء الألهية والاسم هو المسمى فما في الوجود ألا الله فهو الحاكم وهو القابل فانه قابل التوب فوصف نفسه بالقبول ومع هذا فتحرير هذه المسئلة عسير جداً فان العبارة تقصر عنها والتصور لا يضبطها لسرعة تفلتها وتناقض أحكامها فانها مثل قوله "وما رميت" فنفي أذ رميت فأثبت ولكن الله رمى فنفي كون محمد وأثبت نفسه عين محمد وجعل له أسم الله فهذا حكم هذه المسئلة بل هو عينها لمن تحقق فهذا معنى ترك العبودية في خصوص العلماء بالله وأما من نزل منهم عن هذه الطبقة فانه يقول لا يصح تركها باطناً لوجود الافتقار الذي لا ينكره المحدث من نفسه فلا بد ان يذله فتلك الذلة عين العبودية ألا ان يؤخذ الانسان عن معرفته بنفسه وأما تركها من باب المعرفة فهو ان العبد إذا نظرته من حيث تصرفه لا من حيث ما هو ممكن وأطلقت عليه أسم العبودية من ذلك الباب فيمكن في المعرفة تركها من باب التصرف لا من باب الأمكان وذلك ان حقيقة العبودية الوقوف عند أوامر السيد وما هنا مأمور ألا من يصح منه الفعل بما أمر به والأفعال خلق الله فهو الأمر والمأمور فأين التصرف الحقيقي الذي به يسمى العبد عبداً قائماً بأوامر سيده أو منازعاً له فيتصرف بالأباق فبقي المسمى عبداً على ظهور الاقتداء الألهي بجريان الفعل على ظاهره وباطنه وأما بموافقة الأمر أو بمخالفته وإذا كان هذا على ما ذكرناه فلا عبودية تصريح فهو أعني العبد موجود بلا حكم وهذا مقام تحقيقه عند جميع علماء الذوق من أهل الله ألا طائفة من أصحابنا وغيرهم ممن ليس منا يرون خلاف ذلك وان الممكن له فعل وان الله قد فوض إلى عباده ان يفعلوا بعض الممكنات من الأفعال فكلفهم فعلها فقال أقيموا الصلاة وأتوا الزكاة وأتموا الحج والعمرة لله واجاهدوا في الله وأمثال هذا فإذا أثبتوا ان للعبد فعلاً لم يصح ترك عبودية التصريف وأما عبودية الأمكان فأجمعوا على كونها وانه لا يتصور تركها فان ذلك ذاتي للممكن وبعض أصحابنا يلحظ في ترك العبودية كون الحق قوي العبد وجوارحه فانه يغيب عن عبوديته في تلك الحال فهو ترك حال لأترك حقيقة انتهى الجزء المائة

الباب الثاني والثلاثون ومائة في معرفة مقام الاستقامة

للمستقيم ولاية مخصوصة	شملت جميع الكون في تخصيصها
للمستقيم تنزلت أرواحه	بالطيب المكنون في تنصيبها
الاستقامة نزلت أربابها	منها منازل لم تتل بخصوصها
هي نعته سبحانه في قصة	قد قالها فانظره في منصوبها

جاءت هذه الأبيات لزوم ما لا يلزم من غير قصد وكذلك أمثالها فانما انطق بما يجره الله فينا من غير تعمل ولا روية أعلم وفقك الله ان الله أخبر عن نبيه ورسوله عليه السلام في كتابه انه قال "ان ربي على صراط مستقيم" فوصف نفسه بانه على صراط مستقيم وما خطا هذا الرسول في هذا القول ثم انه ما قال ذلك إلا بعد قوله "ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها" فما ثم إلا من الحق آخذ بناصيته ولا يمكن إزالة ناصيته من يد سيده وهو على صراط مستقيم ونكر لفظ دابة فعم فأين المعوج حتى تعدل عنه فهذا جبر وهذه استقامة فالله يوفقنا لا نزال كل حكمة في موضعها فهناك تظهر عناية الله بعبده "لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا" وهي أحكام الطريقة التي في قوله "ومنهاجا" فكلها مجعولة بجعل الله فمن مشى في غير طريقة التي عين الله له المشي عليها فقد حاد عن سواء السبيل التي عين الله له المشي عليها كما ان ذلك الآخر لو ترك سبيله التي شرع الله له المشي عليها وسلك سبيل هذا سميناه حائدا عن سبيل الله والكل بالنسبة إلى واحد واحد على صراط مستقيم فيما شرع له ولهذا خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وخط عن جنبي ذلك الخط خطوطا فكان ذلك الخط شرعة ومنهاجه الذي بعث به وقيل له قل لامتك تسلك عليه ولا تعدل عنه وكانت تلك الخطوط شرائع الانبياء التي تقدمته والنواميس الحكيمة الموضوعة ثم وضع يده على الخط وتلا وان هذا صراطي مستقيما فأضافه إليه ولم يقل صراط الله ووصفه بالاستقامة وما تعرض لنعت تلك الخطوط بل سكت عنها ثم قال فاتبعوه الضمير يعود على صراطه ولا تتبعوا السبيل يعني شرائع من تقدمه ومنهاجهم من حيث ما هي شرائع لهم إلا ان وجد حكم منها في شرعي فاتبعوه من حيث ما هو شرع لنا من حيث ما كان شرعا لهم فتفرق بكم عن سبيله يعني تلك الشرائع عن سبيله أي عن طريقه الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ولم يقل عن سبيل الله لان الكل سبيل الله إذ كان الله غايتها ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون أي تتخذون تلك السبيل وقاية تحول بينكم وبين المشي على غيره من السبل وهو قوله: ان الذين قالوا "من أي شرع كان إذا كان له الزمان والوقت ربنا الله ثم استقاموا على طريقهم التي شرع الله لهم المشي عليها تنزل عليهم الملائكة وهذا التنزل هو النبوة العامة لا نبوة التشريع تنزل عليهم بالبشر أي لا تخافوا ولا تحزنوا فانكم في طريق الاستقامة ثم قالوا هم هؤلاء المبشرين من الملائكة نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا أي كنا ننصركم في الحياة الدنيا في الوقت الذي كان الشيطان يلقي إليكم بلمته العدول عن الصراط الذي

شرع لكم المشي عليه فكنا ننصركم عليه باللمة التي كنتم تجددونها في وقت التردد بين الخاطرين هل يفعل أو لا يفعل نحن كنا الذين نلقي إليكم ذلك في مقابلة القاء العدو فنحن أيضاً أولياؤكم في الآخرة بالشهادة لكم انكم كنتم تأخذون بلمتنا وتدفعون بها عدوكم فهذه ولا يتهم في الآخرة وولايتهم أيضاً بالشفاعة فيهم فيما غلب عليهم الشيطان في لمتهم فيكون العبد من أهل التخطيط فتشفع الملائكة فيه حتى لا يؤاخذ بعمل الشيطان فهذا معنى قوله وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم من شهدتنا لها وشفاعتنا فيها في هذا الوطن ولكم ما تدعون من الدعاء "نزلاً من غفور رحيم" بشهادتنا وشفاعتنا حيث قبلها فأسعدكم الله بها فستركم في كنفه وأدخلكم في رحمته هذا معنى الاستقامة المتعلقة بالنجاة وأما الاستقامة التي تطلبها حكمة الله فهي السارية في كل لون قال تعالى مصداقاً لموسى عليه السلام أعطى كل شئ خلقه فكل شئ في استقامة حاصلة فاستقامت النبات ان تكون حركته منكوسة واستقامة الحيوان ان تكون حركته أفقية وان لم يكن كذلك لم ينتفع بواحد منها لان حركة النبات ان لك تكن منكوسة حتى يشرب الماء بأصولها لم تعط منفعة إذ لا قوة له إلا كذلك وكذلك الحيوان لو كانت حركته إلى العلو وقام على رجلين مثلاً لم يعط فائدة الركوب وحمل الأثقال على ظهره ولا حصلت به المنفعة التي تقع بالحركة الأفقية فاستقامته ما خلق له فهي الحركة المعتبرة التي تقع بها المنفعة المطلوبة وإلا فالنبات والحيوان لهما حركة إلى العلو وهو قوله "والنخل باسقات" فلولا الحركة ما نما علو وانما غلبنا عليه الحركة المنكوسة للمنفعة المطلوبة فافهم ذلك فان المتكلمين في هذا الفن ما حرروا

الكلام في حقيقة هذه الحركات فالحركة في الوسط مستقيمة لانها أعطت حقيقتها كحركة الأرض وحركة الكرة والحركة من الوسط حركة العروج والحركة إلى الوسط حركة النزول فحركة النزول ملكية وإلهية وحركة العروج حركة بشرية وكلها مستقيمة فما ثم إلا استقامة لا سبيل إلى المخالفة فان المخالفة تشاجر ألا ترى انه ما وقع التحجير على آدم إلا في الشجرة أي لا تقرب التشاجر وإلزم طريقة انسانيك وما تستحقه واترك الملك وما تستحقه والحيوان وما تستحقه وكل ما سواك وما يستحقه ولا تزام أحد في حقيقته فان المزامحة تشاجر وخلاف ولهذا لما قرب من الشجرة خالف نهي ربه فكان مشاجر فذهبت عنه في تلك الحال السعادة العاجلة في الوقت وما ذهبت عنه استقامت التشاجر فانه وفاها حقها بمخالفة النهي الإلهي اعوجاج القوس استقامته لما أريد له فما في الكون إلا استقامة فان موجدته وهو الله تعالى على صراط مستقيم من كونه رباً فان دخلت السبل بعضها على بعض واختلطت فما خرجت عن الاستقامة استقامة الإحلاط واستقامة ما وجدت له فهي في الاستقامة المطلقة التي لها الحكم في كل كون وهي قوله "واليه يرجع الأمر كله" وهو على صراط مستقيم فاعبده أي تدلل له في كل صراط يقيمك فيه لا تتدلل لغيره فان غيره عدم ومن قصد العدم لم تظفر يداه بشئ ثم انه جاء بضمير الغائب في قوله فاعبده أي لا تقل انت المدرك فان الإيصار لا تدركه إذ لو أدرك الغيب ما كان غيباً فاعبد ذات مژة مجهولة لا تعرف منها سوى نسبتك إليها بالإفتقار ولهذا تم فقال "وتوكل عليه" أي اعتمد عليه "وما ربك بغافل عما تعملون" قطع بهذا ظهر المدعين في هذا المقام إذ لم تكن صفتهم ولا حالهم ولا وصل إليهم علمه فالاستقامة سارية في جميع الأعيان من جواهر وأعراض وأحوال وأقوال كما قال وأقوم قِيلاً وهي نعت إلهي وكوني وجعلنا الله ممن لم يعدل عن استقامته إلا باستقامته آمين بعزته وأما الاستقامة بلسان عامة أهل الله فهي ان تقول الاستقامة عامة في الكون كما قررنا فما ثم طريق إلا وهو مستقيم لانه ما ثم طريق إلا هو موصل إلى الله ولكن قال الله تعالى لنبيه ولنا فاستقم كما أمرت لم يخاطبه بالاستقامة المطلقة فانه قد تقرر ان إلى الله تصير الأمور وانه غاية كل طريق ولكن الشأن إلى أي إسم تصل وتصير من الاسماء الإلهية فينفذ في الواصل إليه أثر ذلك الاسم من سعادته ونعيم وشقاوة وعذاب فمعنى الاستقامة الحركات والسكنات على الطريقة

المشروعة والصراط المستقيم هو الشرع الإلهي والإيمان بالله رأس هذا الطريق وشعب الإيمان منازل هذا الطريق التي بين أوله وغايته وما بين المتزلين أحواله وأحكامه ولما كان الصراط المستقيم مما تزلت به الملائكة المعبر عنها بالأرواح العلمية وهي الرسل من الله المصطفين من عباده المسلمين أنبياء ورسلا جعل الله بينها وبين من تزل عليه من هؤلاء الأصناف نسباً جواً مع بينهما بتلك النسب يكون اللقاء من الملائكة وبها يكون القبول من الأنبياء فكل من استقام بما أنزل على هؤلاء المسلمين أنبياء ورسلا من البشر بعد ما آمن بهم أنهم رسل الله وأنهم أخذوا ما جاؤا به عن رسل آخرين ملكيين تزلت الملائكة عليهم أيضاً بالبشرى وكانت لمن هذه صفته جلساء ولما كانت هذه الأرواح العلوية حية بالذات كان الاسم الذي تولاهما من الحضرة الإلهية الاسم الحي كما كان المتولى من الاسماء الإلهية لمن كانت حياته عرضية مكتسبة الاسم الحي فما عقل الملك قط إلا حيا بخلاف البشر فانهم كانوا أمواتاً فأحياهم ثم يميتهم ثم يحييهم ولا هل هذه الحياة العرضية من العناصر ركن الماء قال تعالى وكان عرشه على الماء وقال "وجعلنا من الماء كل شيء حي" فالماء أصل العناصر والإسطقسات والعرش الملك وما تم الملك وكمل إلا في عالم الاستحالة وهو عالم الأركان الذي أصله الماء ولولا عالم الاستحالة ما كان الله يصف نفسه بأنه كل يوم في شأن فالعالم يستحيل الحق في شأن حفظ وجود أعيانه يمدد بقاء عينه من الإيجاد فهو الشأن الذي هو الحق عليه وليس لغير عالم الاستحالة هذه الحقيقة ولما صار الماء أصلاً لكل حي حياته عرضية كان من استقامه سقاء الله ماء الحياة فان كان سقى عناية كالأنبياء والرسل حي به من شاء الله وإن كان سقى ابتلاء لما فيه من الدعوى كان بحكم ما أريد بسقيه قال تعالى "وان لو استقاموا على الطريقة

لاسقيناهم ماء غدقاً لنفنتهم فيه" فهذا سقى ابتلاء وانما طلبت الاستقامة من المكلف في القيام بفرائض الله عليه فان المكلف من جهة الحقيقة ملقى طريق عند باب سيده تجري عليه تصاريق الأقدار وما أودع الله في حركات هذه الأكوار مما يجئ به الليل والنهار من تنوع الأطوار بين محو واثبات لظهور آيات بعد آيات وقد جعل الله المكلف محلاً للحياة والحركات وطلب منه القيام من تلك الرقدة بما كلفه من القيام بحقه فاصعب ما يمر على العارفين أمر الله بالاستقامة وهو قوله تعالى "فاستقم كما أمرت" ومن تاب معك ولا تطغوا أي لا ترتفعوا عن أمره بما تجذونه في نفوسكم من خلقكم على الصورة الإلهية فتقولوا مثلاً لا يكون مأموراً فلا يعرف العلماء بالله هل وافق أمر الله إرادته فيهم أنهم يمتثلون أمره أو يخالفونه فلماذا صعب عليهم أمر الله واشتد وهو قوله عليه السلام شيتني هود فانها السورة التي نزل فيها فاستقم كما أمرت واحواها مما فيها هذه الآية أو ما في معناها فهم من ذلك على خطر وطريق الاستقامة لا تتقيد مراتبه ولا تنضبط كما قال صلى الله عليه وسلم استقيموا ولن تحصوا يعني طريق الاستقامة وما أحصيت منها فلن تحصوا ما لكم في ذلك من الأجر والخير والظاهر انما أراد لن تحصوا طريق الاستقامة فانها كثيرة لن يسعها أحد منكم على التعيين ولهذا اتبع هذا القول بقوله واعملوا خير وخير أعمالكم الصلاة وإذا لم تستطيعوا احصاء طريق الاستقامة فخذوا الأفضل منها وينظر إلى الاسم الحي المحي بهذه العبادات الاسم القيوم ولهذا قيل للمكلف "أقيموا الصلاة" وأقيموا الوزن فالقيوم أخو الحي الملازم له قال تعالى "الله لا إله إلا هو الحي القيوم" وقال "لم الله لا إله إلا هو الحي القيوم" وقال "وعنت الوجوه للحي القيوم" فما جاء الاسم الحي إلا والقيوم معه فتدبر هذا الباب فانه يحتوي على أسرار إلهية

الباب الثالث والثلاثون ومائة في مقام ترك الاستقامة

فلا تغرنك دار الغرور

سبحانه فانه قول زور

إليه حقاً في جميع الأمور

حكم بجهل حاصل أو قصور

إلى سعيد والي من يبور

ألا إلى الله تصير الأمور

ألا إلى الله تصير الأمور

وكل ما خالف ما قاله

فكل معوج له غاية

فلا تعين واحد انه

فصلت الأشياء أغراضنا

ورجع الكل إلى قوله

اعلم علمك الله ان ترك الاستقامة من أعلام الإقامة عند الله والحضور معه في كل حال كما قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها في حق النبي صلى الله عليه وسلم من انه كان يذكر الله على كل أحيانه فهو في الدنيا موصوف بصفة أرض الآخرة لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ولما كانت الاستقامة تتميز بالاعوجاج ولا اعوجاج فلا استقامة مشهودة

د على طريق واحد

من مؤمن أو جاحد

فالكل في عين الوجود

والكل في عين الرضى

وقد يكون مشهد صاحب هذا الشهود النظر في امكان العالم والإمكان سبب مرضه والمرض ميل والميل ضد الاستقامة والإمكان للعالم نعت ذاتي لا يتصور زواله لا في حال عدمه ولا في حال وجوده فالمرض له ذاتي فالميل له ذاتي فلا استقامة فالعالم مرضه زمانه لا يرجى رفعها إلا ان الكون محل لوجود المغالطات لأمر تقتضيها الحكمة ويطلبها العقل السليم لعلمه بما يصلح الكون إذ شرع التكليف ولم يكن في الوسع ان تكون آحاد العالم على مزاج واحد فلما اختلفت الأمزجة كان في العالم العالم والأعلم والفاضل والأفضل فمنه من عرف الله مطلقاً من غير تقييد ومنهم من لا يقدر على تحصيل العلم بالله حتى يقيده بالصفات التي لا توهم الحدود وتقتضي كمال الموصوف ومنهم من لا يقدر على العلم بالله حتى يقيده بصفات الحدود فيدخله تحتحكم ظرفية الزمان وظرفية المكان والحد والمقدار ولما كان الأمر في العلم بالله في العالم في أصل خلقه وعلى هذا المزاج الطبيعي المذكور انزل الله الشرائع على هذه المراتب حتى يعم الفضل الإلهي جميع الخلق كله فانزل "ليس كمثله شئ" وهو لأهل العلم بالله مطلقاً من غير تقييد وانزل قوله تعالى "أحاط بكل شئ علماً وهو على كل شئ قدير" فعال لما يريد وهو السميع البصير "والله لا إله إلا هو الحي القيوم" وأجره حتى يسمع كلام الله وهو بكل شئ عليم وهذا كله في حق من قيده بصفات الكمال وانزل تعالى من الشرائع قوله "الرحمن على العرش استوى" "وهو معكم أينما كنتم" "وهو الله في السموات وفي الأرض" وتجري بأعيننا ولو أردنا ان نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا فعمت الشرائع ما تطلبه أمزجه العالم ولا يخلو المعتقد من أحد هذه الأقسام والكمال المزاج هو الذي يعم جميع هذه الاعتقادات ويعلم مصادرها ومواردها ولا يغيب عنه منها شئ فمثل هذا لا تتعين له الاستقامة لانه لا يرى لهذه الحال ضدًا تتميز به هذه الحالة لانه فيها والكون إذا كان في الشئ لا يدركه عيناً ورؤية بصر وان عرفه كما لا يدرك الهواء للقرب المفرط كذلك لا يدرك الحق للقرب المفرط فانه أقرب إلينا من حبل الوريد فلا تدركه الأبصار فسبحان من خلق العالم للسعادة لا للشقاء فكان

الشقاء فيه عرضاً عرض له ثم يزول وذلك لان الله تعالى ما خلق العالم لنفس العالم وانما خلقه لنفسه فقال فيه وان من شئ إلا يسبح بحمده ونحن من الأشياء ثم قال في حقنا وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون فما من أحد منا يتعزز على الله ولا يتكبر عليه وان تكبر بعضنا على بعض وما من صاحب نخلة ولا ملة ولا نظر إلا وتسأله عن طلبه فتجده مستوفراً المهمة على طلب موجوده لانه خلقه للمعرفة به واختلف أحوالهم في ادراك مطلوبهم لأختلاف أمزجتهم ونزلت الشرائع تصوب نظر كل ناظر ويتجلى لأهل الكشف والكل أهل كشف لكن بعضهم لا يدري ان مطلوبه قد أدركه وهو الذي خشع له وآخر قد علم انه لا يرى سوى مطلوبة فالكل في عين الوجود والشهوة ولكن أكثرهم لا يعلمون فرحم الله الجميع وهذا معنى قوله "ورحمتي وسعت كل شئ" وسيرد ان شاء الله في منزل الانعام والآلاء من هذا الكتاب ما أشرنا إليه في هذا الكلام فانا جعلنا فيه ان الوجود مدرسة وان الحق سبحانه هو رب هذه المدرسة وملقى الدروس فيها على المتعلمين وهم العالم والرسول هم المعيدون والورثة هم المذنبون وهم معيد والمعيدين والعلوم التي يلقيها للمتعلمين في هذه المدرسة وان كثرت فهي ترجع إلى أربعة أصناف صنف يلقي عليهم دروس موازين الكلام في الألفاظ والمعاني ليميزوا بها الصحيح من السقم وان كان الكل صحيحاً عند العلماء بالله وانما يسمى سقيماً بالنظر إلى ضده أو غرض ما معين والعلم الثاني هو العلم بتنقيح الأذهان وتدريب الأفكار وتهذيب العقول لان رب المدرسة انما يريد ان يعرفهم بنفسه وهو الغاية المطلوبة التي لأجلها وضع هذه المدرسة وجمع هؤلاء الفقهاء فاستدرجهم للعلم به شيئاً بعد شئ وبعضهم تجلي لهم ابتداء فعرفوه لصحة مزاجهم كالملائكة والأجسام المعدنية والنباتية والحيوانية وما احتجب إلا عن الثقيلين ففيهما وضع هذه العلوم ليتدربوا بها للعلم به وهو لا يزال خلف حجاب المعيدون والعقول ستر مسدل وباب مقفل ودروس يلقيها أيضاً ليعلمهم بذلك ما سبب وجود هذه الهياكل واختلافات أمزجتها وبما امتزجت وما سبب عللها وأمراضها وصحتها وعافيتها ومن أي شئ قامت وما يصلحها

ويفسدها وما معنى الطبيعة فيها وأين مرتبتها من العالم وهل هي أمر وجودي عيني أو هي أمر وجودي عقلي وهل يخرج عنها شئ أو صنف من العالم أو لاحكم لها إلا في الأجسام المركبة التي تقبل الحل والتركيب والكون والفساد وما أشبه هذا الفن والدرس الرابع هو ما يلقيه من العلم الإلهي وما يجب ان يكون عليه هذا المفتقر إليه الذي هو الله سبحانه وما يستحيل ان ينعت به وما يجوز فعله في خلقه وما ثم درس خامس أصلاً لانه ليس وراء الله مرمى غير ان كل نوع من انواع هذه العلوم ينقسم إلى علوم جزئية كثيرة يتسع المجال فيها قمن وقف مع شئ منها ولم يحضر من الدروس إلا درسها كان ناقصاً عن غيره ومن ارتفعت همته وعلم ان هذه الدروس المطلوب منها نفسها ولا وضعت لعينها وانما المقصود منها تحصيل العلم بالله الذي هو رب هذه المدرسة جعل في همته طلب هذا العلم الإلهي فمنهم من طلبه بمقدمات هذه العلوم وهو طلب عقلي ومنهم من طلبه من المعيد واقتصر عليه فانه رأى بينه وبين المدرس وصلة ورأى رسولا يخرج إليه من خلف الحجاب يعرفه بأمر يلقيها على الحاضرين وأوقات يدخل المعيد إليه ثم يخرج من عند فقال هذا الطالب العلم بالله من جهة هذا المعيد أحق وأوثق للنفس من ان تتخذ دليلاً نظرياً أو فكرياً مما تقدم من هذه العلوم الآخر فلما أخذ علمه من المعيد كان وارثاً وصار معيداً للمعيد وهو المذنب ويسمى في الشرع الوارث وهم ورثة الانبياء

الباب الرابع والثلاثون ومائة في معرفة مقام الإخلاص

اعلم ان الاسم الأحد ينطلق على كل شئ من ملك وفلك وكوكب وطبيعة وعنصر ومعدن ونبات وحيوان وانسان مع كونه نعتاً إلهياً في قوله هو الله أحد وجعله نعتاً كونياً في قوله ولا يشرك بعبادة ربه أحداً وما من صنف ذكرناه من هؤلاء الأصناف الذين هم جميع ما سوى الله وقد حصرناهم إلا وقد عند منهم أشخاص فمنهم من عبد الملائكة ومنهم من عبد الكواكب ومنهم من عبد الجن والانس فالمخلص في العبادة التي هي ذاتية له ان لا يقصد إلا من أوجده وخلقه وهو الله تعالى فتخلص له هذه العبادة ولا يعامل بها أحداً ممن ذكرناه أي لا يراه في شئ مما ذكرناه لا من حيث عين ذلك الشئ ولا من حيث نسبة الأحدية له فان الناظر أيضاً أحدية فليعبد نفسه فهو أولى له ولا يذل لأحدية مثله إذ ولا بد من ذلته لغير أحدية خالقة فيكون أعلى همة ممن ذل لأحدية مخلوق مثله وما من شئ من المخلوقات إلا وفيه نفس دعوى ربوبية لما يكون عنه في الكون من المنافع والمضار فما من شئ في الكون إلا وهو ضار نافع فهذا القدر فيه من الربوبية العامة وبها يستدعي ذلة الخلق إليه ألا ترى الانسان على شرفه على سائر الموجودات بخلافته كيف يفتقر إلى شرب دواء يكرهه طبعاً لعلمه بما فيه من المنفعة له فقد عبده من حيث لا يشعر كرها وان كان من الأدوية المستلذة لمزاج هذا المريض وهو قد علم ان استعماله ينفعه فقد عبده من حيث لا يشعر طوعاً ومحبة وكذا قال الله والله يسجد من السموات ومن في الأرض طوعاً وكرها وخذ الوجود كله على ما بينته لك فانه ما من شئ في الكون إلا وفيه ضرر ونفع فاستجلب بهذه الصفة الإلهية نفوس المحتاجين إليه لأفتقارهم إلى المنفعة ودفع المضار فإذا هم ذلك إلى عبادة الأشياء وان لم يشعروا ولكن الإضطرار إليها يكذبهم في ذلك فان الانسان يفتقر إلى أخس الأشياء وانقصها في الوجود وهو مكان الخلاء عند الحاجة يترك عبادة ربه بل لا يجوز له في الشرع أداؤها وهو حاقن فيبادر إلى الخلاء ولا سيما إذا أفرطت الحاجة فيه واضطرته بحيث تذهب بعقله ما يصدق متى يجد إليه سبيلاً فإذا وصل فإذا وصل إليه وجد الراحة عنده وألقي إليه ما كان أقلقه فإذا وجد الراحة خرج من عنده وكأنه قط ما احتاج إليه وكفر نعمته وأستقذره وذمه وهذا هو كفر بالنعمة والمنعم ولما علم الله ما أودعه في خلقه وما جعل في الثقلين من الحاجة إلى ما أودع الله في الموجودات وفي الناس بعضهم لبعض قال فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً أي لا يشوبه فساد ولا يشرك بعبادة ربه أحداً أي لا يذل ألا الله لا غيره وأمران نعبده مخلصين له الدين وقال ألا الله الدين الخالص وهو الدين المستخلص من أيدي ربوبية الآكوان فإذا لم ير شيئاً سوى الله وانه الواضع أسباب المضار والمنافع لجأ إلى الله في دفع ما يضره ونيل ما ينفعه من غير تعيين سبب فهذا معنى الأخلاص ولا يصح وجود الآخلاص ألا من المخلصين بفتح اللام فان الله إذا أعتنى بهم أستخلصهم من ربوبية الأسباب التي ذكرناها فإذا أستخلصهم كانوا مخلصين بكسر اللام وانما أضاف إليهم الأخلاص أبتلاء ليرى هل يحصل لهم أمتنان بذلك على الحق أم لا وقد وجد في قوله "يؤمنون عليك ان أسلموا" فان منوا بذلك وبخوا ونبهوا بقوله "بل الله يمين عليكم ان هداكم للأيمان ان كنتم صادقين" في دعواكم أنكم مؤمنون فعراهم من هذا الصفة ان تكون لهم كسبا فينبغي للعاقل ان لا يأمن مكر الله في انعامه فان المكر فيه أخفى منه في البلاء وأدنى المكر فيه ان يرى نفسه مستحقاً لتلك النعمة وانها من أجله خلقت فان الله ليس بمحتاج إليها فهي لي بحكم الاستحقاق هذا أدنى المكر الذي تعطيه المعرفة ويسمى صاحبه عارفاً في العامة وهو في العارفين

جاهل إذ قد بينا فيما قبل ان الأشياء انما خلقت له تعالى لتسبيح بحمده وكان انتفاعنا بها بحكم التبعية لا بالقصد الأول ففطر العالم كله على تسبيحه بحمده وعبادته ودعا الثقلين إلى ذلك وعرف ان لذلك خلقهم لا لانفسهم ولالشئ من المخلوقات مع ما في الوجود

من وقوع الانتفاع بها بعضها من بعض وقال تعالى في الحديث الغريب الصحيح "من عمل عملاً أشرك فيه غيري فانا منه برئ وهو للذي أشرك" فطلب من عباده إخلاص العمل لله فمنهم من أخلصه له جملة واحدة فما أشرك في العمل بحكم القصد فما قصد به إلا الله ولا أشرك في العمل نفسه بانه الذي عمل بل عمله خلق لله فالأول عموم والثاني خصوص وهو غاية الإخلاص ولا يصح إخلاص إلا مع عمل أغنى في عمل أعني في عمل فانه لا بد من شئ يكون مستخلصاً بفتح اللام وحينئذ يجد الإخلاص محلاً يكون لذلك العمل يسمى بالعمل خالصاً والعامل مخلصاً والله الموفق لذلك

الباب الخامس والثلاثون ومائة في معرفة ترك الإخلاص وأسراره

وقيد المطلق من وصفه

يدرك ذات المسك من عرفه

من أخلص الدين فقد أشركا

من يجهل الأمر فذاك الذي

قال رجل للجنيد ومن العالم حتى يبيذكر مع الله وكان من أهل الأحوال وقال تعالى "أله مع الله" وقال بعضهم رؤية الإخلاص منك في العمل مجوسية محضة يريد الشرك وانما ينبغي ان يشاهد المكلف مجرى العمل ومنشئه وكان أبو مدين يأمر أصحابه بإظهار الطاعات فانه لم يكن عنده فاعل إلا الله والتخليص يؤذن بالمنازع ان يطلب من المكلف ان يكون عبد إله والعمل من جملة أفعال الله الذي المكلف مظهرها فأجهل الناس من يجعل موجد الفعل تحت طاعة من يفعل من أجله وهو إما الرياء إذا كان المكلف يقوم إلى العمل بهذه النية والنية والمنازع ما هو هناك فالمخلص أثبت العدم وجوداً وجهل الأمر على ما هو في نفسه فمن حكم عليه ما ذكرناه ورأى نواصي كل جابة بيد الله ورأى ربه على صراط مستقيم ومن أخذ بناصيتك لميعجل بك عن طريقة الذي هو عليه فإذا لم يكن الإخلاص الإعبارة عن رؤيته في مشهد ما معين لا في كل مظهر وهو في كل مظهر ولا يقدر صاحب هذه الحال ان يرى حجاباً بيته وبين مشهوده فلا يتمكن له ان يميز شيئاً من شئ فان العين واحدة وهي على صراط مستقيم

الباب السادس والثلاثون ومائة في معرفة مقام الصدق وأسراره

فإصدق ترى الصادق من عرضه

هامته بالحد من عرضه

نفل من الفعل وفي فرضه

يفرضه الفارض في فرضه

يستقرض المسكين من قرضه

الصدق سيف الله في أرضه

فان أتى الدجال فاضرب به

فالسيف محصور بحديه في

ولا تنقل هذا محال فقد

فكم غنى يظهر الفقر إذ

الصدق شدة وصلابة في الدين والغيرة لله من أحواله ولصاحبه المتحقق به الفعل بالهمة وهو قوة الايمان قيل لأبي يزيد ما اسم الله الأعظم الذي به تنفعل الأشياء فقال أروني الأصغر حتى أريكهم الأعظم ما هو إلا الصدق أصدق وخذ أي أسم شئت أسماء الله كلها عظيمة قال تعالى "والذي آمنوا أشد حبا لله" أي أصدق حبا لله من حب الله المشركين لمن جعلوهم شركاء والصادق من أسمائه وقال تعالى "لسأل الصادقين عن صدقهم" ولهذا إله الدعوى فلا يكون الصادق صادقاً ما لم يقم الصدق به فإذا قام به كان له ذوقاً وكان كونه صادقاً حال صدقه وهو قد تسمى بالصادق فلهذا يسألهم هل صدقهم هو النعت الإلهي الذي به تسمى الله بالصادق أم لا فان كان هو كالبهم بان يقوموا بأحكامه قيامه فلا يغلبهم شئ ولا يقاومهم في حال صدقهم فيكون الله صدقهم كما كان سمعهم وبصرهم النسبة واحدة فان لم يحكموا هذا المقام ولا وجدوا منه هذه الحال فما هو هذا الصدق الذي هو النعت الإلهي بل هو أمر ظهر بصورة الصدق ظهور الشبهة بصورة الدليل وكما لا وجه للشبهة لا حقيقة لهذا الصدق وهذا معنى قوله الله " هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم" فلا يؤثر فيهم عوارض يوم القيامة بل تخاف الناس ولا يخافون وتحزن الناس ولا يحزنون وقال في حق طائفو فلوصحبوا الله لكان خيرأ لهم هذا حكمه في النطق فكيف في جميع الأحوال والصدق إذا جاء من خارج جاء بغير صورته فانه ظهر في مادة امكانية فلم يؤثر أثراً في كل من جاء إليه فأت كان في المحل صدق الايمان ميزه وعرفه في المادة التي ظهر فيها فقبله وعمل بمقتضاه فكان نوراً على نور ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم كما زاد من ليست له حالة الصدق رجساً إلى رجسهم والصدق بذاته مؤثر حيث ظهر عينه ظهر حكمه ومن ليست له هذه الحال المؤثرة في الوقت فهو غائب عن صدقه في ذلك الوقت ولا بد ويدعيه من مكان بعيد فالصدق من حيث تعلقه بالكون هو حال ومن حيث تعلقه من الصادق بالله هو مقام فمن حيث هو مقام لا يكون عنه أثر فان تعلقه بالله والله ليس بمحل لتأثر الأكوان فيكون صاحبه صادق التوجه إلى الله فان ظهر عمن هذه صفته أثر في الكون فعن غير تعمل ولا قصد انما ذلك إلى الله يجريه على لسانه أو يده ولا علم له به فان أثر على علم وادعى انه صادق مع الله فهو أما جاهل بالأمر وأما كاذب وهذا ليس من صفة أهل الله فحال الصدق يناقض مقامه ومقامه أعلى من حاله في الخصوص وحاله أشهر وأعلى في العموم وكان للإمام عبد القادر على ما ينقل إلينا من أحواله حال الصدق مع الله كما كان عبد القادر محققاً متمكناً في حال الصدق فرضى الله عنهما فما سمعنا في زماننا من كان مثل عبد القادر في حال الصدق ولا مثل أبي السعود في مقام الصدق فالصدق الذي هو نعت إلهي لا يكون إلا لأهل الله والصدق الذي في معلوم الناس سار في كل صادق من مؤمن وكافر وهذا الصدق للصدق الإلهي كالظل للشخص فهو ظله ولهذا يظهر أثره في كل صادق من كل ملة ولو لم يكن ظلاله ما يصح عنه أثر فاجعل بالك لنا أشرنا إليه وبسطناه فالناس عنه في عماية وعن أمثاله من المقامات والأحوال

ولولاه لما كان الشهود

فلولا الصدق ما كان الوجود

الباب السابع والثلاثون ومائة في معرفة مقام ترك الصدق وأسراره

هو الصدوق الشديد القهر للنفس

وضعه فاتركه خيفة اللبس

الصدق يخرج عن ضعف العبادة إذ

وكل ما حال بين العبد في طبق

إذ ليس يقهر الأمن يمانته

ولا يمانته شخص من الانس

وهو الأتم وجوداً من مغايره

وكل غير ففي قيد وفي حبس

فانه أحد وخلقه عدد

والفصل ليس له حكم بلا جنس

لما كان الصدق يطلب المماثلة وان كان محمودا فرجال الله انفوا من الاتصاف به مع حكمه فيهم وظهور أثره عليهم غير انه ليس مشهودا لهم ثم نظروا إليه من كونه نعتاً إلهياً فلم يجدوا له عيناً هناك ورأوا تعلق الصدق الإلهي انما هو فيما وعد لا في كل ما أوعده ومن شرط النعت الإلهي عدم التقييد فينا هو متعلق له فعلموا انه نعت إضافي لأختصاصه ببعض متعلقاته فلما رأوه على هذا أوجبوا ترك مشاهدته فافهم كالناظر سن في أمر معدوم لا وجود له والصدق وان كان نسبته وليست له عين موجودة فله درجات فدرجاته في العارفين من أهل الأسرار مائة وخمس وتسعون درجة وفي العارفين من أهل الانوار مائتان وخمس وعشرون وفي الملامية من أهل الأسرار ومائة وأربع وستون درجة وفي الملامية من أهل الانوار مائة وأربع وتسعون درجة وانا أعطيك أصلاً مطرداً في كل ما أذكره من ترك كل ما نثبت انما أريد بذلك ترك شهوده لا ترك أثره فان حكمه لا يتمكن ان يقول فيه ليس فانه موجود مشهود لكل عين فعلى هذا تأخذ مل ما أذكره في هذا الكتاب من التروك فاعلم ذلك

الباب الثامن والثلاثون ومائة في معرفة مقام الحياء وأسراره

ان الحياء من الايمان جاء به

لفظ النبي وخير كله فبه

فليتصف كل من يرى مشاهدته

وليس هذا غير منتبه

مستيقظ غير نوام ولا كسل

مراقب قلبه لدى تقلبه

ان الحي من أسماء الإله وقد

جاء التخلق بالاسماء فاحظ به

ورد في الخبران الحي إسم من أسماء الله تعالى ان الله لا يستحي ان يضرب مثلاً بما بعوضة فما فوقها يعني في الصغر وهو من صفات الايمان ومن صفات المؤمن ومن أسمائه تعالى المؤمن فالحي نعت للمؤمن فإت الحياء من الايمان والحياء خير كله والحياء لا يأتي إلا بخير وهذه كلها أخبار صحيحة وحقيقتها أعني هذه الصفة الترك لان الترك من كل موجود بقاء على الأصل والعمل فرع وجودي زائد على الأصل فلهذا قيل فيه خير كله فاللحياء نعت سلمي فالعبد إذا ترك ما لله الله وما يقول المون انه للعبد من الأمور الوجودية يتركه أيضاً لله على حقيقة ما يترك ما هو لله بتلاجماع من كل نفس لله فقد لستحيا من الله حق الحياء ومن ترك ما لله الله خاصة فقد استتحي من الله ولكن لا حق الحياء وذلك ان النعوت التي نعت الحق بما نفسه من المسمى اخبار التشبيه وآيات التشبيه على ما يزعم علماء الرسوم وانه تنول إلهي رحمة بالعلاد ولطفاً إلهياً وهو عندنا نعت حقيقي لا ينبغي إلهه تعالى وانه في العبد مستعار كسائر ما يتخلق به من أسمائه فانه خير الماكرين والله يستهزئ بالمستهوئين من عباده باستهزاء ومكر هو له من حيث لا يشعرون وهو لا يصف نفسه بالحوادث فدل ان هذه النعوت بتحكم الإصالة لله وما ظهرت في العجب الإلهي إلا لكونه خلق على الصورة من جميع الوجوه ولما عرف العارفون هذا ورأوا قوله تعالى وإليه يرجع الأمر كله وهذه النعوت الظاهرة في الإكوان التي يعتقدها فيها

علماء الرسوم انها حق للعبد من جملة الأمور التي ترجع إلى الله تركوها لله لأستحيائهم من الله حق الحياء وهو من نعوت الاسم المؤمن والمؤمن المصدق بان هذه النعوت له أزلا وان لم يظهر حكمها إلا في الحمدات فالحمياء يدخل في الصدق ولهذا قال الحياء من الايمان وأما قوله صلى الله عليه وسلم

انه لا يأتي إلا بخير فهي كلمة صحيحة صادقة فان البقاء على الأصل لا يأتي إلا بخير فانها لا تصحبها دعوى فهو قابل لكل نعت إلهي إلهي يريد الحق ان ينعت به مما في المحل ضد يردده ولا مقابل يصده فيبقى الحق يفعل ما يريد بغير معارض ولا منازع وأما نعت التتبع به فهو تركه العبد يتصف بنعرت الحق ويسلمها له ولا يخله فيها بل يصدقه ويعلى بها رتبته ولا يكذبه في دعواه فانه محله فهذا من كون الحق حياً ورد في الخبر ان شيخاً يوم القيامة يقول الله له يا عبي عملت كذا وكذا لأمر لم يمن ينبغي ان يعملها فيقول يارب ما فعلت وهو قد فعل فيقول الحق سيروا به إلى الجنة فتقول الملائكة التي أحصت عليه عمله يا ربنا لست تعلم انه فعل كذا وكذا فيقول بلى ولكنه لما انكر استحييت منه ان أكذب شيبته فإذا كان الحق يستحي من العبد ان يكذب شيبته ويوقره فالعبد بهذه الصفة أولى للحياء درجات عند العارفين وعند الملاميين فدرجاته في العارفين إحدى وخمسون درجة وفي الملاميين عشرون درجة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى الجزء الواحد ومائة

الجزء الثاني ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل لما كان الحياء صفة تنسب إلى الايمان فهو من ذات الايمان كان أثره من ظاهر صورة الانسان في الوجه إذا لوجه ذات الشيء وعينه وحقيقته فالحياء يتقسم كما الايمان إلى بضع وسبعين شسعة أرفعها لا إله إلا الله وأدناها إمامة الأذى عن الطريق والمناسبة بين العالي والدون ان الشرك أذى في طريق التوحيد أماطته الأدلة العقلية والانبا آت الشرعية لما جعلته في طريق التوحيد الشبه المضلة والأهواء الشيطانية وصورة الحياء الذي يدرك الموحد في توحيده ويزيل الأذى من طريق الخلق تلفظه بنفي الأله قبل وصوله إلى إيجابه إلى من يستحقه وهو قوله لا إله والنفي عدم فوق الحياء من العبد المؤمن حيث بدأ بالعدم وهو عينه لان المحدث نعتة تقدم حال عدمه عليه ثم أستفاد الوجود الذي هو بمزلة الإيجاب لما وقع عليه النفي ولم يتمكن للمحدث ان يقول أل هذا لانه لا يصح عدم بعد الوجود ولا النفي بعد الأثبات فانه لو تجلى له الحق ابتداء لم ينفعه في الشريك لانها كان يراه عينه لو كان له وجود وان لم يكن له وجود فيكون نظر الموحد عند وقوعه على وجود الحق لا يتمكن ان يرى مع هذا الوجود عدما فكان لا يتلفظ بكلمة التوحيد أبداً ولا يرى نفسه أبداً فمن رحمة الله تعالى بالانسان انه أشهده أولاً نفسه فرأى في نفسه قوى ينبغي ان لا تكون ألا لمن هو أله فلما حقق النظر بعقله ونظر إلى العوارض الطارئة عليه بغير أرادته ومخالفة أغراضه ووجد الأفئدة في نفسه علم قطعاً ان عين وجوده شبهة وان هذه الصفات لا ينبغي ان تكون لمن هو أله فنفي تلك الألوهة التي قامت له من نفسه فقال لا إله ثم انه لما أمعن النظر وجد نفسه قائماً بغيره غير مستقل في وجوده فأوجب فقال عند ذلك ألا الله فلما أثبت نظر إلى هذا الذي أثبتة فرآه عين صورة ما نفاه مرتبطاً به ارتباط الظل بالشخص بنور العلم الذي فتح عينه إلى هذا الإدراك وقد كان نفاه بقوله لا إله فأستحي كيف أطلق لا ألاه ولهذا جعلته طائفة من أذكار العموم وكان بعض شيوخنا لا يقول في ذكره سوى لفظة الله الله كان لا يقول لا إله ألا الله فسألته عن ذلك فقال ان روعي بيد الله ما هي في حكمي وفي كل نفس انتظر الموت واللقاء وكل حرف من حروف الكلام نفس فيمكن إذا انصرف ان تكون المفارقة في انصرافه ولا يأتي من الله بعده نفس آخر فإذا قلت لا أو عشت حتى أقول لا إله ثم أفارق قبل الوصول إلى الإيجاب فأقبض في وحشة النفي لا في انس الإيجاب فلهذا عدلت إلى ذكر الجلالة أذ ليس لي مشهود سواء فمن كان هذا حاله فلا بد ان يستحيي في قوله لا إله ألا الله وهو أشد الحياء فكانت أرفع شعب الايمان فكانت أرفع شعب الحياء من الله حيث نظر إلى نفسه قبل نظره إلى خالقه وهو قوله صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه عرف ربه وقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أذ كان عين ما نفى عين ما أثبت فانه ما نفى ألا الاله ولا أثبت ألا ألاه وأما حياؤه في أماطته الأذى عن طريق الخلق فانه مأمور بأماطته ثم انه يرى وجه الحق فيه بالضرورة لانه أدنى المراتب فهو بمزلة الآخر من الاسماء الألهية وإليه ينظر كما كان لا إله ألا الله الاسم الأول وجاءت الهوية فأخذت الاسمين لها فقالت هو الأول والآخر فبقي متردد بين حق ما يستحقه الاسم الآخر الظاهر في كون هذا أذى في طريق الخلق ويرى ان الخلق متصرفون باسماء ألهية بين هذين الاسمين فلا تقع عين هذا المؤمن ألا على الله أولاً وآخر أو ما بينهما والأمر متوجه عليه بالأمطاة فيستحيي من الأمر ان لا يبادر لما أمره به من الأمطاة ويستحيي من الاسم الآخر الذي يراه في عين الأذى فإذا أدركه هذا الحياء ناداه الاسم من الأذى يا فلان بي تميظ هذا الأذى

عن طريق الخلق فانا في الأذى كما انا في الأماطة ما أزلته بغيري فلا تستحي انظر في قوله أذ ناهى أماطة الأذى فعلق الأذى بالأماطة وهو آخر درجات الايمان فنحن في عين الأماطة ما نحن غيرها فيتجبر عند ذلك صاحب هذه الحال فيميطه به كما نفى ألا له بالأله وإذا كان حال العبد في حياته من الله في الأول والآخرة والأعلى والأدون انحصرت المتوسطات بين هذين الطرفين فكان معصوم الحال محفوظ المقام كالصلاة تحريمها التكبير وتحليلها التسليم فظهرت المنة في الطرفين ليسلم الوسط بينهما وسبب ذلك الحصر فتيين لك بعدما أوقفك

عليه من الحقائق ان الحياء من الله ان يراك حيث هناك ولا يفقدك حيث أمرك فعم بهذا جميع شعب الايمان وهو مقام يصحبه الأمر والنهي والتكليف فإذا انقضى زمان التكليف كان ينبغي له ان يزول وليس الأمر كذلك فاعلم انه من حقيقة وجود الحياء وجود العلم بما يجب لله تعالى وانت القائم به والمطلوب عقلاً وشرعاً ومحال ان يقدر مخلوق على الوفاء بما يجب لله تعالى عليه من تعظيمه عقلاً وشرعاً ولا بد من لقاء ربه وشهوده ومقامه هذا فالحياء يصحبه في الدنيا والآخرة لانه لا يزال ذاكرًا لما يجب عليه وذاكر العدم قيامه في حق الله بما يجب له وقد ورد في الخبر ما يؤيد هذا ان الحق إذا تجلى لعباده يوم الزور الأعظم ويرفع الحجب عن عباده فإذا نظروا إليه جل جلاله قالوا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك فهذا الاعتراف أوجه الحياء من الله عز وجل فالحياء انطقهم بذلك

الباب التاسع والثلاثون ومائة في معرفة مقام ترك الحياء

حاعت به الآيات في القرآن

أذ لا تخاف بمنزل العدوان

وعبيدها بالنقص والرجحان

مثل اللسان بقية الميزان

نقص ومل طلباً إلى الايمان

سلام والايمان والأحسان

ترك الحياء تحقق وتخلق

فله النفاسة والنزاهة عندنا

هذي هي الدنيا وانت أمامها

فإذا فهمت الأمر يا هذا فكُن

لا تعدلن إلى الشمال فانه

فهو الكمال لمن تحقق حاله ال

ترك الحياء في موطنه نعت ألهي قال الله تعالى "ان الله لا يستحي ان يضرب مثلاً ما وسبب ذلك من وجهين أما ان يكون ما في الوجود ألا الله فالوجود كله عظيم فلا يترك منه شيء لان الحياء ترك فهو نعت سلمي وترك الترك تحصيل فهو نعت ثبوتي فلا أله نعت سلمي وألا الله نعت ثبوتي فما جئنا بالسلب ألا من أجل الأثبات فما جئنا بالحياء ألا من أجل تركه فان الحياء للتفرقة وترك الحياء لأحدية الجمع لا للجمع هذا هو الوجه الواحد وأما ان يكون في الوجود أعيان الممكنات التي لا قيام لها ألا بالله فينبغي ان لا يترك شيء منها لأرتباط كل شيء منها بحقيقة ألوية هي تحفظه وقد ثبت ان الممكنات لا تنتهي فالحقائق والنسب الألوية لا نهاية لها ولا يصح ان يكون في الألويات تفاضل لان الشيء لا يفضل نفسه ولا مفاضلة في هذه الأعيان ألا بما تنتسب إليه لانه لا فضل لها من ذاتها ولا مفاضلة هناك فلا مفاضلة هنا فكما هو الأول هو الآخر كذلك العقل الأول الجماد وكما هو الظاهر هو الباطن كذلك عالم الغيب والشهادة فما ثم تافه ولا حقير فان الكل شعائر الله ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب لكم فيها منافع إلى

أجل مسمى زمان نظركم في نفوسكم بها والأجل المسمى هو ان يكشف لكم عنكم انكم ما هم انتم أذ من حقيقته عدم الوجود فالوجود له معار فإذا تبين لكم انكم ما هم انتم وهو الأجل المسمى كان محلها وهو محلها إلى البيت العتيق وهو القديم الذي لا يقبل الحدود فرأيتم ان الصفة تطلب موصوفها فرلتم انتم من كونكم شعائر الله وصار الحق دليلاً على نفسه أذ كان من المحال ان يدل شيء على شيء دلالة علم محقق فلا أدل من الشيء على نفسه ولهذا إذا حددت الأمر الظاهر ترده غامضاً ولهذا لا تطلب حدود الأمور الظاهرة كمن يطلب حد النهار وهو فيه وهو أوضح الأشياء لا يقدر ان يجهله وإذا كان الأمر كما ذكرنا فلا يستحي فلا حياء ولا حكم له بل يضرب الأمثال ويقيم الأشكال ويعلم لمن يخاطب ومن يفهم عنه ممن لا يفهم ولكل فهم فلو وجد عند السامع ما هو أخفى من البعوضة لجاء بها كما قد جاء بذلك مجملًا بقوله فما فوقها فأمرك وعلمك في هذه الآية ان لا تترك شيئاً ألا وتنسبه إلى الله ولا يمنعك حقارة ذلك الشيء ولا ما تعلق به من الذم عرفاً وشرعاً في عقدك ثم تقف عند الإطلاق فلا تطلق ما في العقد على كل شيء ولا في كل حال وقف عند ما قال لك الشارع قف عنده فان ذلك هو الأدب الألهي الذي جاء به الشرع والأدب جماع الخير وفي أيراد الألفاظ يستعمل الحياء لانك تترك بعضها كما أمرت وفي العقد لا تترك شيئاً لا تنسبه إلى الله وهو مقام ترك الحياء فعامل الله تعالى بحسب المواطن كما رسم لك ولا تنازع وقل رب زدني علماً فانك إذا قلت ذلك لم تنزل في مزيد جانباً ثمرة الوجوب

الباب الأربعون ومائة في معرفة مقام الحرية وأسراره

وهو باب خطر

وليس يخرج عنه فهو نياه

وليس يملكه مال ولا جاه

قد كان أصله من ملك مولاه

عبد الهوى أبى عن ملك مولاه

الحر من ملك الأكوان أجمعها

فان تعرض للتكوين أبطل ما

أعلم وفقك الله ان الحرية مقام ذاتي لا ألهي ولا يتخلص للعبد مطلقاً فانه عبد الله عبودية لا تقبل العتق وأحلناها في حق الحق من كونه ألماً لأرتباطه بالمألوه أرتباط السيادة بوجود العبد والمالك بالملك والملك بالملك انظر في قوله "ان يشأ يذهبكم ويأت بقوم آخرين" فنه بأتيان قوم آخرين على هذا الارتباط فانه يلزم من حقيقة الأضافة عقلاً ووجوداً تصور المتضايين فلا حرية مع الأضافة والربوبية والألوهية أضافة ولما لم يكن بين الحق والخلق مناسبة ولا أضافة بل هو الغني عن العالمين وذلك لا يكون لذات موجودة ألا لذات الحق فلا يربطها كون ولا تدركها عين ولا يحيط بها حد ولا يفيدها برهان وجد انها في العقل ضروري كما ان نفي صفات التعليق التي تدخلها تحت التقييد نظري فإذا أراد العبد التحقق بهذا المقام فانه مقام تحقق لا مقام تخلق ونظر انه لا يصح له ذلك ألا بزوال الافتقار الذي يصحبه لأمكانه ويرى ان الغيرة الأهلية تقتضي ان لا يتصف بالوجود ألا الله لما يقتضيه الوجود من الدعوى فعلم بهذا النظر ان نسبة الوجود إلى الممكن محال لان الغيرة حد مانع من ذلك فنظر إلى عينه فإذا هو معدوم لا وجود له وان العدم له وصف نفسي فلم يخطر له الوجود بخاطر فزال الافتقار وبقي حراً في عدميته حرية الذات في وجودها ثم انه أراد ان يعرف ما

يناسب الاسماء الالهية التي لهذه الذات من ذات الممكن المعدوم فرأى ان كل عين من عيون الممكنات على استعداد لا يكون في غيره ليقع التمييز بين الأعيان فما وقع بين ذات الممكن وذات الحق بالوجود للحق الواجب والعدم للممكن الواجب فجعل هذه الاستعدادات له بمزلة الاسماء للحق والوجود في أعيان الممكنات لله تعالى فإذا ظهر في عين من أعيان الممكنات لنفسه باسم ما من الاسماء الالهية أعطاه استعداد تلك العين اسماً حادثاً تسمى به فيقال هذا عرش وهذا عقل وهذا قلم ولوح وكروني وفلك ومملك ونار وهوى وماء وأرض ومعدن ونبات وحيوان وانسان ما بين أجناس وانواع ثم سرت هذه الحقيقة في الأشخاص فيقال زيد وعمرو وهذا الفرس وهذا الحجر وهذه الشجرة هذا كله أعطاه استعداد أعيان الممكنات فأستدللت بأثارها في الوجود على ما هي عليه من الحقائق في ذاتها كما أستدللت بأثار الاسماء في الوجود على الاسماء الالهية وما للمسمى عين يقع عليها الإدراك فإذا وقف الممكن مع عينه كان حراً لا عبودية فيه وإذا وقف مع استعداداته كان عبداً فقيراً فليس لنا مقام في الحرية المطلقة ألا ان يكون مشهدنا ما ذكرناه فلا تحدث نفسك بغير هذا ومن لا يشهد هذا المقام فانه لا يعلم أبداً مدلول قوله "ان الله غني عن العالمين" أي هو غني عن الدلالة عليه أذ لو أوجد العالم للدلالة عليه لما صح له الغني عنه فاعلم المعرفة من نصب العالم دليلاً وعلى من يدل وهو أظهر وأجلى من ان يستدل عليه بغير أو يتقد تعالى بسوى أذ لو كان الأمر كذلك لكان للدليل بعض سلطة وفخر على المدلول ولو نصبه المدلول دليلاً لم ينفك هذا الدليل عن مرتبة الزهو بكونه أفاد الدال به أمر ألم يتمكن للمدلول ان يوصل إليه ألا به فكان يبطل الغني والحرية وهما ثابتان لله تعالى فما نصب الأدلة عليه وانما نصبها على المرتبة ليعلم انه لا آله ألا هو فهذا لسان الخصوص في الحرية وأما لسان العموم فالحرية عند القوم من لا يسترقه كون ألا الله فهو حر عن ما سوى الله فالحرية عبودة محققة لله فلا يكون عبد الغير الله الذي خلقه ليعبده فوفي بما خلق له فقليل فيه نعم العبد انه أواب أي رجاء إلى العبودة التي خلق لها لانه خلق محتاجاً إلى كل ما في الوجود فما في الوجود شيء ألا ويناديه بلسان فقر هذا العبد انل الذي يفتقر إلى فأرجع إلى فإذا كان عالماً بالأمر علم ان الحق عند من ناداه وانه فقير إلى ذلك السبب لكونه مستعداً لهذا الفقر إليه فإذا بحقيقته أفقر ثم نظر إلى معطي ما هو محتاج إليه في هذا السبب فراه الاسم الالهي فما أفقر ألا إلى الله من اسمه ولا أفقر ألا بنفسه من أثر استعداده فعلم ما الفقر ومن أفقر ومن أفقر إليه فلماذا أمر صلى الله عليه وسلم ان يقول "رب زدني علماً" فقد نبهتكم على ما فيه كفاية في الحرية وأسرارها مما لا تجده في غير هذا الكتاب من مصنفات غيرنا

الباب الواحد والأربعون ومائة في مقام ترك الحرية

كيف التحرر والحاجات تطلبه

فالفقر مذهبه والفقر مكسبه

حتى تعين في المنطوق مذهبه

من كل وجه ومنه نحن نطلبه

من ليس ينفك عن حاجاته أبداً

فهو الفقير إلى الأشياء أجمعها

لذا تسمى بأعيان الكيان لنا

فليس في الكون حر حيث يطلبنا

أعلم وفقك الله ان ترك الحرية عبودة محضة حالصة تسترق صاحبها الأسباب لتحقيقه بعلم الحكمة في وضعها فهو بذل تحت سلطاتها فصاحبها كالأرض يطؤها البر الفاجر وتعطى منفعتها المؤمن والكافر تؤثر فيه تأثير الدعاء من الكون في الحق إجابة دعائه تحقّقاً بمولاه حين رأى هذا المقام يصحبه مع الغنى المنسوب إليه فكيف حال من يجوع مركبه ويعري ويظماً ويضحى وهو مأمور بحفظه والنظر في شأنه وما يصلحه قد ولاه الله عليه وانزله خليفة فيه وليس في قوته ان يقوم بحقه ألا ان تمكنه الأسباب من نفسها فبالضرورة يخضع في تحصيلها الأداء حق الله فيه المتوجه عليه فان اللع يقول له ان لنفسك عليك حقاً ولعينك عليك حقاً ولزورك عليك حقاً ومن توجهت عليه الحقوق فاني له الحرية

فهو عبيد لذلك الحق

به خبيراً كمن تحقق

عن أمر مولاه أذ تخلق

له فكنه فالكون أسبق

ومقولي حين كنت انطق

فذلك العالم الموفق

فكل كون عليه حق

وليس جراً فكن من تأبي

ولا تكن مثل من تابى

الله رب وانت عبد

قد قلت ذا حين كان سمعي

ومن يكن مثل ما ذكرنا

فهو عبد نفسه ما دامت تطلبه بحقها وعبد عينه ما دام يطلبه بحقه وعبد زوره ما دام يطلبه بحقه والنعم الألفية تطلبه بشكر المنعم بها عليه والتكليف قائم والأضرار لازم ان رام دفعه لا يندفع يؤثر فيه المدح والثناء فيقول الحمد لله المنعم المفضل ويملكه الذم والجفاء والأذى فيقول الحمد لله على كل حال فتغير حمده لتغير الأحوال فلو تغيرت الأحوال لتغير حمده لكان حراً عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر الصديق ما أخرجك قال يا رسول الله الجوع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا أخرجني الجوع فجاء مع من كان معه من أصحابه إلى دار الهيثم بن أبي التهيان فذبح لهم وأطعمهم فما أخرجهم إلا من حكم عليهم لما توجه له حق عليهم وهو الجوع والجوع أمر عدمي فموجود يؤثر فيه المعدوم كيف حاله مع الموجود ومثل هؤلاء المشهود لهم بالحرية ولهذا الذوق ما خرجوا إلا لطلب أداء ما عليهم من الحقوق لانفسهم فقد أسترقتهم الجوع ولو لم يخرجوا وسكنوا لكانوا تحت قهر الصبر وما تطلبه هذه الحال فغاية نسبة الفضل إليهم انهم خرجوا كما قلنا يلتمسون أداء حقوق نفوسهم بالسعي فيها أذ كانوا متمكنين من ذلك وأعلى من هذا فلا يكون فان قعدوا مع التمكن أتصفوا بالظلم والجهل بالحكم الألهي واني تعقل الحرية فيمن هذه صفته في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فواقع لا يقدر على انكاره حجده ويجحده من نفسه وان لم يركن إلى الأسباب ولا يعتمد عليها وغايته ان يعتمد على الله في أستعمالها فهو عبد معلول لانه توجه خاص وكذلك في الآخرة عبد شهوته لكونه تحت سلطاتها تحكم فيه ولا معنى للعبودية ألا هذا دخوله تحت الأحكام ورق الأسباب ولما أبصر هذا العارف من نفسه علم ان الحرية حديث نفس وحال عرضي لأثبات له مع الصحو ثم ان ترك الحرية نعت ألهي فكيف يصح له الخروج عنه وغايته ان يكون فيه بصورة حق يلتمس الدعاء ويطلب التوبة من عباده وسؤال المغفرة منهم ويذمهم ان لم يأتوا بما ألتمس منهم حتى قال لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون ثم يتوبون فيغفر لهم فقد نبهتكم عن أسرار هذا المقام ان وقفت معها عرفت نفسك وعرفت ربك وما تعديت قدرك وان كان للحرية

درجات في عباد الله فغير الأحرار أعظم عند الله درجة وأكمل وصفاً والأصل معهم حفيظ يحفظ عليهم ترك الحرية والأسترقاق لما تعطيه الحكمة فان قلت فكم للحرية من الدرجات فنقول لها في العارفين من أهل الانس ستمائة درجة وتسع وأربعون درجة وفي العارفين من أهل الأدب أربع وخمسون درجة ومائتا درجة وفي الملامية من أهل الانس ستمائة وثمان عشرة درجة وفي الملامية من أهل الأدب ثلاث وعشرون ومائتا درجة وهذه الدرجات بأعيانها لمن ترك الحرية وزيادة ما تعطيه الترك من الدرجات لقيامه بالحكمة وحفظ الأصل لأبقاء الحرية

الباب الثاني والأربعون ومائة في معرفة مقام الذكر وأسراره

وكل ذكر فأحوال وأسماء

نظرت فيه بدت للعين أشياء

وذلك الحق لا عقل ولا ماء

الذكر ستر على مذكوره أبداً

وليس ثم سوى ما قلته فإذا

تدري بها كل من قام الوجودية

الذكر نعت ألهي وهو نفسي وملئي في الحق وفي الخلق ومع كونه نعتاً ألحياناً فهو جزء ذكر الخلق قال تعالى: فأذكروني أذكركم فجعل وجود ذكره عن ذكرنا إياه وكذلك حاله فقال تعالى "ان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم" فانتج الذكر الذكر وحال الذكر حال الذكر وليس الذكر هنا بان نذكر أسمه بل لتذكر أسمه من حيث ما هو مدح له وحمد أذ الفائدة ترتفع بذكر الاسم من حيث دلالة على العين لا في حقه ولا في حقه فان قلت فقد رجع أهل الله ذكر لفظة الله وذكر لفظة هو على الأذكار التي تعطي النعت ووجدوا لها فوائد قلت صدقوا وبه أقول ولكن ما قصدوا بذكرهم الله الله نفس دلالة على العين وانما قصدوا هذا الاسم أو الهو من حيث أنهم علموا ان المسمى بهذا الاسم أو هذا الضمير هو من لا تقيده الأكوان ومن له الوجود التام فأحضار هذا في نفس الذاكر عند ذكر الاسم بذلك وقعت الفائدة فانه ذكر غير مقيد فإذا قيده بلا إله إلا الله لم ينتج له إلا ما تعطيه هذه الدلالة وأذ قيده بسبحان الله لم يتمكن له ان يحضر إلا مع حقيقة ما تعطيه التسبيح وكذلك الله أكبر والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله وكل ذكر مقيد لا ينتج إلا ما تقيده به لا يمكن ان يجني منه ثمرة عامة فان حالة الذكر تقيده وقد عرفنا الله انه ما يعطيه إلا بحسب حاله في قوله ان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي الحديث فلهذا رجحت الطائفة ذكر لفظة الله وحدها أو ضميرها من غير تقييد فما قصدوا الفظة دون أستحضار ما يستحقه المسمى وبهذا المعنى يكون ذكر الحق عبده باسم عام لجميع الفضائل اللاتئة به التي تكون في مقابلة ذكر العبد ربه بالاسم الله فالذكر من العبد بأستحضار والذكر من الحق بحضور لانا مشهود دون له معلومون وهو لنا معلوم لا مشهود فلهذا كان لنا الأستحضار وله الحضور فالعلماء يستحضرونه في القوة الذاكرة والعامية تستحضره في القوة المتخيلة ومن عباد الله العلماء بالله من يستحضره في القوتين يستحضره في القوة الذاكرة عقلاً وشرعاً وفي القوة المتخيلة شرعاً وكشفاً وهذا أتم الذكر لانه ذكره بكله ومن ذلك الباب يكون ذكر الله له ثم ان الله ما وصف بالكثرة شيئاً ألا الذكر وما أمر بالكثرة من شيء ألا من الذكر قال "والذاكرين الله كثيراً والذاكرات" وقال أذكروا الله ذكراً كثيراً وما أتى الذكر قط ألا بالاسم الله خاصة معري عن التقييد فقال أذكروا الله وما قال بكذا وقال ولذكر الله أكبر ولم يقل بكذا وقال "أذكروا الله في

أيام معدودات" ولم يقل بكذا وقال "أذكروا أسم الله عليها" ولم يقل بكذا وقال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى لا يبق على وجه الأرض من يقول الله الله فما قيده بأمر زائد على هذا اللفظ لانه ذكر الخاصة من عباده الذين يحفظ الله بهم عالم الدنيا وكل دار يكونون فيها فإذا لم يبق في الدنيا منهم أحد لم يبق للدنيا سبب حافظ يحفظها الله من أجله فتزول وتخرب وكم من قائل الله باق في ذلك الوقت ولكن ما هو ذاكر بالاستحضار الذي ذكرناه فلهذا لم يعتبر اللفظ دون الاستحضار وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا لأنهم لم يسمعوا بذكر شركائهم وأشمأزت قلوبهم هذا مع علمهم بأنهم هم الذين وضعوها آلهة ولهذا قال قل سموهم فأنهم ان سموهم قامت الحجة عليهم فلا يسمى الله ألا الله ودرجات الذكر عند العارفين من أهل الله إحدى وخمسون وتسعمائة درجة وعند المالكية تسع مائة وعشرون درجة

الباب الثالث والأربعون ومائة في معرفة مقام ترك الذكر

وليس يشهده من ليس يذكره

ن الحق بينهما عينا فأوتره

فحين أبصره في الحين يستره

ولا أزال مع الانفاس أذكره

ولا يزال مع الاسماء يظهر هو

لا يترك الذكر ألا من يشاهده

فقد تحيرت في أمري وفيه فأبي

ما ان ذكرتك ألا قام لي علم

فلا أزال مع الأحوال أشهده

ولا يزال لدي الأعيان يشهدني

لا يكتب هنا هو ألا بالواو ولتعرف الهوية لأ انه ضميراً علم وفقك الله ان الذكر أفضل من تركه فان تركه انما يكون عن شهود والشهود لا يصح ان يكون مطلقاً واذكر له الأطلاق ولكن الذكر الذي ذكرناه لا الذكر بالتسبيح والتهليل وغيره من الذكر المقيّد فلو كان ترك الذكر لا عن شهود كنا ننظر هل كان سبب تركه مما يقتضي الأطلاق فتحكم فيه بالتساوي والأحوال مقيدة بلا شك وان كان الأطلاق تقييداً لانه قد تميز عن المقيّد وسرى في المقيّدات كيف ما قلت وبنفس ما تميز فقد تقيّد بما تميز به فالأطلاق تقييد وأعظم ما يقال فيه انه مجهول لا يعرف فما خرج بهذا الوصف عن التقييد لانه قد تميز عن المعلوم فعلى كل حال ما ثم ألا مقيّد وما ثم في مالا ثم ألا مقيّد فالعدم هو مالا ثم وهو متميز عن الوجود والوجود متميز عن العدم فما ثم معلوم ولا مجهول ألا وهو متميز فالتقييد له الحكم وما بقي ألا تقييد متفاضل أعلاه تقييد في أطلاق وهو ذكر الله والجهل به والحيرة فيه

فذكر الله أولى بالوجود

وكن ان شئت في فضل الوجود

وترك الذكر أولى بالشهود

فكن ان شئت في جود الشهود

الباب الرابع والأربعون ومائة في معرفة مقام الفكر وأسراره

ليس لبتفكر في الأحكام والقدر

فالله قرره في الآي والسور

ان التفكر في الآيات والعبر

ان التفكر حال لست أجهله

لولا التفكير كان الناس في دعة

الفكر نعت طبيعي وليس له

ولو يكون الذي قلناه ما نظرت

به المؤثر والاسماء قائمة

وفي نعيم مع الأرواح في سرر

حكم على أحد يدري سوى البشر

بالغاً عيني إلى الأحوال والصور

تنفذ الأمر في بدو وفي حضر

أعلم وفقك الله ان الفكر ليس نعت ألهيلاً إذا كان بمعنى التبرير والتردد في الأولى فحينئذ يكون نعت إلهياً وأما الفكر بمعنى الاعتبار فهو نعت طبيعي ولا يكون في أحد من المخلوقين سوى هذا الصنف البشري وهو لأهل العبر الناظرين في الموجودات من حيث ما هي دلالات لا من حيث أعيانها ولا من حيث ما تعطى حقائقها قال تعالى "ويتفكرون في خلق السموات والأرض" فإذا تفكروا أفادهم ذلك التفكير علماً لم يكن عندهم فقالوا ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ففنا عذاب النار فما عدلوا إلى الاستجارة به من عذاب النار لا وقد أعطاهم الفكر في خلق السموات والأرض علماً أشهدتهم النار ذلك العلم فطلبوا من الله ان يحول بينهم وبين عذاب النار وخكذا فائدة كل مفكر فيه إذا أعطى للمفكر علماً ما يسأل الله منه بحسب ما يعطيه فمقام الفطر لا يتعدى النظر في الأله من كونه إلهاً وفيما ينبغي ان يستحقه من له صفة الإلهية من التعظيم والإجلال والإفتقار إليه بالذات وهذا كله يوجد حكمه قبل وجود الشرائع ثم جاء الشرع به مخبراً وأمرأ فأمر به وان أعطته فطرة البشر ليكون عبادة يؤجر عليها فانه إذا كان عملاً مشروعاً للعبد أثر له مالا يثمر له إذا اتصف به لا من حيث ما هو مشروع وليس للفكر حكم ولا مجال في ذات الحق لا عقلاً ولا شرعاً فان الشرع قد منع من التفكير في ذات الله وإلى ذلك الإشارة بقوله "ويحذركم الله نفسه" أي لا تتفكروا فيها وسبب ذلك ارتفاع المناسبة بين ذات الحق وذات الخلق وأهل الله لما علموا مرتبة الفكر وانه غاية علماء الرسوم وأهل الاعتبار من الصالحين وانه يعطي المناسبات بين الأشياء تركوه لأهله وانفوا منه ان يكون حالاً لهم كما سيأتي في باب ترك الفكر حال لا يعكس العصمة ولهذا مقامه خطر لان صاحبه لا يدري هل يصيب أو يخطئ لانه قابل للأصابة والخطأ فإذا أراد صاحبه ان يفوز بالصواب فيه غالباً في العلم بالله فليبحث عن كل آية نزلت في القرآن فيها ذكر التفكير والاعتبار ولا يتعدى ما جاء من ذلك في غير كتاب ولا سنة متواترة فان الله ما ذكر في القرآن أمراً يتفكر فيه ونص على إيجاد عبرة أو قرن معه التفكير إلا والإصابة معه والحفظ وحصول المقصود منه الذي أراده الله لا بد من ذلك لان الحق ما نصبه وخصه في هذا الموضع دون غيره إلا وقد من العبد من الوصول إلى علم ما قصد به هناك فقد أُلقيت بك على الطريق وهكذا وجدته أهل الله فان تعديت آيات التفكير إلى آيات العقل أو آيات السمع أو آيات العلم أو آيات الايمان واستعملت فيها الفكر لم تصب جملة واحدة فالتزام الآيات التي نصبها الحق لقوم يتفكرون ولا تتعدى بالأمور مراتبها ولا تعدل بالآيات إلى غير منازلها وإذا سلكت على ما قلته لك حمدت مسعاك وشكرتني على ذلك فبحث عن كل آية عبرة وتفهم تسعد ان شاء الله تعالى وكذلك الآيات التي فيها النظر من هذا الباب الفكري مثل قول الله تعالى "أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت" ونثل قوله "أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض" وكذلك "ألم ترى كيف فعل ربك بأصحاب الفيل" وقوله "ألم ترى إلى ربك كيف مد الظل الآية" وكذلك آيات التدبر من هذا الباب مثل قوله "أفلا يتدبرون القرآن" واجعل بالك إذا ذكر الله شيئاً من ذلك بأي اسم ذكره فلا تتعدى التفكير فيه من حيث ذلك الاسم ان أردت الإصابة للمعنى

المقصود لله مثل قوله أفلا يتدبرون القرآن فانظر فيه من حيث ما هو قرآن لا من حيث ما هو كلام الله ولا من حيث ما هو فرقان ولا من حيث ما هو ذكر من قوله "انا نحن نزلنا الذكر فكل إسم له حكم وما عينه الحق في الذكر إلا حتى يفهمه عباده ويعلمهم كيف يتزلون الآشياء منازلها فتلك الحكمة وصاحبها الحكيم وقد مدح الله من شرفه بالحكمة فقال "ويعلمه الكتاب والحكمة" وقال "وآتينا الحكمة وفصل الخطاب" وقال "ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً" وما يذكر إلا ألوا الأبواب فان حكمها يسري على جميع الأشياء وهو ان الحكيم لا يتعدى بالشئ قدره ولا منزلته

الباب الخامس والأربعون ومائة في معرفة مقام ترك الفكر وأسراره

فلا تفكر فان الفكر معلول

جليس الحق على الإنكار مجبول

ترك التفكير تسليم لخالقه

ان لم تفكر تكن روحاً مطهرة

مثل الملائك لم يحجبك تفصيل

حوداً وذاك الذي يعطيه تنزل

أو الكتابة أعطتها التفاصيل

لولاه ما كان إشراك وتعطيل

لأنني جامع والجمع تحصيل

وكل عين فما في الحق تبديل

انت بذلك اخبار وتنزيل

ان لم تفكر تكن روحاً مطهرة

عن الإلهة الذي يعطى مواهبه

أما لقاء القا فتعلمه

فبالتفكر وكلنا لانفسنا

ان التفكير أمر قد خصصت به

لصورة الحق والاسماء أجمعها

وفي المواطن كلفنا بخدمته

التاركون للفكر رجال أرادوا رفع اللبس عنهم فيما يريدون العلم ليلحقوا بوراثه من قيل فيه وما ينطق عن الهوى وبما فطر عليه من فطر من المخلوقات كالملائكة ومن شاء الله من المخلوقين الذين فطروا على العلم بالله والموحى إلسهم ابتداء من الله وعناية بهم ولان الأفكار محل الغلط والطائفة الأخرى نزلت إلى ترك التفكير لان التفكير جولان في أحد أمرين إما في المخلوقات وأما في الإله وأعلى درجات جولانه في المخلوقات ان يتخذها دليلاً والمدلول يضاد الدليل فلا يجتمع دليل ومدلول عند الناظر أبداً فأروا ترك التفكير والاشتغال بالذكر إذ هما مشروعان فانه لو مات في حال الفكر في الآيات لما في غير الله وان كان يطلبها الله ولكن لا يكون له مشهود إلا هي وان كان جولانه في الإله ليتخذها دليلاً على المخلوقات والكائنات كما يراه بعضهم فقد طلبه لغيره وهو سوء أدب مع الله حيث ما قصد النظر فيه إلا ليدله على حكم الكائنات ولو استندت إليه فما طلبه لعينه وان ظن انه يجوز بفكره فيه ليتخذها دليلاً عليه فهذا غلط بين فانه لا ينظر فيه إلا وهو عالم به فان نظرفيه بمعنى هل يصح ان يكون دليلاً على نفسه فهذا غاية الجهل يفانه لا شئ أدل من الشئ على نفسه فلما رأوا مثل هذا النظر تركوه فإذا تفكر من هذه صفته كان مثل الذي يشكر الخلق لأحسانهم فشكرهم عبادة لان الله أمر بشكرهم كذلك أمرهم بالتفكير فيتفكرون فيما أمرهم أو عين لهم ان يتفكروا فيه إمتثالاً

لأمره ويكون ما ينتجه من العلم في حكم التبعية لأن علوم الفهم في كل وجه ما تقوم مقام علوم الذكر والوحي والوهد الإلهي في
الرفعة والمكانة انتهى الجزء الثاني ومائة

الجزء الثالث ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب السادس والأربعون ومائة في معرفة مقام الفتوة وأسراره

اعلم أيديك الله

ان الفتوة ما ينفك صاحبها	مقدماً عند رب الناس والناس
ان الفتى من له الإيثار تحلية	فحيث كان فمحول على الرأس
ما ان تزلزله إلهوا بقوتها	لكونه ثابتاً كالشامخ الرأس
لا حزن يحكمه لا خوف يشغله	عن المكارم حال الحرب لباس
انظر إلى كسره الأصنام منفردا	بلا معين ففذلك اللين القاسي

الفتوة نعت إلهي من طريق المعنى وليس له سبحانه من لفظها إسم إلهي يسمى به كما ثبت شرعاً ودليل عقل انه له الغني عن العالم على الإطلاق فبالشرع قوله تعالى والله غني عن العالمين ودليل العقل لو لم يكن وجوده واجباً لنفسه مع اتصافه بالوجود لكان ممكناً لانه متصف بالوجود ولو كان ممكناً لأفتقر إلى المرجح في وجوده فلم يكن يصح له إسم الغني على الإطلاق لو افتقر بنوع ما فليس بغني مطلق ولكن من جملة العالم فيكون علامة تدل على مرجحه فهو غني على الإطلاق ومن له هذا الغني ثم أوجده لأفتقاره إليه وانما أوجد العالم للعالم إثارة له على انفراده بالوجود وهو عين الفتوة ومن الفتوة الإلهية الخبران القراني والنبوي فأما القران فقوله "وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون" وصورة الفتوة هنا انه خلقهم لينعمهم بالوجود ويخرجهم من شر العدم وبمكنهم من التخلق بالاسماء الإلهية ويجعل منهم خلفاً وهذا كله إثارة لهم على انفراده بكل ما استخلفهم فيه ثمعلم ان الإمتنان يقدر في النعمة عند المنعم عليه فسترد ذلك إثارة لهم بقوله وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون فأظهر انه خلكهم من أجله لا من أجلهم وفي الخبر النبوي الموسوي انه تعالى خلق الأشياء من أجلنا وخلقنا من أجله وستر بهذا قوله وان من شيء إلا يسبح بحمده ليفهم الجميع بأعلامه انهم يسبحون بحمده حتى لا نشم فيه رائحة الإمتنان ففي الخبر الموسوي حكم الفتوة انه خلق الأشياء من أجلنا إثارة لنا على انفراده بالوجود كما خلقنا وقوله وغن من شيء إلا يسبح بحمده غطاء حتى لا يشم فيه رائحة المنة مثل قوله في حقنا إلا ليعبدون سواء وأما الخبر النبوي الثاني من الخبرين فما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله سبحانه انه قال كنت كنتا لم أعرف فأحببت ان أعرف فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فعرفوني ففي قوله كنت كنتا اثبات الأعيان الثابتة التي ذهبت علتها المعتزلة وهي قوله "انما قولنا لشيء" فهذا الخبر من الفتوة كيف منى عن نفسه انه أحب ان يعرف ومن هذه صفته غطى على ما يجب له من الغني المطلق لان المحبة لا تتعلق إلا بمعدوم وقد يكون المعدوم في معدوم أو في موجود فان كان في معدوم فلا بد أيضاً من وجوده حتى يظهر فيه ما أحب إيجاداً وان كان في موجود فظاهر فيه ما أحببته فلا بد ان يكون ما ذكره ستراً على الغني المطلق وإيثار الجناب هذا المحبوم

كيف تعلق به من له الغنى فيورثه عزة في نفسه حيث كان كقصوداً لمن له صفة الغنى وكان سبب الوجدان والوجود والعلم طلباً باحال من الله كما مرتبتهما في التقسيم العقلي فأوجدهما منه لظهور الكمال الوجودي والعلمي هذا أصله منة منه فأعرض عن هذا ونسب وجود العالم لمحبتة ان يعرف حتى لا يشم منه كمال الوجود والعلم رائحة المنة أيضاً كما ذكر في القرآن سواء وإذا كان الحق قد نزل مع عباده مع مكارم الأخلاق التي هي الفتوة إلى هذا الحد فالعبد أولى بهذه الصفة ان يتخلق بها فالفتوة على الحميقة إظهار الآلاء والمنن وستر المنة والإمتنان كما قال لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى تخلقاً إلهياً فانه سبحانه تصدق علينا بالوجود والمعرفة به وما من علينا ببذلك وأما قوله بل الله يمن عليكم كعناؤه انه لو من لكان المن لله لما منوا عليه صلى الله عليه وسلم بالإسلام قال الله تعالى "يؤمنون عليك ان أسلموا" قال الله لحمد صلى الله عليه وسلم قل لا تمنوا علي إسلامكم ثم أثر محمد صلى الله عليه وسلم على نفسه سبحانه حتى لا يجعل له نعتاً فيما أجرى عليه لسان ذم فقال له قل لهم بل الله يمن عليكم ان هداكم للإيمان ولو شاء لقال بل انا أمن عليكم ان هداكم الله بي للإيمان الذي رزقكم بتوحيده وأسعدكم به فما جعله تعالى محلاً للمن هذا من الفتوة الإلهية التي لا يشعر بها فحكمهما موجود في الحق وأطلاقها لم يرد في كتاب ولا سنة كما يعلم قطعاً انه لا فرق بين قولنا علمت الشئ وعرفته وانا عالم بالشئ أو عارف ومع هذا ورد اطلاق إسم العالم والعليم والعلام عليه تعالى وما ورد اطلاق الاسم العارف عليه فما يلزم من الأمر الذي لله منه حكم ان يطلق عليه منه إسم فأسماءه من حيث اطلاقها عليه موقوفة على ورودها منه فلا يسمى إلا بما سمي به نفسه وان علم فيه مدلول ذلك الاسم فالتوقيف في الإطلاق أولى وما فعل هذا سبحانه كله إلا ليعلم الخلق الأدب معه

إذا وقد علم ان من أهل الله من له شطحات ليتأدبوا فلا يشطحوا فان الشطح نقص في الانسان لانه يلحق نفسه فيه بالرتبة الإلهية ويخرج عن حقيقته فيلحقه الشطح بالجهل بالله وبنفسه وقدم وقع من الأكابر ولا أسميهم لانه صفة نقص وأما رعا ع الناس فلا كلام لنا معهم فانهم رعا ع في النظر إلى هؤلاء السادة وإذا مثل هذا من السادة فعليهم يقع العتب منا وقد يشطح أيضاً الأدنى على الأعلى كمثل الشطحات على مراتب الانبياء وهي أعظم عند الله في المؤاخذة من شطحهم على الله فان مرتبة الإله تكذبهم في الحال وعند السامع وأما شطحهم على الانبياء فموضع شبهة يمكن ان تقبل الصحة في نفس الأمر فيغتر بها السامع الحسن الظن به الذي لا معرفة عنده بمراتب أصناف الخلق عند الله فيغار الله لذلك حيث هو حق للغير وما يؤثر من الضلالة في الناس فيؤاخذ صاحب الشحطة بها ولا سيما إين ظهرت منه في حال صحو وكذلك من الشطحات المنقولة عن السادة رؤية فضيلة جنسهم من البشر على الملائكة جهلاً منهم وهم مسئولون مؤاخذون بذلك عند الله والعالم بالله المكمل هو الذي يحمي نفسه ان يجعل الله عليه حجة بوجه من الوجوه ومن أراد ان يسلم من ذلك فليقف عند الأمر والنهي وليرتقب الموت ويلزم الصمت إلا عن ذكر الله من القرآن خاصة فمن فعل ذلك فلم يدع للخير مطلباً ولا من الشر مهرباً وقد استبرأ لنفسه وأعطى كل ذي حق حقه كما أعطى الله كل شئ خلقه وهذا هو العاقل مقصود الحق من العالم وما فوق هذه المرتبة مرتبة لمخلوق أصلاً هذا قد مشى من الفتوة طرف صالح في حكمها في الجنب الإلهي وإذا كان الحق يا ولي مع غناه وماله من صفات الجلال ونعوت الكمال قد أريتك ماله من هذه النسبة في إثارة إياك فانت أولى بهذه الصفة ان تتصف بها في حقه خاصة لا في حق الخلق كما اتصف هو بها في حق الخلق هذا هو عمدتها فينا فالفتي من لا يراعى الخلق ولا يتفنى عليهم فان التفنى عليهم انما هو لله كما ذكرنا فيكون هذا العبد يطلب التفنى على جانب الحق إثارة إله على الخلق فلا يتفنى على الخلق إلا بصفة حق أو أمر حق فيكون الحق

المتفتي لا هذا العبد هكذا هو التخلق بالفتوة وإلا فلاذ كان من المحال ان تسرى الفتوة من الفتى في إثارة الغير من غير تأذي الغير لان الأغراض مختلفة والأهواء متقابلة رياحها زوابع غير لواقع بل هي عقيم تدمر ولا توجد فما من حالة يرضاها زيد منك إلا ويسخطها عمرو فإذا كان الأمر هكذا فاترك الخلق بجانب ان أردت تحصيل هذا المقام وارجع إلى الله في أصل الفتوة فان أصلها ان تخرج عن حظ نفسك إثارة الحظ غيرك لا تخرج عن حظ غيرك فهذا ليس من الفتوة ولو كانت الفتوة ولو كانت الفتوة هذا ما لها وجود فإذا تعارضت الأمور فرجح جانب الحق وزل عن حظ لما لما يستحقه جلاله إذعاملك بصفة الفتوة مع غناه فانت مع فقرك أحوج إلى ذلك ومن إثارة إياه انه طلب منك ان تطلب منه أجراً على ما تفتيت به عليه فمن الفتوة ان تطلب الأجر فان إمتالك أمره خروجك عن حظك فيحصل لك حظاً بترك حظك مع تحقيق الوصف بالفتوة ابراهيم عليه السلام جاد بنفسه على النار إثارة التوحيد ربه فان كان ذلك عن أمر إلهي فهو أعظم في الفتوة وان لم يكن عن أمر إلهي من الله على سنة الرسل على هوى نفسه وعلى أدلة عقله وما حكم به فكره ونظره إذا خالف علم الشارع المقرر له هذا هو الفتى فيكون بين يدي العلم المشروع كالميت بين يدي الغاسل ولا ينبغي ان يقال هنا يكون بين يدي الحق كالميت بين يدي الغاسل فانه غلط ومزلة قدم فان الشرع قيدك فقفا عند تقيده فما أوجب عليك مما هو له ان تنسبه إلى نفسك أو إلى مخلوق من المخلوقات سوى الله فمن الفتوة ان تنسبه إلى ذلك لا إلى الله حقيقة كما أمرك وان ذلك على خلاف ذلك العقل فارم به وكن مع العلم المشروع وما أوجب ان تنسبه إليه سبحانه فانسبة إليه تعالى وما خبيرك فيه فان شئت ان تقف ولا تعين وان شئت نظرت بما يتعلق بالمخير فيه من حمد فانسبة إليه وما يتعلق به من ذم فنسبة إلى نفسك أدبا مع الله فان الأدب عبارة عن جماعة الخير فما زلت عن مقام الفتوة كان الشيخ أبو مدين رحمه الله إذا جاءه مأكول طيب أكله وإذا جاءه مأكول خشن أكله وإذا جاع وجاءه نقد علم ان الله قد خيره إذ أراد ان يطعمه أي صنف شاء من المأكولات جاء به إليه فيقول هذا النقد ثمن المأكول جاء به الله للتخيير والإختبار فينظر في ذلك الوقت ما هو الأحب إلى الله من الكأكولات بانظر إلى صالح المزاج للعبادة لا إلى الفرض النفسي واتباع الشهوة فان وافقه كل مأكول حمينئذ يرجع إلى موطن الدنيا وما ينبغي ان يعامل به من الزهد في ملذوثاتها مع صلاح المزاج الذي يقوم بصلاحه العبادة المشروعة فيعدل بحكم الموطن إلى شطف العيش الذي تكرهه النفس لعدم اللذة به بلذة الحاجة فانه يتناوله عند الضرورة فان لذة الضرورة ما فوقها لذة لان الطبع يطلبها وإذا حصل للطبع طلبه التذبه فالفتى هو منذ كرهناه ويسرى فعله وتصرفه في الجماد والنبات والحيوان وفي كل موجود ولكن على ميزان العلم المشروع وان ورد عليه أمر إلهي فيما يظهر له يحل له ما ثبت تحرجه في نفس الأمر من الشرع الحمدي فقد لبس فيه فيتكره ويرجع إلى حكم الشرع الثابت فانه قد ثبت عند أهل الكشف بأجمعهم انه لا تحليل ولا تحريم ولا شئ من أحكام الشرع لأحد بعد انقطاع الرسالة والنبوة من أهل الله فلا يعول عليه صاحب ذلك ويعلم قطعاً انه هوى نفسي إذ كان ذلك الأمر المحلل أو المحرم في نفس الأمر هذا شرطه ولا يمنع التعريف الإلهي لأهل الله بصحة الحكم المشروع في غير المتواتر بالمنصوص عليه وأما في المتواتر المنصوص إذا ورد التعريف بخلافه فلا يعول عليه هذا الإخلاف فيه عنه أهل الله من أهل الكشف والوجود فانه من المنتمين إلى الله من يطرأ عليهم التلبس في أحوالهم من حيث لا يشعرون وهو مكر خفي وكيد متين إلهي واستدراج من حيث لا يشعرون فيأياك ان ترمي ميزان الشرع من يدك في العلم الرسمي والمبادرة لما حكم به وان فهمت منه خلاف ما يفهمه الناس مما يحول بينك وبين إمضاء ظاهر الحكم به فلا تعول عليه فانه مكر نفسي بصورة إلهية من حيث لا تشعرون وقد وقعنا بقوم صادقين من أهل الله ممن التبس عليهم هذا المقام ويرجحون كشفهم وما طهر لهم في فهمهم مما يبطل ذلك الحكم المقرر فيعتمدون عليه في حق

نفوسهم ويسلمون ذلك الحكم المقرر في الظاهر للغير وهذا ليس بشئ عندنا ولا عند أهل الله وكل من عول عليه فقد خلط وخرج عن

الانتظام في سلك أهل الله ولحق بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وربما يبقى صاحب هذا الكشف على العمل بظاهر ذلك الحكم ولا يعتقد في حق نفسه فيعمله تقريراً للظاهر ويقول ما أعطى من نفسي لهذا الأمر المشروع إلا ظاهري فاني قد أطلعت على سره فحكمه على سري خلاف حكمه في ظاهري فلا يعتقد في سره عند العمل به فمن عمل على هذا منه فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين فما ربحت تجارتهم وما كانوا كهتدين وخرج عن ان يكون من أهل الله ولحق بمن أتخذ إلهة هواه وأضله الله على علم فهو يظن انه في الحاصل وهو في الفأنت فتحفظوا ياإخواننا من غوائل هذا المقام ومكر هذا الكشف فقد نصحتكم ونصحت هذا الطائفة ووفيت بالأمر الواجب على فيه فمن لم يعلم الفتوة كما ذكرناها فما علمها

الباب السابع والأربعون ومائة في معرفة مقام ترك الفتوة وأسراره

هو الفتوة ان حمقت معناها

أمتها جاء ذاك الموت أحيائها

من أهله فيكون الحق مأواها

ترك الفتوة إيثار لخالقنا

نفيتها عين إثبات لها فمتى

فليس يعدمها إلا الفناء فكن

اعلم ان ترك الفتوة مسيك في الحق نفسيك وحظها إذا مشيت في ذلك عن أمر الله لا لما يقتضيه طبع النفس كنت صاحب فتوة فصاحب هذا المقام صاحب فتوة لا فتوة متصف بالنقيضين فالفتوة مثل الحب في الحكم سواء فان الحب يقضى في الحب ألا تصاف بالنقيضين إذا أتفق ان يكون أحد النقيضين محبو باللمحبوب مما يكرهه الحب لكون الحب لا يطلبه ولا يقتضيه فاعلم ان الإنسان انما يرغب في الأعمال التي نص الشارع على عملها أو تركها ان كانت من التروك لتكون بامثال ما كلف على حد ما أعطاه الكشف والایمان والعقل في أعلى المراتب ولا يكون ذاهمة دنية فإذا تعرض له في وقت عملان أعني أمرين من فعل أو ترك عمد إلي أفضلها وقد ورد الخبر انه من قتل شخصا ولم يقتل به فامر به الله ان شاء عفائه وان شاء عذبه وقال فيمن قتل نفسه بادري عبي بنفسه حرمت عليه الجنة ولم يجعله في المشيئة ولا جعل لعمله كفارة في ماله فعلمنا ان حق النفس في حقه أكد عليه وأعظم في الحرمة من حق غيره والفتوة العمل في حق الغير إيثارا على حق نفسه وقد قدم الشارع في غير ما موضع ان حق نفس الإنسان عليه أوجب من حق الغير عند الله والفتى هو الماشى في الأمور بأمر غيره لا بأمر نفسه وفي حق غيره لا في حق نفسه لكن بأمر ربه فهما طرفان أحدهما يسوغ وهو المشي في الأمور عن أمر الله والشطر الآخر لا يسوغ في كل موطن فالعارف إذا أقيم في مقام أداء الحقوق إلى أصحابها وتعين الحقوق عليه لأصحابها لم يتمكن له ان يتفتي مطلقاً فيؤثر الغير على الإطلاق فانه بأداء حق نفسه يبدأ وإذا بدأ به قدح في شرط الفتوة وإذا لم يبدأ به قدح في الطرف الآخر من الفتوة الذي هو أمثال أمر الله فيبقى هالكاً والتخليص من ذلك يقول انا مؤمن والله تعالى أشتري من المؤمنين انفسهم فنفسى للحق لا لي فأبدأ بها وأوترها على غيرها من النفوس من كونها لله لا لي فلهذا

تكمل الفتوة في تركها المعلوم عند المحجو بين عن أدراك حقائق الأمور فان مالكتها أمرني بتقديمها في أداء الحقوق وأما حكاية صاحب السفرة وهي ان شيخاً من المشايخ حاءه أضياف فأمر تلميذه ان يأتيه بسفرة الطعام فأبطأ عليه فسأله ما أبطأ بك فقال وجدت النمل على السفرة فلم أر من الفتوة ان أخرجهم فتربصت حتى خرجوا من نفوسهم فقال له الشيخ لقد دقت فجعل هذا الفعل من تدقيق باب الفتوة ونعم ما قال ونعم ما فاته فلو قال أحد لهذا الشيخ كيف شهد له بالتدقيق في الفتوة على جهة المدح والأضياف متألمون بالتأخير والانتظار ومراعاة الأضياف أولى من مراعاة النمل فان قال الشيخ النمل أقرب إلى الله من حيث طاعتهم لله من الانسان لما يوجد فيه من المخالفة وكراهية بعض الأمور التي هي غير مستلذة قلنا وجلد الانسان وجوارحه وشعره وبشره ناطق بتسبيح الله تعالى كالنمل ولهذا تشهد يوم القيامة على النفس الناطقة الكافرة الجاحدة قال تعالى "وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا" وقال يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم فهم عدول وشهادتهم مقبولة فكان الأولى مراعاة الأضياف الذين أمر الشارع بتعجيل تقديم الطعام لهم فلو تفنى هذا الخادم وترك السفرة للنمل وأستأذن الشيخ وعرفه بالقصة ونظر في تقديم أمر آخر للأضياف كان أولى وأدق في الفتوة

الباب الثامن والأربعون ومائة في معرفة مقام الفراسة وأسرارها

لفظ النبي الرسول المصطفى الهادي

عيناً وسمعاً وذاك الناشيء الشادي

عكس القضية في غيب وأشهاد

ان الفراسة نور النقل جاء به

رب الفراسة من كان الاله له

وما النهاية ألا ان يقوم به

الفراسة من الأفتراس فهو نعت ألهي قهري حكمه في الشوارد خوفاً من صاحب هذه الصفة والشرود سببه خوف طبعي أما على النفس ان تفارق بدنها الذي ألفته وظهر سلطانها فيه وأما من حيث ما ينسب إليها من الذم الذي يطلعه عليها المفترس بالفراسة الطبيعية أو بالفراسة الألهية فلهذا لا تتعلق ألا بالشاردين لان الغالب على العالم الجهل بنفوسهم وسبب جهلهم التركيب فلو كانوا بسائط غير مركبين من العناصر لم يتصفوا بهذا الوصف فاعلم ان الفراسة إذا أتصف بها العبد له في المتفرس فيه علامات بتلك العلامات يستدل والعلامات منها طبيعية مزاجية وهي الفراسة الحكيمة ومنها روحانية نفسية إيمانية وهي الفراسة الألهية وهو نور ألهي في عين بصيرة المؤمن يعرف به أذ يكشف له ما وقع من المتفرس فيه أو ما يقع منه أو ما يؤل إليه أمره ففراسة المؤمن أعم تعلقاً من الفراسة الطبيعية فان الفراسة غاية ما تعطي من العلوم العلم بالأخلاق المذمومة والمحمودة وما يؤدي إلى العجلة في الأشياء والريث فيها والحركات البدنية كلها وسأورد في هذا الباب طرفاً منهما أعني من الفراستين بعد تحقيق ماهيتهما والفراسة الألهية تتعلق بعلم ما تعطيه الفراسة الطبيعية وزيادة وهي انما تعطي معرفة السعيد من الشقي ومعرفة الحركة من الانسان المرضية عند الله من غير المرضية التي وقعت منه من غير حضور صاحب هذا النور فإذا حضر بين يديه بعد انقضاء زمان تلك الحركة وقد ترك ذلك العمل في العضو الذي كان منه ذلك العمل علامة لا يعرفها ألا صاحب الفراسة فيقول له فيها بحسب ما كانت الحركة من طاعة ومعصية كما أتفق لعثمان رضي الله عنه وذلك انه دخل عليه رجل فعندما وقعت عليه عينه قال يا سبحان الله ما بال رجال لا

يغضون أبصارهم عن محارم الله وكان ذلك الرجل قد أرسل نظره فيما لا يحل له أما في نظره إلى عورة انسان أو نظر في قعر بيت مسكون وما أشبه ذلك فقال له الرجل أوحى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا ولكنها فراسة ألم تسمع إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وعندما دخلت على رأيت ذلك في عينيك فهذا معنى قولنا انها تترك علامة في العضو الذي كان منه ذلك العمل المحمود أو المذموم والفراسة الطبيعية تعطي معرفة المعتدل في جميع أفعاله وأقواله وحركاته وسكناته ومعرفة المنحرف في ذلك كله فيفرق بالنظر في أعضائه ونشأة كل عضو بين الأخرق والعاقل والذكي والفطن والقدم الغمر والشبق وغير الشبق والغضوب وغير الغضوب والخبيث وغير الخبيث والخداع المحتال والسليم المسلم والترق غير الترق وما أشبه هذا فاعلم أولاً ان الفراسة الايمانية وبها نبدأ انها نور ألهي يعطاه المؤمن لعين البصيرة يكون كالنور لعين البصر وتكون العلامة في المتفرس فيه كنور الشمس الذي تظهر به المحسوسات للبصر فكما يفرق البصر بما فيه من النور وبما كشف له نور الشمس من المحسوسات فيعرف صغيرها من كبيرها وحسنها من قبيحها وأبيضها من أسودها من أصفرها ومتحركها من ساكنها وبعيدها من قريبها وعاليها من أسفلها كذلك نور الفراسة الايمانية يعرف محمودها من مذمومها وانما أضيف نور الفراسة إلى الله الذي هو الاسم الجامع لأحكام الاسماء لانه يكشف المحمود والمذموم وحركات السعادة في الدار الآخرة وحركات الشقاء إلى ان يبلغ بعضهم إذا رأى وطأة شخص في الأرض وهو أثره والشخص ليس بحاضر يقول هذا قدم سعيد وهذا قدم شقي مثل ما يفعله القائف الذي يتبع الأثر فيقول صاحب هذا الأثر أبيض مثلاً أعور العين ويصف خلقته كانه رآه وما طراً عليه في خلقه من الأمور العوارض يرى ذلك كله في أثره من غير ان يرى شخصه ويحكم في الانساب ويلحق الولد بأبيه إذا وقع الاختلاف فيه لعدم المناسبة في الشبه الظاهر المعتاد بين الآباء والانباء فأضاف نور الفراسة إلى الله لأجل هذا فلو أضافها إلى الاسم الحميد مثلاً لم يرى صاحب هذا النور إلا المحمود السعيد خاصة وكذلك لو أضاف إلى أي أسم ألهي لكان بحسب ما تعطي حقيق ذلك الاسم فلما أضاف ذلك النور إلى الله أدرك به الخيرات والشرور الواقعة في الدنيا والآخرة والمذام والحامد ومكارم الأخلاق وسفسافها وما تعطيه الطبيعة وما تعطيه الروحانية ويفرق بهذا النور بين الأحكام الشرعية وهي خمسة أحكام ويعرف بهذا النور لمن أستند صاحب تلك الحركة من الاسماء الألهية ومن ينظر إليه من الأرواح العلوية وما له من الآيات من الحركات الكوكبية لان الله ما جعل سباحتها في الأفلاك باطلاً بل لأمر أودعها الله تعالى في المجموع فيها وفي حركاتها وفي قطعها في البروج المقدره في الفلك الأقصى وهو قوله "وأوحى في كل سماء أمرها" فهي تؤدي في تلك السباحة ما أمنت عليه من الأمور التي يطلبها العالم العنصري وأعلم ان الطبيعة التي خلقها الله تعالى دون النفس وفوق الهبا فلما أراد الله إيجاد الأجسام الطبيعية وما ثم عندنا الأجسام طبيعي أو عنصري والعناصر أجسام طبيعية وان تولد عنها أجساد آخر فكل ذلك من آثار الله فيما خلق الله الطبيعة عليها والطبيعة عبارة عن أمور أربعة إذا تألفت تألفاً خاصاً حدث عنه ما يناسب تلك الألفة بتقدير العزيز العليم فلذلك أختلفت أجسام العالم لأختلاف ذلك المزاج فأعطي كل جسم في العالم بحسب ما أقتضاه مزاجه وما زال الأمر يتزل إلى ان خلق الله العناصر وهي الأركان فضم الحرارة إلى البيوسة على طريق خاص فكان من ذلك المزج ركن النار الذي يعبر عنه أيضاً بعنصر النار ثم الهواء كذلك ثم الماء ثم التراب ثم جعل سبحانه يستحيل بعضها إلى بعض بوسائط وبغير وسائط فإذا تنافر العنصران من جميع الوجوه أستحال إلى المناسب ثم أستحال ذلك المناسب إلى المناسب إليه الآخر الأقرب الذي كان منافراً للمستحيل الأول فقبل الأستحالة إليه بوساطة هذا المناسب الأقرب من سخافة أو كثافة ثم خلق الله الجسم الحيواني من أربع طبائع وهما المرتان الدم والبلغم وجعل سبحانه في هذه الأخلاط قوى روحانية تظهر

آثارها في الجسم المركب عنها فان كانت هذه الأخلاق في الجسم الظاهر عنها على الاعتدال أو قريب من الاعتدال أعطت ما يعطيه الاعتدال من الأمور المستحسنة المحمودة والمحركات الإقتصادية في الأمور وان لم تكن فيه على الاعتدال أعطت بحسب ما انحرفت إليه وظهر في البدن سلطان الأقوى والأكثر من هذه الإخلاق فيطراً على الجسم من ذلك علل وعلى النفس من ذلك أخلاق فالطبيب يداوي العلل بان يريد في الناقص من هذه الأخلاق وينقص من الزائد منها حتى يحصل الاعتدال والطبيب الإلهي يداوي الأخلاق ويسوس الأغراض النفسية بالذكرى والموعظة والتنبيه على معالي الأمور وما لمن قامت به من السعادة والمحمدة عند الله وعند الناس وعند الأرواح العلى فتتأيد بذلك النفس الناطقة وتكون لها هذه الذكرى كالمعينة على صلاح هذا المزاج المنحرف فتعين الطبيب المدبر لطبيعة هذا البدن واصلاح ما إختل منه ولهذا بعض الأطباء ينصحون المرضى لأمراض خاصة باستعمال سماع الألحان المطربة والأماكن المستحسنة المتنوعة الأزهار وخرير المياه وتغريد الطيور كالبلبل وأمثاله كل ذلك طب روحاني يؤدي إلى صلاح المزاج يعين الطبيب عليه وثم علل آخر لا تختمل الأصوات بل تصلح لنقيض ما ذكرناه وذلك كله بحسب الخلط الغالب الأقوى وضعف المناقض المقابل له وهذه العلل منها أصلية في نفس المزاج والخلقة مثل الجحوظة في العينين أو الغرور المفرطة أو الانف الدقيق جداً أو الغليظ جداً أو المتسع الثقب المنتفخ أو نقيضه أو البياض الشديد أو السواد الشديد أو الجعودة في الشعر أو السبوطه فيه الكثيرة أو الزرقة الشديد في العين الفيروزجية أو الكحول الغائية وكذلك سائر الأعضاء في عدم الاعتدال وهو الانحراف من الاعتدال إلى أحد الميلىن كما ذكرنا فان خلق الانسان يكون بحسب ما هي هذه الأعضاء عليه من إعتدال وانحراف فإذا جاء هذا الطبيب الإلهي وهو النبي أو الوارث أو الحكيم فيرى ما تقتضيه هذه النشأة التي انقادت إليه وجعلت زمامها في يديه ليربيها ويسعى في سعادتها ويردها إلى خلاف ما تقتضيه نشأته ان كان منحرفاً بان يبين لها مصاريف ذلك الانحراف التي يحمدتها الله ويكون فيها سعادة هذه النفس فانه لا يتمكن له ان ينشأها نشأة أخرى فقد فرغ ربك من خلق ومن خلق ولم يبق بأيدينا إلا تبين المصاريف فالمعتدل النشأة إذا كان جاهل بالأمور السعاداتية عند الله التي تحتاج إلى موقف وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل العلماء عن الأمور التي تعطي السعادة عند الله وأما مكارم الأخلاق فلا يحتاج فيها إلى موقف فان مزاج نشأته واعتدله لا تعطيه إلا مكارم الأخلاق بل يحتاج إلى الموقف في بعض الأمور في استعمال الانحراف وهو في ذلك مكلف لما يكون في ذلك الانحراف من المصالح إما دنيا وإما آخرة وإما الجموع وأما المنحرف فتصدر منه مذام الأخلاق وسفسافها وطلب نفوذ الأغراض القائمة به ولا يبالي ما يؤول إليه أمره في نيلها فالطبيب السؤوس يستدرجه حالاً بعد حال بتبيين المصارف كما ذكرناه فإذا جاء صاحب الفراسة الإيمانية وكان عالماً بما يكون فيه المصلحة لهذا المتفرس فيه ورأى منه حركة تؤدي إلى مذموم أو تكون تلك الحركة قد وقعت منه مذمومة ساسة حتى يتمكن منه إلى ان يسلم إليه نفسه ليتحكم فيها فان كان منحرفاً كان في سلوكه صاحب مجاهدة ورياضة وان كان معتدلاً كان في سلوكه طيب النفس نلتذا صاحب فرح وسرور تقوم عليه الأمور الصعاب على غيره ولا تكلف عنده في شئ من مكارم الأخلاق فإذا صفت نفسه وزكت ولحقت بالعالم المطهر ونظرت بالعين الإلهي وسمعت به وتحركت بقوته وعرفت مصادر الأمور ومواردها وما تنبعث عنه وماتؤول إليه فذلك المعبر عنه بالفراسة الإيمانية وهي موهبة من الله تعالى ينالها السليم الطبع وغير السليم وأصل الاعتدال والانحراف في العالم وفي الموجب لغلبة بعض الأصول على بعضها التي لها الحكم في المركبات هي من آثار العلم الإلهي الذي منه يرحم الله من يشاء ويغفر ويعذب ويكره ويرضى ويغضب وأين الغضب من الرضى وأين العفو من الانتقام وأين السخط من الرضوان وكل ذلك

جاءت به الأخبار الإلهية في الكتب المترلة وعلمها أهل الكشف مشاهدة عين ولولا ما وردت على ألسنة الانبياء والرسل ونزلت بها الكتب من الله على أيديهم وأيدوا بالمعجزات ليثبت صدقهم عند الأجانب لأجل هذه الأمور الألهية حتى تقبل منهم إذا وردوا بها فان أدلة العقول تحليلها في الجنب الألهي فلو نطق بها مشاهد لها مكاشف بها من غير تأييد آية تدل على صدقه جهل وطعن في نظره وأقيمت الدلالات العقلية على فساد عقله وفكره وحكم خياله عليه وان الله لا ينبغي ان يوصف بهذه الأوصاف فهذا كان سبب نزولها على أيدي الرسل والكتب ليستريح إليها المشاهد ويانس بكلامه إذا أتى بمثل هذا النوع فلا جل هذه الأمور وردت الشرائع ولأجل الأحكام التي لا توافق أغراض الرؤساء والمقدمين لو سمعوها من غير الرسول فلما انسوا بها من الرسل وألفت النفوس أحكام النواميس الألهية وأستصحبته هان على الملوك والرؤساء ان يتلمذوا للصالحين ويدخلوا نفوسهم تحت أحكامهم وان شق عليهم فهم يرجحون علمهم بذلك على ما يدركونه من مشقة خلاف الغرض فانه على هذا السرط أدخل نفسه فحجته قائمة على نفسه فسبحان العليم الحكيم ولولا شرف العلم ما شرفت الفراسة لان الفراسة لولا ما تعطي العلم ما شرفت ولا كان لها قدر فالعلم أشرف الصفات وبه تحصل النجاة إذا حكمه الانسان على نفسه وتصرف في أموره بحسب حكمه رب زدني علماً رب زدني علماً رب زدني علماً وأستعلمني له وأجعله الحاكم علي والناظر إلي أذ انت العلم والعالم والمعلوم لك لالنا فأعطينا منه على قدرنا وأما الفراسة المذكورة عند الحكماء فانا أذكر منها طرفاً على ما أصلوه وما جربوه وأختبروه ثم أعتباره في الصفات بما تقتضيه طريقنا في هذا الكتاب مختصراً كافياً ان شاء الله تعالى أعلم ان الله تعالى إذا أراد ان يخلق انساناً معتدلاً النشأة ليكون جميع حركاته وتصرفاته مستقيمة وفق الله الأب لما فيه صلاح مزاجه ووفق الأم أيضاً لذلك فصلح المني من الذكر والانثى وصلح مزاج الرحم وأعتدلت فيه الأخلاط أعتدال القدر الذي به يكون صلاح النطفة ووقت الله لا نزال الماء في الرحم طالعاً سعيداً بحركات فلكية جعلها الله علامة على الصلاح فيما يكون في ذلك من الكائنات فيجامع الرجل أمرأته في طالع سعيد بمزاج معتدل فيتزل الماء في رحم معتدل المزاج فيتلقاه الرحم ويوفق الله الأم ويرزقها الشهوة إلى كل غذاء يكون فيه صلاح مزاجها وما تتغذى به النطفة في الرحم فتقبل النطفة التصوير في مكان معتدل ومواد معتدلة وحركات فلكية مستقيمة فتخرج النشأة وتقوم على أعدل صورة فتكون نشأة صاحبها معتدلة ليس بالطويل ولا بالقصير لين اللحم رطبه بين الغلظ والرقه أبيض مشرباً بحمرة وصفرة معتدل الشعر طويله ليس بالسبط ولا الجعد القطط في شعره حمرة ليس بذاك السواد أسيل الوجه أعين عينه مائلة إلى الغور والسواد معتدل عظيم الرأس سائل الأكتاف في عنقه أستواء

معتدل اللبة ليس في وركه ولا صلبه لحم خفي الصوت صاف ما غلظ منه وما رق مما يستحب منه غلظه أورقته في أعتدال طويل البنان للرقه سبط الكف قليل الكلام والصمت ألا عند الحاجة ميل طبائعه إلى الصفراء والسوداء في نظره فرح وسرور قليل الطمع في المال ليس يريد التحكم عليك ولا الرياسة ليس بعجلان ولا بطئ فهذا قالت الحكماء أعدل الخلقة وأحكمها وفيها خلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليصح له الكمال في النشأة كما صح له الكمال في المرتبة فكان أكمل الناس من جميع الوجوه ظاهراً وباطناً فان أتفق ان يكون في الرحم أحتلال مزاج فلا بد ان يؤثر ذلك الأحتلال في نشأة الانسان في الرحم في عضو من أعضائه أو في أكثر الأعضاء أو في أقلها بحسب ما تكون المادة في الوقت لذلك العضو من القوة الجاذبة التي تكون في النطفة فيخرج ذلك أما في كلية النشأة وأما في بعض أعضائها فمن ذلك والله الموفق ان البياض الصادق مع الشقرة والزرقة الكثيرة دليل على الفحة والخيانة والفسوق وخفة العقل فان كان مع ذلك واسع الجبهة ضيق الذقن أزعر أوجن كثير الشعر على الرأس فقال أهل الفراسة من

الحكماء ان التحفظ من هذه صفته كالتحفظ من الأفاعي القتالة فان كان الشعر خشناً دل على الشجاعة وصحة الدماغ وان كان ليناً دل على الجبن وبرد الدماغ وقلة الفطنة وان كان الشعر كثيراً دل على الكتفين والعنق دل على الحمق والجرأة وان كثر على الصدر والبطن دل على وحشية الطبع وقلة الفهم وحب الجور والشقرة دليل على الجبن وكثرة الغضب وسرعته والتسلط والأسود من الشعر يدل على السكون الكثير في العقل والاناة وحب العدل والمتوسط بين هذين يدل على الاعتدال وان كانت الجبهة منبسطة لا غصون فهو صدوق محب فهم عالم يقظان مدبر حاذق ومن كان عظيم الأذنين فهو جاهل ألا انه يكون حافظاً ومن كان صغير الأذنين فهو سارق أحمق وان كان الحاجب كثير الشعر دل على الغي وغث الكلام فان أمتد الحاجب إلى الصدغ فصاحبه تياه صلف ومن رق حاجبه فأعتدل في الطول والقصر وكانت سوداء فهو يقظان فان كان العين أزرق فهي أردأ الزرق الغير وزجية فمن عظمت عيناه وحفظت فهو حسود وقح كسلان غير مأمون وان كانت زرقاء كان أشد وقد يكون غاشماً ومن كانت عيناه متوسطة مائلة إلى الغور والكحلة والسواد فهو يقظان فهم ثقة محب فإذا أخذت العين في طول البدن فصاحبها خبيث ومن كانت عينه جامدة قليلة الحركة كالبهيمة ميت النظر فهو جاهل غليظ الطبع ومن كان في عينه حركة بسرعة وحدة نظر فهو محتال لص غادر ومن كانت عينه حمراء فهو شجاع مقدم فان كان حواليلها نقط صفر فصاحبها أشر الناس وأرداهم وان كان انفه دقيقاً فصاحبه نزق ومن كان انفه يكاد يدخل في فمه فهو شجاع ومن كان أفطس فهو شبق ومن كان انفه شديد الانتفاخ فهو غضوب وإذا كان غليظ الوسط مائلاً إلى الفطوسة فهو كذوب مهذار وأعدل الأنوف ماطال غير طول فاحش ومن كان انفه متوسط الغلظ وقناه غير فاحش فهو دليل على العقل والفهم ومن كان واسع الفم فهو شجاع ومن كان غليظ الشفتين فهو أحمق ومن كان متوسط الشفتين في الغلظ مع حمرة صادقة فهو معتدل ومن كانت أسنانه ملتوية أو نائمة فهو خداع متحيل غير مأمون ومن كانت أسنانه منبسطة خفافاً بينهما فلج فهو عاقل ثقة مأمون مدبر ومن كان لحم الوجه منه منتفخ الشدقين فهو جاهل غليظ الطبع ومن كان نحيف الوجه أصفر فهو ردئ خبيث خداع شكس ومن طال وجهه فهو وقح ومن كانت أصداعه منتفخة وأوداجه ممتلئة فهو غضوب ومن نظرت إليه فأحمر وخجل وربما دمعت عيناه أو تبسم تبسماً لا يريد به فهو لك متودد محب فيك لك في نفسه مهابة وان كان ذا صوت جهر دل على الشجاعة والمعتدل بين الكد والتاني والغلظ والرقعة دل على العقل والتدبير والصدق وسرعة الكلام ورقته يدل على الكذب والقحة والجهل الغلظ في الصوت دليل على الغضب وسوء الخلق الغنة في الصوت دليله على الحمق وقلة الفطنة وكبر النفس التحرك الكثير دليل على الصلف والهذر والخداع والوقار في الجلسة وتدارك اللفظ وتحريك اليد في فضول الكلام دليل على تمام العقل والتدبير وصحة العقل قصر العنق دليل على الخبث والمكر طول العنق ورقته دليل على الحمق والجبن والصياح فان انضاف إليهما صغر الرأس فانه يدل على الحمق والسخف غلظ العنق يدل على الجهل وكثرة الأكل أعتدال العنق في الطول والغلظ دليل على العقل والتدبير وخلوص المودة والثقة والصدق البطن الكبير يدل على الحمق والجهل والجبن لطافة البطن وضيق الصدر يدلان على جودة العقل وحسن الرأي عرض الكتفين والظهر يدلان على الشجاعة وخفة العقل انحناء الظهر يدل على الشكاسة والتزاقه أستواء الظهر علامة محمودة بروز الكتفين دليل على سوء النية وقبح المذهب إذا طالت الذراعان حتى يبلغ الكف الركبة دل على الشجاعة والكرم ونبل النفس وإذا قصرت فصاحبها جبان محب في الشر الكف الطويلة مع الأصابع الطوال تدل على النفوذ في الصناعات وأحكام الأعمال وتدبير الرياسة اللحم الغليظ في القدم يدل على الجهل وحب الجور القدم الصغير اللين يدل على الفجور رقة العقب تدل على الحسن غلظ العقب يدل على الشجاعة غلظ الساقين مع العرقوب بين دليل على البله والقحة من

كانت خطاه واسعة بطيئة فهو منجح في جميع أعماله مفكر في عواقبه والضد للضد فهذا ما نقلته من أقوال الحكماء من أهل التجربة من العلماء بالطبيعة وهذه النعوت وقد تكثر وتقل والحكم للغالب وقد تتساوى في الشخص فيدفع هذا الحكم هذا بان يكون في الشخص حم أحدها بوجه في قضية خاصة وحكم أحدها بوجه آخر في قضية خاصة وبالجملة فان الرياضة واستعمال العلم مؤثر في إزالة حمكم كل صفة مذمومة مما ذبكر ومن جرب وجد صحة ما قلناه فان العادة طبيعية خامسة لها أثر في الطبيعة الأصلية هذا كله مجرب وصل محقق الإعتبار فيما ذكرناه من العلامات التي أعطت الطبيعة حكمها فيه وشهدت لها التجارب فاعلم ان لطيفة الانسان المدبرة جسده لما كان لها وجه إلى النور الحمض الذي هو أبوها وجه إلى الطبيعة وهي الظلمة المحضة التي هي أمها كانت النفس الناطقة وسطاً بين النور والظلمة وسبب توسطها في المكانة لموها مدبرة كالنفس الكلية التي بين العقل والهيولي الكل وهو جوهر مظلم والعقل نور خالص فكانت هذه النفس الناطقة كالبرزخ بين نور والظلمة تعطى كمال ذي حق حقه فمتى غلب عليها أحد الطرفين كانت لمن غلب عليها وان لم يكن لها ميل إلى أيحمد الجانبيين تلقت الأمور على الاعتدال وانصفت وحمّت بالحق فلنذكر في هذا الوصل إعتبار ما مشى في علامات الفراسة في الجسد فنقول أما البياض المفرط فاستفراغ الانسان في نظر في عالم النور بحيث لا يبقى في استفراغه ما يدبر به عالم طبيعته كأبي عقاب المغربي وأمثاله فيفسد سريعاً قبل حصول الكمال وكذلك اعتبار السواد المفرط وهو استفراغه في عالم شهوته وطبيعته بحيث ان يحول بينه وبين النظر في علوم الانوار في العلوم الإلهية فهذا مذموم الحال بلا خلاف فإذا كان وقتاً ووقتاً ووفى كل ذي حق حقه كما قال صلى الله عليه وسلم لي وقت لا يسعني فيه غير ربي فذلك الامام العادل وأما اعتبار الطول والقصر فهو مدة إقامته في النظر في إحدى العالمين فأما مدة ممتدة وهي الطول أو قليلة وهي القصر وينبغي من ذلك ان تكون المدة بقدر الحاجة وأما اعتدال اللحم في الرطوبة بين الغلظ والرقه فهو اعتدال للانسان في البرزخيات بين المعنى والحس كاللحم بين العظم والجلد وأما اعتدال الشعر فهو إقامته بين البسط والقبض وأما كونه أسيل الوجه فهي الطاقة والبشاشة وأما كونه أعين فصحة النظر في الأمور وأما كون عينه مائلة إلى الغور والسواد فهو النظر في المغيبات واستخراج الأمور الخفية وأما الجحوظة فهو ميله إلى استنباط العلوم من العالم الشهادة وهم أهل الإعتبار وأما اعتدال عظم الرأس فتوفيسر العقل وأما كونه سائل الأكتاف فاحتمال الأذى في الغيبة من غير أث وأما استواء العنق فالاستشراف على الأشياء من غير ميل إليها وأما الطول الزائد في العنق فهو الاستشراف على ما لا ينبغي مثل التجسس وأما القصر المفرط فهو التفريط فيما ينبغي ان يستشرف عليه وأما اعتدال اللبة فاستقامت العبارة بالوزن التي تقع به المنفعة عند المخاطب وأما قلة اللحم في الورك والصلب فهو نظره في الأمور التي يتورك عليها ويعول عليها ان يخلصه إلى أحد الطرفين فانه ان كانت برزخية قد تقدر به في غالب الأمر وأما كونه خفي الصوت فهو حفظ السر في مواضع الجهر وأما صفاء الصوت فهو ان لا يزيد فيه شيئاً وأما طول البنان فللطافة التناول وأما بسط الكف فرمى الدنيا من غير تعلق وأما قلة الكلام والضحك فنظره إلى المواقع الحكمة فيتكلم ويضحك بقدر الحاجة وأما كون ميل طباعه إلى المرتين فهو ان يغلب عليه في الصفراء الجنوح إلى العالم العلوي وفي السوداء إلى العالم السفلي واستخراج ما أخفى فيه من قرة أعين مما تحجب الطبيعة أكثر العقول في النظر فيها لما يسبق في أذهانهم من ذم الطبيعة وأما كونه في نظره فرح وسرور فهو استجلاب نفوس الغير إليه بالحبّة وأما كونه قليل الطمع في المال فهو البعد عن كل ما يميل به إلى ما لا فائدة فيه وأما كونه ليس يريد التحكم عليك لا الرئاسة فهو شغل بكامل عبوديته لا به وأما كونه ليس بعجلان ولا بطيء أي ليس بسرّيع الأخذ مع القدرة ولا عاجز وكذلك أيضاً لما نظرنا إلى أرباب الفراسة الحكمية وجدناهم راجعين في ذلك إلى طرفين وواسطة وقسموا

الأمور إلى محمود ومذموم أعني الأخلاق وجعلوا الخير كله في الوسط وجعلوا الانحراف في الطرفين فقالوا في الأبيض الشديد البياض والأشقر والأزرق ما سمعت من الدم وانه غير محمود وكذلك الشديد السواد ورقيق الانف جداً مذموم كل هذا والمعتدل بينهما الغير مائل إلى أحد الطرفين مثلاً خارجاً عن الحق هو الممحمود على نحو متقدم فلما رأيناهم قد قصروها على ما ذكرنا نظرنا إلى ذلك في هذا العالم الانساني أين ظهر الحسن والقبح فقلنا لا حسن يقيع به المترلة عند الله ولا قبح يقع باجتنابه الخير من الله إلا ما حسنه الشرع وقبحه فلما رأينا الحمد والذم على الفعل من جهة ما شرعنا نظرنا كيف نجتمع طرفين وواسطة لنجعل الطرفين مخالفاً لحكم الوسط الذي هو محل الاعتدال فنقول لا يخلو الانسان ان يكون واحد من ثلاثة بالنظر إلى الشرع وهو إما ان يكون باطنياً محضاً وهو القائل بتجريد التوحيد عندنا حالاً وفعلاً وهذا يؤدي إلى تعطيل أحكام الشرع كالباطنية والعدول عما أراد الشارع بها وكل ما يؤدي إلى هدم قاعدة دينية مشروعة فهو مذموم بالإطلاق عند كل مؤمن وأما ان يكون ظاهرياً محضاً متغلباً متوغلاً بحيث ان يؤديه ذلك إلى التجسيم والتشبيه فهذا أيضاً مثل ذلك ملحق بالذم شرعاً فإما ان يكون جارياً مع شرع على فهم اللسان حيثما مشى الشارع مشى وحيثما وقف وقف قدماً بقدم وهذه الة الوسط وبه صحت محبة الحق له قال تعالى ان يقول نبيه "فاتبعوني يحببكم الله يغفر لكم ذنوبكم" فاتباع الشارع واقتفاء أثره يوجب محبة الله للعباد وصحة السعادة الدائمة فهذا وجه مقابل النسختين فان قال قائل هذبا يحمل فكيف يعرف تفصيله فانا إذا رأينا رجلاً ساكناً يشهد الصلوات والجماعات وهو مع ذلك منافق مصر فنقول ان السكون وشهود الصلوات وشبه ذلك من عالم الشهادة وكونه كافراً بذلك في قلبه فهو من عالم الغيب ونحن إذا حصلت لنا الفراسة الذوقية الايمانية كما ذكرناها وكما تنمها ان شاء الله تعالى حكمنا بكونه كافراً في نفوسنا وأبقينا ماله ودمه معصوماً شرعاً لظهور كلمة التوحيد فمعاملتنا له على هذا الحب وما كلفنا غير هذا ثم لتعلم وفقك الله ان العالم العلوي بالجملة هو المحرك عالم الحس والشهادة وتحت قهره حكمه من الله تعالى لا لنفسه أستحق ذلك فعالم الشهادة لا يظهر فيه حكم حركة ولا سكون ولا أكل ولا شرب ولا كلام ولا صمت ألا عن عالم الغيب وذلك ان الحيوان لا يتحرك ألا عن قصد وأرادة وهما من عمل القلب والأرادة من عالم الغيب والتحرك وماشا كله من عالم الشهادة وعالم الشهادة كلما أدركناه بالحس عادة وعالم الغيب ما أدركناه بالخير الشرعي أو النظر الفكري مما لا يظهر في الحس عادة فنقول ان عالم الغيب يدرك بعين البصيرة كما ان عالم الشهادة يدرك بعين البصر وكما ان البصر لا يدرك عالم الشهادة ما عدا الظلمة ما لم يرتفع عنه حجاب الظلم أو ما أشبهه من الموانع فإذا ارتفعت الموانع وانبسطت الانوار على المحسوسات وأجتمع نور البصر والنور المظهر أدرك المبصر بالبصر المبصرات كذلك عين البصيرة حجابها الريون والشهوات وملاحظة الأغيار من العالم الطبيعي الكثيف إلى أمثال هذه الحجب فتحول بينه وبين أدراك الملكوت أعني عالم الغيب فإذا عمد الانسان إلى مرآة قلبه وجلاها بالذكر وتلاوة القرآن فحصل له من ذلك نور والله نور منبسط على جميع الموجودات يسمى نور الوجود فإذا أجمع النوران فكشف المغيبات على ما هي عليه وعلى ما وقعت في الوجود غير ان بينهما لطيفة معني فذلك ان الحس يحجبه الجدار والبعد المفرط والقرب المفرط وعين البصيرة ليس كذلك لا يحجبه شيء ألا ما ذكرنا من الران والكن وأشباه ذلك ألا انه أيضاً ثم حجاباً لطيفاً أذكره وهو ان النور الذي ينبسط من حضرة الجود على عالم الغيب في الحضرات الوجودية لا يعمها كلها لانفسنا ذو قناله ولغيرنا قوله قل ما أدري ما يفعل بي ولا بكم ان أتبع ألا ما يوحي إلى مع غاية الصفاء الحمدي وهو قوله أو من وراء حجاب فمهما ظهر ممن حصل في هذا المقام شيء من ذلك على ظاهره في حق شخص ما فتلك الفراسة وهي أعلى درجات المكاشفة وموضعها من كتاب الله ان في ذلك لآيات للمتوسمين من السمة وهي العلامة كما قلنا

ولا يخطي أبداً بخلاف الفراسة الحكيمة و ثم كشف آخر في الفراسة وذلك ان الله جعل في العالم حضرة السمات فيها صور بني آدم وأحوالهم في أزمانهم إلى حين انفصالهم وهي مخبوءة عن جميع الخلائق العلوي والسفلي ألا عن القلم واللوح فإذا أراد الله أصطفاء عبد وان يخصه بهذا المقام طهر قلبه وشرحه وجعل فيه سراجاً منيراً من إيمانه خاصة يسرجه من الاسماء الألهية الاسم المؤمن المهيمن وييده هذه الحضرة وذلك السراج من حضرة الألوهة يأخذه الاسم المؤمن فإذا أستنار القلب بذلك النور الألهي وانتشر النور في زوايا قلبه مع نور عين البصيرة بحيث يحصل له أدراك المدركات على الكشف والمشاهدة لوجود هذه الانوار فإذا حصل القلب على ما ذكرناه جعل في ساحة من ساحات هذا القلب تلك الحضرة التي ذكرناها فمن هناك يعرف حركات العالم وأسراره انتهى الجزء الثالث ومائة

الجزء الرابع ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب التاسع والأربعون ومائة في معرفة مقام الخلق وأسراره

مثل التكحل في العينين والكحل

ينال مرتبة الأملاك والرسل

فهو المرتب للأحكام والدول

وهو المثبت للأعراض والعلل

كون التخلق في الانسان والخلق

وان تضاعف فيه أجره فمتى

ذاك الوحيد الذي يحيا الزمان به

تنحط من عزها غلب الرقاب له

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان الله لينها كم عن الربا ويأخذ منكم وهو حديث صحيح فأدخل نفسه معنا فيما نهانا عنه في الحكم فالأخلاق كلها نعوت ألهية فكلها مكارم وكلها في جبلة الانسان ولذلك خوطب بها فان بعض من لا معرفة له بالحقائق يقول انما في الانسان تخلق وفي الحق خلق فهذا من قائله جهل بالأمور ان لم يطلق ذلك مجازاً أو بالنظر إلى تقدم وجود الحق على وجود العبد لانه واجب الوجود لنفسه والانسان موجود بربه فأستفاد الوجود فأستفاد الخلق منه فإذا راعى هذا الأصل فقال بالتخلق كان صحيح المقصد وان أراد بالتخلق ان ما هو للحق حقيقة وأنصف به العبد ان لم يكن عنده إلا في الوقت الذي أنصف به فسماه لذلك تخلقاً لا خلقاً وما يكون خلقاً ألا ما جبل عليه في أصل نشأته فلا علم له بنشأة الانسان ولا بأعلام النبي صلى الله عليه وسلم بان الله خلق آدم على صورته ويلزم هذا القائل ان يكون ما جعله من الصفات حقيقة للعبد ثم رأينا الحق قد أنصف به ان يكون ذلك في الله تخلقاً من الله بما هو حق للانسان وهذا لا يقول به من عنده أدنى شيء من العلم والصحيح في هذه الأخلاق الألهية انما كلها في جبلة الانسان وتظهر لمن يعرفها في كل انسان على حد ما تظهر في الجناب الألهي فان كل خلق من هذه الأخلاق لا يصح ان تعم المعاملة به جميع الأكوان لا من جانب الحق ولا من جانب الانسان فهو كريم على الإطلاق وكذلك الانسان كريم على الإطلاق ومع كون الحق كريماً على الإطلاق فمن أسمائه المانع ومن أسمائه الضار ومن أسمائه المذل ويغفر ويعذب من يشاء ويؤتي الملك ويزرع الملك وينتقم ويجود وهو مع هذا التقييد في حق قوم مطلق الصفة وكذا هي في الانسان فهي خلق أصلي له لا تخلق ولا يصح ان تعم من الانسان هذه الأخلاق مع كونها مطلقة في حقه كما لم يصح ان تعم من الله في جميع الخلق مع كونه تعالى مطلق الوصف بها ولا يصح في هذه الصفات الاستعارة ألا مجازاً كما قلنا من حيث انه تعالى كان بهذه الصفات وما كنا فلما كنا بها لا انا أكتسبناها ولا أستعريناها منه فانها صفة قديمة لله أي نسبة أنصف بها الحق ولا عالم والصفة لا بد لها من موصوف بها فانها من حقيقتها لان تقوم بنفسها ويؤدي القول بأستعارتها إلى قيامها بنفسها وإلى خلو الحق عنها وإلى ان يكون الحادث محلاً لوجود القديم فيه وهذا كله مالا يقول به أحد من العلماء بالله فجميع ما يظهر من الانسان من مكارم أخلاق وسفاسف أخلاق كلها في جبلته وهي له حقيقة لا مجاز ولا معارة كما انه سبحانه جميع ما سمى به الحق نفسه لا وما وصف به

نفسه من صفات الأفعال من خلق وأحياء وأماته ومنع وعطاء وجعل ومكر وكيد وأستهزاء وفصل وقضاء وجميع ما ورد في الكتب المتزلة ونطقت به الرسل من ضحك وفرح وتعجب وتبشيش وقدم ويد ويدين وأيدو أعين وذراع كل ذلك نعت صحيح فانه كلامه تعالى عن نفسه وكلام رسله عنه وهو الصادق وهم الصادقون بالأدلة العقلية ولكن على حد ما يعلمه وعلى حد ما تقبله ذاته وما يليق بجلاله لا يزد شيئاً من ذلك ولا نحيله ولا نكفيه ولا نقول بنسبة ذلك كله إليه كما ننسبه إلينا نعوذ بالله ما نسبته إلى ما نسبته إلى نفسه ومن رد شيئاً أثبتته الحق لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله فقد كفر بما جاء به من عند الله وبمن جاء به وبالله ومن آمن ببعض ذلك ورد بعضه فقد كفر حقاً ومن آمن بذلك وشبهه في نسبة ذلك إليه تعالى مثل نسبتها إلينا أو توهم ذلك أو خطر على باله أو تصوره أو جعل ذلك ممكناً فقد جهل وما كفر هذا هو العقد الصحيح من غير ترجيح غير ان ثم أسماء تطلق على العبد ولا تطلق على الجناب الألهي وان كان المعنى يشمل ذلك كالبخيل يطلق على العبد ولا يطلق على الحق وهو منع ومن أسمائه المانع ومن بخل فقد منع هذا هو الحق غير انا نلتمس له وجهها وهو ان نقول كل بخل منع وما كل منع بخل فمن منع المستحق حقه فقد بخل والحق قرر قول موسى ان الله أعطي كل شيء خلقه فما بخل عليك من أعطاك خلقك ووفاك حقك فمنع مالا يستحقه الخلق ليس بمنع بخل فبهذا القدر نجعل التفرقة بين المنعين وكذلك أسم الكاذب مما أختص به العبد ولا ينبغي ان يطلق على الحق فهو الصادق بكل وجه كما ان العبد صادق وكاذب وصادق أيضاً بكل وجه ولكن نسبة الصدق إلى العبد بكل وجه معروف عندنا لعلمنا بنا ونسبتها إلى الحق مجهولة لنا

فهو الصادق كما ينبغي ان يضاف إليه الصدق وقال تعالى "الرحمن على العرش أستوى" وقال "يتزل ربنا السماء الدنيا" كل ليلة فقيد نزوله بالزمان والتقيد بالزمان تقييد بالانتقال وكل ذلك مجهول النسبة ثابت الحكم متوجه كما ينبغي لجلاله وكذلك الاسم الجاهل من أسماء الكون ولا يليق بالجناب الألهي فالأله عالم من حيث انه موصوف بالعلم والعلم والعبد عالم من حيث انه موصوف بالعلم وجاهل من حيث خصوص تعلق علمه ببعض الأشياء دون بعض والحق مطلق العلم عام التعلق وقد قال تعالى "ونحن أقرب إليه من حبل الوريد" فحدد خلاف المعقول وأشارت السوداء ان الله في السماء حين قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أين الله وأثبت لها الايمان في أشارتها وهذا خلاف دليل العقل فقد عرف من الله ما لم نعرف ومع هذا فنقول ان الله هو العالم بنفسه وهو الصحيح فما من أسم تسمى العبد به ولم يتسم الحق به وكان في الخلق نعت نقص وسفاه خلق ألا والعقل والحق قد منع ان يطلق على الله ذلك الاسم أو ينسب إليه ذلك الخلق ومع هذا فانه يخبر بأمور وفصول تقابل أدلة العقول فهو الفعال لما يشاء والفاعل في خلقه ما يشاء لا احتكام عليه وهو الحاكم لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وقد نبهناك على أمر جليل وعلم عظيم وسر غامض خفي لا يعلمه ألا الله ومن أعلمه من المخلوقين أحاله عقل وورد به نقل وبعد عنه فهم وقبله فهم فان تدبرت فصول هذا الباب وقفت على لباب المعرفة الألهية وتحققت قوله صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه عرف ربه وقد أوجدتك انك محل لكل صفة محمودة ومذمومة ثم أعلمتك معنى الحمد والذم وحددتك وأطلقتك ذلك لتعلم انك العالم الذي لا يعلم وهو سبحانه العالم الذي يعلم ولا يعلم فلا يعلم ما هو العبد عليه وأعني بالعبد العالم كله والانسان ألا الله تعالى هو يعلمه ثم أعلم بعض عبيده فمنا من علم نفسه ومنا من جهل نفسه ومنا من تخيل انه علم نفسه ومنا من علم من نفسه بعض ما هو عليه في نفسه وبذلك القدر ينسب إليه انه علم من ربه فانه من عرف نفسه عرف ربه وكما لا يجتمع الدليل والمدلول لا تجتمع انت وهو في حد ولا حقيقة فانه الخالق وانت المخلوق وان كنت خالقاً وهو المالك وانت المملوك وان كنت مالكاً فلا يحجبك الاشتراك في الأخلاق فانك المخلوق وهو الخالق فهذا

مقام الخلق قد ابتته وما عدا هذا مما تشير إليه الصوفية من التخلق فهو تلفيق من الكلام وقولهم في التخلق بالاسماء كذلك ونحن قد أطلقنا مث ما أطلقوه ولكن عن علم محقق وأطلاق مطلق بأدب ألهي عن تحقق فهو في الحقيقة خلق لا تخلق كما أفهمتكم وأكثر من هذا الأيضاح والبيان الذي يطلبه هذا المقام فلا يكون فانا ما تعدينا فيه حدود الله في عبارتنا ولا ذكرنا شيئاً ما نسبته إلى نفسه فما خرجنا عن كلامه وما انزله على الصادقين من عبادته وهو الحكيم العليم بل هو العليم الحكيم وهو العليم ولا عالم وهو الحكيم في ترتيب العالم فالعالم والعليم أعم والحكيم تعلق خاص للعلم فهذا هو التحقق بالخلق الألهي وأما الأخلاق التي تحتاج إلى معرفتها أهل السلوك وكنا سالك أذ لاتصح نهاية فهو ان تقول ان العرف والشرع قد وردا بمكارم الأخلاق وسفساف الأخلاق وأمر ناباتيان مككاهما وأجتنب سفسافها ثم ان الشرع قد نبه على انما على قسمين من الأخلاق ما يكون في جبلة الانسان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأشج أشج عبد القيس ان فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والاناة وفي لفظ آخر لغير مسلم فقال الرجل يا رسول الله أشيء جبلت عليه قال نعم قال الحمد لله الذي جبلني عليهما أو كما قال ومنها مكتسبة فالمكتسب هو الذي يعبر عنه بالتخلق وهو التشبه بمن هي فيه هذه الأخلاق الكريمة جبلة في أصل خلقه ولا شك ان أستعمال مكارم الأخلاق صعب لملاقة الضد في أستعمالها في الكون فان الغرضين والأرادتين من الشخصين إذا تعارضتا وطلب كل واحد منهما منك ان تصرف معه كريم خلق بقضاء غرضه ولا يتمكن لك الجمع بينهما فمهما أرضيت الواحد أسخطت الآخر وإذا تعذر الجمع وأستحال تعميم الرضى وتصريف الخلق الكريم مع كل واحد منهما تعين على الانسان ان يخرج عن نفسه في ذلك ويجعل الحكم فيه للشرع فيتخذ هذا الباب ميزاناً وأماماً فأجعل أمامك ما يرضي الله وفيما يرضي الله ولتصرف خلقك الكريم مع الله خاصة فهو الصاحب والخليفة وهو أولى ان

يعامل بمكارم الأخلاق فما قدمه الله قدمه فان ذلك التقديم هو تصرف الحق لذلك الخلق مع ذلك العبد وفي ذلك الحل فتصريف خلقك مع الله أولى من تصريفه مع الكون بل هو واجب لا أولى فان جميع الخلق من الملائكة والرسل والمؤمنين يحمدونك على ذلك الفعل ولخلق الذي عاملت به ذلك الشخص الذي قدمه الحق وأوجب عليك ان تعامله به وما يذمك فيه ألا صاحب ذلك الغرض إذا لم يكن مؤمناً ومراعاة الأصل أولى وإذا لم تتخلق بمكارم الأخلاق على ما رسمته لك لم يصح لك هذا المقام ويذمك فيه كل مخلوق ألا ترى شاهد الزور فانه أول من يتجرع عنده ولا يعتقد فيه ويذمه في باطنه من شهد له وقد أسخط الله وملائكته ورسله والمؤمنين وليست مكارم الأخلاق ألا ما يتعلق منها بمعاملة غيرك لا غير وما عدا ذلك فلا يسمى مكارم خلق وانما هي نعوت يتخلق بها لتصحيح الصورة أو النسبة لا غير هذا هو ربط هذا الباب في السالكين والمخلصين سعادة ألا بدو تفاصيل تصارييف الأخلاق مع الموجودات تكثر لو بينها وكيفياتها لم يحصرها كتاب وبعد ان أعطيناك أصلاً فيها تعتمد عليه فأعمل به وهو ان تنظر إلى حكم الشرع في كل حركة منك في حق كل موجود فتعامله بما قال لك الشارع عامله به على الوجوب أو الندب ولا تتعداه تكن في ذلك محمود النقية مأموناً معظماً عند الله صاحب نور ألهي نكتة فان كنت فعلاً بالهمة أرضيت جميع الموجودات عنك أذ كان لك التصرف في الكل وهو مقام عزيز يعلم ويعقل ولكن ما حصله أحد من خلق الله فهو مخصوص بالحق ولا يظهر به الحق ألا إذا أخذ أهل النار منازلهم وأهل الجنة منازلهم رضى الكل بما هم فيه بأرضاء الحق فلا يشتهي واحد منهم يخرج عن منزلته وهو بما مسرور وهو سر عجيب ما رأينا أحد انبه عليه من خلق الله وان كانوا قد علموه بلا شك وما صانوه والله أعلم ألا صيانة لانفسهم

ورحمة بالخلق لان الانكار يسرع إليه من السامعين ووالله ما نبهت عليه هنا ألا لغلبة الرحمة على في هذا الوقت فمن فهم سعدو من لم يفهم لم يشق بعدم فهمه وان كان محروماً والسلام

الباب الخمسون ومائة في معرفة مقام الغيرة التي هي الستر وأسراره

ووصفنا الله بها أعجب

ما أعجب الغيرة في العالم

ما قرر الشرع وما نذهب

وقولنا الله غيور على

من أصعب الأمر الذي ينسب

وقد قبلناه ولكنه

فرض محال عينه ينصب

وانه من حيث أفكارنا

وشان رب الكشف لا يحجب

والكشف مثل الشرع في قوله

من أجلها عقولهم تهرب

والأمر حق وهو أعجوبة

ان لها حكماً وذا أصعب

قد جعل الشبلي في حكمه

ضرب مثال عندنا يضرب

وهو من أهل الكشف في علمنا

على الذي يعطيهم المذهب

وعند أهل الفكر في زعمهم

وهي إلى حكم العمى أقرب

بانها من عالم زلة

أعلم أيدينا الله وإياك بروح منه ان الغيرة نعت ألهي ورد في الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في سعدان سعداً لغيور وانا أغير من سعدو والله أغير مني ومن غيرته حرم الفواحش وفي هذا الحديث مسألة عظيمة بين إلا شاعرة والمعتزلة وهو حديث صحيح فالغيرة أثبتها الايمان ولكن بأداة مخصوصة وهي اللام الأجلية أو من أو الباء وتستحيل بأداة على وهي التي وقعت من الشبلي أما غلطة وأما قبل ان يعرف الله معرفة العارفين فالغيرة في طريق الله هي الغيرة لله أو بالله أو من أجل الله والغيرة على الله محال فتحقيق كونها نعتاً إلهياً وهو نعت يطلب الغير ولذا سميت غيرة فلولا ملاحظة الغير ما سميت غيرة ولا وجدت فيلأ له القادر يطلب المألوه المقدور وهو الغير فلا بد من وجود ما يطلب الإله وجود فأوجده العالم على أكمل ما يكون الوجود فانه لا بد ان يكون كذلك لاستحالة إضافة النقص في العالم لما كمل العالم فمن كمال العالم وجود النقص الإضافي فيه فلذلك قلنا انه وجد على أكمل صورة بحيث انه لم يبق في الإمكان أكمل منه لانه على الصورة الإلهية ورد في الخبر ان الله خلق آدم على صورته فكان في قوة الانسان من أجل الصورة ان ينسى عبوديته ولذلك وصف الانسان بالنسيان فقال في آدم فنسى والنسيان نعت إلهي فما نسى إلا من كونه على الصورة فما زلنا مما كنا فيه قال تعالى "نسوا الله فنسيهم" كما يليق بجلاله فلما علم الحق ان هذا العبد بما كمله الله به من القوة الإلهية بالصورة الكمالية لا بد ان يدعى في نعوت ما هو حق لله لطلب الصورة الكمالية لذلك النعت وهو من بعض النعوت الإلهية فغار الحق من المشاركة من بعض نعوت الجلال وشغل الانسان بما أباح له من باقي النعوت الإلهية فلم علم

أيضاً انه لا يوقف عند ذلك وانه لا بد ان يعطي الصورة الكمالية حمقها في الإتصاف بالنعوت الإلهية وانها تتعدى ما حجر عليها مثل العظمة والكبرياء والجبروت فقال الكبرياء ردائي والعظمة ازارى من نازعني واحداً منهما قصمته وقال "كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار" فهذا هو عين الغيرة غار على هذه النعوت ان تكون لغير الله فحمجرها وكذلك تحجرت على الحقيقة بقوله "كذلك يطبع الله كل قلب متكبر جبار" فلا يدخل مع هذا الطابع قلب كون من الأكوان تكبر على الله ولا جبروت لأجل هذا الطبع فعلم كل من أظهر من المخلوقين دعوى الإلهية كفرعون وغيره وتكبر وتجر كل ذلك في ظاهر الكون وهذا الذي ظهرت منه صفة الكبرياء مطبوع على قلبه ان يدخل فيه الكبرياء على الله فانه يعلم نت نفسه افتقاره وحاجته وقيام الآلام به من ألم جوع وعطش وهواء ومرض التي لا تخلو هذه النشأة الحيوانية عنه في هذه الدار وتعذر بعض الأغراض ان تنال مرادها وتألمه لذلك ومن هذه صفته من المحال ان يتكبر في نفسه على ربه فهذا معنى الطابع الذي طبع الله على قلب المتكبر الذي يظهر لكم به من الدعوى الجبار يجبركم على ما يريد فمنكم المطيع والمخالف ولو هلك بمخالفته ولهذا يجرى حكم السعادة في المآل ولو بعد حين فان القلوب ما يدخلها كبرياء على الله لكن يدخلها بعضهم على بعض قال تعالى لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس وإذا علمت الساء انها أكبر من خلق الناس كانت موصوفة بالكبرياء على الناس وذلك الكبرياء لا يقدح فيها فهذا معنى الغيرة الإلهية فلا رافع لما حمجره فلا يتكبر على الله فيما بينه وبين الله أحد من خلق الله هذا محال وقوعه والقدر الذي وقع عليه التحجير الظاهر عليه وقع الذم لمن انتهكه وأضافه إلى نفسه وكذبوا على الله فيه وأما الغيرة لله ومن أجل الله وبالله فهو ان يرى الانسان ما حمده الحق ان يتعداه لخلق فيقوم به صفة الغيرة لله لا لنفسه ومن أجل الله لا من أجل نفسه

إذ علم ان الخلق عبيد الله وانه من حكم العبد ان لا يتعدى حد ما رسم له سيده وأما ان يغار على الله فان الغيرة ستر يحجب المغار عليه حتى لا يكون إلا عنده خاصة وطريق الله مبني على ان ندعو الخلق إلى الله وان نردهم إليه ونحبهم إليهم ونعرفهم به وبمكانته وبهذا أمرنا والغيرة الكونية تأبى ذلك كله لجهلها بالمغار عليه الذي لا يستحق الغيرة عليه ولولا الوقوع فيمن انتمى إلى الله وجهل بعض ما ينبغي لله وقصد بذلك الخير ولكن ما علم طريقه وإلا كنا نذكر جهل هذا القائل بالغيرة على الله ولكن يكفي تنبيهنا على ان هذا ليس بصحيح وانما التبس على مثل هؤلاء الغيرة لله بالغيرة على الله وما علموا ما بينهما من الفرقان ذكر في باب الغيرة القشيري في رسالته عن بعضهم انه قيل له متى تستريح قال إذا لم أر له ذاكراً وليس هذا بغيرة فالقشيري أخطأ حيث جعل مثل هذا في باب الغيرة من كتابه وتخيل أب الشبلي في حال رؤية الذاكرين الله على الغفلة وبعدم الحرمة مثل ما يذكره بلغو الايمان والايان الفاجرة وذكر الله في طلب المعاش في الأسواق فغار ان يذكر بهذه الصفة لما لم يوف المذكور حقه من الحرمة عند الذكر والشبلي ما يبعد ان يكون هذا قصده بذلك القول في بدء أمره وفي وقت حجابته عن معرفة ربه وأما مع المعرفة فلا يكون هذا يعني قوله إذا لم أر له ذاكراً وان معنى ذلك عندنا في حق كبرياء العارفين ان الذكر لا يكون مع المشاهدة فلا بد للذاكر ان يكون محجوباً وان كان الله جليس الذاكر ولكنه من وراء حجاب الذكر يتجلى المذكور فلذلك قال انما أستريح إذا لم أر له ذاكراً فطلب ان تكون مشاهدته تمنعه عن إدراك الذاكرين أو تمنى للذاكرين ان يكونوا في مقام الشهود الذي يمنعهم منالذكر إذ المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه على هذا يخرج قول هذا الرجل ان كان من العارفين وعلى ذوق آخر وهو ان لا يستريح إلا إذا رأى ان الذكر هو الله لا الكون إذا كان الحق لسانه كما هو سمعه وبصره ويده فيستريح لانه رأى انه قد ذكره من يعلم كيف يذكره إذ كان هو الذاكر نفسه بلسانه عبده فاستراح عندذلك فلم يرى له ذاكراً غيره وأما غيره الرسول وأكابر الأولياء فغيرهم لله كما قلنا وهي غيرة أدب

والغيرة كتمان ما ينبغي ان يكتتم لعدم إحترامه لو ظهر عند من لا يقدر قدره كما قال تعالى وما قدروا الله حق قدره فمن الغيرة ستر مثل هذا ومن الغيرة الإلهية ستره لضئائه من أهل الخصوص في كنف صونه فلا يعرفون ذلك رحمة بالخلق فانه تعالى لو أبدى مكانتهم ورتبتهم العلية لمن علم منه انه لا بد ان يجري الأذى على يديه في الحق هذا المقرب المجتبي ثم جرى منه ذلك الأذى في حقه لكان عدم احترام لجناح الإلهي حيث لم يعظم ما عظمه الله فسترهم عن العلم بهم فما احترامهم وآذوهم لجهلهم بهم وذلك لما قدره الله ولهذا تسأل هذا الذي آذى ذلك العبد المقرب من نبي أو صديق فتقول له من غير تعيين ما عندك في أولياء الله فيجمد عنده من الحرمة لهم والتبرك بذكرهم والخضوع تحت أقدامهم لو وجدهم فإذا قلت له هذا منهم وهو منهم لم يقيم عنده تصديق بذلك ولو جئته بأمر معجز وكل آية ما قدر يعتقد ان ذلك آية ولا أعطته علماً فما آذى إلا من جهل لا من علم ومما يؤيد ما ذكرناه انه لو حسن الظن بشخص وتحيل انه من أولياء الله وليس كذلك في نفس الأمر عظمه واحترمه هذا في فطرة كل مخلوق فما قصد أحد انتهاك حرمة الله في أوليائه وهذا من غيرة الحق فان قلت فقد آذوا الله مع علمهم بانه الله قلنا في الجواب عن ذلك ما علموا ان ذلك أذى وانهم تأولوا فأخطوا في نفس الأمر لحكم الشبهة التي قامت لهم وتحيلوا انها دليل وهي في نفس الأمر ليست كذلك وهذه كلها من الحق في عبادته أمور مقدرة لا بد من وقوعها فمن غيرته حجاجهم عن العلم به وبالحفاصة من عبادته فجناب الله وأهل الله على الإطلاق مكرمون ما لم تعين أو يتأول فاعلم ذلك

الباب الحادي والخمسون ومائة في معرفة مقام الترك الغيرة وأسراره

من يوق شح نفسه فهو الذي	بنوره في كل أمر يهتدي
وغيرة العبد إذا حققتها	شح طبعي من أسباب الردى
وغيرة الاحق إذا علمتها	من رؤية الغير ولا غير بدا
فلا تقل بغيرة فانها	مشتقة من غير فاتركها سدى
وأين عين الغير وهو عدم	فاسلك هديت الرشد أسباب الهدى
وانسب إلى البارى ما قال وما	جاء به شرع ولكن ابتدا
مما لو ان العقل يبقى وحده	ما قال معتقداً وقدا
فان يكون بعد سؤال قاله	فهو دواء وهو بالبرهان دا
فالحق ما قرره الشرع ولو	دل على كل محال وبدا
فالمؤمن الحق بهذا مؤمن	وكل من أوله قد اعتدى
لانه ظن وبعض الظن قد	يكون إثما قائداً نحو الردى

إذا اقتضى نظر العبد العارف ظهور الحق في أعيان الممكنات الثابتة وانها ما استفادت منه الوجود وانما استفادت منه ما ظهر مما هي عليه من الحقائق عند ظهوره فيها فأعطته كل وصف ونعت اتصف به مما تضيفه بطريق الحقيقة إلى الانسان أو العالم كيفما شئت قلت ومن جملة النعوت الغيرة المحكوم بها في نسبة ما ظهر به الظاهر لظهور آخر لحكم آخر من عين آخر فإذا كان العين واحدة فلا غيرة إذا نزلت عن هذا النظر إلى قوله ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها وقوله والله خلقكم وما تعملون لم يصح وجود الغيرة فان الغيرة متعلقها النسب أو قل الأعمال وهي كلها لله فعلى من تقع الغيرة وما هو ثم إذب كانت النسب والأعمال كلها لله والغيرة المعلومة الظاهرة في الكون شح طبيعي والشح في ذلك الجنب العالي وفي الأرواح العلى لا يصح فإذا ظهرت فمن النفس الحيوانية ولهذا توجد الغيرة في الحيوانات وأصلها ضيق الملك وفقد الغرض فالكرم المطلق لا يكون معه غيره أصلاً

الباب الثاني والخمسون ومائة في مقام الولاية وأسرارها

ان الولاية عند العارفين بها	نعت اشتراك ولكن فيها اشراك
حبالة نصب للعارفين بها	صيد العقول وسيف الشرع بتاك
والعبد ليس له في حكمها قدم	وكيف يقضي بشئ فيه إشراك
ان تتصروا الله ينصركم فقد نزلت	وعين تحقيقها ما فيه إدراك
وما إلهة بمحتاج لنصرتنا	وقد أنتكم به رسل وأملاك
فسلمنه إلى من جاء منه وقل	العجز عن درك الإدراك ادرك

الولاية نعت إلهي وهو للعبد خلق لا تخلق وتعلقه منالطرفين عام ولكن لا يشعر بتعلقه عموماً من الجنب الإلهي وعموم تعلقه من الكون أظهر عند الجميع فان الولاية نصر الولي أي نصر الناصر فقد تقع لله وقد تقع حمية وعصية فلذلك هو عام التعلق ولما كان هذا النعت للاله كان عام التعلق وهكذا كل نعت إلهي لا بد ان يكون عام التعلق وان لم يكن كذلك فليس بنعت إلهي لكن بعض النعوت مثل نعت الولاية لا ينسب الله لنفسه إلا بتعلق خاص للمؤمنين خاصة والصالحين من عباده وهو ذو النصر العام في كل منصور ولما كان نعتاً ألهياً هذا النصر المعبر عنه بالولاية وتسمى سبحانه به وهو أسمه الولي وأكثر ما يأتي مقيداً كقوله الله ولي الذين آمنوا سري في كل ما ينسب إليه ألهية مما ليس باله ولكن لما تقرر في نفس المشرك ان هذا الحجر أو هذا الكوكب أو ما كان من المخلوقات انه أله وهو مقام محترم لذاته تعين على المشرك احترام ذلك المنسوب إليه لكون المشرك يعتقد ان تلك النسبة إليه صحيحة ولها وجه ولما علم الله سبحانه ان المشرك ما احترام ذلك المخلوق ألا لكونه ألهاً في زعمه نظراً الحق إليه لانه مطلوبه فإذا وفي بما يجب لتلك النسبة من الحق والحرمة وكان أشد احتراماً لها من الموحد وتراعى الجمعان كانت الغلبة للمشرك على الموحد أذ كان معه النصر الألهي لقيامه بما يجب عليه من الاحترام لله وان أخطأ في النسبة وقامت الغفلة والتفريط في حق الموحد فخذل ولم تتعلق به الولاية لانه غير مشاهد لأيمانه وانما قاتل ليقال فما قاتل لله فان الله يقول وكان حقاً علينا نصر المؤمنين فأني شخص صدق في احترام الألوهية وأستحضرها وان أخطأ في نسبتها ولكن هي مشهوده كان النصر الألهي معه غيرة ألهية على المقام الألهي فانه العزيز

الذي لا يغلب فما جعل نصره واجباً عليه للموحد وانما جعله للمؤمن بما ينبغي للألوهية من الحرمة و وفي بها من وفي وهذا من أسرار الولاية التي لا يشعر بها كل عالم فان هذا لسان خصوص وأما لسان العموم في هذه الآية وهو نصر المؤمنين فنقول ان الموحد إذا أخلص في إيمانه وثبت نصر على قرنه بلا شك فإذا طرأ عليه خلل ولم يكن مصمت الايمان وتزلزل خذله الحق وما وجد في نفسه قوة يقف بها لعدوه من أجل ذلك الخلل فانهزم فلما رآه عدوه منهزماً تبعه وظهرت الغلبة للعدو على المؤمن فما نصر الله العدو وانما خذل المؤمن لذلك الخلل الذي داخله فلما خذله لم يجد مؤيداً فانهزم بالضرورة يتبعه عدوه فما هو نصر للعدو وانما هو خذلان للمؤمن لما ذكرناه هذا لسان العموم في هذه المسئلة فالولاية من الله عامة في مخلوقاته من حيث ما هم عبيده وبهذه الولاية تولاهم في الإيجاد ولما كان متعلق الولاية المؤمنين لذلك أشهدهم على انفسهم "ألست بربكم قالوا بلى" ولم يقل لهم ألست بواحد لعلمه بانه إذا أوجدتهم أشرك بعضهم ووجد بعضهم وأجتمعوا في الأقرار بالربوبية له وزاد المشرك الشريك ثم انه سبحانه من عموم ولايته ان تولاهم بالوجود في أعيانهم ويحفظ الوجود عليهم وبتمشية أغراضهم وتولاهم بما رزقهم مما فيه قوام عيشهم ومصالحهم عموماً ووفق من وفق منهم بولايته لوضع نوااميس جعلها في نفوسهم من غير تنزل الذي هو الشرع فوضعها حكماء زمانهم وذوو الرأي منهم العلماء بما يصلح العالم فتولاهم سبحانه بان قرر في انفسهم ما ينبغي ان تكون به المصلحة لهم مراعاة لكل جزء منهم فان كل جزء من العالم مسبح لله تعالى من كافر وغير كافر فان أعضاء الكافر كلها مسبحة لله ولهذا يشهد عليه يوم القيامة جلده وسمعه وبصره ويده ورجله غير ان العالم لا يفقهون هذا التسبيح وسريان هذه العبادة في الموجودات وهذا من توليه سبحانه ثم انه تولاهم بانزال الشرائع الصادقة المعرفة بمصالح الدنيا والآخرة ثم تولاهم بما أوجد من الرحمة فيهم التي يتعاطفون بها بعضهم على بعض في الوالدين بأولادهم في تربيتهم وبالأولاد على والديهم من البر بهم والأعتماد عليهم وبما جعل من شفقة المالكين على مملوكهم وعلى ما يملكونه من الحيوانات وتولي الحيوان بما جعل فيهم من عطف الأمهات على أولادها في كل حيوان يحتاج الولد إلى تدبير أمه وتولاهم بالأغراض ليهون عليهم المشقات ويسمى مثل هذا تسخييراً فيخرج الشخص لنيل غرضه فيما يزعم وهو من حيث التولي الألهي ما خرج ألا في حق الغير وهو يتوهم انه في

حق نفسه كالتجار وأمثالهم فألقي في نفس التاجر المسافر طلب الربح في تجارته فقام طيباً نشيط النفس وأشتري من البضاعات ما يحتاج إليه أهل ذلك البلد الذي يقصده فيجوب الأمصار ويركب البحار ويتعدى الأماكن القريبة من أجل حاجة أهل البلد الذي يقصده بما جعل الله في قلبه من ذلك بولايته فإذا وصل إلى ذلك البلد باع بريح أو خسارة ونال أصحاب تلك المدينة أغراضهم ووصلوا إلى حوائجهم وهذا المسخر يتخيل في نفسه انه ليس بمسخر وانما سافر ليكسب فلو خرج بنية التسخير وجعل الكسب تبعاً كان مستريح الخاطر ان كسب وان لم يكسب فلهذا قلنا ان ولاية الله عامة التعلق لا تختص بأمر دون أمر ولهذا جعل الوجود كله ناطقاً بتسبيحه عالماً بصلاته فلم يتول الله ألا المؤمنين وما ثم المؤمن والكفر عرض للانسان بمجيء الشرائع المترلة ولولا وجود الشرائع ما كان ثم كفر بالله يعطي الشقاء ولذلك قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً وما جاءت الشرائع ألا من أجل التعريف بما هي الدار الآخرة عليه ولو كانت مقصورة على مصالح الدنيا لوقع الأكثفاء بالنواميس الحكمية المشروعة التي ألهم الله من ألهم من عباده لوضعها لوجود المصالح فهذه ولاية الحق وأسرارها وهي الولاية العامة وولاية الولاية الكونية البشرية والملكية منها ويكفي هذا القدر ولما جعلهم الله أولياء بعضهم لبعض فقال في المؤمنين "بعضهم أولياء بعض المؤمنات" وقال "والذين كفروا بعضهم أولياء بعض" فجعل الولاية بينهم تدور قال عن نفسه "والله ولي المتقين" لانه قال "والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت" من طغى إذا

أرتفع وقال في حق نفسه رفيع الدرجات وهم يعتقدون في الطاغوت الألوهية كما تقدم فلذلك رفعوه فما عبدوا إلا الرفيع الدرجات والله عليم حكيم فأجعل بالك وتدبره تعثر على قوله "وقضى ربك ان لا تعبدوا إلا إياه" انتهى الجزء الرابع ومائة

الجزء الخامس ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثالث والخمسون ومائة في معرفة مقام الولاية البشرية وأسرارها

من صورة الحق نلنا من ولايته	جميعها فلنا في الحرب أقدام
لنا الخلافة في الدنيا محققة	وما لها في جنان الخلد أحكام
انا على النصف من جناتنا أبداً	وما لنا في كثيب العين أقدام
وهو الكمال كمال الذات يجمعنا	فيه أبتهاج بنا ما فيه آلام
ودار دنياك أمراض وعافية	تعصي الأوامر فيها وهو علام
يقول أفعل فلا تسمع مقالته	ولا ترى منه عند النقض أبرام
لذاك قلنا فلم تسمع مقالتنا	وفيه الله أتقان وأحكام
لو قال من قال كن بنعت خالقه	بدت لعينك أرواح وأجسام
لذاك خص من الألفاظ لفظة كن	لها الوجود وما في الكون أعدام

الولاية البشرية قوله تعالى "ان تنصروا الله" وقوله أمراً "كونوا انصار الله" فعلمنا انه لو لم يكن ثم مقابل لوجود الحق ولوجود وجوده يطلبنا ذلك المقابل بالنصر لنكون في قبضته وملكه على وجود الحق ما قال الله لنا "كونوا انصار الله" على هذا المقابل المنازع وهذه تعرف بالمقابلة المعقولة ولما كان الحق تعالى له صفة الوجود وصفة وجوب الوجود النفسي وكان المقابل يقال له العدم المطلق وله صفة يسمى بها المحال فلا يقبل الوجود أبداً لهذه الصفة فلاحظ له في الوجود كما لاحظ للوجوب الوجودي النفسي في العدم ولما كان الأمر هكذا كنا نحن في مرتبة الوسط نقبل الوجود لذاتنا ونقبل العدم لذاتنا ونحن لم نقبل عليه فيحكم فينا بما يعطيه حقيقته ونكون ملكاً له ويظهر سلطانه فينا فصار العدم المحال يطلبنا ان نكون ملكاً له وصار الحق الواجب الوجود لنفسه يطلبنا لنكون ملكه ويظهر فينا سلطانه ونحن على حقيقة نقبل بها الوصفين ونحن إلى العدم أقرب نسبة منا إلى الوجود فانا معدومون ولكن غير موصوفين بالمحال لكن نعتنا في ذلك العدم الإمكان وهو انه ليس في قوتنا ان ندفع عن نفوسنا الوجود ولا العدم لكن لنا أعيان ثابتة متميزة عليها يقع الخطاب من الطرفين فيقول العدم لنا كونوا على ما اتم عليه من العدم لانه ليس لكم ان تكونوا في مرتبتي ويقول الحق لكل عين من أعيان الممكنات كن فيأمره بالوجود فيقول الممكن نحن العدم قد عرفناه وذقناه وقد جاء أمر الواجب الوجود بالوجود وما نعرفه وما لنا فيه قدم فتعالوا ننصره على هذا المحال العدمي لنعلم ما هذا الوجود ذوقاً فكانوا عند قوله كن فلما حصلوا في قبضته لم يرجعوا بعد ذلك إلى العدم أصلاً لحلاوة لذة الوجود وحمدوا رأيهم ورأوا بركة نصرهم الله على العداء المحال

فالعالم من حيث جوهريته ناصر لله فهو منصور أبداً وجماءت الأعراض فقبلت الوجود فلما ذاقته وعلمته دعاها العدم إلى نفسه وقال لها إلى مردك لانك عرض ولا بقاء لك في الوجود إذا العارض حقيقته انه لا بقاء له فارجع إلي عن أمري فلذلك دل دليل العقل ان العرض ينعدم لنفسه إذا الفاعل لا يفعل العم لانه حكم لا شئ موجود فانعدمت الأعراض في الزمان الثاني من زمان وجودها فحصلت في قبضة العدم المحال فلم ترجع بعد ذلك إلى الوجود بل يوجد الله أمثالها فتشبهها في الحد والحقيقة وما هي أعيان تلك التي وجدت وانعدمت لإتساع الإلهي فهذه ولاية ما سوى الله والله وهذا من أسرار الولاية البشرية ومدرکها عسير فان مبناه على العلم بمراتب المعلومات فإذا فهمت هذا فاعلم ان الولاية البشرية على قسمين خكاسة وعامة فالعامة توليهم بعضهم بعضاً بما في قوتهم من إعكاء المصالح المعلومة في الكون فهم مسخرون بعضهم لبعض الأعلى للأدنى والأدنى للأعلى وهذا لا ينكره عاقل فانه الواقع فان أعلى المراتب الملك فالملك مسخر في مصالح الرعايا والسوقة والرعايا والسوقة مسخر للملك فتسخير الملك الرعايا ليس عن أمر الرعايا ولكن لما تقتضيه المصلحة لنفسه وتنتفع الرعايا بحكم التبع لا انهم المقصودون بذلك الانتفاع الذي يعود عليهم من التسخير وتسخير الرعايا على الوجهين الوجه الواحد يشاركون في الملك من انهم لا يبعثهم على التسخير إلا طلب المنفعة العائدة عليهم من ذلك كما يفعله الملك سواء والتسخير الثاني ما هم عليه من قبول أمر الملك في العسر واليسر والمنشط والمكره وبهذا ينفصلون عن تسخير الملك فهم أذلاء أبداً لا يرتفع لهم رأس مع حاجة الملوك إليهم وهذا هو القسم العام وأما القسم الخاص فهو ما لهم من الولاية التي هي النصرة في قبول بعض الأحكام الاسماء الإلهية على غيرها من الاسماء الأخر. بمجرد أفعالهم وما يظهر في أكوانهم لكونهم قابلين لآثار الاسماء فيهم فيترلون بهذه الولاية منازل الحقائق الإلهية فيكون الحكم لهم مثل ما هو الحكم للآسماء بما عليه من الاستعدادات وهذه الولاية في أصحاب الأحوال أظهر في العامة من ظهورها في أصحاب المقامات وهي في أصحاب المقامات في الخصوص أظهر من ظهورها في أصحاب الأحوال ولكن مدرکها عسير فان صاحب المقام على العادة المستمرة وهو متغير في كل زمان مع كل نفس لانه في مل نفس في شأ، إلهي لا علم لكل أحد به مع قيامه به من حيث لا يشعر فلا يحمد عليه وهذا الخاص يحمد عليه وصاحب الحال خارق للعادة فتجيد إليه

الأبصار وتقبل عليه النفوس وهو ثابت مدة طويلة على حالة واحدة لا يشعر لتغيرها عليه ويحجبه عن معرفة ذلك حبه لسلطنته التي أعطاهها الحال فهو على النقيض من صاحب المقام ولو استشعر بنقصه في مرتبته لما رغب في الحال فانه يدل على جهله ولصاحب هذا المقام أحوال مختلفة منها حال الأمانة وحال الدنو وحال القرب وحال الكشف وحال الجمع وحال اللطف وحال القوة وحال الحماسة وحال اللين وحال الطيب وحال النظافة وحال الأدب فإذا ظهر في السلطنة ارتاض وقيل فيه سلطان وإذا تجلى في الجلال تأدب فهو أديب وفي التجلي الجمال نظيف وفي تجلي العظمة طاهر ذكي قدوس وإذا تجلى في الطيب عطر عرفه وفي الهيبة جعله سيدا وفي اللطف ذوبه وفي الحسن عشقه فروحنه فلأولياء التفريع والإقبال ولهم الستور والحجاب إذا قريهم صانهم وسترهم وخباهم فجهلوا وإذا عاقبهم وليسوا بانبيااء أظهر عليهم حرق العوائد فعرفوا فحجبوا الخلق عن الله وهم مأمورون بدعوتهم إلى الله فالحق لأصحاب المقامات من الأولياء مطيع ولكلامهم سميع لهم جميع المقامات والأحوال وهم ذكران الرجال لا يلحقهم عيب ولا يقوم بهم فيما هم فيه ريب لهم الآخرة مخلصه كما هي لله ولهم الدنيا ممتزجة كما هي لسيدهم فهم بصفات الحق ظاهرون ولذلك جهلوا

الباب الرابع والخمسون ومائة في معرفة مقام الولاية الملكية

ان الولاية توقيف على الخبر

وفي ملائكة التسخير أظهرها

أما ملائكة التهيام ليس لهم

مهيمنون سكارى من محبته

الله أكرمهم الله قريهم

انى فديتم من كل حادثة

من المهيمن في الأملاك والبشر

رب العباد من أهل النفع والضرر

فيها نصيب على ما جاء في الخبر

لا ينعمون بعين لا ولا أثر

الله خصهم بالمشهد الخطر

لا يعلمون بها بالسمع والبصر

اعلم ان الملائكة ثلاث أصناف صنف مهيمن لما أوجدهم تجلى لهم في اسمه الجميل فهمهم وأفناهم عنهم فلا يعرفون نفوسهم ولا من هاموا فيه ولا ما هيهمهم فهم في الحيرة سكارى وهم الذين أوجدهم الله من أينية العما الذي ما فوقه هو أو ما تحته هو أو هم وجميع الملائكة أرواح خلقهم الله في هياكل انوار كسائر الملائكة إلا ان هؤلاء الملائكة ليس لهم من الولاية الأولوية الممكنات التي ذكرناها في شرح ان تنصروا الله والصنف الثاني الملائكة المسخرة ورأسهم القلم الأعلى وهو العقل الأول سلطان عالم التدوين والتسطير وكان وجودهم مع العالم المهيمن غير انهم حجبتهم الله عن هذا التحلي الذي هيهم أصحابهم لما أراد الله ان يهييه هذا الصنف المسخر من رتبة الامامة في العالم وله ولاية تخصه وتخص ملائكة التسخير والصنف الثالث ملائكة التدبير وهي الأرواح المدبرة للأجسام كلها الطبيعية النورية والهبائية والفلكية والعنصرية وجميع أجسام العالم ول هؤلاء ولاية أيضاً فأما ملائكة التسخير فولايتهم أعني نصرتهم للمؤمنين إذا أذنبوا وتوجهت عليهم أسماء الانتقام الإلهية وتوجهت في مقامات تلك الاسماء أسماء الغفران والعفو والتجاوز عن السيئات فتقول الملائكة ما قال الله تعالى "ويستغفرون للذين آمنوا بقولهم ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلمنا" ما يزيدون على ذلك في حمق المؤمن العاصي غير التائب اتكلاً منهم على علم الله فيما قصدوه في ذلك الكلام أدباً مع الله سبحانه حيث انه استحق جناب الله على أهل الله ان يغار من أجله ويدعي على من عصاه ولم يقم بأمره وما ينبغي لجلاله فان الملائكة أهل أدب مع الله فقالوا ربنا وسعت كل شئ رحمة بقولك ورحمتي وسعت كل سيء وهؤلاء العصاة من الداخلين في عموم لفظة كل وعلماً من قوله أحاط بكل شئ علماً فهذا مثل قول العبد الصالح الذي أخبرنا الله بقوله "ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم" فتأدب مع الله في هذا القول لما عصى قومه الله تعالى ولم يتوبوا فعلم الله منه انه تأدب مع الله وانه عرض بالمغفرة لما علم ان رحمته سبقت غضبه غير ان نفس الملائكة أقوى في الأدب لانهم أعلم بالله من هذا العبد وما ينبغي لجلال الله فلم يقولوا وان تغفر لهم وانما قالوا وسعت كل شئ رحمة وعلماً فهذا يسمى تعريض تنبيه على ان الحق بهذه المثابة كما أخبر عن نفسه فقولهم رحمة فقدّموا ذكر الرحمة لانه تعالى قدمها لما ذكر عبده خضراً فقال "أتيناه رحمة من عندنا" قبل ان يذكر ما أعطاه ثم ذكر بعد ذلك الذي أعطاه من أجل رحمته به فقال "وعلمناه من لدنا علماً" فلماذا قدمت الملائكة الرحمة وسكتت عن ذكر العصاة في دعائها فبين كلمة عيسى في حق قومه وبين دعاء الملائكة في حق العبيد العصاة من الأدب بون كثير لمن نظر وأستبصرو لهذا قام النبي محمد صلى الله عليه وسلم بهذه الآية ان تعذبهم فانهم عبادك ليلة كاملة ما زال يرددها حتى طلع الفجر أذ كانت كلمة غيره فكان يكررها حكاية وقصده معلوم في ذلك كما قيل في المثل أياك أعني فأسمعي يا جاره ولم يقم ليلة كاملة بآية قول الملائكة لان مناسبتة لعيسى

أقرب ومناسبة عيسى للملائكة أقرب لان جبريل توجه على أمه مريم في إيجاد عيسى بشراً سوياً فسلك محمد صلى الله عليه وسلم طريقاً بين طريقين في طلب المغفرة لقومه فهذا أستنصارهم الله في حق المؤمنين العصاة وأما نصرتهم بالدعاء لمن تاب منهم فهو قولهم "ربنا فأغفر للذين تابوا وأتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم" فصرخوا بذكرهم لما كان هؤلاء قد قاموا في مقام القرب الألهي بالتوبة وقرعوا بابها في رجعتهم إلى الله والملائكة حجة الحق فطلبوا من الله المغفرة لهم لما أتصفوا بالتوبة وهذا من الأدب ثم انهم لما عرفت الملائكة ان بين الجنة والنار منزلة متوسطة وهي الأعراف فمن كان في هذه المنزلة ما هو في النار ولا في الجنة وعلمت من لطف الله بعباده انه يجيب دعوة الداعي إذا دعاه فقالت الملائكة بعد قولهم "وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم" أي لا تترهم في الأعراف بل أدخلهم الجنة ومن صلح الواو هنا بمعنى مع يقولون مع من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم كما قال العبد الصالح "وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم" ولم يقل واحد منهم انك انت الغفور الرحيم أدباً مع الجنات

الألهي من الطائفتين فأجتمعوا بذكر هذين الاسمين في حضرة الأدب مع الله ثم زادت الملائكة في نصرتها للملائكة الموكلين بقلوب بني آدم وهم أصحاب اللغات ينصرونهم بدعاء على أعدائهم من الشياطين أصحاب اللغات الموكلين المساطين على قلوب العباد المنازعين لما تلقى الملائكة على قلوب بني آدم في لما تمها فقالوا وقهم السيآت نصرة للملائكة على الشياطين ثم تلطفوا في السؤال بقولهم ومن تق السيآت يومئذ فقد رحمتهم ثم من نصرتهم لمن في الأرض من غير تعيين مؤمن من غيره قول الله تعالى عنهم والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض مطلقاً من غير تعيين أدباً مع الله والأرض جامعة فدخل المؤمن وغيره في هذا الإستغفار ثم ان الله بشر أهل الأرض بقبول إستغفار الملائكة بقوله ألا ان الله هو الغفور الرحيم ولم يقل الفعال لما يريد ولهذا قلنا أيضاً ان مال عباد الله إلى الرحمة وان سكنوا النار فلهم فيها رحمة لا يعرفها غيرهم وربما تعطيتهم تلك الرحمة ان لو شئوا رائحة من روائح الجنة تضر روايها كما تضر رياح الورد والطيب بامزاجه المحرورين فهذا كله من ولاية الملائكة فعم نصرهم بحمد الله فعم الإخوان لنا وأما نصرهم المؤمنين على الأعداء في القتال فاهم يتزلون مددا بالدعاء وفي يوم بدر نزلوا مقاتلين خاصة وكانوا خمسة آلاف وفيه استرواح إذ ليس بنص بقوله وما جعله الله إلا بشري لكم فكانوا من الملائكة أو هم الملائكة الذين قالوا في حق آدم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فانزلهم في يوم بدر فسفكوا الدماء حيث عابوا آدم بسفك الدماء فلم يتخلفوا عن أمر الله وقوله لتطمئن قلوبكم به أي من عادة البشرية ان تسكن إلى الكثرة إذ كان أهل بدر قليلين والمشركون كثيرين فلما رأوا الملائكة وهم خمسة آلاف والمسلمون ثلاثمائة

والمشركون ألف رجل اطمانت قلوب المؤمنين بكثرة العدد مع وجود القتال منهم فما اطمأنوا به برؤيتهم وحصل لهم من الأمان في قلوبهم حتى غشيهم النعاس إذ كان الخائف لا ينام وما ذكر في الكثرة أكثر من خمسة آلاف لان الخمسة من الأعداد تحفظ نفسها وغيرها وليس لغيرها من الأعداد هذه المرتبة فحفظ الله دينه وعباده المؤمنين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين أي أصحاب علامات يعرفون بها انهم من الملائكة أو الملائكة الذين قالوا في حقنا نسفك الدماء فنصرونا على الأعداء بما عابوه علينا إذ أمرهم الله بذلك ولولاية الملائكة وجوه ومواقف متعددة ولكن ذكرنا حصراً المراتب التي نيه الله عليها فنصروا أسماء الله وهو أعلى المقامات ونصروا ملائكة اللغات ونصروا المؤمنين ونصروا التائبين ونصروا من في الأرض وما ثم من يكلب نصرهم أكثر من هذا فانحصرت مراتب النصر ثم ان الله أثنى عليهم بانهم يسبحون بحمد ربهم استفتاحاً إيثاراً لجناب الله ثم بعد ذلك يستغفرون وهو الذي يليق بهم

تقدم جناب الله ولهذا ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقام للناس يخطبهم الأقدم حكد الله والثناء عليه ثم بعد ذلك يتكلم بما شاء ولذلك قال كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله أو قال بذكر الله فهو أحذم أي مقطوع عن الله وإذا كان مقطوع عن الله فان شاء الله قبله وان شاء لم يقبله وإذا بدئ فيه بذكر الله فكان موصولاً به غير مقطوع أي ليس بأحذم فذكر الله مقبول فالموصول به مقبول بلا شك ثم انه من علم الملائكة انهم ما يسبحون في هذه الأحوال إلا بحمد ربهم والرب المصلح ولا يرد الإصلاح إلا على فساد وما ذكر الله عنهم انهم يسبحون بحمد غيره من الاسماء الإلهية إذ قال الله "الحمد لله رب العالمين" فعلموا ان المتوجه إلى العالم انما هو اسم الرب إذ كان غالب على عالم الأرض سلطان الهوى وهو الذي يورث الفساد الذي قالته الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها فعلموا لما يقع لعلمهم بالحقائق وكذا وقع الأمر كما قالوه وانما وقع الغلط عندهم في استعجالهم بهذا القول من قبل ان يعلموا حكمة الله في هذا الفعل ما هي وحملهم على ذلك الغيرة التي فطروا عليها في جناب الله لان المولد من الأضداد المتنافرة لا بد فيه من المنازعة ولا سيما المولد من الأركان فانه مولد من مولد من مولد ركن عن فلك عن برج عن طبيعة عن نفس والأصل الاسماء الإلهية المتقابلة ومن هنالك سرى التقابل في العالم فنحن في آخر الدرجات فالخلاف فيما علا عن رتبة المولد من الأركان أقل وان كان لا يخلو ألا ترى إلى الملائكة الأعلى كيف يختصمون وما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم علم بأملاً الأعلى إذ يختصمون حتى أعلمه الله بذلك وسبب ذلك ان أصل نشأتهم أيضاً تعكس ذلك ومن هذه الحقيقة التي خلقوا عليها قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فيها ويسفك الدماء وهو نزاع خفي للربوبية من خلف حجاب الغيرة والتعظيم وأصل النزاع والتنافر وما ذكرناه من الاسماء الإلهية المحيي والمميت والمعز والمذل والضر والنافع ولا ينبغي ان يكون إله إلا من هذه أسمائه مضاف إليها مشيئته وإرادته المقيدتان بلو وهو حرف امتناع فيه سر خفي لأهل العلم بالله فإذا علمت هذا أقمت عذر العالم عند الله ولهذا كانت الملائكة تبدأ في نصرتها ودعائها بتسبيح ربها والثناء عليه بمثل هذه الاسماء تعريضاً ان أصل ما هم فيه من حقائق قوله ومن يضل الله ومن يهدي الله أي الكل بيدك وحينئذ يستغفرون إقامة لعذرهم عند الله وإلى الله يرجع الأمر كله فكل علم في العالم مستنبط من العلم الإلهي فهو العلم العام ولا يعرفه إلا نبي أو ولي مقرب مجتبي من ملك وبشر وأما النظر العقلي فانه لا يصل إلى هذا العلم أبداً من حيث فكره ونظره في الأدلة التي يستقل بها فهذا قد أريتك بعض ما هي عليه الولاية الملكية إلى ما فوق ذلك من تسخيرهم في انزال الوحي ومصالح العالم من هبوب رياح ونشئ سحاب وانزال مطر إذ بكانوا الصفات والزاجرات والتاليات والمرسلات والناشرات والفارقات والملقيات والنازعات والناشطات والساجحات والسابقات والمدبرات والمقسمات وهؤلاء كلهم من ملائكة التسخير وولاية كل صنف من مرتبته التي هو فيها وأما ملائكة التدبير وهم الأرواح المدبرة أجسام العالم المركب وهذه المدبرة هي النفوس الناطقة فان الولاية

فيها نصرتهم لله فيما جعل في أخذها به سعادتها وسعادة جسدها الذي أمرت بتدبيره فيأتي الطبع فيريد نيل غرضه فينير العقل ما حكم الشرع الإلهي في ذلك الغرض فان رآه محموداً عند الله أمضاه وان رآه مذكوماً نبه النفس عليه وطلب منها النصر على قمع هذا الغرض المذموم فساعدته فنصرت العقل بقبول الخير وذلك لتكون كلمة الله المشروعة هي العليا على كلمة الله في الذين كفروا التي هي السفلى منا مانت الصدقة بحروف السؤال واليد العليا هي المنفقة الخير من اليد السفلى وهي السائلة والمال لله سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الأرض ونحن مستخلفون فيه بل نحن الخزائن والخزانة لهذا المال فتحقق ما أوامنا إليه في هذا الباب فانه نافع جداً ومزيل جهلاً عظيماً ومورث أدباً إلهياً فيه سعادة أبدية لمن وقف عنده وفهمه وعمل به

الباب الخامس والخمسون ومائة في معرفة مقام النبوة وأسرارها

فيه النبوة حكمها لا يجهل

قسم بتشريع وذاك الأول

ما فيه تشريع وذاك الانزل

تبدو لنا الأخرى التي هي منزل

وهناك يظهر ان هذا أفضل

لله فهو نبا الولي الأكمل

بين الولاية والرسالة برزخ

لكنهما قسمان ان حقتها

عند الجميع وثم قسم آخر

في هذه الدنيا وأما عندما

فيزول تشريع الوجود وحكمه

وهو الأعم فانه الأصل الذي

النبوة نعت لإلهي يشتهر في الجناح العالي الاسم السميع ويثبت حكمها صفة الأمر الذي في الدعاء المأمور به وإجابة الحق عباده فيما يسألونه فيه فانها أيضاً من الله في حق العبد سؤال إلهي بصفة أفعول ولا تفعل ونقول نحن سمعنا وأطعنا ويقول هو سبحانه سمعت وأجبت فانه قال أجيب دعوة الداعي إذا دعاني وصيغة الأمر من العبد في الطلب اغفر لنا ارحمنا اعف عنا انصرنا واهدنا ارزقنا وشبه ذلك وصيغة النهي من العبد في الدعاء لا ترغ قوبنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين لا تخزننا يوم القيامة لا تخزني يوم تبعثون وليست النبوة بمعقول زائد على هذا الذي ذكرنا إلا انه لم يطلق على نفسه من ذلك إسماً كما أطلق في الولاية فسمى نفسه ولياً وما سمى نفسه نبياً مع كونه أخرنا وسمع ودعانا فهو من الوجهين بهذه المثابة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان الرسالة والنبوة قد انقطعت وما انقطعت إلا من وجه خاص انقطع منها مسمى النبي والرسول ولذلك قال فلا رسول بعدي ولا نبي ثم أبقى منها المبشرات وأبقى منها حكم المجتهدين وأزال عنهم الاسم أبقى الحكم وأمر من لا علم له بالحكم الإلهي ان يسأل أهل الذكر فيفتونه بما أداه إليه اجتهادهم وان اختلفوا كما اختلفت الشرائع لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وكذلك لكل مجتهد جعل له شرعة من دليله ومنهاجا وهو عين دليلة في إثبات الحكم ويجرم عليه العدول عنه وقرز الشرع الإلهي ذلك كله فحرم الشافعي عين ما أحله الحنفي وأجاز أبو حنيفة عين ما منعه أحمد بن حنبل فأجاز هذا ما لم يجوز هذا فأتفقوا في أشياء واختلفوا في أشياء وكل في هذه الأمة شرع مقرر لنا من عند الله مع علمنا ان مرتبتهم دون مرتبة الرسل الموحى إليهم من عند الله فالنبوة والرسالة من حيث عينها وحكمها ما نسخت وانما انقطع الوحي الخاص بالرسول والنبي من نزول الملك على أذنه وقلبه وتحجير لفظ أسم النبي والرسول فلا يقال في المجتهد انه نبي ولا رسول كما حجر الاجتهاد على الانبياء فيما شرعه والمجتهد وان كان يرشد الناس بما أداه إليه دليله وأجتهاده فلا يطلق عليه هذا الاسم فهو لفظ خاص بالانبياء والرسل ما هو لله ولا للأولياء بل هو إسم خاص للعبودية التي هي عين القرب من السيد وعدم مزاحمة السيد في رتبته بخلاف الولاية فان العبد مزاحم له في أسم الولي تعالى ولهذا شق على المستخلصين من العبيد انقطاع إسم النبي وإسم الرسول لما كان من خصائصها ولم يكن له في الاسم الإلهي عين وإذا كانت النبوة نعتاً إلهياً في أحكامها ومنها أوجب الحق على نفسه ما أوجب لان الوجوب للشرع ما هو لغير الشرع فقال كتب ربكم على نفسه الرحمة هذا من حكم الشرع فاعلم ذلك وتثبت في معرفة ما ذكرناه فانه سهل المرتقى صعب التزول عنه هكذا رأيته في الواقعة ليلة أرات ان أفيد هذا الباب فما تكلمنا في هذا الباب بما تكلمنا به ألا بما شاهدناه في الواقعة ورأينا فيها باب أسم الرسول والنبي مغلقاً على يميني

والمعراج بأدراجيه منه إلى الطريق الشارع الذي يمشي الناس عليه وأنا عند الباب واقف وليس فوق ذلك المقام الذي أوقفني الحق فيه مقام لأحد ألا مافي داخل ذلك المغلق الموثق الغلق ومع غلقه ما ينحجب عني ما وراءه ألا انه لا قدم لأحد فيه ألا الكشف ولقد طلع إلى شخص فلما وصل بسهولة ورآه توعر عليه التزول وحرار ولم يقدر على الثبات فيه فتركني وسلك الطريق الذي عليه جئت أنا إلى ذلك الموضع وراح وتركني راجعاً وأستيقظت على هذه الحالة فقيدت ما أودعته في هذا الباب ورأيت في هذه الليلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكره أَدْخَالَ الجنازة في المسجد ويكره أيضاً أن يستر الميت من الذكر أن بثوب زائد على كفنه وأمر أن يسلب عنه ويترك على نعشه في كفنه وأن لا يستر في تابوت أصلاً وأمرني إذا كان البرد أن أسخن الماء للغسل من الجنابة ولا أصبح على جنابة ورأيت يشكر على الجماع ويستحسن ذلك من فاعله هذا كله رأيت في هذه الليلة ورأيت أحمد بن حنبل في هذه الليلة وذكرت له أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أسخن الماء للغسل من الجنابة فقال لي هكذا ذكر البخاري انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فأمره بذلك ورأى الفربري البخاري في النوم فأمره بذلك ورأى الفربري في النوم وعلمت انه راى في النوم ورأيت انا في نومه فذكر لي ان البخاري ذكر له هذا

فعلمت انا من قول الفربري وثبت عندي وها أنا في النوم قد قلته لك فأعمل به وأستيقظت فأمرت أهلي ان يسخنوا لي ماء وأغتسلت مع الفجر وهذه كلها من النبشرات وأما النبوة التي هي غير مهموزة فهي الرفعة ولم يطلق على الله منها إسم ولها في الأله إسم رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده ولها أيضاً الاسم العلي والأعلى وهي النبوة المهموزة وهي مولدة عن النبوة التي هي الرفعة فالقصر الأصل والمد زيادة ألا ترى العرب في ضرورة الشعر تجوز قصر الممدود لانه رجوع إلى الأصل ولا تجوز مد المقصور لانه خروج عن الأصل والروح بينه تعالى وبين من شاء من عباده بالبشارة والندارة وللأولياء في هذه النبوة مشرب عظيم كما ذكرنا ولا سيما والنبي صلى الله عليه وسلم قد قال فيمن حفظ القرآن ان النبوة قد أدرجت بين جنبيه فاتها له غيب وهي للنبي شهادة فهذا هو الفرقان بين النبي والولي في النبوة فيقال فيه نبي ويقال في الولي وارث والوراثه نعت ألهي فانه قال عن نفسه انه خير الوارثين فالولي لا يأخذ النبوة من النبي ألا بعد ان يرثها الحق منهم ثم يلقئها إلى الولي ليكون ذلك أتم في حقه حتى ينتسب في ذلك إلى الله لا إلى غيره وبعض الأولياء يأخذونها وراثه عن النبي وهم الصحابة الذين شاهدوه أو من رآه في النوم ثم علماء الرسوم يأخذونها خلفاً عن سلف إلى يوم القيامة فيبعد النسب وأما الأولياء فيأخذونها عن الله تعالى من كونه ورثها وجادها على هؤلاء فهم أتباع الرسل. يمثل هذا السند العالي المحفوظ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد قال أبو يزيد أخذتم علمكم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في مثل هذا المقام لما ذكر الانبياء عليهم السلام في سورة الانعام "أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وكانوا قد ماتوا وورثهم الله

وهو خير الوارثين" ثم جاد على النبي صلى الله عليه وسلم بذلك الهدى الذي هداهم به فجعله صلى الله عليه وسلم مقتدياً بهداهم والموصل الله ونعم السند ونعم المولى ونعم النصير وهذا عين ما قلناه في علم الأولياء اليوم بهدى النبي صلى الله عليه وسلم وهدى الانبياء أخذوه عن الله ألقاه في صدورهم من لدنه رحمة بهم وعناية سبقت لهم عند ربهم كما قال في عبده خضر "آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً" وهذه النبوة سارية في الحيوان مثل قوله تعالى "وأوحى ربك إلى النحل" وكلهم بهذه المثابة فمن علمه الله منطق الحيوانات وتسبيح النبات والجماد وعلم صلاة كل واحد من المخلوقات وتسبيحه علم ان النبوة سارية في كل موجود يعلم ذلك أهل الكشف والوجود لكنه لا ينطلق من ذلك أسم نبي ولا رسول على واحد منهم الأعلى الملائكة خاصة الرسل منهم

وهم المسمون ملائكة وكل روح لا يعطي رسالة فهو روح لا يقال فيه ملك ألا مجازاً كالأرواح المخلوقة من انفاس المؤمنين
الذاكرين الله يخلق الله من انفسهم أرواحاً يستغفرون لصاحب ذلك الذكر إلى يوم القيامة وكذلك من أعمالهم كلها المحمودة التي
فيها انفسهم ولقد رأيته صلى الله عليه وسلم في مبشرة وهو يقول ويشير إلى الكعبة يا ساكني هذا البيت لا تمنعوا أحداً طاف به
وصلى في أي وقت شاء من ليل أو نهار فان الله يخلق له من صلاته ملكاً يستغفر له إلى يوم القيامة وهؤلاء كلهم أرواح مطهرة فمن
أرسل منهم في أمر سمى ملكاً

الباب السادس والخمسون ومائة في معرفة النبوة البشرية وأسرارها

مقيدين بأرواح وأشباح

بكل وجه من التشريع وضاح

بما يكون من أتراح وأفراح

ان النبوة أخبار لأرواح

لها القصور عليهم كلما وردت

وقد تكون بلا شرع مخبرة

أعلم ان النبوة البشرية على قسمين قسم من الله إلى عبده من غير روح ملكي بين الله وبين عبده بل أخبارات ألهية يجدها في نفسه
من الغيب أو في تحليلات لا يتعلق بذلك الأخبار حكم تحليل ولا تحريم بل تعريف ألهي ومزيد علم بالآله أو تعريف بصدق حكم
مشروع ثابت انه من عند الله لهذا النبي الذي أرسل إلى من أرسل إليه أو تعريف بفساد حكم قد ثبت بالنقل صحته عند علماء
الرسوم فيطلع صاحب هذا المقام على صحة ما صح من ذلك وفساد ما فسد مع وجود النقل بالطرق الضعيفة أو صحة ما فسد
عند أرباب النقل أو فساد ما صح عندهم والأخبار بنتائج الأعمال وأسباب السعادات وحكم النكالي في الظاهر والباطن ومعرفة
الحد في ذلك والمطلع كل ذلك ببيئة من الله وشاهد عدل ألهي من نفسه غير انه لا سبيل ان يكون على شرع يخصه يخالف شرع
نبيه ورسوله الذي أرسل إليه وأمرنا باتباعه فيتبعه على علم صحيح وقدم صدق ثابت عند الله تعالى ثم انلصاحب هذا المقام الاطلاع
على الغيوب في أوقات وفي أوقات لا علم له بها ولكن من شرطة العلم بأوضاع الأسباب في العالم وما يؤول إليه الواقف عندها أدباً
والواقف معها اعتماداً عليها كل ذلك يعلمه صاحب هذا المقام وله درجات الإتياع وهو تابع لا متبوع ومجكوم لا حاكم ولا بد له
في طريقه من مشاهدة قدم رسوله وإمامه لا يمكن ان يغيب عنه حتى في الكتيب وهذا كله كان في الأمم السالفة وأما هذه الأمة
الحمدية فحكمهم ما ذكرناه وزيادة وهو ان لهم بحكم شرع النبي محمد صلى الله عليه وسلم ان يسنوا سنة حسنة مما لا تحل حراماً
ولا تحرم حلالاً ومما لها أصل في الأحكام المشروعة وتسنيته إياها ما أعطاه له مقامه وانما حكم به الشرع وقرره بقوله من سن سنة
حسنة الحديث كمسئلة بلال في الركعتين بعد الإذان وأحداث الطهارة عند كل حدث وركعتين عقيب كل وضوء القعود على
طهارة وركعتين بعد الفراغ من الطعام وصدقه على وجه خاص بسنة وكل أدب مستحسن مما لم يعينه الشارع فلهذه الأمة تسنيته
ولهم أجر من عمل بذلك غير انهم كما قلنا لا يحلون حراماً ولا يجرمون حلالاً ولا يحدثون حكماً ثم لهم الرفعة الإلهية العامة التي
تصحبهم في الدنيا والآخرة والقسم الثاني من النبوة البشرية هم الذين يكونون مثل التلامذة بين يدي الملك يتزل عليهم الروح الأمين
بشريعة من الله في حق نفوسهم يتعبدون بها فيحل لهم ما شاء ويحرم عليهم ما شاء ولا يلزمهم اتباع الرسل وهذا كله كان قبل
مبعث محمد صلى الله عليه وسلم فأما اليوم فما بقي لهذا المقام أثر إلا ما ذكرناه من حكم المجتهدين من العلماء بتقرير الشرع لذلك

في حقهم فيحلون بالدليل ما اداهم إلى تحليه اجتهادهم وان حرمه المجتهد الآخر ولكن لا يكون ذلك بوحمي إلهي ولا بكشف والذي لصاحب الكشف في هذه الأمة تصحيح الشرع المحمدي ما له حكم الاجتهاد فلا يحصل لصاحب هذا المقام اليوم أجر المجتهدين ولا مرتبة الحكم فان العلم بما هو الأمر عليه في الشرع المنزل بمنعهم من ذلك ولو ثبت عند المجتهد ما ثبت عند صاحب هذا المقام من الكشف بطل اجتهاده وحرم عليه ذلك الحكم ولذلك ليس للمجتهد ان يفتي في الواقع إلا عند نزولها لا عند تقدير نزولها وانما ذلك للشارع الأصلي لئلا يراجع عن ذلك الحكم الذي حكم به في زمانه لو عاش إلى اليوم كان يبدو له خلاف ما أفتى به فيرجع عن ذلك الحكم إلى غيره فلا سبيل ان يفتي في ين الله إلا مجتهد أو بنص من كتاب أو سنة لا بقول إمام لا يعرف دليلاً وإذا كان الأمر على ما ذكرناه فلم يبق في هذه الأمة المحمدية نبوة تشريع فلا تطيل الكلام فيها أكثر من هذا ولئن تطيل الكلام ان شاء الله أكثر من هذا في باب الرسالة البشرية لتقرير حكم المجتهدين والأمر الإلهي بسؤالهم فيما جهل من حكم الله في الأشياء انتهى الجزء الخامس ومائة

الجزء السادس ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب السابع والخمسون ومائة في معرفة مقام النبوة الملكية

أوحى إليه إلى الأملاك تعبد	يأمره ما لهم في النهي من قدم
وهم عبيد اختصاص لا يقابله	ضد وقد منحموا مفاتيح الكرم
لا يعرفون خروجاً عن أوامره	ورأسهم ملك سماه بالقلم
أعطاه من علمه ما لا يقدره	خلق وان له في رتبة القدم
حكماً كما قال في العرجون خالقنا	في سورة القلب جل الله من حكم
هم انبياء أحياء بأجمعهم	بلا خلاف وهم من جملة الأمم
لكل شخص من الأملاك نرتبة	معلومة ظهرت للعين كالعلم
وهم على فضلهم على التفاضل في	تقريبهم ولهم جوامع الكلم

قال الله تعالى لإبليس استكبت أم كنت من العالين وهم أرفع الأرواح العلوية وليسوا بملائكة من حيث الاسم فانه موضوع للرسول منهم خاصة فمعنى الملائكة الرسل وهو من المقلوب وأصله مألكة والألوكة الرسالة والمألكة الرسالة فما تخص بجنس دون جنس ولهذا دخل إبليس في الخطاب بالأمر بالسجود لما قال الله للملائكة اسجدوا لانه ممن كان يستعمل في الرسالة فهو رسول فأمر الله فأبى واستكبر وقال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فالرسالة جنس حكم يعم الأرواح الكرام البررة السفرة والجن والانس فمن كل صنف من أرسل ومنه من لم يرسل فالنبوة الملكية المهموزة لا ينالها إلا الطبقة الأولى الخافون من حول العرش ولهذا يسبحون بحمد ربهم وأفراد من ملائكة الكرسي والسموات وملائكة العروج وآخر نبي من الملائكة اسماعيل صاحب سماء الدنيا وكل واحد منهم على شريعة من ربه متعبد بعبادة خاصة وذلك قولهم ومامننا إلا الله مقام معلوم فاعتفوا بان لهم حدوداً يقفون عندها لا يتعدونها ولا معنى شريعة إلا هذا فإذا أتى الوحي إليهم وسمعوا كلام الله بالوحي ضربوا بأجمعهم خضعاناً يسمعون كسلسلة على صفوان فيصعقون ما شاء الله ثم ينادون فيفيقون فيقولون ماذا فيقال لهم ربكم فيقولون الحق وهو قوله تعالى في حقهم حتى إذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير فجاءوا في ذكرهم بالاسم العلي في كبريائه ان كان من قولهم فانه محتمل ان يكون قول الله أو يكون حكاية الحق عن قولهم والعالون هم الذين قالوا لهؤلاء الذين أفاقوا ربكم وهم الذين نادوهم وهم العالون فلماذا جاء بالاسم العلي لان كل موجود لا يعرف الحق ألا من نفسه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه عرف ربه فجاء بمن وهي نكرة فعم كل عارف من كل جنس وعلق المعرفة بالربوبية وكذا قال العالون لهؤلاء الذين صعقوا حين

أستفهموهم ربكم وما قالوا ألهكم وهم العالون فقالوا العلي الكبير وأعلم ان العبادة في كل ما سوى الله على قسمين عبادة ذاتية وهي العبادة التي تستحقها ذات الحق وهي عبادة عن تجل ألهي وعبادة وضعية أمرية وهي النبوة فكل من عبده عن أمره ووقف عند حده كالصفات صفاً والزاجرات زجراً والتاليات والملقيات ذكراً والناشطات نشطاً والساجحات سبحة والسابقات سبقاً والمديرات أمراً والمرسلات عرفاً وهم صنف من الملائكة التاليات والناشرات نشراً والفارقات فرقا والمقسمات أمراً وهم أخوان المديرات من الملائكة حضرته متجاوزة وكل هؤلاء انبياء ملكيون عبدوا الله بما وصفهم به فهم في مقامهم لا يرحون ألا من أمر منهم بأمر يبلغه وسيأتي في الرسالة الملكية وهو قول جريريل "وما تنتزل ألا بأمر ربك" فهم تحت تسخير رب محمد صلى الله عليه وسلم من الاسم الذي يخصه والله ملائكة في الأرض سياحون فيها يتبعون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلس ذكر نادى بعضهم بعضاً هلموا إلى بغيتكم وهم الملائكة الذي خلقهم الله من انفاس بني آدم فينبغي للمذكر ان يراقب الله ويستحي منه ويكون عالماً بما يورده وما ينبغي للجالل الله ويجتنب الطامات في وعظه فان الملائكة يتأذون إذا سمعوا في الحق وفي المصطفين من عباده مالا يليق وهم عالمون بالقصص وقد أخبر صلى الله عليه وسلم ان العبد إذا كذب الكذبة تباعد عنه الملك ثلاثين ميلاً من تنن ما جاء به فتمتته الملائكة فإذا علم المذكر ان مثل هؤلاء يحضرون مجلسه فينبغي له ان يتحرى الصدق ولا يتعرض لما ذكره المؤرخون عن اليهود من زلات من أثنى الله عليهم وأجتابهم ويجعل ذلك تفسير الكتاب الله ويقول قال المفسرون وما ينبغي ان يقدم على تفسير كلام الله بمثل هذه الطوام كقصة يوسف وداود وأمثالهم عليهم السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم بتأويلات فاسدة وأسانيد واهية عن قوم قالوا في الله ما قد ذكر الله عنهم فإذا أورد المذكر مثل هذا في مجلسه مقتته الملائكة ونفروا عنه ومقتته الله ووجد الذي في دينه رخصة يلجأ إليها في معصيته ويقول إذا كانت الانبياء قد وقعت في مثل هذا فمن أكون انا وحاشا والله الانبياء مما نسبت إليهم اليهود لعنهم الله فينبغي للمذكر ان يحترم جلساءه ولا يتعدى ذكر تعظيم الله بما ينبغي لجلاله ويرغب في الجنة ويحذر من النار وأحوال الموقف والوقوف بين يدي الله من أجل من عنده من البطالين المفرطين من البشر وقد ذكرنا في شرح كلام

الله فيما ورد من ذكر الانبياء عليهم السلام من التنزيه في حقهم ما هو شرح على الحقيقة لكلام الله فهؤلاء المذكورون نقلة عن اليهود لا عن كلام الله لما غلب عليهم من الجهل فواجب على المذكر إقامة حرمة الانبياء عليهم السلام والحياء من الله ان لا يقلد اليهود فيما قالوا في حق الانبياء من المثالب ونقلة المفسرين خذلهم الله ومنها مراعاة من يحضر مجلسه من الملائكة السياحين فمن يراعي هذه الأمور ينبغي ان يذكر الناس ويكون مجلسه رحمة بالحاضرين ومنفعة

الباب الثامن والخمسون ومائة في مقام الرسالة وأسرارها

ولا يحتاج صاحبها لنيه

تلقته بقوتها البنية

سؤوسا في تصارييف البريه

كما تعطي مراتبها العليه

نفي أحكام كسب فلسفيه

ألا ان الرسالة برزخيه

إذا أعطت بنيته قواها

فيضحي مقسطاً حكماً عليماً

يصرفهم ويصرفه إليها

فمن فهم الذي قلناه فيها

وان الاختصاص بها منوط

كما دلت عليه الأشعرية

وما من شرطها عمل وعلم

ولا من شرطها نفس زكية

ولكن العوائد ان تراه

على خير وأحوال رضيه

أعلم ان الولاية هي المحيطة العامة وهي الدائرة الكبرى فمن حكمها ان يتولى الله من شاء من عبادہ بنبوة وهي من أحكام الولاية وقد يتولاه بالرسالة وهي من أحكام الولاية أيضاً فكل رسول لابد ان يكون نبياً وكل نبي لابد ان يكون ولياً فكل رسول لابد ان يكون ولياً فالرسالة خصوص مقام في الولاية والرسالة في الملائكة دنيا وآخرة لانهم سفراء الحق لبعضهم وصنفهم ولمن سواهم من البشر في الدنيا والآخرة والرسالة في البشر لا تكون ألا في الدنيا وينقطع حكمها في الآخرة وكذلك تنقطع في الآخرة بعد دخول الجنة والنار نبوة التشريع لا النبوة العامة وأصل الرسالة في الاسماء الألهية وحقيقة الرسالة أبلغ كلام من متكلم إلى سامع فهي حال لا مقام ولا بقاء لها بعد انقضاء التبليغ وهي تتجدد وهو قوله "ما يأتيهم من ذكر من ربهم" محدث فالأيتان به هو الرسالة وحدث الذكر عند السامع المرسل إليه هو الكلام المرسل به وقد يسمى الكلام المرسل به رسالة وهو علم يوصله إلى المرسل إليه ولهذا ظهر علم الرسالة في صورة اللب والرسول هو اللب لكن للرسالة مقام عند الله منه يبعث الله الرسل فلهذا جعلنا للرسالة مقاماً وهو عند الكرسي ذلك هو مقام الرسالة ونبوة التشريع وما فوق ذلك فنبوة لا رسالة فالرسل لا يفضل بعضهم بعضاً من حيث ما هم رسل وانما فضل الله بعض الرسل على بعض وبعض النبيين على بعض وما من جماعة يشتركون في مقام ألا وهم على السواء فيما أشتركوا فيه ويفضل بعضهم بعضاً بأحوال أخر ما هي عين ما وقع فيه الاشتراك وقد يكون ما يقع به المفاضلة يؤدي إلى التساوي وهو مذهب أبي القاسم بن قسي من الطائفة ومن قال بقوله فيكون كل واحد من الرسل فاضلاً من وجه مفضولاً من وجه فيفضل الواحد منهم بأمر لا يكون عند غيره ويفضل ذلك المفضول بأمر ليس عند الفاضل فيكون المفضول من ذلك الوجه الذي خص به يفضل على من فضله وعندنا قد لا يكون التساوي ويجمع لواحد جميع ما عند الجماعة فيفضل الجماعة بجمع ما فضل به بعضهم على بعض لا بأمر زائد فهو أفضل من كل واحد واحد ولا يفاضل فيكون سيد الجماعة بهذا المجموع فلا ينفرد في فضله بأمر ليس عند آحاد الجنس هكذا هو نفس الأمر في كل جنس فلا بد من إمام في كل نوع من رسول وني وولي ومؤمن وانسان وحيوان ونبات ومعدن وملك وقد نبهنا على ذلك قبل هذا في الإختبارات فمقام الرسالة الكرسي لانه من الكرسي تنقسم الكلمة الإلهية إلى خير وحكم فلأولياء والانبياء الخير خاصة ولانبياء الشرائع والرسل والخير والحكم ثم ينقسم الحكم إلى أمر ونهي ثم ينقسم الأمر إلى قسمين إلى مخير فيه وهو المباح وإلى مرغّب فيه ثم ينقسم المرغّب فيه إلى قسمين إلى ما يذم تاركه شرعاً وهو الواجب والفرض وإلى ما يحمد بفعله وهو المندوب ولا يذم بتركه والنهي ينقسم قسمين نهي عن أمر يتعلق الذم بفعله وهو المحظور ونهي يتعلق الحمد بتركه ولا يذم بفعله وهو المكروه وأما الخير فينقسم قسمين قسم يتعلق بما هو الحق عليه وقسم يتعلق بما هو العالم عليه والذي يتعلق بما هو الحق عليه ينقسم إلى قسمين قسم يعلم وقسم لا يعلم فالذي لا يعلم ذاته والذي يعلم ينقسم قسمين قسم يطلب نفي المماثلة وعدم المناسبة وهو صفات التنزيه والسلب مثل ليس كمثله شيء والقدوس وشبه ذلك وقسم يطلب المماثلة وهو صفات الأفعال وكل إسم إلهي يطلب العالم وهذه الأقسام كلها مجموع الرسالة وبه أتت الرسل والرسالة إذا ثبتت وثبتت ان اختصاص إلهي غير

مكتسبة يثبت بها كون الحق متكلماً أي موصوفاً بالكلام فهو مبلغ ما قيل له قل ولو كان مبلغاً وما عنده أو ما يجده من العلم في نفسه لم يكن رسولا ولكان معلما فكل رسول معلم وما كل معلم رسول وما سميت رسالة إلا من أجل هذه الأقسام التي تحتوي عليه ولولا هذه الأقسام لم تكن رسالة لان الأمر الواحد من غير معقولية سواء لا تقع الفائدة بتبليغيه عند المرسل إليه لانه لا يعقله ولهذا لا يعقل الذات الإلهية لانها لا سوى لها ولا غير وتعقل الإلهية والربوبية لان سواها المألوه والمربوب فتنبه لما أشرنا إليه تعثر على العلم المخزون والمرسلات عرفاً تنبيه على التابع والكثرة والتاليات يتلو بعضها بعضا فالرسالة يتلو بعضها بعضا ولهذا انقسمت والله الهادي

الباب التاسع والخمسون ومائة في مقام الرسالة البشرية

ان الرسول لسان الحق للبشر	بالأمر والنهي والإعلام والعبر
هم أذكاء ولكن لا يتصرفهم	ذاك الذكاء لما فيه من الغرر
ألا تراهم لتأبير النخيل وما	قد كان فيه على ما جاء من ضرر
هم سالمون من الأفكار ان شرعوا	حكماً بطل وتحريم على البشر
ان الرسالة في الدنيا قد انقطعت	في وقتنا للذي قد جاء في الخير
وقد مضى حكمها دنيا و آخرة	وما لها في وجود العين من أثر
لولا التكاليف لم يختص صاحبها	عن غيره لوجود الوحي والنظر
النحل يوحى إليه دائماً أبداً	إلى القيامة في السكني وفي الثمر

الرسالة نعت كوني متوسط بين مرسل ومرسل إليه والمرسل إليه والمرسل به قد يعبر عنه بالرسالة وقد تكون الرسالة حال الرسول وهي بالجملة ليست بمقام وانما هي نسبة حال وتنقطع بانقطاع التبليغ بالفعل ويزول حكمها بانقضاء التبليغ قال تعالى ما على الرسول إلا البلاغ المبين وأوجب عليه ذلك فقال "يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك" وان لم تفعل فما بلغت رسالاته فالرسالة هنا هي التي أرسل بها وبلغها وهكذا وردت في القرآن حيثما وردت ولا يقبلها الرسول إلا بوساطة روح قدسي أمين يتزل بالرسالة على قلبه وأحيانا يتمثل له الملك رجلا وكل وحي لا يكون بهذه الصفة لا يسمى رسالة بشرية وانما يسمى وحيا أو إلهاماً أو نفاثاً أو لقاء أو وجودا ولا تكون الرسالة إلا كما ذكرناه ولا يكون هذا الوصف إلا للرسول البشري وما عا هذا من ضروب الوحي فانه يكون لغير النبي والرسول والفرق بين النبي والرسول إذا ألقى إليه الروح وما ذكرناه اقتصر بذلك الحكم على نفسه خاصة ويجرم عليه ان يتبع غيره فهذا هو النبي فإذا قيل له بلغ ما انزل إليك أما الطائفة مخصوصة كسائر الانبياء وأما عامة الناس ولم يكن ذلك إلا لحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن لغيره قبله فسمى بهذا الوجه رسولا والذي جاء به رسالة وما أختص به من الحكمك في نفسه وخرم على غيره من ذلك الحكم هو نبي مع كونه رسولا وان لم يخص في نفسه بحكم لا يكون لمن بعث إليهم

فهو رسول لا نبي وان خصص مع التبليغ فهو رسول ونبي فما كل رسول نبي على ما قلناه ولا كل نبي رسول بلا خلاف ثم ان الورثة وهم الأتباع الذين أمروا بالتبليغ كمعاذ على ودحية رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يزال كل متأخر مأمور بالتبليغ من أمر بالتبليغ متصل الطريق مأمورا عن مأمور إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى رسولا ولكن ما هي الرسالة التي انقطعت والرسالة التي انقطعت هي تنزل الحكم الإلهي على قلب البشر بوساطة الروح كما قررناه فذلك الباب هو الذي سدوا الرسالة والنيوة التي انقطعت وأما الألقاء بغير التشريع فليس بمحجور ولا التعريفات الإلهية بصحة الحكم المقرر أو فسادها فلم تنقطع وكذلك تنزل القرآن على قلوب الأولياء ما انقطع مع كونه محفوظاً لهم ولكن لهم ذوق لا يزال وهذا لبعضهم ولهذا ذكر عن ابي بظيد انه مامات حتى استظهر القرآن أي أخذه عن انزال وهو الذي نبه النبي صلى الله عليه وسلم فيمن حفظ القرآن يعني على هذا الوجه ان النبوة قد أدرجت بين جنبيه ولم يقل في صدره وهذا معنى استظهار القرآن أي أخذه عن ظهر فله مثل هذا التزليل مستمر فيمن شاء الله من عباده لكن على هذا النعت والصفة وهو قوله تعالى يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده فالرسل مبشرون ومنذرون والورثة منذرون خاصة لا مبشرون لكنهم مبشرون أسم مفعول فإذا بشر الولي أحداً بسعادة فما هو من هذا الباب بل البشارة في ذلك بتعيين السعيد وبشارة الانبياء متعلقة بالعمل المشروع وهو انه من عمل كذا كان له كذا في الجنة أو نجاة الله من النار بعمل كذا هذا لا يكون ألا للرسول ليس للولي فيه دخول وله ان يعطي تعيين السعيد لا من حيث العمل فيقول في الكافر وهو في حال كفره انه سعيد وفي المؤمن في حال إيمانه انه شقي فيختم لكل واحد بالسبب الموجب لسعادته أو شقاوته تصديقاً لقول الولي هذا القدر بقي للأولياء من نبوة الأخبار لا من نبوة التشريع ولها من الحروف ياء العلة وله الدعوى والآيات وصاحبها مسئول وله الكشف في أوقات وهو قوله لا تحرك به لسانك لتعجل به وهي وان نزلت من الكرسي فإذا رجعت فلا تتعدى سدرة المنتهى والرسالة تنزل معاني وتعود إلى السدرة صوراً ينشئها العبد انشاء وهذا له من الاسم الخلاق الذي أعطي ومعراجها براقي ورفرفي ولكن من السموات ورئيس أرواحها النازلين بها جبريل وهو أستاذ الرسل وهو الموكل بهذا المقام وما يتصور لهذا المقام نسخ وانما الأشخاص تختلف وكل شخص يجري فيه إلى أجل مسمى ولهذا جاء والمرسلات عرفاً وقال رسلنا تتري ولا يقع فيها تفاضل وانما التفاضل بين المرسلين لا من كونهم مرسلين بل من مقام آخر ولا يشترط على الرسول فيها إقامة الدليل للمرسل إليه بل لها الجبر ولهذا مع وجود الدليل مانح وقوع الايمان في محل المرسل إليه من كل أحد بل من بعضهم فلو كان لنفس الدليل لعم ونراه يوجد ممن لم ير

دليلاً فدل ان الايمان نور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده لا لعين الدليل فلهذا لم نشترط فيه الدليل فالايمان علم ضروري يجده المؤمن في قلبه لا يقدر على دفعه وكل من آمن عن دليل فلا يوثق بإيمانه فانه معرض للشبه القادحة فيه لانه نظري لا ضروري وقد نهتكم في هذا على سر غامض لا يعرفه كل أحد ولا تشترط أيضاً في حقه العصمة ألا فيما يبلغه عن الله خاصة ويلزمه تبين ما جاء به حتى يفهم عنه لأقامة الحجة على المبلغ إليه فان عصم من غير هذا فمن مقام آخر وهو ان يخاطب العباد المرسل إليهم بالتأسي به فيكون التأسي به أصلاً فان انفرد بأمر لزمه ان يبينه لا بد من ذلك كما قال في نكاح الهبة خالصة لك من دون المؤمنين ومن شرط صاحب هذا المقام طهارة القلب من الفكر فله الراحة فانه لا يشرع ألا ما يوحى به إليه وأما مشورته لأصحابه ففي غير ما شرع له وليس للرسول من حيث رسالته المشاورة فإذا انضاف إلى رسالته ان تكون جامعة فلمقام الخلافة المشورة ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخلفاء قيل له وشاورهم في الأمر فينبغي لك ان تعرف الفرق بين الخلافة والرسالة

الباب الستون ومائة في معرفة الرسالة الملكية

وتنزلت الأملاك ليلاً على قلبي	ودارت عليه مثل دائرة القلب
حذاراً من القاء اللعين إذا يرى	نزول علوم الغيب عيناً على قلب
وذلك حفظ الله في مثل طورنا	وعصمته في المرسلين بلا ريب
فنحن وإياهم مصانون بالحمى	تخاطبنا الاسماء من حضرة القرب
ويفترق الصنفان عند رجوعهم	من المشهد الأعلى إلى عالم الترب
فيظهر هذا بالرسالة واضعاً	حدوداً وأحكاماً عن الروح والرب
وذلك مأمور بستر مقامه	وان كان قد داناه في الذوق والشرب
فسبحان من أعطى الوجود بجلوه	وقسمه قسمين للكشف والحجب
فأشهد ذا فضلاً وسبق عناية	وأوقف ذا خلف الحجاب بلا ذنب
فقف وتأدب وأنعط ثم ولا تقل	حجبت بلا ذنب وهذا من الذنب
ألا انما العقبي لمن بات سره	يرى البعد والتقريب في الذنب والعتب

قال تعالى في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة يعني التذكرة التي هي الرسالة بأيدي سفرة والسفرة هم الرسل من الملائكة هنا كذلك ما يوجدون به على المرسلين إليهم في رسالتهم بررة أي محسنين فهؤلاء هم سفراء الحق إلى الخلق بما يريد ان ينفذه فيهم من الحكم من عالم الأركان فإذا أراد الله انفاذ أمر في خلقه أوحى إلى الملك الأقرب إلى مقام تنفيذ الأوامر وهو الكرسي فيلقي إليه ذلك الأمر على وجوه مختلفة ثم يأمره بان يوحى به إلى من يليه ويوحى إليه ان يوحى إلى من يليه ان يوحى به إلى من يليه من أعلى إلى أدنى ألينا هذا من حد انقسام الكلمة وأما من أحدية الكلمة فهو نزولها من رتبة زلفى إلى مقام أدنى إلى مكان أزهى إلى محل أسنى إلى رفرف أبهى إلى عرش أعلى إلى كرسي أجلى فتنقسم هناك الكلمة أي يتعين هنالك ما أريد بها من حكم أو خبر ثم تنزل إلى سدره المنتهى إلى سماء فسماء إلى السماء الدنيا فينادي بملك الماء فيودع تلك الرسالة فيضعها في الماء وينادي ملائكة اللغات وهم ملائكة القلوب فيلقنوها فيجعلها لغات في قلوب العباد فتعرف الشياطين ما جاءت به الملائكة فتأتي بأمثاله إلى قلوب الخلق فتتطرق الألسنة بما تجده في القلوب وهي الخواطر قبل التكوين بانه كان كذا وأتفق كذا لما لم يكن فما يكون منه بعد الكلام به فذلك مما جاءت به الملائكة وما لم يكن فهو مما ألقته الشياطين ويسمى ذلك في العالم الأرجاف وتراه العامة مقدمات التكوين وأما ملك الماء فيلقي ما أوحى به إليه في الماء فلا يشرب الماء حيوان ألا ويعرف ذلك السر ألا الثقلين ولكن لا يعرف من أين جاء ولا كيف حصل ومن هذا المتزل هو البلاء الذي يتزل في كانون فلا يجد اناء فيه ماء غير مغطى ألا دخل فيه هذا الباب ما يجده الانسان من بغض شخص وحب شخص من غير سبب ظاهر معلوم له ويكون بالسماع وبالرؤية وورد خبر في مثل هذا ومن هذا الباب السياسة الحكيمة لمصالح العالم التي لم يأت بها شرع عند فقد الانبياء عليهم السلام وأزمنة الفترات تنزل بها ملائكة لألهام واللغات على قلوب عقلاء

الزمان وحكماء الوقت فيلقونها في أفكارهم لا على أسرارهم فيضعونها ويحملون الناس عليها والملوك وما فيها شيء من الشرك فهذه هي الرسالة الملكية التي فيها مصالح العالم في الدنيا وهي البدع الحسنة التي أثنى الله على من رعاها حق رعايتها أبتغاء رضوان الله وشم رسالات آخر أيضاً على أيدي الملائكة بتسخير العالم بعضه لبعض مطلقاً

الباب الحادي والستون ومائة في المقام الذي بين الصديقية والنبوة

وهو مقام القرية

جماعة من رجال الله انكره	وليس من شأنهم انكار ما جهلوا
هو المقام الذي قامت شواهد	في الحرق والقتل والباقي الذي فعلوا
لوانهم دبروا القرآن لاح لهم	وجه الحقيقة فيما عنه قد غفلوا
وما تخصص عنهم في مقامهم	ألا الذين عن الرحمن قد عقلوا
ومنه أيضاً أبو بكر وميزته	بالسر لو نظروا في حكمنا كملوا
فليس بين أبي بكر وصاحبه	إذا نظرت إلى ما قلته رجل
هذا الصحيح الذي دلت دلائله	في الكشف عند رجال الله أذ عملوا

القرية نعت ألهي وهو مقام مجهول انكرت آثاره الخاصة من الرسل عليهم السلام مع الافتقار إليه منهم وشهادة الحق لصاحبه بالعدالة والأختصاص وهو مقام الخضر مع موسى وما أذهله ألا سلطان الغيرة التي جعل الله في الرسل عليهم السلام على مقام شرع الله على أيديهم فله انكروا وتكرر منه عليه السلام الانكار مع تنبيه العبد الصالح في كل مسألة ويأبى سلطان الغيرة ألا الاعتراض لان شرعه ذوق له والذي رآه من غيره أجني عنه وان كان علماً صحيحاً ولكن الذوق أغلب والحال أحكم ولذلك قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل رب زدي علماً ولم يقل رب زدي حالاً فلو زاد حالاً ل زاد انكاراً وكلما زاد علماً زاد أيضاً وكشفاً وأتساعاً وانشراحاً وتترها في الوجوه التي سمرت من براقعها وظهرت من وراء ستورها وكلها فأرتفع الضيق والخرج وشوهد الكمال في النقص ولما حصلت في هذا المقام السني قلت مشيراً ومنهياً

واني لا هوى النقص من أجل من أهوى	لان به كان الكمال لمن يدري
وما جاء بالنقصان ألا مخافة	من العين مثل البدر من آخر الشهر
وما نقص البدر الذي تبصرونه	ولكنه بدر لمن غاص بالفكر
يراه تماماً كاملاً في ضيائه	على أكمل الحالات في البطن والظهر
فلو لم يكن في الكون نقص محقق	لكان الوجود الحق ينقص في القدر
فبي كان للحق الوجود كما له	مع النقص فانظر ما تضمنه شعري
غزال من الفردوس جاء منقياً	من أجلي وما يخفي على الله ما يجري

بمن وحياء الحب قد ضمه صدري
حياة وموتاً في القيامة والحشر
تخبر عنها انها ليلة القدر
علمت بانني ما تعلقت بالغير
فسرى الذي قد كان هيمه جهري
فلم أخش من بين ولم أخش من هجري
سواها فان عزت جنحت إلى مصري

فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً
أهيم بها حباً على كل حالة
لقد سمرت يوماً فلاححت محاسن
سجدت لها حباً فلما رأيتها
فكبرت أجلاً لكوني هو يبتني
وحققت اني عين من قد هويته
فبغداد داري لا أرى لي موطناً

هذا المقام دخلته في شهر محرم سنة سبع وتسعين وخمسمائة وانا مسافر بمزل أبحسب ببلاد المغرب فتهن به فرحاً ولم أجد فيه أحداً
فأستوحشت من الوحدة وتذكرت دخول أبي يزيد بالذلة والأفتقار فلم يجد في ذلك المزل من أحد وذلك المزل هو موطني فلم
أستوحش فيه لان الحنين إلى الأوطان ذاتي لكل موجود وان الوحشة مع الغربة ولما دخلت هذا المقام وانفردت به وعلمت انه ان
ظهر على فيه أحد انكرني فبقيت أتبع زواياه ومخادعه ولا أدري ما أسمه مع تحقيقي به وما خص الله به من آتاه إياه ورأيت أوامر
الحق تترى على وسفراء تزل إلى تبغي مؤانستي وتطلب مجالستي فرحلت وانا على تلك الحال من الأستيحاش بالانفراد والانس انما
يقع بالجنس فلكيت رجلاً من الرجال بمزليسى انحال فصليت العصر في جامع فجاء الأمير أبو يحيى بن واجتن وكان صديقي وفرح
بي وسألني ان انزل عنده فأبيت ونزلت عند كاتبه وكانت بيني وبينه مؤانسة فشكوت إليه ما انا فيه من انفرادي بمقام انا مسرور به
فبينما هو يؤانسي لاح لي ظل شخص فنهضت من فراشي إليه عسى ان أجد عند فرجاً فعانقني فتأملت به فإذا به أبو عبد الرحمن
السلمي قد تجسدت لي روحه بعثه الله إلى ركنة بي فقلت له أراك في هذا المقام فقال فيه قبضت وعليه مت فانا فيه لا أبرح
فذكرت له وحشتي فيه وعدم الانيس فقال الغريب مستوحش وبعد ان سبقت لك العناية الإلهية بالحصول في هذا المقام فاحمد الله
ولن يا أخي يحصل هذا ألا ترضى ان يكون الخضر صاحبك في هذا المقام وقد انكر عليه موسى حاله مع ما شهد الله عنده بعدالته
ومع هذا انكر عليه ما جرى منه وما أراه سوى صورته فحاله رأى وعلى نفسه انكر وأوقعه في ذلك سلطان الغيرة التي خص الله
بها رسله ولو صبر لرأى فانه كان قد أعدله ألف مسألة كلها جرى لموسى وكلها ينكرها على الخضر قال شيخنا أمو النجا المعروف
بأبي مدين لما علم الخضر رتبة موسى وعلو قدره بين الرسل امثال ما نهاه عنه طاعة الله ولرسوله فان الله يقول "وما أتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا" فقال له في الثانية ان سألت عن شئ بعدها لا تصاحبني فقال سمعاً وطاعة فلما كانت الثالثة ونسى
موسى حالة قوله اني لما انزلت إلى من خير فقير وما طلب الإجارة على سقايته مع الحاجة فارقه الخضر بعدما أبان له علم ما انكر
عليه ثم قال له وما فعلته عن أمري لانه كان علي شرعة من ربه ومنهاج وفي زمانها بخلاف حاله بعد بعث محمد صلى الله عليه
وسلم فانه الفرى كل الصيد في جوفه فقلت له يا أبا عبد الرحمن لا أعرف لهذا المقام اسماً أميزه به فقال لي هذا يقال مقام القربة
فتحقق به فتحقق به فإذا به مقام عظيم لعلماء الرسول من أهل الاجتهاد فيه قدم راسخة لكنهم لا يعرفون انهم فيه ورأيت الإمداد
الإلهي يسري إليهم من هذا المقام ولهذا ينكر بعضهم بعض ويخطئ بعضهم بعضاً لانهم ما حصل لهم ذوقاً ولا يعلمون ممن يستمدون

مشاهدة وكشفا فكل واحد منهم على حق كما انه لكل نبي نقدم هذا الزمان الحمدي شرعة ومنهاجا والايمان بذلك كله واجب على كل مؤمن وان لم نلتزم من أحكامهم إلا ما لزمناه فالجتهدون من علماء الشريعة ورثة الرسل في التشريع وأدلتهم تقوم لهم مقام المحي للانبياء واختلاف الأحكام كاختلاف الأحكام إلا انهم ليسوا مثل الرسل لعدم الكشف فان الرسل يشد بعضهم بعض وكذلك أهل الكشف من علماء الاجتهاد وأما غير أهل الكشف منهم فيخطئ بعضهم بعضا ولو قال الخضر لموسى من أول ما صحبه ما أفعل شيئا مما تراني ابي أفعله عن أمري ما انكره عليه ولا عارضه ولقد انطقه الله بقوله ستجدي ان شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً والصبر لا يكون إلا على ما يشق عليه فلو قدم الصبر على المشيئة كما يفعل الحمدي لصبر ولم يعترض فان الله قدمه في الأعلام تعليماً لحمد صلى الله عليه وسلم فمن أراد ان يحصل علم الله في خلقه فليقف عند ترتيب حكمته في الأشياء فيقدم ما قدم الله ويؤخر ما أخر الله فان من أسمائه المقدم والمؤخر فإذا أخرت ما قدمه أو قدمت ما أخره فهو نزاع خفي يورث حرماناً قال تعالى "ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غداً إلا ان يشاء الله" فأخر الإشتاء وقدمه موسى فلم أخره لصبره وهذه الآية مذكورة باللسان العبراني في التوراة فله الله يا إخواننا من أهل هذه الملة الحمديّة قفوا على مشاعر الله التي بينها لكم ألا تراه صلى الله عليه وسلم لما صعد على الصفا في حجة الوداع قرأ ان الصفا والمروة من شعائر الله ثم قال أبداً بما بدا الله به وما قال ذلك إلا تعليماً لنا ولزوم أدب مع الله ولولا انه جائز له ان يبدأ بالمروة في سعيه لما قال هذا ورجح كما بدأ الله به على ما في المسئلة من التخيير من أجل الواو فانه ما بدأ الله به إلا لسر يعلمه فمن لم يبدأ به حرم فائدته وقال صلى الله عليه وسلم خذوا عني مناسككم وتقديم الصفا في السعي من المناسك ولقد رويت في هذا المعنى حكاية عجيبة عن يهودي أخبرني بها موسى محمد القرطبي القباب المؤذن بالمسجد الحرام المكي بالمنارة التي عند باب الخزوة وباب أجياد رحمة الله سنة تسع وتسعين وخمسمائة قال كان رجل بالقيروان أراد الحج فتردد خاطره في سفره بين البر والبحر فوقتاً يترجح له البر ووقتاً يترجح له البحر فقال إذا كان صبيحة غد أول رجل ألقاه أشاوره فحيث يرجح لي أحكم به فأول من لقي يهودياً فتألم ثم عزم وقال والله لأسأله فقال يا يهودي أشاورك في سفري هذا هل أمشي في البر أو في البحر فقال له اليهودي يا سبحان الله وفي مثل هذا يسأل مثلك ألم ترى ان الله يقول لكم في كتابكم هو الذي يسركم في البر والبحر فقدم البر على البحر ولولا ان الله فيه سراً وهو أولى بكم ما قدمه وما أخره البحر إلا إذا وجد المسافر سبيلاً إلى البر قال فتعجبت من كلامه وسافرت في البر يقول الرجل فوالله ما رأيت سفر أمثله ولقد أعطاني الله فيه من الخير فوق ما كنت أشتهي وقد انكر أمو حامد الغزالي هذا المقام وقال ليس بين الصديقية والنبوة مقام ومن تخطى رقاب الصديقين وقع في النبوة والنبوة باب مغلق فكان يقول لا تتحطوا رقاب الصديقين ولا شك ان الانبياء أصحاب الشرائع هم أرفع عباد الله من البشر ومع هذا لا يبعد ان يخص الله المفضول بعلم ليس بين الفاضل ولا يدل تميزه عنه انه بذلك العلم أفضل منه بل قال له يا موسى انا على علم علمنيه الله لا تعلمه انت وانت على علم علمكه الله لا أعلمه انا وما قال له انا أفضل منك بل علم حق موسى وما ينبغي له وامثال أمره فيما نهاه عنه من صحبتته احتراماً منه لمقام موسى وعلو منزلته وسكوت موسى عنه حين فارقته ولم يرجع عنه نهيه لانه علم ان الخضر ممن لم يسمع نهي موسى عليه السلام ولا سيما وقد قال له وما فعلته عن أمري فعلم موسى انه ما فارقته إلا عن أمر ربه فما اعترض عليه في فراقه إياه وحصل لموسى مقصوده ومقصود الحق في تأديبه فعلم ان الله عباد عندهم من العلم ما ليس عنده ولم يكن إلا علم كون من الأكوان من علوم الكشف وهو من أحوال المريدين أصحاب السلوك فكيف لو كان من العلوم المتعلقة بالجنان الإلهي أما من العلم المحكم أو المتشابه ومن هذا المقام حصل لي بكر الصديق السر الذي وقر في

نفسه وظهرت قوة ذلك السر مع وقته وقول عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه حين أمر أن يصلي بالناس أنه رجل أسيف ورسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف منه بالسر الذي حصل عنده ما لا تعرفه الجماعة فما بقي أحد يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ذهل في ذلك اليوم وخولط في عقله وتكلم بما ليس الأمر عليه إلا أبو بكر الصديق فما طرأ عليه من ذلك أمر بل رقي المنبر وخطب الناس وذكر موت النبي صلى الله عليه وسلم فقال من كان منكم يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ثم تلا أنك ميت وأنهم ميتون وما محمد إلا رسول الآية فسكن جأش الناس حتى قال عمر والله ما كان سمعت بهذه الآية إلا في ذلك اليوم وهذا قوله صلى الله عليه وسلم إذا وجب يعني الموت فلا تبكين باكية وأما قبل وقوع الموت فالبكاء محمود وكذا فعل أبو بكر لما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تقولون في رجل خير فاختار لقاء ربه فبكى أبو بكر دون الجماعة وعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نعى لأصحابه نفسه فانكر الصحابة على أبي بكر بكاءه وهو كان أعلم فلما مات صلى الله عليه وسلم بكى الناس وضجوا إلا أبا بكر امثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم إذا وجب فلا تبكين باكية هذا كله من السر الذي أعطاه هذا المقام فالذي ينبغي أن يقال ليس بين محمد وأبي بكر رجل لا أنه ليس بين الصديقية والنبوة مقام فإن الصديق تابع بطريق الإيمان فما أنكره متبوع أنكره وما قرره متبوعه قرر هذا حظ الصديق من كونه صديقاً ومن كون مقام آخر لا يحكم عليه حال الصديقة فاعلم ذلك انتهى السفر الرابع عشر بانتهاء الجزء السادس ومائة

الجزء السابع ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثاني والستون ومائة في معرفة الفقر وأسواره

الفقر أمر يعم الكون أجمعه
الأعلى ممكن أمماء خالقه
ان القوى بالاستعداد قوته
ان الحقائق تجرى في ميادينها
ان الفقير الذي استولت خصائصه
في كل حال من الأحوال تبصره
وليس يمنعه عن عين موجدة
عينا وحكما ولكن ليس ينطلق
تبغيه فهي لهذا الأمر تستبق
مثل الضعيف ففي الأحكام تتفق
وكل حق له في نفسه طلق
عليه في كل شئ ثوبه خلق
كانه طبق من فوقه طبق
على طريقته الآفات والعلق

ومن ذلك

الفقر حكم ولكن ليس يدركه
الفقر حكم يعم الكون أجمعه
لأنها كلها بالذات تطلبه
إلا الذي جل عن أهل وعن ولد
ولا أحاشي من الأعيان من أحد
والفقر يطلبها بالذات في البلد

فكلها عدد لأنها عدد
وما سواه من الأعيان فهو كما
سبحانه جل ان يحظى به أحد
والكل شفع سوى المدعو بالأحد
قلناه كالواهب المحسان والصمد
فلا يولد في عقل وفي جسد

قال الله تعالى يا أيها الناس انتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد يعني باسمائه كما نحن فقراء إلى أسمائه ولذلك أتى بالاسم الجامع للأسماء الإلهية حقيقة سره لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء فلو اتصفوا اتصفوا بحقيقة سنكتب ما قالوا سببه وأقرضوا الله نزهته قرضاً حسناً بيانه ودليله الإحسان ان تعبد الله كانك تراه جزاؤه وما تفعلوا من خير فلن تكفروه وباب الفقر ليس فيه ازدحام لا تساعه وعموم حكمه والفقر صفة مهجورة وما يخلو عنها أحد وهي في كل فقير بحسب ما تعطيه حقيقته وهي الذما نياها العارف فانها تدخله على الحق ويقبله الحق لانه دعاه بها والدعاء طلب وتقرب منها أختها وهي الذلة قال أبو يزيد قال لي الحق تقرب إلى بما ليس لي الذلة والأفتقار فذله محجبه فهاتان صفتان في اللسان نعتان للممكنات ليس لواجب الوجود منهما نعت

في اللسان تعالى الله حجاب مسدل وباب مقفل مفتاحه معلق عليه يراه البصير ولا يحس به الأعمى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الألباب وفي هذه الآية أعني آية قوله "انتم الفقراء إلى الله" تسمى الحق لنا باسم كل ما يفتقر إليه غيره منه ان يفتقر إلى غيره فالفقر هو الذي يفتقر إلى كل شيء ولا يفتقر إليه شيء وهذا هو العبد المحض عند المحققين فتكون حاله في شيئية وجوده كحالة في شيئية عدمه دواء نافع لداء عضال قوله وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً قضية في عين قضية عامة أولاً يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً تنبيه على شرف الرتبة "هل أتى على الانسان حين من الدهر" لم يكن شيئاً مذكوراً مع وجود عينه لان الحين الدهري أتى عليه بالفقر احتياج ذاتي من غير تعيين حاجة لجهله بالأصلح له ومن أسماء الله المانع وهو قد أعطي كل شيء خلقه حتى الغرض لما خلقه فينا أعطاه خلقه فلا نزال أصحاب أغراض فما يمنع ألا للمصلحة كما يلي لقوم ليزدادوا أثماً فقد أعطاهم الأثم كما أعطي الأثم خلقه فالحق لا يتقيد انعامه والقوابل تقبل بحسب استعداداتها فمنعه عطاء لعلمه بالمصالح لذلك حكي عن بعضهم انه سئل عن الفقير ما هو فقال من ليست له إلى الله حاجة يعني على التعيين ونبه ان الاحتياج له ذاتي والله قد أعطي كل شيء خلقه فقد أعطاك ما فيه المصلحة لك لو علمت فما بقي لصاحب هذا المقام ما يسأل الله فيه وما شرع السؤال ألا لمن ليس له هذا الشهود وراه يسأل الأغيار فغار فشرع له ان يسأله ولما سبق في علمه انه يخلق قوماً ويخلق فيهم السؤال إلى الأغيار ويحجبهم عن العلم به انه المسئول في كل عين مسألة يفتقر إليها من جماد ونبات وحيوان وملك وغير ذلك من المخلوقات أخبرنا ان الناس فقراء إلى الله أي هو المسئول على الحقيقة فانه بيده ملكوت كل شيء فالفقر إلى الله هو الأصل فالعلماء بالله هم الذين يحفظون أحوالهم وصل الغني بالله فقير إليه فالنسبة بلفظ الفقر إلى الله أولى من النسبة بالغني لان الغني نعت ذاتي يرفع المناسبة بين ذات الحق والخلق وكل طلب فيؤذن بمناسبة فان الحاصل لا يتبغي فلا يكون الطلب ألا في شيء ليس عند الطالب في حال الطلب ولهذا لا يتعلق ألا بالعدم الذي هو عين المعدوم وقد يكون ذلك المطلوب في عين موجودة ولا عين موجودة ما في الكون ألا طالب فما في الكون ألا فقير لما طلب ويتميز الفقر عن سائر الصفات بأمر لا يكون لغيره وهو انه صفة للمعدوم والموجود وكل صفة وجودية من شرطها ان تقوم بالموجود ألا ترى الممكن في حال عدمه يفتقر إلى المرجح فإذا وجد أفقر أيضاً إلى استمرار الوجود له وحفظه عليه فلا يزال فقيراً ذا فقر في حال وجوده وفي حال عدمه فهو أعم المقامات حكماً فالذي يكتسب من هذه الصفة أضافة خاصة وهي الفقر إلى الله لا إلى غيره وبه يثنى عليه وهو الذي يسعده ويقربه إلى الله ويشركه في هذه الأضافة كل وصف جبل عليه الانسان مثل البخل والحرص والشره والحسد وغير ذلك تشرف وتعلو بالأضافة والمصرف وتنضع وتسفل بالأضافة والمصرف لا فقر أعظم من فقر الملوك لانه مفتقر إلى مشاعلي وإلى كل ما يصح له به الملك وهو فقير إلى ملكه الذي يبقى عليه أسم الملك قيل للسلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب رحمه الله سنة إحدى وثمانين وخمسمائة لما ذكر أبو القمح المنجم ان ريحاً عظيمة في هذه السنة تكون لا تمر على شيء ألا جعلته

كالرميم فأشار عليه بعض جلسائه ان يتخذ في الأرض سرباً يكون فيه ليلة هبوب تلك الريح فقال ويهلك الناس قيل له نعم فقال إذا هلك الناس فعلى من أكون ملكاً أو سلطاناً لأخبر في الحياة بعد ذهاب الملك دعني أموت ملكاً والله لا فعلت فانظر ما أحسن هذا فكل موجود أضافي متحقق بالفقر وان لم يشعر بذلك وان وجده فلا يعلم ان ذلك هو المسمى فقراً وإذا كان حكمه هذا فالفقر إلى الله تعالى الذي بيده ملكوت كل شيء ثابت وموجود ولذلك الإشارة بقوله تعالى "سنكتب ما قالوا" أي سنوجه أي سيعلمون ان الفقر نعت واجب لا يشكون فيه وجوباً ذاتياً من أجل قولهم ونحن أغنياء لانهم انحبوا عما هو الأمر عليه من فقرهم

ولذلك كانوا كافرين فستروا ما هم به عالمون ذوقاً من انفسهم لا يقدرّون على انكاره وان باهتوا فالحال يكذبهم فقالوا نحن أغنياء وليسوا بأغنياء وقالوا ان الله فقير وليس بفقير من حيث ذاته فانه غني عن العالمين وقد تقدم في مواضع من هذا الكتاب معنى قوله انه غني عن العالمين وانه ليس مثل قوله "والله هو الغني" ولا مثل قوله "والله الغني وانتم الفقراء" فإذا علمت ان الفقر بهذه المثابة فالزّمْ أستحضاره في كل نفس وعلى كل حال وعلق فقرك بالله مطلقاً من غير تعيين فهو أولى بك وان لم تقدر على تحصيل عدم التعيين فلا أقل ان تعلقه بالله تعالى مع التعيين أوحى الله تعالى إلى موسى يا موسى لا تجعل غيري موضع حاجتك وسليني حتى الملح تلقيه في عجينك هذا تعليم الله نبيه موسى عليه السلام ولقد رأيته سبحانه وتعالى في النوم فقال لي وكلني في أمورك فوكلته فما رأيته ألا عصمة محضة لله الحمد على ذلك جعلنا الله تعالى من الفقراء إليه به فأنم الفقر إليه تعالى به هو عين الغنى لانه الغني وانت به فقير فانت الغني به عن العالمين فاعلم ذلك

الباب الثالث والستون ومائة في معرفة مقام الغنى وأسراره

تمتاز عن نسب الاسماء رتبته

منها وليس لها كون فينعتها

ممن يقول بها والعقل يثبتها

عن عالم الكون جاءت فيه آيتها

ما قلت من نفي ما تعطي دلالتها

دنيا وآخرة والشرع مثبتها

ان الغنى صفة سلبية ولذا

يخصه حكمها والعين في عدم

ان الدلالة في التحقيق مجهلة

لذا قال غنى في تنزله

في العنكبوت فدبره تجده على

وليس يعرف ألا من علامته

أعلم أيّدك الله ان الغنى صفة ذاتية للحق تعالى فان الله هو الغني الحميد أي المثني عليه بهذه الصفة وأما الغني للعبد فهو غنى النفس بالله عن العالمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض لكن الغنى غنى النفس خرجته الترمذي والعرض المال وهذه كلمة نبوية صحيحة فان غنى الانسان عن العالم لا يصح ويصح غناه عن المال فان الله سبحانه قد جعل مصالح العبد في استعمال أعيان بعض الأشياء وهي من العالم فلا غنى له عن استعمالها فلا غنى له عن العالم فلذلك خصصه بالمال فلا يوصف بالغنى عن العالم ألا الله تعالى من حيث ذاته جل وتعالى والغنى في الانسان من العالم فليس الانسان بغنى عن الغنى فهو فقير إليه وأعلم ان الغنى وان كان بالله والعزة وان كانت بالله فانهما صفتان لا يصح للعبد ان يدخل بهما على الله تعالى وان كان بالله فيهما فلا بد ان يتركهما فيدخل فقيراً ذليلاً ومعنى الدخول التوجه إلى الله فلا يتوجه إلى الله بغناه به ولا بعزته به وانما يتوجه إلى الله بذله وأفتقاره فان حضرة الحق لها الغيرة ذاتية فلا تقبل عزيراً ولا غنياً وهذا ذوق لا يقدر أحد على انكاره من نفسه قال تعالى مؤدباً لنبيه صلى الله عليه وسلم في ظاهر الأمر وهو يؤدبنا به لتعلم أما من أستغنى فانت له تصدى فكان مشهود محمد صلى الله عليه وسلم الصفة الألهية وهو الغنى فتصدى لها لما تعطيه حقيقتها من الشرف والني في ذلك الوقت في حال الفقر في الدعوة إلى الله وان تعم دعوته وعلم ان الرؤساء والأغنياء تبع الخلق لهم أكثر من تبع من ليس له هذا النعت فإذا أسلم من هذه صفته أسلم لأسلامه خلق كثير

والنبي صلى الله عليه وسلم له على مثل هذا حرص عظيم وقد شهد الله تعالى عندنا له بذلك فقال عزيز عليه ما عنتم أي عنادكم يعز عليه للحق المبين حريص عليكم في ان تسلموا وتنقادوا إلى ما فيه سعادتكم وهو الايمان بالله وما جاء من عند الله ومع هذا الحضور النبوي أوقع العتب عليه تعليماً لنا وإيقاظاً له فان الانسان محل الغفلات وهو فقير بالذات وقد أستحق الجاه والمال ان يستغني بهما من قايما به ولذلك قال أما من أستغنى وما قال أما من هو غني فانه على التحقيق ليس بغني بل هو فقير لما أستغنى به فقال صلى الله عليه وسلم ان الله أدبني فأحسن أدبي فمن مكارم الأخلاق الأقبال على الفقراء والأعراض عن الأغنياء بالعرض من جاه أو مال فإذا رى من هذه صفته الفقر والذلة بتروله عن هاتين المرتبتين وجب على أهل الله الأقبال عليهم فانهم ان أقبلوا عليهم وهم مستحضرون لما هم عليه من الجاه والمال تخيلوا ان أقبال أهل الله عليهم لجاههم ولما لهم فيزيدون رغبة في بقاء ما هم عليه فلذلك منع الله أهله ان يقبلوا عليهم ألا بصفة الزهد فيهم فإذا أجمع في مجلس أهل الله من هو فقير ذليل منكسر وغني بما له ذو جاه في الدنيا أظهر القبول والأقبال على الفقير أكثر من أظهره على الغني ذي الجاه لانه المقصود بالأدب الذي أدب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم غير ان صاحب هذه الصفة يحتاج إلى ميزان الحق في ذلك فان غفل عنه كان الخطأ أسرع إليه من كل شيء وصورة الوزن فيه ان لا يرى في نفسه شغواً عليه ولا يخاطبه أعني لا يخاطب هذا الغني ولا ذا الجاه بصفة قهر تذله فانه لا يذل تحتها بل ينفر ويزيد عظمة وانت مأمور بالدعوة إلى الله فأدعوه كما أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يدعو الناس تعليماً له ولنا فانا مخاطبون بالدعاء إلى الله كما قال أدعوا إلى الله على بصيرة انا ومن أتبعني وقال له أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فان جادلوك فجادلهم بالتي هي أحسن وقال "لو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك" هذه هي الصفة اللازمة التي ينبغي ان يكون الداعي عليها ولا يجعل في نفسه عند دعائه لمن هذه نعوته من عباد الله طمعاً فيما في أيديهم من عرض الدنيا ولا فيما هو عليه من الجاه فان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فلا تخلعن ثوباً ألبسكه الله وليس له تصرف ألا في هذا الموطن فهذا معنى الحكمة وما عتب الله نبيه صلى الله عليه وسلم في الأول ألا لعزة قامت بنفس أولئك نفر مثل الأقرع بن حابس وغيره فقالوا لو أفرد لنا محمد مجلساً جلسنا إليه فانا نائف ان نجالس هؤلاء الأعبد يعنون بذلك باللاً وخباباً وغيرهما فرغب النبي صلى الله عليه وسلم لحرصه على إيمانهم ولعلمه انه يرجع لرجوعهم إلى الله ما انزل جبراً لقلوب الفقراء فانكسر الباقي من نفوس أولئك الأغنياء الأعزاء وقيل له ما عليك ألا البلاغ وليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء ونزل الله عليه "عبسى وتولى" والآيات وانزل عليه "وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم والآيات وفيها وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ثم ذكر ما للظالمين عند الله في الآخرة فطريقة الإرشاد والدعاء إلى الله ميزانها الغني بالله عما في أيديهم وما يكون بسببهم فان لم تكن في نفسك بهذه المثابة فلا تدع واشتغل بدعاء نفسك إلى الأتصاف بهذه الصفات المحموده عند الله ولا تتعد الحد الذي انت عليه ولا تخط في غير ما تملكه فتكون غاصباً والصلاة في الدار المغصوبة لا تجوز بخلاف والدعاء إلى الله صلاة والأخلاص فيها الحرية عن أسترقاق من يدعوهم إليه فهذا هو محل الغنى بالله وهنا يستعمل فان عدلت به إلى غير هذا فقد أحسرت الميزان والله يقول "ولا تحسروا الميزان وان لا تطغوا في الميزان فتخرجوه عن حده" وهو قوله "لا تغلوا في دينكم" والغلو والطغيان هما الرفعة فوق الحد الذي يستحقه المتغالي فيه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الرابع والستون ومائة في معرفة مقام التصوف

فاعلم ان التصوف تشبيهه بخالقنا

كيف التخلق والمكر الخفي له

وذمه في صفات الخلق فأعتبروا

ان الحديد إذا ما الصنع يدخله

كذلك الخلق المذموم يرجع مح

ان التصوف أخلاق مطهرة

لانه خلق فانظر ترى عجباً

في خلقه وبهذا القدر قد حجباً

فيه فذا مثل للعقل قد ضرباً

في غير منزلة يرده ذهباً

موداً إذا هو الرحمن قد نسباً

مع الأله فلا تعدل به نسباً

قال أهل طريق الله التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف وسئلت عائشة أم المؤمنين عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن وان الله أننى عليه بما أعطاه من ذلك فقال "وانك لعلی خلق عظیم" ومن شرط المنعوت بالتصوف ان يكون حكيماً ذا حكمة وان لم يكن فلاحظ له في هذا القلب فانه حكمه كله فانه أخلاق وهي تحتاج إلى معرفة تامة وعقل راجح وحضور وتمكن قوي من نفسه حتى لا تحكم عليه الأغراض النفسية وليجعل القرآن أمامه صاحب هذا المقام فينظر إلى ما وصف الحق به نفسه وفي أي حالة وصف نفسه بذلك الذي وصف نفسه ومع من صرف ذلك الوصف الذي وصف به نفسه فليقم الصوفي بهذا الوصف بتلك الحال مع ذلك الصنف فأمر التصوف أمر سهل لمن أخذه بهذا الطريق ولا يستنبط لنفسه أحكاماً ويخرج عن ميزان الحق في ذلك فانه من فعل ذلك لحق بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فان الله لا يقيم له يوم القيامة وزناً كما انهم لم يقيموا للحق هنا وزناً فعادت عليهم صفتهم فما عذبهم بغيرهم فتأمل قوله تعالى في كتابه فانه ما ذكر صفة قهر وشدة إلا وإلى جانبها صفة لطف ولين حيثما كان من كتاب الله ثم ان أفراد صفة منها ولم يذكر إلى جانبها ما يقابها أطاها تجد مقابله في موضع آخر مفرداً أيضاً فذلك المفرد المقابل هو لهذا المفرد المقابل والغالب الجمعية قال تعالى "نبى عبادي انى انا الغفور الرحيم" ثم أردف في المقابل فقال تعالى "وان عذابي هو العذاب الأليم" وقال "إ، ربك لسريع العقاب" ثم أردف بالمقابل فقال "وانه لغفور رحيم" وقال "وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم" ثم أردف فقال "وانه لشديد العقاب" وتتبع هذا تجده كما ذكرناه لك ثم انه ما ذكر نعتاً من نعوت أهل السعادة إلا وذكر إلى تجانبه نعتاً من نعوت أهل الشقاء إما بتقديم أو بتأخير قال تعالى "وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة" في أهل السعادة ثم عطف فقال "وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها فترة أولئك هم الكفرة الفجرة" وقال تعالى في حال أهل السعادة "وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة" ثم عطف فقال في أهل الشقاء "وجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة" والوجوه هنا عبارة عن النفوس الانسانية لان وجه الشئ حقيقته وذاته وعينه لا الوجوه المقيدة بالأبصار فانها لا تتصف بالظنون ومساق الآية يعطى ان الوجوه هنا هي ذوات المذكورين وقال في الأشقياء "وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية" ثم عطف بالسعداء فقال "وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية" وقال في أحوال السعداء "فأما من أوتي كتابه بيمينه فذكر خيراً" ثم عطف وقال "وأما من أوتي كتابه بشماله فذكر شراً" وكذلك قوله "من كان يريد العجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها" ثم عطف "وقال ومن كان يريد الآخرة وسعى لها سعيها" وقال في العناية "فألهمها فجورها" ثم عطف فقال "وتقواها" وقال "قد أفلح من زكاها" ثم عطف "وقد خاب من

دساها"وقال "فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى" ثم عطف وقال "وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى" فالصوفي من قام في نفسه وفي خلقه وفي خلقه قيام الحق في كتابه وفي كتبه "فما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من شينة فمن نفسك" فقد رميت بك على الطريق وليس التصوف بشئ زائد عند القوم سوى ما ذكرته لك وبينته ولكن الله انزل الميزان والعلم بالمواطن وبالأحوال فلا تخرج شيئاً عن مقتضى ما تطلبه الحكمة "ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين"فالتخلق به والوقوف عند يزيل المرض النفسي لا بد من ذلك ولكن للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسار إلا أنهم يعدلون به عن موطنه ويحرفون الكلم عن مواضعه فيعممون الخاص ويخصصون العام فسمون ظالمين قاسطين والحكماء هم المقسطون ومن أوتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما وصفه الله بالكثرة فإن القلة لا تدخله وسبب وصفه بالكثرة لأن الحكم سارية في الموجودات لأن الموجودات وضع الله ثم خلق الانسان وحمله الأمانة بأن جعل له النظر في الموجودات والتصرف فيها بالأمانة ليؤدي كل ذي حق حقه كما أن الله أعطى كل شئ خلقه فجعل الانسان خليفة في الأرض دون غيره من المخلوقين فهو أمين على خلق الله فلا يعدل بهم عن سنة الله فالموجودات بيد

الانسان أمانة عرضت عليه فحملها فان أداها فهو الصوفي وان لم يؤدها فهو الظلوم الجهول والحكمة تناقض الجهل والظلم فالتخلق بأخلاق الله هو التصوف وقد بين العلماء التخلق باسماء الله الحسنى وبينوا مواضعها وكيف تنسب إلى الخلق ولا تحصى كثرة وأحسن ما تصرف فيه مع الله مع الله خاصة فمن يفتن وصرفها مع الله أحاط علماً بتصرفها مع الموجودات فذلك المعصوم الذي لا يخطئ أبداً والمحفوظ من ان يتحرك أو يسكن سدى جعلنا الله مع الصوفية القائمين بحقوق الله والمؤثرين جناب الله

الباب الخامس والستون ومائة في معرفة مقام التحقيق والمحققين

كالآل تبصره بقية

ات لعين مائك ان تضعه

ت فرما كانت خديعة

الحق فيها كالوديعة

رارا نصوص في الشريعة

ر في منازل الرفيعة

من خلف أستار بديعة

صور تألفها الطبيعة

جع والتزم سد الذريعة

ديث به من ألفاظ شنيعة

ك فقل لها كوني مطيعة

الحق في حق الطبيعة

فنتظنه ماء فت

انظر وحقق ما رأي

صور التجلي هكذا

وأنت بها نكرا وأق

لا تلتفت للقاع وانظ

تجد المعنى ينجلي

في غير شكل لا ولا

فإذا رأيت الحق فار

وانطق بما نطق الح

وإذا عزيزة نازعت

كوني الكتومة لا تكو

وإذا دعيت بمثل ذا

جمل صنيعك في القبو

ني بين صحبة بالمذبة

كوني المجيبة والسميعة

ل فقد تجازى بالصنيعة

اعلم أيديك الله ان التحقيق هو المقام الذي لا يقبل الشبه القادحة فيه وصاحب هذا النعت هو المحقق فالتحقيق معرفة ما يجب لكل شئ من الحق الذي تطلبه ذاته فيوفيه ذلك علماً فان اتفق انيعامله به حالاً فهو الذي ظهر عليه سلطان التحقيق وان لم يظهر عليه فهو عالم بانه أخطأ ولا يقدح ذلك الخطأ في تحقيقه لانه بصير بنفسه وبما أخطأ فيه لانه أخطأ عن تعمل وهنا سر إلهي وهو ان الله هو الحكيم المطلق وهو الواضع للأمور في مواضعها وهو الذي أعطى كل شئ خلقه فليس في الكون خطأ بنسبة الترتيب لله وقد علم رب هذا التحقيق والمحقق به الأمر هكذا هو وقد علم انه أخطأ ولكن بالنسبة إلى ما أمر به لا بالنسبة إلى ما هو الأمر عليه من حيث ان الله هو الواضع له في ذلك المحل المسمى هذا الفعل خطأ فصاحب التحقيق مأجور في خطئه أي مثني عليه عند الله كالمجتهد ما هو مخطئ في نفس الأمر فان حكمه مقرر وانما خطؤه بالنسبة إلى غيره حيث لم يوافق دليله دليل غيره وكل شرع وكل حق فهكذا لمزلة التحقيق والمحققين ومن شرط صاحب هذا المقام ان يكون الحق سمعه وبصره ويده ورجله وجميع قواه المصرفة له فلا يتصرف إلا بحق في حق الحق ولا يكون هذا الوصف إلا لمحبوب ولا يكون محبوباً حتى يكون مقرباً ولا يكون مقرباً إلا بنوافل الخيرات ولا تصح له نوافل الخيرات إلا بعد كمال الفرائض ولا تكمل الفرائض إلا باستيفاء حقوقها ولذلك منعنا ان تصح لأحد على التعيين نافلة إلا بأخبار أو مشاهدة وذلك ان الفرائض تستغرقها بالتكميل منها فانه قد ورد في الصحيح عن الله تعالى أنه يقول يوم القيامة انظروا في صلاة عبادي أتمها أم نقصها فان كانت تامة كتبت له تامة وان كانت انتقص منها شيئاً قل لانظروا هل لعبدي من تطوع وهو النافلة أكملوا لعبدي فريضته من تطوعه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تؤخذ الأعمال على ذاكم وما شهد الله بنافلة لأحد إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً وهو مقام القرب والسيادة المشهودة للكون فمن كان الحق سمعه فلا تدخل عليه شبهة فيما يسمع بل يدري ما يسمع ومن سمع ومن سمع وما يقتضيه ذلك المسموع فيعمل بحسب ذلك فلا يخطئ سمعه وكذلك إذا كان الحق بصره علم بمن أبصر وما أبصر فلم يدخل في نظره شبهة ولا في حسه غلط ولا في عقله حيرة فهو لله بالله وكذلك في جميع حركاته وسكناته حركات عن تحقيق من محقق ولا ينظر في ذلك إلى تخطئة الغير فيها فإنه من المحال قطعاً ان يكون في الوجود أمر يوافق أغراض الجميع فان الله خلق نظرهم متفاوتاً وما جعل في موجوداته من تفاوت في نفس الأمر كما قال تعالى "الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فأرجع البصر هل ترى من فطور" فمنع ان يكون هناك تفاوت بل أداه الأمور على وضع الحكمة الإلهية فمن أعطى هذا العلم فقد أعطى ما يجب لكل واحد من خلق الله وهذا مقام عزيز قل ان ترى له ذائناً إلا من كان له هذا المقام وعلامة صاحب هذا المقام ان يكون عنده لكل ما يسمى خطأ في الوجود وجه إلى الحق يعرفه ويعرف به ان سئل عنه عند من يعرف منه القبول عليه هذه علامته وهو الذي يرى ربه بكل عقيدة وبكل عين وفي كل صورة وليس هذا إلا لصاحب هذا المقام فإذا إدعاه أحد وقع أمر في العالم يقع فيه الانكار ولا يكون عند مدعي هذا المقام له مخرج لحق جملة واحدة فدعواه في هذا المقام محال فان صاحب هذا المقام يعلم أين

وجه الحق في ذلك الأمر الذي صحبه النكر وأكثر ما يكون ذلك في العقائد والأمور الشرعية وما عدا هذين الموضعين فانه يسهل وجود الحق فيما يقع فيه الانكار العرضي ولا يلزم من إظهار حق ذلك الأمر ان يكون لسان الحمد يجري عليه ليس ذلك المطلوب بل هو مذموم مثلاً من كونه حقاً فما كل حق كحمود شرعاً ولا عقلاً وانما المراد بالتحقيق علم ما يستحقه كل أمر عندما كان أو وجوداً حتى الباطل يعطيه حقه ولا يتعدى به محله ومن كان هذا نعتة فهو الامام المبين وهو مجلى العالمين والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وفي هذا الباب قلت أخاطب نفسي

أورده موافقه

مع النفوس الصادقه

على شهود السابقه

يا نفس كوني للذي

والتزامي وانتظمي

فانها موقوفة

فان منها الحالقه

إليك بالموافقه

لا تتعنتي بالخالقه

تحتمل المشاققه

لا تركب المحاققه

بالبحث والمضايقه

من الأمور الخارقه

لها على المطابقه

في حلبة المسابقه

مع العقول الفارقه

لها الشموس الشارقة

جنب براهين النهي

فما له فرده

من سيئ لا يرتضى

حضرة فعل الله لا

نفسك غالط عندها

شقوقتها مقرونة

لا تلتفت لما يرى

ما لم تكن مسلماً

ان الحكيم المجتبي

يجرى على حكمته

في حضرة النور التي

فاعلم أيدك الله ان من التحقيق انتعطى المغالطة في موضعها حقها فان لها في كتاب الله موضعاً وهو قوله في أعمال الكفار كسراب بقية يحسبه الظمان ماء والحق هو الذي أعطاه في عين هذا الرائي صورة الماء وهو ليس بالماء ذلك المحل الذي إليه محل السراب ولو كان لقاء وجد السراب وما كان سراباً إلا في عين الرائي طالب الماء فرجع هذا الرائي لنفسه لما لم يجد مطلوبه في تلك البقعة فوجد الله عنده فلجأ إليه في إغاثته بالماء أو بالمنزل لذلك الظمأ القائم به فبأي أمر أزاله فهو المعبر عنه بالماء فلما نفى عنه إسم الشئ جعل الوجود له سببانه لانه ليس كمثله شئ فما هو شئ بل هو وجود فانظر ما أدق هذا التحقيق فهذا كنار موسى فتجلى له في عين حاجته فلم تكن ناراً كما قلنا

وهو الأله ولكن ليس يدريه

كنا موسى يراها عين حاجته

الباب السادس والعشرون ومائة في معرفة مقام الحكمة والحكام

في أعين الأكوان والاسماء

في الحكمة المزدانة الغراء

في حالة السراء والضراء

في بدء ما تهوى من الأشياء

في كل ما يجري من الأهواء

ان الحكيم مرتب الأشياء

يجري من العلم القديم بحكمه

فتراه يعطي كل شئ خلقه

وعن العوارض لا يزال منزلها

لكنه المعصوم في أفعاله

اعلم أيديك الله ان الحكمة علم بمعلوم خاص وهي صفة تحكم بها ولا يحكم عليها وإسم الفاعل منها حكيم فلها الحكم وإسم الفاعل من الحكم الذي هو أثرها حاكم وحكم وبهذا سمي الرسن الذي يحكم به الفرس حكمة فكل علم له هذا النعت فهو الحكمة والأشياء المحكومة عليها بكذا تطلب بذاتها واستعدادها ما يحتاج إليه فلا يعطيها ذلك إلا من نعتة الحكمة وإسمه الحكيم فهل للإستعدادات حكمفي هذا المسمى حكيماً أو الحكمة لها الحكم أو المجموع فأما الإستعداد على الانفراد فلا أثر له فانا نرى من يستحق أمراً ما باستعدادده وهو بين يدي عالم لكنه ليس بحكيم فلا يعطيه ما يستحقه لكونه جاهلاً وقد يمنعه ما يستحقه مع كونه موصوفاً بالعلم بما يستحقه ذلك الأمر وما يفعل فلا بالمجموع ولا بالانفراد فعلمنا ان ذلك راجع إلى أمر رابع ما هو الحكمة ولا العليم بالحكمة ولا استعداد الأمر الذي يطلب الحكمة وذلك الأمر الزائد هو الذي يبعثه على إعطاء ذلك الأمر حقه لعلمه بما يستحقه وحينئذ يسمى حكيماً وما لم يكن منه ذلك فهو عالم بالحكمة وبما تستحقه وما يستحقه ذلك الأمر باستعدادده فلا يسمى حكيماً إلا بوجود هذا الإستعمال وهو قوله أعطى كل شئ خلقه من أسمه الحكيم فبالإعطاء الذي تعطيه الحكمة يسمى حكيماً فهو علم تفصيلي عملي والعلم بالمجمل علم تفصيلي فانه فصله عن العلم التفصيلي ولولا ذلك لم يتميز المجمل من المفصل فمن الحكمة العلم بالمجمل والتجمل والمفصل والتفصيل قال تعالى "وآتينا الحكمة عملاً وفصل الخطاب" في المقال فالحكيم يجري مع كل حال وممكن بحسب ذلك الحال وذلك الموطن وليس هذا إلا للملامية خاصة فهم المجهولون في الدنيا لانهم لا يتميزون بأمر يخرجهم عن حكم ما يعطيه موطن الدنيا فان قام به حال يناقض الموطن من وجه وهو حال النبوة أعني الرسالة فانه لا بد ان يحكم عليه الحال وهو الذي تعطيه الحكمة فيتميزون في موطن الدنيا بانه عند الله بمكان ولم يمن له ذلك ولكن حال التبليغ يطلب الدلالة على صحة يدعو إليه فهذا هو حكم الحال فان كان ولياً دون رسول تعيين عليه الجري بحكم الموطن لا بحكم الحال فان ظهر من هذا الملمي ما يدل على منزلته من ربه بما يعطي من التمكن والتصرف في العالم وليس برسوله فهو رعونة وصاحب نقص فان ظهر بعلم غريب فهل يكون مثل صاحب الحال النفسي المؤثر أم لا قلنا لا فان العلم الذي لا يكون معه أثر كوني سوى نفسه لا يقوم عند العامة ولا عند الخاصة له ذلك الوزن ولا لصاحبه ذلك الوزن ولا لصاحبه ذلك التميز إلا عند الأكابر من أهل الله وممن له تحقق واستشراق على ذلك المقام الأعلى ولذلك قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم "قل ربي زدني علماً" من أجل الموطن وما أظهر آية في دعائه إلى الله في كل وقت ولا عند كل مدعو مع حاجته إلى ذلك ولكن لما كان مأمور بالتبليغ ما عليه إلا البلاغ فان شاء الحق أيده كان بالمعجزات وإي شاء زاد دخاؤه من أرسل إليهم فرارا مما دعاهم إليه من توحيده كنوح عليه السلام فأخبر فقال أي دعوت قومي

ليلاً ونهاراً فلم يزددهم دعائي إلا فرارا واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في إذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا استكبروا
استكبارا وللحكام السياسة في العالم بالطريقة المشروعة التي شرع الله لعباده ليسلكوا فيها فيقودهم ذلك السلوك إلى سعادتهم
انتهى الجزء السابع ومائة

الجزء الثامن ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب السابع والستون ومائة في معرفة كيمياء السعادة

ان الأكاسير برهان يدل على
ان العدو بأكسير العناية إذ
في الحين يخرج صدقا من عداوته
فصحيح الوزن فالميزان شرعتنا
الكيمياء مقادير معينة
فكن به فطنا ان كنت ذا نظر
تلتحق برتبة املاك مطهرة
ما في الوجود من التبديل والغير
يلقى عليه بميزان على قدر
إلى ولايته بالحكم والقدر
وقد ابنت فكن فيه على حذر
لان كم عدد في عالم الصور
ولا تردنك الأهوا عن النظر
وترتقى رتبا عن عالم البشر

الكيمياء عبارة عن العلم الذي يختص بالمقادير والأوزان في كل ما يدخله المقدار والوزن من الأجسام والمعاني المحسوساً ومعقولاً وسلطانها في الاستحالات أعني تغير الأحوال على العين الواحدة فهو علم طبيعي روحاني إلهي وانما قلنا إلهي لورود الاستواء والتزول والمعية وتعدد الاسماء الإلهية على المسمى الواحد باختلاف معانيها

فالأمر ما بين مطوى ومنشور
تاهت مراكبنا على بسائطها
والوحي ينزل أحكاما يشرعها
كالكيف والكم أحوال المقادير
نيه امتياز بسر غير مقهور
والحكم ما بين منهي ومأمور

فعلم الكنياء بالأكسير وهو على قسمين أعني فعله أما انشاء ذات ابتداء كالذهب المعدني وإما إزالة علة ومرض كالذهب الصناعي الملحق بالذهب المعدني كنشأة الآخرة والدنيا في طلب الاعتدال فاعلم ان المعادن كلها ترجع إلى أصل واحد وذلك الأصل يطلب بذاته ان يلحق بدرجة الكمال وهي الذهبية غير انه لما كان أمراً طبيعياً عن أثر أسماء إلهية متنوعة الأحكام طرأت عليه في طريقه علل وأمراض من اختلاف الأزمنة وطبائع الأمكنة مثل حرارة الصيف وبرد الشتاء ويؤسدة الخريف ورطوبة الربيع ومن البقعة كحرارة المعدن وبرده بالجملة فالعلل كثيرة غلبة عليه علة من هذه العلل في أزمان رحلته ونقلته من طور إلى طور وخروجه من دور إلى حكم دور واستحكم فيه سلطان ذلك الموطن ظهرت فيه صورة نقلت جوهرته إلى حقيقتها فسمى كبريتاً أو زيقاً وهما الأبوان لما يظهر من التحامهما وتناكحهما من معادن لعل طارئة على الولد فهما انما يلتحمان ويتناكحان ليخرج بينهما جوهر شريف كامل النشأة يسمى ذهباً فيشرف به الأبوان إذ كانت تلك الدرجة مطلوبة لكل واحد من الأبوين من حيث جوهريتهما إلا ان ذلك

الأصل في الإلهيات نفس وفي الطبيعة بخار إلا ان الأبوين أمر وطبيعة وانما قلنا ان ذلك الأمر كان مطلوباً للأبوين من حيث جوهرهما لا من حيث صورتهم لان الحكم في الجوهر الهولائي انما هو للصور فلما حالت العلة التي طرأت عليه في معدنه فصيرته كبريتاً وزيقاً علمنا أيضاً ان في قوتهم إذا لم يطرأ عليهما علة تخرجهما عن سلطان حكم اعتدال الطبائع وتعديل بهما عن طريقه ان الولد الخارج بينهما الذي يستحيل أعيانهما إليه أهما يلحقان بدرجة الكمال وهو الذهب الذي كان مطلوباً لهما ابتداء فإذا التحما وتناكحا في المعدن بحكم طبيعة ذلك المعدن الخاص وحكم قبوله لأثر طبيعة الزمان فيه وهو على شراط مستقيم مثل الفطرة التي فطر الله الناس عليها وأبواه هما اللذان يهودان الولد أو ينصرانه أو مجسانه كذلك إذا كثرة فيه كمية الأدب الواحد لعرض معدني من عرض زمني غلب بذلك إحدى الطبائع على إخوانها فزاد وأربى ونقص الباقي عن مقامة الغالب حكم على الجوهر فردة لما تعطيه حقيقته ذلك الطبع وعدل به عن طريق الاعتدال التي هي المحجة التي تخرج بك إلى المدينة الفاضلة الذهبية الكاملة التي من حصل فيها لم يقبل الاستحالة إلى إلا نقص عنها فإذا غلب عليه ذلك الطبع قلب عينه فظهرت صورة الحديد أو النحاس أو القزدير أو الانك أو الفضة بحسب ما يحكمعليه ومن هنا تعرف قوله تعالى في الاعتبار مخلقة وغير مخلقة أي تامة الخلقة وليس إلا الذهب وغير تامة الخلقة وهي بقية المعادن فتتولاه في ذلك الوقت الروحانية كوكب من الكواكب السيارة السبعة وهو ملك من ملائكة تلك السماء يجري مع ذلك الكوكب المسخر في سباحته لان الله هو الذي وجهه إلى غاية يقصدها عن أمر خالقه أبقاء لعين ذلك الجوهر فيتولى صورة الحديد ذلك الملك الذي جواده هذا الكوكب السابح من السماء السابعة من هنا وصورة القزدير وغيره وكذلك كل صورة معدنية يتولاه ملك يكون جواده هذا الكوكب السابح في سماءه وفلكه الخاص به الذي وجهه فيه ربه تعالى فإذا جاء العارف بالتدبير نظر في الأمر الأهون عليه فان كان الأهون عليه إزالة العلة من الجسد حتى يردّه إلى الجرى الطبيعي المعتدل الذي انحرف عنه فهو اولى فان الكواكب السابحة يراه صاحب الرصد وقتاً في المترلة عينها ووقتاً عادلاً عنها منحرفاً فوقها أو تحتها فيعتمد العارف بالتدبير إلى السبب الذي رده حديداً أو ما كان ويعلم انه ما غلب الجماعة إلا بما فيه من الكمية فنقص من الزائد وزاد في الناقص وهذا هو الطب والعامل به العالم هو الطبيب فيزيل عنه بهذا الفعل صورة الحديد مثلاً أو ما كان عليه من الصورة فإذا رده إلى الطريق أخذ يحفظ عليه نقويم الصحة وإقامته فيها فانه قديماً في من مرضه وهو ناقة فيخاف عليه فهو يعامله بتلطيف الأغذية ويحفظه من الأهوية ويسلك به على الصراط القويم إلى ان يكسو ذلك الجوهر صورة الذهب فإذا حصلت له خرج عن حكم الطبيب وعن علته فانه بعد ذلك الكمال لا يتزل إلى درجة النقصان ولا يقبله ولو رامها الطبيب لم يتمكن له ذلك فان القاضي ما عنده نص في هذه المسئلة حتى يحكم فيها بما يراه وسبب ذلك على الحقيقة ان القاضي عادل ولا يحكم الأعلى من خرج

عن طريق الحق وهذا الذهب عليه فلا يقضي عليه بشئ لانه لم يتوجه للخصم عليه حق فهذا سببه فمن لزم طريق الحق ارتفع عن درجة الحكم عليه وصار حاكماً على الأشياء فهذه طريقة إزالة العلل وما رأيت عليها أحد يعرف ذلك ولا نبه عليه ولا أشار ولا تجده إلا في هذا الباب أو في كلامنا وأما إذا أراد صاحب هذه الصنعة انشاء العين المسمى اكسير ليحمله على ما يشاء من الأجساد المعدنية فيقبلها لما تحكم به طبيعة ذلك الجسد القابل والدواء واحد الذي هو الأكسير فمن الأجساد من يردّه الأكسير إلى حكمه فيكون أكسير يعمل عمله وهو المسمى بالنائب فيقوم في باقي الأجساد المعدنية ويحكم بحكمه مثل ان يأخذ وزن درهم أو أي وزن شاء من عين الأكسير فيلقيه على ألف وزن من أي جسد شئت من الأجساد فان كان قزديراً أو حديداً أعطاه صورة الفضة وان كان نحاساً أو رصاصاً أسود أو فضة أعطاه صورة الذهب وان كان الجسد زيقاً أعطاه قوته وتركه نائباً عنه يحكم في الأجساد

حكمه ولكن وزن يخالف وزن باقي الأجساد وذلك وزن درهم من الأكسير فيلقيه على رطل الحكمة خاصة من الزبيق فيرده أكسير كله فيلقى من ذلك النائب وزناً على ألف من بقية الأجساد مثل الأكسير فيجري في الحكم مجراه فهذه صورة الانشاء الأولى صنعة إزالة المرض وانما جئنا بهذا لنعلمك بارتباط الحكمة في مسمى الكيمياء بين الطرفين ولماذا سميت كيمياء السعادة لان فيها سعادة لا بد وزيادة ما عند الناس من أهل الله خير منها وهوانه يعطيك درجة الكمال الذي للرجال فانه ما كل صاحب سعادة يعطى الكمال فكل صاحب كمال سعيد وما كل سعيد كامل والكمال عبارة عن اللوح بالدرجة العلى وهو التشبه بالأصل ولا يتخيل ان قول النبي صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير انما أراد الكمال الذي ذكره الناس وانما هو ما ذكرناه وذلك بحسب ما يعطى الاستعداد العلمي في الدنيا فلتكلم ان شاء الله على كيمياء السعادة بعد هذا التمهيد والله الموفق لا رب غيره وصل في فصل

اعلم ان الكمال المطلوب الذي خلق له الانسان انما هي الخلافة فأخذها آدم عليه السلام بحكم العناية الإلهية وهو مقام أخص من الرسالة في الرسل لانه ما كل رسول خليفة فان درجة الرسالة انما هي التبليغ خاصة قال تعالى "وما على الرسول إلا البلاغ" وليس له التحكم في المخالف انما له تشريع الحكم عن الله أو بما أراه الله خاصة فإذا أعطاه الله التحكم فيمن أرسل إليهم فذلك هو الإستخلاف والخلافة والرسول الخليفة فما كل من أرسل حكم فإذا أعطى السيف وأمضى الفعل حينئذ يكون له الكمال فيظهر بسلطان الاسماء الإلهية فيعطى ويمنع ويعز ويذل ويحي ويميت ويضر وينفع ويظهر باسماء التقابل مع النبوة لا بد من ذلك فان ظهر باتحكم من غير نبوة فهو ملك وليس بخليفة فلا يكون خليفة إلا من استخلفه الحق على عبادته لا من أقامه الناس وبايعوه وقدموه لانفسهم وعلى انفسهم فهذه هي درجة الكمال وللنفوس تعمل مشروع في تحصيل مقام الكمال وليس لهم تعمل في تحصيل النبوة فالخلافة قد تكون مكتسبة والنبوة غير مكتسبة لكن لما رأى بعض الناس الطريق الموصل إليها ظاهر الحكم ومن شاء الله يسلك فيه تحيل ان النبوة مكتسبة وغلط فلا شك ان الطريق يكتسب فإذا وصل إلى الباب يكون بحسب ما يخرج له في توقيعه وهنالك هو الإختصاص الإلهي فمن الناس منيخرج له توقيع بالولاية ومنهم من يخرج له توقيع بالنبوة وبالرسالة وبالرسالة والخلافة ومنهم من يخرج له توقيع بالخلافة وحدها فلما رأى من رأى ان هؤلاء ما خرج لهم هذا التوقيع ألا بعد سلوكهم بالأفعال والأقوال والأحوال إلى هذا الباب تحيل ان ذلك مكتسب للعبد فأخطأ وأعلم ان النفس من حيث ذاتها مهية لقبول استعداد ما تخرج به التوقيعات الألهية فمنهم من حصل له استعداد توقيع الولاية خاصة فلم يزد عليها ومنهم من رزق استعداد ما ذكرناه من المقامات كلها أو بعضها وسبب ذلك ان النفوس خلقت من معدن واحد كما قال تعالى "خلقكم من نفس واحدة" وقال بعد استعداد خلق الجسد ونفخت فيه من روحي فمن روح واحد صح السر المنفوخ في المنفوخ فيه وهو النفس وقوله في أي صورة ما شاء ركبك يريد الاستعدادات فيكون بحكم الاستعداد في قبول الأمر الألهي فلما كان أصل هذه النفوس الجزئية الطهارة من حيث أبيها ولم يظهر لها عين ألا بوجود هذا الجسد الطبيعي فكانت الطبيعة الأب الثاني خرجت ممتزجة فلم يظهر فيها أشراق النور الخالص المجرد عن المواد ولا تلك الظلمة الغائية التي هي حكم الطبيعة فالطبيعة شبيهة بالمعدن والنفس الكلية شبيهة بالأفلاك التي لها لفعل وعن حركاتها يكون الانفعال في العناصر والجسد المكون في المعدن بمزلة الجسم الانساني والخاصية التي هي روح ذلك الجسد المعدني بمزلة النفس الجزئية التي للجسم الانساني وهو الروح المنفوخ وكما ان الأجساد المعدنية على مراتب لعل طرات عليهم في حال التكوين مع كونهم يطلبون درجة الكمال التي لها ظهرت أعيانهم كذلك الانسان خلق للكمال فما صرفه عن ذلك الكمال ألا علل وأمراض

طرات عليهم أما في أصل ذواتهم وأما بأمور عرضية فاعلم ذلك فلنبتدئ بما ينبغي ان يليق بهذا الباب وهو ان نقول ان النفوس الجزئية لما ملكها الله تدبير هذا البدن وأستخلفها عليه وبين لها انها خلفية فيه لتتنبه على ان لها موقداً استخلافها فيتعين عليها طلب العلم بذلك الذي استخلفها هل هو من جنسها أو شبيه بها بضرب ما من ضروب المشاهدة أولاً يشبهها فتوفرت دواعيها المعرفة ذلك من نفسها فبينما هي كذلك على هذه الحالة في طلب الطريق الموصلة إلى ذلك وإذا بشخص قد تقدمها في الوجود من النفوس الجزئية فانسوا به للشبه فقالوا له انت تقدمتنا في هذه الدار فهل خطر لك ما خطر لنا قال وما خطر لكم قالوا طلب العلم بمن استخلفنا في تدبير هذا الهيكل فقال عندي بذلك علم صحيح جئت به ممن استخلفهم وجعلني رسولاً إلى جنسي لأبين لهم طريق العلم الموصل إليه الذي فيه سعادتهم فقال الواحد إياه أطلب فعرفني بذلك الطريق حتى أسلك فيه وقال الآخر لا فرق بيني وبينك فأريد ان استنبط الطريق إلى معرفته من ذاتي ولا أقلدك في ذلك فان كنت انت حصل لك ما انت عليه وما جئت به بالنظر الذي خطر لي فلمإذا أكون ناقص الهمة وأقلدك وان كان حصل لك باختصاص منه كما خصنا بالوجود بعد ان لم تكن فدعوى بلا برهان فلم يلتفت إلى قوله وأخذ يفكر

وينظر بعقله في ذلك فهذا بمنزلة من أخذ العلم بالأدلة العقلية من النظر الفكري ومثال الثاني مثال أتباع الرسول ومقلده فيما أخبره به من العلم بصانعهم ومثال ذلك الشخص الذي اختلف في اتباعه هذان الشخصان مثال الرسول المعلم فشرع هذا المعلم يبين الطريق الموصل إلى درجة الكمال والسعادة على ما اقتضاه نظر الشخص الواحد من الشخصين اللذين نظرا في شأن هذا المعلم وهو الذي لم يتبعه ولكن ما وقعت الموافقة معه إلا في بعض ما يقتضيه الأمر الطبيعي من مخالفة الطبع ولا كل مخالفة الطبع إلا بوزن خاص ومقدار معين وبهذا سمى كيميا لدخول التقدير والوزن فلما رأى ذلك هذا الشخص فرح بذلك حيث استقل به دون تقليده ورأى ان له شفوفاً على صاحبه الذي قلده فاغتر به وأما المقلد فبقي على ما كان عليه من تقليد المعلم وزاد غير المقلد وهو ذلك الشخص بما رأى من الموافقة زهداً في تقليد هذا الشخص وانفردا بنظرة من أجل هذه الموافقة فسلك الرجلان أو الشخصان ان كانا إمرأتين أو أحدهما إمرأة في الطريق الواحد بحكم النظر والآخر بحكم التقليد وأخذوا في الرياضة وهو تهذيب الأخلاق والمجاهدة وهي المشاق البدنية من الجوع والعبادات العملية البدنية كالقيام الطويل في الصلاة والدؤب عليها والصيام والحج والجهاد والسياسة هذا بنظره وهذا بما شرع له أستاذه ومعلمه المسمى شارعاً فلما فرغاً من حكم أسر الطبيعة العنصرية وما بقي واحد منهما يأخذ من حكم الطبيعة العنصرية ألا الضروري الذي يحفظ به وجود هذا الجسم الذي بوجوده وأعتداله وبقائه يحصل لهذه النفس الجزئية مطلوبها من العلم بالله الذي أستخلفها خاصة فإذا خرجاً عن حكم الشهوات الطبيعية العنصرية وفتح لهما باب السماء الدنيا تلقى المقلد آدم عليه السلام ففرح به وانزله إلى جانبه وتلقى صاحب النظر المستقل روحانية القمر فانزله عنده ثم ان صاحب النظر الذي هو نزول القمر في خدمة آدم عليه السلام وهو كالوزير له مأموراً من الحق بالتسخير له ورأى جميع ما عنده من العلوم لا يتعدى ما تحته من الأكر ولا علم له بما فوقه وانه مقصور الأثر على ما دونه ورأى آدم ان عنده علم ما دونه وعلم ما فوقه من الأمكنة وانه يلقي إلى نزله مما عنده مما ليس في وسع القمر ان يعرفه وعلم انه ما انزله عليه ألا عناية ذلك المعلم الذي هو الرسول فأغتم صاحب النظر وندم حيث لم يسلك على مدرجة ذلك الرسول وأعتقد الايمان به وانه إذا رجع من سفرته تلك ان يتبع ذلك الرسول ويستأنف من أجله سفرأ آخر ثم ان هذا التابع نزول آدم علمه أبوه من الاسماء الألهية على قدر ما رأى انه يحمله مزاجه فان للنشأة الجسمية العنصرية أثراً في النفوس الجزئية فما كلها على مرتبة واحدة في القبول فتقبل هذه مالا تقبل غيرها وفي أول سماء يقف من

علم آدم على الوجه الألهي الخاص الذي لكل موجود سوى الله الذي يحجبه عن الوقوف مع سببه وعلته وصاحب النظر لا علم له بذلك الوجه أصلاً والعلم بذلك الوجه هو العلم بالأكسير في الكيمياء الطبيعية فهذا هو أكسير العارفين وما رأيت أحداً نبه عليه غيري ولولا اني مأمور بالنصيحة لهذه الأمة بل لعباد الله ما ذكرته فعلم كل واحد منهما ما لهذا الفلك من الحكم الذي ولاه الله في هذه الأركان الأربعة والمولدات وما أوحى الله في هذه السماء من الأمر المختص بها في قوله وأوحى في كل سماء أمرها وما علم صاحب النظر نزول القمر من ذلك ألا ما يختص بالتأثيرات البدنية والاستحالات في أعيان الأجسام المركبة من الطبيعة العنصرية وحصل التابع ما فيها من العلم الألهي الحاصل للنفوس الجزئية مما هو الفلك خاصة ومأنسبة وجود الحق من ذلك وماله فيهم من الصور ومن أين صحت الخلافة لهذه النشأة الإنسانية ولا سيما وآدم المنصوص عليه صاحب هذه السماء فملم التابع صورة ألايتخلاف في العلم الألهي وعلم صاحب النظر ألاستخلاف العنصري في تدبير الأبدان وعلل الزيادة والربو والنمو في الأجسام القابلة لذلك والنقص فكل ما حصل لصاحب النظر حصل للتابع وما كل ما حصل للتابع حصل لصاحب النظر فما يزداد صاحب النظر ألاغما على غم وما يصدق متى ينقضي سفره ويرجع إلى بدنه فانهم في هذا السفر مثل النائم فيما يرى في نومه وهو يعرف انه في النوم فلا يصدق متى يستيقظ ليستأنف العمل ويستريح من غمه وانما يتلق خوفاً مما حصل له في سفره ان يقبض فيه فلا يصح له ترق بعد ذلك فهذا هو الذي يزعجه والتابع ليس كذلك فانه يرى الترقى بصحبه حيث كان من ذلك الوجه الخاص الذي لا يعرفه إلاصاحب هذا الوجه فإذا أقام في هذا السماء ما يشاء الله وأخذ في الرحلة وودع كل واحد منهما نزله وارتقيا في معراج الأرواح الى السماء الثانية وفي هذه السماء الاولى هو النائب السابع الألهي الموكل بالنطفة الكائنة في الأرحام التي تظهر فيها هذه النشأة الإنسانية وهويتوكل بها في الشهر السابع من سقوط النطفة والطفل في هذا الشهر الجنين يزداد وينمو في بطن أمه بزيارة القمر ويدبل وتقل حركته في بطن أمه في نقص القمر وذلك هو العلامة فان ولد في هذا الشهر لم يكن في القوة مثل الذي يولد في الشهر السادس فإذا فرعا السماء الثانية وفتحت لهما صعد أفتزل التابع عند عيسى عليه السلام وعنده يحيى ابن خالته ونزل صاحب النظر عند الكاتب فلما انزله الكاتب عنده وأكرم ومشواه أعتذر إليه وقال له لا تستبطنني فاني في خدمة عيسى ويحيى عليهما السلام وقد نزل بهما صاحبك فلا بد لي من الوقوف عندهما حتى أرى ما يأمراني به في حق نزلهما فإذا فرغت من شأنه رجعت إليك فيزيد صاحب النظر غماً إلى غمه وندامة حيث لم يسلك مسلك صاحبه ولا ذهب في مذهبه فأقام التابع عند ابني الحالة ما شاء الله فأوقفاه على صحة رسالة المعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بدلالة أعجاز القرآن فانها حضرة الخطابة والأوزان وحسن مواقع الكلام وأمتزاج الأمور وظهور المعنى الواحد في الصور الكثيرة ويحصل له الفرقان في مرتبة خرق العوائد ومن هذه الحضرة يعلم علم السيميا الموقوفه على العمل بالحروف والاسماء لا على البخورات والدماء وغيرها ويعرف شرف الكلمات وجوامع الكلم وحقيقة كن وأختصاصها بكلمة الأمر لا بكلمو الماضي ولا المستقبل ولا الحال وظهور الحرفين من هذه الكلمة مع كونها مركبة من ثلاثة ولماذا حذفت الكلمة الثالثة المتوسطة البرزخية التي بين حرف الكاف وحرف النون وهي حرف الواو الروحانية التي تعطي ما للملك في نشأة المكون من الأثر مع ذهاب عينها ويعلم سر التكوين من هذه السماء وكون عيسى يحيى الموتى وانشاء صورة الطير ونفخه في صورته وتكوين الطائر طائر أهل هو بأذن الله أو تصوير عيسى خلق الطير ونفخه فيه هو بأذن الله وبأي فعل من الأفعال اللفظية يتعلق قوله بأذي وبأذن الله هل العامل فيه يكون أو تنفخ فعند أهل الله العامل فيه يكون وعند مشبتي الأسباب وأصحاب الأحوال العامل فيه تنفخ فيحصل لمن دخل هذه السماء وأجتمع بعيسى ويحيى علم ذلك ولا بد ولا يحصل ذلك لصاحب النظر

وأعني حصول ذوق وعيسى روح الله ويحيى له الحياة فكما ان الروح والحياة لا يفترقان كذلك هذان النبيان عيسى ويحيى لا يفترقان لما يحملانه من هذا السر فان لعيسى من علم الكيمياء الطريقتين الانشاء وهو خلقه الطير من الطين والنفخ فظهر عنه الصورة باليدين والطيوان بالنفخ الذي هو النفس فهذه طريقة الانشاء في علم الكيمياء الذي قدمناه في أول الباب والطريق الثانية إزالة العلل الطارئة وهو في عيسى أبراء الأكمه والأبرص وهي العلل التي طرأت عليهما في الرحم الذي هو من وظيفة التكوين فمن هنا يحصل لهذا التابع علم المقدار والميزان الطبيعي والروحاني لجمع عيسى بين الأمرين ومن هذه السماء يحصل لنفس هذا التابع الحياة العلمية التي يحيى بها القلوب كقوله "أو من كان ميتاً فأحييناه" وهي حضرة جامعة فيها من كل شيء وفيها الملك الموكل بالنطفة في الشهر السادس ومن هذه الحضرة يكون الأمداد للخطباء والكتاب لا للشعراء ولما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم خوطب من هذه الحضرة وقيل ما علمناه الشعر لانه أرسل مبيناً مفصلاً والشعر من الشعور فمحله الأجمال لا التفصيل وهو خلاف البيان ومن هنا تعلم تقلبيات الأمور ومن هنا توهب الأحوال لأصحابها وكلما ظهر في العالم العنصري من النيرنجيات الاسمائية فمن هذه السماء وأما الفلقطيرات فمن غير هذه الحضرة ولكن إذا وجدت فأرواحها من هذه السماء لا أعيان صورها الحاملة لأرواحها فإذا حصل علم هذه الكائنات وسرعة الأحياء فيها من شأنه ان لا يقبل ذلك ألا في الزمان الطويل فان ذلك من علم عيسى لا من الأمر الموحى به في ذلك الفلك ولا في سباحة كوكبه وهو من الوجه الخاص الألهي الخارج عن الطريق المعتادة في العلم الطبيعي الذي يقتضي الترتيب النسبي الموضوع بالترتيب الخاص وهذه مسألة يغمض دركها فان العالم المحقق يقول بالسبب فانه لا بد منه ولكن لا يقول بهذا الترتيب الخاص في الأسباب فعادة هذا العلم أما ينفون الكل وأما يشبتون الكل ولم أر منهم من يقول ببقاء السبب مع نفي ترتيبيه لزمانه فانه علم عزيز يعلم من هذه السماء فما يكون عن سبب في مدة طويلة يكون عن ذلك السبب في لمح البصر أو هو أقرب وقد ظهر ذلك فيما نقل في تكوين عيسى عليه السلام وفي تكوين خلق عيسى الطائر وفي أحياء الميت من قبره قبل ان يأتي المخاض للأرض في أبراز هذه السماء قوله في ناشئة الليل انها أقوم قليلاً فإذا حصل التابع هذه العلوم وانصرف الكاتب إلى نزيله ورد النظر إليه أعطاه من العلم المودع في مجراه ما يعطيه أستعداده مما له من الحكم في الأجسام التي تحته في العالم العنصري لا من أرواحه فإذا كمل فذلك قراه يطلب الرحيل عنه فجاء إلى صاحبه التابع وخرجا يطلبان السماء الثالثة وصاحب النظر بين يدي التابع مثل الخادم بين يدي مخدومه وقد عرف قدره ورتبة معلمه وما أعطاه من العناية أتباعه لذلك المعلم فلما قرعا السماء الثالثة فتحت فصعدا فيها فتلقى التابع يوسف عليه السلام وتلقى صاحب النظر كوكب الزهرة فانزلته وذكرت له ما ذكره من تقدم من كواكب التسخير فزاده ذلك غمماً إلى غمه فجاء كوكب الزهرة إلى يوسف عليه السلام وعنده نزيله وهو التابع وهو يلقي إليه ما خصه الله به من العلوم المتعلقة بصور التمثيل والخيال فانه كان من الأئمة في علم التعبير فأحضر الله بين يديه الأرض التي خلقها الله من بقية طينة آدم عليه السلام وأحضر له سوق الجنة وأحضر له أجساد الأرواح النورية والنارية والمعاني العلوية وعرفه بموازينها ومقاديرها ونسبها ونسبها فأراه السنين في صور البقر وأراه خصبها في سمونها وأراه جدبها في عجافها وأراه العلم في صورة اللبن وأراه الثبات في الدين في صورة القيد وما زال يعلمه تجسد المعاني والنسب في صورة الحس والمحسوس وعرفه معنى التأويل في ذلك كله فانها سماء التصوير التام والنظام ومن هذه السماء يكون الأمداد للشعراء والنظم والأتقان والصور الهندسية في الأجسام وتصويرها في النفس من السماء التي ارتقى عنها ومن هذه السماء يعلم معنى الأتقان والأحكام والحسن الذي يتضمن بوجوده الحكمة والحسن الغرضي الملائم لمزاج خاص وفي هذه السماء هو النائب الخامس الذي يتلقى تدبير النطفة في الرحم في

الشهر الخامس ومن الأمر الموحى من الله في هذه السماء حصل ترتيب الأركان التي تحت مقعر فلك القمر فجعل ركن الهواء بين النار والماء وجعل ركن الماء بين الهواء والتراب ولولا هذا الترتيب ما صح وجود الأستحالة فيهن ولا كان منهن ما كان من المولدات ولا ظهر في المولدات ما ظهر من الأستحالات فأين النطفة من كونها أستحالت لحماً ودماً وعظاماً وعروقاً وأعصاباً ومن هذه السماء رتب الله في هذه النشأة الجسمية الأخلاط الأربعة على النظم الأحسن والأتقان الأبدع فجعل مما يلي نظر النفس المدبرة المرة الصفراء ثم يليها الدم ثم يلي الدم البلغم ثم يلي البلغم المرة السوداء وهو طبع الموت وأولا هذا الترتيب العجيب في هذه الأخلاط لما حصلت المساعدة للطبيب فيما يرومه من إزالة ما يطرأ على هذا الجسد من العلل أو فيما يرومه من حفظ الصحة عليه ومن هذه السماء ظهرت الأربعة الأصول التي يقوم عليها بيت الشعر كما قام الجسد على الأربعة الأخلاط وهما السيبان والوتدان السبب الخفيف والسبب الثقيل والوتد المفروق والوتد المجموع يعطي التحليل والوتد المجموع يعطي التركيب والسبب الخفيف يعطي الروح والسبب الثقيل يعطي الجسم وبالمجموع يكون الانسان فانظر ما أتقن وجود هذا العالم كبيره وصغيره فإذا حصلا هذه العلوم هذان الشخصان وزاد التابع على الناظر بما أعطاه الوجه الخاص من العلم الألهي كما لأتفق في كل سماء لهما انتقلا يطلبان السماء الوسطى التي هي قلب السموات كلها فلما دخلها تلقى التابع ادريس عليه السلام وتلقى صاحب النظر كوكب الشمس فجرى لصاحب النظر معه مثل ما تقدم فزاد غمّاً إلى غمه فلما نزل التابع بحضرة ادريس عليه السلام علم تقليب الأمور الألهية ووقف على معنى قوله عليه السلام "القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن" وبمإذا

يقلبانه ورأى في هذه السماء غشيان الليل النهار والليل وكيف يكون كل واحد منهما لصاحبه ذكراً وقتاً وانثى وقتاً وسر النكاح والألتحام بينهما وما يتولد فيهما من المولدات بالليل والنهار والفرق بين أولاد الليل وأولاد النهار فكل واحد منهما أب لما يولد في نقيضه وأم لما يولد فيه ويعلم من هذه السماء غلم الغيب والشهادة وعلم الستر والتجلي وعلم الحياة والموت واللباس والسكن والمودة والرحمة وما يظهر من الوجه الخاص من الاسم في المظاهر الباطنة ومن الاسم الباطن في الظاهر من حكم أستعداد المظاهر فتختلف على الظاهر الاسماء لأختلاف الأعيان ثم رحلا يطلبان السماء الخامسة فتزل التابع بهرون عليه السلام ونزل صاحب النظر بالأحمر فأعذر الأحمر لصاحبه ونزله في تخلفه عنه مدة أشتغاله بخدمة هارون عليه السلام من أجل نزيلة فلما دخل الأحمر على هارون وجد عنده نزله وهو يبأسطه فتعجب الأحمر من مبأسطته فسأل عن ذلك فقال لها سماء الهيبة والخوف والشدة والبأس وهي نعوت توجب القبض وهذا ضيف ورد من أتباع الرسول تجب كرامته وقد ورد بيتغي علماً ويلتمس حكماً ألهياً يستعين به على أعداء خواطره خوفاً من تعدي حدود سيده فيما رسم له فاكشف له عن محياها وأبأسطه حتى يكون قبوله لما ألتمسه على بسط نفس بروح قدس ثم رد وجهه إليه وقال له هذه سماء خلافة البشر فضعف حكم أمامها وقد كان أصلها أقوى المباني فأمر باللين بالجبايرة الطغاة فقبل لنا قولاً له قولاً ليناً وما يؤمر بلين المقال ألا من قوته أعظم من قوة من أرسل إليه وبطشه أشد لكنه لما علم الحق انه قد طبع على كل قلب مظهر للجبروت والكبرياء وانه في نفسه أذل الأذلاء أمرا ان يعامله بالرحمة واللين لمناسبة باطنه وأستزال ظاهره من جبروته وكبريائه لعله يتذكر أو يخشى ولعل وعسى من الله واجبتان فيتذكر بما يقابله من اللين والمسكنة ما هو عليه في باطنه ليكون الظاهر والباطن على السواء فما زالت تلك الخميرة معه تعمل في باطنه مع الترجي الألهي الواجب وقوع المترجي ويتقوى حكمها إلى حين انقطاع يأسه من أتباعه وحال الغرق بينه وبين أطماعه لجأ إلى ما كان مستسراً في باطنه من الذلة والأفتقار ليتحقق عند المؤمنين وقوع الرجاء الألهي فقال آمنت بالذي آمنت به بنو إسرائيل وانا من المسلمين فأظهر حالة باطنه وما

كان في قلبه من العلم الصحيح بالله وجاء بقوله الذي آمنت به بنو إسرائيل لرفع الأشكال عند الأشكال كما قالت السحرة لما آمنت "آمنّا برب العالمين رب موسى وهرون" أي الذي يدعوان إليه فجاءت بذلك لرفع الأرتياب وقوله "وانا من المسلمين" خطاب منه للحق لعلمه انه تعالى يسمعه ويراه فخاطبه الحق بلسان العتب وأسمعه آلان أظهرت ما قد كنت تعلمه وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين في أتباعك وما قال له وانت من المفسدين فهي كلمة بشرى له عرفنا بها لنرجو رحمته مع أسرافنا وأجرمانا ثم قال فاليوم ننحيك فبشره قبل قبض روحه بيدك لتكون لمن خلفك آية يعني لتكون النجاة لمن يأتي بعدك آية علامة إذا قال ما قلته تكون له النجاة مثل ما كانت لك وما في الآية ان بأس الآخرة لا يرتفع ولا ان إيمانه لم يقبل وانما في الآية ان بأس الدنيا لا يرتفع عمن نزل به إذا آمن في حال رؤيته الأقوم يونس فقوله "فاليوم ننحيك بيدك" أذ العذاب لا يتعلق ألا بظاهرك وقد أريت الخلق نجاته من العذاب فكان ابتداء الغرق عذاباً فصار الموت فيه شهادة خالصة بريئة لم تتخللها معصية فقبضت على أفضل عمل وهو التلطف بالإيمان كل ذلك حتى لا يقنط أحد من رحمة الله والأعمال بالخواتم فلم يزل الإيمان بالله يجول في باطنه وقد حال الطابع الألهي الذاتي في الخلق بين الكبرياء واللطف الإنسانية فلم يدخلها قط كبرياء وأما قوله فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا فكلام محقق في غاية الوضوح فان النافع هو الله فما نفعهم ألا الله وقوله "سنة الله التي قد خلت في عباده" يعني الإيمان عند رؤية البأس الغير المعتاد وقد قال "ولله يسجد من في السموات ومن في الأرض طوعاً وكرهاً" فغاية هذا الإيمان ان يكون كرهاً وقد أضافه الحق إليه سبحانه والكراهة محلها القلب والإيمان محله القلب والله لا يأخذ العبد بالأعمال الشاقة عليه من حيث ما يجده من المشقة فيها بل يضاعف له فيها الأجر وأما في هذا الموطن فالمشقة منه

بعيدة بل جاء طوعاً في إيمانه وما عاش بعد ذلك كما قال في راكب البحر عند أرتجائه "ضل من تدعون ألا إياه" فنجاهم فلو قبضهم عند نجاتهم لما توامو حدين وقد حصلت لهم النجاة فقبض فرعون ولم يؤخر في أجله في حال إيمانه لئلا يرجع إلى ما كان عليه من الدعوى ثم قوله تعالى في تميم في تميم قصته هذه "وان كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون" وقد أظهرت نجاتك آية أي علامة على حصول النجاة فغفل أكثر الناس عن هذه الآية وقضوا على المؤمن بالشقاء وأما قوله فأوردتهم النار فما فيه نص انه يدخلها معهم بل قال الله أدخلوا آل فرعون ولم يقل أدخلوا فرعون وآله ورحمة الله أوسع من حيث ان لا يقبل إيمان المضطر وأي اضطراب أعظم من اضطراب فرعون في حال الغرق والله يقول "أم من يجيب المضطر إذا دعاها فيكشف سوء" فقرن للمضطر إذا دعاه الأجابة وكشف سوء عنه وهذا آمن لله خالصاً وما دعاه في البقاء في الحياة الدنيا خوفاً من العوارض أو يحال بينه وبين هذا الأخلاص الذي جاءه في هذا الحال فرجح جانب لقاء الله على البقاء بالتلفظ بالإيمان وجعل ذلك الغرق نكال الآخرة والأولى فلم يكن عذابه أكثر من غم الماء الأجاج وقبضه على أحسن صفة هذا ما يعطي ظاهر اللفظ وهذا معنى قوله "ان في ذلك لعبرة لمن يخشى" يعني في أخذه نكال الآخرة والأولى وقدم ذكر الآخرة وآخر الأولى ليعلم ان ذلك العذاب أعني عذاب الغرق هو نكال الآخرة فلذلك قدمها في الذكر على الأولى وهذا هو الفضل العظيم فانظر يا ولي ما أثرت مخاطبة اللين وكيف أثمرت هذه الثمرة فعليك أيها التابع باللين في الأمور فان النفوس الأبية تنقاد بالاستمالة ثم أمره بالرفق بصاحبه صاحب النظر وكان سبب هذا الأمر من هرون لانه حصل له هذا ذوقاً من نفسه حين أخذ موسى برأسه يجره إليه فإذاقه الذل بأخذ اللحية والناصية فناده بأشفق الأبوين فقال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ولا تشمت بي الأعداء لما ظهر عليه أخوه موسى بصفة القهر فلما كان هرون ذلة الخلق ذوقاً مع براءته مما أذل فيه تضاعفت المذلة عنده فناده بالرحم فهذا سبب وصيته لهذا التابع ولو لم يلق موسى الألواح ما أخذ برأس

أخيه فان في نسختها الهدى والرحمة تذكرة لموسى فكان يرحم أخاه بالرحمة وتبين مسأله مع قومه بالهدى فلما سكت عنه الغضب أخذ الألواح فما وقعت عينه مما كتب فيها الأعلى الهدى والرحمة فقال "رب أغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وانت أرحم الراحمين" ثم أمره ان يجعل ما تقتضيه سماؤه من سفك الدماء في القرايين والأضاحي ليلحق الحيوان بدرجة الاناسي أذ كان لها الكمال في الأمانة ثم خرج من عنده بخلة نزيه وأخذ بيد صاحبه وقد أفاده ما كان في قوته من المعارف بما يقتضيه حكمه في الدور لا غير وانصرفا يطلبان السماء السادسة فتلقاها موسى عليه السلام ومعه وزيره البرجيس فلم يعلم صاحب النظر موسى عليه السلام فأخذه الابرجيس فانزله ونزل التابع عند موسى فأفاده اثني عشر ألف علم من العلم الإلهي سوى ما أفاده من علوم الدور والكور واعلمه ان التجلي الإلهي انما يقع في صور الاعتقادات وفي الحاجات فتحفظ ثم ذكر طلبه النار لأهله فما تجلى له إلا فيها إذ كانت عين حاجته فلا يرى إلا في الافتقار وكل طالب فهو فقير إلى مطلوبه ضرورة وأعلمه في هذه السماء خلع الصور من الجوهر والباسة صوراً غيرها ليعلمه ان الأعيان أعيان الصور لا تنقلب فانه يؤ دي إلى انقلاب الحقائق وانما الإدراكات تتعلق بالمدرجات تلك المدرجات لها صحيحة لا شك فيها فيتخيل من لا علم له بالحقائق ان الأعيان انقلبت وما انقلبت ومن هنا يعلم تجلي الحق في القيامة في صورة يتعوذ أهل الموقف منها ويتزهون الحق عنها ويستعيذون بالله منها وهو الحق ما هو غيره وذلك في أبصارهم فان الحق مته عن قيام التغيير به والتبديل قال عليم الأسود لرجل وقف فضرب بيده عليم إلى اسطوانة في الحرم فرأها الرجل ذهباً ثم قال له يا هذا ان الأعيان لا تنقلب ولكن هكذا تراه لحقيقته بريك يشير إلى تجلي الحق يوم القيامة فتحو له في عين الرائي ومن السماء يعلم العلم الغريب الذي لا يعلمه قليل من الناس فأحرى ان لا يعلمه الكثير وهو معنى قوله تعالى لموسى عليه السلام وما علم أحد ما أراد الله إلا موسى ومن اختصه الله وما تللك بيمينك يا موسى فقال هي عصاي والسؤال عن الضروريات كما يكون من العالم بذلك إلا لمعنى غامض ثم قال في تحقيق كونها عصا أتوكأعليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى كل ذلك من كونها عصا أريتم انه أعلم الحق تعالى بما ليس معلوما عند الحق وهذا جواب علم ضروري عن سؤال عن معلوم مدرك بالضرورة فقال له ألقها يعني عن يدك مع تحققك انما عصا فألقها موسى فإذا هي يعني تلك العصا حية تسعى فلما خلع الله على العصا أعني جوهرها صورة الحية استلزمها حكم الحية وهو السعي حتى يتبين لموسى عليه السلام بسعيها انما حية ولولا خوفه منها خوف الانسان من الحياة لقنا ان الله أوجد في العصا الحياة فصارت حية من الحياة فسعت لحياتها على بطنها إذ لم يكن لها رجل تسعى به فصورتها لشكلها عصى صورة الحيات فلما خاف منها للصورة قال له الحق "خذها ولا تخف" وهذا هو خوف الفجأة إذ كان ثم قال له سنعيدها الضمير يعود إلى العصا سيرتها الأولى فجواهر الأشياء متماثلة وتختلف بالصور والأعراض والجوهر واحد أي ترجع عصا مثل ما كانت في ذاتها وفي رأي عينيك كما كانت حية في ذاتها وفي رأي عينك ليعلم موسى من يرى وما يرى ومن يرى وهذا تنبيه إلهي له ولنا وهو الذي قاله عليم سواء من ان الأعيان لا تنقلب فالعصا لا تكون حية ولا الحية عصا ولكن الجوهر القابل صورة العصا قبل صورة الحية فهي صور يخلعها الحق القادر الخالق عن الجوهر إذا شاء ويخلع عليه صورة أخرى فان كنت فظناً فقد نهتهك على علم ما تراه من صور الموجودات وتقول هو ضروري من كونك لا تقدر على انكاره وقد بان لك ان الاستحالات محال والله أعين في بعض عبادته يدركون بها العصا حية في حال كونها عصا وهو ادراك إلهي وفينا خيالي وهكذا في جميع الموجودات سواء انظر لولا قوة الحس ما قلت هذا كله أعطاه نظرك ويأتي شخص آخر يقف معك فيري ويسمع تسليم الجمادات والنبات والحيوان عليه وكلا الأمرين صحيح وبالقوة التي تستدل بها على انكار ما قاله هذا بما بعينها يستدل هذا الآخر فكل واحد

من الشخصين دليله عين دليل الآخر والحكم مختلف فو الله ما زالت حية عصا موسى وما زالت عصا كل ذلك في نفس الأمر لم تخط رؤية كل واحد ما هو ما هو الأمر عليه في نفسه وقدر رأينا ذلك وتحققناه رؤية عين فهو الأول والآخر من عين واحدة وهو في التجلي الأول لا غيره وهو في التجلي الأول لا غيره وهو في التجلي الآخر لا غيره فقل إله وقل عالم وقل انا وقل انت وقل هو والكل في حضرة الضمائر ما برح وما زال فزيد يقول في حقك هو عمرو يقول عنك انت وانت تقول عنك انا فانا عين انت وعين هو وما هو انا عين انت ولا عين هو فاختلفت النسب وهنا بحور طامية لا قعر لها ولا ساحل وعزة ربي لو عرفتم ما فهمت به في هذه الشذور لطربتم طرب الأبد ولخفتم الخوف الذي لا يكون معه أمن لأحد تدكدك الجبل عين ثباته وأفاقه موسى عين صعقته

انظر إلى وجهه في كل حادثة

من الكيان ولا تعلم به أحدا

أيها التابع المحمدي لا تغفل عما نبهتكم عليه ولا تبرح في كل صورة ناظراً إليه فان المجلى أجلى ثم أخذ بيده البرجيس وجاء به إلى صاحب النظر فعرفه بعبعض ما يليق به مما علمه التابع من علم موسى بما يختص من تأثيرات الحركات الفلكية في النشآت العنصرية لا غير فارتحلا من عنده المحمدي على رفر العناية وصاحب النظر على براق الفكر ففتح لهما السماء السابعة وهي الأولى من هناك على الحقيقة فتلقاه ابراهيم الخليل عليه السلام وتلقى صاحب النظر كوكب كيوان فانزله في بيت مظلم ففر موحش وقال له هذا بيت أخيك يعني نفسه فكن به حتى آتيك فاني في خدمة هذا التابع المحمدي من أجل من نزل عليه وهو خليل الله فجاء إليه فوجده مسنداً ظهره إلى البيت المعمور والتابع جالس بين يديه جلوس الابن بين يدي أبيه وهو يقول له نعم الولد البار فسأله التابع عن الثلاثة الانوار فقال هي حجتي على قومي آتانيها الله عناية منه بي لم أقلها أشرا كالكن جعلتها حباله صائد أصيد بها ما شرد من عقول قومي ثم قال له أيها التابع ميز المراتب واعرف المذاهب وكن على بينة من ربك في أمرك ولا تهمل حديثك فانك غير مهمل ولا متروك سدى اجعل قلبك مثل هذا البيت المعمور بحضورك مع الحق في كل حال واعلم انه ما وسع الحق شئ مما رأيت سوى قلب المؤمن وهو انت فعند ما سمع صاحب النظر هذا الخطاب قال يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين وعلم مافاته من الايمان بذلك الرسول واتباع سنته ويقول ياليتني لم أتخذ عقلي دليلا ولا سلكت معه إلى الفكر سبيلا وكل واحد من هذين الشخصين يدرك ما تعطيه الروحانيات العلى وما يسبح به الملاء الأعلى بما عندهما من الطهارة وتخليص النفس من أسرار الطبيعة وارتقم في ذات نفس كل واحد منهما كل ما في العالم فليس يخبر إلا بما شاهده من نفسه في مرآة ذاته فحكاية الحكيم الذي أراد ان يرى هذا المقام للملك فاشتغل صاحب التصوير الحسن بنقش الصور على أبداع نظام وأحسن اتقان واشتغل الحكيم بجلاء الحائط الذي يقابل موضع الصور بينهما ستر معلق مسدل فلما فرغ كل واحد من شغله وأحكم صنعته فيما ذكب إليه جاء الملك فوقف على ما صوره صاحب الصور فرأى صور بديعة يبهر العيون حسن نظمها بديع نقشها ونظر إلى تلك الأصبغة في حسن تلك الصنعة فرأى أمراً هاله منظره ونظر إلى ما صنع الآخر من صقالة ذلك الوجه فلم يرى شياً فقال له أيها الملك صنعتي ألطف من صنعتي وحكمتي أغمض من حكمته ارفع الستر بيني وبينه حتى ترى في الحالة الواحدة صنعتي وصنعتي فرفع الستر فانتقش في ذلك الجسم الصقيل جميع ما صوره هذا الآخر بالطف صورة مما هو ذلك في نفسه فتعجب الملك ثم ان الملك رأى صورة نفسه وصورة الصاقل في ذلك الجسم فحاور تعجباً وقال كيف يكون هكذا فقال أيها الملك ضربته لك مثلاً لنفسك مع صور العالم إذا انت

صقلت مرآة نفسك بالرياضيات والمجاهدات حتى تزكو وأزلت عنها صدا الطبيعة وقابلت بمرآة ذاتك صور العالم انتقش فيها جميع ما في العالم كله إلى هذا الحد ينتهي صاحب النظر واتباع الرسل وهذه الحضرة الجامعة لهما ويزيد التابع على صاحب النظر بأمور لم تنتقش في العالم جملة واحدة من حيث ذلك الوجه الخاص الذي لله في كل ممكن محدث مما لا ينحصر ولا ينضب ولا يتصور يمتاز به هذا التابع عن صاحب النظر ومن هذه السماء يكون الاستدراج الذي لا يعلم والمكر الخفي الذي لا يشعر به والكيد المتين والحجاب والثبات في الأمور والثاني فيها ومن هنا يعرف معنى قوله لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس لأن لهما في الناس درجة الأبوة فلا يلحقهما أبداً قال تعالى "أ، أشكر لي ولوالديك" ومن هذه السماء يعلم ان كل ما سوى الانس والجان سعيد لا دخول له في الشقاء الآخرين وان الانس والجان منهم شقي وسعيد فالشقي يجري إلى أجل في الأشقياء لان الرحمة سبقت الغضب والسعيد إلى غير أجل ومن هنا يعرف تفضيل خلق الانسان وتوجه اليدين على خلق آدم دون غيره من المخلوقات ويعلم انه ما ثم جنس من المخلوقات الأولهطريقة واحدة في الخلق لم تتنوع عليه صنوف الخلق تنوعها على الانسان فانه تنوع عليه الخلق فخلق آدم يخالف خلق حواء وخلق حواء يخالف خلق عيسى وخلق عيسى يخالف خلق سائر بني آدم وكلهم انسان ومن هنا زين للانسان سوء عمله فرآه حسنا وعند تجلي هذا التزيين يشكر الله

تعالى التابع على تخلصه من مثل هذا وأما صاحب النظر فلا يجد فرجا إلا في هذا التجلي يعطيه الحسن في السوء وهو من المكر الإلهي ومن هنا تثبت أعيان الصور في الجوهر التي تحت هذا الفلك إلى الأرض خاصة ومن هنا تعرف ملة إبراهيم انها ملة سمحاء ما فيها من حرج فإذا علم هذه المعاني ووقف على أبوة الإسلام أراد صاحب النظر القرب منه فقال إبراهيم للتابع من هذا الأجنبي معك فقال هو أخي قال أخوك من الرضاعة أو أخوك من النسب قال أخي من الماء قال صدقت لهذا لا أعرفه لا تصاحب إلا من هو أخوك من الرضاعة كما اني أبوك من الرضاعة فان الحضرة السعدية لا تقبل إلا إخوان الرضاعة وآباءها وأمهاتها فانها النافعة عند الله ألا ترى العلم يظهر في صورة اللبن في حضرة الخيال هذا لأجل الرضاع وانقطع ظهر صاحب النظر لما انقطع عنه نسب أبوة إبراهيم عليه السلام ثم أمره ان يدخل البيت المعمور فدخله صاحبه وصاحبه منكوس الرأس ثم خرج من الباب الذي دخل ولم يخرج من باب الملائكة وهو الباب الثاني لخاصية فيه وهو انه من خرج منه لا يرجع إليه ثم ارتحل من عنده يطلب العروج ومسك صاحبه صاحب التزر هناك وقيل له قف حتى يرجع صاحبك فانه لا قدم لك هنا هذا آخر الدخان فقال اسلم وادخل تحت الحكم ما دخل فيه صاحبي قيل له ليس هذا موضع قبول الإسلام إذا رجعت إلى موطنك الذي منه جئت انت وصاحبك فهناك إذا أسلمت وآمنت واتبعت سبيل من اناب إلى الله انابة الرسل المبلغين عن الله قبلت كما قبل صاحبك فبقي هناك ومشى التابع وفبلغ فيه ستره المنتهى فرأى صور أعمال السعداء من النبيين واتباع الرسل ورأى عمله في جملة أعمالهم فشكر الله على ما وفقه إليه من اتباع الرسول المعلم وعاین هناك أربعة اثمار منها نهر كبير عظيم وجداول صغار تنبعث من ذلكالنهر الكبير وذلك النهر الكبير تتفجر منه الانهار والكبار الثلاثة فسأل التابع عن تلك الانهار وجداول فقيل له هذا مثل مضروب أقيم لك هذا النهر الأعظم هو القرآن وهذه الثلاثة الانهار الكتب الثلاثة والتوراة والزبور والانجيل وهذه الجداول الصحف المتزلة على الانبياء فمن شرب من أي نهر كان أو أي جدول فهو لمن شرب منه وارث وكل حق فانه كلام الله والعلماء ورثة الانبياء بما شربوا من هذه الانهار وجداول فاشرع في نهر القرآن تفز بكل سبيل إلى السعادة فانه نهر محمد صلى الله عليه وسلم الذي صحت له النبوة وآدم بين الماء والطين وأوتي جوامع الكلم وبعث عامة ونسخت به فروع الأحكام ولم ينسخ له حكم بغيره ونظر إلى حسن النور الذي غشى تلك السدرة فرأى قد غشاها منه ذاك

الذي غشى فلا يستطيع أحد ان ينعتها للغشاء النوري الذي لا تنفذ الأبصار بل لا تدركه الأبصار ثم قيل له هذه شجرة الطهور فيها مرضاة الحق ومن هنا شرع السدر في غسل الميت للقاء الله الماء والسدر ليناله طهور هذه السدرة وإليها تنتهي أعمال بني آدم السعادية وفيها مخازنها إلى يوم الدين وهنا أول أقدام السعداء والسماء السابعة التي وقفت عندها صاحبك منتهى الدخان ولا بد لها ولمن هو تحتها من الاستحالة إلى صور كانت عليها أو على أمثالها قبل أ، تكون سماء ثم قيل لهذا التابع أرق فرقى في فلك المنازل فتلقاه من هناك من الملائكة والأرواح الكوكبية ما يزيد عن ألف وعشرات من الحضرات تسكنها هذه الأرواح فعائين منازل السائرين إلى الله تعالى بالأعمال المشروعة وقد ذكر من ذلك الهروي في جزء له سماه منازل السائرين يحتوي على مائة مقام كل مقام يحتوي على عشرة مقامات وهي المنازل وأما نحن فذكرنا من هذه المنازل في كتاب لنا سميناه منهاج الإرتقاء يحتوي على عشرة منازل ففيه ثلاثة آلاف منزل فلم يزل يقطعها منزلة منزلة بسبع حقائق هو عليها كما يقطع فيها السبع الدراري ولكن في زمان أقرب حتى وقف على حقائقها بجمعها وقد كان أوصاه ادريس بذلك فلما عاين كل منزل رآها وجميع ما فيها من الكواكب تقطع في فلك آخر فوقها فطلب الإرتقاء فيه ليرى ما أودع الله في هذه الأمور من الآيات والعجائب الدالة على قدرته وعلمه فعندما حصل على سطحه حصل في الجنة الدهماء فرأى ما فيها مما وصف الله في كتابه من صفة الجنات وعائين درجاتها وغرفها وما أعد الله لأهلها فيها ورأى جنته المخصوصة به واطلع على جنات الميراث وحنات الاختصاص وحنات الأعمال وذواق من كل نعيم منها بحسب ما

تعطيه ذوق موطن القوة الجنانية فلما بلغ من ذلك أمنيته رقى به إلى المستوى الأزهى والستر الأسمى فرأى صور آدم وبنيه السعداء من خلف تلك الستور فعلم معناها وما أودع الله من الحكمة فيها وما عليها من الخلع التي كساها بني آدم فسلمت عليه تلك الصور فرأى صورته فيهن فعانقها وعانقته واندفعت معه إلى المكانة الزلفى فدخل فلك البروج الذي قال الله فيه فأقسم به والسماء ذات البروج فعلم ان التكوينات التي تكون في الجنان من حركة هذا الفلك وله الحركة اليومية في العالم الزماني كما ان حركة الليل والنهار في الفلك الذي فيه جرم الشمس والتكوينات التي تكون في جهنم من حركة فلك الكواكب وهو سقف جهنم أعني مقعده وسطحه أرض الجنة والذي يسقط من الكواكب وينثر ضوءها فتبقى مظلمة وفعلها المودع فيها باق وهذا كله سبب التبديل الذي يقع في جهنم كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها كل ذلك بأذن الله مرتب الأشياء مراتبها كما ان الشمس إذا حلت بالحمل جاء زمن الربيع فظهرت زينة الأرض وأورقت الأشجار وأزمنت وانبثت من كل زوج بهيج وإذا حلت بالجدى أظهرت النقيض والقوابل تقبل بحسب ما هي عليه من المزاج فمهما اختلف مزاجها كان قبولها لما يحدث الله عند هذه الحركات الفلكية بحسب ما هي عليه وكذلك في الجنان في كل حين من خلق جديد ونعيم جديد حتى لا يقع ملل فان كل شيء طبيعي إذا توالي عليه أمر ما من غير تبدل لا بد ان يصحب الانسان فيه ملل فان الملل نعت ذاتي له فان لم يغذه الله بالتجديد في كل وقت ليدوم له النعيم بذلك وألا كان يدركهم الملل فأهل الجنان يدركون في كل نظرة ينظرونها إلى ملكهم أمراً وصورة لم يكونوا رأوها قبل ذلك فينعمون بحدوثها وكذلك في كل أكلة وشربة يجدون طعماً جديداً لذيذاً لم يكونوا يجدونه في الأكلة الأولى فينعمون بذلك وتعظم شهوتهم والسبب في سرعة هذا التبديل وبقائه ان الأصل على ذلك فيعطي في الكون بحسب ما تعطيه حقيقة مرتبته ليكون خلافاً على الدوام ويكون الكون فقيراً على الدوام فالوجود كله متحرك على الدوام دنيا وآخرة لان التكوين لا يكون عن سكون فمن الله توجهات دائمة وكلمات لا تنفذ وهو قوله وما عند الله باق فعند الله التوجه وهو قوله تعالى إذا أردناه وكلمة الحضرة وهي قوله لكل شيء يريد

كن بالمعنى الذي يليق بجلاله وكن حرف وجودي فلا يكون عنه ألا الوجود ما يكون عنه عدم لان العدم لا يكون لان الكون وجود وهذه التوجيهات والكلمات في خزائن الجود لكل شيء يقبل الوجود قال تعالى "وان من شيء ألا عندنا خزائنه" وهو ما ذكرناه وقوله "وما ننزله ألا بقدر معلوم" من إسمه الحكيم فالحكمة سلطنة هذا الانزال الألهي وهو أخراج هذه الأشياء من هذه الخزائن إلى وجود أعيانها وهو قولنا في أول خطبة هذا الكتاب الحمد لله الذي أوجد الأشياء عن عدم وعدمه وعدم العدم وجود فهو نسبة كون الأشياء في هذه الخزائن محفوظة موجودة لله ثابتة لأعيانها غير موجودة لانفسها فبالنظر إلى أعيانها هي موجودة عن عدم وبالنظر إلى كونها عند الله في هذه الخزائن هي موجودة عن عدم العدم وهو وجود فان شئت رجحت جانب كونها في الخزائن فنقول أوجد الأشياء من وجودها في الخزائن إلى وجودها في أعيانها للنعيم بها أو غير ذلك وان شئت قلت أوجد الأشياء عن عدم بعد ان تقف على معنى ما ذكرت لك فقل ما شئت فهو الموجد لها على كل حال في الموطن الذي ظهرت فيه لأعيانها وأما قوله ما عندكم ينفذ فهو صحيح في العلم لان الخطاب هنا لعين الجوهر والذي عنده أعني عند الجوهر من كل موجود انما هو ما يوجده الله في محله من الصفات والأعراض والأكوان وهي في الزمان الثاني أو في الحال الثاني كيف شئت قل من زمان وجودها أو حال وجودها تنعدم من عندنا وهو قوله ما عندكم ينفذ وهو يجدد للجوهر الأمثال أو الأضداد دائماً من هذه الخزائن وهذا معنى قول المتكلمين ان العرض لا يبقى زمانين وهو قول صحيح خبر لا شبهة فيه لانه الأمر المحقق الذي عليه نعت الممكنات وتجدد ذلك على الجوهر يبقى عينه دائماً ما شاء الله وقد شاء انه لا يفني فلا بد من بقائه فيعلم التابع من هذه الحضرة التكوينات الجنانية وجميع ما ذكرناه وأما صاحب النظر رفيق التابع فما عنده خبر بشيء من هذا كله لانه تنبيه نبوي لا نظر فكري وصاحب النظر مقيد تحت سلطان فكره وليس للفكر مجال ألا

في ميدانه الخاص به وهو معلوم بين الميادين فانه لكل قوة في الانسان ميدان يجول فيه لا يتعداه ومهما تعدت ميدانها وقعت في الغلط والخطأ ووصفت بالتحريف عن طريقها المستقيم وقد يشهد الكشف البصري بما تعثر فيه الحجج العقلية وسبب ذلك خروجها عن طورها فالعقول الموصوفة بالضلال انما أضلتها أفكارها وانما ضلت أفكارها لتصرفها في غير موطنها وانما تصرف ما تصرف منها في غير موطنه وجال في غير ميدانه ليظهر فضل بعض الناس على بعضهم وانما ظهر الفضل في العالم ليعلم ان الحق له عناية ببعض عباده وله خذلان في بعض عباده وليعلم ان الممكن لم يخرج عن أمكانه وان المرجح له نظر خصوصي لمن شاء من هذه القوى بما يشاء وهو العليم القدير ثم يخرج بالتابع مع حامله إلى الكرسي فيرى فيه انقسام الكلمة التي وصفت قبل وصولها إلى هذا المقام بالوحدة ويرى القدمين اللتين تدلتا إليه فينكب من ساعته إلى تقبيلهما القدم الواحدة تعطي ثبوت أهل الجنات في جناتهم وهي قدم الصدق والقدم الأخرى تعطي ثبوت أهل جهنم في جهنم على أي حالة أراد وهي قدم الجبروت ولهذا قال في أهل الجنان عطاء غير مجذوذ فما وصفه بالانقطاع وقال في أهل جهنم الذين شقوا ليحكم هذا القدم الجبروتي ان ربك فعال لما يريد ما قال ان الحال التي هم فيها لا تنقطع كما قال في السعداء والذي منع من ذلك قوله "ورحمي وسعت كل شيء" وقوله ان رحمي سبقت عضبي في هذه النشأة فان الوجود رحمة في حق كل موجود وان تعذب بعضهم ببعض فتخليدهم في حال النعيم غير منقطع وتخليدهم في حال الانتقام موقوف على أرادة فقد يعود الانتقام منهم عذاباً عليهم لا غير ويزول الانتقام ولهذا فسره في مواضع بالألم المؤلم وقال عذاب أليم والعذاب الأليم وفي مواضع لم يقيد العذاب بالأليم وأطلقه فقال "لا يخفف عنهم العذاب" يعني وان زال الألم وقال في عذاب جهنم ولم ينعت به أليم وقال لا يفتر عنهم من كونه عذاباً وهم فيه أي في العذاب مبلسون أي مبعدون من السعادة العرضية في هذا

الموطن لان الأبالاس لفظة مختصة بأهل جهنم في بعدهم فلهذا جاء بذكر الأبالاس ليوقع هذا الاصطلاح اللغوي في موضعه عند أهله ليعلموه فانه لموطن جهنم لغة ليست لأهل الجنان والأبالاس منها فيعرف التابع من هذا المقام ما لكل دار ثم انه يفارق هذا الموضع ويزج به في النور الأعظم فيغلبه الوجد وهذا النور هو حضرة الأحوال الظاهر حكمها في الأشخاص الانسانية وأكثر ما يظهر عليهم في سماع الألحان فانها إذا نزلت عليهم تمر على الأفلاك والحركات الأفلاك نغمات طيبة مستلذة تستلذ بها الاسماع كنغمات الدولاب فتكسو الأحوال وتترل بها على النفوس الحيوانية في مجالس السماع فان كانت النفس في أي شيء كانت من تعلق بجارية أو غلام أو يكون من أهل الله فيكون تعلقه حب جمال الألهي متخيل أكتسبوه من ألفاظ نبوية مثل قوله في الصحيح ان الله جميل يحب الجمال وقوله في التجريد أعبد الله كأنك تراه فيأخذه الوجد على ما تخيله ومنهم من يغمره الحال لا من حضرة التخيل بل يجد أمراً لا يكيف ولا يدخل تحت الحصر والمقدار ونهم من تهب عليه من هذه الأحوال التي تعطي الوجد روايح على نفوس غير عاشقه ألا بنسبة جزئية لا كلية فتعطيه من الحكم لذلك معنى يسمى التواجد ثم يخرج من ذلك النور إلى موضع الرحمة العامة التي وسعت كل شيء وهو المعبر عنه بالعرش فيجد هنالك من الحقائق الملكية أسرافيل وجبريل وميكائيل ورضوان ومالك ومن الحقائق الملكية البشرية آدم وأبراهيم ومحمد أسلام الله عليهم فيجد عند آدم وأسرافيل علم الصور الظاهرة في العالم المسماة أجساماً وأجساداً وهياكل سواء كانت نورية أو غير نورية ويجد عند جبريل ومحمد عليهما السلام علم الأرواح المنفوخة في هذه الصور التي عند آدم وأسرافيل فيقف على معاني ذلك كله ويرى نسبة هذه الأرواح إلى هذه الصور وتديرها إياها ومن أين وقع فيها التفاصيل مع انبعاثها من أصل واحد وكذلك الصور علم من هذه الحضرة ذلك كله ويعلم من هذه الحضرة علم الأكاسير التي تقلب صور الأجساد بما فيه من الروح وينظر إلى ميكائيل وأبراهيم عليهما السلام فيجد عندهما علم الأرزاق وما يكون به التغذي للصور والأرواح وبما إذا يكون بقاؤها ويقف على كون الأكسير غذاء مخصوصاً لذلك الجسد الذي يردّه ذهباً أو فضة بعدما كان حديداً أو نحاساً وهو

صحة ذلك الجسم وأزالة مرضه الذي كان قد دخل عليه في معدنه فصيره حديداً أو غير ذلك وكل هذا من هذه الحضرة يعلمه ثم ينظر إلى رضوان ومالك فيجد عندهما علم السعادة والشقاء والجنة ودرجاتها وجهنم ودرجاتها وهو علم المراتب في الوعد والوعيد ويعلم حقيقة ما تعطي كل واحدة منهما وإذا علم هذه كله علم العرش وحملته وما تحت أحاطته وهو منتهى الأجسام وليس وراءه جسم مركب ذو شكل ومقدار فإذا علم هذا كله عرج به معراجاً آخر معنوياً في غير صورة متخيلة إلى مرتبة المقادير فيعلم منها كميات الأشياء الجسمية وأوزانها في الأجسام المقدرة من المحيط إلى التراب وما فيهن وما بينهن من أصناف العالم الذين هم عمار هذه الأمكنة ثم ينتقل إلى علم الجوهر المظلم الكل الذي لا جزء له ولا صورة فيه وهو غيب كل ما وراءه من العالم ومنه ظهرت هذه الانوار والضياء في عالم الأجسام وهي الانوار المركبة سلخت من هذا الجوهر فبقي مظلماً كما سلخ النهار من الليل فبانت الظلمة وهذا هو أصل الظلمة في العالم وأصل العالم في الأحكام الناموسية ثم ينتقل من هذا المقام إلى حضرة الطبيعة البسيطة فيعلم حكمها في الأجسام مطلقاً من اختلاف تركيباتها وأحوالها ومن أين وقع الغلط لبعض الطبيعيين فيما غلطوا فيه من العلم بأحكامها وذلك لجهلهم بالعلم بذاتها فصاحب هذا الكشف يعلم ذلك كله ثم ينتقل من النظر في ذلك إلى شهود اللوح المحفوظ وهو الوجود الانبعاثي عن القلم وقد رقم الله فيه ما شاءه من الكوائن في العالم فيعلم هذا التالي لما في هذا اللوح علم القوتين وهما علم العلم وعلم العمل ويعلم الانفعالات الانبعاثية ومن كون هذا الروح لوحاً يعلم ما سطره فيه من سماه لوحاً بالقلم الألهي مما أملاه الحق عليه

وكتابه فيه نقش صور المعلومات التي يجر بها الله في العالم في الدنيا إلى يوم القيامة خاصة وهي علوم محصورة مسطرة صوراً كصور الحروف المرقومة في الألواح والكتب المسماة كلمات وعدد أمهاتها ما يكون من ضرب درجات الفلك في مثلها سواء من غير زيادة ولا نقصان ومن هنا جعل الله في الفلك الذي تقطع فيه الكواكب بسباحتها ثلثمائة درجة وستين درجة وفيها انحصرت السنة في الدار الدنيا بسباحة الشمس والقمر قال تعالى "الشمس والقمر بحسبان" وتتكرر بالسنين من أول وجودها وما هو تكرر على الحقيقة إلى ان ينتهي إلى قدر ما خرج من ضرب الثلثمائة والستين في مثلها من السنين يكون عمر عالم الدنيا ثم يملى أمراً آخر وعلو ما تختص بالقيامة وبالموازين أيضاً إلى أجل مسمى بتميز في الدارين وهو انتهاء مدة الانتقام على أهل دار الشقاء خاصة ثم يستأنف فيه كتابة العذاب في هذه الدار مع الخلود الدائم في الدارين لأهلها غير انه لا بد مهما كانت الكتابة ان تجري إلى أجل مسمى لأستحالة دخول مالا يتناهي في الوجود ثم ينتقل هذا التابع من هذا المقام إلى مشاهدة القلم الأعلى فيحصل له من هذا المشهد علم الولاية ومن هنالك هو ابتداء مرتبة الخلافة والنيابة ومن هناك دوت الدواوين وظهر سلطان الاسم المدير والمفضل وهو قوله يدبر الأمر يفصل الآيات وهذا هو علم القلم ويشاهد تحريك اليمنى إياه التحريك المعنوي اللطيف ومن أين يستمدو انه من ذاته له علم الأجمال والتفصيل والتفصيل يظهر بالتسطير وهو عين ذواته فلا أفتقار له إلى معلم يستمد منه سوى خالقه عز وجل وكتابه نقش ولهذا تثبت فلا تقبل الخو وبهذا سمى اللوح بالحفوظ يعني عن الخو فلو كانت كتابته مثل الكتابة بالمداد قبلت الخو كما يقبله لوح الخو في عالم الكون بالقلم المختص به الذي هو بين أصبعي الرحمن فيفرق من هذا المشهد بين الأقلام والألواح وأنواع الكتب ويعلم علم الأحكام والأحكام ومن هنا يعلم انه لم يبق في الأمكان ما ينبغي ان يكون دليلاً على الله ألا وقد ظهر من كونه دليلاً وان كثرت الأدلة فيجمعها كمالية الدلالة خاصة ثم ينظر عن يمين هذا المشهد فينظر إلى عالم الهيمن وهو العالم المخلوق من العماء ثم ينتقل إلى العماء وهو مستوى الاسم الرب كما كان العرش مستوى الرحمن والعماء هو أول الأينات ومنه ظهرت الظروف المكانية والراتب فيمن لم يقل المكان ويقبل المكان وقبل المكان ومنه ظهرت المحال القابلة للمعاني الجسمانية حساً وخيالاً وهو موجود شريف الحق معناه وهو الحق المخلوق به كل موجود سوى

الله وهو المعنى الذي سبتت فيه واستقرت أعيان الممكنات ويقبل حقيقة الأين وظرفية المكان ورتبة المكان وإسم المحل ومن عالم الأرض إلى هذا العماء ليس فيها من أسماء الله سوى أسماء الأفعال خاصة ليس لغيرها أثر في كون مما بينهما من العالم المعقول والمحسوس غير ان صاحب التابع الذي هو صاحب النظر لما تركه صاحبه بالسما السابعة ورحل عنه وامتدت منه رقيقة على غير معراج التابع ظهرت للتابع في الفلك المكوكب وفقدتها في الجنة ثم ظهرت له فلك البروج ثم فقدتها أيضاً في الكرسي وفي العرش ثم ظهر له في مرتبة المقادير وفي الجوهر المظلم ثم فقدته في الطبيعة ثم ظهر له في النفس من جهة كونها نفساً لا من جهة كونها لوحاً ثم ظهر له في العقل الإبداعي من كونه عقلاً لا من كونه قلماً ثم فارقه بعد ذلك فلم يرى له عيناً ومن هذا العماء يتدي بالترقي والمعراج في أسماء التثريه إلى ان يصل إلى الحضرة التي يشهد فيها ان التثريه يحده ويشير إليه ويقيده ويستشرف على العالم بأسره المعنوي والروحاني والجسمي والجسماني فلا يجد في مشهده ذلك ما ينبغي ان يثريه عنه من ظهر فيه ويرى ارتباطه به ارتباط المرتبة بصاحبها فلا يتمكن له التثريه الذي كان يتخيله ولا يتمكن له التشبيه انه ليس ثم. بمن

وما ثم إلا وحدة الوحدات

فما ثم إلا الله لا شئ غيره

ثم فارق أسماء الأفعال وتسلمته أسماء التمتريه فرأى صاح⁰ به صاحب النظر يوافقه إلى ان وصل إلى الحضرة التي لا تقبل التتريه ولا التشبيه فيتتريه عن الحد بنفي التتريه وعن المقدار بنفي التشبيه فيفقد رفيقه صاحب النظر هنالك ثم ينقلب يطلب ما منه خرج فسلك به الحق تعالى طريقاً غير طريقه الأولى وهو طريق لا يتمكن ان ينقال ولا يعرفه إلا من شاهده ذوقاً ورجع صاحبه على معراجيه ذلك إذ لم يكن تابِعاً أ، وصل إلى جسده فاجتمع مع رفيقه فبادر من حينه صاحب النظر إلى الرسول ان كان حاضراً أو لورثة فيبايعه بيعة الايمان والرضوان على بينة من ربه وآية من نفسه وتلاه شاهد منه وهو التابع فأمن بالله من حيث ما شرع له الايمان به لا من حيث دليله فوجد عنده وفي قلبه نوراً لم يكن يجده قبل ذلك فرأى في اللوحة الواحدة وهو في مكانه بذلك النور جميع ما رآه مع التابع في معراجيه الأول ولم يقف بل ترقى مرقى التابع حتى بلغ العماء والغاية القصوى ورأى الشئ في الأشياء ورأى وجوب وجود ما أحال وجوده فكرة وعقلا وهو في مكانة ذلك لم يبرح وأعطى أكسير التكوين ورأى حشر الأجساد من طور إلى طور باختلاف حكم ولا اختلاف دور فتغيرت الأشكال وتقبلت الأحوال ورأى ما قلناه في مثل ذلك

حقيقة تصورت

إذا النجوم انكدت

جبال صخر سيرت

جحيم نار سعرت

لجنة قد أزلت

من قبرها قد بعثت

إذا السماء انفطرت

فمن لها بها لها

تطلب بانكدارها

تنظر في تسييرها

سعرها موقدها

يدخلها طائفة

قالت وحوش حشرت

قد قدمت وأخرت

قلت لها ما تبتغي

وان ترى نفسي ما

ولما أسلم صاحب النظر وآمن من رأى من مقامه جميع ما رآه التابع في معراجيه مشاهدة عين سأل ان يرى مقام المجرمين وهم المستحقون تلك الدار التي دخلوها بحكم الاستحقاق وعلموا ان العلم أشرف حلة وان الجهل أقبح حلية وان جهنم ليست بدار لشئ من الخير كما أ، الجنة ليست بدار لشئ من الشر ورأى الايمان قد قام بقلب من لا علم له بما ينبغي لجلال الله ورأى العلم بجلال الله وما ينبغي له قد قام بمن ليس عنده شئ من الايمان وهذا العالم بعدم الايمان قد استحق دار الشقاء وان الجاهل المؤمن قد استحق بالايمان دار السعادة والدرجات في مقابلة الدرجات فسلم هذا العالم المستحق دار الشقاء علمه حتى كانه ما علمه أو لم يعلم شيئاً فيتعذب بجهله أشد منه من عذابه بحسه وهو أشده عليه فخلع علمه على هذا الجاهل المؤمن الذي دخل الجنة بليمانه فنال المؤمن بذلك العلم الذي خلع عن هذا الذي استحق الإقامة بدار الشقاء درجة ما يطلبه ذلك العلم فينتعم به نفساً وجسماً وفي الكتيب عند الرؤية ويعطى ذلك الكافر جهل هذا المؤمن الجاهل فينال بذلك الجهل ذلك من النار وتلك أشد حسرة تمر عليه فانه يتذكر ما كان عليه من العلم ولا يعلم ذلك الان ويعلم انه سلبه ويكشف الله عن بصره حتى يرى مرتبة العلم الذي كان عليه في الجنان ويرى حلة علمه على غيره ممن لم يتعب في تحصيله ويطلب شيئاً منه في نفسه فلا يقدر عليه وينظر هذا المؤمن ويطلع على

سواء الجحيم فيرى شر جهله على ذلك العالم الذي ليس بمؤمن فيزيد نعيماً وفرحاً فما أعظمها من حسرة واتفق لي في هذه المسألة عجباً وذلك ان بعض علماء الفلاسفة سمع مني هذه المقالة فرما أحالها في نفسه أو استخف عقلي في ذلك فأطلعه الله بكشف لم يشك فيه في نفسه بحيث ان تحقق الأمر على ما قلنا فدخل علي باكياً على نفسه وتفريطه وكانت لي معه صحبة فذكر لي الأمر وانا اب واستدرك الفأنت وآمن وقال لي ما رأيت أشد منها حسرة وتحقق قوله تعالى "اني أعظك ان تكون من الجاهلين" وقوله "فلا تكونن من الجاهلين" فهذا قد جمع بين خطاب لطف ولين وعنف وشدة لان الواحد شيخ فخطابه باللطف والآخر شاب فخطابه بالشدّة نفعا الله بالعلم وجعلنا منأهله ولا يجعلنا من يسعى بخيره في حق غيره ويشقى آمين بعزته انتهى الجزء الثامن ومائة

الجزء التاسع ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثامن والستون ومائة في معرفة مقام الأدب وأسراره

مجموع خير والمساب مجمع

كنها ففيك لكل نعت موضع

والحق يعطي ما يشاء ويمنع

فلذلك تبصرها تضر وتنفع

حسناً وتكره نفسه ما يصنع

ان الأديب هو الحكيم لانه

فاذا رأيت نعوته في خلقه

لا ترعوى عنها فانت من أهلها

أدباء أهل الله خير كلهم

مثل الأساة يرى العليل صنيعهم

اعلم أيديك الله ان الله يقول "وهو معكم أينما كنتم" فالأديب أمة لما عنده من السعة فهو مع كل مقام بحسب ذلك المقام ومع كل حال بحسب ذلك الحال ومع كل خلق ومع كل غرض فالأديب هو الجامع لمكارم الأخلاق والعليم بسفسافها لا يتصف بها بل هو جامع لمراتب العلوم محمودها ومذمومها لانه ما من شئ إلا والعلم به عند كل عاقل فالأدب جماع الخير وهو ينقسم إلى أربعة أقسام في اصطلاح أهل الله القسم الأول أدب الشريعة وهو الأدب الإلهي الذي يتولى الله تعليمه بالوحي والألهام به أدب نبيه صلى الله عليه وسلم وبه أدبا نبيه صلى الله عليه وسلم فهم المودبون المؤدبون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أدبني فأحسن أدبي والقسم الثاني أدب الخدمة وهو ما أصلحت عليه الملوك في خدمة خدمها وملك أهل الله هو الله فقد شرع لنا كيفية الأدب في خدمته وهو معاملتنا إياه فيما يختص به دون معاملة خلقه فهو خصوص في أدب الشريعة لان حكم الشريعة يتعلق بما هو حق لله وبما هو حق للخلق والقسم الثالث أدب الحق وهو الأدب مع الحق في أتباعه عند من يظهر عنده ويحكم به فترجع إليه وتقبله ولا ترده ولا تحملك الانفة ان كنت ذا كبر في السن أو المرتبة وظهر الحق عند من هو أصغر منك سناً أو قدراً أو ظهر الحق عند معتوه تأدبت معه وأخذته عنه وأعترفت بفضله عليك فيه هذا هو الأتصاف وما رأيت من تحقق بهذا خلقاً في عمري ألا سيد واحد يقال له أبو عبد الله ابن جبير لقيته بمدينة سبته وقصر كتابه وهو جزء من آداب الشريعة فان أدب الشريعة هو الأم لباقي الأقسام والقسم الرابع أدب الحقيقة وهو ترك الأدب بفنائك وردك ذلك كله إلى الله وسيأتي في الباب الذي يلي هذا الباب وهو في المقامات كالوهاب في أصناف العطاء وهو ان يعطي لينعم لا لسبب آخر وكذا المأدبة الاجتماع على طعام ماله سبب ألا الدعوة إليه خاصة من غير تقييد من صفة وليمة أو ختان أو ضيافة أو عقيقة وغير ذلك وكذا جامع الخير لا لسبب بل لكون جامع ذلك له نفس فاضلة خيرة بالذات فذلك هو الأديب وللأدب حال ومقام وهذا باب معرفة مقامه فمقامه هو ما يثبت له دائماً وليس ذلك ألا الأدب مع الحق فانه له الدوام في الدنيا والآخرة وما فاز به ألا أهل الفتوة من الملامية لا غير سلكوا فيه كل مسلك وأستخرجوا كنوزه وحصلوا فوائده كما قال الله تعالى انه ما خلق السموات وهو كل عالم علوي والأرض وهو كل عالم سفلي السماء من عالم

الصلاح والأرض من عالم الفساد ومنه أشتقت إسم الأرض لما تفسده في الثياب والورق والخشب ويسمى أيضاً السوس والعت وما بينهما ألا بالحق من العالم فهذا الحق المخلوق به هذا العالم هو الذي نتأدب معه فانه سبب وجود أعيان العالم وبه يحكم الله يوم القيامة بين عباده وفي عباده وبه انزل الشرائع فقال لرسوله داود "يا داود انا جعلناك خليفة في الأرض فأحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى" وان كان مخلوقاً بالحق فانه مما بين السماء والأرض أو هو عين الأرض فمقام الأدب العمل بالحق والوقوف عند الحق وأياك ان تتوهم من هذا القول ان الصدق هو الحق من حيث انك تقول قال حقاً إذا صدق في قوله وقال صدقاً بل الحق حاكم على الصدق وعلى الكذب بالحسن والقبح فالحق في موطن يحمد الصدق وفي موطن يذمه وينهي عنه ويثني على الكذب الذي هو ضده ويحرص عليه ويوجب العمل به وفي موطن آخر يذم الكذب وينهي عنه ويحمد الصدق ويأمر به وهذا مقام الأدب الذي ينفع صاحبه في كل موطن فالزومه وتتبع مواضعه ودلائله في الشرائع وفي أفعال الرسول المتأسي بها لا غير لا ما أختص به فانه ليس بأدب مع الحق وأما مقام أدب الخدمة فهو ان يعطي ذات المخدم كان ما كان ما تستحقه من حيث عينها خاصة وهو ان تقف مع ما تطلبه بذاتها فتبادر إليه من قبل ان تأمر به أو تساء لك فيه حتى لا يظهر عليها ذلة المسألة ولو كان أكبر منك وسألك في أمر فهو من حيث سؤاله أياك في ذلك الأمر ان تفعله أظهار حاجة إليك ولو عادت عليك منفعتة ولكن مقام السؤال يقتضي ذلك فمقام أدب الخدمة الحضور دائماً مع كل ذات مشهودة لك تنظر فيما تستحقه بما يعطيه الزمان أو المكان أو الحال فتقوم لها بذلك من غير سؤال ولا تنبه من أحد سوى حضورك فهذا مقام أدب الخدمة وأما مقام أدب الشريعة فهو ان تقوم بأمرها خاصة لا بما تعطيك ذاتها ألا ان أمرتك بذلك فيكون

قيامك بما تعطيك ذاتها من حيث أمرها لا غير قال تعالى "وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا" وقال تعالى "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم" وكل خدمة عن أمر فمن أدب الشريعة لا من أدب الخدمة وأما مقام أدب الحقيقة فانا نذكره ان شاء الله ومن أدب الشريعة أخذك لأحكامها المشروعة والوقوف عند رسومها وحدودها وأتصافك بها لمجرد الخدمة والأشتغال لا لتحلية النفس بالعلم بما دون العمل ومن آداب الخدمة ان لا يشغلك ولا يبعثك عليها ما تنتج له من المخدم من القبول وملاحظات التأميل فان شغلك ذلك فما خدمت سوى غرضك ونفسك ومن أدب الحق ان لا يتعدى علمك في الأشياء علمه فيها وهو الموافقة وان أعطاك علمك خلاف ذلك ولا سيما فيما أضافه الحق إلى الخلق من الأعمال فأضفها انت إلى من أضافها الله وأترك علمك لعلمه فانه العليم وانت العالم وهو الصادق فيما يخبر فما أضاف أمراً إلى من أضافه ألا وينبغي لذلك المضاف إليه تلك الأضافة فلا ترجع علمك على علمه من حيث قيام الدليل لك على انه لا فاعل ألا الله فليس هذا من الأدب فصاحب الموافقة له كل تجل وشهود فاعلم ذلك

الباب التاسع والستون ومائة في معرفة مقام ترك الأدب وأسراره

وإذا فعلت فلا يقال أديب

وشفاءها لله وهو مصيب

خرق السفينة والجدار عجيب

أضف الأمور إلى الأله جميعها

نسب الخليل إليه علة نفسه

وكذلك أستاذ المكلم عندما

فالعبد ان نظر الأمور بنفسه

تبصره يخطي تارة ويصيب

فانظر بربك في الأمور فانه

فيها فتحضر تارة وتغيب

قال تعالى أمراً قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً في معرض الذم لهم أي هو الذي حسن الحسن وقبح القبيح وقال تعالى مخبراً كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وذكر المذموم والحمود وقال تعالى "فألمهما فجورها وتقواها" ذلك الأول في الباطن فانه في الإرادة وهذا في الظاهر أذ لا يعتبر ألا بعد الوقوع فالتارك للأدب أديب من حيث لا يعلم فانه مع الكشف وبحكمه لا مع الذي هم المحجوبون فيه فهو يعاين علم الله في جريان المقادير قبل وقوعها فيبادر إليها فينطلق عليه بلسان الموطن انه غير أديب مع الحق فانه مخالف بل هذا هو غاية الأدب مع الحق ولكن أكثر الناس لا يشعرون ومنهم من يقام في الأدلال كعبد القادر الجيلي ببغداد سيد وقته ومنهم من يكون وقته في ذلك كنت سمعه وبصره والأدب يستدعي الغير وثم مقام يفنى الأغيار فيزول الأدب لانه ما ثم مع من وأما بلسان عامة الطريق وخواص أكثرهم فان مقام ترك الأدب مع الحقيقة هو الواقع المشروع في العموم والخصوص وهو مقام جليل لا يقف معه ألا الذكران من أهل الله وفحول أصحاب المقامات لا أصحاب الأحوال والقران كله نزل في هذا المقام ألا آيات مفردات قد ذكرناها في أول الباب وما يحار في هذا المقام الأرجلان مكاشف به ومشاهد له فالحقيقة تطلبه والحق الموضوع يطلبه والأدب مع أحدهما ترك الأدب مع الآخر وحصلت انت في مقام الترجيح وليس لك ذلك فمن الرجال من يترك أدب الحق الموضوع من اعتقاده وباطنه ويترك أدب الحقيقة من ظاهره ويكون أديباً مع الحق في ظاهره غير أديب مع الحقيقة في ظاهره ويكون أديباً مع الحقيقة في باطنه غير أديب مع الحق في باطنه لما رأوا ان النجاة في ذلك والسعادة وان عكس الأمر شقاء فهو يطرد ولا ينعكس وثم طائفة تقول ان الأدب مع الحق الذي هو الشرع أدب مع الحقيقة فمن تركه هنا تركه هنا ولا يعرفون من وجه وذلك لان الحق المشروع بين الأمر الذي لأجله حكم بالمنع فقال ومن غيرته حرم الفواحش لأ انه جعلها فواحش بالتحريم وهذا المذهب أدخل في باب الحكمة ومذهب المخالف أدخل في أحدية العين ولهذا المقام رجال ولمخالفه رجال وبالجمله فهو موضع حيرة لا يخلص لهؤلاء من جميع الوجوه ولا لهؤلاء من جميع الوجوه فان الأخبارات الألهية أكثرها تعارض الأدلة العقلية في هذا الباب وأية حيرة أعظم من هذه الحيرة وهذا هو المتشابه الذي ينبغي ان يقول فيه من لم يطلعه الله على العلم به آمناً به كل من عند ربنا ولكن ما يتذكر ذلك ألا أولو الألباب وهم الآخذون بلب العقل لا بقشره والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب السبعون ومائة في معرفة مقام الصحبة وأسراره

صحبة الله في السبب

صحبة الله بالأدب

بالذي فيه من نسب

صحبة الكون كله

أجل ان شئت في الطلب

فإذا ما علمت ذا

صحبة الحق في تعب

لم يزل كل من يرى

ه على صحة النسب

ذل من يصحب الألباب

أعلم ان الصحبة نعت ألهي للخير الوارد انت الصاحب في السفر يقول النبي صلى الله عليه وسلم في سفره الله والخليفة في الأهل كما جعل الله الرسول خليفة في العالم جعله العالم إذا فارقوا أهلهم خليفة في أهلهم وهو قوله فأخذوه وكيلا وأوحى إلى من أوحى إليهم ألا تتخذوا من دوني وكيلا يقول لهم فالصحبة تطلب أعيان الأغيار ما يكون من نجوى ثلاثة ألا هو رابعهم ولا خمسة ألا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر ألا هو معهم أينما كانوا والمعية صحبة عامة والخلة صحبة خاصة وسيرد بإيها ان شاء الله غير ان في الصحبة أمراً يتعذر من وجهه في الجنات الألهي وهو المناسبة والمشاكلة أما من كل وجه وأما من أكثر الوجوه ولا مناسبة كما يرد في باب مقام ترك الصحبة فلا صحبة وقد وردت الصحبة فلا بد لها من وجه يستدعيها فانه أخبار ألهي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تزييل من حكيم حميد فلا تثبت الصحبة فلا بد لها من وجه يستدعيها فانه أخبار ألهي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تزييل من حكيم حميد فلا تثبت الصحبة ألا إذا لم تأخذ في حدها الكفاءة فإذا أزلت الكفاءة في الصحبة تثبت الصحبة في الجناب الألهي فهو تعالى يصحبنا في كل حال نكون عليه ونحن لا نصحبه ألا في الوقوف عند حدوده فما نصحب على الحقيقة ألا أحكامه لا هو فهو معنا ما نحن معه لانه يعرفنا ونحن لا نعرفه لذا أتى يصحبنا ولم ينجى نصحبه فانه يحفظنا له لا لنا من هذه الحقيقة نطلبه لنا لا له فان طالبنا طالبناه والله الحجة البالغة فشرع تعالى لنا شرع فقال من عمل صالحاً فلنفسه وهو قولنا نطلبه لنا لاله وقال "والله غني عن العالمين" تحقيقاً لطلبنا إياه لنا لاله وحقيقة طلبه أيانا له لا لنا قوله تعالى "وما خلقت الجن والانس ألا ليعبدون" فأوجدنا له لا لنا فطلبناه لنا لا له بما خلقناه له فألتفت الساق بالساق فأمر الصحبة عظيم وسأفها كبير وما يرهاها ألا الأكابر وأحسن ما بلغني في رعي حقها والقيام به ما حكي عن الحجاج رحمه الله انه أمر بضرب عنق شخص فقال لي أمر نجب ان أذكره للأمير قبل ان يقتلني فقال له الحجاج قل أيها الأمير لا أحب ان أقوله لك ألا حتى تتركني مكتوفاً بحالي أمشي معك في أيوانك هذا من أوله إلى آخره وما على الأمير في ذلك من بأس ولا تحول ذلك بينه وبين ما يريد مني ويقضي لي بهذا حاجة فقال لحاجبه أصد به إلى وقام الحجاج يسايره في الأيوان ويصغي إليه ليرى ماذا يقول له فلما بلغ معه إلى آخر الأيوان وعاد إلى مكانه قال أيها الأمير ان الكريم يراعي حق صحبة ساعة وقد صحبني الأمير وصحبته في هذه المشية والأمير أولى من رعي حق الصحبة فقال الحجاج خلوا سبيله فو الله لقد صدق ولقد نبه عاقلاً فلو قتلته لكنت ألام الناس ثم أمر ان يجزل له في الأعطية وخيره في صحبته والأقامة عنده فما أدري بعد ذلك هل أقام عنده أم لا فهذا من حسن ما يسمع في حق الصحبة من الوفا به والرعاية هذا من الحجاج فلا بد لعبيد الله ان يخلصوا مع الله نفساً واحداً يصح به إطلاق الصحبة مع الله فلا بد ان يرعى الله حق ذلك النفس وأما صحبة أهل الله بعضهم مع بعض أو صحبتهم للخلق أو صحبة الخلق إياهم فهم يطالبون انفسهم بحق ما يجب للصاحب على الصاحب فان كان عين الحق له حقاً عنده لزمه الوفاء به أمثالاً لأمر سيده ووقوفاً عند حده وان كان لم يأت في ذلك أمر وأبىح له وجعل له الاختيار في ذلك فليرجح مع صاحبه مكارم الخلق بترك غرضه وعمله لغرض صاحبه ما لم يسخط الله في واجب معين فصحة الله أولى وكذلك في صحبة غير الأشكال وغير الجنس مثل صحبته لما يملكه من الدواب والأشجار وما يصحبه من ذلك وان لم يملكه فان رأى شجرة ذابلة لأحتياجها إلى الماء وان لم يكن مالكة حاضراً وقدر على سقيها في صحبة تلك الساعة حيث أستظل بها أو أستند إليها طلباً لراحة من تعب أو وقف عندها ساعة لشغل طراً له فهذه كلها صحبة وهو قادر على الماء فتعين عليه رعي حق الصحبة ان يسقيها لذلك لا لأجل صاحبها ولا طمعاً فيما نثمر سواء أثمرت أو لم تثمر أو كانت مملوكة أو مباحة وكذلك

الحيوانات المؤذية وغير المؤذية فانه في كل ذي كبد رطبة أجر وقد وردت في ذلك أخبار نبوية من سقي البغي الكلب فشكر الله فاعلمها فغفر لها وكو إلى بخاري وكان ظالماً فوهبه الله لكلب أحسن في صحبته
ثلاثة أيام فنودي كنت كلباً فوهبناك لكلب

الباب الحادي والسبعون ومائة في معرفة مقام ترك الصحبة

يراه من قيده الجاهل

يحيلها العالم والعافل

وماله أين ولا حامل

اني مع الأكوان يا غافل

يراه أو بالوصف يا عافل

من ترك الصحبة فهو الذي

وصحبة الحق على كنهه

فهو مع العالم في أينه

فانظر إلى الحكمة في قوله

هل هو بالذات على حكم من

أعلم أيديك الله لما كانت الصحبة تطلب المناسبة وهو يقول ليس كمثله شيء ودليل العقل يقضي به فله السيادة والعالم عبيد فخدمة لأصحابه وانما أمتنعت الصحبة من الطرف الواحد وصحت من الطرف الآخر لما نذكره فالحق ليس بصاحب لأحد من المخلوقين ألا بالصحبة التي أرادها الشارع في قوله انت صاحب في السفر بذلك المعنى كما آتخذناه وكيلاً فيما هو ملكه ولانه الفعال لما يريد كما قال ما يكون فعالاً لما تريد انت ألا ان توافق أرادتك أرادته وما تشاؤون ألا ان يشاء الله ان تشاؤا فمن حيث انه أراد فعل لا من حيث انك أردت والصاحب من يترك أرادته لأرادة صاحبه وهذا في جناب الحق محال فلا يصحب الرب الأربو بيته لكن يصحبه العالم لصحة هذا الشرط منه فمن صحبه من العالم ترك أرادته وغرضه ومحابه ومراضيه لأرادة سيده وان كره ذلك العبد فان دعواه في الصحبة تجعله ان يوافق ويحمل ذلك وكذلك النبي لا يصحب ألا نبوته فانه لا يتمكن للنبي ان يكون مع صاحبه بحيث ما يريد صاحبه منه وانما هو مع ما يوحى إليه به لا يفعل ألا بحسبه فيصحب ولا يصحب ولهذا ليست الصحبة فعل فاعلين وكذلك الملك لا يصحب سوى ملكه فيصحب أيضاً ولا يصحب فان الناس مع الرسول في صحبتهم بحكم ما يشرع لهم ما هم بحكم أرادتهم برهانه فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً فلذلك صحبه وما صحبه والورثة أهل الألقاء الألهي يصحبون ولا يصحبون فانهم مع ما يلقي الله إليهم كتقارير حكم المجتهد يحرم عليه العدول عنه فلا يصحب مؤمن مؤمناً أبداً لانه لا يمكن له لوفاء معه على الإطلاق بحق الصحبة فان المؤمن تحت حكم شرعه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان فاطمة بنت محمد سرقت قطعت يدها فالحكموم عليه لا يمكن ان يكون صاحباً لأحد كالعبد لا يتمكن له ان يصحب غير سيده لانه ما هو بحكم نفسه فيمشي على أغراض صاحبه بل هو بحكم سيده فالصحبة لا تصح ألا من الطرف الواحد وهو الأدنى وقد نبهناك فاعلم وقف عند حدك حتى تعلم انك صاحب أو مصحوب فاعمل بحسب ذلك والكمال من لا يزال صاحباً أبداً

الباب الثاني والسبعون ومائة في معرفة مقام التوحيد

دمية في القلب قد نصبت	ما لها روح ولا جسد
كتبت فيه عقيدتها	بمداد كله جسد
أحد ما مثله أحد	بجمال النعت منفرد
مصدر الأكوان حضرته	وهو لا شفع ولا عدد
الذي قام الوجود به	أمرنا عليه ينعقد
وانا العبد الفقير به	وهو المحسان والصمد
فأعجبوا من حكمة وجدت	نعم والرحمن ما وجدوا
حكمة تحوي على حكم	نالها الحساد اذ حسدوا
أبد يعنو إلى أزل	أزل يمدد الأبد
كل من يجري إلى أمد	سيرى وماله أمد
هكذا التوحيد فأعتبروا	واحد في واحد أحد

أعلم ان التوحيد التعمل في حصول العلم في نفس الانسان أو الطالب بان الله الذي أوجده واحد لا شريك له في ألوهيته والوحدة صفة الحق والاسم منه الأحد والواحد وأما الوجدانية فقيام الوحدة بالواحد من حيث انهما لا تعقل ألا بقيامهما بالواحد وان كانت نسبة وهي نسبة تنزيه فهذا معنى التوحيد كالتجريد والتفريد وهو التعمل في حصول الانفراد الذي إذا نسب إلى الموصوف به سمي الموصوف به فرداً أو منفرداً أو متفرداً إذا سمي به فالتوحيد نسبة فعل من الموحّد يحصل في نفس العالم به ان الله واحد قال تعالى "لو كان فيهما آلهة ألا الله لفسدتا" وقد وجد الصلاح وهو بقاء العالم ووجوده فدل على ان الموجد له لو لم يكن واحداً ما صح وجود العالم هذا دليل الحق فيه على أحديته وطابق الدليل العقلي في ذلك ولو كان غير هذا من الأدلة أدل منه عليه لعدل إليه وجاء به وما عرفنا بهذا ولا بالطريق إليه في الدلالة عليه وقد تكلف قوم الدلالة عليه بطريق آخر وقد حوا في هذه الدلالة فجمعوا بين الجهل فيما نصبه الحق دليلاً على أحديته وبين سوء الأدب فأما جهلهم فكونهم ما عرفوا موضع الدلالة على توحيده في هذه الآية حتى قد حوا فيه وأما سوء الأدب فمعارضتهم بما دخلوا فيها بالأمور القادحة فجعلوا نظرهم في توحيده أتم في الدلالة مما دل به الحق على أحديته وما ذهب إلى هذا ألا المتأخرون من المتكلمين الناظرين في هذا الشأن وأما المتقدمون كأبي حامد وأمام الحرمين وأبي أسحق الأسفراييني والشيخ أبي الحسن فما عرجوا عن هذه الدلالة وسعوا في تقريرها وأبانوا عن استقامتها أدباً مع الله تعالى وعلماً بموضع الدلالة منها وأعلم ان الكلام في توحيد الله من كونه ألهاً فرع عن أثبات وجوده وهذا باب التوحيد فلا حاجة لنا في أثبات الوجود فانه ثابت عند الذي نازعنا في توحيده وأما أثبات وجوده فمدرك بضرورة العقل لوجود ترجيح الممكن بأحد الحكمين ولنا في توحيده طريقان الطريق الواحدة ان يقال للمشارك قد أجمعنا في العلم بان ثم مخصصاً وقد ثبت عينه وأقل ما يكون واحداً فمن زاد على الواحد فليدل عليه فعليك بالدليل على ثبوت الزائد الذي جعلته شريكاً فليكن الخصم هو الذي يتكلف أثبات ذلك والطريقة

الأخرى قوله تعالى "لو كان فيهما آلهة ألا الله لفسدتا" هذه مقدمة والمقدمة الأخرى السماء والأرض وأعني بهما كل ما سوى الله ما فسدتا وهذه هي المقدمة الأخرى والجامع بين المقدمتين وهو الرابط الفساد فانتجنا أحدية المخصص وهي المطلوب وانما قلنا ذلك لانه لو كان ثم آله زائد على الواحد لم يخل هذا الزائد أما ان يتفقا في الإرادة أو يختلفا ولو اتفقا فليس بمحال ان يفرض الخلاف لننظر من تنفذ إرادته منهما فان اختلفا حقيقة أو فرضا في الإرادة فلا يخلوا ما ان ينفذ في الممكن حكم أرادتهما معاً وهو محال لان الممكن لا يقبل الضدين وأما ان لا ينفذ أو أما ان ينفذ حكم إرادة أحدهما دون الآخر فان لم ينفذ حكم أرادتهما فليس واحد منهما باله وقد وقع الترجيح فلا بد ان يكون أحدهما نافذ الإرادة وقصر الآخر عن تنفيذ إرادته فحصل العجز والإله ليس بعاجز فالإله من نفذت إرادته وهو الله الواحد لا شريك له وهكذا استدل الخليل عليه السلام في الأقول فأعطاه النظر ان الأقوال يناقض حفظ العالم فالإله لا يتصف بالأقوال أو الأقوال ادت لطروا على الإفل بعد ان لم يكن أفلا والإله لا يكون محلا للحوادث لبراهين آخر قريبة المأخذ وهذه الانوار قد قبلت الأقوال فليس واحد منها باله وهذه بعينها طريقة قوله تعالى "لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا" وكل دليل لا يرجع إلا إلى هذا المعنى فلا يكون دليلاً ثم قال الله تعالى في قصة ابراهيم هذه وتلك حجتنا آتيناهما ابراهيم ولم يكن له غير هذا فقله حجتنا أي مثل حجتنا التي نصبناها دليلاً على توحيدنا وهي قولنا "لو كان آلهة إلا الله لفسدتا" وهذه الأدلة وأمثالها انما المطلوب بها توحيد الله أي مائمه إله آخر زائد على هذا الواحد وإما أحدية الذات في نفسها فلا تعرف ما هية حتى يحكم عليها لانها لا تشبه شيئاً من العالم ولا يشبهها شيء فلا يتعرض العاقل إلى الكلام في ذاته إلا بخبر من عنده وما إتيان الخبر فانا نجعل نسبة ذلك الحكم إليه لجهلنا به بل نأمن به على ما قاله وعلى ما يعلمه فان الدليل ما يقوم الأعلى نفى التشبيه شرعاً وعقلاً فهذه الطريقة قريبة عليها أكثر علماء النظر وأما الموحد بنور الايمان الزائد على نور العقل وهو الذي يعطي السعادة وهي لانور لا يحصل على دليل أصلاً وانما يكون عن عناية إلهية بمن وجد عنده ومتعلقه صدق المخبر فيما أخبر به عن نفسه خاصة ليس متعلق الايمان أكثر من هذا فان كشف المتعلق الخبر فبنور آخر ليس نور الايمان لكن لا يفارقه نور الايمان وذلك النور هو الذي يكشف له عن أحدية نفسه وأحدية كل موجود التي بها يتميز عن غيره سواء كانت ثم صفة يقع فيها الإشتراك أو لا يكون لا بد من أحدية تخصه يقع بها الإمتياز له عن غيره فلما كشف للعبد هذا النور أحدية الموجودات علم قطعاً بهذا النور أ، الله تعالى له أحدية تخصه فإما ان تكون عينه فيكون إحدى الذات إحدى المرتبة وهي عينها وأما ان يكون أحدية المرتبة فيوافق الكشف الدليل النظري ويعلم قطعاً ان الذات على أحدية تخصها هي عينها وهذا معنى قول أبي العتاهية

وفي كل شيء له آية

تدل على انه واحد

وتلك الآية أحدية كل معلوم سواء كان كثيراً أو غير كثير فان للكثرة أحدية الكثرة لغيرها البتة والأحدية صفة تنزيه على الحقيقة فلا تكون بجعل جاعل كما يراه بعض أصحابنا فمن قال انه وحد الواحد ويريد به ما يريد بالوحدة فليس بصحيح وان أراد بقوله وحد الواحد ويعني به القائل الثاني فهذا يصح وانما الواحد من حيث عينه هو واحد لنفسه فأهل طريق الله رأوا ان التوحيد إذا ثبت انه عين الشرك فان الواحد لنفسه لا يكون واحد بإثباتك إياه واحداً فما انت أبته بل هو ثابت لنفسه وانت علمت انه واحد لا لانك أثبت انه واحد فلهذا قال من أصحابنا قوله إذ كل من وحده جاحد لان الواحد لا يوحد لانه لا يقبل ذلك لكان اثنين

وحدته في نفسه ووحدة الموحد التي أثبتتها له فيكون واحداً بنفسه وواحداً بأثبات الوحدة له من غيره فيكون ذا وحدتين فينتفي كونه واحداً وكل أمر لا يصح إثباته إلا بنفيه لا يكون له ثبوت أصلاً فالتوحيد على الحقيقة منا له سكوت خاصة ظاهرة أو باطناً فمهما تكلم أوجدوا ذا أوجد أشرك والسكون صفة عدمية فيبقى توحيد الوجود له وما دخل الشرك في توحيده إلا بإيجاد الخلق لان الخلق استدعى بحقائقه نسباً مختلفة تطلب الكثرة في الحكم وان كانت العين واحدة فما طرأت الآفة في التوحيد إلا من الإيجاد فالتوحيد جنى على نفسه لم تحني عليه الموجودات وهذا هو علم التوحيد الوهي الذي لا يدرك بالنظر الفكري وكل توحيد يعطيه النظر الفكري هو كسبي عند الطائفة واعلم ان الشرع ما تعرض لأحدية الذات في نفسها بشئ وانما نص على توحيد الإلهية وأحديتها لانه لا إله إلا هو وانما ذلك من فضول العقل لان العقل عند فضول كثير أداه إليه حكم فكر عليه وجميع القوى التي في الانسان فلا شئ أكثر تقليداً من العقل وهو يتخيل انه صاحب دليل إلهي وانما هو صاحب دليل فكري فان الدليل الفكري يمشي به حيث يريد والعقل الأعمى بل هو أعمى عن طريق الحق فأهل الله لم يقلد وأفكارهم فان المخلوق لا يقلد المخلوق فجنحوا إلى تقليد الله فعرفوا الله بالله فهو بحسب ما قال عن نفسه ما هو بحسب ما حكم فضول العقل عليه وكيف ينبغي للعقل ان يقلد القوة المفكرة وهو يقسم النظر الفكري إلى صحيح وإلى فاسد ولا بدله ان يحتاج إلى فارق بين صحيحه وفاسده ومحال ان يفرق بين صحيح النظر الفكري وفاسده بالنظر الفكري فلا بد ان يحتاج إلى الله في ذلك فالذي نلجأ إليه تمييز النظر الفكري صحيحه من فاسده حتى نحكم به نلجأ إليه ابتداء في ان يعطنا العلم بذلك المطلوب من غير استعمال فكر وعليه عولت الطائفة وعملت به وهو علم الانبياء والرسول وأولى العلم من أهل الله ولم تعد بأفكارها محالها وعلمت ان غايتها في الإدراك الصحيح في زعمها أدلتها على الأمور الحسية والبدئية وقد حكمت بغلط الحس ابتداء في الأشياء وبالقدح في البديهيات ثم رجعت تأخذها مصادرة لتعذر لدلالة عليه فالرجوع إلى الله أولى في الأمور كلها كما قال وإليه يرجع الأمر كله هذه في جملة الأمر فلا علم إلا العلم المأخوذ عن الله فهو العالم سبحانه وحده والمعلم الذي لا يدخل على المتعلم منه في ما يأخذه عنه مشبهة ونحن المقلدون له والذي عنده الحق فنحن في تقليدنا إياه فيما أعلمنا به أولى باسم العلماء من أصحاب النظر الفكري الذين قلده فيما أعطاهم لا جرم لا يزالون مختلفين في العلم بالله والانبياء مع كثرتهم وتباعد ما بينهما من الأعصار لا خلاف عنده في العلم بالله لانهم أخذوا عن الله وكذلك أهل الله وخاصته فالمتأخر يصدق المتقدم ويشد بعضهم بعضاً ولو لم يكن ثم إلا هذا لكفى ووجب الآخذ عنهم وهذا الباب أعني باب التوحيد يعطي المناسبة من وجه وقد قال بذلك جماعة من أهل الله كأبي حامد وغيره من شيوخنا ولا يعطي المناسبة من وجه وقد قال به جماعة من أصحابنا كأبي العباس بن العريف الصنهاجي ونفوا المناسبة جملة والذي أذهب إليه وأقول به علم أصلناه أو ولن ان لا تقلد في علمنا بالله بغير الله إلا الله فنكن بحسب ما يلقي الينا في حق نفسه فان خاطبنا بالمناسبة كنا بما حيث خاطبنا لا نتعدى ذلك الموضوع ونقتصر عليه وان خاطبنا برفع المناسبة رفعناها في ذلك الموطن الذي رفعها فيه لا نتعدها فيكون الحكم له لا لنا فلا نزال نصيب أبداً ولا نخطئ وهو المعبر عنه بالعصمة في حق الانبياء عليهم السلام والحفظ

في حق الأولياء ومتى مال بخبر عن الله فلا إصابة إذا حصلت منه للحق إتفاقية بالنظر إليه مقصودة بالنظر إلى الحق هذا هو الذي نعتمد عليه فقوله ليس كمثله شئ على زيادة الكاف رفع للمناسبة الشيعية وتام الآية وهو السميع البصير أثبات للمناسبة والآية واحدة والكلمات مختلفة فلا نعزل عن هذه المحجة فهي أقى حجة وهي ما ذهبنا إليه من تقليد الحق فانه طريق العلم والنجاة في الدنيا والآخرة وهي الطريق نبينا والمرسلين والقائلين بالفيض من الآلهيين فإذا جاءك من الله علم فلا تدخله في ميزان الفكر ولا تجعل

لعقلك سبيل إلى ذلك فتهلك في ساعتك فان العلم الإلهي لا يدخل في الميزان لانه الواضع له فكيف يدخل واضعه تحت حكمه
النائب لا يحكم على من استخلفه وانما يحكم على من استخلف عليه والعلم يناقض العقل فان العقل قيد والعلم ما حصل عن علامة
وأدل العلامات على الشئ وكل علامة سواها فإصابة فيها بالنظر إلينا إتفاقية وهذا القدر في هذا الباب على حكم طريقتنا كاف في
الغرض المقصود والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وصل في الوتر وهو نوع من انواع التوحيد اعلم ان الوتر في لسان العرب هو
طلب التار فأحدية الحق انما اتصفت بالوتر لطلبها التار من الأحدية التي للواحد الذي أظهر الإثنين بوجوده فما زاد إلى ما يتناهي
من الأعداد فلما أزال بهذا الظهور حكم الأحدية فصارت أحدية الحق تطلب تار الأحدية المزالة التي أذهب عينها هذا الواحد الذي
بوجوده ظهرت الكثرة وتطلب الوحانية فتسمى بالوتر لهذا الطلب فوكل هذا الواحد من ينوب عنه في الذب عنه فأقام العارف
وكيلاً بلسان حق فقال أيها الحاكم الطالب تار الأحدية بل هذا الذي تطلبه ما أعطى الأثنين ولا الثلاثة ولا الأربعة فصاعداً فانه لا
يعطي ما لا يقتضيه حقيقته وانما الذي أعطانا الأثنين أحدية الإثنين وأحدية الثلاثة والأربعة بالغاً ما بلغ العدد وذلك لتستدل أعيان
الأعداد بأحديتها تلك على أحديتك فما سعت إلا في حقتك ومن أجلك إذ تعلم ان الأعداد ما ظهرت في الكون إلا من حكم
الاسماء الإلهية فانها كثرة ومع كثرتها فالأحدية لها متحققة فأراد هذا الواحد ان لا يجهل أعيان الأعداد أحدية الاسماء حتى لا تتوهم
الكثرة في جناب الله فأعطى في كل عدد أحدية ذلك العدد غيره من وجود الكثرة المذهبة لعين الأحدية والوحدة فقبل عذره وعلم
انه متخلق في ذلك بأخلاق أحدية الحق بأقامة أحدية الاسماء الكثيرة ومشى عليه إسم الوتر للغيرة فالله يحب الوتر وسيأتي في الباب
الذي بعد هذا العلم بالكثرة والإشتراك ان شاء الله

وصل في الفرد وأما الفرد فهو من حكم هذا الباب ويسمى به لانفراده بما يتميز به عن خلقه فما هو فرد من حيث ما هو واحد
لنفسه وفرد لتمييزه عن أحدية كل شئ ولا يصح الفرد لغيره سبحانه فانه كل ما سوى الله فيه اشتراك بعضه مع بعض ويتميز
بأحديته ولا ينفرد فان صفة الإشتراك تمنع من ذلك فلا يصح إسم الفرد على الحقيقة إلا الله الحق خاصة فان الفرد من جميع الوجوه
إذ لم تكن له صفة اشتراك كما لسواه من الموجودات ولذلك تطلب الحدود الموجودات والله لا يطلب حد ولا يقابله مثل ولا ضد
تعالى الله وأسماؤه كلها لها الفردية فانها له نسب لأعيان فيأخذ الحد ذلك الاسم إذا دل على الحادث ولا يأخذه الحد إذا سميت به
الله تعالى فتحد اللفظ ولا تحد مدلوله إلا إذا كان مدلوله حادثاً لا غير ولا يلزم من الإشتراك في اللفظ الإشتراك في المعنى لان اللفظ
لك لا له وانت مشترك فيك فهذا قيل اللفظ الإشتراك ألا ترى الألفاظ المشتركة كالمشتري ليس الإشتراك إلا في إطلاق الاسم
ولهذا يقع التفصيل إذا كولب بالحد صاحبه فيقال أي مشتري تريد المشتري الذي هو كوكب في السماء أو المشتري الذي هو عاقد
البيع فإذا حده تميز كل عين عن صاحبها فليس في اللفظ من ماهية المدلول شئ فبهذا تقول في الحق سميع بصير وله يد ويدان أو أيد
وأعين ورجل وجميع ما أطلقه على نفسه مما لا يتمكن للعقل ان يطلقه عليه لأه، لم يعلم ذلك الإطلاق الأعلى المحدثات ولولا
الشرع والأخبار النبوية الإلهية ما جاءت بها ما أطلقناها عقلاً عليه ومع هذا فننفي التشبيه ولا يتناول أمر بعينه لجهلنا بذاته وانما نفينا
التشبيه بقوله ليس كمثله شئ لا بما أعطاه الدليل العقلي حتى لا يحكم عليه إلا كلامه تعالى وبهذا نحجب نلقاه إذا ألقيناه وكشف عن
بصائرها وأبصارنا غطاء العمى ان كان يمكن كشفه مطلقاً أو يكشف منه ما يمكن كشفه شاماً على التساوي في حق الجميع وإما
على التفاوض في حق العباد فينفرد كل شخص برؤية لا تكون لغيره ولا يصح الكشف في علم التوحيد إلا عند من يقول بالمناسبة
ولا عند من يقول بنفي المناسبة لان التوحيد ليس بأمر وجودي وانما هو نسبة والنسب لا تدرك كشافاً وانما تعلم من طريق الدليل

فان الكشف رؤية ولا تتعلق الرؤية من المرئي إلا بكيفيات يكون المرئي عليها وهل في ذلك الجنب الإلهي كيفية أم لا فالدليل ينفي
الكيفية فان كان يريد انه لا كيفية له في ذاته فلا يكشف وان كان يريد انه لا تعقل كيفية فيمكن ان يكشف من حيث ما له
كيفية لا تعقل لكن يحصل العلم بها عند الكشف فان كل كيفية حصلها العقل من نظره في الأشياء فانها تستحيل عليه عنده مع
ثبوت الايمان باسمائها لا بمعقوليتها من نزول واستواء ومعية وتقليب وتردد وضحك وتعجب ورضى وغضب فان جسد الله هذا
المعاني في حضرة التمثيل كالعلم في صورة اللبن فذلك له وحينئذ تنال كشفاً وإلا فلا تنال أبداً ولا يعلم من أين أخذتها النبوة هل
تلقتها خيراً فقد وقع التساوي وان كان من كشف فهو بحسب ما ذكرناه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الثالث والسبعون ومائة في معرفة مقام الشرك وهو التنبيه

عليه أهل الكشف قد عولوا

هو الإله الحكم الأول

دل على الذات وما يسئل

يلفظه اللفظ أو يعقل

عند الذي يعلم أو يجهل

فيه إمام حكمه فيصلى

أثبتته في عقده المبطل

الشرك في الاسماء لا يجهل

قالوا وما الرحمن قلنا لهم

لا فرق بين الله في كونه

به من الاسماء في كل ما

والشرك محمود على بابيه

هو الوجود المحض لا يمتري

وانما المذكوم منه الذي

قال الله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياماً تدعوا فله الاسماء الحسنى فاعلم ان الله تعالى من حيث ذاته فهو الواحد الأحد وقال
"ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها" فإذا دعوته عرفت من يجيبك وما يجيبك هل يجيبك من حيث ذاته أو من حيث نسبة يطلبها ذلك
الاسم ما هي عين الذات ولا يجيبك تعالى مع ارتفاع وجود تلك النسبة فإذا عرفت هذا عرفت أمور كثيرة في عين واحدة لا تعقل
الذات عند الدعاء بهذا الاسماء دون هذه النسب ولا تعقل النسب دون هذه الذات فإذا قلت يا عليم علمت ان معقوله خلاف
معقول يا قدير وكذلك يا مريد يا سميع يا بصير يا شكور يا حي يا قيوم يا غني إلى ما شئت من الاسماء فهذه النسب وان
كثرت فالمسمى واحد والمنسوب إليه هذه النسب واحد فإذا لا تعقل الكثرة في هذا الواحد إلا هكذا فكل اسم قد شارك الاسم
الآخر وغيره من الاسماء الإلهية في دلالة عن الذات مع معقولية حقيقة كل اسم انما مغايرة لمعقولية غيره من الاسماء وتميز كل واحد
منها عن صاحبه واشتراكهم في ذات المسمى وليست هذه الاسماء لغير من تسمى بها فالاسماء الإلهية مترادفة من وجهة متبانية من
وجه مشتبهة من وجه فالترادفة كالعالم والعلام والعليم وكالعظيم والجبار والكبير والمشتبهة كالعليم والخبير والمحصى والمتبانية
كالقدير والحي والسميع والمريد والشكور وأما الضرب الآخر من الشراكة في إيجاد العالم فهو باستعداد الممكن ولا استقلال استعداد
الممكن دون القدرة الإلهية بالإيجاد وهذا سار في كل ممكن ثم اشترك آخر خصوص في بعض الممكنات وهو إذا أراد إيجاد العرض
فلا بد من الإقتدار الإلهي والإرادة الإلهية لتخصيص ذلك العرض المعين ولا بد من العلم به حتى يفصده بالتخصيص ولا بد من

استعداد ذلك المراد لقبول الإيجاد ولا بد من وجود المحل لصحة إيجاد ذلك العرض إذ كان من حقيقته انه لا يقوم بنفسه فلا بد له من محل يقوم به ولا بد لذلك المحل ان يكون على استعداد يقبل وجود ذلك العرض فيه وهذا كله ضرب من الشركة في الفعل فهذا معنى الشركة والكثرة المطلوبة في الألهيات في هذا الباب ولا يحتمل هذا الباب أكثر مما أومانا إليه من هذه الأصول وتلخيص هذا الباب ان كل أمر يطلب القسمة فلا يصح فيه توحيد واعمه المعلوم فنقول المعلومات تنقسم بوجه إلى ثلاثة أقسام إلى واجب وجائز ومستحيل ثم ما من شيء نذكره بعد هذا من موجود ومعدوم وغير ذلك ألا ويقبل القسمة فأين التوحيد في كل مذكور أو معلوم فلم يبق ألا توحيد الكثرة في معلوم معين يسمى الله وهو الذي ينبغي ان يكون على كذا وكذا وتذكر ما لا تصح الألوهية ألا به وحينئذ يصح ان يكون الله ولا يشاركه في هذه الصفات بمجموعها واحد آخر فذلك يعني بقوله واحد باحدية هذا المجموع مع أحدية العين والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الرابع والسبعون ومائة في معرفة مقام السفر وأسراره

ان السفر دليل الخوف والحذر
فان رأيت فتاة الحي قد سفرت
لذا نقول بان الممكنات على
ولا تقل بحلول انها عدم
هذا هو العرف في الأعراض بالخبر
فكن فديتك من هذا على حذر
أصولها ما لها عين من الصور
وقد يكون لها التكوين في السور

قال تعالى في وصف أهل الله السايحون والسيحة الجولان في الأرض على طريق الاعتبار والقربة إلى الله لما في الانس بالخلق من الوحشة فاعلم ان أهل الله ما طلبوا السياحة في الأرض ولزوم الفقر وسواحل البحار ألا لما غلب عليهم من الانس بالجنس الذين هم أشكاله من الاناسي وهو وان كان ذلك الانس في الظاهر فهو أستيحاش في الباطن من حيث لا يشعر طالب السياحة ولا يعلم طالب السياحة انه ما دعاه إلى ذلك ألا الوحشة ألا بعد وقوفه على ما تنتج له السياحة وذلك ان الله خلق الانسان الذي هو آدم وكل خليفة على صورته نفي عنه المماثلة فقال انه ليس كمثله شيء وسرت هذه الحقيقة في الانسان فإذا جنح إلى الله وتاب أستشرفت نفسه على هذه المرتبة أعني نفي المثلية فلما رأى أمثاله من الناس غار ان يكون له مثل كما غار الحق ان يكون ثم من ينسب إليه الألوهية غيره فأستوحش من المخلوقين وطلب الانفراد بذاته من أمثاله حتى لا يبقى له انس ألا بذاته وحده ولا يرى له مثلاً ففر بنفسه إلى الأماكن القاصية عن رؤية أمثاله فلازم الجبال وبطون الأودية وهذه الحالة هي السياحة فأسفرت له هذه السياحة عن مطلوبه فانس بذاته فذلك تشبهه بمقام قوله "المن الملك اليوم" لانه لم يبق مدع كان يدعي الألوهية موجوداً كذلك هذا ما بقي له في الفقر الذي هو فيه من يتسمى بانسان الذي هو مثله غير الوحش فالوحش وغير الجنس له بمثلة العالم من الله فلهذا طلب السفر أي المعنى الذي يظهر ما ذكرناه ولهذا المعنى أشار الشبلي حين بات عند بعض أخوانه فسأمره الشبلي فقال له صاحبه يا شبلي قم نتعبد فقال له الشبلي العبادة لا تكون بالشركة وكذلك الربوبية لا تكون بالشركة فبقوة الصورة التي خلق الانسان عليها طلب الفرار من الناس دون غيرهم من المخلوقين ولهذا ما ادعى أحد من الخلق الألوهية ألا هذا الجنس الانساني فلم يرد السايح ان يرى

مثله لهذا الذي ذكرناه هذا مقام هذا السفر وأما السفر في المعقولات بالفكر وفي مراتب المعارف والعلوم فله باب آخر في هذا الكتاب يرد بعد هذا ان شاء الله في باب من أبواب الأحوال فهذه سياحة الخصوص من أهل الله وأما سياحة العموم منهم فسيب سياحتهم قوله تعالى "يا عبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة فأياي فأعبدون" فنظروا ما هي أرض الله فقالوا كل أرض موات لا يكون عليها ملك لغير الله فتلك أرضه الخاصة به المضافة إليه البريئة من الشركة فيها البعيدة من المعمور فان الأرض الميتة القريبة من العمران يمكن ان يصل إليها بعض الناس فيحييها فيملكها بأحيائها والبعيدة من العمران سالمة من هذا التخييل فقالوا ما أمرنا الله بالعبادة فيها ألا ولها خصوص وصف وليس فيها من خصوص الأوصاف ألا كونها ليس فيها نفس لغير الله ففيها نفس الرحمن فإذا عبد الانسان ربه في مثل هذه الأرض وجدانسا من تلك الوحشة التي كانت له في العمران ووجد لذة وطيباً في قلبه وانفراده وذلك كله من أثر نفس الرحمن الذي نفس الله به عنه ما كان يجده من الغم والضيق والحرج في الأرض المشتركة فهذا الذي أدى العامة من أهل الله إلى السياحة ثم انهم رأوا في هذه الأرض من الآيات والعجائب والأعتمادات ما دعاهم إلى النظر فيما ينبغي لمالك هذه الأرض فانار الله قلوبهم بانوار العلوم وفتح لهم في النظر في الآيات وهي العلامات الدالة على عظمة من انقطعوا إليه وهو الله تعالى ورثاً نبوياً من قوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ثم قال لنريه من آياتنا فعرج به إلى السموات إلى ان بلغ به الأسراء إلى حيث قدره الله له من المنازل العالية فأراه من الآيات ما زاده علماً بالله إلى علمه لذا قرن به انه هو السميع لما خوطب به البصير لما شاهده من الآيات فالسائحون من عباد الله يشاهدون من آيات الله ومن خرق العوائد ما يزيدهم قوة في إيمانهم ونفسهم ومعرفتهم بالله وانسابه ورحمة بخلقه وشفقة عليهم فإذا رأوا قنة جبل شامخ تذكروا علوا لهم حيث لم يطلبوا من الله ألا الانفس وهو الانفراد به في خلوة من أشكالهم حذرا من الشغل بسواهم وإذا كانوا في بطن واد أوقاع من القيعان ذكرهم ذلك بعبوديتهم وتواضعهم تحت جبروت سلطان خالقهم فذلوا في انفسهم وعرفوا مقدارهم وعلموا ان ما ينالونه من الرفعة انما ذلك بعناية الله لا بأستحقاق ثم إذا كانوا على ساحل بحر تذكروا بالبحر سعة علم الله وسعة عظمتة ورحمته ثم يرون مع هذه العظمة ما تحدث فيه الرياح من تلاطم الأمواج وتداخل بعضها في بعض فيذكرهم ذلك في جناب الحق تعارض الاسماء الألهية وتداخل بعضها في بعض في تعلقاتها مثل الاسم المنتقم والسريع الحساب والشديد العقاب عند معصية العاصي ويحيى أيضاً في مقابلة هذه الاسماء الغفار والعفو والحسان فتقابل الاسماء على هذا العبد العاصي وكذلك التردد الألهي يعتبرونه في موج هذا البحر فيفتح لهم في بواطنهم في علوم ألهية لا ينالونها ألا في مشاهدة ذلك البحر في سياحتهم فيكثر منهم التكبير والتعظيم لجناب الله ثم ما يحصل لهم من خرق العوائد في أستئناس الوحوش بهم وأقبالهم عليهم وفيهم من تكلمه الوحوش بلسانه وفيهم من يعلم منطقها وترى ما هم عليه من عبادة الله ما يزيدهم ذلك حرصاً وأجتهداً في طاعة ربهم والحكايات في كتب القوة في ذلك كثيرة جداً ولولا ان كتابنا هذا مبناه على المعارف والأسرار لسقنا من الحكايات ما شاهدناه بنفوسنا في سياحتنا وأجتماعنا بهذه الطائفة وما رأينا فيهم من العجائب وهذا القدر كاف في الغرض المقصود من هذا الباب حتى يرد الكلام ان شاء الله في السفر ومراتبه فيما بعد ذكر المسافر والسالك والطريق والله يهدي من يشاء إلى الحق وإلى طريق مستقيم

الباب الخامس والسبعون ومائة في مقام ترك السفر

أحذر بان تجعل الأعيان واحدة

إذا أنتك بها الآيات والصور

من قوله انت عبيد والأله انا

ومالنا عندكم عين ولا أثر

قال الله تعالى الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب قال تعالى وهو معكم أينما كنتم فقطع المسافات زيادة تعب بل تعب خاصة فانه ما يحركني ألا طلبه فلولا اني جعلته مطلوباً ومقصدي بهذه السياحة والسفر ما طلبته وقد أخبرني انه معي في حال انتقالاتي كما هو معي في حال الإقامة وله في كل شيء وجهة فلماذا أجول فالحركة لتحصيله دليل على عدم الوجدان في السكون فأطلب وجهه في موضع أقامي فإذا عرفته فيه كنت متراً من منازل القمر مقصوداً لا قاصداً ولا نازلاً تطلبني الاسماء ولا أطلبها وتقصدي الانوار ولا أقصدها وقفت مع من لا يجوز عليه التحرك والانتقال فصاحب السفر مع قوله يتزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا وصاحب الإقامة مع قوله "الرحمن على العرش أستوى" والسكون أولى من الحركة فان العبد مأمور بالسكون تحت مجاري الأقدار وما يأتي به الله إليه في الليل والنهار وقال في ذم من بادر الأقدار بادرني عبيد بنفسه حرمت عليه الجنة والمبادرة حركة ما قال الله لنا آمراً فأخذها وكياً ألا لنسكن ويكون هو سبحانه الذي يتصرف في أمر عبده حتى يوفيه ما قدر له من كل ما يصيبه حتى انه لو كان مما يصيبه السفر والانتقال لنقله الحق بهذه الصفة التي هو عليها من السكون في محفة عناية إلهية لا يعرف الحركة المتبعة مستريحاً مظلاً عليه مخدر وما هذا سفر تارك السفر إذا كان مقدراً له السفر وقد ذقنا الأمرين ورأينا السكون أرجح من الحركة وأقوى في المعرفة مع انتقال الأحوال عليه في كل نفس وذاك الانتقال عليه لا بد منه له فهو طريق مطرقة يسلك فيها ولا يسلك فإذا انتقل هو بذاته فلا يزيد شيئاً على تلك الانتقالات عليه إلا التعب خاصة فكان المسافر يستعجل عذاباً ومشقة فان الأمور الجارية على العبد مثل الرزق والأجل ان لم تأتي إليه أتى إليها لا بد من ذلك

ولا معنى لشكوى الشوق يوماً

إلى ما يزول من العيان

السكون مع المشاهدة والحركة مع الفقد إلا الحركة المأمورة بها لانك لا تخلو ان تتحرك في طلبه فانت فاقداً وفي غير طلبه فانت خاسر فالسكون بكل حال أولى من الحركة التي في مقام ذلك السكون وانت في مقام ان تتحرك بالله فالسكون بالله مع الله أولى لراحة الوقت فانه والله ان كنت فاقداً له في السكون فانت في الحركة المحسوسة أفقد بما لا يتقارب فلا تكونن من الجاهلين "واصبر وما صبرك إلا بالله" لو لم يكن من شرف السكون الأورود الاسماء الإلهية عليك ونزول الحق إليك لانك ان تحركت إليه حددته وان سكنت معه عبده الحركة إليه عين الجهل به والسكون معه عين العلم به ما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم ليراه وانما أسرى به ليريه من آياته من قوله لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس فمن رجع ترك السفر فقد أصاب في النظر وقصد عين الخبر إذا كان جليس الذاكر فيلأ أين يرحل فهذا قد ابنت لك عن السفر وتركه فكن بحسب ما يقع لك والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب السادس والسبعون ومائة في معرفة أحوال القوم عند الموت

تنوعت وهي أمثال وأشكال

للقوم عند حلول الموت أحوال

فمنهم من يرى الاسماء تطلبه

في ذاك مختلف عند الوجود لما

ومنهم من يرى الإرسال مقبلة

ومنهم من يرى التنزيه يطلبه

وكلهم سعدوا والعين واحدة

هذا هو الحق لا تبتغي به بدلا

ومنهم من يرى الأملاك والحال

تعطى الحقائق والتفصيل إجمال

إليه تتحفه والرسل أعمال

وهو الذي عنده التشبيه إضلال

وعندهم في الجنان الخلد أشغال

فهو الصحيح الذي ما فيه إشكال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما عليه مات وقال تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد يعني عند الموت أي يعاين ما هو أمره عليه الذي ينفرد به أهل الله العابدون بهم إذا أتاهم اليقين يقول لنبه صلى الله عليه وسلم اعبد ربك حتى يأتيك اليقين يعني الموت لانه أمر متيقن لا اختلاف في وقوعه في كل حيوان وانما وقع الخلاف في ماهيته قال شاعرهم

فخالف الناس حتى لا إتفاق لهم

الأعلى شجب والخلف في الشجب

يعني ما هو الشجب الموت فإذا حضرتم الوفاة رضى الله عنهم فلا بد لهم من مشاهدة اثني عشر صورة يشهدونها كلها أو بعضها لا بد من ذلك وهن صورة عمله وصورة علمه وصورة اعتقاده وصورة مقامه وصورة حاله وصورة رسوله وصورة الملك وصورة إسم من أسماء الذات وكان الأولى ان تكون هذه الصورة كلها بالسين النعوت وصورة إسم من أسماء التنزيه وصورة إسم من أسماء الذات وكان الأولى ان تكون هذه الصور كلها بالسين لا بالصاد فانها منازل معان إلا انه لما تجسدة المعاني وظهرت بالأشكال والمقادير لذلك تصورت في صور إذ كان الشهود بالبصرة وحكمت الحضرة بذلك الخيال البرزخية فالموت والنوم سواء فيما تنتقل إليه المعاني فمنهم من يتجلى له عند الموت عمله العمل فيتجلى له عمله في الزينة والحسن على قدر ما انشأه العامل عليه من الجمال فان أتم العمل كما شرع له ولم ينقص منه شيأ يشينه انتقاصه كان في أتم نشأة حسنة ظهرت من تمام أركان ذلك العمل الظاهرة والباطنة من الحضور وشهود الرب في قلبه وفي قبلته إذا صلى وكل عمل مشروع فهو صلاة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى انه يقول يوم القيامة انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها فان كانت تامة كتبت له تامة وان كانت انتقص منها شيأ قال انظر وهل لعبدي من تطوع فان كان له تطوع قال أكملوا العبد في فريضته من تطوعه ثم تأخذ الأعمال على ذا كم فان كان العمل غير ذات العامل كمانع الزكاة وكغاصب أمر ما حرم عليه اغتصابه كسى ذلك المال صورة عمل هذا العبد من حسن أو قبح فان كان قبيحاً طوق به كما قال في مانع الزكاة سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وقال فيه عليه السلام يمثل له ماله شجاعاً أقرع الحديث وفيه يقول له انا كترك فيطوق به والكتر من عمل العبد في المال وهكذا العباد الله الصالحين فيما يجودون به من الخير بما يرجع إلى نفوسهم وإلى التصرف في غير ذواتهم فيرى علامات ذلك كله وهذا داخل تحت قوله تعالى "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم" وهذا الموطن من بعض مواطن ما يرى فيه عمله فيشاهد العبد الصالح عند الاحتضار عمله الصالح الذي هو لروحه مثل البراق لمن أسرى به عليه فيرفع تلك الروح الطيبة إلى درجاتها حيث كانت من عليين فان عباد الله على طبقات في أعمالهم في

الحسن والإحسان والجميل والأجمل العلم ومنهم رضى الله عنهم من تجلّى له الموت علمه بالجناب الإلهي وهم رجالان رجل أخذ علمه بالله عن نظر واستدلال ورجل أخذ علمه عن كشف وصورة الكشف أتم وأجمل في التجلي لان الكشف واقتناء هذا العلم ينتجه تقوى وعمل صالح وهو قوله واتقوا الله ويعلمكم الله فيظهر له علمه عند الموت صورة حسنة أو نوراً يلبس به فيفرح به فان صحبته دعوى في اقتنائه ذلك العلم نفيسة فهو في الصورة الجميلة دون من لم تصحبه دعوى في اقتناء ذلك العلم بل يراه منحه إلهية وفضلاً ومنه لا يرى في نفسه تعاملاً بل يكون ممن في عن عمله في عمله فكان معولاً به كالألة للصانع يعمل بها وينسب العمل إليه لاإليها فيقع الثناء على الصانع العامل بها لا عليها فهكذا يكون بعض عباد الله في اقتناء علومهم الإلهية فتكون صورة العلم في غاية من الحسن والجمال الإعتقاد ومنهم المعتقد الذي لا علم عنده إلا ان عقده موافق للعلم بالأمر على ما هو عليه فكان يعتقد في الله ما يعتقد العالم لكن عن تقليد لمعلمه من العلماء بالله ولكن لا بد ان يتخيل ما يعتقد فانه ليس في قوته ان يجرده عن الخيال وهو عند الاحتضار وللاحتضار حال استشراف على حضرة الخيال الصحيح الذي لا يدخله ريب ما هو الخيال الذي هو قوة الانسان في مقدم دماغه بل هو خيال من خارج كجبريل في صورة دحية وهو حضرة مستقلة وجودية صحيحة ذات صور جسدية تلبسها المعاني والأرواح فتكون درجته بحسب ما اعتقده من ذلك المقام فان كان هذا العبد صاحب مقام قد لحق بدرجة اتلأرواح النورية فانها التي ذكر الله عنها انها قالت وما منا إلا له مقام معلوم فيظهر له مقامه في صورة فيترل فيها مترلة الوالي في ولايته فيكون بحسب مقامه وهذه كلها بشارات الحياة الدنيا الذين قال الله فيهم "الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشري في الحياة الدنيا" الحال فان كان صاحب الحال في وقت احتضاره يرد عليه من الله حال يقبض فيه فهو له كالخلعة لا كالولاية فيتلبس بها نويتجمل بحسب ما يكون ذلك

الحال موهوباً على كل وجه ولكن الناس على قسمين منهم من تتقدم لهم الخدمة فيقال انه مستحق لما خلع عليه ومنهم من لم يتقدم له ذلك فيكون المنة والعناية به أظهر لانه لا يعرف له سبب مع ان الأحوال كلها مواهب والمقامات استحقاق الرسل ومنهم من يتجلّى له عند الإحتضار رسوله الذي ورثه إذ كان العلماء ورثة الانبياء فيرى عيسى عند احتضاره أو موسى أو ابراهيم أو محمد أو أي نبي كان على جميعهم السلام فمنهم منينطق باسم ذلك النبي الذي ورثه عندما يأتيه فرحاً به لان الرسل كلهم سعداء فيقول عند إحتضار عيسى أو يسميه المسيح كما سماه الله وهو الأغلب فيسمع الحاضرون بهذا الولي يتلفظ بمثل هذه الكلمة فيسيئون الظن به وينسبونه إلى انه تنصر عند الموت وانه سلب عند الإسلام أو يسمى موسى أو بعض انبياء بني إسرائيل فيقولون انه تمود هو من أكبر السعداء عند الله فان هذا المشهد لا تعرفه العامة بل يعرفه أهل الله من أرباب الكشف وان كان ذلك الأمر الذي هو فيه اكتسبه من دين محمد صلى الله عليه وسلم ولكن ما ورث منه هذا الشخص إلا أمر مشتركاً كان لني قبله وهو قوله "أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتدى" فلما كانت الصورة مشتركة جلى الحق له صاحب تلك الصورة في النبي الذي كانت له تلك الصفة التي شاركه فيها محمد صلى الله عليه وسلم مثل قوله "أقم الصلاة لذكرى" وذلك لتمييز هذا الشخص بظهوره من ورثة من الانبياء عمن ورث غيره فلو تجلّى في صورة محمدية إلتبس عليه الشخص الذي ورث محمداً صلى الله عليه وسلم فيما أختص به دون غيره من الرسل الملك ومنهم من تجلّى له عند الإحتضار صورة الملك الذي شاركه في المقام فانهم الصافون ومنهم المسيحون ومنهم التالون إلى ما هم عليه من المقامات فيترل إليه الملك صاحب ذلك المقام مؤنساً وجليساً تستترله عليه تلك المناسبة فرما يسميه عند الموت ويرى من المحتضر قهماً به وبشاشاً وفرحاً وسروراً وما وصفنا في هذا الإحتضار إلا أحوال الأولياء الخارجين عن حكم

التلبس ما ذكرنا من أحوال العامة من المؤمنين فان ذلك مذاق آخر وللأولياء هذا الذي نذكره خاصة فلذلك ما نتعرض لما طرأ من المختصر من العامة مما يكره رؤيته ويتمعر وجهه ليس ذلك مطلوبنا ولا يرفع بذلك رأساً أهل الله وان تعرض لهم فأنهم عارفون بما يرونه أسماء الأفعال ومنهم من يتجلى له عند الموت هجيره من الاسماء الإلهية فان كان من أسماء الأفعال كالخالق بمعنى الموجد والباري والمصور والرزاق والحي وكل إسم يطلب فعلاً فهو بحسب ما كان عليه في معاملته معه ظهر له بما يناسب ذلك العمل فيراه في أحسن صورة فيقول له من انت يرحمك الله فيقول هجيرك وسيأتي ذكر الهجيرات من هذا الكتاب في باب الأحوال الأقطاب من آخره ان شاء الله أسماء الصفات فان كان هجيره كل إسم يستدعي صفة كمال كالحى والعالم والقادر والسميع والبصير والمريد فان هذه الاسماء كلها أسماء المراقبة والحياء فهم أيضاً بحسب ما كانوا في حال حياتهم عند هذه الأذكار من طهارة النفوس عن الإعراض التي تتخلل هذه النشأة الانسانية التي لا يمكن الانفكاك عنها وليس لها دواء إلا الحضور الدائم في مشاهدة الوجه الإلهي الذي له في كل كون عرضي وغير عرضي أسماء النعوت فان كان هجيره أسماء النعوت وهي أسماء النسب كالأول والآخر وما جرى هذا المجرى فهو فيها بحسب ما يقوم به من علم الإضافات في ذكره ربه يمثل هذه الاسماء فيعرفه ان لها عيناً وجودياً كمثبيتي الصفات أو لا عين لها أسماء التثنية ومنهم من يتجلى له عند الإحتضار أسماء التثنية كالغني فان كان مثل هذا الاسم هجيره في مدة عمره فهو فيه بحسب شهوده هل يذكره بكونه غنياً عن كذا ويذكره غنياً حميداً من غير ان يخطر له عن كذا وكذا فيما يماثله من أسماء التثنية سواء أسماء الذات ومنهم من كان هجيره إسم الله أو هو والهو أرفع الإذكار عندهم كأبي حامد ومنهم من يرى انت أتم وهو الذي ارتضاه الكتاني مثل قوله يا حي يا قيوم يا لا إله إلا انت ومنهم يرى انا انا أم وهو رأي أبي يزيد فإذا احتضر من هذا ذكره فهو بحسب اعتقاده في ذلك من نسبة تلك الكناية من توهم تحديد وتجريد عن تحديد ومنهم من يرى ان التجريد والتثنية تحديد ومن المحال ان يعقل أمر من غير تحديد أصلاً فانه لا يخلو إما ان يعقل داخلياً أو خارجاً الأمر لا غيره وكل هذا تحديد فان كل مرتبة قد تميزت عن غيرها بذاتها ولا معنى للحد إلا هذا وهذا القدر كاف انتهى الجزء التاسع ومائة

الجزء العاشر ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب السابع والسبعون ومائة في معرفة مقام المعرفة

من ارتقى في درج المعرفة	رأى الذي في نفسه من صفه
لأنها دلت على واحد	للفرق بين العلم والمعرفة
لها وجود في وجود الذي	أرسله الحق وما كلفه
فهو إمام الوقت في حاله	ويشتهي الواقف أ، يعرفه
تجري على الحكمة أحكامه	في الرتبة العلية المشرفة

اعلم ان المعرفة نعت إلهي لا عين لها في الاسماء الإلهية من لفظها وهي أحدية المكانة لا تطلب إلا الواحد والمعرفة عند القوم بحجة فكل علم لا يحصل إلا عن عمل وتقوى وسلوك فهو معرفة لانه عن كشف محقق لا تدخله الشبه بخلاف العلم الحاصل عن النظر الفكري لا يسلم أبدا من دخول الشبه عليه والخيرة فيهو القدح في الأمر الموصل إليه واعلم انه لا يصح العلم لأحد إلا لمن عرف الأشياء بذاته وكل من عرف شيأ بأمر زائد على ذاته فهو مقلد لذلك الظائد فيما أعطاه وما في الوجود من علم الأشياء بذاته إلا واحد وكل ما سوى ذلك الواحد فعلمه بالأشياء وغير الأشياء تقليد وإذا ثبت انه لا يصح فيما سوى الله العلم بشئ إلا عن تقليد فلنقلد الله ولا سيما في العلم به وانما قلنا لا يصح العلم بأمر ما فيما سوى الله إلا بالتقليد فان الانسان لا يعلم شيأ إلا بقوة ما من قواه التي أعطاه الله وهي الحواس والعقل فالانسان لا بد ان يقلد حسه فيما يعطيه وقد يغلط وقد يوافق الأمر على ما هو عليه في نفسه أو يقلد عقله فيما يعطيه من ضرورة أو نظر والعقل يقلد الفكر ومنه صحيح وفساد فيكون علمه بالأمور بالاتفاق فما ثم إلا تقليد وإذا كان الأمر على ما قلناه فينبغي للعاقل إذا أراد ان يعرف الله فليقلده فيما أخبر به عن نفسه في كتبه وعلى السنة رسله وإذا أراد ان يعرف الأشياء فلا يعرفها بما تعطيه قوة وليسع بكثرة الطاعات حتى يكون الحق سمعه وبصره وجميع قواه فيعرف الأمور كلها بالله ويعرف الله بالله إذ لا بد من التقليد وإذا عرف الله بالله والمور كلها بالله لم يدخل عليك في ذلك جهل ولا شبهة ولا شك ولا ريب فقد نبهتكم على أمر ما طرق سمعكم فان العقلاء من أهل النظر يتخيّلون انهم علماء بما أعطاهم النظر والحس والعقل وهم في مقام التقليد لهم وما من قوة إلا لها غلط قد علموه ومع هذا غلطوا انفسهم وفرقوا بين ما يغلط فيه الحس والعقل والفكر وبين ما لا يغلط فيه وما يدريهم لعل الذي جعلوا غلطاً يكون صحيحاً ولا مزيل لهذا الداء العضال إلا من يكون علمه بكل معلوم بالله لا بغيره وهو سبحانه عالم بذاته لا بأمر زائد فلا بد ان تكون انت عالماً بما يعلمه به سبحانه لانك قلتدت من يعلم ولا يجهل ولا يقلد في علمه وكل من يقلد سوى الله فانه قلد من يدخله الغلط وتكون إصابته بالاتفاق فان قيل لنا ومن أين علمت هذا وربما دخل لك الغلط وما تشعر به في هذه التقسيمات وانت فيها مقلد لمن يغلط وهو العقل والفكر قلنا صدقت ولكن لما لم نرى إلا

التقليد ترجح عندنا ان نقلد هذا المسمى برسول والمسمى بانه كلام الله وعلمنا عليه تقليداً حتى كان الحق سمعنا وبصرنا فعلمنا الأشياء بالله وعرفنا هذه التقاسيم بالله فكان إصابتنا في تقليد هذا بالإتفاق لانا قلنا مهما أصاب العقل أو الشئ من القوى أمراً ما على ما هو عليه في نفسه انما يكون بالإتفاق فما قلنا انه يخطي في كل حال وانما ما قلنا لا نعلم خطأه من أصابته فلما كان الحق جميع قواه وعلم الأمور بالله عند ذلك علم الإصابة في القوى من الغلط وهذا الذي ذهبنا إليه ما يقدر أحد على انكاره فانه يجده من نفسه فإذا تقرر هذا فاشتعل بامتنال ما أمرك الله به من العمل بطاعته ومراقبة قلبك فيما يخطر فيه والحياء من الله والوقوف عند حدوده والانفراد به وإيثار جنباه حتى يكون الاحق جميع قواك فتكون على بصيرة من أمرك وقد نصحتك وقد نصحتك ذ قد رأينا الحق أخبر عن نفسه بأمور تردها الأدلة العقلية والأفكار الصحيحة مع إقامة أدلتها على تصديق المخبر ولزوم ايمان بها فقلد ربك إذ ولا بد من التقليد ولا تقلد عقلك في تأويله فان عقلك قد أجمع معك على التقليد بصحة هذا القول انه عن الله فمالك منازع منك يقدر فيما عندك فلا تقلد عقلك في التأويل واصرف علمه إلى الله قائله ثم اعمل حتى تنزل في العلم به كهو فحينئذ تكون عارفاً وتلك المعرفة مطلوبة والعلم صحيح الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وبعد ان تقرر هذا فلنرجع إلى الطريقة المعهودة في هذا الباب التي بأيدي الناس من أهلها فان هذه الطريقة التي نهتكم عليها كريقة غريبة فنقول ان الحاسبي ذكر ان المعرفة هي العلم بأربعة أشياء الله والنفس والدنيا والشيطان والذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المعرفة بالله كما لها طريق إلا المعرفة بالنفس

فقال "من عرف نفسه عرف ربه" وقال أعرفكم بنفسي أعرفكم بربه فجعلك دليلاً على معرفتك به فإما بطريقة ما وصفك بما وصف به نفسه من ذات وصفات وجعله إياك خليفة نائباً عنه في أرضه وإما بما انت عليه من الإفتقار إليه في وجودك وأما الأمر ان معاً لا بد من ذلك ورأينا الله يقول في العلم بالله المعبر عنه بالمعرفة سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق فأحالنا الحق على الآفاق وهو ما خرج عنا وعلى انفسنا وهو ما نحن عليه وبه فإذا وقفنا على الأمرين معاً حينئذ عرفناه وتبين لنا انه الحق فدلالة الله أتم وذلك انا إذا نظرنا في نفوسنا ابتداء لم نعلم هل يعطي النظر فيما خرج عنا من العالم وهو قوله في الآفاق علماً بالله ما لا تعطيه انفسنا أو كل شئ في نفوسنا فإذا نظرنا في نفوسنا حصل لنا من العلم به ما يحصل للناظر في الآفاق فأما الشارع فعلم ان النفس جامعة لحقائق العالم فجمعك عليك حرصاً منه كما قال فيه حريص عليكم حتى تقرب الدلالة فتفوز معجلاً بالعلم بالله فتسعد به وأما الحق فذكر الآفاق حذراً عليك مما ذكرناه ان تتخيل انه قد بقي في الآفاق ما يعطى من العلم بالله ما لا تعطيه نفسك فاحالك على الآفاق فإذا عرفت عين الدلالة منه على الله نظرت في نفسك فوجدت ذلك بعينه الذي أعطاك النظر في الآفاق أعطاك النظر في نفسك من العلم بالله فلم تبق لك شبهة تدخل عليك لانه ما ثم ألا الله وانت وما خرج عنك وهو العالم ثم علمك كيف تنظر في العالم فقال ألم تر إلى ربك كيف مد الظل أفلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت الآية أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وكل آية طلب منك فيها النظر في الآيات كما قال "ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون" ويتفكرون ويسمعون ويفقهون وللعالمين وللمؤمنين ولأولي النهي ولأولي الأبواب لما علم انه سبحانه خلق الخلق أطواراً فعدد الطرق الموصلة إلى العلم به أذ كل طور لا يتعدى منزلته بما ركب الله فيه فالرسول عليه السلام ما أحالك ألا على نفسك لما علم انه سيكون الحق قواك فتعلمه به لا بغيره فانه العزيز والعزیز هو المنيع الحمي ومن ظفر بغيره فيس بمنيع الحمي فليس بعزیز فلهذا كان الحق قواك فإذا علمته وظفرت به يكون ما علمه ولا ظفر به ألا هو فلا يزول عنه نعت العزة وهكذا هو الأمر فقد سد باب العلم به ألا منه ولا بد ولهذا يترهه

العقل ويرفع المناسبة من جميع الوجوه ويجيء الحق فيصدق في ذلك بليس كمثله شيء يقول لنا صدق العقل فانه أعطي ما في قوته لا يعلم غير ذلك فاني أعطيت كل شيء خلقه والعقل من جملة الأشياء فقد أعطينا خلقه وتمم الآية فقال "ثم هدى" أي بين فبين سبحانه أمراً لم يعطه العقل ولا قوة من القوى فذكر لنفسه أحكاماً هو عليها لا يقبلها العقل ألا أيماناً أو بتأويل يردّها تحت أحاطته لا بد من ذلك فطريقة السلامة لمن يكن على بصيرة من الله ان لا يتأول ويسلم ذلك إلى الله على علمه فيه هذه طريقة النجاة فالحق سبحانه يصدق كل قوة فيما تعطيه فإنها وفّت بجميع ما أعطاه الله وبقي للحق من جانب الحق ذوق آخر يعلمه أهل الله وهم أهل القرآن أهل الله وخاصته فيعتقدون فيه كل معتقد أذ لا يخلو منه تعالى وجهه في كل شيء هو حق ذلك الوجه ولو لم يكن الأمر كذلك ما كان ألهاً ولكان العالم يستقل بنفسه دونه وهذا محال فخلو وجه الحق عن شيء من العالم محال وهذه المعرفة عزيزة المنال فإنها تؤدي إلى رفع الخطأ المطلق في العالم ولا يرتفع الخطأ الإضافي وهو المنسوب إلى مقابلة فهو خطأ بالتقابل وليس بخطأ مع عدم التقابل فالكامل من أهل الله من نظر في كل أمر على حدة حتى يرى خلقه الذي أعطاه الله ووفاه إياه ثم يرى ما بين الله لعباده مما خرج عن خلق كل شيء فيترنل موضع البيان من قوله "ثم هدى" موضعه ويتزل كل خلق على ما أعطاه خالقه فمثل هذا لا يخطي ولا يخطي بأطلاق في الأصول والفروع فكل مجتهد مصيب ان عقلت في الأصول والفروع وقد قيل بذلك وبعد ان تقرر ما ذكرناه فلنقل ان المعرفة في طريقنا عندنا لما نظرنا في ذلك فوجدناها منحصرة في العلم بسبعة أشياء وهو الطريق التي سلكت عليه الخاصة من عباد الله الواحد علم الحقائق وهو العلم بالاسماء الألهية الثاني العلم بتجلي الحق في الأشياء الثالث العلم بخطاب الحق عبادته المكلفين بالسنة الشرائع الرابع علم الكمال والنقص في

الوجود الخامس علم الانسان نفسه من جهة حقائقه السادس علم الخيال وعالمه المتصل والمنفصل السابع علم الأدوية والعلل فمن عرف هذه السبع المسائل فقد حصل المسمى معرفة ويندرج في هذا ما قاله الحاسبي وغيره في المعرفة العلم الأول وهو العلم بالحقائق وهو العلم بالاسماء الألهية وهي على أربعة أقسام قسم يدل على الذات وهو الاسم العلم الذي لا يفهم منه سوى ذات المسمى لا يدل على مدح ولا ذم وهذا قسم لم نجده في الاسماء الواردة علينا في كتابه ولا على لسان الشارع ألا الاسم الله وهو إسم مختلف فيه وقسم ثان وهو يدل على الصفات وهو على قسمين قسم يدل على أعيان صفات معقولة يمكن وجودها وقسم يدل على صفات إضافية لا وجود لها في الأعيان وقسم ثالث وهو يدل على صفات أفعال وهو على قسمين صريح ومضمن وقسم رابع مشترك يدل بوجه على صفة فعل مثلاً وبوجه على صفة تترية أما علم الاسماء الألهية وهو العلم الأول من المعرفة فهو العلم بما تدل عليه مما جاءت له وهو في هذه الأقسام التي قسمناها حتى نبينها في هذا الباب ان شاء الله والعلم أيضاً بخواصها والكلام فيه محجور على أهل الله العارفين بذلك لما في ذلك من كشف أسرار وهتك أستار وتأبي الغيرة الألهية أظهر ذلك بل أهل الله مع معرفتهم بذلك لا يستعملونها مع الله والدليل على ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بها وبأجابه الله تعالى من دعاه بها لما هي عليه من الخاصية في علم الله بها وقد دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعه ذلك ولم يجبه وان كان قد عوضه فمن باب آخر وهو ان كل دعاء لا يرد جملة واحدة وان عوقب صاحبه ولكن يرد ما دعا به خاصة إذا دعا فيما لا يقتضيه خاصية ذلك الاسم وآجاب دعاء بلعام بن باعورا في موسى عليه السلام وقومه لما دعاه بالاسم الخاص بذلك وهو قوله آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه فلم يكن له من الاسم ألا حروفه فنطق بها ولهذا قال فانسلخ منها فكانت في ظاهره كالثوب على لابسها وكما تنسلخ الحية من جلدها واو كان في باطنه لمنعه الحياء والمقام من الدعاء على نبي من الانبياء وأجيب الخاص الاسم

وعوقب وجعل مثله كمثل الكلب ونسى حروف ذلك الاسم فلو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بالاسم الخاص ويستعمله لأجابه الله في عين ما سأل مع علمنا بانه علم علم الأولين والآخرين وانه أعلم الناس فعلمنا ان دعاءه لم يكن بخاص الاسم وتأدب وسبب ذلك الأدب الألهي فانه لا يعلم ما في نفس الله كما قال عيسى عليه السلام تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك فلعل ذلك الذي يدعوه فيه ما له فيه خيرة فعدلوا عليهم السلام إلى الدعاء فيما يريدون من الله بغير الاسم الخاص بذلك المراد فان كان الله في علمه فيه رضى وللداعي فيه خيرة أجاب في عين ما سئل فيه وان لم يكن عوض الداعي درجات أو تكفيراً في سيئات ومعلوم عند الخاص والعام ان ثم اسماً عاماً يسمى الاسم الأعظم وهو في آية الكرسي وأول سورة آل عمران ومع علم النبي عليه السلام به ما دعا به في ذكرناه ولو دعا به أجابه الله في عين ما سأل فيه وعلم الله في الأشياء لا يبطل فلهذا أدب الله أهله فهذا من علم الاسماء الألهية ومن الاسماء ما هي حروف مركبة ومنها ما هي كلمات مركبة مثل الرحمن الرحيم هو إسم مركب كبعلبك والذي هو حروف مركبة كالرحمن وحده وأعلم ان الحروف كالتطبيقات وكالعقاقير بل كالأشياء كلها لها خواص بانفرادها ولها خواص بتركيبها وليس خواصها بالتركيب لأعيانها ولكن الخاصية لأحدية الجمعية فأفهم ذلك حتى لا يكون الفاعل في العالم ألا الواحد لانه دليل على توحيد الأله فكما انه واحد لا شريك له في فعله الأشياء كذلك سرت الحقيقة في الأفعال المنسوبة إلى الأكوان انها لا تصدر منها إذا كانت مركبة ألا لأحدية ذلك التركيب وكل جزء منها على انفراده له خاصية تناقص خاصية المجموع فإذا اجتمع اثنان فصاعداً أعطي أثراً لا يكون لكل جزء من ذلك المجموع على انفراده كسواد المداد حدث السواد عن المجموع لأحدية الجمع وكل جزء على انفراد لا يعطي ذلك السواد وهكذا تركيب الكلمات بتركيب الحروف ومن هنا تعلم ان الحرف الواحد له عمل ولكن بالقصد كما عمل ش في لغة العرب عند السامع ان بشي ثوبه وهو حرف واحد و ق ان بقي نفسه من كذا و ع ان يعي ما سمعه مع كونه حرفاً

واحداً وأماكن فهو من فعل الكلمة الواحدة لا من فعل الحروف وخاصيته في الأيجاد وله شروط مع هذا يتأدب أهل الله مع الله فجعلوا بدله في الفعل بسم الله وقد أستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وما سمع منه قبل ذلك ولا بعده وانما أراد أعلام الناس من علماء الصحابة بمثل هذه الأسرار بذلك فالذي نذكر في هذا الباب العلم بما ذكرناه من أقسام الاسماء الألهية أسماء الذات التي هي كالأعلام فلا أعرف بيد العالم في كتاب ولا سنة منها شيئاً ألا الاسم الله في مذهب من لا يرى انه مشتق من شيء ثم انه مع الاشتقاق الموجود فيه هل هو مقصود للمسمى أو ليس بمقصود للمسمى كما يسمى شخصاً بيزيد على طريق العلمية وان كان هو فعلاً من الزيادة ولكن ما سميناه به لكونه يزيد وينمو في جسمه وفي علمه وانما سميناه به لتعرفه ونصيح به إذا أردناه فمن الاسماء ما يكون بالوضع على هذا الحد فإذا قيلت على هذا فهي أعلام كلها وإذا قيلت على طريق المدح ان كانت من أسماء المدح فهي أسماء صفات على الحقيقة ومن شأن الصفة انها لا يعقل لها وجود ألا في موصوف بها لانها لا تقوم بنفسها سواء كان لها وجود عيني أو إضافي لا وجود له في عينه فهي تدل على الموصوف بها بطريق المدح أو الذم وبطريق الثناء وبهذا وردت الاسماء الحسنى الألهية في القرآن ونعت بها كلها ذاته سبحانه وتعالى من طريق المعنى وكلمة الله من طريق الوضع اللفظي فالظاهر ان الاسم الله للذات كالعلم ما أريد به الاشتقاق وان كانت فيه رائحة الاشتقاق كما يراه بعض العلماء هذا الشأن من أصحاب العربية وأما أسماء الضمائر فانها تدل على الذات بلا شك وما هي مشتقة مثل هو وذا وانا وانت ونحن وإلياً من اني والكاف من انك فلفظة هو إسم ضمير الغائب وليست الضمائر مخصوصة بالحق بل هي لكل مضمّر فهو لفظ يدل على الذات غائبة مع تقدم كلام يدل عليه عند

السامع وان لم يكن كذلك فلا فائدة فيه ولذلك لا يجوز إلا ضمائر الذكر إلا في ضرورة الشعر لما يتقيد به الشاعر من الأوزان وانشدوا في ذلك جزى ربه عني عدي بن حاتم فاضمر قبل الذكر فانه أراد ان يقول جزى ربه عني عدي بن حاتم فلم يترن فقدم الضمير من أجل الوزن ومن الضمائر لفظه ذا وهي من أسماء الإشارة مثل قوله كنت انت الرقيب عليهم ولفظة نحن ولفظ انا المشددة ولفظة نا مثل قوله انا نحن نزلنا الذكر وكذلك حرف كاف الخطاب انك انت العزيز الحكيم فهذه كلها أسماء ضمائر وإشارات وكنائيات تعم كل مضمير ومخاطب ومشار إليه ومكنى عنه وأمثال هذه ومع هذا فليست اعلاماً ولكنها أقوى في الدلالة من الإعلام لان الإعلام قد تفتقر إلى النعوت وهذه لا إفتقار لها وما منها كلمة إلا ولها في الذكر بها نتيجة وما أحد من أهل الله أهل الأذواق رأيناه نبيه على ذلك في طريق الله للسالكين بالإذكار الأعلى لفظ هو خاصة وجعلوها من ذكر خصوص الخصوص لانها لانها أعرف من إسم الله عندهم في أصل الوضع لانها لا تدل إلا على العين خاصة المضمرة من غير إشتقاق وانما غلبها أهل الله على سائر المضمرات والكنائيات لكونها ضمير غيب مطلق عن تعلق العلم بحقيقته وقالوا ان لفظه هو ترجع إلى هويته التي لا يعلمها إلا هو فاعتمدوا على ذلك ولا سيما الطائفة التي زعمت انه لا يعلم نفسه تعالى الله عن ذلك وما علمت الطائفة ان غير لفظه هو في الذكر أكمل في المرتبة مثل اليباء منهم ابي والنون من نزلنا ولفظة نحن قهؤلاء أعلى مرتبة في الذكر من هو في حق السالك لا في حق العارف فلا أرفع من ذكر هو عند العارفين في حقهم وكما هي عندهم أعلى في الرتبة من لفظه هو كذلك هي أعلى من أسماء الخطاب مثل كاف المخاطبة وتائه وانت فانه لا يقول انا وأنا ونحن إلا هو عن نفسه فمن قالها به فهو القائل ولذكر الله أكبر فنتيجته أعظم لان الذكر يعظم بقدر عظم علم الذاكر ولا أعلم من الله وباقي أسماء الضمائر مثل هو وذا وكاف الخطاب هي من خواص عين المشار إليه فهي أشرف من الهو ومع هذا فما أحد من أهل الله سن الذكر بها كما فعلوا بلفظة هي فلا أدري هل منعهم من ذلك عدم الذوق لهذا المعنى وهو الأقرب فانهم ما جعلوها ذكراً فان قالوا فانها تطلب التحديد قلنا فذلك سائغ في جميع المضمرات ونحن نقول بالذكر بذلك كله مع الحضور على طريق خاص وقد ورد في الشرع ما يقوى ما ذهبنا إليه من ذلك قوله صلى الله

عليه وسلم ان الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمد وقوله عن الله كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله والحق بلا شك هو القائل بالنون وانا وانا ونحن واني فلنذكره بها نيابة عنه أو نذكره به لانه الذاكر كرها على لساني فهو أتم في الحضور بالذكر وأقرب فتحاً للوقوف على ما تدل عليه ولهذه الاسماء أيضاً أعني المضمرات خواص في الفعل لم أرى أحداً يعرف منها من أهل الله إلا لفظه هو فإذا قلت هو كان هو وان لم يكن هو عند قولك هو ولكن يكون هو عند قولك ما بقي من أسماء الأضمار فاعلم ذلك فانه من أسرار المعرفة بالله ولا يشعر به ولا نبه أحد عليه من أهل الله غيره وبخلاً أو خوفاً لما يتعلق به من الحظر لما يظهر فيه من تكوين الله عند لفظه هو من العبد إذ كان الله يقولها على لسان عبده آية ذلك من كتاب الله فتنفخ فيه فتكون طائراً بإذني فان تكوين الله بلفظ هو من العبد هو ظهوره في مظهر خاص في ذلك الوقت إذ لا يظهر غيره ولا قال هو إلا هو فهو أظهر نفسه فهو الظاهر المظهر والباطن المبطن والعزير المعز والغني المغني فقد نبهتكم على سر هذا الذكر بهذا الاسم وعلى هذا تأخذ جميع أسماء الضمائر والإشارات والكنائيات ولكن الطهارة والحضور والأدب والعلم بهذه الأمور لا بد منه حتى تعرف من تذكر وكيف تذكر ومن يذكر ومن تذكروا الله والله خير الذاكرين له ولك

القسم الثاني من علم الاسماء الإلهية وهذا القسم ينقسم قسمين العلم باسماء صفات المعاني مثل الحي وهو إسم يطلب ذاتاً موصوفة

بالحياة والعلم يسمى الموصوف به عالماً والقادر للموصوف بالقدرة والمريد للموصوف بالإرادة والسميع والبصير والشكور
 للموصوف بالسمع والبصر والكلام وهذه كلها معاني قائمة بالموصوف أو نسب على خلاف ينطلق عليه منها أسماء ولها أحكام في
 الموصوف بها وتلك الأسماء وإن كانت تدل على ذات موصوفة بصفة تسمى علماً وعلماً وعلماً وخبيراً ومحصياً ومحيطاً وهذه كلها
 أسماء لمن وصف بالعلم ولكن مدلول كونه عالماً خلاف مدلوله كونه علماً وعلماً وخبيراً يفهم من ذلك ما لا يفهم من العالم فإن علماً
 للمبالغة فيفهم منه ما لا يفهم من العالم فإن من يعلم أمراً ما من المعلومات يسمى عالماً ولا يسمى علماً ولا عالماً إلا إذ تعلق علمه
 بمعلومات كثيرة وخبير التعلق العلم بعد الإبتلاء قال تعالى "ولنبلوكنم حتى نعلم"" وكذا المحصي يتعلق بحصر المعلومات من وجه
 يصح فهو تعلق خاص يطلبه العلم وكذلك المحيط له تعلق خاص وهو العلم بحقائق المعلومات الذاتية والرسمية واللفظية وما يتناهى
 منها أنه متناه وما لا يتناهى منها أنه غير متناه فقد أحاط به علماً أنه لا يتناهى فإن هنا زلت طائفة كبيرة من أهل العلم وهكذا
 تأخذ جميع الصفات كالقادر والمقتدر والقاهر كل ذلك تطلبه القدرة وبين هذه الأسماء فرقان وإن كانت الصفة الواحدة تطلبها فإن
 القاهر في مقابلة المنازع والقاهر في مقابلة المنازعين والقادر في مقابلة القابل للأثر فيه مع كونه معدوماً في عينه ففيه ضرب من
 الإمتناع وهي مسألة مشككة لأن تقدم عدم الممكن قبل وجوده لا يكون مراداً ولا هو صفة نفسية للممكن فهذا هو الإشكال
 فينبغي أن يعلم والمقتدر لا يكون إلا في حال تعلق القدرة بالمقدور لانه تعمل في تعلق القدرة بالمقدور لإيجاد عينه كالمكتسب
 والكاسب فقد بان لك الفرقان بين الأسماء وإن كانت تطلب صفة واحدة ولكن بوجوه مختلفة إذ لا يصح الترادف في العالم لأن
 الترادف تكرار وليس في الوجود تكرار جملة واحدة للإتساع الإلهي فاعلم ذلك وما وجدنا في الشرع للكلام إسماً إلهياً إلا الشكور
 والمحجب فالكلام ما وجدنا إسماً من لفظ اسمه في الشرع وكذلك الإرادة ليس لها إسم في علمي من لفظ ناسمهما غير أن من أسمائها
 من جهة معناها أسماء الأفعال فإنه قال فعال لما يريد ولها تعلق صعب التصور وهو إرادته أن يقول وليس قوله من الأفعال ولا هو
 نسبة عدمية ولا صفة عدمية وكذلك يتصور في القدرة أيضاً وذلك أن يقال الحق قادر أن يكلم عباده بما شاء فهنا علم ينبغي أن
 يعرف وذلك أن الله أدخل تعلق إرادية تحت حكم الزمان فجاء بإذا وهي من صيغ الزمان فقال إذا أردنا أن نقول له كن والزمان قد
 يكون مزاداً ولا يصح فيه إذا لانه لم يكن بعد فيكون له حكم فعلم هذا من علوم غامض الأسماء الإلهية ثم أعلم أن الذي يعتمد عليه
 أهل الله تعالى في أسمائه سبحانه هي ما سمي به نفسه في كتبه أو على ألسنته رسله وأما إذا إخذناها من الاشتقاق أو على جهة المدح
 فأنها لا تحصى كثرة والله يقول له الأسماء الحسنى وورد في الصحيح أن الله تسعة وتسعين إسماً مائة إلا واحد من أحصاها دخل الجنة
 وما قدرنا على تعيينها من وجه صحيح فإن الأحاديث الواردة فيها كلها مضطربة لا يصح منها شيء وكل إسم إلهي يحصل لنا من
 طريق الكشف أو لمن حصل فلا نوره في كتاب وإن كنا ندعو به في نفوسنا لما يؤدي إليه ذلك من الفساد في المدعين الذين يفترون
 على الله الكذب وفي زماننا منهم كثير ولما فحصنا عن الحفاظ لم نر أحداً اعتنى بها مثل الحفاظ أبي محمد علي بن سعيد بن حزم
 الفارسي وغاية ما وصلت إليه قدرته ما أذكره من الأسماء الحسنى هذا مبلغ احصائه فيها من الطريق الصحاح على ما حدثناه علي
 بن عبد الله بن عبد الرحمن الفرياني عن أبي محمد بن عبد الحق بن عبد الله الأزدي الإشبيلي وحدثناه عبد الحق إجازة عن أبي الحسن
 شريح بن محمد بن شريح الرعييني عن محمد علي بن حزم الفارسي قال إنما تؤخذ يعني الأسماء من نص القرآن ومما صح عن النبي صلى
 الله عليه وسلم وقد بلغ احصاؤنا ما نذكره وهي الله الرحمن الرحيم العليم الحكيم الكريم العظيم حلیم القيوم الأكرم السلام التواب
 الرب الوهاب الأقرب سميع مجيب واسع

العزیز الشاکر القاهر الآخر الظاهر الكبير الخبير القدير البصير الغفور الشکور الغفار القهار الجبار المتکبر المصور البر مقتدر الباري العلي الغني الولي القوي الحي الحميد المجيد الودود الصمد الأحد الواحد الأول الأعلى المتعال الخالق الخلاق الرزاق الحق اللطيف رؤف عفو الفتاح المتين المبين المؤمن المهيمن الباطل القدوس الملك مليک الأكبر الأعز السيد سبوح وتر محسان جميل رفيق المسعر القابض الباسط الشافي المعطي المقدم المؤخر الدهر فهذا الذي رويناه عن أشياءنا عن أشياءهم عنه في إحصائه وعندنا من القرآن أسماء أخر جاءت مضافة وهي عندنا من الاسماء وليست عنده من الاسماء وكذلك في الأخبار ومن أراد ان يقف على أسماء الله تعالى على الحقيقة فلنظر في قوله تعالى "يا أيها الناس انتم الفقراء إلى الله" وعلى الحقيقة فما في الوجود إلا أسماءؤه ولكن حجب عيون البصائر عن العلم بما أعيان الأكوان فانه سبحانه الواقى لا غيره فهو المحتجب بكل واق وشبه هذا فهو فاطر السموات والأرض وجاعل الملائكة رسلا وجاعل الليل سكنا وجاعل في الأرض خليفة ونور السموات والأرض وقيام السموات والأرض وقيام السموات والأرض وقوام السموات والأرض وهو الصبور قابل التوب والسريع الحساب وشديد العقاب ورفيع الدرجات وذو العرش وذو المعارج وقد رميت بك على الطريق فهذا قسك الصفات الدالة على المعاني والنسب والإضافات كالأول والآخر والظاهر والباطن القسم الثالث وهو أسماء الأفعال وهي صريح كالمصور ومضمن مثل قوله ومكر الله وأسماء الأفعال كلها أسماء الإرادة القسم الرابع أسماء الإشتراك كاسمة المؤمن والرب فالؤمن المصدق والمؤمن معطى الأمان والرب المالك والرب المصلح والرب السيد والرب المربي والرب الثابت فإذا حصل بيدك إسم من الاسماء الإلهية فانظر في أية مرتبة هو من هذه المراتب فادع به من حيث مرتبته لا تخرجه عنها جملة واحدة ولا تغفل عن دلالاته على الذات التي لها هذه النعوت كلها تكن إحدى العين في عين الكثرة فتكون الواحد الكثير فان المراتب والحقائق تطلب الاسماء لمن هي صفاته حتى إذا دعى بها زهت وعلمت ان الله بها عناية حيث أطلق عليه من أحكامها أسماء وحيث جعل ذاته محلاً لأحكامها فالحلم معنى معقول يطلق منه إسماً على من ظهر فيه حكمه وهو الحكيم مع المقدرة والمتجاوز والصفوح والعفو وكذلك مرتبة جميع الاسماء على حد ما أشرت إليك ولا تتعدى مراتبها مع علمك انه ليس في أسماء الله ترادف وانما كلها متباينة فهذا قد ابنت لك عن العلم الأول من المعرفة الذي لأهل الله مجملاً مع نبذ من التفصيل فتفهم ذلك النوع الثاني من علوم المعرفة وهو علم التجلي اعلم ان التجلي الإلهي دائم لا حجاب عليه ولكن لا يعرف انه هو وذلك ان الله لما خلق العالم أسمعه كلامه في حال عدمه وهو قوله كن وكان مشهوداً له سبحانه ولم يكن الحق كشهوداً له وكان على أعين الممكنات حجاب العدم لم يكن غيره فلا تدرك الموجود وهي معدومة كالنور ينفر الظلمة فانه لا بقاء للظلمة مع وجود النور كذلك العدم والوجود فلما أمرها بالتكوين لأماكنها واستعداد قبولها سارعت لترى ما ثم لان في قوتها الرؤية كما في قوتها السمع من حيث الثبوت لا من حيث الوجود فعندما وجد الممكن انصبغ بالنور فزال العدم وفتح عينيه فرأى الوجود الخير المحض فلم يعلم ما هو ولا علم انه الذي أمره بالتكوين فأفاده التجلي علماً بما رآه لا علماً بانه هو الذي أعطاه الوجود فلما انصبغ بالنور إلتفت على اليسار فرأى العدم فتحققه فإذا هو ينبعث منه كالظل المنبعث من الشخص إذا قابله النور فقال ما هذا فقال له النور من الجانب الأيمن هذا هو انت فلو كنت انت النور لما ظهر للظل عين فانا النور وانا مذهبه ونورك الذي انت عليه انما هو من حيث ما يواجهني من ذاتك ذلك لتعلم انك لست انا فانا النور بلا ظل وانت النور الممتزج لأمكانك فان نسبت إلى قبلك وان نسبت إلى العدم قبلك فانت بين الوجود والعدم وانت بين الخير والشر فان أعرضت عن ظلك فقد أعرضت عن أمكانك وإذا أعرضت عن أمكانك جهلتني ولم تعرفني فانه لا دليل لك على اني أهلك وربك وموجدك ألا أمكانك وهو شهودك ظلك وان أعرضت عن نورك

بالكلية ولم تزل مشاهداً ظلك لم تعلم انه ظل أمكانك وتحيلت انه ظل المحال والمحال والواجب متقابلان من جميع الوجوه فان دعوتك لم تجبني ولم تسمعي فانه يصمك ذلك المشهود عن دعائي فلا تنظر إلى نظرا يفنيك عن ظلك فتدعي انك انا فتقع في الجهل ولا تنظر إلى ظلك نظرا يفنيك عني فانه يورثك الصم فتجهل ما خلقتك له فكن تارة وتارة وما خلق الله لك عينين ألا لتشهدي بالواحدة وتشهد ظلك بالعين الأخرى وقد قلت لك في معرض الأمتان ألم نجعل له عينين ولساناً وشقتين وهديناه النجدين أي بينا له الطريقتين طريق النور والظل أما شاكراً وأما كفوراً فان العدم المحال ظلمة وعدم الممكن ظل لا ظلمة ولهذا في الظل راحة الوجود وأعلم ان التجلي الأول الذي حصل للممكن عندما أتصف بالوجود وانصبغ بالنور هو التجلي للأرواح النورية التي ليست لها هذه الهياكل المظلمة ولكن لها ظل أمكانها الذي لا يبرح فيها وهي وان كانت نوراً بما انصبغت به فظلها فيها لا ظهور له عليها وحكمه فيها لا يزول وهذه المرتبة كان يريد ان يكون لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أذ كان يقول في دعائه اللهم أجعلني نوراً ثم بعد هذا التجلي الأبداعي الذي هم بعض الأرواح النورية تجلياً لبعض هذه الأرواح المبدعة فعلم مه في هذا التجلي جميع المراتب التي تظهر عنه في عالم الانوار والظلم واللطائف والكثائف والبسائط والمركبات والجواهر والأعراض والأزمنة والأمكنة والأضافات والكيفيات والكميات والأوضاع والفاعلات والمنفعلات إلى يوم القيامة وانواع العالم ومبلغها مائتا ألف مرتبة وسبع آلاف مرتبة وستمائة مرتبة وقام هذا العدد من ضرب ثلثمائة وستين في مثلها ثم أضيف إليها ثمانية وسبعون ألفاً فكان المجموع ما ذكرناه وهو علم العقل الأول وعمر العالم من حين ولي النظر فيه هذا المفعول الأبداعي وما قبل ذلك فمجهول لا يعلمه إلا الله تعالى فلما علم العقل من هذا التجلي هذه المراتب وهي علمه كان من جملة ذلك انبعثت النفس الكلية عنه وهي أول مفعول انبعثي وهي ممتزجة بين ما انفعل عنها وبين ما انفعلت عنه فالذي انفعلت عنه نور والذي انفعل عنها ظلمة وهي الطبيعة فظهر ظل النفس في ظاهرها مما يلي جانب الطبيعة لكن لم يمتد عنها ظلها كما يمتد عن الأجسام الكثيفة وانتقش فيها جميع ما للعقل من العلوم التي ذكرناها ولها وجه خاص إلى الله لا علم للعقل به فانه سر الله الذي بينه وبين كل مخلوق لا تعرف نسبته ولا يدخل تحت عبارة ولا يقدر مخلوق على انكار وجوده فهو المعلوم المجهول وهذا هو التجلي في الأشياء المبقية أعيانها وأما التجلي للأشياء فهو تجلي يفني أحوالاً ويعطي أحوالاً في المتجلي له ومن هذا التجلي توجد الأعراض والأحوال في كل ما سوى الله ثم له تجل في مجموع الاسماء فيعطي في هذا التجلي في العالم المقادير والأوزان والأمكنة والأزمان والشرائع وما يليق بعالم الأجسام وعالم الأرواح والحروف اللفظية والرقمية وعالم الخيال ثم له تجل آخر في أسماء الأضافة خاصة كالمخلوق وما أشبهه من الاسماء فيظهر في العالم التوالد والتناسل والانفعالات والاستحالات والانساب وهذه كلها حجب على أعيان الذوات الحاملات لهذه الحجب عن أدراك ذلك التجلي الذي لهذه الحجب الموحد أعيانها في أعيان الذوات وبهذا القدر تنسب الأفعال للأسباب ولولاها لكان الكشف فلا يجهل ولكن كما قال ما يبذل القول لدى ووقوع خلاف المعلوم محال فبالتجلي تغير الحال على الأعيان الثابتة من الثبوت إلى الوجود وبه ظهر الانتقال من حال إلى حال في الموجودات وهو خشوع تحت سلطان التجلي فله النقيضان يحو ويثبت ويوجد ويعدم وقد بين الله لنا ذلك بقوله تعالى "فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا" فنقله من حال الشموخ إلى حال الخشوع والاندكاك وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي صححه الكشف ان الله إذا تجلى لشيء خشع له فالله متجل على الدوام لان التغيرات مشهودة على الدوام في الظواهر والبواطن والغيب والشهادة والمحسوس والمعقول فشانه التجلي وشان الموجودات التغير بالانتقال من حال إلى حال فمنها من يعرفه ومنا من لا يعرفه فمن عرفه عبده في كل حال ومن لم يعرفه انكره في كل حال ثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم

وسلم قال الحمد لله على كل حال فأثنى عليه على كل حال لانه المعطي بتجليه كل حال وأوضح من هذا في التبليغ ما يكون مع إقامة الحدود وانكار ما ينبغي ان ينكر فان المنكر بالتغيير انكر يسأله من في السموات ومن في الأرض كل يوم هو في شان أحوال أهلية في أعيان كيانية باسماء نسبية عينتها تغييرات كونية فتجلي إحدى العين في أعيان مختلفة الكون فرأت صورها فيه فشهد العالم بعضه بعضا في تلك العين فمنه المناسب وهو الموافق ومنه غير المناسب وهو المخالف فظهرت الموافقة والخلاف في أعيان العالم دنيا وآخرة لانه لا تزال أعيان العالم تبصر بعضها بعضا في تلك العين المنجلية فتعكس انوارها عليها بما تكتسبه من تلك العين فيحدث في العالم ما يحدث دنيا وآخرة عن أثر حقيقة تلك العين لما تعلق بها أبصار العالم كالمرآة تقابل الشمس فينعكس ضوءها على القطن المقابل لانعكاس النور فيحدث فيه الحرق هذا عين ما يظهر في العالم من تأثير بعضه في بعض من شهود تلك العين فالمؤثر روحاني والذي تأثر طبيعي وما من شيء تكون له صورة طبيعية في العالم ألا ولها روح قدسي وتلك العين لا تنحجب أبداً فالعالم في حال شهود أبداً والتغيير كائن أبداً لكن الملايم وغير الملائم وهو المعبر عنه بالنفع والضرر فهذا علم التجلي من أحد أقسام المعرفة ان لم يحصل للانسان مع بقية أخوانه فليس بعارف ولا حصل له مقام المعرفة النوع الثالث من المعرفة وهو العلم بخطاب الحق عباده بالسنة الشرائع أعلم وفقك الله ان ما عدا الثقلين من كل ما سوى الله على معرفة بالله ووحى من الله وعلم بمن تجلى له مفطور على ذلك سعيد كله ولهذا قال تعالى "ألم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض" فعم ثم فصل ليبين للناس ما نزل إليهم فقال "والشمس والقمر والنجوم والجلال والشجر والدواب

وكثير من الناس" وهو قوله "ألا الذين آمنوا وعملوا الصالحات قليل ما هم" يقول وما هم قليل يعني انهم كثير فهو قوله "وكثير من الناس" ثم قال "وكثير حق عليه العذاب" وسبب ذلك ان وكله من حيث نفسه الناطقة الموجودة بين الطبيعة والنور بما جعل الله فيها من الفكر ليكتسب به المعرفة بالله تعالى اختياراً من الله وأعطاها العقل كما أعطى سائر الموجودات وأعطاها صفة القبول وعشقه بالقوة المفكرة لأستنباط العلوم من ذاته لتظهر فيه قوة أهلية فانه يحب الرياسة والظهور والشفوف على ابناء جنسه لأشراكهم في ذلك ثم لما أعطاهم القوة المفكرة نصب لهم علامات ودلائل تدل على الحدوث لقيامها بأعيانهم ونصب لهم دلائل وعلامات تدل على القدم الذي هو عبارة عن نفي الأولية عن وجوده وتلك الدلائل بأعيانها هي التي نصبها للدلالة على الحدوث فسلبها عن الذات القديمة المسماة الله هو الدليل ليس غير ذلك فلأدلة وجهان وهي عين واحدة يدل ثبوتها على حدوث العالم وسلبها على موجد العالم فلما نظر بهذا النظر وقال عرفت الله بما نصبه من الأدلة على معرفتنا وبنابيه وهي الآيات المنصوبة في الآفاق وفي انفسنا حتى يتبين لنا انه الحق وقد تبين وهو الذي عبرنا عنه بالتجلي فان التجلي انما هو موضوع للرؤية وذلك قوله سنريهم آياتنا فذكر الرؤية وى الآيات للتجلي فيتبين لهم انه الحق يعني ذلك التجلي الذي رأوه علامة على نفسه فيتبين لهم انه الحق المطلوب ولهذا تم فقال في الآية عينها أو لم يكف بربك يعني ان يكون دليلاً على نفسه وأوضح الدلالات دلالة الشيء على نفسه بظهوره فلما حصلت لعقولهم هذه المعرفة بالترتية عما نسبوه إلى ذوات العالم وهو دليل واحد العين متردد في الدلالة بين سلب لمعرفة الله وبين أثبات لمعرفة العالم أقام الحق لهذا الجنس الانساني شخصاً ذكر انه جاء إليهم من عند الله برسالة يخبرهم بها فنظروا بالقوة المفكرة فرأوا ان الأمر جائز ممكن فلم يقدموا على تكذيبه ولا رأوا علامة تدل على صدقه فوقفوا وسألوه هل جئت ألينا بعلامة من عنده حتى نعلم انك صادق في رسالتك فانه لا فرق بيننا وبينك وما رأينا لك أمراً تميزت به عنا وباب الدعوى مفتوح ومن الدعوى ما يصدق ومنها ما لا يصدق فجاء بالمعجزة فنظروا فيها نظر انصاف وهي بين أمرين الواحد ان تكون مقدورة لهم فيدعي الصرف

عنها مطلقاً فلا تظهر ألا على يدي من هو رسول إلى يوم القيامة هذا إذا كانت معجزة لا آية فقط المعجزات نصبت للخصم الألد الفاقد نور الايمان والأمر الآخران تكون المعجزة خارجة عن مقدور البشر بالحس والهمة معاً فإذا أتى بأحد هذين الأمرين وتحققه الناظر دليلاً آمناً برسالاته وصدقه في مقالته وأخباره عن ربه إذا كانت الدلالة على المجموع بحسب ما وقعت به الدعوى ولا يمكن في ذوق طريقنا تصديقه مع الدلالة ألا بتجل ألهي لقلبه من أسمه النور فإذا انصبغ باطنه بذلك النور صدقه فذلك نور الايمان وغيره لم يحصل عنده من ذلك النور شيء مع علمه بأنه صادق من حيث الدلالة لا من حيث النور المقذوف في القلب فجدد مع علمه وهو قوله تعالى "وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً" ودوهم في هذه الرتبة من قيل فيه وأضله الله على علم فذلك نور العلم به لا نور الايمان فلما صدقه من صدقه وأظهر صدقه وأعتمد على عقله حيث قاده إلى الحق ولم يحصل له ضوء من نور الايمان يستضيء به وما علم أنه بذلك النور صدقه لا بنور علمه الذي هو عند من حجده مع علمه بصدق دعواه فلما أعتد على عقله هذا المصدق وجاء آخر من المصدقين به أيضاً كشف الله له عن نور إيمانه ونور علمه فكان نوراً على نور وجاء ثالث ما عنده من نور العلم النظري شيء ولا يعرف موضع الدلالة من تلك الآية المعجزة وقذف الله في قلبه نور الايمان فأمن وصدق وليس معه نور علم نظري ولكن فطرة سليمة وعقل قابل وهيكل منور بعيد من أستعمال الفكر فسارع في القبول فقعد هؤلاء الثلاثة الأصناف بين يدي هذا الرسول الذي صدقوه فأخذ الرسول يصف لهم مرسله الحق تعالى ليعرفهم به المعرفة التي ليست عندهم مما كانوا قد أحوالوا مثل ذلك على الحق تعالى وسلبه عنه أهل الأدلة النظرية وأثبتوا تلك الصفات للمحدثات دلالة على حدوثها فلما سمعوا ما تنكره الأدلة العقلية النظرية وترده أفتروا عند ذلك على فرق فمنهم من أرتد على عقبه وشك في دليله الذي

دله على صدقه وأقام له في ذلك الدليل شبهات قاذحة فيه صرفته عن الايمان والعلم به فأرتد على عقبه ومنهم من قال ان في جمعنا هذا من ليس عنده سوى نور الايمان ولا يدري ما العلم ولا ما طريقه وهذا الرسول لا نشك في صدقه وفي حكمته ومن الحكمة مراعاة الأضعف فخطب هذا الرسول بهذه الصفات التي نسبها إلى ربه أنه عليها هذا الضعيف الذي لا نظر له في الأدلة وليس عنده سوى نور الايمان رحمة به لانه لا ينبت له الايمان ألا بمثل هذا الوصف وللحق ان يصف نفسه بما شاء على قدر عقل القابل وان كان في نفسه على خلاف ذلك وأتكل هذا المخبر بهذا الوصف والمراعي حق هذا الأضعف على ما يعرفه من علمنا به وتحققه من صدقنا فيه ووقوفنا مع دليلنا فلا يقدح شيء من هذا فيما عندنا أذ قد عرفنا مقصود هذا الرسول بالأمر فثبتوا على إيمانهم مع كونهم أحوالوا ما وصف الرسول به ربه في انفسهم وأقروه حكمة وأستجلاباً للأضعف وفرقة أخرى من الحاضرين قالوا هذا الوصف يخالف الأدلة ونحن على يقين من صدق هذا المخبر وغايتنا في معرفتنا بالله سلب ما نسبناه لحدوثها فهذا أعلم بالله منا في هذه النسبة فنؤمن بها تصديقاً له ونكل علم ذلك إليه وإلى الله فان الايمان بهذا اللفظ ما يضرنا ونسبة هذا الوصف إليه تعالى مجهولة عندنا لان ذاته مجهولة من طريق الصفات الثبوتية والسلب فما يعول عليه والجهل بالله هو الأصل فالجهل بنسبة ما وصف الحق نفسه به في كتابه أعظم فلنسلم ولنؤمن على علمه بما قاله عن نفسه وفرقة أخرى من الحاضرين قالوا لا نشك في دلالتنا على صدق هذا المخبر وقد آتانا في نعت الله الذي أرسله ألينا بأمور ان وقفنا عند ظاهرها وحملناها عليه تعالى كما نحملها على نفوسنا أدى إلى حدوثه وزال كونه ألهاً وقد ثبت فننظر هل لها مصرف في اللسان الذي جاء به فان الرسول ما أرسل ألا بلسان قومه فنظروا أبواباً مما يؤل إليها ذلك الوصف مما يقتضي التزييه وينفي التشبيه فحملوا تلك الألفاظ على ذلك التأويل فإذا قيل لهم في ذلك أي شيء دعاكم إلى ذلك قالوا أمران القدح في الأدلة فانا بالأدلة العقلية أثبتنا صدق دعواه ولا نقبل ما يقدح في الدلالة العقلية فان ذلك قدح في الدلالة

على صدقه والأمر الآخر قد قال لنا هذا الصادق ان الله الذي أرسله ليس كمثله شيء ووافق الأدلة العقلية فتقوى صدقه عندنا بمثل هذا فان قلنا ما قاله في الله على الوجه الذي يعطيه ظاهر اللفظ ونحمله عليه كما نحمله على الأحداثات ضللنا فأخذنا في التأويل أثباتاً للطريقين وفرقة أخرى وهي أضعف الفرق لم يتعدوا حضرة الخيال وما عندهم علم بتجريد المعاني ولا بغوامض الأسرار ولا علموا معنى قوله "ليس كمثله شيء" ولا قوله "ما قدروا الله حق قدره" وهم واقفون في جميع أمورهم مع الخيال وفي قلوبهم نور الايمان والتصديق وعندهم جهل باللسان فحملوا الأمر على ظاهره ولم يردوا علمه إلى الله فيه فأعتقدوا نسبة ذلك النعت إلى الله مثل نسبته إلى نفوسهم وما بعد هذه الطائفة طائفة في الضعف أكثر منها فافهم على نصف الايمان حيث قبلوا نعت التشبيه ولم يعقلوا نعت التثنية من ليس كمثله شيء والفرقة التاجية من هؤلاء الفرق المصيبة للحق هي التي آمنت بما جاء من عند الله على مراد الله وعلمه في ذلك مع نفي التشبيه بليس كمثله شيء فهذه يا ولي ألسنة الشرائع في العالم فجاء بالصورة في حق والعين واليد والرجل والسمع والبصر والرضى والغضب والتردد والتبشيش والتعجب والفرح والضحك والملل والمكر والخداع والاستهزاء والخرية والسعي والهرولة والتزول والأستواء والتحديد في القرب والصبر على الأذى وما جرى هذا المجرى مما هو نعت المخلوقين ذلك لنؤمن عامة ولنعلم ان التجلي الألهي في أعيان الممكنات أعطي هذه النعوت فلا شاهد ولا مشهود ألا الله فألسنة الشرائع دلائل التحليات والتحليات دلائل الاسماء الألهية فأرتبطت أبواب المعرفة بعضها ببعض فكل لفظ جاء به الشريعة فهو على ما جاءت به لكن عالمنا يعرف بأي لسان تكلم الشرع ولمن خاطب وبمن خاطب ولمن ترجع الأفعال وإلى من تنسب الأقوال ومن المتقلب في الأحوال ومن قال سنفرغ لكم أيها الثقلان فبأي آلاء ربكما تكذبان لنقول ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب هذا أراد ان يسمع منا وقد قلناه والحمد لله

النوع الرابع من علوم المعرفة وهو العلم بالكمال والنقص في الوجود أعلم انه من كمال الوجود وجود النقص فيه أذ لو لم يكن لكان كمال الوجود ناقصاً بعدم النقص فيه قال تعالى في كمال كل ما سوى الله أعطي كل شيء خلقه فما نقصه شيئاً أصلاً حتى النقص أعطاه خلقه فهذا كمال العالم الذي هو كل ما سوى الله ألا الله ثم الانسان فلله كمال يليق به وللانسان كمال يقبله ومن نقص من الاناسي عن هذا الكمال فذلك النقص الذي في العالمن لان الانسان من جملة العالم وما كل انسان قبل الكمال وما عداه فكامل في مرتبته لا ينقصه شيء بنص القرآن قال صلى الله عليه وسلم في الانسان كمال من الرجال كثيرون ومن النساء مريم وآسية وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام فما ظهر في العالم نقص ألا في هذا الانسان وذلك لانه مجموع حقائق العالم وهو المختصر الوجيز والعالم هو المطول البسيط فأما كمال الألوهية فظاهر بالشرائع وأما بادلة العقول فلا فعين ما يراه العقل كمالاً هو النقص عند الله لو كان كما يقتضيه دليل العقل فجاء العقل بنصف معرفة الله وهو التثنية وسلب أحكام كثيرة عنه تعالى وجاء الشارع يخبر عن الله بثبوت ما سلب عنه العقل بدلالته وتقرير ما سلبه عنه فجاء بالأميرين للكمال الذي يليق به تعالى فحير العقول فهذا هو الكمال الألهي فلو لم يعط الحيرة لما ذكره لكان تحت حكم ما خلق فان القوى الحسية والخيالية تطلبه بذواتها لترى موجدتها والعقول تطلبه بذواتها وأدلتها من نفي وأثبات ووجوب وجواز وأحالة لتعلم موجدتها فخاطب الحواس والخيال بتجريده الذي دلت عليه أدلة العقول والحواس تسمع فحارت الحواس والخيال وقالوا ما بأيدينا منه شيء وخاطب العقول بتشبيهه الذي دلت عليه الحواس والخيال والعقول تسمع فحارت العقول وقالت ما بأيدينا منه شيء فعلاً عن أدراك العقول والحواس والخيال وانفراد سبحانه بالحيرة في الكمال فلم يعلمه سواه ولا شاهده غيره فلم يحيطوا به علماً ولا رأوا له عيناً فأثار تشهد وجناب يقصد ورتبة تحمد وأله

متره ومشبه يعبد هذا هو الكمال الألهي وبقي الانسان متوسط الحال بين كمال الحيرة والحد وهو كمال العالم فبالانسان كمال العالم وما كمل الانسان بالعالم فلما انحصرت في الانسان حقائق العالم بما هو انسان لم يتميز عن العالم ألا بصغر الحجم خاصة وبقيت له رتبة كماله فجميع الموجودات قبلت كما لها والحق كامل والانسان انقسم قسمين قسم لم يقبل الكمال فهو من جملة العالم غير انه مجموع العالم جمعية المختصر من الكبير وقسم قبل الكمال فظهرت فيه لأستعداده الألهية بكما لها وجميع أسمائها فأقام هذا القسم خليفة وكساه حلة الحيرة فيه فنظرت الملائكة إلى نشأة جسده فقالت فيه ما قالت لتنافر حقائقه التي ركب الله فيها جسده فلما أعلمها الحق بما خلقه عليه وأعطاه إياه حارت فيه فقالت لا علم لنا والحائر لا علم له فأعطاه علم الاسماء الألهية التي لم تسبحة الملائكة بها ولا قدسته كما قال عليه السلام انه يحمد الله غداً في القيامة عند سؤاله في الشفاعة بمحامد لا يعلمها الا يقتضيها الموطن فان محامد الله تعالى بحسب ما تطلبها المواطن والنشآت فأعطت نشأة آدم ومن أشبهه من أولاده الألهية للخلافة في العالم وما كان ذلك لغيرهم فكان كمال الانسان بهذا الأستعداد لهذا التجلي الخاص فظهر باسماء الحق على تقابلها وأعطاه الحق فيما بين له مصارفها فهو يظهر بما ظهر من أستخلفه وهي المسمى في الخلافة بالحق والعدل قال الله لداود "انا جعلناك خليفة في الأرض فأحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيهوى"بمتبعه عن هذه الدرجة التي أهلت لها وأهلت لك ولأمثالك كما قال أبو العتاهية

إليه تجرر أذيالها

ولم يك يصلح الألهها

لزلزلت الأرض زلزالها

أنته الخلافة منقادة

ولم تك تصلح الأله

ولو رامها أحد غيره

فإذا أعطي التحكم في العالم فهي الخلافة فان شاء تحكم وطهر كعبد القادر الجيلي وان شاء سلم وترك التصرف لربه في عباده مع التمكن من ذلك لا بد منه كأبي مسعود بن الشبلي ألا ان يقترن به أمر ألهي كداود عليه السلام فلا سبيل إلى رد أمر الله فانه الهوى الذي نهى عن أتباعه وكعثمان رضى الله عنه الذي لم يخلع ثوب الخلافة عن عنقه حتى قتل لعلمه بما للحق فيه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهاه ان يخلع عنه ثوب الخلافة فكل من أفترن بتحكمه أمر ألهي وجب عليه الظهور به ولا يزال مؤيداً ومن لم يقتن به أمر ألهي فهو مخني ان شاء ظهر به ظهر بحق وان شاء لم يظهر فأستتر بحق وترك الظهور أولى فتلحق الأولياء الانبياء بالخلافة خاصة ولا يلحقونهم في الرسالة والنبوة فان باهما مسدود فللرسول الحكم فان أستخلف فله التحكم فان كان رسولاً فتحكمه بما شرع وان لم يكن رسولاً فتحكمه عن أمر الله بحكم وقته الذي هو شرع زمانه فانه بالحكم ينسب إلى العدل والجور انتهى الجزء العاشر ومائة

الجزء الحادي عشر ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

النوع الخامس من علوم المعرفة وهو علم الانسان بنفسه من جهة حقائقه أعلم ان الانسان ما أعطي التحكم في العالم بما هو انسان وانما أعطي ذلك بقوة ألهية ربانية أذ لا تتحكم في العالم ألا صفة حق لا غير وهي في الانسان أبتلاء لا تشريف ولو كانت تشريفاً بقيت معه في الآخرة في دار السعداء ولو كانت تشريفاً ما قيل له ولا تتبع الهوى فحجرت عليه والتحجير أبتلاء والتشريف إطلاق ولا نسب في التحكم إلى عدل ولا إلى جرر ولا ولي الخلافة في العالم ألا أهل الله بل ولي الله التحكم في العالم من أسعده الله به ومن أشقاه من المؤمنين ومع هذا أمرنا الحق ان نسمع له ونطيع ولا نخرج يدا من طاعة وقال فان جاروا فلکم وعليهم وهذه حالة أبتلاء لا حالة شرف فانه في حركاته فيها على حذر وقدم غرور ولهذا يكون يوم القيامة على بعض الخلفاء ندامة فإذا وقف الانسان على معرفة نفسه وأشتغل بالعلم بحقائقه من حيث ما هو انسان فلم ير فرقاً بينه وبين العالم ورأى ان العالم الذي هو ما عدا الثقلين ساجد لله فهو مطيع قائم بما تعين عليه من عبادة خالقه ومنشيه طلب الحقيقة التي يجتمع فيها مع العالم فلم يجد ألا الأماكن والأفتقار والذلة والخضوع والحاجة والمسكنة ثم نظر إلى ما وصف به الحق العالم كله فراه قد وصفه بالسجود له حتى ظله ورأى انه ما وصف بذلك من جنسه ألا الكثير لا الكل كما وصف كل جنس من العالم فخاف ان يكون من الكثير الذي حق عليه العذاب ثم رأى ان العالم قد فطروا بالذات على عبادة الله وأفتقر هذا الانسان إلى من يرشده ويبين له الطريق المقربة إلى سعادته عند الله لما سمع الله يقول "وما خلقت الجن والانس ألا ليعبدون" فعبده بالأفتقار إليه كما عبد سائر العالم ثم رأى ان الله قد حد له حدوداً ورسم له أموراً ونهاه ان يتعدها وان يأتي من أمره سبحانه ما أستطاع فتعين عليه العلم بما شرع الله له ليقيم عبادة الله الفرعية كما أقام العبادة الأصلية فان العبادة الأصلية هي التي تطلبها ذوات الممكنات بما هي ممكنات والعبادات الفرعية هي أعمال يفتقر فيها العبد إلى أخبار ألهي من حيث ما يستحقه سيده وما تقتضيه عبوديته فإذا علم أمر سيده ونهيه ووفي حق سيده تعالى وحق عبودته فقد عرف نفسه وكل من عرف نفسه عرف ربه ومن عرف ربه عبده بأمره فما ثم من جمع بين العبادتين عبادة الأمر وعبادة النهي ألا الثقلان فان الأرواح الملكية لا نهى عندها ولهذا قال فيهم لا يعصون الله ما أمرهم ولم يذکرهم نهى وقال في عبادتهم الذاتية يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون يسبحون الليل والنهار لا يفترون فان حقيقة نشأتهم تعطي ذلك فهذه هي العبادة الذاتية وهي عبادة سارية في كل ما سوى الله ولما كان الانسان بمجموع حقائق العالم كما قلنا وعرف نفسه من جهة حقائقه تعين عليه ان يقوم وحده من حيث هو بعبادة جميع العالم وان لم يفعل فما عرف نفسه من جهة حقائقه لانها عبادة ذاتية وصورة معرفته بذلك ان يشاهد جميع حقائقه كلها في عبادتها كشفاً كما هي عليه في نفسها سواء كوشف بذلك أو لم يكشف فهذا الذي أريده بالعلم بحقائقه أي عن الكشف فإذا شاهدها لم يتمكن له مخالفة أمر سيده فيما أمر به من عبادته بالوقوف عند حدوده ومراسمه فيما دخل فيه وفيما خرج عنه فإذا قال سبحانه الله بكله على ما رسمنا انتقش في جوهر نفسه جميع ما قاله العالم كله من حيث تلك التسيحة وهذه هي النفس الزكية التي تسمى لسان العالم بحيث لو صح ان يتعطل شيء من العالم في عبارة ربه لقام هذا العبد العرف بهذا القدر مقامه فيما فرط فيه وسد مسده لو تصور هذا ويجازي هذا العبد من جانب الحق بهذا القدر وهو مجازاة الأصغر بجائزة الأكبر يقول لو قدرنا

العالم كله ما سوى الانسان غفل عن عبادة الله طرفه عين وكان هذا الانسان ذاكر الله قائماً بحقه في تلك اللحظة ناب مناب العالم وسد مسده فجوزي بجزاء العالم كله وان كان لا يتصور من العالم غفلة فانه ليس من أهل الغفلة ألا الثقلان خاصة فانظر ما أعطاك العلم بنفسك وبما انت عليه من حقائق الكون

النوع السادس من علوم المعرفة وهو علم الخيال وعالمه المتصل والمنفصل وهذا ركن عظيم من أركان المعرفة وهذا هو علم البرزخ وعلم عالم الأجساد التي تظهر فيها الروحانيات وهو علم سوق الجنة وهو علم التجلي الألهي في القيامة في صور التبدل وهو علم ظهور المعاني التي لا تقوم بنفسها مجسدة مثل الموت في صورة كبش وهو علم ما يراه الناس في النوم وعلم الموطن الذي يكون فيه الخلق بعد الموت وقبل البعث وهو علم الصور وفيه تظهر الصور المرئية في الأجسام الصقيلة كالمرآة وليس بعد العلم بالاسماء الألهية ولا التجلي وعمومه انم من هذا الركن فانه واسطة العقد إليه تعرج الحواس وإليه تتزالمعاني وهو لا يرح من موطنه تجي إليه الثمرات كل شئ وهو صاحب الأكسير الذي تحمله على المعنى فيجسده بأي صورة شاء لا يتوقف له النفوذ في التصف والحكم تعضده الشرائع وتثبت الطبائع فهو المشهود له بالتصرف التام وله التحام المعاني بالأجسام يحير الأدلة والعقول فلينبه ان شاء الله في هذا الفصل بأوجز ما يمكن وأبلغ والله الموفق لا رب غيره اعلموا يا أخواننا انه ما من معلوم كان ما كان الأولية نسبة إلى الوجود بأي نوع كان من انواع الوجود فانه على أربعة أقسام فمنها معلوم يجمع مراتب الوجود كلها ومنها معلوم يتصف ببعض مراتب الوجود ولا يتصف ببعضها وهذه المراتب الأربعة التي للوجود منها الوجود العيني وهو الموجود في نفسه على أي حقيقة كان من الإلتصاف بادخول والخروج أو بنفيهما فيكون مع كونه موجوداً في عينه لا داخل العالم ولا خارجه لعدم شرط الدخول والخروج وهو التحيز وليس ذلك إلا لله خاصة وأما ما هو من العالم قائم بنفسه غير متحيز كالنفوس الناطقة والعقل الأول والنفس والأرواح المهيمنة والطبيعية والهباء وأعني بهذا كلها أرواحها فكل ذلك داخل العالم إلا انه لا داخل أجسام العالم ولا خارج عنها فانها غير متحيزات والمرتبة الثانية الوجود الذهني وهو كون المعلوم متصوراً في النفس على ما هو عليه في حقيقته فان لم يكن المتصور مابقاً للحقيقة فليس ذلك بوجود له في الذهن والمرتبة الثالثة الكلام وللمعلومات وجود في الألفاظ وفي الوجود اللفظي ويدخل في هذا الوجود كل معلومة حتى المحال والعدم فان له الوجود اللفظي فانه يوجد في اللفظ ولا يقبل الوجود العيني وان كان العدم الذي هو المحال فلا يقبل الوجود العيني والمرتبة الرابعة الوجود الكتابي وهو الوجود الرقمي وهو نسبته إلى الوجود في الخط أو الرقم أو الكتابة ونسبة المعلومات كلها من المحال نسبة واحدة فهذا محال وان كان لا يوجد له عين فله نسبة وجود في اللفظ والخط فما هو معلوم لا يتصف باوجود بوجه وسبب ذلك قوة الوجود الذي هو أصل الأصول وهو الله تعالى إذ به ظهرت هذه المراتب وتعينت هذه الحقائق وبوجوده عرف من يقبل مراتب الوجود كلها ممن لا يقبلها فالاسماء متكلمة بها كانت أو مرقومة ينسحب وجودها على كل معلوم فيتصف ذلك المعلوم بضرب من ضروب الوجود فما في العلم معدوم مطلق العدم ليس له نسبة إلى الوجود بوجه ما هذا ما لا يعقل فافهم هذا الأصل وتحققه ثم أعلم بعد هذا ان حقيقة الخيال المطلق هو المسمى بالعماء الذي هو أول ظرف قبل كينونة الحق ورد في الصحيح انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أين كان ربنا قبل ان يخلق خلقه قال كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء وانما قال هذا من أجل ان العماء عند العرب هو السحاب الرقيق الذي تحته هواء

وفوقه هواء فلما سماه بالعماء أزال ما يسبق إلى فهم العرب من ذلك فنفي عنه الهواء حتى يعلم انه لا يشبهه من كل وجه فهو أول موصوف بكينونة الحق فيه فان الحق على ما أخبر خمس كينونات كينونة في العماء وهو ما ذكرناه وكينونة في العرش وهو قوله

وهو الله في السموات وفي الأرض وكيونة عامة وهو مع الموجودات على مراتبها حيثما كانت كما بين ذلك في حقنا فقال "وهو معكم أينما كنتم" وكل هذا النسب بحسب ما يليق بجلاله من غير تكييف ولا تشبيه ولا تصور بل كما تعطيه ذاته وما ينبغي ان ينسب إليها من ذلك لا إله إلا هو العزيز فلا يصل أحد إلى العلم ولا إلى الظفر بحقيقته الحكيم الذي نزل لعباده في كلماته ففقر البعيد في الخطاب لحكمة أرادها تعالى ففتح الله تعالى في ذلك العماء صور كل كاسواه من العالم إلا ان ذلك العماء لا غيره وفيه ظهرت جميع الموجودات وهو المعبر عنه بظاهر الحق في قوله هو الأول والآخر والظاهر والباطن ولهذا في الخيال المتصل يتخيل من لا معرفة له بما ينبغي لجلال الله بتصوره فإذا تحكم عليه الخيال المتصل فما ظنك بالخيال المطلق الذي هو كيونة الحق فيهم هو العماء فمن تلك القوة ضبطه الخيال المتصل ثم جاء الشرع في أماكن يقرر ما ضبطه الخيال المتصل من كيونة الحق في قبلة المصلى وفي مواجهة المصلى إياه فقبله الخيال المتصل وهو من بعض وجوه الخيال المطلق الذي هو الحضرة الجامعة والمرتبة الشاملة وانتشاء هذا العماء من نفس الرحمن من كونه إلهاً رحماناً فقط فجميع الموجودات ظهر في العماء بكن أو باليد الإلهية أو باليدين إلا العماء فظهوره بالنفس خاصة ولولا ما ورد في الشرع النفس ما أطلقناه مع علمنا به وكان أصل ذلك حكم الحب والحب له حركة في الحب والنفس حركة شوقية لمن تعشق به وتعلق له في ذلك النفس لذة وقد قال تعالى كما ورد كنت كتراً لك أعرف فأحببت ان أعرف فبهذا الحب وقع التنفس فظهر النفس فكان العماء فلهذا أوقع عليه إسم العماء الشارع لان العماء الذي هو السحاب يتولد من الأبخرة وهي نفس العناصر لما فيه من حكم الحرارة فلهذا الإلتفات سماه عماء ثم نفى عنه الهواء الذي يحيط به كما يحيط بجسم السحاب ويصرفه الهواء حيث شاء فنفى ان يكون هذا العماء يتحكم فيه غيره إذ هو أقرب الموجودات إلى الله الكائن عن نفسه فلما عمر هذا العماء الخلاء كله الذي هو مكان العالم أو ظرفه إذ لو انعدم العالم لتبين الخلاء وهو امتداد متوهم في غير جسم فهذا العماء هو الحق المخلوق به كل شئ وسمى الحق لانه عين النفس والنفس مبطلون في المتنفس هكذا يعقل فالنفس له حكم الباطن فإذا ظهر له حكم الظاهر فهو الأول في الباطن والآخر في الظاهر وهو بكل شئ عليم فانه فيه ظهر كل شئ مسمى من معدوم يمكن وجود عينه ومن معدوم يوجد عينه ثم ظهر في عين هذا العماء أرواح الملائكة المهيمية وما هم ملائكة بل هم أرواح مطهرة ثم مازال يظهر فيه صور أجناس العالم شيئاً بعد شئ وطوراً بعد طور إلى ان كمل من حيث أجناسه فلما كمل بقيت الأشخاص من هذه الأجناس تتكون دائماً تكوين استحالة من وجود إلى وجود لا من عدم إلى وجود فخلق آدم من تراب وخلق بني آدم من نطفة وهي الماء المهين ثم خلق النطفة علقه فلهذا قلنا في الأشخاص انها مخلوقة من وجود لا من عدم فان الأصل على هذا كان وهو العماء من النفس وهو وجود وهو عين الحق المخلوق به وأجناس العالم مخلوقون من العماء وأشخاص العالم مخلوقون من العماء أيضاً ومن انواع أجناسه فما خلق شئ من عدم لا يمكن وجوده بل ظهر في أعيان ثابتة وهو قولنا في أول هذا الكتاب الحمد لله الذي أوجد الأشياء عن عدم وعدمه عن عدم من حيث انه لم يكن لها عين ظاهرة وعدمه وعدم العدم وجود أي وان لم يكن لها عين فهذه العين من وجود ظهرت على الحقيقة فأعدمت العدم الأول الذي أثبتته بنسبة ما فهو من حيث تلك النسبة ثابت ومن هذه النسبة الأخرى منفى وإذا تحققت هذا فان شئت قلت هو عن عدم وان شئت قلت هو عن وجود بعد علمك الأمر على ما هو عليه ولولا قوة الخيال ما ظهر من هذا الذي أظهرناه لكم شئ فانه أوسع الكائنات وأكمل الموجودات ويقبل الصور الروحانية وهو التشكل في صور مختلفة من الاستحالة الكائنة والاستحالة منها ما فيها سرعة كاستحالة الأرواح صوراً جسدية والمعاني صوراً جسدية تظهر في كون هذا العماء وثم

استحالات فيها ببطء كاستحالة الماء هواء والماء نار أو النطفة انسانا والعناصر نباتاً وحيواناً فهذه كلها وان كانت استحالات فما لها سرعة استحالة الصور في القوة المتخيلة في الانسان وهو الخيال المتصل ولا في استحالات صور الأرواح في صور الأجسام أجسادا كالملائكة في صور البشر فان السرعة هناك أقوى وكذا زوالها أسرع من استحالات الأجسام بعد الموت إلى ما تستحيل إليه ثم إذا فهمت هذا الأصل علمت ان الحق هو الناطق والحرك والمسكن والموجد والمذهب فتعلم ان جميع الصور بما ينسب إليها مما هو له خيال منصوب وان حقيقة الوجود له تعالى ألا ترى إلى واضع خيال الستارة ما وضعه إلا ليتحقق الناظر فيه علم ما هو أمر الوجود عليه فيرى صوراً متعددة حركاتها وتصرفاتها وأحكامها العين واحدة ليس لها من ذلك شئ والموجد لها ومحركها ومسكنها بيننا وبينه تلك الستارة المضروبة وهو الحد الفاصل بيننا وبينه به يقع التمييز فيقال فيه إله ويقال فينا عبيد وعالم أي لفظ شئت ثم ان هذا في النفوس وهذه في الأجسام فتتجسد في حضرة الخيال كالعالم في صورة اللبن وكذلك تعيين النسب وان كانت لا عين لها لا في النفس ولا في الجسم كالثبات في الأمر نسبة إلى الثابت فيه يظهر هذا الثبات في صورة القيد المحسوس في حضرة الخيال المتصل وكالأرواح في صور الأجسام المتشكلة لظاهر بها كجبريل في صورة دحية ومن ظهر من الملائكة في صور الذر يوم بدر هذا في الخيال المنفصل وكالعصا والحبال وصور الحيات تسعى كما قال يخيل إليه يعني إلى موسى من سحرهم أي من علمهم بما فعلوه انما تسعى فأقاموا ذلك في حضرة الخيال

فأدركها موسى مخيلة ولا يعرف انما مخيلة بل ظن انما مثل عصاه في الحكم ولهذا خاف فقبل له لا تحف انك انت الأعلى فالفرقان بين الخيال المتصل والخيال المنفصل ان المتصل يذهب بذهاب المتخيل والمنفصل وحضرة ذاتية قابلة دائماً للمعاني والأرواح فتجسدها بخاصيتها لا يكون غير ذلك ومن هذا الخيال المنفصل يكون الخيل الخيال المتصل والخيال المتصل على نوعين منه ما يوجد عن تخيل ومنه ما لا يوجد عن تخيل كالنائم كما هو عن تخيل ما يراه من الصور في نومه الذي يوجد عن تخيل ما يمسكه الانسان في نفسه من مثل ما أحسن به أو صورته القوة المصورة انشاء لصورة لم يدركها الحس من حيث مجموعها لكن جميع آحاد المجموع لا بد ان يكون محسوسا فقد يندرج المتخيل الذي هو صورة الملك في صورة البشر وهو من الخيال المنفصل في الخيال المتصل فيرفعه في الخيال المتصل وهو خيال بينهما صورة حسية لولاها ما رفع مثالها الخيال المتصل ومن هذا الباب التجلي الإلهي في صور الاعتقادات وهذا مما يجب الايمان به خرج مسلم في الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري وهو حديث طويل وفيه حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر قياتهم رب العالمين تبارك وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها قال فيقول ماذا تنتظرون لتتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم قال فيقول انا ربكم قال فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً مرتين أو ثلاثاً حتى ان بعضهم ليكاد ان ينقلب فيقول هل بينكم وبين ربكم آية تعرفون بها فيقولون نعم قال فيكشف عن ساق فلا ينبغي من كان يسجد لله من تلقاه نفسه إلا إذن له بالسجود ولا يبي من كل يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد ان يسجد خر على قفاهتم يرفعونه رؤسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول انا ربكم قال فيقولون نعم انت ربنا الحديث فانظر نظر النصف في هذا الخبر من تحول الحق سبحانه في الصور وهو سبحانه لا غيره فانكر في صورة وأقر به في صورة والعين واحدة والصور مختلفة فهذا عين ماأردناه من اختلاف الصور في العماء أعني صور العالم فالصور بما هي صور هي المتخيلات والعماء الظاهرة فيه هو الخيال وفي هذا الحديث شفاء لكل صاحب علة إذا استعمله بالنظر السديد على الانصاف وطلب الحق وهكذا تجليه على القلوب وفي أعيان الممكنات فهو الظاهر وهو الصور بما تعطيه أعيان الممكنات باستعداداتها

فيمر ظهر فيها فالممكنات هو العماء والظاهر فيه هو الحق والعماء هو الحق المخلوق به اختلاف أعيان الممكنات فيانغسها في ثبوتهما والحكم لها فمير ظهر فيها وهكذا أيضاً تجلى الحق للنائم في حال نومه ويعرف الهاحق ولا يشك وكذلك في الكشف ويقول له عابر الرؤيا حقاً رأيت وهو في الخيال المتصل فما أوسع حضرة الخيال وفيها يظهر وجود المحال بل لا يظهر فيها على التحقيق إلا وجود المحال فان الواجب الوجود وهو الله تعالى لا يقبل الصور قد ظهر بالصورة في هذه الحضرة إلا وجود المحالات وكذلك الانسان في بيته نائم ويرى نفسه على صورته المعهودة في مدينة أخرى وعلى حالة أخرى تخالف حاله الذي هو عليها وهو عينه لا غيره لمن عرف أمر الوجود على ما هو عليه ولولا هذه الرائحة ما قدر العقلاء على فرض المحال عند طلب الدلالة على أمر ما لانه لو لم يقبل المحال الوجود في حضرة ما ما صح ان يفرض وجوده ويحكم عليه بما يحكم على الواقع فلو لم يتصوره فقد قبل الوجود بنسبة ما فتحقق ما قلناه تجد الحق ومن هذا الباب مشاهدة المقتول في سبيل الله في المعركة

وهو في نفس الأمر حي يرزق ويأكل يدركه المؤمن بإيمانه والمكاشف ببصره كالميت في قبره يشاهد ساكناً وهو متكلم يسئل ويجيب فان قلت لمن يرى هذا انه خيل له يقول لك بل انت خيل له يقول لك انه ساكت وهو متكلم وخيل لك انه مضطجع وهو قاعد وبعضه في قوله الايمان بالخبر الصحيح الوارد فهو أقوى في الدلالة منك فعينه أتم نظراً من عينك والكامل النظر الذي هو أكمل من الإثنين يقول لكل واحد صدقت هو ساكت متكلم مضطجع قاعدة مقتول حي وكل صورة مشهودة فيه من الباب الذي ذكرناه ومن ذلك الصورة في المرأة وكل جسم صقيل ان كان الجسم الصقيل كبيراً كبرت الصورة المرئية فيه ثم إذا نظرت إلى الصورة من خارج وجدتها غير متنوعة فيما ظهر فيها من التنوع بتنوع المرائي حتى في توج الماء تظهر الصور متموجة وكل عين أي كل نظرة تقول للأخرى انها في مقام الخيال وان الحق بيدها وتصدق كل نظرة منها فتعلم قطعاً ان الصورة المرئية في المرائي والأجسام الصقلية انما ظهورها في الخيال كروية النائم وتشكل الروحاني سواء وانها ليست في المرأة ولا في الحس فانها تخالف صورة الحس من حيث تعلقه الخاص به دون المرأة وليس في الوجود في الغيب والشهادة إلا ما ذكرناه وكذلك ادراكات الجنة فاكهتها لا مقطوعة ولا ممنوعة مع وجود الأكل وارتفاع الحجر فيأكلها من غير قطع بمجرد القطف وقربه من الشخص وعدم امتناعها من القطف ووجود الأكل وبقاء العين في غصن الشجرة فتشاهدها غير مقوعة وتشاهدها قطعاً في يدك أكلها وتعلم ولا تشك ان عين ما تأكله هو عين ما تشهده في غصن شجرته غير مقطوع وكذلك سوق الجنة تظهر فيه صور حسان إذا نظر إليها أهل الجنان فكل صورة يشتهيها دخل فيها فيلبسها ويظهر بها في ملكه ولعينه وهو يراها في السوق ما انفصلت ولا فقدت ولو اشتهاها كل من في الجنة دخل فيها وهي على حالها في السوق ما برحت فهذا كله نظيراً للحقائق كالبياض في كل أبيض بذاته لا انه انقسم ولا تجزأ بل حقيقة البياضية معقولة ما انتقض منها شيء مع وجودها في كل أبيض وكذلك الحيوانية في كل حيوان والانسانية في كل انسان فيعترف بهذا جميع العقلاء وينكرون ما ذكرناه من هذه الأمور في التجلي وغيره فما جاء من ذلك في الكتاب والسنة اعترف به المؤمنون وساعدوا أهل الكشف وانكره أصحاب النظر وان قبلوه قبلوه يتأويل بعيد أو بتسليم لأمن قاله إذا كان القائل الله أو رسوله فان ظهر عنك مثله جهلوك وانكروا ذلك ونسبوك إلى فساد الخيال فهم يعترفون بما انكروه فانهم أثبتوا الخيال وفساده ولا يدل فساد على عدمه وانما هو فساد حيث لم يطابق عنده الصحيح الذي هو الصحيح وسواء عندنا قلت فيه صحيح أو فاسد قد ثبت عينه وان تلكم الصورة في الخيال فدعها تكون صحيحة أو فاسدة ما أبالي ولم يكن مقصودنا إلا إثبات وجود الخيال لم تتعرض إلى صحة ما يظهر فيه ولا إلى فساد فقد ثبت ان الحكم له بكل وجه وعلى كل حال في المحسوس والمعقول والحواس والعقول وفي

الصور والمعاني وفي المحدث وفي القديم وفي الخال وفي الممكن وفي الواجب ومن لا يعرف مرتبة الخيال فلا معرفة له جملة واحدة وهذا الركن من المعرفة إذا لم يحصل للعارفين فما عندهم من المعرفة رائحة ثم انه مما يؤيد ما ذكرناه انك لا تشك انك مدرك لما أدركته انه حق محسوس لما تعلق به الحس وان الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا فنبه ان ما أدركتموه في هذه الدار هو مثل إدراك النائم بل هو إدراك النائم في النوم وهو خيال ولا تشك ان الناس في البرزخ بين هذه الدار ودار الآخرة وهو مقام الخيال فانتباهك بالموت هو كمن يرى انه استيقظ في النوم في حال نومه في النوم رأيت كذا وكذا وهو يظن انه قد استيقظ ويعضد هذا الخبر قوله تعالى في حق الميت فكشفنا عنك غطاؤك فبصرك اليوم حديد أي تدرك ما لم تكن أدركته بالموت فهو يقظة بالنسبة لما كنت عليه في حال الحياة الدنيا ثم إذا بعثت في النشأة الآخرة يقول المبعوث من بعثنا من مرقدنا هذا فكان كونه في مدة موته كالنائم في حال نومه مع كون الشارع سماه يقظة وهكذا كل حال تكون فيه لا بد ل من الانتقال عنه وتبقى مثل ما كنت عليه في خيالك المتصل وفي قوة كونه كان على الحقيقة في الخيال المنفصل إذ لو كان حقيقة ما تغيروا ولا انتقل فإن الحقائق لا تتبدل وحقيقة الخيال

التبدل في كل حال والظهور في كل صورة فلا وجود حقيقي لا يقبل التبديل إلا الله فما في الوجود الحقيقي إلا الله وأما ماسواه فهو في الوجود الخيالي وإذا ظهر الحق في هذا الوجود الخيالي ما ظهر فيه إلا بحسب حقيقته لا بذاته التي لها الوجود الحقيقي ولهذا جاء الحديث الصحيح بتحواله بالصور في تجليه لعباده وهو قوله "كل شئ هالك" فإنه لا يبقى حالة أصلاً في العالم لا كونية ولا إلهية إلا وجهه يريد ذاته إذا وجه الشئ ذاته فلا تملك أين الصورة التي تحول فيها من الصورة التي تحول عنها هذا حظ الصور التي تحول عنها من نسبة الهلاك إليها فمل ما سوى ذات الحق فهو في مقام الاستحالة السريعة والبطنة فكل ما سوى ذات الحق خيال حائل وظل زائل فلا يبقى كون في الدنيا والآخرة وما بينهما ولا روح ولا نفس ولا شئ مما سوى الله أعني ذات الحق على حالة واحدة بل تتبدل من صورة إلى صورة دائماً أبداً وليس الخيال إلا هذا فهذا هو عين المعقولة الخيال أنظره في الأصل حيث قال في العماء فشبه بالسحاب والتشبيه تخيل والعماء هو جوهر العالم كله فالعالم ما ظهر إلا في خيال فهو متخيل لنفسه فهو هو وما هو هو ومما يؤيد ما ذكرناه وما رميت إذ رميت فنفي عين ما أثبت أي تخيلت أنك رميت ولا شك أنه رمى ولهذا قال إذا رميت ثم قال الرمي صحيح ولكن الله رمى أي ظهرت يا محمد بصورة حق فأصابت رميتك ما لا تصيبه رمية البشر كما نفخ عيسى في صورة الطير فكان طيراً فظهر في نفخ عيسى النفخ الإلهي وهو قوله "ونفخت فيه من روحي" والنفخ نفس والعماء عين ذلك النفس فهو نفخ في وجود الحق فتشكل منه خلق في حق فكان الحق المخلوق به ما ظهر من صور العالم فيه وما ظهر من اختلاف التجلي الإلهي فيه وهذا القدر كاف فيما ذهبنا إليه من علم الخيال وقد تقدم في هذا الكتاب معرفة الأرض التي خلقت من بقية طينة آدم عليه السلام وهي ما ظهر من صور العالم فيها فالعلم بتلك الأرض جزء من هذه المسئلة

النوع السابع من المعرفة وهو علم العلل والأدوية ويحتاج إليه من يربي من الشيوخ ولا تنفع هذه الأدوية إلا فيمن يقبل استعمالها فإن لم يستعملها العليل فلا يظهر لها أثر فلنبين إن شاء الله العلل بطريق الحصر لأمهاتها ثم نذكر الأدوية المختصة بها العلل في هه الكريقة ليس لها محل إلا النفوس خاصة لاحظ للعلل فيها البتة ولا للأبدان فإن علل العقول معروفة وعلل الأجسام معروفة وأدوية علل الأجسام موقوفة على الأطباء وأدوية علل العقول إتخاذ الخلوات بالميزان الطبيعي وإزالة التفكير فيها ومداومة الذكر ليس غير ذلك وما بقي لنا الخوض فيه الأعلل النفوس وهي ثلاثة أمراض مرض في الأقوال ومرضي الأفعال ومرض في الأحوال وأما مرض

الاعتقادات فهو مرض العقول وقد ذكرناه فلنذكر أمراض الأقوال فمنها التزام قول الحق وهو من أكبر الأمراض دواؤه معرفة المواطن التي ينبغي أن يصرفه فيها فإن الغيبة حق وقد نهي عنها والنميمة حق وقد نهي عنها وما يفعله الرجل مع أهله في فراشه إذا أفضى إليها فيقول في ذلك حقاً وهذا القول من الكبائر والنصيحة في المأى بالحق حق وهو فضيحة ولا تقع ألا من الجهلاء وأصحاب الأغراض لأن الفائدة المطلوبة من النصيحة حصول المنفعة وثبوت الود فإذا وقع النصيح في المأى لم يحصل القبول وأثر عداوة وذمه الله فإنه ينجل بتلك النصيحة في المأى ويجعل الشخص الذي خاطبه بالنصح في المأى يكذب في اعتذاره عن ذلك ويجد عليه فيه ويكون ذلك سبباً إلى فساد كبير فلو نصحه في خلوة بطريقة حسنة بأن يظهر له عيب نفسه في نفس الأمر ولا يشعره أنه يقصده بذلك ليعلمه أن كان جاهلاً بقبح ذلك الأمر الذي نصحه فيه شكره في نفسه وأحبه ودعى له وأثر له الخير وكان في ميزانه فما كل حق مأمور به ولا مستحسن شرعاً ولا عرفاً وكذلك من يجهل الناس بما يكرهون وأن كان حقاً فإنه يدل على لؤم الطباع والجهل وقلة الحياء من الله فإنه بعيد أن يسلم في نفسه من عيب يكون فيه لا يرضى الله فلو اشتغل بالنظر في عيبه لشغله ذلك عن عيب غيره ومن ألتزم تتبع حركات صاحبه بحيث أن يقيد عليه أنفاسه فهو من أشد الأمراض فإنه شغل بما لا يعنيه وغفلة عن نفسه والنفس تخزنه عندها في زمان صداقته ليوم ما وهو لا يشعر ويحجبه عن هذا الشعور محبته فيه في الوقت فإذا وجد في نفسه أدنى كراهة في صاحبه أو أعراض للملل أو هفوة صدرت منه في حقه أخراج ما كان عنده مخزوناً من القبائح التي كان خبائها عنده وأختزنها له في نفسه في تتبعه فيقول له في معرض التوبيخ ألم تقل كذا في يوم كذا ألم تفعل كذا في يوم كذا ثم إذا عدد عليه ما كان أختزنه يقول له وهذا كله يدل على قلة الدين أو عدم الدين وأنا كنت أرى منك هذا كله وأقول لعل له في هذا وجهاً ولا وجه لك فيه في الشرع وهذا خلاف الحق فيسمع ما يكره وما كان غافلاً عنه وما كان يعلم أن هذا يحصى عليه أنفاسه ويرجع عليه من أكبر الأعداء وأصل هذا كله من التتبع لمثاله وأختزانه إياها في خزانة نفسه وذلك لسوء الطبع ودناءة الأصل والفرع وهذا يوجد في الأصحاب والأصدقاء كثيراً وقد قيل في ذلك

أحذر عدوك مرة

وأحذر صديقك ألف مرة

فلربما هجر الصدي

ق فكان أعرف بالمضرة

وهذا كله وبال يعود على قائله وأن كان حقاً ومن أمراض الأقوال السؤال عن أحوال الناس وما يفعلون ولم جاء فلان ولم مشى فلان والسؤال عن كل ما لا يعني وسؤاله عن أهله ما فعلوا في غيبته داواه التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في كونه ما أتى أهله من سفره ليلاً ونهيه أصحابه عن ذلك حتى لا يفجأهم فيرى منهزماً يكره والأستئذان من هذا الباب أبقاء للستر فإنه قد علم أن لكل أحد هنات وأيضاً فما كل ما يعمل الإنسان وأن كان خيراً يجب أن يعلمه منه كل أحد فإذا ألح هذا السائل عن العلم به أضر بالمسؤول حيث جعله ينطق بما لا يريد أو يكذب فإن لم ينطق أثر في نفس السائل حزازة ويقول لو كنت عنده بمكانة ما ستر عني ما سألت عنه فنقص من خلوص مودته التي كانت له في نفسه ولو حصلت له قهمة في نفسه تؤديه إلى مثل هذا الفعل فليس له ذلك شرعاً ولا عقلاً ولا مروءة وهذا باب قل أن يقع ألا من خبيث الباطن لا دين له سيئ السريرة قال صلى الله عليه وسلم من حسن أسلام المرء تركه ما لا يعنيه ومن أمراض الأقوال الأمتنان والتحدث بما يفعله من الخير مع الشخص على طريق المن والمن الأذى

دواؤه لما كان يسوءه ذلك ويحبط أجر رب النعمة فإن الله تعالى قد أبطل ذلك العمل بقوله لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى وأي أذى أعظم من المن فإنه أذى نفسي ودواؤه أنه لا يرى أو صل إليه مما كان في يديه ألا ما هو له في علم الله وأن ذلك الخير إنما كان أمانة بيده ما كان له لكنه لم يكن يعرف صاحبها فلما أخرجها بالعتاء لمن عين الله في نفس الأمر حينئذ يعرف صاحب تلك الأمانة فشكر الله على أدائها ومن أعطي هذا النظر فلا تصح منه منة أصلاً ومن أمراض الأقوال أيضاً أن يفعل الرجل الخير مع بعض أولاده لأمر في نفسه وبعض أولاده ما فعل معهم ذلك الخير فيقول له قائل بحضور من لم يفعل معه ذلك من أولاده لم لم تفعل مثل ذلك مع هذا الولد الآخر فهذا من فضول الكلام حيث قاله بحضور ولده ويشمر في نفس الولد عداوة لأبيه ولا يقع مثل هذا ألا من جاهل كثير الفضول فإنها كلمة شيطانية وليس لها دواء بعد وقوعها وأما قبل وقوعها فدواؤها أن ينظر في قول النبي صلى الله عليه وسلم من حسن أسلام المرء تركه ما لا يعنيه ومن أمراض الأقوال أيضاً أن يقول الإنسان أنا أقول الحق ولا أبالي عز على السامع ذلك أو لم يعز عليه من غير أن ينظر إلى فضول القول وموطنه ثم يقول قلت لفلان الحق وعز عليه سماعه ويزكي نفسه ويجرح غيره وينسى قوله تعالى لا خير في كثير من نجواهم وهم دواء هذه العلة الدواء لا خير في كثير من نجواهم ألا من أمر بصدقة ولها مواطن وصفة مخصوصة وهو أن يأمره في السر لا في الجهر فإن الجهر علة لا يشعر بها لأنه قد يعطيها لغير الله ثم قال أو معروف وقول المعروف هو القول في موطنه الذي عينه الله ويرجو حصول الفائدة به في حق السامع فهذا معنى أو معروف فمن لم يفعل فهو جاهل وأن أدعى العلم ثم قال "أو إصلاح بين الناس" فيعلم أن مراد الله التوادد والتجانب فيسعى في ذلك وأن لم يجعل الكلام في موضعه أدى إلى التقاطع والتنافر والتدابير ثم بعد هذا كله قال في حق المتكلم ومن لم يفعل ذلك أبتغاء مرضات الله ولا يكون ذلك ألا ممن يعلم ما يرضي الله ولا يعلم ما يرضي الله ألا بالعلم بما شرع الله في كتابه وعلى لسان رسوله فيرى عند ما يريد أن ينطق بالأمر هل نطقه به في ذلك الموطن يرضي الله من جميع الوجوه فإن وجد وجهاً يقدح فيه فالكلمة غير مقبولة وغير مرضية عند الله فإنه لا يحتمل التجزي ولا الانقسام وهذا موضع غلط ودواءه ما قلنا من العمل المشروع والعلو بما يرضي الله ومن أمراض الأقوال أيضاً تغيير المنكر على شخص معين من سلطان وغيره دون أن يعم دواءه معرفة الميزان في ذلك وبراءته في نفسه من كل منكر يعلم أن الشرع ينكره عليه في مذهبه وأجتهاده لا غير ولا يلزمه ما هو عند غيره منكر وعنده مباح ثم الذي هو عنده منكر ينظر إلى من يغيره عليه ذلك أن كان ممن هو عنده معروف كالنبيذ عند الحنفي المتخذ من التمر إذا رآه يشر به أو يتوضأ به وهو عنده حرام فلا يغيره ألا على من يعتقد تحريمه خاصة أو يكون من المنكر المجمع عليه فهذا هو الميزان وتفاريع الأقوال كثيرة وحصر عللها وأدويتها في أمرين الواحد أن تتكلم إذا أشتيت أن تسكت وإذا أشتيت أن تتكلم

والأمر الآخر أن لا تتكلم ألا فيما أن سكت عنه كنت عاصياً وأن لم فلا وأياك والكلام عندما تستحسن كلامك وتستحليه فإن الكلام في ذلك الوقت من أكبر الأمراض وما له دواء ألا الصمت لا غير ألا أن تشهد على رفع الستر هذا هو الضابط وصل وأما أمراض الأفعال فهو أن يكون أداؤك لذلك الفعل الذي هو عبادة كالصلاة مثلاً في الملاء أحسن من أدائك في السر يقول صلى الله عليه وسلم في مثل هذه الفعلة تلك أستهان أستهان بها ربه في رجل حسن صلاته في الملاء وأساءها في الخلوة وهذا من أصعب الأمراض النفسية ودواءه ألم يعلم بأن الله يرى ويعلم سرهم وجهركم والله أحق أن يستحي منه وأمثال هذه الآيات والأخبار ولهذا دواء آخر ولكن يغمض تركيبيه وهو أن ينوي بتحسينه تعليم الجاهل وتذكيرة الغافل ومن الأمراض الفعلية أيضاً ترك العمل من أجل الناس وهو الرياء عند الجماعة وأما العمل من أجل الناس فذلك شرك ما هو رياء عند السادة من أهل الله ودواؤه "والله خلقكم وما

تعلمون" وما أشبه هذه الآية فاعلم ذلك وصل وأما أمراض الأحوال فصحبة الصالحين حتى يشتهر في الناس أنه منهم وهو في نفسه مع شهوته فإن حضروا سماعاً وهو قد تعشق بجمارية أو غلام والجماعة لا تعلم بذلك فأصابه وجد وغلب عليه الحال لتعلقه بذلك الشخص الذي في نفسه فيتحرك ويصيح ويتنفس الصعداء ويقول الله الله أو هو هو ويشير بأشارات أهل الله والجماعة تعتقد في حاله أنه حال ألهي مع كونه ذا وجد صحيح وحال صحيحة ولكن فيمن دواءه "وقد خاب من دساها" وما أشبه هذه الآية من الأخبار ومن أمراض الأحوال أيضاً أن يلبس دون ما في نفسه دواؤه أن يلبس ما في نفسه مما يحل له لباسه وأمثال هذا فمن عرف هذه العلل وأدوائها وأستعملها مع نفسه نفعها حكى عن الشيخ روز بهار أنه كان قد أبتلى بحب امرأة مغنية وهام فيها وجدا وكان كثير الزعقات في حال وجده في الله بحيث أنه كان يشوش على الطائفين بالبيت في زمن مجاورته فكان يطوف على سطوح الحرم وكان صادق الحال ولما أبتلى بحب هذه المغنية لم يشعر به أحد وأنتقل حكم ذلك الذي كان عنده بالله بما وعلم أن الناس يتخيلون فيه أن ذلك الوجد لله على أصله فجاء إلى الصوفية وخلع الخرقة ورمى بها إليهم وذكر للناس قصته وقال لا أريد أكذب في حالي ولزم خدمة المغنية فأخبرت المرأة بحاله ووجدوا بها وأنه من أكابر أهل الله فأستحت المرأة وتابت إلى الله مما كانت فيه ببركة صدقه ولزمت خدمته وأزال الله ذلك التعلق بها من قلبه فرجع إلى الصوفية ولبس خرقة ولم ير أن يكذب مع الله في حاله فهكذا صدقهم فهذا حصر الأمر فإن الإنسان لا يخلو أن يقام في قول أو فعل أو حال وما ثم رابع وكذلك صاحب القيام في حال الوجد إذا قام بوجده ثم زال عنه جلس من حينه ولا يتواجد فإن تواجد ولم يقل للحاضرين أنه متواجد فهو صاحب مرض فهذا جماع هذه المسئلة وتفاريع الأقوال والأفعال والأحوال كثيرة فليحذر من الكذب في ذلك وليلزم الصدق ولا يظهر للناس ألا بما يظهر لله في الموطن الذي ينبغي فإن العلم بحكم الله في تفاصيل هذه الأمور شرط في أهل الله ولا بد من ذلك فما عبد الله من لم يعلم حكمه فإن الله ما أتخذ ولياً جاهلاً فهذا قد ذكرنا جماع أبواب المعرفة وفصولها التي إذا حصلها الإنسان سمى عارفاً خاصة فإن زاد على هذا العلم بالله وما يجب له وما يجوز عليه وما يستحيل ويفرق بين علمه بذاته وبين علمه بكونه ألهاً فهذا مقام العلماء بالله لا مقام العارفين فإن المعرفة محجة وطريق والعلم حجة والعلم نعت ألهي والمعرفة نعت كيانى نفسى ربانى وهذا الباب للمعرفة غير أن أصحابنا من أهل الله قد أطلقوا على العلماء بالله أسم العارفين وعلى العلم بالله من طريق الذوق معرفة وحدوا هذا المقام بنتائجه ولوازمه التي تظهر عن هذه الصفة في أهلها سئل الجنيد عن المعرفة والعارف فقال لون الماء لون أناته أي هو متخلق بأخلاق الله حتى كأنه هو وما هو هو وهو هو فالعارف عند الجماعة من أشعر الهيبة نفسه والسكينة وعدم العلاقة الصارفة عنه وأن يجعل أول المعرفة لله وآخرها ما لا يتناهي ولا يدخل قلبه حق ولا باطل وأن توجب له الغيبة عن نفسه لأستيلاء ذكر الحق فلا يشهد غير الله ولا يرجع إلى غيره فهو يعيش بربه لا بقلبه وأن تكون المعرفة إذا دخلت قلبه تفسد أحواله التي كان عليها بأن تقلبها إليه تعالى لا بأن تعدمها فإنها عندهم كما قال الله تعالى عن قول بلقيس أن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون عندنا ليس كذلك بل يجعلوا أعزة أهلها بالله بعدما كانت بغير الله وذلتها لله لا لغير الله فلا حال عندهم للعارف لحو رسومه وفناء هويته وغيبته أثره وأنه لا تصح المعرفة وفي العبد أستغناء بالله وأن العارف أحرص منقطع مقتنع عاجز عن الشاء على معروفه وأنه خائف متبرم بالبقاء في هذا الهيكل وأن كان منوراً لما عرفه الشارع أن في الموت لقا الله فتنغصت عليه الحياة الدنيا شوقاً إلى ذلك اللقاء فهو صافي العيش كدر طيب الحياة في نفس الأمر لا في نفسه قد ذهب عنه كل مخلوق وهابه كل ناظر إذا رى ذكر الله وأنه ذو أنس بالله وأن يكون مع الله بلا فصل ولا وصل حيى في قلبه تعظيم قلبه مرآة للحق حلیم محتمل فارغ من الدنيا والآخرة

ذو دهش وحيرة يأخذ أعماله عن الله ويرجع فيها إلى الله بطنه جائع وبدنه عار لا يأسف على شيء أذ لا يرى غير الله طيار تبكي عينه ويضحك قلبه فهو كالأرض يطأها البر والفاجر وكالسحاب يظل كل شيء وكالمطر يسقي ما يحب وما لا يحب لا تميز عنده لا يقضي وطره من شيء بكاءه على نفسه وثناؤه على ربه يضيع ما له ويقف مع ما للحق لا يشتغل عنه طرفه عين عرف ربه بربه مهدي في أحواله لا يلحظه الأغيار ولا يتكلم بغير كلام الله مستوحش من الخلق ذو فقر وذلة يورث غنى وعزة معرفته طلوع حق على الأسرار وموصلة الأنوار حاله فوق ما يقول أستوت عنده الحالات في الفتح فيفتح له على فراشه كما يفتح له في صلاته وأن أختلفت الواردات بحسب المواطن دائم الذكر ذلوا مع يسقط التمييز لا يكدره شيء ويصفو به كل شيء تضيء له أنواع العلم فيبصر بها عجائب الغيب مستهلك في بحار التحقيق صاحب أمواج تغطف وترفع وتخط صاحب وقت وأستيفاء حقوق المراسم الألهية على التمام نعتة في تحوله من صفة إلى صفة دائم لا يتعمل ولا يجتلب أحيان الوقت يسع الأشياء ولا تسعه يرجو ولا يرجى رحيم مؤنس مشاهد جلال الحق وجمال الحضرة أمعة مع كل وارد يصادف الأمور من غير قصد له وجود في عين فقد ذو قهر في لطف ولطف في قهر حق بلا خلق مشاهد قيام الله على كل شيء فإن عنه به باق معه به غائب عن التكوين حاضر مع المكون صاح بغيره سكران بحبه جامع للتجلي لا يفوته ما مضى بما هو فيه ثابت المواصله محكم للعبادة في العادة مع إزالة العلل طائع بذاته قابل أمر ربه متره عن الشبيه تجري عليه منه أحكام الشرع في عين الحقيقة ذو روح وريحان قلبه طريق مطرقة لكل سالك صاحب دليل وكشف وشهود يكرم الوارد ويتأدب مع الشاهد برئ من العلل صاحب القاء وتلق مضمون به مستور بولمه محبوس في الموقف ذاهب تحت القهر رجوعه سلوك وحجابه شهود سره لا يعلم به زره كلما ظهر له وجه علم أنه بطن عنه وجه منفرد بلا أنفراد متواتر الأحوال بحكم الاسماء أمين بالفهم قابل للزيادة موحد بالكثرة صاحب حديث قديم يعلم ما وراء الحجب من غير رفع حجاب ذو نور طامس شعاعاته محرقة وفجآت وأرداته مقلقة يرد عليه ما لا يعرف متمكن في تلوينه لكون خالقه كل يوم في شأن مجرد بكنه عن السوى واقف بالحق في موطنه يريد لكل ما يراد منه ذو عناية ألهية تجذبه سالك في سكون مقيم في سفره صاحب نظرة ونظر يجد ما لا تسعه العبارة من دقائق الفهم عن الله من غير سبب مهذب الأخلاق غير قائل بالأتحاد ذاهب في كل مذهب بغير ذهاب مقدس الروح عن رعونات النفوس معلوم المراتب في البساط مؤمن بالناطق في سره مصغ إليه راغب فيما يرد به مشفق مما في باطنه مظهر خلاف ما يخفي لمصلحة وقته وله لا يحكم عليه غريب في الملاء الأعلى والأسفل ذو همة فعالة مقيدة غير مطلقة غيور على الأسرار أن تذاع لا يسترقه شيء يطالع بالكوائن على طريق المشورة بأستجلاء في ذلك يجده يمنعه ذلك من الأنزعاج لأنه لا يقتضيه مقام الكون له جماع الخير يتحكم بالمشيئة لا بالاسم قد أستوت طرفاه فأزله مثل أبده تدور عليه المقامات ولا يدور عليها له يدان يقبض بهما ويسط في عالم الغيب والشهادة عن أمر الحق ولاية وخلافة حمال أعباء المملكة يستخرج به غيايات الأمور ينشئ خواطره أشخاصاً على صورته محفوظ الأربعة فريد من النظر آله في الملكوت وقائع مشهودة ونعوت العارف أكثر من أن تحصى فهذه بعض أشارات الطائفة في حقيقة العارف

والمعرفة جننا بما لنعلم مقاصدهم في ذلك حتى لا يقول أحد عنا أنا قد أنفردنا بطريق لم يسلكوا عليها بل الطريق واحدة وأن كان لكل شخص طريق تخصه فإن الطرق إلى الله تعالى على عدد أنفاس الخلائق يعني أن كل نفس طريق إلى الله وهو صحيح فعلى قدر ما يفوتك من العلم بالأنفاس ومراعاتها يفوتك من العلم بالطرق ويقدر ما يفوتك من العلم بالطرق يفوتك من غاياتها وغاية كل طريق هو الله فإنه إليه يرجع الأمر كله وأما صفة العارف عندنا من الموطن الألهي الذي يشهده العارفون من الحق في وجودهم وهو

شهود عزيز وذلك أن يكون العارف إذا حصلت له المعرفة قائماً بالحق في جميعته نافذاً لهمة مؤثراً في الوجود على الإطلاق من غير تقييد لكن على الميزان المعلوم عند أهل الله مجهول النعت والصفة عند الغير من جميع العالم من بشر وحن وملك وحيوان لا يعرف فيحد ولا يفارق العادة فيميز حامل الذكر مستور الحال عام الشفقة على عباد الله يفرق في رحمته بين من أمر برحمته حتى يجعل له خصوص وصف عارف بأرادة الحق في عبادته قبل وقوع المراد فيريد بإرادة الحق لا ينازع ولا يقاوم ولا يقع في الوجود ما لا يريده وإن وقع ما لا يرضى وقوعه بل يكرهه شديد في لين يعلم مكارم الأخلاق في سفاسفها فيترها منازلها مع أهلها تتزيل الحكيم برئ مما تبرأ الله منه محسن إليه مع البرأة منه مصدق بكل خير في العالم كما يعلم عند الغير أنه كذب فهو عنده صدق مؤمن عباد الله من غوائل مشاهدة تسبيح المخلوقات على تنوعها اذكراها لا تظهر إلا لعارف مثله إذا تجلى له الحق يقول أنا هو لقوة التشبه في عموم الصفات الكونية والإلهية وإذا قال بسم الله كان عن قوله ذلك كل ما قصده بجمته لا يقول كن أدباً مع الله يعطى المواطن حقها كبير بحق صغير لحق متوسط مع حق جامع لهذه الصفات في حال واحدة خبير بالمقادير والأوزان لا يفرط ولا يفرط يتأثر مع الآنات لتغيير الأحوال فلا يفوته من العالم ولا مما هو عليه الحق في الوقت شي مما يطلبه العالم في زمن الحال يشاهد نشأ الصور من أنفاسه بصور ما هو عليه في قلبه عند خروج النفس فإذا ورد عليه النفس الغريب من خارج لتبريد القلب خلع على ذلك النفس خلعة الوقت فينصبغ ذلك النفس بذلك النور الذي يجد في القلب يستر مقامه بحاله وحاله بمقامه فيجعله أصحاب الأحوال بمقامه ويجعله أصحاب المقامات بحاله له عنف عن شهوته إذا لم يروجه الحق في طبيعتها يبذل لك لا له عطاؤه غير معلول لا يمن إذا امتن وبمئن بقبول المن لا يؤاخذ الجاهل بجهله فإن جهله له وجه في العلم لا يشعر المعطى من عنده حين ما يعطيه يعرفه أن ذلك أمانة عنده أمر بإيصاله إليه لا يعرفه أن ذلك من عند الله يفتح مغاليق الأمور المشككة بالنور المبين يأكل من فوقه ومن تحت رجله يضم القلوب إليه إذا شاء من حيث لا تشعر ويرسلها إذا شاء من حيث لا تشعر يملك أزمة الأمور وتملكه بما فيها من وجه الحق لا غير ينظر إلى العلو فينسل بنظره وينظر إلى السفلى فيعلو ويرتفع بنظره يحجر الواسع ويوسع المحجور يسمع كل مسموع منه لا من حيثية ذلك المسموع ويبصر كل مبصر منه لا من حيث ذلك المبصر يقتضي بين الخصمين بما يرضى الخصمين فيحكم لكل واحد لا عليه مع تناقض الأمر يميل إلى غير طريقه في طريقه لحكمه الوقت يغلب ذكر النفس على ذكر الملاء من أجل المفاضلة غير أن يفاضل الحق فإنه ذاكر بحق في حق الأمور كلها عند ذوقية لا خبرية يعرف ربه من نفسه كما علم الحق العالم من علمه بنفسه لا يؤاخذ بالجرمة فإن الجريمة استحقاق والمجرم المستحق عظمته في ذلته وصغاره لا ينتقل عن ذلته في موطن عظمته دنيا وآخرة هو في علمه بحسب علمه أن اقتضى العمل عمل وأن اقتضى أن لا عمل لم يعمل عنده خزائن الأمور بحكمه ومفاتيحها بيده يتزل بقدر ما يشاء ويخرج ما يشاء من غير اشتعار غواص في دقائق الفهوم عند ورود العبارات له نعوت الكمال له مقام الخمسة في حفظ نفسه وغيره ينظر في قوله "أعطي كل شيء خلقه" فلا يتعداه يدبر أمور الكون بينه وبين ربه كالمشير العالم الناصح في الخدمة القائم بالحرمة لا أينية لسره لا يخل عند السؤال ينظر في الآثار الألهية الكائنة في الكون ليقابلها بما عنده لما سمع الله يقول سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم يسمع نداء الحق من ألسنة الخلق يسع الأشياء ولا تسعه سوى ربه فهو ابنه وعينه مرتب للأوامر الألهية الواردة في الكون ثابت في وقت التزلزل لا تزلزله الحادثات ليست في الحضرة الألهية صفة لا يراها في نفسه يظهر في أي صورة شاء بصفة الحياة مع الوقوف عند المحدود يعرف حقه من حق خالقه يتصرف في الأشياء بالاستحقاق ويصرف الحق فيها بالاستخلاف له الأقتدار الألهي من غير مغالبة لا تنفذ فيه همم الرجال ولا يتوجه للحق عليه حق يتولى الأمور

بنفسه لا بربه لأنه لا يرى نفسه لغلبته ربه عليه تعود عليه صفات التزیه مع وجود التشبيه يحصي أنفاسه بمشاهدة صورها فيعلم ما زاد وما نقص في كل يوم وليلة ينظر في المبدء والمعاد فيرى ألتقاء طرفي الدائرة يلقي الكلمة في الحل القابل فيبدل صورته وحاله في أي صورة كان ما يظاً مكاناً ألا حي ذلك المكان بوطأته لأنه وطئه بحياة روحية إذا قام قام لقيامه ربه ويغضب لغضبه ويرضى لرضاه فإن حالته في سلوكه كانت هكذا فعادت عليه هل جزاء الأحسان ألا الأحسان لا يخطر له خاطر في شيء ألا تكون ولا يعرف ذلك الشيء أنه كونه له على الأشياء شرف العما لا شرف الأستاذ فهو وحيد في الكون غير معروف العين من لجأ إليه خسر ولا تقتضي حاجته ألا به فإنه ظاهر بصورة العجز وقدرته من وراء ذلك العجز لا يمتنع عن قدرته ممكن كما لا يمتنع عن قدرة خالقه محال ليصبح الأمتياز فهذا وأن تأخر بظاهره فهو متقدم بباطنه ليجمع في شهوده بين الأول والآخر والباطن والظاهر بحسن للمسئ والمحسن يرجع إلى الله في كل أمر ولا ينتقم لنفسه ولا لربه ألا بأمره الخاص فإن لم يأمره عفى بحق لشهوده السابقة في الحال القليل عنده كثير والكثير عنده قليل يجري مع المصالح فيكون الحق له ملكاً يسبح أسماء الله بتزيتها عن أن تنالها أيدي الغافلين غير على الجنات الألهي من حيث كونها دلائل عليه دلالة الاسم على المسمى أن ولي منصباً يعطي العلو لم ير فيه متعالياً بالله فأحرى بنفسه يعدل في الحكم ولا يتصف بالظلم جامع علوم الشرع من عين الجمع مستغن عن تعليم المخلوقين بتعليم الحق يعطي ما تحصل به المنفعة ولا تعطي ما تكون به المضرة أن عاقب فتظهير لا تبقي مع نور عدله ظلمة جور ولا مع نور علمه ظلمة جهل يبين عن الأمور بلسان ألهي فيكشف غامضها ويجليها في منصتها يخترع من مشاهدة صورة موجدته لا من نفسه وليس هذا لكل عارف ألا لمن يعلم المصارف فإنه مشاهد ضنين له البقاء في التلوين يرث ولا يورث بالنبوة العامة يتصرف ويعمل ما ينبغي كما ينبغي لما ينبغي يؤدي فيحلم عن مقدرة وإذا أخذ فبطشه شديد لأنه خالص غير مشوب برحمة قال أبو يزيد بطشي أشد فهذه صفة العارف عندي فتحقق فإن موطن هذا لما خذ عزيز والله ذو الفضل العظيم وصل في تسمية هذا المقام بالمعرفة وصاحبه بالعارف اختلف أصحابنا في مقام المعرفة والعارف ومقام العلم والعالم فطائفة قالت مقام المعرفة رباني ومقام العلم ألهي وبه أقول وبه قال المحققون كسهل التستري وأبي يزيد وابن العريف وأبي مدين وطائفة قالت مقام المعرفة ألهي ومقام العلم دونه وبه أيضاً أقول فإنهم أرادوا بالعلم ما أردناه بالمعرفة وأرادوا بالمعرفة ما أردناه بالعلم فالخلاف فيه لفظي وعمدتنا قول الله تعالى "وإذا سمعوا ما أنزل إلى رسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق" فسماهم عارفين وما سماهم علماء ثم ذكر ذكرهم فقال يقولون ربنا ولم يقولوا ألهنا آمنا ولم يقولوا علمنا ولا شاهدنا فأقروا بالاتباع فأكتبنا مع الشاهدين وما قالوا نحن من الشاهدين وقالوا وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ولم يقولوا ونقطع أن يدخلنا ربنا ولم يقولوا ألهنا مع القوم ولم يقولوا مع عبادك الصالحين كما قالت الأنبياء فقال الله لهؤلاء الطائفة التي صفتهم هذه فأتاهم الله بما قالوا جنات محل شهوات النفوس فإنزلناهم حيث أنزلهم الله وقد استوفينا القول في الفرق بين المعرفة والعلم في كتاب مواقع النجوم وبيننا فيه أن القائل بمقام المعرفة إذا سأله عنه أجاب بما يجيب به المخالف في مقام العلم فوق الخلاف في التسمية لا في المعنى ثم حدث لهم في هذا المقام خلاف آخر هل الموصوف به مالك جميع المقامات أم لا والصحيح أنه ليس من شرطه التحكم وأن ملك جميع المقامات بما يعطيه من الأحوال والتصرف في العالم وأما شرطه أن يعلم فإذا أراد التحكم نزل إلى الحال لأن التحكم للأحوال

إذا علم أن نزوله غير مؤثر في مقامه ولهذا لا يتزلون إلى الحال ألا عن أمر ألهي فإذا سمع من شيخ محقق في هذا الطريق أن صاحب هذا المقام مالك جميع المقامات فإنه يريد بالعلم لا بالحال وقد يعطي الحال ولكن ما هو بشرط فإن قال أحد أنه شرط فهو مدع لا

معرفة له بطريق الله ولا بأحوال الأنبياء وأكابر الأولياء ويرد عليه هذا القول فإن الكامل كلما علا في المقام نقص في الحال أعني في الدنيا وأما في الآخرة فلا كما أن المشاهدة تغني عن رؤية الأغيار كذلك المقام يذهب بالأحوال لأن الثبوت يقابل الزوال أنتهى
الجزء الحادي عشر ومائة

الجزء الثاني عشر ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

وأعلموا أن الله تعالى لما خلق القوة المسماة عقلاً وجعلها في النفس الناطقة ليقابل بها الشهوة الطبيعية إذا حكمت على النفس أن تصرفها في غير المصرف الذي عين لها الشارع فعلم الله أنه قد أودع في قوة العقل القبول لما يعطيه الحق ولما تعطيه القوة المفكرة وقد علم الله أنه جعل في القوة المفكرة التصرف في الموجودات والتحكم فيها بما يضبطه الخيال من الذي أعطته القوى الحسية ومن الذي أعطته القوة المصورة مما لم تدركه من حيث المجموع بالقوة الحسية فعلم أنه لا بد أن تحكم عليه القوة المفكرة بالتفكر في ذات موجدته وهو الله تعالى فأشفق عليها من ذلك لما علمه من قصورها عن درك ما ترومه من ذلك فخاطبها قرآناً "ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد" يقول ما حذرناكم من النظر في ذات الله ألا رحمة بكم وشفقة عليكم لما نعلم ما تعطيه القوة المفكرة للعقل من نفي ما نشبهه على السنة رسلي من صفلي فتدرونها بأدلتكم فتحرمون الإيمان فتشقون شقاوة الأبد ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينهانا أن نفكر في ذات الله كما فعل بعض عباد الله فأخذوا يتكلمون في ذات الله من أهل النظر وأختلفت مقالاتهم في ذات الله وكل تكلم بما اقتضاه نظره فنفي واحد عين ما أثبتته الآخر فما أجمعوا على أمر واحد في الله من حيث النظر في ذاته وعصوا الله ورسوله بما تكلموا به مما نهاهم الله عنه رحمة بهم فرغبوا عن رحمة الله وضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا فقالوا هو علة وقال آخرون ليس بعلة وقال آخرون ذات الحق لا تصح أن تكون جوهرًا ولا عرضًا ولا جسمًا بل عين أنيتها عين ماهيتها وأما لا تدخل تحت شيء من المقولات العشرة وأظنوا في ذلك وكانوا كما جاء في المثل أسمع جعجعة ولا أرى طحناً ثم جاء الشرع بنقيض ما دلت عليه العقول فجاء بالجئي والتزول والأستواء والفرح والضحك واليد والقدم وما قد روينا في صحيح الأخبار مما هو من صفات المحدثات ثم جاء بليس كمثلته شيء مع ثبوت هذه الصفات فلو أستحالت كما يدل عليه العقل ما أطلقها على نفسه ولكان الخبر الصدق كذباً أذ ما بعث الله رسولاً ألا بلسان قومه ليبين لهم ما أنزل إليهم ليفهموا وقد بين صلى الله عليه وسلم وبلغ وأشهد الله على أمته أنه بلغ فجعلنا النسبة بليس كمثلته شيء خاصة وفهمنا معقول هذه الألفاظ الواردة وأن المعقول منها واحد بالنظر إلى الوضع فتختلف نسبتها باختلاف المنسوب إليه ما تختلف حقائقها لأن الحقائق لا تبدل فمن وقف مع هذه الألفاظ ومعانيها وقال بعدم علم النسبة إلى الحق فهو عالم مؤمن ومن نسبها على وجه من وجوه المصارف الخارجة عن التجسيم فلا مؤمن ولا عالم فلو أنصف هذا الناظر في ذات الله ما نظر في ذات الله وآمن بما جاء من عند الله أذ قد دله دليل على صدق المخبر وهو الرسول فهذا منعي في هذا الباب من الكلام في ذات الله بما تعطيه أدلة العقول وعدلنا إلى علم ذلك بما جاء من المنقول مع نفي المماثلة في النسبة والعلم الصحيح بحقيقة الصفة الواردة الموصوف بها ذاتاً مجهولة وقد نصحتك فاعلم وأثبت على ما جاءتك به الشريعة تسلم فهو أعلم بنفسه وأصدق في قوله وما عرفنا إلا بما هو عليه لا أله إلا هو العزيز الحكيم سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

الباب الثامن والسبعون ومائة في معرفة مقام المحبة

الحب ينسب للأنسان والله
الحب ذوق ولا تدري حقيقته
لوازم الحب تكسوني هويتها
بالحب صح وجوب الحق حيث يرى
أستغفر الله مما قلت فيه وقد
ومما يتضمن هذا الباب أيضاً قولنا

بنسبة ليس يدري علمنا ما هي
أليس ذا عجب والله والله
ثوب النقيضين مثل الحاضر الساهي
فينا وفيه ولسنا عين أشباه
أقول من جهة الشكر لله

أحببت ذاتي حب الواحد الثاني
والحب منه ألهي أتنك به
وقد سألت وما أدري سؤالكم
فكل حب له بدء يحققه

والحب منه طبيعي وروحاني
ألفاظ نور هدى في نص قرآن
عن أي حب ولا عن أي ميزان
علمي سوى حب رب ماله ثاني

وكل حب له بدء وليس له
لا يوصفان إذا حققت شأنهما
فغاية الحب في الأنسان وصلته
وغاية الوصل بالرحمن زندقه
أن لم أصوره لم تعلم بمن كلفت
ومما يتضمنه هذا الباب أيضاً قولنا

نهاية غير حب الطبع وأثنان
وما هما بنهايات ونقصان
روحاً بروح وجشماناً بحشمان
فإن أحسانه جزء أحسان
نفسى وتصويره رد لبرهان

أنا محبوب الهوى لو تعلموا
فإذا أنتم فهمتم غرضي
ما لقومي عن كلامي أعرضوا
ما لقومي عن عيان ما بدى
لست أهوى أحداً من خلقه
مذ تألّفت رجعت مظهراً
أنا حبل الله في كونكم
وإذا قلت هويت زينباً
أنه رمز بديع حسن

والهوى محبوبنا لو تفهموا
فأحمدوا الله تعالى وأعلموا
أبهم عن درك لفظي صمم
من حبيبي في وجودي قد عموا
لا ولا غير وجودي فأفهموا
وكذا كنت فبي فأعتصموا
فألزموا الباب عبيداً وأخدموا
أو نظاماً أو عناباً فأحكموا
تحتة ثوب رفيع معلم

وأنا الثوب على لابسـه

ليس في الجبة شيء غير ما

وحياة الحب لو أشهده

ما يرى عين وجود الحق من

ومما يتضمنه هذا الباب قولنا

أن الوجود لحرف أنت معناه

الحرف معنى الحرف ساكنه

والقلب من حيث ما تعطيه فطرته

عز الأله فما فما يحويه من أحد

وما أنا قلت بل جاء الحديث به

لما أراد الاله الحق يسكنه

فكان عين وجودي عين صورته

الله أكبر لا شيء يماثلـه

فما ترى عين ذي عين سوى عدم

فلا يرى الله إلا الله فاعتبروا

ومما يتضمنه هذا الباب قولنا في واقعة رأيت الحق فيها يخاطبني بمعنى ما في هذه الآيات وسماي باسم ما سمعت به قط إلا منه تعالى في

تلك الواقعة وهو نر ديار فسألته تعالى عن تفسير هذا اللفظ فقال مسواك الدار وهي هذه الآيات وقد تقدمت في هذا الكتاب

بأطول مما هي هنا وما سقت منها هنا إلا ما وقع

مسكتك في داري لأظهار صورتي

فمانظرت عيناك مثلي كما لا

فلم يبق في الإمكان أكمل منكم

فأي كمال كان لم يك غيركم

ظهرت إلى خلقي بصورة آدم

فلو كان بالإمكان أكمل منكم

لأنك مخصوص بصورة حضرتي

ومما ضمنته هذا الباب أيضاً قولنا

والذي يلبسه ما يعلم

قاله الحلاج يوماً فأنعموا

لأعتراني لشهودي بكم

أصله في كل حال عدم

وليس لي أمل في الكون ألا هو

وما تشاهد عين غير معناه

يجول ما بين مغناه ومعناه

وبعد هذا فإننا قد وسعنا

عن الإله وهذا اللفظ فحواه

لذلك عد له خلقاً وسواه

وحي صحيح ولا يديره إلا هو

وليس شيء سواه بل هو إياه

فصح أن الوجود المدرك الله

قولي ليعلم مناه ومعزاه

فسبحانكم مجلى وسبحان سبحانا

ولا نظرت عين كمثلك إنسانا

نصبت على هذا من الشرع برهانا

على كل وجه كان ذلك ما كانا

وقررت هذا في الشرائع إيماننا

لكان وجود النقص في إذا كانا

وأكمل مني ما يكون فقد بانا

الله أكبر أن يخطى به أحد

الشمس تدركنا والشمس ندركها

وإننا لنراها وهي ظاهرة

النور يمنعها من أن نكيفها

وهو الحبيب العلي السيد الصمد

نعم ومنها إلينا العطف والرفد

مثل التجلي ولم يظفر به أحد

فكيف من لا له كيف فيتحد

الكيف والكم من نعت الجسوم وما

ومما يتضمنه هذا الباب أيضاً قولنا

بادر لجبر الذي قد فات من عمرك

وقل له بالهوى يا منتهى أمني

لقد علمت بأني حين أبصر من

لولا الفناء ونفي المثل عنك وما

ما كان لي أمل في غير مشهكم

أنني سألتك يا من لا شبيه له

فقال لي من قضائي أن ترى قدري

قد جاءكم عن نبي في إزالة ما

لكم كلام نفيس كله درر

ومما يتضمنه هذا الباب في حب الحب قولنا

ولما رأيت الحب يعظم قدره

تعشقت حب الحب دهري ولم أقل

فأبد إلى المحبوب شمس اتصاله

وذاب فؤادي خيفة من جلاله

ونزهني في روض انس جماله

وأحضرني والسر عني غائب

فإن قلت أنا واحد فوجوده

ولكنه مزج رقيق منزّه

فقلت له وهو القول وإنه

هناك جسم ولا حال ولا عدد

ولتتخذ زادك الرحمن في سفرك

ما أشوق السر والمعنى إلى خبرك

كان الوجود به مازلت من نظرك

قد جاء عنك من الأحراق من بصرك

ولا قرأت كتاباً ليس في سيرك

أمراً أراد به المحتوم من قدرك

يرده قدري والكل من أثرك

قضيته وبما يزيد في عمرك

وذا من الدر فلنلحقه في دررك

ومالي به حتى الممات يدان

كفائي الذي نلت منه كفائي

أضاء بها كوني وعين جنائي

فوقع لي في الحين خط أمان

فغبت عن الأرواح والتقلان

وغيبني والأمر مني داني

وإن أثبتوا عيني فمزدوجان

يرى واحداً والعلم يشهد ثاني

عبارته المثلى جرت بلسان

أيا من بدى في نفسه لنفيسه

بنفسك شاهدت النفيسة منعما

فيا غائباً من كان هذا مقامه

فلا والذي طارت إلى حسن ذاته

ولا عدد فالعين مني فإني

بنفسك وانظر في المرأة تراني

يرى في جنان الناعمات بجان

قلوب فأفناها عن الطيران

اعلم وفقك الله أن الحب مقام إلهي فإنه وصف به نفسه وتسمى بالودود في الخبر بالحب ومما أوحى الله به إلى موسى في التوراة يا ابن آدم أي وحقي لك محب فيبقى عليك كن لي محبار وقد وردت المحبة في القرآن والسنة في حق الله وفي حق المخلوقين وذكر أصناف المحبوبين بصفاتهم وذكر الصفات التي لا يحبها الله وذكر الأصناف الذين لا يحبهم الله فقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أمراً أن يقول لنا قل أن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال تعالى "يا أيها الذين آمنوا من يرد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه" وقال في ذكر الأصناف الذين يحبهم أن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب المطهرين ويحب المتوكلين ويحب الصابرين ويحب الشاكرين ويحب المتصدقين ويحب المحسنين ويحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأهم بنيان مرصوص كما نفى عن نفسه أن يحب قوماً قوماً لأجل صفات قامت بهم لا يحبها ففحوى الخطاب أنه سبحانه يحب زوالها ولا تزول إلا بضدها ولا بد فقال أن الله لا يحب المفسدين ولا يحب الفساد وضده الصلاح فعين ترك الفساد صلاح وقال أن الله لا يحب الفرحين ولا يحب كل مختال فخور ولا يحب الظالمين ولا يحب المسرفين ولا يحب الكافرين ولا يحب الجهر بالسوء من القول ولا يحب المعتدين ثم أنه سبحانه يحب إلينا أشياء منها بالتزوين ومنها مطلقة فقال ممتنا علينا ولكن الله حبيب إليكم الإيمان وقال "زين للناس حب الشهوات" الآية وقال في حق الزوجين "وجعل بينكم مودة ورحمة" وهما أن نلتقي بالمودة إلى أعداء الله إلى أعداء الله فقال لا تتخذوا وعدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة والمحبة الواردة في القرآن كثيرة وأما الأخبار فقوله صلى الله عليه وسلم عن الله أنه قال كنت كثيراً لم أعرف فاحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فعرفوني فما خلقنا إلا له لا لنا لذلك قرنا لجزاء بالأعمال فعملنا لنا لا له وعبادتنا له لا لنا وليست العبادة نفس العمل فالأعمال الظاهرة في المخلوقين خلق له فهو العامل ويضاف إليه حسنهما أدباً مع الله مع كونها كل من عند الله لأنه قال ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها والله خلقكم وما تعملون وقال "الله خالق كل شيء" فدخلت أعمال العباد في ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله يقول ما تقرب المتقربون بأحب إلى من آداء ما افترضته عليهم ولا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به الحديث ومن هذا التجلي قال من قال بالإتحاد بقوله وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وبقوله وما تعملون في الخبر أن الله يحب كل مفتن ثواب وفي الخبر وجبت محبتي للمتحابين في وفي الخبر حبوا الله لما أسدى إليكم من نعمه وفي الخبر أن الله جميل يحب الجمال وأن الله يحب الجمال وإن الله يحب أن يمدح وقال عليه السلام حبيب إلى من دنياكم ثلاث الحديث والأخبار في هذا الباب كثيرة جداً واعلم أن مقامها شريف وإنها أصل الوجود

وعلى الحب جبلنا

ولهذا قد قبلنا

وعن الحب صدرنا

فلذا جئناه قصدا

ولهذا المقام أربعة ألقاب منها الحب وهو خلوصه إلى القلب وصفاءه عن كدورات العواض فلا غرض له ولا أرادة مع محبوبه واللقب الثاني الود وله إسم إلهي وهو الودود والود من نعوت وهو الثابت فيه وبه سمى الودود الثبوتية في الأرض واللقب الثالث العشق وهو افراط المحبة وكفى عنه في القرآن بشدة الحب في قوله "والذي أمنوا أشد حباً" وهو قوله "قد شغفها حباً" أي صار حبها يوسف على قلبها كالشغاف وهي الجلدة الرقيقة التي تحتوي على القلب فهي ظرف له محيطه وقد وصف الحق نفسه في الخبر بشدة الحب غير أنه لا يطلق على الحق إسم العشق والعاشق والعشق التفاف الحب على الحب حتى خالط جميع أجزائه واشتمل عليه اشتمال الصماء مشتق من العشقة واللقب الرابع الهوى وهو استفراغ الإرادة في المحبوب والتعلق به في أول ما يحصل في القلب وليس لله منه إسم ولحصوله سبب نظرة أو خبر أو احسان وأسبابه كثيرة ومعناها في الخبر الإلهي الصحيح حب الله عبده إذا أكثر نوافل الخيرات وكذلك اتباع الرسول فيما شرع وهذا منزلته فينا مسمى الهوى قال بعضهم في الحب المولد عن الخبر

والأذن تعشق قبل العين أحياناً

يا قوم إذني لبعض الحي عاشقة

ولنا في حب المولد عن النظر والخبر في الغزليات

الأهواك فمبناه على الخبر

حبي لغيرك موقوف على النظر

على الذي قيل لي اختا من البشر

أنه يعلم أنني ما علمت لها

وأن تجود على عيني بالنظر

فبغيتي من عزلتي أن أفوز بها

ولنا أيضاً في هذا المعنى

وما رآها بصري

حقيقتي همت بها

قتيل ذاك الحور

ولو رآها لغدا

صرت بحكم النظر

فعندما أبصرتها

أهيم حتى السحر

فبت مسحوراً بها

لو كان يغني حذري

يا حذري من حذري

وإنما هيمني

حكم القضاء والقدر

جمال ذاك الخفر

والله ما هيمني

ترعى بذات الخمر

يا حسننها من ظبية

تسبي عقول البشر

إذا رنت أو عطفت

حب غمام نشر

تفتت عن ظلم وعن

اعراف مسك عطر

كأنما أنفاسها

في النور أو كالقمر

كأنها شمس ضحى

نور صباح مسفر

إن سفرت أبرزها

ظلام ذاك الشعر

خذي فؤادي ونر

إذ كان حظي نظري

بحبها من خبري

أو سدلت غيبتها

يا قمرًا تحت دجى

عيني لكي أبصركم

فإن مبنى كلفني

ولنا أيضاً في هذا المعنى

شتان ما بين عشق العين والخبر

والعين تعشق محسوساً من الصور

يوماً ليصره يلتذ بالنظر

في صورة الحس ما ينفعك عن غير

قد استوى فيه حظ السمع والبصر

الأذن عاشقة والعين عاشقة

فالأذن تعشق ما وهمي يصوره

فصاحب العين إن جاء الحبيب له

وصاحب الأذن إن جاء الحبيب له

الأهوى زينب فإنه عجب

واللطف ما في الحب ما وجدته وهو أن تجد عشقاً مفراطاً وهوى وشوقاً مقلقاً وغراماً ونحولاً وامتناع نوم ولذة بطعام ولا يدري فيمن ولا بمن ولا يتعين لك محبوبك وهذا اللطف ما وجدته ذوقاً ثم بعد ذلك بالاتفاق أما بيد ولك تجل في كشف فيتعلق ذلك الحب به أو ترى شخصاً فيتعلق ذلك الوجد الذي تجده به عند رؤيته فتعلم أن ذلك كان محبوبك وأنت لا تشعر أو يذكر شخص فتجد الميل إليه بذلك الهوى الذي عندك فتعلم أنه صاحبك وهذا من أخفى دقائق استشراف النفوس على الأشياء من خلف حجاب الغيب فتجهل حالها ولا تدري بمن هامت ولا فيمن هامت ولا ما هيمنتها ويجد الناس ذلك في القبض والبسط الذي لا يعرف له سبب فعند ذلك يأتيه ما يحزنه فيعرف أن ذلك القبض كان لهذا الأمر أو يأتيه ما يسره فيعرف أن ذلك البسط كان لهذا الأمر وذلك لاستشراف النفس على الأمور من قبل تكوينها في تعلق الحواس الظاهرة وهي مقدمات التكوين ويشبه ذلك أخذ الميثاق على الذرية بأنه ربنا فلم يقدر أحد على أنكاره بعد ذلك فتجد في فطرة كل أنسان أفقاراً لموجود يستند إليه وهو الله ولا يشعر به ولهذا قال "يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله" يقول لهم ذلك الأفقار الذي تجدونه في أنفسكم متعلقه الله لا غيره ولكن لا تعرفونه فعرنا الحق به ولما ذقنا هذا المقام فيه

ولم أدر من أهوى ولم أعرف الصبرا

ولا سمعت أذناي قط لها ذكرا

فنعمني يوماً وعذبني دهرًا

ولا أدري من هذا الذي قال لا أدري

وقد حارت الحيرات في وفي أمري

أترجم عن حب يعانقه سرى

علقت بمن أهواه عشرين حجة

ولا نظرت عيني إلى حسن وجهها

إلى أن ترائ البرق من جانب الحمى

ولنا أيضاً في هذا المعنى ذوقاً فإننا لا نعبر ألا عما ذقناه

علقت بمن أهواه من حيث لا أدري

فقد حرت في حالي وحارت خواطري

فبيننا أنا من بعد عشرين حجة

ولم أدر من أهوى ولا أعرف إسمه

ولا أدر من هذا الذي ضمه صدري

إلى أن بدا لي وجهها من نقابها

كمثل سحاب الليل أسفر عن بدر

فقلت لهم من هذه قيل هذه

بنية عين القلب بنت أخي الصد

فكبرت أجلاً لها ولا صلها

فليلي بها أربي على ليلة القدر

ولنا في هذا المعنى ذوقاً في أول دخولي إلى الشام وجدت ميلاً مجهولاً مدة طويلة ألهية متخيلة في صورة جسدية فقلنا نخطبها في ذلك بالحال ولسانه

أقول وعندي من هواك الذي عندي

مقالة من قال الحبيب له قل لي

ولما دخلت الشام خولطت في عقلي

فلم أر قبلي في الهوى عاشقاً مثلي

عشقت وما أدري الذي قد عشقته

أخالقي المحبوب أم هو من شكلي

ولا سمعت أذناي قط بذكره

فهل قال هذا عاشق غيرنا قبلي

فجبت بلاد الله شرقاً ومغرباً

لعلي أرى شخصاً يوافقني على

فلم أر ألا ذا حبيب معين

يلازمه طبعاً ملازمة الظل

فقلت ألهي أن قلبي مهيم

ولم أدر فإنظر في مقامي وفي ذلي

فنادى منادي الحب من بين أضلعي

لقد غصت يامسكين في أبحر الجهل

ألا فأستمع قلبي وخذ سر حكمتي

فإني من أهل التعاليم والفضل

بسبع وعشر ثم خمسين بعدها

إذا أنت حصلت أثنتين على وصلي

يقوم لكم شكل بديع مربع

تماماً على الوصل الذي فيه والفصل

كمثل أسمه الله بياناً محققاً

فكان إسم محبوبي على صورة الأصل

فذاك إسم من تهواه أن كنت عالماً

وهذا من العلم المضاف إلى البخل

فإن كنت ذا فهم فلا تبتغي سوى

مثلثة التربيع جامعة الشمل

فتليثها بيت وبيت مصحف

لها حسن أدلال يدل على دلي

فبيت إلى لعين عين وثم بيت لماجد

هما بيت للسماحة والبذل

وأوله حرف نزيه مسبع

من الستة الأعلام من أحرف الفصل

وهذا ألطف ما يكون من الحبة ودونحب الحب وهو الشغل بالحب عن متعلقه جاءت ليلى إلى قيس وهو يصيح ليلى ليلى ويأخذ الجليد ويلقيه على فؤاده فتذويه حرارة الفؤاد فسلمت عليه وهو في تلك الحال فقالت له أنا مطلوبك أنا بغيتك أنا محبوبك أنا قرّة

عينك أنا ليلي فالتفت إليها وقال إليك عني فإن حبك شغلني عنك وهذا اللطف ما يكون وأرق في المحبة ولكن هو دون ما ذكرناه في اللطف وكان شيخنا أبو العباس العربي رحمه الله يسأل الله أن يرزقه شهوة الحب لا الحب وأختلف الناس في حده فما رأيت أحداً حده بالحد الذاتي بل لا يتصور ذلك فما حده من حده ألا بنتائجه وآثاره ولوازمه ولا سيما وقد أتصف به الجنب العزيز وهو الله وأحسن ما سمعت فيه ما حدثنا به غير واحد عن أبي العباس ابن العريف الصنهاجي قالوا سمعناه يقول وقد سئل عن المحبة فقال الغيرة من صفات المحبة والغيرة تأبى ألا الستر فلا تحد وأعلم أن الأمور المعلومات على قسمين منها ما يحد ومنها ما لا يحد والمحبة عند العلماء بما المتكلمين فيها من الأمور التي لا تحد فيعرفها من قامت به ومن كانت صفته ولا يعرف ما هي ولا ينكر وجودها واعلم أن كل حب لا يحكم على صاحبه بحيث أنه يصمه عن كل مسموع سوى ما يسمع من كلام محبوبه ويعميه عن كل منظور سوى حب محبوبه ويجرسه عن كلام إلا عن ذكر محبوبه وذكر من يحب محبوبه ويختتم على قلبه فلا يدخل فيه سوى حب محبوبه ويرمي قلبه على خزانة خياله فلا يتخيل سوى صورة محبوبه أما عن رؤية تقدمته وأما عن وصف ينشئ منه الخيال صورة فيكون كما قيل

خيالك في عيني وذكرك في فمي

ومثواك في قلبي فأين تغيب

فيه يسمع وله يسمع وبه يبصر وبه يتكلم وله يتكلم ولقد بلغ بي قوة الخيال أن كان حي يجسد لي محبوبي من خارج لعيني كما كانت تجسد جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلا أقدر أنظر إليه ويخاطبني وأصغى إليه وأفهم عنه ولقد تركني أياماً لا أسيغ طعاماً كلما قدمت لي المائدة يقف على حروفها وينظر إلي ويقول لي بلسان أسمع بأذني تأكل وأنت تشاهدني فأمتنع من الطعام ولا أجد جوعاً وامتلئ منه حتى سمنت وعبلت من نظري إليه فقام لي مقام الغذاء وكان أصحابي وأهل بيتي يتعجبون من سمني مع عدم الغذاء لأني كنت الأيام الكثيرة لا أذوق ذواقاً ولا أجد جوعاً ولا عطشاً لكنه كان لا يبرح نصب عيني في قيامي وقعودي وحركي وسكوني واعلم أنه لا يستغرق الحب المحب كله إلا إذا كان محبوبه الحق تعالى أو أحداً من جنسه من جارية أو غلام وأما من عدى ما ذكرته فإنه لا يستغرقه حبه إياه وإنما قلنا ذلك لأن الإنسان لا يقابل بذاته كلها إلا من هو على صورته إذا أحبه فما فيه جزء إلا وفيه مايمثله فلا تبقى فيه فضلة يصحو بها جملة واحدة فيهيم ظاهره في ظاهره وباطنه في باكنه ألا ترى الحق قد تسمى بالظاهر والباطن فتستغرق الإنسان المحبة في الحق وفي أشكاله وليس ذلك فيما سوى الجنس من العالم فإنه إذا أحب صورة من العالم إنما يستقبله بالجزء المناسب ويبقى ما بقي من ذاته صاحبة في شغلها وأما استغراق حبه إذا أحب الله فلكونه على صورته كما ورد في الخبر فيستقبل الحضرة الإلهية بذاته كلها ولهذا تظهر فيه جميع الاسماء الإلهية ويتخلق بها من ليست عنده صفة الحب وبكونها من عنده صفة الحب فلهذا يستغرق الإنسان الحب وإذا تعلق بالله وكان الله محبوبه فيفنى في حبه في الحق أشد من فناءه في حب أشكاله فإنه في حب أشكاله فإن في حب أشكاله فاقد في غيبته ظاهر المحبوب وإذا كان الحق هو المحبوب فهو دائم المشاهدة ومشاهدة المحبوب كالغذاء للجسم به ينمي ويزيد فكلما زاد مشاهدة زاد حباً ولهذا الشوق يسكن باللقاء والإشتياق يهيج باللقاء وهو الذي يجده العشاق عند الاجتماع بالمحبوب لا يشبع من مشاهدته ولا يأخذ همته منا لأنه كلما نظر إليه زاد وجداً به وشوقاً مع حضوره معه كما قيل

ومن عجب أني أحن إليهم

وأسأل شوقاً عنهم وهم معي

وتبكي عيني وهم في سوادها

ونشتاقهم نفسي وهم بين أضلعي

وكل حب يبقى في الحب عقلاً يعقل به عن غير محبوبه أو تعقلاً فليس بحب خالص وإنما هو نفس قال بعضهم ولا خير في حب يدبر بالعقل وحكايات المحبين في هذا الباب أكثر من أن تحصى ولنا في ازدياد الحبة مع المشاهدة والشوق

أغيب فيفنى الشوق نفسي فالتقى

فلا أشتقي فالشوق غيباً ومحضراً

ويحدث لي لقياء ما لم أظنه

مكان الشفا داء من الوجد آخراً

لأنني أرى شخصاً يزيد جماله

إذا ما لقيناه نحوه وتكيرا

فلا بد من وجد يكون مقارنا

لكا زاد من حسن نظاماً محرراً

أشير إلى تجليه سبحانه في صور مختلفة في الآخرة لعباده وفي الدنيا لقلوب عباده كما ورد في صحيح مسلم من تحوله سبحانه في الصور كما ينبغي لذاته من غير تشبيه ولا تكليف فوالله لولا الشريعة التي جاءت بالأخبار الإلهي ما عرف الله أحد ولو بقينا مع الأدلة العقلية التي دلت في زعم العقلاء على العلم بذاته بأنه ليس كذا وليس كذا ما أحبه مخلوق فلما جاء الخبر الإلهي باللسنة الشرائع بأنه سبحانه كذا وكذا من أمور تناقض ظواهرها الأدلة العقلية أحببناها لهذه الصفات الثبوتية ثم بعد أن أوقع النسب وثبت السبب والنسب الموجبات للمحبة قال ليس كمثله شئ فثبتت الأسباب الموجبة للحب التي نفاها العقل بدليله وهذا معنى قوله فخلقت الخلق فتعرفت إليهم فعرفوني فما يعرف الله إلا بما أخبر به عن نفسه من حبه أيانا ورحمته بنا ورأفته وشفقته وتجيئه ونزوله في التحديد لنمثله تعالى ونجعله نصب أعيننا في قلوبنا وفي قبلتنا وفي خيالنا حتى كأننا نراه فينا لأننا عرفناه بتعريفه ولا بنظرنا ومنا من يراه ويجعله فكما أنه لا يفتقر إلى غيره كذلك والله لا يحب في الموجودات غيره فهو الظاهر في كل محبوب لعين كل محب وما في الموجود إلا المحب فالعالم كله محب ومحبوب وكل ذلك راجع إليه كما أنه لم يعبد سواه فإنه ما عبد من عبد إلا بتخيل الإلهية فيه ولولاهما ما عبد يقول تعالى "وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه" وكذلك الحب ما أحب أحد غير خالقه ولكن احتجب عنه تعالى بحب زينب وسعاد وهند ولىلى والدنيا والدرهم والجاه وكل محبوب في العالم فأفنت الشعراء كلامها في الموجودات وهم لا يعلمون والعارفون لم يسمعوا شعراً ولا لغزاً ولا مديحاً ولا تغزلاً إلا فيه من خلف حجاب الصور وسبب ذلك الغيرة الإلهية أن يحب سواه فإن الحب سببه الجمال وهو له لأن الجمال محبوب لذاته والله جميل يحب الجمال فيحب نفسه وسببه الآخر الإحسان وما ثم إحسان إلا من الله ولا محسن إلا الله فإن أحببت للأحسان فما أحببت إلا الله فإنه المحسن وإن أحببت للجمال فما أحببت إلا الله تعالى فإنه الجميل فعلى كل وجه ما متعلق الحبة إلا الله ولما علم الحق نفسه فعلم العالم من نفسه فأخرجه على صورته فكان له مرآة يرى صورته فيه فما أحب سوى نفسه فقولته يحبيكم الله على الحقيقة نفسه أحب إذ الإتيان سبب الحب واتباعه صورته فكان له مرآة العالم سبب الحب لأنه لا يرى سوى نفسه وسبب الحب النوافل وهي الزيادات وصورة العالم زيادة في الوجود فأحب العالم نافلة فكان سمعه وبصره حتى لا يحب سوى نفسه وما أعمضها من مسئلة وما أسرع تغفلتها من الوهم فإنه اتفق في الوجود أمر غريب وذلك أن ثم أموراً يتحقق بها العقل ويثبت عليها ولا يتزلزل وتتفلسف من الوهم ولا يقدر يبقى على ضبطها مثل هذه المسئلة يثبتها

العقل ولا يقدر يزول عنها وتتلفت من الوهم ولا يقدر على ضبطها وثم أمور آخر بالعكس تتلفت من العقل وتثبت في الوهم ويحكم عليها ويؤثر فيها كمن يعطيه العقل بدليله أن رزقه لا بد أن يأتيه سعى إليه أو لم يسع فيتلفت هذا العلم عن العقل ويحكم عليه الوهم بسلطانه أنك إن لم تسع في طلبه تموت فبغلب عليه فيقوم يتعمل في تحصيله فحقه من جهة عقله زائل وما باطله من جهة وهمه ثابت لا يتزلزل وكمن يرى حية أو أسدا على صورة لا يتمكن فيما يغطيه العقل إن يصل ضرره إليه فيغيب عن ذلك الدليل ويتوهم ضرره فينفر منه ويتغير وجهه وبأكنه يحكم الوهم وسلطانه وهذا موجود فللوهم سلطان في مواطن وللعقل سلطان في مواطن فلنذكر في هذا الباب إن شاء الله من لوازم الحب ومقامته ما تيسر فنقول أ، الحب تعلق خاص من تعلقات الإرادة فلا تتعلق المحبة إلا بمعدوم غير موجود في حين التعلق يريد موجود ذلك المحبوب أو وقوعه وإ، ما قلت أو وقوعه لأنها قد تتعلق باعدام الموجود واعدام الموجود في حال كون الموجود موجوداً ليس بواقع فإذا عدم الموجود الذي تعلقت بالمحبة فقد وقع ولا يقال وجد تإلعدام فإنه جهل من قائله وقولنا يريد وجود ذلك المحبوب وإن المحبوب على الحقيقة إنما هو معدوم فذلك أن الحب للمحب هو إرادة أوجبت الإتصال بهذا الشخص المعين كائناً من كان إن كان ممن من شأنه أن تعانق فيحب عناقه أو ينكح فيحب نكاحه أو يجالس فيحب مجالسته فما تعلق حبه إلا بمعدوم في الوقت من هذا الشخص فيتخيل أن حبه متعلق بالشخص وليس كذلك وهذا هو الذي يهيجه للقاءه ورؤيته فلو كان يحب شخصه أو وجوده في عينه فهو في شخصيته أو في وجوده فلا فائدة لتعلق الحب به فإن قلت إنا كنا تحب بمجالسة شخص أو تقبيله أو عناقه أو تأنيسه أو حديثه ثم نرى تحصل ذلك والحب لا يزول مع وجود العناق والوصال فإذا متعلق الحب قد لا يكون معدوماً قلنا أنت غالط إذا تعلقت المحبة بعنقه أو مجالسته أو موآنسته فإن متعلق حبك في تلك الحال ما هو بالحاصل وإنما هو بدوام الحاصل واستمراره والدوام والاستمرار معدوم ما دخل في الوجود ولا يتناهى مدته فإذا ما تعلق الحب في حالة الوصلة إلا بمعدوم هو دوامها وما أحسن ما جاء بالقرآن قوله "يحبهم ويحبونه" بضمير الغائب والفعل المستقبل فما أضاف متعلق الحب إلا لغائب ومعدوم وكل غائب فهو معدوم إضافي فمن أوصاف المحبة أن يجمع الحب في حبه بين الضدين ليصح كونه على الصورة لما فيه من الاختيار وهذا هو الفرق بين الحب الطبيعي والروحاني والإنسان يجمعهما وحده والبهائم تحب ولا تجمع بين الضدين بخلاف الإنسان وإنما جمع الإنسان في حبه بين الضدين لأنه على صورته وقد وصف نفسه بالضدين وهو قوله "هو الأول والآخر والظاهر والباطن" وصورة جمع الحب بين الضدين أن الحب من صفاته اللازمة له حب الإتصال بالمحبوب ومن صفاته اللازمة حب ما حبه المحبوب فيحب المحبوب المهجر فإن أحب الحب المهجر فقد فعل ما تقتضيه المحبة فإن المحبة تطلب الإتصال وإن أحب الإتصال فقد فعل ما لا تقتضيه المحبة فإن الحب يحب ما يحب محبوبه ولم يفعل فالحب محجوب على كل حال وغاية الجمع بينهما أنيحب حب المحبوب للهجر لا المهجر ويجب الإتصال ولا تخرج هذه المسألة على أكثر من هذا كالراضي بالقضاء فيصح له إسم الرضا بالقضاء مع إنه كونه لا يرضى بالمقضي إذا كان المقضي به كفرا كذا ورد الشرع وهكذا في مسألة الحب يحب الحب الإتصال بالمحبوب ويجب حب المحبوب المهجر لا يحب المهجر لأن المهجر ما هو عين حب المحبوب المهجر كما أن القضاء ما هو عين المقضي فإن القضاء حكم الله بالمقضي لا عين المقضي فيرضى بحكم الله وحب الحيوان ليس كذلك لأنه حب طبيعي لا روحاني فيطلب الإتصال بمن يحب خاصة ولا يعلم أن محبوبه له حب في كذا علم له بذلك فلهذا قسمنا الحب الذي هو صفة للإنسان إلى نوعين فيه حب طبيعي وبه يشارك البهائم والحيوانات وحب روحاني وبه ينفصل ويتميز عن حب الحيوان وإذا تقرر هذا وصل فعلم أن الحب منه إلهي وروحاني وطبيعي وما ثم حب غير هذا فالحب الإلهي هو حب الله لنا وحبنا الله أيضاً قد

يطلق عليه أنه إلهي والحب الروحاني هو الذي يسعى به في مرضات المحبوب لا يبقى له مع محبوبه غرض ولا إرادة بل هو بحكم ما يراد به خاصة والحب الطبيعي هو الذي يطلب به جميع نيل أغراضه سواء سر ذلك المحبوب أو لم يسره وعلى هذا أكثر حب الناس اليوم فلنقدم أولاً الكلام على الحب الإلهي في وصل ثم يتلوه وصل في الحب الروحاني ثم يتلمه وصل ثالث في الحب الطبيعي والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الوصل الأول في الحب الإلهي وهو أن يحبنا لنا ولنفسه أما حبه إيانا لنفسه فهو قوله أحببت أن أعرف فخلقت الخلق فتعرفت إليهم فعرفوني فما خلقنا إلا لأنفسه حتى نعرفه وقوله "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" فما خلقنا إلا لنفسه وأما حبه إيانا لنا فلما عرفنا به من الأعمال التي تؤدي إلى سعادتنا ونجاتنا من الأمور التي لا توافق أغراضنا ولا تلائم طباعنا خلق سبحانه الخلق ليسبحوه فنطقهم بالتسبيح له والثناء عليه والسجود له ثم عرفنا بذلك فقال "وإن من شيء إلا يسبح بحمده" أي بالثناء عليه بما هو عليه وما يكون منهو عرنا أيضاً فقال ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه فلزم ذلك وثابر عليه وخاطب بهذه الآية نبيه صلى الله عليه وسلم الذي أشهده ذلك ورآه فقال له ألم تر ولم تقل ألم تروا إيانا ما رأينا فهو لنا إيمان وهو لحمد صلى الله عليه وسلم عيان وكذا قال له أيضاً لكا أشهده سجد كل شيء ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجن والشجر والدواب وكثير من الناس فما ترك أحداً فإنه ذكر من في السموات ومن في الأرض فذكر العالم العلوي والسفلي فاشهده سجد كل شيء فكل من أشهده الله ذلك ورآه دخل تحت هذا الخطاب وهذا تسبيح فطري ذاتي عن تجلي تجلي لهم فاحبوه فإنبعثوا إلى الثناء عليه من غير تكليف بل اقتضاء ذاتي وهذه هي العبادة الذاتية التي أقامهم الله بحكم الاستحقاق الذي يستحقه وكذلك قال في أهل الكشف وهم عامة الإنس وكل عاقل أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفياً ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داخرون هذا حظ النعيم البصري ثم أخبر أن ذلك التفتيئ يميناً وشمالاً أنه سجد لله وصغار وذلة لجلاله فقال سجد الله وهم داخرون فوصفهم بعقليتهم أنفسهم حتى سجدوا لله داخرين ثم أخبر فقال متمماً والله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة أي ممن يدب عليها يقول يمشي وهم يعني أهل السموات والملائكة يعني التي ليست في سماء ولا أرض ثم قال وهم لا يستكبرون يعني عن عبادة ربهم ثم وصفهم بالخوف ليعلمنا أنهم عالمون بمن سجدوا له ثم وصف المأمورين منهم أنهم يفعلون ما يؤمرون وهم الذين قال فيهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وقال في الذين هم عند ربهم يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون أي لا يملون كل ذلك يدل على أن العالم كله في مقام الشهود والعبادة إلا كل مخلوق له قوة التفكير وليس إلا النفوس الناطقة الإنسانية والجانية خاصة من حيث أعيان أنفسهم لا من حيث هياكلهم كسائر العالم في التسبيح له والسجود فاعضاء البدن كلها بتسبيحه ناطقة ألا تراها تشهد على النفوس المسخرة لها يوم القيامة من الجلود والأيدي والأرجل والألسنة والسمع والبصر وجميع القوى فالحكم لله العلي الكبير وهذا كله من حكم حبه إيانا لنفسه فمن وفي شكره ومن لم يوف عاقبه فنفسه أحب وتعظيمه والثناء عليه أحب وأما حبه إيانا لنا فإنه عرفنا بمصالحنا دنيا وآخرة ونصب لنا الأدلة على معرفته حتى نعلمه ولا نجعله ثم أنه رزقنا وأنعم علينا مع تفریطنا بعد علمنا به وأقامة الدليل عندنا على أن كل نعمة تنتقل فيها أما ذلك من خلقه وراجعة إليه وأنه ما أوجدها ألا من أجلنا لتنعيم بها ونقيم بذلك وتركنا نرأس ونربع ثم أنه بعد هذا الأحسان التام لم نشكره والعقل يقضي فشرع لنا الطريق الموصل إلى سعادتنا وأبانه وحذرنا من الأمور المردية وأجتنب سفاس الأخلاق ومذامها ثم أقام الدلالة على صدقه عندنا فجاء بالبينات وقذف في قلوبنا نور الإيمان وحببه إلينا وزينه في قلوبنا وكره إلينا

الكفر والفسوق والعصيان فآمننا وصدقنا ثم علينا بالتوفيق فاستعملنا في محابه ومراضيه فعلنا أنه لولا ما أحبنا ما كان شيء من هذا كله ثم أن رحمته سبقت غضبه وأن شقي من شقي فلا بد من شمول الرحمة والعناية والمحبة الأصلية التي تؤثر في العواقب ولما سبقت المحبة وحقت الكلمة وعمت الرحمة وكانت الدار الدنيا دار أمتزاج وحجاب بما قدره العزيز العليم خلق الآخرة ونقلنا إليها وهي دار لا تقبل الدعاوي الكاذبة فأقر الجميع بربو بيته هناك كما أقروا بربو بيته في قبضة الذر من ظهر آدم فكنا في الدار الدنيا وسطاً بين طرفين طرفي توحيد وأقرار وفي الوسط وقع

الشرك مع ثبوت الوجود فضعف الوسط ولذلك قالوا ما نعبدهم ألا ليقربونا إلى الله زلفى فنسبوا العظمة والكبرياء إلى الله تعالى في شركهم ثم أخبر تعالى أنه طبع على قلب كل من ظهر في ظاهر لقومه بصفة الكبرياء والجبروت وما جعل ذلك في قلوبهم بسبب طابع العناية فهم عند نفوسهم بما يجدونه من العلم الضروري أذ لاء صاغرين لذلك الطابع فما دخل الكبرياء على الله قلب مخلوق أصلاً وأن ظهرت منه صفات الكبرياء فتوب ظاهر لا بطانة له منه وهذا كله من رحمته ومحبه في خلقه ليكون المآل إلى السعادة فلما ضعف الوسط وتقوى الطرفان غلب في آخر الأمر وأمتلأت الداران وجعل في كل واحدة منهما نعيماً لأهلها يتنعمون به بعدما ظهرهم الله بما نالوه من العذاب لينالوا النعيم على طهارة ألا ترى المقتول قوداً كيف يطهره ذلك القتل من ظلم القتل الذي قتل من قتل به فالسيف محاء وكذلك إقامة الحدود في الدنيا كلها تطهير للمؤمنين حتى فرصة البرغوث والشوكة يشاكها وثم طائفة أخرى تقام عليهم حدود الآخرة في النار ليتطهروا ثم يرحمون في النار لما سبق من عناية المحبة وأن لم يخرجوا من النار فحب الله عباده لا يتصف بالبدء ولا بالغاية فإنه لا يقبل الحوادث ولا العوارض لكن عين محبته لعباده عين مبدأ كونهم متقدميهم ومتأخريهم إلى ما لا نهاية له فنسبة حب الله لهم نسبة كينونته كانت معهم أينما كانوا في حال عدمهم وفي حال وجودهم فكما هو معهم في حال وجودهم هم معهم في حال عدمهم لأنهم معلمون له مشاهد لهم محب فيهم لم يزل ولا يزال لم يتجدد عليه حكم لم يكن عليه بل لم يزل محباً خلقه كما لم يزل عالماً بهم فقلوه فأحببت أن أعرف تعريفاً لنا مما كان الأمر عليه في نفسه كل ذلك كما لا يليق بجلاله لا يعقل تعالى ألا فاعلاً خالقاً وكل عين فكانت معدومة لعينها معلومة له محبوباً له إيجاباً ثم أحدث له الوجود بل أحدث فيها الوجود بل كساها حلة الوجود فكانت هي ثم الأخرى ثم الأخرى على التوالي والتتابع من أول موجود المستند إلى أولية الحق وما ثم موجود آخر بل وجود مستمر في الأشخاص فالآخر في الأجناس والأنواع وليس الأشخاص في المخلوقات ألا في نوع خاص متناهية في الآخرة وأن كانت الدنيا متناهية فالأكوان جديدة لا نهاية لتكوينها لأن الممكنات لا نهاية لها فأبدها دائم كما الأزل في حق الحق ثابت لازم فلا أول لوجوده فلا أول لمحبه عباده سبحانه ذكر المحبة يحدث عند المحبوب عند التعريف الألهي لا نفس المحبة القرآن كلام الله لم يزل متكلماً ومع هذا قال معرفاً ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث فحدث عندنا الذكر لا في نفسه من سيدنا ومالكنا ومصحنا ومغذينا وما يأتينا من ذكر من الرحمن محدث فحدث عندنا الذكر من الرحمن لا في نفسه فالرحمة والنعمة والأحسان في البدء والعاقبة والمآل ولم يجر لإسم من أسماء الشقاء ذكر في الأتيان أنما هو رب أو رحمن ليعلمكم ما في نفسه لكم

تكملة في الحب الألهي وهي كوننا نحب الله فإن الله يقول يحبهم ويحبونه ونسبة الحب ألينا ما هو نسبة الحب إليه والحب المنسوب إلينا من حيث ما تعطيه حقيقتنا ينقسم قسمين قسم يقال فيه حب روحاني والآخر حب طبيعي وحبنا الله تعالى بالحيين معاً وهي مسألة صعبة التصور أذ ما كل نفس ترزق العلم بالأمور على ما هي عليه ولا ترزق الايمان بها على وفق ما جاء من الله في أخباره عنه ولذلك أمتن الله بمثل هذا على نبيه صلى الله عليه وسلم فقال وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب

ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا فنحن بحمد الله ممن شاء من عباده وما بقي لنا بعد التقسيم في حبنا إياه ألا أربعة أقسام وهي أما أن نحبه له أو نحبه لأنفسنا أو نحبه للمجموع أو نحبه ولا لواحد مما ذكرناه وهنا يحدث نظر آخر وهو لما إذا نحبه أذ وقد ثبت أنا نحبه فلا نحبه له ولا لأنفسنا ولا للمجموع فما هو هذا الأمر الرابع هذا فصل وثم تقسيم آخر وهو وأن أحببناه فهل نحبه بنا أو نحبه به أو نحبه بالمجموع أو نحبه ولا بشيء مما ذكرناه وكل هذا يقع الشرح فيه والكلام عليه أن شاء الله وكذلك نذكر في هذه التكملة ما بدء حبنا إياه وهل لهذا الحب غاية فيه ينتهي إليها أم لا فإن كانت له غاية فما تلك الغاية وهذه مسألة ما سألي عنها أحد ألا امرأة لطيفة من أهل هذا الشأن ثم نذكر أيضاً أن شاء الله هل الحب صفة نفسية في الحب أو معنى زائد على ذاته وجودي أو هو نسبة بين الحب والمحبوب لا وجود لها كل ذلك تحتاج إليه هذه التكملة فاعلم أن الحب لا يقبل الاشتراك ولكن إذا كانت ذات الحب واحدة لا تنقسم فإن كانت مركبة جاز أن يتعلق حبها بوجوه مختلفة ولكن لأمر مختلفة وأن كانت العين المنسوب إليها تلك الأمور المختلفة واحدة أو تكون تلك الأمور في كثيرين فيه فتتعلق المحبة بكثيرين فيحب الإنسان محبوبين كثيرين وإذا صح أن يحب الحب أكثر من واحد جاز أن يحب الكثير كما قال أمير المؤمنين

ملك الثلاث الأنسات عناني

وحللن من قلبي بكل مكان

هنا سر خفي في قوله عناني فأفرد وما أعطي لهؤلاء المحبوبين من نفسه أعنة مختلفة فدل أن هذا الحب وأن كان مركباً فما أحب ألا معنى واحد قام له في هؤلاء الثلاثة أي ذلك المعنى موجود في عين كل واحدة منهن والدليل على ذلك قوله في تمام البيت وحللن من قلبي بكل مكان فلو أحب من كل واحدة معنى لم يكن في الأخرى لكان العنان الذي يعطي لواحدة غير العنان الذي يعطي الأخرى ولكان المكان الذي تحله الواحدة غير المكان الذي تحله الأخرى فهذا واحد أحب واحداً وذلك الواحد المحبوب موجود في كثيرين فأحب الكثير لأجل ذلك وهذا كحبنا الله تعالى له ومنا من يحبه لنفسه ومنا من يحبه للمجموع وهو أتم في المحبة لأنه أتم في المعرفة بالله والشهود لأن منا من عرفه في الشهود فأحبه للمجموع ومنا من عرفه لا في الشهود ولكن في الخبر فأحبه له ومنا من عرفه في النعيم فأحبه لنفسه ومنا من أحبه للمجموع وذلك أن الشهود لا يكون ألا في صورة والصورة مركبة والحب ذو صورة مركبة فيسمع من وجهه فيحبه للخبر مثل قوله على لسان نبيه هل واليت لي ولياً أو عاديته في عدواً فإذا أحببت الأشياء من أجله وعاديته الأشياء من أجله فهذا معنى حبنا له ليس غير ذلك فقمنا بجميع ما يحبه منا أن نقوم به عن طيب نفس ويكون من لا يشاهده من صورتي في الحكم التبع كما هي الجوارح منا وحيوانيتنا بحكم النفس الناطقة لا تقدر على مخالفتها لأنها كالألات لها تصرفها كيف تريد في مرضاة الله وفي غير مرضاته وكل جزء من جوارح الإنسان إذا ترك بالنظر إلى نفسه لا يتمكن له أن يتصرف ألا فيما يرضي الله فإنه له وجميع ما في الوجود بهذه المثابة ألا الثقلان وهو قوله وأن من شيء ألا يسبح بحمده يريد بذلك التسبيح الثناء على الله لا للجزاء لأنه في عبادة ذاتية لا يتصور معها طلب مجازاة فهذا من حبه له سبحانه ألا بعض النفوس الناطقة لما جعل لها في معرفة الله القوة المفكرة لم تفطر على العلم بالله ولهذا فبض عليها في قبض الذرية من ظهورهم وأشهادهم على أنفسهم شهادة قهر فسجدت لله كرهاً لا طوعاً من أجل القبض عليها ثم أرسلها مسرحاً من تلك القبضة الخاصة وهي مقبوض عليها من حيث لا تشعر فتخيلت أنها مسرحاً فلما وجدت مدبرة لهذا الهيكل المظلم جرت في الأمور بحسب ما تعطى غرضها لا تحب من الأمور إلا ما يلائم طبعها

وغفلت عن مشهد الإقرار بالربوبية عليها لموجدها فيبناها كذلك إذ قالت لها القوة المفكرة جميع القوى المفكرة جميع القوى قد أدت لك في التصرف فيما تعطيه حقيقتك حتى أتت عليه فاصرفك فيه واستعملك فقالت سمعاً ثم ردت وجهها القوة الفكرية إليها كالمعلمة وقالت لها لقد غفلت عن ذاتك وعن وجودك أنت لم تزا لي هكذا موجودة لذاتك أو لم تكوني ثم كنت قالت النفس لم أكن ثم كنت قال الفكر فهذا الذي كونك عينك أو غيرك فكري وحقيقي واستعملني فلهذا العمل أنا أفكرت النفس فعلت بما أعطاهما الدليل إنما لم توجد عينها وإنما موجودة لغيرها فالفقر للموجد لها ذاتي بما تجده في نفسها مما يقوم بها من الآلام الطبيعية فتفتقر إلى الأسباب المعتادة لأزالة تلك الآلام فبذلك الإفتقار علمت إنها فقيرة في وجد عينها للسبب الموجود لها فلما ثبت لها حدوثها وثبت أن لها حدودها وثبت أن لها سبباً أوجدها ثم فكرت فعلت أن ذلك السبب لا ينبغي أن يشبهها فيكون فقيراً مثلها وإنه لا يناسب هذه الأسباب المزيلة لآلامها لمشاهدتها حدوث هذه الأسباب بعد أن لم تكن وقبلها للإستحالات والفساد فثبت عندها أن لها موجوداً أو وجدها أو وجد كل من يشبهها من الحوادث والأسباب المزيلة لآلامها فتنبّهت أن ثم أمراً ما لولاه لبقيت ذات مرض وعلة فمن رحمته بما أوجد لها هذا الأسباب المزيلة لآلامها وقد كانت تحب هذه الأسباب وتجري إليها بالطبع فانتقل تعلق ذلك الحب في السبب الموجد تلك الأسباب وقالت هو أولى بي أن أحبه ولكن لأعلم ما يرضيه حتى أعامله به فحصل عندها حبه فأحبهت لما أنعم عليها من وجودها ووجود متلائمها وهنا وقفت وهي في تلك كله غافلة ناسية إقرارها بربوبية موجدتها نفسي قبضة الذر فيبنا هي كذلك إذ جاءها داع من خارج من جنسها ادعى أنه رسول من عند هذا الذي أوجدها فقالت له أنت مثلي وأخاف أن لا تكون صادقاً فهل عندك من يصدقك فإن لي قوة مفكرة بما توصلت إلى معرفة موجدي فقام لها بدليل يصدق في في دعواه ففكرت فيه إلى أن ثبت صدقه عندها فأمنت به فعرفها أن ذلك الموجد الذي أوجدها كان قد قبض عليها وأشهدها على نفسها بربوبية وإنها شهدت له بذلك فقالت ما عندي من ذلكخبر ولكن من الآن أقوم بواجب ذلك الإقرار فإنك صادق في خبرك ولكن ما أدري ما يرضيه من فعلى فلو حددت حدوداً ورسمت لي مراسم أقف عندها حتى تعلم إنني ممن وفي بشكره على ما أنعم به علي فرسم لها ما شرع فقامت بذلك شكراً وإن خالف غرضها ولم تفعل ذلك خوفاً ولا طمعاً لأنه لما رسم لها ما رسم ابتداء وعرفها أن وقوفها عند تلك المراسم يرضيه وما ذكر لها ما لها في ذلك من الثواب وما عليها أن خالفت من العقاب فبادرت هذه النفس الزكية لمراضيه في ذلك فقالت لا إله إلا الله كما قيل لها ثم بعد ذلك عرفها بما لها في ذلك من الثواب الجزيل والأنعام التام وما لمن خالف شرعه من العقاب فإضاف إلى عبادتها بين أمرين بين عبادة له وعبادة رغبة ورهبة فأحبهت له ولنفسها من حيث ما هي كثيرة بطبيعتها وروحانيتها فتعلقت الرغبة والرهبة من حيث طبيعتها وتعلق عبادتها إياه محبة له من روحانيتها فإن أحببت شيئاً من الموجودات سواه فإنما تحبه من روحانيتها له ومن طبيعتها لنيل غرضها فلما رآها الحق على ذلك وقد علم أن من حقيقتها الإنقسام وقد جمعت بين الحبين وهو قد وصف نفسه بالغيرة فلم يرد المشاركة وأراد أن يستخلصها لنفسه فلا تحب سواه فتجلى لها في صورة طبيعية وأعطاهها علامة لا تقدر على انكارها في نفسها وهي المعبر عنها بالعلم الضروري فعلمت أنه هو هذه الصورة فمالت إليه روحاً وطبعاً فلما ملكها وعلم أن الأسباب لا بد تؤثر فيها من حيث طبيعتها أعطاهها علامة تعرفه بها ثم تجلى لها بتلك العلامة في جميع الأسباب كلها فعرفته فأحبت الأسباب من أجله لا من أجلها فصارت بكلها له لا لطبيعتها ولا لسبب غيره فنظرته في كل شيء فزهت وسرت ورأت أها ما رآته إلا به لا بنفسها وما أحبه إلا به لا بنفسها فهو الذي أحب نفسه ما هي أحبه ونظرت إليه في كل موجود بتلك العين عينها فعلمت أنه ما أحبه غيره فهو المحب والمحبوب والمطلوب وتبين

لها بهذا كله أن حبها إياه له ولنفسها فما شاهدته في هذه المرتبة الأخرى من حبها إياه إنما: ان به لا بها ولا بالجموع وما ثم أمر زائد إلا العدم فأردت أن تعرف ما قدر ذلك الحب وماغيته فوقفت على قوله كنت كترأ لم أعرف فأحببت أن أعرف وقد عرفته لما تجلّى لها في صورة طبيعية فعلمت أنه يستحق من تلك الصورة التي ظهر لها فيها إسم الظاهر والباطن فعلمت أن الحب الذي أحب به أن يعرف إنما هو في الباطن المنسوب إليه وعلمت أن الحب من شأنه إذا قام بالصورة أن يتنفس لما في ذلك التنفس من لذة المطلوب فخرج ذلك النفس عن أصل محبة في الخلق الذي يريد التعرف إليهم ليعرفوه فكان العماء المسمى بالحق المخلوق به فكان ذلك العماء جوهر العالم فقبل صور العالم وأرواحه وطبائعه كلها وهو قابل إلى ما لامنتهاهي فهذا بدء حبه إيانا وأما حبنا إياه فبدؤه السماع لا الرؤية وهو قوله لنا ونحن في جوهر العماء كن فالعماء من تنفسه والصور المعبرة عنها بالعالم من كلمة كن فنحن كلماته التي لا تنفذ قال تعالى "وكلمته ألقاها إلى مريم" وهي عيسى وروح منه وهو النفس وتلك الحقيقة سارية في الحيوان فإذا أراد الله أمانته أزال عنه النفس فبالنفس كانت حياته وسيأتي في باب النفس صور التكوينات عنه في العالم فلما سمعنا كلامه ونحن ثابتون في جوهر العماء لم نتمكن أن نتوقف عن الوجود فكنا صوراً في جوهر العماء فاعطينا بظهورنا في العماء الوجود للعماء بعدما كان معقولي الوجود حصل له الوجود العيني فهذا كان سبب بدء حمننا إياه ولهذا نتحرك ونطيب عند سماع النغمات لأجل كلمة كن الصادرة من الصورة الإلهية غيباً وشهادة فشهادة صورة كلمة كن اثنان كاف ونون وهكذا علام الشهادة له وجهان ظاهر وباطن فظاهره النون وباطنه الكاف ولهذا مخرج الكاف في الإنسان أدخل لعالم الغيب فإنه من آخر حروف الحلق بين الحلق واللسان والنون من حروف اللسان وغيب هذه الكلمة هو الواو بين الكاف والنون وهي من حروف الشفتين فلها الظهور وهي حرف علة لا حرف صحيح ولهذا وجد عنه التكوين لأنه حرف علة ولما كان من حروف الشفتين بامتداد النفس من خارج الشفتين إلى ظاهر الكون لهذا كان ظهور الحكم

في الجسم للروح فظهرت منه الأفعال والحركات من أجل وحه وكان روحه غيباً لأن الواو لا وجود لها في الشهادة لأنها حذفت لسكونها وسكون النون فهي تعمل من خلف حجاب فهي غائبة العين ظاهرة الحكم فغاية حبنا إياه أن نعلم حقيقة ما حبنا هل هو صفة نفسية للمحب أو معنوية فيه أو نسبة بين الحب والمحبوب وهي العلاقة التي تجذب الحب لطلب الوصلة للمحبوب فقلنا هي صفة نفسية للمحب فإن قيل نراها تزول قلنا من المحال زوالها إلا بزوال الحب من الوجود والحب لا يزول من الوجود فالحبة لا تزول وإنما الذي يعقل زواله إنما هو تعلقه بمحسوب خاص يمكن أن يزول ذلك التعلق الخاص وتزول تلك العلاقة بذلك المحبوب المعين وتتعلق بمحسوب آخر وهي متعلقة بمحبوبين كثيرين فتتنكع العلاقة بين الحب ومحبوب وخاص وهي موجودة في نفسها فإنما عين الحب فمن المحال زوالها فالحب هو نفس الحب وعينه فصف بالحب ماشئت من حادث وغيره فليس الحب سوى عين الحب فما في الوجود إلا محب ومحبوب لكن من شأن المحبوب أن يكون معدوماً ولا بد فيجب إيجاد ذلك المعدوم أو وقوعه في موجود ولا بد لا في معدوم هذا أمر محقق لا بد منه فالعلاقة التي في الحب إنما هي في ذلك الموجود الذي يقبل وجود ذلك أن يحب إنسان اعدام أمر موجود لما في وجود من الضرر في حقه كالألم فإنه أمر وجودي في التألم فيحب عدامه فمحبوبه الإعدام وهو غير واقع فإذا زال الألم فإزالته عدمه بعد وجوده بانتقاله إلى العدم فلهذا قلنا في مثل هذا بالوقوع لا بالوجود فالمحبوب معدوم أبداً ولا تصح محبة الموجود جملة واحدة إلا من حيث العلاقة إذ لا تتعلق إلا بموجود يظهر فيه وجود ذلك المحبوب المعدوم وقد بيناه قبل هذا في الباب

فقد تبين لك في هذه التكملة ما هية الحب وبدؤه وغايته وبما أحب المحب وحبّه لمحبوبه أزل لنفسه كل ذلك قد تبين فلنعدّل إلى الكلام في الوصل الثاني إن شاء الله تعالى فقد حصل في الحب الإلهي ما فيه غنية على قدر الوقت انتهى الجزء الثاني عشر ومائة

الجزء الثالث عشر ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

الوصل الثاني في الحب الروحاني وهو الحب الجامع في الحب أن يحب محبوبه لمحبه زلنفسه إذ كان الحب الطبيعي لا يحب المحبوب إلا لأجل نفسه فاعلم أن الحب الروحاني إذا كان الحب موصوفاً بالعقل والعلم كان بعقله حكيماً وبحكمته عليماً فرتب الأمور ترتيب الحكمة ولم يتعد بها منازلها فعلم إذا أحب ما هو الحب وما معنى الحب وما حقيقة المحبوب وما يريد من المحبوب وهل لمحبه إرادة واختيار فيحب ما يحب المحبوب أم لا إرادة له فلا يحب إلا لنفسه أو الموجود الذي لا يريد وجود محبوبه إلا في عين ذلك الموجود فبهذا القدر نقول في الموجود أنه محبوب وإن لم يكن إلا فيه لا عينه فذلك الموجود أن كان ممن يتصف بالإرادة فيمكن أن يحبه له لنفسه وإن لم يتصف بالإرادة فلا يحب الحب محبوبه إلا لنفسه أعني لنفس الحب لا لمحبه فإن محبوبه غير موصوف بأن له محبة في شئ أو غرضاً لكن الذي يوجد فيه هذا المحبوب قد يكون ذا إرادة فيتعين على الحب أن يحب محبوب ذلك الموجود فيحبه له ولكن بحكم التبع هذا تعطيه المحبة فإننا الحب يطلب بذاته الوصلة بعد طلبه وجود محبوبه فإن عين وجود محبوبه عين وصلته لا بد من ذلك وهو قولنا

زمان الوداد كلوا واشربوا

زمان الوجود زمان الوصال

وهذا البيت من قصيدة لنا في مجلى حقيقتة تجلت لنا في حضرة شهودية وهي

وليس لنا غيرها مذهب

تعجبت من زينب في الهوى

أنار الحشى فإنجلى الغيب

فلما تجلى لنا نور من

بها والهوى أبداً متعب

بذلت لها نفساً ضنة

ونيل المنى أمد يضرب

فلم يك بين حصول الهوى

لأنه عند ما يحصل الهوى يقع التنفس والتنهج فيخرج النفس بشكل ما تصور في نفس الحب من صورة المحبوب فيظهره صورة منخارج يشاهدها فيحصل له مقصودة ونعيمه بها من غير زمان كما تقدم في ذكر وجود العماء فتمننا وقتنا بعد هذا في القصيدة عينها

ومن مثل ذا ينبغي تعجبوا

تعجبت من رحمة الله بي

زمان الوصال كلوا واشربوا

زمان الوداد زمان الوجود

وأين الهيام إلا فاعجبوا

فأين الغرام وأين السقام

فليست إلى أحد تنسب

مطهرة الثوب محجوبة

فإن المحبوب كما قلنا لا بد أن يكون معدوماً وفي حال عدمه فهو طاهر الثوب في أول ما يوجد لأنه ما اكتسب منه مما يشينه ويدنسه في أول ظهوره ووجوده فالأصل الطهارة وهو قوله كل مولود يولد على الفطرة وهي الطهارة وقولنا محجوبة هو عدمها

الذي قلنا من شهود الوجود وقولنا فليست إلى أحد تنسب لأن المعدوم لا ينسب ولكن الحب لنفسه ثم تمننا فقلنا وهو آخر القصيدة

فقد وجب الشكر لله إذ

هي البكر لي وأنا الثيب

لأن المحبوب وجد عند عدم فهو بكر وقد كنت أحببت قبل ذلك فإننا ثيب فإذا كان المحبوب الذي هو المعدوم إذا وجد لا يوجد في موجود يتصف هذا المحب بأنه يريد له فيحبه لنفسه بالضرورة كالحب الطبيعي فإذا كان المحبوب لا يوجد إلا في موجود متصف بالإرادة كالحق تعالى أو جارية أو غلام وما ثم من يتعلق به حب المحب إلا من ذكرناه فحينئذ يصح أن يحب ما يحب هذا المحب إذ كان ذلك الموجود ما هو عين المحبوب وإنما هو محل لوجود ذلك المحبوب وليس في قوة المحب إيجاد ذلك المحبوب في هذا الموجود إلا أن أمكنه من نفسه وإما أن كان المحبوب ممن لا يكون وجوده في موجود فلا يتمكن له إيجاد المحبوب البتة إلا أن تقوم من الحق به عناية فيعطيه التكوين كعيسى عليه السلام ومن شاء الله من عباده فإذا أعطى هذا بالضرورة يحمله الحب على إيجاد محبوبه وهذه مسألة لا تجدها محققة على ما ذكرناه فيها في غير هذا الكتاب لأني ما رأيت أحداً حقق فيها ما ذكرناه وإن كان المحبون كثيرون بل كل من في الوجود محب ولكن لا يعرف متعلق حبه وينحجبون بالموجود الذي يوجد محبوبه فيه فيتخيلون أن ذلك الموجود محبوبهم وهو على الحقيقة بحكم التبعية فعلى الحقيقة لا يحب أحد محبوباً لنفس المحبوب وإنما يحبه لنفسه هذا هو التحقيق فإن المعدوم لا يتصف بالإرادة فيحبه المحب له ويترك إرادته لأرادة محبوبه ولما لم يكن الأمر في نفسه على هذا لم يبق إلا أن يحبه لنفسه فافهم فهذا هو الحب الروحاني المجرد عن الصورة الطبيعية فإن تلبس بها وظهر فيها كما قلنا في الحب الإلهي وهو في الروحاني أقرب نسبة لأنه على كل حال صورة من صور العالم وإن كان فوق الطبيعة فاعلم أنه إذا قبل الروح الصورة الطبيعية في الأجساد المتخيلة لا في الأجسام المحسوسة التي جرت العادة بإداراتها فإن الأجساد المتخيلة أيضاً معتادة الإدراك لكن ما كل من يشهدها يفرق بينها وبين الأجسام الحقيقية عندهم ولهذا لم يعرف الصحابة جبريل حين نزل في صورة اعرابي وما علمت أن ذلك جسد متخيل حتى عرفهم النبي صلى الله عليه وسلم لما قال لهم هذا جبريل ولم يقيم بنفسهم شك أنه عربي وكذلك مريم حين تمثل لها الملك بشراً سوياً لأنه ما كانت عندها علامة في الأرواح إذا تجسدت وكذا يظهر الحق لعباده يوم القيامة فيتعوزون منه لعدم معرفتهم به فكان الحكم في الجناح الإلهي والروحاني في الصور سواء فيحق المتجلي له من الجهل به فلا بد لمن اعتنى الله به من علامة بها يعرف تجليك الحق من تجلي الملك من تجلي الجائن تجلي البشر إذا أعطوا قوة الظهور في الصور كقضييب البان وأمثاله فإذا كان البشر بهذه النشأة الترابية العنصرية له قوة التحول في الصور في عين الرائي وهو على صورته فهذا التحول في الأرواح أقرب فاعلم من ترى وبما ترى وما هو الأمر عليه وقد بينا ذلك في باب المعرفة في علم الخيال فإنظره هناك فإذا تجلى الروح في صورة طبيعية مثني الحكم عليها كما ذكرناه في الحب الإلهي سواء من حيث قبول تلك الصورة للظاهر والباطن لا تعدل عن ذلك المجرى فاعلم ذلك فيجمع الروحاني بين الحب الطبيعي والروحاني وبين الحب لنفسه ولحجوبه إن كان محبوبه كما قلنا ذا إرادة وتبين لك بما قررناه أن الناس لا يعرفون ما يحبون وإنه يندرج محبوبهم في موجود ما فيتخيلون أنهم يحبون ذلك الموجود وليس كذلك فاعلم قدر ما أعلمتك به واشكر الله حيث خلصك من الجهل بي وهذا القدر كاف في الغرض المقصود فإن فيه تفاريع كثيرة وغرضنا في هذا الكتاب تحصيل الأصول والحمد

الوصل الثالث في الحب الطبيعي وهو نوعان طبيعي زعنصري ونسبنا أن تذكر غاية الحب الروحاني فلنذكره في الحب الطبيعي لتعلقه بالصورة الطبيعية فغاياته الإتحاد وهو أن تصير ذات المحبوب عين ذات الحب وذات الحب عين ذات المحبوب وهو الذي تشير إليه الحلولية ولا علم لها بصورة الأمر فالعلم أن الصورة الطبيعية على أي حال كان ظهورها كسماً أو جسداً بأي نسبة كانت فإن المحبوب الذي هو المعدوم وإن كان معدوماً فإنه ممثل في الخيال فله ضرب من ضروب الوجود المدرك بالبصر الهيالي في الحضرة الخيالية بالعين الذي تليق بها فإذا تعانق الحبيبان وامتص كل واحد منهما ريق صاحبه وتحلل ذلك الريق في ذات كل واحد من الحبيين وتنفس كل واحد من الصورتين عند التقبيل والعناق فخرج نفس هذا فدخل في جوف هذا ونفس هذا في جوف هذا وليس الروح الحيواني في الصور الطبيعية سوى ذلك النفس وكل نفس فهو روح كل واحد من المتنفسين وفدحي به من قبله في حال التنفس والتقبيل فصار كما كان روحاً لزيد هو بعينه يكون روحاً لعمر وقد كان ذلك النفس خرج من محب فتشكل بصورة حب فصحبته لذة المحبة فلما صار روحاً في هذا الذي انتقل إليه وصار نفس الآخر روحاً في هذا الآخر عبر عن ذلك بالإتحاد في حق كل واحد من الشخصين وصح له أن يقول أنا من أهوى ومن أهوى أنا وهذا غاية الحب الروحاني في الصور الطبيعية وهو قلة في القصيدة في أول هذا الباب روحاً بروح وثماناً بثمان ثم نرجع إلى الحب الطبيعي فنقول أن الحب الطبيعي هو العام فإن كل ما تقدم من الحب في الموصوفين به قبلوا الصور الطبيعية على ما تعطيه حقائقهم فاتصفوا في حبهم بما تتصف به الصور الطبيعية من الوجد والشوق والإشتياق وحب اللقاء بالمحبوب ورؤيته والإتصال به وقد وردت أخبار كثيرة صحاح في ذلك يجب الإيمان بها مثل قوله من أحب لقاء الله أحب الله لقاء مع كونه ما زال من عينه ولا يصح أن يزول عن عينه فإنه على كل شئ شهيد ورفيق ومع هذا فجاء باللقاء في حقه وفي حق عبده ووصف نفسه بالشوق إلى عبادته وأنه أشد فرحاً ومحبة في توبة عبده من الذي ضلت راحته عليها طعامه وشرابه في أرض دوية ثم يجدها بعد ما يئس من الحياة وأيقن بالموت فكيف يكون فرحه بها بما فالله أشد فرحاً بتوبة عبده من ذلك الشخص براحلته مع غناه سبحانه وقدرته ونفوذ ارادته في عبادته ولكن انظر في سر قوله أعطى كل شئ خلقه فتعلم أنه ما تعدى بالأمور استحقاقها وإن مرتبة العلم ما فوقها مرتبة وقد قال "ما يبدل القول لدي" لأنه خلاف المعلوم فوقه محال فالأمر وإن كان ممكناً بالنظر إليه فليس بممكن بالنظر إلى علم الله فيه بوقوع أحد الإمكانين وأحدية المشيئة فيه وما تعلق المشيئة فيه وما تعلق المشيئة الإلهية بكون فلا بد من كونه وما لا بد من وقوعه لا يتصف بالإمكان بالنظر إلى هذه الحقيقة ولهذا عدل من الناظرين في هذا الشأن من إطلاق إسم الممكن عليه إلى إسم الواجب الوجود بالغير وهو أولى في التحقيق لأحدية المشيئة ولهذا قال ولو شاء حيث ما قاله ولو حرف امتناع لا امتناع فقد سبقت المشيئة بما سبقت كما قال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين فكان إسم وجوب الوجود بالغير أكمل في نسبة الأمر من إسم الممكن إذ ما ثم إلا أمر واحد كلمح بالبصر فزال الإحتمال فزال الإمكان فما ثم الإوجوب مطلق أو وجوب مقيد ثم نرجع ونقول اعلم أن الحب الطبيعي من ذاته إذا قام بالحب أن لا يحب المحبوب إلا لما له فيه من النعيم به واللذة فيحبه لنفسه لا لعين المحبوب وقد تبين لك فيما تقدم أن هذه الحقيقة سارية في الحب الإلهي والروحاني فأما بدء الحب الطبيعي فما هو الأنعام والإحسان فإن الطبع لا يعرف ذلك جملة واحدة وإنما يحب الأشياء لذاته خاصة فيريد الإتصال بها والدنو منها وهو سار في كل حيوان وهو في الإنسان بما هو حيوان فيحبه الحيوان في نفس الأمر لقوام وجوده به لا لأمر آخر ولكن لا يعرف معنى قوام وجوده وإنما يجد داعية من نفسه للإتصال بموجود معين ذلك الإتصال هو محبوبه بالإصالة

وذلك لا يكون إلا في موجود معين فيحب ذلك الوجود بحكم التبعية لا بالإصالة فاتصال محسوس وقرب محسوس وهو قولنا وحثمانا يجثمان فهذا هو غاية الحب الطبيعي فإن كان نكاحا عين محبوبه في موجود ما فغاياته حصول ذلك المحبوب في الوجود فيطلب ويشتاق للمحل

الذي يظهر فيه عين محبوبه ولا يظهر إلا بينهما لا في واحد منهما لأنها نسبة بين اثنين وكذلك أن عناقا أو تقبيلا أو مؤانسة أو ما كان ولا فرق بين أن تقول طبيعة الشيء أو حقيقته كل ذلك سائغ في العبارة عنه وهو في الإنسان أتم من غيره لأنه جامع حقائق العالم والصورة الإلهية فله نسبة إلى الجنب الأقدس فإنه عنه ظهر وعن قوله كن تكون وله نسبة إلى الأرواح بروحه وإلى عالم الطبيعة والعناصر بجسمه من حيث نشأته فهو يحب كل ما تطلبه العناصر والطبيعة بذاته وليس الأعمال الأجسام والأجساد والأرواح ومنها أجساد عنصرية وكل جسم عنصري فهو طبيعي ومنها أجسام طبيعية غير عنصرية فما كل جسم طبيعي عنصري فالعناصر من الأجسام الطبيعية لا يقال فيها عنصرية وكذلك الأفلاك والأملأك ولهذا عرفنا أن الملا الأعلى يختصمون فيدخلون في قوله تعالى "ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك" وهم يخالفون هؤلاء المرحومين مخالفتهم ولذلك خلقهم أي من أجل الخلاف خلقهم لأن الاسماء الإلهية متفاضلة فمن هناك صدر الخلاف أين الضار من النافع والمعز من المذل والقابض من الباسط وأين الحرارة من البرودة وأين الرطوبة من اليبوسة وأين النور من الظلمة وأين العدم من الوجود وأين النار من الماء وأين الصفراء من البلغم وأين الحركة من السكون وأين العبودية من الربوبية أليست هذه تقابلات فلا يزالون مختلفين وأين التحليل من التحريم في العين الواحدة للشخصين فيحرم على هذا ما يحل لهذا فيتوارد حكمان مختلفان على عين واحدة فإنظر حكم الطبيعة المتادة من أين صدرت وما كان سبب وجودها متقابلة من العلم الإلهي لتعلموا أنه ليس بيد أحد من المخلوقين مما سوى الله من الأمر شيء لا في الدنيا ولا في الآخرة حتى أن الآخرة ذات دارين رؤية وحجاب فالحمد لله الذي أبان لنا عن الأمور ومصادرها ومواردها وجعلنا منالعارفين بما فالحمد لله يجعلنا من أسعده بما علمه فقد تبين لك أن المحبوب هو الإتصال بموجود ما من كثيرين أو قليلين ومع كونه مؤانسة ومجالسة وتقبيلا وعنقا وغير ذلك بحسب ما تقتضيه حقيقة الموجود فيه عين المحبوب وبحسب حقيقة الحب فالمحبوب واحد العين متنوع وهو حب الإتصال خاصة أما بحديث أو ضم أو تقبيل هذا تنوعه في واحد أو كثيرين فلا يصح أن يحب الحب اثنين أصلا لأن القلب لا يسعهما فإن قلت هذا يمكن أنيصح في حب المخلوقين وأما في حب الخالق فلا فإنه قال يحبهم فأحب كثيرين قلنا الحب معقول المعنى وإن كان لا يجد فهو مدرك بالذوق غير مجهول ولكن عزيز التصور وهو مجهول النسبة إلى الله تعالى فإن الله ليس كمثل شيء فقولك وأما في حب الحق فلا هذا تحكم منك فإنه لا يقول هذا إلا من يعرف ذات الحق وهي لا تعرف فلا تعرف النسبة تعرف المحبة فإنه ما خاطب عباده إلا بلسانهموما يعرفونه في لحتهم من كل ما ينسبه إلى نفسه ووصف أنه عليه ولكن كيفية ذلك مجهولة وصل وأما القسم الثاني وهو الحب العنصري فهو وإن كان طبيعياً فيبين القسمين فارق وذلك أن الطبيعي لا يتقيد بصورة طبيعية دون صورة طبيعية وهو مع كل صورة كما هو مع الأخرى في الحب مثل الكهرباء مع ما يتلق بها ومسكه بالخاصية وأما العنصري فهو الذي يتقيد بصورة طبيعية وحدها كقيس ليلى وقيس ولبنى وكثير عزة وجميل بشينة ولا يكون هذا إلا العموم المناسبة بينهما كماغطيس الحديد ويشبهه في الحب الروحاني ومامنا الإله مقام معلوم ويشبهه من الحب الإلهي التقيد بعقيد واحدة دون غيرها كما يشبه الروحاني الطبيعي في الطهارة ويشبه الإلهي الطبيعي في الذي يراه في جميع العقائد عينا واحد واعلم أن الحب كما قلناه وإن كان له أربعة ألقاب فلكل لقب حال فيه ما هو عين الآخر فلنبين ذلك كله فمن ذلك الهوى ويقال

على نوعين وهما في الحب النوع الواحد سقوطه في القلب وهو ظهوره من الغيب إلى الشهادة القلب يقال هوى النجم إذا سقط يقول تعالى "والنجم إذا هوى" فهو من أسماء الحب في ذلك الحال والفعل منه هوى يهوى بكسر عين الفعل في الماضي وفتحها في المستقبل والاسم منه هوى وهو الهوى وهذا الاسم هو الفعل الماضي من الهوى الذي هو السقوط يقال هوى بفتح عين الفعل في الماضي يهوى بكسرها في المستقبل والاسم منه هوى وسبب حصول المعنى الذي هو الهوى في القلب أحد ثلاثة أشياء أو بعضها أو كلها أما نظرة أو سماع أو أحسان وأعظمها النظر وهو أثبتها فإنه لا يتغير باللقاء والسماع ليس كذلك فإنه يتغير باللقاء فإنه يبعد أن يطابق ما صورته الخيال بالسماع صورة المذكور وأما حب الأحسان فمعلول تزيله الغفلة مع دوام الأحسان لكون عين المحسن غير مشهودة وأما الهوى الثاني فلا يكون ألا مع وجود حكم الشريعة وهو قوله لداوداً حكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى يعني لا تتبع محابك بل أتبع محابي وهو الحكم بما رسمته لك ثم قال "فيضلك عن سبيل الله" أي يحيرك ويتلفك ويعمى عليك السبيل الذي شرعته لك وطلبت منك المشي عليه وهو الحكم به فالهوى هنا محاب الإنسان فأمره الحق بترك محابه إذا وافق غير الطريق المشروعة له فإن قلت فقد نهاه عما لا يصح أن ينتهي عنه فإن الحب الذي هو الهوى سلطانه قوى ولا وجود لعين العقل معه قلنا ما كلفه إزالة الهوى فإنه لا يزول ألا أن الهوى كما قلنا يختلف متعلقه ويكون في موجودين كثيرين وقد بينا أن الهوى الذي هو الحب حقيقة حب الاتصال في موجود ما أو كثيرين فطلب منه تعالى أن يعلقه بالحق الذي شرع له وهو سبيل الله كما يعلقه بسبيل كثيرة ما هي سبيل الله فهذا معنى قوله ولا تتبع الهوى فما كلفه ما لا يطبق فإن تكليف ما لا يطابق محال على العالم الحكيم أن يشرعه فإن أحتججت بتكليف الايمان من سبق في علم الله أنه يؤمن كأبي جهل وأمثاله قلنا الجواب من وجهين الوجه الواحد أي لست أعني بتكليف ما لا يطابق ألا ما جرت العادة به أنه لا يطيقه المكلف مثل أن يقول له أصدع إلى السماء بغير سبب وأجمع بين الضدين فقم في الوقت الذي لا يقوم وإنما كلفه ما جرت العادة به أن يطيقه وهو اعتقاد الايمان أو التلفظ به وكلاهما يجد كل أنسان في نفسه التمكن من مثل هذا كسباً أو خلقاً كيفما شئت فقل ولهذا تقوم الحجة به لله على العبد يوم القيامة وقد قال قل فله الحجة البالغة فلو كلفه ما ليس في وسعه عادة لم يصح قوله "فله الحجة البالغة" بل كان يقول والله أن يفعل ما يريد كما قال لا يسأل عما يفعل ومعنى ذلك أنه لا يقال للحق لم كلفتنا ونهيتنا وأمرتنا مع علمك بما قدرته علينا من مخالفتك هذا موضع لا يسأل عما يفعل فإنه يقول لهم هل أمرتكم بما تطبقونه أو بما لا تطبقونه عندكم فلا بد أن يقولوا بما جرت العادة به أن نطبقه فقد كلفهم ما يطبقونه فثبت أن لله الحجة البالغة فإنهم جاهلون بعلم الله فيهم زمان التكليف والجواب الثاني قد تقدم من أنه لا بد من الايمان به وقد وقع في قبض الله الذرية ويظهر حكمه في الآخرة فلا يبقى ألا مؤمن وهو في الدار الدنيا معترف بوجوده وأن أشرك فما يشرك ألا بوجوده ولهذا ما طلب منه ألا توحيد الأمر له خاصة وهو محبوب الحق وهو معدوم منهم وهو يحب توحيده أن يظهر في هؤلاء الموجودين فهو وأن أحب واحداً فأحبه من كثيرين فمن أتصف به أحبه الله لكون محبوبه وهو التوحيد ظهر فيه ومن أبغضه فلكون محبوبه لم يظهر فيه وهو التوحيد فمال الكل إلى الايمان وقد قررنا ذلك في سبق الرحمة غضب الله فقد تبين لك معنى الهوى وأما الحب فهو أن يتخلص هذا الهوى في تعلقه بسبيل الله دون سائر السبل فإذا تخلص له وصفاً من كدورات الشركاء من السبل سمي حباً لصفائه وخلوصه ومنه سمي الحب الذي يجعل فيه الماء حباً لكون الماء يصفو فيه ويروق ويتزل كدره إلى قعره وكذلك الحب في المخلوقين إذا تعلق بجناب الحق سبحانه وتخلص له من علاقته بالأنداد الذين جعلها المشركون شركاء لله في الألوهية سمي ذلك حباً بل قال فيه تعالى "والذين آمنوا أشد حباً لله" وسبب ذلك أنه إذا كشف الغطاء وتبرأ الذين أتبعوا من الذين

أتبعوا وقال "الذين أتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تروننا منا فزال حبهم إياهم في ذلك الموطن وبقي المؤمنون على حبهم لله فكانوا أشد حبا لله بما زادوا على أولئك في وقت رجوعهم عن حبهم أهتهم حين لم تغن عنهم من الله شيئا فلا يبقى مع المشركين يوم القيامة إلا حبهم لله خاصة فإنهم في الدنيا أحبوه وأحبوا شركاءهم على أنهم آلهة ولولا ذلك التوهم والغلط ما أحبهم فكان محبوبهم الألوهة وتخلوها في كثيرين فأحبوه وأحبوا الشركاء فإذا كان في القيامة كما ذكرنا لم يبق عندهم سوى حبهم لله تعالى فكانوا في الآخرة أشد حبا لله منهم له في الدنيا لكون حبهم كان منقسما فاجتمع عليه في الآخرة لما لم يعاين محبوبه وهو الألوهة إلا فيه خاصة فلذلك كان سبق الرحمة وقوة الطرفين وضعف الوساطة بما فيها من الشراكة وقد بينا ذلك مله فيما تقدم فهذا الفرق بين الحب والهوى وأما العشق فهو افراط الحبة أو الحبة المفرطة وهو قوله "في الذين آمنوا أشد حبا لله" وهو مع صفاته لو أخذ الذي هو مسوى الحب وظهوره في حبة القلب الذي أيضاً به سمي حبا فإذا عم الإنسان بجملته وأعماه عن كل شيء سوى محبوبه وسرت تلك الحقيقة في جميع أجزاء بدنه وقواه وروحه وجرت فيه مجرى الدم في عروقه ولحمه وغمرت جميع مفاصله فاتصلت بوجوده وعانقت جميع أجزائه جسماً وروحاً ولم يبق فيه متسع لغيره وصار نطقه به وسماعه منه ونظره في كل شيء إليه ورآه في كل صورة وما يرى شيئاً إلا ويقول هو هذا حينئذ يسمى ذلك الحب عشقا كما حكى عن زليخا أنها افتصدت فوقع الدم في الأرض فإنكتب به يوسف يوسف في مواضع كثيرة حيث سقط الدم لجريان ذكر اسمه مجرى الدم في عروقها كلها وهكذا حكى عن الحلاج لما قطعت أطرافه انكتب بدمه في الأرض الله الله حيث وقع ولذلك قال رحمه الله

ما قد لي عضو ولا مفصل

إلا وفيه لكم ذكر

فهذا من هذا الباب وهؤلاء هم العشاق الذين استهلكوا في الحب هذا الإستهلاك وهو الذي يسمى بالغرام وسيأتي ذكره في نعت الحبين إن شاء الله وأما الود فهو ثبات الحب أو العشق أو الهوى أية حالة كانت من أحوال هذه الصفة فإذا ثبت صاحبها الموصوف بها عليها ولم يغيره شيء عنها ولا أزاله عن حكمها وثبت سلطانها في المنشط والمكره وما يسوء ويسر في حال الحجر والطرده من الموجود الذي يجب أن يظهر فيه محبوبه ولم يبرح تحت سلطانه لكونه مظهر محبوبه سمي لذلك وداً وهو قوله تعالى "سيجعل لهم الرحمن وداً" أي ثباتاً في الحبة عند الله وفي قلوب عباده هذا معنى الود وللحب أحوال كثيرة جداً في الحبين سأذكرها إن شاء الله مثل الشوق والغرام والهيام والكلف والبكاء والحزن وزالكبد والذبول والإنكسار وأمثال ذلك مما يتصف به المحبون ويذكرونه في أشعارهم مفصلة إن شاء الله وقد يقع في الحب أغاليط كثيرة أولها ما ذكرناه وهو أنهم يتخيلون أن المحبوب أمر وجودي وهو أمر عديمي يتعلق الحب به أن يراه موجوداً في عين موجودة فإذا رآه انتقل حبه إلى دوام تلك الحال التي أحب وجودها من تلك العين الموجود فلا يزال المحبوب معدوماً وما يشعر بذلك أكثر الحبين إلا أن يكونوا عارفين بالحقائق ومتعلقاتها وقد بينا ذلك وأكثر كلامنا في هذا الباب إنما هو في الحبة المفرطة فإنها تذهب بالعقول أو تورث النحول والفكر الدائم والهم اللازم والقلق والأرق والشوق والإشتياق والسهاد وتغيير الحال وكسوف البال والوله والبله وسوء الظن بالمحبيب أعني الموجود الذي تحب ظهور محبوبك فيه الذي تزعم العامة فيه أنه المحبوب لها ونحن فيه على نوعين طائفة منا نظرت إلى المثال الذي في خيالها من ذلك الموجود الذي يظهر محبوبه فيه ويعاين وجود محبوبه وهو الإتصال به في خياله فيشاهد متصلاً به اتصال لطف ألطف منه في عينه في الوجود الخارج وهو الذي

اشتغل به قيس المجنون عن ليلى حين جاءته من خارج فقال لها إليك عني لئلا تحجبه كثافة المحسوس منها عن لطف هذه المشاهدة الخيالة فإنها في خياله ألطف منها في عينها وأجمل وهذا ألطف المحبة وصاحب هذا النعتلا يزال منعماً لا يشكو الفراق ولنا في هذا النعت اليد الطولى بين المحبين فإن مثل هذا في المحبين عزيز الوجود لوجود لغلبة الكثافة عليهم وسبب ذلك عندنا أنه من استفراغ في حب المعاني المجردة عن المواد فغايبته إذا كثفها أن يترلها إلى الخيال ولا يترل بها أكثر فمن كان أكثر فحال الخيال فما ظنك بلطافته في المعاني وهذا الذي حاله هذا هو الذي يمكن أن يحب الله فإن غايته في حبه إياه إذا لم يجرده عن التشبيه أن يترل إلى الخيال وهو قوله عليه السلام اعبد الله كأنك تراه فإذا أحببنا ونحن بهذه الصفة موجوداً نحب ظهور محبوبنا فيه من المحسوسات عالم الكثائف نلطفه بأن نرفعه إلى الخيال لنكسوه حسناً فوق حسنة ونجعل في حضرة لا يمكنه الهجر معها ولا الانتقال عنها فلا يزال في اتصال دائم ولنا في ذلك

غير شكوى البعاد والاغتراب

في خيالي فلم أزل في اقتراب

فلماذا أقول ما بي وما بي

ما لمجنون عامر في هواه

وأنا ضده فإن حبيبي

فحبيبي مني وفي عندي

أما قولنا يذهب الحب بالعقول فإنهم قالوا ولا خير في حب يدبر بالعقل وقال أبو العباس المقراني الكساد الحب أملك للنفس من العقول وإنما قالوا ذلك لأن العقل يقيد صاحبه والحب من أوصافه الضلال والحيرة تفرق قالاخوة يوسف ليعقوب إنك لفي ضلالك القديم يريدون حيرته في حب يوسف والحيرة تفرق ولا تجمع ولهذا وصفت المحبة بالبهت وهو تفرق هموم الحب في وجوده كثيرة قال تعالى "وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء وكذلك قوله "هباء منبثاً" والحب في حكم محبوبه فلا تدبير له في نفسه وإنما هو يحكم ما يعطيه ويأمره به سلطان الحب المستوى على قلبه ومن ضلالته في حبه أنه يتخيل في كل شخص أن محبوبه حسن عنده وأنه يرى مثل ما يراه هذا الحب وهذا من الحيرة وعلى هذا جرى المثل حسن في كل عين من تود يعني عندك أيها الحب تتخيل أن كل من يرى محبوبك يحسن عنده كما يحسن عندك ومن ضلالة الحب أنه يتحير في الوجود التي يرى أنه يحصل محبوبه منها فيقول أفعل كذا لنصل بهذا الفعل إلى محبوبتي أو كذا وكذا فلا يزال يحار في أي الوجوه يشرع لأنه يتخيل أن وجود اللذة بمحبوبه في الحس أعظم منهم في الخيال وذلك لغلبة الكثافة على هذا الملب ويغفل عن لذة التخيل في حال النوم فإنه أشد من التذاذ به بالخيال لأنه أشد اتصالاً به من الخيال والاتصال بالخيال أشد من الاتصال بالخارج وهو المحسوس فلذته بمعنى أشد اتصالاً من الخيال فيحار الحب في تحصيل الوجوه التي بها يصل إلى الاتصال من خارج ويسئل عن ذلك من يعرف أن عنده خبراً من هذا الشأن عسى يجد عنده حيلة في ذلك ولا سيما وقد سمع في ذلك في قول القائل لو صح منك الهوى أرشدت للحيل يعني فيما تصنع حتى تتصل بالمحبيب وصل فأول ما أذكره من نعوت المحبين ما حدثنا به يونس بن يحيى بن أبي الحسن الهاشمي العباسي القصار بمكة تجاه الركن اليماني من الكعبة المعظمة سنة تسع وتسعين وخمسائة قال أخبرنا ابن عبد الباقي أخبرنا أحمد بن أحمد أخبرنا أحمد بن عبد الله حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا أبو بكر الدينوري المفسر سنة ثمان وثمانين ومائتين حدثنا محمد بن أحمد الشمساطي قال سمعت ذا النون يقول أن لله عبداً ملاً قلوبهم من صفاء محض محبته وفسح أرواحهم بالشوق إلى رؤيته فسبحان من شوق إليه أنفسهم وأدنى منه

فهمهم وصفت له صدورهم فسبحان موفقهم ومؤنس وحشتهم وطيب أسقامهم ألهي لك تواضعت أبدانهم وإلى الزيادة منك أنبسطت أيديهم فأذقتهم من حلاوة الفهم عنك ما طيب به عيشهم وأدمت به نعيمهم ففتحت لهم أبواب سمواتك وأبحت لقلوبهم الجولان في ملكوتك بل مانست محبة الحبين وعليك معول شوق المشتاقين وإليك حنت قلوب العارفين وبك أنست قلوب الصادقين وعليك عكفت رهبة الخائفين وبك أستجارت أفئدة المقصرين قد يئست الراحة من فتورهم وقل طمع الغفلة فهم لا يسكنون إلى محادثة الفكرة فيما لا يعينهم ولا يفترقون عن التعب والسهر يناجون به بأسنتهم ويتضرعون إليه بمسكهم يسألونه العفو عن زلاتهم والصفح عما وقع من الخطاء في أعمالهم فهم الذين ذابت قلوبهم بفكر ألاحزان وخدموه خدمة الأبرار ومن نعوتهم رضى الله عنهم النحول وهو نعت يتعلق بكنائفهم وبلطائفهم فاماتعلقه بلطائفهم فإن أرواح الحبين وأن لطفت عن أدراك الحواس ولطفت عن تصوير الخيال فإن الحب يلطفها الطاقة السراب لمعنى أذكره لك أن السراب يحسبه الظمان ماء وذلك لظمئه لولا ذلك ما حسبه ماء لان الماء موضع حاجته فيلجأ إليه لكونه مطلوبه ومحبوه لما فيه من سر الحياة فإذا ججاء لم يجده شيئاً وإذا وجد الله عنده عوضاً من الماء فكان قصده حساً للماء والله يقصده به إليه من حيث لا يشعر فكما أنه تعالى يكر بالعبد من حيث لا يشعر كذلك يعتني بالعبد في الالتجاء إليه والرجوع إليه والأعتماد عليه بقطع الأسباب عنه عند ما يديها له من حيث لا يشعر فوجود الله عنده عند فقد الماء المتخيل له في السراب هو رجوعه إلى الله لما تقطت به الأسباب وتغلقت دون مطلوبه الأبواب رجع إلى من بيده ملكوت كل شيء وهو كان المطاوب به من الله هذا فعله مع أحبائه يردهم إليه اضطراباً واختياراً كذلك أرواحهم يحسبونها قائمة بحقوق الله التي فرضها عليها وأنها المتصرفة عن أمر الله محبة لله وشوقاً إلى مرضائه ليراهم حيث أمرها فإذا كشف لها الغطاء واحتد بصرها وجدت نفسها كالسراب في شكل

الماء فلم ترقائماً بحقوق الله ألا خالق أفعال وهو الله فوجدت الله ماتخيلت إنه عينها فذهب عينها عنه وبقي المشهود الحق بعين الحق كما فنى ماء السراب عن السراب والسراب مشهود في نفسه وليس بماء كذلك الروح موجود في نفسه وليس بفاعل فعلم عند ذلك أن الحب عين المحبوب وأنه ما أحب سواه ولا يكون ألا كذلك وألطف من هذا النحول في الأرواح فلا يكون وأما النوع المتعلق من النحول بكنائفهم فهو ما يتعلق به الحس من تغير ألوانهم وذهاب لحوم أبدانهم لأستيلاء جولان أفكارهم في أداء ما كلفهم المحبوب أداءه مما أفترضه عليهم فبدلوا الجهود ليتصفوا بالوفاء بالعهود أذ كانوا عاهدوا الله على ذلك وعقدوا عليه في إيمانهم به وبرسوله وسمعوه يقول آمراً "يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود" وقال "أوفوا بعهدي ولا تنقضوا الميثاق" وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً فهذا سبب نحول أجسامهم ومن نعوت المحبين الذبول وهو نعت صحيح في أرواحهم وأجسامهم أما في أجسامهم فسيبه ترك ملاذ الأطعمة الشهية التي لها الدسم والرطوبة وهي مستلذة للنفوس وتورث في الأجسام نضرة النعيم فلما رأوا رضى الله عنهم أن الحبيب كلفهم القيام بين يديه ومناجاته ليلاً عند تجليه ونوم النائمين ورأوا أن الرطوبات الحاصلة في أجسامهم تصعد منها أبخرة إلى الدماغ تخدر الحواس وتغمرها فيغلبهم النوم عما في نفوسهم من القيام بين يدي محبوبهم لمناجاته في خلواتهم حين ينامون ثم أن تلك الأبخرة تورث قوة في أبدانهم تؤدي تلك القوة الجوارح إلى التصرف في الفضول الذي حجر عليهم التصرف فيه محبوبهم فتركوا الطعام والشراب الأقدر ما تمس الحاجة إليه من ذلك فقلت الرطوبة في أجسامهم فزالت عنهم نضرة النعيم وذبلت شفاههم وأسترخت أبدانهم وراح نومهم وتقوى سهرهم فنالوا مقصودهم من القيام بين يديه ووجدوا المعونة على ذلك بما تركوه فذلك هو ذبول الأجسام وأما ذبول أرواحهم فإن لهم نعيماً بالمعارف والعلوم لأن لهم نسبة إلى أرواح الملائة الأعلى ليأنسوا بالجنس رغبة في المعاونة

لما سمعوا الله تعالى يقول "وتعاونوا على البر والتقوى" فتخيلوا أنهم المخاطبون بذلك وليس الأمر كذلك فإن الذين خوطبوا بذلك هم الذين يليق بهم أن يتعاونوا على الأثم والعدوان ولذلك أردف بالنهي فقال "ولا تعاونوا على الأثم والعدوان وأتقوا الله" وهذا ليس من صفات الملائة الأعلى فلما عرفوا غلطهم في ذلك عدلوا عن هذه الآية إلى قوله "وأستعينوا بالله وأصبروا" أي أحبسوا نفوسكم مع الله فلما فارقوا الجنس بهذه الآية ذبلت أرواحهم وقد كانت في نضرة النعيم بمجالسة الجنس لأنها تعلقت بمن ليس كمثله شيء فلم تعرف بينها وبينه مناسبة مثلية فتعلق بها فقالت لها المعرفة بالله هو ما خاطبك سبحانه ألا بلسانك ولحنك ولغتك وما تواطأ عليه أهل ذلك اللسان الذين أنت منهم فأرجع إلى مفهوم ما خاطبك به فإنه لم يخرج عن حقيقة مدلوله ولا تنال بجهلك النسبة إليه من ذلك فإن تلك الصفة التي خاطبك بها تطلبه بذاتها لأنه وصف نفسه بها ولا تكون صفاته إلا بمناسبة خاصة منا إليه فإذا تعلقت أنت بتلك الصفة ولزمتها بالضرورة تحصلك عنده فتعلم عند ذلك صورة نسبتها إليه علم ذوق وتجلى أهلي فيزيد ذبولك حتى تصير كالنقطة المتوهمة كما قال بعضهم

أصبحت فيك من الضنا

كالنقطة المتوهمة

وهي التي لا وجود لها إلا في الوهم فهذا نعتهم في الذبول وقد روي في خبر مؤيد بكشف أن أسرافيل عليه السلام وهو من أرفع الأرواح العلوية يتضاءل في نفسه كل يوم لأستيلاء عظمة الله على قلبه سبعين مرة حتى يصير كالوضع كما يحشر المتكبرون في نفوسهم على عباد الله يوم القيامة كأمثال الذرة ذلة وصغاراً وذلك لما ظهروا به في الدنيا من التعاضم والتكبر فهذا نعت ذبولهم في أرواحهم وأجسامهم ومن نعوت الحبين أيضاً الغرام وهو الاستهلاك في الحبوب بملازمة الكمد قال تعالى "أن عذابها كان غراماً" أي مهلكاً لملازمة شهود الحبوب فإن الغريم هو الذي لزمه الدين وبه سمى غريماً ومقلوبه أيضاً الرغام وهو اللصوق بالتراب فإن الرغام التراب يقال رغم أنه أذ كان الأنف محل العزة قبل الرغام في الدعاء فألصقوه بالتراب فيكون الغرام حكمه في المغرم من المقلوب فهو موصوف بالذلة لأن التراب أذل الأذلاء ولهذا وصفت الأرض بأنها ذلول على طريق المبالغة لكون الأذلاء يطونها ولما لازم الحب قلوب الحبين والشوق قلوب المشتاقين والأرق نفوس الأرقين وكل صفة للحب موصوفها منه سمى صاحب هذه الملازمات كلها مغرماً وسميت صفته غراماً فهو إسم يعم جميع ما يلزم الحب من صفة الحب فليس للمحب صفة أعظم أحاطة من الغرام ومن نعوت الحبين الشوق وهو حركة روحانية إلى لقاء الحبوب وحركة طبيعية جسمانية حسية إلى لقاء الحبوب إذا كان من شكله ذلك الحبوب فإذا لقيه أي محبوب كان فإنه يجد سكوناً في حركة فيتحير لما إذا ترجع تلك الحركة مع وجود اللقاء ويراها تنديد ويدركه معها خوف في حال الوصلة فيجد الخوف متعلقه توقع الفرقة ويجد الحركة الأستياقية تطلب أستمادة حالة الوصلة ولذلك يهيج باللقاء كما قيل في الشوق

وأبرح ما يكون الشوق يوماً

إذا دنت الديار من الديار

وقال الآخر فيما ذكرناه من الخوف في حال الوصلة

وأبكي أن ناؤا شوقاً إليهم

وأبكي أن دانوا خوف الفراق

هذا جزاء من أحب غير عينه وجعل وجود عين محبوبه فيما هو خارج عنه فلو أحب الله لم تكن هذه حالته فمحب الله لا يخاف

فرقة وكيف يفارق الشيء لازمه وهو في قبضته لا يبرح وبحيث يراه محبوبه وهو أقرب إليه من جبل الوريد وما رميت أذ رميت ولكن الله رمى أين الفراق وما في الكون ألا هو يقول الله تعالى "من تقرب إلى شبراً تقربت منه ذراعاً" الحديث فهكذا ينبغي أن تعرف يا أخي قدر من أحبك الله أو لنفسه إذا كان الحق مع غناه عن العالم إذا أحبه عبده سارع إليه بالوصلة وقربه وأدنى مجلسه وجعله من خواص جلسائه فإن أنت أولى بهذه الصفة إذا أحبك شخص فقد أعطاك السيادة عليه وجعل نفسه محلاً لتحكمك فيه فينبغي لك أن كنت عاقلاً أن تعرف قدر الحب وقدر من أحبك ولتسارع إلى وصلته تخلفاً بأخلاق الله مع محبته فإنه من بدأك بالحببة فتلك يدل على أنك لا تكافئها أبداً وذلك لأن كل ما يفعله من الحب بعد أبتدائه معه فإنما هو نتيجة عن ذلك الحب الذي أحبك ابتداءً ومن نعوت المحبين الهيام وهم المهيمون الذين يهيمون على وجوههم من غير قصد جهة مخصوصة والمحبون لله أولى بهذه الصفة فإن الذي يحب المخلوق إذا هام على وجهه فهو لقلقه ويأسه من مواصلة محبوبه ومحبه الله متيقن بالوصلة وقد علم أنه سبحانه لا يتقيد ولا يختص بمكان يقصد فيه لأن حقيقة الحق تأبى ذلك ولذلك قال "فأينما تولوا فثم وجه الله" وقال "وهو معكم أينما كنتم" فمحبة مهيم في كل واد وفي كل حال لأن محبوبه الحق فلا يقصده في وجه معين بل يتجلى له في أي قصد يقصده على أي حالة كان فهم أحق بصفة الهيمان من محبي المخلوقين فهو تعالى المشهود عند المحبين من كل عين والمذكور بكل لسان والمسموع من كل متكلم هكذا عرفه العارفون وبهذه الحقيقة تجلى للمحبين ومن نعوت المحبين الزفرات وهي نار نور محرقة يضيق القلب عن حملها فتخرج مضغطة لتراكمها مما يجده الحب من الكمد فيسمع لخروجها صوت تنفس شديد الحرارة كما يسمع لصوت النار صوت يسمى ذلك الصوت زفرة ولا يكون ذلك إلا في الجسم الطبيعي خاصة وقد يكون في الصورة المتجسدة ولهذا تتصف الصورة المتجسدة عن المعنى المجرد إذا ظهر فيها وقيل هذه صورته بالغضب والرضى كالأجسام الطبيعية كما قال صلى الله عليه وسلم عن نفسه أنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر وأرضى كما يرضى البشر وإذا كان الجنات الألهي الذي ليس كمثل شيء قد وصف نفسه بالرضى والغضب في هاتين الصفتين وفي أمثالهما مما وصف الحق بها نفسه ومن تلك الحقيقة ظهرت في العالم ولهذا قلنا أن الله سبحانه علمه بنفسه علمه بالعالم لا يكون إلا هكذا فكل حقيقة ظهرت في العالم وصفة فلها أصل إلهي ترجع إلهي إليه لولا ذلك الأصل الإلهي يحتفظ عليه وجودها ما وجدت ولا بقيت ولا يعلم ذلك إلا الآحاد من أهل الله فإنه علم خصوص قال تعالى "وغضب الله عليه" ثم ورد في الخبر ما هو أشد من هذا لمن عقل عن الله وهو ما ورد في الحديث الصحيح من قول الأنبياء في القيامة أن الله قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله ولن يغضب بعده مثله فهذا أشد من ذلك حيث اتصف غضبه باحداث والزوال وفي ذلك المقام يقول محمد صلى الله عليه وسلم فيمن بدل من أصحابه بعده سحاً لاقتضاء الحال والموطن فإن صاحب السياسة يجري في أحكامه بحسب الأحوال والمواكن ومن نعوت المحبين الكمد وهو أشد حزن القلب لا يجري معه دمع إلا أن صاحبه يكون كثير التأوه والتنهد وهو حزن يجده في نفسه لا على فائت ولا تقصير وهذا هو الحزن المجهول الذي هو من نعوت المحبين ليس له سبب إلا الحب خاصة وليس له دواء إلا وصال المحبوب فيفنيه شغله به عن الإحساس بالكمد وإن لم تقع الوصلة بالمحبوب اتصال ذوات فيكون المحبوب مما يأمره فيشغله القيام بأوامره وفرحه بذلك عن الكمد فأكثر ما يكون الكمد إذا لم يقع بينه وبين المحبوب ما يشغله عن نفسه وليس للمحب صفة تزول مع الإشتغال غير الكمد ونعوت المحبة كثيرة جداً مثل الأسف الوله البهت الدهش الحيرة الغيرة والخرس السقام القلق الخمود البكاء التبريح والوجد والسهاد وما ذكره المحبون في أشعارهم من ذلك وكلامنا في هذا الباب ما يختص بحب الله لعباده وحب العباد لله لا غير ذلك فالله سبحانه قد ذكر أقواماً يحبهم لصفة قامت بهم أحبهم لأجلها كما سلب

محبتة عن قوم لصفات قامت بهم ذكر ذلك في كتابه وعن لسانه رسول
الله صلى الله عليه وسلم انتهى الجزء الثالث عشر ومائة بانتهاء السفر الخامس عشر

الجزء الرابع عشر و مائة

بسم الله الرحمن الرحيم

فمن ذلك الإتيان لرسول صلى الله عليه وسلم فيما شرع قال تعالى "قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله" فالعم أم الله محبتين أو تعلقين محبته لعباده الذي هو خصوص إرادة التعلق الأول حبه إياهم ابتداء بذلك الحب وفقهم الإتيان اتباع رسله سلام الله على جميعهم ثم أنتج لهم ذلك الإتيان تعلقين من المحبة لأن الإتيان وقع من الطرفين من جهة أداء الفرائض والتعلق الآخر من جهة ملازمة النوافل قال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال الحديث وفيه وما تقرب إلى عبدي بشئ أحب إلي من أداء ما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً وإذا كان الحق سمع العبد وقواه في النوافل فكيف بالحب الذي يكون من الحق له بآداء الفرائض وهو أن يكون يريد بإدارة هذا العبد المجتبي ويجعل له التحكم في العالم بما شاء بمشيئته تعالى الأولية التعلق التي بها وفقه فإندرج هذا التعلق في الأول وهو قوله "وما تشاؤون إلا أن يشاء الله" وكل صفة ذكرها الحق أنه يحب من أجلها من قامت به فما حصلت له تلك الصفة إلا بإتيان فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم سنهها وذلك عن الله فإنه ما ينطق عن الهوى وإنه يفعل به وبنا فنفي أن يكون الفعل له ولنا كما يراه بعضهم وهو قوله "وما أدري ما يفعل بي ولا بكم أن اتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين" فهو قوله ما على الرسول إلا البلاغ ومعنى الإتيان والرسول أيضاً تابعون فإنه يقول عليه السلام أن اتبع ما يوحى إلي فيكون ما يظهر عليه من الإتيان في فعل الله نتيجة اتباع لأوامر الله آية ويكون لنا ذلك كرامة وهو الفعل بالهمة والتوجه من غير مباشرة فيظهر على يد هذا العبد من خرق العوائد مما لا ينبغي أن يكون إلا على ذلك الوجه من غير سبب إلا مجرد الإدارة إلا الله تعالى فإن ذلك الفعل إذا ظهرت عن سبب موضوع ظاهر لم يكن من هذا الباب كطيران الطائرة بسبب ظاهر وإن كان لا يمسكه إلا الله أي الله الذي وضع له أسباب الإمساك في الهواء والإنسان إذا احترق الهواء ومشى فيه بمجرد الإرادة لا بسبب ظاهر معتاد أشبه فعل الحق في تكوين الأشياء بالإرادة فهذا الفارق بينه وبين وقوع ذلك بالأسباب وأصله التحقيق بالإتيان والمتبع في التشريع إنما هو الله والمتبع في الفعل بالإرادة إنما هو الله والكل بعناية الله ومشيتته لا إله إلا الله هو العزيز الحكيم ومن ذلك حبه سبحانه التوايين فالتوابع صفته ومن أسمائه تعالى يقول عز وجل أن الله هو التواب فما أحب إلا اسمه وصفته وأحب لأتصافه بها بما على حدهما أضافها الحق إليه ذلك أن الحق يرجع على عبده في كل حال يكون العبد عليه مما يبعده من الله وهو المسمى ذنباً ومعصية ومخالفة فإذا أقيم العبد في حق من أساء إليه من أمثاله وأشكاله فرجع عليه بالإحسان إليه والتجاوز عن إساءته فذلك هو التواب ما هو الذي رجع إلى الله فإنه لا يصح أن يرجع إلى الله إلا من جهل أن الله معه على كل حال وما خاطب الحق بقوله ترجعون فيه إلى الله إلا من غفل عن كون الله معه على كل حال كما قال "وهو معكم أينما كنتم" ونحن أقرب منه من قبل الوريد" فإن رجعت إليه من حيث حساب أو سؤال فذلك رجوع في الحقيقة من حال أنت عليها الحال ما أنت عليها ولما كانت الأحوال كلها بيد الله أضيف الرجوع إلى الله على هذا الوجه فالراجع إلى الله إنما يرجع من المخالفة إلى الموافقة ومن المعصية إلى الطاعة فهذا معنى حب التوايين فإذا كنت من التوايين على من أساء في حقك كان الله تواباً عليك فيما أسأت من حقه فرجع عليك بالإحسان فهكذا فلتعرف حقائق الأمور وتفهم معاني خطاب الله عباده وتميز بين المراتب فتكون من

العلماء بالله وبما قاله وجاء ذكره لهذه المحبة في التوايين عقب ذكر الأذى الذي جعله في الحيز وقال عليه السلام إن الله يحب كل مفتن ثواب أي مختبر يريد أم يختبره الله بمن يسئ إليه من عباد الله فيرجع عليهم بالإحسان إليهم في مقابلة إساءتهم وهو الثواب لا أن الله يختبر عباده بالمعاصي حاشاً الله أن يضاف إليه مثل هذا وإن كانت الأفعال كلها الله من حيث كونها أفعالاً وما هي معاصي إلا من حيث حكم الله فيها بذلك فجميع أفعال الله حسنة من حيث ما هي أفعال فافهم ذلك ومن ذلك حبه للمتطهرين قال تعالى "ويحب"

المتطهرين" فالتطهير صفة تقديس وتزينة وهي صفة تعالى وتطهير العبد هو أن يمحط عن نفسه كل أذى لا يليق به أن يرى فيه وإن كان محموداً بالنسبة إلى غير وهو مذموم شرعاً بالنسبة إليه فإذا طهر نفسه من ذلك أحبه الله تعالى كالكبرياء والجبروت والتفخر والخيلاء والعجب فمنها صفات لا تدخل القلب جملة واحدة للطابع الإلهي الذي على القلوب وهو قوله كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار فيظهر في ظاهره الكبرياء والجبروت على من استحق من قومه أما في زعمه وتحيله وأما في نفس الأمر وهو في قلبه معصوم من ذلك الكبرياء والجبروت لأنه يعلم عزه وذلته وفقره لجميع الموجودات وإن قرصه البرغوث تؤله والمرحاض يطلبه لدفع ألم البول والخراة عنه ويفتقر إلى كسيرة خبز يدفع بها عن نفسه ألم الجوع فمن صفته هذه كل يوم وليلة كيف يصح أن يكون في قلبه كبرياء وجبروت وهذا هو الطبع الإلهي على قلبه فلا يدخله شيء من ذلك وأما ظهور ذلك على ظاهره فمسلّم ولكن جعل الله لها مواطن يظهر فيها بهذه الأوصاف ولا يكون مذموماً وجعل لها موطن يذمه لا يظهر بهذه الصفة إلا منهو جاهل والجهل مذموماً ولهذا نهي الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يكون جاهلاً وقال لنوح عليه السلام "أني أعظك أن تكون من الجاهلين" فإنه لا يخلو أن يفتخر على مثله أو على ربه وخالقه فإن افتخر على مثله فقد افتخر على نفسه والشئ لا يفتخر على نفسه ففخره واختياله جهل ومحال وإن يفتخر على خالقه لأنه لا بد أن يكون عارفاً بخالقه أو غير عارف بأنه له خالقاً فإن عرف وافتخر عليه فهو جاهل بما ينبغي أن يكون لخالقه من نعوت الكمال وإن لم يعرف كان جاهلاً فما أبغضه الله ولم يحبه إلا لجهله إذ لم يكن هذا في غير موطنه إلا لجهله والجهل موت والعلم حياة وهو قوله تعالى أو من كان ميتاً فأحييناه يعني بالعلم وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس وذلك نور الإيمان والكشف الذي أوحى الله به إليه أو أمتن به عليه فالتطهير من مثل هذه النعوت محبوب لله فافهم ومن ذلك حبه المطهرين قال الله تعالى "والله يحب المتطهرين" وهم الذين طهروا غيرهم كما طهروا أنفسهم فتعدت طهارتهم إلى غيرهم فقاموا فيها مقام الحق نيابة عنه فإنه المكهر على الحقيقة والحافظ والعاصم والواقى والغافر فمن منع ذاته وذات غيره أن يقوم بها ما هو مذموم في حقها عند الله فقد عصمها وحفظها وقاها وسترها عن قيام أمثال هذه بها فهو مطهر لها بما علمها من علم ما ينبغي لينفر عنه بنور العلم وحياته وظلمة الجهالة وموتها فيكون في ميزانه يوم القيامة ومن الأنوار التي تسعى بين يديه وهو محبوب عند الله مخصوص بعناية ولاية إلهية واستخلاف والولاية الخلفاء من المقربين ممن استخلفهم عليهم لأهم موضع مقصور من استخلافهم دون غيرهم وكل إنسان وال على جوارحه فما فوق ذلك وقد أعلمه الله بما هي الطهارة التي يظهر بها رعاياه ومن ذلك حبه للصابرين وهو قوله "والله يحب الصابرين" وهم الذين ابتلاهم الله فحسبوا انفسهم عن الشكوى إلى غير الله الذي أنزل بهم هذا البلاء وما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا عن حمله لأنهم حملوه بالله وإن شق عليهم لا بد من ذلك وإن لم يشق عليهم فليس ببلاء وما استكانوا لغير الله في إزالته ولجؤا إلى الله في إزالته كما قال العبد الصالح مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فرفع الشكوى إليه لا إلى غيره فأتى الله عليه ذلك لما في الصبر أن لم يشك إلى الله من مقاومة القهر الإلهي وهو سوء أدب مع الله والأنبياء عليهم السلام أهل

أدب وهم على علم من الله فإنك تعلم أن صبرك ما كان إلا بالله ما كان من ذاتك ولا من حولك وقوتك فإن الله يقول "واصبر وما صبرك إلا بالله" فبأي شيء تفتخر وهو ليس لك فما ابتلى الله عباده إلا ليلجؤا في رفع ذلك إليه ولا يلجؤا في رفعه إلى غيره فإذا فعلوا ذلك كانوا من الصابرين وهو محبوب الله ومن أسمائه تعالى النعتية الصبور فما أحب إلا من رأى خلعتة عليه ثم أن هنا سرّاً وأقامك فيه مقامه فإن الصبر لا يكون إلا على أذى وقد عرفنا أن في خلقه من يؤذى الله ورسوله ونعتهم لنا لنعرفهم فندفع ذلك الأذى عنه تعالى بمقاتلتهم أو بتعليمهم إن كانوا جاهلين طالبي العلم وقد سمى نفسه صبوراً وقد رفع إلينا ما أؤذي به وعرفنا بهم لنذب عنه وندفع الأذى مع الإتصاف بالصبور لنعلم إننا إذا

شكونا إليه ما نزل من البلاء وسألناه في رفعه عنا وسؤالنا إياه لا يزول عنا إسم الصبر فلا تزول عنا محبته كما لم يزل عنه إسم الصبور بتعريفه إيانا من إزاه حتى ندفع عنه فإنه ورد في الصحيح ليس أحد أصبر على أذى من الله فاحل بالك لما نبهناك عليه ومن ذلك حبالشاكرين فوصف الحق نفسه في كتابه أنه يحب الشاكرين والشكر نعمته فإنه شاكر عليم فما أحب من العبد إلا ما هو صفة له ونعت والشكر لا يكون إلا على النعم لا على البلاء كما يزعم بعضهم ممن لا علم له بالحقائق لأنه تعالى أبكن نعمته في نعمته ونقمتة في نعمته فالتبس على من لا علم له بالحقائق أي بحقائق الأمور فتخيل أنه يشكر على البلاء وليس بصحيح لا كشارب الدواء المكروه وهو من جملة البلاء ولكن هو بلاء على من يهلك به وهو المرض الذي لأجله استعمله فالألم هو عدو هذا الدواء إياه يطلب ولكن لما قام البلاء بهذا الحل الواحد للألم ورد عليه المنازع الذي يريد إزالته من الوجود وهو الدواء فوجد الحل لذلك كراهة وعلم أنه في طي ذلك المكروه نعمة لأنه المزيل للألم فشكر الله تعالى على ما فيه من النعمة وصبر على ما يكره من استعماله لعلمه بأنه طالب ذلك المكروه نعمة لأنه المزيل للألم فشكر الله تعالى على ما فيه من النعمة وصبر على ما يكره من استعماله لعلمه بأنه طالب ذلك الألم حتى يزيله فما سعى إلا في راحة هذا الحل فنفظن لهذا فلهذا كان شاكراً فلما شكره على ما في هذا المكروه من النعمة الباكنة زاده نعمة أخرى وهي العافية وإزالة المرض وتصبره الدواء الكره عليه ولذلك قال "ولئن شكرتم لأزيدنكم" فزاد العافية وكذلك أيضاً لما أؤذي الحق وسعينا في إزالة ذلك المؤذى بأن آذينا أو سسناه حتى رجع عن الأمر الذي كان يؤدي الحق به فإن كنا قد آذينا هذا المؤذى بقتال وأمثاله كان ذلك للحق بمنزلة شرب الدواء الذي يكرهه المريض في الحال ويراها نعمة لما فيه من إزالة ذلك الأمر المؤذى وإما قلنا ذلك لأن الكل من فعله وقضائه وقدره وقد أوحى الله لنبيه داود أن يبني له بيتاً يعني بيت المقدس فكلما بناه تهدم فقال له ربه فيما أوحى إليه أنه نلا يقوم على يديك فإنك سفكت الدماء فقال له يا رب ما كان ذلك إلا في سبيلك فقال صدقت ما كان إلا في سبيلي ومع هذا أليسوا عبيدي فلا يقوم هذا البيت إلا على يد مطهرة من سفك الدماء فقال يا رب اجعله مني فأوحى الله إليه أنه يقوم على يد ولدك سليمان فبناه سليمان عليه السلام فهذا عين ما نبهتك عليه أن تفككت ومن هنا تعرف الأمر على ما هو عليه وإن مبنى الأمر الإلهي أبداً على هو فإن لم تعرفه كذا فما عرفته وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى فهذا عين ما قلناه من أنه هو لا هو وهنا عقول من لم يشاهد الحقائق على ما هي عليه فلما أزال العبد هذا الأذى عن جناب الحقائق وإن كان فيه ما في استعمال الدواء شكره الله على ذلك والشكر يطلب المزيد فطلب من عباده سبحانه بشكره أن يزيدوه فزادوه في العمل وهو قوله عليه السلام أفلا أكون عبداً شكوراً فزاد في العبادة لشكر الله له شكر فزاد الحق في الهداية والتوفيق في مواطن الأعمال حتى إلى الآخرة حيث لا عمل ولا ألم على السعداء وأما التنبيه على استعماله الدواء الكره في إمطة الأذى عن الله فقد أبان عنه الحق في قوله في قبضه نسمة عبده المؤمن فوصف نفسه تعالى بأنه يكره مساءة عبده لكون العبد يكره الموت ولا بد له منه مع أنه

وصفه نفسه بأنه كاره لذلك فهذا عين كراهة ما يجده المريض في شرب الدواء لأن مرتبة العلم تعطى ذلك فإنه وقوع خلاف المعلوم محال فلا بد من وجوب وجود العالم لما تعطيه الحقائق الإلهية وأين الإمكان من الوجوب فاشحذ فؤادك واعلم أن الله شاكراً عليم فاردف وصفه نفسه بالشكر وصفه بالعلم فزد في عملك تكن قد جازيت ربك على شكره إياك على ما عملت له وذلك العمل هو الصوم فإنه له ودفع الأذى عنه وهو قوله هل واليت في وليا أو عاديت في عدوا وهو قوله وجبت محبتي للمتحابين في والمتزازورين في والمتجالسين في والمتبازلين في والله يجعلنا ممن أنعم عليه فرأى نعمة الله عليه في كل حال فشكر ومن ذلك حب المحسنين وهو قوله "والله يحب المحسنين" والإحسان صفته وهو المحسن المحمل فصفته أحب وهي الظاهرة في نفسه والإحسان الذي به يسمى العبد محسناً هو أن يعبد الله كأنه يراه أي يعبد على

المشاهدة وإحسان الله هو مقام رؤيته عبادته في حركاتهم وتصرفاتهم وهو قوله "إنه على كل شيء شهيد" وهو معكم أينما كنتم" فشهوده لكل شيء هو إحسانه فإنه بشهوده يحفظه من الهلاك فكل حال ينتقل فيه العبد فهو من إحسان الله إذ هو الذي نقله تعالى ولهذا سمي الأنعام إحساناً فإنه لا ينعم عليك بالقصد إلا من يعلمك ومن كان علمه عين رؤيته فهو محسن على الدوام فإنه يراك على الدوام لأنه يعلمك دائماً وليس الإحسان في الشرع إلا هذا وقد قال له فإن لم تكن تراه فإنه يراك أي فإن لم تحسن فهو المحسن وهذا تعليم النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل بحضور الصحابة من باب قولهم إياك أثني فأسمعي يا جاره فالمخاطب غير مقصود بذلك العلم فإنه عالم به والمقصود به من حضر من السامعين وبهذا فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال في هذا الحديث هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم ومن ذلك حب المقاتلين في سبيل الله بوصف خاص قال تعالى "أن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص" يريد لا يدخله خلل فإن الخلل في الصفوف طرق الشياطين والطريق واحدة وهي سبيل الله وإذا قطع هذا الخط الظاهر من النقط ولم يتراس لم يظهر وجود للخط والمقصود وجود الحظ وهذا معنى الرص لوجود سبيل الله فمن لم يكن له تعمل في ظهور سبيل الله فليس من أهل الله وكذلك صفوف المصلين لا تكون في سبيل الله حتى تتصل الناس فيها وحينئذ يظهر سبيل الله في عينه فمن لم يفعل وأدخل الخلل كان ممن سعى في قطع سبيل الله وأزالته من الوجود فأراد الله من عبادته في مثل هذا أن يجعلهم من الخالقين ولذلك قال "فتبارك الله أحسن الخالقين" ولا يكون السبيل ألا هكذا كالخط الموجود من النفط المتجاورة التي ليس بين كل نقطتين حيز فارغ لا نقطة فيه وحينئذ تظهر صورة الحظ كذلك الصف لا يظهر فيه سبيل الله حتى يتراس الناس فيه فهو يطلب الكثرة وهو في جنات الله تراس أسمائه تبارك وتعالى فيظهر عن تراسها سبيل الخلق فيكون الحي وإلى جانبه العليم ولا يكون بينهما فراغ لإسم آخر ويكون إلى جانبه المريد ويكون إلى جانبه القائل ويكون إلى جانبه القادر ويكون إلى جانبه الحكم وإلى جانبه المقيت وإلى جانبه المقسط وإلى جانبه المدير وإلى جانبه المفصل وإلى جانبه الرازق وإلى جانبه المحيي فهكذا يكون صف الأسماء الإلهية لإيجاد سبيل الخلق الذي يكون بهذا التراس وجوده فإذا ظهرت هذه السبيل وليست بزائدة على تراس هذه الأسماء فأتصف الخلق بهذه الأسماء لأنها بتراسها وهو حالها عن طريق الخلق فلا تزال ظاهرة في الخلق لا تعقل ألا هكذا فالعالم حي عالم مريد قائل قادر حكم مقيت مقسط مدير مفصل هكذا إلى بقية الأسماء الإلهية وهو المعبر عنه في الطريق بالتخلق بالأسماء فتظهر في العبد كما تظهر في إيجاد الطريق المستقيم بتراسها فإن دخلها في الكون خلل زال سبيل الله وظهرت سبل الشياطين التي تتخلل خلل الصفوف كما ورد في الخبر فأجعل بالك لما نبهتكَ عليه فإذا قام العبد بأسماء الحق مقام الأسماء في إيجاد الخلق وقاتل بهذه الصفة الأعداء الذين هم بمثلة الشياطين التي تتخلل خلل الصف فبالضرورة ينصرون لأنه لم يبق هناك خلل يدخل منه العدو فأحب الله من

هذه صفتهم وكذا الإنسان وحده هو صف في كل ما هو فيه متحرك فتكون حركاته كلها لله لا يتخللها شيء لغير الله فلا يقاومه أحد فإن الأعداء أبصارهم إليه محدقة ينظرون في حركاته وأفعاله عسى يجدون خللاً يدخلون عليه منه فيقطعون بينه وبين الله بقطع سبيل الله وكل فعل خط فإنه مجموع أسماء ألهية وصفات محمودة والأفعال كثيرة فيكشف الأمر ويعظم وتظهر صور المركبات في العالم أذ كل خطين فما زاد سطح وكل سطحين جسم وكل جسم فمركب من ثمانية وهو صورة كمال ظهرت عن ذات وسبع صفات فغاية التركيب الجسم وليس وراءه مرتبة وقد قام على ثمانية بلا خلاف بين الجميع وما زاد على هذا فهو أجسم أي أكثر سطوحاً وإذا كان أكثر سطوحاً كان أكثر خطوطاً وإذا كان أكثر خطوطاً كان أكثر نقطاً فلم يزد على ما تركب منه الجسم الذي هو أول الأجسام مادة غير ما قبله الأول أو كان به الجسم الأول فمن تراص في صفه كان خلافاً قال تعالى "فتبارك الله أحسن الخالقين" فأثبت لهم هذا الوصف وجعل نفسه أحسن لأوليته في ذلك أذ لولاه ما ظهرت أعيان هؤلاء الخالقين فأثبت ما أثبت الله ولا تزله فتحرر فائدة العلم بموافقة الحق فتكون من المخالفين فتكون من الجاهلين فمن كان بهذه الصفة كان محبوباً لله تعالى ومن كان محبوباً لم يدر أحد ما تعطيه أذ لنفسه يعطي وقد تعرضت هنا مسألة يجب بيانها وهي أن الله أحب أولياءه والمحبة لا يؤلم محبوبه وليس أحد بأشد ألماً في الدنيا ولا بلاء من أولياء الله رسلهم وأنبيائهم وأتباعهم المحفوظين المعانين على أتباعهم فمن أي حقيقة أستحقوا هذا البلاء مع كونهم محبوبين فلنقل أن الله قال يحبهم ويحبونه والبلاء أن لا يكون أبداً ألا مع الدعوى فمن لم يدع أمراً ما لا يتبلي بأقامة الدليل على صدق دعواه فلولاً الدعوى ما وقع البلاء غير أن الرسول ما يطالب بالدليل فإنه ما أدعى ولهذا يقال ليس على النافي إقامة دليل وليس الأمر كذلك بل عليه الدليل إذا ادعى النفي فإن ادعى النفي في أمر ما فذلك ثبوت عين الدعوى فيطالب النافي من حيث دعواه على إقامة الدليل لأنه مثبت ولما أحب الله من أحب من عباده رزقهم محبته من حيث لا يعلمون فوجدوا في نفوسهم حباً لله فادعوا أنهم من محبي الله فأبتلاهم الله من كونهم محبين وأنعم عليهم من كونهم محبوبين فإنعامه دليل على محبته فيهم والله الحجة البالغة وأبتلاؤه إياهم لما ادعوه من حبهم إياه فلهذا أبتلى الله أحبابه من المخلوقين والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ومن ذلك حب الجمال هو نعت ألهي ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "أن الله جميل يحب الجمال" فنبهنا بقوله جميل أن نجهه فإنقسمناه في ذلك على قسمين فمننا من نظر إلى جمال الكمال وهو جمال الحكمة فأحبه في كل شيء لأن كل شيء محكم وهو صنعة حكيم ومننا من لم تبلغ مرتبته هذا وما عنده علم بالجمال ألا هذا الجمال المقيد الموقوف على الغرض وهو في الشرع موضع قوله أعبد الله كأنك تراه فجاء بكاف الصفة فتخيل هذا الذي لم يصل إلى فهمه أكثر من هذا الجمال المقيد فقيد به كما قيده بالقبلة فأحبه لجماله ولا حرج عليه في ذلك فإنه أي بأمر مشروع له على قدر وسعه ولا يكلف الله نفساً ألا وسعها وبقي علينا حبه تعالى للجمال فاعلم أن العالم خلقه الله في غاية الأحكام والأتقان كما قال الامام أبو حامد الغزالي من أنه لم يبق في الأمكان أبدع من هذا العالم فأخبر أنه تعالى خلق آدم على صورته والأنسان مجموع العالم ولم يكن علمه بالعالم تعالى ألا علمه بنفسه أذ لم يكن في الوجود ألا هو فلا بد أن يكون على صورته فلما أظهره في عينه كان مجلاه فما رأى فيه ألا جماله فأحب الجمال فالعالم جمال الله فهو الجميل المحب للجمال فمن أحب العالم بهذا النظر فقد أحبه الله وما أحب ألا جمال الله فإن جمال الصنعة لا يضاف إليها وإنما يضاف إلى صانعه فجمال العالم جمال الله وصورة جماله دقيق أعني جمال الأشياء وذلك أن الصورتين في العالم وهما مثلاً شخصان ممن يحبهما الطبع وهما جاريتان أو غلامان قد أشتركا في حقيقة الأنسانية فهما مثلاًن وكمال الصورة التي هي أصول من كمال الأعضاء والجوارح وسلامة المجموع والآحاد من العاهات والآفات ويتصف أحدهما بالجمال فيحبه كل من

رآه ويتصف الآخر بالقبح فيكرهه كل من رآه فما هو الجمال الذي أنطلق عليه إسم الجمال حتى أحبه كل من رآه فقد وكلناك في علم ذلك إلى نفسك ونظرك فهذا إذا وقع حب الشخص من مجرد الرؤية خاصة لا بعد الصحبة والمعاشرة فدبروا نظر تعثران شاء الله على عين الأمر في وصف الحق نفسه بأنه جميل وبجبه للجمال مع خلقه المكروه والمضار وما لا يلائم الطباع ولا يوافق الأغراض فهذا قد ذكرنا طرفاً من الصفات التي يحب الله من أتصف بها وهي كثيرة جداً فقد نبهناك بما ذكرناه على مأخذها وكيف يتصرف الإنسان فيها فلنذكر طرفاً من نعوت الحب الذي ينبغي أن يكون الحب عليها أن شاء الله وبها يسمى محباً فهي كاحدود للحب فمن ذلك أنه موصوف بأنه مقتول تالف سائر إليه باسمائه طيار دائم السهر كامن الغم راغب في الخروج من الدنيا إلى لقاء محبوبه متبرم بصحبة ما يحول بينه وبين لقاء محبوبه كثير التأوه يستريح إلى كلام محبوبه وذكره بتلاوة ذكره موافق لحباب محبوبه خائف من ترك الحرمه في إقامة الخدمة يستقل الكثير من نفسه في حق ربه ويستكثر القليل من حبيبه يعانق طاعة محبوبه ويجانب مخالفته خارج عن نفسه بالكلية لا يطلب الدية في قتله يصبر على

الضراء التي ينفر منها الطبع لما كلفه محبوبه من تدبيره هائم القلب مؤثر محبوبه على كل مصحوب محو في أثبات قد وطأ نفسه لما يريده به محبوبه متداخل الصفات ما له نفس معه كله له يعتب نفسه بنفسه في حق محبوبه ملتذ في دهش جاوز الحدود بعد حفظها غيور على محبوبه منه يحكم حبه فيه على قدر عقله جرحه جبار لا يقبل حبه الزيادة بأحسان المحبوب ولا النقص بجفائه ناس حظه وحظ محبوبه غير مطلوب بالآداب مخلوع النعوت مجهول الاسماء كأنه سال وليس بسال لا يفرق بين الوصل والمجر هيمان متيم في أدلال ذو تشويش خارج عن الوزن يقول عن نفسه أنه عين محبوبه مصطلم مجهود لا يقول لمحبوبه لم فعلت كذا أو قلت كذا مهتوك الستر سره علانية فضيحة الدهر لا يعلم الكتمان لا يعلم أنه محب كثير الشوق ولا يدري إلى من عظيم الوجد ولا يدري فيمن لا يتميز له محبوبه مسرور محزون موصوف بالضدين مقامه الخرس حاله يترجم عنه لا يحب العوض سكران لا يصحو مراقب متحر لمراضيه مؤثر في المحبوب الرحمة به والشفقة لما يعطيه شاهد حاله ذوا شجان كلما فرغ نصب لا يعرف التعب روحه عطية وبدنه مطية لا يعلم شيئاً سوى ما في نفس محبوبه قرير العين لا يتكلم ألا بكلامه هم المسمون بحملة القرآن لما كان المحبون جامعين جميع الصفات كانوا عين القرآن كما قالت عائشة وقد سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن لم تجب بغير هذا وسئل ذو النون عن حملة القرآن من هم فقال هم الذين أمطرت عليهم سحب الأشجان وأنصبوا الركب والأبدان وتسربلوا الخوف والأحزان وشربوا بكأس اليقين وراضوا أنفسهم رياضة الموقنين فكان قرّة أعينهم فيما قل وزجا وبلغ وكفا وستر ووارى كحلوا أبصارهم بالسهر وغضوها عن النظر والزموها العبر وأشعروها الفكر فقاموا ليلهم أرقاً وأستهلت آماقهم نسقاً صحبوا القرآن بأبدان ناعله وشفاه ذابله ودموع زائلة وزفرات قاتلة فحال بينهم وبين نعيم المتنعمين وغاية آمال الراغبين فاضت عبراتهم من وعيده وشابت ذوائبهم من تحذيره فكان زفير النار تحت أقدامهم وكان وعيده نصب قلوبهم ومن ألطف ما روي في حال المحب عن شخص من الحبين حخل على بعض الشيوخ فتكلم الشيخ له على المحبة فما زال ذلك الشخص ينحل ويدوب ويسيل عرفاً حتى تحلل جسمه كله وصار على الحصر بين يدي الشيخ بركة ماء ذاب كله فدخل عليه صاحبه فلم ير عند الشيخ أحداً فقال له أين فلان فقال الشيخ هو ذا وأشار إلى الماء ووصف حاله فهذا تحليل غريب وأستحالة عجيبة حيث لم يزل ينحف عن كثافته حتى عاد ماء فكان أولاً حياً بماء فعاد الآن يحيى كل شيء لأن الله قال "وجعلنا من الماء كل شيء حي" فالمحب على هذا من يحيا به كل شيء وأخبرني والدي رحمه الله أو عمي لا أدري أيهما أخبرني أنه رأى صائداً قد صاد قمرية حمامة أيكة فجاء ساق حر

وهو ذكرها فلما نظر إليها وقد ذبحها الصائد طار في الجو محلقاً إلى أن علا ونحن ننظر إليه حتى كاد يخفي عن أبصارنا ثم أنه ضم جناحيه وتكلمن بهما وجعل رأسه مما يلي الأرض ونزل نزولاً له دوى إلى أن وقع عليها فمات من حينه ونحن ننظر إليه هذا فعل طائر فيأيتها الحب أين دعواك في محبة مولاك وحدثنا محمد بن محمد عن هبة الرحمن عن أبي القسم بن هوازن قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أحمد بن علي يقول سمعت أبراهيم بن فاتك يقول سمعت سمنوناً وهو جالس يتكلم في المسجد ي الحبة وجاء طير صغير قريباً منه ثم قرب فلم يزل يدنو حتى جلس على يده ثم ضرب بمنقاره الأرض حتى سال منه الدم ومات هذا فعل الحب في الطائر قد أفهمه الله قول هذا الشيخ فغلب عليه الحال وحكم عليه سلطان الحب موعظة للحاضرين حجة على المدعين لقد أعطانا الله منها الحظ الوافر ألا أنه قوانا عليه والله أي لا جد من الحب مالو وضع في ظني على السماء لأنفطرت وعلى النجوم لانكدت وعلى الجبال لسيرت هذا ذوقي لها لكن قواني الحق فيها قوة من ورثته وهو رأس الحيين أي رأيت فيها في نفسي من العجائب ما لا يبلغه وصف والحب على قدر التجلي والتجلي على قدر المعرفة وكل من ذاب فيها وظهرت عليه أحكامها فتلك الحبة الطبيعية ومحبة العارفين لا أثر لها في الشاهد فإن المعرفة تمحو آثارها لسر تعطيه لا يعرفه ألا العارفون فالحب العارف حي لا يموت روح مجرد لا خبر للطبيعة بما يحمله من الحبة حبه ألهي وشوقه

رباني مؤيد باسمه القدوس عن تأثير الكلام المحسوس برهان ذلك هذا الذي ذاب حتى صار ماء لو لم يكن ذا حب ما كان هذا حاله فقد كان محباً ولم يذب حتى سمع كلام الشيخ فثار كامن حبه فكان منه ما كان فحب لا حكم له في الحب حتى يثيره كلام متكلم حب طبيعي لأن الطبيعة هي التي تقبل الاستحالة والأثارة أذ قد كان موصوفاً بالحب قبل كلام الشيخ ولم يذب هذا الذوبان الذي صيره ماء بعد ما كان عظماً ولحماً وعصباً فلو كان ألهي الحب ما أثرت فيه كلمات الحروف ولا هزت روحانيته هذه الظروف فأستحي من دعواه في الحب وقام في قلبه نار الحياء فما زال يحلله إلى أن صار كما حكى فلا يلحق التغير في الأعيان والتنقل في أطوار الأكوان ألا صاحب الحب الطبيعي وهذا هو الفرقان بين الحب الروحاني الألهي وبين الحب الطبيعي والحب الروحاني وسط بين الحب الألهي والطبيعي فيما هو ألهي يبقى عينه وبما هو طبيعي يتغير الحال عليه ولا يفنيه فالفناء أبداً من جهة الحب الطبيعي وبقاء العين من جانب الحب الألهي جبريل لما كان حبه روحانياً وهو روح وله وجه إلى الطبيعة من حيث جسميته لأن الأجسام الطبيعية الخارجة عن العناصر لا تستحيل بخلاف الأجسام العنصرية فإنها تستحيل لأنها عن أصول مستحيلة والطبيعة لا تستحيل في نفسها لأن الحقائق لا تنقلب أعيانها فغشى على جبريل ولم يذب عين جوهر جسمه كما ذاب صاحب الحكاية فغشى عليه من حيث ما فيه من حب الطبيعة وبقي العين منه من حيث حبه الألهي فالحب الألهي روح بلا جسم والحب الطبيعي جسم بلا روح والحب الروحاني ذو جسم وروح فليس للمحب الطبيعي العنصري روح يحفظه من الاستحالة فلماذا يؤثر الكلام في الحبة في الحب الطبيعي ولا يؤثر في الحب بالحب الألهي ويؤثر بعض تأثير في الحب بالحب الروحاني حدثنا محمد بن أسماعيل اليميني بمكة قال حدثنا عبد الرحمن بن علي قال أنا أبو بكر بن حبيب العامري قال أنا علي بن أبي صادق قال أخبرنا أبو عبد الله بن باكويه الشيرازي قال أخبرنا بكران بن أحمد قال سمعت يوسف بن الحسين قال كنت قاعداً بين يدي ذي النون وحوله ناس وهو يتكلم عليهم والناس سيكون وشاب يضحك فقال له ذو النون مالك أيها الشاب الناس سيكون وأنت تضحك فإنشأ يقول

ويرون النجاة حظاً جزيلاً

كلهم يعبدون من خوف نار

ليس لي في الجنان والنار رأى

فقليل له فإن طردك فمإذا تفعل فقال

أنا لا أبتغي بحبي بديلاً

رمت في النار منزلاً ومقيلاً

بكرة في ضريعها وأصيلاً

أنا عبد أحببت مولاً جليلاً

فجزائي منه العذاب الوبيلاً

فإذا لم أجد من الحب وصلاً

ثم أزعت أهلها ببكائي

معشر المشركين نوحوا على

أن لم أكن في الذي أدعيت صدوقاً

وخدمت أنا بنفسي امرأة من المحبات العارفات بأشبيلية يقال لها فاطمة بنت ابن المثنى القرطبي خدمتها سنين وهي تزيد في وقت خدمتي إياها على خمس وتسعين سنة وكنت أستحي أن أنظر إلى وجهها وهي في هذا السن من حمرة خديها وحسن نعمتها وجمالها تحسبها بنت أربع عشرة سنة من نعمتها ولطافتها وكان لها حال مع الله وكانت تؤثرني على كل من يخدمها من أمثالي وتقول ما رأيت مثل فلان إذا دخل على دخل بكله لا يترك منه خارجاً عني شيئاً وإذا خرج من عندي خرج بكله لا يترك عندي منه شيئاً وسمعتها تقول عجبت لمن يقول أنه يحب الله ولا يفرح به وهو مشهوده عينه إليه ناظرة في كل عين لا يغيب عنه طرفة عين فهو للبكاؤون كيف يدعون محبته ويكفون أما يستحيون إذا كان قربه مضاعفاً من قرب المتقربين إليه والمحبة أعظم الناس قرباً إليه فهو مشهوده فعلى من يبكي أن هذه لأعجوبة ثم تقول لي يا ولدي ما تقول فيما أقول فأقول لها يا أمي القول قولك قالت أي والله متعجبة لقد أعطاني حبيبي فاتحة الكتاب تخدمني فو الله ما شغلتنني عنه فذلك اليوم عرفت مقام هذه المرأة لما قالت أن فاتحة الكتاب تخدمها فبينما نحن قعود إذ دخلت امرأة فقالت لي يا أخي أن زوجي في شريش شذونة أخبرت أنه يتزوج بها فمإذا ترى قلت لها وتريدين أن يصل قالت نعم فرددت وجهي إلى العجوز وقلت لها يا أم ألا تسمعين ما تقول هذه المرأة قالت وما تريد يا ولدي قلت قضاء حاجتها في هذا الوقت وحاجتي أن يأتي زوجها فقالت السمع والطاعة أي أبعث إليه بفاتحة الكتاب وأوصيها أن تجيء بزواج هذه المرأة وأنشأت فاتحة الكتاب فقرأتها وقرأت معها فعملت مقامها عند قراءتها الفاتحة وذلك أنها تنشئها بقراءتها صورة مجسدة هوائية فتبعثها عند ذلك فلما أنشأتها صورة سمعتها تقول لها يا فاتحة الكتاب تروحي إلى شريش وتجيئي بزواج هذه المرأة ولا تتركيه حتى تجيئي به فلم يلبث ألا قدر مسافة الطريق من مجيئه فوصل إلى أهله وكانت تضرب بالدفع وتفرح فكنت أقول لها في ذلك فتقول لي أي أفرح به حيث أعتني بي وجعلني من أوليائه وأصطنعني لنفسه ومن أنا حتى يختارني هذا السيد على أبناء جنسي وعزة صاحبي لقد يغار على غيره ما أصفها ما ألفت إلى شيء بأعتماد عليه عن غفلة ألا أصابني ببلاء في ذلك الذي ألفت إليه ثم أرتني عجائب من ذلك فما زلت أخدمها بنفسي وبنيت لها بيتاً من قصب بيدي على قدر قامتها فما زالت فيه حتى درجت وكانت تقول لي أنا أملك الأهلية ونور أملك الترابية وإذا جاءت والدتي إلى زيارتها تقول لها يا نور هذا ولدي وهو أبوك فبريه ولا تعقيه أخبرنا يونس بن يحيى بمكة سنة تسع وتسعين وخمسمائة قال أخبرنا أبو بكر بن الغزال قال أخبرنا أبو الفضل بن أحمد قال أخبرنا أحمد بن عبد الله قال حدثنا عثمان بن محمد العتامي قال حدثنا محمد بن إبراهيم المذكر حدثنا محمد بن يزيد قال سمعت ذا النون يقول خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام فبينما أنا أطوف إذ أنا بشخص متعلق بأستار الكعبة وإذا هو يبكي ويقول في بكائه كتمت بلائي

من غيرك وبحت بسري إليك وأشتغلت بك عمن سواك عجبت لمن عرفك كيف يسلو عنك ولمن ذاق حبك كيف يصير عنك ثم أنشأ يقول

ذوقتني طعم الوصال فزدتني

شوقاً إليك مخامر الأحشاء

ثم أقبل يخاطب نفسه فقال أمهلك فما أروعيت وستر عليك فما أستحييت وسلبك حلاوة المناجاة فما بالبت ثم قال عزيزي ما لي إذا قمت بين يديك ألقيت على النعاس ومنعتني حلاوة مناجاتك لم قرّة عيني له ثم أنشأ يقول

روعت قلبي بالفراق فلم أجد

شيأً أمر من الفراق وأوجعاً

حسب الفراق بأن يفرق بيننا

ولطالما ما كنت منه مروعاً

قال ذو النون فأتيت إليه فإذا به امرأة حكاية محب إذاع سر محبوبه أخبرنا محمد بن أسماعيل بن أبي الصيف حدثنا عبد الرحمن بن علي أخبرنا الحمدا بن ناصر وابن عبد الباقي وحدثني أيضاً عنهما يونس بن يحيى قال أخبرنا حمد بن أحمد أخبرنا أحمد بن عبد الله حدثنا أحمد بن محمد المتوكلي حدثنا أحمد بن علي بن ثابت أخبرنا علي بن القاسم الشاهد قال سمعت أحمد بن محمد بن عيسى الرازي قال سمعت يوسف بن الحسين يقول كان شاب يحضر مجلس ذي النون المصري مدة ثم أنقطع عنه زماناً ثم حضر عنده وقد أصفر لونه ونخل جسمه وظهرت آثار العبادة عليه والأجتهاد فقال له ذو النون يا فتى ما الذي أكسبك خدمة مولاك وأجتهادك من المواهب التي منحك بها ووهبها لك وأختصك بها فقال الفتى يا أستاذ وهل رأيت عبداً أصطنعه مولاة من بين عبيده وأصطفاه وأعطاه مفاتيح الخزان ثم أسر إليه سرّاً أيحسن أن يفشي ذلك السر ثم أنشأ يقول

من سارروه فأبدي السر مجتهداً

لم يآمنوه على الأسرار ما عاشا

وباعدوه فلم يسعد بقربهم

وأبدلوه من الأيناس أبحاشا

لا يصطفون مذيعاً بعض سرهم

حاشي ودادهم من ذلكم حاشا

يقول لا يصح لأجتهاد في سر المحبوب الحب بل ينتظر أمر محبوبه فإن أمره بإذاعته إذاعة وإن لم فالأصل الكتمان ولقد منحني الله سرّاً من أسرارهِ بمدينة فاس سنة أربع وتسعين وخمسائة فأذعته فإن ما علمت أنه من الأسرار التي لا تذاق فعوتبت فيه من المحبوب فلم يكن لي جواب إلا السكوت إلا أي قلت له تول أنت أمر ذلك فيمن أودعته إياه إن كانت لك غيرة عليه فإنك تقدر ولا أقدر وكنت قد أودعته نحواً من ثمانية عشر رجلاً فقال لي أنا أتولى ذلكم أخبرني أنه سله من صدورهم وسلبهم إياه وأنا بسبته فقلت لصاحبي عبد الله الخادم إن الله أخبرني أنه فعل كذا وكذا فقم بنا نسافر إلى المدينة فاس حتى نرى ما ذكر لي في ذلك فسافرت فلما جئتني تلك الجماعة وجدت الله قد سلبهم ذلك وانتزع من صدورهم فسألوني عنه فسكت عنهم وهذا من أعجب ما جرى لي في هذا الباب فله الحمد حيث لم يعاقبني بالوحشة التي قالها لها هذا الشاب لذي النون ولما كان طريق الله ذوقاً تحيل هذا الشاب أن الذي عامله به الحق هكذا يعامل به جميع الخلق فذوقه صحيح وحكمه في ذلك على الله ليس بصحيح وهذا يقع في الطريق كثيراً الأيمن المحققين فإنه لا يقع لهم مثل هذا معرفتهم بمراتب الأمور وحقائقها وهو علم عزيز المنال وروينا عن ذي النون من حديث محمد بن يزيد عن ذي النون أما علمت أن الشوق يورث السقام وتحديد التذكار يورث الحزن ثم قالت

لم أُنق طيب طعم وصلك حتى

قال فأجبتها

زال عني محبتي للأنام

وعلت محبته بعقب وصال

نعم المحب إذا تزايد وصله

فقلت أوجعتني أوجعتني أما علمت أنه لا يوصل إليه إلا بترك من دونه قلت لو قلت لو قالت لي مثل هذا قلت لها إذا كان ثم
وحدثنا غير واحد منهم ابن أبي الصيف عن عبد الرحمن بن علي قال أخبرنا إبراهيم بن دينار قال حدثنا اسماعيل بن محمد أنا عبد
العزيز بن أحمد أخبرني أبو الشيخ عبد الله بن محمد قال سمعت أبا سعيد الثقفى يحكي عن ذي النون قال كنت في الطواف فسمعت
صوتاً حزيناً وإذا بجارية متعلقة بستار الكعبة وهي تقول

أنت تدري يا حبيبي

يا حبيبي أنت تدري

ونحول الجسو والرو

ح يبوحان بسرى

يا عزيزي قد كتمت الح

ب حتى ضاق صدري

قال ذي النون فشجاني ما سمعت حتى انتحيت وبكيت وقالت إلهي وسيدي ومولاي بحبك لي إلا غفرت لي قال فتعاضمني ذلك
وقلت يا جارية أما يكفيك أن تقولي بحبي لك حتى تقولي بحبك لي فقلت إليك يا ذا النون أما علمت أن الله قوماً يحبهم قبل أن
يجوه أما سمعت الله يقول فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه فسبقته محبته لهم قبل محبتهم له فقلت من أين علمت إني ذو النون
فقلت يا بطال جالت القلوب في ميدان الأسرار فعرفتكم ثم قالت انظر من خلفك فادرت وجهي فلا أدري السماء اقتلعها أم
الأرض ابتعلتها قلت يقرب حديث هذه الجارية من حال من موسى عليه السلام مع ربه انظر إلى الجبل لله تعالى ميادين تسمى
ميادين الحبة كلها ثم يختص كل ميدان منها باسم من نعوت المحبة مثل ميدان الوجد وميدان الشوق وكل حال يكون فيه جولان
وحركة فله ميدان هذا أمر كلي وكذلك أيضاً للمعارف حضرات وكجالس ما هي ميادين إلا إذا أشهدك سبحانه في معرفته تفرقة
في الأعيان الأكوان فإن شاهدت أنه العين الظاهرة فيها باسمائها فتلك ميادين الأسرار وإن شاهدت معيته للأكوان باسمائها فتلك
ميادين الأنوار وإن اختلط عليك الأمر فترى أمراً فتقول هو هو ثم ترى أمراً فتقول لأدري أهو هو أم لا هو هو فتلك ميادين
الحضرة ولكن عين كون علامة يعرفها منجال في هذه الميادين فيعرف بتلك العلامة من قامت به في عالم الشهادة في هذه الهياكل
المظلمة بالطبع المنورة بالمعرفة فمن هناك يسموهم باسمائهم مثل حال هذه الجارية وروينا من حديث موسى بن علي الإخميمي عن
ذي النون أنه لقي رجلاً باليمن كان قد رحل إليه في حكاية طويلة وفيها ثم قال له ذو النون رحمك الله ما علامة الحب لله فقال له
حبيبي أن درجة الحب درجة رفيعة قال فإننا أحب أن تصفها لي قال أن المحبين لله شق لهم عن قلوبهم فابصروا بنور القلوب عز جلال
الله فصارت أبدانهم دنياوية وأرواحهم حجبية وعقولهم سماوية تسرح بين صفوف الملائكة وتشاهد تلك الأمور باليقين فعبدوه بمبلغ
استطاعتهم حباً له لا طمعاً في جنة ولا خوفاً من نار فشبه الفتى شهقة كانت فيها نفسه قلنا كان هذا القائل من العارفين فإنه ذكر
ما يدل على ذلك وهي ثلاثة ألقاب ليس في الكون إلا هي فقال أبدانهم دنياوية لأنه قال وفي الأرض إله فلا بد أن يترك له من
حقائقه من يكون معه في الدنيا إذ كان الإنسان مجموع العالم وليس إلا بدنه أقرب إليه من حبل الوريد وهو عرق بدني فلو مشى

بكله لكان ناقص الحال والثاني عقولهم سماوية لأن العقول صفات تقييد فإن العقل يقيد إذ كان من العقول والسموات محال الملائكة المقيدة بمقاماتها فقالت وما منا إله مقام معلوم فلا تتعداه قد حبسه فيه من أوجده له ولهذا فسر به بأن قال تسرح بين صفوف الملائكة فهم بعقولهم في السموات وما في الكون المركب الاسماء وأرض والثالث أرواحهم عن هذا الروح الحجابي فهم مشاهدون أصلهم عالمون بأنه حجاب ليعلموا من هو الظاهر في أعيانهم ومن المسمى فلانا ولم سمى وهنا أسرار دقيقة وحكايات المحبين العارفين كثيرة انتهى الجزء الرابع عشر ومائة

الخامس عشر ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل نختم به هذا الباب يسمى عندنا مجالى الحق للعارفين المحبين في منصات الأعراس لأعطاء نعوت المحبين في المحبة فمن ذلك منصة ومجلى نعت الحب بأنه مقتول وذلك لأنه مركب من طبيعة وروح

والروح نور والطبيعة ظلمة

وكلاهما في عينه ضدان

والضدان متنافران والمتنافران متنازعان كل واحد يطلب الحكم له وإن يرجع الملك إليه والحب لا يخلو إما أن تغلب الطبيعة عليه فيكون مظلم الهيكل فيحب الحق في الخلق فيدرج النور في الظلمة اعتماد على الأصل في قوله وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون والنهار ونور فعلم أنهما متجاوران وإن كانا ضدين وإن أحدهما يجوز أن يكون مبطوناً في الآخر فما يضربني أن أحب الحق لقوله حبوا الله لما يغذونكم به من نعمة فاحبته في النعم عن أمره فمشهوده الحق ومهما وقعت الغيرة بين الضدين ورأى كل ضدان مطلوبه ربما يتخلص لضده يقول أقتله حتى لا يظهر به ضدي دوني فإن قتلته الطبيعة مات وهو محب للأكوان وإن قتلته الروح كان شهيداً حياً عند ربه يرزق فهو مقتول بكل حال كل محب في العالم وإن كان لا يشعر بذلك منصبه ومجلى نعت الحب بأنه تالف وذلك أنه خلقه الله من اسمه الظاهر والباطن فجعله عالم غيب وشهادة وخلق له عقلاً يفرق به بين حكم الاسمين لإقامة الوزن بين العالمين في ذاته ثم تجلى له في اسمه ليس كمثله شئ فحيره فلم يعطه هذا التجلي إقامة الوزن ولا سيما وقد قال له وهو السميع البصير فتلف من حيث لم ير حالاً توجب العدل وإقامة الوزن فخرج عن حد التكليف إذ لا يكلف إلا عاقل لما تقيد بعقله فهذا نعت الحب بأنه تالف منصة ومجلى نعته بأنه سائر إليه باسمائه وذلك أنه تجلى له في أسماء الكون وتجلي باسمائه الحسنى فتخيل في بأسماء الكون أنه نزول من الحق في حقه ولم يك ذلك من أفقه فلما تخلق باسمائه الحسنى غلبة ما جرى عليه طريقة أهل الله من التخلق وهو يتخيل أن أسماء الكون خلقت له لا لله وإن مثلة الحق فيها بمتلة العبد في أسمائه الحسنى فقال لا أدخل عليه إلا باسمائي وإذا خرجت إلى خلقه أخرج إليهم لأسمائه الحسنى تخلقاً فلما دخل عليه بما يظن أنها أسماءه وهي أسماء الكون عنده رأى ما رآته الأنبياء من الآيات في أسرائها ومعارضها في الآفاق وفي أنفسهم فرأى أن الكل أسماءه تعالى وإن العبد لا إسم له حتى أن إسم العبد ليس له وإنه متخلق به كسائر الاسماء الكسنى فعلم أن السير إليه والدخول عليه والحضور عنده ليس إلا باسمائه وإن أسماء الكون أسماءه فاستدرك الغلط بعد ما فرط ما فجر له هذا الشهود ما فاته حين فرق بين العبد والمعبود وهذا مجلى عزيز في منصة عظمى كانت غاية أبي يزيد البسطامي دونها فإن غايته ما قاله عن نفسه تقرب إلى بما ليس لي فهذا كان حظه من ربه ورآه غاية وكذلك هو فإنه غايته لا الغاية وهذه طريقة أخرى ما رأيتها لأحد من الأولياء ذوقاً إلا للأبياء والرسل خاصة من هذا المجلى وصفوه سبحانه بما يسمى في علم الرسوم صفات التشبيه فيتخيّلوا أن الحق وصف نفسه بصفات الخلق فتأولوا ذلك وهذا المشهد يعطى إن كان إسم للكون فأصله للحق حقيقة وهو للخلق لفظاً دون معنى وهو به متخلق فافهم منصة ومجلى

نعت المحب بأنه طيار

علم صحيح ما عليه غبار

هذا بيت غير مقصود هو ما ذكرناه من أسماء الكون كان يتخيل أن تلك الاسماء وكره فلما تبين له أنه في غير وكره ظهر فطار عن كونه وكره وحلق في جو كونه إسماً حقه فهو في كل نفس يطير منه إلى نفس آخر لأن عين الاسماء كلها لمن هو كل يوم في شأن فما من يوم وإلا المحب يطير فيه من شأن إلى شأن هذا يعطيه شهوده منصة ومجلى نعت المحب بأنه دائم السهر لما رأى أن المحبوب لا تأخذه سنة ولا نوم علم أن ذلك من مقام حبه لحفظ العالم ودعاه إلى هذا النظر كون الحق يتجلى في الصور للصور أحكام ومن أحكام بعض الصور النوم ورآه في مثل هذه الصورة لا تأخذه سنة ونوم من حيث هذه الصورة فعلم ذلك من مقام حبه لحفظ العالم وإذا كان المحب جليس محبوبه ومحبوبه بهذه الصفة فالنوم عليه حرام فالمحب يقول مع الفراق أن النوم عليه حرام فكيف مع الشهود والمخالسة قال بعضهم في سهر الفراق

النوم بعدكم على حرام

من فارق الأحباب كيف ينام

فالنوم مع المشاهد أبعد وأبعد منصة ومجلى نعت المحب أنه كامن الغم أي غمه مستور لا ظهور له فسبب ذلك قوله تعالى "وما قدروا الله حق قدره" ثم يرى في شهوده أنه لا تتحرك ذرة إلا بأذنه إذ هو محركها بما تتحرك فيه ويرى في شهوده ما يقابل الكون به خالقه من سوء الأدب وما لا ينبغي أن يوصف به مدلوله العدم فيريد أن يتكلم وييدي ما في نفسه من الغيرة التي تقضيها المحبة ثم يرى أن ذلك بأذنه لأنه ممن يرى الله قبل الأشياء مقام أبي بكر فيسكن ولا يتمكن له أن يظهر غمه لأن المحب حكم عليه بأن ذلك الذي يعامل به المحبوب لا يليق به ويرى أنه سلط خلقه عليه بما أنطقهم به وما عذرهم وأرسل الحجاب دونهم فكمن غم هذا المحب في الدنيا فإنه في الآخرة لا غم له ولهذا يطلب الخروج من الدنيا منصة ومجلى نعت المحب أنه راغب في الخروج من الدنيا إلى لقاء محبوبه هو لما ذكرناه في هذا الفصل قبله لأن النفس من حقيقتها طلب الإستراحة والغم تعب وكمونه اتعب والدنيا محل الغموم والذي تختص به هذه المنصة رغبته في لقاء محبوبه وهو لقاء خاص عينه الحق إذ هو المشهود في كل حال ولكن لما عين ما شاء من المواطن وجعله محلاً للقاء مخصوص رغبنا فيه ولا نناله إلا بالخروج من الدار التي تنافي هذا اللقاء وهي الدار الدنيا خير النبي صلى الله عليه وسلم الخبر بين البقاء في الدنيا والانتقال إلى الآخرة فقال الرفيق الأعلى فإنه في حال الدنيا في مرافقته أدنى وورد في الخبر أنه من أحب لقاء الله يعني الموت أحب لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فلقى في الموت بما يكرهه وهو أن حجه عنه وتجلي لمن أحب لقاءه من عبادته ولقاء الحق بالموت له طعم لا يكون في لقائه بالحياة الدنيا فنسبه لقائنا له بالموت نسبة قوله "سنفرغ لكم أيها الثقلان" والموت فينا فراغ لأرواحنا من تدبير أجسامها فأرادوا حب هذا المحب أن يحصل ذلك ذوقاً ولا يكون ذلك إلا بالخروج من دار الدنيا بالموت لا بالحال وهو أن يفارق هذا الهيكل الذي وقعت له به هذه الإلفة من حين ولد وظهر به بل كان السبب في ظهوره ففرق الحق بينه وبين هذا الجسم لما ثبت من العلاقة بينهما وهو من حال الغيرة الإلهية على عبيده لحبه لهم فلا يريد أن يكون بينهم وبين غيره علاقة فخلق الموت وابتلاهم به تمحيصاً لدعواهم في محبته فإذا انقضى حكمه ذبحه يحى عليه السلام بين الجنة والنار فلا يموت أحد من أهل الدارين فهذا سبب رغبته في الخروج من الدنيا إلى لقاء المحبوب لأن الغيرة نصب ويحى الموت بالذبح حياة خاصة كما حكمنا بعد الموت فإن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا منصة ومجلى نعت المحب بأنه متبرم بصحبة ما يحول بينه وبين لقاء محبوبه هذا النعت أعم من الأول في المحب فإن العارف ما يحول بينه وبين لقاء محبوبه إلا العدم وما هو ثم وليس الوجود سواء

فهو شاهده في كل عين تراه فليس بين الحب والحبوب والأحباب الخلق فيعلم أن ثم خالقاً ومخلوقاً فلم يقدر على رفع صحبة هذه الحقيقة فإنها عينه والشئ لا يرتفع عن نفسه ونفسه تحول بينه وبين لقاء محبوبه فهو متبرم بنفسه لكونه مخلوقاً وصحبته لنفسه ذاتية لا ترفع أبداً فلا يزال متبرماً أبداً فلهذا يتبرم لأنه يتخيل أنه إذا فارق هذا الهيكل فارق التركيب فيرجع بسيطاً لا ثاني له فينفرد بأحدثه فيضربها في أحذية الحق وهو اللقاء فيكون الحق الخارج بعد الضرب لا هو فهذا يجعله يتبرم والعارف والحب لا يتبرم من هذا معرفته بالأمر على ما هو عليه كما ذكرناه في رسالة الإتحاد منصة ومجلى نعت الحب بأنه كثير التأوه وهو قوله "أن إبراهيم للأواه حلیم" وصف الحق من كونه إسمه الرحمن أن له نفساً بنفس به عن عبادته وفي ذلك النفس ظهر العالم ولذلك جعل تكوين العالم بقول كن والحرف مقطع الهواء فالهواء يولده ما هو هو لأنه لا يظهر الحرف إلا عند انقطاع الهواء والهواء نفس والهواء نفس وهذا الهواء في العناصر هو نفس الطبيعة ولهذا يقبل الحرف وهو ما يظهر فيه من الأصوات عند الهبوب والظاهر من تلك الأصوات حرف الهاء والهمزة وهما أقصى المخارج مخارج الحروف فإنهما مما يلي القلب وهما أول حروف الحلق بل حروف الصدر فهما أول حرف يصوره المتنفس وذلك هو التأوه لقربه من القلب الذي هو محل خروج النفس وانبعاثه فيظهر عنه جميع الحروف كما يظهر العالم بالتكئين عن قول

كن وهو سر عجيب سأذكره في باب النفس بفتح الفاء إن شاء الله فإذا تجلّى الحق من قلب الحب ونظرت إليه عين البصيرة لأن القلب وسع الحق ورأى ما يقع من الدم على هذه النشأة الطبيعية وهي تحتوي على هذه الأسرار الإلهية وإنها من نفس الرحمن ظهرت في الكون فذمت وجهل قدرها فكثر منه التأوه ولهذا القادحة لما يرى في ذلك من الوضوح والجلاء والناس فيعماية عن ذلك لا يصرون فيتأوه غيرة على الله وشفقة على المحجوبين لكون النبي صلى الله عليه وسلم جعل كمال الإيمان في المؤمن أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه فلهذا يتأسف على من حرمة الله هذا الشهود ويتأوه لحبه في محبوبهم أجل ما يراه من عمى الخلق عنه ومن شأن الحب الشفقة على المحبوب لأن الحب يعطي ذلك منصبه ومجلى نعت الحب بأنه يستريح إلى الكلام محبوبه وذكره بتلاوة ذكره قال تعالى "إننا نحن نزلنا الذكر" فسمى كلامه ذكراً فعلم أن أصل وجود الكون لم يكن عن صفة إلهية إلا عن صفة الكلام خاصة فإن الكون لم يعلم منه إلا كلامه وهو الذي سمع فالتذ في سماعه فلم يتمكن له إلا أن يكون ولهذا السماع مجبول على الحركة والاضطراب والنقلة في السامعين لأن السامع عند ما سمع قول كن انتقل وتحرك من حال العدم إلى حال الوجود فتكون فمن هنا أصل حركة أهل السماع وهم أصحاب وجد ولا يلزم فيمن 7 فإن الوجد لذاته يقتضي ما يقتضي وإنما المحبوب يختلف فالحب يختلف والوجد والشوق وجميع نعوت الحب وصف للحب كان المحبوب ما كان إلا أني اختصت في هذا الكتابي الحب المتعلق بالله الذي هو المحبوب على الحقيقة وإن كان غير مشعور به في مواطن عند قوم ومشعوراً به عند قوم وهم العارفون فما أحبوا إلا الله مع كونهم يحبون أرواحهم وأهلبيهم وأصحابهم فاعلم ذلك حتى أن بعض الصالحين حكى لنا عنه أنه قال أن فيها الليلي إليك عني فإن حبك شغلني عنك وما قر بها وما أدناها ومن شأن الحب أن يطلب الحب الاتصال بالمحبوب وهذا يقول لها إليك عني وما دهش ولا فني فتحقق عندي بهذا الفعل صدق ما قاله هذا العارف في حق قيس الجنون وليس ببعيد فلهذا ضنائن من عبادته فمن هناك استراح المحبون إلى كلام المحبون وذكره القرآن كلامه وهو ذكر فلا يورثون شيئاً على تلاوته لأنهم بنوبون فيه عنه فكأنه المتكلم كما قال فأجره حتى يسمع كلام الله والتالي إنما هو محمد صلى الله عليه وسلم فأهل القرآن هم أهل الله وخاصته فهم الأحباب المحبون منصة ومجلى نعت الحب بأنه موافق لمحاب محبوبه هذا ما يكون إلا من نعوت المحبين لله خاصة لكونه تعالى لا يجد ولا يتقيد وهو المتجلى في

الاسم القريب كما يتجلى في الاسم البعيد القريب قال الحب وكل ما يفعل المحبوب محبوب فإذا فعل البعد كان محبوبه البعد عن المحبوب لأنه محبوب المحبوب فإنه أحبه لحب المحبوب لا بنفسه ولا يحبه بحب المحبوب لا بنفسه حتى يكون المحبوب صفة له وإذا كان المحبوب من صفات الحب قام به وإذا قام به في غاية الوصلة في عين البعد أوصل منه في القريب لأنه في القرب بصفة نفسه لا بصفة محبوبه لأنه لا يقوم بالحل علتان لمعلول وأحد هذا لا يصح فما يحب القريباً لنفسه كما لا يحب البعد إلا بمحبوبه فهو في حب البعد أتم منه محبة في حب القرب ولنا في هذا المعنى

هوى بين الملاحاة والجمال

ويضعف عنه كل ضعيف قلب

وتقلبي مع الهجران عندي

فإنني في الوصال عبید نفسي

وشغلني بالحبيب بكل وجه

يقاسيه القوى من الرجال

تقلب في النعيم وفي الدلال

ألد من العناق مع الوصال

وفي الهجران عبد للمولى

أحب ألي من شغلي بحالي

ففي هذا الشعر إثارة مآثره المحبوبة ويتضمن ما أشرنا إليه في كلامنا قبله وأما قولنا أن المحبوب صفة الحب فيما ذكرناه فهو قوله تعالى فإذا أحببته كنت سمعه وبصره فجعل عينه سمع العبد وبصره فأثبت أنه صفته فما أحب الحب البعد إلا بمحبوبه وهذا غاية الوصلة في عين العبد منصة ومجلى نعت الحب بأنه خائف من ترك الحرمة في إقامة الخدمة وذلك أنه لا يخاف من هذا إلا عارف متوسط لم يبلغ التحقيق في المعرفة إلا أنه يشعر به من ذوق الشعور وهو محب والمحبة مطيع لمحبوبه في جميع أوامره وتحقيق الأمر يعطي أن الأمر عين المأمور والمحبة عين المحبوب إلا أن الظاهر يظهر الطائع والعاصي فالذي هو في مقام الشعور ولم يحصل في حد أن يتزل الأشياء منازلها في الظاهر يخاف أن يصدر منه ما يناقض الحرمة في خدمته إذ يقول ليس إلا هو كما يذهب إلى ذلك من يرى أن المدير أجسام الناس روح واحدة وإن عين روح زيد هو عين روح عمر ووفيه من الغلط ما قد ذكرناه في غير هذا الموضع وهو أنه يلزم ما يعلمه زيد لا يجله عمر ولأن العالم من كل واحد عين روحه وهو واحد والشيء الواحد لا يكون عالماً بالشيء جاهلاً به فيخاف المحبة أن صدرت منه قلة حرمة بهفوة وغلط أن يستند فيها بعد وقوعها إلى ما ذكرناه فيحصل في قلة المبالاة بما يظهر عليه من ذلك والمحبة تأبى ألا حرمة المحبوب وأن كان المحبة مدلاً بحبه لغلبة الحب عليه وأنه يرى نفسه عين محبوبه فيقول أنا من أهوى ومن أهوى أنا فهذا سبب خوفه لا غير منصة ومجلى نعت الحب أن يستقل الكثير من نفسه في حق ربه ويستكثر القليل من حبيبه وذلك أنه يفرق بين كونه محباً لما يرى في نفسه من الأنكسار والذلة والدهش والخيرة التي هي أثر الحب في المحبين ويرى نحوه المحبوب وتبيهه ورياسته وأعجابه عليه فيرى أنه إذا أعطاه جميع ما يملكه فهو قليل لما أعطاه من نفسه وأن حق محبوبه أعظم عنده من حق نفسه بل لا يرى لنفسه حقاً وأن كان في الحقيقة ما يسعى ألا في حق نفسه هكذا تعطيه المحبة كان لبعض الملوك مملوك يحبه لإسمه أياس فدخل على الملك بعض جلسائه ورأى قدمي المملوك في حجر الملك والملك يكبسهما فتعجب فقال أياس يا هذا ما هذه أقدام أياس هذه قلب الملك في حجره يكبسه هذا معنى قولنا أن المحبة في حق نفسه يسعى فإنه له في ذلك الفعل لذة عظيمة لا ينالها إلا بذلك الفعل فالمحبة ممتن عليه إذا مكنه مما تقع للمحب به لذة من المحبوب فيرى المحبة أي شيء جاء من المحبوب فهو كثير فهو أنعام سيد على عبد وأي شيء كان من المحبة في حق المحبوب ولو كان تلف الروح والمهجة في رضاه لكان قليلاً لأنه طاعة عبد

لسيد محسان وما قدروا الله حق قدره فالمحسوب غني فقليله كثير والمحب فقير فكثيره قليل ولكن وأن كان هذا نعت المحب عندهم فهو نعت محب ناقص المعرفة كثير الحب على عماية لأن المحب إذا كان المخلوق ليس له شيء يملكه حتى يستقل أو يستكثر وأما إذا كان المحب الله فإنه يستكثر القليل من عبده وهو قوله "فأتقوا الله ما أستطعتم ولا يكلف الله نفساً ألا وسعها" وأما استقلاله الكثير في حق أحبائه من عباده فإن ما عند الله ما له نهاية ودخول ما لا نهاية له في الوجود محال فكل ما دخل في الوجود فهو متناه فإذا أضيف ما تناهى إلى ما لا يتناهي ظهر كأنه قليل أو كأنه لا شيء وأن كان كثيراً وهنا نظر يطول فأقتصرنا منصة ومجلى نعت المحب يعانق طاعة محبوبه وبجانب مخالفته قال شاعرهم

تعصي الأله وأنت تظهر حبه

هذا محال في القياس بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعته

أن المحب لمن يجب مطيع

المحب عبد والعبد من وقف عند أوامر سيده وتجنب مخالفة أوامره ونواهيه فلا يراه حيث نواه ولا يفقده حيث أمر لا يزال مائلاً بين يديه فإذا أمره رأى هذا المحب أنه قد أمتن عليه حيث أستعمله وأمره وأن هذا من عنايته به وأن فقد رؤيته ومشاهدته فيما شغله به فهو في نعيم ولذة بكونه يتصرف في مراسيم سيده وعن أذنه فإن كان المحب الله فأمر المحبوب له دعاؤه ورغبته فيما يعن له وبجبه ثم أنه يكره أشياء فيدعوه بصفة النهي مثل قوله "لا تزغ قلوبنا ولا تحمل علينا أصراً ولا تحملنا مالا طاقة لنا به" فهذا سؤال بصفة نهي فقد وقع منه الأمر والنهي لسيده وأجابه الحق هذا العبد من حيث هو محب لهذا العبد كالطاعة من العبد لأوامر سيده وبجانب مخالفته منصة ومجلى نعت المحب بأنه خارج عن نفسه بالكلية أعلم أن نفس الشخص الذي يتميز به عن كثير من المخلوقات إنما هو أرادته فإذا ترك أرادته لما يريد به محبوبه فقد خرج عن نفسه بالكلية فلا تصرف له فإذا أراد به محبوبه أمراً ما وعلم هذا المحب ما يريد به محبوبه منه أو به سارع أو تهاى لقبول ذلك ورأى أن ذلك التهيؤ والمسارة من سلطنة الحب الذي تحكم فيه فلم ير المحبوب في محبه من ينازعه فيما يريد به أو منه لأنه خرج له عن نفسه بالكلية فلا أرادته له معه ولكن مع وجود نفسه وطلبه الاتصال به وأن يكن كذلك فهو في مرتبة الجماد الذي لا أرادته له فما له لذة ألا اللذة التي متعلقها التذاذ محبوبه بما يراه منه في قبوله الحب الله 7 أوحى الله إلى موسى يا ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك يعني الدنيا والآخرة لأنه العين المقصودة وهو رأس الأحباء محمد صلى الله عليه وسلم فالكل في تسخير هذه النشأة الأنسانية الأفلاك وما تحتوي عليه والكواكب وما في سيرها هذا في الدنيا وأما في الآخرة فما عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر حتى نهاية الأمر وهو التجلي الألهي يوم الأعظم فهذا معنى خروج المحب عن نفسه بالكلية في كل ما يمكن أن يحتاج إليه المحبوب وما لا حاجة للمحسوب به ولا يعود عليه منه لذة وأبتهاج فلا يدخل تحت هذا الباب منصة ومجلى نعت المحب لا يطلب الدية في قتله لا ناقد وصفناه أولاً بأنه مقتول قتل المحب شهادة فقتله حياته والحي لا دية فيه إنما يؤدي القتل الذي يموت فله شرعت الدية المحب الله كون العبد محبوباً أرادته نافذة لا أرادته للمحب تنازع أرادته المقتول لا أرادته له ومن كان بأرادة محبوبه فلا أرادته له وأن كان مريداً ولا دية له لأن الحي لا دية فيه والحياة الذاتية له وهو حب الفرائض إذا أداها أحبه الله ففي النوافل يكون سمع العبد وبصره وفي الفرائض يكون العبد سمع الحق وبصره ولهذا ثبت العالم فإن الله لا ينظر إلى العالم ألا ببصر هذا العبد يذهب العالم للمناسبة فلو نظر إلى العالم ببصره لأحترق العالم بسبحات وجهه فنظر الحق العالم ببصر الكامل

المخلوق على الصورة هو عين الحجاب الذي بين العالم وبين السبحات المحرقة منصبة ومجلى نعت الحب بأنه يصير على الضراء التي ينفر منها الطبع لما كلفه محبوه من تدبيره الإنسان مجموع الطبع والنور فالطبع يطلبه والنور يطلبه وكلف النور أن يغتنب ويترك كثيراً مما ينبغي له وتطلبه حقيقته لما يطلبه الطبع من المصالح وأمر النور الذي هو الروح أن يوفيه حقه وهو قوله صلى الله عليه وسلم لمن قال له من أبر قال أمك ثلاث مرات ثم قال له في الرابعة ثم أباك فرجح بر الأم على بر الأب والطبيعة الأم وهو قوله صلى الله عليه وسلم "أن لنفسك عليك حقاً" وهي النفس الحيوانية ولعينك عليك حقاً فهذا كله من حقوق الأم التي هي طبيعة الإنسان وأبوه هو الروح الألهي وهو النور فإذا ترك أموراً كثيرة من محابه من حيث نوريته فإنه يتصف بأنه مضرور وهو مأمور بالصبر فهذا معنى يصير على الضراء وأن كانت حقيقته تنفر من ذلك ولكن أمر الله أوجب ثم قال له في صبره "وأصبر وما صبرك ألا بالله" فإن الله تسمى بالاسم الصبور فكأنه قال له أنا على عزة جلالي قد وصفت نفسي بأني أؤذي وأني أحلم وأصبر وتسميت بالصبور وأنا غير مأمور ولا محجور على فأدخلت نفسي تحت محاب خلقي وتركت ما ينبغي لي لما ينبغي لخلقي أيثاراً لهم ورحمة مني بهم فإنت أحق بأن تصبر على الضراء بي أي بسبب أمري وبسبب موني صبوراً على أذى خلقي حين وصفوني بما لا يقتضيه جلالي وهذا من كون الله محباً في هذا المجلى وأما كونه كذلك لما كلفه محبوه من تدبير نشأته الطبيعية فإذا كان المحبوب الخلق والحب الحق فصورة التكليف ما يطلبه العبد من سيده إذا عرف أنه محبوب لسيدته من تدبير مصالحه بشرط الموافقة لأغراضه ومحابه فيفعل الحق معه ذلك فهذا ذلك المعنى الذي نعت به الحب منصبة ومجلى نعت الحب بأنه هائم القلب لما كان القلب سمي بذلك لكثرة تصرفاته وتقليبه كثرت وجوهه وتوجهاته وهذه صفة الهائم ولا سيما إذا كان الحق يظهر له في كل وجه يتوجه إليه وفي كل مصرف يتصرف فيه فإنه ناظر إلى عين محبوه في كل وجه الحب الله كل يوم هو في شأن ما ترددت في شيء أنا فاعله كثرة الوجوه في الأمر الواحد تؤدي إلى التردد أيها يفعل وكلها رضى المحبوب فنحن لا نعرف الأرضي وهو يعرف الأرضي في حقنا غير أننا نعرف الأرضي ما بين النوافل والفرائض فنقول الفرائض أرضي ولكن إذا اجتمعت بحكم التخيير كالكفارة التي فيها التخيير لا يعرف الأرضي ألا بتعريف مجدد وكذلك الأرضي في النوافل لا يعرف ألا بتوقيف والنوافل كثيرة وما منها ألا مرضى من وجه وأرضى من وجه فلا بد من تعريف جديد ففي مثل هذا يكون الحب هائم القلب أي حائراً في الوجوه التي يريد أن يتقلب فيها منصبة ومجلى نعت الحب بأنه مؤثر محبوه على كل مصحوب لما كان العالم كله كل جزء منه عنده أمانة للإنسان وقد كلف بأداء الأمانة وأماناته كثيرة ولأدائها أوقات مخصوصة له كل وقت أمانة منها مانبه عليه أبو طالب من أن الفلك يجري بأنفاس الإنسان بل بنفس كل متنفس والمقصود الإنسان بالذكر خاصة لأنه بانتقاله ينتقل الملك ويتبعه حيث كان فلا يزال العالم يصحبه الإنسان لهذه العلة ثم أن الإنسان مفتقر لهذه الآمانات التي عند العالم ومع افتقاره إليها فإن المحبين من رجال الله العارفين شغلوا نفوسهم بما أمرهم به محبهم فهم ناظرون إليه حباً وهيماناً قد تيمهم بحبه وهيمهم بين بعده وقربه فمن هنا نعتوا بأنهم آثروه على كل مصحوب لأنه صاحبهم لقوله تعالى "وهو معكم أينما كنتم" وكل من في العالم يصحبه أيضاً لأجل الأمانة التي بيده فيؤثر الإنسان لمحبهته لله جناب الله على كل مصحوب قيل لسهل ما القوت قال الله قيل لسهل ما القوت قال الله قيل له ما نريد إلا ما تقع به الحياة قال الله فلم ير إلا الله فلما ألحوا عليه وقالوا له إنما نريد ما به عمارة عمارة هذا الجسم فلما رأهم ما فهموا عنه عدل جواب إلى آخر فقال دع الديار إلى بانيها إن شاء عمرها زان شاء خر بها يقول ليس من شأن اللطيفة الإنسانية صحبة هذا الهيكل الخاص ولا بد تشتغل هي بما كلفها المحبوب الذي هو عين حياتها ووجودها وأي بيت أسكنها فيه سكنته هذا إن كان يقول بعدم التجريد عن النشأة الطبيعية كما نقول وكما

أعطاه الكشف وإن كان يقول بالتجريد عن الطبيعة وارتفاع العلاقة فهو على كل حال لا يمكن أن يؤثر الله على كل مصحوب المحب الله أثر الإنسان من كونه محبوبه على جميع العالم فأعطاه الصورة كاملة ولم يعط أحد من أصناف العالم وإن كان موصوفاً بالطاعة والتسبيح لله فقد أثره على كل مصحوب قال تعالى "وإذ قال ربك للملائكة أني جاعل في الأرض خليفة" أعطاه جميع الأسماء كلها الإلهية فسبحه بكل اسم إلهي له بالكون تعلق ومجده وعظمه لا إسم القصعة والقصيعة الذي ذهب إليه من لا علم له بشرف الأمور ولذلك قالت الملائكة نسيح بحمدك ونقدس لك ولا يقدر ولا يسبح إلا باسمائهم فاعلمهم بأن الله أسماء العالم ما سبحته الملائكة ولا قدسته بها وقد علمها آدم فلما أحضر ما أحضره من خلقه مما لا علم للملائكة به فقال أنبيؤني باسماء هؤلاء التي تسبحوني بها وتسبحوني قالوا لا علم لنا فقال آدم أنبيئهم باسمائهم علموا أن الله أسماء لم يكن لهم بها علم يسبحه بها هؤلاء الذين خلقهم وعلمها آدم فسيح الله بها كما قال للملائكة لما طافت به بالبيت ما كنتم تقولون قالت الملائكة كنا نقول في طوافنا به قبلك سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فقال لهم آدم وأنا أزيدكم لا حول ولا قوة إلا بالله أعطاه الله إياه من كثر من تحت العرش لم تكن الملائكة تعلم ذلك فلو أراد المفسر بقوله حتى القصعة والقصيعة الاسم الإلهي المتوجه على الصغير والكبير فسبحه الصغير في تصغيره بما يسبحه به الكبير في تكبير أصاب وإنما قصد لفظة

القصعة والقصيعة ولا شرف في مثل هذا فإنه راجع لما يصطلح عليه إذ لها في كل لسان إسم مركب من حروف لا يشبه الاسم الآخر فليس المراد إلا ما تقع به الفائدة التي يماثل بها قول الملائكة في فخرها على الإنسان أنها مسبحة ومقدسة فأراها الله تعالى شرف آدم من حيث دعواها وهو ما ذكرناه ليس غيره وما ثم في المخلوقات أشرف من الملك ومع هذا فقد فضل عليه الإنسان الكامل بعلم الأسماء فهو في هذه الحضرة وهذا المقام أفضل فهذا حد إثبات الحق له منصة ومجلى نعت المحب بأنه محو في إثباته فظهر في تكليفه ومن العبادات الفعلية في صلاته فقسّمها بينه وبين عبده فأثبته وأما محوه في هذا الإثبات فقوله "والله خلقكم وما تعملون" وقوله "ليس لك من الأمر شيء" وقوله "وإن الأمر كله لله" وقوله "وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى" وقوله "مما جعلكم مستخلفين فيه" فهذا في غاية البيان من كتاب الله محو في إثبات فالحب ما له تصرف إلا فيما يصرف فيه قد حيره حبه الآن يريد سوى ما يريد به الحقيقة في نفس الأمر تأبى إلا لذلك وكل ما يجري منه فهو خلق لله وهو مفعول به لا فاعل فهو محل جريان الأمور عليه فهو محو في إثبات المحب الله محو في إثبات لا تقع العين الأعلى فعل العبد فهذا محو الحق ولا يعطى الدليل العقلي والكشف إلا وجود الحق لا وجود العبد ولا الكون فهذا إثبات الحق فهو محو في العالم الشهادة اثبات في حضرة الشهود منصة ومجلى نعت المحب بأنه قد وطأ نفسه لما يريد به محبوبه وذلك أن المحب لما حال بينه وبين رؤية الأسباب ولم يبق له نظر إلا إلى جناب محبوبه تعالى جهل ما يحتاج العالم إليه فيه ولا بد له في نفس الأمر أن يؤدي إليه ما يطلبه به من حقوقه كما قال صلى الله عليه وسلم ولزورك عليك حق فأنتى بما يدخل فيه جميع العالم وهو الزيادة وهذا من جوامع كلمه فوطاً هذا المحب نفسه لما يريد به محبوبه فعلم ما للعالم من الحقوق عليه من جهة ما أراد به محبوبه من تصرفه فيما صرفه والحق حكيم فلا يحركه إلا في العمل الخاص فيما يطلبه به من كان من العالم في ذلك الوقت فيعرف العالم من الله فيربح شهود الحق وهو قول الصديق ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله فشاهد عين العالم في شهود الله المحب الله لما كان في نفس الأمر أن الحق سبحانه لا تقبل ذاته التصرف فيها وجعل في نفوس العالم الإفتقار إليه فيما فيه بقاؤهم ومصالحهم وتمشية أغراضهم فكأنه قد وطأ نفسه لجميع ما يريدونه منه ما يريدونه به ولهذا إذا سألوه فيما لم يجيئ وقته قال لهم "سنفرغ لكم" فهو الفاعل في كل حال وليست لذاته بمحل لظهور الآثار فقد وقعت التوطئة أنه

مهيب لما يحتاج إليه الكون لا لنفسه وله في كل ما أوجده تسبيح هو غذاء ذلك الموجود فلهذا أخبر سبحانه أنه ما منشئ إلا وهو يسبح بحمده وقد ذكرناه في مقام الفتوة منصة ومجلى نعت الحب بأنه متداخل الصفات وذلك أن الحب يطلب الإتصال بالحبوب ويطلب اتباع إرادة المحبوب وقد يريد المحبوب ما يناقض الإتصال فقد تداخلت صفات الحب في مثل هذا الحب الله هو الأول من عين ما هو آخر فدخلت آخريته على أوليته ودخلت أوليته على آخريته وما ثم إلا عينه فأوليته عينه وآخريته عبده وهو محبوبه فقد تداخلت صفاته في صفات محبوبه فإن قلت عبد لم تخلص وإن قلت سيد لم تخلص وأنت صادق في الأمرين فهذا حكم التداخل منصة ومجلى نعت الحب بأنه ما له نفس مع محبوبه يقول ما هو مستريح مع محبوبه لأنه مراقب محبوبه في كل نفس يرى أين محابه فيتصرف فيها فلا يرح ذاعاء يبذل المجهود في رضى الحبوب ورضاه مجهول فلا راحة للمحب فهذا معنى قولهم ما له نفس يرى أي لا يستريح من التنفيس وهو إزالة الكرب والشدة وهذا نعت الحب الصادق في حبه الحب الله قوله كل يوم هو في شان ولا يتصرف إلا في حق عباده ولا يقصد من عباده إلا أحبابه وينتفع الباقي بحكم التبعية يأكلون فضلات موائدهم فشغله بمصالحهم دنيا وآخرة غير أنه موصوف بأنه لا يمس لغوب يقول تعالى "ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب" وهو قوله "أفعبينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد" يعني في كل نفس هو تعالى في خلق جديد في عباده وهو قوله "كل يوم في شأن" وقال في أهل السعادة "لا يمسهم فيها نصب" مع كونهم في كل حال يتصرفون في حق الله لا في حق نفوسهم ثم أن ذلك يعود عليهم لا يقصدونه من أجل عوده عليهم بل الحقائق تعطى ذلك فلهذا وصف الحب بأنه لا نفس له مع محبوبه منصة ومجلى نعت الحب بأنه كله لمحوبه وذلك أنه مجموع وبحكم جمعته ظهر عينه فأحاده الله إذ الأحدية لله وليس المجموع سوى هذه الأحاد فكله لله فإن كل واحد من المجموع إذا ضربته في الواحد الحق كان الخارج من ذلك واحد الحق فهذا معنى كله لمحوبه وهو واحد المجموع إذا ضربته في الواحد الحق كان الخارج من ذلك واحد الحق فهذا معنى كله لمحوبه وهو واحد المجموع لأن المجموع له أحدية وعلى هذا يخرج إذا كان الحب الله فالكل في حق الله مع أحديته إنما ذلك الاسماء الألهية وهي التسعة والتسعون فظهرت الكثرة في الاسماء فصح إسم الكل وآحاد هذا الكل عين كل إسم على حدة يطلب من العبد ذلك الاسم حقيقة واحدة يظهر سلطانه فيها ولا تكون إلا واحدة فتضرب الواحد في الواحد فيظهر في الشاهد واحد العبد وهو المحبوب فكله لله لأن الاسماء كلها تظهر أحكامها في العبد والاسماء لله فالكل للعبد المحبوب عند الله فما في الحضرة الإلهية شئ إلا للعبد المحبوب فإن الله بذاته غنى عن العالمين فهو غنى عن كثرة وعن الدلالة عليه منصة ومجلى نعت الحب بأنه يعتب نفسه بنفسه في حق محبوبه وذلك أن الحب يرى أنه يعجز عما لمحوبه عليه من الحقوق التي أوجبها حبه عليه ولا علم له بطريق الإحاطة بمحاب محبوبه فيجهد في أنه يعمل بقدر ما علم من ذلك ثم يقول لنفسه لو صدقت في حبك لكشف لك عن جميع محابه فإنك في دار التكليف وهي دار محصورة ومحاب الحبيب فيها معينة بخلاف الآخرة فإنك مسرح العين فيها لأنها كلها محابة فلا عتاب هناك فلهذا عتب الحب هنا نفسه بنفسه في حق محبوبه الحب الله وصف نفسه بالتردد في حق حبه للعبد المؤمن إذ من حق المحبوب أن يعمل له الحب ما يكرهه والمحبوب يكره الموت والحق يكره مساءته من حيث ما هو محبوب له فهذا معنى العتب ولا بد له من الموت لما سبق من العلم ولكن لجهل العبد بما له في اللقاء من الخير بخلاف المحبين فإنهم يحبون الموت لا للراحة بل للإلتقاء مع المحبوب ومناحيين من يغلب عليه رضى المحبوب ويرى أنه لا يحصل ذلك إلا في دار التكليف وأما في الآخرة فلا تحجير فيقع التساوي فيرفعتميز قدر الحب في تصرفه من غير الحب فيكره بعض المحبين الموت لهذا المعنى وهذا لصدقهم في المحبة والحب الله أيضاً في هذه الحقيقة وقد قضى بالموت على الجميع وكان غرض هذه الطائفة

المخصوصة التي تريد التمييز أن لا يرفع عنها التحجير لتعلم قدر محبتها لسيدها على غيرها من الطوائف ويأبى سبق العلم بالكائن إلا أن يكون فهذا القدر يسمى عتياً في حق الحق يميزه قوله تعالى "فعال لما يريد" لا بل يميزه ويختار خاصة والذي يفهم أيضاً من قوله ولو شاء فهذا وأمثاله موجب العتب لا الإرادة ولا العلم فإن الحكم لهما فتفتن لما ذكرناه فكل ذلك أسرار إلهية غاروا عليها أصحابنا لما رأوا من عظيم قدرها وهو كما قالوه غير أن هذا الذي أبرزنا منها بالنظر إلى ما عندنا من العلم بالله قشر فهذا سبب إقدامنا على إبرازه ولما فيه من المنفعة في حق العباد منصة ومجلى نعت الحب بأنه ملتذ في دهش الدهش سببه فجأة المحبوب وهو المعبر عنه بالهجوم وسيأتي له باب في هذا الكتاب ولما كان الحق دعا قلوب العباد إليه وشرع لهم الطريق الموصلة المشروعة وتعرف إليهم بالدلالات فعرفوه وتحبب إليهم بالنعم فأحبوه فلما تجلّى لهم على غير موعد عند ما دخلوا عليه وهم غير عارفين بأنهم في حال دخول عليه فجنّهم تحليه فعرفوه بالعلامة فدهشوا لفجأة التجلى والتذوا لعلهم بالعلامة في نفوسهم أنه حبيبهم ومطلوبهم فهذا التذاذهم في دهش الحب لله وصف نفسه بالأختيار وأنه على كل شيء قدير وأنه لو شاء فعل وأنه لا مكره له وهو الصادق في قوله وما حكم به على نفسه وهو أيضاً المقيت فقد ترتبت الأمور ترتيب الحكمة فلا معقب لحكمه فهو في حال يفعل ما ينبغي كما ينبغي لما فعل حكيم عالم بالمراتب فتأتيه أسئلة السائلين وما يوافق توقيت الأجابة في عين ما سأله فيه وقد تقرر أنه لا مكره له ولا بد من التوقف عند هذا السؤال لمناقضته إذا أجابه ترتيب الحكمة فهذا المقدار يسمى دهشاً وأما التذاذ فإن السائل في ذلك محبوب فهو يجب سؤاله ودعائه كما قد ورد في الخبر أن شخصين

محبوب لله وبغيض سأل الله في حاجة فأوحى الله للملك أن يقضي حاجة البغيض مسرعاً حتى يشتغل عن سؤاله لكونه ييغضه وييغض صوته ويقول للملك توقف عن حاجة فلان فإنني أحب أن أسمع صوته وسؤاله فإنني أحبه فهذا مقضي الحاجة على بغض وهذا غير مقضي الحاجة مع حب وعناية فلو كشف لهذا المحبوب هذا السر في وقت تأخر الأجابة ما وسعه شيء من الفرح بذلك فالتوقف عن الأجابة كتوقف الداهش لصدق قوله في أنه لا مكره له والألتذاذ علمه بأنه لا بد من وصوله إلى ما طلب وفرحه به فسبحان العزيز الحكيم منصة ومجلى نعت الحب بأنه جاوز الحدود بعد حفظها هذا معين في أحياء أهل بدر فإنهم ممن جاوزوا الحدود بعد حفظها فقال لهم "أفعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم" وأما في غير المعينين في العموم وهم معينون في الخصوص وقد عين الحق صفنهم فهو ما ذكر الله سبحانه في قوله أذنب عبد ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب فقال في الرابعة أو في الثالثة أعمل ما شئت فقد غفرت لك فأباح له وأخرجه من التحجير في الدنيا أذ كان الله لا يأمر بالفحشاء فما عصى الله صاحب هذه الصفة بل تصرف فيما أباحه الله له وقد كان قبل هذه الصفة من أهل الحدود فجاوزها بعد حفظها فهذا أعطاه شرف العلم مع وجود عقل التكليف بخلاف صاحب الحال فإن حكم صاحب الحال حكم المجنون الذي أرتفع عنه القلم فلا يكتب لأ له ولا عليه وهذا يكتب له ولا عليه فهذا قدر ما بين العلم والحال فما أشرف العلم فالحب إذا كان صاحب علم هو أتم من كونه صاحب حال فالحال في هذه الدار الدنيا نقص وفي الآخرة تمام والعلم هنا تمام وفي الآخرة تمام وأتم الحب الله لما علم من عباده المحبين له أنهم غير مطالبين لله ما أوجبه لهم على نفسه جاوزوا الحدود بعد حفظها فأعطاهم ما أوجبه على نفسه وهو حفظها ثم أعطاهم بغير حساب وهو مجاوزته الحدود فإن الحد الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ومجاورة الحدود الزيادة في قوله "للذين أحسنوا الحسنى" وهو حفظ الحد وزيادة وهي ما جاوز الحد هذا عطاؤنا فأمّن أو أمسك بغير حساب منصة ومجلى نعت الحب بأنه غيور على محبوبه منه وهذا أحق ما يوجد في حق من يحب الله وهذا مقام الشبلي أداه إلى ذلك تعظيم محبوبه في نفسه وحقارة قدره فرأى أنه لا يليق

بذلك الجناح العزيز أدلال المحبين فإن المحبين لهم أدلال في الحضرة الألهية ألا المحبين الموصوفين بالغيرة فإنهم لا أدلال لهم لما غلب عليهم من التعظيم فهم الموصوفون بالكتمان وسببه الغيرة والغيرة من نعوت المحبة فهم لا يظهرون عند العالم بأنهم من المحبين وهذا مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه وصف نفسه بأنه أغير من سعد بعد ما وصف سعداً بأنه غيور فأتى بينية المبالغة في غيرة سعد ثم ذكر أنه صلى الله عليه وسلم أغير من سعد فستر محبته وما لها من الوجد فيه بالمزاح وملاعبة الصغير وأظهار حبه فيمن أحبه من أزواجه وأولاده وأصحابه هذا كله من باب الغيرة وقوله "أنا أنا بشر" فلم يجعل عند نفسه أنه من المحبين فجعلته طبيعته وتخيلت أنه معها لما رآته يمشي في حقها أو يؤثرها ولم تعلم بأن ذلك عن أمر محبوبه إياه بذلك فقل أن محمداً صلى الله عليه وسلم يحب عائشة والحسن والحسين وترك الخطبة يوم الجمعة ونزل إليهما لما رآهما يعثران في أذيالهما وصعد بهما وأتم خطبته هذا كله من باب الغيرة على المحبوب أن تنتهك حرمة وأن هذا ينبغي أن يكون الأمر عليه تعظيماً للجناح الأقدس أن يعين ثم لا يظهر ذلك الاحترام من الكون فسدل ستر الغيرة في قلوب عباده المحبين الحب الله قال صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث والله أغير مني ومن غيرته حرم الفواحش ليفتح المحبون في دعواهم محبته فغار أن يدعي فيه الكاذب دعوى الصادق ولا يكون ثم ميزان يفصل بين الدعوتين فحرم الفواحش فمن أدعى محبته وقف عند حدوده فتبين الصادق من الكاذب والكل بالله قائم فغار على محبوبه منه فأضاف الأفعال إليه لا إلى العبد حتى لا ينسب نقص للعبد منصة ومجلى نعت الحب بأنه يحكم حبه فيه على قدر عقله لأن عقله قيده فعقله قيده وما خاطب تعالى ألا العقلاء وهم الذين تقيدوا بصفاتهم وميزوها عن صفات خالقهم فلما وقع التباين حصل التقييد فكان العقل ولهذا أدلة العقول تميز بين الحق والعبد والخالق والمخلوق فمن وقف مع عقله في حال حبه لم يتمكن أن يقبل من سلطان الحب ألا ما يقتضيه دليله النظري ومن وقف مع قبول عقله لا مع نظر عقله فقبل من الحق ما وصف به نفسه تحكم فيه سلطان الحب بحسب ما قبله عقله من ذلك فالعقل بين النظر والقبول فحكم الحب في العقل الناظر والقابل ليس على السواء فأفهم فإن هنا أسراراً الحب الله نسبة العقل ألينا نسبة العلم إليه فلا يكون ألا ما سبق به علمه كما لا يكون منا ألا قدر ما اقتضاه عقلنا فحكم حبه في خلقه لا يجاوز علمه وحكم حينا فيه لا يجاوز عقلنا نظراً أو قبولاً فأفهم منصة ومجلى نعت الحب بأنه مثل الدابة جرحه جبار حكى أن خطافاً راود خطافة كان يجيها في قبة لسليمان عليه السلام وكان سليمان عليه السلام في القبة فسمعه وهو يقول لها لقد بلغ مني حبك أن لو قلت لي أهدم هذه القبة على سليمان لفعلت فاستدعاه سليمان عليه السلام وقال له ما هذا الذي سمعته منك فقال يا سليمان لا تعجل على أن للمحب لساناً لا يتكلم به ألا المجنون وأنا أحب هذه الأثني فقلت ما سمعت والعشاق ما عليهم من سبيل فإنهم يتكلمون بلسان المحبة لا بلسان العلم والعقل فضحك سليمان ورحمه ولم يعاقبه فهذا جرح قد جعله جباراً وأهدره ولم يؤاخذه به كذلك الحب لله كل ما أعطاه أدلال الحب وصدق المودة من الخلل في ظاهر الأمر لا يؤاخذه به الحب فإن ذلك حكم الحب والحب مزيل للعقل وما يؤاخذه الله ألا العقلاء لا المحبين فإنهم في أسره وتحت حكم سلطان الحب الحب الله جرحه جبار هو الصادق وتوعد على الخطيئة بما توعد به ثم عفا ولم يؤاخذه من غير توبة من العاصي بل أمتناناً منه وفضلاً فأهدر ما كان له أن يأخذ به كان ما أجترحه المسيء جباراً وما توعد به الحق من وقوع الانتقام به جبار لأنه عفا عنه من غير سبب البهيمة لا تقصد ضرر العباد ولا تعقل فجرحها جبار الحب محكوم عليه فغيره هو القاتل فجرحه جبار والله الحجة البالغة فلو شاء لهذاكم أجمعين منصة ومجلى نعت الحب بأنه لا يقبل حبه الزيادة بأحسان المحبوب ولا النقص بجفائه هذا الحكم لا يكون ألا في محب أحبه لذاته عن تجل تجلي له فيه من اسمه الجميل فلا يزيد بالبر ولا ينقص بالأعراض بخلاف حب الأحسان والنعم فإنه يقبل الزيادة

والنقص وهو الحب المعلول قالت الحبة لو قطعني أرباً أرباً لم أزد فيك ألا حباً يعني أنه لا ينقص حبنا لذلك وهو قول المرأة الحبة يقال أن هذا قول رابعة العدوية المشهورة التي أربت على الرجال حالاً ومقاماً وقد فصلت وقسمت رضى الله عنها وهو أعجب الطرق في الترجمة عن الحب

وحباً لأنك أهل لذاك

فشغلى بذكرك عمن سواك

فكشفك للحجب حتى أراك

ولكن لك الحمد في ذا وذاك

أحبك حبين حب الهوى

فأما الذي هو حب الهوى

وأما الذي أنت أهل له

فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي

وقالت الأخرى جارية عتاب الكاتب

أرحم اليوم زائراً قد أتاك

قد أبى القلب أن يحب سواك

طال شوقي متى يكون لقاك

غير أنني أريدها لأراك

يا حبيب القلوب من لي سواك

أنت سؤلي وبغيتي وسروري

يا مناياء وسيدي وأعمادي

ليس سؤلي من الجنان تعيماً

ولنا في هذا النعت

فحبك لا يحول ولا يزيد

وحبك مثل خلقك لي جديد

نعيمك أو عذابك لي سواء

فحبي في الذي تختار مني

هذا ميزان الاعتدال وهو الميزان الألهي لا تؤثر فيه العوارض ولا يتأثر بالأحوال المحب الله لا يتنفع بالطاعة ولا يتضرر بالمخالفة من أحبه من عباده لم تضره الذنوب ولا قد حث في مثله بل بشره فقال "عفا الله عنك لم أذنت لهم" فقدم العفو على السؤال عندنا وعلى العتاب عند غيرنا "ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر" فقدم المغفرة على الذنب وليس بذنب عنده وإنما ذكره لتعرف العناية الألهية بأحبابه لا ذنب لمحوب ولا حسنة لمحب عند نفسه ومع هذا كله فإنه مقام خفي غير جلي سريع التفلت في المحب يتصور فيه المطالبة مع الأنفاس مدعيه حافظ لميزانه أن أحل به قامت الحجة عليه من الجانبين فلا يحفظه ألا ذو معرفة تامة وذو حب صادق قوي السلطان ثابت الحكم منصة ومجلى نعت المحب بأنه غير مطلوب بالآداب إنما يطلب بالأدب من كان له عقل وصاحب الحب ولهان مد له العقل لا تدبير له فهو غير مؤاخذ في كل ما يصدر عنه إذا كان المحب الله فهو الكبير المالك مشرع الآداب في العقلاء مؤدب أوليائه كما قال صلى الله عليه وسلم "أن الله أدبني فأحسن أدبي" والسيد لا يقال يتأدب مع غلامه وإنما يقال السيد يعطي ما يستحقه العبد المحبوب عنده المكرم لديه منة منه وفضلاً فالسيد غير مطالب بالأدب مع عبده وأن كان محبو باله منصة ومجلى نعت المحب بأنه ناس حظه وحظ محبوبه أستفرغه الحب فإنساه المحبوب وأنساه نفسه وهذا هو حب الحب والحقيقة الألهية التي صدرت منها هذه الحقيقة لا تنقل نعم تنقل ألا أنها من الأسرار التي لا تداع فمن كشفها عرفها ولا يجوز له أن يعرف بها وآيتها من كتاب الله "نسوا الله فنسيهم" ومن نسي صورته نسي نفسه منصة ومجلى نعت المحب بأنه مخلوع النعوت المحب لا نعت له يقيد

به ولا صفة فإنه بحيث يريد محبوبه أن يقيمه فيه فنعته ما يراد به وما يراد به لا يعرفه فهو مخلوع النعوت الحب الله هو كامل لذاته لا يكمل بالزائد فلا نعت له ولا صفة لأنه ليس كمثل شيء فسبحان ربك رب العزة عما يصفون منصة ومجلى نعت الحب بأنه مجهول الاسماء قال الشاعر

لا تدعني الأبياء عبدها

فإنه أشرف أسمائي

فهذا مثل قولهم فيه أنه مخلوع النعوت فالعبودية له ذاتية فما له إسم معين سوى ما يسميه به محبوبه فبأي إسم سماه ودعاه به أجابه ولباه فإذا قيل للمحب ما أسمك يقول سل المحبوب فما سماني به فهو إسمي لا إسم لي أنا المجهول الذي لا يعرف والنكرة التي لا تتعرف الحب الله لا إسم له يدل على ذاته وإنما المألوه الذي هو محبوبه نظر إلى ما له فيه من أثر فسماه بآثاره فقبل الحق ما سماه به فقال المألوه يا الله قال الله له لبيك قال المربوب يا رب قال له الرب لبيك قال المخلوق له يا خالق قال الخالق لبيك قال المرزوق يا رزاق قال الرزاق لبيك قال الضعيف يا قوي قال القوي أجبتك فأحوالنا تدعوه دعاء تحقيق فيتخذها أسماء ولهذا تختلف ألفاظها وتركيب حروفها بحسب اللسان والمعنى الموجب للإسم معقول عند المخلوقين فيقول العربي يا الله للذي يقول له الفارسي أي خدائي ويقول له الرومي أيشأ ويقول له الأرمني أي أصفاج ويناديه التركي أي تنكري ويناديه الأفرنجي أي كريطور ويقول له الحبشي واق فهذه ألفاظ مختلفة لمعنى واحد مقصود من كل مخلوق فلهذا قلنا أنه مجهول الاسماء أذ الاسماء دلائل فالمحبوب بأي إسم دعا محبه أجابه منصة ومجلى نعت الحب بأنه كأنه سال وليس بسال وهذا النعت يسمى البهت والسبات ولا يكون له هذا ألا في حال الاستغراق فيما عنده من حب محبوبه حتى أن محبوبه ربما يكون بأزائه ولا يعرفه به ويناديه ولا يعرف صوته مع نظره إليه فهو كالسالي في حاله وهو في غاية الهيمنان فيه الحب الله يقول "والله غني عن العالمين" ويطالبهم بأنفسهم أن يكون تنفسهم بذكره وأنه سميع الدعاء منصة ومجلى نعت الحب بأنه لا يفرق بين الوصل والهجر لشغله بما عنده من محبوبه فهو مشهوده دائماً أو يكون كما قال القائل

فالليل أن وصلت كالليل أن هجرت

أشكو من الطول ما أشكو من القصر

فهو في الحالتين صاحب شكوى فما تغير عليه الحال في عذاب دائم وأما نحن فعلى المذهب الأول ما لنا شغل ألا به فهو مشهودنا لا نعرف غيره ولا نشهد سواه ولنا في ذلك

شغلي بها وصلت ليلاً وأن هجرت

فما أبالي أطل الليل أم قصر

الحب الله الكلمة الألهية واحدة قال تعالى وما أمرنا ألا واحدة كلمح بالبصر لا تفريق عنده فبعده عين قربه وقربه عين بعده فهو البعيد القريب ما عنده وصل بنا فيقبل الفصل ولا هجر فيقبل الوصل

فعين الوصل عين الهجر فيه

وما يدرية ألا من رآه

منصة ومجلى نعت الحب بأنه متمم في أدلال المتيم الذي تعبد الحب وأذله مع أدلال يجده عنده ولا يعرف سببه سوى ما تعطي الحقائق من أن الحب يعطي المحبوب سيادته عليه فكانه ولاه ومن حالته هذه فلا بد أن تشم منه رائحة أدلال في أدلال وخضوع وهذا يعطيه مقام الحب الحب الله عبدي جعلت فلم تطعمني ظمئت فلم تسقني مرضت فلم تعدني من تقرب إلى شبراً تقربت منه

ذراعاً فضاعف التقريب "من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم" فتضاعف الأجر أدلال والسؤال سؤال منصة ومجلى نعت الحب بأنه ذو تشويش وسبب ذلك جهله بما في نفس المحبوب فلا يدري بأي حالة يكون معه أما إذا كان الحق محبوبه فإنه قد عرف ذلك بما شرع له فلا يبقى عليه تشويش في قلبه ألا فيما منحه من الأسرار وما حباه به من الطائف وهو يحب أن يحببه إلى خلقه حتى تجتمع الهمم والقلوب كلها عليه ولا يتمكن له ذلك ألا بإذاعة أسرار له لأن النفوس مجبولة على حب المنح والهبات والعطايا ثم أنه لا يعلم هل يرضى إذاعة تلك الأسرار ربه أم لا فهذا سبب تشويش قلوب المحبين لله الحب الله نفذ الأمر الألهي بأن يؤمن من سبق علمه فيه أنه لا يؤمن وقوله وعلمه واحد فمن أي حقيقة قال أمراً من علم أنه لا يمثل أمره فقد عرضه للمعصية وهو الحكيم العليم فمن هنا صدر التشويش في العالم وأختلاف الأغراض والمنازعات منصة ومجلى نعت الحب بأنه خارج عن الوزن التصرفات على الوزن المعتبر في الحكمة يطلب الفكر الصحيح والحب لا فكرة له في تدبير الكون وإنما همه وشغله بذكر محبوبه قد أفرط فيه الخيال فلا يعرف المقادير فإن كان محبوبه الله لما وسعه قلبه فذلك الخارج عن الوزن فلا يزنه شيء ألا ترى إلى التلفظ بذكره وهي لفظة لا أله ألا الله لا تدخل الميزان ولما دخلت بطاقتها من حيث ما هي مكتوبة في الميزان لصاحب السجلات طاشت السجلات وما وزنها شيء ولو وضعت أصناف العالم ما وزنتها وهي لفظة من قائل لم يتصف بالحب فما ظنك بقول محب فما ظنك بحاله فما ظنك بقلبه الذي هو أوسع من رحمة الله وسعته إنما كانت من رحمة الله فهذا من أعجب ما ظهر في الوجود أن تساع القلب من رحمة الله وهو أوسع من رحمة الله يقول أبو يزيد لو أن العرش وما حواه مائة ألف ألف مرة في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحس بما فكيف حال الحب الحب الله تعالى عن الموازنة محبوب الحق عند الحق لأن الحب لا يفارق محبوبه وما عند الله باق فالحبوب باق وما يبقى ما يوازنه ما يفني منصة ومجلى نعت الحب بكونه يقول عن نفسه أنه عين محبوبه لأستهلاكه فيه فلا يراه غير أله قال قائلهم في ذلك أنا من أهوى ومن أهوى أنا وهذه حالة أبي يزيد الحب الله أحب بعض عباده فكان سمعه وبصره ولسانه وجميع قواه منصة ومجلى نعت الحب بأنه مصطلم مجهود لا يقول لحبوبة لم فعلت كذا لم قلت كذا قال أنس بن مالك رضي الله عنه خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم أفعله لم لم تفعله لأنه كان يرى تصريف محبوبه فيه وتصريف المحبوب في الحب لا يعلل بل يسلم لا بل يستلذ لأن الحب مصطلم بنار تحرق كل شيء تجده في قلبه ما سوى محبوبه غيرة فهو يبذل الجهود ولا يرى أنه وفي ولا يخطر له أنه تحرك فيما يرضي محبوبه الحب الله في هذا الموطن لا تتحرك ذرة ألا بأذنه فكيف يقول لم وما فعل ألا هو يقول الحق لمحبوبة أنا يدك اللازم له لكل محبوب تجل لا يكون لغيره فما يجتمع عنده أثنان ولا يصح فهذا الاصطلام ونعته بالجهود ما نسب إليه من التردد منصة ومجلى نعت الحب بأنه مهتوك الستر سره علانية فضيحة الدهر لا يعلم الكتمان قال الحب الصادق

حتى يشكك فيه فهو كذوب

من أن يرى للستر فيه نصيب

لم يبد ألا والفتى مغلوب

لم تنتهمه أعين وقلوب

من كان يزعم أن سيكتم حبه

الحب أغلب للفؤاد بقهره

وإذا بدا سر اللبيب فإنه

أنى لا حسد ذا هوى متحفظاً

الحب غلاب لا يبقى سترًا ألا هتكه ولا سرًّا ألا أعلنه زفراته متصاعدة وعبراته متتابعة تشهد عليه جوارحه بما تحمله من الأسقام والسهو وتنم به أحواله أن تكلم تكلم بما لا يعقل ماله صبر ولا جلد همومه مترادفة وغمومه متضاعفة المحب الله إذا أحب الله العبد أوحى إلى الملك أن ينادي به في السموات أن الله أحب فلانًا فأحبه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض فتقبله البواطن وأن أنكرته الظواهر من بعض الناس فلا غراض قامت بهم فإنهم في هذا الشأن مثل سجودهم لله كل من في العالم ساجد لله وكثير من الناس ما قال كلهم وهكذا حب هذا العبد في قلوبهم وأن وضع له القبول في الأرض فتحبه بقاع الأرض كلها وجميع ما فيها وكثير من الناس على أصلهم في السجود لله سواء منصة ومجلى نعت الحب بأنه لا يعلم أنه محب كثير الشوق لا يدري لمن عظيم الوجد لا يدري فيمن لا يتميز له محبته القرب المفرط حجاب فيجد آثار الحب وقد لبسته صورة محبته مما يحكم في خياله فيطلبه من خارج فلا يجد ما عانف من صورته في نفسه لكثافة الظاهر عن لطف الباطن الحب مع المعنى الذي يأخذه من المحبوب ويرفعه في نفسه وذلك المعنى المرفوع عند الحب منه هو الذي يقلقه ويزعجه فهو فيه ولا يدري أنه هو فيه فلا يطلبه ألا به اللطيف يغيب عن الحواس يقول ولا يعقل ما يقول ولا بقوله قلبي عند محبوبي

ضاع قلبي أين أطلبه

ما أرى جسمي له وطنًا

ولا بقوله محبوبي في قلبي لا أدري في أي الحالتين هو أصدق يجمع بين الضدين هو عندي ما هو عندي المحب الله تجلى الله آدم ويداها مقبوضتان فقال يا آدم اختر أيتهما شئت قال اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة فبسطها فإذا فيها آدم وذريته الحديث فأدم في القبضة وآدم خارج القبضة هكذا صورة المحبوب مع الحب هو فيه ما هو فيه فنعوته كثيرة لا تحصى وليس لها حد فيبلغ بالبحث والاستقصا غير أن مشارب الحب متنوعة باختلاف المحبوب فإن عقلت عني فقد رميت بك على الطريق فأياك والتشبيه فالحب والوجد والشوق والكمند حقيقة واحدة لها نسب مختلفة لاختلاف المتعلق فهي نعوت تحكم سلطانها فيمن قامت به لا يرجع منها إلى المحبوب نعت ولا له فيها حكم ألا أن يكون محبًا فأفهم وهذا القدر كاف على الأيجار في نعت المحبين في الجانبين والله يقول الحق وهو يهدي السبيل أنتهى الجزء الخامس عشر ومائة

الجزء السادس عشر ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب التاسع والسبعون ومائة في معرفة مقام الخلّة

بخلة الحق فأكرم به

وما له في الخلق من مثبه

فإنّت من عالمه قم به

بخلة الكون يسد الخلل

من نعت حق ورسولي هدى

أن عجزت عنه نفوس الورى

الخلّة نعت ألهي يقول قائلهم

وبذا سمى الخليل خليلاً

وتخللت مسلك الروح مني

يعضده حال الحلاج وزليخاً أنكتب بدم زليخاً يوسف حيث وقع وبدم الحلاج الله الله حيث وقع فإنشد

ألا وفيه لكم ذكر

ما قدلي عضو ولا مفصل

إذا تخللت المعرفة بالله أجزاء العارف من حيث ما هو مركب فلا يبقى فيه جوهر فرد ألا وقد حلت فيه معرفة ربه فهو عارف به بكل جزء فيه ولولا ذلك ما أنتظمت أجزاؤه ولا ظهر تركيبه ولا نظرت روحانيته طبيعته فبه تعالى أنتظمت الأمور معنى وحساً وخيالاً وكذلك أشكال خيال الإنسان لا تنهاى وما ينتظم منها شكل ألا بالله ويكون حكمها في تلك الحضرة في المعرفة بالله حكم ما ذكرناه في الصورة الحسية والروحانية هكذا في كل موجود فإذا أحس الإنسان بما ذكرناه وتحقق به وجوداً وشهوداً كان خليلاً من حصل في هذا المقام كان حاله في العالم نعت الحق فبه يرزق مع كفر النعم ويعلمي ليزداد ذلك الشخص أثماً فيظهر عظم المغفرة وسلطان العفو والتجاوز حكاية نزل ضيف من غير ملة أبراهيم عليه السلام بأبراهيم عليه السلام فقال له أبراهيم عليه السلام وحد الله حتى أكرمك وأضيفك فقال يا أبراهيم من أجل لقمة أترك ديني ودين آبائي فإنصرف عنه فأوحى الله إليه يا أبراهيم صدقك لي سبعون سنة أرزقه وهو يشرك بي فتريد أنت منه أن يترك دينه ودين آبائه لأجل لقمة فلهقه أبراهيم عليه السلام وسأله الرجوع إليه ليقرّيه وأعتذر إليه فقال له المشرك يا أبراهيم ما بدا لك فقال أن ربي عتبي فيك وقال لي أنا أرزقه منذ سبعين سنة على كفره بي وأنت تريد منه أن يترك دينه ودين آبائه لأجل لقمة فقال المشرك أوقد وقع هذا مثل هذا ينبغي أن يعبد فأسلم ورجع مع أبراهيم عليه السلام إلى منزله ثم عمت كرامته خلق الله من كل وارد ورد عليه فقيل له في ذلك فقال تعلمت الكرم من ربي رأيت لا يضيع أعداءه فلا أضيعهم فأوحى الله إليه أنت خليلي حقاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل قال الشاعر

وكل خليل بالمقارن مقتد

ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

عن المرء لا تسئل وسل عن قرينه

أذ كنت في قوم فصاحب خيارهم

قيل لبعضهم من أحب الناس إليك قال أخي إذا كان خليلي علامة الخليل أن يسد خلة صاحبه بما أمكنه فإذا لم يستطع قاسمه في همه كما قيل

خليلي من يقاسمني همومي

ويرمي بالعداوة من رماني

وقال الآخر

ما أنا إلا لمن بغاني

أرى خليلي كما يراني

قال الله تعالى "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة" وقد قلنا بأن الخليل على دين خليله وهؤلاء الموصوفون بأنهم أعداء الله مع كون الله يحسن إليهم فذلك لجهلهم به وحجب الأسباب دونه في أعينهم فلا يعلمون إلا ما شاهدوه فمن أراد تحصيل هذا المقام وأن يمون خليلًا للرحمن يجمع بين الآية في قوله "لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة مع جهل الأعداء به أن الإحسان منه تعالى وهو محسن إليهم مع عداوتهم ولم يجعل في قلوبهم الشعور بذلك فينبغي للإنسان الطلب مقام الخلقة أن يحسن عامة لجميع خلق الله كافرهم ومؤمنهم طائعتهم وعاصيهم وأن يقوم في العالم مع قوته مقام الحق فيهم من شمول الرحمة وعموم لطائفه من حيث لا يشعرون أن ذلك الإحسان منه ويوصل الإحسان إليهم من حيث لا يعلمون فمن عامل الخلق بهذه المثابة صحت له الخلقة وإذا لم يستطع بالظاهر لعدم الموجود أمدهم بالباطن فدعا الله لهم في نفسه بينه وبين ربه هكذا تكون حالة الخليل فهو رحمة كله ولولا الرحمة الإلهية ما كان الله يقول "وإنجناحوا للسلم فاجنح لها" وما كان الله يقول حتى يعطوا الجزية أليس هذا كله ابقاء عليهم ولولا ما سبقت الكلمة وكان وقوع خلاف المعلوم محالاً ما تأملت ذرة في العالم فلا بد من نفوذ الكلمة ثم يكون المال للرحمة التي وسعت كل شيء فهو في الدنيا يرزق مع الكفر ويعافي ويرحم فكيف مع الإيمان والإعتراف بالدار الآخرة على الكشف كما كان في قبض الذرية فعقابهم وعذابهم تطهير وتنظيف كأمراض المؤمنين وما ابتلوا به في الدنيا من مقاساة البلايا وحلول الرزايا مع إيمانهم ثم دخول بعض أهل الكبائر النار مع إيمانهم وتوحيدهم إلى أن يخرجوا بالشفاعة ثم إخراج الحق من النار من لم يعمل خيراً قط حتى الساكنين في جهنم لهم فيها حال يستعذبونها وبهذا سمي العذاب عذاباً فالخليل على عادة خليله وهو قوله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله أي على عادة خليله قال امرؤ القيس

كدينك من أم الحو يرث قبلها

وجاريتها أم الرباب بمأسل

يقول كعادته فمن كمانت عادته في خلق الله ما عودهم الله من لطائف مننه وأسبغ عليهم من جزيل نعمه وأعطف بعضهم على بعض فلم يظهر في العالم غضب لا تشوبه رحمة ولا عداوة لا تتخللها مودة فذلك يستحق إسم الخلقة لقيامه بحقها واستيفائه شروطها لو لم يكن من عظيم الرجاء في شمول الرحمة إلا في قوله "الرحمن على العرش استوى" فإذا استقرت الرحمة في العرش الحاوي على جميع أجسام العالم فكل ما يناقضها أو يريد رفعها من الاسماء والصفات فعوارض لا أصل لها في البقاء لأن الحكم للمستولى وهو الرحمن فإليه يرجع الأمر كله فابحث على صفات إبراهيم عليه السلام وقم بما عسى الله أن يرزقك بركته فإنه بالخلقة قام بما ما هي أوجبت له الخلقة فلماذا دللناك على التخلق بأخلاق الله وقد قال صلى الله عليه وسلم بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ومعنى هذا أنه لما قسمت الأخلاق إلى مكارم وإلى سفاسف وظهرت مكارم الأخلاق كلها في الشرائع على الأنبياء والرسل وتبين سفاسفها من مكارمها عند الجميع وما في العالم على ما يقوم عليه الدليل ويعطيه الكشف والمعرفة إلا أخلاق الله فكلها مكارم فما

ثم سفساف أخلاق فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكلمة الجامعة إلى الناس كافة وأوتى جوامع الكلم وكل نبي تقدمه على شرع خاص فأخبر صلى الله عليه وسلم أنه بعث ليتمم مكارم الأخلاق لأنها أخلاق الله فالحق ما قيل فيه أنه سفساف أخلاق بمكارم الأخلاق فصار الكل مكارم أخلاق فما ترك صلى الله عليه وسلم في العالم سفساف أخلاق جملة واحدة لمن عرف مقصد الشرع فأبان لنا مصارف لهذا المسمى سفساف أخلاق من حرص وحسد وشره وبخل وفزع وكل صفة مذمومة فأعطانا لها مصارف إذا أجريناها على تلك المصارف عادت مكارم أخلاق وزال عنها إسم الذم وكانت محمودة فتمم الله به مكارم الأخلاق فلا ضد له كما أنه لا ضد للحق وكل ما في الكون أخلاقه فكلها مكارم ولكن لا تعرف وما أمر الله باجتنب ما يجتنب منها إلا لاعتقادهم فيها أنها سفساف أخلاق وأوحى إلى نبيه أن يبين مصارفها ليتنبهوا فمننا منعلم ومننا من جهل فهذا معنى قوله أنه بعث ليتمم مكارم الأخلاق وبه كان خاتماً

الباب الثمانون ومائة في معرفة مقام الشرق والاشتياق

وهو من نعوت المحبين العشاق

شوق بتحصيل الوصال يزول	والإشتياق مع الوصال يكون
إن التخليل للفراق يديمه	عند اللقاء فربه مغبون
من قال هون صعبه قلنا له	ما كان صعب في الوجود يهون
هو من صفات العشق لا من غيره	والعشق داء في القلوب دفين
ما حكم هذا النعت إلا ههنا	وهناك يذهب عينه ويبين

يقول بعض العشاق

فبكى أن نأوا شوقاً إليهم وأبكى أن دنوا خوف الفراق

الشوق يسكن باللقاء فإنه هبوب القلب إلى غائب فإذا ورد سكن والإشتياق حركة يجيدها الحب عند اجتماعه بمحبوبه فرحاً به لا يقدر يبلغ غاية وجده فيه فلو بلغ سكن لأنه لا يشبع منه فإن الحس لا يفي بما يقوم في النفس من تعلقها بالمحبوب فهو كشارب ماء البحر كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً قال عليه السلام منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا من حيث ما هو محب في تحصيل كل واحد منهما وما للعلم غاية ينتهي إليها فلهذا لا يشبع وكذلك الدنيا فإنها مشتهى النفوس والشهوة تطلبها وقد تجلى ذلك المشتهى في صورة قرية تسمى دنيا فتعلقت الشهوة بها ثم تنتقل إلى الآخرة في الجنة فتتبعها الشهوة فلا تشبع أبداً لأنها صورة لا ينتهي أمدّها ولولا الشهوة ما طابت الجنة فالشوق ما سكن والاشتياق ما بقي ولنا في هذا الباب

ليس يصفو عيش من ذاق الهوى	دون أن يلقي الذي يعشقه
فإذا أبصره يسكنه	ذلك المعنى الذي يقلقه
وهو معنى حكمه مختلف	عند من يعرف ما أطلقه

ولما كان الحب لا يتعلق إلا بمعدوم كما قدمناه في باب المحبة كذلك الشوق لا يصح أن يتعلق بحاضر وإنما متعلقه غائب غير مشهود له في الحال ولذا كان الشوق من أوصاف المحبة ولهذا يطرد وينعكس فيقال كل محب مشتاق وكل مشتاق محب ومن ليس بمشتاق فليس بمحب ومن ليس بمحب فليس بمشتاق وقد ورد خبر ليس لي علم بصحته أن الله عز تعالى ذكر المشتاقين إليه وقال عن نفسه أنه أشد شوقاً إليهم كما يليق بجلاله فشوقه إليهم أن ينيلهم الراحة بقاء من اشتاقوا إليه والوقت المقدر الذي لا يتبدل لم يصل فلا بد من تأخر وجود ما وقع الشوق الألهي إليه هذا إن صح الخبر ولا علم لي به لا من الكشف ولا من رواية صحيحة إلا أنه مذكور مشهور وقد اتصفت الجنة بالإشتياق إلى علي وسليمان وعمار وبلال وتكلم الناس في ذلك من حيث إشتياق أسماء هؤلاء من العلو والسلامة والعمران والاستبلال ولكن ما هو محقق فإن الشوق أمر ذوقي ولو خطر لي هذا الخبر حين رأيت الجنة لسألتها عن شوقها هؤلاء دون غيرهم فإنها أعرف بالسبب الذي أداها إلى الشوق هؤلاء الأربعة وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم قد رأيته مراراً وسألته عن أشياء وما خطر لي أن أسأله عن شوق الجنة هؤلاء بل شغلني ما كان أهم على منه والشوق علم ذوق يعرفه كل مشتاق من نفسه

الباب الأحد والثمانون ومائة في معرفة مقام احترام الشيوخ

ما حرمة الشيخ إلا حرمة الله	فقم بها أدباً لله بالله
هم الآداء والقربى تؤيدهم	على الدلالة تأييداً على الله
الوارثون هم للرسول أجمعهم	فما حديثهم إلا عن الله
كالأنبياء تراهم في محاربهم	لا يسألون من الله سوى الله
فإن بدا منهم حال تولهم	عن الشريعة فاتركهم مع الله
لا تتبعهم ولا تسلك لهم أثراً	فإنهم طلقاء الله في الله
لا تقتدي بالذات زالت شريعته	عنه ولو جاء بالأنبا عن الله

ولما رأينا في هذا الزمان جهل المريدين بمراتب شيوخهم قلنا في ذلك

جهلت مقادير الشيوخ	أهل المشاهد والرسوخ
واستزلت ألفاظهم	جهلاً وكان لها الشموخ

الشيوخ نواب الحق في العالم كالرسول عليهم السلام في زمانهم بل هم الورثة الذين ورثوا علم الشرائع عن الأنبياء عليهم السلام غير أنهم لا يشرعون فلهم رضى الله عنهم حفظ الشريعة في العموم ما لهم التشريع ولهم حفظ القلوب ومراعاة الآداب في الخصوص هم من العلماء بالله بميزة الطبيب من العالم بعلم الطبيعة فالطبيب لا يعرف الطبيعة إلا بما هي مدبرة للبدن الإنساني خاصة والعالم بعلم الطبيعة يعرفها مطلقاً وإن لم يكن طبيباً وقد يجمع الشيخ بين الأمرين ولكن حظ الشيخوخة من العلم بالله أن يعرف من الناس

موارد حركاتهم ومصادرها والعلم بالخواطر مذمومها ومحمودها وموضع اللبس الداخل فيها من ظهور الخاطر المذموم في صورة الحمود ويعرف الأنفاس والنظرة ويعرف ما لهما وما يحويان عليه من الخير الذي يرضي الله ومن الشر الذي يسخط الله ويعرف العلل والأدوية ويعرف الأزمنة والسن والأمكنة والأغذية وما يصلح المزاج وما يفسده والفرق بين الكشف الحقيقي والكشف الخيالي ويعلم التجلي الإلهي ويعلم التربية وانتقال المريد من الطفولة إلى الشباب إلى الكهولة ويعلم متى يترك التحكم في طبيعة المريد ويتحكم في عقله ومتى يصدق المريد خواطره ويعلم ما للنفس من الأحكام وما للشيطان من الأحكام ومتى تحت قدرة الشيطان ويعلم الحجب التي تعصم الإنسان من إلقاء الشياطين في قلبه ويعلم ما تكنه نفس المريد مما لا يشعر به المريد ويفرق للمريد إذا فتح عليه في باطنه بين الفتح الروحاني وبين الفتح الإلهي ويعلم بالشتم أهل الطريق الذين يصلحون له من الذين لا يصلحون ويعلم التحلية التي يحلى بها نفوس المريدين الذين هم عرائس الحق وهم له كالماشطة للعروس تزينها فهم أدباء الله عالمون رآداب الحضرة وما تستحقه من الحرمة والجامع لمقام الشيخوخة أن الشيخ عبارة عن جمع جميع ما يحتاج إليه المريد السالك في حال تربيته وسلوكه وكشفه إلى أن ينتهي إلى الأهلية للشيخوخة وجميع ما يحتاج إليه المريد إذا مرض خاطره وقلبه بشبهة وقعت له لا يعرف صحتها من سقمها كما وقع لسهل في سجود القلب وكما وقع لشيخنا حين قيل له أنت عيسى بن مريم فيداويه الشيخ بما ينبغي وكذلك إذا ابتلى من يخرج لسمع من الحق من خارج لا من نفسه. محرم يؤمر بفعله أو ينهي عن واجب فيكون الشيخ عارفاً بتخليصه من ذلك حتى لا يجري عليه لسان ذنب مع صحة المقام الذي هو فيه فهم أطباء دين الله فهمما نقصهم شيء مما يحتاجون إليه في التربية فلا يحل له أن يقعد على منصة الشيخوخة فإنه يفسد أكثر مما يصلح ويفتن كالتطبيب يعل الصحيح ويقتل المريض فإذا انتهى إلى هذا الحد فهو شيخ في طريق الله يجب على كل مريد حرمة والقيام بخدمته والوقوف عند مراسمه لا يكتف عنه شيئاً مما يعلم أن الله يعلمه منه يخدمه ما دامت له حرمة عنده فإن سقطت حرمة من قلبه فلا يقعد عنده ساعة واحدة فإنه لا ينتفع به ويتضرر فإن الصحبة إنما تقع المنفعة فيها بالحرمة فمتى ما رجعت الحرمة له في قلبه حينئذ يخدمه وينتفع به فإن الشيوخ على حالين شيوخ عارفون بالكتاب والسنة قائلون بما في ظواهرهم متحققون بما في سرائرهم ويرعون حدود الله ويوفون بعهد الله قائمون بمراسم الشريعة لا يتأولون في الورع آخذون بالإحتياط مجانبون لأهل التخطيط مشفقون على الأمة لا يمتقون أحداً من العصاة يحبون ما أحب الله ويغضون ما أبغض الله ببغض الله لا تأخذهم في الله لومة لائم يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر الجمع عليه يسارعون في الخيرات ويعفون عن الناس يوقرون الكبير ويرحمون الصغير يمحيطون الأذى عن طريق الله وطريق الناس يدعون في الخير بالأوجب فالأوجب يؤديون الحقوق إلى أهلها يبرون أخوانهم بل الناس أجمعهم لا يقتصرون بالجلود على معارفهم جودهم مطلق الكبير لهم أب والمثل لهم أخ وكفو والصغير لهم ابن وحميه الخلق لهم عائلة يتفقدون حوائجهم أن أطاعوا رأوا الحق موقفهم في طاعتهم إياه وإن عصوا سارعوا بالتوبة والحياء من الله ولا مواء نفوسهم على ما صدر منهم ولا يهربون في معاصيهم إلى القضاء والقدر فإنه سوء أدب مع الله هينون لينون ذو ومقة زحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً في نظرهم رحمة لعباد الله كأنهم ييكون لهم عليهم أغلب من الفرح لما يعطيه موطن التكليف فمثل هؤلاء هم الذين يقتدى بهم ويجب احترامهم وهم الذين إذا رؤوا ذكر الله

وطائفة أخرى من الشيوخ أصحاب أحوال عندهم تبديد ليس لهم في الظاهر ذلك التحفظ تسلم لهم أحوالهم ولا يصحبون ولو ظهر عليهم من خرق العوائد ما عسى أن يظهر لا يعول عليه مع وجود سوء أدب مع الشرع فإنه لا طريق لنا إلى الله إلى ما شرعه فمن قال بأن ثم طريقاً إلى الله خلاف ما شرع فقله زور فلا يقتدي بشيخ لا أدب له وإن كان صادقاً في حاله ولكن يحترم واعلم أن

حرمة الحق في حرمة الشيخ وعقوبه في عقوبه هم حجاب الحق الحافظون أحوال القلوب على المريدين فمن صحب شيخاً ممن يقتدى به ولم يحترمه فعقوبته فقد أن وجود الحق في قلبه والغفلة عن الله وسوء الأدب عليه يدخل عليه في كلامه ويزاحمه في رتبته فإن وجود الحق إنما يكون للأدباء والباب دون غير الأدباء مغلق ولا حرمان أعظم على المريد من عدم احترام الشيخ قال بعض أهل الله في مجالس أهل الله من قعدمهم في مجالسهم وخالفهم في شئ مما يتحققون به في أحوالهم نزع الله نور الايمان من قلبه فالجلوس معهم خطر وجلسهم على خطرنا اختلص أصحابنا في حق المريد مع شيخ آخر خلاف شيخه هل حاله معه من جانب الحق مثل شيخه أم لا فكلهم قالوا بوجوب حرمة عليه ولا بد هذا موضع اجماعهم وما عدا هذا فمنهم من قال حاله معه على السواء من حاله مع شيخه ومنهم من فصل وقال لا تكون الصورة واحدة إلا بعد أن يعلم المريد أن ذلك الشيخ الآخر ممن يقتدى به في الطريق وأما إذا لم يعرف ذلك فلا ولهذا وجه وللآخر وجه النبي صلى الله عليه وسلم يقول للمرأة إنما الصبر عند الصدمة الأولى وكانت قد جهلت أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمريد لا يقصد إلا الحق فإذا ظهر مقصوده حيث ظهر قال به وأخذته فإن الرجال إنما يعرفون بالحق لا يعرف الحق بهم والأصل أنه كما لم يكن وجود العالم بين إلهين ولا المكلف بين رسولين مختلفين الشرائع ولا امرأة بين زوجين كذلك لأنه ليس تحت حكمهم وهذه الصعبة تسمى صعبة البركة غير أنه لا يجيئ منه رجل في طريق الله فالحرمة أصل في الفلاح

الباب الثاني والثمانون ومائة في معرفة مقام السماع

خذها إليك نصيحة من مشفق	ليس السماع سوى السماع المطلق
واحذر من التقييد فيه فإنه	قول يفند كل عند محقق
إن السماع من الكتاب هو الذي	يدريه كل معلم ومطرق
إن التلغني بالقرآن سماعنا	والحق ينطق عند كل منطق
والله يسمع ما يقول عبده	من قوله فسماعه بتحقيق
أصل الوجود سماعنا من قول كن	فيه نكون ونحن عين المنطق
انظر إلى تقديمه في آية	تعتبر على العلم الشريف المرهق
فالسَّمْعُ أشرف ما تحقق عارف	بتعلق وتحقق وتخلق

قال تعالى "سميع عليم" وقال "سميع بصير" فقدمه على العلم والبصر أول شئ علمناه من الحق وتعلق به منا القول منه والسماع منا فكان عنه الوجود وكذلك نقول في هذا الطريق كل سماع لا يكون عنه وجد وعن ذلك الوجد وجود فليس بسماع فهذه رتبة السماع التي يرجع إليها أهل الله ويسمعون فقوله تعالى للشئ قبل كونه كن هو الذي يراه أهل السماع في قول القائل وتحيو السامع المقول له كي للتكوين بمثلة الوجد في السماع ثم وجوده في عينه عن قوله كن كما قال تعالى كن فيكون بمثلة الوجد الذي يجده

أهل السماع في قلوبهم من العلم بالله الذي أعطاهم السماع في حال الوجد فمن لم يسمع سماع وجود فما سمع ولهذا جعل القوم الوجود بعد الوجد ولما لم يصح الوجود أعني وجود العالم إلا بالقول من الله والسماع من العالم لم يظهر وجود طرق السعادة وعلم الفرق بينهما وبين طرق الشقاء إلا بالقول الإلهي والسماع الكوني فجاءت الرسل بالقول جميعهم من قرآن وتوراة وانجيل وزبور وصحف فما ثم إلا قول وسماع غير هذين لم يكن فلولاً القول ما علم مراد المريد ما يريده منا ولولا السمع ما وصلنا إلى تحصيل ما قيل لنا فبالقول نتصرف وعن القول نتصرف مع السماع فهما مرتبطان لا يصح استقلال واحد منهما دون الآخر وهما نسبتان فبالقول والسماع نعلم ما في نفس الحق إذ لا علم لنا إلا باعلامه واعلامه بقوله ولا يشترط في القول الآلة ولا في السماع بل قد يكون بآلة وبغير آلة وأعني بآلة القول اللسان وآلة السماع الأذن فإذا علمت مرتبة السماع في الوجود وتميزه عن غيره من النسب فاعلم أن السماع عند أهل الله مطلق ومقيد فالمطلق هو الذي عليه أهل الله ولكن يحتاجون فيه إلى علم عظيم بالموازين حتى يفرقوا بين قول الأمثال وبين قول الإبتلاء وليس يدرك ذلك كل أحد ومن أرسله من غير ميزان ضل وأضل والمقيد هو السماع المقيد بالنغمات المستحسنات التي يتحرك لها الطبع بحسب قبوله وهو الذي يريدونه غالباً بالسماع لا السماع المطلق فالسماع على هذا الحد ينقسم على ثلاثة أقسام سماع إلهي وسماع روحاني وسماع طبيعي فالسماع الإلهي بالأسرار وهو السماع من كل شيء وفي كل شيء والوجود عندهم كله كلمات الله وكلماته لا تنفذ ولهم في مقابلة هذه الكلمات إسماع لا تنفذ تحدث لهم هذه الإسماع في سرائرهم بحدوث الكلمات وهو قوله لا يعلمه كل أحد وما ذكر من ربهم يحدث إلا سمعته فممنهم من أعراض بعد السماع ومنهم من وقف عند ما سمع وهذا مقام لا يعلمه كل أحد وما في الوجود إلا هو ولكن يجهل ولا يعلم وهو يتعلق باسماء الله تعالى على كثرتها فلكل إسم لسان ولكل لسان قول ولكل قول منا سمع والعين واحد من القائل والسماع فإن كان نداء أجبنا وامثلنا وكان من قوله أن قال لنا "ادعوني أستجب لكم" فكما قال وسمعنا أمرنا عندما جعل فينا قوة القول أن نقول فيسمع هو تعالى فمننا من يقول به كما قال أن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمد فكلام صاحب هذا المقام كله نيابة ومنا من يقول بنفسه في زعمه وما هو كذلك في نفس الأمر فإن الله عند لسان كل قائل فكما أنه ليس في الوجود ألا الله كذلك ما ثم قائل ولا سامع ألا الله وكما قسمنا قولنا بين من يقول بالله ويقول بنفسه كذلك سمعنا منا من يسمع بربه وهو قوله كنت سمعته الذي يسمع به ومننا من يسمع بنفسه في زعمه والأمر على خلافه فهذا هو السماع الإلهي وهو سار في جميع المسموعات وأما السماع الروحاني فمتعلقه صريف الأقلام الألهية في لوح الوجود المحفوظ من التغيير والتبديل فالوجود كله رق منشور والعالم فيه كتاب مسطور فالأقلام تنطق وإذ ان العقول تسمع والكلمات ترتقم فتشهد وعين شهودها عين الفهم بغير زيادة ولا ينال هذا السماع ألا العقول التي ظهرت لمستوى ولما كان السماع أصله على التبريع وكان أصله عن ذات ونسبة وتوجه وقول فظهر الوجود بالسماع الألهي كذلك السماع الروحاني عن ذات ويد وقلم وصريف قلم فيكون الوجود للنفس الناطقة في سماع صريف هذه الأقلام في ألواح القلوب بالتقليب والتصريف وكذلك السماع الطبيعي مبناه على أربعة أمور محقة فإن الطبيعة مربعة معقولة من فاعلين ومنفعلين فأظهرت الأركان الأربعة أيضاً فظهرت النشأة الطبيعية على أربعة أحلاط وأربع قوى قامت عليها هذه النشأة وكل خلط منها يطلب بذاته من يحركه لبقائه وبقاء حكه فإن السكون

عدم فأوجد في نفوس العلماء حين سمعوا صريف الأقلام ما ينبغي أن يحرك به هذه النشأة الطبيعية فأقاموا لها أربع نغمات لكل خلط من هذه الأخلاط نغمة في آلة مخصوصة وهي المسماة في الموسيقى وهو علم الألحان والأوزان بالهم والوزير والمثنى والمثلث كل

واحد من هذه يحرك خلطاً من هذه الأخلاط ما بين حركة فرح وحركة بكاء وأنواع الحركات وهذا لها بما هي نشأة طبيعية لا بما هي روحانية فإن الحركة في النشأة الطبيعية والسماع الطبيعي لا يكون معه علم أصلاً وإنما صاحبه يجد طرباً في نفسه أو حزناً عند سماع هذه النغمات من هذه الآلات ومن أصوات القوالين ولا يجد معها علماً أصلاً فإنه ليس هذا حظ السماع الطبيعي مع الحال الصحيح والوجد الصحيح الذي يطلبه الطبع وهو سماع الناس اليوم والسماع الروحاني يكون معه علم ومعرفة في غير مواد جملة واحدة والسماع الألهي يكون معه علم ومعرفة في مواد وفي غير مواد عام التعلق يجده في السماع الطبيعي والروحاني لكن بالسمع الألهي الذي يخص الطبع والعقل خاصة ومنهم من يعلم ذلك ومنهم من لا يعلمه مع كونه يجده ولا يقدر على أنكار ما يجد فسماع الحق مطلق كما أن وجوده مطلق وتمييزه عسير وللنغمات في الكلام الألهي والقول أصل تستند إليه وهو أقوى الأصول ولهذا لها القوة والتأثير في الطباع فلا يستطيع أحد أن يدفع عن نفسه عند ورود النغمة وتعلق السمع بها إذا صادفت محلها ذلك الطرب أو الأثر الذي يجده السامع في نفسه فسلطانها قوي وذلك لقوة أصلها الذي تستند إليه فإن الاسماء الألهية وأن كانت لعين واحدة فمعلوم عند أهل الله ما بينها من التفاوت ولما كان التفاوت معقولاً فيها وعلم ذلك بآثارها علمنا أن الحقائق الألهية التي أستاذت إليها هذه النغمات أقوى من الذي أستاذت إليه الكلام فإننا نسمع قارئاً يقرأ أو منشداً ينشد شعراً فلا نجد في نفوسنا حركة لذلك بل ربما نتبرم من ذلك في أوقات لأنه جاء على غير الوزن الطبيعي فإذا سمعنا تلك الآية أو الشعر من صاحب نغمة وفي حقها في الميزان أصابنا وجد وحركنا ووجدنا ما لم نكن نجد فلهذا فرقنا بين ما أستاذت إليه النغمات الطبيعية وبين ما أستاذت إليه القول هذا ميزان المحسوس وأما ميزان العقل فينظر حكمة الترتيب الألهي في العالم فإن كان من أهل السماع الألهي فينظر ترتيب الاسماء الألهية فيكون سماعه من هناك وأن كان من أهل السماع الروحاني فينظر ترتيب آثارها في العالم الأعلى والأسفل فيجد في كل مسموع فإن المسموعات كلها نغم عنده فمنهم من تكون له حركة محسوسة ومنهم من لا تكون له وأما الحركة الروحانية فلا بد منها والله طائفة خرجت عن الحركات الروحانية إلى الحركات الألهية وهو قول الجنيد وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ولكن في الحال التي تحسبها جامدة فتنسب الحركة إلى هذا الشخص نسبتها إلى الجناب الأقدس في فرحه بتوبة عبده وتتشبش به لمن أتى بيته فهذه أحوال ألهية يجب الإيمان بها ولا تعقل لها كيفية ألا من خصه الله بها وكانت حركته في سماعه ألهية وهي من العلوم التي تنال ولا تنال وليس الخير بالتزول إلى السماء الدنيا كل ليلة يشبه هذا الفرح ولا التشبش لأن هذا الفرح عن سبب كوني ظهر وجوده سمع الحق عليه والتزول إلى السماء الدنيا عن أمر يتوقع لا عن أمر واقع فالأول يلحق بباب السماع والثاني لا يلحق به فاعلم ذلك وقدر بطناً السماع بما يجب له وحققناه ولم نترك منه فصلاً ولا قسماً ألا ذكرناه بأوجز عبارة ليوقف عنده وحكاياته كثيرة لا يحتاج إلى أيرادها فإن كتابنا هذا مبناه على تحقيق أصول الأمور لا على الحكايات فإن الكتب بما مشحونة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الثالث والثمانون ومائة في معرفة مقام ترك السماع

والوهم يعبد في صورة البشر

والكون يثبت في سائر الصور

الله لا عقل يصوره

فالشرع يطلقه وقتاً ويحصره

ترك السماع مقام ليس يدركه
أن قال كن فلمن والعين واحدة
فما لكن عند هذا القول من أثر
ولم يقل بسماع القول غير فتى
لولا الكلام لما كان السماع وقد
ألا القوي من الأقوام في الخبر
ولم يكن غيره في العين والأثر
بل عين كن لم تكن أن كنت ذا نظر
متيم بمعاني الآى والصور
جاء الكلام فكن منه على حذر

السماع المطلق لا يمكن تركه والذي يتركه الأكابر أنما هو السماع المقيد المتعارف وهو الغناء قيل لسيدنا أبي السعود ابن الشبلي البغدادي ما تقول في السماع فقال هو على المبتدئ حرام والمنتهى لا يحتاج إليه فقل له فلمن فقال لقوم متوسطين أصحاب قلوب وجاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله أني نذرت أن أضرب بين يديك بالدفع فقال لها أن كنت نذرت وألا فلا فهو وأن كان مباحاً فالتزیه عنه عند الأكابر أولى وكان أبو يزيد البسطامي يكرهه ولا يقول به وقيل لابن جريج فيه فقال ليتني أخرج منه رأساً برأس لا على ولا لي وأما مذهبنا فيه فإن الرجل المتمكن من نفسه لا يستدعيه وإذا حضر لا يخرج بسببه وهو عندنا مباح على الإطلاق لأنه لم يثبت في تحريمه شيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كان الرجل ممن لا يجد قلبه مع ربه ألا فيه فواجب عليه تركه أصلاً فإنه مكر ألهي خفي ثم أن كان يجد قلبه فيه وفي غيره وعلى كل حال ولكنه يجده في النغمات أكثر فحرام عليه حضوره ولا أعني بالنغمات المسموعة في الشعر فقط وإنما أعني بوجود النعمة في الشعر وفي غيره حتى في القرآن إذا وجد قلبه فيه لحسن صوت القارئ ولا يجد قلبه فيه عندنا يسمعه من قارئ غير طيب الصوت فلا يعول على ذلك الوجد ولا على ما يجد فيه من الرقة في الجنات الألهي فإنه معلوم وتلك رقة الطبيعة فإن كان عارفاً بالتفصيل ويفرق بين سماعه الألهي والروحاني والطبيعي ما يلتبس عليه ولا يخلط ولا يقول في سماع الطبيعة أنه سماعه بالله فمثل هذا لا يحجر عليه وتركه أولى ولا سيما أن كان ممن يقتدي به من المشايخ فيستتر به المدعي الكاذب أو الجاهل بحاله وأن لم يقصد الكذب

الباب الرابع والثمانون ومائة في معرفة مقام الكرامات

بعض الرجال يرى كون الكرامات
وأنها عين بشرى قد أنتك بها
وعندنا فيه تفصيل إذا علمت
كيف السرور الاستدراج يصحبها
وليس يدرون حقاً أنهم جهلوا
وما الكرامة ألا عصمة وجدت
تلك الكرامة لا تبغي بها بدلاً
دليل حق على نيل المقامات
رسل المهيمن من فوق السموات
به الجماعة لم تفرح بآيات
في حق قوم ذوي جهل وآفات
وإذا كان من أقوى الجهالات
في حال قول وأفعال ونيات
وأحذر من المكر في طي الكرامات

أعلم أيديك الله أن الكرامة من الحق من إسمه البر ولا تكون ألا للأبرار من عباده جزاء وفاقاً فإن المناسبة تطلبها وأن لم يقيم طلب ممن ظهرت عليه وهي على قسمين حسية ومعنوية فالعامة ما تعرف الكرامة ألا الحسية مثل الكلام على الخاطر والأخبار بالمغيبات الماضية والكائنة والآتية والأخذ من الكون والمشي على الماء وأختراق الهواء وطبي الأرض والأحتجاب عن الأبصار وأجابة الدعاء في الحال فالعامة لا تعرف الكرامات ألا مثل هذا وأما الكرامة المعنوية فلا يعرفها ألا الخواص من عباد الله والعامة لا تعرف ذلك وهي أن تحفظ عليه آداب الشريعة وأن يوفق لأتيان مكارم الأخلاق وأجتنب سفاسفها والحفاظة على أداء الواجبات مطلقاً في أوقاتها والمسارة إلى الخيرات وأزالة الغل والحد من صدره للناس والحسد وسوء الظن وطهارة القلب من كل صفة مذمومة وتحليته بالمراقبة مع الأنفاس ومراعاة حقوق الله في نفسه وفي الأشياء وتفقد آثار ربه في قلبه ومراعاة أنفاسه في خروجها ودخولها فيتلقاها بالأدب إذا وردت عليه ويخرجها وعليها خلعة الحضور فهذه كلها عندنا كرامات الأولياء المعنوية التي لا يدخلها مكر ولا استدراج بل هي دليل على الوفاء بالعهود وصحة القصد والرضى بالقضاء في عدم المطلوب ووجود المكروه ولا يشاركك في هذه الكرامات إلا الملائكة المقربون وأهل الله المصطفون الأخيار وأما الكرامات التي ذكرنا أن العامة تعرفها فكلها يمكن أن يدخلها المكر الخفي ثم إنا فرضناها كرامة فلا بد أن تكون نتيجة عن استقامة أو تنتج استقامة لا بد من ذلك وإلا فليست بكرامة وإذا كانت الكرامة نتيجة استقامة فقد يمكن أن يجعلها الله حظ عملك وجزاء فعلك فإذا قدمت عليه يمكن أن يحاسبك بها وما ذكرناه من الكرامات المعنوية فلا يدخلها شيء مما ذكرناه فإن العلم يصحبها وقة العلم وشرفه تعظيم أن المكر لا يدخلها فإن الحدود الشرعية لا تنصب حبالاً للمكر الإلهي فإنها عين الطريق الواضحة إلى نيل السعادة والعلم يعصمك من العجب بعملك فإن العلم من شرفه أنه يستعملك وإذا استعملك جردك منه وأضاف ذلك إلى الله وأعلمك أن بتوفيقه وهدايته ظهر منك ما ظهر من طاعته والحفظ لحدوده فإذا ظهر عليه شيء من كرامات العامة ضج إلى الله منها وسأل الله ستره بالعوائد وأن لا يتميز عن العامة بأمر يشار إليه فيه ما عدا العلم لأن العلم هو المطلوب وبه تقع المنفعة ولو لم يعمل به فإنه لا يستوي الذين يعملون والذين لا يعلمون فالعلماء هم الآمنون من التلبس بالكرامة من الله تعالى بعباده إنما تكون للوافدين عليه من الأكوان ومن نفوسهم لكونهم لم يروا وجه الحق فيهما فأسمى ما أكرمهم به من الكرامات العلم خاصة لأن الدنيا موطنه وأما غير ذلك من خرق العادات فليست الدنيا بموطن لها ولا يصح كون ذلك كرامة إلا بتعريف إلهي لا بمجرد خرق العادة وإذا لم تصح إلا بتعريف إلهي فذلك هو العلم فالكرامة الإلهية إنما هي ما يهتمهم من العلم به عز وجل سئل أبو يزيد عن طي الأرض فقال ليس بشيء فإن إبليس يقطع من المشرق إلى المغرب في لحظة واحدة وما هو عند الله بمكان وسئل عن اختراق الهواء فقال أن الطير يخترق الهواء والمؤمن عند الله أفضل من الطير فكيف يحسب كرامة من شاركه فيها طائر وهكذا علل جميع ما ذكرناه ثم قال إلهي أن قوماً ما طلبوك لما ذكروه فشغلتهم به وأهلتهم له اللهم مهما أهلتني لشيء فأهلي لشيء من أشيائك يقول من أسراركم فما طلب إلا العلم لأنه أسنى تحفة وأعظم كرامة ولو قامت عليك به الحجة فإنه يجعلك تعترف ولا تحتاج فإنك تعلم مالك وما عليك وما له وما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يطلب منه الزيادة من شيء إلا من العلم لأن الخير كله فيه وهو الكرامة العظمى والبطالة مع العلم أحسن من الجهل مع العمل وأسباب حصول العلم كثيرة ولا أعني بالعلم إلا العلم بالله والدار الآخرة وما تستحقه الدار الدنيا وما خلقت له ولأي شيء وضعت حتى يكون الإنسان من أمره على بصيرة حيث كان فلا يجهل من نفسه ولا من حركاته شيئاً والعلم صفة إحاطية إلهية فهي أفضل ما في فضل الله كما قال "وعلمناه

من لدنا علما" رحمة منا فاعلم أن العلم من معدن الرحمة فقد أعلمتك ما هي الكرامة وإنها التعريف الإلهي بأن هذا الذي أتخفك به كرامة منه لا ينقص لك حظاً من آخرتك ولا هو جزاء لشئ من عملك إلا لجرد قدومك وإن قدومك عليه لم يكن إلا لجهلك به حيث لم تره في أول قدم كما اتفق لأبي يزيد لما خرج في طلب الحق من بسطام في أول أمره فلقبه بعض الرجال فقال له ما تطلب يا أبا يزيد قال الله قال له الذي تطلبه تركته ببسطام فتنبه أبو يزيد كيف يطلبه وهو تعالى يقول "وهو معكم أينما كنتم" فلا علم ولا إيمان فإذا حرملك الله تحصيل علم مشاهدته فلا أقل من الإيمان به وعرفهم أن ذلك جائزة الوفود خاصة ومهما لم يعلموا ذلك منه بأعلامه إياهم وإلا فيخاف من المكر الإلهي في ذلك أو نقص حظ آخر ويتمنون في الآخرة أنهم لم يعطوا شيئاً من ذلك في الدنيا

الباب الخامس والثمانون ومائة في معرفة مقام ترك الكرامات

فاصخ لقولي فهو أقوم قليلا

حظ المكرمات ثم ساء سببها

لا تتخذ غير الآله بديلا

عند الرجال فلا تكن مخذولا

وبها تنزل وحيه تنزيلا

ترك الكرامة لا يكون دليلا

إن الكرامة قد يكون وجودها

فاحرص على العلم الذي كلفته

ستر الكرامة واجب متحقق

وظهورها في المرسلين فريضة

كما أن الآيات والكرامات واجب على الرسول إظهارها من أجل دعواه كذلك يجب على الولي التابع سترها هذا منهج الجماعة لأنه غير مدع ولا ينبغي له الدعوى فإنه ليس بمشروع وميزان الشرع موضوع في العالم قد قام به علماء الرسوم أهل الفتاوى في دين الله فهم أرباب التجريح والتعديل وهذا الولي مهما خرج عنميزان الشرع الموضوع مع وجود عقل التكليف عنده سلم له حاله للإحتمال الذي في نفس الرحمن في حقه وهو أيضاً موجود في الميزان المشروع فإن ظهر بأمر يوجب حداً في ظاهر الشرع ثابت عند الحاكم أقيمت عليه الحدود ولا بد ولا يعصمه ذلك الاحتمال الذي في نفس الأمر من أن يكون من العبيد الذين أبيح لهم فعل ما حرم على غيرهم شرعاً فأسقط الله عنهم المؤاخذه ولكن في الدار الآخرة فإنه قال في أهل بدر ما قد ثبت من أباحة الأفعال لهم وكذلك في الخبر الوارد أفعل ما شئت فقد غفرت لك ولم يقل أسقطت عنك الحد في الدنيا فالذي يقيم عليه الحد مأجور وهو في نفسه غير مأثوم زكا للحلاج ومن جرى مجراه ثم أن ترك الكرامة قد يكون ابتداء من الله وهو أنه عز وجل لا يمكن هذا الولي في نفسه من شيء من ذلك جملة واحدة مع كونه عنده من أكابر عبادته وأعني خرق العوائد الظاهرة لا العلم بالله وقد يكون هذا الولي أعطاه الله تعالى في نفسه التمكن من ذلك فيترك ذلك كله لله فلا يظهر عليه منه شيء أصلاً وقد رأينا ممن هو على هذا القدم جماعة كما قال سيدنا أبو السعود بن الشبل عاقل زمانه وقد سأله بعض من لا يكتمه من حاله شيئاً هل أعطاك الله التصرف وهو أصل الكرامات فقال نعم منذ خمس عشرة سنة وتركنا تظهر فالفالحق يتصرف لنا يريد رضى الله عنه أنه أمثل أمر الله في اتخاذه عز وجل وكيلاً فقال له السائل ما ثم فقال الصلوات الخمس وانتظار الموت الرجل مثل ساعي الطير فم مشغول وقدم تسعى وكان يقول ما أعجبني فيما قيل ألا قوله

هكذا هو الرجل وألا فلا يدعى أنه رجل وفي حين تقييدي هذا الوجه من هذه النسخة خاطبي الحق في سري من أتخذي وكيلاً فقد ولاني ومن ولاني فله مطالبتي وعلى إقامة الحساب فيما ولاني فيه فإنعكس الأمر وتبدلت المراتب هذا صنع الله مع عباده الذين أرتضاهم وأصطفاهم وما فوق هذا الأمتان أمتان ترتقي المهمة إلى طلبه فالعبد المحقق لا تخرجه هذه الرتبة عن علمه بقدره فما ينخذ الله وكيلاً ألا من كان الحق قواه وجوارحه أذ يستحيل تبدل الحقائق فالعبد عبد والرب رب والحق حق والخلق خلق فإذا ظهر خرق عادة على مثل هذا فما هي كرامة عندنا لأن الكرامة تعود على من ظهرت عليه وأما يتفق لمن هذا مقامه مثل ما أتفق لنا في مجلس حضرنا فيه سنة ست وثمانين وخمسمائة وقد حضر عندنا شخص فيلسوف ينكر النبوة على الحد الذي يشتهها المسلمون وينكر ما جاءت به الأنبياء من خرق العوائد وأن الحقائق لا تتبدل وكان زمان البرد والشتاء وبين أيدينا منقل عظيم يشتعل ناراً فقال المنكر المكذب أن العامة تقول أن إبراهيم عليه السلام ألقى في النار فلم تحرقه والنار محرقة بطبعها الجسوم القابلة للأحراق وأما كانت النار المذكورة في القرآن في قصة إبراهيم الخليل عبارة عن غضب نمرود عليه وحنقه فهي نار الغضب وكونه ألقى فيها لأن الغضب كان عليه وكونها لم تحرقه أي لم يؤثر فيه غضب الجبار لما ظهر به عليه من الحجة بما أقامه من الأدلة فيما ذكر من أقول الأنوار وأنها لو كانت آلهة ما أفلت فركب له من ذلك دليلاً فلما فرغ من قوله قال له بعض الحاضرين ممن كان له هذا المقام ولم تكن فإن أريتك أنا صدق ما قاله الله تعالى في النار أنها لم تحرق إبراهيم وأن الله جعلها عليه كما قال برداً وسلاماً وأنا أقوم لك في هذا المقام مقام إبراهيم عليه السلام في الذب عنه لا أن ذلك كرامة في حقي فقال المنكر هذا لا يكون فقال له أليست هذه هي النار المحرقة قال نعم قال تراها في نفسك ثم ألقى النار التي في المنقل في حجر المنكر وبقيت على ثيابه مدة يقبلها المنكر بيده فلما رآها ما تحرقه تعجب ثم ردها إلى المنقل ثم قال له قرب يدك أيضاً منها فقرب يده فأحرقته فقال له هكذا كان الأمر وهي مأمكورة تحرق بالأمر وتترك الأحراق كذلك والله تعالى الفاعل لما يشاء فأسلم ذلك المنكر وأعترف فمثل هذا يظهر على تارك الكرامات فإنه يقيمها في زمانه نيابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم في المعجزة والآية على صدقه فجاء بها لأقامة الدليل على صدق الشارع والدين لا على نفسه أنه ولي الله بخرق هذه العادة فهذا معنى ترك الكرامات ولها رجال وهم الملامية خاصة وأما الصوفية فيظهرون بها وهي عند الأكابر من رعونات النفوس ألا على حد ما ذكرناه

الباب السادس والثمانون ومائة في معرفة مقام خرق العادات

أني بها النظر الفكري محصوره

كالمعجزات على الأرسال مقصوره

وليس للعلم في تعيينه صوره

فقف عليه تجدها فيه مسطوره

وكلها في كتاب الله مذكوره

خرق العوائد أقسام مقسمة

منها معينة بالحق قائمة

وما سواها من الأقسام محتمل

وكلها في كتاب الله بينة

بشرى وسحر ومكر أو علامته

أعلم مقام خرق العادات على وجوه كثيرة منها ما يكون عن قوى نفسية فإن أجرام العالم تتفعل للهمم النفسية هكذا جعل الله تعالى الأمر فيها وقد تكون عن حيل طبيعية معلومة كالفلقطينات وغيرها وبأبها معلوم عند العلماء وقد تكون عن نظم حروف بطوالع وذلك لأهل الرصد وقد تكون باسماء يتلفظ بها ذاكرها فيظهر عنها ذلك الفعل المسمى خرق عادة في ناظر عين الرائي لا في نفس الأمر وقد تكون في نفس الأمر على قدر قوة ذلك الاسم وهذه كلها تحت قدرة المخلوق بجعل الله وثم خرق عوائد مختصة بالجناب الإلهي ليس للعبد فيها تعمل ولا قوة ولكن يظهرها الله عليه أو تظهر عنه بأمر الله وإعلامه وهي على مراتب منها ما تسمى معجزة ولها شروط ونعت خاص معلوم منها ما تسمى آية لا معجزة ومنها ما تكون كرامة مؤيدة ومنها ما تكون مؤيد ومنها ما تكون منبهة وباعثة ومنها ما يكون مكرراً واستدراجها كلها لها علامات عند أهل الله مع كون هؤلاء لا علم لهم بشئ من ذلك بخلاف الصنف الأول فإنهم على علم بما يصدر منهم وما من شئ مما ذكرناه في الصنف الثاني المضاف عمله إلى الله تعالى إلا والاحتمال يدخله هل هو عن عناية أولاً عن عناية إلا المعجزة والآية فإنها عن عناية ولا بد أنها الصدق المخبر والمؤيد كذلك وما عدا هذين فيتطرق إليه الاحتمال كما ذكرنا ثم نرجع إلى ما تقضي به طريقنا أن خرق العادة في الأولياء لا يكون إلا لمن خرق العادة في نفسه باخراجها عن حكم ما تعطيه حقيقتها وهو تصرفها في المباح أو ما يلقي إليها الشيطان بالتزيين من إتيان المحذور أو ترك الواجب فمن خرق في نفسه هذه العادة خرق الله له عادة في المون بأمر يسمى كلاماً على الخاطر أو مشياً في الهواء أو ما كان وقد ذكرنا فصول هذه الكرامات وبيننا مراتبها وما ينتجها في كتاب مواقع النجوم ما سبقنا إليه في علمنا أعني إلى ترتيبه لا إلى علم ما فيه وهو كتاب صحيح الطريق عظيم الفائدة صغير الجرم بنيانه على المناسبة فإن المناسبة أصل وجود العالم وخرق العوائد من العالم وقد جعل الله آياته في العالم معتادة وغير معتادة فالمعتادة من اختلاف الليل والنهار ونزول الأمطار وإخراج النبات وجرى الجوارى في البحر واختلاف الألسنة والألوان والمنام بالليل والنهار لإبتغاء الفضل وكل ما ذكر في القرآن أنه آية لقوم يعقلون ويسمعون ويفقهون ويؤمنون ويعلمون ويوقنون ويتفكرون ومع هذا كله فلا يرفع بذلك أحد من الناس رأساً إلا أهل الله وهم أهل القرآن خاصة الله وأما الآيات الغير المعتادة وهي خرق العوائد فهي التي تؤثر في نفوس العامة مثل الزلازل والرجفات والكسوف ونطق حيوان ومشى على ماء واختراق هواء وإعلام بكوائن في المستقبل تقع على حد ما أعلم والكلام على الخواطر وإلا كل من الكون اشباع القليل من طعام الكثير من الناس هذا تعتبره العامة خاصة ومتى لم يكن خرق العادة عن استقامة أو منبهاً وباعثاً على الرجوع إلى الله ويرجع له فيه تعمل فهو مكر واستدراج من حيث لا يعلم وهذا هو الكيد المتين تحف الله مع المخالفات وفيه سر عجيب للعارفين لولا ما في غذاخته من الضرر في العموم لذكرناه وما كل ما يدري يقال وليس خرق العوائد إلا أول مرة فإذا عاد ثانية صار عادة وأما في الحقيقة فالأمر جديد أبداً وما ثم ما يعول فما ثم خرق عادة وإنما هو أمر يظهر زي مثله لا عينه فلم يعد فما هو عادة فلو عاد لكان عادة وانجحب الناس عن هذه الحقيقة وقد نبهتكم على ما هو الأمر عليه إن كنت تعقل ما أقول فالإلوهة أوسع من أن تعيد ولكن الأمثال حجب على أعين العمى الذين يعلمون ظاهر لمن حياة الدنيا وهم عن الآخرة وهو وجود عين المثل الثاني هم غافلون فهم في لبس من خلق جديد فالممكنات غير متناهية والقدرة نافذة والحق خلاق فأين التكرار إذ لا يعقل إلا

بالأعادة فالإعادة خرق العادة انتهى النصف الأول من الجزء الثاني من الفتوحات المكية ويليه النصف الثاني أوله الباب السابع
والثمانون ومائة في معرفة مقام المعجزة

الباب السابع والثمانون ومائة في معرفة مقام المعجزة

وكيف يكون هذا المعجزة كرامة لمن كان له معجزة الاختلاف الحال

ما كان معجزة فلا سبيل إلى ظهوره مرة أخرى إلى الأبد

لا في ولي ولا في غيره فإذا
ولو تحدى به خلق لا كذبه
لذلك اختلفت في الأنبياء فلم
حققت قولي فلا تعدل عن الرشد
صدق المقدم في الأدنى وفي البعد
يظهر لها أثر من بعد في أحد

اختلف الناس فيما كان معجزة لني هل يمون كرامة لولي أم لا فالجمهور أجاز ذلك إلا الأستاذ أبا اسحاق الإسفرياني فإنه منع من ذلك وهو الصحيح عندنا إلا أنا نشترط أمراً لم يذكره الأستاذ وهو أن نقول إلا أن قام الولي بذلك الأمر المعجز على تصديق النبي لا على جهة الكرامة به فهو واقع عندنا بل قد شهدناه فيظهر على الولي ما كان معجزة لني على ما قلناه ولو تنبه لذلك الأستاذ لقال به ولم ينكره فإنه ما خرج عن بابه فإن الذي وقع فيه الخلاف أنه هل يكون كرامة لولي وهذا ليس بكرامة لولي إلا أن الذين أجازوا ذلك قالوا بشرط أن يظهر عليه بالطريق التي ظهرت على يد الرسول الذي بها سميت معجزة وجوزوا أن الولي لو تحدى بذلك على ولا يتهلجأز أن يخرق الله له تلك العادة والكاذب لو تحدى بما على كذبه وهو صادق في أنه كاذب فجائز أن يخرق الله تلك العادة على صدقه أنه كاذب فإن الفارق عندهم حاصل وهو وجه يقال والصحيح ما ذهب إليه الأستاذ وهو الذي يعطيه الدليل النظري إلا أن يقول الرسول في وقت تحديه بالمنع في الوقت خاصة أو في مدة حياته خاصة فإنه جائز أن يقع ذلك الفعل كرامة لغيره بعد انقضاء زمانه الذي اشترطه وأما أن أطلقه فلا سبيل إلى هذا في علمنا ولا ذكرناه والله أعلم والإعجاز على ضربين الضرب الواحد أن يأتي بأمر لا يكون مقدور البشر ولا يقدر عليه إلا الله وذلك عزيز أعني الوصول إلى العلم به كأحياء الموتى لا يقدر عليه إلا الله ولكن الوصول إليه على طريق العلم أنه حي في نفس الأمر عزيز فإننا رأينا عصا موسى عليه السلام حية وعصى السحرة حيات ولم تفرق العامة بين الحياتين فهذا قلنا أن الوصول إلى علم ذلك عزيز والضرب الآخر وهو الذي يمكن أن يكون أقرب وهو الصرف فيدعى في ذلك أن الذي هو مقدور لكم في العادة إذا أتيت أنا به على صدق دعواي فإن الذي أرسلني يصرفكم عنه فلا تقدرون على معارضته فكل من في قدرته ذلك يجد في نفسه العجز في ذلك الوقت في يقدر على إتيان ما كان قبل هذه الدعوى يقدر عليه وهذا أرفع لليس من الأول فهذا معنى الأمر المعجز ومع هذا فقد وقع وعرف أنه معجزة وحصل العلم به عند الناظر بصدق هذا الرسول وما رزوق الإيمان به وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فتعلم أن الإيمان لا تعطيه إقامة الدليل بل هو نور إلهي يلقيه الله في قلب من شاء من عباده وقد عقيب الدليل وقد لا يكون هناك دليل أصلاً كما قال تعالى "ولكن جعلنا نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا" فاعلم ذلك والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى الجزء السادس عشر ومائة

الجزء السابع عشر ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثامن والثمانون ومائة في معرفة مقام الرؤيا وهي المبشرات

بصاحب الضد لم تصدق له رؤيا

وضده ضده بالعدوة الدنيا

عننسخ شرع وهذي رتبة عليا

وفي يميني سيف للهوى دنيا

بذلك السيف في الأخرى وفي الدنيا

بالصدق رؤيا الرجال الصادقين ومن

الصدق بالعدوة القصوى منازل

هي النبوة إلا أنها قصرت

إني رأيت سيوفاً للهوى انتضيت

فما تركت لها عيناً ولا أثراً

اعلم أيديك الله أن للإنسان حالتين حالة تسمى النوم وحالة تسمى اليقظة وفي كلتا الحالتين قد جعل الله له غدراكات يدرك به الأشياء تسمى تلك الإدراكات في اليقظة حساً وتسمى في النوم حساً مشتركاً فكل شئ تبصره في اليقظة يسمى رؤية وكل ما تبصره في النوم يسمى رؤيا مقصوراً وجميع ما يدركه الإنسان في النوم هو مما ضبطه الخيال في حال اليقظة من الحواس وهو على نوعين أما ما أدراك الحواس في أصل خلقته فلا يدركه في النوم أبداً فالأصل الحس والإدراك به في اليقظة والخيال تبع في ذلك وقد يتقوى الأمر على بعض الناس فيدركون في البقظة ما كانوا في النوم وذلك نادراً وهو لأهل هذا الطريق من نبي وولي هكذا عرفناه فإذا علمت هذا فاعلم أيضاً أن النبوة خطاب الله تعالى أو كلام الله تعالى كيفما شئت قلت لمن شاء من عباده في هاتين الحالتين من يقظة ومنام وهذا الخطاب الإلهي المسمى نبوة على ثلاثة أنواع نوع يسمى وحياً ونوع يسمعه كلامه من وراء حجاب ونوع بوساطة رسول فيوحى ذلك الرسول من ملك أو بشر بإذن الله ما يشاء لمن أرسله إليه وهو كلام الله إذ كان هذا الرسول إنما يترجم عن الله كما قال تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فالوحي منه ما يلقيه إلى قلوب عباده من غير واسطة فاسمعهم في قلوبهم حديثاً لا وكيف سماعه ولا يأخذه حد ولا يصوره خيال ومع هذا يعقله ولا يدري كيف جاء ولا من أين جاء ولا ما سببه وقد يكلمه من وراء حجاب صورة ما يكلمه به وقد يكون الحجاب بشريته وقد يكون الحجاب كما كلم موسى من الشجرة من جانب الطور الأيمن له لأنه لو كلمه من الأيسر الذي هو جهة قلبه ربما ألتبس عليه بكلام نفسه فجاءه الكلام من الجانب الذي لم تجري العادة أن تكلمه نفسه منه وقد يكلمه بوساطة رسول من ملك كقوله "نزل به الروح الأمين على قلبك" يعني القرآن الذي هو كلام الله وقد يكون بوساطة بشر وهو قوله فأجره حتى يسمع كلام الله فأضاف الكلام إلى الله وما سمعته الصحابة ولا هذا الأعرابي إلا من لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وليست النبوة بأمر زائد على الأخبار الإلهي بهذه الأقسام والقرآن خبر الله وهو النبوة كلها لأنه الجامع لجميع ما أراد الله أن يخبر به عباده وضح في الحديث أنه من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه فإذا تقرر ما ذكرناه فاعلم أن مبدأ الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا أصدقكم رؤيا

أصدقكم حديثاً فكان لا يحدث أحداً صلى الله عليه وسلم بحديث عن تزوير يزوره في نفسه بل يتحدث بما يدركه بأحدى قواه الحسية أو بكاملها ما كان يحدث بالغرض ولا يقول ما لم يكن ولا ينطق في اليقظة عن شيء يصوره في خياله مما لم ير لتلك الصورة بجملتها عيناً في الحس فهذا سبب صدق رؤياه وإنما بدئ الوحي بالرؤيا دون الحس لأن المعاني المعقولة أقرب إلى الخيال منها إلى الحس لأن الحس طرف أدنى والمهني طرف أعلى وألطف والخيال بينهما والوحي معنى فأراد المعنى أن يتزل إلى الحس فلا بد أن يعبر على حضرة الخيال قبل وصوله إلى الحس والخيال من حقيقته أن يصور كل ما عنده في صورة المحسوس لا بد من ذلك فإن كان ورود ذلك الوحي الإلهي في حال النوم سمي رؤيا وإن كان في حال اليقظة سمي تخيلاً أي خيل إليه فلماذا بدئ الوحي بالخيال ثم بعد ذلك انتقل الخيال إلى الملك من خارج فكان يتمثل له الملك رجلاً أو شخصاً من الأشخاص المدركة بالحس فقد ينفرد هذا الشخص المراد بذلك الوحي بادراك هذا الملك وقد يركه الحاضرون معه فيلقى على سمعه حديث ربه وهو الوحي وتارة يتزل على قلبه صلى الله عليه وسلم فتأخذه البرحاء وهو المعبر عنه بالحال فإن الطبع لا يناسبه فلذلك يشتد عليه وينحرف له مزاج الشخص إلى أن يؤدي ما أوحى به إليه ثم يسرى عنه فيخبر بما قيل له وهذا كله موجود في رجال الله من الأولياء والذي أختص به النبي من هذا دون الولي الوحي بالتشريع فلا يشرع إلا النبي ولا يشرع إلا رسول خاصة فيحلل ويحرم ويبيح ويأتي بجميع ضروب الوحي والأولياء ليس لهم من هذا الأمر إلا الأخبار بصحة ما جاء به هذا الرسول وتعيينه حتى يكون هذا التابع على بصيرة فيما تعبد به ربه على لسان هذا الرسول أذ كان هذا الولي لم يدرك زمانه حتى يسمع منه كما يسمع أصحابه فصار هذا الولي بهذا النوع من الخطاب بمنزلة الصاحب.

الذي سمع من لفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شرع ولذلك جاء في القرآن أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن أتبعني وهم هؤلاء الذين ذكرناهم فرب حديث صحيح من طريق رواية الثقات عندنا ليس بصحيح في نفس الأمر فتأخذه على طريق غلبة الظن لا على العلم وهذه الطائفة التي ذكرناها تأخذ من هذا الطريق فنكون من عدم صحة ذلك الخبر الصحيح عندنا على بصيرة أنه ليس بصحيح في نفس الأمر وبالعكس وهو أن يكون الحديث ضعيفاً من أجل ضعف الطريق من وضاع فيه أو مدلس وهو في نفس الأمر صحيح فتدرك هذه الطائفة صحته فتكون فيه على بصيرة فهذا معنى قوله تعالى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن أتبعني وهم هؤلاء فهم ورثة الأنبياء لأشترأهم في الخبر وأنفراد الأنبياء بالتشريع قال تعالى "يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده" فجاء بمن وهي نكرة لينذر يوم التلاق فجاء بما ليس بشرع ولا حكم بل بأنذار فقد يكون الولي بشيراً ونذيراً ولكن لا يكون مشرعاً فإن الرسالة والنبوة بالتشريع قد أنقطعت فلا رسول بعده ولا نبي أي شرع ولا شريعة فاعلم ذلك فلنرجع إلى ما بوبنا عليه ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أن الرسالة والنبوة قد أنقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي قال فشق ذلك على الناس فقال لكن المبشرات فقالوا يا رسول الله وما المبشرات فقال رؤيا المسلم وهي جزء من أجزاء النبوة هذا حديث حسن صحيح من حديث أنس بن مالك حدثنا به أمام المقام بالحرم المكي الشريف تجاه الركن اليماني الذي فيه الحجر الأسود سنة أربع وستمائة شيخنا مكين الدين أبو شجاع زاهر بن رستم الأصفهاني البزار وغيره عن أبي الفتح عبد الملك بن أبي القاسم بن أبي سهل الكرخي الهروي قال أخبرني أبو عامر محمود بن القاسم الأزدي وأبو نصر عبد العزيز بن محمد الترياق وأبو بكر أحمد بن أبي حاتم الغورجي التاجر قالوا أخبرنا محمد بن عبد الجبار الجراحي قال أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد الحبوبي قال أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي قال حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني حدثنا عفان بن مسلم حدثنا عبد الواحد حدثنا المختار بن فلفل حدثنا أنس بن مالك قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر هذا الحديث قال وفي الباب عن أبي هريرة وحذيفة وابن عباس وأم كرز فأخبر صلى الله عليه وسلم أن الرؤيا جزء من أجزاء النبوة فقد بقي للناس من النبوة هذا وغيره ومع هذا لا يطلق إسم النبوة ولا النبي ألا على المشرع خاصة فحجر هذا الاسم لخصوص وصف معين في النبوة وما حجر النبوة التي ليس فيها هذا الوصف الخاص وأن كان حجر الاسم فتأدب ونقف حيث وقف صلى الله عليه وسلم بعد علمنا بما قال وما أطلق وما حجر فنكون على بينة من أمرنا وإذا علمت هذا فلنقل أن الرؤيا ثلاث منها بشرى وهي ما نحن بصده في هذا الباب ورؤيا مما يحدث المرء به نفسه في اليقظة فيرتقم في خياله فإذا نام أدرك ذلك بالحس المشترك لأنه تصويره في يقظته فبقي مرتسماً في خياله فإذا نام وأنصرفت الحواس إلى خزانة الخيال أبصرت ذلك وسيأتي علم ذلك كله وصورته والرؤيا الثالثة من الشيطان وروينا في هذا حديثاً صحيحاً من حديث أبي عيسى الترمذي قال حدثنا نصر بن علي حدثنا عبد الوهاب الثقفي حدثنا أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقرب الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن تكذب وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثاً ورؤيا المسلم جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة والرؤيا ثلاث فالرؤيا الصالحة بشرى من الله تعالى ورؤيا من تحزين الشيطان ورؤيا مما يحدث الرجل به نفسه وإذا رأى أحدكم ما يكره فليقم وليتفل ولا يحدث به الناس الحديث وقال فيه حديث صحيح وفي حديث أبي قتادة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى أحدكم شيئاً يكرهه فلينبث عن يساره ثلاث مرات وليستعذ بالله من شرها فإنها لا تضره وهو حديث حسن صحيح وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رؤيا المسلم على رجل طائر ما لم يحدث بها فإذا حدث بها وقعت فاعلم أن لله ملكاً موكلاً بالرؤيا يسمى الروح وهو دون السماء الدنيا ويده صور الأجساد التي يدرك النائم فيها نفسه وغيره وصور ما يحدث من تلك الصور من الأكوان فإذا نام الإنسان أو كان صاحب غيبة أو فناء أو قوة أدراك لا يحجبه المحسوسات في يقظته عن أدراك ما بيد هذا

الملك من الصور فيدرك هذا الشخص بقوته في يقظته ما يدركه النائم في نومه وذلك أن اللطيفة الإنسانية تنتقل بقواها من حضرة المحسوسات إلى حضرة الخيال المتصل بها الذي محله مقدم الدماغ فيفيض عليها ذلك الروح الموكل بالصور من الخيال المنفصل عن الأذن الألهي ما يشاء الحق أن يريه هذا النائم أو الغائب أو الفاني أو القوى من المعاني متجسدة في الصور التي بيد هذا الملك فمنها ما يتعلق بالله وما يوصف به من الاسماء فيدرك الحق في صورة 7 أو القرآن أو العلم أو الرسول الذي هو على شرعه فهنا يحدث للرائي ثلاث مراتب أو أحدها من المرتبة الواحدة أن تكون الصورة المدركة راجعة للمرئي بالنظر إلى مترلة ما من منازل وصفاته التي ترجع إليه فتلك رؤيا الأمر على ما هو عليه بما رجع إليه والمرتبة الثانية أن تكون الصورة المرئية راجعة إلى حال الرائي في نفسه والمرتبة الثالثة أن تكون الصورة المرئية راجعة إلى الحق المشروع والناموس الموضوع أي ناموس كان في تلك البقعة التي ترى تلك الصورة فيها في ولاية أمر ذلك الأقليم القائمين بناموسه وما ثم مرتبة رابعة سوى ما ذكرناه فالأولى وهي رجوع الصورة إلى عين المرئي فهي حسنة كاملة ولا بد لا تتصف بشيء من القبح والنقص والمرتبتان الباقيتان قد تظهر الصورة فيهما بحسب الأحوال من الحسن والقبح والنقص والكمال فلينبظر أن كان من تلك الصورة خطاب فبحسب ما يكون الخطاب يكون حاله وبقدر ما يفهم منه في رؤياه ولا يعول على التعبير في ذلك بعد الرجوع إلى عالم الحس ألا أن كان عالماً بالتعبير أو يسأل عالماً بذلك ولينظر أيضاً حركته أعني حركة الرائي مع تلك الصورة من الأدب والاحترام أو غير ذلك فإن حاله بحسب ما يصدر منه في معاملته لتلك الصورة فإنها صورة حق بكل وجه وقد يشاهد الروح الذي بيده هذه الحضرة وقد لا يشاهده وما عدا هذه الصورة فليست ألا من الشيطان أن

كان فيه تخزين أو مما يحدث المرء به نفسه في حال يقظته فلا يعول على ما يرى من ذلك ومع هذا وكونها لا يعول عليها إذا عبرت كان لها حكم ولا بد يحدث لها ذلك من قوة التعبير لا من نفسها وهو أن الذي يعبرها حتى يصورها في خياله من المتكلم فقد أنتقلت تلك الصورة عن المحل الذي كانت فيه حديث نفس أو تخزين شيطان إلى خيال العابر لها وما هي له حديث نفس فيحكم على صورة محققة أرسمت في ذاته فيظهر لها حكم أحدثه حصول تلك الصورة في نفس العابر كما جاء في قصة يوسف مع الرجلين وكان قد كذبا فيما صوراه فكان مما حدثا به أنفسهما فتخيلاه من غير رؤيا وهو أبعد في الأمر أذ لو كان رؤيا لكان أدخل في باب التعبير فلما قصاه على يوسف حصل في خيال يوسف عليه السلام صورة من ذلك لم يكن يوسف حدث بذلك نفسه فصارت حقاً في حق يوسف وكأنه هو الرائي الذي رأى تلك الرؤيا لذلك الرجل وقاما له مقام الملك الذي بيده صور الرؤيا فلما عبر لهما رؤياهما قالاً له أردنا اختبارك وما رأينا شيئاً فقال يوسف قضى الأمر الذي فيه تستفتيان فخرج الأمر في الحس كما عبر ثم أن الله تعالى إذا رأى أحد رؤيا فإن صاحبها له فيما رآه حظ من الخير والشر بحسب ما تقتضي رؤياه أو يكون الحظ في ناموس الوقت في ذلك الموضع وأما في الصورة المرئية فلا فيصور الله ذلك الحظ طائراً وهو ملك في صورة طائر كما يخلق من الأعمال صوراً ملكية روحانية جسدية برزخية وأما جعلها في صورة طائر لأنه يقال طار له سهمه بكذا أو الطائر الحظ قال الله عز وجل "قالوا طائركم معكم" أي حظكم ونصيبكم معكم من الخير والشر ويجعل الرؤيا معلقة من رجل هذا الطائر وهي عين الطائر ولما كان الطائر إذا أقفنتص شيئاً من الصيد من الأرض أما يأخذه برجله لأنه لا يد له وجناحه لا يتمكن له الأخذ به فلذلك علق الرؤيا برجله فهي المعلقة وهي عين الطائر فإذا عبرت سقطت لما قيلت له وعندما تسقط يندم الطائر لأنه عين الرؤيا فينعدم بسقوطها ويتصور في عالم الحس بحسب الحال التي تخرج عليه تلك الرؤيا فترجع صورة الرؤيا عين الحال لا غير فتلك الحال أما عرض أو جوهر أو نسبة من ولاية أو غيرها هي عين صورة تلك الرؤيا وذلك الطائر ومنه خلقت هذه الحالة ولا بد سواء كانت جسماً أو عرضاً أو نسبة أعني تلك الصورة كما خلق آدم من تراب ونحن من ماء مهين حتى إذا دلت الرؤيا على وجود ولد فذلك الولد مخلوق من عين تلك الرؤيا ماء في صلب أبيه وأن كان الماء قد نزل في الرحم تصورت فيه تلك الرؤيا ولد فهو ولدا رؤيا وأن لم تتقدم له رؤيا فهو على أصل نشأته كما هو سائر الأولاد فاعلم ذلك فإنه سر عجيب وكشف صحيح وكل ولد يكون عن رؤيا ترى له تمييزاً على غيره ويكون أقرب إلى الأرواح من غيره أن جعلت بالك هذا تبصره وكل مخلوق من حالة أو عرض أو نسبة من ولاية أو غيرها يكون عن رؤيا يكون له ميز على من ليس عن رؤيا وأنظر ذلك في رؤيا آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم يبد لك صحة ما ذكرناه فكان صلى الله عليه وسلم عين رؤيا أمه ظهرت في ماء أبيه بتلك الصورة التي رآته أمه ولذلك كثرت المراتي فيه صلى الله عليه وسلم فتميز عن غيره ولا يعرف ما قلناه ألا أهل العلم بصورة الكشف وهو من أسرار الله في خلقه وأن أردت تأنيساً لما ذكرناه فإنظر في علم الطبيعة إذا توحدت المرأة وهي حامل على شيء خرج الولد يشبه ذلك الشيء وإذا نظرت عند الجماع أو تخيل الرجل صورة عند الوقاع وأنزال الماء يكون الولد على خلق صورة ما تخيل ولذلك كانت الحكماء تأمر بتصوير صور الفضلاء من أكابر الحكماء في الأماكن بحيث تنظر إلى تلك الصورة المرأة عند الجماع والرجل فتتطبع في الخيال فتؤثر في الطبيعة فتخرج تلك القوة التي كانت عليها تلك الصورة في الولد الذي يكون من ذلك الماء وهو سر عجيب في علم الطبيعة وأنظر في تكوين عيسى عليه السلام عن مشاهدة مريم جبريل في صورة بشر كيف جمع بين كونه روحاً يحيى الموتى وبين كونه بشراً إذا كان الروح به تحيا الأجسام الطبيعية وأقوى من ذلك ما فعله السامري من قبضه أثر جبريل لما علم أن الروح تصحبه الحياة حيث

حل فرمى ما قبضه في العجل فخار العجل بذلك الأثر المقبوض من وطء الروح ولو رماه في شكل فرس لصهل أو في شكل أنسان نطق فإن الاستعداد لما ظهر بالحياة أنما كان للقابل ومن هنا تعرف صورة الظاهر في المظاهر وأن المظاهر تعطي بأستعدادها في الظاهر فيها ما يظهر به من الصور الحاملة والحمولة ولهذا أظهر الله هذه الحكمة لتقف من ذلك على ما هو الأمر عليه ثم أن تسمية النبي صلى الله عليه وسلم لها بشرى ومبشرة لتأثيرها في بشرة الأنسان فإن الصورة البشرية تتغير بما يرد عليها في باطنها مما تتخيله من صورة تبصرها أو كلمة تسمعها أما بحزن أو فرح فيظهر لذلك أثر في البشرة لا بد من ذلك فإنه حكم طبيعي أودعه الله في الطبيعة فلا يكون ألا هكذا تكملة للرؤيا مكان ومحل وحال فحاله النوم وهو الغيبة عن المحسوسات الظاهرة الموجبة للراحة لأجل التعب الذي كانت عليه هذه النشأة في حال اليقظة من الحركة وأن كان في هواها قال تعالى "وجعلنا نومكم سباتاً" يقول وجعلنا النوم لكم راحة تستريح به النفوس وهو على قسمين قسم أنتقال وفيه بعض راحة أو نيل غرض أو زيادة تعب والقسم الآخر قسم راحة خاصة وهو النوم الخالص الصحيح الذي ذكر الله أنه جعله راحة لما تعبت فيه هذه الآلات والجوارح والأعضاء البدنية في حال اليقظة وجعل زمانه الليل وأن وقع بالنهار كما جعل النهار للمعاش وأن وقع بالليل ولكن الحكم للغالب فأما قسم الأنتقال فهو النوم الذي يكون معه الرؤيا فتنتقل هذه الآلات من ظاهر الحس إلى باطنه ليرى ما تقرر في خزانة الخيال الذي رفعت إليه الحواس ما أخذته من المحسوسات وما صورته القوة المصورة التي هي من بعض خدم هذه الخزانة لترى هذه النفس الناطقة التي ملكها الله هذه المدينة ما أستقر في خزانتها كما جرت العادة في الملوك إذا دخلوا خزائهم في أوقات خلواتهم ليطلعوا على ما فيها وعلى قدر ما كمل لهذه النشأة من الآلات التي هي الجوارح والخدام الذين هم القوى الحسية يكون الأختزان فثم خزانة كاملة لكمال الحياة وثم خزانة ناقصة كالأكمه فإنه لا ينتقل إلى خزائنه خياله صور الألوان والخرس لا ينتقل إلى خزانة الخيال صور الأصوات ولا الحروف اللفظية هذا كله إذا عدمها في أصل نشأته وأما إذا طرأت عليه هذه الآفات فلا فإنه إذا أنتقل بالنوم إلى باطن النشأة ودخل الخزانة وجد صور الألوان التي اخترتها فيها قبل طرق الآفة وكذلك كل ما أعطته قوة من قوى الحس الذم هم جياة هذه المملكة والله تجل في هذه الخزانة في صورة طبيعية بصفات طبيعية مثل قوله صلى الله عليه وسلم رأيت ربي في صورة شاب وهو ما يراه النائم في نومه من المعاني في صور المحسوسات لأن الخيال هذه حقيقته أن يجسد ما ليس من شأنه أن يكون جسداً وذلك لأن حضرته تعطي ذلك وما ثم في طبقات العالم من يعطي الأمر على ما هو عليه سوى هذه الحصرة الخيالية فإنها تجمع بين النقيضين وفيها تظهر الحقائق على ما هي عليه لأن الحق في الأمور أن نقول في كل أمر تراه أو تدركه بأي قوة كان الإدراك أن ذلك الذي أدركته هو لا هو كما قال "وحما رميت إذ رميت" فلا تشك في حال الرؤيا في الصورة التي تراها أنما عين ما قيل لك أنه هو ما تشك في التعبير إذا استيقظت أنه ليس هو ولا تشك في النظر الصحيح أن الأمر هو لا هو قيل لأبي سعيد الخراز بم عرفت الله قال بجمعه بين الضدين فكل عين متصفة بالوجود فهي لا هي فالعالم كله هو لا هو والحق الظاهر بالصورة هو لا هو فهو المحدود الذي لا يحدوا لمرى الذي لا يرى وما ظهر هذا الأمر إلا في هذه الحصرة الخيالية في حال النوم أو الغيبوبة عن ظاهر المحسوسات بأي نوع كان وهي في النوم أتم وجود وأعمه لأنه للعارفين والعامة وحال الغيبة والفناء والحو وشبه ذلك ما عدا النوم لا يكون للعامة في الإلهيات فما أوجد الله شيئاً من الكون على صورة الأمر على ما هو عليه في نفسه إلا هذه الحصرة فلها الحكم العام في الطرفين كما للممكن قبول النقيضين فيكون له ذلك ذوقاً فإن الذي يستحيل عليه العدم وإن كان له العلم بالعدم لا يكون علمه ذاتياً وهو الذي يسمى ذوقاً بخلاف الممكن فإن العدم له ذوق والذي يستحيل عليه الوجود والعلم به لا ذوق له في الوجود رأساً والممكن له في الوجود ذوق

فأوجد الله هذه الحضرة الخيالية ليظهر فيها الأمر الذي هو الأصل على ما هو عليه فاعلم أن الظاهر في المظاهر الأعيان هو الوجود الحق وأنه نما هو لما ظهر به من الأشكال والنعوت التي أعيان الممكنات عليها وجعل هذه الحضرة كالجسر بين الشطين للعبور عليه من هذا الشط إلى هذا الشط فجعل النوم معبراً وجعل المشي عليه عبوراً قال تعالى "إن كنتم للرؤيا تعبرون" وجعل إدراك ذلك في حالة تسمى راحة وهي النوم من حقيقة قوله "ولقد خلقنا السموات والأرض في ستة أيام" فأضاف العمل إليه وذكر في الخلق أنه يديه وبأيد ويده بقوله ثم أعلمنا أنه وإن اتصف بالعمل أنه لم يؤثر فيه تعب فقال وما مسنا من لغوب وقال "و لم يعي بخلقهن" فمن هذه الحال من الحركات الحسية الظاهرة فهذا هو العمل العظيم في راحة من حيث لا يشعر أنه في راحة ولا سيما إذا رأى في النوم أموراً هائلة مفزعة فإذا استيقظ وجد الراحة فعلم أنه كان في راحة من حيث لا يشعر ومنهم من يعلم في النوم أنه نفي النوم والناس فيه على طبقات وإنما سمينا هذه الحالة بانتقال لأن المعاني تنتقل من تجريدها عن المواد إلى لباس المواد كظهور الحق في صور الأجسام والعلم في صورة اللين وما أشبه ذلك والانتقال الثاني انتقال الحواس من الظاهر المحسوس إلى هذه الحضرة بالظاهر المحسوس ولكن ما له في هذه الحضرة ثبوتية الذي له في حضرة اليقظة فإنه سريع التبديل في هذه الحضرة كما يتبدل في اليقظة في صور مختلفة في باطنه لا في ظاهره فباطنه في اليقظة هي هذه الحضرة "وجعل الليل لباساً" لها فإن الليل لا يعطي للناظر في نظرة سوى نفسه فهو يدرك ولا يدرك به فإنه غيب وظلمة والغيب والظلمة يدركان ولا يدرك بهما والضوء يدرك ويدرك به وهو حال اليقظة فلهذا تعبر الرؤيا ولا يعبر ما أدركه الحس فإذا ارتقى الإنسان في درج المعرفة علم أنه نائم في حال اليقظة المعهود وإن الأمر الذي هو فيه رؤيا إيماناً وكشفاً ولهذا اذكر الله أموراً واقعة في ظاهر الحس وقال فاعتبروا وقال أن في ذلك لعبرة أي جوزوا وعبروا وأما ظهر لكم من ذلك إلى علم ما بكن به وما جاء له قال عليه السلام الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ولكن لا يشعرون ولهذا قلنا إيماناً وقد ذكرنا هذا المقام مستوفي في باب المعرفة من هذا الكتاب وقد تقدم وهو الباب السابع والسبعون ومائة فالوجود كله نوم ويقظته نوم فالوجود كله راحة والراحة رحمة فوسعت كل شئ فإليها المآل تقول الملائكة لله وسعت نكل شئ رحمة وعلماً وهنا سران أن بحثت عليه انتهيت إليه وهو رحمة بالاسماء الحسنى في ظهور آثارها فمنتهى علمه منتهى رحمته ثم أرجع وأقول وإن حصل فب الطريق تعب فهو تعب في راحة كالأجير يحمل التعب أو يستلذه لما يكون في نفسه من راحة الأجرة التي لأجل حصولها عمل فيحجبه عن التعب وجود راحة الأجرة فإذا قبضها دخل في راحة النوم بالليل فركدت جوارحه عن الحركة فوجد الراحة فانتقل من راحة الأجرة إلى راحة النوم فعلى التحقيق أن صور العالم للحق من الاسم الباطل صور الرؤيا للنائم والتعبير فيها كون تلك الصور أحواله فليس غيره كما أن صور الرؤيا أحوال الرائي لا غيره كما رأى إلا نفسه فهذا هو قوله أنه "ما خلق السموات والأرض إلا بالحق" وهو عينه وهو قوله في حق العارفين ويعلمون أن الله هو الحق المبين أي الظاهر فهو الواحد الكثير فمن اعتبر الرؤيا يرى أمراً هائلاً ويتبين له ما لا يدركه من غير هذا الوجه ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أصبح في أصحابه سألهم هل رأى أحد منكم رؤيا لأنها نبوة فكان يجب أن يشاهدها في أمته والناس اليوم في غاية الجهل بهذه المرتبة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتني بها ويسأل كل يوم عنها والجهلاء في هذا الزمان إذا سمعوا بأمر وقع في النوم لم يقعوا به رأساً وقالوا بالمنامات يريد أن يحكم هذا خيال وما هي إلا رؤيا فيستهينوا بالرأي إذا اعتمد عليها وهذا كله لجهله بمقامها وجهله بأنه في يقظته وتصرفه في رؤيا وفي منامه في رؤيا فهو كمن يرى أنه استيقظ في نومه وهو في منامه وهو قوله عليه السلام الناس نيام فما أعجب الأخبار النبوية لقد أبانت عن الحقائق على ما هي عليه وعظمت ما استهونه العقل القاصر فإنه ما صدر إلا من عظيم وهو الحق فهذا معنى قولنا في التقسيم أنه قسم

الإنتقال وأما القسم الآخر من النوم فهو قسم الراحة وهو النوم الذي لا يرى فيه رؤيا فهو مجرد الراحة البدنية لا غير فهذا هو حال الرؤيا وبقي معرفة المكان والمحل فأما المحل فهو هذه النشأة العنصرية لا يكون للرؤيا محل غيرها فليس للملك رؤيا وإنما ذلك للنشأة العنصرية الحيوانية خاصة ومحلها في العلم الإلهي الإستحالات في صور التحلي فكل ما نحن فيه رؤيا الحق في راحة ارتفاع الأعياء والتعب لا غير وأما المكان فهو ما تحت مقعر فلك القمر خاصة وفي الآخرة ما تحت مقعر فلك الكواكب الثابتة وذلك لأن النوم قد يكون في جهنم في أوقات ولا سيما في المؤمنين من أهل الكبائر وما فوق فلك الكواكب فلا نوم وأعني به هذا النوم الكائن المعروف في العرف وأما الذي ذهبنا إليه أو لا في معرفة حال النوم فذلك أمر آخر قد بيناه وصور بيانه وصورة مكانه هكذا فإنظر إلى ما صورناه في الهامش وهو هذا صورة مكان الرؤيا وهو يشبه بالقرن وهو الصور أعلاه واسع وأسفله ضيق مقلوب النشء فإن الذي يلي الرأس منه هو الأعلى وهو الأوسع والذي هو الأضيقت منه هو الأسفل وهو الذي بعد عن الأصل فذلك القرن مكان الرؤيا فإذا خرج عن هذا الصور خرج عن مكان الرؤيا المعلومة في العرف فلا يدري بعد هذا رؤيا لأنه لا تقوم به صفة نوم فهو في راحة الأبد وهذا القدر كاف فيما نرومه من التعريف بمقام الرؤيا والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والذي سكتنا عنه عظيم لأن الفكر يعجز عنتصوره من أكثر الناس "ولكن أكثر الناس لا يعلمون" كما أن أكثر الناس لا يؤمنون وإلى العلم يرجع الفقه والعقل في قوله لا يفقهون ولا يعقلون انتهى الجزء السابع عشر ومائة

الجزء الثامن عشر ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

أبواب الأحوال

الباب التاسع والثمانون ومائة في السالك والسلوك

فإذا استقمت فأنت فيه السالك

فحسامه غضب المضارب باتك

من خلقهن أرائك ودرائك

طرق المحال بمثبتها فأتك

أن السلوك هو الطريق الأقوم

اشتق من سلك اللآلي لفظه

لا تمنعك عن السلوك مضايق

لا يسلكن لغاية ونهاية

اعلم وفقك الله أن السلوك انتقال من مترلة عبادة إلى مترل عبادة بالمعنى وانتقال بالصورة من عمل مشروع على طريق القربة إلى الله إلى عمل مشروع بطريق القربة إلى الله بفعل وترك فمن فعل إلى فعل أو من ترك إلى ترك أو من فعل إلى ترك أو من ترك إلى فعل وما ثم خامس للصورة وانتقال باعلم من مقام إلى مقام ومن إسم إلى إسم ومن تجلي إلى تجلي ومن نفس إلى نفس والمنتقل هو السالك وهو صاحب مجاهدات بدنية ورياضات نفسية قد أخذ نفسه بتهذيب الأخلاق وحكم على طبيعته بالقدر الذي يحتاج إليه من الغذاء الذي يكون به قوام مزاجها واعتدالها ولا يلتفت إلى جوع العادة وروح المعتادة فإن الله ما كلف نفساً إلا وسعها فإذا بذلت الوسع في طاعة الله لم يقم عليها حجة غير أن السالكين في سلوكهم على أربعة أقسام منهم سالك يسلك بربه وسالك يسلك بنفسه وسالك يسلك بالمجموع وسالك لا سالك فيتنوع السلوك بحسب قصد السالك ورتبته في العلم بالله فأما السالك الذي يسلك بربه فهو الذي يكون الحق سمعه وبصره وجميع قواه فإن عينه ثابتة ولهذا أعاد الضمير عليه لوجوده في قوله كنت سمعه فهذه الهاء هي عينك التي الحق سمعها وبصرها وما سلكت إلا بهذه القوى وهذه القبة قد أخبر الحق أنه لما أحبك كان سمعك وبصرك فهو قواك فيه سلكت في طاعته التي أمرك بأن تعمل نفسك فيها وتحلى ذاتك بها وهي زينة الله وهو سبحانه الجميل والزينة جمال فهو جمال هذا السالك فزيته ربه فيه يسمع وبه يبصر وبه يسلك ولا مانع من ذلك ولهذا قال قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده لما أحبهم حين تقربوا إليه بنوافل الخيرات زينهم به فكان قواهم التي سلکوا بها ما كلفهم من الأعمال وهو قوله "وإياك نستعين" وهي كلمة تطلبها المجازة فاستعانوا بالله على عبادته بأن كان قواهم كما أنه بوجود أعيانهم وإن كان وجودهم قد استفادوه منه لم يتمكن خلق الأعمال التي هي محاب الله إلا في وجود أعيانهم فحصل لديهم ضرب من الإعانة على إيجاد الأعمال التي لا تقوم بنفسها فلما عملوا بها وما زالوا يطلبون الإستغانة منه على ذلك جزاء وفاقاً أعانهم بنفسه بأن قال لهم بي تسمعون وتبصرون وتبطنشون وغير ذلك من القوى التي يهيم عليها ليست غير الحق بأخبار الحق والناس في عماية لا يعرفون من هذه صورته فكثيراً ما يسيئون الأدب على من هذه صفته فتكون إساءة ذلك الأدب مع الله فالإحتياط تعظيم عباد الله فإنه ما من شخص إلا

ويمكن أن يكون هو ذلك العبد فإن الأمر غيب ما هو بمحسوس حتى يتميز إلا عند أهله فوجب مراعاة كل مؤمن على كل مكلف فإنه إذا فعل ذلك أحرز الأمر واستبرأ لنفسه ولا يقال له لم فعلت كذا فإنه قصد جميل فإن وافق محله والأفقد وفي الأمر حقه لقصده احترام الجنب الإلهي لما دخل في المسألة من الإمكان لكل شخص شخص وهذا لا يكون إلا للأدباء من أهل الله والقسم الآخر السالك بنفسه وهو المتقرب إلى ربه ابتداء بالفرائض ونوافل الخيرات الموجبين لمحبة الحق من أتى بهما لتحصيل المحبتين فهو يجهد فيما كلفه الحق ويبدل استطاعته وقوته فيما أمره به ربه ونهاه من عبادة ربه في قوله: فاتقوا الله ما استطعتم "واتقوا الله حق تقاته" ولا تموتن إلا وأنتن مسلمون" وإن كانوا قد سمعوا هذا الخبر الإلهي واعتقدوه إيماناً به ولكن ما حصل لهم هذا ذوقاً فيكون الحق قواهم فهم سالكون بنفوسهم في جميع مراتب السلوك من حال وعمل ومقام وإسم وتجل وما يصح فيه الانتقال من أمر إلى أمر وهذا هو سلوك الأدباء من أهل الله وذلك أن الله كلف عباده فعلموا أن ثم حقيقة تقتضي أن تكون المخاطبة بالتكليف وما ثم إلا هم فيعلمون أنهم المرادون وإن لم يتعين عندهم بأي حقيقة توجه عليهم الخطاب فيسلكون بنفوسهم في العموم مع علمهم بأن الأمر لا بد فيه من نسبة خاصة أو عين موجودة تستحق التكليف فيبدلون المجهود ويوفون بالعقود وأن جهلوا المقصود إلى أن يفتح الله لهم كما فتح لمن سلك بره وأما السالك بالجموع فهو السالك بعد أن ذاق كون الحق سمعه وبصره وعلم سلوكه أولاً بنفسه على الجملة من غير شهود نفسه على التعيين فلما علم أن الحق سمعه وعلم أن السامع بالسمع ما هو عين السمع ورأى ثبوت هذا الضمير وعابن على من عاد فعلم أن نفسه وعينه هي السميعة بالله والناظرة بالله والمتحركة بالله والساكنة بالله وأنها المخاطبة بالسلوك والانتقال فسلوك بالجموع وأما القسم الرابع وهو سالك لا سالك فهو أنه رأى نفسه لم تستقل بالسلوك ما لم يكن الحق صفة لها ولا تستقل الصفة بالسلوك ما لم تكن نفس المكلف موجودة ويكون كالحل لها فيبدو له أنه سالك بالجموع فإذا تبين له أن بالجموع ظهر السلوك بأن له أن المظهر لا وجود له عيناً وأن الظاهر تقيدهم بأحكام استعداد المظهر ورأى الحق يقول "وما رميت أذ رميت ولكن الله رمى" وكذلك لو قال وما رمى لصح كما صح في الطرف الأول فمن وقف على هذا العلم من نفسه علم أنه سالك لا سالك ثم أعلم أن السالكين الذين ذكرناهم على مراتب فمنهم السالك منه إليه ومنهم السالك لا منه ولا إليه ولا فيه وهو موصوف بالسلوك وبأنه سالك ومنهم السالك من غير سفر ومنهم السالك المسافر وهو في الباب الذي يلي هذا الباب فكل مسافر سالك وما كل سالك مسافر كما سنذكره أن شاء الله بعد هذا الباب في باب المسافر وأنواع السلوك كثيرة وما ذكرنا منها ألا القليل فأما السالك منه إليه فهو المنتقل من تجل إلى تجل وأما السالك إليه منه فهو السالك من إسم ألهي إلى إسم ألهي في إسم ألهي وأما السالك منه إليه فهو السالك باسم ألهي من إسم إلى إسم وأما السالك منه لا فيه ولا إليه فهو الذي خرج من عند الله في الكون إلى الكون وأما السالك إليه لا منه ولا فيه فهو الفار إليه في الكون من الكون كفرار موسى عليه السلام وأما السالك لا منه ولا فيه ولا إليه فهو المنتقل في الأعمال الصالحة من الدنيا إلى الآخرة وهم الزهاد غير العارفين وكلما ذكرناه قد يكون على التقسيم الذي تقدم في حرف الباء من أنه سلك بره أو بنفسه إلى نهاية التقسيم فيه وللسلوك مراتب وأسرار يطول النظر فيها ويخرجنا عن المقصود في هذا الكتاب من الاقتصاد والأقتصار على الضروري من العلم الذي يحتاج إليه أهل طريق الله أن يبينه لهم من فتح عليه به من أمثالنا وهذا الكتاب مع طوله وأتساعه وكثرة فصوله وأبوابه ما أستوفينا فيه خاطراً واحداً من خواطرنا في الطريق فكيف الطريق ولا أحللنا بشيء من الأصول التي يعول عليها في الطريق فحصرناها مختصرة العبارة بين أيماء وأيضاح

الباب التسعون ومائة في معرفة المسافر

وهو الذي أسفر له سلوكه عن أمور مقصودة له وغير مقصودة وهو مسافر بالفكر والعمل والأعتقاد

وذلك لعمر الله أمر ينافر

فلا تك ممن للأله يسافر

هو العين ألا أنه العبد حائر

جهولاً فكم عقل عليه يثابر

إلى أين أو من أين أنت مسافر

فضية معقول الدليل وشرعه

ولا تخله من كل كون فإنه

ففيه فسافر لا إليه ولا تكن

أعلم أيدك الله أن المسافر في طريق الله رجلان مسافر بفكره في المعقولات والأعتبارات ومسافر بالأعمال وهم أصحاب اليعملات فمن أسفر له طريقه عن شيء فهو مسافر ويجب عليه قصر الصلاة على الله وهو مخير في الصوم ومن لم يسفر له طريقه عن شيء فهو سالك متصرف في طرق مدينته وشوارعها غير مسافر فليصم وليتم صلاته فلنذكر حالة المسافر في الطريق والله المؤيد والوفيق أن شاء الله المسافر من سافر بفكره في طلب الآيات والدلالات على وجود صانعه فلم يجد في سفره دليلاً على ذلك سوى أمكانه ومعنى أمكانه هو أن ينسب إليه وإلى جميع العالم الوجود فيقبله أو العدم فيقبله فإذا تساوى في حقه الأمران لم تكن نسبة الوجود إليه من حيث ذاته بأولى من نسبة العدم فأفتقر إلى وجود المرحح الذي رجح له أحد الوصفين على الآخر فلما وصل إلى هذا المنزل وقطع هذه المنهلة وأسفرت له عن وجود مرجحه أحدث سفرًا آخر في علم ما ينبغي لهذا الصانع الذي أوجده فأسفر له الدليل على أنفراده بصفات التثريه تنزيه ما هو عليه هذا الممكن من الافتقار وأن هذه المرحح واجب الوجود لنفسه لا يجوز عليه ما جار على هذا الممكن ثم أنتقل مسافرًا إلى منزلة أخرى فأسفر له عن أن هذا الواجب الوجود لنفسه يستحيل عليه العدم لثبوت قدمه وأنه من ثبت قدمه أستحال عدمه لأنه لو كان عدمه لنفسه لما كان واجب الوجود لنفسه ولو أنعدم بمعده فلا بد أن يكون ذلك المعدم له وجوداً أو عدماً محال أن يكون عدماً فبقي أن يكون وجوداً وإذا كان وجوداً فلا بد أن يكون المعدم شرطاً أو ضدًا وأن كل واحد من هذين إما أن يكون واجب الوجود أيضاً لنفسه فمن المحال وجود هذا الذي دل الدليل على وجوب وجوده لنفسه ثم يساق الدليل على مساق الأدلة في المعقولات ثم يسافر في منزلة أخرى إلى أن ينفي عنه كل ما يدل على حدوثه فيحيل أن يكون هذا المرحح جوهرًا متحيزاً أو جسمًا أو عرضاً أو في جهة ثم يسافر في علم توحيد بوجوه العالم وبقائه وصلاحه أذ لو كان معه أله آخر لم يوجد العالم على تقدير الاتفاق والاختلاف كما يعطيه النظر ثم ينتقل مسافرًا أيضاً إلى منزلة تعطيه العلم بما يجب لهذا المرحح من العلم بما أوجده وخلقه والأرادة لذلك ونفوذها وعدم قصورها وعموم تعلق قدرته بأيجاد هذا الممكن وحياة هذا المرحح لأنها الشرط في ثبوت هذه النعوت له وأثبت صفات الكمال من الكلام والسمع والبصر بأنه لو لم يكن على ذلك لكان مؤوفاً لأن القابل لأحد الضدين إذا عرى عن أحدهما لم يعر عن الآخر فإذا عرف هذا سافر إلى منزلة أخرى يعلم منها وتسفر له عن أمكان بعثة الرسل ثم يسافر فيعلم أنه قد بعث رسلاً وأقام لهم الدلالة على صدقهم فيما أدعوه من أنه بعثهم ولما تقرر هذا وكان هو ممن بعث إليه هذا الرسول فآمن به وصدقه وأتبعه فيما رسم حتى أحبه الله فكشف له عن قلبه وطالع عجائب الملكوت وأنتقش في جوهر نفسه جميع

ما في العالم وفر إلى مسافراً من كل ما يبعده منه ويحجبه عنه إلى أن رآه في كل شيء فلما رآه في كل شيء أراد أن يلقي عصا التسيار ويزيل عنه إسم المسافر فعرفه ربه أن الأمر لا نهاية له لا دنيا ولا آخرة وأنت لا تزال مسافراً كما أنت على ذلك لا يستقر بك قرار كما لم تزل تسافر من وجود إلى وجود في أطوار العالم إلى حضرة ألت بربكم ثم لم تزل تنتقل من منزلة إلى منزلة إلى أن نزلت في هذا الجسم الغريب العنصري فسافرت به كل يوم وليلة تقطع منازل من عمرك إلى منزلة تسمى الموت ثم لا تزال مسافراً تقطع منازل البرازخ إلى أن تنتهي إلى منزلة تسمى البعث فتركب مركباً شريفاً يحملك إلى دار سعادتك فلا تزال فيها تتردد مسافراً بينها وبين كثيب المسك الأبيض إلى ما لا نهاية له هذا سفرك بهيكلك وأما في المعارف فمثل ذلك وكذلك لا تزال مسافراً بالأعمال البدنية والأنفاس من عمل إلى عمل ما دام التكليف فإذا أنتهت مدة التكليف فلا تزال مسافراً سفرًا ذاتياً تبعده لذاته لا بأمره سبحانه الذي أسرى بعبده ليلاً فسافر به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ليريه من آياته وقد ذكرنا هذا السفر في جزء لنا سميناه الأسفار عن نتائج الأسفار وقال تعالى في المسافرين أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وقال أو لم يسيروا في الأرض فينظروا ويوم يرجعون إليه فهذا معنى المسافر

الباب الحادي والتسعون ومائة

في معرفة السفر والطريق

وهو توجه القلب إلى الله بالذكر عن مراسم الشرع بالعزائم لا بالرخص ما دام مسافراً

على مراسم دين الله عنوان

عزماً وفيه دلالات وبرهان

معدومة العين والأحوال سلطان

أدنى أتاك به وحي وفرقان

وفي تنزله للكون تبيان

تدعوه مني فلا يحجبك أنسان

في مظهر قيده فيه أركان

توجه القلب بالأنكار مرتحلاً

على التحقق أن القلب في سفر

وكل متصف بالسير راحته

الرب ينزل من عرش إلى فلك

إليك وحدك دون الخلق كلهم

على محبته فينا وصورته

وأنت حق وذاك الحق أنزله

أعلم أيدك الله أن السفر حال المسافر والطريق هو ما يمشي فيه ويقطعه بالمعاملات والمقامات والأحوال والمعارف لأن في المعارف والأحوال الأسفار عن أخلاق المسافرين ومراتب العالم ومنازل الاسماء والحقائق ولهذا أستحقت هذا اللقب وقد مشى الكلام في السالك والسلوك بما قد وقفت عليه والأنسان لما كان مجموع العالم ونسخة الحضرة الألهية التي هي ذات وصفات وأفعال أحتاج إلى مطرق يطرق له السلوك عليها والسفر فيها ليرى العجائب ويقتني العلوم والأسرار فإنه سفر تجارة فكان المطرق الشارع والطريق المطرقة الشريعة فمن سافر في هذه الطريق وصل إلى الحقيقة فثم سفر بحق سفر بخلق فالسفر بالحق على نوعين سفر ذات وسفر صفة

والإنسان الكامل يسافر هذه الأسفار كلها فيسافر بربه عن كشف ألهي ومعية محققة يكون فيها مع الحق كما هو الحق معنا أينما كنا وقد عين سبحانه لنفسه أماكن كما يليق بجلاله ووصف نفسه بترددده فيها فإذا كان العبد معه سافر بسفره فيسافر له أنه هو كما أسفر له أنه ليس هو فالسفر الرباني من العماء إلى العرش فيظهر في العرش بالاسم الرحمن ثم يتزل معه بالاسم الرب كل ليلة إلى السماء الدنيا ثم يتزل بالاسم الأله إلى الأرض ثم يصحبه بالهوية مع كل واحد من الكون ثم يسافر معه بالصحة في سفر الكون ثم يتخلف معه بالخلافة في الأهل ثم يسافر صحة القرآن في سفره من كونه صفة الله إلى السماء الدنيا ثم يصحبه في سفره ثلاثاً وعشرين سنة ثم يصحب الاسماء الألهية في سفرها في الكون ثم يصحبه الكون في سفره من العدم إلى الوجود ثم يصحب الأنبياء في سفرهم فيصحب آدم في سفره من الجنة إلى الأرض ثم يصحبه في سفره في سبعمائة عمرة وثلاثمائة حجة ثم يصحب ادريس في سفره إلى المكان العلي ثم يصحب نوحاً في سفره في سفينة نجاته إلى الجودي ثم يصحب إبراهيم عليه السلام في جميع أسفاره وكذلك كل نبي وملك كأسفار جبريل إلى كل نبي ورسول وكسفر ميكائيل والملائكة بالعروج والتزول وسفر السياحين منهم وسفر الكواكب في سيرها وسفر الأفلاك في حركاتها وسفر العناصر في أستحالاتها وسفر التجلي في صورته إلى أن يقف على حقائق هذا كله ذوقاً من نفسه لا يرتاب ولا يشك ويجرد من ذاته في كل سفر ما يناسب صاحب ذلك السفر من حق وخلق فهذا هو سفر العارفين وطرق العلماء بالله الراسخين

الباب الثاني والتسعون ومائة في معرفة الحال

عناية منه لا كسب ولا طلب

على ثبات فإن الحال تتقلب

فإن قوماً إلى ما قلته ذهبوا

في الحال كان له في حاله عجب

مئين أيامها ما أسدلت حجب

على المئين كذا جاءت به الكتب

الحال مليهب الرحمن من منح

تغير الوصف برهان عليه فكن

ولا تقولن أن الحال دائمة

أبو عقاب أمام سيد سند

دامت عليه إلى وقت البدور من ال

وزاد ميقات موسى في أقامته

الحال عند الطائفة ما يرد على القلب من غير تعمل ولا اجتلاب فتتغير صفات صاحبه له واختلف في دوامكه منهم من قال بدوامه ومنهم من منع دوامه وأنه لا بقاء له سوى زمان وجوده كالعرض عند المتكلمين ثم يعقبه الأمثال فيتخيل أنه دائم وليس كذلك وهو الصحيح لكنه ينو إلى من غير أن يتخلل الأمثال ما يخرج عنه فمنهم من أخذه من الحلول فقال بدوامه وجعله نعتاً دائماً غير زائل فإذا زال لم يكن حالاً وهذا قول من يقول بدوامه قال بعضهم ما أقامني الله منذ أربعين سنة في أمر فكرهه قال الامام أشار إلى دوام الرضى وهو من جملة الأحوال هذا الذي قاله بعضهم ما أقامني الله في ظاهره ولا في باطنه في طريق الله بعيد وإنما الذي ينبغي أن يقال في قول هذا السيد أنه أقام أربعين سنة ما أقامه الله في ظاهره ولا في باطنه في حال مذموم شرعاً بل لم تزل أوقاته عليه محفوظة بالطاعات وما يرضى الله ولقد لقيت شخصاً صدوقاً صاحب حال على قدم أبي يزيد البسطامي بل أمكن في شغله له أدلال في أدب

فقال لي يوماً خمسون سنة ما خطر لي في نفسي خاطر سوء يكرهه الشرع فهذه عصمة إلهية فيكون كلام ذلك السيد من هذا القبيل والأحوال مواهب لا مكاسب اعلم أن الحال نعت إلهي من حيث أفعاله وتوجهاته على كائنات وإن كان واحد العين لا يعقل فيه زائد عليه قال تعالى عن نفسه كل يوم هو في شأن وأصغر الأيام الزمن الفرد الذي لا يقبل القسمة فهو فيه في شؤون على عدد ما في الوجود من أجزاء العالم الذي لا ينقسم كل جزء منه بهذا الشرط فهو في شأن مع كل جزء من العالم بأن يخلق فيه ما يبقيه سوى ما يحدثه مما هو قائم بنفسه في كل زمان فرد وتلك الشؤون أحوال المخلوقين وهم المحال لوجودها فيهم فإنه نفهم يخلق تلك الشؤون دائماً فلا يصح بقاء الحال زمانين لأنه لو بقي زمانين لأنه لو بقي زمانين لم يكن الحق في حق من بقي عليه الحال خلافاً ولا فقير إليه وكان يتصف بالغنى عن الله وهذا محال وما يؤدي إلى المحال محال وهذا مثل قول القائلين بأن العرض لا يبقى زمانين وهو الصحيح والأحوال اعراض تعرض للكائنات من الله يخلفها فيهم عبر عنها بالشأن الذي هو فيه دنيا وآخر هذا أصل الأحوال الذي يرجع إليه في الإلهيات فإذا خلق الله الحال لم محل إلا الذي يخلقفه فيه فيحل فيه زمان وجوده فلهذا اعتبره من الحلول وهو التزول في المحل وقد وجد ثم أنه ليس من حقيقته أن يبقى زمانين فلا بد أن ينعدم في الزمان الثاني من زمان وجوده لنفسه لا ينعدم بفاعل يفعل فيه العدم لأن العدم لا يفعل لأنه ليس شيئاً وجودياً ولا بانعدام شرط ولا بضد لما في ذلك كله من المحال فلا بد أن ينعدم لنفسه أي العدم له في الزمان الثاني من زمان وجوده حكم لازم والمحال لا بقاء له دونه أو مثله أو ضده فيفتقر في كل زمان إلى ربه في بقاءه فيوجد له الأمثال أو الأضداد فإذا أوجد الأمثال يتخيل أن ذلك الأول على أصله باق وليس كذلك وإذا كان الحق كل يوم في شأن وكل شأن عن توجه إلهي والحق قد عرفنا بنفسه أنه يتحزل في الصور فلكل شأن يخلقه صورة إلهية فلهذا ظهر العالم على صورة الحق ومن هنا نقول أن الحق علم نفسه فعلم العالم فمثل هذا اعتبر من اعتبر الحال من التحول والاستحالة فقال بعدم الدوام فما يزال العالم مذ خلقه الله إلى غير نهاية في الآخرة والوجود في الأحوال تتوالى عليه الله خلقها دائماً بتوجيهات إدارية تصحبها كلمة الحضرة المعبر عنها بكن فلا تزال الإدارة متعلقة وهو المتوجه ولا تزال كن ولا يزال التكوين هكذا هو الأمر في نفسه حقاً زخلقاً وقد يطلقون الحال ويريدون به ظهور العبد بصفة الحق في التكوين ووجود الآثار عن همته وهو التشبه بالله المعبر عنه بالتخلق بالأماء وهو الذي يريده أهل زماننا اليوم بالحال ونحن نقول به ولكن لا نقول بأثره لكن نقول أنه يكون العبد متمكناً منه بحيث لو شاء ظهوره لظهر به لكن الأدب يمنعه لكونه يريد أن يتحقق بعبوديته ويستتر بعبادته فلا ينكر عليه أمر بحيث إذا رأى في غاية الضعف ذكر الله عند رؤيته فذلك عندنا ولي الله فيكون في الكون مرحمة وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم في أولياء الله أنهم الذين إذا رؤوا ذكر الله من صبرهم على البلاء ومحنة الله لهم الظاهرة فلا يرفعون رؤسهم لغير الله في أحوالهم فإذا رأى منهم مثل هذه الصفة ذكر الله بكونه اختصهم

لنفسه ومن لا علم له بما قلناه يقول الولي صاحب الحال الذي إذ رأى ذكر الله هو الذي يكون له التكوين والفعل باهمة والتحكم في العالم والقهر والسلطان وهذه كلها أوصاف الحق فهؤلاء هم الذين إذا رؤوا ذكر الله وهذا قول من لا علم له بالأمور وإن مقصود الشارع إنما هو ما ذكرناه وأما هذا القول الآخر فقد ينال التحكم في العالم بالهمة من لا وزن له عند الله ولا قيمة وليس بولي وإنما سئل النبي وأجاب بهذا عن أولياء الله فقيل له من أولياء الله فقال الذين إذا رؤوا ذكر الله لما طحتهم البلايا وشملتهم الرزايا فلا يتزلزلون ولا يلجئون لغير الله رضى بما أجراه الله فيهم وأراد بهم فإذا رأهم العامة على مثل هذا الصبر والرضى وعدم الشكوى للمخلوقين ذكرت العامة الله وعلمت أن الله بهم عناية وأصحاب الآثار قد يكونون أولياء وقد تكون تلك الآثار التكوينية عن

موازين معلومة عندنا وعند من يعرف هم النفوس وقوتها وفعل إجرام العالم لها ومن خالط العزائية ورأى ما هم عليه من عدم التوفيق مع كونهم يقتلون بالهمة ويعزلون ويتحكمون لقوة همهم وأيضاً لما في العالم من خواص الاسماء التي تكون عنها الآثار التكوينية عند من يكون عنده علم ذلك مع كون ذلك الشخص مشركاً بالله فما هو من خصائص أولياء الله تعالى التأثير في الكون فما بقي إلا ما ذكرناه

الباب الثالث والتسعون ومائة في معرفة المقام

إن المقام من الأعمال يكتسب	له العمل في التحصيل والطلب
به يكون كمال العارفين وما	يريدهم عنه لا ستر ولا حجب
له الدوام وما في الغيب من عجب	الحكم فيه له والفصل والندب
هو النهاية والأحوال تابعة	وما يجليه إلا الكدر والنصب
إن الرسول من أجل الشكر قد ورمت	أقدامه وعلاه الجهد والتعب

اعلم أن المقامات مكاسب وهي استيفاء الحقوق المرسومة شرعاً على التمام فإذا قام العبد في الأوقات بما تعين له عيه به المعاملات وصنوف المجاهدات والرياضات التي أمره الشارع أن يقوم بها وعين نعوها وأزمانها وما ينبغي لها وشروطها التمامية والكمالية الموجبة صحتها فحينئذ يكون صاحب مقام حيث أنشأ صورته كما أمر كما قيل له أقيموا الصلاة فأقاموا نشأتها صورة كاملة فخرجت طائراً ملكاً روحاً مقدساً فلم يكن له استقرار دون الحق ثم ينتقل هذا العبد إلى مقام آخر لينشئ أيضاً صورته وبهذا يكون العبد خلافاً هذا معنى المقام لم يختلف أحد من أهل الله أنه ثابت غير زائل كما اختلفوا في الحال وليس الأمر عندنا على إطلاق ما قالوه بل يحتاج إلى تفصيل في ذلك وذلك لأختلاف حقائق المقامات فإنها ما هي على حقيقة واحدة فمن المقامات ما هو مشروط بشرط فإذا زال الشرط زال كالورع لا يكون إلا في المحذور أو المتشابه فإذا لم يوجد أحدهما أو كلاهما فلا ورع فكذلك الخوف والرجاء والتجريد الذي هو قطع الأسباب وهو ظاهر التوكل عند العامة ومن المقامات ما هو ثابت إلى الموت ويزول كالتوبة ومراعاة التكليفات المشروعة ومن المقامات ما يصاحب العبد في الآخرة إلى أول دخول الجنة كبعض المقامات المشروطة من الخوف والرجاء ومن المقامات ما يدخل معه الجنة كمقام الإنس والبسط والظهور بصفات الجمال فالمقام هو ما يكون للعبد فيه إقامة وثبات وهو عنده لا يبرح فإن كان مشروطاً وجاء شرطه أظهره ذلك الوقت لوجود شرطه فهو عنده معد فلذلك قيل فيه أنه ثابت لا أ،ه يستعمل في كل وقت فافهم

الباب الرابع والتسعون ومائة في معرفة المكان

نفى المقام هو المكان وأنه	للثربي بسورة الأحزاب
من كان فيه يكون مجهولاً لذا	ما نا له أحد بغير حجاب

رب المكان هو الذي يدعى إذا

دعى الرجال بسيد الأحاباب

وله الوسيلة لا تكون لغيره

وهو المقدم من أولى الألباب

وهو الامام وما له من تابع

وهو المصرف حاجب الحجاب

قال تعالى يا أهل يثرب لا مقام لكم وقال تعالى في ادريس ورفعناه مكاناً عليا والمكان نعت إلهي في العموم والخصوص أما في العموم فقلوه "الرحمن على العرش استوى" وأما في الخصوص فقلوه "وسعني قلب عبدي المؤمن" وأما عموم العموم فإن يكون بحيث أنت وهو قوله "وهو معكم أينما كنتم فذكر الأينية والمكان في الذوات كالمكانة في المراتب والمكان عند القوم منزلة من البساط هي لأهل الكمال الذين جازوا المقامات والأحوال واجلال والجمال فلا صفة لهم ولا نعت ولا مقام كأبي يزيد اعلم أن عبور المقامات والأحوال هو من خصائص المحمدين ولا يكون إلا لأهل الأدب جلساء الحق على بساط الهيبة مع الإنس الدائم لأصحابه الاعتدال والثبات والسكون غير أن لهم سرعة الحركات في الباطن في كل نفس فترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب أن تجلى لها الحق في صورة محدودة أطرقوا فرأوا في إطراقهم مقلبا أحوالهم على غير الصورة التي تجلى لهم فيها فأورثهم الإطراق فهم بين تقييد وإطلاق لا مقام يحكم عليهم فإنه ما ثم فهم أصحاب مكان في بساط النشأة وهم أصحاب مكانة في عدم القرار فهم من حيث مكانتهم متنوعون ومن حيث مكانهم ثابتون فهم بالذات في مكانهم وهم بالاسماء الإلهية في مكانتهم فمن الاسماء لهم المقام المحمود والمكانة الزلفى في اليوم المشهود والزور والوفود ومن الذات لهم المكان المحدود والمعنى المقصود والثبات على الشهود وحالة الوجود ورؤيته في كل موجود في سكون وخود يشهدونه في العماء بالعين التي يشهدونه بها في الاستواء بالعين التي يشهدونه بها في السماء الدنيا بالعين التي يشهدون بها في الأرض بالعين التي يشهدونه بها في في المعية بالعين التي يشهدونه بها في ليس كمثلته شئ وهذا كله من نعوت المكان وأما شهودهم من حيث المكانة فتختلف عيونهم باختلاف النسب فالعين التي يشهدونه بها في كذا ليست العين التي يشهدونه بها في أمر آخر والمشهود في عين واحدة والشاهد من عين واحدة والنظرة تختلف باختلاف المنظور إليه فمننا من يرى اختلاف النظر وكل له شرب معلوم فالمكان يطلب فرغ ربك والمكانة تطلب كل يوم هو في شان وسنفرغ لكم أيه الثقلان فجاء بلفظ الثقلين أعلاماً من خاطب ومن يريد ونحن مركبون من ثقليل وخفيف فالخفيف للمكانة "الرحمن على العرش استوى" فثبتت الرحمة فلم تنزل وأثرت في التزلول إلى السماء الدنيا فما نزل ليسلط عذاباً وإنما نزل ليقبل تائباً ويوجب داعياً يغفر لمستغفر ويعطي سائلاً فذكر هذا كله ولم يذكر شيئاً من القهر لأنه نزل من عرش الرحمن فالمكان رحمة حيث كان لأن فيه استقرار الأجسام من تعب الانتقال ألا تراه في حال العذاب كيف وصفهم بالانتقال بتبديل الجلود والتبديل انتقال إلى أن يفرغ الميقات والأمر الحقيقي للمكانة فإنه لا يصح الثبوت على أمر واحد في الوجود فالمكان ثبوت في المكانة كما نقول في التمكن أنه تمكن في التلوين لا أن التلوين يضاد التمكن كما يراه من لا علم له بالحقائق وللتمكن باب يرد بعد هذا أن شاء الله

الباب الخامس والتسعون ومائة في معرفة الشطح

لبقية فيها من آثار الهوى

الشطح دعوى في النفوس بطبعها

اعلم أيديك الله أن الشطح كلمة دعوى بحق تفصح عن مرتبته التي أعطاه الله من المكانة عنده أفصح بها عن غير أمر إلهي لكن على طريق الفخر بالراء فإذا أمر بها فإنه يفصح بها تعريفاً عن أمر إلهي لا يقصد بذلك الفخر قال عليه السلام أنا سيد ولد آدم ولا فخر يقول ما قصدت الإفتخار عليكم بهذا التعريف لكن أنبأتكم به لمصالح لكم في ذلك ولتعرفوا منه الله عليكم برتبة نبيكم عند الله والشطح زلة المحققين إذا لم يؤمر به فيقول لها كما قال لها عليه السلام ولهذا بين فقال ولا فخر فإني أعلم أي عبد الله كما أنتم عبيد الله والعبد لا يفتخر على العبد إذا كان السيد واحد وكذا نطق عيسى فبدأ بالعبودية وهو بمثلة قوله عليه السلام ولا فخر فقال لقومه في براءة أمه ولما علم من نور النبوة التي في أستعداده أنه لا بد أن يقال فيه أنه ابن الله فقال أي عبد الله فبدأ في أول تعريفه وشهادته في الحال الذي لا ينطق مثله في العادة فما أنا ابن لأحد فأمي طاهرة بتول ولست بابن لله كما أنه لا يقبل الصاحبة لا يقبل الولد ولكني عبد الله مثلكم آتاني الكتاب وجعلني نبياً فنطق بنبوته في وقتها عنده وفي غير وقتها عند الحاضرين لأنه لا بد له في وقت رسالته أن يعلم بنبوته كما جرت عادة الله في الأنبياء قبله فهم مأمورون بكل ما يظهر عليهم ومنهم من الدعاوي الصادقة التي تدل على المكانة الزلفى والتميز عن الأمثال والأشكال بالمرتبة المثلى عند الله وجعلني مباركاً أي محلاً وعلامة على زيادات الخير عندكم أينما كنت يعني في كل حال من الأحوال ما تختص البركة بسبي فيكم في حال دون حال وذكرها كلها بلفظ الماضي وهو يريد الحال والأستقبال فما كان منه في الحال فنطقه شهادة براءة أمه وتبنيها وتعليماً لمن يريد أن يقول فيه أنه ابن الله فتره الله وهو نظير براءة أمه مما نسبوا إليها فهو في جنات الحق تتزيه وفي جنات الأم تبرئة ويدل لفظ الماضي فيه وأينما كنت أن يكون له التعريف بذلك من الله كما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم لما قال كنت نبياً وآدم بين الماء والطين فعلم مرتبته عند الله وآدم ما وجدت صورته البدنية وأعلم عيسى بلفظ الماضي أن الله آتاه الكتاب وأوصاه بالصلاة والزكاة ما دام في عالم التكليف والتشريع وهو قوله ما دامت حياً يريد حياة التكليف في ظاهر الأمر عند السامعين ويريد عندنا هذا وأمرأ آخر وهو قوله تعالى في عيسى "أنه كلمة الله" والكلمة جمع حروف وسيأتي علم ذلك في باب النفس بفتح الفاء فأخبر أنه آتاه الكتاب يريد الإنجيل ويريد مقام وجوده من حيث ما هو كلمة والكتاب ضم حروف رقمية لأظهار كلمة أو ضم معنى إلى صورة حرف يدل عليه فلا بد من تركيب فلهذا ذكر أن الله أعطاه الكتاب مثل قوله "أعطي كل شيء خلقه" ويريد بالوصية بالصلاة والزكاة العبادة كما تدل على العمل هي على العبادة أدل لأنها لا تفتقر في كونها عبادة إلى بيان وإذا أريد بها العمل أحتيج إلى تعيين ذلك العمل وبيان صورته حتى يقيم نشأته هذا المكلف به فإذا كانت العبادة دل على أنه لا يزال حياً أينما كان وأن فارق هذا الهيكل بالموت فالحياة تصحبه لأنها صفة نفسية له ولا سيما وقد جعله روح الله ثم ذكر أنه بر بوالدته أي محسن إليها فأول أحسانه أنه برأها مما نسب إليها في حالة لا يشكون في أنه صادق في ذلك التعريف ثم تم فقال ولم يجعلني جباراً فإن الجبروت وهو العظمة يناقص العبادة وهو قوله أنه عبد الله ويريد بقوله جباراً أي لا أجبر الأمة التي أرسل إليها بالكتاب والصلاة والزكاة أنما أنا مبلغ عن الله لا غير لست عليهم بمسيطر فأكون جباراً فأجبر وأبلغ عن الله كما قال "يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك" وما على الرسول ألا البلاغ أنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر فقلوه مذكر والمذكر لا يكون ألا لمن كان على حالة منسية ولو لم يكن كذلك لكان معلماً لا مذكراً فدل أنه لا يذكرهم ألا بحال

أقرارهم بربوبيته تعالى عليهم حين قبض الذرية من ظهر آدم في الميثاق الأول ثم قال "والسلام علي يوم ولدت". بما نطقت فيكم به من أي عبد الله فسلمت من أنتساب وجودي إلى سفاح أو نكاح "ويوم أموت" فأسلم من وقوع القتل الذي ينسب إلى من يزعم أنه قتلني وهو قول بني إسرائيل أنا قتلنا المسيح ابن مريم فأكذبهم الله فقال "وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم" فقال لهم أن السلام عليه يوم يموت سالماً من القتل أذ لو قتل قتل شهادة والشهيد حي غير ميت ولا يقال فيه أنه ميت كما ورد النهي عن ذلك عندنا وكذلك لم يزل الأمر فأخبر أنه يموت ولا يقتل فذكر السلام عليه يوم يموت ثم ذكر أن السلام عليه يوم يبعث حياً يعني في القيامة وهو موطن سلامة الأبرياء من كل سوء مثل الأنبياء وغيرهم من أهل العناية فهو صاحب سلامة في هذه المواطن كلها وما ثم موطن ثالث ما هي ألا حياة دنيا وحياة أخرى بينهما موت فهذه كلها لو لم تكن عن أمر ألهي لكانت من قائلها شطحات فإنها كلمات تدل على الرتبة عند الله على طريق الفخر بذلك على الأمثال والأشكال وحاشا أهل الله أن يتميزوا عن الأمثال أو يفتخروا ولهذا كان الشطح رعونة نفس فإنه لا يصدر من محقق أصلاً فإن المحقق ما له مشهود سوى ربه وعلى ربه ما يفتخر وما يدعي بل هو ملازم عبوديته مهياً لما يرد عليه من أوامره فيسارع إليها وينظر جميع من في الكون بهذه المثابة فإذا شطح فقد أتجرب عما خلق له وجهل نفسه وربه ولو أنفعل عنه جميع ما يدعيه من القوة فيحيي ويميت ويولي ويعزل وما هو عند الله. يمكن بل حكمه في ذلك حكم الدواء المسهل أو القابض يفعل بخاضية الحال لا بالمكانة عند الله كما يفعل الساحر بخاضية الصنعة في عيون الناظرين فيخطف أبصارهم عن رؤية الحق فيما أتوا به وكل من شطح فعن غفلة شطح وما رأينا ولا سمعنا عن ولي ظهر منه شطح لرعونة نفس وهو ولي عند الله ألا ولا بد أن يفتقر ويدل ويعود إلى أصله ويزول عنه ذلك الزهو الذي كان يصول به فذلك لسان حال الشطح هذا إذا كان بحق هو مذموم فكيف لو صدر من كاذب فإن قيل وكيف صورة الكاذب في الشطح مع وجود الفعل والأثر منه قلنا نعم ما سألت عنه أما صورة الكاذب في ذلك فإن أهل الله ما يؤثرون ألا بالحال الصادق إذا كانوا أهل الله وذلك المسمى شطحاً عندهم حيث لم يقترب به أمر ألهي أمر به كما تحقق ذلك عن الأنبياء عليهم السلام فمن الناس من يكون عالماً بخواص الاسماء فيظهر بها الآثار العجيبة والأنفعالات الصحيحة ولا يقول أن ذلك عن أسماء عنده وأما يظهر ذلك عند الحاضرين أنه من قوة الحال والمكانة عند الله والولاية الصادقة وهو كاذب في هذا كله وهذا لا يسمى شطحاً ولا صاحبه شاطحاً بل هو كذب محض ممقوت فالشططح كلمة صادقة صادرة من رعونة نفس عليها بقية طبع تشهد لصاحبها ببعده من الله في تلك الحال وهذا القدر كاف في حال معرفة الشطح

الباب السادس والتسعون ومائة في معرفة الطوالع

فطوالع التوحيد ما لا تبصر

فبه المحنك ذو الحجي يتحير

بمجنه يلقي فلا يتأثر

فبه يراه وعينه لا تبصر

فهي الوجود وما سواها مظهر

لا تنتظرون إلى طوالع نوره

لو أبصرتها كان شرك ثابتاً

أن المجرب للأمور هو الذي

ومجنه نصر الألة فعينه

الطمس رفع الحكم ليس ذهابه

الطوالع عند الطائفة المصطلح عليها أنوار التوحيد تطلع على قلوب العارفين فتطمس سائر الأنوار وهذه أنوار الأدلة النظرية لا أنوار الأدلة الكشفية النبوية فالطوالع تطمس أنوار الكشف وذلك أن التوحيد المطلوب من الله الذي طلبه من عباده وأوجب النظر فيه أما هو توحيد المرتبة وهو كونه ألهاً خاصة فلا أله غيره وعلى هذا يقوم الدليل الواضح وعند بعض العقول فضول من أجل القوى التي هي آلاته فتعطيه في بعض الأمزجة أمزجة تراكيبها فضولاً يؤديه لا يؤديه ذلك الفضول إلى النظر في ذات الله وقد حجر الشرع التفكير في ذات الله فزل هذا العقل في انظر في ذلك وتعدى وظلم نفسه فأقام الأدلة على زعمه وهي أنوار الطوالع على أن ذات الإله لا ينبغي أن تكون كذا ولا أن تكون على كذا ونفت عنه جميع ما ينسب إلى المحدثات حتى يتميز عندها فجعلته محصوراً غير مطلق بما دلت عليه أنوار أدلته ثم عدلت بعد ذلك إلى الكلام في ذوات صفاته فاختلف في ذلك أشعة أنوارهم أعني طرق أدلتهم على ما ذكرنا في علم النظر ثم عدلوا إلى النظر في أفعاله فاختلفوا في ذلك بحسب اختلاف أشعة أنوارهم مما قد ذكر وستر وليس هذا الكتاب بمحل لما تعطيه أدلة الأفكار فإنه موضوع لما تعطيه الكشف الإلهي فلهذا لم نسردها على ما قررها أهلها في كتبهم ثم عدلوا إلى انظر في السمعيات وهو علمنا الذي يعول عليه في الحكم الظاهر ونأخذ بالكشف الإلهي عند التعامل بالتقوى فيتولى الله تعليمنا بالتجلي فنشهد ما لا تدركه العقول بأفكارها مما ورد به السمع وأحاله العقل وتأوله عقل المؤمن وسلمه المؤمن الصرف فجاءت أنوار الكشف بأن هذه الذات التي حجر التفكير فيها فرأيناها على النقيض مما دلت عليه العقول بأفكارها فيشاهد صاحب الكشف يمين الحق ويده ويديه والعين والأعين المنسوبة إليه والقدم والوجه ثم من النعوت الفرح والتعجب والضحك والتحول من صورة إلى صورة هذا كله شاهده فالله الذي يعبد المؤمنون وأهل الشهود من أهل الله ما هو الذي يعبد أهل التفكير في ذات الله فحرموا العلم لكونهم عصوا الله ورسوله في أن فكروا في ذات اله وتعدوا مرتبة الكلام والنظر في كونه ألهاً واحداً إلى ما لا حاجة لهم به وقد فعل ذلك من ينتمي إلى الله كأبي حامد وغيره وهي مزلة قدم وإن كان جعل ذلك سترًا له فإنه قد نبه في مواضع على خلاف ما أثبتته وبالجملة أساء الأدب فمن حكم على نفسه فكره ونظره وأدخل عقله تحت سلطان نظره في ذلك وتخيل أنه على نور من ربه في نظره فطمس بأنوار أدلته أعين أنوار ما جاء به أهل الشهود والكشف فما جاء من ذلك عن رسول وني في كتاب أو سنة وكان صاحب هذه الأنوار النظرية مؤمناً صادقاً في إيمانه تأول ذلك في حق الرسول حتى لا يرجع عن النظر بنور فكره لأن اعتماد عليه وهو الذي أنشأ في نفسه رباً يعبد كما ينبغي لنظره فعبد عقله ثم أنه نقل الأمر في التأويل لقصوره من التشبيه بالإجسام لحدوثها إلى التشبيه بالمعاني المحدثه أيضاً فما انتقل إلى محدث فكان فضيحة الدهر عند المؤمنين والذين شاهدوا الأمر على ما هو عليه وأصل ذلك كله أنه نتيجة عن معصية الله إذ قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى عن التفكير في ذات الله فلم يفعل جعلنا الله وإياكم من أهل الشهود والوجود فياليت هذا المؤمن إذا لم يكن من أهل الشهود أن يسلم الأمر إلى الله على علم الله فيه ولا تتعدى وأما إذا جاء بمثل هذه العلوم غير الرسول عند هذا الناظر كفره وزندقه وجهله وبهذا بعينه آمن به لما جاء به الرسول فأبي حجاب أعظم من هذا الحجاب فيقول له الأمر على كذا فيقول هذا كفر فإذا قلت له كذا ورد في الصحيح عن النبي عليه السلام ما هو قولي سكوت وقال بعد أن جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فله تأويل ننظر فيه فلا يقبله ذلك القبول لولا وائحة هذا النظر الذي يرجوه في تأويله فما أبعدته عن الحق المبين وقد يريد أصحابنا بالطوائع طوالع أنوار الشهود فتطمس أنوار الأدلة

النظرية فما كان يفنيه عقلاً مجرداً عاد يثبت كشفاً ولم يبق لذلك النور الفكري في عقله عيناً ولا أثراً ولا جعل له عليه سلطاناً فهذا معنى الطوالع

الباب السابع والتسعون ومائة في معرفة الذهاب

قلوب العاشقين لها ذهاب إذا هي شاهدت من تراه

وذا من أعجب الأشياء فينا
دليلي إذ يقول رميت عبدي
نراه وما نراه إذا نراه
فلا تعجب فما الرامي سواء
لأمر في حنين قد دهاء
كذا قد جاء في القرآن نصاً

حال الذهاب عند الطائفة غيبة القلب عن حس كل محسوس بمشاهدة المحبوب وذلك يا ولي أن القلب والباطن لا يتمكن للعارف فكيف للمحب أن يمر عليه نفس ولا حال لا يكون المحبوب فيه مشهود إله بعين قلبه ووجوده وما بقي حجاب إلا في الحس بإدراكه المحسوسات حيث يراها ليست عين محبوبه فيحجبه فيطلب اللقاء لأجل هذا الحجاب فإذا ذهب المحسوس عن حسه في ظاهر الصورة كما يذهب في حق النائم انصرف الحس إلى الخيال فرأى مثال محبوبه في خياله وقرب من قلبه فرآه من غير مثال لأن الخيال ما بينه وبين المعنى واسطة ولا درجة كما أنه ليس بينه وبين المحسوس واسطة ولا درجة فهو واسطة العقد إليه يتزل المعنى وإليه يرتفع المحسوس فهو يلقي الطرفين بذاته فإذا انتقل العارف أو المحب من المحسوس إلى الخيال قرب من معنى المحبوب فشاهده في الخيال ممثلاً ذا صورة وشاهده وهو في الخيال لما عدل بنظرة إلى حضرة المعاني المجاورة لحضرة الخيال عاين المعنى مجرداً عن المثل لوالصورة ثم نظر إلى المثل وإلى المحسوس أنه غير صورة محبوبه بل كل محسوس صورة محبوبه ولا بد فذهب عنه صورة المحسوس أنها غير صورة محبوبه فصار المحسوسات كلها أنها صورة عين محبوبه فلا يزال في اتصال دائم في عالم الحس وفي حضرة الخيال وفي حضرة المعاني فله الذهاب في هذه الحضرات كلها وصارت مذهباً له حتى نفسه في جملة الصور ولهذا يقول

أنا من هوى ومن أهوى أنا

ومثل هذا قلنا في قصيدة

أنا محبي أنا حبيبي أنا فتاى أنا فتاتي

وقد قلنا في هذا الباب أيضاً من قصيدة

فإنني ما عشقت غيري فعين فصلى هو اتصالي

الباب الثامن والتسعون ومائة في معرفة النفس بفتح الفاء

نفس الأكوان من نفسه وهو وحي الحق في جرسه

وكلام الحق شاهده

أن موسى قبل أبصره

معدن الراحة فيه فمن

أثر في الكون من نفسه

في اشتعال النار في قبسه

ناظر فيه وفي حرسه

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يعرف بعصوته من الناس وهو قوله والله يعصمك من الناس إذا نزل منزلاً يقول من يجرسنا الليلة مع كونه يعلم أن الله على كل شيء حفيظ وقال عليه السلام لما اشتد عليه كرب ما يلاقي من الأضداد أن نفس الرحمن يأتيني من قبل اليمن فكانت الأنصار اعلم أن الموجودات كلمات الله التي لا تنفذ قال تعالى في وجود عيسى عليه السلام أنه كلمته ألقاها إلى مريم وهو عيسى عليه السلام فلماذا قلنا أن الموجودات كلمات الله من حيث الدلالة السمعية إذ كان لا يصدقنا كل أحد فيما ندعي فيه الكشف أو التعريف الإلهي والكلمات المعلومة في العرف إنما تتشكل عن نظم الحروف من النفس الخارج من المتنفس المتقطع في المخارج فيظهر في ذلك التقاطع أعيان الحروف على نسب مخصوصة فتكون الكلمات وبعد أن نبهتك على هذا لتجعل بالك لما نورد في هذا الباب فاعلم أن الله سبحانه ما استواء على أعظم المخلوقات أحاطة من عالم الأجسام فإن الآلام ليس محلها إلا التركيب وأما البسائط فلا تقبل في ذاتها قيام معنى بها بل هي عين المعنى يدل على شمول الرحمة للعالم وأن طرأت عوارض البلايا فإنها رحمة كما ذكرنا في شرب الدواء الكريه ليس المقصود منه عذاب من شربه ولا أيلامه وإنما المقصود من استعماله ما يؤل إليه من استعماله من الراحة والعافية ثم اعلم بعد هذا أن الحق تسمى بالظاهر والباطن فالظاهر للصور التي يتحول فيها والباطن للمعنى الذي يقبل ذلك التحول والظهور في تلك الصور فهو عالم الغيب من كونه الباطن والشهادة من كونه الظاهر وقد أعلمتك أن العالم نسخة إلهية على صورة حق ولذلك قلنا علم الله بالأشياء علمه بنفسه فلذلك حكمنا عليه بالصورة وبذا وردت الاسماء الإلهية وورد في الصحيح أن الله خلق آدم على صورته وهو الإنسان الكامل المختصر الظاهر بحقائق الكون كله حديثه وقديمه وجعل سبحانه النفس يخرج من القلب للأمر الذي قد علم وقررناه فيجد المخارج إذا قصد المتنفس الكلام وإن لم يقصدج الكلام كان النفس بالحرف الهاوي خاصة وما هو عندنا من الحروف وهو يهوى على ثلاث مراتب هو يا ذاتياعبر عنه بالألف وهو المسمى عند القراء الحرف الهاوي فإذا مر بالأرواح العلوية في هويته حدث له منها واو العلة وهو امتداد الهواء من المتنفس عن ضم الحرف وهو اشباع حركة الضم وإذا مر بالأجسام الطبيعية السفلية في هويته حدث له من ذلك ياء العلة وهو امتداد الهواء من المتنفس عن خفض الحرف وهو اشباع حركة الخفض لأن الخفض من العالم الأسفل وما لهذا النفس في هويته أكثر من هذه الثلاث المراتب فاعلم ذلك فحدثت رسالة الملك بالواو والمضموم ما قبلها وحدثت رسالة البشر بالياء المكسورة ما قبلها وكان الألف على الأصل عن الله وهو سبب الأسباب كلها ولما ذكر الله عن نفسه أنه الظاهر وأنه الباطن وأن له كلاماً وكلمات ذكر أن له نفساً من الاسم الرحمن الذي به استوى على العرش فاسأل به خبيراً وهو العارف من عباد الله من نبي وغيره ممن شاء الله من عباده لأنه قال يؤتى الحكمة من يشاء فنكر الأمر ولم يعرفه فهو نكرة في معرفة يعلمها هو لا غيره لأن الأمور معينة عنده مفصلة ليس في حقه اجمال ولا يصح ولا مبهم مع علمه بالجمل في حق من يكون في حقه الأمر مجملاً ومبهماً وغير ذلك فلما علمنا أن له نفساً وأنه الباطل وأن له كلاماً وأن الموجودات كلماته علمنا أن الله ما أعلمنا بذلك الإنقف على حقائق الأمور باناً على الصورة فنقبل جميع ما تنسبه الإلهوية

إليها على ألسنة رسلها وكتبها المترلة وجعل النطق بالإنسان على أتم الوجود فجعل له ثمانية وعشرين مقطعاً للنفس يظهر في كل مقطع حرفاً معيناً ما هو عين الآخر ميزه المقطع مع كونه ليس غير النفس فالعين واحدة من حيث أنها نفس وكثيرة من حيث المقاطع وجعلها ثمانية وعشرين لأن العالم على ثمانية وعشرين من المنازل التي تجول السيارة فيها وفي بروجها وهي أمكنتها من الفلك المستدبر كأمكنة المخارج للنفس لإيجاد العالم وما يصلح له ولكل عالم أعطت هذه المقاطع التي أظهرت أعيان الحروف ثم قسم هذه المقاطع إلى ثلاثة أقسام قسم أقصى عن الطرف الأقصى الآخر فالأقصى الواحد يسمى حروف الحلق وهو على طبقات والأقصى الثاني حروف الشفتين وما بينهما حروف الوسط فإن الحضرة الإلهية على ثلاث مراتب باطن وظاهر ووسط وهو ما تميز به الظاهر عن الباطن وينفصل عنه وهو البرزخ فله وجه إلى الباطن ووجه إلى الظاهر بل هو الوجه عينه فإنه لا ينقسم وهو الإنسان الكامل أقامه الحق برزخاً بين الحق والعالم فيظهر بالاسماء الإلهية فيكون حقاً ويظهر بحقيقته الإمكان فيكون خلقاً وجعله على ثلاث مراتب عقل وحس وهما طرفان وخيال وهو البرزخ الوسط بين المعنى والحس فلما عرفنا الله أنه باطن وظاهر وله نفس وكلمة وكلمات نظرنا ما ظهر من ذلك ولم ينسب إلى ذاته النفس وما يحدث عنه فقلنا عين النفس هو العماء فإن نفس المتنفس المقصود بالعبارة عنه ما يتزل متزلة الريح وإنما يتزل متزلة البخار فالنفس هذا حقيقته حيث كان فكان عنه العماء كما يحدث العماء عن بخار رطوبات الأركان فيصعد ويعلو فيظهر منه العماء أولاً ثم بعد ذلك يكثف والهواء يحمله والريح تسوقه فما هو عين الهواء وإنما هو عين البحار ولذلك جاء في صفة العماء الذي كان فيه ربنا قبل خلق الخلق أنه عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء فذكر أن له فوق وهو كون الحق فيه والتحت وهو كون العالم فيه فلم يكن ثم غير نفس الحق ففيه يكون الهواء وجرت الرياح ما بين زعزع ورخاء وهي الحروف الشديدة والرخوة وظهر عن هذا النفس أصوات الرعود كالحروف المهجورة وهبوب النسيم وهي الحروف المهموسة وظهرت الطباق في الأفلاك كالحروف المطبقة من تنفس الإنسان بالقول إذا قصده وهو في الإلهيات إذا أردناه أن نقول له كن فالحروف المطبقة في النفس الإلهي وجود سبع سموات طباقاً وكل موجود في العالم على جهة الإنطباع وأبرز في هذا النفس الإلهي افتتاح الوجود بالكون إذ كان ولا شئ معه وجعلها في المتنفس حقيقة الحروف المنفتحة ثم لما أوجد العالم وفتح صورته في العماء وهو النفس الذي هو الحق المخلوق به مراتب العالم وأعيانه وأبان منازل جعل منه عالم الأجسام كالحروف المنسلفة لأنها من جانب الطبيعة وهو حد الكون المظلم وجعل منه عالم الأرواح وهو الحروف المستعلية في المتنفس بالنفس الإنساني وكل ذلك كلمات العالم فتسمى في الإنسان حروفاً من حيث آحادها وكلمات من حيث تركيبها كذلك أعيان الموجودات حروف من حيث آحادها وكلمات من حيث آحادها وكلمات من حيث امتزاجاتها وجعل في النفس الإلهي علة الإيجاد من جانب الرحمة بالخلق ليخرجهم من شر العدم إلى خير الوجود فكان بالحرف الهاوي ثم أبان لهم أيضاً بوجزد ما يؤدي إلى السعادة ببعثه الرسول الملكي والبشري وارسال رحمة فكانت حروف اللين في المتنفس الإنساني ثم أوجد في هذا النفس الصوت عند خروجه من الباطن إلى الظاهر بطريق الوحي الذي يشبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم سلسلة على صفوان فكان في تنفس الإنسان حروف الصفيير ثم أنفش ذلك النفس الإلهي على أعيان العالم الثابتة ولا وجود لها فكان مثل ذلك في الكلام الإنساني حروف التفتيش ثم أن النفس الإلهي استطالت عليه الأكوان بالدعوى والتحكم حيث عدت زكثرت ما هو إحدى العين وهو في نفس المتنفس الإنساني الحرف المستطيل وهو الضاد وحده لأنه طال حتى أدرك مخرج اللام ثم أن هذا النفس الإلهي في إيجاد الشرائع قد جعل طريقاً مستقيماً وخارجاً عن هذه الاستقامة المعينة ويسمى ذلك تحريفاً وهو قوله يحرفونه من بعد ما عقلوه مع كونه إليه يرجع الأمر كله يقول وأن

تعدد فالنفس يجمعه فسمى ذلك التحريف في نفس المتنفس الإنساني الحرف المنحرف فنخالط أكثر الحروف وهو اللام وليس لغيره هذه المرتبة وهو كبعض الأحكام الذي تجتمع فيه الشرائع ثم أنه ظهر في النفس الإلهي في الصور الأمثال فلم يقع التمييز فتخيل فيه التكرار والحقيقة تعطى أنه لا تكرار فظهر في عالم الحروف البشرية الحروف المكرر وهو الراء فإذا كان النفس يحمل الروائح فيعرف أن خروجه على المشام وهو المسمى في الحروف في النطق الإنساني حروف الغنة لأنها من الخيشوم وتمت الحروف بكاملها والحمد لله انتهى الجزء الثامن عشر ومائة

الجزء التاسع عشر ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

وقد رأينا من رجال الروائح جماعة وكان عبد القادر الجيلي منهم يعرف الشخص بالشم أخبرني صاحبي أبو البدر عنه أن ابن قائد الأواني جاء إليه وكان ابن قائد يرى نفسه خطأ في الطريق فأخذ عبد القادر يشمه نحو ثلاث مرات ثم قال له لا أعرفك فكان ذلك تربية في حقه فعلت همة ابن قائد إلى أن إلتحق بالافراد والنفس أبداً أكثر ما يظهر حكمه في المحبين العشاق هو مقامهم ومرتبتهم ويضيفون ذلك إلى نفس الرياح لا إلى نفس الأرواح كما قال بعضهم

من أين هذا النفس الطيب

مكان ألقت عقدها زينب

وذيلها من فوقها تسحب

فعدك اليوم بها أقرب

ناشدتك الله نسيم الصبا

هل أودعت برداك عند الضحى

أو ناسمت رياك روض الحمى

فهاث أتخفنى بأخبارها

هذه الأبيات على لطافتها ورقتها من أكثف ما قيل في عشق الأرواح لأن نسيم الأرواح ألطف من نسيم الرياح لأنها بعيدة المناسبة عن عالم الطبيعة والرياح ليست كذلك فالأرواح إذا تنسمت لا تسوق الأتيا فإنها تهب من الحضرة الذاتية من الغيب الأقدس فلا تأتي إلا بكل طيب وطيبة والرياح ليست كذلك لأنها من عالم الطبيعة فإن مرت على خبيث جاءت بخبيث وأن مرت بطيب جاءت بطيب ونسيم الأرواح إذا مر بخبيث رده طيباً وإذا مر بطيب زاد طيباً فلو كان هذا القائل عاشقاً حقيقة لا يتكلم بدعوى زور لم يجعل الطيب من زينب وأن كانت طيبة فلو ذكر أن طيبها زاد به طيب المكان طيباً وجعل محبوبته تنم بأسرارها الرياح فليست بمنيعه الحمى وعالم الطبيعة يخترقها وهو الريح وأخذ يهجو الريح حيث تعجب من أين له هذا النفس الطيب فلو ساق الطيب بطريق المفاضلة بأن يقول من أين هذا النفس الأتيا فإنه لم يكن الريح بأمر زائد على نفس محبوبته إذا حققت لأنها عين الطيب حيث ظهر طي وسألني بعض أصحابي أن أشرح له هذه الأبيات لو قالها عارف من المحبين الإلهيين فاحبته إلى ذلك فإننا أشرحها إن شاء الله ثم أعود إلى الكلام على تحقيق النفس في هذا الباب فنقول والله يقول الحق وهو يهدي السبيل قوله يخاطب نسيم الصبا هي ريح القبول والصبا الميل والميل قبول وسميت الصبا قبولا لأن العرب لما أرادت أن تعرف الرياح حتى نجعل لها أسماء تذكرها بما لتعرف فاستقبلت مطلع الشمس فكل ريح هبت عليها من جهة مطلع الشمس استقبلته إذ كان وجهها إلى تلك الجهة فسمتها قبولا وما أتى إليها من الريح عن دبر في حال استقبالها ذلك سمتة دبوراً وهي الريح الغربية وما أتاها منها في هبوبها عن الجانب الأيمن سمتة جنوباً وعن جانب الشمال سمتة شمالاً وكل ريح بين جهتين من هذه الجهات تهب سمتها نكباء من النكوب وهو العدول أي عدلت عن هذه الأربع الجهات والنسيم أول هبوب الريح والشئ المستلد إذا فاحأك ابتداء فهو ألد من استصحابه مثل قوله "أحلى من الأمن عند الخائف الوحل" ولهذا نعيم الجنان جديد في كل نفس فلذلك ما ناشد إلا السيم لا لتذاذه به وجعله نسيم الصبا لأنها ريح شريفة قبول فاعطته الريح من أخبارها بما جاءت به من طيبها ما يعطيه قبولها لو أقبلت ورؤيتها لو طلعت عليه كما تطلع الشمس لأن الصبا ريح شرقية والشروق طلوع الشمس والأشراق ضوء الشمس وقوله ناشدتك أي طالبتك مقسماً بالله والناشد الطالب

فهو كالمستفهم وهذا يدل على قلة معرفته بمحبوبه حيث جعل له أمثالا لقوله من أين هذا النفس الطيب فإنه ثم من له أنفاس طيبة فلو استفرغ في شغله بمحبوبه ولم يرى مشهوداً له سواه ما استفهم إذ كل من استفهم فقد أحضر ذلك في ذهنه فهذا شاعر أحضر الإشتراك في ذهنه فشهد على نفسه بنقصان المعرفة أن كان عارفاً بنقصان المحبة أن كان محباً عاشقاً فإن أراد من المحبوب كثرة وجوهه وتحليه في أعيان متعددة كالاسماء الإلهية لله مع كونه ذاتاً واحدة ومع هذا فله تسعة وتسعون اسماً فما فوق بهبو بها فاستقم الريح لما جاءت به من الطيب المستلذ فقال

هل أودعت برداك عند الضحى

مكان ألقت عقدها زينب

اعلم أن هذا البيت من أدل دليل على أنه ليس بمحب وأن هذا القول هو إلى هجاء المحبوب أقرب منه إلى الثناء والمدح وذلك أنه لما جاءت الریح بهذا النفس الطيب أضاف ذلك الطيب إلى ما حصل للمكان الذي ألقت عقدها زينب فيه فهو ثناء على العقد فإنه يريد أن عقدها كان عنبرية ذا طيب فطاب المكان بذلك العقد وما ذكر أن العقد إنما اكتسب الطيب م روائح زينب أو عرفها أو انفاسها فلو سلك في كلامه أن طيب المكان مما تنفست فيه زينب فلو قال مثل ما قلنا

هل أودعت برداك عند الضحى

طيب مكان طيبت زينب

أنفاسه من طيب أنفاسها

فطيبتها من طيبة أعجب

ولنا في هذا المعنى في غير هذا الروي

ما الطيب في المسك إلا طيب ريها

والنور في الشمس إلا من محياها

الخلد مأوى الحسان الحور تسكنه

وذاتها لجنان الحلد مأواها

وأما قوله بعد هذا

أو ناسمت ريك روض الحمى

وذيلها من فوقه تسحب

فهذا مثل الأول جعل الطيب للروض من ذيل زينب لما سحبه على ذلك المكان طاب من طيب ذيلها وطيب ذيلها من طيب طيبت ثيابها به مثل العقد سواء فما ذكر ما يدل على أن طيب هذه الأماكن من طيب أنفاسها وإذا كان هذا فلا يطيب أو ليس له ذلك الطيب ولذا قلنا لو قال النفس الأطيب لا الطيب لكان أشعر وأثبت في المدح ثم قاله للنسيم

فهاه أتحنفي بأخبارها

فعدك اليوم بها أقرب

كلام غير محقق فإن نسيم الريح ما له عهد قريب إلا بالمكان وروض الحمى لا يزيب والطيب للمكان من العقد وللروض من الذيل فلم ينقل هذا النسيم شيئاً من طيبها المختص بذاتها ولو كانت مشهود للنسيم حين هب على المكان والروض بقوله وذيلها فذكر ما يدخله الإحتمال في الحال فإنه يحتمل أن يكون الحال في قوله وذيلها أي في حال مرورها أكسبت هذا الروض الطيب من ذيلها ويحتمل أن يكون شهود الريح لها في حال مرورها على روض الحمى وهذا بعيد والأول أقرب فإنه لو مر بها مشاهد لها في حال أنسحاب ذيلها على الروض لنقل طيب ذيلها الأطيب الروض من ذيلها فدل أنه ما شاهدها نسيم الريح وإذا لم يشاهدها فليس

عهده بها قريباً وأما عهده قريب بالمكان الذي مرت عليه ثم فيه من النقص بقوله أقرب وصفها بالأمر العام في كل طيب أذ المكان الذي يبقى فيه الطيب أما يكون قريب العهد بالطيب في جلوسه فيه أو مروره عليه وهذا ليس بمخصوص بها بل قال أن طيبها في المكان لا يزول بعد أن اكتسبه منها وأنه بها بعيد عهد ومع هذا فالطيب باق لقوة سلطانه لكان أشعر والنسيم ما نقل إليه ألا طيب المكان والروض فكان ينبغي أن يصدق فكان يقول فعهدك اليوم به أقرب يعني بالمكان أو بكل واحد منهما يعني الروض والمكان أو يقول بهم أقرب فكذب بقوله بها أقرب ثم أنه لا يلزم طيب المكان ولا طيب الروض من ألقاء العقد ولا من طيب الذيل قد يكون طيب الروض من الزهر وطيب المكان من أمر آخر مع وجود العقد فيه وأنسحاب الذيل على الروض فهو قاصر بكل وجه فهذا شعر لطيف اللفظ مليح وهو بالمعنى ليس بشيء لأن جمال الشعر والكلام أن يجمع بين اللفظ الرائق والمعنى الفائق فيحار الناظر والسامع فلا يدري اللفظ أحسن أو المعنى أو هما على السواء فإنه إذا نظر إلى كل واحد منهما أذهله الآخر من حسنه وإذا نظر فيهما معاً حيره فما يستحسن مثل هذا الشعر ألا ذو قلب كثيف فإن اللفظ لطيف والمعنى كثيف وإذا كان المعنى قبيحاً عند الصحيح النظر لم يحجبه حسن اللفظ عن قبح المعنى فإن مثاله عندي مثال من يجب صورة في غاية الحسن منقوشة في جدار مزينة بأنواع الأصبغة تامة الخلق لا روح لها فإن المعنى للفظ كالروح للصورة هو جمالها على الحقيقة أنظر في أعجاز القرآن تجده كما ذكرنا حسن النظم مع توفير المعنى وحسن مساقه وجمع المعاني بعضها إلى بعض في اللفظ الحسن النظم الوجيز مع وجود تكرار القصة الموجب للملل ولا تجد هذا في القرآن فتجد مع تكرار القصة الواحدة مثل قصص الأمم كآدم وموسى ونوح وغيرهم مما تكرر بزيادة لفظ أو نقصه ما تجد أخلاقاً في المعنى جملة واحدة وسبب ذلك أنه قول حق ما فيه تزوير ولما أتينا على تنبيه ما في قول هذا الشاعر مع كونه لم يخرج عن حقيقة هذا الباب في ذلك فإنه باب النفس بفتح الفاء والشعر من الكلام فهو من باب الأنفاس فثم أنفاس يخرج معها تحقيق المعاني على ما هي عليه في تركيب بعضها مع بعض وثم أنفاس بالعكس فلنرجع إلى النفس الرحمان الذي ظهر عنه حروف الكائنات وكلمات العالم على مراتب مخارج الحروف من نفس المتنفس الأنساني الذي هو أكمل النشآت كلها في العالم وهي ثمانية وعشرون حرفاً لكل حرف إسم عينه المقطع مقطوع نفسه فأولها الهاء وآخرها الواو ومنها حروف مفردة المخرج كالحرف المستطيل والمنحرف والمكرر ومنها مشتركة في المخرج كحروف الصفيير وأن كان بين المشترك تفاوت فهو قريب بعضها من بعض يجد اللافظ الصحيح اللفظ في حال التلفظ بها الفرق بين الحرفين المشتركين كالطاء والتاء والذال فهذه الثلاثة وأن كانت من مخرج واحد فهو على التفاوت لا على التحقيق ولهذا اختلفت الألقاب عليه لأختلاف أحوالها في المخارج فيكون للحرف الواحد ألقاب متعددة لدرجات له في النفس عند التكوين منه في مقطع الحرف يمتاز به عن الذي يقاربه في المخرج الذي أوجب له أن يقال فيه أنه مشترك كحرف الصاد غير المعجمة مثلاً فإنه من الحروف المهموسة ويشترك الكاف في الهمس وهو من حروف الصفيير فهو يشارك الزاي في الصفيير وهو من الحروف المطبقة فهو يشارك الطاء في الأطلاق وهو من الحروف الرخوة فهو يشارك العين في الرخاوة وهو من الحروف المستعلية فهو يشارك القاف في الاستعلاء فهذا حرف واحد اختلف عليه ألقاب كثيرة لظهوره في مراتب متعددة قابل بذاته كل مرتبة صالح لها فأختلفت الأعتبارات فأختلفت الاسماء كذلك نقول في العقل الأول عقلاً لمعنى يخالف المعنى الذي لأجله نسميه قلماً يخالف المعنى الذي لأجله نسميه روحاً يخالف المعنى الذي لأجله نسميه قلباً

كذلك الحق أصل الوجود الواحد الأحد الذي لا يقبل العدد فهو وأن كان واحد العين فهو المسمى بالحي القيوم العزيز المتكبر الجبار إلى تسعة وتسعين اسماً لعين واحدة وأحكام مختلفة فما المفهوم من الاسم الحي هو المفهوم من الاسم المرید ولا القادر ولا المقتدر كما قلنا في حرف الصاد وكذلك سائر الحروف فخرجت الحروف من نفس المتنفس الأنساني الذي هو أكمل النشآت وبه ظهرت وبنفسه جميع الحروف فكان على الصورة الألهية بالنفس الرحماني وظهور حروف الكائنات وعالم الكلمات سواء وكلها النفس الأنساني ثمانية وعشرين حرفاً محققة لما صدر من النفس الرحماني أعيان الكلمات الألهية ثمانية وعشرين كلمة لكل كلمة وجوه فصدر عن نفس الرحمن وهو العماء الذي كان فيه ربنا قبل أن يخلق الخلق فكان العماء كالنفس الأنساني وظهور العالم في أمتداده في الخلاء بحسب مراتب الكائنات كالنفس الأنساني من القلب وأمتداده إلى الفم وظهور الحروف في الطريق والكلمات كظهور العالم من العماء الذي هو نفس الحق الرحماني في المراتب المقدرة في الأمتداد المتوهم لا في جسم وهو الذي ملأه العالم فكما كان أول حرف ظهر من أعيان العالم من هذا النفس لما طلب الخروج إلى الغاية وهو نهاية الخلاء كما كان غاية أمتداد النفس إلى الشفتين فظهرت الهاء أولاً والواو آخراً وليس وراء ذلك حرف يعقل فكان أجناس العالم منحصرة وأشخاصه لا تتناهي وجوداً فإنها تحدث ما دام السبب موجوداً والسبب لا ينقصي فأيجاد أشخاص النوع لا ينقصي فأما حصر العالم على عدد الحروف من أجل النفس في ثمانية وعشرين لا تزيد ولا تنقص فأول ذلك العقل وهو القلم وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم أنه أول ما خلق الله العقل وفي خبر آخر أول ما خلق الله القلم الحديث فكان أول خلق خلقه الله من النفس الذي هو العماء القابل لفتح صور العالم فيه العقل وهو القلم ثم النفس وهو اللوح ثم الطبيعة ثم الهباء ثم الجسم ثم الشكل ثم العرش ثم الكرسي ثم الأطلس ثم فلك الكواكب الثابتة ثم السماء الأولى ثم الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم السابعة ثم كرة النار ثم كرة الهواء ثم كرة الماء ثم التراب ثم المعدن ثم النبات ثم الحيوان ثم الملك ثم الجن ثم البشر ثم المرتبة والمرتبة هي الغاية في كل موجود كما أن الواو غاية حروف النفس وقصدت ذكر أسماء العالم لا ترتيب وجوده كما قصد في أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ حصر الحروف لا ترتيب وجودها في المخارج ولكل موجود مما ذكرنا مرتبة وأحكام ونسب معلومة عند العلماء بالله وكل واحد له مقام معلوم يتميز به لا يكون للآخر كما أن له أموراً يشترك فيها مع غيره خلقاً وحكماً فأما في الخلق فكأشخاص النوع الواحد وأنواع الجنس الواحد مثل الأفلاك تشترك في الاستدارة الفلكية وفي الجسمية من حيث التركيب وما ذكرنا ألا ما يختص بعالم الدنيا كما أنه ما ذكرنا من الحروف ألا ما يختص بالنفس الأنساني اليوم أذ لا تتكلم ألا في وجود فإن لا نحيط بالله علماً فتكلمنا على قدر ما أعطانا من العلم به وليس في الأمكان أبداع مما خلق لأنه الصادق وقد قال أنه خلق العالم على صورته وأكمل منه فلا يكون فأكمل من هذا العالم فلا يكون وقد وقعت لنا واقعة في هذا الباب من الحق قد تقدم ذكرها ثم لتعلم أن أقرب شبه بالنفس بل هو عين النفس حروف العلة وهو الألف والواو المضموم ما قبلها والياء المكسور ما قبلها وليست هذه الثلاثة الحروف من الحروف الصحاح المحققة في الحرفية هي أجل من ذلك وأطلاق الحرف عليها بطريق الجحاز وما يدل عليها ألا الحرف إذا أنفتح وأشبع الفتحة أو ضم فأشبع الضمة أو كسر فأشبع الكسرة فذلك الدليل على أبراز هذه الحروف كما كان العالم من أجل حدوثه الذي هو بمثثلة أشباع الحركات في

الحروف دليلاً على وجود الحق سواء فأفهم ما ذكرناه و ثم أن الحروف لها خواص هي عليها أعطتها لها المخارج فهي في النفس مجموعة أذ هو يجمعها وفي أعيان الحروف والكلمات مفترقة فإذا جرى النفس من أول الحروف إلى غايتها فإنه يفعل كل حرف يتأخر وجوده لتأخر مخرجه عند أنقطاع النفس ما يفعله كل حرف في مخرج تقدمه فهو يحوي على قوة كل حرف تقدمه لأن النفس مر في خروجه على تلك المخارج إلى أن أنقطع عند هذا المخرج فنقل معه مرتبة كل حرف فظهرت في قوة الحرف المتأخر وآخر الحروف الواو ففي الواو قوة جميع الحروف كما أن الهاء أقل في العمل من جميع الحروف فإن لها البدو فكلمة هو جمعت جميع قوى الحروف في عالم الكلمات فلماذا كانت الهوية أعظم الأشياء فعلاً وكذلك الإنسان آخر غاية النفس والكلمات الألهية في الأجناس ففي الإنسان قوة كل موجود في العالم فله جميع المراتب ولهذا أختص وحده بالصورة فجمع بين الحقائق الألهية وهي الاسماء وبين حقائق العالم فإنه آخر موجود فما أنتهى لوجوده النفس الرحاني حتى جاء معه بقوة مراتب العالم كله فيظهر بالإنسان ما لا يظهر بجزء جزء من العالم ولا بكل إسم إسم من الحقائق الألهية فإن الاسم الواحد ما يعطي ما يعطي الآخر مما يتميز به فكان الإنسان أكمل الموجودات والواو أكمل الحروف وكذا هي في العمل عند من يعرف العمل بالحروف فكل ما سوى الإنسان خلق ألا الإنسان فإنه خلق وحق فالإنسان الكامل هو على الحقيقة الحق المخلوق به أي المخلوق بسببه العالم وذلك لأن الغاية هي المطلوبة بالخلق المتقدم عليها فما خلق ما تقدم عليها ألا لأجلها وظهور عينها ولولا ما ظهر ما تقدمها فالغاية هو الأمر المخلوق بسببه ما تقدم من أسباب ظهوره وهو الإنسان الكامل وأما قلنا الكامل لأن إسم الإنسان قد يطلق على المشبه به في الصورة كما تقول في زيد أنه أنسان وفي عمر وأنه أنسان وأن كان زيد قد ظهرت فيه الحقائق الألهية وما ظهرت في عمرو فعمرو على الحقيقة حيوان في شكل أنسان كما أشبهت الكرة الفلك في لأستدارة وأين كمال الفلك من الكرة فهذا أعني بالكامل فحاز الإنسان جميع المراتب برتبته كما حازت الواو جميع قوى الحروف فدل أن الواو كانت المطلوبة بالكلام لتوجد فوجد بسببها جميع ما وجد في الطريق بأستعداد المخارج من الحروف حتى أنتهي إلى الواو ثم لتعلم أن نفس المتنفس لم يكن غير باطن المتنفس فصار النفس ظاهراً وهو أعيان الحروف والكلمات فلم يكن الظاهر بأمر زائد على الباطن فهو عينه وأستعداد المخارج لتعيين الحروف في النفس أستعداد أعيان العالم الثابتة في نفس الرحمان فظهر عين الحكم الأستعدادي الذي في العالم الظاهر في النفس فلماذا قال تعالى لنبه صلى الله عليه وسلم "وما رميت أذ رميت ولكن الله رمى" وقال للنفس المطمئنة أرجعي إلى ربك راضية كما قال طوعاً وكرهاً أي أن لم ترجعي راضية من ذاتك وألا أجبرت على الرجوع إلى ربك فتعلم أنك ما أنت أنت وإذا رجعت راضية فهي النفس العالة المرضية عند الله فدخلت في عبادته فلم تنسب ولا أنتمت إلى غيره ممن أتخذ ألهه هواه ودخلت في جنته أي في كنفه وستره فأستترت هذه النفس به فكان هو الظاهر وهي غيب فيه فهي باطنة أذ كانت هي عين النفس والنفس باطن فقامت للرحمن بهذا النعت من الدخول في الستر المضاف إليه بقوله جنني مقام الروح للجسم الصوري فإنه ستر عليه فالجسم المشهود والحكم للروح فالظاهر الحق والحكم للروح وهو أستعداد العالم الذي أظهر الاختلاف في الحق الظاهر فهذا معنى قوله "وأدخلي جنني" وأضافه إلى نفسه

ثنى الوجود به وليس بثنان

ألا الذي قالوه في العمران

فالرب والمربوب مرتبطان

ما أن رأيت ولا سمعت بمثله

والقمران يريدون أبا بكر وعمر والشمس والقمر والله خلقكم وما تعملون فأثبت بالضمير ونفي بالفعل الذي هو خلق كما أنتفى أبو بكر فلم يظهر له إسم في العمران وأثبت ضمير التثنية وهو قولهم العمران فسبحان من أخفي عنه حكمته فيه فظهر في الوجود العليم الذي لا يعلم كالرامي الذي ما رمى فالحروف ليست غير النفس ولا هي عين النفس والكلمة ليست غير الحروف وما هي عين الحروف

والجمع حال لا وجود لعينه

وله التحكم ليس للآحاد

وصل وأعلم أن الله لما قال قل أدعوا الله أو أدعوا الرحمن أياماً ندعوا فله الاسماء الحسنى فجعل الاسماء الحسنى لله كما هي للرحمن غير أن هنا دقيقة وهي أن الاسم له معنى وله صورة فيدعي الله بمعنى الاسم ويدعي الرحمن بصورته لأن الرحمن هو المنعوت بالنفس وبالنفس ظهرت الكلمات الألهية في مراتب الخلاء الذي ظهر فيه العالم فلا ندعوه ألا بصورة الاسم وله صورتان صورة عندنا من أنفاسنا وتركيب حروفنا وهي التي ندعوه بها وهي أسماء الاسماء الألهية وهي كالحلح عليها ونحن بصورة هذه الاسماء التي من أنفاسنا مترجمون عن الاسماء الألهية والاسماء الألهية لها صور من نفس الرحمن من كونه قائلاً ومنعوتاً بالكلام وخلف تلك الصور المعاني التي هي لتلك الصور كالأرواح فصور الاسماء الألهية التي يذكر الحق بها نفسه بكلامه وجودها من نفس الرحمن فله الاسماء الحسنى وأرواح تلك الصور هي التي للأسم الله خارجة عن حكم النفس لا تنعت بالكيفية وهي لصور الاسماء النفسية الرحمانية كالمعاني للحروف ولما علمنا هذا وأمرنا أن ندعوه باسمائه الحسنى وخيرنا بين الله الرحمن فإن شئنا دعوانه بصور الاسماء النفسية الرحمانية وهي الهمم الكونية التي في أرواحنا وأن شئنا دعوانه بالاسماء التي من أنفاسنا بحكم الترجمة وهي الاسماء التي يتلفظ بها في عالم الشهادة فإذا تلفظنا بها أحضرنا في نفوسنا أما الله فننظر المعنى وأما الرحمن فننظر صورة الاسم الألهي النفسي الرحماني كيفما شئنا فعلنا فإن دلالة الصورتين منا ومن الرحمن على المعنى واحد سواء علمنا ذلك أو لم نعلمه ولما كان ذكر أسمائه عين الشئ عليه ذكرنا في هذا الباب ما هو فينا مثل كلمة كن منه وذلك البسملة يقول أهل الله أن بسم الله منا في إيجاد الأفعال بمثلة كن منه ولما كان القرآن ذكراً وجامعاً لأسمائه صور لو معاني جعلنا التلاوة في هذا الباب من جملة الأذكار فلا نذكر من الأذكار ألا ما يختص بالقرآن فنذكره بكلامه من حيث علمه بذلك لا من حيث علمنا فيكون هو الذي يذكر نفسه لا نحن ولما كان دعاؤنا باسمائه القرآنية وكنا ذاكرين تالين وجب علينا التعوذ وهو من الذكر فيعيذنا وسقنا من الأذكار الحمد لله وسبحان الله والله أكبر ولا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله فلنذكر فهرست ما أنا ذاكره في هذا الباب من فصول ما يتكلم عليه مما يختص بالنفس الألهي ومراتب الذاكرين من العالم في الذكر لأن الذاكرين هم أعلى الطوائف لأنه جليسههم ولهذا ختم الله بذكرهم صفات المقربين من أهل الله ذكراهم وأنائهم فقال تعالى "أن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتات والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات" وما ذكر بعد الذاكرات شيئاً والذكر من نعوت كونه متكلماً وهو نفس الرحمن الذي ظهرت فيه حقائق حروف الكائنات وكلمات الحضرة ذكر فهرست الفصول وهي خمسون فصلاً الفصل الأول في ذكر الله نفسه بنفس الرحمن وبه أوجد العالم من كونه أحب ذلك الفصل الثاني في كلام الله وكلماته الفصل الثالث في ذكر التعوذ الفصل الرابع في الذكر بالبسملة الفصل الخامس في كلمة الحضرة وهي كلمة كن الفصل السادس في الذكر بالحمد الفصل السابع في الذكر بالتسبيح الفصل الثامن في الذكر

بالتكبير الفصل التاسع في الذكر بالتهليل الفصل العاشر في الذكر بالحوقة

الفصل الحادي عشر في الاسم البديع وتوجهه على إيجاد العقل والعقول وهو القلم الأعلى ومن الحروف على الهمزة وتفصيل الهمزة ومن المنازل على الشرطين والأمداد الألهي النفسي ومراتبه الذاتية والزائدة الفصل الثاني عشر في الاسم الباعث وتوجهه على إيجاد اللوح المحفوظ وهو النفس الكلية وهو الروح المنفوخ منه في الصور المسواة بعد كمال تعديلها فيهبها الله بذلك النفخ أي صورة شاء وتوجهه على إيجاد الهاء من الحروف وهاء الكنايات وتوجهه على إيجاد البطين من المنازل الفصل الثالث عشر في الاسم الباطن وتوجهه على خلق الطبيعة وما تعطيه من أنفاس العالم وحصرها في أربع حقائق وأفراقها وأجتماعها وتوجهه على إيجاد العين المهملة وإيجاد الثريا من المنازل الفصل الرابع عشر في الاسم الآخر وتوجهه على خلق الجوهر الهبابي الذي ظهر فيه صور الأجسام وما يشبه هذا الجوهر في عالم التركيب وإيجاد الحاء المهملة من الحروف وإيجاد الدبران من المنازل المقطرة الفصل الخامس عشر في الاسم الظاهر وتوجهه على إيجاد الجسم الكل وإيجاد الغين المعجمة من الحروف وإيجاد الميسان وهي الهقعة من المنازل الفصل السادس عشر في الاسم الحكيم وتوجهه على إيجاد الشكل وحرف الحاء المعجمة والتحية من المنازل الفصل السابع عشر في الاسم المحيط وتوجهه على إيجاد العرش والعروش المعظمة والمكرمة والممجدة وحرف القاف من الحروف والذراع من المنازل الفصل الثامن عشر في الاسم الشكور وتوجهه على إيجاد الكرسي والقدمين وحرف الكاف والنثرة الفصل التاسع عشر في الاسم الغني وتوجهه على إيجاد الفلك الأطلس فلك البروج وحدوث الأيام بوجود حركته وأستعانت بالاسم الدهر على ذلك وحرف الجيم والطرف الفصل العشرون في الاسم المقدر وتوجهه على إيجاد فلك الكواكب الثابتة والجئات وتقدير صور الكواكب في مقعر هذا الفلك وكونه أرض الجنة وسقف جهنم وحرف الشين المعجمة والجبهة الفصل الحادي والعشرون في الاسم الرب وتوجهه على إيجاد السماء الأولى والبيت المعمور وسدرة المنتهى وأبراهيم الخليل ويوم السبت وحرف الياء بالنقطتين من أسفل والخثران من المنازل المقطرة وخانس هذه السماء وكوكبها الفصل الثاني والعشرون في الاسم العليم وتوجهه على إيجاد السماء الثانية وخانسها ويوم الخميس وموسى عليه السلام وحرف الضاد المعجمة والصفرة من المنازل الفصل الثالث والعشرون في الاسم القاهر وتوجهه على إيجاد السماء الثالثة وخانسها ويوم الثلاثاء وحرف اللام والعوا الفصل الرابع والعشرون في الاسم النور وتوجهه على إيجاد السماء الرابعة وهي قلب جسم العالم المركب وإيجاد الشمس وحدوث الليل والنهار في عالم الأركان وروح ادريس عليه السلام وقطبيته وحرف النون والسماء الأعزل ويوم الأحد ونفخ الروح الجزئي عند كمال تصوير النطف الفصل الخامس والعشرون في الاسم المصور وتوجهه على إيجاد السماء الخامسة وخانسها والتصوير والحسن والجمال ويوسف عليه السلام وحرف الراء والغفر ويوم الجمعة الفصل السادس والعشرون في الاسم المحصي وتوجهه على إيجاد السماء السادسة وخانسها وعيسى عليه السلام والأعتدال وحرف الطاء المهملة والزبانا ويوم الأربعاء الفصل السابع والعشرون في الاسم المتين وتوجهه على إيجاد السماء الدنيا والقمر وآدم عليه السلام والمد والجزر وحرف الدال المهملة والأكليل ويوم الاثنين.

الفصل الثامن والعشرون في الاسم القابض وتوجهه على إيجاد الأثير وما يظهر فيه من ذوات الأذنان والأحتراقات ومن الحروف حرف التاء المنقوطة بأثنتين من فوق والقلب من المنازل الفصل التاسع والعشرون في الاسم الحي وتوجهه على إيجاد ما ظهر في ركن الهواء وحرف الزاي من الحروف ومن المنازل الشوله الفصل الثلاثون في الاسم الحيي وتوجهه على إيجاد ما ظهر في الماء وحرف السين المهملة والنعائم الفصل الحادي والثلاثون في الاسم المميت وتوجهه على إيجاد التراب وحرف الصاد المهملة والبلدة الفصل

الثاني والثلاثون في الاسم العزيز وتوجهه على إيجاد المعادن وحرف الظاء المعجمة والذباح الفصل الثالث والثلاثون في الاسم الرزاق وتوجهه على إيجاد النبات وحرف الثاء المعجمة بثلاث ومن المنازل بلع

الفصل الرابع والثلاثون في الاسم المدل وتوجهه على إيجاد الحيوان وحرف الذال المعجمة ومن المنازل السعود الفصل الخامس والثلاثون في الاسم القوي وتوجهه على إيجاد الملائكة وحرف الفاء والأخبية الفصل السادس والثلاثون في الاسم اللطيف وتوجهه على إيجاد الجن الجن حرف الباء المعجمة بواحدة والفرع المقدم الفصل السابع والثلاثون في الاسم الجامع وتوجهه على إيجاد الإنسان وحرف الميم والمؤخر الفصل الثامن والثلاثون في الاسم رفيع الدرجات وتوجهه على تعيين الرتب والمقامات والمنازل وحرف الواو ومن المنازل الرشا الفصل التاسع والثلاثون في النقل وأين مقامه في الأنفاس الفصل الأربعون في معرفة الجلي والخفي من الأنفاس وهو بمرتلة الأدغام والإظهار في الكلام الفصل الحادي والأربعون في الاعتدال والانحراف في النفس وهو بمرتلة الفتح والإمالة وبين اللفظين الفصل الثاني والأربعون في الاعتماد على الناقص والميل إليه وهو في الكلام معرفة الوقف على هاء التأنيث وهو من باب الأنفاس أيضاً الفصل الثالث والأربعون في الإعادة وهي التكرار وأين هو في النفس الفصل الرابع والأربعون في اللطيف من النفس يرجع كثيفاً وما سببه والكثيف يرجع لطيفاً من النفس وما سببه وعليه مبنى أصوات الملاحن الفصل الخامس والأربعون في الاعتماد على أصناف المحدثات وهو في باب النفس الإنساني الوقف على أواخر الكلم في اللسان الفصل السادس والأربعون في الاعتماد على العالم من حيث ما هو كتاب مسطور في رق الوجود المنشور في عالم الأجسام الكائن من الاسم الظاهر الفصل السابع والأربعون في الاعتماد على الوعد قبل كونه وهو الاعتماد على المعدوم لصدق الوعد وهو في الأنفاس السكوت على الساكن قبل الهمزة الفصل الثامن والأربعون في الاعتماد على الكائنات وما يظهر منها من الفتوح وهو الابنية في الطريق وكيف يرجع المعلوم صحيحاً والصحيح علياً الفصل التاسع والأربعون فيما يعدم ويوجد مما يزيد على الأصول التي هي بمرتلة النوافل مع الفرائض الفصل الخمسون في الأمر الجامع لما يظهر في النفس من الأحكام في كل متنفس حقاً وخلقاً وحيواناً ونطقاً وبه تمام باب النفس على الإقتصاد والإختصار أن شاء الله ثم اللواحق وهي الأقسام الإلهية التي نفس الله بها عن عباده وهي من نفس الرحمن الفصل الأول في ذكر الله نفسه بنفس الرحمن ورد في الحديث الصحيح كشفاً الغير الثابت نقلاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه جل وعز أنه قال ما هذا معناه كنت كثيراً لم أعرف فاحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فعرفوني ولما ذكر المحبة علمنا من حقيقة الحب ولوازمه مما يجده الحب في نفسه وقد بينا أن الحب لا يتعلق إلا بمعدوم يصح وجوده وهو غير موجود في الحال والعالم محدث والله كان ولا شئ معه وعلم العالم من علمه بنفسه فما أظهر في الكون إلا ما هو عليه في نفسه وكأنه كان باطناً فصار بالعالم ظاهراً أو أظهر العالم نفس الرحمن لإزالة حكم الحب وتنفس ما يجد الحب فعرف نفسه شهوداً بالظاهر وذكر نفسه بما أظهره ذكر معرفة وعلم وهو ذكر العماء المنسوب إلى الرب قبل خلق الخلق وهو ذكر العام المحمل وإن كلمات العالم بجملتها محملة في هذا النفس الرحمان وتفصيله غير متناهية هنا يتكلم من يرى قسمة الجسم عقلاً إلى ما لا يتناهى مع كونه قد دخل في الوجود وكل ما دخل في الوجود فهو متناه والقسمة لم تدخل في الوجود فلا تتصف بالتناهي وهؤلاء هم الذين أنكر والجوهر الفرد الذي هو الجزء الذي لا ينقسم وكذلك العماء وإن كان موجوداً فتفاصيل صور العالم فيه على الترتيب دنيا وآخرة غير متناه التفصيل وذلك أن النفس الرحمان من الاسم الباطن يكون الإمداد له دائماً فهو في العالم كآدم في البشر ولما علم آدم الاسماء كلها أعلمنا بهذا أن العماء من حيث ما هو نفس رحمان قابل لصور حروف العالم وكلماته هو حامل الاسماء كلها وكلمات

الله ما تنفذ فذكر الله لا ينقطع والرحمن يذكر الله باسمائه وهو أيضاً مسمى بها فله الاسماء الحسنى ويذكر نفسه من كونه متكملماً ومفصلاً فذكر الرحمن بمحمل وذكر الله مفصل

الفصل الثاني في كلام الله كلواته والكلام والقول نعتان لله فبالقول يسمع المعدوم وهو قوله تعالى إنما قولنا لئلا نأمر أن نقول له كن وبالكلام يسمع الموجود وهو قوله تعالى "وكلم موسى تكليماً" وقد يطلق الكلام على الترجمة في لسان المترجم وينسب الكلام إلى المترجم عنه في ذلك فالقول له أثر في المعدوم وهو الوجود والكلام له أثر في الموجود وهو العلم والموصوف بالتبديل في قوله "يحرفه من بعد ما عقلوه" وقوله "ويريدون أن يبدلوا كلام الله" هو في الترجمة فإنها تقبل التبديل والمعاني تابعة للكلام فلا يفهم من الأمر الذي حرف به وبدل المعنى الذي يفهم من الأصل ولذلك ألحق التبديل والتحريف بالأصل وإن كان لا يقبل التحريف ولا التبديل لأنه كلام إلهي لا يحكى ولا يوصف بالوصف الذاتي فإذا وقع التحلي في أي صورة كانت فلا يخلو أن كانت من الصور المنسوب إليها الكلام في العرف أو لا تكون فإن كانت من الصور المنسوب إليها الكلام فكلامها من جنس الكلام المنسوب إليها لحكم الصور على التحلي مثل قوله علمنا منطق الطير وقالت النملة وإن كان مما لا ينسب إليه الكلام في العرف فلا يخلو أما أن تكون ممن ينسب إليها القول بالآيمان مثل قوله هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق وقوله "قالتا آتينا طائعين" وقوله "يوم تشهدوا عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم" وقوله "قالوا أنطقنا الله" "وأما أن لا تكون ممن نسب إليه قول ولا نطق وهو الذي نسب إليه التسييح الذي لا يفقه وما قال لا يسمع أذ الكلام أو القول هو الذي من شأنه أن يتعلق به السمع والتسييح لو كان قولاً أو كلاماً لنفي عنه سمعنا وأما نفي عنه فقها وهو العلم والعلم قد يكون عن كلام وقول وقد لا يكون فإذا تجلى في مثل هذه الصور فيكون النطق بحسب ما يريده المتجلى مما يناسب تسييح تلك الصورة لا يتعداه فيفهم من كلام ذلك المتجلى تسييح تلك الصورة وهو علم عجيب قليل من أهل الله من يقف عليه فيكون الكلام المنسوب إلى الله عز وجل في مثل هذه الصور بحسب ما هي عليه هذا إذا وقع التحلي في المواد النورية والطبيعية فإن وقع التحلي في غير مادة نورية ولا طبيعية وتجلي في المعاني المجردة فيكون ما يقال في مثل هذا أنه كلام فمن حيث أثره في المتجلى له لا من حيث أنه تكلم بكذا وتلك الآثار كلها من طبقات الكلام الذي تقدم تسمى كلمات الله جمع كلمة وهي أعيان الكائنات قال تعالى "وكلمته ألقاها إلى مريم" وهو عين عيسى لم يلق إليها غير ذلك ولا علمت غير ذلك فلو كانت الكلمة الألهية قولاً من الله وكلاماً لها مثل كلامه لموسى عليه السلام لسرت ولم تقل ياليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً فلم تكن الكلمة الألهية التي ألقيت إليها ألا عين عيسى روح الله وكلمته وهو عبده فنطق عيسى ببراءة أمه في غير الحالة المعتادة ليكون آية فكان نطقه كلام الله في نفس الرحمن فنفس الله عن أمه بذلك ما كان أصابها من كلام أهلها بما نسبوها إليه مما طهرها الله عنه ومن هنا قالت المعتزلة أن المتكلم من خلق الكلام وفيما ليس من شأنه أن يتكلم فذلك كلام الله مثل الحماد والنبات وحالة عيسى ألا القائلين بالشكل الغريب فيجعلون مثل هذا من الأشكال الحادثة في الكون فقد بينا لك معنى كلام الله وكلماته وكلام الله تعالى علمه وعلمه ذاته ولا يصح أن يكون كلامه ليس هو فإنه كان يوصف بأنه محكوم عليه للزائد على ذاته وهو لا يحكم عليه عز وجل وكل ذي كلام موصوف بأنه قادر على أن يتكلم متمكن في نفسه من ذلك والحق لا يوصف بأنه قادر على أن يتكلم فيكون كلامه مخلوقاً وكلامه قديم في مذهب الأشعرى وعين ذاته في مذهب غيره من العقلاء فنسبة الكلام إلى الله مجهولة لا تعرف كما أن ذاته لا تعرف ولا يثبت الكلام للأله ألا شرعاً ليس في قوة العقل أدراكه من حيث فكره فأفهم أن النفس للرحمن والكلام لله والقول وهو أنتهاء النفس إلى عين كلمة من الكلمات فيظهر عينها بعد بطونها وتفصيلها بعد أجمالها فإن

قلت فائدة الكلام الاسماع وما في الوجود ألا الله وهو متكلم فمن أسمع قلنا ليس من شرط السامع أن يكون موجوداً فإنه يقول للمعدوم في حال عدمه كن فيكون المعدوم عندما يتعلق بسمعه الثبوتي كلام الله وأمره بالوجود وكذلك المرئي علة رؤيته جواز رؤيته الوجود بل الاستعداد والتهيؤ سواء كان موجوداً أو معدوماً والجواب

الآخر كما أنه تكلم من حيث ما هو منعوت بالكلام يسمع كلامه من كونه سميعاً وهما نسبتان مختلفتان فإن قلت ففائدة سماع الكلام حصول العلم وهو عالم لذاته قلنا ما كل كلام موضوع لحصول ما لا يعلم فإن المتكلم يثني على نفسه بما هو عالم به أنه عليه فلا يستفيد بل هو للابتهاج بالكمال الذاتي فالحق لم يزل متكلماً وأن حدث في الكون فلا يدل على حدوثه في نفس الأمر قال تعالى "ما يأتيهم من ذكر من ربهم" محدث يعني عندهم وأن كان قد تكلم به مع غيره قبل هذا مثل ما في التوراة وغيرها مما هو في القرآن هذا إذا قلنا أنه يريد كلام الله الذي هو صفة له وأن كان الظاهر أن السامع إنما يسمع كلام المترجم عن الله كما قال أن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فلنذكر فصول الأذكار الأهلية ما تيسر منها من المذكورة في القرآن فنبداً بالتعوذ من أجل أنه من أذكار القرآن الفصل الثالث في ذكر التعوذ قال تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وقال صلى الله عليه وسلم وأعوذ بك منك والحق هنا هو الذاكر بالقرآن نفسه فالتعوذ يكون باسم ألهي من إسم ألهي وهو الذي نبه عليه صلى الله عليه وسلم بقوله وأعوذ بك منك فإن كان التالي أعني الذاكر بالقرآن ممن للشيطان عليه سبيل حينئذ يجب عليه أن يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاستعادة الحق بما هو عليه من صفات التقديس والتزيه مما ينسب إليه مما لا يليق به كما قال تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً

"وسبحان ربك رب العزة" فوق العباد رب العزة عما يصفون يريد مما يطق عليه مما لا ينبغي لجلاله من الصاحبة والولد والأنداد فهذا كله عباد ألهي لأنه كلامه وأما الاستعادة به منه فهو ما ورد من تجليه في صورة تنكر فيتعوذ المتجلي له منها بتجل في صورة يعرف وهو عين الصورة الأولى والثانية وقد بينا لك في هذا الكتاب أنه الظاهر في مظاهر الأعيان فهو المستعبد به منه ومن هذا الباب قوله أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك هو قوله "أن ربك لشديد العقاب وأنه لغفور رحيم" وقوله "أن ينصركم الله فلا غالب لكم وأن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم" فيتعوذ بالناصر من الخاذل وبالنافع من الضار وهو القائل على لسان العبد ما ظهر عنه من التعوذ الفصل الرابع في ذكر البسملة البسملة قولك بسم الله وهو للعبد كلمة حضرة الكون للتكوين بمثلة كلمة الحضرة في قوله كن فينفع عن العبد بالبسملة إذا تحقق بها ما ينفع عن كن فكأنه يقول بسم الله يكون ظهور الكون فهو أخبار عن حقيقة أقران بها صدق محبوب كان الحق سمعه ولسانه فيكون عنه ما يكون عن كن وهو قوله فتنفخ فيه فيكون طائراً بأذني فبأذني متعلق بقوله فتنفخ وتبرئ الأكمه والأبرص بأذني وأذ تخرج الموتى بأذني أي بأمرني لما كنت لسانك وبصرك تكونت عنك الأشياء التي ليست بمقدورة لمن لا أقول على لسانه فالتكوين في الحالين لي فيسم الله عين كن

الفصل الخامس في كلمة الحضرة الأهلية وهي كلمة كن لله تجل في صور تقبل القول والكلام بترتيب الحروف كما له تجل في غير هذا قد ذكرناه في التجلي الألهي الذي خرجته مسلم في الصحيح قال تعالى أما قولنا لشيء إذا أردناه فقولنا هو كونه متكلماً أن نقول له كن فكن عين ما تكلم به فظهر عنه الذي قيل له كن فأضاف التكوين إلى الذي يكون لا إلى الحق ولا إلى القدرة بل أمر فأمثل السامع في حال عدمه شيئية وثبوتية أمر الحق بسمع ثبوتي فأمره قدرته وقبول المأمور بالتكوين أستعداده فظهرت الأعيان في النفس الرحماني ظهور الحروف في النفس الأنساني والشيء الذي يكون إنما هو الصورة الخاصة كظهور الصورة المنقوشة في الخشب أو الصورة في الماء المهين أو الصورة في الضلع أو الصورة في الطين أو الصورة فإن قلت عن وجود صدقت وأن قلت لم أكن صدقت

ما قلت ألا أنا هو أنتا

من قول كن منه قد خلقتا

وباطن الأمر أنت كنتا

وهو الوجود الذي رأيتا

لو لم يكن ذلك ما وجدنا

ثبوت عين فقل صدقتا

أذ قال كن لم تكن سمعتا

الكون أو كون عين أنتا

فلو رأيت الذي رأينا

فاعلم بأن الذي سمعتا

فظاهر الأمر كان قول

والشكل عين الذي بدا لي

قد أثبت الشيء قول ربي

فالعدم المحض ليس فيه

لو لم تكن ثم يا حبيبي

فأي شيء قبلت منه

فكلمة الحضرة كلمات كما قال وما أمرنا ألا واحدة فلم يكرر فعين الأمر عين التكوين وما ثم أمر ألهي ألا كن وكن حرف وجودي عند سيبويه من واجب الوجود لا يقبل الحوادث فالأمر في نفسه صعب تصوره من الوجه الذي يطلبه الفكر سهل في غاية السهولة من الوجه الذي قرره الشرع فالفكر يقول ما ثم شيء ثم ظهر شيء لا من شيء والشرع يقول وهو القول الحق

وكان غيباً فصار عيناً

بل ثم شيء فصار كونا

أنظر إلى الأبل كيف خلقت يعني السحاب الكائن من الأبخرة هنا الصاعدة للحرارة التي فيها والأبخرة نفس عنصري وليس بشيء زائد على السحاب ولم يكن سحاباً في المتنفس بل هو شيء فظهر سحاباً فتكاثف ثم تحلل ماء فتزل فتكون بخاراً فصعد فكان سحاباً فإنظر إلى الأبل كيف خلقت ألم تر أن الله يرزقي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله "وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً" فينشئه سحاباً فييسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً وهو تعدد الأعيان فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون فبما في السحاب من الماء يثقل فيترل كما صعد بما فيه من الحرارة فإن الأصغر يطلب الأعظم فإذا ثقل أعتمد على الهواء فيانضغط الهواء فأخذ سفلاً فحك وجه الأرض فتقوت الحرارة التي في الهواء فطلب الهواء بما فيه من الحرارة القوية الصعود يطلب الركن الأعظم فوجد السحاب متراً كما فمنعه من الصعود تكاثفه فأشعل الهواء فخلق الله في تلك الشعلة ملكاً سماه برقاً فأضاء به الجو ثم أنطفأ بقوة الريح كما ينطفئ السراج فزال ضوءه مع بقاء عينه فزال كونه برقاً وبقي العين كوناً يسبح الله ثم صدع الوجه الذي يلي الأرض من السحاب فلما مزاجه كان كالنكاح فخلق الله من ذلك الالتحام ملكاً سماه رعداً فسبح بحمد الله فكان بعد البرق لا بد من ذلك ما لم يكن البرق خلباً فكل برق يكون على ما ذكرناه لا بد أن يكون الرعد يعقبه لأن الهواء يصعد مشتعلاً فيخلقه ملكاً يسميه برقاً وبعد هذا يصدع أسفل السحاب فيخلق الله الرعد مسيحاً بحمد ربه لما أوجده وأن من شيء ألا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وثم بروق وهي ملائكة يخلقها الله في زمان الصيف من حرارة الجو لأرتفاع الشمس فتترل الأشعة الشمسية فإذا أحرقت ركن الأثير زادت حرارة فأشتعل الجو من أعلى وما ثم سحاب لأن قوة الحرارة تلطف الأبخرة الصاعدة عن كثافتها فلا يظهر للسحاب عين وهنالك حكم الشين المعجمة من الحروف ولهذا سمي حرف التفشي فخلق الله من ذلك الأشتعال بروقاً خلباً لا يكون معها رعد أصلاً وهذه كلها حوادث ظهرت أعيانها عن كلمة كن

في أنفاس وأنما جئنا بمثل هذا تأنيساً لك لتعلم ما فتح الله من الصور والأعيان في هذا النفس العنصري المسمى بخار التكون لك عبرة أن كنت ذا بصر فتجوز بالنظر في هذا إلى تكوين العالم من النفس الرحماني اظاهر من محبة الله أن يعرفه خلقه فما في العالم أو ما هو العالم سوى كلمات الله وكلمات الله أمره وأمره واحدة وهو كلمح بالبصر أو هو أقرب لأنه ما ثم أسرع من لمح البصر فإنه زمان التحاظه هو زمان ألتحاظه بغاية ما يمكن أن ينتهي إليه في التعلق وكذلك قوة السمع دون ذلك فتدبر يا أخي كلام الله وهذا القرآن العزيز وتفاصيل آياته وسوره وهو إحدى الكلام مع هذا التعداد وهو التوراة والفرقان والأنجيل والزبور والصحف فما الذي عدد الواحد أو وحد العدد أنظر كيف هو الأمر فإنك إذا علمته علمت كلمة الحضرة وإذا علمت كلمة الحضرة علمت اختصاصها من الكلمات بكلمة كن لكل شيء مع اختلاف ما ظهر ومن الحروف الظاهرة بالكاف والنون ومن الحروف الباطنة بالواو وكيف حكم العارض على الثابت بمساعدته عليه فردّه غيباً بعد ما كان شهادة فإن السكون هو الحاكم من النون وهو عرض لأن الأمر الإلهي عرض له فسكنه فوجد سكون الواو فأستعان عليها بما كما يستعين العبد بربه على ربه فلما اجتمع ساكنان وأرادت النون الاتصال بالكاف لسرعة نفوذ الأمر حتى يكون أقرب من لمح بالبصر كما أخبر فزالت الواو من الوسط فباشرت الكاف النون فلو بقيت الواو لكان في الأمر بطء فإن الواو لا بد أن تكون واو علة لأجل ضمة الكاف فلا يصل النفس إلى النون الساكنة بالأمر إلا بعد تحقق ظهور واو العلة فيبطئ الأمر وهي واو علة فيكون الكون عن علتين الواو والأمر الإلهي وهو لا شريك له وإذا جاز أن يبطئ المأمور عن التكوين زماناً واحداً وهو قدر ظهور الواو لو بقيت ولا تحذف لجاز أن يبقى المأمور أكثر من ذلك فيكون أمر الله قاصراً فلا تنفذ إرادته وهو نافذ الإرادة فحذف الواو من كلمة الحضرة لا بد منه والسرعة لا بد منها فظهور الكون عن كلمة الحضرة بسرعة لا بد منه فظهر الكون لما ظهرت الواو في الكون لتدل أنها كانت في كن وإنما زالت لأمر عارض فعلمت في الغيب فظهرت

في الكون لما ظهر الكون بصورة كن قبل حذف الواو ليدل على أن الواو لم تعدم وإنما غابت لحكمة ما ذكرناه فليس الكون بزائد على كن بواوها الغيبة فظهر الكون على صورة كن وكن أمره وأمره كلامه وكلامه علمه وعلمه ذاته فظهر العالم على صورته فخلق آدم على صورته فقبل الاسماء الإلهية وقد بينا ما فيه الكفاية للعاقل في كلمة الحضرة والله يضرب الأمثال لعباده الفصل السادس في الذكر بالتحميد الحمد ثناء عام ما لم يقيد الناطق به بأمر وله ثلاث مراتب حمد الحمد وحمد الحمود نفسه وحمد غيره له وما ثم مرتبة رابعة في الحمد ثم في الحمد بما يحمد الشيء نفسه أو يحمد غيره تقسيمان أما أن يحمده بصفة فعل وأما أن يحمده بصفة تنزيه وما ثم حمد ثالث هنا وأما حمد الحمد له فهو في الحمدین بذاته إذ لو لم يكن لما صح أن يكون لها حمد

فحمد الحمد يعطى الحمد فيه

ولولا الحمد ما كان الحميد

ثم أن الحمد على الحمود قسمان القسم الواحد أن يحمد بما هو عليه وهو الحمد الأعم والقسم الثاني أن يحمد على ما يكون منه وهو الشكر وهو الأخص فإنحصرت أقسام التحميدات والحمد وتعيين الكلمات التي تدل على ما ذكرناه لا تنتهي فإن النبي صلى الله عليه وسلم يقول في المقام الحمود فاحمد بحماد لا أعلمها الآن وقال لا أحصي ثناء عليك لأن ما لا يتناهى لا يدخل في الوجود ولما كان كل عين حامدة ومحمودة في العالم كلمات الحق الظاهرة من نفس الرحمن ونفس الرحمن ظهور الاسم الباطن والحكم

الغيب وهو الظاهر والباطن رجعت إليه عواقب الثناء فلا حامد إلا الله ولا محمود إلا الله وحمد الحمد صفته لأن الحمد صفته وصفته عينه إذ لا يتكثر

ولا يكمل بالزائد تعالى الله

فحمدوا الحمد هو فليس إلا هو

فما حمد الله إلا الآله

ومحموده عينه لا سواه

فمن حمد الله على هذا النحو فقد حمده ومن نقصه من ذلك شيئاً فهو بقدر ما نقصه فإن كنت حامد فلتحمده بهذا الحضور وهذا التصور فيكون الجزاء من الله لمن هذا حمده عينه فافهم

الفصل السابع في الذكر بالتسبيح التثنية فسبح بحمد ربك واستغفره هذا أمر سبحانه الذي أسرى بعبد خير التسبيح قسم من أقسام الحمد ولهذا أن الحمد يملأ الميزان على إطلاقاً وسبحان الله وغير ذلك من الأذكار تحت حيلة الحمد فإذا ظهر التسبيح فإنظر كيف تسبحه فإن الجهل يتخلل هذا المقام تخلاً خفياً لا يشعر به فإنه كما قال صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت لما أراد أن يهجو قريشاً ينافح بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هجته قريش وهو منها فنفسها هجت ولم تعلم بذلك وعلم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه العالم الأتم وقد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذي انبعث إليه حسان بن ثابت من هجاء قريش أن ذلك مما يرضى الله لحسن قصده في ذلك وما علم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا لما رأى روح القدس الذي يحييه قد جاء إلى حسان بن ثابت ويؤيده من حيث لا يشعر ما دام ينافح عن عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما أقر الله ذلك أعلاماً لقريش بأن أمالهم تعود عليهم إذ كان الهجاء مما عملته لتجزي كل نفس بما علمت ليعلموا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إني منهم فإنظر ما تقول وكيف تقول واثأباً بكر فإنه أعرف بالإنسان فيخبرك حتى لا تقول كلاماً ما يعود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتكون قد وقعت فيما وقعوا فيه فقال له حسان بن ثابت والله لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين لأنه لا يعلق بها شيء من العجين وهكذا باب التسبيح فإنه تثنية والتثنية عبارة عن العدم ليس بتثنية وإنما يكون التثنية عن كل صفة تدل على الحدوث لأتصافه بالقدم وصفات الحدوث إنما هي للمحدثات وهنا زلت الأقدام في العلم بالمحدثات ما هي المحدثات وما في الوجود إلا الله فإن الموجودات كلمات الله وبها يثنى على الله فإذا نزه المتره ربه ولا يتزهه إلا عما هو صفة للمحدث والمحدث ليس له من نفسه شيء ولا عينه له وإنما هي لمن أظهرها فإذا نزه الحق عن شيء لا يثنى عليه إلا به وبأمثاله فقد تركت من الثناء عليه ما كان ينبغي لك أن تثنى عليه به فإذا سبحت فتحقق عن أي شيء تتزهه إذ ما ثم إلا هو فإن نفس الرحمن هو جوهر الكائنات ولهذا وصف الحق نفسه بما هو من صفات المحدثات مما تخيله الأدلة النظرية العقلية واحذر أن تسبحه بعقلك واجعل تسبيحه منك بالقرآن الذي هو كلامه فتكون حاكياً لا مخترعاً ولا مبتدعاً فإن كان هناك ما يقدح كنت أنت برئ الساحة من ذلك أذ ما سبحه ألا كلامه وهو أعلم بنفسه منك وهو يحمد ذاته بأتم الحمد وأعظم الثناء كما قال صلى الله عليه وسلم أنت كما أثبتت على نفسك وقد أثبتت على نفسك بما يقول فيه دليل العقل أنه لا يجوز عليه ذلك ويتزهه عنه وهذا غاية الذم وتكذيب الحق فيما نسبته إلى نفسه وعلمك بأنك أعرف به منه فأحذر أن تتزهه عن أمر ثبت في الشرع أنه وصف له كان ما كان ولا تسبحه تسبيحة واحدة بعقلك جملة واحدة وقد نصحتك فإن الأدلة العقلية كثيرة التنافر للأدلة الشرعية في الألهيات فسبح ربك بكلام ربك وبتسبيحه لا بعقلك الذي أستفاده من فكره ونظره فإنه ما أستفاد أكثر ما أستفاد ألا الجهل

فتحفظ مما ذكر لك فإنه داء عضال قليل فيه الشفاء فذم بدم الله وأمدح بمدح الله وأرحم برحمة الله والعن بلعنة الله تفرز بالعلم وتماز يدريك من الخير والتسبيح ثناء كل موجود في العالم لا غير التسبيح وهذا هو الذي أضل العقلاء وهو من المكر الألهي الخفي وغابت عقولهم عن قوله تعالى بحمده وهو ما ذكرناه فقال تعالى "وأن من شيء ألا يسبح بحمده" وما قال يحمد ولا يكبر ولا يهلل فإنها كلها ثناء بآثبات وجودي والتسبيح ثناء بعدم فدخله المكر الألهي فأثر في العقول المفكرة فجاء العارفون فوجدوا الله قد قيد تسبيح كل شيء بحمده المضاف إليه فسبحوه بما أثني على نفسه فما أستنبطوا شيئاً بخلاف الناظرين بعقولهم في الألهيّات ولهذا قال ولكن لا تفقهون تسبيحهم لأنهم نسوا بحمده حجتهم عن ذلك أدلة عقولهم أذ ستر الله عنها ذلك بستر أفكارهم فلم يؤاخذهم على ذلك كمثلته شيء وفيه غلطوا فقل الله فيهم سؤال ليس كمثلته شيء فعفا عنهم فيما توقفوا فيه أو أحالوه مما أثبتته الحق لنفسه من أستواء ومعية وظرفية ونزول وغير ذلك مما لا يحصى كثرة مما نطق به كتبه ورسله فقد أفهمتكم كيف

تسبح ربك وألقيت بك على الطريق فأذكرني عند ربك الفصل الثامن في الذكر بالتكبير قال تعالى "ولذكر الله أكبر" وذكر الله القرآن فأذكره بالقرآن لا تكبره بتكبيرك أذ قد أمرك أن تكبره فقال "وكبره تكبيرا" عن الولد والشريك والولي ولا تغفل في هذا التكبير عن قوله من الذل فقيده فإنه يقول "أن تنصروا الله ينصركم" فما نصرناه من ذل فلهذا قال ولم يكن له ولي من الذل فإنه قد دعاك إلى نصرته ليوفي الصورة التي خلقتك عليها حقها لأنه يقول أعطي كل شيء خلقه فمن أعطائه الصورة التي خلقتك عليها خلقتها الذي هو عين حقها أن يطلب منها نصرته فإنه الناصر فقال "كونوا أنصار الله" والناصر هو الولي فلهذا قيده فإذا كبرته عن الولي فاعلم عن أي ولي تكبره وكذلك أيضاً الشريك في الملك وعلى هذه المسألة تبتني مسألة العبد هل يملك أولاً فمن رأى شركة الأسباب التي لا يمكن وجود المسببات ألا بها لم يثبت الشريك لأن السبب من الملك وهو كالألة والآلة يوجد بها ما هو ملك للموجد كما هي الآلة ملك للموجد وما تملك الآلة سياً فلهذا قيد التكبير عن الشريك في الملك لا في الإيجاد لأن الله تعالى أوجد الأشياء على ضربين ضرب أوجده بوجود أسبابه مثل صنائع العالم كالتابوت للنجار والحائط للبناء وجميع صنائع العالم والكل صنعتته تعالى والأضافة إلى النجار وأن كان النجار ما أستقل في عمل التابوت بيده فقط بل بآلات متعددة من الحديد وغير ذلك فهذه أسباب التجارة وما أضيف عمل التابوت إلى شيء منها بل أضيف التابوت من كونه صنعة لصانعه ولم يصنع ألا بالآلة ثم ثم إضافة أخرى وهو أن كان النجار صنع في حق نفسه أضيف التابوت إليه لأنه ملكه وهو قوله "وما خلقت الجن والأنس ألا ليعبدون فله ملك السموات والأرض" وأن كان الخشب لغيره فالتابوت من حيث صنعتته يضاف إلى النجار ومن حيث الملك يضاف للمالك لا إلى النجار فالنجار آلة للمالك والله ما نفى ألا الشريك في الملك لا الشريك في الصنعة ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين وأما الضرب الثاني فهو ما أوجده لا بسبب وهو إيجاد أعيان الأسباب الأول فإذا كبرت ربك عن الولي والشريك فقيده في ذلك بما قيده الحق ولا تطلق فيفتك خير كثير وعلم كبير وكذلك قوله وكبره أن يتخذ ولداً فإن الولد للوالد ليس بمتخذ لأنه لا عمل له فيه على الحقيقة وإنما وضع ماء في رحم صاحبه وتولى إيجاد عين الولد سبب آخر والمتخذ الولد إنما هو المتبني كريد لما تبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لنا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً لأنه لو أتخذ ولداً لأصطفى مما يخلق ما يشاء فكان يتبني ما شاء فما فعل فعل من لم يتخذ ولداً وقوله تعالى لم يلد ذلك ولد الصلب فليس له تعالى ولد ولا تبني أحداً فنفي عنه الولد من الجهتين لما أدعت طائفة من اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأرادوا التبني فإلهم عالمون بآبائهم وقالوا في المسيح أنه ابن الله أذ لم يعرفوا له أباً ولا تكون عن أب لجهلهم بما قال الله من تمثل الملك لمريم بشراً سوياً وجعله الحق تعالى روحاً أذ كان جبريل روحاً فما تكون عيسى ألا

عن اثنين فجبريل وهب لها عيسى في النفخ فلم يشعروا لذلك كما ينفخ الروح في الصورة عند تسويتها فما عرفوا روح عيسى ولا صورته وأن صورة عيسى مثل تجسد الروح لأنه عن تمثل فلو تفتنت لخلق عيسى لرأيت علماً عظيماً تقصر عنه أفهام العقلاء فإذا كبرت ربك فكبره كما كبر نفسه تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً وهم الذين يكبرونه عما لم يكبر نفسه في قوله يفرح بتوبة عبده ويتنبش إلى من جاء إلى بيته ويباهي ملائكته بأهل الموقف ويقول جعت فلم تطعمني فإنزل نفسه منزلة عبده فإن كبرته بأن تتره عن هذه المواطن فلم تكبره بتكبيره بل أكذبتة فهؤلاء هم الظالمون على الحقيقة فليس تكبيره ألا ما كبر به نفسه فقف عند حدك ولا تحكم على ربك بعقلك

الفصل التاسع في الذكر بالتهليل هذا هو ذكر التوحيد بنفي ما سواه وما هو ثم فإن لم يكن ثم ونفيت النفي فقد أثبت فإن الله تعالى يقول "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه" فما عبد فيما عبد إلا الله وهذا التوحيد على ستة وثلاثين أعني الواردة في القرآن من حيث ما هو كلام الله فمنه ما هو توحيد الواحد وهذا يرى بعض العلماء الأهلين أن الله هو الذي توحيد الألوهية ومنه ما هو توحيد الهوية ولنذكر هذا كله في هذا الفصل وماله تعالى في هذا التهليل من الاسماء الألهية ولا نزيد على ما ورد في القرآن من ذلك وهو ستة وثلاثون موضعاً وهي عشر درجات الفلك الذي جعل الله إيجاد الكائنات عند حركاته من أصناف الموجودات من عالم الأرواح والأجسام والنور والظلمة فهذه الستة وثلاثون حق الله مما يكون في العالم من الموجودات فإنها مما تكون في عين التلفظ الأنساني بالقرآن فهو كالعشر فيما سقت السماء وهو المسمى الأعلى من قوله "سبح إسم ربك الأعلى" فالتهليل عشر الذكر وهو زكاته لأنه حق الله فهو عشر ثلثمائة وستين درجة فمن ذلك التوحيد الأول وهو قوله تعالى "وأحكم آله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم" فهذا توحيد الواحد بالاسم الرحمن الذي له النفس فبدأ به لأن النفس لولاه ما ظهرت الحروف ولولا الحروف ما ظهرت الكلمات فنفي الألوهية عن كل أحد وحده الحق تعالى ألا أحديته فأثبت الألوهية لها بالهوية التي أعاد على إسمه الواحد وأول نعت به الرحمن لأنه صاحب النفس وسمى مثل هذا الذكر تليلاً من الأهلال وهو رفع الصوت أي إذا ذكر بلا إله إلا الله أرتفع الصوت الذي هو النفس الخارج به على كل نفس ظهر فيه هذه الكلمة ولهذا قالها ألا نبي لأنه ما يخبر عن الحق ألا نبي فهو كلام الحق فأرفع الكلمات كلمة لا إله إلا الله وهي أربع كلمات نفي ومنفي وإيجاب وموجب والأربعة الألهية أصل وجود العالم والأربعة الطبيعية أصل وجود الأجسام والأربعة العناصر أصل وجود المولدات والأربعة الأخلاط أصل وجود الحيوان والأربع الحقائق أصل وجود الإنسان فالأربعة الألهية الحياة والعلم والإرادة والقول وهو عين القدرة عقلاً والقول شرعاً والأربع الطبيعية الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة والأربعة العناصر الأثير والهواء والماء والتراب والأربعة الأخلاط المرتان والدم والبلغم والأربع الحقائق الجسم والتغذي والحس والنطق فإذا قال العبد لا إله إلا الله على هذا الترتيب كان لسان العالم ونائب الحق في النطق فيذكره العالم والحق بذكره وهذه الكلمة اثنا عشر حرفاً فقد أستوعبت من هذا العدد بسائط أسماء الأعداد وهي اثنا عشر ثلاث عقود العشرات والمئين والآلاف ومن الواحد إلى التسعة ثم بعد هذا يقع التركيب بما لا يخرجك عن هذه الآحاد إلى ما لا يتناهي فقد ضم ما يتناهي وهو هذه اثنا عشر ما لا يتناهي وهو ما يتركب منها فلا إله إلا الله وأن أنحصرت في هذا العدد في الوجود فجزأونا لا يتناهي فيها وقع الحكم بما لا يتناهي فبقاء الوجود الذي لا يلحقه عدم بكلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله فهذا أعمل نفس الرحمن فيها ولهذا أبتدأ به في القرآن وجعله توحيد الأحد لأن عن الواحد الحق ظهر العالم التوحيد الثاني من نفس الرحمن الله لا إله إلا هو الحي القيوم فهذا توحيد الهوية وهو توحيد الأبتداء لأن الله فيه مبتدأ ونعته في هذه الآية بصفة التزيه عن حكم السنة والنوم لما يظهر به من الصور

التي يأخذها السنة والنوم كما يرى الإنسان ربه في المنام على صورة الإنسان التي من شأنها أن تنام فتره نفسه ووحدها في هذه الصورة وأن ظهر بها في الرؤيا حيث كانت فما هي ممن تأخذها سنة ولا نوم فهذا هو النعت الأخص بها في هذه الآية وقدم الحي القيوم لأن النوم والسنة لا يأخذ ألا الحي القائم أي المتيقظ أذ كان الموت لا يرد ألا على حي فلهذا قيل في الحق أنه الحي الذي لا يموت كذلك النوم والسنة والسنة أول النوم كالنسيم للريح فإن النوم بخار وهو هواء والنسيم أوله والسنة أول النوم فلا يرد ألا على متصف باليقظة فهذا توحيد التثنية عمن من شأنه أن يقبل ما نزه عنه هذا الأله الحي القيوم ولولا التطويل لذكرنا تمام الآية بما فيها من الاسماء الألهية التوحيد الثالث من نفس الرحمن وهو ألم الله لا أله ألا هو الحي القيوم وهذا توحيد حروف النفس وهو الألف واللام والميم

وقد ذكرنا من حقائق هذه الحروف في الباب الثاني من هذا الكتاب ما فيه غنية وهذا التوحيد أيضاً توحيد الأبتداء وله من أسماء الأفعال منزل الأربعة الكتب يصدق بعضها بعضاً لأن أكثر الشهود أربعة والكتب الألهية وثائق الحق على عباده وهي كتب مواصفه وتحقيق بما له عليهم وما لهم عليه مما أوجبه على نفسه لهم فضلاً منه ومنة فدخل معهم في العهدة فقال "أوفوا بعهدي أوف بعهدكم" فأدخلنا تحت العهد أعلاماً بأننا جحدنا عبوديتنا له أذ لو كنا عبيداً لم يكتب علينا عهده فإننا بحكم السيد فلما أيقنا بخروجنا عن حقيقتنا وادعينا الملك والتصرف والأخذ والعطاء كتب بيننا وبينه عقوداً وأخذ علينا العهد والميثاق وأدخل نفسه معنا في ذلك ألا ترى العبد المكاتب لا يكاتب ألا أن يتزل منزلة الأحرار فلو لا توهم رائحة الحرية ما صحت مكاتبته العبد وهو عبد فإن العبد لا يكتب عليه شيء ولا يجب له حق فإنه ما يتصرف ألا عن إذن سيده فإذا كان العبد يوفي حقيقة عبوديته لم يؤخذ عليه عهد ولا ميثاق ألا ترى العبد الآبق يجعل عليه القيد وهو الوثاق لا باقه فهذا بمنزلة الوثائق التي تتضمن العهود والعقود التي لا تصح بين العبد والسيد فمن أصعب آية تمر على العارفين كل آية فيها "أوفوا بالعقود" أو العهود فإنها آيات أخرجت العبيد عن عبوديتهم لله التوحيد الرابع من نفس الرحمن قوله "هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا أله ألا هو العزيز الحكيم" هذا توحيد المشيئة ووصف الهوية بالعزة وهو قوله ولم يولد فهو عزيز الحي أذ كان هو الذي صورنا في الأرحام من غير مباشرة أذ لو باشر لضمه الرحم كما يضم القابل للصورة ولو لم يكن هو المصور لما صدقت هذه النسبة وهو الصادق فإنه ما أضاف التصوير إلى غيره فقال كيف يشاء أي كيف أراد فظهر في هذه الكيفية أن مشيئته تقبل الكيفية مع نعته بالعزة ثم بالحكمة والحكيم هو المرتب للأشياء التي أنزلت منازلها فالتصوير يستدعيه أذ كان هو المصور لا الملك مع العزة التي تليق بجلاله فحير العقول السليمة التي تعرف جلاله وأما أهل التأويل فما حاروا ولا أصابوا أعني في خوضهم في التأويل وأن وافقوا العلم فقد أرتكبوا محرماً عليهم يستلون عنه يوم القيامة هم وكل من تكلم في ذاته تعالى ونزهه عما نسبته إلى نفسه ورجح عقله على إيمانه وحكم نظره في علم ربه ولم يكن ينبغي له ذلك وهو قوله تعالى كذبي ابن آدم ولم يكن ينبغي له وذكر بعض ما كذبه فيه لا كله وأبقي له ضرباً من الرجاء حيث أضافه إليه في الحديث الذي يقول فيه عبدي فإن قال ابن آدم وهو الأصح في الرواية فأبعده عن نفسه وأضافه إلى ظاهر آدم عليه السلام لأن المعصية بالظاهر وقعت وهو القرب من الشجرة والأكل ونسي ولم يجد له عزماً وهو عمل الباطن فيراً باطنه منها وكان عند الله وجهياً مجتبي كما قال تعالى التوحيد الخامس من نفس الرحمن وهو قوله "شهد الله أنه لا أله ألا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط" هذا توحيد الهوية والشهادة على الاسم المسقط وهو العدل في العالم وهو قوله "أعطى كل شئ خلقه" فوصف نفسه بإقامة الوزن في التوحيد أعني توحيد الشهادة بالقيام بالقسط وجعل ذلك للهوية وكان الله الشاهد على ذلك من حيث أسماؤه كلها فإنه

عطف بالكثرة وهو قوله والملائكة وأولوا العلم فعلمنا حيث ذكر الله ولم يعين اسماً خاصاً أنه أراد جميع الاسماء الإلهية التي يطلبها العالم بالقسط إذ لا يزن على نفسه فلم يدخل تحت هذا إلا ما يدخل في الوزن فهذا توحيد القسط وقد رويناه في ذلك حديثاً ثابتاً وهو ما حدثناه يونس بن يحيى عن أبي الوقت عبد الأول الهروي عن ابن المظفر الداودي عن أبي محمد الحمودي عن الفريزي عن البخاري عن أبي اليمان عن شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل أنفق أنفق عليك وقال يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار وقال أرايتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغيض ما في يده وكان عرشه على الماء ويده الميزان يخفض ويرفع خرجه مسلم أيضاً عن أبي هريرة وقال يمينه لم يقل يده وقال بيده الأخرى وهو حديث صحيح فإذا قام العبد بالقسط في تهليل ربه صدقه ربه فقال مثل قوله فهذا من تزكيه الله عبده حدثنا غير واحد منهم ابن رستم مكي بن الدين أبو شجاع الأصفهاني إمام المقام

بالحرم المكي الشريف وعمر بن عبد المجيد الميانسي عن أبي الفتح الكرخي عن الترياقبي أبي نصر عن عبد الجبار بن محمد عن المحبوبي عن أبي عيسى الترمذي عن سفيان بن وكيع عن اسمعيل بن محمد عن جحادة عن عبد الجبار بن عباس عن الأغرائي مسلم قال أشهد على أبي سعيد وأبي هريرة أنهما شهدا على النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال لا إله إلا الله أكبر صدقه ربه وقال لا إله إلا أنا وأنا أكبر وإذا قال لا إله إلا الله وحده قال يقول الله لا إله إلا أنا وأنا وحدي وإذا قال لا إله إلا الله له الملك وله الحمد قال الله لا إله إلا أنا لي الملك ولي الحمد وإذا قال لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله قال الله لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي وكان يقول من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار فمن أعطى الحق من نفسه لربه ولغيره ولنفسه من نفسه بإقامة الوزن على نفسه في ذلك فلم يترك لنفسه ولا لغيره عليه حقاً جملة واحدة قام في هذا المقام بالقسط الذي شهد به لربه فإنها شهادة أداء الحقوق من يكتمها فإنه آثم قلبه وما كان له من حق تعين له عند غيره أسقطه ولم يطالب به إذ كان له ذلك فوقع أجره على الله ثم يؤيد ما ذكرناه في إعطاء الحق في هذه الشهادة قوله بعد قوله قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم فشهد الله لنفسه بتوحيده وشهد لملائكته وأولى العلم أنهم شهدوا باله بالثوحيدي فهذا من قيامه بالقسط وهو من باب فضل من أتى بالشهادة قبل أن يسألها فإن الله شدد لعباده أنهم شهدوا بتوحيده من قبل أن يسأل منه عبادة ذلك وبين في هذه الآية أن الشهادة قبل أن يسأل منه عبادة ذلك وبين في هذه الآية أن الشهادة لا تكون إلا عن علم لا عن غلبة ظن ولا تقليد إلا تقليد معصوم فيما يدعيه فتشهد له بأنك على علم كما نشهد نحن على الأمم أن أنبياءها بلغتها دعوة الحق ونحن ما كنا في زمان التبليغ ولكننا صدقنا الحق فيما أخبرنا به في كتابه عن نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحابه ليكة وقوم موسى وشهادة خزيمه وذلك لا يكون إلا من هو في إيمانه على علم بمن آمن به لا على تقليد وحسن ظن فاعلم ذلك التوحيد السادس من نفس الرحمن هو قوله الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة هذا أيضاً توحيد الإبتداء وهو توحيد الهوية المنعوت بالاسم الجامع للقضاء والفصل فمن رحمة الله أنه قال ليجمعنكم فما تجتمع إلا فيما لا نفترق فيه وهو الإقرار بربوبيته سبحانه وإذا جمعنا من حيث إقرارنا له بالربوبية فهي آية بشرى وذكر خير في حقنا بسعادة الجميع وأن دخلنا النار فإن الجمعية تمنع من تسرمد الإنتقام لا إلى نهاية لكن يتيسر مد العذاب وتختلف الحالات فيه فإذا انتهت حالة الإنتقام ووجدان الآلام أعطى من النعيم والإستعذاب بالعذاب ما يليق بمن أقر بربوبيته ثم أشرك ثم وحد في غير موطن التكليف والتكليف أمر عرض في الوسط بين الشهادتين لم يثبت فبقي الحكم للأصلين الأول والآخر وهو السبب الجامعنا في القيامة فما جمعنا إلا فيما اجتمعنا

قال أبو یزید الأكبر البسطامي

وكل مآربي قد نلت منها

سوى ملذوذ وجدى بالعذاب

لم يقل بالألم ولنا في هذا الباب نظم كثير التوحيد السابع من نفس الرحمن هو قوله ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه هذا توحيد الرب بالاسم الخالق وهو توحيد الهوية فهذا توحيد الوجود لا توحيد التقدير فإنه أمر بالعبادة ولا يأمر بالعبادة إلا من هو موصوف بالوجود وجعل الوجود الرب فجعل ذلك الاسم بين الله وبين التهليل وجعله مضافاً إلينا إضافة خاصة إلى الرب فهي إضافة خصوص لنوحده في سيادته ومجده وفي وجوب وجوده فلا يقبل العدم كما يقبل الممكن فإنه الثابت وجود لنفسه ويوحده أيضاً في ملكه باقرارنا بالرق له ولنوحده توحيد المنعم لما أنعم به علينا من تغذيته إيانا في ظلم الأرحام وفي الحياة الدنيا ولنوحده أيضاً فيما أوجده من المصالح التي بماقوامنا من إقامة النواميس ووضع الموازين ومبايعة الأئمة القائمة بالدين وهذه الفصول كلها أعطاهها الاسم الرب فوحدناه ونفينا ما ربوبية ما سواه قال يوسف لصاحبي السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار التوحيد الثامن من نفس الرحمن قوله تعالى اتبع ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين هذا توحيد الإتياع وهو من توحيد الهوية فهو توحيد تقليد في علم لأنه نصب الأسباب وأزال عنها حكم الأرباب لما قالوا ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى فلو قالوا ما نتخذهم وأبقوا العبودية لجناب الله تعالى لكان لهم في ذلك مندوحة بوضع الأسباب الإلهية المقررة في العالم فأمر صلى الله عليه وسلم أن يعرض عن الشرك لا عن السبب فإنه قال في مصالح الحياة الدنيا ولكم في القصاص حياة فعلم ولام العلة في القرآن كثير وهذا أيضاً فيه ما في السابع من توحيد المقسط لإقامة الوزن في الحكم بين الخصماء بين ذلك قوله وأعرض عن المشركين وخص به الداعي لحيثه بالتوحيد الايماني لا التوحيد العقلي وهو توحيد الأنبياء والرسل لأنها ما وحدت عن نظر وإنما وحدت عن نظر وإنما وحدت عن ضرورة علم وحدته في نفسها لم تقدر على دفعه فترك المشركين وأهتتهم وأنفرد بغار حرا يتحنث فيه من غير معلم ألا ما يجده في نفسه حتى فجته الحق وهو قوله أتبع ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا هو أي أنه لا يقبل الشريك فأعرض عنهم حتى يستحكم الايمان وأقمه بنفس الرحمن فأجعل له أنصاراً وأمرك بقتال المشركين لا بالأعراض عنهم التوحيد التاسع من نفس الرحمن هو قوله "أني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت" توحيد الهوية في الاسم المرسل وهو توحيد الملك ولهذا نعته بأنه يحيي ويميت أذ الملك هو الذي يحيي ويميت ويعطي ويمنع ويضر وينفع فمن أعطي أحيا ونفع ومن منع أضر وأمات ومن منع لا عن بخل كان منعه حماية وعناية وجوداً من حيث لا يشعر بالمنوع وكان الضرر في حقه حيث لم يبلغ إلى نيل غرضه لجهله بالمصلحة فيما حماه عنه النافع ومات هذا المنوع لكونه لم تنفذ أرادته كما لا تنفذ أرادة الميت فهذا منع الله وضرره وأماتته فإنه المنعم الحسان فأرسل الرسل بالتوحيد تنبيهاً لأقاربهم في الميثاق الأول فقال "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" فمن وحده بلسان رسوله لا من لسانه جازاه الله على توحيد جزاء رسوله فإن وحده لا بلسان رسوله بل بلسان رسالته جازاه مجازاة ألهية لا تعرف يدخل تحت قوله مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر أنهى الجزء التاسع عشر ومائة

الجزء الحادي والعشرون ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

التوحيد العاشر من نفس الرحمن قوله وما أمروا ألا ليعبدوا ألهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون هذا توحيد الأمر بالعبادة فأما في حق المؤمنين فأمرهم أن يعبدوه من حيث أحدية العين لما قال في حق طائفة قل أدعوا الله أو أدعوا الرحمن أياً تدعوا فله الاسماء الحسنى فما هي هذه الطائفة التي أمرت أن تعبد ألهاً واحداً فلا تنظروا في الاسماء الألهية من حيث ما تدل على معان مختلفة فتعبدهم معانيها فتكون عبادتهم معلولة حيث رأوا أن كل حقيقة منهم مرتبطة بحقيقة ألهية يتعلق أفتقارها القائم بها إليها وهي متعددة فإن حقيقة الطلب للرزق إنما تعبد الرزاق وحقيقة الطلب للعافية إنما تعبد الشافي فقليل لهم لا تعبدوا ألهاً واحداً وهو أن كل إسم ألهي وأن كان يدل على معنى يخالف الآخر فهو أيضاً يدل على عين واحدة تطلبها هذه النسب المختلفة وأما من حمل العبادة هنا على الأعمال فلا معرفة له باللسان فالعمل صورة والعبادة روح لتلك الصورة العملية التي أشأها المكلف وأما غير المؤمنين وهم المشركون فهم الذين نسبوا الألوهة إلى غير من يستحقها ووضعوا أسمها على غير مسمائها وأدعوا الكثرة فيها كما أدعوا الكثرة في الأنسانية فدعواهم فيها صحيحة وما عرفوا بطلانها في الألهية ولذلك تعجبوا من توحيدها فقالوا أجعل الآلهة ألهاً واحداً أن هذا الشيء عجاب وما علموا أن جعل الألوهة في الكثيرين أعجب فقليل لهم وأن كنتم ما عبدتم كل من عبدتموه ألا بتخيلكم أن الألوهة صفته فما عبدتم غيرها ليس الأمر كذلك فإنكم شهدتم على أنفسكم أنكم ما تعبدونها ألا لتقربكم إلى الله زلفى فأقررت مع شرككم أن ثم ألهاً كبيراً هذه الآلهة خدمتكم إياها تقربكم من الله فهذه دعوى بغير برهان وهو قوله ومن يدع مع الله ألهاً آخر لا برهان له به وهذه أرجى آية للمشرك عن نظر جهد الطاقة وتخيله في شبهه ألهاً برهان فيقوم له العذر عند الله فأذوقد أعترفوا أنهم عبدوا الشريك ليقربهم إلى الله زلفى فتح القائل على نفسه باب الاعتراض عليه بأن يقال له ومن أين علمتم أن هذه الحجارة أو غيرها لها عند الله من المكانة بحيث أن جعلها معبودة لكم كما قال فأسألوهم أن كانوا ينطقون فالذين عبدوا من ينطق ويدعي الألوهة أقرب حالاً من عبادة من لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنهم شيئاً وهذا قول إبراهيم لأبيه وهو الذي قال فيه تعالى وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه وأبوه من قومه وهذه وغيرها من الحجة التي أعطاه الله فأمرهم الله أن لا يعبدوا ألهاً واحداً لا إله إلا هو في نفس الأمر سبحانه أي هو بعيد أن يشرك في ألوهته فهذا توحيد الأمر التوحيد الحادي عشر من نفس الرحمن قوله "فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم" هذا توحيد الاستكفاء وهو من توحيد الهوية لما قال الله تعالى "وتعاونوا على البر والتقوى" فأحالتنا علينا بأمره فبادرنا لأمثال أمره فمننا من قال لولا أن الله قد علم أن لنا مدخلاً صحيحاً في إقامة ما كلفنا من البر والتقوى ما أحالتنا علينا ومننا من قال بالتعاون الذي أمرنا به على البر والتقوى أن يرد كل واحد منا صاحبه إلى ربه في ذلك ويستكفي به فيما كلفه وهو قوله وأستعينوا بالله خطاب تحقيق وأستعينوا بالصبر والصلاة خطاب ابتلاء فإذا سمع القوم للذين قالوا أن لنا مدخلاً محققاً في العمل ولهذا أمرنا بالتعاون ما قاله من جعله خطاب ابتلاء أو حملة على الرد إلى الله في ذلك لما علمنا أن نقول وأياك نستعين وأستعينوا بالله وهو قول موسى لقومه مع أنهم ما طلبوا معونة الله ألا وعندهم ضرب من الدعوى ولكن أعلى من أصحاب المقام الأول وأقرب إلى الحق فتولوا عنهم في هذا النظر ولم يقولوا به فكيف حالهم مع من هو مشهده وإليه يرجع الأمر كله فأعبدته وتوكل عليه فقال تعالى لهم فإن تولوا عما دعوتهم إليه فقل حسبي الله أي في الله الكفاية لا إله إلا هو

عليه توكلت وهو رب العرش العظيم فإذا كان رب العرش والعرش محيط بعالم الأجسام وأنت من حيث جسميتك أقل الأجسام فأستكف بالله الذي هو رب مثل هذا العرش ومن كان الله حسبه أنقلب بنعمة من الله وفضل لم يمسسه سوء وجاء في ذلك بما يرضي الله والله ذو فضل عظيم على من جعله حسبه والفضل الزيادة أي ما يعطيه على موازنة عمله بل أزيد من ذلك مما يعظم عنده إذا رآه

ذوقاً ومن أعجب ما رأيت من بعض الشيوخ من أهل الله ممن كان مثل أبي يزيد في الحال وربما أمكن منه فيه فقعدت مع هذا الشخص يوماً بجامع دمشق وهو يذكر لي حاله مع الله وما يجري له معه في وقائعه فقال لي أن الحق ذكر له عظم ملكه قال الشيخ فقلت له يا رب ملكي أعظم من ملكك فقال لي كيف تقول وهو أعلم فقلت له يا رب لأن مثلك في ملكي فإنك لي تجيبي إذا دعوتك وتعطيني إذا سألتك وما في ملكك مثلك قال فقال لي صدقت وما رأيت أحداً ذهب إلى ما يقارب هذا المذهب أو هو هو سوى محمد بن علي الترمذي الحكيم فإنه يقول في هذا المقام مقام ملك الملك وقد شرحناه في مسائل الترمذي في هذا الكتاب التي سألت عنها أهل الله في كتاب ختم الأولياء ثم بكى هذا الشيخ أدباً مع الله ويقول يا أخي هو يجزئي عليه ويياسطني فكنت أقول له إذا كان يفرح بتوبة عبده كما قاله عنه رسوله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون نظره إلى العارفين به التوحيد الثاني عشر من نفس الرحمن هو قوله حتى إذا أدركه الغرق قال "آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل" هذا توحيد الأستغاثة وهو توحيد الصلة فإنه جاء بالذي في هذا التوحيد وهو من الاسماء الموصولة وجاء بهذا ليرفع اللبس عن السامعين كما فعلت السحرة لما آمنت برب العالمين فقالت رب موسى وهارون لرفع اللبس من أذهان السامعين ولهذا توعدهم ثم تم وقال وأنا من المسلمين لما علم أن الأله هو الذي ينقاد إليه ولا يتقاد هو لأحد قال علي ابن أبي طالب أهللت بما أهل به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يعرف بما أهل به فقل منه مع كونه أهل على غير علم محقق فأحرى إذا كان على علم محقق فاعلم بذلك فرعون ليعلم قومه برجوعه عما كان أدعاه فيهم من أنه بهم الأعلى فأمره إلى الله فإنه آمن عند رؤية البأس وما نفع مثل ذلك الايمان فرفع عنه عذاب الدنيا ألا قوم يونس ولم يتعرض للآخرة ثم أن الله صدقه في إيمانه بقوله آلاآن وقد عصيت قبل فدل على أخلاصه في إيمانه ولو لم يكن مخلصاً لقال فيه تعالى كما قال في الأعتراب الذين قالوا "آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم" فقد شهد الله لفرعون بالايمان وما كان الله ليشهد لأحد بالصدق في توحيده ألا ويجازيه به وبعد إيمانه فما عصى فقبله الله أن كان قبله طاهراً أة كافراً إذا أسلم وجب عليه أن يغتسل فكان غرقه غسله تطهيراً حيث أخذه الله في تلك الحالة نكال الآخرة والأولى وجعل ذلك عبرة لمن يخشى وما أشبه إيمان من غرغر فإن المغرغر موقن بأنه مفارق قاطع بذلك وهذا الغرق هنا لم يكن كذلك لأنه رأى البحر ييساً في حق المؤمنين فعلم أن ذلك لهم بإيمانهم فما أيقن بالموت بل غلب على ظنه الحياة فليس منزلته منزلة من حضره الموت فقال أي تبت الآن ولا هو من الذين يموتون وهم كفار فأمره إلى الله تعالى ولما قال الله له فاليوم ننجيك ببدنك لتكوين لمن خلفك آية كما كان قوم يونس فهذا إيمان موصول وقدم الهوية لبعيد ضميره عليه ليلحق بتوحيد الهوية التوحيد الثالث عشر من نفس الرحمن هو قوله فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا إنما أنزل بعلم الله وإن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون هذا توحيد الإستجابة وهو توحيد الهو وهو توحيد غريب فإن قوله فإن لم يستجيبوا يعني المدعين لكم يعني الداعين فاعلموا أنما أنزل بعلم الله فالضمير في فاعلموا يعود على الداعين وهم عالمون بأنه إنما أنزل بعلم الله ولو أراد المدعين لقال فيعلموا بالياء كما قال يستجيبوا بياء الغيبة ثم قال وإن لا إله إلا هو أي واعلموا أنه لا إله إلا هو كما علمتم أنه إنما أنزل بعلم الله ثم قال فهل أنتم مسلمون وقد كانوا مسلمين وهذا كله

خطاب الداعين إن كانت هل على بإها وإن كانت هنا مثل ما هي في قوله هل أتى على الإنسان اعتماداً على قرينه الحال فأخرجت عن الإستفهام وولاً فما هذا خطاب الداعين إلا أن يكون مثل قولهم إياك أعني فاسمعي يا جاره فالخطاب لزيد والمراد به عمرو ولئن أشركت ليظن عملك وإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسئل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك ومعلوم أنه مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهو على بيته من ربه في مآله فعلنا بقرائن الأحوال أنه المخاطب والمراد غيره لا هو وحكمة ذلك مقابلة الأعراض بالأعراض لأنهم أعرضوا لأنهم أعرضوا عن قبول دعوة الداعين

فاعرض الله عنهم بالخطاب والمراد به منهم فاسمعهم في غيرهم وأما فائدة العلم في ذلك فهي أن تقول لما علم الله أن قوماً لا يؤمنون ارتفعت الفائدة في خطابهم وكان خطابهم عبثاً فأخبرهم الله تعالى أن نزول الخطاب بالدعوة لمن ليس يقبله في علم الله أنه نائماً أنزل بعلم الله أي سبق في علم الله إنزاله لأن تبدل المعلوم محال كما قال ما يبدل القول لدى لأنه سبق في علم الله أن تكون خمس صلوات في العمل وخمسون في الأجر فما زال يحط من الحمسين بعلم الله إلى أن انتهى إلى علم الله بإثبات الخمس فنع النقص من ذلك وقال ما يبدل القول لدى وهكذا يكون الله علمه في الأشياء سابق لا يحدث له علم بل يحدث التعليق لا العلم ولو حدث العلم لم تقع الثقة بوعوده لأننا لا ندري ما يحدث له فإن قلت فهذا أيضاً يلزم في الوعيد قلنا كذا كنا نقول ولكن علمنا أنه ما أرسل رسولا إلا بلسان قومه وبما تواطؤا عليه من كل ما هو محمود فيعاملهم بذلك في شرعهم كذا سبق علمه وهذا لسان عربي مبين ومما يتمدح به أهل هذا اللسان بل هو مدح في كل أمة التجاوز عن انفاذ الوعيد في حق المسئ والعفو عنه والوفاء بالوعد الذي هو في الخير وهو الذي يقول فيه شاعر العرب

وإني إذا أوعدته أة وعدته

لمخلف ايعادى ومنجز موعدى

فكان انزال الوعيد بعلم الله الذي سبق بإنزاله ولم يكن في حق قوم انفاذه في علم الله ولو كان في علم الله لنفذ فيهم كما ينفذ الوعد الذي هو في الخير لأن إلا يعادلا يكون إلا في الشر والوعد يكون في الخير وفي الشر معاً يقال أوعدته في الشر ووعدته في الشر والخير وقال تعالى "وما أرسلنا برسول إلا بلسان قومه" ليبين لهم فمما بين لهم تعالى التجاوز عن السيئات في حق من أساء من عباده والأخذ بالسيئة من شاء من عباده ولم يفعل ذلك في الوعد بالخير فاعلمنا ما في علمه فكما هو واحد في إلهيته هو واحد في أمره فما أنزل إلا بعلم الله سواء نفذ أو لم تنفذ التوحيد الرابع عشر من نفس الرحمن وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب هذا توحيد الرجعة وهو توحيد الهوية أخبر أنهم يكفرون بالرحمن لأنهم جعلوا هذا الاسم إذ لم يكن عندهم ولا سمعوا به قبل هذا فلما قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فزادهم هذا الاسم نفورا فإنهم لا يعرفون إلا الله الذين يعبدون الشركاء ليقرّبوهم إلى الله زلفى ولما قيل لهم اعبدوا الله لم يقولوا وما الله وإنما أنكروا توحيدهم وقد نقل أنهم كانوا يعرفونه مركباً الرحمن الرحيم إسم واحد كعبلك ورام هرmez فلما أفردوه وبغير نسب أنكروه فإنه يقال في النسب بعلی فقال لهم الداعي الرحمن هو ربي ولم يقل هو الله وهم لا ينكرون الرب ولما كان الرحمن له النفس وبالنفس حياتهم فسره بالرب لأنه المغذى بالغذاء حياتهم فلا يفرقون من الرب ويفرقون من الله ولهذا عبدوا الشركاء ليشفعوا لهم عند الله إذ بيده الإقتدار الإلهي والأخذ الشديد وهو الكبير عندهم المتعالى فهم معترفون مقرون به فتلطف لهم بالعبرة بالاسم الرب ليرجعوا فهو أقرب مناسبة بالرحمن قال

لموسى وهارون قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى والترجي من الله واقع كما قالوا في عسى فإنهما كلمتا ترج ولم يقل لهما لعله يتذكر أو يخشى في ذلك المجلس ولا بد ولا خلصة للإستقبال الأخر اوي فإن الكل يخشونه في ذلك الموطن فجاء بفعل الحال الذي يدخله الإحتمال بين حال الدنيا وبين استقبال التأجير للدار الآخر وذلك لا يكون مخلصاً للمستقبل إلا بالسين أو سوف فالذي ترجى من فرعون وقع لأن ترجيه تعالى واقع فآمن فرعون وتذكر وخشى كما أخبر الله وأثر فيه لين قول موسى وهرون ووقع الترجي الإلهي كما أخبر فهذا يدل على قبول إيمانه لأنه لم ينص الأعلى ترجى التذكر والخشية لا على الزمان إلا أنه في زمان الدعوة ووقع ذلك في زمان الدعوة وهو الحياة الدنيا وأمر نبيه أن يقول بحيث يسمعون قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت في أمركم وإليه متاب أي مرجعي في أمركم عسى يهديكم إلى الإيمان فما أغلظ لهم بل هذا أيضاً من القول اللين لتتوفر الدواعي من المخاطبين للنظر فيما خاطبهم به إذ لو خاطبهم بصفة القهر وهو غيب لا عين له في الوقت إلا مجرد اغلاظ القول لنفرت طباعهم وأخذتهم حمية الجماهيلية لمن نصبوهم آلهة فابقى عليهم وهو قوله تعالى "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" ولم يقل للمؤمنين وكان سبب نزولها أن دعا على وعل وذكوان وعصية شهراً كاملاً في كل صلاة بأن يأخذهم الله فعتبه الله في ذلك وفيه تنبيه على رحمة الله بعباده لأنهم على كل حال عباده معترفون به معتقدون لكبرياء طالبون القربة إليه لكنهم جهلوا طريق القربة ولم يوفوا النظر حقه ولا قامت لهم شبهة قوية في صورة برهان فكانوا يدخلون بها في مفهوم قوله ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به ويريد بالبرهان هنا في زعم الناظر فإنه من المحال أن يكون ثم دليل في نفس الأمر على إله آخر ولم يبق إلا أن تظهر الشبهة بصورة البرهان فيعتقد أنها برهان وليس في قوته أكثر من هذا التوحيد الخامس عشر من نفس الرحمن هو قوله يتزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقوا هذا توحيد الأنذار من أجل أمر الله لهم بذلك والروح هنا التزل في التوحيد رسل البش والمرسلون إليهم فإن الملائكة هي التي نزلت بالإنذار من أجل أمر الله لهم بذلك والروح هنا ما نزلوا به فهذا توحيد عظيم نزل من جبار عظيم بتخويف وتهديد مع لطف خفي في قوله فاتقون أي فاجعلوني وقاية تدفعون بي ما أنذرتكم به هذا لطفه ليس معناه فخافوني لأنه ليس لله وعيد وبطش مطلق

شديد ليس فيه شيء من الرحمة واللطف ولهذا قال أبو يزيد وقد سمع قارئاً يقرأ أن بطش ربك لشديد فقال بطش أشد فإن بطش المخلوق إذا بطش لا يكون في بطشه شيء من الرحمة بل ربما يقدر أن يبلغ في المبطوش به ما في نفسه من الانتقام منه ماله لسرعة موت ذلك الشخص ولما كانت الرحمة متروعة من بطشه قال بطشي أشد وسبب ذلك ضيق المخلوق فإنه ماله الإتساع الإلهي وبطش الله وإن كان شديداً ففي بطشة رحمة بالمبطوش به وبطش المخلوق ليستريح من الضيق والحر الذي يجده في نفسه بما يوقعه بهذا به المبطوش فيطلب في بطشه الرحمة بنفسه في الوقت وقد لا ينالها كلها بخلاف الحق تعالى فإن بطشه لسبق العلم يأخذ هذا المبطوش به للسبب الموجب له لا غير والمنتقم لغيره ما هو كالمنتقم لنفسه التوحيد السادس عشر من نفس الرحمن وهو قوله أنه يعلم السر وأخفى الله لا إله إلا هو له الاسماء الحسنى هذا توحيد الأبدال فإنه أبدل الله من الرحمن وهذا في المعنى بدل المعرفة من النكرة لأنهم أنكروا الرحمن وفي اللفظ بدل المعرفة من المعرفة وهو من توحيد الهوية القائمة بأحكام الاسماء الحسنى لا أن الاسماء الحسنى تقوم معانيها بما بل هي القائمة بمعاني الاسماء كما هو من قائم على كل نفس بما كسبت كذلك هو قائم بكل إسم بما يدل عليه وهذا علم غامض ولهذا قال في هذا التوحيد يعلم السر وأخفى لما قال وأن تجهر بالقول فالأخفى عن صاحب السر هو ما لا يعلمه مما يكون لا بد أن يعلمه خاصة وما تسمى إلا بأحكام أفعاله من طريق المعنى فكلها أسماء حسنى غير أنه منها ما يتلفظ بها ومنها ما

يعلم ولا يتلفظ بما هو عليه حكمها في العرف من اطلاق الذم عليها فإنه يقول "فألهمها فجورها وتقوها" وقدم الفجور على التقوى عناية بنا إلى الخاتمة والغية للخير فلو أحر الفجور على التقوى لكان من أصعب ما يمر علينا سماعه فالفجور يعرض للبلاء والتقوى محصل للرحمة وقد تأخر التقوى فلا يكون إلا خيراً وقال تعالى "الله يستهزئ بهم" ولا يشتق له منه إسم لما ذكرناه فله الاسماء الحسنى في العرف وحسن غيرها مبطون مجهول في العرف إلا عند العارفين بالله ويندرج في هذا العلم بسبب الألف واللام التي هي للشمول جميع ما ينطلق عليه إسم السر وما هو أخفى من ذلك السر ومن السر النكاح قال تعالى ولكن لا تواعدوهن سرّاً أي نكاحاً إن الله أيضاً يعلمه وإن كانت الآية تدل بظاهرها على ما يحدث المرء به نفسه لقوله وأن تجهر بالقول فإنه يعلم ذلك ويعلم ما يحدث به نفسك وهو قوله ونعلم ما توسوس به نفسه ومع هذا فإن الألف واللام لها حكم في مطلق إسم السر فيعلم ما ينتجه النكاح وهو قوله تعالى ويعلم ما في الأرحام فإنه الخالق ما فيها ألا تعلم من خلق وهو اللطيف لعلمه بالسر الخبير لعلمه بما هو أخفى ومن هذه الحضرة نصب الأدلة على معرفته وجعل في نفوس العلماء تركيب المقدمات على الوجه الخاص والشرط فاشبهت المقدمات لنكاح من الزوجين بالوقاع ليكون منه الإنتاج فالوجه الخاص الرابط بين المقدمتين وهو أن واحداً من المقدمتين يتكرر فيهما ليربط بعضهم ببعض من أجل الإنتاج والشرط الخاص أن يكون الحكم أعم من العلة أو مساوياً لها حتى يدخل هذا المطلوب تحت الحكم ولو كان الحكم أخص لم ينتج وخرج عنه كقولهم كل ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث فالحدث هنا هو الحكم والمقدمة الأخرى والأجسام لا تخلو عن الحوادث فالحوادث هو الوجه الخاص الجامع بين المقدمتين فإننتاج أن الجسم حادث ولا بد فالحكم أعم لأن العلة الحوادث القائمة به والحكم كونه حادثاً وما كل حادث يقال فيه أنه لا يخلو عن الحوادث فهذا حكم أعم من العلة فالنتيجة صحيحة ثم الإستفصال في التصحيح المقدمتين معلوم الطريق في ذلك وإنما قصدنا التمثيل لا معرفة حدوث الأجسام ولا غيرها وإذا علمت أن الإيجاد لا يصح الأعلى ما قررناه وهو بمثلة السر في النكاح ينتقل في العلم بما هو أخفى من السر كما تنتقل مما ضربت لك به المثل إلى كون الحق أوجد العالم على هذا المساق وظهر العالم عن ذات موصوفة بالقدرة والإرادة فتعلقت الإرادة بإيجاد موجود ما وهو التوجه مثل اجتماع الزوجين فنفيذ الإقتدار فأوجد ما أورد فكان أخفى من السر لجهلنا بنسبة هذا التوجه إلى هذه الذات ونسبة الصفات إليها لأنها مجهولة لنا لا تعرف فيعرف التوجه والصفة من حيث عينه وعين الثقة ويجهل كيفية النسبة لجهلنا بالمنسوب إليه لا بالمنسوب فهذا توحيد الموجد للأشياء مع كثرة النسب فهو واحد في كثير فواقع الحيرة هذا العلم في هذا العلم في هذا المعلوم إلا لمن كشف الله عن عينه غطاء الستر فابصر الأمر على ما هو عليه فحكم بما شاهد واختلفوا هل يجوز وقوع مثل هذا أو لا يجوز التوحيد السابع عشر من نفس الرحمن هو قوله وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى أنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني هذا توحيد الإستماع وهو توحيد الأناية وقوى بالجمع إذ قد قرئ وأنا اخترناك فكثير ثم أفرد فقال أنني وإن كلمة تحقيق فالأناية هي الحقيقة ولما كان حكم الكتابة الباء لثلاثاً تؤثر في صورة حقيقي فيشهد الناظر والسامع التغير في الحقيقة أن الباء هي عين الحقيقة فجاءت نون الوقاية فحالت لأنها وقت الحقيقة بنفسها فبقيت الحقيقة على ما كانت عليه لم يلحقها تغيير فقال أنني أنا الله ولولا نون الوقاية لقال أنا أنا الله فغيرها تغييراً بالحقيقة بالضمير في الآن هو مقام تجليه في الصور يوم القيامة وما ثم إلا صورتان خاصوة لا ثالثة لهما صورة تنكر وصورة تعرف ولو كان ما لا يتناهى من الصور فإنها محصورة في هذا الحكم أما أن تنكر أو تعرف لا بد من ذلك فإذا قرئ وأنا اخترتك كان أحق بالآية وأنسب وأنفى للتغير فإنه مازال التوحيد يصحها إلى آخر الآية في قوله فاعبدني وإذا قرئ بالجمع ظهر التغير بالإنتقال في العين الواحدة من الكثير إلى الواحد فمساق الآية يقوى وأنا اخترناك لأنه

عدد أموراً تكلم أسماء مختلفة فلا بد من التغيير والتجلي في كل صورة يدعى إليها وكان جملة ما تحصل من الصور في هذه الواقعة لموسى لما روى اثنتي عشرة ألف صورة يقول له في كل صورة يا موسى على أنه أقيم لصورة واحدة لا تسق الكلام ولم يقل في كل كلمة يا موسى فاعلم ذلك فإن هذا التوحيد في هذه الآية من أصعب ما يكون لقوله وأنا اخترناك فجمع ثم أفرد ثم عدد ما كلم به موسى عليه السلام فهذا توحيد الجمع على كل قراءة غير أن قوله وأنا اخترناك قرأ بها حمزة على رب العزة في المنام فقال له ربه وأنا اخترناك فهي قراءة برزخية فلهذا جمع لأنه تجل صوري في منام فلا بد أن تكون القراءة هكذا فإذا أفردتها بعد الجمع فلا حدية الجمع لا غير التوحيد الثامن عشر من نفس الرحمن هو قوله إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً هذا توحيد السعة من توحيد الهوية وهو توحيد تزيه لئلا يتخيل في سعته الظرفية للعالم من أجل الاسم الباطن والظاهر ونفس الرحمن والكلمات التي لا تنفذوا لقول فقال أن سعتعلمه بكل شيء لا أنه طرف لشيء وسبب هذا التوحيد لما جاء في قصة السامري وقوله عن العجل لما نبذ فيه ما قبضه من أثر الرسول فكان العجل ظرفاً لما نبذ فيه فلما خار العجل قال هذا إلهكم وإله موسى فقال الله إنما إلهكم إله واحد لا تركيب فيه وسع كل شيء علماً أي هو علم بكل شيء أكذب السامري في قوله ثم نصب لهم الدلالة على كذب السامري مع كون خار فقال مثل ما قال إبراهيم في الأصنام أفلا يرون أن يرجع إليهم قولاً أي إذا سئل لا ينكث والله يكون متصفاً بالقول ولا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً أي لا ينفعون به لأنه قال لنحرقنه ثم لننسفه في اليوم نسفاً ومن لا يدفع الضرر عن نفسه كيف يدفع عن غيره وإذا حرقه ونسفه لم ينتفع به فإنه لو أبقاه دخلت عليهم الشبهة بما يوجد في الحيوان من الضرر والنفع وفي إقامة هذه الأدلة أمور كبار قال تعالى عن اليهود أنهم قالوا يد الله مغلولة وقالوا أن الله فقير ونحن أغنياء وقال إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون وأصمنا عن ادراك هذا القول إلا بطريق الايمان وأعمانا عن توجهه على إيجاد الأشياء بما نصب من الأسباب فإنزل المطر فتزل وحرثت الأرض وبذر الحب وانبسطت الشمس وطلع الحب وحصد وطحين وعجن وخبر ومضغ بالأسنان وابتلع ونضج في المعدة وأخذ الكبد فطبخه دماً ثم أرسل في العروق وانقسم على البدن فصعد منه بخار فكان حياة ذلك الجسم من أجل ذلك النفس فهذه أمهات الأسباب مع تحرك الأفلاك وسير الكواكب وإلقاء الشعارات على مكارج الأنوار مع نظير النفس الكلية بإذن الله مع امداد العقل لها هذه كلها حجب موضوعة أمهات سوى ما بينها من دقائق الأسباب فيحتاج السمع إلى شق هذه الحجب

كلها حتى يسمع قول كن فخلق في المؤمن قوة الايمان فسرت في سمعه فادرك قول كن وسرت في بصره فشاهد المكون للأسباب وفعل هذا كله من نفس الرحمن ليرحم بها من عبد غير الله إذا استوفى منه حقوقه الشركاء الذين يتبرؤن منهم يوم القيامة فإذا استوفى حقوقهم بالعقوبة والإنتقام رجع الأمر إليه على الإنفراد وانقضت الأيام التي استوجب الشركاء فيها حقوقهم فلما انفرد ورجع الأمر إليه رحمهم فيما هو حق له بهذه الحجب التي ذكرناها لعلمه بما وضع وبأنه أنطق ألسنتهم بما قالوا وخلق في نفوسهم ما تخيلوه فسبحانه من حكم عدل لطيف خبير يفعل ما ينبغي لا إله إلا هو لما يريد التوحيد التاسع عشر من نفس الرحمن هو قوله "وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون" هذا توحيد اقتدار والتعريف وهو من توحيد الأنابة وهو توحيد عجيب ومثل هذا يسمى التعريض أي كذا فكأن أنت مثل قوله ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك وجاء بالعبادة ولم يذكر الأعمال المعينة فإنه قال "لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً" وذلك تعيين الأعمال وهي التي ينتهي فيها مدة الحكم المعبر عنه بالنسخ في كلام علماء الشريعة وما ثم من الأعمال العامة السارية في كل نبوة ألا إقامة الدين والاجتماع عليه وكلمة التوحيد وهو قوله

تعالى "شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه" وبوب البخاري على هذا باب ما جاء أن الأنبياء دينهم واحد وليس ألا التوحيد وأقامة الدين والعبادة ففي هذا اجتمعت الأنبياء عليهم السلام واختصاص هذا الوحي بالأناية دل على أنه كلام إلهي يحذف الوسائط فما أوحى إليهم منهم فإنه لا يقول أنا ألا من هو متكلم فإن قيل فقد قال أنه يتزل بمثل هذا الملائكة فهذا ألا يبعد أن تأخذه الرسل من وجهين إذا نزلت به الملائكة يكون على الحكاية كما قال

سمعت الناس ينتجعون غيثاً

فقلت لصيدح أنتجعي بلالاً

فرجع السنين من الناس على الحكاية فلو كان هذا السامع أنتجعهم لنصب السنين فهذا قوله "أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون" ونزلت به الملائكة وإذا ورد مثل هذا معرى عن القرائن أو النص عليه حمل على ما هو الأصل عليه فما يقول أنا ألا المتكلم ألا ترى ما ذكرناه في الحديث المتقدم أن الله يصدق عبده في موطن كما يحكي عنه في موطن فقال في التصديق إذا قال العبد لا إله إلا الله والله أكبر صدقه ربه فقال لا إله إلا أنا وأنا أكبر فهو القائل بالأناية لا غيره وأما حكايته ما قال فهو قوله "لا تحزن أن الله معنا" بهذا اللفظ عينه فإن حكي على المعنى فمثل قوله عن فرعون يا هامان ابن لي صرحاً فإنه قالها بلسان القبط ورقعت الترجمة عنه باللسان العربي والمعنى واحد فهذه الحكاية على المعنى فهكذا فلتعرف الأمور إذا وردت حتى يعلم قول الله من قول ما يحكيه لفظاً أو معنى كل أنسان بما هو عليه فقول الله "وأخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه" قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا وأنتهى كلام الله ثم حكي معنى قولهم مترجماً عنهم أقررنا وكذلك قوله "وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا إلى هنا قول آمننا حكاية" وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا "إلى هنا قول الله" أنا معكم أنما نحن مستهزؤن" حكاية فإذا ذكرت فاعلم بلسان من تذكر وإذا تلوت فاعلم بلسان من تتلو وما تتلو وعمن تترجم التوحيد العشرون من نفس الرحمن هو قوله "وذا النون أذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك أي كنت من الظالمين" هذا توحيد الغم وهو توحيد المخاطب وهو توحيد التنفيس كما نفس الرحمن عن محمد صلى الله عليه وسلم بالأنصار فقال أن نفس الرحمن يأتيني من قبل اليمن فكانت الأنصار التي تكونت من ذلك النفس الرحمان وهي كلمات الحق كما نفس الله عن يونس بالخروج من بطن الحوت فعامل قومه بما عاملهم به من كونه كشف عنهم العذاب بعد ما رأوه نازلاً بهم فأمنوا أرضاه الله في أمته فنفعها إيمانها ولم يفعل ذلك مع أمة قبلها أذ كان غضبه لله ومن أجله وظنه بربه أنه لا يضيق عليه وكذلك فعل ففرج الله عنه بعد الضيق ليعلم قدر ما أنعم الله به عليه ذوقاً كما قيل أحلى من الأمن عند الخائف الوجمل فدل على أن يونس كان محبوباً لله حيث خص قومه من أجله بما لم يخص به أمة قبلها وعرفنا بذلك فقال فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها ألا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين فأمد لهم في التمتع في مقابلة ما نالوه من الألم عند رؤية العذاب فإنه معلوم من النفوس الإنسانية أن ليالي الأنس والواصل قصار وأن كانت في نفس الأمر لها مدة طويلة وليالي الهجران والعذاب طوال وأن كانت في نفس الأمر قصارى كما ذكروا في تفسير أيام الدجال أنه أول يوم كسنة لشدة فجأة البلاء يطول عليهم ثم كشهر ثم كجمعة فإذا أستصبحوه كان كسائر الأيام المعلومة التي لا يطولها حال ولا يقصرها حال وكما قيل في يوم القيامة أن مقداره

خمسون ألف سنة لهول المطلع وما يرى الخلق فيه من الشدة وهو عند الآمنين الذين لا يحزنهم الفزع الأكبر في الإمتداد كركعتي الفجر وابن زمان ركعتي الفجر في زمان خمسين ألف سنة فلما اشتد البلاء على قوم يونس وكانت اللحظة الزمانية عندهم في وقت رؤية العذاب كالسنة أو اطول ذكر أنه تعالى جعل في مقابلة هذا الطول الذي وجدته في نفوسهم أن متعهم إلى حين فبقوا في نعيم الحياة الدنيا زماناً طويلاً لم يكن يحصل لهم ذلك لولا هذا البلاء فإنظر ما أحسن إقامة الوزن في الأمور وقد قيل أن الحين الذي جعله غاية تمتعهم أنه القيامة والله أعلم ورأينا من رأى منهم رجلاً رأينا أثر رجله في الساحل وكان إمامي بقليل فلم ألحقه فاكثرت طول قدمه في الرمل ثلاثة أشبار وثلاثي شبر وكان من قوم يونس وبعث إلينا بكلام عن حوادث تحدث بالأندلس حيث كنا سنة خمسين وثمانين وسنة ست وثمانين وخمسمائة فما ذكر شيئاً إلا رأيناه وقع كما ذكر فإنظر في هذه العناية الإلهية بهذا النبي وما جاء به من الإعتراف في توحيد التوحيد الحادي والعشرون من نفس الرحمن فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم هذا توحيد الحق وهو توحيد الهوية قال تعالى "وما

خلقنا السموات والأرض وما بينهما لأعين" وهو قوله "أفحسبتم إنما خلقناكم عبثاً" فلا إله إلا هو من نعت الحق فالأمر الذي ظهر فيه وجود العالم هو الحق وما ظهر إلا في نفس الرحمن وهو العماء فهو حق رب العرش الذي أعطاه الشكل الإحاطي لكونه بكل شئ محيطاً فالأصل الذي ظهر فيه صور العالم بكل شئ من عالم الأجسام محيط وليس إلا الحق المخلوق به فكأنه لهذا القبول كالظرف يبرز منه وجود ما يحوي عليه طبقاً عن طبق عيناً بعد عين على الترتيب الحكمي فأبرز ما كان فيه غيباً ليشهد به فيوحده مع صدور عنه فيحاران عدده فما ثم غيره وإن وحده فيرى أن عينه ليس هو فأوجد طرفين وواسطة لتمييز الأعيان في العين الواحدة فتعددت الصور وما تعددت الخشبية ولا العودية في كل صورة بحقيقتها من غير تبعض وهذه الصور ما هي هذه الصورة وليس ثم شئ زائد على العودية فقبل ما ثم شئ فقال "وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً وما خلقناهما إلا بالحق" فيل فإين هو قال في عين التمييز فلا أقدر على انكار التمييز ولا أقدر وأثبت سوى عين واحدة فلا إله إلا هو رب العرش الكريم التوحيد الثاني والعشرون من نفس الرحمن هو قوله الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم هذا توحيد الخبء وهو من توحيد الهوية لما كان الخبء النبائي تخرجه الشمس من الأرض بما أودع الله فيها من الحرارة ومساعدة الماء بما أعطى الله فيه من الرطوبة فجمع بين الحرارة ومنفعل البرودة حتى لا تستقل الشمس بالفعل فظهرت الحياة في الحي العنصري وكان الهدهد دون الطير قد خصه الله بادراك المياه كن يرى للماء السلطنة على بقية العناصر تعظيماً لنفسه وحماية لمقامه حيث اختص بعلمه ليشهد له بالعلم بأشرف الأشياء حيث كان العرش المستوى عليه الرحمن على الماء فكان يحامي عن مقامه ووجد قوماً يعبدون الشمس وهي على النقيض مع طبع الماء الذي جعل الله منه كل شئ حي وعلم أنه لولا حرارة الشمس ما خرج هذا الحب وأنها مساعدة للماء فأدركته العيرة في المناقر فوشى إلى سليمان عليه السلام بغابديها وزاد للتغليظ بقول من دون الله ينه على موضع الغيرة والشمس وأن أخرجت خبء الأرض بحرارتها فهي تخبأ الكواكب بأشراقها وتظهر الحسوسات الأرضية بشروقها فلها حالة الخبء والإظهار وبما حمد الليل والنهار فراحمت من يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما يخفون وما يعلنون فابتلى الله الماء فاصبح غورا وابتلى الشمس فأمست آفلة ففجر العيون فإظهر خبء الماء وفار التنور فإظهر خبء الشمس فأخرج الخبء في السموات والأرض فوسع كل شئ رحمة وعلم فاستوى على العرش العظيم إذ حكم على فلك الشمس بدورته وعلى الماء باستقراره وجريته فهما في كل درجة في خبء وظهور فوحده الظهور بظهوره ووحده الخبء بسدل ستوره فعلم سبحانه ما يخفون وما يعلنون فهو الله لا إله إلا هو رب العرش

العظيم التوحيد الثالث والعشرين من نفس الرحمن هو قوله وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون هذا توحيد الإختبار وهو من توحيد الهوية لكا كان العالم كلمات الله تعالى كانت نسبة هذه الكلمات إلى النفس الرحمان الطاهرة فيه نسبة واحدة فكان يعطي هذا الدليل أنه لا يكون في العالم تفاضل ولا مختار بفضل عند الله على غيره ورأينا الأمر على غير هذا خرج في الوجود عاماً في الموجودات فقال تعالى "ولقد كرّمنا بني آدم وحمّاناهم في البر والبحر ورزقناهم من طيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً" وقال "تلك الرسل فضلنا بعض النبيين على بعض وقال نفّض بعضها على بعض في الأكل مع كونها تسقى بماء واحد فما ثم آية أحق بما هو الوجود عليه من التفاضل من هذه الآية حيث قال تسقى بماء واحد فظهر الإختلاف عن الواحد في الطعام بطريق المفاضلة والواقع من هذا كثير في القرآن من تفضيل كل جنس بعضه على بعض حتى القرآن وهو كلام الله يفضل على سائر الكتب المتزلة وهي كلام الله والقرآن نفسه يفضل بعضه على بعض مع نسبته إلى الله أنه كلامه بلا شك فلاّية الكرسي سيدة آي القرآن وهي قرآن وآية الدين قرآن فما أعجب هذا السر فعلمنا من هذا أن الحكمة التي يقتضيها النظر العقلي ليست بصحيحة وأن حكمة الله في الأمور هي الحكمة الصحيحة التي لا تعقل وإن كانت لا تعلم فما تجهل لكن لا تعين بمجرد فكر ولا نظر بل يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت

الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ولقد رأيت في حين تقييدي لهذا التوحيد الذي يعطي التفاضل واقعة عجيبة أعطيت رقاً منشوراً عرضه فيما يعطي البصر ما يزيد على العشرون ذراعاً وأما طوله فلا أحققه وهو على هذا الشكل المصور في الهامش وهو جلد واحد جلد كبش تنظره فتراه بيض عند القراءة وتنظر إليه في غير قراءة فتراه أخضر فإذا قرأته تراه جلدًا وإذا لم تقرأه تراه شقة لا أدري حريراً أو كتاناً وهو صدق أهلي فيقال لي هذا صدق إلهي لأهلك ولا أسأل عن الزوج ولا أعلم أنها خرجت عن عصمة نكاحي وأنا فارح بهذا الأمر مسرور غاية السرور ثم يؤتى بسرقة حرير خضراء تنبعث من الكتاب كأنها منه تكونت فيها ألف دينار ذهباً عيناً كل دينار ثقيل لا أدري ما وزنه فيقال قسمه على أهلها خمسة دنانير لكل شخص فأول ما أخذ أنا منها خمسة دنانير عليها نور ساطع أعظم من ضياء أضواء كوكب في السماء له شعاع وأرى نفس ذلك الكتاب هو عين أهلي ما كتبها غيرها وأنا بكل جسمي راقد عليها متكئ فكنت أنظر إلى رقم ذلك الكتاب فأجده بخط زين الدين عبد الله بن الشيخ عبد الرحمن المعروف بابن الأستاذ قاضي مدينة حلب كتبه عن املاء القاضي الكبير بهاء الدين بن شداد والصدّاق من أوله إلى آخره مسجع الألفاظ تسجيلاً واحداً على روى الرأء المفتوحة والهاء فضبت منه بعد البسملة الحمد لله الذي جعل قرآنه وفرقانه وتوراته وانجيله وزبور رقوم هذا الكتاب المكنون وسطوره وأودعه كل آية في الكتب وسوره وأظهر في الوجود في أحسن صورته وجعل إعلامه في العالم العلوي والسفلي مشهور وآياته غير متناهية ولا محصوره وكلماته بكل لسان في كل زمان وغير زمان مذكوره هكذا على هذا الروي إلى آخره أن كان له آخر بخط مثل الذر فلما رددت إلى حسي وجدتهني أكتب هذا الفصل من فصول التوحيد وإذا به توحيد الإختبار فعلمت أن ذلك عين هذا الفصل وأن لأهلي من هذا الفصل أو فرحظ وأعظم نصيب فلما رأينا التفاصيل والإختبار وقع العالم حتى في الإذكار الإلهية المشروعة كما ذكرنا علمنا أن ثم أمراً معقولاً ما هو عين النفس ولا هو غير النفس الذي تتكون فيه الكلمات وهي أعيان الكائنات فإذا بذلك عين المشيئة فيها ظهر هذا التفضيل في الواحد والتفضيل في المتساوي لا ينعت بالتفضيل فعلمنا أن سر الله مجهول لا يعلمه إلا هو فوجدناه توحيد الإختبار في حضرة السر لا إله إلا هو الحمد في الأولى وهو حمد الإجمال والآخرة وهو حمد التفصيل فتميزة المحامد في العين الواحدة فكان حمدها عينها فما أعجب مقام هذا التوحيد لمن شاهده وتعجبت من إسم أهلي في

الواقعة وإسمها مريم ومعنى هذا الاسم معلوم في اللسان الذي فيه سميت وهي محررة لله حاملة لروح الله محل لكلمة الله مثنى عليها بكلام الله امرأة بشهادة ما سقط من التمر في هزها جذع النخلة اليبس ونطق ابنها في المهد بأنه عبد الله وهما شاهدان عدلان عند الله فكانت كلها لله وبالله وعن الله ولهذا غبطها زكريا نبي الله فتمنى مثلها على الله فاعطاه يحيى حصور أمثلها لم يجعل له سميّاً من قبل أنبياء فحصبه بالأولية من أسماء الله فإنظر في بركة هذا الاسم في وجود الله بين عباد الله فهذا ما كان الأمن اختيار الله وربك يخلق ما يشاء ميختر ما كان لهم الخيرة بل هي لله والله فعال لما يريد التوحيد الرابع والعشرون من نفس الرحمن هو قوله "ولا تدع مع الله إلهاً آخر" لا إله إلا هو كل شئ هالك إلا وجهه هذا توحيد الحكم بالتوحيد الذي إليه رجوع الكثرة إذ كان عينها وهو توحيد الهوية فنهى كونه أن يدعو مع الله إلهاً فنكر المنهى عنه إذ لم يكن ثم إذ لو كان ثم لتعين ولو تعين لم يتنكر فدل على أنه من دعا مع الله إلهاً آخر فقد نفخ في غير ضررم واستسمن ذا ورم وكان دعاؤه لحماً على وضم ليس له متعلق يتعين ولا حق يتضح ويتبين فكان مدلوله دعائه العدم المحض فلم يبق إلا من له الوجود المحض فكل شئ يتخيل فيه أنه شئ فهو هالك في عين شيعته عن نسبة الإلهية إليه لا عن شيعته فوجه الحق باق وهو ذو الجلال والإكرام والآلام الجسام فما دعا من دعا إلا إلى معروف فما هو الذي نكر فيما عين ما ذكر فالحق الخالص من كان في ذاته يعلم فلا يجهل ويجهل فلا يحاط به علماً فعلم من حيث أنه لا يحاط به علماً وجهل من حيث أنه لا يحاط به علماً فعلم من حيث الجهل به عين الجهل به فما ثم من يقبل الأضداد في وصفه إلا الله التوحيد الخامس والعشرون من نفس الرحمن هو قوله "هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض" لا إله إلا هو هذا توحيد العلة وهو من توحيد الهوية لو لم يوحد بالعلة كما يوحد بغيرهما لم يكن إلهاً لأن من شأن الإله أن لا يخرج عنه وجود شئ إذ لو خرج عنه لم يكن له حكم فيه وقد قال وإليه يرجع الأمر كله فلا بد أن يكون له تويد العلة وهو أن يعبد بهذا التوحيد لسبب لكون العابد في أصل كونه مفتقراً إلى سبب فلم يخرج عن حقيقته وسببه رزقه الذي به

بقاء عينه فتخيله المحجوب في الأسباب الموضوعة وهو صحيح أنه في الأسباب الموضوعة وهو تخيل صحيح أنه في الأسباب الموضوعة لكن بحكم الحعل لا بحكم ذاتها فجاعل كونها رزقاً هو الله الذي يرزقكم من السماء بما يتزل منها من أرزاق الأرواح والأرض بما يخرج منها من أرزاق الأجسام فهو الرازق الذي بيده هذا الرزق غير أن الحجب لما أرسلها الله على بعض أبصار عباد الله ولم يدركوا الأمسمى الرزق لا مسمى الرزاق قالوا هذا فقيل لهم ما هو هذا هو في هذا مجعول من الذي خلقكم فكلما خلقكم هو رزقكم فلا تعدلوا به ما هو له ومنه فإنتم ومن اعتمدتم عليه سواء فلا تعتمدوا على أمثالكم فتعتمدوا على الكثرة والاعتماد على الكثرة يؤدي إلى عدم حصول ما وقع فيه الاعتماد إذ كل واحد من الكثيرين يقول غيري يقوم له بذلك فلا يقوم له شئ فيدعوه الحال الصحيح إلى التفرغ والتجرد إلى واحد على علم من ذلك الواحد أنه تجرد إليه وتفرغ مما سواه فتعين القيام به عليه فأدى إلى حصول المطلوب من وراء حجاب في حق قوزم وعلى الشهود والكشف في حق آخرين وهم أهل الله وخاصته التوحيد السادس والعشرون من نفس الرحمن هو قوله أنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون هذا توحيد التعجب وهو توحيد الله لا توحيد الهوية فقوله يستكبرون أي يستعظمون ذلك ويتعجبون منه كيف يصح في الكون لا إله إلا الله والشئ لا يكون إلا على صورة واحدة وعين واحدة والصور كثيرة مختلفة بالحد والحقيقة ويبيدها المنع والعطاء وذلك لله أجل الألهة إلهاً واحداً أن هذا لشئ عجاب أي الكثرة في عين الواحد ما سمعنا بهذا في آياتنا الأولين فما أنكروه ولا ردوه بل استعظموه واستكبروه وتعجبوا كيف تكون الأشياء شيئاً واحداً واستكبروا مثل هذا الكلام من مثل هذا الشخص حيث علموا أنه منهم وما شاهد إلا ما شاهدوه فمن أين له هذا

الذي ادعاه فحجبهم الحس عن معرفة النفس والإختصاص الإلهي فامثلوا أمر الله من حيث لا يشعرون لأنه الأمر عباده بالإعتبار وهو التعجب فقال أن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار وقال "فاعتبروا يا أولى الأبصار" فاعتبروا كما أمروا فهم من أولى الأبصار وقولهم أن هذا ألا أختلاق لما جاءهم التعريف بهذا على يدي واحد منهم ولم يعرفوا العناية الألهية والأختصاص الرباني والأختلاق لم يكن فيما تعجبوا منه لأنه لو أحالوه بالكلية مت تعجبوا وأما نسبوا الأختلاق لمن جاء به كان من جنسهم ومما يجوز عليه ذلك حتى يتبين لهم برؤية الآيات فيعلمون أنه ما أختلق هذا الرسول وأنه جاءه من عند الله الذي عبد هؤلاء هذه المسماة ألهة عندهم على جهة القربة إلى الله الكبير المتعالى فإنزلوهم بمثلة الحجة للملك وأعطوهم أسمه كما يعطي إسم الولاية لكل وال وأن كان الوالي هو الله فالولاية كثيرون فكأنه أخبرهم عن الله أنه ما ولى هؤلاء الذي يعبدون بل آبائكم نصبوهم ألهة هذا الأله الذي أدعوكم إليه تعرفونه وأنه إسمه الله لا تنكرونه وأنتم القائلون ما نعبدهم ألا ليقربونا إلى الله زلفى فسميتهم فسموا أهتكم فتعرفوا عند ذلك الأمر الحق بيد من هو هل هو بأيديكم أو بيدي الرسول فلما عرفوا قوله وتحققوه علموا أنهم في فضيحة لأنهم إذا سموهم لم يسموهم الله ولا عقلوا من أسمائهم مسمى الله فإنهم عارفون بأسمائهم فقالوا مثل ما قال قوم أبراهيم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فتلك الحجة الألهية عليهم منهم فما حاجهم ألا بهم وتلك حجتنا آتيناها أبراهيم على قومه التوحيد السابع والعشرون من نفس الرحمن هو قوله ذلكم الله ربكم له الملك لا أله ألا هو فإنى تصرفون هذا توحيد الإشارة فما في الكون مشار إليه ألا هو فإنى تصرفون لأن الإشارة لا تقع من المشير ألا لأمر حادث عنده وأن لم يكن في عينه في نفس الأمر حادثاً ولكنه يعلم أنه حدث عنده وما يحدث أمر عند من يحدث عنده ألا ولابد أن يجهل أمره عند ما يحدث عنده لشغله بحدوثه عنده وأثره فيه فيشير إليه في ذلك الوقت وفي تلك الحالة رفيقه وهو على نوعين أذ ما له رفيق سوى أثنين أما عقله السليم وأما شرعه المعصوم وما ثم ألا هذا لأنه ما ثم من يقول له في هذه الإشارة ذلكم الله ربكم له الملك لا أله ألا هو ألا أحد هذين القرينين أما العقل السليم أو الشرع المعصوم وما عدا هذين فإنه يقول له خلاف ما قال هذان القرينان فيقول له هذا الدهر وتصرفه

ويقول الآخر هذه الطبيعة وأحكامها ويقول الآخر هذا حكم الدور فيصرفه كل قائل إلى ما يراه فهو قول هذين القرينين فأتى تصرفون فيفضل الله من يشاء ويهدي من يشاء بالقرآن وما يضل به ألا الفاسقين الخارجين عن حكم هذين القرينين والله يقول الحق وهو يهدي السبيل التوحيد الثامن والعشرون من نفس الرحمن هو قوله شديد العقاب ذي الطول لا أله ألا هو إليه المصير هذا توحيد الصيرورة وهو من توحيد الهوية وهو على الحقيقة مقام الايمان لأن المؤمن من أعتدال في حقه الخوف والرجاء وأستوت فيهما قدماه فلم يحكم فضله في عدله ولا عدله في فضله فكما تجلّى في شديد العقاب تجلّى في الطول الأعم المؤيد بغافر الذنب وقابل التوب ولم يجعل للشديد العقاب مؤيداً وذلك للدعوى في الشدة فوكل إلى ما أدعاه فهو غير معان ومن لم يدع فهو معان فإنها ولاية في الخلق ولأنه جاء بالشدة في العقاب ولم يجئ في الطول مثل هذه الصفة فهذا شدّد أزره بغافر الذنب وقابل التوب فأشار إلى ذوي الأفهام من عباده بأعانة ذي الطول بغافر الذنب وقابل التوب على الشديد العقاب إلى ترك الدعوى فإن الشديد في زعمه أنه لا يقاوم ولو علم أن ثم من يقاومه ما أدعى ذلك فنبه تعالى عباده على الدعوى فيكون الحق يتولى أمورهم بنفسه وعصمهم في حركاتهم وسكناتهم ليقفوا عند ذلك ويعلموا أنه الحق التوحيد التاسع والعشرون من نفس الرحمن هو قوله ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا

أله ألا هو فإنى تؤفكون هذا توحيد الفضل وهو من توحيد الهوية لأنه جاء بعد قوله أن الله لذو فضل على الناس فيكون هذا التوحيد شكراً لما تفضل به الله على الناس مع قوله "الخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون" أراد

في الميزة فإن الجرم يعلمه كل أحد ولكن ما تفتن الناس لقوله تعالى أكبر من خلق الناس من كونهم ناساً ولم يقل أكبر من آدم ولا من الخلفاء فإنه ما خلق على الصورة من كونه من الناس أذ لو كان كذلك لما فضل الناس بعضهم بعضاً ولا فضلت الرسل بعضهم بعضاً ففضل الصورة لا يقاومها فضل فقوله لذو فضل على الناس أذ فيكون هذا التوحيد شكراً لما تفضل به الله على الناس مع قوله "لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون" أراد في الميزة فإن الجرم يعلمه كل أحد ولكن ما تفتن الناس لقوله تعالى "أكبر من خلق الناس" من كونهم ناساً ولم يقل أكبر من آدم ولا من الخلفاء فإنه ما خلق على الصورة من كونه من الناس إذ لو كان كذلك لما فضل الناس بعضهم بعضاً ولا فضلت الرسل بعضهم بعضاً ففضل الصورة لا يقاومها فضل فقوله لذو فضل على الناس إذ كان الفاضل ممن له أيضاً هذا الاسم والمراد بالفضل العام والخاص فوحده بلسان العموم والخصوص فظهر توحيد الفضل من حضرة الكرم والبذل التوحيد الثلاثون من نفس الرحمن هو قوله "هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين" الحمد لله رب العالمين هذا توحيد الحياة وهو توحيد الكل وهو من توحيد الهوية الخاصة والحياة شرط في كل متنفس فلهذا هذا العالم حي بما فيه من الأجرة الصاعدة منه فتوحيد الحياة الكل فإنه ما ثم إلا وحي فإنه ما ثم إلا الحق وهو المسيح نفسه بما أعطى الرحمن في نفسه من الكلام الإلهي فقال سبحانه ربك رب العزة "سبحان الذي أسرى بعبده" فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وما ثم إلا العالم وما من شيء من العالم إلا وهو مسبح بحمده ولا ثناء أكمل من الثناء بإحدية فإن فيها عدم المشاركة فالتوحيد أفضل ثناء وهو لا إله إلا الله فلهذا قلنا أنه توحيد الحياة وتوحيد الكل وهو إخلاص التوحيد لله من الله ومن العالم التوحيد الحادي والثلاثون من نفس الرحمن هو قوله لا إله إلا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين هذا توحيد البركة لأنه في السورة التي ذكر فيها أنه أنزله في ليلة مباركة وهي ليلة القدر الموافقة ليلة النصف من شعبان المخصوصة بالأجال ولهذا نعت هذا التوحيد بأنه يحيي ويميت وهو قوله فيها كل أمر حكيم أي محكم فتظهر الحكم فيه التي جاءت بها الرسل الإلهيون ونطقت بها الكتب الإلهية رحمة بعباد الله عامة وخاصة فكل موجود يدركها وما كل موجود يعلم من أين صدرت فهي عامة الحكم خاصة العلم إذ كانت الإستعدادات من القوابل مختلفة فأين نور الشمس من نور السراج في الإضاءة ومع هذا فأخذ الشمس من السراج اسمه وافتقر إليه مع كونه أضواً منه وجعل نبيه في هذا المقام سراجاً منيراً وبه ضرب الله المثل في نوره الذي أنار به السموات والأرض فمثل صفته بصفة المصباح ثم ذكر كما أوقع به التشبيه مما ليس في الشمس من الإمداد والإعتدال مع وجود الاختلاف بذكر الشجرة من التشاجر الموجود في العالم لاختلاف الألسنة والألوان التي جعل الله فيها من الآيات في خلقه وذكر المشكاة وما هي للشمس فلنور السموات والأرض الذي هو نور الله مشكاة يعرفها من وحده بهذا التوحيد المبارك الذي هو توحيد البركة وفي هذه المشكاة مصباح وهو عين النور الذي تحفظه هذه المشكاة من اختلاف الأهواء وحكمها فيما يقع في السرج من الحركة والاضطراب وإذا تقوت الأهواء أدى إلى طفي السرج كذلك يغيب الحق بين المتنازعين ويخفى ويحصل فيه الحيرة لما نزلت ليلة القدر تلاها رجلا فارتفعت فإنها لا تقبل التنازع ولما كانت الأنبياء لا تأتي إلا بالحق وهو النور المبين لذلك قال عليه السلام عند نبي لا ينبغي تنازع فلا تنازع من عنده نور ثم أن لهذا المصباح الذي ضرب به المثل زجاجة فللنور الإلهي زجاجة يعرفك هذا التوحيد ما هي تلك الزجاجة وليس ذلك للشمس والزجاجة تشبه الكوكب الذي كان المحل الذي ظهر فيه المصباح مشبه بالكوكب الذي هو الشمس فكيف يكون قدر السراج في الميزة وهو صاحب المنزل وهو صاحب المنزل ثم قال في هذا السراج أنه توقد أي يتوقد ويضيئ من شجرة مباركة زيتونة فلا بد للنور الإلهي من حقيقة بما يقع التشبيه بالشجرة كما جاء في اختلاف الاسماء الإلهية من

الضار النافع والمعز المذل والحيي المميت وأسماء التقابل ثم أن هذه الشجرة لا شرقية ولا غربية فوصفها بالإعتدال فلهذا كان السراج المذكور الذي وقع به التشبيه هو السراج الذي في المشكاة والزجاجة فيكون محفوظاً عن الحركة والإضطراب لكون الشجرة لا شرقية ولا غربية فهذا كله لا يوجد في غير السراج ولا بد أن يعتبر هذا كله في النور الإلهي التوحيد الثاني والثلاثون من نفس الرحمن هو قوله "فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم" هذا توحيد الذكرى وهو توحيد الله فاعلم أن الإنسان لما جبله الله على الغفلات رحمة به فيغفل عن توحيد الله بما يطالعه في كل حين من مشاهدة الأسباب التي يظهر التكوين عندها وليس ثمة ادراك يشهد به عين وجه الحق في الأسباب التي يكون عنها التكوين وهو لاستيلاء الغفلة وهذا الغطاء يتخيل أن التكوين من عين الأسباب فإذا جاءت الذكري على أي وجه جاءت علم بمجيئها إنها تدل لذاتها على أنه لا إله إلا الله وإن تلك الأسباب لولا وجه الأمر الإلهي فيها أو هي عين الأمر الإلهي ما تكون عنها شيء أصلاً فلما كان هذا التوحيد بعد ستر رفعت الذكري أنتج له أن يسأل ستر الله للمؤمنين والمؤمنات فإن لرفع الستر ووجود الكشف عند الرفع أو العلم بأنه عين الستر لا غير لذة لا يقدرها قدرها فهي من ممن الله على عبده التوحيد الثالث والثلاثون من نفس الرحمن هو قوله "هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم" هذا توحيد العلم وهو من توحيد الهوية وهو توحيد من حيث التفرقة لأنه ميز بين الغيب والشهادة وجمع بين العلم والرحمة وهذا لا يكون إلا في العلم اللدني وهو العلم الذي ينفع صاحبه قال في عبده خضر "آتيناه رحمة من عندنا" وهو قوله الرحمن الرحيم ثم قال "وعلمناه من لدنا علماً" من قوله: عالم الغيب والشهادة" فعلم الرحمة يكون معه اللين والعطف وهو الذي من لدنه والغصن واللدن هو الرطيب ويؤت من لدنه أجراً عظيماً فعظمه "وما أرسلناك وما أرسلناك إلا بالعلم إلا رحمة للعالمين" فجعل إرساله رحمة فهو علم يعطى السعادة في لين فيما رحمة من الله لنت لهم فالعلم وإن كان شريفاً فإن له معادن أشرفها ما يكون من لدنه فإن الرحمة مقرونة به ولها النفس الذي ينفس الله به عن عباده ما يكون من الشدة فيهم التوحيد الرابع والثلاثون من نفس الرحمن هو قوله "هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس" هذا توحيد النعوت وهو من توحيد الهوية المحيطة فله النعوت كلها نعوت الجلال فإن صفات التزيه لا تعطى الثبوت والأمر وجودي ثابت فلهذا قدم الهوية وأخرها حتى إذا جاءت نعوت السلب وحصلت الحيرة في قلب السامع منعت الهوية باحاطتها أن يخرج السامع إلى العدم فيقول فيما ثم شيء وجودي إذ قد خرج عن وجود العقل والحس فيلحقه بالعدم فتمنعه الهوية فإن الضمير لا بد أن يعود على أمر مقرر فافهم التوحيد الخامس والثلاثون من نفس الرحمن هو قوله "الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون" هذا توحيد الرزايا والرجوع فيها إلى الله ليزول عنه ألمها إذ رأى ما أصيب فيه قد حصل بيد من يحفظ عليه وجوده ولهذا أثنى الله على من يقول إذا أصابته مصيبة "إنا لله وإنا إليه راجعون" فهم لله في حالهم وهم إليه راجعون عند مفارقة الحال فمن حفظ عليه وجوده وحفظ عليه ما ذهب منه وكان ما حصل عنده أمانة إلى وقتها فما أصيب ولا رزى فتوحيد الرزايا أنفع دواء يستعمل ولذلك أخبر بما لهم منه تعالى في ذلك فقال "أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة" والرحمة لا يكون معها ألم "وأولئك هم المهتدون" يقول الذين تبين لهم الأمر على ما هو عليه في نفسه فسمين مصيبة في حقه لتزولها به وفي حق من ليس له هذا الذوق لتزول ألمها في قلبه فيتسخط فيحرم خيرها التوحيد السادس والثلاثون من نفس الرحمن هو قوله "رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذة وكيلاً" هذا توحيد الوكالة وهو من توحيد الهوية في هذا التوحيد ملك الله العالم الإنساني جميع ما خلقه له من منافعه وأمره أن يوكل الله في ذلك ليتفرغ الإنسان لما خلق له من عبادة ربه في قوله "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" وأين هذا المقام من

قوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فجعل الإنفاق بأيديهم والملك لله وفي هذا القدر الذي أمرهم به من الإنفاق فيه أمرهم أن يتخذوه وكيلاً فلا تنافر بين المقامين فالملك لله والإنفاق للعبد بحث الأمر وما أطلق له في ذلك وفي الإنفاق أمر الله أن يوكل الله في ذلك لعلمه بمواضع الإنفاق والمصارف التي ترضى رب المال في الإنفاق فتزل الشرائع أبانت له مصارف المال فإنفق على بصيرة بنظر الوكيل فمن أنفق فيما لم يأمره الوكيل بالإنفاق فيه فعلى المنفق قيمة ما استهلك من مال من استخلف وهذا آخر تحليل ورد في القرن الذي وصل إلينا وهو ستة وثلاثون مقاما قد ذكرناها بكما لها مبنية إلهية قرآنية ذكر الله بها نفسه وأمرنا أن نذكره بها فامتثلنا فلما ذكرناه بها علمنا من لدنه علما وكان ذكرها رحمة منه بنا فبهذا قد أدينا العشر الواجب علينا مكماً فوق في يد الحق فيتولى تربيته إلى وقت اللقاء ورد الأمانات إلى أهلها والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الفصل العاشر في الذكر بالحوالة وهو قول لا حول ولا قوة إلا بالله وه ذكر كل حامل بقدر ما حمل فالذاكرون به على كبرات كما أنهم في الصورة على كبرات فمن كان أكثر دخولاً كان أكثر دؤباً على هذا الذكر والذي حاز الكمال فيها كان أشرطه أن لا يفتر من هذا الذكر بالقول كما أنه لا يفتر عنه بشاهد الحال وهو كل مكلف في العالم والعالم كله مكلف وما كلف به من العالم ومن العالم ما هو مجبور فيما كلف حمله وهو المعبر عنه بفرائض الأعيان وفرائض الكفاية ما لم يقم واحد به فيسقط الفرض عن الباقي ومن العالم ما لم يجبر في الحمل وإنما عرض عليه فإن قبله فما قبله إلا لجهله بقدر ما حمل من ذلك كالإنسان لما عرضت عليه الأمانة وحملها كان لذلك ظلوماً لنفسه جهولاً بقدرها والسموات والأرض والجبال لما عرضت عليهن أبين أ، يحملنها واشفقن منها لمعرفتهن بقدر ما حملوا فلم يظلموا أنفسهن ولكن الناس أنفسهن يظلمون فما وصف أحد من المخلوقات بظلمه لنفسه إلا الإنسان فكان خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس في المتزلة فإنهم كن أعلم بقدر الأمانة من الإنسان فبهذا كن أيضاً أكبر من خلق الناس في المتزلة من العلم فإنهم ما وصفن بالجهل كما وصف الإنسان وكذلك لما أمرنا بالإتيان أمر وجوب فإن لم يجبن جئ بمن على كره فقالتا أتينا طائعين لعلمهن بأن الذي أمرهن قادر على الإتيان بمن على كره منهن فقلن أتينا طائعين بالإتيان حاصل والطوع في معرض الإحتمال أن يكون صدقن في دعواهن فإن كانا الحق القائل فما كذباً بل صدقا وإن كان القول بالواسطة فيحتمل ما قلناه فالعالم منا إذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله يقولها على امتثال الأمر الإلهي والإقتداء بالإقتداء قوله إياك نستعين إذا كان الحق المتكلم وهي الاستعانة بالأسباب التي لا يمكن رفعها ولا وجود المسبب إلا بوجودها والأمر قوله واستعينوا بالله واصبروا على حمل هذه المشقات بلا حول ولا قوة إلا بالله انتهى الجزء العشرون ومائة

الجزء الحادي والعشرون ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الحادي عشر في الاسم الإلهي البديع وتوجهه على كل مبدع وعلى إيجاد العقل الأول وهو القلم وتوجهه على إيجاد الهمزة من الحروف ومرتباتها وتوجهه على إيجاد الشرطين من المنازل وتوجهه بالإمداد الإلهي النفسي بفتح الفاء الذاتي منه والزائد وسبب زيادته قال تعالى بديع السموات والأرض لكونهما ما خلقا على مثال متقدم وأول ما خلق الله العقل وهو القلم فهو أول مفعول ابداعه ظهر عن الله تعالى وكل خلق على غير مثال فهو مبدع بفتح الدال وخالقه مبدعه بكسر الدال فلو كان العلم تصور المعلوم كما يراه بعضهم في حد العلم لم ذلك المخلوق مبدعاً بفتح الدال لأنه على مثال في نفس من أبدعه أو أوجده عليه مطابقاً له وذلك الذي في نفس الحق منه على قول صاحب هذا الحد للعلم لم يزل واجب الوجود في نفس الحق فلم يبتدعه في نفسه كما يفعله الحدث إذا ابتدع ولا وجد في العين الأعلى الصورة التي قامت في نفس المصور لمثلها لا لها إذ ليس محلاً لما يخلقه فما هو بديع فليس في نفسه صورة ما أبدع ولا تصورها وهذه مسألة مشككة فإن من المعلومات ما يقبل التصور ومنها ما لا يقبل التصور وهو معلوم فما حد العلم تصور المعلوم وكذلك الذي يعلم قد يكون ممن يتصور لكونه ذا قوة متخيلة وقد يكون ممن يعلم ولا يتصور لكونه لا يجوز عليه التمثيل فهو تصور من خارج ولا يقبل الصورة في نفسه لما صورته من خارج لكن يعلمه واعلم أولاً أن الإبداع لا يكون إلا في الصور خاصة لأنها التي تقبل الخلق فتقبل الإبداع وأما المعاني فليس شئ منها مبتدعاً لأنها لا تقبل الخلق فلا تقبل الإبداع فهي تعقل ثابتة الأعيان هذه هي حضرة المعاني المحققة وثم صور تقبل الخلق والإبداع تدل عليها كلمات هي أسماء لها فيقال تحت هذا الكلام أو لهذه الكلمة معنى تدل عليه ويكون ذلك المعنى الذي تتضمنه تلك الكلمة صورة لها وجود عيني ذو شكل ومقدار كلفظ زيد فهذه كلمة تدل على معنى يفهم منها الذي وضعت له وهو شخص من الأناسي ذو قامة منتصبة وطول وعرض وجهات فمثل هذا يسمى معنى لهذه الكلمة فهذا المعنى يقبل الخلق ولسنا نريد بالمعاني إلا ما لا يقبل الخلق وكل ما لا يقبل الخلق فإنه لا يبقى المثل فلا يقبل المثل إلا الصورة خاصة المادية وغير المادية وأعني بالمادية المركبة وهي الأجسام على تنوع ضروبها وأعني بغير المادية كالبسائط التي لا جزء لها سوى عينها ولكنها تقبل المجاورة فتقبل التركيب فينشأ لذلك صور مختلفة إلى ما يتناهى فالأول منها وإن كان صورة فهو المبدع والثاني ليس بمبدع فإنه على مثاله ولكنه مخلوق فهو بالخلق الأول بديع وبالخلق الثاني المماثل للخلق الأول خالق فأول ما خلق الله العقل أظهره في نفس الرحمن في العماء في أول درجته التي هي في نفس الإنسان المخلوق على صورة الهمزة فهي أول مبدع من حروف تنفس الإنسان ولها وجوه وأحكام مثل ما للعقل في النفس فمن ذلك الإمداد الإلهي الذي في قوله ولئن شكرتم لأزيدنكم وفي قوله "للذين أحسنوا الحسنى وزيادة" والزيادة حيث وقعن الخير والشر ولا تعقل الزيادة إلا بعد عقل الأصل فإذا علم مقدار علم الزائد لئلا يتخيل في الزائد أنه أصل فأقل الزيادة مثل الأصل إلى رابع درجة وليس فوقها زيادة زائدة على الزيادة مثل الأصل سواء مثاله الأصل وجود عين العقل والزائد وجود النفس وهو على قدر العقل ثم الطبيعة وهي على قدر العقل ثم الهباء وهو على مقدار العقل ثم الجسم الكل وهو الرابع وليس وراءه شئ إلا الصور وكذلك المد الطبيعي. بمنزلة العقل مثل مد الألف من قال وشبهه فهذا سار في كل موجود فإن له من الحق امداداً به بقاؤه فما زاد على ما به بقاؤه وظهور عينه فلسبب آخر ولما كان العقل أول موجود جعل سبباً لكل امداداً إلهي في الوجود كذلك الهمز في النفس الإنساني أوجبت الإمداد في الصوت سواء

تأخرت أو تقدمت وتنتهي الزيادة في ذلك على المد الطبيعي إلى أربع مراتب كل زيادة على قدر الأصل التي هي الألف الطبيعية في كل ممدود مثال ذلك آمن في قراءة أبي عمرو وأأ من في قراءة ابن عامر الكسائي وأأمن في قراءة عاصم وأأمن في قراءة ورش وحمزة وكذلك جاء وجاء وجاء وأأ جاء وأأ من في قراءة ابن عامر الكسائي وأأمن في قراءة عاصم وأأمن في قراءة ورش وحمزة وكذلك جاء وجاء وجاء وأأ جاء وأأ من في قراءة ابن عامر الكسائي وأأمن في قراءة عاصم وأأمن في قراءة ورش وحمزة

يعرف الله بدليل العالم عليه كان الإمداد متقدماً على العلم بالله من حيث لا يعلم العبد فهو يتقلب في نعمة الله ولا علم له بالمنعم من هو على التعيين ومن عرف العالم بالله كان الإمداد متأخراً لأنه علم الله فرآه قبل إمداده وإن كان علمه به من إمداده ولكن ذلك هو المد الطبيعي فالإمداد في النفس الرحماني إيجاد النعم على التضعيف بالزيادة منها والله يضاعف لمن يشاء كما هو في النفس الإنساني مد الصوت طلباً للوصول إلى الموجب أو خروجها من عند الموجب بالإمداد الإلهي لعين الحرف المطلوب وهو العين المقصودة بذلك النعيم من الكائنات كما يطلب الوصول إلى حرف الميم بالمد من أ من والي حرف الدال من آدم فاعلم ذلك وكذلك توجه هذا الاسم على إيجاد الشرطين من المنازل ليعين بذلك عين البروج المقدرة في الفلك الأطلس إذ ليس لها علامة تعرف بها فجعل لها هذه المنازل علامة على تلك المقادير تقطع في هذا الفلك الأطلس الجوّاري الخنس الكنس فيعرف بالمنازل كم قطعت من ذلك الفلك وهذه المنازل أيضاً وكل كوكب في الفلك الموكب قطع في هذا الأطلس لكن لا يبلغ عمر الشخص الواحد إلى الشعور به وقد نقل إلينا أن بعض أهرام مصر وجد تاريخ عمله والنسر في الأسد وهو اليوم في الجدي فإنظر مل مر عليها من السنين ويقول أصحاب تسيير الكواكب أذه هذه الكواكب الثابتة تقطع في كل ستين سنة من الفلك درجة واحدة ونقلت عن بعضهم مائة سنة فمتى يدرك الحس انتقال كما يدرك انتقال الجوّاري الخنس الكنس ثم إننا نعود إلى كلامنا في العقل الأول ومترلته في النفس الرحماني منلة الهمزة من حروف الإنسان فنقول أن الله لما خلق الملائكة وهي العقول المخلوقة من العماء وكان القلم الإلهي أول مخلوق منها اصطفاها الله وقدمه وولاه على ديوان إيجاد العالم كله قلده النظر في مصالحه وجعل ذلك عبادة تكليفه التي تقربه من الله فما له نظر إلا نظر الأفي ذلك وجعله بسيطاً حتى لا يغفل ولا ينام ولا ينسى فهو أحفظ الموجودات المحدثه واضبطه لما علمه الله من ضروب العلوم وقد كتبها كلها مسطرة في اللوح المحفوظ عن التبديل والتحريف ومما كتب فيه فائتبه علم التبديل أي علم ما يبدل وما يحرف في عالم التغيير وإلا حالة فهو على صورة علم الله لا يقل التبديل فلما ولاه الله ما ولاه أعطاه من أسمائه المدير والمفصل من غير فكر ولا روية وهو في الإنسان الفكر والتفكير فإذا انفرد بذلك في نفسه كان له حكم وإذا دبر مع غيره كان له حكم يقال له في عالم الإنسان المشاورة يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم آمراً وشاورهم بالأمر فإذا عزمت فتوكل على الله فحكم التدبير الذي يدبر به ولايته على أقسام سواء انفرد بالتدبير أو كلب المشاركة بحكم المشورة والسبب الموجب للمشورة كون الحق له وجه خاص في كل موجود لا يكون غير ذلك الموجود فقد يلقي إليه الحق سبحانه في أمر ما مالا يلقيه لمن هو أعلى منه طبقة كعلم الاسماء لآدم مع كون الملاء الأعلى عند الله أشرف منه ومع هذا فكان عند آدم ما لم يكن عندهم وقد ذكرنا في هذا الكتاب دليل تفضيل الملاء الأعلى من الملائكة على أعلى البشر أعطاني ذلك الدليل رسول الله صلى الله عليه وسلم في رؤيا رأيته وقبل تلك الرؤيا ما كنت أذهب في ذلك إلى مذهب جملة واحدة وإذا كان هذا فقد ينفرد في أمور نصبها في العالم بما هو مدير ومفصل لا عن فكر فإنه ليس من أهل الأفكار وقد يشاركه في تدبيره عقل آخر مثل النفس الكلية التي أذكرها في الفصل الذي يلي هذا إ، شاء الله فمثل هذا هو حظ المشورة في عالم الخلق وسبب ذلك توفيه الإلهة ما تستحقه لما علم أن الله تعالى في كل موجود وجهاً خاصاً يلقي إليه منه ما يشاء مما لا يكون لغيره من الوجوه ومن الوجه يفتقر كل موجود إليه وإن كان عن سبب فإن قلت فقد أعلمه الله علمه في

خلقه حين قال الله اكتب علمي في خلقي إلى يوم القيامة قلنا الجواب على هذا من وجهين الوجه الواحد وإن علم ما يكون فمن جملة ما أعلمه به من الكون مشورته ومشاركتة غيره له في تدبيره كما نعلم أن الله يعلم ما يكون من خلقه ولكنه قال ولنبلونكم حتى نعلم وأعلم من الله فلا يكون وقد جاء مثل هذا في حق الله والوجه الآخر في الجواب وهو إنا قد علمنا أن الله في كل كائن وجهاً يخصه وذلك الوجه الإلهي لا يتصف بالخلق وقال للقلم اكتب علمي في خلقي وما قال له اكتب علمي في الوجه الذي مني لكل مخلوق على انفراده فهو سبحانه يعطي بسبب وهو الذي كتبه القلم من علم الله في خلقه ويعطي بغير سبب وهو ما يعطيه من ذلك الوجه فلا تعرف به الأسباب ولا الخلق فوقعت المشورة ليظهر عنها أمر يمكن أن يكون من علم ذلك الوجه فيلقي إليه من شاوره في تدبيره علماً قد حصل له من الله من حيث ذلك الوجه الذي لم يكتب علمه ولا حصل في خلقه ولهذا قال الله لرسوله فإذا عزمت فتوكل على الله يعني على امضاء ما اتفقت عليه في المشورة أو ما انفردت به دونهم وقوله فتوكل على الله في مثل هذا ما لم يقع الفعل فإن العزم يتقدم الفعل ففعل له توكل على الله فإنه ما يدري ما لم يقع الفعل ما يلقي الله في نفسك من ذلك الوجه الخاص الإلهي الخارج عن الخلق وهو الأمر الإلهي فإن له الخلق والأمر فما كان من ذلك الوجه فهو الأمر وما كان من غير ذلك الوجه فهو الخلق وكذلك جرى الأمر في حركات الكواكب فيعطى كل كوكب في الدرجة الفلكية على انفراده من الحكم ما لا يعطيه إذا اجتمع معه في تلك الدرجة كوكب آخر أو أكثر فاجتماعهم بمثلة المشورة وعدم اجتماعهم بمثلة ما ينفرد به فيكون عن الاجتماع ما لا يكون على إنفراد فأوحى في كل سماء أمرها مما تنفرد به ومما تنفرد به فذلك ما يحدث من الاجتماع فإنه خارج عن الأمر الذي تنفرد به كل سماء ثم في الاجتماعات أحوال مختلفة فيكون ما يحدث بحسب اختلاف الأحوال والأحوال هنالك في القرانات كالأعراض عندنا فكل يقول بحسب غرضه ونظره قل كل يعمل على شاكلته ثم ينزل الأمر إلى النفس الإنساني فيكون حكم الحرف الواحد خلاف حكمه إذا اجتمع مع غيره فالقاف في ق مفرد يدل على الأمر بالوقاية فإذا اجتمع مع لام جاء منه صورة تسمى قل فحدث للقاف أمر بالقول وأين هو من الأمر بالوقاية وكذلك لو اجتمع بحرف الميم ظهر من هذا الاجتماع صورة قم فحدث للقاف أمر بالقيام وهكذا ما زاد على حرف من حروف متصلة لأبراز كلمة أو منفصلة لأبراز كلمات فتحدث أمور لحدوث هذه الكلمات فيقول السيد لعبده قل فيحدث في العبد القول فيقول أو قم فيقوم فيظهر من المأمور حركة تسمى قياماً عن ظهور صورة ذلك الاجتماع فهكذا تحدث الكائنات في النفس الرحمان فتظهر أعيان الكلمات وهو المعبر عنها بالعالم بالكلمة ظهورها في النفس الرحمان والكون ظهورها في العماء فيما هو للنفس يسمى كلمة وأمرأ بما هو في العماء يسمى كوناً وخلقاً وظهور عين فجاء بلفظة كن لأنها لفظة وجودية فنابت مناب جميع الأوامر الألهية كما نابت الفاء والعين واللام الذي هو فعل في الأوزان مناب جميع الأوزان وجميع الموازنات من الاسماء والأفعال فهي حروف وزن الكلمة ووزن عين الموجود فكن قامت مقام قل وقم وخذ وقص واخرج وادخل واقترب وجميع ما يقع به الأمر فيكون أن كان أمر قيام فقيام وإن كان أمر قعود فقعود إلى جميع الأعيان فتحدث الكلمة في النفس فيحدث الكون في العماء على الميزان صلة في ذلك وهذه الصلة في أنواع ما يحدثه التدبير على الإنفراد والمشورة في الكون فأما ما يحدث من ذلك على الإنفراد وهو إذا حكم على المدبر إسمان إلهيان أو خاطران في حق أصحاب الخواطر وهو في الإلهيات التردد ولا يخلو هذا المدبر في هذه الحال وغيرها من الأحوال أن يكون تحت حكم إسم إلهي من الاسماء السبعة المتحركة في النفس وما يظهر فيه من الكلمات وهو الاسم الجامع والنافع والعاصم وهو الواقى والسريع والستار وهذه الخمسة الاسماء هي التي تعطي مقام العبودية في العالم والاسم البصير والبارئ وهما اللذان يعطيان مقام الحرية في الاسم الجامع فمنه يكون الإمداد لأهل الفضائل

وهم الذين يثابرون على مكارم الأخلاق ومن هذا الاسم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ويمد أيضاً أهل الجمع والوجود والحماية وترك المؤاخذة بالجرائم فيذبون عن أصحابها ما يريد بهم الاسم المنتقم والمعاقب فهو معطى الأمان وهو قوله تعالى "يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله" وفعله أبداً لا يكون إلا فيمن هو في مقام العبودية وأما الاسم الإلهي النافع فمنه يكون الإمداد للعلماء بالله على مراتبهم وأكثر ما يكون أمداده فيهم في علماء الأرواح وهو قوله تعالى "أوحينا إليك روحاً من أمرنا" ما كنت تدري ما الكتاب وما الإيمان ولكن جعلناه نوراً أي نور هداية ويمد أيضاً أهالاجود من أصناف الكرماء خاصة وهم الذين يجودون بالعطاء قبل السؤال من كل ما يقع به المنفعة للمعطى إياه وهو مختص العطاء وامداد هذا الاسم بالذين أقامهم الله في مقام العبودية والعبودية فإن رجال الله على إحدى حالتين أما حال عبوديته أو حال حرية وقد تقدم لك باب العبودية وباب الحرية وفي هذا الكتاب وأما الاسم الواقى فهو الاسم العاصم من أمر الله فمنه يكون الإمداد للصديقين وأصحاب الأسرار وأهل النظر والأفكار في مباحثهم في المناظرات لإستخراج الفوائد في مجالس أهل الله من غير منازعة ولا يمد هذا الاسم إلا الأرباب مقام العبودية وأهل الإستكفاف بالله وهم المتوكلون على الله توكل العبد على سيده لا توكل الابن على أبيه ولا الميت على غاسله ولا الأجير على من آجره ولا توكل الموكل على وكيله وأما الاسم السريع فإنه مثل الواقى في أنه لا يمد إلا أهل هذا التوكل الخاص ومن هو في مقام العبودية ويكون أمداده للمنفقين بالخلف وهو قوله تعالى "وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه" ويمد أيضاً أهل البقاء لأهل الفناء وعنه يأخذون وإليه يلجئون وأما الاسم الستار وهو الغفار والغفور والغافر فهو في الأمداد مثل السريع والواقى في العبد والمتوكلين ومن هذا الاسم يكون الأمداد لأهل الأكتساب والقائلين بالأسباب مع الاعتماد على الله غير أنهم وأن أعتمدوا على الله فما في ظاهرهم الأكتفاء بالله وهكذا كل ذي سبب وأن كان من المتوكلين فما كل متوكل يظهر منه الأكتفاء بالله في ظاهره وهذا الاسم يمد أيضاً أصحاب المنازل والمنازلات ولهم أبواب في هذا الكتاب نحواً من مائتي باب ترد فيما بعد أن شاء الله وأما الاسم البارى فمنه يكون الأمداد للأذكىاء المهندسين أصحاب الاستنباطات والمخترعين الصنائع والواضعين الأشكال الغريبة عن هذا الاسم يأخذون وهو الممد للمصورين في حسن الصورة في الميزان وأعجب ما رأيت من ذلك في قونية من بلاد يونان في مصور كان عندنا اختبرناه وأفدناه في صنعته من صحة التخييل ما لم يكن عنده فصور يوماً حجلة وأخفي فيها عيباً لا يشعر به وجاء بها ألينا ليختبرنا في ميزان التصوير وكان قد صورها في طبق كبير على مقدار صورة الحجلة في الجرم وكان عندنا بازي فعندما أبصرها أطلقه من كان في يده عليها فركضها برجله لما تخيل أنها حجلة في صورتها وألوان ريشها فتعجب الحاضرون من حسن صنعته فقال لي ما تقول في هذه الصورة فقلت له هي على غاية التمام ألا أن فيها عيباً خفياً وكان قد ذكره للحاضرين فيما بينه وبينهم فقال لي وما هو هذه أوزانها صحيحة قلت له في رجليها من الطول عن موازنة الصورة قدر عرض شعيرة فقام وقبل رأسي وقال بالقصد فعلت ذلك لأجر بك فصدقه الحاضرون وقالوا أنه ذكر ذلك لهم قبل أن يوقفني عليها فتعجبت من وقوع البازي عليها وطلبه إياها ويمد أيضاً هذا الاسم أرباب الجود في وقت المسغبة خاصة لا المنفقين على الإطلاق من غير تقييد وهذا الاسم لا ينظر من الرجال ألا لمن أقيم في مقام الحرية ما بينه وبين من أقيم في العبودية أمداد وأما الاسم البصير فإنه يمد أهل الحرية والعبودية وأمداد أهل الحرية أكثر ونظره إليهم أعظم وهذا الاسم والاسم البارى يمد أن أهل الفصاحة والعبارات ولهما أعجاز القرآن وحسن نظم الكلام الرائق هذا لهما الاسمين ويمد هذا الاسم البصير أصحاب المنازل والمنازلات في بصائرهم وهم الذين تعملوا في اكتسابها الذين أكلوا من تحت

أرجلهم ما أنزلوها بطرق العناية من غير عمل لأن أهل هذا المقام على نوعين فطائفة نزلت هذه المنازل عن تعمل وأكتسبتها وطائفة نزلتها بالأنزال الألهي عناية من غير تعمل ولا تقدم عمل بل بأختصاص ألهي ويمد أيضاً هذا الاسم أهل التفرقة وهم الذين يميزون ما تعطيه أعيان المظاهر في الظاهر بأستعداداتها وهو مقام عجيب لا يعرفه أكثر أهل التفرقة وأكثر علم أهل التفرقة العلم بمعاني الاسماء الألهية من حيث معانيها لا من وجه دلالتها على الذات فهذا حصر ما تعطيه هذه الاسماء وحصر من تعطيه ومنتهى العالم في هذا الباب الذي شاهدناه كشفاً ألفاً من العالمين لا زائد على ذلك والذي شاهدناه ذوقاً وجاريناهم قدماً بقدم وسابقناهم وسبقناهم في حضرتين حضرة النكاح وحضرة الشكوك ستة عشر عالماً من ثماني حضرات وباقي العالم كشفاً وتعريفاً لا ذوقاً فدخلنا في كل ما ذكرناه في هذا الأمدادات الألهية ذوقاً مع عامة أهل الله وزدنا عليهم باسم ألهي وهو الآخر أخذنا منه الرياسة وروح الله الذي يناله المقربون من قوله تعالى "فأما أن كان من المقرين فروح وريحان وجنة نعيم" ونلت هذه المقامات في دخولي هذه الطريقة سنة ثمانين وخمسمائة في مدة يسيرة في حضرة النكاح مع أهل الصفاء وفي حضرة الشكوك مع أهل القهر والغلبة من أجل الاختلال في الشروط وهي المواثيق التي أخذت على العالم بالله فمننا من غدر ومننا من وفي فكنا ممن وفي بحمد الله وهذه علوم غريبة وأذواق عزيزة لقينا من أربابها رجالاً بالمغرب ورجالاً بالأسكندرية ورجلين أو ثلاثة بدمشق ورجلاً ببيسواس كان قد نقصه من هذا المقام شيء قليل فعرضه علينا فأتممناه له حتى تحقق به زمان يسير وكان غريباً لم يكن من أهل البلاد كان من أهل أخلاط ولكل طائفة ممن ذكرنا ممن هم تحت أحاطة هذه الاسماء الألهية التميز في ثلاث حضرات حضرة عليا وحضرة وسطى وحضرة سفلى وحضرة مشتركة فلا تخلو هذه العقول المدبرة أن تكون في إحدى هذه الحضرات في زمان مرور الخواطر عليها والاسماء المتقابلة أو المتقاربة فالتقابلة كالضار والنافع أو المعز والمذل أو المحيي والمميت ومثل المقاربة كالعليم والخبير أو القدير والقاهر أو الكبير والعظيم وما جرى هذا الجرى في عالم الخلق والأمر وها أنا أن شاء الله أذكر ما يحدث من حكم ذلك كله في العالم تفصيل أما تفصيل ما ذكرناه فهو أن نقول بعد أن تعلم أن كل من ذكرنا من هؤلاء الطبقات فإنما هم أهل الأنفاس خاصة من أهل الله لا غيرهم أن المدبر من عالم الأنفاس إذا أراد تنفيذ أمر ما برزحى يطلب تنفيذه حكمين والأمر واحد فإن الاسم الجامع والنافع والبصير والقائلين بالجوود على مسغبة ينظرون إلى الحكم الأسهل فيحكمون به على ذلك الأمر والعلماء بالله يجعلون التوحيد بين الحكمين ويحكم بالأسهل من الحكمين وأما البارى والسريع والواقى والغفور فإنهم يسلكون طريق التحقيق في ذلك فيعطي كل حكم حقه لا يراعي جانباً دون جانب ولا يحكمون بذلك ألا المكملون من رجال الله فإن كان أحد الحكمين برزحياً والآخر سفلياً فالاسم الجامع والنافع والبصير يحكمون بما فيه رفع الحرج غير أن الاسم البصير وأهل الجود يجعلان التوحيد بين الحكمين حتى يرفعان الاشتراك وبقيّة الاسماء السبعة وجميع الطبقات الخارجين عن طبقات هؤلاء الاسماء الثلاثة يسلكون مسلك الاعتدال فيوفون الحقوق على ما تعطي المراتب مثال الأول البرزخي أن ترى الحق في صورة يدركها الحس فالحققون يعطون الألوهية حقها ويعطون الحضرة التي ظهر الحق فيها بهذه الصورة حقها والطائفة الأخرى تحكم على الحق بالصورة وتقول لولا أنه على حقيقة قبلها ما صح أن يظهر بها أذ لم تكن غيره في وقت التجلي وأما الذين جعلوا التوحيد بين الحكمين فقالوا الحق على ما هو عليه في نفسه وهذه الصورة ظهرت بالحق لأن الحق ظهر بها وجعلوا التوحيد فاصلاً بين الحق والصورة وهكذا في الحالة الثانية ومثال ذلك في الحالة الثانية هو تجلي من يقول في رؤيته جميع الأكوان ما رأيت ألا الله من حيث أن البرزخ لا يتعين فيه الصور ألا من عالم الطبيعة وهو المحسوس والحكم كما قرناه فإن كان الأمر بين حكم برزخي وصورة عليا كروية الحق في صورة ملك فالجامع والبصير والنافع يرفعون الحرج فيما

وقع فيه التشبيه ويوفون حق أحد الحكمين وهو الحكم الذي يلي جانب العزة وأصحاب الجود الألهي يعتبرون التوحيد فيبرزونها مع رفع الحرج فالتوحد مثل قوله ليس كمثله شيء ورفع الحرج تمام الآية وهو السميع البصير مرتبة أخرى إذا ظهر أمران ألهيان في صورتين مختلفتين والأمران برزخيان فالحكم الألهي في ذلك وهو أن ترى صورة الحق في البرزخ وصورة الملك في البرزخ على صورة أنسيين كصورة موسى وهارون مثلاً أو ترى الحق في صورة شخصين معاً في رؤيا واحدة في عالم البرزخ مثل أن ترى الحق في صورة شاب وشيخ في حال واحدة ولا شك أنها الحق ليس غيره فحكم العلم من العلماء بالله وأهل الجود الألهي في هذه الواقعة أن هذا أمداد ألهي لهذه الصورة التي ظهر فيها الحق وأهل الجود أيضاً والفضلاء أصحاب الزيادات من العلم الألهي مع الاسم البصير من الاسماء الألهية يزيلون الحق بليس كمثله شيء ويتأولون الصورة بما يليق بها وما بقي من الاسماء الألهية والطبقات من أهل الله أرباب المقامات والتحقيق يتركون الحق حقاً بما يليق به والصورة صورة بما يليق بها وهو الأولى عندي مرتبة أخرى نبي من الأنبياء كعيسى روح الله وكلمته يظهر حقاً من كونه كلمة الله وظهر ملكاً من كونه روح الله فالحكم في هذه الواقعة عند العلماء بالله وأهل الجود من أهل الله يلحقون الملك بذلك النبي ويتزهون الحق عن تلك الصورة وأما الراسخون في العلم وهم أهل الزيادات ويوافقهم أيضاً أهل الجود الألهي يقولون الجناح الألهي أقبل للصور من العالم فيلحقون بصور ذلك النبي ويقيمون صمو الملك على ما هي عليه لا يتأولونها ولا سيما في عيسى فإنه تمثل لأمه بشراً سوياً حين أعطاها عيسى وأما الاسم الإلهي البصير فإنه يسقط صورة الحق من ذلك تزييلها ويبقى ما بقي على حاله مرتبة أخرى ملك من الملائكة ظهر في صورة محسوسة وظهر في مقام حق وقال أنا الحق كما سمع موسى الخطاب من الشجرة أنني أنا الله لا إله إلا أنا فحكم العلماء العارفين وأهل الجود الإلهي يقولون في الصورة المحسوسة أنها ملك وفي مقام الحق أنه حق وأما أهل الزيادات من العلماء بالله وأهل الجود الإلهي يوافقونهم على حكمهم أيضاً يحكمون على الحق بالملكية والاسم البصير الإلهي يسقط بحكمه الحق من أجل ما دخله من التشبيه ويبقى ما بقي على ما هو عليه وجميع أهل الله يقولون لما كان الحق يقبل الصور لم يبعد على الصور أن تدعى فيه وتقول أنا الحق فالذي يعتمد عليه في هذه المسألة أن يعطى الحق من جهة الشرع حقه لا من جهة العقل ويعطي الحس حقه ويعطي الملك حقه ومع هذا فلا بد عند غير المحققين أن يصبحوا التوحيديين الحكمين مخافة الإشتراك والمحقق لا يبالي فإنه قد عرف ما ثم مرتبة أخرى إذا كانت إحدى الصورتين علوية والأخرى برزخية فالاسماء الثلاثة الجامع البصير والنافع يرفعون الحرج في الصورة البرزخية وغيرها ولا يعطون كل ذي حق حقه من الصورتين واعلم أن جميع ما ذكرناه هو حكم العقل في الأمور فتارة يعطى التشديد فيها وتارة يعطى اليسر فيها وتارة يعطى كل ذي حق حقه فيكون في كل حكم بحسب ما تجلّى له الحق فيه سواء كان ذلك في الألهيات أو في الطبيعيات أو فيما تركب منهما في الجمع والفرق والفناء والبقاء والصحو واسكر والغيبة والحضور والحو والأثبات أفصاح بما هو الأمر عليه أعلم أن الأمر حق وخلق وأنه وجود محض لم يزل ولا يزال وأمكان محض لم يزل ولا يزال عدم محض لم يزل ولا يزال فالوجود المحض لا يقبل عدم أزلاً وأبداً والعدم المحض لا يقبل الوجود أزلاً وأبداً والأمكان المحض يقبل الوجود لسبب ويقبل عدم لسبب أزلاً وأبداً فالوجود المحض هو الله ليس غيره والعدم المحض هو المحال وجوده ليس غيره والأمكان المحض هو العالم ليس غيره ومرتبته بين الوجود المحض والعدم المحض فيما ينظر منه إلى عدم يقبل عدم وما ينظر منه إلى الوجود يقبل الوجود فمنه ظلمة وهي الطبيعة ومنه نور وهو النفس الرحاني الذي يعطي الوجود لهذا الممكن فالعالم حامل ومحمول فيما هو حامل هو صورة وجسم وفاعل وبما هو محمول هو روح ومعنى ومنفعل فما من صورة محسوسة أو خيالية أو معنوية ألا ولها تسوية من جانب الحق وتعديل كما يليق بها وبمقامها وحالها وذلك قبل

التركيب أعني اجتماعها مع المحمول الذي تحمله فإذا سواها الرب بما شاءه من قول أو يداً ويدين أو أيديو ما ثم سوى هذه الأربعة لأن الوجود على الترتيب قام وعدله وهو التهيؤ والاستعداد للتركيب والحمل تسلمه الرحمن فوجه عليه نفسه وهو روح الحق في قوله "إذا سوته ونفخت فيه من روحي" وهو عين هذا النفس قبلته تلك الصورة وأختلف قبول الصور بحسب الاستعداد فإن كانت الصورة عنصرية وأشتعلت فتيلتها بذلك النفس سميت حيواناً عند ذلك الاشتعال وأن يظهر لها في العين حركة وهي عنصرية سميت نباتاً وأن لم يظهر لها اشتعال ولا حركة أعني في الحس وهي عنصرية سميت معدناً وجماداً فإن كانت الصورة منفعة عن حركة فلكية سميت ركناً وهي على أربع مراتب ثم أنفعلت عن هذه الأركان صورة مسواة معدلة سميت سماء وهي على سبع طبقات فوجه الرحمن عز وجل نفسه على هذه الصور فحييت حياة لا يدركها الحس ولا ينكرها الإيمان ولا النفس ولذلك لم يقبل الاشتعال فكل موضع كان في هذه السموات قبل الاشتعال سمي نجماً فظهرت النجوم وتحركت أفلاكها بما فكانت كالحیوان فيما أشتعل منها وكالنبات فيما تحرك منها وأن كانت الصورة عن حركة معنوية وقوة عملية وتوجه نفسي سميت جسماً كلاً وعرشاً وكرسياً وفلكاً فلك برج وفلك منازل وتوجه الرحمن بنفسه على هذه الصور فما قبل منها الاشتعال سمي نجوماً وهي له كالحديق في وجه الإنسان وما لم يقبل الاشتعال سمي فلكاً فإن كانت الصورة عقلية أبعثت أنبعاثاً ذاتياً عن عقل مجرد تطلب بأستعدادها ما تحمله توجه الرحمن عليها عند تسويتها التي سواها بما بنفسه فما أشتعل منها سمي نور علم وما تحرك منها ولم يشتعل سمي عملاً والذات الحاملة لهاتين القوتين نفساً فإن كانت الصورة الألهية فلا تخلوا ما أن تكون جامعة فهي صورة الإنسان أو غير جامعة فهي صورة العقل فإذا سوى الرب الصورة العقلية بأمره وصور الصورة الإنسانية بيديه توجه عليهما الرحمن بنفسه فنفع فيهما روحاً من أمره فأما صورة العقل فحملت في تلك النفخة بجميع علوم الكون إلى يوم القيامة وجعلها أصلاً لوجود العالم وأعطاه الأولوية في الوجود الأمكاني وأما صورة الإنسان الأول المخلوق باليدين فحمل في تلك النفخة علم الاسماء الألهية ولم يحملها صورة العقل فخرج على صورة الحق وفيه أنهى حكم النفس أذ لا أكمل من صورة الحق ودار العالم وظهر الوجود الأمكاني بين نور وظلمة وطبيعة وروح وغيب وشهادة وستر وكشف فما ولي من جميع ما ذكرناه الوجود المحض كان نوراً وروحاً وما ولي من جميع ما ذكرناه العدم المحض كان ظلمة وجسماً وبالمجموع يكون صورة فإن نظرت العالم من نفس الرحمن قلت ليس ألا الله وأن نظرت في العالم من حيث ما هو مسوى ومعدل قلت المخلوقات وما رमित من كونك خلقاً أذ رमित من كونك حقاً ولكن الله رمى لأنه الحق فبالنفس كان العالم كله متنفساً والنفس أظهره وهو للحق باطن وللخلق ظاهر فباطن الحق ظاهر الخلق وباطن الخلق ظاهر الحق وبالمجموع تحقق الكون وبترك المجموع قيل حق وخلق فالحق للوجود المحض والخلق للأمكن المحض فما ينعدم من العالم ويذهب من صورته فمما يلي جانب العدم وما يبقى منه ولا يصح فيه عدم فمما يلي جانب الوجود ولا يزال الأمران حاكمين على العالم دائماً فالخلق جديد في كل نفس دنيا وآخره فنفس الرحمن لا يزال متوجهاً والطبيعة لا تزال تتكون صوراً لهذا النفس حتى لا يتعطل الأمر الألهي أذ لا يصح التعطيل فصور تحدث وصور تظهر بحسب الاستعدادات لقبول النفس وهذا أبين ما يمكن في أبداع العالم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الفصل الثاني عشر من هذا الباب في الاسم الألهي الباعث وتوجهه على إيجاد اللوح المحفوظ وهو النفس الكلية وهو الروح المنفوخ منه في الصور المسواة بعد كمال تعديلها فيهبها الله بذلك النفخ أية صورة شاء من قوله في أي صورة ما شاء ركبك وتوجهه على إيجاد الهاء من الحروف وهاء الكنايات وتوجهه على إيجاد البطيّن من المنازل المقدرة أعلم أن هذه النفس هي اللوح المحفوظ وهو أول

موجود أنبعائي وأول موجود وجد عند سبب وهو العقل الأول وهو موجود عن الأمر الألهي والسبب فله وجه إلى الله خاص عن ذلك الوجه قبل الوجود وهو وكل موجود في العالم له ذلك الوجه سواء كان لوجود سبب مخلوق قبله له إلى وجوده نسبة ما بأي وجه كان أما بنسبة فعلية أو بنسبة بخاصية لا بد من ذلك وحينئذ يكون سبباً وألا فليس بسبب وقد يكون ذلك الأثر في غير مخلوق كقوله "أجيب دعوة الداعي" فالسؤال سبب في وجود الأجابة كان المحيب ما كان ومن هذه الحقيقة نزل قوله تعالى "ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث أي أحدثت بعض هذه الأمور السؤالات وأما السبب المعنوي فهو من جهة المسبب بفتح الباء إسم مفعول ومن المسبب إسم فاعل فمن جهة المسبب إسم المفعول أستعداده لقبول الأثر فيه أذ لو لم يكن فيه أستعداد لما وقع فيه الأثر فذلك الأستعداد أمتنع من المحال فما يكون ومع هذا فله أستعداد في قبول الفرض فيه فلماذا نفرض المحال في بعض المسائل وأن كان لا يقبل الوجود لنستخرج من ذلك الفرض علماً لم يكن عندنا فلولا أستعداد لقبول الفرض ما تمكن للعقل أن يفرضه فالممكن أقبل لعين الوجود والسبب الذي من وجهة المسبب إسم فاعل فما ذكر الله تعالى أنما قولنا فأثبت عينه وقوله إذا أردناه فأثبت الإرادة والتعليق بالمراد فلا بد من هذا شأنه أن يكون عالماً حياله أقتدار على ما يريد تكوينه فهذه كلها أستعدادات نسبية معنوية ألا العين الذي هو المسبب فإنه سبب وجودي لا يكون علة لكن هو شرط ولا بد ولما خلق الله هذا العقل الأول قلما طلب بحقيقته موضع أثر لكتابته فيه لكونه قلماً فإنبعث من هذا الطلب اللوح المحفوظ وهو النفس فلماذا كانت أول موجود أنبعائي لما أنبعثت من الطلب القائم بالقلم ولم يكن في القوة العقلية الأستقلال بوجود هذا اللوح فتأيد بالاسم الباعث وبالوجه الخاص الذي أنبعثت عنه هذي النفس فألقي العقل إليها جميع ما عنده إلى يوم القيامة مسطراً منظوماً وهو موجود ثالث بين اللوح والقلم مرتبته وبعد اللوح وجوده وجعل الله في القلم الألقاء لما خلق فيه وجعل في اللوح القبول لما يلقي إليه فكان ما ألقى إليه وما ضمه اللوح من الكلمات المخلوقة في ذات القلم واللوح بعد فراغه من الكتابة مائتي ألف آية وتسعاً وستين ألف آية ومائتي آية وهو ما يكون في الخلق إلى يوم القيامة من جهة ما تلقيه النفس في العالم عند الأسباب وأما ما يكون من الوجوه الخاصة الألهية في الموجودات فذلك يحدث وقت وجوده لا علم لغير الله به ولا وجود له ألا في علم الله وهذا جميع ما حصله العقل من النفس الرحماني من حيث ما كلمه به ربه تعالى كما كلم موسى ربه بأثنتي عشرة ألف كلمة في كل كلمة يقول له يا موسى وصورة التلقي الألهي للعقل تجل رحماني عن محبة من المتجلي والمتجلي له ومن هذا المقام جعل الله بين الزوجين المودة والرحمة ليسكن إليها وجعل الزوجة مخلوقة من عين الزوج ونفسه كما قال وهو الذي خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة أن في ذلك لآية أي علامة ودليلاً لقوم يتفكرون فيعلمون أنه الحق وفائدة هذا التفكر أن الإنسان إذا تزوج بالمرأة ووجد السكون إليها وجعل الله بينهما المودة والرحمة علم أن الله يريد ألتحامهما فإذا أرتفع السكون من أحدهما إلى صاحبه أو منهما وزالت المودة وهي ثبوت هذا السكون وبهذا سمي الحب ودأً لثبوته وتسمى بالودود لثبوت حبه من أحب من عبادته وزالت الرحمة من بينهما أو من أحدهما بصاحبه فأعرض عنه فيعلم أن الله قد أراد طلاقهما فيبادر لذلك فيفوز عند الله بهذا المقام فإن لج وعاند يحرم القرب الألهي فإن الحضرة الألهية لا تقبل اللجاج والمعاندة وقد ثبت في الشرع ما ثبت وما يعرف ما قلناه ألا أهل التغر من عباد الله فإن الله ما جعله آية ألا لهم فجعل سبحانه سبب حصول هذه العلو في ذات العقل التجلي ومنه تلقى ذلك وكان سبب التجلي الحب فإنه أصل سبب وجود العالم والسماع سبب كونه وقد بينا هذا في باب السماع والمحبة وأما صورة تلقي النفس ما عندها من العلوم فهو على وجهين هي وكل موجود عن سبب ويختلف باختلاف تنوع الأسباب الوجه الواحد إذا كان التلقي لكل موجود عند سبب من وجهه الخاص به فلا يكون ألا

عن تجل ألهي سواء علمه المتجلي له أو لم يعلمه فإن علمه كان من العلماء بالله وأن لم يعلمه كان من أهل العناية وهو لا يشعر أنه معني به فإن أكثر الناس لا يعلمون حديث هذا الوجه الخاص ولا يعرفونه فإنه علم خاص لا يعطيه الله إلا لمن أختصه وأصطنعه لنفسه من عباده وأما الوجه الآخر من التلقي فهو ما يستفيدة من السبب ولا تحصى طرقه فإن الأسباب مختلفة فأين سببية العقل فيما يظهر على النفس من توجهه وتلقيها من سببية السماء فيما يظهر على الأرض من النبات من توجهها عليها بما تلقيه من الغيث فيها وتلقيها لذلك ولكل حركة فلكية ونظر كوكب في العالم العلوي وأمداد الطبيعة كل ذلك أسباب لوجود زهرة تظهر على وجه الأرض أين هذا من توجه سببية العقل فلماذا قلنا ما تنحصر أسبابه مع كونها منحصرة في نفس الأمر فمن النفس إلى آخر ركن في العالم وبعض المولدات ما بين النفس وآخر ركن من الأفلاك والكواكب والحركات في وجود عين تلك الزهرة والورقة أثر وحكم عن أمر ألهي قد يعلمه السبب الحادث وقد لا يعلمه وهي أسباب ذاتية كلها ومنها عرضية كالقاء المدرس الدرس على الجماعة فهذا من الأسباب العرضية وهو كل ما كان للسبب فيه أرادة وما عدا ذلك فهو ذاتي فالعلاقة التي بين الأسباب والمسببات لا تنقطع فإنها الحافظة لكون هذا سبباً وهذا مسبباً عنه ولما أوجد الله هذه النفس الكلية من نفس الرحمن بعد العقل كوجود الهاء بعد الهمزة أو الهمزة بعد الهاء في النفس الأنساني المخلوق على الصورة فهو في النفس الرحماني نفس كلية وفي النفس الأنساني هاء وضمير وكناية فهي تعود من حيث ما هي ضمير على من أوجدها فإنها عين الدلالة عليه فأفهم فإن الدلالة لا تكون ألا في الثاني فإنه يطلب الأول وليس الأول يطلب الثاني بحكم الدلالة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من عرف نفسه عرف ربه" وهو الثاني فإنه موضع الدلالة وقال في الأول والله غني عن العالمين فتره عن الدلالة ولهذا لا يصح أن يكون علة وإليه الدلالة بقول صلى الله عليه وسلم كان الله ولا شيء معه فهو غني عن الدلالة وفي الرتبة أوجد الله البطين من المنازل التي تنزله الجوارى والكواكب البطيئة الحركة وأعطى الله هذه النفس قوتين قوة علمية وقوة علمية فبالقوة العلمية تظهر أعيان الصور وبالقوة العلمية تعلم المقادير والأوزان ومن الوجه الخاص يكون القضاء والقدر لهذا ولا يعرف ذلك ألا بعد وقوعه إلا من عرفه الله بذلك فحكم القضاء والقدر لا يعرف إلا ما ذكرناه بخلاف المقادير والأوزان فإن ذلك في علم النفس ونسبة هذه النفس إلى كل صورة في العالم نسبة واحدة من غير تفاضل لأن الصور تقبل من ذلك بحسب استعداداتها التي هي عليا في ذاتها فيظهر التفاضل وأما هناك فلا تفاضل ألا بينها وبين العقل ولما بينت لك حصر الآيات في الكلام الألهي الظاهرة في النفس الرحماني كآليات في القرآن العزيز وفي الكتب المترلة والصحف المرسلة فإن لها سوراً تجمع تلك الآيات وتفصل بعضها من بعض كما جاءت سور القرآن وهي منازل المعلومة الجامعة للآيات كما الآيات جامعات للكلمات كما الكلمات جامعة للحروف كما هي الحروف ظروف المعاني فسور هذه الآيات عشر سور من غير زيادة ولا نقصان فمنها سورة الأصل وهي السورة التي تتضمن كل آية تدل على عين قائمة بنفسها في العالم الحاملة غيرها السورة الثانية سورة المحمول وهي تتضمن كل آية تدل على عين لا تقوم بنفسها بل تفتقر إلى محل وعين يظهر وجودها بذلك المحل وقد تكون تلك العين لازمة وقد تكون عرضية على قدر ما تعطيه حقيقتها والسورة الثالثة سورة الدهر والرابعة سورة الاستواء وله أصلان الأصل الأول ظرفية العماء والأصل الثاني ظرفية العرش فالأول ظرفية المعاني والثاني ظرفية السور والسورة الخامسة سورة الأحوال والسورة السادسة سورة المقدار والسورة السابعة سورة النسب والسورة الثامنة سورة التوصيل والأحكام والعبارات والأشارات والإيماء وما يقع به الأفهام بين المخاطبين وهو نطق العالم

وقول كل قائل وهي الاسماء الألهية التي علم الله آدم فمنها ما كانت الملائكة تعلمه وما أختص آدم ألا بالكل وما عرض من

المسميات ألا ما كانت الملائكة تجهله والسورة التاسعة سورة الآثار الوجودية والسورة العاشرة سورة الكائنات وهي الأنفعالات
الالهية والكونية فهذه عشر تتضمن هذه الآيات فمن علمها كشفاً علم الحق والخلق ومن علمها دلالة لم يكمل في علمها كمال
أصحاب الكشف ولا تقل هذا رمز بل هذا كله تصريح وإيضاح يعرفه كل عاقل إذا حقق النظر فيه أن الآيات كلها محصورة في
هذه السور قديماً وحديثاً والنفوس الكلية هي التي ظهرت عنها معرفة هذه السور لأنها كانت محل ألقاء القلم الإلهي إليها فهي أول
منكوح لنا كح كوني وكل ما دونها فهو من عالم التولد العقل أبوه والنفوس أمه فأفهم ولا تلحق بمن قال الله فيهم أنهم لفي لبس من
خلق جديد وهم الذين أعرضوا عن كل ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث وقد قلنا في مرتبتنا في هذا

كل يوم في مزيد

بين وجد ووجود

قائل هل من مزيد

في وجودي وشهودي

في منازل السعود

في معارج الصعود

في هبوطي وصعودي

في أسمك الله الودود

أنا في خلق جديد

وأنا من حيث حبي

شاكراً شكر محب

فإننا واحد وقتي

يا رفيع الدرجات

أرفع اللهم عني

كل ستر في طريقي

وأجعل اللهم حظي

الفصل الثالث عشر في الاسم الإلهي الباطن وتوجهه على خلق الطبيعة وما تعطيه من أنفاس العالم وحصرها في أربع حقائق وأفتراقها
وأجتماعها وتوجهها على إيجاد العين المهملة من الحروف وإيجاد الثريا من المنازل المقدره أعلم أن الطبيعة في المرتبة الثالثة عندنا من
وجود العقل الأول وهي معقولة الوجود غير موجودة العين فمعنى قولنا مخلوقة أي مقدرة لأن الخلق التقدير وما يلزم من تقدير
الشيء وجوده قال الشاعر

وبعض الناس يخلق ثم لا يفرى

ولأنت تفرى ما خلقت

وهو من الثلاثي لأنه قصد المدح وليس من الرباعي فإن الرباعي لا يقال ألا في معرض الذم والهجاء فما كل من قدر أمراً أوجده
ومن هذه الحقيقة الالهية ظهر في الوجود النظري عند العلماء فرض المحال في العلوم فهو يقدر ما لا يصح وجوده وقد يقدر ما يصح
وجوده ولا يوجد وكذلك قال هذا العربي وبعض الناس يعد بالخير ولا يفعله وأنت أيها الملك ما ترى مصلحة ألا وتفعلها فالخالق
له معيان المقدر والموجد فمن خلق فقد قدر أو أوجد فقدر سبحانه مرتبة الطبيعة أنه لو كان لها وجود لكان دون النفس فهي وأن
لم تكن موجودة العين فهي مشهودة للحق ولهذا ميزها وعين مرتبتها وهي للكائنات الطبيعية كالاسماء الالهية تعلم وتعقل وتظهر
آثارها ولا تجهل ولا عين لها جملة واحدة من خارج كذلك الطبيعة تعطي ما في قوتها من الصور الحسية المضافة إليها الوجودية ولا
وجود لها من خارج فما أعجب مرتبتها وما أعلى أثرها فهي ذات معقولة مجموع أربع حقائق يسمى أثر هذه الأربع في الأجسام
المخلوقة الطبيعية حرارة ويوسة وبرودة ورطوبة وهذه آثار الطبيعية في الأجسام لا عينها كالحياة والعلم والإرادة والقول في النسب
والإلهية وما في الوجود العيني سوى ذات واحدة فالحياة تنظر إلى الحرارة والعلم ينظر إلى البرودة والإرادة تنظر إلى اليوسة والقول

ينظر إلى الرطوبة ولهذا وصفه باللين فقال "فقولا له قولاً لنا" فهو يقبل اللين والخشونة والإرادة ييوسة فإنه يقول "إذا عزمت فتوكل" وقال وجدت برد أنا مله فعلمت فلهذا جعلنا العلم للبرودة في الطبيعة وكذلك الحياة للحرارة فإن الحي الطبيعي لا بد من وجود الحرارة فيه وأما الذي تعطيه من أنفاس العالم فهو ما تقع به الحياة في الأجسام الطبيعية من نمو وحس لا غير ذلك هذا فما هو من الطبيعة بل علته أمر آخر وهي الحياة العقلية حياة العلم وهي عين النور الإلهي والنفس الرحاني ثم لتعلم أن مسمى النفس من هذه الحقيقة الوجودية لا يكون إلا إذا كانت للرحمن وما يماثله من الاسماء الإلهية وقد تكون حقيقة لأسماء آخر تقتضي النقيض فلا تكون عند ذلك نفساً من التنفس في حق ذلك الكائن منه فهو وإن كان حقيقة فكونه نفساً باعتبار خاص يقع به التنفس أما في حق من ينفس الله عنه من الكائنات ما يجده من الضيق والحرج وأما في حق من هو صفته من حيث نفوذ إرادته وأما إذا ينظر من هذه الجهة فهو عبارة عن حياة من وصف به من حيث حقيقته لا غير ألا ترى النفس الحيواني يرفع وجوده فيه إسم الموت به سمي نفساً فإن الموت صفة مكروهة من حيث الألفة المعهودة إذ كان الموت مفزاً فيكون مكروهاً عنده فإذا نظر من يلقاه في ذلك الموت وهو الله فيكون تحفة عند ذلك ويكون إسم النفس به أحق في هذا الشهود ولما كان لها وجود أعيان الصور لهذا كان لها من الحروف العين المهملة لأن الصورة الطبيعية لا روح لها من حيث الطبيعة وإنما روح للصور الطبيعية من الروح الإلهي وكان لها من الحروف الشريا وهي سبع كواكب لأن الطبيعة في المرتبة الثالثة وهي أربع حقائق كما تقدم فكان من المجموع سبعة وظهرت عنها الشريا وهي سبعة أنجم كما كان للعقل ثلاث نسب ووجوه فوجدت عنه الكثرة التي ذكرها بعض أهل النظر في سبب صدور الكثرة عن العقل الأول مع كونه واحداً فكان الشرطين ثلاثة أنجم والنفس مثل العقل في ذلك فكان البطين ثلاثة أنجم ومن كون النفس ثمانية كان البطين في المرتبة الثانية من الشرطين وعن هذه السبعة التي ظهرت في الطبيعة ظهرت المسبغات في العالم وهي أيضاً السبعة الأيام الجمعة اعتبر ذلك محمد بن سيرين رحمه الله جاءته امرأة فقالت له رأيت البارحة القمر في الشريا فقال أنا قمر هذا الومان في هذه البلدة والشريا سبعة أنجم وبعد سبعة أقبر فإن الشريا من الثرى وهو إسم للأرض فمات إلى سبعة أيام فإنظر ما أعجب هذا وبيننا أنا أفيد هذه المسألة من الكلام في الكبيعة إذ غفوت فرأيت أمي وعليها ثياب بيض حسنة فحسرت عنها ذيلها إلى أن بد إلى فرجها فنظرت إليه ثم قلت لا يحل لي أن أنظر إلى فرج أمي فسترته وهي تضحك فوجدت نفسي قد كشفت في هذه المسئلة وجهاً ينبغي أن يستر فسترته بألفاظ حسنة بعد كشفه قبل أن أرى هذه الواقعة فكانت أمي الطبيعة والفرج ذلك الوجه الذي ينبغي ستره والكشف اظهاره في هذا الفصل والتغطية بذلك الثوب الأبيض الحسن ستره بألفاظ وعبارات حسنة ثم أي أيضاً كما أنا في كلامي على الطبيعة في هذا الفصل أخذتني سنة فرأيت كأني على فرس عظيم وقد جئت إلى ضحضاح من الماء أرضه حجارة صغار فأردت عبوره فرأيت أمامي رجلاً على فرس شهباء يعبر وإذا فيه مثل الساقية عميقة مردومة بتلك الحجارة لا يشعر بها حتى يغرق فيها وإذا بذلك الفارس قد غرق فيها فرسه وقد نشب إلى أن وصل الماء إلى كفل فرسه ثم خلص إلى الجانب الآخر فنظرت من أين أعبر فوجدت مبنياً عليه مجازاً ذا أدراج من الجهتين للرجالة لا يمكن للفرس أن يصعد عليه فيصعد فيه بإدراج متقاربة جداً وأعلاه عرض شبر ويتزل من الجانب الآخر بادراج فركضت جنب فرسي والناس يتعجبون ويقولون ما يقدر فرس على عبوره وأنا لا أكلمهم ففهم الفرس عني ما أريده منه فصعد برفق فلما وصل إلى أعلاه وأراد الإنحدار توقف وخفت عليه وعلى نفسي من الوقوع فترلت من عليه وعبرت وأخذت بعنانه وما زال من يدي فعبر فارس وتخلصنا إلى الجانب الآخر والناس يتعجبون وسمعت بعض الناس يقولون لو كان الايمان بالثرى لئالته رجال من فارس فقلت ولو كان العلم بالثرى لئالته العرب والايمان تقليد فكم بين عالم وبين من

يقلد عالماً فقالوا صدق فالعربي له العلم والايمان والعجم مشهود لهم بالايمان خاصة في دين الله ورددت إلى نفسي فوجدتني في مسئلة في الطبيعة تطابق هذه الرؤيا فتعجبت من هاتين الواقعتين في هذا الفصل ونظرت في كواكب المنازل من كوكب واحد كالصرفة إلى اثنين كالذراع إلى ثلاثة كالبطين إلى أربعة كالجبهة إلى خمسة كالعوالي ستة كالبران إلى سبعة كالثريا إلى سبعة كالنعائم ولم أرى للثمانية وجوداً في نجوم المنازل فعلمت أنه لما لم تكن للثمانية صورة في نجوم المنازل لهذا كان المولود إذا ولد في الشهر الثامن يموت ولا يعيش أو يكون معلولاً لا ينتفع بنفسه فإنه شهر يغلب على الجنين فيه برد وبيس وهو طبع الموت وله من الجواري كيوان وهو بارد يابس فلذلك لم أر للثمانية وجوداً في المنازل ثم علم أن السيارة لا نزول لها ولا سكون بل هي قاطعة أبداً وقد يكون مردودها على عين كواكب المتزلة وقد يكون فوقها وتحتها على الخلاف الذي في حد المتزلة ما هو فسميت متزلة مجازاً فإن الذي يحل فيها لا استقرار له وأنه سابع كما كان قبل وصوله إليها في سباحته فراعى المسمى ما يراه البصر من ذلك فإنه لا يدرك الحركة ببصره إلا بعد المفارقة فبذلك القدر يسميها متزلة لأنه حظ البصر فغلبه واعلم أن الطبيعة هذا حكمها في الصور لا يمكن أن تثبت على حالة واحدة فلا سكون عندها ولها الاعتدال في الأجسام الطبيعية العنصرية لا يوجد فهو معقول لا موجود ولو كانت الطبيعة تقبل الميزان على السواء لما صح عنها وجود شئ ولا ظهرت عنها صورة ثم نشأة الصور الطبيعية دون العنصرية إذا ظهرت أيضاً لا تظهر والطبيعة معتدلة أبداً بل لا بد من ظهور بعض حقائقها على بعض لأجل الإيجاد ولولا ذلك ما تحرك فلك ولا سبح ملك ولا وصفت الجنة بأكل وشرب وظهور في صور مختلفة ولا تغيرت الأنفاس في العالم جملة واحدة وأصل ذلك في العلم الإلهي كونه تعالى "كل يوم هو في شأن" واليوم الزمن الفرد والشأن ما يحدث الله فيه فمن أين يصح أن يكون الطبيعة معتدلة الحكم في الأشياء وليس لها مستند في الإلهيات فهذا قد ابنت لك وجود الطبيعة انتهى الجزء الحادي والعشرون ومائة

الجزء الثاني والعشرون ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الرابع عشر في الاسم الإلهي الآخر وتوجهه على خلق الجوهر الهبائي الذي ظهرت فيه صور الأجسام وما يشبه هذا الجوهر في عالم المركبات وتوجهه على إيجاد حرف الحاء المهملة من الحروف وإيجاد الدبران من المنازل اعلم أن هذا الجوهر مثل الطبيعة لا عين له في الوجود وإنما تظهره الصورة فهو معقول غير موجود الوجود العيني وهو في المرتبة الرابعة من مراتب الوجود كما هو الحاء المهملة في المرتبة الرابعة من مخارج الحروف في النفس الإنساني غير أن الحرف له صورة لفظية في القول محسوسة للسمع وليس لهذا الجوهر الهبائي مثل هذا الوجود وهذا الاسم الذي اختص به منقوله عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأما نحن فنسميه العنقاء فإنه يسمعه ذكره ويعقل ولا وجود له في العين ولا يعرف على حقيقة إلا بالأمثلة المضروبة كما أن كون الحق نور السموات والأرض لم يعرف بحقيقته وإنما عرفنا الحق به بضرب المثل فقال مثل نوره كمشكاة الآية فذكر الأمور التي تنبغي للمصباح المشبه به نور السموات والأرض وهو الذي أنارت به العقول العلوية وهو قوله السموات والصور الطبيعية وهو قوله الأرض كذلك هذا المعقول الهبائي لا يعرف إلا بالمثل المضروب وهو كل أمر يقبل بذاته الصور المختلفة التي تليق به وهو في مل صورة بحقيقته وتسميه الحكماء الهيولي وهي مسألة مختلفة فيها عندهم ولسنا ممن يحكي أقوالهم في أمر ولا أقول غيرهم وإنما نورد في كتابنا وجميع كتبنا ما يعطيه الكشف ويمليه الحق هذا طريقة القوم كما سئل الجنيد عن التوحيد فأجاب بكلام لم يفهم عنه فقليل له أعد الجواب فإنما ما فهمنا فقال جواب آخر فقليل له وهذا أغمض علينا من الأول فأمله علينا حتى ننظر فيه ونعلمه فقال إن كنت أجريه فإنما أمله أشار إلى أنه لا تعمل له فيه وإنما هو بحسب ما يلقي إليه مما يقتضيه وقته ويختلف الإلقاء باختلاف الأوقات ومن علم الإتساع الإلهي علم أنه لا يتكرر شئ في الوجود وإنما وجود لأمثال في الصور يتخيل أنها أعيان ما مضى وهي أمثالها لا أعيانها ومثل الشئ ما هو عينه واعلم أن هذا المعقول الرابع من وجود العقل فيه تظهر العين التي تقبل حكم الطبيعة وهو الجسم الكل الذي يقبل اللطيف والكثيف والكدر والشفاف وهو الذي يأتي ذكره في الفصل الثاني بعد هذا وهذا المعقول إنما قيدنا مرتبته بأنها الرابعة من حيث نظرنا إلى قبوله صورة الجسم خاصة وإنما بالنظر إلى حقيقته فليست هذه مرتبته ولا ذلك الاسم إسمه وإنما الذي يليق به الحقيقة الكلية التي هي روح كل حق ومتى خلى عنها حق فليس حقاً ولهذا قال عليه السلام لكل حق حقيقة فجاء باللفظ الذي يقتضي الإحاطة إذا تعرى عن القرائن المقيدة وهو لفظة كل كمفهوم العلم والحياة والإرادة فهي معقولة واحدة في الحقيقة فإذا نسب إليها ذلك الأمر الخاص بحسب ما تقتضيه تلك الذات المعينة فإن اتصفت تلك الذات بالقدم اتصفت هذا الأمر بالقدم وإن اتصفت بالحدوث اتصفت هذا الأمر بالحدوث والأمر في نفسه لا يتصف بالوجود إذ عين له ولا بالعدم لأنه معقول ولا بالحدوث لأن القدم لا يقبل الإتيان به والقدم لا يصح أن يكون محلاً للحوادث ولا يوصف بالقدم لأن الحادث يقل الإتيان به والحادث لا يوصف بالقدم ولا يصح أن يكون القدم حالاً في المحدث فهو لا قدم ولا حادث فإذا اتصف به الحادث سمي حادثاً وإذا اتصف به القدم سمي قديماً وهو قدم في القدم حقيقة وحادث في المحدث حقيقة لأنه بذاته يقابل كل متصف به كالعالم يتصف به الحق والخلق فيقال في علم الحق أنه قدم فإن الموصوف به قدم فعلمه بالمعلومات قدم لا أول له ويقال في علم الخلق أنه محدث فإن الموصوف به لم يكن ثم كان فصفته مثله

إذ مظهر حكمها فيه إلا بعد وجود عينه فهو حادث مثله والعلم في نفسه لا يتغير عن حقيقته بالنسبة إلى نفسه وهو في كل ذات بحقيقته وعينه وما له عين وجودية سوى عين الموصوف فهو على أصله معقول لا موجود ومثاله في الحس البياض في كل أبيض والسواد في كل أسود هذا في الألوان وكذلك في الأشكال الترييع في كل مربع والإستدارة في كل مستدير والشمين في كل مثنى والشكل بذاته في كل متشكل وهو على حقيقته من المعقولة والذي وقع عليه الحس إنما هو المتشكل لا الشكل والشكل معقول إذ لو كان المتشكل عين الشكل لم يظهر في المتشكل مثله ومعلوم أن هذا المتشكل ليس هو المتشكل الآخر فهذا مثل مضروب للحقائق الكلية التي اتصف الحق والخلق بها فهي للحق أسماء وهي للخلق أكوان فذلك هذا المعقول الرابع لصور الطبيعة يقبل الصور بجوهره وهو على أصله في المعقولة والمدرک الصورة لا غيرها ولا تقوم الصورة إلا في هذا المعقول فما من موجود إلا وهو معقول فما من موجود إلا وهو معقول بالنظر إلى ما ظهرت فيه صورته موجود بالنظر إلى صورته ألا ترى الحق تعالى ما تسمى باسم ولا وصف نفسه بصفة ثبوتية إلا والخلق يتصف بها وينسب إلى كل موصوف بحسب ما تعطيه حقيقة الموصوف وإنما تقدمت في الحق لتقدم الحق بالوجود وتأخرت في الخلق لتأخر الخلق في الوجود فيقال في الحق أنه ذات يوصف بأنه حي عالم قادر مريد متكلم سميع بصير ويقال في الإنسان المخلوق أنه حي عالم قادر متكلم سميع بصير بلا خلاف من أحد والعلم في الحقيقة والكلام وجميع الصفات على حقيقة واحدة في العقل ثم لا ينكر الخلاف بينهم في الحكم فإن أثر القدرة يخالف أثر غيرها من الصفات وهكذا كل صفة والعين واحدة ثم حقيقة الصفة الواحدة واحدة من حيث ذاتها ثم يختلف حدها بالنسبة إلى اختصاص الحق بها وإلى اتصاف الخلق بها وهذه الحقيقة لا تزال معقولة أبداً لا يقدر العقل على انكارها ولا يزال حكمها موجوداً ظاهراً في كل موجود

فيه ولا صورة في ذاتها

وذلك الحكم من آياتها

فنفياها في عين اثباتها

فكل موجود لها صورة

فحكمها ليس سوى ذاتها

تجتمع الأضداد في وصفها

فالمعنى القابل لصورة الجسم هو المذكور المطلوب في هذا الفصل وهو المهياله والجسم القابل للشكل هو هباء لأنه الذي يقبل الأشكال لذاته فيظهر فيه كل شكل وليس في الشكل منه شيء وما هو عين الشكل والأركان هباء للمولدات وهذا هو الهباء الطبيعي والحديد وأمثاله هباء لكل ما تصور منه من سكين وسيف وسان وقدم ومفتاح وكلها صور أشكال ومثل هذا يسمى الهباء الصناعي فهذه أربعة عند العقلاء والأصل هو الكل وهو الذي وضعنا له هذا الفضل وزدنا نحن حقيقة الحقائق وهي التي ذكرناها في هذا الفصل التي تعم الخلق والحق وما ذكرها أحد من أرباب النظر ألا أهل الله غير أن المعتزلة نبهت على قريب من ذلك فقالت أن الله قائل بالقائلية وعالم بالعالمية وقادر بالقادرية لما هربت من أثبات صفة زائدة على ذات الحق تزيها للحق فترعت هذا المترع فقاربت الأمر وهذا كله أعني ما تختص بهذا الفصل من حكم الاسم الآخر الظاهر التي هي كلمة النفس الرحماني وهو الذي توجه على الدبران من المنازل وكواكبه ستة وهو أول عدد كامل فهو أصل كل عدد كامل فكل مسدس في العالم فله نصيب من هذه الكمالية عليه أقامت النحل بيتها حتى لا يدخله خلاء ومن أهل الله من يراه أفضل الأشكال فإنه قارب الاستدارة مع ظهور

الزوايا وجعله أفضل لأن الشكل المسدس كبيوت النحل لا يقبل الخلل مع الكثرة فيظهر الخلو والمستدير ليس كذلك وأن أشبهه غيره في عدم قبول الخلل كالمرجع فإنه يبعد عن المستدير والأستدارة أول الأشكال التي قبل الجسم وجعل بعضها في خوف بعض لأن الخلاء مستدير ولو لم يكن كذلك ما أستدار الجسم لأنه ما ملأ ألا الخلاء فلا يقبل أستدارة أخرى من خارج فإنه ما ثم خلاء غير ما عمره الجسم فلو عمر بعض الخلاء لم يقبل سوى الشكل المسدس وأما وصف بالكمال لأنه يظهر عن نصفه وثلثه وسدسه فيقوم من عين أجزائه

الفصل الخامس عشر من النفس الرحمان في الاسم الألهي الظاهر وتوجهه على إيجاد الجسم الكل ومن الحروف على حرف الغين المعجمة ومن المنازل على رأس الجوزاء وهي الهقعة وتسمى الميسان أعلم أن الله تعالى لما جعل في النفس القوة العملية أظهر الله بها صورة الجسم الكل في جوهر الهباء فعمر به الخلاء والخلاء أمتداد متوهم في غير جسم ولما رأينا هذا الجسم الكل لم يقبل من الأشكال ألا الأستدارة علمنا أن الخلاء مستدير أذ كان هذا الجسم لما أوجده مستديراً لما عمر به جميع الخلاء كانت حركته في خلافه فما هي حركة أنتقال عنه وأما حركته فيه ب كله كحركة الرحي تنظر في حركتها بجميعها فتجدها لم تنتقل عن موضعها وتنظر إلى حركة كل جزء منها فتجده منتقلاً عن حيزه إلى حيز آخر بحرركة الكل وهكذا كل حركة مستديرة فهي متحركة ساكنة لأنها ما أدخلت حيزها بالانتقال من حيث جملة ولا سكنت فتتصف بالسكون وهذا لا يكون ألا في المستدير وأما غير المستدير فلا يسمى لشكله فلماً أي مستديراً وهذا هو أول الصور الطبيعية فأظهرت الطبيعة فيه حكمها فقبل الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة بحكم التجاوز في النقيضين خاصة فتحرك بغلبة الحرارة فإن الاعتدال لا يظهر عنه شيء أصلاً ولهذا وصف الحق نفسه بالرضا والغضب والرحمة والانتقام والحلم والقهر فالاعتدال لا يصح معه وجود ولا تكوين ألا ترى أنه لولا التوجه الألهي على إيجاد كون ما ما وجد ولولا ما قال له كن ما تكون فلما كانت كمية الحرارة أكثر من غيرها في الجسم أعطته الحركة وما ثم خلاء ألا ما عمره هذا الجسم ولا بد له من الحركة فتتحرك في مكانه وهي حركة الوسط لأنه ليس خارجه خلاء فيتتحرك إليه والحركة تطلبها الحرارة وهي حركة في الجميع من أنتقال وأظهر الله صور العالم كله في هذا الجسم على أستعدادات مختلفة في كل صورة وأن جمعها جسم واحد وحاكم واحد فقبلت الصور الأرواح من النفس الرحمان كما قبلت الحروف المعاني عند خروجها لتدل على المعنى الذي خرجت له وظهر حكم الزمان بالحركة فظهرت الصور بالترتيب فقبلت التقدم والتأخر الزماني وظهر حكم الاسماء الألهية بوجود هذه الصور وما تحمله وقد ذكرنا في عقله المستوفز ترتيب وجود العالم كيف كان والله كما ذكرنا فيه وجه خاص وفي كل ما وجد فيه وعن ذلك الوجه الخاص وجد ولا يعرف السبب قط ذلك الوجه الخاص الذي لمسيبه المنفعل عنه ولا عقل ولا نفس ألا الله خاصة وهو رقيقة الجود فتتحرك بالوجود الألهي لا بفعل النفس وهي حركة النفس الرحمان لإيجاد الكلمات فسوى العرش ووجد فيه الكلمة الرحمانية ثم أوجد صورة الكرسي وأنقسمت فيه الكلمة وتدلّت إليه القدمان ولهذا التديلي أنقسمت الكلمة فله الخلق والأمر وكان أنقسامها إلى حكم وخبر ثم أدار الفلك الأطلس بتوجه خاص لحكمه أخفاها عمن شاء وأظهرها وقسمه على اثني عشر مقدار فعمت المقادير وجعلها بروجاً لأرواح ملكية على طبائع مختلفة سمى كل برج باسم ذلك الملك الذي جعل ذلك المقدار برجاله يسكنه كالأبراج الدائرة بسور البلد وكمراتب الولاية في الملك وهي البروج المعلومة عند أهل التعاليم ولكل برج ثلاث وجوه فإن العقل الأول له ثلاث وجوه وأن كان واحداً وما من حقيقة تكون في الأول ألا ولا بد أن يتضمنها الثاني ويزيد بحكم لا يكون للأول إذا كان المتقدم غير الله وأما الله فهو مع كل شيء فلا يتقدمه شيء ولا يتأخر عنه شيء وليس هذا الحكم لغير الله

ولهذا له إلى موجود وجه خاص لأنه سبب كل موجود وكل موجود واحد لا يصح أن يكون اثنين وهو واحد فما صدر عنه ألا واحد فإنه في أحدية كل واحد وأن وجدت الكثرة فبالنظر إلى أحدية الزمان الذي هو الظرف فإن وجود الحق في هذه الكثرة في أحدية كل واحد فما ظهر منه ألا واحد فهذا معنى لا يصدر عن الواحد ألا واحد ولو صدر عنه جميع العالم لم يصدر عنه ألا واحد فهو مع كل واحد من حيث أحديته وهذا لا يدركه ألا أهل الله وتقبله الحكماء على غير هذا الوجه وهو مما أخطأت فيه وجعل الله لكل وال ساكن في هذا البرج أحكاماً معلومة عن دورات محصورة ليس هذا الفصل موضع حصرها ولا تعيينها ثم فتح الله صورة الفلك الموكب وبعده الأرض والماء والهواء والنار عن حركة فلك البروج وشعاعات كواكب الفلك الموكب ثم علا الدخان من نار الأركان لما كانت ناراً مركبة فأظهر في ذلك الدخان صور

السموات أفلاكاً مستديرة وجعل في كل فلك كوكباً كما سيأتي ذكر ذلك كله أن شاء الله تعالى وعن هذا الاسم الألهي أوجد في النفس الأنساني الغين المعجمة ومترلة الهقعة الفصل السادس عشر في الاسم الألهي الحكيم وتوجهه على إيجاد الشكل وحرف الخاء المعجمة ومترلة النحية من المنازل وتسمى الهنعة الشكل القيد وبه سمي ما تقيد به الدابة في رجلها شكلاً والمتشكل هو المقيد بالشكل الذي ظهر به يقول الله كل يعمل على شاكلته أي ما يعمل ألا ما يشاكله وإلى هذا يرجع معناه يقول ذلك الذي ظهر منه يدل على أنه في نفسه عليه والعالم كله عمل الله فعمله على شاكلته فما في العالم شيء لا يكون في الله والعالم محصور في عشر لكمال صورته أذ كان موجوداً على صورة موجد فجوهر العالم لذات الموجد وعرض العالم لصفاته وزمانه لأزله ومكانه لأستوائه وكمه لأسمائه وكيفه لرضاه وغضبه ووضع لكالامه وأضافته لربوبيته وأن يفعل لإيجاده وأن يفعل لأجابته من سأله فعمل العالم على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً وأنه على صراط مستقيم فالعالم على صراط مستقيم أعوجاج القوس استقامته فلا تحجب ألا ترى الخلاء حكم على الجسم بالاستدارة فأظهره فلكاً مستديراً فلك شاكلته فحكمت عليه شاكلة الموطن جبريل ظهر في صورة دحية فجعل فقيل فيه أنسان وهو ملك وعلم من علمه ملكاً والصورة أنسان فلم يؤثر علم الملكية منه في صورة أنسانيته ولم يؤثر الجهل بما فيها فالأشكال مقيدة أبداً هذا ما أعطاه الاسم الحكيم مرتب الأمور مراتبها ومترل الأشياء مقاديرها وظهر من النفس الأنساني في المخارج حرف الخاء المعجمة ومن المنازل النحية وما من شيء ظهر في تفاصيل العالم ألا وفي الحضرة الألهية صورة تشاكل ما ظهر أي يتقيد بما ولولا هي ما ظهر ألا ترى الفلك الأطلس كيف ظهر من الحيرة في الحق لأن المقادير فيه لا تتعين للتماثل في الأجزاء كالاسماء والصفات للحق لا تتعدد فالحيرة ما ظهرت ألا في الفلك الأطلس حيث قيل أن فيه بروجاً ولا تتعين فوضع على شكل الحيرة ووضع الفلك الموكب بالمنازل على شكل الدلالات على ما وقعت فيه الحيرة فأستدل بالمنازل على ما في الأطلس من البروج فهو على شكل الدلالة وجعل تنوع الأحكام بتزول السيارة في المنازل والبروج بمترلة الصور الألهية التي يظهر فيها الحق فيما للأطلس فيها من الحكم تجهل ويقال ليس صورة بالدلالة العقلية وبما للمنازل فيها من الدلالات تعلم ويقال هذا هو الحق فإنظر حكم الأشكال ما فعل ومنه الأشكال في المسائل فإنه يعطي الحيرة في المعلوم وشكل الشيء شبهه والشكل يألف شكله الشكل يألف شكله والضد يجهل ضده والدنيا للامتزاج والآخرة للتخليص فهي على شكل القبضتين

الفصل السابع عشر في الاسم المحيط وتوجهه على إيجاد العرش والعرش المجددة والمعظمة والمكرمة وحرف القاف ومن المنازل الذراع أعلم أن العرش أحاط بالعالم لأستدارته بما أحاط به من العالم وكل ما أحاط به فيه الأستدارة ظاهرة حتى في المولدات وأنظر في تشبيه النبي صلى الله عليه وسلم في الكرسي أنه في جوف العرش كحلقة في فلاة من الأرض فشبهه بشكل مستدير وهو الحلقة

والأرض وكذلك شبه السموات في الكرسي كحلقة والأركان الكرية في جوف الفلك الأدنى كذلك ثم ما تولد عنها لا يكون أبداً في صورته ألا مستديراً أو مائلاً إلى الاستدارة معدناً كان أو نباتاً أو حيواناً وذلك لأن الحركة دورية فلا تعطي ألا ما يشاكلها فالعرش أعظم الأجسام من حيث الأحاطة فهو العرش العظيم جرمًا وقدرًا وبحركته أعطي ما في قوته لمن هو تحت أحاطته وقبضته فهو العرش الكريم لذلك وبزاهته أن يحيط به غيره من الأجسام كان له الشرف فهو العرش المجيد ثم أنه ما أستوى عليه الاسم الرحمن ألا من أجل النفس الرحمان وذلك أن المحاط به في ضيق من علمه بأنه محاط به من حيث صورته فأعطاه النفس الرحمان روحاً من أمره فكان مجموع كل موجود في العالم صورته وروحه المدبر له وجعل روحه لا داخلًا في الصورة ولا خارجاً عنها لأنه غير متحيز فإنتهى المشروط والشرط فإن النفس الذي صدرت عنه الأرواح لا داخل في العالم ولا خارج عنه فإذا نظر الموجود في كونه محاطاً به ضاق صدره من حيث صورته وإذا نظر في نفسه من حيث روحاً نيته نفس الله عنه ذلك الضيق بروحه لما علم أنه لا توصف ذاته بأنه محاط به أحاطة العرش بالصور فزال عنه وأورثه ذلك الأبتهاج والسرور والفرح بذاته من حيث روحه فلهذا كان الأستواء بالاسم الرحمن وأحاطة هذا العرش من الأحاطة الألهية بالعلم في قوله "أحاط بكل شيء علماً" فهو من ورائهم محيط وليس وراء الله مرمى لرام ووراء العالم الله فهو المنتهى وماله أنتهاء لا أله ألا هو العزيز الحكيم فالكلمة في العرش من النفس الرحمان واحدة وهو الأمر الألهي لإيجاد الكائنات فالنفس سار إلى منتهى الخلاء فيه حيى كل شيء فإن العرش على الماء فقبل الحياة بذاته فخلق الله تعالى منه كل شيء حي أفلا يؤمنون بما يرونه من حياة الأرض بالمطر وحياة الأشجار بالسقي حتى الهواء أن لم يكن فيه مائية وألا أحرقت وأعلم أن هذا العرش قد جعل الله له قوائم نورانية لا أدري كم هي لكنني أشهدتها ونورها يشبه نور البرق ومع هذا فرأيت له ظلاً فيه من الراحة ما لا يقدر قدرها وذلك الظل ظل مقعر هذا العرش يحجب نور المستوى الذي هو الرحمن ورأيت الكثر الذي تحت العرش الذي خرجت منه لفظة لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فإذا أكثر آدم صلوات الله عليه ورأيت تحته كنوزاً كثيرة أعرفها ورأيت طيوراً حسنة تطير في زواياها فرأيت فيها طائراً من أحسن الطيور فسلم على فألقي لي فيه أن آخذه صحبتي إلى بلاد الشرق وكنت بمدينة مراکش حين كشف لي عن هذا كله فقلت ومن هو قيل لي محمد الحصار بمدينة فاس سألت الله الراحلة إلى بلاد الشرق فخذ معك فقلت السمع والطاعة فقلت له وهو عين ذلك الطائر تكون صحبتي أن شاء الله فلما جئت إلى مدينة فاس سألت عنه فجاءني فقلت له هل سألت الله في حاجة فقال نعم سألته أن يحملني إلى بلاد الشرق فقبل لي أن فلاناً يحملك وأنا أنتظر من ذلك الزمان فأخذته صحبتي سنة سبع وتسعين وخمسمائة وأوصلته إلى الديار المصرية ومات بها رحمه الله فإن قلت والملائكة الحافون من حول العرش ما بقي لهم خلاء يتصرفون فيه والعرش قد عمر الخلاء قلنا لا فرق بين كونهم حافين من حول العرش وبين الأستواء على العرش فإنه من لا يقبل التحيز لا يقبل الاتصال والانفصال ثم أن الملائكة الحافين من حول العرش فما هو هذا الجسم الذي عمر الخلاء وأما هو ذلك العرش الذي يأتي الله به للفصل والقضاء يوم القيامة وهذا العرش الذي أستوى عليه هو عرش الاسم الرحمن أما سمعته يقول وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين عند الفراغ من القضاء فذلك يوم القيامة تحمله الثمانية الأملاك وذلك بأرض الحشر ونسبة العرش إلى تلك الأرض نسبة الجنة إلى عرض الحائط في قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في صلاة الكسوف وهذا من مسائل ذي النون

المصري في أيراد الواسع على الضيق من غير أن يوسع الضيق أو يضيق الواسع ومن عرف المواطن هان عليه سماع الفصل الثامن عشر في الاسم ألهي الشكور وتوجهه على إيجاد الكرسي والقدمين ومن الحروف حرف الكاف ومن المنازل النثرة قال تعالى "وسع

كرسيه السموات والأرض" قال بعض أهل المعاني يريد العلم ونقلوه لغة ألا أنه في هذه الآية ليس ألا جسم محسوس هو في العرش كحلقة ملقاة في فلاة ألا أنه كالعرش لا حركة فيه ومن هذا الكرسي تنقسم الكلمة الألهية إلى حكم وخبر وهو للقدمين الواردين في الخبر كالعرش لأستواء الرحمن وله ملائكة قائمون به لا يعرفون ألا الرب تعالى فإن ظرفية العماء للرب والعرش للرحمن والكرسي لضمير الكناية عن الله تعالى وهذه الثلاثة الاسماء هي أمهات الاسماء وإذا تتبعنا القرآن العزيز وجدت هذه الاسماء الثلاثة الله والرب والرحمن دائرة فيه وله ما بين سماء وسماء كرسي سوى هذا الكرسي الأعظم وسمى منسوباً أي لا يعقل ألا هكذا بخلاف غيره من الموجودات ومن هنا كان للرب الذي لا يعقل ألا مضافاً وغيره الذي هو الاسم الله والرحمن قد ورد غير مضاف ألا الرب فلا يرد حيث ورد ألا مضافاً فإنه يطلب المربوب بذاته ربنا ربكم ورب آبائكم رب السموات رب المشرق فأثرت هذه الحقيقة في المرتبة المكانية الذي هو الكرسي فورد منسوباً والنسبة أضافة وجاء في الدرجة الثالثة وهي أول الأفراد ولما كان الرب الثابت فكذلك الكرسي حكم عليه الاسم الألهي بالثبوت فالثبوت أيضاً الموصوف به العرش يؤذن بأن الاسم الرحمن ثابت الحكم في كل ما يحوي عليه وهو قوله "ورحمتي وسعت كل شيء" فمآل الكل إلى الرحمة وأن تخلل الأمر آلام وعذاب وعلل وأمراض مع حكم الاسم الرحمن فإنما هي أعراض عرضت في الأكوان دنيا وآخرة من أجل أن الرحمن له الاسماء الحسنى ومن الاسماء الضار والمذل والمميت فلماذا في العالم ما لا تقتضيه الرحمة ولكن لعوارض وفي طي تلك العوارض رحمة ولو لم يكن ألا تضاعف النعيم والراحة عقيب زوال حكمه ولهذا قيل أحلى من الأمن عند الخائف الوجع فما تعرف لذات النعم ألا بأضدادها فوضعت لأقتناء العلوم التي فيها شرف الإنسان فكانت كالطريق الموصلة أو الدليل الموصل إلى مدلوله ذوقاً وحصول العلم بالأذواق أتم منه بطريق الخبر ألا ترى الحق وصف نفسه على ألسنة رسله بالغضب والرضا ومن هاتين الحقيقتين ظهر في العالم أكتساب العلوم من الأذواق الظاهرة كالطعوم وأشباهاها والباطنة كالآلام من الهموم والغموم مع سلامة الأعضاء الظاهرة من كل سبب يؤدي إلى ألم فإنظر ما أعجب هذا فثبت العرش لثبوت الرحمة السارية التي وسعت كل شيء فلها الأحاطة وهي عين النفس الرحماني فبه ينفس الله كل كرب في خلقه فإن الضيق الذي يطراً أو يجده العالم كونه أصلهم في القبضة وكل مقبوض عليه محصور وكل محصور محجور عليه والأنسان لما وجد على الصورة لم يحتل التحجير فنفس الله عنه بهذا النفس الرحماني ما يجده من ذلك كما كان تنفسه من حكم الحب الذي وصف به نفسه في قوله أحببت أن أعرف فأظهره في النفس الرحماني فكان ذلك التنفس الألهي عين وجود العالم فعرفه العالم كما أراد فعين العالم عين الرحمة لا غيرها فأشحذ فؤادك فما يكون العالم رحمة للحق ويكون الحق يسرمد عليه ألا لم الله أكرم وأجل من ذلك فإنظر ما أعجب ما أعطاه مقام الكرسي من أنقسام الكلمة الألهية فظهر الحق والخلق ولم يكن يتميز لولا الكرسي الذي هو موضع القدمين الواردين في الخبر وعن هذا الاسم وجد في النفس الأنساني حرف الكاف وفي فلك المنازل منزلة النثرة لما وجد فلكها

الفصل التاسع عشر في الاسم الغني وتوجهه على إيجاد الفلك الأطلس وهو فلك البروج وأستعانت به بالاسم الدهر وإيجاد حرف الجيم من الحروف والطرف من المنازل أعلم أن هذا الاسم جعل هذا الفلك أطلس لا كوكب فيه متمائل الأجزاء مستدير الشكل لا تعرف لحركته بداية ولا نهاية وما له طرف بوجوده حدثت الأيام السبعة والشهور والسنون ولكن ما تعينت هذه الأزمنة فيه ألا بعد ما خلق الله في جوفه من العلامات التي ميزت هذه الأزمنة وما عين منها هذا الفلك سوى يوم واحد وهي دورة واحدة عينها مكان القدم من الكرسي فتعينت من أعلى فذلك القدر يسمى يوماً وما عرف هذا اليوم ألا الله تعالى لتمائل أجزاء هذا الفلك وأول ابتداء

حركته وكان ابتداء حركته وأول درجة من برج الجوزاء يقابل هذا القدم وهو من البروج الهوائية فأول يوم في العالم ظهر كان بأول درجة من الجوزاء ويسمى ذلك اليوم الأحد فلما أنتهى ذلك الجزء المعين عند الله من هذا الفلك إلى مقارنة ذلك القدم من الكرسي أنقضت دورة واحدة هي المجموع قابلت أجزاء هذا الفلك كلها من الكرسي موضع القدم منه فعمت تلك الحركة كل درجة ودقيقة وثانية وما فوق ذلك في هذا الفلك فظهرت الأحياء وثبت وجود الجوهر الفرد المتحيز الذي لا يقبل القسمة من حركة هذا الفلك ثم ابتداء عند هذه النهاية بآنتقال آخر في الوسط أيضاً إلى أن بلغ الغاية مثل الحركة الأولى بجميع ما فيه من الأجزاء الأفراد التي تألف منها لأنه ذو كميات وتسمى هذه الحركة الثانية يوم الإثنين إلى أن كمل سبع حركات دورية كل حركة عينتها صفة ألهية والصفات سبع لا تزيد على ذلك فلم يتمكن أن يزيد الدهر على سبعة أيام يوماً فإنه ما ثم ما يوجب فساد الحكم إلى الصفة الأولى فأدارته ومشى عليه إسم الأحد وكان الأولى بالنظر إلى الدورات أن تكون ثامنة لكن لما كان وجودها عن الصفة الأولى عينها لم يتغير عليها إسمها وهكذا الدورة التي تليها إلى سبع دورات ثم يتبدى الحكم كما كان أول مرة عن تلك الصفة ويتبعها ذلك الاسم أبد الأبدين دنيا وآخرة بحكم العزيز العليم فيوم الأحد عن صفة السمع فلماذا ما في العالم إلا من يسمع الأمر الإلهي في حال عدمه بقوله كن ويوم الإثنين وجدت حركته عن صفة الحياة وبه كانت الحياة في العالم فما في العالم جزء إلا هو حي ويوم الثلاثاء وجدت حركته عن صفة البصر فما في العالم جزء إلا وهو يشاهد يشاهد خالقه من حيث عينه لا من حيث عين خالقه ويوم الأربعاء وجدت حركته عن صفة الإرادة فما في العالم جزء إلا وهو يقصد تعظيم موجدته ويوم الخميس وجدت حركته عن صفة القدرة فما في الوجود جزء إلا هو متمكن من الشئ على موجوده ويوم الجمعة وجدت حركته عن صفة العلم فما في العالم من جزء إلا وهو يعلم موجدته من حيث ذاته لا من حيث ذات موجدته وقيل إنما وجد عن صفة العلم يوم الأربعاء وهو صحيح فإنه أراد علم العين وهو علم المشاهدة والذي أردناه نحن إنما هو العلم الإلهي مطلقاً لا العلم المستفاد وهذا القول الذي حكيناه أنه قيل ما قاله لي أحد من البشر بل قاله لي روح من الأرواح فأجبت بهذا الجواب فتوقف فالتقي عليه أن الأمر كما ذكرناه ويوم السبت وجدت حركته عن صفة الكلام فما في الوجود جزء إلا وهو يسبح بحمد خالقه ولكن لا نفقه تسميته أن الله كان حليماً غفوراً فما في العالم جزء إلا وهو ناطق بتسبيح خالقه عالم بما يسبح به مما ينبغي لجلاله قادر على ذلك قاصد له على التعيين لا لسبب آخر فمن وجد عن سبب مشاهدة عظيمة موحدة حي القلب سميع لأمره فتعينت الأيام أن تكون سبعة لهذه الصفات وأحكامها فظهر العالم حياً سميعاً بصيراً عالماً مريداً قادراً متكلماً فعلمه على شاكلته كما قال تعالى "قل كل يعمل على شاكلته" والعالم عمله فظهر بصفات الحق فإن قلت فيه أنه حق صدقت فإن الله قال ولكن الله رمى وإن قلت فيه أنه خلق صدقت فإنه قال إذ رميت فعري وكسى وأثبت ونفى فهو لا هو وهو المجهول المعلوم والله الاسماء الحسنى وللعالم الظهور بما في التخلق فلا يزداد في الأيام السبعة ولا ينقص منها وليس يعرف هذه الأيام كما بينها إلا العالم الذي فوق الفلك الأطلس لأنهم شاهدوا التوجيهات الإلهيات من هناك على إيجاد هذه الأدوار وميزوا بين التوجيهات فإنحصرت لهم في سبعة ثم عادوا الحكم فعملوا النهاية في ذلك وأما من تحت هذا الفلك فما

علموا ذلك إلا الجواري السبعة ولا علموا تعيين اليوم إلا بفلك الشمس حيث قسمته الشمس إلى ليل ونهار فعين الليل والنهار واليوم ثم أن الله تعالى جعل في هذا الفلك الأكس حكم التقسيم الذي ظهر في الكرسي لما انقسمت الكلمة فيه بتدلي القدمين إليه وهما خير وحكم والحكم خمسة أقسام وجوب وحظروا باحة وندب وكرهة والخبر قسم واحد وهو ما لم يدخل تحت حكم واحد

من هذه الأحكام فإذا ضربت اثنين في ستة كان المجموع اثني عشر ستة إلهية وستة كونية لأنها على الصورة فإنقسم هذا الفلك الأطلس على اثني عشر قسماً عينها ما ذكرناه من انقسام الكلمة في الكرسي وأعطى لكل قسم حكماً في العالم متناهيًا إلى غاية ثم تدور كما دارت الأيام سواء إلى غير نهاية فاعطى قسماً منها اثني عشر ألف سنة وهو قسم الحمل كل سنة ثلثمائة وستون دورة مضروبة في اثني عشر ألف فلما اجتمع من ذلك فهو حكم هذا القسم في العالم بتقدير العزيز العليم الذي أوحى الله فيه من الأمر الإلهي الكائن في العالم ثم تمشى على كل قسم باسقاط ألف حتى تنتهي إلى آخر قسم وهو الوت وهو الذي يلي الحمل والعمل في كل قسم بالحساب كالعمل الذي ذكرناه في الحمل فلما اجتمع من ذلك فهو الغاية ثم يعود الدور كما بدا كما بدأكم تعودون فالمتحرك ثابت العين والمتحدد إنما هي الحركة فالحركة لا تعود عينها أبداً لكن مثلها والعين لا تنعدم أبداً فإن الله قد حكم بأبقائها فإنه أحب أن يعرف فلا بد من إبقاء أعين العارفين وهم أجزاء العالم وهذا الفلك هو سقف الجنة وعن حركته يتكون في الجنة ما يتكون وهو لا ينخرم نظامه فالجنة لا تفنى لذاها أبداً ولا يتخلل نعيمها ألم ولا تنغيص وإن كانت طبائع أقسام هذا الفلك مختلفة فما اختلفت إلا الكون الطبيعية فوهمته عليه بما تعطيه من حرارة وبرودة ويوسة ورطوبة إلا أنه لما كان مركباً ولم يكن بسيطاً لم يظهر فيه حكم الكبيعة إلا بالتركيب فتركيب النار من هذه الأقسام من حرارة ويوسة وتركيب التراب منها من برودة ويوسة وتركيب الهوائي منها من حرارة ورطوبة وتركيب مائي منها من برودة ورطوبة فظهرت على أربع مراتب لأن الطبيعة لا تقبل منها إلا أربعة تركيبات لكونها متضادة وغير متضادة على السواء فلذلك لم تقبل إلا أربع تركيبات كما هي في عينها على أربع لا غير وإن كانت الطبيعة في الحقيقة اثنين لأنها عن النفس والنفس ذات قوتين علمية وعملية فالطبيعة ذات حقيقتين فاعليتين من غير علم فهي تفعل بعلم النفس لا بعلمها إذ لا علم لها ولها العمل فهي فاعلة بالطبع غير موصوفة بالعلم فهي من حيث الحرارة والبرودة فاعلة ثم انفعلت اليوسة عن الحرارة والرطوبة عن البرودة فكما كانت الحرارة تضاد البرودة كان منفعل الحرارة يضاد منفعل البرودة فلهذا ما تركب من المجموع سوى أربع فظهر حكمها في أقسام هذا الفلك بتقدير العزيز العليم ثم جعلها على التثليث كل ثلث أربع فإذا ضربت ثلاثة في أربعة كان المجموع اثني عشر فلكل برج ثلاثة أوجه مضرومة في أربعة أبراج كان المجموع اثني عشر وجهاً والأربعة الأبراج قد عمت تركيب الطبائع لأنها منحصرة في ناري وتراي وهوائي ومائي فإذا ضربت ثلاث مراتب في اثني عشر وجهاً كان المجموع ستة وثلاثين وجهاً وهو عشر الدرج أي جزء من عشرة والعشرة آخر نهاية الأحقاب والحقبة السنة فأرجو أن يكون المال إلى الرحمة الله في أي دار شاء فإن المراد أن تعم الرحمة الجميع حيث كانوا فيحيي الجميع بعد ما كان منه من لا يموت ولا يحيا وذلك حال البرزخ والعم أن هذا الفلك يقطع بحرته في الكرسي كما يقطعه من دونه من الأفلاك ولما كان الكرسي موضع القدمين لم يعط في الآخرة إلا دارين ناراً وجنة فإنه أعطى بالقومين فلكين فلك البروج وفلك المنازل الذي هو أرض الجنة وهما باقيان وما دون فلك المنازل يخرب نظامه وتبدل صورته ويزول ضوء كواكبه كما قال يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وقال وإذا النجوم طمست فما ذكر من السموات إلا المعرفة بالسموات وهي السبع السموات خاصة وأما مقعر فلك المنازل فهو سقف النار ومن فعل هاتين القدمين في هذا الفلك ظهر في العالم من كل زوجين اثنين بتقدير العزيز لوجود حكم الفاعلين من الطبيعة والقوتين من النفس والوجهين من العقل والحرفين من الكلمة الإلهية كن من الصفتين الإلهية في ليس كمثله شيء وهي الصفة

الواحدة وهو السميع البصير وهي الصفة الأخرى فمن نزه فمن ليس كمثله شيء ومن شبه فمن وهو السميع البصير فغيب وشهادة

غيب تزيه وشهادة تشبيه فافهم أن كنت تفهم واعلم ما الحقيقة التي حكمت على الثنوية حتى أشركوا وهم المانية مع استيفائهم النظر وبذل الإستطاعة فيه فلم يقدروا على علم وختم على سمعه فلم يسمع وأهكم إله واحد وختم على قلبه فلم يعلم أنه إله واحد لأنه لم يشاهد تقلب قلبه وجعل على بصره غشاوة فلم يدرك فردية الكلمة بالواو التي بين الكاف والنون فمنعته الغشاوة من ادراكها فلم يشاهد إلا اثنين الكاف والنون لفظاً وخطاً والكاف كافين كاف كن هي وهي كاف الإثبات وكاف لم يكن وهي كاف النفي وفي شمس قال بالتعطيل والشمس طالعة ولا بد في لم يكن نصف القرص منها ظاهر والنصف فيها مستتر والغشاوة منعت هذا الرائي أن يدرك ظلوعها فقال بالتعطيل وهو النفي المطلق فما من ناظر إلا وله عذروا الله أجل من أن يكلف نفساً ما ليس في وسعها

فكلهم في رحمة الله خالد

موحده أو ذو الشريك وجاحد

ومن هذا الاسم وجد حرف الجيم والطرف من المنازل وسيأتي الكلام على كل واحد من هذه الحروف والمنازل في بابها الفصل العشرون في الاسم المقدر وتوجهه على إيجاد فلك المنازل والجنان وتقدير صور الكواكب في مقر هذا الفلك وكونه أرض الجنة وسقف جهنم وله حرف الشين المعجمة من الحروف ومترلة جبهة الأسد قال تعالى "والقمر قدرناه منازل ذلك تقدير العزيز العليم" فالمنازل مقادير التقاسيم التي في فلك البروج عينها الحق تعالى لنا إذ لم يميزه البصر بهذه المنازل وجعلها ثمان وعشرين مترلة من أجل حروف النفس الرحماني وإنما قلنا ذلك لأن الناس يتحيلون أن الحروف الثمانية والعشرون من المنازل حكم هذا العدد لها وعندنا بالعكس بل عن هذه الحروف كان حكم عدد المنازل وجعلت ثمان وعشرين مقسمة على اثني عشر برجاً ليكون لكل برج في العدد الصحيح قدم وفي العدد المكسور قدم إذ لو كان لبروج من هذه البروج عدد صحيح دون كر أو مكسور دون صحيح لم يعم حكم ذلك البرج في العالم بحكم الزيادة والنقص والكمال وعدم الكمال ولا بد من الزيادة والنقص لأن الاعتدال لا سبيل إليه لأن العالم مبناه على التكوين والتكوين باعتدال لا يصح فلا بد من عدد مكسور وصحيح في كل برج فكان لكل برج مترلتان وثلث فثم برج يكون له مترلتان صحيحتان وثلث مترلة كسر وثم برج يكون له مترلة صحيحة في الوسط ويكون في آخره كسر وفي أوله كسر فيلحق من الكسرين مترلة صحيحة مختلفة المزاج وثلث مترلة وإنما قلنا مختلفة المزاج فإن كل مترلة على مزاج خاص فإذا جمع جزء مترلة إلى جزأي مترلة أخرى ليكمل بذلك عين مترلة لأن المترلة مثلثة كالبرج له ثلاثة وجوه ومن وجوه منازل سبعة وجوه فكل برج ذو سبعة أوجه وله من نفسه ثلاثة أوجه فكان المجموع عشر أوجه فالمترلة الصحيحة ذات مزاج واحد والمترلة الكائنة من مترلتين بمترلة المولد من اثنين يحدث له مزاج آخر ليس هو في كل واحد من الأبوين وفيه سر عجيب وهو أحدية المجموع فإن لها من الأثر ما ليس لأحدية الواحد ألا ترى أن العالم ما وجد إلا بأحدية المجموع وإن الغني لله ما ثبت إلا بأحدية الواحد فهذا الحكم يخالف هذا الحكم بلا شك فالثريا لها مزاج خاص وقد أخذ الحمل منها ثلثها وجاء الثور يحتاج إلى مترلتين وثلث فأخذ مترلة الدبران صحيحة بمزاج واحد أحدى وبقي له مترلة وثلث لم يجد مترلة صحيحة ما يأخذ فأخذ ثلثي الثريا وأضاف إلى ذلك ثلثي الحقعة فكمملت له مترلة واحدة بأحدية المجموع فتعطيه هذه المترلة عين حكم الثريا وعين حكم الحقعة ثم يأخذ الثلث الثاني من الحقعة فلا يعمل من الحقعة إلا بالثلث الوسط وأما الثلث الأول المضاف إلى ثلثي الثريا بكمال المترلة فإنه يحدث لهذا الثلث ويحدث لثلث الثريا بكمال وصورة مترلة ما هي عين واحدة منهما حكم ليس هو لثلثي أحدهما ولا لثلث الآخر فهذا هو الشبب الذي يكون

لأجله للبروج ثلاثة أوجه فمنه برج خالص وبرج ممتزج وهل كل برج يكون من ثلثين وثلثين وهي بروج معلومة يعينها لك تقسيم المنازل عليها وقد تكون المتزلة المركبة قامت من منزلة سعيدة ونحسة فتعطي بالمجموع سعداء ولا يظهر لنحس الأخرى أثر وقد تعطي نحساً ولا يظهر لسعد الأخرى أثر بخلاف المتزلة الصحيحة فإنها تجري على ما خلقت له فإن الله أعطها خلقها كما أعطى للمركبة خلقها فكل علامة ودليل على برج لا بد من ذلك في كل مقدمتين من أجل الإنتاج كل ا ب وكل ب ج فتكررت الباء فقام الدليل من ألف باجيم فالوجه الجامع الباء لأنه تكرر في المقدمتين فإنتج كل ألف جيم وهو كان المطلوب الذي ادعاه صاحب الدعوى فإنه ادعى أن كل ألف جيم فنوزع فساق الدليل بما اعترف به المنازع فإنه سلم أن كل ا ب وسلم أن كل ب ج فثبت عنده صحة قول المدعي أن كل ا ج فمن هنا ظهرت البراهين في عالم الإنسان وعن هذه التقاسيم التي أعطت المنازل في البروج وبعد أن علمت هذا فاعلم أن هذا الفلك الأطلس لما قام له الكرسي مقام العرش وفوق الأطلس الكرسي والعرش أعطت هذه الثلاثة وجود وجود فلك المنازل كما أعطت المقدمات المركبة من ثلاث النتيجة وكما حملت النتيجة قوى الثلاث اللاتي في المقدمتين حمل فلك الكواكب قوة الأطلس والكرسي والعرش هو الوجه الجامع بين المقدمتين لأنه الوسط بين العرش والأطلس فله وجه إلى كل واحد منهما فمن قوة العرش اتحدت أو توحدت فيه الكلمة الإلهية فكان أهل الجنة وهم أهل هذا الفلك المكوكب يقولون للشئ كن فيكون ومن قوة الكرسي كان لكل

إنسان فيه زوجتان لأنه موضع القدمين ومن قوة الفلك الأطلس غايت إنسانية في ربه فتكونت عنه الأشياء ولا تتكون إلا عن الله وغابت الربوبية في إنسانيته فالتذ بالأشياء وتنعم وأكل وشرب ونكح فهو خلق حق فجعل كما أن الفلك الأطلس مجهول فلهذا قلنا أن هذا الفلك قد حصل قوة ما فوقه لأنه مواد عنه وهطذا كل كاتحته أبدا المولد يجمع حقائق ما فوقه حتى ينتهي إلى الإنسان وهو آخر مولد فتجمع فيه قوى جميع العالم والاسماء الإلهية بكما لها فلا موجود أكمل من الإنسان الكامل ومن لم يكمل في هذه الدنيا من الأناسي فهو حيوان ناطق جزء من الصورة لا غير لا يلحق بدرجة الإنسان بل نسبته إلى الإنسان نسبة جسد الميت إلى الإنسان فهو إنسان بالشكل لا بالحقيقة لأن جسد الميت فاقد في نظر العين جميع القوى وكذلك هذا الذي لم يكمل وكماله بالخلافة فلا يكون خليفة إلا من له الاسماء الإلهية بطريق الإستحقاق أي هو على تركيب خاص يقبلها وهذا من الأسرار الإلهية التي تجوزها العقول وهي محال كونها ولما خلق الله هذا الفلك كون في سطحه الجنة فسطحه مسك وهو أرض الجنة وقسم الجنات على ثلاثة أقسام للثلاثة الوجوه التي لكل برج جنات الاختصاص وهي الأولى وجنات الميراث وهي الثانية وجنات الأعمال وهي الثالثة ثم جعل في كل قسم أربعة أثمار مضروبة في ثلاثة يكون منها أثنا عشر نهرًا ومنها ظهر في حجر موسى اثنتا عشرة عينًا لأثني عشرة سبطاً قد علم كل أناس مشربهم النهر الواحد نهر الماء الذي هو غير آسن يقول غير متغير وهو علم الحياة ونهر اللين وهو علم الأحوال ونهر العسل وهو علم الوحي على ضروبه ولهذا تصعق الملائكة عندما تسمع الوحي كما يسكر شارب الخمر ونهر اللين وهو علم الأسرار واللب الذي تنتجه الرياضات والتقوى فهذه أربعة علوم والإنسان مثلث النشأة نشأة باطنة معنوية روحانية ونشأة ظاهرة حسية طبيعية ونشأة متوسطة جسدية برزخية مثالية ولكل نشأة من هذه الأثمار نصيب كل نصيب نهر لها مستقبل يختلف مطعمه باختلاف النشأة فيدرك منه بالحس ما لا يدركه بالخيال ويدرك منه بالخيال ما لا يدركه بالمعنى وهكذا كل نشأة فلإنسان اثنا عشر نهرًا في جنة الإختصاص أربعة وفي جنة الميراث مثلها وفي جنة الأعمال مثلها لمن له جنة عمل أما من نفسه وأما من أهدى له من الأعمال شيئاً فيحصل للإنسان من العلوم في كل جنة بحسب حقيقة تلك الجنة وبحسب مأخذ النشآت منه فإنها تختلف

مآخذها وتختلف العلوم وتختلف العلوم وتختلف الجنات فتختلف الأذواق ونفس الرحمن فيها دائم لا ينقطع تسوقه ريح تسمى المثيرة وفي الجنة شجرة ما بقي بيت في الجنة إلا دخل فيه منها تسمى المؤنسة يجتمع إلى أصلها أهل الجنة في ظلها يتحدثون بما ينبغي لجلال الله بحسب مقاماتهم في ذلك بطريق الإفادة فيحصل بينهم لكل واحد علم لم يكن يعرفه فتعلمو منالته بعلو ذلك العلم فإذا قاموا من تحت تلك الشجرة وجدوا لهم درجات ومنازل لم يكونوا يعرفونها في جناتهم فيجدون من اللذة بها ما لا يقدر قدره فيتعجبون ولا يعرفون من أين ذلك فتهب عليهم الريح المثيرة من نفس الرحمن تخبرهم أن هذه الدرجات التي حصلتوها هي منازلكم في منازل العلم الذي اكتسبتموه تحت الشجرة المؤنسة في ناديتكم هذه منازلهم فيحصل لكل واحد منزل يعلمه فلا يمر لهم نفس الأولهم فيه نعيم مقيم جديد فهذا ما يحوي عليه سطح هذا الفلك وأمثال هذا ووجدت هذه الجنان بطالع الأسد وهو برج ثابت فلها الدوام وله القهر فلها يقول أهله للشئ كن فلا يآبى إلا أن يكون لأنه ليس في البروج من له السطوة مثله فله القهر على إبراز الأمور من العدم إلى الوجود وأما مقعر هذا الفلك فجعله الله محلا للكواكب الثابتة القاطعة في فلك البروج ولها من الصور فيه ألف صورة واحدة وعشرون صورة وصور السبعة الجواري في السموات السبع فمبلغ الجميع ألف وثمان وعشرون صمورة كلها تقطع في فلك البروج بين سريع وبطي ويوم كل كوكب منها بقدر قطعة فلك البروج فاسرعها قطعاً القمر فإن يومه ثمانية وعشرون يوماً من أيام الدورة الكبرى التي تقدر بها هذه الأيام وهي الأيام المعهودة عند الناس كما أشار إلى ذلك تعالى في قوله "وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون" يعني هذه الأيام المعرفة فاقصر أيام هذه الكواكب يوم القمر ومقداره ثمانية وعشرون يوماً مما تعدون وأطول يوم لكوكب منه مقدار ست وثلاثون ألف سنة مما تعدون ويوم ذي المعارج من الاسماء الإلهية خمسون ألف سنة ويوم الاسم الرب كألف سنة مما تعدون ولكل إسم إلهي يوم فإذا أردت أن تعرف جميع أيام صور الكواكب أعني مقدارها من الأيام المعرفة فاضرب ألفاً واحداً وعشرين في ستة وثلاثين ألف سنة فما خرج فذلك حصر أيام الكواكب من الأيام المعرفة فإن يوم كل واحد منها ست وثلاثون ألف سنة ثم تضيف إلى المجموع أيام الجواري السبعة فما اجتمع فهو ذلك ثم تأخذ هذا المجموع وتضربه فيما اجتمع من سني البروج وسني ما اجتمع من ضرب ثلثمائة وستين في مثلها فما خرج لك من المجموع فهو عدد الكوائن في الدنيا من أول ما خلقها الله إلى انقضائها فاعلم ذلك والمجموع من ضرب ثلثمائة وستين في مثلها مع سني البروج مائتا ألف وسبعة آلاف وستمائة وفي هذا المجموع تضرب ما اجتمع من عدد أيام الكواكب كلها فهذا تقدير الكواكب التي وقتها وقدرها العزيز العليم فيبقى في الآخرة في دار جهنم حكم أيام الكواكب التي في مقعر هذا الفلك والجواري السبعة مع امكدارها وطمسها وانتشارها فتحدث عنها في جهنم حوادث غير حوادث أنارتها وثبوتها وسير أفلاكها بها وهي ألف وثمانية وعشرين فلماً كلها تذهب وتبقى السباحة للكواكب بذاتها مطموسة الأنوار ويبقى في الآخرة في الجنة حكم البروج وحكم مقادير العقل عنها يحدث في الجنان ما يحدث ويثبت وأما كتيب المسك الأبيض الذي في جنة عدن الذي تجتمع فيه الناس للرؤية يوم الزور الأعظم وهو يوم الجمعة فأيامه من أيام أسماء الله ولا علم لي ولا لأحد بها فإن لله أسماء استأثر بها في علم غيبه فلا تعلم أيامها فعدن بين الجنات كالكعبة بيت الله بين بيوت الناس والزور الأعظم فيه كصلاة الجمعة والزور الخاص كالصلوات الخمس في الأيام والزور الأخص كمساجد البيوت لصلاة النوافل فتزور الحق على قدر صلاتك وتراه على قدر حضورك فأدناه الحضور في النية عند التكبير وعند الخروج من الصلاة وأعظمه استصحاب الحضور إلى الخروج من الصلاة وما بينهما في كل صلاة فهنا مناجاة وهناك مشاهدة وهنا حركات وهنا سكون ولهذا الاسم من الحروف الشين المعجمة ومن المنازل الجبهة انتهى الجزء الثاني والعشرون ومائة

الجزء الثالث والعشرون ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الحادي والعشرون في الاسم الرب وتوجهه على إيجاد السماء الأولى والبيت المعمور والسدرة والخليل ويوم السبت وحرف الياء بالنقطتين من أسفل والخرتان وكيوان قال الله تعالى "وقل رب زدني علماً" فما طلب الزيادة من العلم إلا منالرب ولهذا جاء مضافاً لاحتياج العالم إليه أكثر من غيره من الاسماء لأنه إسم لجميع المصالح وهو من الاسماء الثلاثة الأمهات فجاء ربكم ورب آبائكم ورب السموات والأرض ورب المشارق والمشرقيين والمشرق ورب المغرب والمغرب والمغربيين وهو المتخذ وكيلاً وهذا الاسم أعطى السدرة نبقتها وخضرتها ونورها منه ومن الاسم الله وأعطى الاسم الرحمن من نفسه عرفها كما قال في الجنة عرفها لهم يعني بالنفس من العرف وهي الرائحة ومن الاسم الله أصولها وزقومها لأهل جهنم وقد جلل الله هذه السدرة بنور الهوية فلا تصل عين إلى مشاهدتها فتحدتها أو تصفها والنور الذي كساها نور أعمال العبادة ونبقتها على عدد نسمة السعداء لا بل على عدد أعمال السعداء لا بل هي أعيان أعمال السعداء وما في جنة الأعمال قصر ولا طاق ألا وغصن من أغصان هذه السدرة داخل فيه وفي ذلك الغصن من النبق على قدر ما في العمل الذي هذا الغصن صورته من الحركات وما من ورقة في ذلك الغصن ألا وفيها من الحسن بقدر ما حضر هذا العبد مع الله في ذلك العمل وأوراق الغصن بعدد الأنفاس في ذلك العمل وشوك هذه السدرة كله لأهل الشقاء وأصولها فيهم والشجرة واحدة ولكن تعطي أصولها النقيض مما تعطيه فروعها من كل نوع فكل ما وصفنا به الفروع حد النقيض في الأصول وهذا كثير الوقوع في علم النبات كما حكى أن أبا العلا بن زهر وكان من أعلم الناس بالطب ولا سيما بعلم الحشائش وأبا بكر بن الصائغ المعروف بابن باحة وكان دون ابن زهر في معرفة الحشائش ألا أنه كان أفضل منه في العلم الطبيعي وكان يتخيل في زعمه أنه أعلم من ابن زهر في علم الحشائش فركبا يوماً فمرا بحشيشة فقال ابن زهر لغلامه أقطع لنا من هذه الحشيشة وأشار إلى حشيشة معينة فأخذ شيئاً منها وفتلها في يده وقربها من أنفه كأنه يستنشقها ثم قال لأبي بكر أنظر ما أطيب ريح هذه الحشيشة فاستنشقها أبو بكر فرعف من حينه فما ترك شيئاً يمكن في علمه أن يقطع به الرعاف مما هو حاضر ألا وعمله وما نفع حتى كاد يهلك وأبو العلا يتسم ويقول يا أبا بكر عجزت قال نعم فقال أبو العلا لغلامه أستخرج لي أصول تلك الحشيشة فجاء بها فقال له يا أبا بكر أستنشقها فاستنشقها أبو بكر فإنقطع الدم عنه فعلم فضله عليه في علم الحشائش وأسعد الناس بهذه السدرة أهل بيت المقدس كما أن أسعد الناس بالمهدي أهل الكوفة كما أنه أسعد الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الحرم المكي كما أنه أسعد الناس بالحق أهل القرآن وأذ أكل أهل السعادة من هذه الشجرة زال الغل من صدورهم ومكتوب على ورقها سبوح قدوس رب الملائكة والروح وإلى هذه السدرة تنتهي أعمال بني آدم ولهذا سميت سدرة المنتهى وللحق فيها تجل خاص عظيم يقيد الناظر ويحير الخاطر وإلى جانبها منصة وتلك المنصة مقعد جبريل عليه السلام وفيها من الآيات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ألما غشيها من نور الله ما غشى فلا يستطيع أحد أن ينعتها ألما ينظر الناظر إليها فيدركه البهت وأوجد الله في هذه السماء البيت المعمور المسمى بالضرار وهو على سمت الكعبة كما ورد في الخبر لو سقطت منه حصاة لوقعت على الكعبة وهذا البيت في هذه السماء والسماء ساكنة لا حركة فيها ولهذا لا ينتقل البيت من سمت الكعبة لأن الله جعل هذه السموات ثابتة مستقرة هي لنا كالسقف للبيت ولهذا سماها السقف المرفوع

ألا أنه في كل سماء فلك وهو الذي تحدّثه سباحة كوكب ذلك السماء فالكواكب تسبح في أفلاكها لكل كوكب فلك فعدد الأفلاك بعدد الكواكب يقول تعالى "كل في فلك يسبحون" وأجرام السموات أجرام شفافة وهي مسكن الملائكة والأفلاك لولا سباحة الكواكب ما ظهر لها عين في السموات فهي كالطرق في الأرض تحدّث كونها طريقاً بالماشي فيها فهي أرض من حيث عينها طريق من حيث المشي فيها وهذا البيت له بابان يدخل فيه كل يوم سبعون ألف ملك ثم يخرجون على الباب الذي يقابله ولا يعودون إليه أبداً يدخلون فيه من الباب الشرقي لأنه باب ظهور الأنوار ويخرجون من الباب الغربي لأنه باب ستر الأنوار المذهبة فيحصلون في الغيب فلا يدري أحد حيث يستقرون وهؤلاء الملائكة يخلقهم الله في كل يوم من نهر الحياة من القطرات التي تقطر من أنتفاض جبريل لأن الله قد جعل له في كل يوم غمسة

في نهر الحياة وبعد هؤلاء الملائكة في كل يوم تكون خواطر بني آدم فما من شخص مؤمن ولا غيره ألا ويخطر له سبعون ألف خاطر في كل يوم لا يشعر بها ألا أهل الله وهؤلاء الملائكة الذين يدخلون البيت المعمور يجتمعون عند خروجهم منه مع الملائكة الذين خلقهم الله من خواطر القلوب فإذا اجتمعوا بهم كان ذكرهم الاستغفار إلى يوم القيامة فمن كان قلبه معموراً بذكر الله مستصحباً كانت الملائكة المخلوقة من خواطره تمتاز عن الملائكة التي خلقت من خواطر قلب ليس له هذا المقام وسواء كان الخاطر فيما ينبغي أو فيما لا ينبغي فالقلوب كلها من هذا البيت خلقت فلا تزال معمورة دائماً وكل ملك يتكون من الخاطر يكون على صورة ما خطر سواء وخلق الله في هذه السماء كوكباً وأوحى فيها أمرها وأسكنها إبراهيم الخليل وجعل لهذا الكوكب حركة في فلكه على قدر معلوم ومن أعجب المسائل مسألة هذه الحركات فإنها من خفي العلم فإنه يعطي أنه لا يستحيل مؤثر فيه بين مؤثرين لأن مثل هذه الحركة لهذا الكوكب يكون عن حكيمين مختلفين حكم قسري وحكم أرادي أو طبيعي وذلك له مثال ظاهر وهو أنه إذا كان حيوان على جسم قاصداً جهة بحركته من هذا ألا لجسم وتحرك الجسم إلى غير تلك الجهة فتحرك الحيوان إلى جهة حركة هذا الجسم مع حركته إلى النقيض فيجمع بين حركتين متقابلتين معاً في زمان واحد فهو يقطع في ذلك الجسم الذي هو عليه والجسم يقطع به في جسم آخر فيقطع الحيوان فيه بحكم التبعية كنملة على ثوب مطروح في الأرض تمشي فيه مشرقة ويجذب جاذب ذلك الثوب إلى جهة الغرب فتكون متحركة إلى جهة الشرق في الآن الذي تتحرك فيه بتحرك الثوب إلى جهة الغرب فهي حركة قهرية لها غالبية عليها وهاتان حركتان متقابلتان في آن واحد فإنظر هل لأجتماع الضدين وجوه في هذه المسألة أم لا فإن الكواكب تقطع في الفلك في رأي العين من الغرب إلى الشرق والفلك الأكبر المحيط يقطع بها من الشرق إلى الغرب فالكوكب متحرك من الشرق إلى الغرب في الآن الذي هو فيه متحرك من الغرب إلى الشرق ففلكه الذي تحدّثه حركته شرقاً عين فلكه الذي تحدّثه حركته غرباً فهذه مثل مسألة الجبر في عين الاختيار فالعبد مجبور في اختياره ومن هذه المسألة تعرف أفعال العباد لمن هي منسوبة بحكم الخلق هل ينفرد بها أحد القادرين أو هل هي لقادرين لكل قادر فيها نسبة خاصة بما وقع التكليف ومن أجلها كان العقاب والثواب وقد ذكرنا ما لهذا الفلك من الأثر في قلوب العارفين وذكرنا غيرنا وذكرنا ما له من الأثر في عالم الخلق من الكون والفساد وهو عالم الأركان والمولدات كل ذلك من هذا النفس الرحمان لأنه يعطي الحركات والحركة سبب الوجود ألا ترى الأصل لولا توجه الإرادة وهي حركة معنوية والقول وهو حركة معنوية وبها سميت اللفظة لفظاً لهذه الحركة ما ظهر وجود ومن هذا الفلك أعطي الله وجود يوم السبت وهو يوم الأبد فليله في الآخرة لا أنقضاء له ونهاره أيضاً في الحل الثاني لا أنقضاء له وفيه تحدّث الأيام السبعة ومنها السبت وهذا من أعجب الأمور أيضاً أن الأيام التي منها السبت تحدّث في يوم السبت فهو من جملة الأيام وفيه

يظهر الأيام ولهذا مستند في الحقيقة الأهلية وذلك أن الترمذي خرج في غريب الحسان عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال له الحق قل الحمد لله فقال الحمد لله بأذنه فقال له يرحمك ربك يا آدم لهذا خلقتك هذه الزيادة ليست من الترمذي ثم رجعنا إلى حديث الترمذي يا آدم أذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملائمتهم جلوس فقل السلام عليكم قالوا وعليك السلام ورحمة الله ثم رجع إلى ربه فقال أن هذه تحيتك وتحية نبيك بينهم فقال الله له ويده مقبوضتان اختر أيهما شئت قال اخترت يدي ربي وكلتا يمين ربي بيمين مباركة وبسطها وإذا فيها آدم وذريته الحديث فهذا آدم في تلك القبضة في حال كونه خارجاً عنها وهكذا عين هذه المسألة وإذا نظرت وجدت العالم مع الحق بهذه المثابة موضع حيرة هو لا هو ما رميت أذ رميت ولكن الله رمى فحتم بما به بدا فياليت شعري من الوسط فإنه وسط بين نفى وهو قوله وما رميت وبين أثبات وهو قوله ولكن الله رمى وهو قوله ما أنت إذا أنت لكن الله أنت فهذا معنى قولنا في كلامنا في الظاهر والمظاهر وأنه عينه مع اختلاف صور المظاهر فنقول في زيد

أنه واحد مع اختلاف أعضائه فرجله ما هي يده وهي زيد في قولنا زيد وكذلك أعضاؤه كلها وباطنه وظاهره وغيبه وشهادته مختلف الصور وهو عين زيد ما هو غير زيد ثم تضاف كل صورة إليه ويؤكد بالعين والنفس والكل والجمع وفي هذا الفلك عين الموت ومعدن الراحة وسرعة الحركة في ثبات وطرح الزينة والأذى وله حصل هذا الكوكب في برج الأسد وهو نقيضه في الطبع ونظيره في الثبوت ومن هنا يعرف قول من قال أن المثليين ضدان هل أخطأ أو أصاب وإذا نزل الكوكب في البرج هل يمتزج الحكم فيكون للمجموع حكم ما هو لكل واحد منهما على أفراد أو يغلب حكم المتزلة والبرج على الكوكب النازل فيه أو يغلب حكم الكوكب على البرج أو يتصف أحدهما بالأكثر في الحكم والآخر بالأقل مع وجود الحكمين فعندنا لا يحكم واحد في آخر وأن حكم جمعيتهما يظهر في المحكوم فيه ولكل واحد منهما قوة في ذلك المحكوم فيه بذلك الحكم لأنه عنهما صدر ذلك الحكم من حالة تسمى الاجتماع كما يكون ذلك في الأقترانات بين الكواكب وهذا نوع من الأقتران وليس بأقتران ولكنه نزول في منزل الفصل الثاني والعشرون في الاسم العليم وتوجهه على إيجاد السماء الثانية وخانستها ويوم الخميس وموسى عليه السلام وحرف الضاد المعجمة والصرفة من المنازل قال تعالى آمراً لنبيه صلى الله عليه وسلم "وقل رب زدني علماً" الكلام في كون هذه السماء وباقي السموات والأفلاك كما تقدم غير أي أشير إلى ما يختص به كل سماء خاصة من الحكم فأما هذه السماء فأوحى الله فيها أمرها وتفصيل أمر كل سماء يطول وقد ذكرنا من ذلك طرفاً جيداً في التزلات الموصلية فمن أمرها حياة قلوب العلماء بالعلم واللين والرفق وجميع مكارم الأخلاق ولذلك لم ينه أحد من مكان السموات من أرواح الأنبياء عليهم السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فرض الله على أمته صلى الله عليه وسلم خمسين صلاة غير موسى عليه السلام فإنه قال له راجع ربك فإنه كان أعلم منه بهذه الأمور لذوقه مثله في بني إسرائيل وما أبتلى به منهم فتكلم عن ذوق وخبرة فكل شيخ لا يتكلم في العلوم عن ذوق ومجلى ألهي لا عن كتب ونقل فليس بعالم ولا أستاذ فلولا له لكان الفرض علينا في الصلاة خمسين صلاة مع كونه أرسله الله رحمة للعالمين ومن كثر تكليفه قلت رحمته فقيض الله له في مدرجة أسرائه موسى عليه السلام فخفف الله عن هذه الأمة به صلى الله عليه وسلم فهذا ما كان ألا من حكم أمر هذه السماء الذي أوحى الله فيها أمرها ولها من الأيام يوم الخميس فكل سر يكون للعارفين وعلم وتجل فمن حقيقة موسى من هذه السماء وكل أثر يظهر في الأركان والمولدات يوم الخميس فمن كوكب هذه السماء وحركة فلكتها مجملاً من غير تفصيل ولها الضاد المعجمة ومن المنازل الصرفة فأما وجود الحروف المذكورة في كل سماء فلتلك السماء أثر في

وجودها وأما قولنا أن لها من المنازل الصرفة أو كذا لكل سماء فلسنا نريد أن لها أثراً في وجود المترلة كما أردنا بالحرف وأما أريد بذلك أن هذا الكوكب الخاص بهذا الفلك أول ما أوجده الله وتحرك أوجده في المترلة التي نذكرها له بعينها فهي مترلة سعدة حيث ظهر فيها وجوده فهذا معنى قولي له من المنازل كذا ولكل سماء وفلك أثر في معدن من المعادن السبعة يختص به وينظر إلى ذلك المعدن بقوته الفصل الثالث والعشرون في الاسم القاهر توجه هذا الاسم الألهي على إيجاد السماء الثالثة فأظهر عينها وكوكبها وفلكه وجعلها مسكن هارون عليه السلام وبهذا الاسم الألهي أوحى فيها أمرها وكان وجود كوكبها حركة فلكه في مترلة العوا يوم الثلاثاء فمن الأمر الموحى فيها أهراق الدماء والحميات وعن حركة هذا الفلك ظهر حرف اللام من الحروف اللفظية فكل علم وسر من الأسرار الألهية يظهر على العارفين يوم الثلاثاء فهو من هذه السماء من روح هارون وكل أثر في الأركان والمولدات فمن أمر هذا الفلك وحركة كوكبه فإن الله لما أوحى في كل سماء أمرها أوحى بالاسم الألهي الخاص بذلك فذلك الاسم هو الممد لها الفصل الرابع والعشرون في الاسم النور وتوجه هذا الاسم الألهي على إيجاد السماء الرابعة وهي قلب العالم وقلب السموات فأظهر عينها يوم الأحد وأسكن فيها قطب الأرواح الإنسانية وهو ادريس عليه السلام وسمى الله هذه السماء مكاناً علياً لكونها قلباً فإن التي فوقها أعلى منها فأراد علو مكانة المكان فلهذا المكان من المكانة رتبة العلو وأوجدها في مترلة السماك وأظهر كوكبها وفلكه وكون حرف النون عنها وأظهر بحركة كوكبها الليل والنهار فقسم اليوم فتقسم فيه الحكم الألهي في العالم فجعل كل واحد منهما أنثى والآخر ذكر الأنتاج ما يظهر في الأركان من المولدات فكل ما ولد وظهر من الآثار عموماً في الأيام كلها بالنهار فأمه النهار وأبوه الليل وما ظهر من ذلك بالليل فأمه الليل وأبوه النهار فيوجد الليل في النهار إذا كان الليل أنثى وقد بينا ذلك في كتاب الشأن فكل ما ظهر من العلم والآثار في المولدات يوم الأحد فمن هذه السماء وساكنها لا بل في كل يوم وفي كل العالم الذي تحت حيطته ولا يخنس كوكبها

الفصل الخامس والعشرون في الاسم المصور توجه هذا الاسم الألهي على إيجاد السماء الخامسة وفلكها وكوكبها وكان ظهور ذلك في مترلة الغفر وأوحى فيها أظهار صور الأرواح والأجسام والعلوم في العالم العنصري وأختصت بالآثار الكامل بطريق التولية بيوم الجمعة وأسكن فيها يوسف عليه السلام وعنها ظهر حرف الراء الفصل السادس والعشرون في الاسم المحصي قال تعالى "وأحصي كل شيء عدداً" يريد موجوداً وتوجه هذا الاسم الألهي على إيجاد السماء السادسة وكوكبها وفلكها يوم الأربعاء في مترلة الزبانا وأسكن فيها عيسى عليه السلام فكل ما ظهر في يوم الأربعاء في العالم العنصري من الآثار الحسية والمعنوية وما يحصل للعارفين في قلوبهم من ذلك فمن وحي هذه السماء ومنها ظهر حرف الطاء المهمة

الفصل السابع والعشرون في الاسم المبين توجه هذا الاسم على لإيجاد السماء الدنيا وكوكبها وفلكه يوم الاثنين في مترلة الأكليل وعن حركة هذا الفلك حرف الدال المهمة وله كل حكم يظهر في العالم يوم الاثنين روحاً وجسماً وهذا كله بنهار ذلك اليوم لا بليله فإن ليلة كل يوم ما هي الليلة التي يكون ذلك اليوم في صبيحتها ولا الليلة التي تكون بغروب شمس في ذلك اليوم وقد ذكرنا ذلك في كتاب الشأن وأما ليلته التي لذلك اليوم هي في أول ساعة من الليل الذي هو حاكم في أول ساعة من النهار فذلك يوم تلك الليلة وتلك الليلة ليلة ذلك اليوم فهذا أريد أعلم أن هذه السماء الدنيا أوحى الله فيها أمرها وأسكنها آدم وهو الإنسان الفرد أصل هذا النوع وهو قوله تعالى "خلقكم من نفس واحدة" ألا أنه جعله الله أعني الإنسان سريع التغيير في باطنه كثيراً الخواطر يتقلب في باطنه في كل لحظة تقلبات مختلفة لأنه على الصورة الألهية وهو سبحانه كل يوم في شأن فمن المحال ثبوت العالم زمانين على حالة

واحدة بل يتغير عليه الأحوال والأعراض في كل زمان فرد وهو الشئ الذي هو الحق فيها لمن علم ما قال الله ولا يظهر سلطان ذلك ألا في باطن الإنسان فلا يزال يتقلب في كل نفس في صور تسمى الخواطر لو ظهرت إلى الأبصار لرأيت عجباً وأسرع الحركات الفلكية حركة هذا الفلك بكوكبه الذي هو القمر فهو أسرع سير في قطع فلك المنازل من غيره من السيارة وله في كل يوم منزلة فيقطع الفلك في ثمانية وعشرين يوماً فكان ظهور الأثر في الكون سريعاً لسرعة الحركة فناسب آدم في سرعة خواطره فأسكنه هذه السماء وجعل نسمة بنيه عن يمينه ويساره أسودة يرى شخوصها أهل الكشف وعن يمينه عليون وعن يساره السفلى فلا يخفى عنه من أحوال بنيه شيء وأعلم أن هذه الحقيقة التي جعلته يسمى أنساناً مفرداً هي في كل أنسان ولكن كانت في آدم أتم لأنه كان ولا مثل له ثم بعد ذلك أنتشأت منه الأمثال فخرجت على صورته كما أنتشأ هو من العالم ومن الاسماء الألهية فخرج على صورة العالم وصورة الحق فوق الأشتراك بين الأناسي في أشياء وأفرد كل شخص بأمر يمتاز به عن غيره كما هو العالم فيما ينفرد به الإنسان يسمى الإنسان المفرد وكما يشترك به يسمى الإنسان الكبير ولما كان آدم أبا البشر كانت منه رقيقة إلى كل أنسان ونسبة ولما كان هو من العالم ومن الحق بمنزلة بنيه منه كانت فيه رقيقة من كل صورة في العالم تمتد إليه لتحفظ عليه صورته ورقيقة من كل إسم ألهي تمتد إليه لتحفظ عليه مرتبته وخلافته فهو يتنوع في حالاته تنوع الاسماء الألهية ويتقلب في أكوانه تقلب العالم كله وهو صغير الحجم لطيف الجرم سريع الحركة فإذا تحرك حرك جميع العالم وأستدعى بتلك الحركة توجه الاسماء الألهية عليه لترى ما أراد بتلك الحركة فتفضي في ذلك بحسب حقائقها ولم يكن في الأفلاك أصغر من فلك سماء الدنيا فأسكنه الله فيها للمناسبة ولصغر هذا الفلك كان أسرع دورة فناسب سرعة الخواطر التي في الإنسان فأسكنه فيه من حيث أنه أنسان مفرد خاصة لا من حيث اشتراكه ثم أنه جعل الله له من نبيه في كل سماء شخصاً وهو عيسى ويوسف وادريس وهارون ويحيى وموسى وأبراهيم عليهم السلام فهو ناظر إليهم في كل يوم بما هو أب لهم وهم ناظرون إليه من حيث ما هم في منازل معينة لا من حيث هم أبناء له وهذا الإنسان المفرد يقابل بذاته الحضرة الألهية وقد خلقه الله من حيث شكله وأعضاؤه على جهات ستة ظهرت فيه فهو في العالم كالنقطة من المحيط وهو من الحق كالباطن ومن العالم كالظاهر ومن القصد كالأول ومن النشء كالآخر فهو أول بالقصد آخر بالنشء وظاهر بالصورة وباطن بالروح كما أنه خلقه الله من حيث طبيعته وصورة جسمه من أربع فله التربيع من طبيعته أذ كان مجموع الأربعة الأركان وأنشأ جسده ذا أبعاد ثلاثة من طول وعرض وعمق فأشبه الحضرة الألهية ذاتاً وصفات وأفعالاً فهذه ثلاث مراتب مرتبة شكله وهو عين جهاته ومرتبة طبيعته ومرتبة جسمه ثم أن الله جعل له مثلاً وضداً وما ثم سوى هذه الخمسة وأختص بالخمسة لأنه ليس في الأعداد من له الاسم الحفيظ ألا هي وهي تحفظ نفسها وغيرها بذاتها وهو قوله تعالى "ولا يؤده حفظهما" فثنى وهو قولنا تحفظ نفسها وغيرها فأما كونه ضداً فيما هو عاجز جاهل قاصر ميت أعمى أخرس ذو صمم فقير ذليل عدم وبما هو مثل ظهوره بجميع الاسماء الألهية والكونية فهو مثل للعالم ومثل للحضرة فجمع بين المثليتين وليس ذلك لغيره من المخلوقين فهو حي عالم مريد قادر سميع بصير متكلم عزيز غني إلى جميع الاسماء الألهية كلها والاسماء الكونية فله التخلق بالاسماء فله حالات خمس يقابل بها كل ما سواه بحسب ما ينظرون إليه أذ هو الكلمة الجامعة وأعطاه الله من القوة بحيث أنه ينظر في النظرة الواحدة إلى الحضرتين فيتلقى من الحق ويلقي إلى الخلق فمنهم الناظر إليه من حيث شكله فيمده من ذلك المقام بأمور خاصة تختص بالشكل ومنهم الناظر إليه من حيث طبيعته فيمده من ذلك المقام بأمور خاصة تختص بالطبع كما يمدده الحق في شكله من إسمه المحيط وفي طبيعته من حياته وعلمه وأرادته وقدرته ومنهم من ينظر إليه من حيث جسمه فيمده من ذلك المقام بأمور خاصة تختص بالجسم كما يمدده الحق من حضرته

بما يظهر في ذاته وصفاته وأفعاله ومنهم الناظر إليه كفاحاً لا منازعة فيمده من ذلك المقام بأمور خاصة تختص بالمكافحة كما يمدّه الحق من إسمه البعيد والمعز أن كان ذليلاً والمذل أن كان عزيزاً ومنهم الناظر إليه من حيث أنه مثل له في المرتبة فإنه بالمرتبة كان خليفة وقد شورك فيها فقال وهو الذي جعلكم في الأرض خلائف وقال يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فهم نواب الحق في عباده فيمدهم من ذلك المقام بأمور خاصة تختص بتلك المثلية كما يمدّه الحق من صورته بجميع أسمائه وليس إلا هذه وقد قسم الله خلقه إلى شقي وسعيد وجعل مقر عباده في دارين دار جهنم وهي دار شقي ودار جنان وهي دار كل سعيد وسموا هؤلاء أشقياء لأنهم أقيموا فيما يشق عليهم وهو المخالفة وسموا هؤلاء سعداء لأنهم أقيموا فيما يسهل عليهم وهو المساعدة والموافقة فمن كان مع الله على مراد الله فيه وفي خلقه لم يشق عليه شيء مما يحدث في العالم حكى عن رابعة رضى الله عنها أنه ضرب رأسها ركن جدار فأدماها فما إلتفتت لها في ذلك فقالت شغلي بموافقة مراده فيما جرى شغلي عن الإحساس بما ترون من شاهد الحال فما شق عليها ما جرى فلو شق عليها لتعذبت في نفسها منها فالأشقياء ليس لهم عذاب إلا منهم لأنهم أقيموا في مقام الإعتراض والتعليل لأفعال الله في عباده ولاى شيء كان كذا ولو كان كذا كان أحسن وأليق ونازعوا الربوبية وشاقوا الله ورسوله فشقاؤهم شقاقهم فهي دار الأشقياء بدخولها في هذه الحال فإذا طال عليهم الأمد تغير الحال لأن طول الأمد له حكم بقوله تعالى فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم فإذا كال الأمد على الأشقياء وعلموا أن ذلك ليس بنافع قالوا فالموافقة أولى فتبدلت صورهم فأثر ذلك التبديل هذا الحكم فزالت المشاقة فارتفع العذاب عن بواطنهم فاستراحوا في دارهم ووجدوا في ذلك من اللذة ما لا يعلمه إلا الله لأنهم اختاروا ما اختار الله لهم وعلموا عند ذلك أن عذابهم لم يكن إلا منهم فحمدوا الله على كل حال فاعقبهم ذلك أن يحمدوا الله المنعم المتفضل ثم أن لهذا الإنسان المنفرد الذي هو آدم ولكل إنسان أقيم فيما هو منفرد به نظر آخر إلى منازل السعداء وهي التي عينها الفلك المكوكب وهي منازل الجنان ومنازل النار فإن الجنة مائة درجة والنار مائة درك على عدد الاسماء الإلهية فهي بحكم الإشتراك تسعة وتسعون أسمائنا لها كل إنسان بما هو مشارك غيره والاسم الموفى مائة وهو وتر الغيب كما كانت التسعة والتسعون ونر الشهادة لأن الله وتر يحب الوتر فالاسم الموفى مائة مفرد منه يتجلى الحق للإنسان المفرد إذا كان مع الأمر الذي يسمى به إنساناً مفرداً وإذا كان مع هذا الاسم الفرد كانت منزلة ثمانية وعشرين منزلة لأن حروف نفسه ثمانية وعشرون حرفاً ظهر منها في مقام الجمع والوجود علامات تدل على الحق وهي خمس آلاف علامة وثمانمائة علامة وثمان وثلاثون علامة وهذه كلها منازل في هذه المنازل ولهذا يقال يوم القيامة لقارئ القرآن أقر أوراق فإن منزلة عند آخر آية تقرأ ولهذا تمدح أبو يزيد بأنه مامات حتى استظهر القرآن وينبغي لقارئ القرآن إذا لم يكن من أهل الكشف ولا من أهل التعليم الإلهي أن يبحث يسأل علماء الرسوم أي شيء يثبت عندهم أو رأوه أنه كان قرآناً ونسخ لفظه من هذا المصحف العثماني ولا يباي إذا قالوا له كذا وكذا صحيحاً كان الطريق إلى ذلك أو غير صحيح فينبغي أن يحفظه فإنه يزيد بذلك درجات وقد اختلفت المصاحف

فهذا ينفعه ولا يضره فإن هذا الذي أيدينا هو قرآن بلا شك ونعلم أنه قد سقط منه كثير فلو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي جمعه لوقفنا عنده وقلنا هذا وحده هو الذي نتلوه يوم القيامة إذا قيل لقارئ القرآن أقر أوراق والإحتياط فيما قلناه ولكن لا أريد بذلك أنه يصلي به وإنما يحفظه خاصة فإنه ليس بمتواتر مثل هذا وما نازع أحد من الصحابة في مصحف عثمان أنه قرآن فإذا حصل الإنسان بما انفرد به في منزلة من هذه المنازل فإنما تعطيه حقيقة ما هي عليه مما وضعها الله من الأمور الظاهرة في أفعال العبادة في حركاتهم وسكونهم وتصرفاتهم وما منعني من تعيينها إلا يسبق إلى القلوب الضعيفة من ذلك ووضع الحكمة في غير

موضعها فإن الحافظين أسرار الله قليلون وإذا وفي الإنسان المفرد علم هذه الأمور ودخل الجنات الثمانية ورأى الكتيب الأبيض وعين درجات الناس في الرؤية وتميز مراتبهم ومنازلهم في ذلك ونظر إلى التكوينات الجنانية والرقائق الممتدة إليها من فلك البروج علم أن الله أسراراً خلقه فأراد أن يعرفه آثار ذلك ونظر ذلك فارتقى بنفسه إلى هذا الفلك ودار معه دورة واحدة لكل برج حتى أكمل اثنتي عشرة دورة ونظر بحلوله في كل دورة ما يعطى من الأثر في جنات النعيم وفي جهنم وفي عالم الدنيا وفي البرزخ وفي يوم القيامة وفي أحوال الكائنات العرضيات في العالم والخاصة بجسد الإنسان وروحه والمولدات وربما نشير إلى شئ من هذه الأسرار متفرقاً في هذا الكتاب في المنازل منه أن شاء الله تعالى وجميع الاسماء الإلهية المختصة بهذا الإنسان الموصوف بهذه الصفة التي يتزل بها هذه المنازل معلومة محصاة وهي الرفيع الدرجات الجامع اللطيف القوي المذل رزاق عز يزميت محي حي قابض مبین محص مصور نور قاهر عليم رب مقدر غني شكور محيط حكيم ظاهر باكن باعث بديع ولكل إسم من هذه الاسماء روحانية ملك تحفظه وتقوم به وتحفظها لها صور في النفس الإنساني تسمى حروفاً في المخارج عند النطق وفي الخط عند الرقم فتختلف صورها في الكتابة ولا تختلف في الرقم تسمى هذه الملائكة الروحانيات في عالم الأرواح باسماء هذه الحروف فلنذكرها على الترتيب المخارج حتى تعرف رتبها فأولهم ملك الهاء ثم الهمزة وملك العين المهملة وملك الحاء المهملة وملك العين المعجمة وملك الخاء المعجمة وملك القاف وهو ملك عظيم رأيت من اجتمع به وملك الكاف وملك الجيم وملك الشين المعجمة وملك الباء وملك القاف وهو ملك الضاد المعجمة وملك اللام وملك النون وملك الراء وملك الطاء المهملة وملك الدال المهملة وملك التاء المعجمة باثنتين من فوقها وملك الزاي وملك السين المهملة وملك الصاد المهملة وملك الظاء المعجمة وملك الثاء المعجمة بالثلاث وملك الذال المعجمة وملك الفاء وملك الباء وملك الميم وملك الواو وهذه الملائكة أرواح هذه الحروف وهذه الحروف أجساد تلك الملائكة لفظاً وخطاً بأي قلم كانت فبهذه الأرواح تعمل الحروف لا بذواتها أعني صورها المحسوسة للسمع والبصر المتصور في الخيال فلا يتخيل أن الحروف تعمل بصورها وإنما تعمل بأرواحها ولكل حرف تسبيح وتمجيد وتكبير وتحميد يعظم بذلك كله خالقة ومظهره وروحانيته لا تفارقه وبهذه الاسماء يسمون هؤلاء الملائكة في السموات وما منهم ملك إلا وقد أفادني وكذلك الكوكب والحرف لولا الروح ما ظهر منه فعل فإن الله سبحانه ما يسوى صورة محسوسة في الوجود على يد من كان من إنسان أو ريح إذا هبت فتحدث أشكال في كل ما تؤثر فيه حتى الحية والدودة تمشي في الرمل فيظهر طريق فذلك الطريق صورة أحدثها الله بمشي هذه الدودة أو غيرها فينفخ الله فيها روحاً من أمره لا يزال يسبحه ذلك الشكل بصورته وروحه إلى أن يزول فتنتقل روحه إلى البرزخ وذلك قوله كل من عليها فإن وكذلك الأشكال الهوائية والمائية لولا أرواحها ما ظهر منها في انفرادها ولا في تركيبها أثر وكل من أحدث صورة وانعدمت وزالت وانتقل روحها إلى البرزخ فإن روحها الذي هو ذلك الملك يسبح الله بحمده ويعود ذلك الفضل على من أوجد تلك الصورة الذي كان هذا الملك روحها فما يعرف حقائق الأمور إلا أهل الكشف والوجود من أهل الله ولهذا نبه الله قلوب الغافلين ليتنبهوا على الحروف المقطعة في أوائل السور فإنها صور الملائكة وأسماءهم فإذا نطق بها القارئ كان مثل النداء بهم فأجابوه

فيقول القارئ ألف لام ميم فيقول هؤلاء الثلاثة من الملائكة مجيبين ما تقول فيقول القارئ ما بعد هذه الحروف تالياً فيقولون صدقت أن كان خيراً ويقولون هذا مؤمن حقاً نطق حقاً وأخبر بحق فيستغفرون له وهم أربعة عشر ملكاً ألف لام ميم صادراء كاف هاء ياء عين طاء سين حاء قاف نون ظهوروا في منازل من القرآن مختلفة فمنازل ظهر فيها ثلاثة وهم الم البقرة وألم آل عمران والم يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر وطسم الشعراء والقصص والعنكبوت ولقمان والروم والسجدة ومنها منازل ظهر فيها

أربعة هم المص الأعراف والمر الرعد ومنازل ظهر فيها خمسة وهي مريم والشورى وجميعها ثمان وعشرون سورة على عدد منازل السماء سواء فمنها ما يتكرر في المنازل ومنها ما لا يتكرر فصورها مع التكرار تسعة وسبعون ملكاً بيد كل ملك شعبة من الإيمان وإن الإيمان بضع وسبعون شعبة أرفعها لا إله إلا الله وادناها إمطة الأذى عن الطريق والبضع من واحد إلى تسعة فقد أستوفى غاية البضع فمن نظر في هذه الحرف بهذا الباب الذي فتحت له يرى عجائب وتكون هذا كله من النفس الرحماني الذي نفس الله به عن خلقه وأعلم أن هذه الحروف الأربعة عشر التي في أوائل السور كل حرف منها له ظاهر وهو صورته وله باطن وهو روحه ولكل حرف ليلة من الشهر أعني الشهر الذي يعرف بالقمر فإذا مشى القمر وقطع في سيره أربع عشرة منزلة أعطي في كل حرف من هذه الحروف من حيث صورها قوتين من حيث ذاته ومن حيث نوره وأعطاه قوتين أخريين من حيث المنزلة التي نزل بها ومن حيث البرج الذي لتلك المنزلة ولكن بقدر ما لتلك المنزلة من البرج فيصير في ذلك الحرف أربع قوى فيكون عمله أقوى من عمل كل واحد من أصحاب هذه القوى ويكون عمله في ظهور أعيان المطلوب فإذا أخذ القمر في النقص فقد أخذ في روحانية هذه الحروف إلى أن يكملها بكمال المنازل فتلك ثمان وعشرون والقوى مثل القوى ألا أنه يكون العمل غير العمل فالعمل الظاهر في المنافع والعمل الثاني في دفع المضار وفي قوة النور الذي للقمر لهذا الحرف مراتب بحسب المنزلة والبرج الذي تكون فيه الشمس وأتصالات القمر بالمنزلة في تسديسها وتربيعها وتثليثها ومقابلتها ومقارنتها فتختلف الأحكام باختلاف ذلك هذا للحرف من قوة النور القمري فالعمل بالحروف يحتاج إلى علم دقيق فهذه القوى تحصل للحرف من سير القمر وقد ذكرنا حرف كل منزلة وأما لام ألف فمرتبه مرتبة الجوزهر وهو من الحروف المركبة أنزلوه منزلة الحرف الواحد لكمال نشأة الحروف ولهذا الحرف ليلة السرار الذي يكون للقمر فإن كسفف القمر الشمس فذلك أسعد الحالات وأقواها في العمل بلام ألف وإن لم يكشفها ضعف عمله بقدر ما نزل عنها وكذلك اتصالات القمر بالخمسة لها أثر في الحرف على ما وقع عليه اتصاله بذلك الكوكب من الأحكام الخمسة كما كان حاله مع الشمس ويعتبر العامل أيضاً القمر شرف القمر وهبوطه وكونه خالي السير وبعيد النور وكونه مع الرأس وكونه مع الذنب لأن الله ما قدر هذا القمر منازل حتى عاد كالعرجون القديم واختصه بالذكر سدى بل ذلك لحكمه إلهية يعلمها من أوتي الحكمة التب هي الخير الكثير الإلهي فإن الستة الباقية قدرها أيضاً منازل في نفس الأمر وما حصها بالذكر فلما دخل القمر في الذكر كان له من القوة الإلهية والشرف في الولاية والحكم الإلهي ما ليس لغيره فإنه ما ذكر إلا بالحروف وبما نزل إلينا الذكر فكان نسبته إلى الحروف أتم نسبة غيره فصار أمداده للحروف أمدادين أمداد جزاء وشكر لأن بها حصل له الذكر وأمداداً طبيعياً كامداد سائر السنة لهذه الحروف وإنما ذكرنا ما يختص بالقمر دون سائر الستة لأننا في سماء الدنيا وهو موضع القمر وهو في ليلة السرار بارد رطب وفي ليلة الأبدار حار رطب لما فيه من النور فهو مائي هوائي وفيما بينهما بحسب ما فيه من النور فإن النور له الشرف ولما اجتمع النار مع النور في الإحراق وقوة الفعل في بقية العناصر لهذا افتخر إبليس على آدم وتكبر عليه فإن النار لا يقبل التبريد بخلاف بقية الأركان فإن الهواء يسخن وكذلك الماء وكذلك والتراب فللنار في نفس الأركان أثر ليس لواحد منها في النار أثر وكذلك الماء له أثر في الهواء والتراب فيبرد الهواء ويزيد في رطوبته ويرطب التراب ويزيد في برودتها وليس للهواء والتراب في هذين العنصرين أثر فأقوى الأركان النار

بعده الماء فالحرارة للنار والبرودة للماء فلهذا جعلنا فعلهما فاعلين والأثنين الآخرين منفعلين رطوبة الهواء ويؤسدة التراب سبحانه الخبير العليم الخلاق مرتب الأمور ومقدرها لا إله إلا هو العزيز الحكيم وفي ليلة تقييدي لهذا الفصل وهي الليلة الرابعة من شهر ربيع

الآخر سنة سبع وعشرين وستمائة الموافقة ليلة الأربعاء الذي هو الموفى عشرين من شباط رأيت في الواقعة ظاهر الهوية الإلهوية وباطنها شهوداً محققاً ما رأيته قبل ذلك في مشهد من مشاهدنا فحصل لي من مشاهدة ذلك من العلم اللذة والإبتهاج ما لا يعرفه إلا من ذاقه فما كان أحسنها من الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة وصورتها مثلاً في الهامش كما هو فمن صورته لا يبد له والشكل نور أبيض في بساط أحمر له نور أيضاً في طبقات أربع صورة وأيضاً روحها في ذلك البساط في الطرف الآخر في طبقات أربع فمجموع الهوية ثمانية في طرفين مختلفين من بساط واحد فأطراف البساط ما هي البساط ولا غير البساط فما رأيت ولا علمت ولا تخيلت ولا خطر على قلبي صورة ما رأيت في هذه الهوية أ،ها حركة خفيفة في ذاتها أراها وأعلمها من غير نقله ولا تغير حال ولا صفة

الفصل الثامن والعشرون في الاسم الإلهي القابض وتوجهه على إيجاد ما يظهر في الأثير من ذوات الأذنان والإحتراقات ووجود حرف التاء المعجمة باثنتين من فوقها من الحروف وله من المنازل منزلة القلب الأثير ركن النار وهذه الأركان وجودها قبل وجود هذه الأفلاك من حيث ما تقول سموات لا من حيث ما هي أفلاك وهو متصل بالهواء والهواء حار رطب فيما في الهواء من الرطوبة إذا اتصل بهذا الأثير أثر فيه لتحركه اشتعالاً في بعض أجزاء الهواء الرطبة فبدت الكواكبذوات الأنانب وذلك لسرعة اندفعها تظهر في رأي العين تلك الأنانب وإذا أردت تحقيق هذا فإنظر إلى شرر النار إذا ضرب الهواء النار بالمروحة وغيرها يتطاير منها شرر أمثال الخيوط في رأي العين ثم تنطفئ كذلك هذه الكواكب وجعلها الله من زمان بعث الرسول صلى الله عليه وسلم رجوا ما للشياطين فإن الشياطين وهم كفار الجن لهم عروج إلى السماء الدنيا يسترقون السمع أي ما تقول الملائكة في السماء وتحدث به مما أوحى الله به فيها فإذا سلك الشيطان أرسل الله عليه شهاباً رصداً ثاقباً ولهذا يعطى ذلك الضوء العظيم الذي تراه ويبقى ذلك الضوء في أثره طريقاً ورأيت مرة طريقه قد بقي ضوءه ساعة وأزيد من ساعة وأنا بالطواف رأيته أنا وجماعة الطائفين بالكعبة وتعجب الناس من ذلك وما رأينا قط ليلة أكثر منها ذوات أذنان الليل كله إلى أن أصبح حتى كانت تلك الكواكب لكثرتها وتداهل بعضها على بعض كما يتداخل شرر النار تحول بين أبصارنا وبين رؤية الكواكب فقلنا ما هذا الأمر لأمر عظيم فبعد قليل وصل إلينا أن اليمن ظهر فيه حادث في ذلك الوقت الذي رأينا هذا وجاء قمم الرياح بتراب شبيه التوتيا كثير إلى أن عم أرضهم وعلا على الأرض إلى حد الركب وخاف الناس وأطمع عليهم الجو بحيث أن كانوا يمشون في الطريق في النهار بالسرير وحال تراكم الغمام بينهم وبين نور الشمس وكانوا يسمعون في البحر بويبدو يا عظيماً وذلك في سنة ستمائة أو تسع وتسعين وخمسائة الشك مني فإني ما قيده حين رأيت ذلك وما قيده في هذا المكان الأفي سنة سبع وعشرين وستمائة ولذلك أصابني الشلل بعد الوقت لكنه معروف عند الخاص والعام من أهل الحجاز واليمن ورأينا في تلك السنة عجائب كثيرة وفي تلك السنة حل الوباء بالطائف حتى ما بقي فيها ساكن حل بهم من أول رجب إلى أول رمضان سنة تسعة وتسعين وخمسائة عن تحقيق وكان الطاعون الذي نزل بهم إذا كانت علامته في أبدانهم ما يتجاوزون خمسة أيام حتى يهلك فمن جاز خمسة أيام لم يهلك وامتألت مكة بأهل الكائف وبقيت ديارهم مفتحة أبوابها وأقمشتهم ودواهم في مراعيها فكان الغريب في تلك المدة إذا مر بأرضهم فتناول شيئاً من طعامهم أو قماشهم أو دواهم إذ لم يكن هناك حافظ يحفظه أصابه الطاعون من ساعته وإذا مر ولم يتناول شيئاً سلم فحمى الله أموالهم في تلك المدة لمن بقي منهم ولمن ورثهم وتابوا وورثوا البنات في تلك السنة وسكنت الفتن التي كانت بينهم فلما نجاهم الله من ذلك ورفع عنهم واستمر لهم الأمان عادوا إلى ما كانوا عليه من الأدبار وهذه الكواكب ذوات الأذنان ما تحدث في الأثير وإنما يحدث منه في الهواء تشعله فهو على الحقيقة

هواء محترق لا مشتعل هذا هو الأثير فهو كالصواعق فإنها أهوية محترقة لا شعلة فيها فما تمر بشئ إلا أثرت فيه ولا يحدث في هذا الركن شئ سوى ما ذكرناه إلا أنه في نفس الأمر ملك كريم له تسبيح خاص وسلطان قوي والسماء الدنيا في غاية من البرودة لولا أن الله حال بيننا وبين برد هذه السماء بهذه النار التي بين الهواء وبين السماء ما كان حيوان ولا نبات ولا معدن في الأرض لشدة البرد فسخر الله عالم الأرض والماء والهواء بما ترميه الكواكب من الشعاعات إلى الأرض بوساطة هذا الأثير فسخر العالم فتسرى فيه الحياة وذلك بتقدير العزيز العليم لا إله إلا هو رب كل شئ ومليكه

الفصل التاسع والعشرون في الاسم الإلهي الحي وتوجهه على إيجاد ما يظهر في ركن الهواء وله من الحروف حرف الزاي ومن المنازل منزلة الشولة قال الله تعالى "فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب" فجعلها مأمورة يعلمنا أنها تعقل ولا يسمى الهواء ريسحاً إلا إذا تحرك وتموج فإن اشتدت حركته كان زعزاعاً وإن لم تشتد كان رخاء أي ريحاً لينة والريح ذو روح يعقل كسائر أجسام العالم وهوبه تسبيحه تسري به الجواري ويطفئ السرج ويشعل النيران ويحرك المياه والأشجار ويموج البحار ويزلزل الأرض ويلعب بالأغصان ويزجي السحاب وهو ركن أقوى من الماء والماء أقوى من النار والنار أقوى من الحديد والحديد أقوى من الجبال والجبال أقوى من الأرض وما ثم شئ أقوى من الهواء إلا الإنسان حيث يقدر على قمع هواه بعقله الذي أوجده الله فيه فيظهر عقله في حكمه على هواه فإنه لقوة الصورة التي خلق عليها الرياسة له ذاتية ولكونه ممكناً الفقر والذلة له ذاتية فإذا غلب فقرة على رياسته فظهر بعبوديته ولم يظهر لربوبية الصورة فيه أثر لم يكن مخلوق أشد منه وهكذا أخبر صلى الله عليه وسلم على ما حدثناه محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسي قال حدثنا عمر بن عبد الحميد الميانيشي حدثنا عبد الملك بن قاسم الهروي حدثنا محمود بن قاسم الأزدي حدثنا عبد الجبار بن محمد الجراحي حدثنا محمد بن أحمد المحبوبي حدثنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا يزيد بن هرون حدثنا العوام بن حوشب عن سليمان بن أبي سليمان عن أنس بن مالك عن النبي قال "لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فقال بها عليها فاستقرت فعجبت الملائكة من شدة الجبال فقالوا يا رب هل من خلقتك شئ أشد من الجبال قال نعم الحديد فقالوا يا رب فهل من خلقتك شئ أشد من الحديد قال نعم النار قالوا يا رب فهل من خلقتك شئ أشد من النار قال نعم الماء قالوا يا رب فهل من خلقتك شئ أشد من الماء قال نعم الريح قالوا يا رب فهل من خلقتك شئ أشد من الريح" قال ابن آدم تصدق بصدقة يمينه يخفيها عن شماله هذا حديث غريب ففي هذا الحديث علم جوارح الإنسان بالأشياء ولهذا وصفها الله تعالى يوم القيامة بأنها تشهد فقال "يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم" بما كانوا يعملون فالهواء موجود عظيم وهو أقرب الأركان نسبة إلى نفس الرحمن فهو أحق بهذا الباب والهواء هو نفس العالم الكبير وهو حياته وله القوة والإقتدار وهو السبب الموجب لوجود النعمات بتحريك الآلات من حركات الأفلاك وأغصان الأشجار وتقاطع الأصوات فيؤثر السماع الطبيعي في الأرواح فيحدث فيها هيمان وسكر وطرب فالهواء إذا تحرك أقوى المؤثرات الطبيعية في الأجسام والأرواح وقد جعل الله هذا الركن أصل حياة العالم الكبيعي كما جعل الماء أصل الصور الطبيعية فصورة الهواء من الماء وروح الماء من الهواء ولو سمن الهواء لهلك كل متنفس وكل شئ في العالم متنفس فإن الأصل نفس الرحمن وجعله الله لطيفاً ليقبل سرعة الحركة فإن العالم المتنفس يحتاج في وقت إلى نفس كثير وفي وقت إلى نفس قليل ألا ترى الإنسان في زمان الصيف إذا حمى بدنه حرك الهواء بالمروحة ليبرد عنه ما يجده من الحرارة لما في الهواء من برودة الماء من حيث صورته وإن كانت له حركة خفية ولكن لا تكفي الحرور كما أنه إذا كثر بحيث أن يتأذى منه الإنسان طلب التستر عنه لأنه ليس في قوة الحيوان تقليله الهواء إلا إذا كان الإنسان هو الذي يثير حركة

الهواء فإنه يقدر على تقليله بضعف حركة السبب الذي به أثاره وأما إذا كان السبب خارجاً عن حكم الإنسان فإنه لا يقدر على تقليله والهواء هو الذي يسوق الأرواح إلى المشام من طيب وخبث وفيه تظهر صور الحروف والكلمات فلولا الهواء ما نطق ناطق ولا صوت مصوت ولما كان البارئ متكلماً ووصف نفسه بالكلام ووصف نفسه بأن له نفساً وإن كان ليس كئله شيء ولكن نبه عباده العارفين أن علمه بالعالم علمه بنفسه ووصف نفسه سبحانه بأنه ينفخ الأرواح فيعطى الحياة في الصور المسواة فجاء بالنفخ الذي يدل على النفس فحياة العالم بالنفخ الإلهي من حيث أن له نفساً فلم يكن في صور العالم أحق بهذه الحياة من الهواء فهو الذي خرج على صورة النفس الرحمان الذي ينفس الله به عن عباده ما يجدونه من الكرب والغم الذي تعطيه الطبيعة وبعد أن عرفتكم بمثلة الهواء من العالم فلنذكر كما يحدث فيه فمما يحدث فيه صور الجنين في النكاح والثمر في اللقاح قال تعالى "وأرسلنا الرياح لواحق" وهذا معروف بالمشاهدة في تلقيح الثمار فالهواء ينكح بما يحمله من روائح الذكورية والعقيم منه ما عدا اللواقح واللواقح من الرياح ليست مخصوصة بالثمر وإنما هي كل ريح تعطى الصور والعقيم كل ريح تذهب بالصور فالهواء الذي يشعل النار من الرياح اللواقح والذي يطفئ السرج من الريح العقيم وإن كانت واحدة في العين فما هي واحدة عند من يرى تحديد العالم في كل نفس فإنهم في لبس من خلق جديد وأصل هذا في العلم الإلهي أن اللواقح ما تعطيه الربوبية من وجود أعيان المربوبين والعقيم سبحانه الوجه المذهبة أعيان الكائنات من خلقه ومما وجد من العالم في الهواء البرد والثلج والجليد إذا غلب عليه برد الماء فتشكل البرد من استدارته وجليده من اليبوسة التي تعطيه برد التراب والثلج دون الجليد في اليبوسة والمطر من رطوبته وما يزيده الماء من رطوبته فإنه يزيد في كميتها ويتكون في هذا الهواء في الجبال التي ذكر الله أمرها في قوله "ويترل من السماء من جبال فيها من برد" وقد بينها فيما قبل من هذا الكتاب تغلب الرطوبة في الهواء بما يزيده في رطوبته الماء وتعطيه النار من الحرارة ما يزيد في كمية حرارة الهواء فيحدث في الجو في هذه الجبال تعفين لأن هذه الأركان مركبة من الأربع الحقائق الطبيعية كل ركن منها وهذا سبب قبولها صور الكائنات فيها ولو لم يكن كذلك ما قبلت المولدات فإذا تعفن ما تعفن من ذلك كون الله في ذلك التعفن حيوانات هوائية جوية على صور حيات بيض وحيوانات للإستدارة أما هذه المستديرة فرأيناها وأما الحيات البيض فرأينا من رآها وقد وقفنا على ذكرها بعض كتب الأنوار وإن البزاة البنسية إذا علت في الجو في أوقات ووقعت بشيء منها نزلت بها على مرأى من أصحابها ومن رآها والذي وقد نزل بها البازي من الجو في أيام السلطان محمد بن سعد صاحب شرق الأندلس وهذا الصنف المستدير الذي عايناه من ذلك التكوين يسمى بالأندلس بالشلمندار وأكثر ما يتزل في الكوانين مع المطر وفيه خواص إذا لعق باللسان لكن خرجت عني معرفة تلك الخواص في هذا الوقت وهو مجرب عندنا ومما يحدث في هذا الركن مما يلي ركن النار منه الصواعق وهي هواء محترق والبروق وهو هواء مشتعل تحدته الحركة الشديدة والرعود وهو هبوب الهواء تصدع أسفل أسفل السحاب إذا تراكم وهو تسبيح إذ كل صوت في العالم تسبيح لله تعالى حتى الصوت بالكلمة القبيحة هي قبيحة وهي تسبيحة بوجه يعلمه أهل الله في أدواقهم لمن عقل عن الله وهذا الملك المسمى بالرعده هو مخلوق من الهواء كما خلقنا نحن من الماء وذلك الصوت المسمى عندنا بالرعده تسبيح ذلك الملك وفي وقت يوجده الله فعينه نفس صوته ويذهب كما يذهب البرق وذوات الأذنان فهذه حوادث هذا الركن في العالم العنصري وله حرف الزاي وهو من حروف الصفير فهو مناسب لأن الصفير هواء بشدة وضيق وله الشولة وهي حارة فافهم

الفصل الثلاثون في الاسم الإلهي الحي وتوجهه على إيجاد ما يظهر في ركن الماء وله حرف السين المهملة من الحروف وله من المنازل

المقدرة منزلة النعائم قال تعالى "زجعلنا من الماء كل شئ حي" وقال تعالى "ويتزل من السماء ماء ليظهركم بهيذهب عنكم رجس الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام" فاعاد الضمير من به الأقدام على المطر والرجز بالسبين القدر عند القراء وهو هنا القدر المعنوي لأنه مضاف إلى الشيطان فلا بد الأعلى ما يليقه من السبه والجهالات والأمور التشكيكية ليقدر بها محل هذا القلب فيذهب الله ذلك. بما في الماء المتزل من الحياة العلمية بالبراهين والكشف فإذا زال ذلك القدر الشبهى بهذا الماء المتزل من عند الله زال الزسخ الجهلي وارتفع الغطاء عن القلب فنظر بعينه في ملكوت السموات والأرض فربط ذاته بما أعطاه العلم فعلم ما أريد به في كل نفس ووقت فعامله بما أعطاه العلم المتزل الذي طهره به في ذلك الماء الذي جعل نزوله في الظاهر علامة على فعله في الباطن فكان من مواطنه مقابلة الأعداء فأداه ما عاينه وربط قلبه به أن ثبتت قدمه يوم الزحف عند لقاء الأعداء فما ولوا مدبرين وأنزل الله نصره وهو تثبيت الأقدام فهذا ما أعطاه الله في الماء من القوة الإلهية حيث أنزله منزلة الملائكة بل أتم من الملائكة وإنما قلنا بل أتم فإن الله جعل الماء سبب تثبيت أقدام المجاهدين المؤمنين فقال ويثبت به الأقدام فإنزله منزلة المعين على ما يريد وقال في الملائكة إذ يومى ربك إلى الملائكة أي معكم لما علم من ضعفهم أعلمهم أن الله معهم من حيث أنيته ليتقوى جاشهم فيما يلقونه في قلوب المؤمنين المجاهدين إن يثبتوا ويصابروا العدو ولا ينهزموا وهذه من لمات الملائكة فقال لهم فثبتوا الذي آمنوا أي اجعلوا في قلوبهم أن يثبتوا ثم أعانهم فقال سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب أخبرهم بذلك ليلقوا في نفوس المجاهدين هذا الكلام فإنه من الوحي فيجد المجاهد في نفسه ذلك الألقاء وهو وحي الملك في لمة فإنظر كم بين مرتبة الماء ومرتبة هؤلاء الملائكة والماء وإن كان من الملائكة فهو ملك عنصري وأصله في العنصر من نهر الحياة الطبيعية الذي فوق الأركان وهو الذي ينغمس فيه جبريل كل يوم غمسة وينغمس فيه أهل النار إذ أخرجوا منها بالشفاعة فهذا الماء لعنصري من ذلك الماء الذي هو نهر الحياة وهذه الملائكة التي تقوى قلوب المجاهدين وتثبتهم وتوحي إليهم قوله سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب هم الملائكة الذين يدخلون البيت المعمور الذي في السماء السابعة المخلوقين من قطرات ماء نهر الحياة في انتفاض الروح الأمين من انغماسه ولهذا قرن الملائكة بالمجاهدين في التثبيت مع الماء المتزل لنشبت به الأقدام فقد أبان الله في هذه عن مرتبة الماء من مراتب الملائكة ليعقلها العالمون من عباد الله وما يعقلها إلا العاملون فجعل الله من الماء كل شئ حي وهذا الركن هو الذي يعطي الصور في العالم كله وحياته في حركاته ثم أن هذا الركن جعله الله ما لحا لما فيه من مصالح العالم فإنه بما فيه من الملوحة يصفى الجو من الوخم والعفونات التي تطرأ فيه من أبخرة الأرض وأنفاس العالم وذلك أن الأرض بطبعها ما تعطي التعفن لأنها باردة يابسة فيحصل فيها من الماء رطوبات عرضية تكثر فإذا كثرت وسختها أشعة الكواكب مثل الشمس وغيرها. بمرور هذه الأشعة على الأثير ثم بما في جو الأرض من حركات الهواء المنضغط فإن الحركة سبب موجب لظهور الحرارة ويظهر ذلك في الحمامات في الأرض الكبرى فإذا تضاعفت كمية الحرارة على هذه الكواب صعدت بها علوا بخارا فمن هنالك يطراً التعفين في الجو فيذهب ذلك التعفين ما في البحر من الملوحة فيصفوا الجو وذلك من رحمة الله بخلقه فلا يشعر بذلك إلا العلماء من عباد الله ثم أن الله جعل للبقاع في الماء حكماً وأصل ذلك الحكم من الماء هذا هو العجب فجعل من الأرض سباخا تعطي ماء مالحاً إذا عظم ذلك منها وتعطي فعاما ومرا وزوعاقا كما تعطي أيضاً عذاباً فاراتا كل ذلك يجعل الله تعالى وأصل هذا كله مما أعطى الماء الأرض من الرطوبات وأعطاها الهواء والحركات من الحرارة وتختلف أمزجة الأرض فمن الماء عذب فارات لمصالح العباد فيما يستعملونه من الشرب وغير ذلك ومنه ملح أجاج لمصالح العباد فيما يذهب به من عفونات الهواء فما من

ركن

إلا وقد جعله الله مؤثراً ومؤثراً فيه أصل ذلك في العلم الإلهي وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني وكل مؤثر فيه من العالم فمن الإجابة الإلهية وأما إسم الفاعل من ذلك فهو معلوم عند كل أحد فما نبهنا الأعلى ما يمكن أن يغفل عنه أكثر الناس كما قال في أشياء ولكن أكثر الناس لا يعلمون ثم أن الله عز وجل ما جعل التكوينات التي هي دواب البحر في البحر الملح إلا في العذب منه خاصة فلولا وجود الهواء فيه والماء العذب ما تكون فيه حيوان ألا ترى البخار الصاعد من الأنهار والبحار ولا سيما في زمان البرد ذلك هو النفس يصعد من الأرض ومن البحر كما يخرج النفس من المتنفس يطلب ركنه الأعظم فيستحيل ماء ويلحق بعنصر منه على قدر ما سبق في علم الله من ذلك فهو دولا ب دائر منه يخرج وإليه يرجع بعضه أصله في العلم الإلهي أن الله كان ولا شيء وأوجد الأشياء وأظهر فيها الدعاوى بما جعل فيها من استحالات بعضها إلى بعض وبما أعطاهما من القوى التي تفعل بها وقال بعد هذا كله وإليه يرجع الأمر كله فجعل صعود البخار من الماء وهو ماء استحالة هواء يسمى بخار يقع الفرق بين الهواء الأصلي وبين الهواء المستحيل ثم يصير غمماً ما متراً كما كان أول مرة فعاد إلى أصله الذي خرج منه ثم يعود الدور فلهذا شبهناه بالولاب وقلنا أنه يرجع وذلك بتقدير العزيز العليم انتهى الجزء الثالث والعشرون ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الحادي والثلاثون في الاسم إلهي المميت وتوجهه على إيجاد ما يظهر في الأرض وله حرف الصاد المهملة ومن المنازل البلدة قال تعالى خلق الأرض في يومين وقال وقدر فيها أقواتها وهي أول مخلوق من الأركان ثم الماء ثم الهواء ثم النار ثم السموات وأخير تعالى عنها بأمور تقضي أنها تعقل فوصفها بالقول والأبابة وقال لها وقالت له ونعتها بالطاعة والأخذ بالأحوط ليدل بذلك على علمها وعقلها وجعلها محلاً لتكوين المعادن والنبات والحيوان والإنسان وجعلها حضرة الخلافة والتدبير فهي موضع نظر الحق وسخر في حقها جميع الأركان والأفلاك والأماك وأثبت فيها من كل زوج بهيج من كل ذكروا وأنثى وما جمع لمخلوق بين يديه سبحانه إلا لما خلق منها وهي طينة آدم عليه السلام خمرها بيديه وهو ليس كمثله شيء وأقامها مقام العبودية فقال العبودية فقال الذي جعل لكم الأرض ذلولاً زجعل لها مرتبة النفس الكلية التي ظهر عنها العالم كذلك ظهر عن هذه الأرض من العالم المولدات إلى مقعر فلك المنازل وهذا الركن لا يستحيل شيء ولا يستحيل إليه شيء وإن كان بهذه المثابة بقية الأركان ولكنه في هذا الركن أظهر حكماً منه في غيره واعلم أن كل معلوم يدخله التقسيم فإنه يدخل في الوجود الذهني لا بد من ذلك وقد يكون هذا الداخل في الوجود الذهني ممن يقبل الوجود العيني وقد يكون ممن يقبل الوجود كالحال والذي يقبل الوجود العيني لا يخلو ما أن يكون قائماً بنفسه وهو المقول عليه لا في موضوع وأما أن لا يكون فأمّا قسم ما يكون قائماً بنفسه فلا يخلو ما أن يكون متحيزاً أو غير متحيز وأما قسم لا في موضوع غير متحيز فلا يخلو ما أن يكون واجب الوجود لذاته وهو الله تعالى "وأما أن يكون واجباً بغيره وهو الممكن وهذا الممكن أما أن يكون متحيزاً أو غير متحيز والقسمة فيما هو قائم بنفسه من الممكنات فغير المتحيز كالنفوس الناطقة المدبرة كجوهر العالم النوراني والطبيعي والعنصري والمتحيز أما أن يكون مركباً ذا أجزاء وأما أن لا يكون ذا أجزاء فإن لم يكن ذا أجزاء فهو الجوهر الفرد وإن كان ذا أجزاء فهو الجسم وأما القسم الذي هو في موضوع وهو الذي لا يقوم بنفسه ولا يتحيزاً لا بحكم التبعية فلا يخلو ما أن يكون لازماً للموضوع أو غير لازم في رأي العين وأما في نفس الأمر فلا شيء مما لا يقوم بنفسه يكون باقياً في نفس الأمر تائداً على زمان وجوده لكن منه ما تعقبه الأمثال ومنه ما يعقبه ما ليس بمثل فأما الذي يعقبه الأمثال فهو الذي يتخيل أنه لازم

كصفرة الذهب وسواد الزنجي وأما الذي لا تعقبه الأمثال فهو المسمى بالعرض واللازم يسمى صفة وليست المعلومات التي لها وجود عيني سوى ما ذكرناها واعلم أن العالم واحد بالجواهر كثير بالصورة وإذا كان واحداً بالجواهر فإنه يستحيل وكذلك الصورة أيضاً لا تستحيل لما يؤدي إليه من قلب الحقائق فالحرارة لا تكون برودة واليبوسة لا تكون رطوبة والبياض لا يستحيل سواداً والتلث لا يصير تربيعاً لكن الحار قد يوجد بارد إلا في زمان كونه حاراً وكذلك البارد قد يوجد حار إلا في زمان كونه بارداً وكذلك الأبيض قد يكون أسود بمثل ما ذكرنا والمثلث قد يكون مربعاً فبطلت الاستحالة فالأرض والماء والهواء والأفلاك والمولدات صور في الجواهر فصور تخلع عليه فيسمى بها من حيث هيئة وهو الكون وصور تخلع عنه فيزول عنه بزوالها ذلك الاسم وهو الفساد فما في الكون استحالة يكون المفهوم منها أن عين الشيء استحالة عيناً آخر إنما هو كما ذكرناه والعالم في كل زمان فرد يتكون ويفس ولا بقاء لعين جوهر العالم لولا قبول التكوين فيه فالعالم يفتقر على الدوام أما افتقار الصور فلبروزها من العدم إلى الوجود وأما افتقار الجواهر فلحفظ الوجود عليه إذ من شرط وجوده وجود تكوين ما هو موضوع له لا بد من ذلك كذلك حكم الممكن القائم بنفسه الذي لا يتحيز هو موضوع لما يحمله من الصفات الروحانية والإدراكات التي لا بقاء لعينه إلا بها وهي تتجدد عليه تجدد الأعراض في الأجسام وصورة الجسم عرض في الجوهر وأما الحدود إنما محلها الصور فهي المحودة ولا بد أن يوجد في حدها الجوهر الذي تظهر فيه وبهذا القدر يسمون الصور جوهرًا لكونهم يأخذون الجوهر في حد الصورة وبالجمله فالنظر في هذه الأمور من غير طريق الكشف الإلهي لا يوصل إلى حقيقة الأمر على ما هي عليه لا جرم أنهم لا يزالون مختلفين ولهذا عدلت الطائفة السعيدة المؤيدة بروح القدس إلى التجرد عن أفكارها والتخلص عن قيودها واتصلت بالنور الأعظم فعانيت المر على ما هو عليه في نفسه إذ كان الحق عز وجل بصرها فلم تشاهد إلا حقاً كما قال الصديق ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله فيرى الحق ثم يرى أثره في الكون وهو الوقوف على كيفية الصدور فكأنه عاين الممكنات في حال ثبوتها عند ما رش على مارش منها من نوره الأعظم فاتصفت بالوجود بعدما كانت تنعت بالعدم فمن هذا مقامه فقد ارتفع عنه غطاء العمى والحيرة فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديدان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فما جعل العلم إلا في الشهود فالحاكم يحكم بغلبة ظنه والشاهد يشهد بعلم لا بظن ثم اعلم أن أجسام العالم تنقسم إلى لطيف وكثيف وشفاف وكدر ومظلم ومنور وإلى كبير وصغير وإلى مرئي وغير مرئي فالوجود كله عطاء

كل مامنه عطاء

لم يكن إلا عطاء

بين غطاء ووطاء

كون من خير وعاء

ليس عند الله منع

فإذا ما قيل منع

فإننا ما بين شيئ

وأنا لكل ما في ال

فالرجل الذي رأى الحق حقاً فاتبعه وحكم الهوى وقمعه فإذا جاع اضطرار وحضر بين يديه أشهى ما يكون من الأطعمة تناول منه بعقله لا بشهوته ودفع به سلطان ضرورته ثم أمسك عن الفضل غنا نفس وشرف همة فذلك سيد الوقت فاقتد به وذلك صورة الحق أنشأها الله صورة جسدية بعيدة المدى لا يبلغ مداها ولا يخفى طريق هداها وهذا هو طبع الأرض فهي الذلول التي تقبل الاستحالة

فيظهر فيها أحكام الأركان ولا يظهر لها حكم في شئ تعطى جميع المنافع من ذاتها هي محل كل خير فهي أعز الأجسام لا تراحم المتحركات بحركتها لأنها لا تفارق حيزها يظهر فيها كل ركن سلطانه وهي الصبور القابلة الثابتة الراسية سكن ميدها جبالها التي جعلها الله أوتادها لما تحركت من خشية الله أمنها الله بهذه الأوتاد فسكنت سكون الموقنين ومنها تعلم أهل اليقين يقينهم فإنها الأم التي منها أخرجنا وإليها نعود ومنها نخرج تارة أخرى لها التسليم والتفويض هي ألطف الأركان معنى وما قبلت الكثافة والظلمة والصلابة ألا لستر ما أودع الله فيها من الكنوز لما جعل الله فيها من الغيرة فحار السعاة فيها فلم يخرقوها ولا بلغوا جبالها طولاً أعطاهما صفة التقديس فجعلها طهوراً في أشرف الحالات وذلك عند الأضرار لما أقامها مقامه مثل الظمان يرى السراب فيحسبه ماء فإذا جاءه لم يجده شيئاً يعني ماء ووجد الله عنده فما وجد الله ألا عند الضرورة كذلك طهارة الأرض لا تكون ألا لفائد الماء على ما كان من الأحوال فإنظر ما أشرف منزلها ثم أنزلتها منزلة النقطة من المحيط فهي تقابل بذاتها كل جزء من المحيط وينظر إليها كل جزء من المحيط فكل خط منها يخرج إلى المحيط على السواء والأعتدال لأنها ما تعطي ألا بحسب صورتها وكل خط من المحيط إليها يقصد فلو زالت زال المحيط ولو زال المحيط لم يلزم زوالها فهي الدائمة الباقية في الدنيا والآخرة أشبهت نفس الرحمن في التكوين وأعلم أن الله تعالى قد جعل هذه الأرض بعدما كانت رتقاً كالجسم الواحد كما كانت السماء ففتق رتقها وجعلها سبعة أطباق كما فعل بالسموات وجعل لكل أرض أستعداد أنفعال لأثر حركة فلك من أفلاك السموات وشعاع كوكبها فالأرض الأولى وهي التي نحن عليها للفلك الأول من هناك ثم تنزل إلى أن تنتهي إلى الأرض السابعة والسماء الدنيا ولذلك قال عليه السلام فيمن غصب شبراً من الأرض طوقه الله به من سبع أرضين لأنه إذا غصب شيئاً من الأرض كان ما تحت ذلك المغصوب مغصوباً إلى منتهي الأرض ولو لم تكن طباقاً بعضها فوق بعض لبطل معقول هذا الخبر وكذلك الخبر الوارد في سجود العبد على الأرض طهر الله بسجده إلى سبع أرضين وقال تعالى أن السموات والأرض كانتا رتقاً أي كل واحدة منهما مرتوقة ثم قال ففتقناهما يعني فصل بعضها من بعض حتى تميزت كل واحدة عن صاحبتها كما قال "خلق سبع سموات طباقاً ومن الأرض مثلهن" الظاهر يريد طباقاً ثم قال "يتنزل الأمر بينهن أي بين السموات والأرض ولو كانت أرضاً واحدة لقال بينهما هذا هو الظاهر وهو الذي يعطيه الكشف والأمر النازل بينهن هذا الأمر الإلهي الذي يكون بين السماء الدنيا والأرض التي نحن عليها يتزل من السماء ثم يطلب أرضه وهو قوله "وأوحى في كل سماء أمرها" فذلك الأمر هو الذي يتزل إلى أرضه بما أوحى الله فيه على عامر تلك الأرض من الصور والأرواح وجعل هذه الأرض سبعة أقاليم واصطفى من عباده المؤمنين سبعة سماهم الأبدال لكل بدل أقليم يحسك الله وجود ذلك الإقليم به فالإقليم الأول يتزل الأمر إليه من السماء الأولى من هناك وتنظر إليه روحانية كوكبه والبذل الذي يحفظه على قلب الخليل عليه السلام والإقليم الثاني يتزل إليه من السماء الثانية وتنظر إليه روحانية كوكبها والبذل الذي يحفظه على قلب موسى عليه السلام والإقليم الثالث يتزل إليه الأمر الإلهي من السماء الثالثة وتنظر إليه روحانية كوكبها والبذل الذي يحفظه على قلب هارون ويحيى عليهما السلام بتأييد محمد عليه الصلاة والسلام والإقليم الرابع يتزل الأمر إليه من قلب الأفلاك كلها وتنظر إليه روحانية كوكبها الأعظم والبذل الذي يحفظه على قدم ادريس عليه السلام وهو القطب الذي لم تمت إلى الآن والأقطاب فينا نوابه والإقليم الخامس يتزل إليه الأمر من السماء الخامسة وتنظر إليه روحانية كوكبها والبذل الذي يحفظه على قلب عيسى روح الله ويحيى عليهما والسلام والإقليم السابع يتزل الأمر إليه من السماء الدنيا

وينظر إليه روحانية كوكبها والبدل الذي يحفظه على قلب آدم عليه السلام واجتمعت بهؤلاء الأبدال السبعة بحرم مكة خلف حطيم الحنابلة وجدتهم يركعون هناك فسلمت عليهم وسلموا علينا وتحدثت معهم فما رأيت أحسن سمتاً منهم ولا أكثر شغلاً منهم بالله ما رأيت مثلهم ألا سقيط الرفرف ابن ساقط العرش بقونية وكان فارسياً وصل وأعلم أن الفرق الذي بين مزاج العنصر الواحد وأمتزاجه بعضه ببعضه أو أمتزاجه بعنصر آخر كأمتزاج الماء بالتراب فيحدث إسم الطين فما هو تراب وما هو ماء والأمتزاج في العنصر الواحد كالنيل والأسفيداج إذا مزجاً بالسحق وأختلطت أجزاؤهما وأمتزجت أمتزاجاً لا يمكن الفصل بينهما يحدث بينهما لون آخر ما هو لواحد منهما ويحدث لهذا الأمتزاج حكم في آخر الأفعال الطبيعية وكالماء العذب والماء الملح إذا أمتزجا حدث بينهما طعم آخر ما هو ملح ولا عذب فهذا ما أعطاه الأمتزاج في العنصر الواحد وكذلك الماء بما هو بارد إذا أعطت النار فيه التسخين بحيث أن لا تبقى بارداً ولا تبلغ به درجتها في السخانة فيكون فاتراً لا حاراً ولا بارداً فهذا أمتزاج لا يشبه أمتزاج العنصر بعضه في بعضه ولا أمتزاج العنصرين وأما المزاج فهو ما كان به وجود عين العنصر وهو المسمى بالطبع فيقال طبع الماء أو مزاج الماء أن يكون بارداً رطباً والنار حارة يابسة والهواء حاراً رطباً والتراب بارداً يابساً فما ظهرت أعيان هذه الأركان ألا بهذا المزاج الطبيعي فكل مزاج طبيعي وليس الأمتزاج كذلك فبالأمتزاج الذي ذكرناه في عنصر الماء نعلم قطعاً أن أجزاء الماء الملح مجاورة أجزاء الماء العذب وأجزاء النيل مجاورة أجزاء الأسفيداج مجاورة بالعقل لا يدركها الحس ولا يفصلها ولكن في الأمتزاج يحدث للطبيعة حكم في هذه الصور الظاهرة من الأمتزاج كتركيب الأدوية فكل عقار فيه له نفع على حدة ثم إذا مزج الكل كان بهذه المثابة وكان للطبيعة في المجموع حكم ولا بد فإذا جعل الكل في أناء واحد وصب على الجميع ماء واحد أعطي كل عقار في كل جوهر من ذلك الماء قوة فيكون في الجوهر الواحد من الماء قوة كل واحد من العقاقير ما لم تتضاد القوى فهذا وأن كان أمتزاجاً فما هو مثل ذلك الأمتزاج ولا بلغ حكمه حكم المزاج فهذه حالة معقولة بين المزاج وبين الأمتزاج لا يقال فيه مزاج ولا أمتزاج وكذلك الأرض وأن كانت سبعة طباق فقد يعسر في الحس الفصل بينهما مع علمنا بأن كل واحدة منهن لا تكون بحيث الأخرى كما لا يكون الجوهر بحيث جوهر آخر وعرضه يكون بحيث موضوعه وحامله فهكذا يكون كون الأشياء وفسادها وما يلحقها من التغيير أنتهى الجزء الثالث والعشرون ومائة

الجزء الرابع والعشرون ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل وأما ما يلحق الأجسام العنصرية من لواحق الطبيعة في الأجسام فكثير فمن ذلك حركة العنصر وسكونه هو هو مخالف لحركة الفلك وسكونه لو فرض سكونه أو هل سكونه كسكون السماء الذي لا يقول به إلا أهل هذا الشأن منا فأما حركة الفلك وهو من الأجسام الطبيعية فإنه يتحرك. بمحرك ليس هو وهكذا كل متحرك في العالم وساكن ما هو متحرك لذاته ولا ساكن لذاته بل بمحرك ومسكن وذلك المحرك له لا بد أن يكون محركاً له بذاته أو محركاً له بما هو يريد تحريكه فأما من يرى أن محركه يحركه لذاته فهو القائل بخلق الحركة في الجسم والحركة تعطي لذاها فيمن قامت به التحرك فهي حركة المتحرك لذاها والسكون مثل ذلك وأن كان المحرك بما هو يريد تحريكه فقد يحركه بواسطة وبغير واسطة أي بواسطة لا تتصف بأنها مريدة لتحريكه ولو كانت ذا أرادة كالجبور فيمن كان ذا أرادة أو تحريك الغصن بتحريك الريح التي تحدثه حركة المروحة من حركة يد الذي يروحه بها وبغير واسطة كأنسان هز عصاً في يده فأضطربت أو يكون المتحرك هو المتحرك بالأرادة في ذاته كتتحرك الإنسان في الجهات التحرك الأرادي فالفلك عندنا متحرك تحرك الإنسان في الجهات لأنه يعقل ويكلف ويؤمر كما قال عليه السلام في ناقته أنها مأمورة وقال عليه السلام في الشمس أنها تستأذن في الطلوع وحينئذ تطلع فيؤذن لها فإذا جاء وقت طلوعها من مغربها يقال لها أرجعي من حيث جئت فتصبح طالعة من مغربها فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها فالفلك متحرك بالأرادة ليعطي ما في سمائه من الأمر الألهي الذي يحدث أشياء في الأركان والمولدات وتلك الحركات الفلكية يظهر الزمان فالزمان لا يحكم في مظهره وإنما يحكم فيما دونه فلا حكم للزمان في حركات الفلك لأنه المظهر عينه وللحوادث الظاهرة والطارئة في الأفلاك والسموات والعالم العلوي أسباب غير الزمان وحركات الفلك مرتبة متتالية الأجزاء على طريقة واحدة كتتحرك الرحي فكل جزء لا يفارق مجاوره وحركة الأركان ليست كذلك فإن حركة العنصر متداخلة بعضها في بعض يزول كل جزء عن الجزء الذي كان يجاوره ويعمر أحياناً غير أحيازه التي كان فيها فأسباب حركة العنصر تخالف أسباب حركة الفلك لأن حركة الفلك ما تعرف سوى ما تعطيه في الأركان من التحريك وشعاعات كواكبها بما أودع الله فيها من العقل والروح والعلم تعطي في أشخاص كل نوع من المولدات على التعيين من معدن ونبات وحيوان وجن وملك مخلوق من عمل أو نفس بقول من تسبيح وذكر أو تلاوة وذلك لعلمها بما أودع الله لديها وهو قوله تعالى "وأوحى في كل سماء مرها" فمن لا كشف له يرى أن ذلك كله الكائن عن سرياتها أنها مسخرات في حركاتها لإيجاد هذه الأمور كتتحريك الصانع للآلات لإيجاد صورة ما يريد إيجادها كالصورة في الخشب وغيره ولا تعرف الآلات شيئاً من ذلك ولا ما صدر عنها وأن كانت تلك الصور لا تظهر إلا بهذه الآلات هكذا يزعم من يذهب إلى غير ما ذهبنا إليه وذهب إليه أهل الله من أهل الكشف والوجود ونحن نقول أن آلة النجار ربما تعلم أكثر مما يعلم الصانع بما فإنها حية ناطقة عالمة بخالقها مسبحة بحمد ربها عالمة بما خلقت له عند أهل الكشف فإن المكاشف إذا كشف الله عن بصره وسمعه تناديه أشجار الأرض ونجمها بمنافعها ومضارها كما قالت الأحجار لداود عليه السلام يقول كل حجر يا داود خذني فإننا أقتل جالوت وقال له الحجر الآخر خذني فإني أجعل الكسرة في ميمنة عسكره فقد علم كل حجر ما خلق له فأخذ داود تلك الأحجار فوقع الأمر كما ذكرت ولما لم يبلغ بعض الناس

هذه الدرجة ولا طولع بها أنكرها ولم يكن ينبغي له ذلك فما من متحرك في العالم ألا وهو عالم بما إليه يتحرك ألا الثقلين فقد يجهلون ما يتحركون إليه بل يجهلون ألا من شاء الله من أهل الكشف من مريد وغيره قال الله للسماء والأرض أثنيًا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين وأتيان الأرض حركة وانتقال لما دعيت إليه فجاءت طائعة فكل جزء في الكون عالم بما يراد منه فهو على بصيرة حتى أجزاء بدن الإنسان فما يجهل منه ألا لطيفته المكلفة الموكلة إلى استعمال فكرها أو تنظر بنور الإيمان حتى يظهر ذلك النور على بصرها فيكشف ما كان خبراً عندها فإذا كانت حركة العنصر تخالف حركة الفلك بالتداخل وبما يطرأ عليها من السكون في بعض أجزاء العنصر لا في كله فنعلم قطعاً أن حكم الحركة في العنصر

يخالف حكم حركة الفلك فحكم حركة العنصر أي عنصر كان فإن كان بين عنصرين كالهواء والماء أولاً يكون بين عنصرين كالنار والأرض فحركة الهواء العنصري يظهر فيه من الأثر بحسب ما يباشر منه ما فوقه ومت تحته وكذلك عنصر الماء وأما حركة النار فلا تؤثر فيه ألا الهواء وحركة الأرض لا تؤثر فيه ألا الماء والهواء وبهذا يفارق هذا العنصر عنصر النار فإذا أثر النار التسخين فيما عداه من الأركان فيأخذ أمرين أما بوساطة شعاع الكوكب الأعظم وهو الشمس فإن شعاعها يمر على الأثر فيكتسب زيادة كميات في حرارته أو بوساطة النار المحمولة في الفحم أو الحطب وهذه الآثار التي تظهر في العنصر من غيره أن لم يكن له أمداد من العنصر الذي ظهر عنه ذلك الأثر والأغلب عليه حكم العنصر الذي ظهر فيه الأثر فأفسده فهذا من أنواع الكون والفساد الظاهر في أجسام العناصر ثم لتعلم أن التحقيق في الحركة والسكون أنهما نسبتان للذوات الطبيعية المتحيزة المكانية أو القابلة للمكان أن كانت في الأماكن وذلك أن المتحيز لا بد له من حيز يشغله بذاته في زمان وجوده فيه فلا يخلوا ما أن يمر عليه زمان ثان أو أزمنة وهو في ذلك الحيز عينه فذلك المعبر عنه بالسكون أو يكون في الزمان الثاني في الحيز الذي يليه وفي الزمن الثالث في الحيز الذي يلي الحيز الثاني فظهوره وأشغاله لهذه الأحياز حيزاً بعد حيز لا يكون ألا بالانتقال من حيز إلى حيز ولا يكون ذلك ألا بمنقل فإن سمي ذلك الانتقال حركة مع عقلنا أنه ما ثم ألا عين المتحيز والحيز وكونه شغل الحيز الآخر المجاور لحيزه الذي شغله أولاً فلا يجمع ومن ادعى أن ثم عيناً موجودة تسمى حركة قامت بالمتحيز أوجبت له الانتقال من حيز إلى حيز إلى حيز فعليه بالدليل فما أنتقل ألا بمنقل أما أن كان ذا أرادة فبأرادته أو بمنقل غيره نقله من حيز إلى حيز وكذلك الاجتماع والأفتراق نسبتان للمتحيزات فالاجتماع كون متحيزين متجاورين في حيزين لا يعقل بينهما ثالث والأفتراق أن يعقل بينهما ثالث أو أكثر فاعلم ذلك ثم أن الزمان والمكان من لواحق الأجسام الطبيعية أيضاً غير أن الزمان أمر متوهم لا وجود له تظهره حركات الأفلاك أو حركات المتحيزات إذا اقترن بها السؤال بمحى فالحيز والزمان لا وجود له في العين أيضاً وإنما الوجود لذوات المتحركات والساكنات وأما المكان فهو ما تستقر عليه المتمكنات لا فيه فإن كانت فيه فلك الأحياز لا المكان فالمكان أيضاً أمر نسبي في عين موجودة يستقر عليها المتمكن أو يقطعه بالانتقالات عليه لا فيه فإن اتصلت المتحيزات بطريق المجاورة على نسق خاص لا يكون فيه تداخل فذلك الاتصال فإن توالى الانتقالات حالاً بعد حال فذلك التابع والتتالي من غير أن يتخللها فترة فإن دخل بعضها على بعض ولم يفصل الداخل بين التصلين فذلك الالتحام فما دخل في الوجود منه وصف بالتناهي وما لم يدخل قيل فيه أنه لا يتناهي أن فرض متتالياً أبداً وأن أعطت هذه الانتقالات استحالة كان الكون والفساد فإنتقال الشيء من العدم إلى الوجود يكون كوناً وأزالة ما ظهر عنه من صورة الكون يسمى فساداً فإذا أنتقل من وجود إلى وجود يسمى متحركاً وأما ما يلحق هذه الأجسام من الألوان والأشكال والخفة والثقل واللفظ والكثافة والكدورة والصفة واللين والصلابة وما أشبه ذلك من لواحقه فإنه يرجع إلى أسباب مختلفة فأما الألوان فعلى

قسمين منها ألوان تقوم بنفس المتلون ومنها ألوان تظهر لناظر الرائي وما هي في عين المتلون لأختلاف الأشكال وما تعطيه النور في ذلك الجسم فإنه بالنور يقع الإدراك وكذلك الأشكال مثل الألوان ترجع إلى أمرين إلى حامل الشكل وإلى حس المدرك له وأما ما عداه مما ذكرناه من لواحق الأجسام فهي راجعة إلى المدرك لذلك لا إلى أنفسها ولا إلى الذات الموصوفة التي هي الأجسام الطبيعية هذا عندنا فإن اللطيفة كالهواء لا تضبط صورة النور والجسم الكثيف يظهره ورأينا من لا يحجبه الكثائف وصورتها عنده صورة اللطائف في نفوذ الإدراك فإذا ما هي كثائف ألا عند من ليس له هذا النفوذ فمنها من لا يحجبه الجدران ولا يثقله شيء فصار مآل هذه الأوصاف إلى المدرك ولو كانت لذوات الأجسام لوقع التساوي في ذلك كما وقع التساوي في كونها أجساماً فإذا ليس حكم اللواحق يرجع إلى ذوات الأجسام عندنا وأما عند الطبيعيين فإنهم وأن

أختلفوا فما هم على طريقنا في العلم بهذا وأعلم أن الشيء الواحد العين إذا ظهرت عنه الآثار المختلفة فإن ذلك من حيث القوابل لا من حيث عينه ومن هنا إذا حققت هذه المسئلة يبطل قول الحكيم لا يصدر عن الواحد ألا واحد وصورة ذلك في العنصر الذي نحن بصده أن النار بما هي نار لا يتغير حكمها من حيث ذاتها وتجد آثارها مختلفة الحكم فتتير أجساماً ولا تنير أجساماً مع أن أنارتها بالأشتعال فالهواء لها مساعد وتعقد أشياء وتسيل أشياء وتسود وتبيض وتسخن وتحرق وتنضج وتذيب الجوامد وهي على حقيقة واحدة وأستعداد القوابل مظهر أختلاف الآثار منها في الحكم فالعين واحدة والحكم مختلف ويدرك العلم ما لا يدرك البصر وأعلم أن الأشياء بآحادها لها حكم وبأمتراجاتها تحدث لها أحكام لم تكن ولا لواحد منها ولا يدري على الحقيقة من هو المؤثر من أحد الممتزجين هل هو لواحد أو هل لكل واحد فيه قوة والذي حدث لا يقدر على أنكاره فإننا نعرف سواد المداد حدث بعد أن لم يكن من أمتزاج الزاج والعفص فهل الزاج صبغ العفص وهو المؤثر والعفص هو المؤثر فيه إسم مفعول ولو كان ذلك لبقى الزاج على حاله إذا كان غير ممتزج وينصبغ ماء العفص والمشهود خلاف ذلك وكذلك القول في العفص فلم يبق ألا حقيقة المزاج وهي التي أحدثت السواد ما هو لواحد بعينه حقيقة ما قلناه في الألهيات سنفرغ لكم أيه الثقلان وبأبي الله يوم القيامة للفصل والقضاء وبيده الميزان يخفض ويرفع الله ولا عالم هل يتصف بوقوع هذا الفعل فظهر بالعالم ما لم يظهر ولا عالم فليس الحكم على السواء فقال النبي صلى الله عليه وسلم كان الله ولا شيء معه ولم يقل وهو الآن على ما عليه كان كيف يقول ذلك صلى الله عليه وسلم وهو أعلم الخلق بالله وهو الذي جاء من عند الله بقوله كل يوم هو في شأن وسنفرغ لكم أيه الثقلان وفرغ ربك من كذا وكذا ويتزل ربنا إلى السماء وقد كان ولا سماء ولا عالم هل كان يوصف بالتزول إلى من أو من أين ولا أين ثم أحدث الأشياء فحدثت النسب فأستوى ونزل وأخذ الميزان فخفض ورفع بذا وردت الأخبار التي لا ترزها العقول السليمة من الأهواء والايان بها واجب والكيف غير معقول فهو الواحد الواحد الماحد الذي ليس كمثل شيء لولا وجود النفس وأستعدادات المخارج في النفس ما ظهر للحروف عين ولولا التأليف ما ظهر للكلمات عين فالوجود مرتبط بعبضه ببعض فلولا الحرج والضيق ما كان للنفس الرحمان حكم فإن التنفيس هو إزالة عين الحرج والضيق فالعدم نفس الحرج والضيق فإنه يمكن أن يوجد هذا المعدوم فإذا علم الممكن أمكانه وهو في حال العدم كان في كرب الشوق إلى الوجود الذي تعطيه حقيقته ليأخذ بنصيبه من الخير فنفس الرحمن بنفسه هذا الحرج فأوجده فكان تنفيسه عنه إزالة حكم العدم فيه وكل موجود سوى الله فهو ممكن فله هذه الصفة فنفس الرحمن هو المعطي صور الممكنات الوجود كما أعطي النفس وجود الحروف فالعالم كلمات الله من حيث هذا النفس كما قال "وكلمته ألقاها إلى مريم" وهو عين عيسى عليه السلام وأخبر أن كلمات الله لا تنفذ فمخلوقاته لا تزال توجد ولا يزال خالقاً وكذلك لما رأينا في هذه الأجسام

العنصرية أموراً مختلفة الصور مختلفة الأشكال مختلفة المزاج ومع هذا ما يخرجها ذلك الاختلاف عن حقيقة كونها يجمعها حد واحد وحقيقة واحدة كأشخاص الحيوان على اختلاف أنواعه وأشكاله كالطير لا يخرجها ما ظهر فيه من اختلاف المقادير والأشكال والألوان عن كونه طيراً فعلماً أن هذا الاختلاف ما هو لكونه أنساناً ولا لكونه طيراً فإن الأنسانية في كل واحد واحد من أشخاصها مع ظهور الاختلاف فلا بد لذلك من حقائق أخر معقولة أوجبت لها ذلك الاختلاف فبحثنا عن ذلك في العلم الألهي الذي هو مطلوبنا أذ كان الوجود مرتبطاً به فوجدناه تعالى لا يكرر تجلياً ويظهر في صورة ينكر فيها وفي صورة يعرف فيها وهو الله تعالى في الصورتين الأولى والآخرة وفي كل صور التجلي فقامت صور التجلي في الألوهية مقام اختلاف أحوال صور أشخاص النوع في النوع فعلماً أن تغير أشخاص النوع من هذه الحقيقة الألهية فعلماً أنا ما علمنا من الحق ألا ما أشهدنا وأن الله تجلي للنوع من حيث ما هو نوع فلم يتغير عن نوعيته كما لم يزل ألهاً في ألوهته ثم يظهر لذلك النوع في صور مختلفة أقتضتها ذاته تعالى فظهر في أشخاص النوع اختلاف

صور على وزنها ومقدارها فلولا أنه في استعداد هذا النوع المتغير بالشخص في الأشكال والألوان والمقادير التي لا تخرجه عن نوعيته لما قبل هذا التغير ولكان على صورة واحدة وإذا كان الكثيف مع كثافته مستعد القبول الصور المختلفة بصنعة الصانع فيه كالخشب وما تصور منه بحسب ما يقوم في نفس الصانع من الصور المختلفة فاللطيف أقبل للاختلاف كالماء والهواء فما كان ألطف كان أسرع بالذات لقبول الاختلاف فتبين لك أن اختلاف صور العالم من أعلاه لطفاً إلى أسفله كثافة لا يخرج كل صورة ظهر فيها عن كونه نفس الرحمن قال تعالى "والله أنبتكم من الأرض نباتاً" فالأرض واحدة وأين صورة النجم من صورة الشجر على اختلاف أنواعها من صورة الإنسان من صور الحيوان وكل ذلك من حقيقة عنصرية ما زالت عنصريتها باختلاف ما ظهر فيها فأختلاف العالم بأسره لا يخرجها عن كونه واحد العين في الوجود فريد ما هو عمرو وهما أنسان فهما عين الإنسان لا غيره فمن هنا تعرف العالم من هو وصورة الأمر فيه أن كنت ذا نظر صحيح وفي أنفسكم أفلا تبصرون ما ثم ألا النفس الناطقة وهي العاقلة والمفكرة والمتخيلة والحافظة والمصورة والمعذية والمنمية والجاذبة والدافعة والهاضمة والماسكة والسامعة والباصرة والطاعمة والمستنشقة واللامسة والمدركة لهذه الأمور واختلاف هذه القوى واختلاف الاسماء عليها وليست بشيء زائد عليها بل هي عين كل صورة وهكذا تجده في صور المعادن والنبات والحيوان والأفلاك والأماك فسيحان من أظهر الأشياء وهو عينها

وما سمعت أذني خلاف كلامه

وكل شخص لم يزل في منامه

فمن لام فليلحق به في ملامه

فما نظرت عيني إلى غير وجهه

فكل وجود كان فيه وجوده

فتعبير رؤيانا لها في منامنا

ومما يتعلق بهذا الباب وبياب ركن الماء ما يظهر فيهما من السخانة عن الشعاعات النورية المنفهمة من ذات الشمس أين أصلها في العلم الألهي فإن الأجسام الأرضية والمائية إذا اتصلت بها أشعة الأنوار الشمسية والكوكبية يرى بعض الأجسام يسخن عند أنبساط الشعاع عليه وبعض الأجسام على برده لا يقبل التسخين مع اختراق الشعاعات ذلك الجسم كدائرة الزمهرير وما علا من الجو لا أثر لحر الشعاعات فيه فاعلم أن للوجه الألهي سبحات محركات لولا الحجب لأحرقت العالم فلا تخلو هذه الحجب أما أن تكون من

العالم ولا شك أن السبحات لو لم تنبسط على الحجب لما كانت حجباً عنها ولو أقتضت السبحات الأحراق أحرقت الحجب ثم لا تخلو الحجب أن تكون كثيفة أو لطيفة فإن كانت لطيفة لم تحجب كما لم يحجب الهواء اتصال شعاع الشمس بالأجسام الأرضية وأن كانت كثيفة كالجدران وأشباهاها فلا خفاء أن الجدار يسخن بشعاع الشمس إذا كان متراس الأجزاء غير مخلخل ثم أن النور لا تحجبه الظلمة لأنه ينفرها فلا تجتمع به لكن تجاوره من خلف الحجاب الموجد للظلمة التي تباشر النور فالظلمة تجاور الشعاع والموجد للظلمة يقبل أنبساط الشعاع عليه فلا تكون الظلمة حجاباً بهذا الاعتبار وقد ثبت كونها حجاباً وكون النور حجاباً على نور الوجه والنور يتقوى بالنور لا يحجبه فأفهم حقيقة سبحات الوجه وأنها دلائل ذاتية إذا ظهرت أحرقت نسباً لأعياناً فبين أنها عين تلك الأعيان أعني الوجه فزال الجهل الذي كانت ثمرته أن العالم ما هو عين الوجه فبقي العالم على صورته لم تذهب السبحات بل أثبتته وأبانت عن وجه الحق ما هو فكان الحجاب معنوياً فأحرقت النسبة

الفصل الثاني والثلاثون في الاسم الألهي العزيز وتوجهه على إيجاد المعادن وله حرف الطاء المعجمة ومن المنازل سعد الذابح أعلم أن الذات لما أختصت بسبع نسب تسمى صفلت إليها يرجع جميع الاسماء والصفات وقد ذكرنا رجوعها إليها في كتاب أنشاء الجداول كما ذكرها من تقدم قبلنا غير أني زدت على من تقدم بالحاق الاسم المحيب مع الاسم الشكور لصفة الكلام فإن المتقدمين قبلنا ما ألحقوا بالاسم الشكور الاسم المحيب وكانت السموات سبعاً والسيارة سبعة والأرضون سبعة والأيام سبعة جعل الله تكوين المعادن في هذه الأرض عن سباحة هذه السبعة الداراري بسبعة أفلاكها في الفلك المحيط فأوجد فيها سبعة معادن ولما كان الاسم العزيز المتوجه على إيجادها ولم يكن لها مشهود سواه عند وجودها أثر فيها عزة ومنعاً فلم يقو سلطان الاستحالة التي تحكم في المولدات والأمهات من العناصر يحكم فيها بسرعة الأحوال من صورة إلى صورة مثل ما يحكم في باقي المولدات فإن الاستحالة تسرع إليهم ويظهر سلطانها فيهم بزيادة ونقص وخلع صورة منهم وعليهم وهذا يبعد حكمه في المعادن فلا تتغير الأحجار مع مرور الأزمان والدهور ألا عن بعد عظيم وذلك لعزتها التي أكتسبتها من الاسم الألهي العزيز الذي توجه على إيجادها من الحضرة الألهية ثم أن هذا الاسم طلب بإيجادها رتبة الكمال لها حتى تتحقق بالعزة فلا يؤثر فيها دونه إسم أهلي نفاسة منه لأجل أن تساهم إليه وعلم العلماء بأن وجودها مضاف إليه فلم يكن القصد بها ألا صورة واحدة فيها عين الكمال وهو الذهبية فطرات عوارض لها في الطريق من الاسم الضار و وأخزانه فامرض أعيانهم وعدل بهم عن طريقهم حكمت عليهم بذلك المرتبة التي مروا عليها ولا يتمكن لإسم أن يكون له حكم في مرتبة غيره فإن صاحب المنزل أحق بالمنزل وهم أرباب الأدب الإلهي ومعلمو الأدب فيبقى الاسم العزيز في هذه المرتبة يحفظ عين جوهر المعدن وصاحب المرتبة من الاسماء يتحكم في صورته لا في عين جوهره وللأسماء الإلهية في المولدات والعناصر سدنة من الطبائع ومن العناصر يتصرفون في هذه الأمور بحكم صاحب المرتبة الذي هو الاسم الإلهي وهم المعدن وحرارته وبرد الشتاء وحرارة الصيف والحرارة المكلفة والبرودة والرطوبة واليبوسة ولكل واحد مما ذكرناه حكم يخصه يظهر في جوهر المولدات والعناصر فيسحق ويكثف ويبرد ويسخن ويرطب ويبيس ورتبة الكمال من تعادل فيه هذه الأحكام وتتمنع ولا يقوى واحد منهم منهم على إزالة حكم صاحبه فإذا تتره الجوهر عن التأثير فخلع صورته عنه ومنع نفسه من ذلك حكم رتبة الكمال وليس إلا الذهب في المعدن وأما سائر الصور فقامت بها أمراض وعلل أخرجتهم عن طريق الكمال فظهر الزئبق والأسرب والقزدير والحديد والنحاس والفضة كما ظهر الياقوت الأصفر والأكهب في جوهر الياقوت ولما فارقت المعدن الذي هو موطنها في ركن الأرض بقيت على مرضها ظاهرة بصورة الاعتدال دائماً فالخاذق التحرير من علماء الصنعة إذا عرف هذا وأراد أن يلحق ذلك المعدن برتبة

المال ولا يكون ذلك إلا بإزالة المرض وليس المرض إلا زيادة أو نقصاً في الجوهر وليس الكب إلا زيادة تزيل حكم النقص أو نقصاً يزيل حكم الزيادة وليس الطبيب إلا أن يزيد في الناقص أو ينقص من الزائد فينظر الحاذق من أهل النظر في طب المعادن ما الذي صيره حديداً أو نحاساً أو ما كان وحال بينه وبين الذهبية أن يصل إلى منزلتها ويظهر صورتها فيه فيفوز بدرحة الكمال ويجوز درجة العزة والمنع عن التأثير فيه وتساعد هذا الطبيب سباحة الأنوار السبعة في أفلاكها أعني الدراري وهي القمر والكاتب والزهرة والشمس والأحمر والمشتري وكيوان بما في قوتها لما يعطيه بعضها من اختلاف الزمان وحكم كل زمان يخالف حكم الذي يليه من وجه ويوافقه من وجه ويخالفه من وجه وجميع الوجوه ولا يمكن أن يوافقه من جميع الوجوه إذ لو وافقه لكان عينه ولم يكن اثنان وهما بلا شك فالموافقة من جميع الوجوه لا تكون ولكرور هذه الأزمان وتوالي الجديدين أثر في الأركان وأثر في عين الولد في تسوية جوهره وتعديله فإذا سواه وعدله وهو أن يصيره جوهرًا قابلاً لأي صورة يريد الحق أن يركبه فيها والصور مختلفة فاختلفت المعادن كما اختلفت النبات بالصورة كما اختلف الحيوان بالصورة وهو من حيث الجوهر الطبيعي واحد العين ولهذا يعمه من حيث جوهره حد واحد وما

تختلف الحدود فيه إلا من أجل الصورة وكذلك في الآباء والأمهات بل جوهر العالم كله واحد بالجوهريّة والعين تختلف بالصور وما يعرض له من الأعراض فهو المجتمع المفترق والواحد الكثير صورة الحضرة الإلهية في الذات والاسماء فيرد الحاذق الجوهر المعلول الذي عدلت به علته عن طريق الكمال إلى طريقه ليتمكن من تديره وحفظ بقاء صحته عليه ويحفظه مما بقي له في طريقه من منازل التغيرات الحائلة بينه وبين رتبة الكمال وإنما فعل الله هذا بهذا الجوهر في الطريق وسلط عليه من يعله ويمرضه حتى يحول بينه وبين بلوغه إلى رتبة الكمال العدني لمصالح هذا النوع الإنساني لعلمه بأنه يحتاج إلى آلات وأمور لا بد له منها ولا يكون له هذه الآلات إلا بقيام هذه الأمراض بهذا الجوهر وعدوله عن الطريق وحال الله سبحانه بين الأطباء وبين العلم بإزالة هذه الأمراض من هذا الجوهر إلا الأئمة منهم الذين علم الله منهم أنهم ييقنون الحكمة على ما وضعها الله في العالم فيبقى الحديد حديداً لما فيه من المنافع التي لا تكون في الذهبولا في غيره من المعادن كما قال تعالى "وأنزّلنا الحديد" يريد أنه أنزله عن رتبة الكمال لأجل ما فيه من منافع الناس فلو صح من مرضه لطفى وارتفع ولم توجد تلك المنافع وبقي الإنسان الذي هو العين المقصودة معطل المنافع المتعلقة بالحديد التي لا تكون إلا فيه ففقيهه كما قال تعالى "بأس شديد ومنافع للناس" وهكذا سائر المعادن فيها منافع للناس وقد ظهرت واستعملها الإنسان فإنظر ما أشد عناية الله بهذا النوع الإنساني وهو غافل عن الله كافر لنعمه متعرض لنقمه ولما علم الله أن في العالم الإنساني من حرمه الله الأمانة ورزقه إزاعة الأسرار الإلهية وسبق في علمه أن يكون لهذا الذي هو غير أمين رزقه في علم التدبير رزقه الشح به على أبناء جنسه بخلا وحسداً ونفاسة أن يكون مثله غيره فترك العمل به غير مأجور فيه ولا موافق لله ثم أن الله كثر المعادن ولم يجعل لهذا الإنسان أثر إلا فيما حصل بيده منها وما عسى أن يملك من ذلك فيظهر في ذلك القدر تديره وصنعتة ليعلم العقلاء الحكماء أنه غير أمين فيما أعطاه الله فإنه ما أذن له في ذلك من الله ثم أن الله جعل للمولوك رغبة في ذلك العلم فإذا ظهر به من ليس بأمين عندهم سألوه العلم فإن منعهم إياه قتلوه حسداً وغيظاً وأن أعطاهم علم ذلك قتلوه خوفاً وغيرةً ولما علم العالم أن ما له مع الملوك الأمثل هذا لم يظهر به عندهم ولا عند العامة لئلا يصل إليهم خبره لا أمانة وإنما ذلك خوفاً على نفسه فلا يظهر في هذه الصنعة عالم بها جملة واحدة والمتصور فيها بصورة العلم يعلم في نفسه أنه ما عند شيء وإنه لا بد أن يظهر للملك دعواه الكاذبة فيأمن غائلته في الغالب من القتل ويقنع بما يصل إليه من جهته من الجاه والمال للطمع الذي قام بذلك الملك فما زهر عالم بهذه الصنعة قط ولا يظهر

غيرة إلهية مع كونه قد رزقه الله الأمانة في نفسه ومن هذا الاسم الإلهي وجود الأحجار النفيسة كاليواقيت واللائي من زبرجد وزمرد ومرجان ولؤلؤ وبلخش وجعل في قوة الإنسان إيجاد هذا كله أي هو قابل أن يتكون عنه مثل هذا ويسمى ذلك في الأولياء خرق عادة والحكايات في ذلك كثيرة ولكن الوصول إلى ذلك من طريق التربية والتدبير أعظم في المرتبة في الإلهيات ممن يتكون عنه في الحين بجمته وصدقه فإن الشرف العالي في العلم بالتكوين لا في التكوين لأن التكوين إنما يقوم مقام الدلالة على أن الذي تكون عنه هذا بالتدبير عالم وصاحب خرق العادة لا علم له بصورة ما تكون عنه بكيفية تكوينها في الزمن القريب والعالم يعلم ذلك

الفصل الثالث والثلاثون في الاسم الإلهي الرزاق وتوجهه على إيجاد النبات من المولدات وله من الحروف الثاء المعجمة بالثلاثة وله من المنازل سعد بلع قال تعالى "إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين" وقال "أفأنتم النار التي تورون أنتم، شأتم شجرها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين" فجعلها للعلماء تذكرة فجاء بالاسم الرزاق بهذه البنية للمبالغة لإختلاف الأرزاق وهي مع كثرتها وإختلافها منه لا من غيره وإن المرزوقين مختلف قبولهم للأرزاق فما يتغذى به حيوان ما قد لا يصلح أن تكون لحيوان آخر لأن المراد بتناول الرزق بقاء المرزوق فإذا أكل ما فيه حتفه فما تغذى به وما هو رزق له وأن كان به قوام غيره فلذلك تسمى بنية المبالغة في ذلك ونعت هذا الرزاق بذي القوة المتين ولو نعت به الله لقال ذا القوة المتين فنصب ولا يتمكن نعت الاسم الله من حيث دلالة فإنه جامع للنقيضين فهو وإن ظهر في اللفظ فليس المقصود إلا أسماً خاصاً منه تكلمه قرينة الحال بحسب حقيقة المذكور بعده الذي لأجله جاء الاسم الإلهي فإذا قال طالب الرزق المحتلج إليه يا الله أرزقني والله هو المانع أيضاً فما يطلب بحاله إلا الاسم الرزاق فما أقل بالمعنى إلا يا رزاق أرزقني ومن أراد الإجابة في الأمور من الله فلا يسأله إلا بالاسم الخاص بذلك الأمر ولا يسأل باسم يتضمن ما يريده وغيره ولا يسأل بالاسم من حيث دلالاته على ذات المسمى ولكن يسأل من حيث المعنى الذي هو عليه الذي لأجله جاء وتميز به عن غيره من الاسماء تميز معنى لا تميز لفظ والعم أن الأرزاق منها معنوي ومنها حسي والمرزوقين منهم معقول ومنهم محسوس ورزق كل مرزوق ما كان به بقاؤه ونعيمه أن كان ممن يتنعم وحياته أن كان ممن يوصف بأنه حي وليست الأرزاق لمن جمعها وإنما الأرزاق لمن تغذى بها يحكى أنه اجتمع متحرك وساكن فقال المتحرك الرزق لا يحصل إلا بالحركة وقال الساكن الرزق يحصل بالحركة والسكون وبما شاء الله وقد فرغ الله منه فقال المتحرك فإننا أتحرك وأنت اسكن حتى أرى من يرزق فتحرك المتحرك فعندما فتح الباب وجد حبة عنب فقال الحمد لله غلبت صاحبي فدخل عليه وهو مسرور فقال له يا ساكن تحركت فرزقت ورمى بحبة العنب إلى الساكن فأخذها الساكن فأكلها وحمد الله وقال يا متحرك سكنت فأكلت والرزق لمن تغذى به فأول رزق ظهر عن الرزاق ما تغذت به الاسماء من ظهور آثارها في العالم وكان فيه بقاؤها ونعيمها وفرحها وسرورها وأول مرزوق في الوجود الاسماء فتأثير الاسماء في الأكوان رزقها الذي به غذاؤها وبقاء الاسماء عليها وهذا معنى قولهم أن للربوبية سر الوظهر لبطلت الربوبية فإن الإضافة بقاء عينها في المتضايقين وبقاء المضامين من كونهما مضافين إنما هو بوجود الإضافة فالإضافة رزق المتضايقين وبه غذاؤهما وبقاؤهما متضايقين فهذا من الرزق المعنوي الذي يهبه الاسم الرزاق وهو من جملة المرزوقين فهو أول من تغذى بما رزق فأول ما رزق نفسه ثم رزق نفسه ثم رزق الاسماء المتعلقة بالرزق الذي يصلح لكل إسم منها وهو أثره في العالم المعقول والمحسوس ثم نزل في النس الإلهي بعد الاسماء فوجد الأرواح الملكية فرزقها التسبيح ثم نزل إلى العقل الأول فغذاه بالعلم الإلهي والعلم المتعلق بالعالم الذي دونه وهكذا لم يزل ينزل من عين ما يطلب ما به بقاؤه وحياته إلى عين حتى عم العالم كله بالرزق فكان رزاقاً فلما وصل إلى النبات ورأى ما يحتاج إليه من الرزق المعين فأعطاه ما به غذاؤه فرأى جل غذائه في الماء فأعطاه الماء له ولكل حي في العالم وجعله

رزقاً له ثم جعله رزقاً لغيره من الحيوان فهو والاحيوان رزق ومرزوق فيرزق فيكون مرزوقاً ويرزق به فيكون رزقاً وهكذا جميع الحيوان يتغذى ويتغذى به فالكل رزق ومرزوق

فيرزق الماء رزقاً لكل حي لأنه بارد رطب والعالم في عينه غلبت عليه الحرارة واليبوسة وسبب ذلك أن العالم مقبوض عليه قبضاً لا يتمكن له الانفكاك عنه لأنه قبض إلهي واجب على كل ممكن فلا يكون إى هكذا والإنقباض في المقبوض ييس بلا شك فغلب عليه اليبس فهو يطلب بذاته لغلبة اليبس مايلين به ويرطب فتراه محتاجاً من حيث ييسه إلى الرطوبة وأما احتياجه إلى البرودة فإن العالم مخلوق على الصورة ورأى أن من خلق على صورته مطلق الوجود يفعل ما يريد فأراد أن يكون بهذه المثابة ويخرج عن القبض عليه فيكون مسرح العين غير مقبوض عليه في الكون والإمكان يأبى ذلك والصورة تعطيه القوة لهذا الطلب ولا ينال مطلوبه فيدركه الغين فيحمي فتغلب الحرارة عليه فيتأذى فيخاف الإنعدام فيجتنح إلى طلب البرودة ليسكن بها ما يجده من ألم الحرارة ويحي بها نفسه ويس القبض الذي هو عليه يطلب الرطوبة فنظر الاسم الرزاق في غذاء يحيا به يكون بارداً ليقابل به الحرارة وسلطانها ويكون رطباً فيقابل به سلكان اليبس فوجد الماء بارداً رطباً فجعل منه كل شئ حي في كل صنف صنف بما يليق به قال تعالى "وجعلنا من الماء كل شئ حي أفلا يؤمنون" أي يصدقون بذلك وإنما قرن به الايمان لجواز خلافه عقلاً الذي هو ضد الواقع من أنه لو غلب عليه خلاف ما غلب عليه أهلكه فلا بد أن تكون حياته في نقيض ما غلب عليه ألا ترى لو غلب عليه البرد والرطوبة هلك ولم يكن له حياة إلا الحارة واليبس فكان يقال في تلك الحال وجعلنا من النار كل شئ حي ولو غلب عليه البرد واليبس لكانت حياته بالهواء فيقال في تلك الحال وجعلنا من التراب كل شئ ثم هذا ما يحتمله التقسيم في هذا لو كان فلما كان الواقع في العالم غلبة الحرارة واليبوسة عليه لما ذكرناه من سبب الصورة والقبض ثار عليه سلكان الحرارة واليبس فلم تكن له حياة إلا ببارد رطب فكان الماء فقال "وجعلنا من الماء كل شئ حي أفلا يؤمنون" ويتزرون في قولنا من الماء فيعلمون طبع الماء وأثره وفيمن يؤثر وما إذا يدفع به فيعلم أن العالم موصوف بنقيض ما يقتضيه الماء فيحكم عليه به فيعلم الناظر من طبع الدواء ما يقابل به طبع المرض الذي نزل بهذا المريض فنفس الركن عنه كما كان يجده هذا المريض فهذا من النفس الرحمان فالأرزاق كلها عند المحقق أدوية لأن العالم كله يخاف التلف على نفسه لأن عينه ظهر عن عدم وقد تعشق بالوجود فإذا قام به من يمكن عنده إذا غلب عليه إن يلحقه بالعدم سارع إلى طلب ما يكون به بقاءه وإزالة حكم مرضه أو توقع مرضه فذلك رزقه الذي يحيا به ودواؤه الذي فيه شفاؤه أي نوع كان في الشخصيات وكل ما يقبل النمو فهو نبات والذي ينمو به هو رزقه ثم أن الرزق على نوعين في الميزان الموضوع في العالم لإقامة العدل وهو الشرع النوع الواحد يسمى حراماً والنوع الآخر يسمى حلالاً وهو بقية الله التي جاء نصها في القرآن قال تعالى "بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين" فهذه هي بقية للمؤمنين من قوله خلق لكم ما في الأرض جميعاً والايمان لا يقع إلا بالشرع وجاء هذا القول في قصة شعيب صاحب الميزان والمكيال فهذا علم مستفاد من الأعلام الألهي والرزاق هو الذي بيده هذا المفتاح فرزق الله عند بعض العلماء جميع ما يقع به التغذية من حلال وحرام فإن الله يقول "وما من دابة في الأرض ألا على الله رزقها" وهو ظاهر لا نص وقال فذروها تأكل في أرض الله "والله يرزق من يشاء بغير حساب" وقد نهانا عن التغذية بالحرام فلو كان رزق الله في الحرام ما نهانا عنه فأذن ما هو الحرام رزق الله وأما هو رزق ورزق الله هو الحلال وهو بقية الله التي أبقاها لنا بعد وقوع التحجير وتحريم بعض الأرزاق علينا ولتعلم من جهة الحقيقة أن الخطاب ليس متعلقه ألا فعل المكلف لا عين الشئ الممنوع التصرف فيه فالكل رزق الله والمتناول هو المحجور عليه لا المتناول بفتح الواو فإن الرزاق لا يعطيك ألا رزقك وما يعطي الرزاق لا يطعن فيه فلماذا علق الذم بفعل المكلف

لا بالعين التي حجر عليه تناولها فإن المالك لها لم يحجر عليه تناولها والحرام لا يملك وهذه مسئلة طال الخبط فيها بين علماء الرسوم وأما قوله "فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً" من العامل في الحال فظاهر الشرع يعطي أن العامل رزقكم فإن من هنا في قوله مما رزقكم الله للتبيين لا للتبعيض فإنه لا فائدة

للتبعيض فإن التبعيض محقق مدرك ببديهة العقل لأنه ليس في الوسع العادي أكل الرزق كله وإذا كانت للتبيين وهي متعلقة بكلوا فبين أن رزق الله هو الحلال الطيب فإن أكل ما حرم عليه فما أكل رزق الله فتدبر وأنظر ما به حياتك فذلك رزقك ولا بد ولا يصح فيه تحجير وسواء كان في ملك الغير أو لم يكن وهذه إشارة في تلخيص المسئلة وهي التي يطلبها الاسم الرزاق فإن المضطر لا حجر عليه وما عدا المضطر فما تناول الرزق لبقاء الحياة عليه وأما تناوله للنعيم به وليس الرزق ألا ما تبقى به حياته عليه فقد نهت خاطرك إلى فيصل لا يمكن رده من أحد من علماء الشريعة فإن الله يقول فمن أضطر غير باغ ولا عاد بعد التحجير وقال ألا ما أضطرتم إليه وذلك هو الرزق الذي نحن بصدده وهو الذي يعطيه الرزاق جعلنا الله من المرزوقين الذين لا يكونون أرزاقاً فإن الله أنبتنا من الأرض نباتاً وصل ثم أعلم أن الحركات في النبات على ثلاثة أقسام وأن الرأس من النبات هو الذي يطلب الحركات فحيثما توجه من الجهات نسب إليها فإذا قابل غيرها كان نكساً في حقه ثم أعتبر العلماء الجهات بوجود الإنسان وجعلوا الاستقامة في نشأته وحركته إلى جهة رأسه فسموا حركته مستقيمة وكل نبات أنما يتحرك إلى جهة رأسه فكل حركة تقابل حركة الإنسان على سمتها تسمى منكوسة وذلك حركة الأشجار وإذا كانت الحركة بينهما يقابل المتحرك برأسه الأفق كانت حركته أفقية فالنبات الذي لا حس له وله النمو حركته كلها منكوسة بخلاف شجر الجنة فإن حركة نبات الجنة مستقيمة لظهور حياتها فإنها الدار الحيوان والنبات الذي له حس على قسمين منه ما له الحركة المستقيمة كالإنسان ومنه من له الحركة الأفقية كالحيوان وبينها وسائط فيكون أول الإنسان وآخر الحيوان فلا يقوى قوة الإنسان ولا يبقى عليه حكم الحيوان كالقرد والنسناس كما بين الحيوان والنبات وسط مثل النخلة كما بين المعدن والنبات وسط مثل الكماة فحركة النبات منكوسة ومنها مخلقة وغير مخلقة فالمخلقة تسمى شجراً وهو كل نبات قام على ساق وغير المخلقة يسمى نجماً وهو كل نبات لم يقيم على ساق بل له الطلوع والظهور على وجه الأرض خاصة وهو قوله تعالى "والنجم والشجر يسجدان" أي ما قام على ساق من النبات وما لم يقيم على ساق فتمام الخلق في النبات القيام على ساق فلذلك كان النجم غير مخلوق كما جاء في خلق الإنسان ومن خلق من نطفة في قوله تعالى "ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة" ويدخل الكل في حكم أعطي كل شيء خلقه فأعطي غير المخلقة خلقها كما أعطي المخلقة خلقها كما أنه من كمال الوجود وجود النقص فيه ولما حكم العلماء على حركة النبات على ما قرناه من الأنتكاس ما وفوا النظر حقه بل حركته عندنا مستقيمة فإنه ما تحرك ألا للنمو وما تحرك حيوان ولا أنسان هذه الحركة التي لنموه ألا من كونه نباتاً ولا يقال في النبات أنه مختلف الحركات من حيث هو نبات وأما تختلف الحركات إذا كانت لغير النمو مثل الحركات في الجهات فإن الحركات في الجهات من حيث هو نبات وأما تختلف الحركات إذا كانت لغير النمو مثل الحركات في الجهات فإن الحركات في الجهات من المتحرك أنما ذلك نسبة أرادة التحرك لذلك الجسم من المحرك وقد يكون المحرك عين المتحرك مثل حركة الأختيار وقد تكون الحركة في المتحرك عن متحرك آخر ولذلك الآخر آخر حتى ينتهي إلى المحرك أو المتحرك بالقصد لما ظهر من هذه الحركات وأما الحركة للزيادة في الأجسام فمن كون الجسم نباتاً في حيوان كان أوفى غيره فهي حركة واحدة وهي حركة عن أصل البزرة التي عنها ظهر الجسم بحركة النماء فيتسع في الجهات كلها بحسب ما تعطيه الأمداد في تلك الجهة فقد تكون حركته إلى جهة اليمين تعطي نمواً أقل من حركته إلى

الفوق وكذلك ما بقي وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن النشأة تقوم على عجب الذنب فإذا أظهرت الرجل والساق والفخذ والمقعدة فعن حركة منكوسة وما ظهر من عجب الذنب إلى وجود الرأس فعن حركة مستقيمة وما ظهر في الاتساع عن جهة اليمين والشمال والخلف والامام فعن حركة أفقية وكل ذلك عندنا حركة مستقيمة وأما الحركة المنكوسة عندنا كل حركة في متحرك يكون بخلاف ما يقتضيه طبعه وذلك لا يكون ألا في الحركة القهرية لا في الحركة الطبيعية فإذا تحرك كل جسم نحو أعظمه فتلك حركته الطبيعية المستقيمة كحركة اللهب نحو

الأثير وجسم الحجر نحو الأرض فإذا تحرك الجسم الناري نحو الأرض والسفل وتحرك الحجر نحو العلو كانت الحركة منكوسة وهي الحركة القسرية فإذا أنتهى النمو في الجسم بحيث أن لا يقبله الجسم من الوجه الذي لا يقبله ثم تحرك ذلك الجسم في ذلك الوجه فما حركته حركة أنبات ونمو كالجسم الذي قد تناهي في الطول إلى غايته فيه على التعيين فما له حركة نمو في تلك الجهة فإذا تحرك إلى جهة الطول تحرك بكله لا للطول بل للانتقال من مكانه إلى مكان الطول سفلاً أو علواً وأنظر فيما حررناه في حركة النبات في أنها ليست بحركة منكوسة فإذا البذرة تمد فروعاً إلى جهة الفوق وتمد فروعاً إلى جهة التحت وغذاؤها ليس أخذ النبات له من الفروع التي في التحت المسماة أصولاً وإنما أخذ النبات الغذاء من البذرة التي ظهرت عنها هذه الفروع ولهذا يحصل اليبس في بعض فروع التحت كما يحصل في الفروع الظاهرة الحاملة الورق والثمر مع وجود النمو والحياة في باقي العروق والفروع كما ينقسم الدم من الكبد في العروق إلى سائر الأعضاء علواً وسفلاً فالذي ينبغي أن يقال في الحركات المعنوية والحسية أنها ثلاث حركات حركة من الوسط وهي التي تعطي ما ظهر عن الأصل الذي منه تنشأ الأجسام الطبيعية وحركة إلى الوسط وهي الأمداد الألهي وحركة في الوسط وهي ما به بقاء عين الأصل وما من نبات ألا وهو دواء وداء أي فيه منفعة ومضرة بحسب قبول الأمزجة البدنية وما هي عليه من الاستعداد فيكون المضر لبعض الأمزجة عين ما هو نافع لمزاج غيرها فلو كان لعينه لم يختلف حكمه وإنما كان للقابل والقابل نبات كما هو نبات فما أثر بضرره ولا نفعه ألا في نفسه من كونه نباتاً وأن كثرت أشخاصه وتميزت بالشخصية وأما نبهنا بهذا على أعيان أشخاص العالم وما أثر بعضه في بعضه والعين واحدة بالحد الذاتي كثير بالصور العرضية وقد أعلمتك في غير موضع من هو عين العالم الظاهر وأنه غير متغير الجوهر ولمن هو الحكم الذي ظهر به التغيير في هذع العين وأنه مثل ظهور التغيير في صور المرأة لتغيير هيآت الرائي وقد يكون لتغيير المتجليات في أنفسها والمرآة محل ظهور ذلك لعين الرائي فالعماء الذي هو النفس الألهي هو القابل لهذه الصور كلها فاعلم ذلك والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الفصل الرابع والثلاثون في الاسم الألهي المذل وتوجهه على إيجاد الحيوان وله من الحروف المذل المعجمة ومن المنازل سعد السعود قال تعالى "وذلكناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون" وقال "وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض" جميعاً منه فدخل الحيوان في ذلك وهذا حكم الاسم المذل في العالم بالتسخير حتى في المسخر له جعل الله بعضه مسخر البعض من الاسم المذل فإن أصل الكل مخلوق من الأرض وهي الذلول بالجعل الألهي كما هي العزيرة بالأصالة وجعل علة تسخير بعضها لبعض مع كون العالم مسخراً لنا رفعة لبعضنا على بعض بالدرجة التي يحتاج إليها المسخر المفعول قال تعالى "ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً" فاعلم أيديك الله بروح منه أي ما أتكلم في هذه الموجودات في هذا النفس الألهي ألا من حيث حكم الاسم الألهي الذي أذكره مع ذلك الموجود من العالم خاصة وبعض ما له فيه من الأثر فاعلم أن التسخير قد يكون أذلالاً وقد يكون للقيام بما يحتاج إليه ذلك المسخر له بالحال وهذا الفرقان بين التسخيرين بما تعطيه حقيقة المسخر والمسخر له فالعبد الذي هو الإنسان

مسخر لفرسه ودابته فينظر منها في سقيها وعلفها وتفقد أحوالها مما فيه صلاحها وصحتها وحياتها وهي مسخرة له بطريق الأذلال لحمل أثقاله وركوبه واستخدامه إياها في مصالحه وهكذا في النوع الأنساني برفع الدرجات بينهم فبالدرجة يسخر بعضهم بعضاً فتقتضي درجة الملك أن يسخر رعيته فيما يريده بطريق الأذلال للقيام بمصالحه لأفئدته إلى ذلك وتقتضي درجة الرعايا والسوقة أن تسخر الملك في حفظها والذب عنها وقتال عدوها والحكم فيما يقع بينها من المخاصمات وطلب الحقوق فهذه سخرية قيام لا سخرية أذلال أقتضتها درجة السوقة ودرجة الملك والمذل من الاسماء هو الحاكم في الطرفين ثم يأتي الكشف في هذه المسألة بأمير عجيب ينطق به القرآن ويشهده العيان فقال "وهو الله في السموات وفي الأرض" وقال "وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً" منه وقال لقمان لابنه يابني "ألمأ أن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله" فإنه في الأرض وهو في السماء وهو في الصخرة ومعنا أينما كنا فإن الخالق لا يفارق المخلوق والمذل لا يفارق الأذلال أذ لو فارق لفارقه هذا الوصف وزال ذلك الاسم وقال تعالى "وما خلقت الجن والأنس ألا ليعبدون" أي يتذلّلوا إلى ولا يتذلّلون إلى ألا حتى يعرفوا مكانتي وعزتي فخلقهم باسم المذل لأنه خلقهم لعبادته ووصف نفسه بأنه القيوم القائم على كل نفس بما كسبت وقال "ولا يؤده حفظهما" فوصف نفسه بأنه يحفظ ما في السموات وما في الأرض فبالدرجة يكون حافظاً لما يطلبه العالم من حفظ الوجود عليه وبالدرجة يكون العالم محفوظاً له فإذا علمت أن السيد يسخر عبده بالدرجة والعبد يسخر سيده بالحال وما يفعل ذلك السيد للعبد بطريق الجبر من العبد والأذلال وأما يفعله لثبوت سيادته عليه فما سخره للعبد ألا حظ نفسه ألا ترى أنه يزول عن السيد إسم السيد إذا باع عبده أو هلك فإنظر في حكم هذا الاسم ما أعجبه وأما أختص بالحيوان لظهور حكم القصد فيه ولأنه مستعد للأبائية لما هو عليه من الإرادة فلما توجه عليه الاسم المذل صار حكمه تحت حكم من لا إرادة له ولا قدرة لما تعطي هاتان الصفاتان من العزة لمن قامتا به فأصبح الله من شاء صفة الأفئدة والفاقة والحاجة فذل لكل ذلول يرى أن له عنده حاجة يفتقر إليه فيها وينحط عن رتبة عزه بسببها فربط الله الوجود على هذا وكان به صلاح العالم فليس في الاسماء من أعطي الصلاح العام في العالم ولا من له حكم في الحضرة الألهية مثل هذا الاسم المذل فهو ساري الحكم دائماً في الدنيا والآخرة فمن أقامه الحق من العارفين في مشاهدته وتجلى له فيه ومنه فلا يكون في عباد الله أسعد منه بالله ولا أعلم منه بأسرار الله على الكشف وهذا القدر من الإيماء في هذا الفصل كاف في علم التسخير الألهي والكوني فإنه ألحق السيد بالعبد وألحق العبد بالسيد والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الفصل الخامس والثلاثون في الاسم الألهي القوى وتوجهه على إيجاد الملائكة وله من الحروف حرف الفاء ومن المنازل المقدره سعد الأخبية قال تعالى عليها ملائكة غلاظ شداد وقال في الملائكة "ويفعلون ما يؤمرون" وقال "لا يكلف الله نفساً ألا وسعها" وألا ما آتاها والأمر تكليف فظهرت القوة في الملائكة بأمداد الاسم القوي فإنه بقوته أمدهم وليس في العالم المخلوق أعظم قوة من المرأة لسر لا يعرفه ألا من عرف فيم وجد العالم وبأي حركة أوجده الحق تعالى وأنه عن مقدمتين فإنه نتيجة والناكح طالب والطالب نفتقر والمنكوح مطلوب والطلوب له عزة الأفئدة إليه والشهوة غالبية فقد بان لك محل المرأة من الموجودات وما الذي ينظر إليها من الحضرة الإلهية وبمإذا كانت ظاهرة القوة وقد نبه الله على ما خصها به من القوة في قوله في حق عائشة وحفصة وإن تظاهرا عليه أي تتعاوننا عليه فإن الله هو مولاه أي ناصره وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير هذا كله في مقاواة امرأتين وما ذكر إلا الأقوباء الذين لهم الشدة والقوة فإن صالح المؤمنين يفعل بالهمة وهو أقوى الفعل فإن فهمت فقد رميت بك على الطريق فإنزل الملائكة بعد ذكره نفسه وجبريل وصالح المؤمنين منزلة المعينين ولا قوة إلا بالله فدل أن نظر الاسم القوي إلى الملائكة أقوى في

وجود القوة فيهم من غيرهم فإنه منه أوجدتهم فمن يستعان عليه فهو فيما يستعان فيه أقوى مما يستعان به فكل ملك خلقه الله من أنفاس النساء هو أقوى الملائكة فإنه من نفس الأقوى فتوجه الاسم الإلهي القوي فيوجود القوة على إيجاد ملائكة أنفاس النساء أعطى للقوة فيهم من سائر الملائكة وإنما اختصت الملائكة بالقوة ولأنها أنوار وأقوى من لنور فلا يكون لأن له الظهور وبه الظهور وكل شئ مفتقر إلى الظهور ولا ظهور له إلا بالنور في العالم الأعلى والأسفل قال تعالى لله نور السموات والأرض وقيل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قيل له أرأيت ربك فقال صلى الله عليه وسلم نوراني أراه وقال لاحت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه والسبحات الأنوار فهي المظهرة للأشياء والمغنية لها ولما كان الظل لا يثبت للنور والعالم ظل والحق نور فلهذا يفنى العالم عن نفسه عند التجلي فإن التجلي نور وشهود النفس ظل فيفنى الناظر المتجلي له عن شهود نفسه عند رؤية الله فإذا أرسل الحجاب ظهر الظل ووقع التلذذ بالشاهد وهذا الفصل علم فيه عظيم لا يمكن أن ينقال ولا سره أن يذاع من علمه علم صدور العالم علم كيفية والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الفصل السادس والثلاثون في الاسم الإلهي اللطيف وتوجهه على إيجاد الجن وله من الحروف حرف الباء المعجمة بوحدة ومن المنازل المقدم من الدالي قال الله تعالى في الجن أنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم فوصفهم باللطافة وخلقهم الله من مارج من نار والمرج الإختلاط فهم من نار مركبة فيها رطوبة المواد لهذا يظهر لها لهب وهو اشتعال الهواء فهو حار رطب والشياطين من الجن هم الأشقياء المبعدون من رحمة الله منهم خاصة والسعداء بقي عليهم إسم الجن وهم خلق بين الملائكة والبشر الذي هو الإنسان وهو عنصري ولهذا تكبر فلو كان طبيعياً خالصاً من غير حكم العنصر ما تكبر وكان مثل الملائكة وهو برزخي النشأة له وجه إلى الأرواح النورية بطافة النار منه فله الحجاب والتشكل وله وجه إلينا به كان عنصرياً ومارجاً فأعطاه الاسم الاسم اللطيف أنه يجري من ابن آدم مجرى الدم ولا يشعر به ولولا تنبيه الشارع على لمة الشياطين ووسوسته في صدور الناس ما علم غير أهل الكشف أن ثم شيطاناً ومن حكم هذا الاسم اللطيف في الشياطين من الجن قوله تعالى لإبليس واتفرز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم قا لإبليس فبعزتكم لأغوينهم أجمعين الأعباد منهم المخلصين يعني الذين اصطنعهم الحق لنفسه فجعل من لطفه لإبليس متعلقاً يتعلق به في موطن خاص يعرفه العارفون بالله ثم أخبر الله أن الشيطان يعدهم الفقر لقوله تعالى وعدهم فادرج الرحمة من حيث لا يشعر بما ولو شعر إبليس بهذا الإستدراج الرحماني ما كلب الرحمة من عين المنة ولكن حجبته قرائن الأحوال عن اعتبار الحق صفة الأمر الإلهي فالإلطيف أورش الجن الإستتار عن أعين الناس فلا تدركهم الأبصار إلا إذا تجسّدوا وجعل سماعهم القرآن إذا تلى عليهم أحسن من سماع الإنس فإن الإنسان وجد عن الاسم الجامع فما انفرد بخلق الاسم اللطيف الإلهي دون مقابله من الاسماء فلما تلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن فما قال في آية منها فبأي آلاء ربكما تكذبان إلا قالت الجن ولا بشئ من آلائك ربنا نكذب ثم تلاها بعد ذلك صلى الله عليه وسلم على الإنس من أصحابه فلم يظهر منهم من القول عند التلاوة وما ظهر من الجن فقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه أي تلوت هذه السورة على الجن فكانوا أحسن استماعاً لها منكم وذكر الحديث ويقول الله عز وجل آمراً وإذ قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا وأخبر عن الجن فقال وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصداقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم يا قومنا أحيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويمحركم من عذاب أليم وما قال الله وما روى عن أحد من الإنس أنه قال مثل هذا القول فأثر فيهم الاسم

اللطيف هذه الآثار في المؤمنين منهم والشیاطین وهل حکى عن أحد من کفار الإنس قول مثل قول إبليس وهو قوله فيما أغويتني لأزینن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين لما قال الله له أن عبادي ليس لك عليهم سلطان فقطع يأسه منهم أن يكون له عليهم سلطان وحکم فيهم فهم المعصومون والمحفوظون في الباطن وفي الظاهر من الوقوع عن قصد انتهاك الحرمة الله فخواطر المعصومين والمحفوظين كلها ما بين ربانية أو ملكية أو نفسية وعلامة ذلك عند المعصوم أنه لا يجد تردداً في أداء الواجب بين فعله وتركه ويجد التردد بين المندوب والمكروه ولا في ترك واجب تركه لا يجد فيه التردد لأن التردد في مثل هذين هو من خاطر الشيطان فمن وجد من نفسه هذه العلامة علم أنه معصوم فقوله لأغوينهم عن تخلق من قوله فيما أغويتني والتزيين الذي جاء به من قوله وعدهم فإنه يتضمنه فما خرج في أفعال في العباد عن الأمر اللطيف الذي تجعله قرائن الأحوال وعيداً وتهديداً وللظاهر تعلق بالحکم لأستواء الرحمن على العرش واتساع الرحمة وعمومها حيث لم تبق شيئاً إلا حکمت عليه ومن حکمها كان قوله واستفزز من استطعت الآيات فتدبر يا ولي حکم هذا الاسم في الجان مؤمنهم وكافرهم وإن لم تكن من أهل الكشف والوجود فتتبع ما ذكر الله في القرآن من أخبارهم وحكايات أفعالهم وأقوالهم مؤمنهم وكافرهم ومن أثر الاسم اللطيف لطف إبليس في عدم في قوله هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فصدقه وهو الكذب ولم يكن كذبه إلا في قوله أنا خير منه ثم علل فقال خلقتني من نار فجمع بين الجهل والكذب فإنه ما هو خير منه لا عند الله ولا في النشأة وفضل بين الأركان ولا فضل بينها في الحقائق فتلطف في الأغواء تلطف المستدرج في المستدرج والمماكر في المكر والخادع في الخداع

ولطفه ظاهر في الخلق موسوم

وكيف يدرك لطف الذات معدوم

فاللطف في عينه عليه محكوم

أن اللطيف من الاسماء معلوم

هو اللطيف فما يبدو لناظرنا

لطف اللطيف بنا نعت له ولنا

ثم علم أن نسبة الأرواح النارية في الصورة الجرمية أقرب مناسبة للتجلي الإلهي في الصور المشهودة للعين من الجسم الإنساني وما قرب من النسب إلى ذلك الجنب كان أقوى في اللطافة من الأبعد فلا تزال صورة الروح الناري مجهولة عند البشر لا تعلم إلا بأعلام إلهي فإنه أعلام لا يدخله ما يخرج عن الصدق وكذلك أعلام الأرواح الملكية وأما وقع الأعلام من الجن لم نثق به لأنه عنصري الأصل وكل موجود عنصري يقبل الإستحالة مثل أصله والموجود عن الطبيعة من غير وساطة لا يقبل الإستحالة فلماذا ألا يدخل أخباره الكذب فلطافته أخفته حتى جهلت صورته فإن قلت فالأرواح الملكية جعلت لها الاسم الإلهي القوي مع وجود هذا اللطيف فيها من الاسم الإلهي اللطيف قلنا صدقت لتعلم أي ما قصدت الاسم الإلهي المعين في إيجاد صنف من أصناف الممكنات الأكوان ذلك الاسم هو الأغلب عليه وحكمه أمضى فيه مع أنه ما من ممكن يوجد إلا وللأسماء الإلهية المتعلقة بالأكوان فيه أثر لكن بعضها أقوى من بعض في ذلك الممكن المعين وأكثر حكماً فيه فلماذا ننسبه إليه كما نسبت يوم السبت لصاحب السماء السابعة والأحد لصاحب السماء الرابعة وهكذا كل يوم لصاحب سماء ومع هذا فلكل صاحب سماء في كل يوم حكم وأثر لكن صاحب اليوم الذي ننسبه إليه أكثر حكماً وأقواه من غيره فاعلم هذا والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الفصل السابع والثلاثون في الاسم الإلهي الجامع وتوجهه على إيجاد الإنسان وله من الحروف حرف الميم وله من المنازل المقدره الفرع المؤخر الاسم الجامع هو الله ولهذا جمع الله لنشأة جسد آدم بين يديه فقال لما خلقت بيدي وأما خلق الله السماء بأيدي فتك

القوة فإن الأيد القوة قال تعالى داود ذا الأيد أي صاحب القوة ما هو جمع يد وقد جاء في حديث آدم قوله اخترت يمين ربي وكلنا يدي ربي يمين مباركة فلما أراد الله كمال هذه النشأة الإنسانية جمع لها بين يديه وأعطاهما جميع حقائق العالم وتجلى لها في الاسماء كلها فحازت الصورة الإلهية والصور الكونية وجعلها روحاً للعالم وجعل أصناف العالم كالأعضاء من الجسم للروح المدبر له فلو فارق العالم هذا الإنسان مات العالم كما أنه إذا فارق منه ما فارق كان فراقه لذلك الصنف من العالم كالخدر لبعض الجواح من الجسم فتتعطل تلك الجارحة لكون الروح الحساس النامي فارقها كما تتعطل الدنيا بمفارقة الإنسان فالدار جارحة من جوارح جسد العالم الذي الإنسان روحه فلما كان له هذا الاسم الجامع قابل الحضرتين بذاته فصحت له الخلافة وتدير العالم وتفصيله فإذا لم يحز إنسان رتبة الكمال فهو حيوان تشبه صورته الظاهرة صورة الإنسان وكلامنا في الإنسان الكامل فإن الله ما خلق أولاً من هذا النوع إلا الكامل وهو آدم عليه السلام ثم أبان الحق عن مرتبة الكمال لهذا النوع فمن حازها منه فهو الإنسان الذي أريده ومن نزل عن تلك الرتبة فعنده من الإنسانية بحسب ما تبقى له وليس في الموجودات من وسع الحق سواه وما وسعه إلا بقبول الصورة فهو مجلى الحق والحق مجلى حقائق العالم بروحه الذي هو الإنسان وأعطى المؤخر لأنه آخر نوع ظهر فأوليته حق وآخريته خلق فهو الأول من حيث الصورة الإلهية والآخر من حيث الصورة الكونية والظاهر بالصورتين والباطن عن الصورة الكونية بما عنده من الصورة الإلهية وقد ظهر حكم هذا عدم علم الملائكة بمرتبته مع كونه الله قد قال أنه خليفة فكيف بهم لو لم يقل لهم ذلك فلم يكن ذلك إلا لبطونه عن الملائكة وهم من العالم الأعلى العالم بما في الآخرة وبعض الأولى فإنهم لو علموا ما يكون في الأولى ما جهلوا رتبة آدم عليه السلام مع التعريف وما عرفه من العالم إلا اللوح والقلم وهم العالون ولا يتمكن لهم انكاره والقلم قد سطره واللوحة قد حواه فإن القلم لما سطره سطر رتبته وما يكون منه واللوحة قد علم علم ذوق ما خطه القلم فيه قال الله تعالى لإبليس استكبرت أم كنت من العالين على أمر الله وما كان من العالين فأخذه الله بقوله وكان من الكافرين نعمة الله عليه حين أمره بالسجود لآدم وألحقه بالملأ الأعلى في الخطاب بذلك فحرمه الله لشؤم النشأة لعنصرية ولولا أن الله تعالى جمع لآدم في خلقه بين يديه فحاز الصورتين وإلا كان من جملة الحيوان الذي يمشي على رجليه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثيرون ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران فالكمال هم الخلائف واستخدم الله له العالم كله فما من حقيقة صورية في العالم الأعلى والأسفل إلا هي ناظرة إليه نظر كمال أمنية على سراً ودعها الله إياه لتوصله إليه وقولي صورية أي لها صورة معينة في العالم تحوز مكانها ومكانتها وهذا القدر من الإشارة إلى حكم هذا الاسم الإلهي الجامع في هذا النوع كاف في حصول الغرض من نفس الرحمن فإنه حاز العماء كله ولهذا كان له حرف الميم من حيث صورته وهو آخر الحروف وليس بعده إلا لواو الذي هو للمراتب فيدخل فيه الحق والخلق لعموم الرتبة فلندكرها في الفصل الذي يليه هذا الفصل وأي إسم لها فنقول

الفصل الثامن والثلاثون في الاسم الإلهي رفيع الدرجات ذي العرش وتوجهه على تعيين المراتب لا على إيجادها لأنها نسب لا تتصف بالوجود أذ لا عين لها ولها من الحروف حرف الواو ومن المنازل المقدرة الرشا وهو الحبل الذي للفرع وهذه صورته في الهامش أعلم أن المراتب كلها ألهية بالأصالة وظهرت أحكامها في الكون وأعلى رتبة ألهية ظهرت في الإنسان الكامل فأعلى الرتب رتبة الغنى عن كل شيء وتلك الرتبة لا تنبغي ألا لله من حيث ذاته وأعلى الرتب في العالم الغنى بكل شيء وأن شئت قلت الفقر إلى كل شيء وتلك رتبة الإنسان الكامل فإن كل شيء خلق له ومن أجله وسخر له لما علم الله من حاجته إليه فليس له غنى عنه والحاجة لا تكون ألا لمن بيده قضاؤها وليس ألا الله الذي بيده ملكوت كل شيء فلا بد أن يتجلى لهذا الإنسان الكامل في صورة كل شيء

ليؤدي إليه من صورة ذلك الشيء ما هو محتاج إليه وما يكون به قوامه ولما أتصف الله لعباده بالغيرة أظهر حكمها فأبان لهم أنه المتجلي في صورة كل شيء حتى لا يفتقر ألا إليه خاصة فقال عز وجل يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله فأفهم وتحقق ركون الناس إلى صور الأسباب وأفتقارهم إليها وأثبت الله أفتقار الناس إليه لا إلى غيره ليبين لهم أنه المتجلي في صور الأسباب وأن الأسباب التي هي الصور حجاب عنه ليعلم ذلك العلماء لعلمهم بالمراتب وأعلم أن لكل إسم من الاسماء مرتبة ليست للآخر ولكل صورة في العالم رتبة ليست للصورة الأخرى فالمراتب لا تتناهي وهي الدرجات وفيها رفيع وأرفع سواء كانت ألهية أو كونية فإن الرتب الكونية ألهية فما ثم رتبة ألا رفيعة وتقع المفاضلة في الرفعة ومن هنا تعرف مآل الثقلين عرفان ذوق فإن مآلهم لا بد أن يكون إلى مرتبة ألهية وما عدا الثقلين فمآلهم معروف عند العلماء الأهلين ومآل الثقلين لا يعلم مرتبته ألا الخصوص من العلماء بالله وأما كان لها الواو لأن الواو لها الستة من مراتب العدد وهي أول عدد كامل والكمال في العالم إنما كان بالمرتبة فأعطيناه الواو ومن المنازل الرشا وهو الحبل والحبل الوصل وبه يكون الأعصام كما هو بالله فإنزل الحبل منزلته فلولا أن رتبة الحبل أعطت ذلك ما ثبت قوله وأعتصموا بحبل الله كما قال وأعتصموا بالله فأفهم أين جعل رتبة الحبل وبأي إسم قرنه وإلى أي إسم أضافه وأعلم أنه لولا الصور ما تميزت الأعيان ولولا المراتب ما علمت مقادير الأشياء ولا كانت تنزل كل صورة منزلتها كما قالت عائشة أنزلوا الناس منازلهم وبالرتبة علم الفاضل والمفضول وبها ميز بين الله والعالم وبها ظهرت حقائق ما هي عليه الاسماء الألهية من عموم التعلق وخصوصه فلنذكر في هذا الفصل مناسبة الاسماء الألهية التي ذكرناها للحروف التي عينها والمنازل التي أوردناها ليرتبط الكل ببعضه ببعضه فكما جمع العلماء صور الموجودات التي هو النفس الألهي كذلك جمع الحروف النفس الأنساني كما جمع الفلك المنازل المقدره لتزول الدراري فيها المبينة مقادير البروج في الفلك الأطلس فنقول أي ما قصدت بهذا المساق ترتيب إيجاد العالم وأنه وجد هذا بعد هذا فإن ترتيب إيجاد العالم قد ذكرناه في هذا الكتاب وأنه على خلاف ما يقوله حكماء الفلاسفة وأما قصدنا معرفة ما أثرت الاسماء الألهية في الممكنات في ممكن ممكن منها سواء تقدم على المذكور قبله أو تأخرو رتبة الموجودات على ما هي الآن عليه في وصفها وتقييدها وذكرنا المنازل على ما هي الآن عليه في وضعها وترتيب الحروف على مخارجها ولا يلزم من هذا ترتيبها في الكلمات المؤلفة منها فقد تكون الكلمة الأولى من حروف الوسط مثل كلمة كن وقبلها حروف مخارجها متقدمة عليها فتنظر الاسم الألهي الذي يقتضي أن يكون له الأثر في العالم أبتداء فتجده البديع لأنه لم يتقدم العالم عالم يكون هذا على مثاله فالبديع له الحكم في أبتداء العالم على غير مثال وليس المبدئ كذلك والمعيد يطلب المبدئ ما يطلب البديع والبديع له الحكم في النشأة الآخرة فينا كما كان له الحكم في النشأة الدنيا فإنها على غير مثال هذه النشأة وهو قوله تعالى "ولقد علمتم النشأة الأولى" يعني أنها كانت على غير مثال سبق وقال كما بدأكم تعودون أي على غير مثال فالبديع حيث كان حكمه ظاهر نفي المثال وما أنتفى عنه المثال فهو أول فأعطيناه أول الزمان اليومي وهو الذي ظهر

بوجود الشمس في الحمل وأوله الشرطين وأعطيناه من الحروف الهاء فإنها أول حرف ظهر في المخرج الأول والاسم أعطي العين الموجودة والعين الموجودة ظهر بها الزمان الذي هو مقارنة حادث لحادث يسأل عنه بمحتى فإن كان الموجود ذا نفس في مادة أعطي الحرف وترتيب المنازل بحلول الشمس لأظهار أعيان الفصول التي بها قوام المولدات فالحروف تحكم على الكلمات والكواكب تحكم على فصول الزمان والاسماء تحكم في الموجودات والأعيان مقسمة بين فاعل ومنفعل فإذا فهمت هذا أنسبت كل إسم ألهي إلى متعلقه غالباً وأن كان لغيره فيه حكم وقد تقدم الكلام في مثل هذا ومتعلقه موجود ما أحكم في موجود ثم ربط الوجود ببعضه

يبعضه بين فاعل ومنفعل وجوهر وعرض ومكان وزمان وأضافة وغير ذلك من تقاسيم الأشياء فيه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل الفصل التاسع والثلاثون في النقل في الأنفاس أعلم أن المراد بالنقل أن ينقل حكم الآخر إلى الأول ويجعل محله من الأول آخراً وقد كان في الآخر أولاً ويزيل من الآخر عين ما ظهر فيه هذا الحكم والعين واحدة فإنه قال هو الأول والآخر والهوية واحدة العين وانتقل الحكم من آخر إلى أول في عين واحدة ولا يكون هذا النقل الخاص في هذا الباب ألا نقل الموجود من حال شدة إلى حال رخاء ومن عسر إلى يسر فالنقل تسهيل طريق إلى وجود الرحمة وهذا النقل يظهر في ثلاث مراتب المرتبة الأولى أن يظهر في الصور الممثلة على صورة المحسوس فيكون لها حكم المحسوسات وليست بمحسوسات وهي من وجه محسوسات فينتقل إليها ذلك الحكم ليعلم أن للظهور في صورة ما من الموجود المتره عن التأثير حكم الصورة التي ظهر فيها فينتقل الحكم إلى الذي كان لا يقبل قبل هذا لظهوره بالصورة التي هذا الحكم لها كما أنتقل حكم البشر إلى الروح لما ظهر بصورة البشر فأعطي الولد الذي هو عيسى وليس ذلك من شأن الأرواح ولكن أنتقل حكم الصورة إليها بقبوله للصورة فمن ظهر في صورة كان له حكمها ومن هنا تعرف مرتبة الإنسان الكامل الذي خلقه الله على صورته وتلك الصورة حكم فتبع الحكم الصورة فلم يدع الألوهية لنفسه أحد من خلق الله ألا الإنسان الذي ظهر بأحكام الاسماء والنيابة فكان ملكاً مطاعاً كفرعون وغيره وقد يظهر حكم النقل في مرتبة المعرفة وهي المرتبة الثانية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه عرف ربه وذلك بنقل الحكم الذي كان لنفسه إلى ربه لما علم أنه ما في الوجود ألا الله والمرتبة الثالثة الانتقال في جميع المراتب فينتقل حكم المترلة للنازل فيها كانت المترلة ما كانت مما تحمد أو تذم وإذا أنتقل الحكم أنتقل الحكم فيها بحسب ما تقرر في العرف والوضع العادي والشرعي ألا ترى الروح الجني إذا لبس صورة الحية والحكم فيها منا القتل قتلناه لصورته ولو علمنا أنه جان ما قتلناه كما أنتقل حكم الصورة في الجان فحكمت عليه أنه حية عاملناه فحكمانه في تلك الصورة روينا حديثاً عن شخص من جن وفد نصيبين الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهؤلاء الوفد من الجن لما كان لهم الظهور في أي صورة شاؤوا فحكم عليهم أنه من تصور في غير صورته فقتل فلا عقل فيه ولا قود فإنه من قتل حية أو عقر بالأيقيل به ولا تؤخذ فيه دية فمن ظهر في صورة من هذا حكمه أنسحب عليه هذا الحكم

الفصل الأربعون في التجلي والخفي من الأنفاس فالجلي ما ظهر والخفي ما أستر ولا يكون الأستتار والخفاء ألا في الأمثال وأما في غير الأمثال فلا لأن غير المثل لا يقبل صورة من ليس مثله ألا ترى قوله عليه السلام حين قال أن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده لأنه قال فيه أنه خلقه على صورته فجعله مثلاً ثم نفى أن يماثل ذلك المثل فقال ليس كمثله شيء أي ليس مثل مثله شيء فنفى أن يماثل المثل فاستتر الحق بصورة العبد في قوله سمع الله لمن حمده فإن المترجم عنه إسم مفعول يستتر بظهور المترجم إسم فاعل في باب المماثلة له فيما يطلبه من الأمور التي لا صورة لها في المترجم لهم من حيث ما يعرفها المترجم عنه في لسانه فيظهر المترجم عنه بصورة المترجم عنه المعنوية وبصورة المترجم لهم المحسوسة فيظهر بالصورتين فإنه سماه عبداً وهو عبد قائل عن حق فكان لسانه لسان حق في قوله سمع الله لمن حمده وما زال عن كونه عبداً في ذلك فالله تعالى يظهرنا وقتاً ويستر نفسه فيما هو له وقتاً يظهر نفسه ويسترنا بحسب المواطن حكمة منه فالكامل من أهل الله ينظر مراد الله في الواقع فأبي عين أراد الله ظهورها أظهر الحق وأي عين أراد الله سترها سترها الأدب يقضي بأمر كلي أن حسن عرفاً وشرعاً نسبة إلى نفسه إن شاء وأظهر نفسه فيه وجلاه أو نسبة إلى الشيطان إن شاء وأظهر عين الشيطان فيه وجلاه فيكون باطنه حقاً لقوله "فألهما فجورهما وتقواها" وكل من عند الله ولكن مع

هذا كله لا بد أن لم يكن مثلاً بصيره مثلاً وحينئذ يستتر فإنه ما ثم مثل إلا الإنسان فهو يقبل الإستتار وما عدا الإنسان فلا يقبله فإنه ليس بمثل فإذا أردت أن تستره في الحق صبرته مثلاً وحينئذ يقبل الستر بالضرورة فالأسباب كلها خلاف إلا الإنسان قال الله تعالى "من يطع الرسول فقد أطاع الله" فحلاه باسمه وكان ظاهراً فستره أن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله فأظهره بكاف الخطاب ثم ستره وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى كما أنه ميز وعين وفرق فقال أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم وإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله حكماً وإلى الرسول عيناً فمن أهل الله من يقيم مثل هذا إذا ورد نشأة ذات روح وجسد فيستر بالحركة المحسوسة فعل الروح بصرّاً ويستر بالحرّك فعل الجسد بصيرة وفيها يكون الإنسان خالقاً ويكون الحق أحسن الخالقين ومن أهل الله من يرى إلا الله فلا ستر عنده ومن أهل الله من لا يرى إلا الخلق فلا ظهور عنده وكل مصيب وأهل الأدب هم الكمل فيحكمون في هذا الأمر بما حكم الله من ستر وتجل وإخفاء واطهار كما قدمنا والله يقول الحق وهو يهدي السبيل الفصل الحادي والأربعون في الاعتدال والانحراف من النفس اعلم أن أهل الله في هذا الباب على ثلاثة أقسام قسم يرى أن الحق لا يميل ولا يمال إليه وهم الذين يجدون الحب بالميل الدائم من الحب للمحبوب وقسم يرى أن خلق الإنسان على الصورة يعطى الاعتدال وإن لم يكن الاعتدال فما هو على الصورة فيميل حيث مال الحق مثل قوله تعالى وإن هذا صراطي مستقيماً في شرع خاص فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ثم قال ذلكم وصاكم به فجعل هذا التعريف وصية ليعمل بها وهذا عين الميل عن قوله وإليه يرجع الأمر كله وعن قوله ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها فأهل الاعتدال هم القائمون بين الانحراف وأهل الانحراف عن هذا الاعتدال هم الذين يثبتون في الأفعال الكونية علواً وسفلاً حقاً وبلا خلق وهم طائفة أخرى يثبتونها خلقاً بلا حق حقيقة من الطائفتين لا على طريق المجاز وهم الذين يقولون أنه ما صدر عن الحق إلا واحد وعن الترجيح في رفع التجريح والنظر في الخطاب الإلهي ففي أي موضع جعل الحكم لأحد الانحرافين جعلناه وفي أي موضع عدل إلى الاعتدال عدلنا وهذا نعت الإدباء مع الله والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الفصل الثاني والأربعون في الاعتماد على الناقص والميل إليه هذا باب الاعتماد على الأسباب كلها إلا السبب الإنساني الكامل فإنه من اعتمد عليه فما اعتمد على ناقص لظهوره بالصورة وما عداه من الأسباب فهو ناقص عن هذه المرتبة نقص المرأة عن الرجل بالدرجة التي بينهما وإن كملت المرأة فما كمالها كمال الرجل لأجل تلك الدرجة فمن جعل الدرجة كون حواء وجدت من آدم فلم يكن لها ظهور إلا به فله عليها درجة السببية فلا تلحقه فيها أبداً وهذه قضية في عين ونقابها بمريم في وجود عيسى فإذا الدرجة ما هي سبب ظهورها عنه وإنما المرأة محل الإنفعال والرجل ليس كذلك ومحل الإنفعال لا يكون له رتبة أن يفعل فلها النقص ومع النقص يعتمد عليها ويمال إليها لقبولها الإنفعال فيها وعندها فما وضع الله الأسباب سدى إلا لنقول بها ونعتمد عليها اعتماد إلهياً أعطت الحكمة الإلهية ذلك مع نظرنا إلى الوجه في كل منفعل بها سواء شعر السبب بذلك الوجه أو لم فالحكيم الإلهي الأديب من يزل الأسباب حيث أنزلها الله فمن يشاهد الوجه الخاص في كل منفعل يقول أن الله يفعل عندها لأنها ومن يشاهد الوجه الخاص يقول أن الله يفعل الأشياء بها فيجعل الأسباب كالألة يثبتها ولا يضيف إليها كالنجار الذي لا يصل إلى عمل صورة تابوت أو كرسي إلا بآلة القدوم والمنشار وغيرهما من الآلات مما لا يتم فعله إلا بها عندها فتثبتها ولا تضيف صنعة التابوت إليها وإنما يثبت ذلك للنجار صاحب التدبير والعلم بما ظهر عنه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل الفصل الثالث والأربعون في الإعادة الإعادة تكرار الأمثال أو العين في الوجود وذلك جائز وليس بواقع أعني تكرار العين للإتساع الإلهي ولكن الإنسان في لبس من خلق جديد

فهي أمثال يعسر الفصل فيها القوة الشبه بالإعادة إنما هي في الحكم مثل السلطان يولى والياً ثم يعزله ثم يوليه بعد عزله فالإعادة في الولاية نسبة لا عين وجودي ألا ترى إلا إعادة يوم القيامة إنما هي في التدبير فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد ميز بين نشأة الدنيا ونشأة الآخرة والروح المدير لنشأة الدنيا عاد إلى تدبير النشأة الآخرة فهي إعادة حكم ونسبة لا إعادة عين فقدت ثم وجدت وأين مزاج من يبول ويغوط ويتمخط من مزاج من لا يبول ولا يغوط ولا يتمخط والأعيان التي هي الجواهر ما فقدت من الوجود حتى تعاد إليه لم تنزل موجودة العين ولا إعادة في الوجود لموجود فإنه موجود وإنما هي هيآت وامتزاجات نسبية وأما قولنا بالجواز في الإعادة في الهيئة والمزاج الذي ذهب فلقوله ثم إذا شاء أنشره وما شاء فإن المخبر عن الله فرق بين نشأة الدنيا ونشأة الآخرة وفرق بين نشأة أهل الشقاء فنشأة أهل السعادة لها اللطف والرقّة ولا سيما للمتشرعين المنكسرة قلوبهم الناظرين إلى الرسول دائماً بعين حق مع شهود بشريته وإنه من الجنس ومن عادة الجنس الحسد إذا ظهر التفوق وقد ارتفع عن هؤلاء ولهم فتح البركات من السماء والأرض كما لأهل الشقاء فتح العذاب والزيادة لما زادوا هنا من المرض في قلوبهم عند ورود الآيات الإلهية لا ثبات الشرائع فكلاهما أهل فتح ولكن بماذا فاعلم ذلك فإنه في علم الأنفاس دقيق والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الفصل الرابع والأربعون في اللطيف من النفس يرجع كثيفاً وما سببه والكثيف يرجع لطيفاً وما سببه كالملمح في الرفع والخفض في صوته اعلم أن اللطف من المحال أن يرجع كثافة فإن الحقائق لا تنقلب ولكن اللطيف يرجع كثيفاً كالحرار يرجع بارداً والبارد حار فاعلم أن الأرواح لها اللطافة فإذا تجسدت وظهرت بصورة الأجسام كثفت في عين الناظر إليها والأجسام لها الكثافة شفافها وغير شفافها فإذا تحولت في الصور في عين الرائي أو احتجبت مع الحضور فقد تروحت أي صار لها حكم الأرواح في الاستتار وتنوع الصور عليها كما تنوع عليها الأعراض بحمرة الخجل وصفرة الوجل وهو نودج منبئ أن قوة التحول في الصور إذا قامت بها أسباب ذلك فأما سبب كثافة الأرواح وهي من عالم اللطف فلكونهم خلقوا من الطبيعة وإن كانت أجسامهم نورية فمن نور الطبيعة كنور السراج فلماذا قبلوا الكثافة فظهروا لصور الأجسام الكثيفة كما أثر فيهم الخصام حكم الطبيعة لما فيها من التقابل والتضاد والضد والمقابل منازع لمقابله كقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى الله عنه ما مان لي من علم بالملا الأعلى إذ يختصمون فوصفهم بالخصومة فمن هذه الحقيقة التي أورثتهم الخصومة تجسدوا في صور الأجسام الكثيفة وأما الكثيف يرجع لطيفاً فسببه التحليل فإن الكثائف من عالم الإستحالة وكل ما يقبل الإستحالة يقبل الصور المختلفة والمتضادة وأظهر ما يكون ذلك في أهل التلحين فالصوت بما هو صوت لا تبدل صورته فيغلظه الملمح في موضع ويرققه في موضع بحسب الرتبة التي يقصدها ليؤثر بذلك في طبيعة السامعين ما شاء من فرح وسرور وانبساط أو حزن وهم انقباض ولهذا جعلوا ذلك في الموسيقى في أربعة في البم والزرير والمثنى والمثلث فإن المحل الذي يريدون أن تؤثر فيه هذه الأصوات مركب من مشكلتها من مرتين ودم وبلغم فيهيج سماع هذا الصوت ما يشاكره من الأخلاط التي هو عليها السامع فيكون الحكم بسبب معين يقصده الملمح حتى يكون له ذلك سببا إلى معرفة الأصل في قوله تعالى إنما قولنا لشيء إذا أردناه فهو قصد الملمح أن يقول له كن فأتى بالكلام الذي هو الصوت الممتد والمنقطع في المخارج لأظهار أعيان الحروف التي تقع بها الفائدة عند السامع ألا ترى إلى صوت السنانير وإن لم يكن لهم حروف تتقطع في نفسها يغيرون أصواتهم لتغير أحوالهم ليعرفوا السامع ما يقصده به بذلك الصوت فعند الجوع يرق صوت السنور ويخفى ويلطف وعند الهياج يغلط ويجهر ويتتابع فيعلم من صوته أنه هائج أو أنه جائع فيؤثر ذلك في نفس السامع بحسب قبوله بحسب قبوله أما رقّة وحناناً فيطعمه وأما غير ذلك ثم أن في هذا الباب يظهر تجلّى الحق في الصور التي ينكر فيها أو يرى فيها في النوم فيرى الحق في

صورة الخلق بسبب حضرة الخيال فإن الحضرات تحكم على النازل فيها وتكسوه من خلعتها ما تشاء أين هذا التجلي من ليس كمثله شئ ومن سبحان ربك رب العزة عما يصفون فالحكم للحضرة والمواطن لأن الحكم للحقائق والمعاني توجب أحكامها لمن قامت به وإذا كان هذا الحكم في العلم الإلهي فظهوره في أعيان المحدثات أقرب مأخذ الوجود المناسبة للإمكانية والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الفصل الخامس والأربعون في الاعتماد على أصل المحدثات أصل المحدثات هو ما ترجع إليه بعد فراغها من النظر في ذاتها وهو في قول الشارع من عرف نفسه عرف ربه وقد تكون المعرفة بالله الحاصلة بعد المعرفة بالنفس علماً بالعجز عن البلوغ إلى ذلك فيحصل لهم العلم بأنه ثم من لا يعلم فترك العلامة علامة فقد تميز عن خلقه بسلب لا بآثبات وقد تكون المعرفة به من كونه إلهاً فيعلم ما تستحقه المرتبة فيجعلون ذلك صفة لمن قامت به تلك المرتبة وظهر فيها فيكون علمهم بما تقتضيه الرتبة علمهم بصاحبها إذ هو المنعوت بها فهو المنعوت بكل ما ينبغي لها أن توصف به وعلى الحقيقة يعلم أن هذا علم بالمرتبة لا به لكن يعلم أنه ما في وسع الممكن أكثر من هذا في باب النظر وإقامة الأدلة فإن كشف الله عن بصر الممكن بتجلي يظهر له به به الحق يعلم عند ذلك ما هو الأمر عليه فيكون بحسب ما يعلمه ومن أهل النظر من يروم هذا الحكم الذي ذهب إليه صاحب التجلي ولكن لا يقوى فيه لأنه خائف من الغلط في ذلك لعدم الذوق فهو يرومه ولا يظهر به المعتمدون على هذا الأصل على طبقات لاختلافهم في أحوالهم فمنهم من يعتمد عليه في كل شئ عند ظهور ذلك الشئ ومنهم من يعتمد عليه في الأشياء قبل ظهور الأشياء ومنهم من ترده الأشياء إليه فيعتمد عليه بعد أن كان يعتمد على الأشياء وذلك كله راجع إلى الاستعدادهم واعلم أن هذا الباب يتضمن علم السكون والحركة أي علم الثبوت والإقامة وعلم التغيير والإنتقال قال تعالى "وله ما سكن" أي ما ثبت فإن نعت القديم ثابت ونعت المحدثات يثبت لثبوتها ويزول لزوالها ويتغير عليها النعت لقبولها التغيير لأنها كانت معدومة فوجدت فقبلت الوجود فلم تثبت على حالة العدم فلما كان أصلها قبول التنقل من حال إلى حال تغيرت عليها النعوت فلم تثبت الأعلى التغيير لا على نعت معين والسكون أيضاً لما كان عدم الحركة لا يصح فيه دعوى أضافه الحق إليه والحركة لما كانت الدعوى تصحبها أي تصحب لمن ظهر بها لم يقل تعالى أنه له ما تحرك فإن الدعوى تدخلها من المحركين والوجه الثبوت لا العدم فله الثبوت وللعالم الزوال وإن ثبت فإن ذلك ليس من نفسه وإنما ذلك من مثبتة قال النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه قول لبيد ألا كل شئ ما خلا الله باطل قال هذا أصدقت بيت قالت العرب وإن كانت الأشياء موجودة فهي في حكم العدم لجواز ذلك عليها وإن لم يقع والاعتماد لا نشك أنه سكون إلى من يعتمد عليه لا بد من ذلك ولا يعتمد الأعلى من له ثبوت الوجود ولا يقبل التغيير ولا الإنتقال من حال الثبوت ومن علم أنه يقبل الإنتقال من الثبوت لا يعتمد عليه لأنه يخون المعتمد عليه ذلك الاعتماد لإرتباطه بمن لا ثبوت له فلا يعتمد على محدث إلا عن كشف وإعلام إلهي فيكون اعتمادنا على من له نعت الثبوت كاعتمادنا على الشرائع فيما يجب الايمان به فلولا التعريف الإلهي بما أظهره من الآيات على صدقه لم تثبت على ذلك كما لا تثبت على الحكم ثبوت من لا ينتقل لجواز النسخ وكل ذلك شرع يجب الايمان به فإن النسخ لما كان عبارة عن ذاتها مدة ذلك الحكم أعقبه حكم آخر لا أن الأول استحال بل انقضى لإنقضاء مدته لإرتباطه في الأصل بمدة يعلمها الله معينة وإن لم نعلم نحن ذلك فلا نعلم على سبب محدث عادي إلا بإعلام من الله أنه يثبت حكمه كالإيمان الذي ثبت معه السعادة عنه لأنقضاء الايمان بخلاف العلم فإن العلم له الثبوت ولا تؤثر فيه الغفلات فإنه لا يلزم العالم الحضور مع علمه في كل نفس لأنه وال مشغول بتدبير ما ولاه الله عليه فيغفل عن كونه عالماً بالله ولا يخرج ذلك عن حكم نعته بأنه عالم بالله مع وجود الضد في الحل من

غفلة أو نوم ولا جهل بعد علم أبداً إلا أن كان العلم قد حصل عن نظر في دليل عقلي فإن مثل ذلك ليس عندنا بعلم لتطريق الشبه على صاحبه وإن وافق العلم وإنما العلم من لا يقبل صاحبه شبهة وذلك ليس الأعلّم الأذواق فذلك الذي نقول فيه أنه علم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الفصل السادس والأربعون في الإعتماد على العالم من كونه هو الكتاب المسطور في رق الوجود المنشور في عالم الإجماع الكائن من الاسم الله الظاهر اعلم أن هذا الإعتماد لا يصح إلا ان يكون صاحبه صاحب علم بتعريف إلهي وذلك أن العالم إنما جئنا به بهذه اللفظة لنعلم إنا نريد به جعله علامة ولما ثبت أن الوجود عين الحق وإن ظهور تنوع الصور فيه علامة على أحكام أعيان الممكنات الثابتة فسميت تلك الصور الظاهرة بالحكم في عين الحق ظهور الكتاب في الرق عالماً وأظهرها الاسم الإلهي الظاهر بل ظهر بها فهذا باب يتميز فيه الحق من الخلق وإن تنوع الصور لم يؤثر في العين الظاهرة فيها هذه الصور كما لا يتغير الجوهر عن جوهريته بما يظهر عليه من الأحوال والأعراض فإن ذلك الظاهر حكم المعنى المبطن الذيلا وجود له بالحكم في عين الناظر فأحكامه لا موجودة ولا معدومة وإن كانت ثابتة فيعتمد على العالم بأنه علامة لا على الله "فإن الله غني عن العالمين" وإنما هو علامة على ثبوت المعاني التي لها هذه الأحكام الظاهرة في عين حق فالعالم علامة على نفسه وهكذا كل شيء فلا شيء أدل من الشيء على نفسه فإياها دلالة لا تزول والدلالات الغربية تزول ولا تتبع فمن اعتمد على العالم من هذا الوجه فقد اعتمد على أمر صحيح لا يتبدل ولا يكون الإعتماد على الحقيقة إلا عليه على هذا الوجه فإن الحق إذا كان كل يوم في شأن فلا يدري ما يكون ذلك الشأن فلا يقدر على الإعتماد على من فيكون اعتماد هذا الشخص اعتماد إلهياً أي هو متصف في ذلك بنعت الحق في قبوله الشؤون التي تظهر للعالم بها وهذا من العلم المضمون به على غير أهله فالعلم ذلك والله يقول الحق وهو يهدي السبيل الفصل السابع والأربعون في الإعتماد على الوعد قبل كونه وهو الإعتماد على المعلوم لصدق الوعد اعلم أن هذا الباب مما نفس الله به عن عباده وهو نفس الرحمن فإن الخبر الصدق إذا لم يكن حكماً لا يدخله نسخ وقد ورد بطريق الخبر الوعد الوعيد فجاء نفس الرحمن بثبوت الوعد ونفوذه والتوقف في نفوذ الوعيد في حق شخص شخص وذلك لكون الشريعة نزلت بلسان قوم الرسول صلى الله عليه وسلم فخاطبهم بحسب ما تواطوا عليه فمما تواطوا عليه في حق المنعوت بالكرم والكمال وانفاذاً للوعد وإزالة حكم الوعيد فقال أهل اللسان في ذلك على طريق المدح

وإني إذا أوعدته أو وعدته

لمخلف إيعادي ومنجز مواعيدي

وقد ورد في الصحيح ليس شيء أحب إلى الله من أن يمدح والمدح بالتجاوز عن المسيئ غاية المدح فالله أولى به تعالى والصدق في الوعد مما يتمدح به قال تعالى "ولا تحسبن الله مخلف وعده رسله" فذكر الوعد وأخبر عن الأبعاد في تمام الآية بقوله "إن الله عزيز ذو انتقام" وقال في الوعيد بالمشيئة وفي الوعد بنفوذه ولا بد ولم يعلقه بالمشيئة في حق المحسن لكن في حق المسيئ علق المشيئة بالنفخة والعذاب فيعتمده على وعد الله فلا ظهور له إلا بوجود ما وعد به وهو بعد ما وجد والإعتماد عليه لا بد منه لما يعطيه التواطؤ في اللسان وصدق الخبر الإلهي بالدليل والله عند ظن عبده به فليظن به خيراً والن هنا ينبغي أن يخرج مخرج العلم كما ظهر ذلك في قوله عن الثلاثة الذين خلفوا وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه أي علموا وتيقنوا وقال أهل اللسان في ذلك فقلت لهم ظنوا بالغي

مدحج أي تيقنوا واعلموا فإن الظن لما كانت مرتبته برزخية لها وجه إلى العلم وإلى نقيضه ثم دلت قرائن الأحوال على وجه العلم فيه حكمنا عليه بحكم العلم وأنزلناه منزلة اليقين مع بقاء إسم الظن عليه لا حكمه فإن الظن لا يكون إلا بنوع من ترجيح يتميز به الشك فإن الشك لا ترجيح فيه والظن فيه نوع من الترجيح إلى جانب العلم زكدا قال أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا فأبان أن في الظن ترجيحاً ولا بد أما إلى جانب الخير وأما إلى جانب الشر والله عند ظن عبده به ولكن ما وقف هنا لأن رحمته سبقت غضبه فقال معلماً فليظن بي خيراً على وجهة الأمر فمن لم يظن به خيراً فقد عصى أمر الله وجهل ما يقتضيه الكرم الإلهي فإنه لو وقع التساوي من غير ترجيح كالشك لكان من أهل من يقول أن عدله لا يؤثر في فضله ولا فضله في عدله فلما كان الظن يدخله الترجيح أمرنا الحق أن نرجح به جانب الخير في حقنا ليكون عند ظننا به فإنه رحيم فمن أساء الظن بأمر فإن العائد عليه سوء ظنه لا غير ذلك والله يجعلنا من أهل العلم زان قضى علينا بالظن فنظن الخير بالله وقد فعل بحمد الله والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الفصل الثامن والأربعون في الإعتداد على الكنايات وما يظهر منها من الفتوح وهي المعبر عنها بالأنية في الطريق وكيف يعتل الصحيح ويصح المعتل أعلم أيذك الله أن كل ما سوى الله فإنه معتل بالذات صحيح بالعرض فإن الصحة تعرض للمحدث إذا أحبه الله حب سبب كحبه لأصحاب التقرب بالنوافل فيكون الحق سمعهم وبصرهم فيزول عنه المرض والاعتلال ويصح فينفذ بصره في كل مبصر وسمعه في كل مسموع وأما الصحيح بالذات المعتل بالعرض فهو الذي يرى أن الوجود ليس سوى عين الحق فهو من حيث عينه لا تقوم به العلل غير أنه لما ظهر في أعين الناظرين إليه في صور مختلفة حكمت عليه بذلك أحكام أعيان الممكنات ظهر معتلاً بحكم العرض الذي عرض لا عين الناظرين عليه وهو نفسه على ما هو عليه كما يعرض للنور في عين الناظر صور الألوان وهو في نفسه غير متلون فهذا قد عاد الصحيح معتلاً وأما الإعتداد على الكنايات لأنها أعرف المعارف والإعتداد لا يكون الأعلى معروف لأجل التعيين فلو كان منكراً لم يتميز ولم يتعين فيكون الإعتداد على غير معتمد والاسماء لا تقوى قوة الكنايات فلا يخيب المعتمد على الكنايات وقد يخيب المعتمد على الاسماء لأنها لا تقوى قوة الكنايات في المعرفة وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة لأنه لا يتغير و الاسماء قد تنتقل وتستعار فمن اعتمد على الاسم في حال كونه معاراً أو منتقلاً يخيب المعتمد عليه فالمستعار كالإشتعال الذي هو إسم مخصوص نعت من نعوت أحوال النار المركبة فاستعير للشيب في قوله "وأشتعل الرأس شيباً" وأما الإنتقال فمثل قوله جداراً يريد أن ينقض فنقل إسم المرید لمن ليس من شأنه أن يريد فإن اعتمد على هذا الاسم في حال نقله خاب المعتمد عليه والكنايات ليست كذلك ولها المكاشفة بالحق وفتوح الحلاوة في الباكن كما للاسماء فتوح العبارة

الفصل التاسع والأربعون فيما يعدم ويوجد مما يزيد على الأصول كالنوافل مع الفرائض أعلم أنه لا يسمى بالزائد من تطلبه الذات لكمال حقيقتها فما زاد على أعطى كل شئ خلقه فهو زائد وهو إذا عدم لم يتأثر المعدوم عنه بعدمه وإن وجد لم يزد الموجود فيه في ذاته شيئاً لم يكن عليه مثل الأحوال عند أصحاب المقامات إن وجدت فيهم لم يزد ذلك في مكانتهم وإن عدمت لم ينقص عدمها من مكانتهم ولذلك هي المواهب الفصل الخمسون في الأمر الجامع لما يظهر في النفس من الأحكام في كل متنفس حقاً مشبهاً وخلقاً وحياءً ونطقاً وما نفس به من الأقسام الإلهية أعلم أن الإمداد الإلهي للموجودات لا ينقطع فإذا قصر فمن القابل لا من جانب الممد فإن أضيف عدم الإمداد في أمر معين إلى جانب الحق فذلك القصر امداد المصلحة في حق ذلك الممنوع فإنه العالم بمصالح المخلوقات ولهذا ينبغي للعلماء بالله أن لا يعينوا عند سؤالهم حاجة بعينها وليسألوا ما لهم فيه الخير من غير تعيين فكل من سائل عين فلما قضيت حاجته لحكمة يعلمها الله أدركه الندم بعد ذلك على ما عين وتمنى أنه لم يعين فالإمداد تنفس رحماني والإمداد الإلهي في

الموجودات طبيعي ومزاد فالطبيعي ما تمس الحاجة إليه لقوام ذاته ودفع ألم يقوم به والمزاد ما يزيد على هذا مما لا يحتاج في نفسه إليه هذا إذا كان من أهل الله القائلين بالري عند الشرب ومن لا يقول بالري فما ثم امداد مزاد بل كله طبيعي والمزاد على قسمين وهو ما يمد به الحق مما يحتاج الغير وفيه يقول الله أمراص نبيه صلى الله عليه وسلم "وقل ربي زدني علماً" وهذا المزادان كان عن طلب من الغير وهو الموجب للزيادة مثل ماهو في نفس القارى فيء آمن وآدم أو يكون وأن كان أمداد من الله لهذا العبد ليمدبه من يعلم الله إنه محتاج إليه ليشرف الواسطة بذلك فيجد هذا العبد في نفسه علماً لا يقتضيه حاله فيعلم إن المراتبه التعليم والامداد للغير ومثاله في نفس القارى جاء وشاء ودابة وطامة وهو الموجب للزيادة في الأمداد فدابة وطامة صورتان تدبرهما روح واحدة وهو التضعيف والهمزة نصف حرف عند بعضهم وهو الاسم الظاهر وألف نصف حرف وهو الاسم الباطن فالجموع حرف واحد وهو السبب الموجب لزيادة الأمداد لما يعلم الممد من حاجته إلى ذلك أولطلبه وعلى كل حال فنفس الرحمن فيه موجود والزيادة في أمداد على قدر الحاجة أو الطلب فيفضل بعضه على بعض فالمفضول قصر وجزر عن المدالأطول ألافضل فاعلم ذلك فالمدامداد محسوس ظاهر والجزر أمداد معنوى يطلق عليه أسم النقيض فاعلم ذلك

وصل إذا اجتمع عارفان في حضرة شهودية عند الله ما حكمها وهذه مسألة سألي عنها شيخنا يوسف بن يخلف الكومي سنة ست وثمانين وخمسائة فقلت له يا سيدي هذه مسألة تفرض ولا تقع إلا إذا كان التجلي في حضرة المثل كروياً النائم وكحال الواقعة وأما في الحقيقة فلا لأن الحضرة لا تسع اثنين بحيث أن يشهد معها غيرها بل لا يشهد عينها في تلك الحضرة فاحرى أن يشهد عيناً زائدة ولكن يتصور هذا في تجلي المثال فإذا اجتمعا فلا يخلو كل واحد منهما أن يجمعهما مقام واحد أعلى أو أدنى أو متوسط أو لا يجمعهما فإن جمعهما مقام واحد فلا يخلو أما أن يكون ذلك المقام مما يقتضي التزيه أو التشبيه أو الجموع وعلى كل حال فحكم التجلي من حيث الظهور واحد ومن حيث ما يجده المتجلى له مختلف الذوق لاختلافهما في أعيانهما لأن هذا ما هو هذا لا في الصورة الطبيعية ولا الروحانية ول في المكانية وإن كان هذا مثل لهذا ولكن هذا ما هو هذا فغايتتهما أما أن يتحقق كل واحد منهما بمعرفته بنفسه ونفس هذا غير هذا فيحصل من العلم لهذا ما لم يحصل لهذا فنعلم أنهما وإن اجتمعا في عين الفرق أو يتحقق الواحد بمعرفته بنفسه ويفنى الآخر عن مشاهدة ذاته فيختلفان في عين الجمع أو يعطى الواحد ما يعطى المراد ويعطى الآخر ما يعطى المرید فعلى كل وجه هما مختلفان في الوجود متفقان في الحال والشهود فإن اقتضى المقام التزيه لكل واحد منهما فغاية تزيه كل واحد منهما أن تزيه عن صورة ما هو عليها في نفسه فهما مختلفان بلا شك وأن كانا مثليين وإن اقتضى ذلك المقام التشبيه فالحال مثل الحال وكذلك أن اقتضى الجموع فإن الجموع إنما هو جمع طرفين في حضرة وسطى فالحال الحال فلا يجتمعان أبداً في الوجود وإن اجتمعا في الشهود وإن لم يجمعهما مقام واحد وكان كل واحد في مقام ليس للآخر وظاهر بصورة ما هي لصاحبه وإن اجتمعا في الصورة إلا أنهما أعطيا من القوة بحيث أن يشهد كل واحد منهما حضور صاحبه في بساط ذلك المشهود لكون المشهود تجلي في صورة مثالية وهذا التجلي والشهود هو الذي يجمع فيه صاحبه بيم الخطاب والشهود إن شاء المشهود وأما في غير هذه الحضرة فلا يجتمع شهود وخطاب ولا رؤية غير وحكمهما إذا كانا بهذه المثابة حكم من جمعهما مقام واحد في معرفته نفسه أو فناء أحدهما أو يقام أحدهما مراداً والآخر مریداً فيخبر المرید عن قهر وشدة ويخبر المراد عن لين وعطف وما ثم إلا هذا ولا يخبر واحد منهما عما حصل لصاحبه فإن الألقاء لكل واحد منهما إنما يكون بالمناسب الذي يقتضيه المزاج الخاص به الذي كان سبب اختلاف صور أرواحهما في أصل النشأة فإذا رجع إلى أصحابه من حاله يقول وإن كان أحدهما في المغرب والآخر في المشرق لأصحابه في هذه

موحدهم ومشرکہم ومؤمنہم وكافرہم وقد أقسم لهم بالحدثات وبغير نفسه وعلم أنه قد تقرر عندهم أنه لا يكون القسم إلا بالتعظيم عند المقسم بالضرورة يعتقد العالم تعظيم الحدثات ولا سيما وقد أيد ذلك في بعض الحدثات بقوله ومن يعظم شعائر الله وهي محدثات فإنها من تقوى القلوب ومن صفات الحق الغير فحجره من كونه غيورا علينا أن نقسم بغيره مع اعتقادنا عظمة الغير بتعظيم الله فهذا التحجير دواء نافع لما أورثه القسم بالحدثات في القلوب الضعيفة البصائر عن ادراك الحقائق من العلل والأمراض والأقسام كثيرة ولا فائدة في ذكرها مع ما ذكرناه من الأمر الجامع لها فهو يغني عن تفصيلها فإن الكتاب يطول بذكرها وكل إنسان إذا وقف على قسم منها عرفيما وقع وما نفس الله به عمن نفس الله به من أول وهلة وإنما ينبغي لنا أن نذكر ما يغمض على بعض الإفهام أو أكثرها لحصول الفوائد العزیزة المنال عند أكثر الناس وصل ومن نفس الرحمن تشريع الإجتہاد في الحكم في الأصول والفروع ومراعاة الاختلاف وثبوت الحكم من جانب الحق بإثباته إياه أنه حكم شرعي في حق المجتهد تحرم عليه مخالفته مع التقابل في الأحكام فقرر الحكمين المتقابلين وجعل المجتهدين في ذلك مأجورين فشرع المجتهد من الشرع الذي أذن الله فيه لهذه الأمة الحمديّة أن يشرعه ولا أدري هل خصت به أو لم يزل ذلك فيمن قبلها من الأمم والظاهر أنه لم يزل في الأمم فإن نفس الرحمن يقتضي العموم ولا سيما وقد جاء في القرآن ما يدل على أن ذلك لم يزل في الأمم في قوله تعالى "ورهبانية ابتدعوها" وما ابتدعوها إلا باجتہاد منهم وطلب مصلحة عامة أو خاصة وأثني على من رعاها حق رعايتها وذكر هذا في بني اسرائيل وكذلك في قوله في الأصول ومن يدع مع الله ألها آخر لا برهان له به يعني في زعمه فإنه في نفس الأمر ليس إلا إله واحد ولهذا قرر صلى الله عليه وسلم حكم المجتهد سواء أصاب أو أخطأ بعد توفيقه حق الإجتہاد جهد طاقته وما رزقه الله من قوة النظر في ذلط وقرر له الأجر مرة واحدة أن أخطأ ومرتين أن أصاب فالعلم أن المجتهد قد يخطئ ما هو الأمر عليه في نفسه ومع هذا قد تعبده به وأعطاه على ذلك أجر الإجتہاد لما فيه من المشقة لأنه من الجهد بذل الوسع خاصة فإن الله كما كلف عباده إلا وسعهم في نفس الأمر ولم يخص صلى الله عليه وسلم في الإجتہاد فرعاً من أصل بل عن فمن خصص ذلك بالفروع دون الأصول فهو الإجتہاد ايضاً تخصيص ذلك وتعميمه وكلاهما مأجور في اجتہاد وصل ومن نفس الرحمن ايضاً قوله تعالى حكاية عن معصوم في قوله عن الخطأ وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها فاخرج وضيق المتسع فنفس الله بتمام الآية والتعريف بقوله أن ربي على صراط مستقيم فقوله اهدنا الصراط المستقيم بالآلف واللام اللذين للعهد وهو هذا الصراط الذي عليه الرب أن يكون مشهوداً لنا في وقت مشى الحق فيه بنا فإنه صراط من أنعم عليه ومن غضب الله عليه وأصله في السبيل التي فرقته عن سبيله وهو الصراط الذي هو عليه حجبه عن شهوده فلا يشهده إلا سعيد وإن لم يشهده وإن لم يشهده آمن به وجعله كأنه يشهده فهو سعيد ومعلوم أن تصرف كل دابة قد يتعلق به لسان حمد أو ذم لأمر عرضية في الطريق عينتها الأحوال وأحكام الاسماء والأصل محفوظ في نفس الأمر تشهد الرسل سلام الله عليهم والخاصة من عباد الله وصل ومن نفس الرحمن الذي نفس الله به عن عباده المؤمنين بالرسول قوله وهو معكم أينما كنتم فنفس الله بذلك عن قلوب كان قد قام بها أن الله تعالى لا يعلم الجزئيات وإن كان القائل بذلك قد قصد التنزيه لكنه ممن اجتهد فأخطأ وإذا لم يتغير الأمر في نفسه بتغير الإجتہاد فالحكم له فلا يكون منه في العقبى إلا الخير فإنه الخير المحض الذي لا شرفيه فما عند المجتهد من التغيير من جهته إلا ما تغيروا به من نفوسهم فإن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وما غيروا به أنفسهم فذلك تغيير الله بهم لأنهم كما خرجوا عنا أعطاهم الله فإن الله ما كلف نفساً إلا ما آتاهما فما آتاهما في هذا الوقت إلا ما سماه تغييراً فهو معهم في حال تغيرهم إلى أن ينقضي مدته فيبدولهم من الله ما لم يكونوا

يحتسبون وهو مشاهدة ما هو الأمر عليه في نفسه فنفس الله عنهم بما بدا لهم منه وما يبدو من الخير إلا الخير كما قال المعتزلي الذي كان يقول بانقاذ الوعيد فيمن مات عن غير توبة فلما مات وهو على هذا تالاعتقاد وحصل له بعد الموت شهود الأمر على ما هو به رؤى فيالنوم فقليل له ما فعل الله بك فقال وجدنا الأمر أهون مما كنا نعتقد وأخبرناه رحم ولم ينفذ فيه الوعيد الذي كان يعتقد نفوذه في أمثاله وليس أنباء الحق عباده يوم القيامة بما عملوه من الجرائم واجترحوه من الآثام على وجه التوبيخ والتقرير وإنما ذلك على طريق الإعلام باتساع رحمة الله حيث نالها لأتساعها من لا يستحقها وذلك وذلك بشفاعاة أعيان تلك الأفعال المسماة جرائم فإن فاعلها لما كان سبباً في إيجاد أعيانها من كونها أفعالاً وأقام نشأتها وهي معصية في حقه لكنها نشأة مطيعة مسبحة ربها عز وجل تستغفر للسبب الموجب لوجودها فيجيب الله دعاءها واستغفارها لصاحبها فإنه لا علم لها بأنها معصية أو طاعة فإنها غير مكلفة بذلك ولا خلقت له فيقبل الله شفاعتها فيه فيكون مآله إلى الرحمة التي وسعت كل شئ وما في العالم إلا من هو منشئ صور أعمال منعوتة في الشرع بطاعة ومعصية ولا طاعة ولا معصية فإذا انتشأت فلا غداء لها إلا التسبيح بحمد الله وهنا أعني في هذه الحضرة تتساوى أعمال الطاعة والمعصية فإن كونها طاعة ومعصية ما هو عينها وإنما ذلك حكم الله فيها وهي مقبولة السؤال عند الله فإنها من أصناف المعنى بهم المفطورين على تعظيم الله تعالى والثناء عليه بما هو أهله ولولا أنه ما كان معناً أينما كنا ما ظهرت أعيان هذه الأعمال إذ هو منشئها فينا بنا أو عندنا على حسب ما يعطيه نظر كل ناظر فقل كيف شئت وهذا القدر كاف في باب النفس الرحمتي وما رأيت أحداً ممن غير من أهل هذا الشأن تكلم عليه مثلنا ولا فصله تفصيلنا والله يقول الحق وهو يهدي السبيل
بسم الله الرحمن الرحيم

الباب التاسع والتسعون ومائة في السر

فهو الدليل على ثبوت الواحد

في غائب إن كان أوفى شاهد

وهي الدليل على انتفاء الواجد

فيه بحكم لا يكون بزائد

صفة العلوم فحكمه كالفاقد

السر تثبت المراتب فافتكر

بالفرد صح وجودنا في عيننا

إن الإشارة بالحقيقة تيمت

والحال يطلبه المراد بكونه

والعالم التحرير ان قامت به

اعلم أن السر عند الطائفة على ثلاث مراتب سر العلم وسر الحال وسر الحقيقة فأما سر العلم فهو حقيقة العلماء بالله لا بغيره من الاسماء فإن سر العلم بالله هو جمع الأضداد بالحكم في العين الواحدة من حيث ما هو منسوب إليه كذا مما له ضد من ذلك بعينه ينسب إليه ضده وهذا سر لا يعلمه إلا من وجده في نفسه فاتصف به فحكم على عينه بحكم حكم عليه أيضاً بضده من حيث حكم ضده لا من نسبة أخرى ولا من إضافة ولهذا جعله الله سر العلم لأن العلم كل علم حصل عن دلالة لأنه مشتق من العلامة ولذلك أضيف العلم إلى الله بالأشياء لأنه علم نفسه فعلم العالم فهو دليل وعلامة على العالم كما كان العالم علامة عليه في علمنا به وهو قوله صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه عرف ربه فجعلك لك دليلاً عليه فعلمته كما كانت ذاته دليلاً عليك له

فعلكم كأوجدك فهذا من خفى سر العلم الذي لا يعلمه إلا العلماء بالله فإذا كان الحق سمع العبد وبصره وعلمه علمته به وجعلته دليلاً وعلامة على نفسه وهذا هو سر الحال ومنه نفخ عيسى في الصورة التي أنشأها من الطين فكانت طيراً وبسر العلم دعاء إبراهيم عليه السلام الأتبار فأتته سعيّاً فإن كان قوله بإذني العامل فيه تنفخ فهو سر الحال وإن كان العامل فيه فيكون فهو سر العلم وهذا لا يعلمه إلا صاحبه وهو عيسى عليه السلام وسر العلم أتم من سر الحال لأن سر العلم هو الله وهو الذي ظهر به إبراهيم الخليل عليه السلام فإنه ما زاد على أن دعاهن ولم يذكر نفخاً فكان كقوله إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون وسر الحال لا يكون إلا من نعوت الخلق ليس من نعوت الحق فسر العلم أتم وحكمه أعم فالحال من جملة معلومات العلم ومن هو تحت إحاطته ولو كان الحال أتم من العلم لكان الحق قد أمر نبيه بطلب الأنقص ويكون الحق قد ترك وصفه بالآتم وهذا محال فليس الشرف إلا السر العلم وأما سر الحقيقة فهو أن تعلم أن العلم ليس بأمر زائد على ذات العالم ويعلم الأشياء بذاته لا بما هو مغاير لذاته أو زائد على ذاته فسر الحقيقة يعطى أن العين والحكم مختلف وسر الحال يلبس فيقول القائل بسر الحال أنا الله وسبحاني وأنا من أهوى ومن أهوى أنا وسر العلم وفرق بين العلم والعالم فسر العالم تعلم أن الحق سمعك وبصرك ويدك ورجلك مع نفوذ كل واحد من ذلك وقصوره وإنك لست هو عينه وبسر الحال ينفذ سمعك في كل مسموع في الكون إذا كان الحق سمعك حالاً وكذلك سائر قواك وبسر الحقيقة تعلم أن الكائنات لا تكون إلا لله وأن الحال لا أثر له فإن الحقيقة تأباه فإن السبب وإن كان ثابت العين وهو الحال فما هو ثابت الأثر فللحقيقة عين تشهد بما لا يشهد بعين الحال وعين العلم وللعلم عين تشهد بما لا يشهده بعين الحال وتشهد ما يشهده عين الحال فعين الحال أبداً تنقص عن درجة عين العلم وعين الحقيقة ولهذا لا تتصف الأحوال بالثبوت فإن العلم يزيلها والحقيقة تأبها ولذلك الأحوال لا تتصف بالوجود ولا يالعدم فهي صفات لموجود لا تتصف بالعدم ولا بالوجود فبالحال يقع التلبس في العالم وبالعلم يرتفع التلبس وكذلك بالحقيقة بالحقيقة فهذا سر العلم وسر الحال وسر الحقيقة قد علمت الفرقان بينهم في الحكم هذا معنى السر عند الطائفة فإذا ثبت أمر في العالم كان ما كان وظهر حكمه فسر معناه إذا ظهر لمن ظهر له بطلعده ذلك الثبوت الذي كان يحكم به قبل هذا على ذلك الأمر في كل أمر يكون له ثبوت في العالم وبهذه المثابة ثبوت الأسباب كلها في العالم فسر الربوبية أما المربوب وأما النسب أو الصفات التي من شأن من نسبت إليه أو قامت به عند من يرى أنها صفات أن يكون بافليس هو رب بالذات على هذا النحو هذا معنى قول سهل بن عبد الله للربوبية سر لو ظهر لبطلت الربوبية وكذلك قوله أيضاً أن للربوبية سرّاً لو ظهر لبطل العلم وإن للعلم سرّاً لو ظهرت لبطلت النبوة وإن النبوة سرّاً لو ظهر لبطلت الأحكام فسر الحق لو ظهر لبطل الاختصاص والنبوة اختصاص فبطل النبوة ببطلان الاختصاص ويبطل حكم العلم من حيث أنه صفة للذات حتى أعطاه حكم العالم وهو الحال فيبطل العلم لا يبطل العالم وسر النبوة إزالة رافع الدرجات لأنه ما ثم على من والمعارج للأنبياء إنما هي في هذه الدرجات فسر النبوة الأخبار بما هو الأمر عليه وما هو الأمر عليه لا يقبل التبديل وإذا لم يقبل التبديل بطل الحكم فإن الحكم يثبت التخيير والتخيير يناقض التبديل فإذا بطل التخيير بطل الحكم فبطل معنى النبوة فهذا سرها فمن ظهر له أسرار هذه الأمور وعلمها وعلم الحق فيها ولم يطلع عنده شيء فهو أقوى الأقوياء في التمكن الإلهي فهو عبد في مقام سيد وسيد في صورة عبد

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الموفى مائتين في حال الوصل

والوصل فينا درك ذاك الفائت

فإذا ابتغيينا كان ثبت الثابت

حي زذاك الحي عين المائت

والناطق المعصوم عين الصامت

لو فاتنا ما فات لم تك صورة

ما فات الأكوننا لم نبغه

وبه تفاضلت الرجال فمنهم

والميت منا ليس يعرف موته

اعلم أن الوصل في اصطلاح القوم ادراك الفائت وهو ادراك السالف من أنفاسك وهو قوله تعالى "يبدل الله سيئاتهم حسنات" والعلة في ذلك إن كان حال له نفس يتضمن ذلك النفس جميع ما سلف من أنفاس ذلك المتنفس من حيث ما مانت عليه تلك الأنفاس من الأحكام فله فائدة المجموع وما يتميز به من غيره وهو قول الطائفة لو أن شخصاً أقبل على الله دائماً ثم أعرض عنه طرفه عين كان ما فاتة في تلك اللحظة أكثر مما ناله وهذه المسألة حيرت العارفين بالوصل إذا صح لم يعقبه الفصل هذا هو الحق إن الحق سبحانه لا يقبل وصله الانفصال ولا تجلى لشيء ثم انحجب عنه لأن العالم بما هو به عالم لا يكون بخلاف حكم علمه فالحق مع الكون في حال الوصل دائماً وبهذا كان إلهاً وهو قوله تعالى وهو معكم أينما كنتم أي على أي حال كنتم من عدم ووجود وكميات فهكذا هو في نفس الأمر والذي يحصل لأهل العناية من أهل الله أن يطلعهم الله ويكشف عن بصائرهم حتى يشهدوا هذه المعية وذلك هو المعبر عنه بالوصل أعني شهود هذا العارف فقد اتصل العارف بشهود ما هو الأمر عليه فلا يتمكن أن ينقلب هذا الوصل فصلاً كما لا ينقلب العلم جهلاً فإنه يعطيك هذا المشهد الكيفية فيه على ما هي عليه فهذا يا أخي معنى الوصل عند الطائفة في اصطلاحهم جعلنا الله وإياكم من أهل الوصل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل
بسم الله الرحمن الرحيم

ودع يفوتك فالمرجو قد حصلا

وهو الدليل لعبد الله إذن كملا

الفرق ما بين من يدري ومن جهلا

الفصل فوت الرجا أن كنت تعقله

من غير ما هو مرجو لطالبه

لا بد منا ومنه والدليل لنا

اعلم أن الفصل عند الطائفة فوت ما ترجوه من محبوبك وعندنا الفصل هو تمييزك عنه بعد كونه سمعك وبصرك فإن وقع لك التمييز قبل هذا فليس هو الفصل المذكور في هذا الباب فإن المراد به هنا الفصل الذي يكون عن الوصل وهذا هو الذوق وقبل الذوق قد يخطر للعبد من الرجاء أن يكون الحق فيتفق أن يطلع على أحالة هذه الكينونة فيكون أيضاً هذا من الفصل المبوب عليه في هذا الباب وما ثم أعلى من هذا الرجاء ثم يتزل من هذا إلى ما يرجوه من التحقق بالاسماء والصفات والنوع في الأكوان علوها وسفلها فكل ما فاتك من هذه الأمور فهو فصل أيضاً من هذا الباب ولكن من شرط هذا الفصل والوصل أن يكون من مقام المحبة وأن كانت من طريق الأرادة فإن المحبة وأن كانت عين الأرادة فهي تعلق خاص كالشهوة لها تعلق خاص وهي أرادة وكذلك العزم حال خاص في الأرادة والهم والنية والقصد كل ذلك أحوال للأرادة وأعلم أن الرجاء من صفات المؤمنين من حيث ما هو مؤمن والفعل تلبع له فهو

من أحوال المؤمنين ما هو من أحوال العارفين فإنهم على بصيرة من أمرهم فلا رجاء عندهم وهكذا نعت كل من هو من أمره على بصيرة كما قال لا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً وكما يؤس الكفار من أصحاب القبور فالفصل الذي يكون للعارفين ما هو فوت ما يرجى وأما هو تحقيق ما يقع به التمييز بين الحقائق ولا يكون ذلك للعلماء بترتيب الحكمة في الأمور فيعطي كل ذي حق حقه كما فصل كل شيء بما يتميز به عن أن يشترك مع غيره فأما في الاسماء الألهية فيما تدل عليه من حيث ما هي عدد فلما قبلت الكثرة أحتيج إلى الفصل أما في ذات المسمى من نسبة معانيها إليه وأما من حيث ما تظهر فيه آثارها فيحدث لها الكثرة من المؤثر فيه لا من إسم الفاعل الذي هو فتكون الآثار تكثر النسب إلى العين الواحدة فذلك الفصل في الآثار لا في الاسماء ولا في المسمى ولا في المؤثر فيه فهذا تحقيق الفصل في المعرفة عند العارفين والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثاني ومائتان في حال الأدب

فتكون مكتوباً من الأدباء

جهد فإننت به من الخدماء

ما يستحق لحقت بالأمناء

وبذاك قالوا جملة القدماء

أدب الشريعة أن تقوم برسمها

فإذا فتيت من القيام وأنت في

وإذا دفعت لكل طالب حقه

وأنت بالشرع المطهر حكمه

أعلم أن الأدب على أقسام أما أدب الشريعة فهو أن لا يتعدى بالحكم موضعه في جوهر كان أو في عرض أو في زمان أو في مكان أو في وضع أو في إضافة أو في حال أو في مقدار أو في مؤثر أو في مؤثر فيه وأنحصرت أقسام محل ظهور أدب الشريعة فأما أدبها في الذوات القائمة بأنفسها فبحسب ما هي عليه من معدن ونبات وحيوان وأنسان وعروض وما يقبل التغيير منه وما لا يقبل التغيير وما يقبل الفساد وما لا يقبل الفساد فيعلم حكم الشرع في ذلك كله فيجريه فيه بحسبه وأما آدابها في الأعراض فهو ما يتعلق بأفعال المكلفين من وجوب وحظر وندب وكراهية وأباحة وأما الآداب الزمانية فما يتعلق بأوقات العبادات المرتبطة بالأوقات فكل وقت له حكم في المكلف ومنه ما يضيق وقته ومنه ما يتسع وأما الآداب المكانية كمواضع العبادات مثل بيوت الله الذي أذن الله فيها أن ترفع ويذكر فيها اسمه وأما الآداب الوضعية فهي أن لا يسمى الشيء بغير اسمه ليتغير عليه حكم الشرع بتغير الاسم فيحلل ما كان محرماً أو يحرم ما كان محلاً كما قال عليه السلام سيأتي على الناس زمان يظهر فيه أقوام يسمون الخمر بغير اسمها وذلك ليستحلوها بالاسم كما سئل مالك عن خنزير البحر فقال هو حرام فقليل له أنه من جملة سمك البحر فقال أنتم سميتموه خنزيراً فإنسحب عليه لأجل الاسم حكم التحريم كما سمو الخمر نبيذاً أو ربا أو تزيراً فاستحلوها بالاسم وأما أدب الأضافة فمثل قول خضر فأردت أن أعيبها وقوله فأردنا أن يبدلها للأشتراك بين ما يحمد ويذم وقوله فأراد ربك لتخليص المحمدة فيه فيكتسب الشيء الواحد بالنسبة ذماً وبالأضافة إلى جهة أخرى حمداً وهو عينه وتغير الحكم بالنسبة وأما آداب الأحوال كحال السفر في الطاعة وحاله في المعصية فيختلف الحكم بالحال وحال

السفر أيضاً من حال الإقامة في صوم رمضان وفطره والمسح على الخفين في التوقيت وعدم التوقيت وأما الآداب في الأعداد فهو ما

يتعلق بعدد أفعال الطهارة ومقاديرها والزكاة وعدد الصلوات وما لا يزداد فيه ولا ينقص بحسب حكم الشرع في ذلك وكذلك توقيت ما يغتسل به ويتوضأ به كالمدا والصاع هذا أدبه في العدد وأما الأدب في المؤثر كحكمه في القاتل والغاصب وكل ما أضيف إليه فعل ما من الأفعال وأما أدبه في المؤثر فيه كالمقتول قود أهل بصفة ما قتل به أو بأمر آخر وكالمغصوب إذا وجد بغير يد الذي باشر الغصب هذا قسم أدب الشريعة وأما قسم أدب الخدمة فأما أن يكون أعلى إلى أدنى أو من أدنى إلى أعلى فأما خدمة الأعلى إلى من هو دونه فالقيام بمصالحه ومراعاتها والتنبيه في ذلك على ما وقعت فيه المغفلة والتعريف بما جهل منها وتعيينه أوقاتها وأمكناتها وحالاتها وأيضاح مبهماتهما والأفصاح عن مشكلاتهما بأقامة أعلامها كالأستاذ مع التلميذ والعالم مع الجاهل والسلطان مع الرعية وأما خدمة الأدون من هو أعلى منه فبأمثال أوامره ونواهيه والوقوف عند مراسمه وحدوده والمبادرة إلى محابه والمسارة إلى مرضيه ومراقبة أشاراته وموافقة أغراضه هذا قسم أدب الخدمة وأما قسم أدب الحق فهو أعطائه ما يستحقه مما ينبغي له وأعطاؤه ما يستحقه مني كما أنه أعطاني خلقي حين "أعطي كل شيء خلقه" فإذا أعطيته ما يستحقه بما هو هو وأعطيته ما يستحقه منك بما أنت له فقد قمت بآداب الحق في أعطائه كل شيء خلقه هذا قسم آداب الحق وأما قسم آداب الحقيقة فحاله أن يراه في الأشياء عينها لا هي ثم يحكم على ما يراه من الزيادة والنقص بما أعطته أستعدادات الأشياء فينسب ذلك إليها لا إليه كما لا كان أو نقصاً أو موافقاً أو مخالفاً لا يحاشي شيئاً فإن حال الحقيقة يعطي ما قلناه فإذا كان حالك في كل مقام ما ذكرناه فقد قمت بالآداب وأخذت الخير أجمعه بكلتا يديك وملائمتها خيراً وهذا غاية وسع المخلوق والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم والكلام على الأحوال لا يحتمل البسط وتكفي فيه الإشارة إلى المقصود ومهما بسط القول فيه أفسدته والله يقول الحق وهو يهدي السبيل بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثالث ومائتان في حال الرياضة

وأخرجها عن طبعها ومرادها

يرى راضها من راضها بعنادها

لها عينت بالشرع عند فسادها

إذا هذب الإنسان أخلاق نفسه

وذاك محال عندنا كونه فما

فإن كنت ذا علم فإن مصارفاً

أعلم أن الرياضة عند القوم من الأحوال وهي قسمان رياضة الأدب ورياضة الطلب فرياضة الأدب عندهم الخروج عن طبع النفس ورياضة الطلب هي صحة المراد به أعني بالطلب وعندنا الرياضة تهذيب الأخلاق فإن الخروج عن طبع النفس لا يصح ولما كان لا يصح بين الله لذلك الطبع مصارف فإذا وقفت النفوس عندها حمدت وشكرت ولم تخرج بذلك عن طبعها فرياضتها أقتصرها على المصارف التي عينها لها خالقها فإن عين الشيء المزاجي ليس غير مزاجه فلو خرج الشيء عن طبعه لم يكن هو ولهذا يكون قول من قال رياضة الطلب صحة المراد به فإنه إذا كان

الشيء مراداً به أمر ما والمريد لذلك الأمر هو موجد ذلك الشيء وقد عينه له وعرفه به وأن ذلك القدر يريد منه فتصرف فيه بطبعه على ذلك الحد كان صاحب رياضة لأنه لو تصرف في نقيض ما أريد منه لكان تصرفه فيه بطبعه أيضاً فما كان التهذيب فيه ألا صرفه عن الإطلاق في التصرف إلى التقييد فإن أراد صاحب القول في رياضة الأدب أنه الخروج عن طبع النفس بمعنى ما كان لها فيه

التصرف مطلقاً صار مقيداً فحمل هذا الشخص نفسه على ما قيدها به خالقها من التصرف فيه ودخلت تحت التحجير بعدما كانت مسرحة فهو الذي ذكرناه وأن أراد غير ذلك فليس ألا ما قلناه وذلك أن الرياضة تذليل النفس وألحاقها بالبودية ولذا سميت الأرض أرضاً وذلولاً فالرياضة عندنا من صير نفسه أرضاً أي مثل الأرض يطوها البر والفاجر ولا يؤثر عندها تمييزاً بل تحمل البار حياً لما هو عليه من مرضي سيده وتحمل الفاجر حمل الله إياه بكونه يرزقه على كفره بنعمه وحجده إياها ونسيان رب النعمة فيها وإلى الرياضة يرجع مسمى الرضى على الحقيقة أن تفتنت لأن النفس تطلب بذاتها الكثير من الخير لأن الأصل على ذلك فإن الله تعالى ما طلب ألا الممكنات وهي غير متناهية ولا أكثر مما لا يتناهي وما لا يتناهي لا يدخل في الوجود دفعة ولكن يدخل قليلاً قليلاً لا إلى نهاية فإذا نسبت إليه ما توجه إليه طلبه من الكثرة ثم رضى من ذلك باليسير والتدرج لعلمه أن ما لا يتناهي لا يمكن حصوله في الوجود رضى بذلك القدر الذي يدخل منه فمتعلق الرضى لا يكون ألا بالقليل ولا يكون مخلوق بأعظم قدر من حاله وإذا كانت هذه صفة الحق فهي بالعبد أولى فما عند الله لا يتناهي ومطلب هذا العبد من الله ما عنده ولا يتمكن دخوله في الوجود ألا قليلاً قليلاً لا إلى نهاية فرضي بذلك القدر العبد وهو قليل بالنسبة إلى متعلق علمه بما عند الله فرضي عن الحق ورضي الحق عنه فوقع الأقتصار من العالم بما لا يتناهي على ما أعطي من ذلك مما يتناهي رياضة منه عن مطلق علمه من ذلك أذ قد علم أيضاً أن ما لا يتناهي لا يدخل في الوجود فحقيقة الرياضة ترجع إلى هذا الآن الآدمي لما خلق على الصورة زهت نفسه وتحيلت أن التحجير لا يصح على من له العزة وما علمت أن العزة تحجير فإن العزة حمى والحمى تحجير فعين ما أدعت به الأطلاق ذلك بعينه قيدها فلما أشهدتها الحق حضرة عزه ونفوذ اقتداره ومع نفوذ اقتداره لم يعطه ألا مكان من نفسه ألا قدر ما يحصل منه في الوجود أنكسرت النفس وصار ما كانت تصول به أورثها ما أشهدتها ذلة وأنكساراً فإنها تقبل الذلة لجهلها فأتراضت والحق لعلمه على عزه فرياضة العلم أنفع الرياضات فما أزالها العلم عن الصورة ولكن أولاً جهلت ما هي الصورة عليه وما هي الحقائق عليه فما أشرف العلم لو لم يكن من شرف العلم ألا تجلى الحق في صورة تنكر ثم تحوله في صورة تعرف وهو هو في الأولى والثانية وأن موطن تلك المشاهدة لا يتمكن في نفس الأمر ألا أن تكون مقيدة لأن الذي يشهد وهو عين العبد مقيد بأمكانه فلا يتمكن له شهود الأطلاق ولا بد من الشهود فظهر له المشهود مقيداً بالصورة ومقيداً بالتحول في الصور ولأنه مقيد بالوجوب الذاتي فالكل في عين التقييد أن عقلت عنا وأنما تقييد بالتحول ليفتح له في نفسه العلم بأن الأمر لا يتناهي وما لا يتناهي لا يدخل تحت التقييد فإنه من قبل التحول إلى صورة من صورة قبل التحول إلى صور لا نهاية لها أو إلى صور لا يمكن لذلك المتحول أن يتجاوزها إلى غيرها فخرج عن حد التقييد بالتقييد ليعلم أن مشهوده مطلق الوجود فيكون مشهوده أيضاً مطلقاً أطلاق مشهوده فأفاده التحول من صورة إلى صورة علماً لم يكن عنده فعلم عند ذلك أن الله هو الحق المبين فأعلى رياضة العبد العالم أن لا ينكره في صورة ولا يقيد بتزيه بل له التزيه على الأطلاق عن تزيه التقييد

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الرابع ومائتان في التحلي بالحاء المهمة

مستخلفين على نور بانبيائه

لولا التحلي لما كنا بحضرته

أن التخلق بالاسماء حلية من

كمثل طيفور أذ صحت خلافته

نفاه مملوكه سبعا لمصلحة

صافى المسمى فصافاه باسمائه

والأمر جاء بها في عين أنبائه

عادت عليه وهذا من أشيائه

فإنه سأل الرحمن ما وقعت

فإنه يرزقني صدقا ويفتح لي

به الأمور على ترتيب نعمائه

باباً ويمنحني شكر الآلاءه

أعلم أن التحلي بالحاء المهملة في اصطلاح الطائفة التشبه بأحوال الصادقين في أقوالهم وأفعالهم وهذا في الطريق عندنا مدخول ومن أسماء الله الصادق وأن الصادقين من أحوالهم التحلي بالحاء المهملة فلا بد من معرفة ما يتحلى به فهل تحلوا بما هو لغيرهم فتزينوا بما ليس لهم فهم لابسوا أثواب زور أو تحلوا بما هو لهم فهم صادقون والتحلي عندنا هو التزين بالاسماء الألهية على الحد المشروع بحيث أن يعسر التمييز وهم الذين إذا رؤوا ذكر الله كعرش بلقيس لما قامت لها شبهة بعد المسافة فقالت كأنه هو ولو شاهدت الأقتدار الألهي لعلمت أنه هو كما كان هو من غير زيادة وإذا حصل الإنسان في هذا المقام بهذا التحلي ولم يحجبه هذا التحلي في حال تزيينه به وأنه له حقيقة ما أستعاره بل ذلك ملكه وما له ولا منعه عن شهود عبوديته لربه وأن نسبة ما ظهر به مما هو نعت لخالفه ما كان تشبهاً وإنما كان تزييناً فذلك التحلي ويقول الحكماء في هذه الحالة أنه التشبه بالأله جهد الطاقة وهذه القول إذا حققته جهل من قائله لأن التشبه في نفس الأمر لا يصح فمن قامت به صفة فهي له وهو مستعد لقيامها به فباستعداد ذاته اقتضاها فما تشبه أحد بأحد بل الصفة في كل واحد كما هي في الآخر وإنما حجب الناس التقدم والتأخر وكون الصورة واحدة فلما رأوها في المتقدم ثم رأوها في المتأخر قالوا أن المتأخر تشبه بالمتقدم في هذه الصورة وما علموا أن حقيقتها في المتأخر حقيقتها في المتقدم ولو كان الأمر كما قالوه لزاحمت العبودية الربوبية ولبطلت الحقائق فما تحلى العبد ألا بما هو له ولا ظهر الحق ألا بما هو له لا من صفات التزييه ولا من صفات التشبيه كل ذلك له ولو لم يكن الأمر كذلك لكان ما وصف نفسه به من ذلك كذباً وتعالى الله بل هو كما وصف نفسه من العز والكبرياء والجبروت والعظمة ونف الماثلة كما وصف نفسه بالنسيان والمكر والخداع والكيد والفرح والمعية وغير ذلك فالكل صفة كمال الله تعالى فهو موصوف بها كما تقتضيه ذاته وأنت موصوف بها كما تقتضيها ذاتك

والعين واحدة والحكم مختلف

والعبد يعبد والرحمن معبود

فليس التحلي في الحقيقة تشبه فإنه محال في نفس الأمر وما قال به ألا من لا معرفة له بالحقائق وكذلك كنا لولا أن من الله علينا فتعين علينا أن نبين للخلق ما بينه الحق لنا هكذا أخذ العهد علينا فيما يجوز لنا ألا بأنه عنه والأفصاح به وأما ما أخذ الله علينا العهد على كتماننا فنشاهده من الخلق ولا نخبرهم بما هو فهم بحكم ما يتخيلون ونحن بحكم ما نعلم ولو عرفناهم بذلك ما قبلوا لأن أستعدادهم لا يعطي القبول كما قال "ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون" فما حجبناهم عنهم ألا رحمة بهم فإن الله سبحانه لم يترك منفعة لعباده ألا وقد أبانها لهم وأختلف أستعدادهم في القبول وما أبان الله عن نفسه بما أبان مما وصف به نفسه مما تتره عنه العقول بإدلتها ألا ليعلم أنه ما ثم شيء من الموجودات ولا عين خارج عنه بل كل صفة تظهر في العالم لها عين في جناب الحق والكل مرتبط به وكيف لا يرتبط به وهو ربه وموجده والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الخامس ومائتان في التخلي بالخاء المعجمة

حقائق الحق والأعيان تشهده

سواه وهو الذي في الكون نعبد

فنحن نعدمه وقتاً ونوجده

على أعتقاداتنا فالله موجود

في كل شيء وأن الشيء يفقده

لولا المراتب في المشروع ما ظهرت

كيف التخلي وما في الكون من أحد

وذلك يمنعنا من أن نقيده

فكل ما في وجود الكون من عرض

فأشهده أن كنت ذا عين ومعرفة

أعلم أن التخلي بالخاء المعجمة عند القوم اختيار الخلوة والأعراض عن كل ما يشغل عن الحق وعندنا التخلي عن الوجود المستفاد لأنه في الاعتقاد هكذا وقع وفي نفس الأمر ليس ألا وجود الحق والموصوف بأستفادة الوجود هو على أصله ما أنتقل من أمكانه فحكمه باق وعينه ثابتة والحق شاهد ومشهود فإنه تعالى لا يصح أن يقسم بما ليس هو لأن المقسوم به هو الذي ينبغي له العظمة فما أقسم بشيء ليس هو وقد ذكرنا ذلك في باب النفس بفتح الفاء فمما أقسم به وشاهد ومشهود فهو الشاهد والمشهود وهو ما أستفاد الوجود بل هو الموجود فإن قلت فمن هذا الذي جهل هذا الأمر حتى تعلمه ولا يقبل الأعلام ألا موجود قلنا الجواب عليك من نفس أعتقادك فإنك المؤمن بأنه تعالى قال للشيء كن فما خاطب ولا أمر ألا من يسمع ولا وجود له عندك في حال الخطاب فقد أسمع من لا وجود له فهو الذي يعلمه ما ليس عنده فيعلمه وهو في حال عدمه يقبل التعليم كما سمع الخطاب عندك فقبل التكوين وما هو عندنا قبوله للتكوين كما هو عندك وإنما قبوله للتكوين أن يكون مظهر للحق فهذا معنى قوله فيكون لا أنه أستفاد وجوداً أما أستفاد حكم المظهرية فيقبل التعليم كما قبل السماع لا فرق ولقد نبهتكم على أمر عظيم أن تنبهت له وعقلته فهو عين كل شيء في الظهور ما هو عين الأشياء في ذواتها سبحانه وتعالى بل هو هو والأشياء أشياء فبعض المظاهر لما رأت حكمها في الظاهر تخيلت أن أعيانها أتصفت بالوجود المستفاد فلما علمنا أن ثم في الأعيان الممكنات من هو بهذه المثابة من الجهل بالأمر تعين علينا مع كوننا على حالنا في العدم مع ثبوتنا أن نعلم من لا يعلم من أمثالنا ما هو الأمر عليه ولا سيما وقد أتصفنا بأيا مظهر فتمكنا بهذه النسبة من الأعلام لمن لا يعلم فأفدناه ما لم يكن عنده فقبله فمما أعلمناه أنه ما استفاد وجود ابكونه مظهر فتخلي عن هذا الاعتقاد لا عن الوجود المستفاد لأنه ليس ثم فلهذا عدلنا في التخلي أنه التخلي عن الوجود المستفاد وأما أهل السلوك الذين لا علم لهم بذلك ولا بمن هو الظاهر المشهود ولا بمن هو العالم فاتروا الخلوة لينفردوا بالحق لما حجتهم الكثرة المشهود في الوجود عن الله جنحوا إلى التخلي وهذا مما يدل على أنهم ما تركوا الأشياء من حيث صورها فإنه لا يتمكن لهم ذلك فيهم في خلوتهم لا بد أن يشاهدوا صور ما تخلوا فيه من جدار وباب وسقف وآلات قام بيت الخلوة منها ووطاء وغطاء ومأكول ومشروب فالصور لا يتمكن له التخلي عنها فلم يبق الهرب إلا مما يطرأ من هذه الصور من الكلام المفهوم لا من الأفعال لأن صاحب الخلوة لو كانت معه الحيوانات لم يزل في خلوة ولا يشغله عن مطلوبه إلا أن يخاف من ضررها كذلك أيضاً لو كان في الجدار ميل لخاف من تدممه

وسقوطه عليه فإذا ما اختار التخلي إلا لأجل الكلام الذي تتكلم الناس به فلو فهم ما يتكلم الناس به على الوجه الذي وضعه الحق فيهم ل زاد علمنا بما لم يكن عنده ولو صلى صلاة واحدة أعني ركعة واحدة لما طلب التخلي فإنه إذا سمع قول العبد سمع الله لمن حمده وإن ذلك القول لله لسرت الحقيقة في جميع ما يسمع فكلام الناس كله يفيد العارفين علماً بالله ولهذا من كرامات الصالحين أن يسمعهم الله نطق الأشياء فلو لم يفدهم ذلك علماً لم يكن ذلك اكراماً من الله بهم فمن رزق الفهم عن الله استوت عنده الخلوة والجلوة بل ربما تكون الجلوة أتم فيحقه وأعظم فائدة فإنه في كل لحظة يزيد علو ما بالله لم تكن عنده بسم الله الرحمن الرحيم

الباب السادس ومائتان في حال التجلي بالجيم

للغيب نور على البصائر	يظهر ما كان في السرائر
لكل قلب من كل شخص	أحضره الحق في المحاضر
فشاهد الأمر كيف يجري	وعاين الحكم في المقادر
فعنده أول وظاهر	وعندنا باطن وآخر
قسمة كالصلاة فينا	عينا لعين فاشكر وبادر
ما بين عبد حبيب عجز	وبين رب عليه قادر
بفضله قد سرى إلينا	ما يحمد الله في الضمائر

اعلم أن التجلي عند القوم ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب وهو على مقامات مختلفة فمنها ما يتعلق بأنوار المعاني المجردة عن المواد من المعارف والأسرار ومنها ما يتعلق بأنوار الطبيعة ومنها ما يتعلق بأنوار الاسماء ومنها ما يتعلق بأنوار المولدات والأمهات والعلل والأسباب على مراتبها فكل نور من هذه الأنوار إذا طلع من أفق ووافق عين البصيرة سالماً من العمى والغشى والصدع والرمد وآفات الأعين كشف بكل نور ما انبسطت عليه فعين ذوات المعاني على ما هي عليه في أنفسها وعين ارتباطها بصورة الألفاظ والكلمات الدالة عليها وأعطته بمشاهدته إياها ما هي عليه من الحقائق في نفس الأمر من غير تخيل ولا تلبس فمنها أنوار نسعى بها ومنها أنوار نسعى إليها ومنها أنوار ونسعى منها ومنها أنوار تسعى بين أيينا ومنها أنوار تكون خلفنا يسعى بها من يقتدي بنا ومنها أنوار تكون عن إيماننا تؤيدنا ومنها أنوار تكون عن شمائلنا تقينا ومنها أنوار تكون فوقنا تنزل علينا لتفيدنا ومنها أنوار تكون تحتنا نملكها بالتصرف فيها ومنها أنوار نكونها هي ابشارنا وفي ابشارنا وأشعارنا وفي أشعارنا وهي غاية الأمر فأما أنوار المعاني المجردة عن المواد فكل علم لا يتعلق بجسم ولا جسماني ولا متخيل ولا بصورة ولا نعلمه من حيث تصوره بل نعقله على ما هو عليه ولكن بما نحن عليه ولا يكون ذلك إلا حتى أكون نوراً فما لم أكن بهذه المثابة فلا أدرك من هذا العلم شيئاً وهو قوله في دعائه صلى الله عليه وسلم واجعلي نوراً والله يقول الله نور السموات والأرض فما أنارت إلا به كما قال وأشرق الأرض بنور بها يعني أرض المحشر يقول ما ثم شمس وعدم النور ظلمه ولا بد من الشهود فلا بد من النور وهو يوم يأتي فيه الله للفضل والقضاء فلا يأتي

إلا في إسمه النور فتشرق الأرض بنور بها وتعلم كل نفس بذلك النور ما قدمت وأخرت لأنها تجد محضرا يكشفه لها ذلك النور ولولا ما هي النفوس عليه من الأنوار ما صحت المشاهدة إذ لا يكون الشهود إلا باجتماع النورين ومن كان له حظ في النور كيف يشقى شقاء الأبد والنور وليس من عالم الشقاء وما من نفس إلا ولها نور تكشف به ما عملت فما كان من خير سرت به وما كان من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ولهذا ختم الآية بقوله والله رؤف بالعباد حيث جعل لهم أنواراً يدركون بها وقد علموا أن النور لاحظ له في الشقاء فلا بد أن يكون المآل إلى الملايم وحصول الغرض وذلك هو المعبر عنه بالسعادة لأنه قال كل نفس فعم وما خص نفساً من نفس وذكر الخير والشر فالوجود نور والعدم ظلمة فالشر عدم ونحن في الوجود فنحن في الخير وإن مرضنا فإننا نصح فإن الأصل جابر وهو النور وهكذا صفة كل نور إنما جاء ليظهر ما طلع عليه فلا تدرك الأشياء إلا بك وبه فلهذا لا يصح نتيجة أي لا تكون إلا بين اثنين أصلها الإقتدار الإلهي وقبول الممكن للإنفعال لو نقص واحد من هاتين الحقيقتين لما ظهر للعالم عين فقد أعطيناك أمراً كلياً في هذه الأنوار فلا تتكلف بسطها مخافة التطويل والأحوال لا تحتل الإسهاب فلنذكر مبهمات الأنوار فأما النور الذي نسعى به فهو ما تقدم ذكره من أنوار المعلومات التي اكتفينا بذكر واحد منها ليكون تنبيهاً وانوذجاً لما سكتنا عنه وأما النور الذي بين أيدينا فهو نور الوقت والوقت ما أنت به فنوره ما أنت به فإنظر فيه كيفما كان فهو مشهودك الحاكم عليك والقائم بك وهو عين الاسم الإلهي الذي أنت به قائم في الحال لا حكم له في ماضولاً مسأنف وأما النور الذي عن يمينك فهو المؤيد يدلك والمعين على ما يطلبه منك النور الذي بين يديك فهو وقتك الذي أنت فلما قلت وإياك نستعين إياك بالنور من عن يمينك فإن اليمين القوة يقول الشاعر

تلقاها عرابة باليمين

إذا ما راية رفعت لمجد

وأما النور الذي عن يسارك فهو نور الوقاية والجنة من الشبه المضلة المؤثرة في النفوس الجهالات والإلتباس والتشكيك الذي يخطر للنظر الباحث في الإعتقاد في الله وفيما أخبر به عن نفسه وهو على نوعين نور إيمان ونور دليل ونور الدليل على نوعين نور نظر فكري ونور نظر كشمفي فيعلم الأمر على ما هو عليه في نفسه فهذا فائدة النور الذي يأتي عن الشمال وأما النور الذي خلفنا فهو النور الذي يسعى بينيدي من يقتدي بنا ويتبعنا على مدرجتنا فهو لهم من بين أيديهم وهو لنا من خلفنا فيتبعنا على بصيرة من أجل ذلك النور الذي يخرجهم عن التقيد قال ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني فهو بالنور الذي بين يديه يدعو على بصيرة الداعي المتبع له يدعو بالنور الذي خلفه ليكون هذا المتبع أيضاً على بصيرة فيما يدعو إليه مثل من اتبعه وبذلك النور يرى من خلفه مثل ما يرى من بين يديه وهذا مقام نلته سنة وثلاث وتسعين وخمسمائة بمدينة فاس في صلاة العصر وأنا أصلي بجماعة بالمسجد الأزهر بجانب عين الجبل فرأيت نوراً يكاد يكون أكشف من الذي بين يدي غير أي لما رأيته زال عني حكم الخلف وما رأيت لي ظهراً ولا قفاً ولم أفرق في تلك الرؤية بين جهاتي بل كنت مثل الأكرة لا أعقل لنفسي جهة إلا بالفرض لا بالوجود وكان الأمر كما شاهدته مع أنه كان قد تقدم لي قبل ذلك كشف الأشياء في عرض حائط قبلي وهذا كشف لا يشبه هذا الكشف وأما النور الذي من فوقي فهو تنزل نور إلهي قدسي بعلم غريب لم يتقدم خبر ولا يعطيه نظر وهذا النور هو الذي يعطي من العلم بالله ما ترده الأدلة العقلية إذا لم يكن لها إيمان فإن كان لها إيمان نوراني قبلته بتأويل لتجمع بين الأمرين وأما النور الذي من تحتنا فهو النور الذي يكون تحت

حكماً وتصريفنا لا يقتزن معه فينا أمر إلهي تقف عنده فلا نصرفه إلا فيه وأما الأنوار التي نسعى بها فهي أنوار المعية من جانب الحق في قوله وهو معكم أينما كنتم لذلك قلنا من جانب الحق فإنه لا يختص بهذه المعية شئ من خلق الله دون غيره ولها الاسم الحفيظ والمحيط فإن الله مع بعض عبادته معية اختصاص مثل معيته مع موسى وهرون في قوله أني معكما اسمع وأرى فهذه بشرى لهما حتى لا يخافا فإنهما قالاً أننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغي أي يتقدم ويرتفع بالحجة إذ له الملك والسلطان فأمنهما الله مما خافا منه ومن هنا تعرف مرتبة محمد صلى الله عليه وسلم وعلوها على رتبة غيره من الرسل فإن الله أخبر عن محمد صلى الله عليه وسلم في حال خوف الصديق عليه وعلى نفسه فقال لصاحبه يؤمنه وفرحهما إذ هما في الغار وهو كنف الحق عليهما لا تحزن أن الله معنا فقام النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الأخبار مقام الحق في معيته لموسى وهرون وناب منابه هطدا تكون العناية الإلهية فهذا هو النور الذي يسعى به وهو لا يزال الحق معه حافظاً وناصراً لا خالاً ولهذا وقع الأخبار لنا من الله على لسان رسول صلى الله عليه وسلم أنا إذا أتينا بنوافل الخيرات لا بفرائضها أحبنا الحق فكان سمعنا الذي نسمع به ورجلنا التي نسعى بها إلى جميع قوانا وأعضائنا فهذا ما أعطت النوافل فينا من الحق فأين أنت مما تعطيه الفرائض فكم بين عبودية الإضطرار وعبودية الاختيار تقع المشاركة مع الحق في عبودة الاختيار في أحاديث نزوله في الخطاب إلى عبده مثل الشوق والجوع والعطش والمرض وأشبه ذلك وعبودة الإضطرار لا تقع فيها مشاركة فهي مخصصة للعبد فمن أقيم فيها فلا مقام فوقها يقول الله لأبي يزيد تقرب إلى بما ليس لي الذلة والإفتقار فعين القربة هنا هو عين البعد من المقام فافهم وأما النور الذي يسعى منه فهو نور الحقيقة سواء علمها أو لم يعلمها فيكشفها بهذا النور ويكشف أنه سعى منه ثم ينكشف له النور الذي يسعى إليه وهو الشريعة فصاحب هذا المقام هو المعصوم الحفوظ المعني به العالم الذي لا يجهل لأتصافه بالعلم الذي لا جهل فيه فإنه ثم عبيداً يسعون من نور الشريعة إلى نور الحقيقة ويخاف عليهم وهؤلاء الذين يسعون على كشف من نور الحقيقة إلى نور الشريعة آمنون من هذا المكر الألهي فهم على بصيرة من أمرهم وهؤلاءك تحت خطر عظيم يمكن أن يعصموا فيه ويمكن أن يخذلوا فاعلم ذلك وأما أنوار المولدات فهي أنوار تعطيه بذاتها علماً صحيحاً من العلم بالله يكشف بها نسبة الحق وصورته في صور

أعيان المعادن والنبات والحيوان وهم لا يعلمون وما زاد الإنسان على هؤلاء ألا بكشفه ذلك فالمولدات في هذا المقام بمثلة قوله وهو معكم أينما كنتم والإنسان فيه بمثلة لا تحزن أن الله معنا وأثنى معكم اسمع وأرى فإنه صورة كل شئ في نفس الأمر فمن علمه وكشفه بهذا النور كان من أهل الاختصاص فهو يرى الأشياء أعياناً بصورة حقيقة وأخبرني من أثق بنقله في هذه المسألة أن شخصاً كان بدمشق له هذا المقام لا يزال رأسه بين ركبتيه فإذا نظر إلى الأشياء في رفع رأسه لا يزال يقول أمسكوه أمسكوه والناس لا يعلمون ما يقول فيرمونه بالتولة وأما أنا فذقته لله الحمد على ذلك وأما أنوار الاسماء فهي التي تظهر مسمياتها حقاً وخلقاً مما يتعلق بالذات والصفات والأفعال في الألهيات منها ما يتعلق بأجناس الممكنات وأشخاصها منها من الاسماء التي وضعها الحق لها وبلغتها الرسل لا ما وقع عليه الاصطلاح وهذه الأنوار التي كانت لآدم عليه السلام حين علم جميع الاسماء بالوضع الألهي لا بالأصطلاح وفي ذلك تكون الفضيلة والاختصاص فإن الله أسماء أوجدتها للملائكة وجميع العالم ولله أسماء أوجدتها جامع حقائق الحضرة الألهية وهو الإنسان الكامل ظهر ذلك بالنص في آدم وخفي في غيره فقال للملائكة في فضل آدم وفي فضل هذا المقام وقد أحضر للملائكة المسميات أعني أعيانهم أنبئوني هؤلاء أن كنتم صادقين أي بالاسماء الألهية التي صدرت عنها فلم يعلموا ذلك ذوقاً فإن علوم الأكابر ذوقاً فإنه عن تجل ألهي فقال الله يا آدم أنبئهم باسمائهم فأنبأهم آدم باسمائهم الألهية التي أوجدتهم وأسندوا إليها في إيجاد أعيانهم لا

أسماء الأصلاح الوضعي الكوني فإنه لا فائدة فيه ألا بوجه بعيد أضربنا عن ذكره حين علمنا أنه لم يكن المقصود فإنما نتكلم ولا نترجم ألا عما وقع من الأمر لا عما يمكن فيه عقلاً وهذا الفرق بين أهل الكشف فيما يخبرون به وهم أهل البصائر وبين أهل النظر العقلي والفائدة أنما هي فيما وقع يمكن فإن ذلك علم لا علم وما وقع فهو علم محقق وأما أنوار الطبيعة فهي أنوار يكشف بها صاحبها ما تعطيه الطبيعة من الصور في الهباء وما تعطيه من الصور في الصورة العامة التي هي صورة الجسم الكلي وهذه الأنوار إذا حصلت على الكمال تعلق علم صاحبها بما لا يتناهي وهو عزيز والوقوف عندنا وأما عند غيرنا فهو ممنوع الوقوع عقلاً حتى أن ذلك في الأله مختلف فيه عندهم وما رأينا أحداً حصل له على الكمال ولا سمعنا عنه ولا حصل لنا وأن أدهاها أنسان فهي دعوى لا يقوم عليها دليل أصلاً مع أماكن حصول ذلك وأنوار الطبيعة مندرجة في كل ما سوى الحق وهي نفس الرحمن الذي نفس الله به عن الاسماء الألهية وأدرجها الله في الأفلاك والأركان وما يتولد من الأشخاص إلى ما لا يتناهي وأما أنوار الرياح فهي أنوار عنصرية أخفها شدة ظهورها فغشيت الأبصار عن أدراكها وما شاهدتها ألا في الحضرة البرزخية وأن كان الله قد أتحننا برؤيتها حساً بمدينة قرطبة يوماً واحداً أختصاصاً ألهياً وورثاً نبوياً محمدياً وهذه الأنوار الرياحية لها سلطان وقوة على جميع بني آدم ألا أهل الله فإن هذه الأنوار تندرج في أنوارهم أندراج أنوار الكواكب في نور الشمس وذلك لضعف نور البصر وإذا غشيت هذه الأنوار من شاء الله من العامة لا تغشاها ألا كالسحاب المظلم وإذا غشيت أهل الله لا تغشاها ألا وهي أنوار على هيئتها وأما أنوار الأرواح فمنها من يجعلها أنوار العقول ومنها من يجعلها أنوار الرسل ولها القوة والسلطان والنفوذ في الكون لا يقف لها شيء غير أن لها حدود أتقف عندها لا تتعدها إذا شاهدها العبد يكشف بها ما غاب من العلوم المضمون بها على غير أهلها وهي أنوار سبوحية قدوسية تنزل من الحق المخلوق به إلى سدره المنتهي وتطرح شعاعاتها على قلوب العارفين أهل الشهود التام فقلوبهم مطارح شعاعات هذه الأنوار وليس في هذا الصنف الأنساني أكمل منهم في العلم فإن هذه الأنوار لا يقف لها حجاب ألا المشيئة الألهية خاصة وقليل من عباد الله من تطرح على قلبه هذه الأنوار شعاعاتها على الكشف وهي بحالي الصادقين من عباد الله تعالى وأما أنوار الأنوار فهي السبحات التي لو كشف الحق الحجاب الذي يسترها عنا لأحترقنا هي أشعة ذاتية إذا أنبسطت ظهرت أعيان الممكنات فالممكنات هي الحجاب بيننا وبينها وهذا هو

النور العظيم لا ألا عظم إليه الإشارة بقوله تعالى في حق أهل الكتب الألهية المترلة بالأعمال المشروعة بقوله ولو أنهم أقاموا التوراة وهم الموسويون والأنجيل وهم العيسويون وما أنزل إليهم من ربهم وهم أصحاب الصحف وما بقي من الكتب لأكلوا من فوقهم وهي علوم خارجة عن الكسب ومن تحت أرجلهم وهي علوم دخلت تحت الكسب فهي من علوم التحت والفرق وأنه إذا كان النور بهذه الصفة لم يكن من تحتنا بل يكون هو الذي يصرفنا وأما النور الذي يكون من تحتنا فهو الذي نحكم عليه وهو المعبر عنه بالأكل من تحت الأرجل وأما النور الذي هو عين ذاتنا فهو كما دعا فيه صلى الله عليه وسلم وأجعلني نوراً فهو عين ذاته ورواية وأجعل لي نوراً هو جميع ما ذكرنا من الأنوار وأما قوله أجعلني نوراً فهو مشاهدة نور ذاته أذ لا يشهد ألا به فإن ذاته ما قبلت هذه الأنوار من هذه الجهات الست ألا لعدم أدراكها نور نفسها الذي قال في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه عرف ربه والله نور السموات والأرض ومثله بما مثله وهو أنت عين ذلك الممثل والمثل فتشاهد الأنوار منفهقة منك يتنور بذاتك عالم سمواتك وأرضك فما تحتاج إلى نور غريب تستضيء به فإنك المصباح والفتيلة والمشكاة والزجاجة وإذا عرفت هذا عرفت الزيت وهو الأمداد الألهي وعرفت الشجرة وإذا كانت الزجاجة كالكوكب الدرري وهو الشمس هنا فما ظنك بالمصباح الذي هو

عين ذاتك فلا يكن يا أخي دعاؤك أبداً ألا أن يجعلك الله نوراً وهنا سر عجيب أنبهك عليه من غير شرح لأنه لا يحتمل الشرح وهو أن الله يضرب الأمثال لنفسه ولا تضرب له الأمثال فيشبه الأشياء ولا تشبهه الأشياء فيقال مثل الله في خلقه مثل الملك في ملكه ولا يقال مثل الملك في ملكه مثل الله في خلقه فإنه عين ما ظهر وليس ما ظهر عينه فإنه الباطن كما هو الظاهر في حال ظهوره فلماذا قلنا هو مثل الأشياء وليست الأشياء مثله أذ كان عينها وليست عينه وهذا من العلم الغريب الذي تغرب عن وطنه وحيل بينه وبين سكنه فإنكرته العقول لأنها معقولة غير مسرحة وهذا نموذج من تجلي أنوار الأنوار وأما أنوار المعاني المجردة عن المواد فلا تنقال فإنه لو أنقالت لدخلت في المواد لأن العبارات من المواد وقد قلنا أنها مجردة لذاها عن المواد لا أنها تجردت لأنها لو تجردت لكسوناها المواد إذا شئنا ولم تمتنع لأنها قد كانت فيها فهي تعلم خاصة ولا تقال ولا تحكي ولا تقبل التشبيه ولا التمثيل وأما أنوار الأرواح فهي أنوار روح القدس الجامع فمن أرسل من هذه الأرواح كان ملكاً ومن لم يرسل بقي عليه إسم الروح مع الاسم الخاص به العلم في الطائفتين المرسلين وغير المرسلين فهو روح خالص لم يشبه ما يخرج عن نفسه وهو روح ذو روح في روحه وليس ألا الأرواح المهمة وأرواح الأفراد منا تشبهها بعض شبه فلا يقع التجلي في أنوار أرواح ألا للأفراد ولهذا قال الخضر لموسى ما لم تحط به خيراً لأنه من الأفراد وأن الأنبياء يقع لهم التجلي في أنوار الأرواح الملائكة وليس للأفراد هذا التجلي بل هو مخصوص بالأنبياء والرسل وهو قول خضر أنت على علمك علمك الله لا أعلمه أنا لأنه ليس له هذا التجلي الملكي ثم نبهه على أنه ما فعل الذي فعل عن أمره فإنه ليس له أمر وما هو من أهل الأمر وهو مقام غريب في المقامات لو أن الله تعالى يبيح لنا كشفه للخلق لظهر علم لا يقوم له كون هذا قد ظهر من أثره ثلاث مسائل من شخص قد شهد الله عند نبه بعدالته وزكاه وصار تبعاً له وبين له ما قد سمعت وأدخل نفسه في أتباعه تحت شرطه وهو مثل موسى كليم الله ونجيه وأين كلامه مع ربه من كلامه مع الخضر فأختلف التجلي في الكلام ومع هذا لم يصبر لأنه قدم الاستثناء ولم يقدمه لما أنكر عليه فإنه من شأن النبي أن يكون متبعاً كما هو متبع سواء وكذلك قال أن أتبع ألا ما يوحى إلى ما قال أن أفعل أو أقول ألا ما أشهد ما قال هكذا فكل مقام له مقال ولسان وأما أنوار الرياح فهي تجليات الاسم البعيد وهي تجليات لا ينبغي أن يذكر إسمها ولا تكون ألا لأهل الألهام وللتجلي في أنوار الملائكة في هذا مدخل ولكن في الباطن لا في الظاهر خاصة وهم ملائكة اللامات والألهام خاصة والألقاء في هذا التجلي على النفوس ومن هذا التجلي تكون الخواطر وهي رياحية كلها لأن الرياح تمر ولا تثبت فإن قال أحد بشبوها فليست

ريحاً ولذلك توصف بالمرور وتسمى بالخواطر وهي من راح يروح والرائح ما هو مقيم وأما التجلي في الأنوار الطبيعية فهو التجلي الصوري المركب فيعطي من المعارف بحسب ما ظهر فيه من الصور وهو يعم من الفلك إلى أدنى الحشرات وهو السماء والعالم فهو تجل في السماء والعالم ومن هذا التجلي تعرف المعاني واللغات وصلاة كل صورة وتسييحها وهو كشف جليل نافع مؤيد فيه يرى المكاشف موافقة العالم وأنه ما ثم مخالفة ومن هنا يرى كل شيء يسبح بحمده وصاحب هذا المقام يرى على الشهود صور أعماله تكون حية مسيحة لله ذات روح ينفخ فيها صاحب هذا المقام وأن كانت في ظاهر الكون مخالفة ومعصية فإنها مخالفة صحيحة ألا أنها حية ناطقة تستغفر لصاحبها لأنه سوى نشأتها مخلقة وقد تمدح الله بأنه خلق فسوى ومن تسويه نشأتها مخلقة أنه لم يخرجها عن كونها معصية فلو أخرجها عن كونها معصية كانت غير مخلقة وشقي صاحبها وكان تسييحها لعنة صاحبها فإنه أباح ما حرم الله فخرج عن الإيمان بذلك فلاحظ له في الإسلام ألا أن يجدد أسلامه ويتوب وهذا تنبيه لم يزل أصحابه يكتمونونه غيرة منهم وضعفاً والتنبيه عليه أولى لأنها نصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم فلا توجد أبداً معصية مخلقة ألا من مؤمن ومن أعطي الشيء

خلقه فقد جرى على السنن الألهي فإن الله أعطي كل شيء خلقه فأعطي المعصية خلقها والطاعة خلقها فهكذا تكون صفة المؤمن وأما أنوار الاسماء فإنها تعين أسماء المعلومات فهو نور ينبسط على المعدومات والموجودات فلا يتناهى أمتداد أنبساطها وتمشي العين مع أنبساطها فينبسط نور عين صاحب هذا المقام فيعلم ما لا يتناهي كما لا يجهل ما لا يتناهي بتضاعف الأعداد وهذا علامة من يكون الحق بصره فالاسماء كلها موجودة والمسميات منها ما هي معدومة العين لذاتها ومنها

ما هي متقدمة العدم لذاتها وهي التي تقبل الوجود والأحوال لا تقبل الوجود مع إطلاق الاسم على كل ذلك فللأسماء الأحاطة والأحاطة لله لا لغيره فمرتبة الاسماء الألهية وما فضل آدم الملائكة ألا بأحاطته بعلم الاسماء فإنه لولا الاسماء ما ذكر الله شيئاً ولا ذكر الله شيء فلا يذكر ألا بها ولا يذكر ويحمد ألا بها فما زاحم صفة العلم في الأحاطة ألا القول والقول كله أسماء ليس القول غير الاسماء والاسماء علامات ودلائل على ما تحتها سن المعاني فمن ظهر له نور الاسماء فقد ظهر له ما لا يمكن ذكره لا أقول غير ذلك وللا لا أن الحق أطلق لفظة الكل على الاسماء في صفة علم آدم لقلنا من المحال أن يظهر أنبساط نور الاسماء على المسميات لعين ولكن من فهم قول الله تعالى ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني باسماء هؤلاء وأشار علم ما ألترمناه من الأدب وما أراد الله بلفظه كل في هذا التشريف وأما أنوار المولدات والأمهات والعلل والأسباب فهو تجل ألهي من كونه مؤثراً ومن كونه مجيباً إذا سئل وغافرا إذا أستغفر ومعطياً إذا سئل وبهذا التجلي وهذه الأنوار تعلم قوله "أن الذين يبايعونك أنما يبايعون الله" وقوله أيضاً عز وجل "من يطع الرسول فقد أطاع الله" وقوله تبارك وتعالى "أن الصدقة تقع بيد الرحمن" وقوله "وأقرضوا الله قرضاً حسناً" وقوله عليه السلام "أن الله يفرح بتوبة عبده" فأفهم بسم الله الرحمن الرحيم

الباب السابع ومائتان في حال العلة

مهما أحس بعلة في نفسه

حذراً عليه أن يحل برمسه

ما كان ألا كونه من جنسه

أن العليل إلى الطبيب ركونه

فتراه يعبد وما هو ربه

فسألت ما سبب الركون فقيل لي

أعلم أن العلة عند القوم تنبيه من الحق ومن تنبيهات الحق قوله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم أن الله خلق آدم على صورته وفي رواية يصححها الكشف وأن لم تثبت عند أصحاب النقل على صورة الرحمن فأرتفع الأشكال وهو الشافي من هذه العلة يقول تعالى "الذين للناس ما نزل إليهم" فعلمنا أن كل رواية ترفع الأشكال هي الصحيحة وأن ضعفت عند أهل النقل وإذا كان الله هو الشافي والمعافي فهو الطبيب كما قال الصديق الطبيب أمرضني فسبب حنين صاحب العلة إلى الطبيب ما ذكرناه في الشعر وهو خلقه على الصورة ثم أيد هذا الخبر وهذا النظر الكشف في قول الله تعالى "مرضت فلم تعديني" ولما فسر قال مرض فلان فإنزل نفسه فيما أصاب فلاناً عناية منه بفلان وهذه كلها علل لمن عقل عن الله فالعلة أثبات السبب والحق عين السبب إذ لولاه ما كان العالم فهو الخالق البارئ المصور الشافي فإذا كان هو عين العلة في قوله منك من قوله أعوذ بك منك فما شفاه ألا منه إذ لا شافي ألا الله فهو الشافي

من كل علة فإن الله وضع الأسباب فلا يقدر على رفعها ووضع الله لها أحكاماً فلا يمكن ردها وهو مسبب الأسباب فخلق الداء والدواء وما جعل الشفاء ألا له خاصة فالشفاء علة لأزالة المرض وما كل علة شفاء فكل مسبب سبب وما كل سبب مسبب لكن قد يكون مسبب الحكم لا مسبب العين كقوله "أجيب دعوة الداع إذا دعاني" فالعلة إذا كانت بمعنى السبب لها حكم وإذا كانت بمعنى المرض لها حكم فهي بمعنى المرض داء وهي بمعنى السبب حكمة فالعلة تنبيه من الحق لعبده على كل حال فوقنا ينبهه من رقدة غفلته بأمر يترل به وذلك هو الداء والمرض فإذا فقد العافية أحس بالألم فعلم أن مصيبة نزلت به فشرع الله له أن يقول "أنا لله وأنا إليه راجعون" ولا يرجع ألا من خرج ووقتاً ينبهه من رقدة غفلته بحكمة تظهر له في نفسه من غير أن يكون ذا مرض نفساني فإذا كان الحق عين علة فلا يكون ألا من تجل ألهي فجأة فإن لله فجآت على قلوب عباده ترد عليهم من غير استدعاء ولا تقدم سبب معين عنده وأن كان عن سبب في نفس الأمر ولكن لا علم له بذلك غير أن القوم ما عدلوا إلى هذا الاسم الذي هو العلة ألا لمار أو العلة مرتبطة بمعلولها والمعلول مربوطاً بعلة وعلموا أن العالم ملك لله والملك مربوط حقيقة وجود ملكاً بالملك والملك لا يكون ملكاً على نفسه فهو مربوط بالملك فلما ظهر التضايف في كون العالم مربوطاً ومملوكاً عدلوا إلى الاسم العلة ولم يعدلوا إلى اسم السبب ولا إلى اسم الشرط ولما كان بعض التنبيهات الألهية آلاماً ونوازل تكرهها النفوس بالطبع عدلوا إلى اسم يجمع التنبيهات كلها فعدلوا إلى العلة فإن المرض يسمى علة وهو من أقوى المنبهات في الرجوع إلى الله لما يتضمنه من الضعف ثم أن الله جعل الأسباب حجاً عن الله وركنت النفوس إليها ونسى الله فيها وأنتقل الاعتماد عليها من الخلق والعلة وأن كانت عين السبب ولكن لأختلاف الاسم حكم فالعلة على النقيض من السبب فإنها منبهة بذاتها على الله فكان اسم العلة بالمنبه أولى فكل سبب لا يردك إلى الله ولا ينهك عليه ولا يحضره عندك فليس بعلة

ينبهني في كل حال على نفسي

ولست بذئ فصل ولست بذئ جنس

ولست على جهل بذاتي ولا لبس

ولكنني في الطرح في الضرب كالأس

فدائي هو الداء العضال لأنه

فما علتني غيري وما علتني أنا

ولست على علم فأعرف من أنا

فما أنا من تعني ولا أنا غيره

ولما كانت العلة التنبيه الألهي فتنبهات الحق لا تنحصر ألا من طريق ما وهو أن التنبيه الألهي لا يخلو ما أن يكون من خارج أو من داخل فإن كان من خارج فقد يثبت وقد لا يثبت وأن كان من داخل فإنه يثبت ولا بد كأبراهيم بن أدهم فإنه نودي من قريوس سرجه فألتفت نحوه فإذا النداء من قلبه فتخيل أنه من قريوس سرجه وكصاحب القنبرة العمياء حين أنشقت لها الأرض عن سكرتين ذهب وفضة في الواحدة ماء وفي الأخرى سمسم فأكلت من السمسم وشربت من الماء فكانت القنبرة العمياء نفسه مثلت له في هذه الصورة لأنها كانت في حال عمى من المخالفة مع ما هو عليه من نعمة الله فعلم ذلك فرجع إلى الله فهذه أمثلة ضربت لهم فالصورة تظهر من خارج والأمر عنده في حاله ولذلك ثبتوا وقد يكون التنبيه الألهي من واقعة ومن الواقعة كان رجوعنا إلى الله وهو أتم العلل لأن الوقائع هي المبشرات وهي أوائل الوحي الألهي وهي من داخل فإنها من ذات الإنسان فمن الناس من يراها في حال نوم ومنهم من يراها في حال فناء ومنهم من يراها في حال يقظة ولا تحجبه عن مدركات حواسه في ذلك الوقت وإنما سميت

علة لأنها تورث ألماً في النفس على ما فاته من الحق الذي خلق له ويتوهم أنه لو مات في حال المخالفة كيف يكون وجهه عند الله ولو غفر له أما كان يستحي منه حيث عصاه بنعمته ومن نعمته عليه أنه أمهله ولم يؤاخذه بما كان منه كما قلنا في نظم لنا

يا من يراني ولا أراه

كم ذا أراه ولا يراني

فقال لي بعض أخواني كيف تقول أنه لا يراك وأنت تعلم أنه يراك فقلت له في الحال مرتجلاً

يا من يراني مجرمًا

ولا أراه آخذًا

كم ذا أراه منعماً

ولا يراني لائذاً

فلو لم يكن في المخالفة ألا الاستحياء لكان عظيماً بل هو أعظم من العقوبة فالمغفرة أشد على العارفين من العقوبة فإن العقوبة جزاء فتكون الراحة عقيب الاستيفاء فهو بمنزلة من أستوفى حقه والغفران ليس كذلك فإنك تعرف أن الحق عليك متوجه وأنه أنعم عليك بترك المطالبة فلا تزال حجالاً ذا حياء أبداً ولهذا إذا غفر الله للعبد ذنبه حال بينه وبين تذكره وأنساه إياه فإنه لو تذكره لاستحيا ولا عذاب على النفوس أعظم من الحياء حتى يود صاحب الحياء أنه لم يكن شيئاً كما قالت الكماله بياليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً هذا حياء من المخلوق كيف نسبوا إليها ما لا يليق ببيتها ولا بأصالتها ولهذا قالوا ما كان أبوك أمر أسوء وما كانت أمك بغيا فبرأها اللهم نسبوا إليها لما نالها من عذاب الحياء من قومها فكيف الحياء من الله فيما يتحققه العبد من مخالفة أمر سيده فإن قلت وهل يمكن أن يعصى على الكشف قلنا لا قيل فقول أبي يزيد لما قيل له أيعصى العارف والعارف من أهل الكشف فقال وكان أمر الله قدرا مقدورا فجوز قلنا هكذا يكون أدب العارفين مع الحق في أجوبيتهم حيث قال إن كان الله قدر عليهم فيسبق علمه ذلك فلا بد منه وهي معصية فلا بد من الحجاب كما قال صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله وقوع المخالفة منه ومعرفته تمنعه من ذلك فيزين الله له ذلك العمل بتأويل يقع له فيه وجه إلى الحق لا يقصد العارف به انتهاك الحرمة كما فعل آدم كالمجتهد يخطئ فإذا وقع منه المقدور أظهر الله له فساد ذلك التأويل الذي أداه إلى ذلك الفعل رآدم فإنه عصى بالتأويل فإذا تحقق بعد الوقوع أنه أخطأ علم أنه عصى فعند ذلك يحكم عليه لسان الظاهر بأنه عاص وهو عاص عند نفسه وأما في حال وقوع الفعل منه فلا لأجل شبهة التأويل كالمجتهد في زمان فتياه بأمر ما اعتقاداً منه أن ذلك عين الحكم المشروع في المسألة وفي ثاني حال يظهر له بالدليل أنه أخطأ فيكون لسان الظاهر عليه أنه مخطئ في زمان ظهور الدليل لا قبل ذلك فإن كان العارف ممن قيل له على لسان الشارع أفعل ما شئت فقد غفرت لك فما عصى لا ظاهراً ولا باطناً عند الله وإن كان لسان الظاهر عليه بالمعصية لأنه لم يدرك نسخ ذلك بالإباحة من الشارع فلسان الظاهر كالمجتهد مخطئ يرى إصابة غيره من المجتهدين خطأ اعتماداً منه على دليله فمن كان هذا مقامه فما فعل فعلاً يوجب له الحياء مع لسان الظاهر عليه بالمعصية فمن تنبيهات الحق التوفيق لإصابة الأدلة كما هي في نفس الأمر ليكون على بصيرة وهو المعنى به في أول قدم فإذا أورثته العلة طهرته فإذا وقع التطهير أنسى كما كان عليه من المخالفة وشغل بما توجه إليه مبسوطاً لا مقبوضاً ولذلك قال بعضهم في حد التوبة أن تنسى ذنبك ومعنى ذلك عند هذا القائل أن الله تعالى إذا قبل توبتك أنساك ذنبك فلم يذكرك إياه فإنك إن ذكرته أحصرته بينك وبين الحق وهو قبيح الصورة فجعلت بينك وبين الحق صورة قبيحة تؤذن بالبعد فهذا فائدة النسيان لما قال الله لنبيه عليه السلام ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر لم يزل جبريل يترل عليه في صورة دحية وكان

أجمل أهل زمانه يقول له بصورة الجمال يا محمد ما بيني وبينك إلا صورة الحسن والجمال فإن جبريل كان بينه وبين الله وكان من جمال دحية أنه لما ورد إلى المدينة وخرج الناس إليه نساء ورجالا فما رآته حامل إلا ألقته ما في بطنها لما أدركها في نفسها مما رآته من حسن صورته فالله ينسى التائبين من العارفين ذنوبهم السالفة ولهذا غفرت أي سترت عنهم والستر على نوعين أنا أن تستر عنهم جملة واحدة وأن تبدل بحسنة فتحسن صورة تلك السيئة بالتوبة فتظهر له حسنة كما قال بيدل الله سيئاتهم حسنات أي يرد قبحها حسنا فمن تنبيهات الحق قوله تعالى فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات فإذا علموا ذلك أسرعوا في الرجعة إلى الله وسارعوا إليها فهذا أنبت لك معنى حال العلة عند الطائفة وما تؤثر في الرجال
بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثامن ومائتان في حال الإنزعاج

إذا انتبه القلب السليم من النوم	تحرك تحريك انزعاج من الوجد
إلى طلب الإنس الذي قد أقامه	فأول ما يلقي التحقيق بالزهد
فيدعى بعبد وهو سيد وقته	وشتان ما بين السيادة والعبد
فيفنى به عند ليبقى بربه	نزيتها عن الفصل المقوم والحد
مع الحد للعهد الذي كان بينهم	وذلك برهان على كرم الود

اعلم أن الإنزعاج عند الطائفة حال انتباه القلب من سنة الغفلة والتحرك للإنس والوجد فالإنزعاج حكم العلة على هذا أي العلة أورثته هذا الإنزعاج وهو اندفاع النفس من حال صح لها إلى أصلها الذي خرجت عنه لأنه من ذلك الأصل دعاها والأصل طاهر فهو اندفاع بشهوة شديدة وقوة لهذا الإنزعاج أسباب مختلفة فمنهم من تزعجه الرغبة ومنهم من تزعجه الرهبة ومنهم من يزعجه التعظيم فأما انزعاجه للأنس والوجد فقد يكون فهما وقد يكون لقاء وقد يكون إلقاء وقد يكون تلقيا فمن ذلك ما يكون عن خاطر إلهي وعن خاطر ملكي وعن خاطر شيطاني وعن خاطر نفسي ولكن لا يكون لهذا الولي عن النفس والشيطان إلا بفهم يرزقه الله فيه عناية من الله لا أن الشيطان له عليه سلطان بل الشيطان في خدمته وهو لا يشعر وساع بما يلقي إليه في سره في ارتقاء درجة هذا الولي من حيث لا يعلم الشيطان وهذا من مكر الله الخفي بإبليس لأنه يسعى في ترقى درجات العارفين من حيث يتخيل أنه يترهم عنها وإذا كان الأمر على هذا فلنقل إن حال العلة إذا تحقق في العبد أظهر في النفس انزعاجا ولا بد وانزعجه أو لا إنما هو ليفارق الحال التي كان عليها لما كشف الله عن بصيرته بالعلة فرأى نفسه في محل البعد فإنزعج لذلك رغبة في مفارقة لذلك الموطن من غير تعيين حضرة من حضرات القرب فإذا فارق ذلك الموطن بقدوم واحدة وزال عن شهوده أخذ نفسه ساعة واستراح وهو ما يجده المريد من اللذة وحالة التوبة التي تهون عليه ركوب الشدائد وتسهل عليه صعوبة طريقة يجد كل أحد هذا من نفسه في هذا الحال لا يقدر على أنكاره فإذا فارق موطن المخالفة بأنزعاجه وأستراح حينئذ يتهدى على نفسه ويفتح عينيه ويعلم أنه قد تخلص مما

كان فيه فحينئذ يقوم له ما يؤثر عنده الأنزعاج إليه فأول الأنزعاج أبداً في هذا الطريق أما هو منه وفي ثاني حال يظهر حكم الأنزعاج إليه فإن أقيم له في أول نظرة ما يستحقه جلال الله من التعظيم أو كان هذا الرجل ممن تقدم له العلم بالله من حيث الأدلة النظرية فيكون أنزعاجه تعظيماً لله لا رغبة فيما عنده بل يترجع لأداء حق ما تعين عليه الله تعالى وما تعطيه مرتبة العبد من سيده فما هو مشغول بما ينعم عليه ويرغبه فيه من لذات نفسه بل يرى ما لله عليه من الحقوق فيجهد نفسه في أداء ذلك وهو قوله "فأتقوا الله حق تقاته" فيعلم أن أحداً لا يطيق ذلك وأن قدر الله أجل وأعلى وأنزه أن يقدره أحد فيؤديه ذلك إلى النظر في نفسه وما آتاه الله من القوة في ذلك لما علم أن قدر الله ليس في وسع المخلوق القيام به وسمع الله يقول "لا يكلف الله نفساً ألا وسعها" وقال ألا ما آتاه وقال ما أستطعتم فإنزعج إلى القيام بحق الله على قدر الاستطاعة وما في وسعه ويتفاضل عباد الله في ذلك على نوعين على قدر ما يكشف لهم من جلال الله وعلى قدر أمرجتهم فإن الله قد جعل نفس الإنسان وعقله بحكم مزاج جسده فإن نفس الإنسان لا تدرك شيئاً ألا بوساطة هذه القوى التي ركب الله في هذه النشأة فهي للنفس كآلة فإن كانت الآلة مستقيمة على الوزن الصحيح ظهر حسن الصنعة بها إذا كانت النفس عالمة بالصنعة وعلمهم على قدر ما يكشف لهم الحق من ذلك في سرائرهم فمنهم من يكشف له فيما تطلبه الذات ومنهم من يكشف له فيما تطلبه الاسماء من حيث الدلالات النظرية ومنهم من يكشف له فيما تطلبه الاسماء من حيث ما جاءت به الشرائع من المقابل والمقارن فمنهم من يقام على رأس تسعين ألفاً منحصرة في ستة مقامات لا سابع لها ولا يشارك عبد في شئ من هذه المنازل بل يكون فيها كل إنسان منفرداً وهو قول الطائفة أن الله لا يتجلى في صورة واحدة لشخصين قد علم كل أناس مشربهم فهم وإن اجتمعوا في العدد فما لهم اجتماع في الذوق لأنهم لم يجتمعوا في المزاج ولو اجتمعوا في المزاج وهو محال ما تميزوا ولكان العين واحدة وثم موطن يعطى الظهور في صاحب المنزل الذي كان على رأس الستين ألفاً خلاف هذا وهو في تلك الدرجة عينيها فيكون له بدل الستين ألفاً عدد آخر يكون مبلغه ثلاثة آلاف ألف ويكون لصاحب التسعين ألفاً أربعة آلاف وخمسمائة ألف ويون لصاحب المائة ألف وعشرين ألفاً ستة آلاف ألف وهذا لا يكون إلا أهل الصعود الذين قال الله فيهم إليه يصعد الكلم الطيب وكل من أسرى به سواء كان اساء روحانياً أو بالجسم فإن له من المنازل هذا العدد الكثير وأما العدد الذي هو أقل منه فذلك للمريدين الذين هم في مقام التربية لا غير وأما حصرهم في ستة لا غير فمن طريقتين الطريقة الواحدة نشأتهم القائمة على ست جهات يأتي الشيطان من الأربعة منها وتبقى الأثنان لا سبيل للشيطان عليهما ومن هناك يكون مآل الناس إلى عموم الرحمة وشمولها لهاتين الجهتين وأما الستة المعنوية فالصفات الستة التي هي النسب الألهية التي يتعلق الممكن بها والنسبة السابعة ما هي متوجهة على الممكن وأما ظهرت لصحة هذه الستة خاصة لا لأمر آخر وهي نسبة كونه حياً أذ بهذه النسبة ثبتت الستة ولما كانت الحدود تحفظ الأشياء ولا سيما الحدود الذاتية جعلت خمسة لما كانت الخمسة لها الحفظ فأتسعت الحدود فأعطيت الحدود مقام الخمسة ولتكون الأعيان تامة كاملة النشأة ما فيها نقص وهذا كله إذا لاح للعبد على بعد أنزعج إلى طلبه ليحصله أذ كان فيه تعظيم جناب الحق الذي هو مقصود هذا العبد فهذا حكم من أزعجه التعظيم وأما حكم من أزعجته الرغبة فيما عند الله فإن مشهده وما عند الله خير وأبقى ومشهد صاحب التعظيم والله خير وأبقى فاعلم أن أنزعاج الرغبة بحسب ما تعشق به ورغب فيه وهو على نوعين متخيل وغير متخيل والمتخيل على نوعين النوع الواحد ما أدركه ببعض حواسه أو بجملتها أو أدركه من طريق الخبر فحمله على المعهود من صفة الجنة وما فيها وغير المتخيل هو ما رغبه فيه من حيث الأجمال وهو ما تحوي عليه الجنة أو تتضمنه مما لا عين رأت ولا أذن سمعته ولا خطر على قلب بشر فقد سمع أن فيها هذا فمثل هذا لا يمكن تخيله فكلما تخيله فقد

خطر على قلب بشر فليس ذلك ومن طبع النفس أنها تحب أن تعلم ما لم تكن تعلم فهي تحب المزيد بالطبع ألا أنه يختلف تعلقها بما تستزيد منه فالذي تتعشق به منه تطلب المزيد لا من غيره فإن كان الراغب صاحب محبة لله فلا يخلوا ما أن يكون عالماً بالله أو غير عالم بالله من المحال أن يكون غير عالم بالله لأنه محب والمحبة يطلب بذاته محبوباً يتعلق به من قام به حتى يسمى محباً فلا بد أن يكون عالماً به غير أن العلماء به على مراتب منهم مؤمنون خاصة فعلموه من جهة الخبر والأخبار متقابلة فحار المحب فلم ينضبط له صورة في محبوه ومنهم من رجح في الخبر ما أعطاه الخيال فأحب محدوداً متصوراً تعلق به فمثل هذا يزعجه طلب الوجد والأنس والوصال والرؤية والحديث على الطريقة المعهودة في الأشكال والأجناس وهو يتجلى فيها ومنهم العلماء به من حيث التجلي بالعلامة فهم فيه بحسب علامتهم ومنهم العلماء به عن نظر فكري فلا يقيدوه ويؤمنوا بكل تجل يعطي التقييد والتحديد فيفوقهم من الله خير كثير فمحبوهم أقرب إليهم من حبل الوريد ولكن لا يعلمون أنه هو فمحبوهم لا يزال ظاهراً لهم وهم لا يعرفونه وهذه الطائفة على نوعين طائفة تقول أنا نطمع أن نرى محبوبنا وطائفة تقول محال رؤية محبوبنا لكن ليس بمحال علمنا به أذ ليست الرؤية مطلوبة لذاتها وإنما هي طريق إلى حصول علم عند الرائي فبأي وجه حصل فهو ذاك وقد علمناه ومن علمنا به أن رؤيته من حيث أدراك البصر محال فيئسوا من ذلك فهم في نعيم اليأس والآخرون في نعيم الطمع فالطائفتان يجتمعان في الأنزعاج للفهم عنه تعالى مما خاطبهم به في المسمى قرآناً أو حديثاً نبوياً أو مما ظهر في العالم من آثار القدرة المؤدية إلى عظمته وكبريائه ولطفه وحنانه كل آية وسورة وصورة بما تعطي فيتفاضلون في الفهم فيطلبون المزيد من العلم وهم الأكابر ومنهم من يقول قد رويت فلا يطلب المزيد ورأيت منهم جماعة وهم أجهل الطوائف ورأيت أئمة من الأشاعرة على هذه القدم يرون أنهم يعرفون الله كما يعلم نفسه سبحانه من غير مزيد فهو لاء مستريحون بجهلهم قد يئسنا من فلاحهم ويجتمعان أيضاً في الأنزعاج إلى اللقاء فمنهم من يترعج إلى لقاءه ومنهم من يترعج إلى لقاء ما يريد منه ويجتمعان أيضاً في الأنزعاج إلى الألقاء وإلى التلقي وينقسمون في ذلك على أقسام فمنهم المتلقي عموماً وهو الكبير من الرجال ومنهم المتلقي من الملك ومن الله المعرض عما يجيء به غير الخاطر الألهي وغير الملك ومنهم من يتلقى الخاطر النفسي مضافاً إلى هذين الخاطرين ومنهم من يرجح تلقي الخاطر الشيطاني على الملكي والنفسي لكونه مقابلاً لأنه اللقاء عدو محض فيلقى خلاف الحق فيريد هذا المتلقي أن يقف على خلاف الحق من حيث ما هو خلاف عند الشيطان ولهذا ألقاه وهذا المتلقي حق كله لأنه نور كله بل هو عين النور فيعرف أن أبليل جهل ما عنده من الحق حيث تخيل أنه ليس بحق فأخذه هذا المتلقي حقاً من صورة شيطانية فلم يحصل ما أعطاه الشيطان في صورة ملك ولا في صورة نفس أنسانية وزال حكم الشيطان منه حين قبله هذا المتلقي فإن الشيطان يظن أنه لو همه أن الذي ألقى إليه أمره وجود وهو عدم عند الشيطان وما علم مرتبة هذا المتلقي وأنه ما تلقى منه ألا أمراً وجودياً فإذا رآه قد تعشق به عند أخذه ولم يرله أنخطاط مرتبة ولا أثر جهل تعجب ونظر من أين أتى عليه في أمره وما الذي صير ذلك المعلوم موجوداً فعلم أن الجهل إنما قام به لا بالمتلقي وأنه هو الذي ألقى إليه الأمر الوجودي على أنه موهوم الوجود لا محقق فرأى أنه قد سعى في مزيد علو رتبته بما أفاده من العلم وهو لا يريد ذلك بل قصد ما يليق به فما علم أنه لعنه الله محل للوجود وإنما تخيل أنه محل لايهام الوجود لا لتحقيقه فيكون هذا المتلقي في هذا التلقي خلافاً وهذا أكمل مراتب الأخذ في التلقي وأما أنزعاج الرهبة فمثل الرغبة أما رهبة منه وهو قوله وأعوذ بك منك وأما رهبة مما يكون منه من عذاب حسي أو عذاب جهل أو التزين وليس في الحجب أكثف ولا أقوى من حجاب التزين لأن من زين له جهله فمن المحال طلب الحاصل في زعمه لأنه حاصل عنده وليس بحاصل في نفس الأمر فمن أراد أن يعتصم

من التزين فليقف عند ظاهر الكتاب والسنة لا يزيد على الظاهر شيئاً فإن التأويل قد يكون من التزين فما أعطاه الظاهر جرى عليه وما تشابه منه وكل علمه إلى الله وآمن به فهذا متبع ليس للتزين عليه سبيل ولا يقوم عليه حجة عند الله فإن كان من أهل البصائر فهو يدعو إلى الله على بصيرة ويتكلم على بصيرة فقد برئ من التزين فهو صاحب علم صحيح وكان من أهل الزينة لا من أهل التزين فالأنزعاج إلى الله قد يكون رهبة من هذا أيضاً والله يقول الحق وهو يهدي السبيل
بسم الله الرحمن الرحيم

الباب التاسع ومائتان في المشاهدة

يصح لك المكانة والمقام

إذا أشهدت فأثبت يا غلام

فتشاهده بعقلك في حجاب

وليس له الورا ولا الامام

وتشاهده به في كل شيء

بمقصود لنا وهو الامام

تؤم به وتقصده وما هو

يكون به التحقق والسلام

وتسكن عند رؤيته سكوناً

المشاهدة عند الطائفة رؤية الأشياء بدلائل التوحيد ورؤيته في الأشياء وحقيقتها اليقين من غير شك قالت بلقيس كأنه هو وهو كان لم يكن غيره فطلبنا عين السبب الموجب لجهلها به حتى قالت كأنه هو فعلمنا أن ذلك حصل لها من وقوفها مع الحركة المعهودة في قطع المسافة البعيدة وهذا القول الذي صدر منها يدل عندي أنها لم تكن كما قيل متولدة بين الأنس والجان أذ لو كانت كذلك لما بعد عليها مثل هذا من حيث علمها بأبيها وما تجده في نفسها من القوة على ذلك حيث كان أبوها من الجان على ما قيل فهذا شهود حاصل وعين مشهودة وعلم ما حصل لأن متعلق العلم المطلوب هنا إنما هو نسبة هذا العرش المشهود إليها كما هو في نفس الأمر ولم تعلم ذلك كما أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما رأوا جبريل في صورة دحية ما قالت كأنه هو وإنما قالت هو دحية ولم يكن في نفس الأمر دحية وهذا على النقيض من قصة بلقيس وأشتركا في الشهود وعدم العلم بالمشهود من حيث نسبته لا من حيث ما شوهده والسبب في هذا الجهل أنهم ما علموا من دحية ألا الصورة الجسدية لا غير فما علموا دحية على الحقيقة وإنما علموا صورة الجسم التي أنطلق عليها إسم دحية وعلى الحقيقة ما أنطلق الاسم الأعلى الجملة فتخيلوا لما شاهدوا الصورة أن الكل تابع لهذه الصورة وليس الأمر كذلك فإن البصر يقصر عن أدراك الفارق بين القوتين في الشبه إذا حضر أحدهما دون الآخر فلو حضرا معاً عنده لفرق بينهما بالمكان والمسئلة في نفسها شديدة الغموض ولا سيما في العلم الألهي لأن النفس الناطقة التي هي روح الإنسان المسماة زيد ألا يستحيل عليها أن تدبر صورتين جسميتين فصاعداً إلى آلاف من الصور الجسمية وكل صورة هي زيد عيناها ليست غير زيد ولو اختلفت الصور أو تشابهت لكان المرئي المشهود عين زيد كما تقول في جسم زيد الواحد مع اختلاف أعضائه في الصورة من رأس وجبين وحاجب وعين ووجنة وخذ وأنف وفم وعنق ويد ورجل وغير ذلك من جميع أعضائه أي شيء

شاهدت منه تقول فيه رأيت زيدا وتصديق كذلك تلك الصور إذا وقعت ويدبرها روح واحد ألا أن الخلل وقع هنا عند الرؤية لعدم اتصال الصور كاتصال الأعضاء في الجسم الواحد فلو شاهد الاتصال الذي بين الصور لقال في كل صورة شاهدها هذا زيد كما يفعل المكاشف إذا شاهد نفسه في كل طبقة من طباق الأفلاك لأن له في كل فلك صورة تدبر تلك الصور روح واحدة وهي روح زيد مثلاً وهذا شهود حق في خلق قالت الطائفة في المشاهدة أنها تطلق بأزاء ثلاثة معان منها مشاهدة الخلق في الحق وهي رؤية الأشياء بدلائل التوحيد كما قدمناه ومنها مشاهدة الحق في الخلق وهي رؤية الحق في الأشياء ومنها مشاهدة الحق بلا الخلق وهي حقيقة اليقين بلا شك فأما قولهم رؤية الأشياء بدلائل التوحيد فإنهم يريدون أحدية كل موجود ذلك عين الدليل على أحدية الحق فهذا دليل على أحديته لا على عينه وأما أشارتهم إلى رؤية الحق في الأشياء فهو الوجه الذي له سبحانه في كل شيء وهو قوله إذا أردناه فذلك التوجه هو الوجه الذي له في الأشياء فنفي الأثر فيه عن السبب أن كان أوجده عند سبب مخلوق وأما قولهم حقيقة اليقين بلا شك ولا أرتياب إذا لم تكن المشاهدة في حضرة التمثيل كالتجلي الألهي في الدار الآخرة الذي ينكرونه فإذا تحول لهم في علامة يعرفونه بما أقرؤا به وعرفوه وهو عين الأول المنكور وهو هذا الآخر المعروف فما أقرؤا ألا بالعلامة لا به فما عرفوا ألا محصوراً فما عرفوا الحق ولهذا فرقنا بين الرؤية والمشاهدة وقلنا في المشاهدة أنها شهود الشاهد الذي في القلب من الحق وهو الذي قيد بالعلامة والرؤية ليست كذلك ولهذا قال موسى رب أريني أنظر إليك وما قال أشهدين فإنه مشهود له ما غاب عنه وكيف يغيب عن الأنبياء وليس يغيب عن الأولياء العارفين به فقال له لن تراني ولم يكن الجبل بأكرم على الله تعالى من موسى وأما أحاله على الجبل لما قد ذكر سبحانه في قوله لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون والجبل من الأرض وموسى من الناس فخلق الجبل أكبر من خلق موسى من طريق المعنى أي نسبة الأرض والسماء إلى جانب الحق أكبر من خلق الناس من حيث ما فيهم من سماء وأرض فإنها في السماء والأرض معنى وصورة وهما في الناس معنى لا صورة والجامع بين المعنى والصورة أكبر في الدلالة ممن أنفرد بأحدهما

ولهذا قال "ولكن أكثر الناس لا يعلمون" فالحمد لله الذي جعلنا من القليل الذي يعلم ذلك فجمع الجبل بين الصورة والمعنى فهو أكبر من جبل موسى المعنوي أذ هو نسخة من العالم كما هو كل أنسان فإذا كان الجامع بين الأمرين وهو الأقوى والأحق باسم الجبل صار دكاً عند التجلي فكيف يكون موسى حيث جبلته التي هي فيه معنى لا صورة ولما كانت الرؤية لا تصح ألا لمن يثبت لها إذا وقعت والجبل موصوف بالثبوت في نفسه وبالأثبات لغيره أذ كان الجبل هو الذي يسكن ميد الأرض ويقال فلان جبل من الجبال إذا كان يثبت عند الشدائد والأمور العظام فلهذا أحاله على الجبل الذي من صفاته الثبوت فإن ثبت الجبل إذا تجلّيت إليه فإنك ستراني من حيث ما فيك من ثبوت الجبل

فإنها كلها محاق

أطاقه الأرض والطباق

وأما ذلك أنفهاق

فرؤية الله لا تطاق

فلو أطاق الشهود خلق

فلم تكن رؤيتي شهوداً

قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيت ربك قال نوراني أراه وذلك أن الكون ظلمة والنور هو الحق المبين والنور والظلمة لا يجتمعان كما لا يجتمع الليل والنهار بل كل واحد منهما يغطي صاحبه ويظهر نفسه فمن رأى النهار لم ير الليل ومن رأى الليل لم

ير النهار فالأمر ظاهر وباطن وهو الظاهر والباطن فحق وخلق فإن شهدت خلقاً لم تر حقاً وأن شهدت حقاً لم تر خلقاً فلا تشهد خلقاً وحقاً أبداً لكن يشهد هذا في هذا وهذا في هذا شهود علم لأنه غشاء ومغشي
بسم الله الرحمن الرحيم

الباب العاشر ومائتان في المكاشفة

فخذها أمانة من قد فهم	إذا الحق أعطاك أسماءه
وحاملها جاهل قد ظلم	بأن الأمانة محمولة
فأنت المكاشف فلتلتزم	فإن أنت أفهمت مقصوده
بها فأجب أمره وأحتشم	بأحكامها فمتى ما دعى
يكن ينبغي لك أن تحتكم	من أجل التصرف فيها ولم
ربوبية عرضت فأحترم	فإنك عبد وأسماءه
إلى ربها أولاً وأعتصم	مقام الأمانة أوردتها
وحقق أشارتها وأغتتم	بما زادك الحال في أمرها
وصاحبها سيد قد عصم	فهذه مكاشفة ترتضى

أعلم أن المكاشفة عند القوم تطلق بأزاء الأمانة بالفهم وتطلق بأزاء تحقيق زيادة الحال وتطلق بأزاء تحقيق الإشارة أعلم أن المكاشفة متعلقها المعاني والمشاهدة متعلقها الذوات فالمشاهدة للمسمى والمكاشفة لحكم الاسماء والمكاشفة عندنا أتم من المشاهدة ألا لو صحت مشاهدة ذات الحق لكانت المشاهدة أتم وهي لا تصح فلذلك قلنا المكاشفة أتم لأنها ألطف فالمكاشفة تلطف الكثيف والمشاهدة تكثف اللطيف وبقولنا هذا تقول طائفة كبيرة من أهل الله مثل أبي حامد وابن فورك والمنذري وقالت طائفة بالنقيض وأما قلنا أنها أتم لأنه ما من أمر تشهده ألا وله حكم زائد على ما وقع عليه الشهود لا يدرك ألا بالكشف فإن أقيم لك ذلك الأمر في الشهود من حيث ذاته صحب ذلك المشهود حكم ولا بد لا يدرك ألا بالكشف هكذا أبداً فالمكاشفة أدراك معنوي فهي مختصة بالمعاني ومثال ذلك إذا شاهدت متحركاً يطلب بالكشف محركه لأنه يعلم أن له محركاً كشفاً ولهذا يتعلق العلم بمعلومين ويتعلق البصر الذي هو للمشاهدة بمعلوم واحد فيدرك بالكشف ما لا يدرك بالشهود ويفصل الكشف ما هو مجمل في الشهود فالمكاشفة كما قلنا على ثلاثة معان مكاشفة بالعلم ومكاشفة بالحال ومكاشفة بالوجد فأما مكاشفة العلم فهي تحقيق الأمانة بالفهم وهو أن تعرف من المشهود لما تجلى لك ما أراد بذلك التجلي لك لأنه ما تجلى لك ألا ليفهمك ما ليس عندك فالمشاهدة طريق إلى العلم والكشف غاية ذلك الطريق وهو حصول العلم في النفس وكذلك إذا خاطبك فقد أسمعك خطابه وهو شهود سمعي فإن المشاهدة إذا للقوى الحسية لا غير والكشف للقوى المعنوية فما أسمعك ألا لتفهم عنه وإذا أفهمك بأي نوع تجلى لك من أدراك صور الحواس فإنما ذلك الفهم أمانة منه عندك لتلك الأمانة أهل لا ينبغي لك أن تودعها ألا لأهلها وأن لم تفعل فإنك خائن وقال عليه السلام

المجالس بالأمانة أي لا تحدث. بما وقع في المجالس ألا لمن أعطاك الله الفهم منها من ينبغي أن تتحدث معه. بما وقع فيها فذلك أهلها وإذا حدثك أنسان ورأيت يلفت فاعلم أن ذلك الحديث أمانة أودعها أياك فحظ المشاهدة ما أبصرت وما سمعت وما طعمت وما شمت وما لمست وحظ الكشف ما فهمت من ذلك كله وما فهمت فهو أمانة وإذا كان أمانة حكم عليك الأمر الألهي بأدائها إلى أهلها وأوردها وردها أن تتناساها أذ ما قد علمت لا تقدر على جهله فتجعل نفسك كأنك ما أبصرت وما سمعت وهذا باب صعب جداً على العارفين يحتاج إلى أدب وحفظ ومراعاة حد فإنه ليس بينه وبين الكذب ألا حجاب واحد وكذلك الخيانة ليس بينه وبينها ألا حجاب واحد ومراعاة الحد تحول بينك وبين الخيانة والكذب فأما علم هذا فهو إذا سألك من يكرم عليك عما تحملته أمانة من شهود بصرك أو سمعك أو ما كان من قوى حواسك والسائل ليس من أهله ومعنى ليس من أهله أن الذي أعطاك هذه الأمانة علمت منه لمن أراد أن توصلها إليه فإن أجبت السائل لكرامته عليك فقد خنت وأن لم تجب وعدلت في الجواب إلى أمر آخر يقنع به السائل ولو عرف ما سترت عنه عز عليه ذلك فقد كذبت كمسئلة الخليل في الكذبات الثلاث أثرت عنده في القيامة فأستحي من الله أن يكلمه في فتح باب الشفاعة مع القصد الجميل في ذلك والصدق في دلالة اللفظ ولكن لم يكن ذلك مقصود المخاطب فسمى كذباً فإنظر ما أخطر هذا الموضع وإن قلت ما عندي خير كذبت أشد من التعريض والحق أق أن يتبع وجواب الصادقين عن ذلك الذين آثروا الحق على غيره أن يقولوا للسائل أن الذي سألت عنه لنا وجوه في الجواب عنه فلا أدري عن أي وجه سألت لتعلمه فإن قال لك فصل الوجوه قل له أنت ابن لي عن مقصودك فإذا قال لك مقصوده من الجواب فإن كان مما يدخل في الأمانة فقل له أنه أمانة أخذ علينا العهد في حفظها وحق الله أحق أن يراعى ولا تستحي في ذلك منه وإن كرم عليك أو كان ذا سلطان ولا يكون السموعل اليهودي المحجوب أو في منك وأنت العارف المشاهدة حتى ضرب به المثل في الوفاء وإن ذكر هذا السائل وجهه مطلوبه من حيث لا تعلق له بالأمانة فأجبه ولا بد ليتنفع ولا تعطيه ما ليس في وسعه حملة فيعود وباله عليك فهذا معنى قولهم تحقيق الأمانة بالفهم وأما المكاشفة بالحال وهي تحقيق زيادة الحال فاعلم أن كل متصف بصفة في كل وقت فإن تلك الصفة هي حاله في ذلك الوقت أي صفة كانت ولهذا لا يأتي الحال إلا بعد تمام

الكلام أي لو لم تذكر لا فاد الكلام دونها فإن كانت هي المقصودة بالأخبار عنها فما أفاد الكلام بالنظر إلى قصد المخبر تقول رأيت زيدا فاستقل الكلام وتم ثم بعد ذلك زدت راكباً فتقول رأيت زيدا راكباً أي في حال ركوبه فإن كان مقصودك التعريف برؤيتك إياه راكباً فما تم الكلام بهذا الاعتبار أي ما حصلت الفائدة التي اعتبرتها وقصدتها ولكن حصلت فائدة بالجملة وهي رؤية زيد أنك رأيت ولم تذكر على أي حالة فهذا معنى تحقيق زيادة الحال أن يتحقق أن الحال زائدة على ما تقع به الفائدة مطلقاً من غير نظر إلى قصد وهذا راجع إلى الأول الذي هو تحقيق الأمانة بالفهم فلو لقيك أحد سألك هل رأيت زيدا فقلت له رأيت ثم زدت حالاً لم يسألك عنها فقلت له مسافراً وكان في نفسه عند سؤاله هل رأيت زيدا حتى يعلم أنه في البلد فيجتمع به فلما قلت له مسافراً أعلمته بهذه الزيادة التي هي زيادة الحال بسفره فأرحته من طلب الإجتماع به إذ لا يتمكن له ذلك مع كونه ليس البلد فهذا أو أمثاله من زيادة الحال وأما في طريق أهل الله فزيادة الحال هي أن تشهد ذاتاً ما على حال ما فتطلع من ذلك الحال إلى ما يؤول إليه أمره لأجل ذلك الحال فسمى مثل هذا زيادة الحال ومكاشفة بالحال مثال ذلك أن تشهد ذاتاً ما على حال خاص من حركة أو سكون أو صفة ملائمة طبع الناظر أو غير ملائمة فتعرف من ذلك الحال أمراً زائداً وهو أن ذلك الحال يؤدي في حق المدرك له وداً أو بعضاً أو كراهة أو ما كان فهذه زيادة الحال التي أعطاك وهذا يقع العلم بالمتزلة عند الله قال بعضهم إني لأعرف متى يحبني ربي

فقليل له ومن أين لك معرفة ذلك فقال هو عرفني به فقليل له أوحى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قوله "فاتبعوني يحبيكم الله" وأما في هذه الساعة في حال اتباع لما شرع وهو صادق القول فأعطيني الحال أن الله محب لي في هذه الساعة لكوني مجلي لما أحب وهو تعالى ناظر إلى محبوبه ومحبوبه ما أنا عليه فأضاف تعلق المحبة التي تصيرني محبوباً بالاتباع وأما المكاشفة بالوجد وهي تحقيق الإشارة أعني إشارة المجلس لا إشارة التي هي نداء على رأس البعد لأنه لا يبلغ مداها الصوت وذلك أن مجالس الحق على نوعين النوع الواحد لا يتمكن فيه إلا الخلوة به تعالى فهذا لا تقع فيه الإشارة وذلك إذا جالسته من حيث هو له على علمه به والنوع الثاني ما تمكن فيه المشاركة في المجلس وهو إذ تجلّى للعبد في صورة أمكن أن تحضر في تلك المجالسة جماعة قلوا أو كثروا ولو كان واحداً زائداً على هذا المجلس تكون الإشارة فإن المجلس الآخر فما زاد لا يمكن أن يجتمعا على قدم واحدة حتى لو اطلع كل واحد من الجلساء على حال الآخر مع الله ما احتمله وكفر به وأنكره وقال هذا إبليس فلا بد إذا وقع الإفهام من الله لكل جلس له في هذه الحضرة والمجلس الصوري أن يكون بالإشارة لا بالتصريح فيفهم كل إنسان من تلك الإشارة ما في وسعه فالكلمة عنده تعالى واحدة بالنظر إلى الجلساء كلمات كثيرة فينصرف كل جلس راضياً يزعم أنه أحص من الباقيين والله رجال أعطاهم من الفهم والإتساع وحفظ الأمانة أن يفهموا عن الله في مثل هذه المجالسة جميع إشارات كل مشار إليه وهم الذين يعرفونه في تجلي الإنكار والشاهدون إياه في كل اعتقاد والحمد لله الذي جعلنا منهم أنه ولي ذلك وهذا القدر كاف انتهى السفر السابع عشر بانهاء الباب العاشر ومائتين

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الحادي عشر ومائتان في اللوائح

من السمو ومن حال إلى حال

منغير جارحة بالعلم والحال

دليلها أنها في الآل كالآل

لوائح الحق ما تبدو لأسرار

وقد تكون بما يبدو لناظره

من النعوت التي يعطيك شاهدها

اعلم أن اللوائح عند القوم ما يلوح إلى الأسرار الظاهرة من السمو من حال إلى حال وعندنا ما يلوح للبصر إذا لم يتقيد بالجاجة من الأنوار الذاتية والسبحات الوجيهة من جهة الإثبات لا من جهة السلب وما يلوح من أنوار الاسماء الإلهية عند مشاهدة آثارها فيعلم بأنوارها أما السمو من حال إلى حال هو أن لا يرجع إلى حال الذي انتقل عنه في الحال الذي هو فيه إذا انتقل عنه إلى ما هو فوقه والمراد بذلك ما يأتي به الحال من الواردات الإلهية والمعرفة بالله وهي المنازل ما هي الكرامات فإن الأحوال قد تعود ماراراً ولكن لا يحمد صاحبها فيها إلا إذا زادته علماً بالله لم يكن عنده لا بد من ذلك وتلك الزيادة هي اللائحة فإن لم ترقه تلك الزيادة في الحال فليست بلائحة مع صحة الحال والحال كونك باقياً أو فانياً أو صاحياً أو سكران أو في جمع أو تفرقة أو في غيبة أو في حضور والأحوال معرفة وهي الأبواب التي ذكرناها في هذا الفصل وفيها أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول "وقل ربي زدني علماً" يرقى به عنده منزلة لم تكن له هذه الأحوال لا يختص بها البشر ولا موطن الدنيا بل هي طائفة أبدا في الدنيا والآخرة وهي لكل

مخلوق فاللوائح كأنها مبادي الكشف ولهذا قد تثبت وقد يسرع زوالها إلا أنه لا بد لها فيمن تلوح له من زيادة علم يرقى به درجة عند الله تعالى هذا يشترط في اللوائح وقلنا من شرط اللائحة أن يكون الإدراك بالبصر لا بالبصيرة في الحال الذي لا يتقيد البصر بالجراحة المقيدة بالجهة المخصوصة بل بحقيقة البصر المنسوب إلى النفس الناطقة ثم يزداد إلى ذلك أمر آخر وهو أن يكون الحق بصره فهو الشاهد له والبيئة من ربه على أ، بصره لم يتقيد بالجراحة وقد صح هذا المقام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صح عنه لما سئل عن رؤية ربه بعينه المقيدة ذات الطبقات فقليل له هل رأيت ربك أراد الشائل رؤية البصر المقيدة بالجراحة فقال نوراني أراه أي نور هذا الإدراك يضعف عن ذلك النور الإلهي وإن كان للبصر المقيد إدراك في النور الإلهي على حد مخصوص فإن النور الإلهي كما قبل التشبيه بالمصباح الوارد في القرآن على الصفات المخصوصة المذكورة كذلك يقبل ادراك البصر إياه إذا حصل تلك الشرائط كلها فتدبرها في نفسك ويخرج قوله لا تدركه الأبصار على وجهين الوجه الواحد أنه نفى أن تدركه الأبصار على كريق التنبيه على الحقائق وإنما يدركه المبصرون بالأبصار لا الإبصار والوجه الثاني لا تدركه الأبصار المقيدة بالجراحة كما قررنا فإذا لم تتقيد أدركته وهو عين النور الذي وقع فيه التشبيه بالمصباح وهو النور الذي ليس كمثله شيء فلا يقبل التشبيه لأنه لا صفة له وكل من له صفة فإنه يقبل التشبيه لأن الصفات تتنوع في القابلين لها بحسب ما تعطيه حقيقة الموصوف كالعلم يتصف به الحق والسمع والبصر والقدرة والإرادة والقول وغير ذلك من الصفات ويتصف بها المخلوق ومعلوم أن نسبتها إلى المخلوق لا تكون على حد نسبتها إلى الخلق بل نسبتها إلى البشر تخالف نسبتها إلى الملك وكلاهما مخلوقان فاعلم ذلك فهذه اللوائح التي تلوح للبصر مشاهد ذاتية ثبوتية ما هي سلبية فإن الوصف السلبي ليس من ادراك البصر بل ذلك من ادراك العقول وما يدرك بالعقل لا يدخل في اللوائح وأما ما يلوح من أنوار الاسماء الإلهية عند مشاهدة آثارها فتعلم بأنوارها أي تظهرها أنوارها فالاسم الإلهي روح لأثره وأثره صورته والبصر لا يقع من الاسم الأعلى أثره الذي هو صورته كما تقع على صورة زيداً الجسمية ويصح أن يقال رأى زيداً من غير تأويل يصدق مع كون زيد له روح مدبرة غيب فيه لها صورة وهي جسديتها فأثر الاسماء الإلهية صور الاسماء فمن شاهد الآثار فقد صدق في أنه شاهد الاسماء فلوائحها أن تجمع بين نسبة ذلك الأثر المشهود وبين الاسم الذي هو روح صورة ذلك الأثر كما ترى شخصاً ولكن لا تعرف أنه زيد المطلوب عندك ويراه آخر ممن يعرفه فيعرف أنه رأى زيداً فهذا العارف هو صاحب اللوائح والآخر ليس هو من أصحاب اللوائح لأنه ما لاح له ارتباط الاسم بهذه الصورة والفرق بين الشخصين المدركين معلوم فما كل من رأى علم ما رأى فهذه اللوائح الحالية لمن أراد معرفتها على الإختصار والإقتصاد والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الثاني عشر ومائتان في التلوين

دليل صدق على العالي من الحالي

إن التلون من حال إلى حال

ضد العاطل

بالحال فيه كمثله الحال في الحال

فمن تحقق بالأنفاس يعرفه

الوقت

حال أهل النحو

فالحال زائلة والحال دائمة

وهو الصحيح الذي قد قيل في الحال

حال أهل النظر اعلم أن التلويين عند أكثر الجماعة مقام ناقص وهو تلون العبد في أحواله وأنشدوا في ذلك

كل يوم تتلون

غير هذا بك أجمل

إلى أن قال بعضهم علامة الحقيقة رفع التلويين بظهور الإستقامة فلو لم يزد بظهور والإستقامة لكان قد نبه على علم غامض محقق فلما زاد هذه اللفظة أفسد الأمر والتحقيق في حده بالقائلين بنقصه وقالت طائفة بل التلويين هو علامة على صاحبه بأنه متحقق محقق كامل إلهي وهو الذي ارتضيه وهو مذهبي وبه أقول وعلى قدر تمكنه في التلويين يكون كماله وبهذا نحد التمكين فنقول التمكين في التلويين هو التمكين فمن لم يتمكن لم يتلون الأمر عنده وآيته من كتاب الله كل يوم هو في شأن فنكر وقالت هذه الكائفة في التلويين بزيادة لو سكتت عنها لكان أولى إذ ليس للتقييد بما تلك الفائدة وهو قولها لأن في التلويين اظهار قدرة القادر فيكشف منه العبد الغيرية وهذه الزيادة اجمالية تدل على ما ذهبنا إليه والتلويين نعت إلهي وكل نعت إلهي كمال إذ لا يتصور في ذلك الجنب نقص أصلاً بوجه ولا نسبة وما تكمل المقامات والأمر إلا أن تكون من النعوت الإلهية فإن الكمال لله على الإطلاق وهو قوله في استشهادنا يسئله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن وليس التلويين غير هذا فيدخل في مذهبنا مذهب الجماعة فإنه أعم وأكبر إحاطة ولا يدخل مذهبنا في مذهبهم اعلم أنه من علم أن الإتساع الإلهي لا يقتضي أن يكون شئ في الوجود مكرر اعلم أن التلويين هو الصحيح في الكون فإنه دليل على السعة الإلهية فمن لم يقف من نفسه ولا من غيره على اختلاف آثارها الحق في كل نفس فلا معرفة له بالله وما هو من أهل هذا المقام وهو من أهل الجهل بالله وبنفسه وبالعالم فليكن على نفسه فقد حسر حياته وما أورثهم هذا الجهل إلا التشابه فإن الفارق قد يخفى بحيث لا يشعر به فلا أقل أن يعلم أن ثم ما لا يشعرون فيكون عالماً بأنه متلون في نفسه ولا يعرف فيما تلون وما ورد عليه قال تعالى "وأوابه متشاهماً" أي يشبه بعضه بعضاً فيتخيل أن الثاني عين الأول وليس كذلك بل هو مثله والفارق بين المثليين في أشياء يعسر ادراكه بالمشاهدة إلا من شاهد الحق أو تحقق بمشاهدة الحرباء فلا دليل من الحيوانات على نعت الحق بكل يوم هو في شأن أدل من الحرباء فما في العالم صفة ولا حال تبقى زمانين ولا صورة تظهر مرتين والعلم يصحب الأول والآخر فهو الأول والآخر والظاهر والباطن فلون وحد الهوية في الكثرة فمن لم يقدر على تقرير الوحدة في الكثرة جعل هذه الصفات نسباً وإضافات لوجوده مختلفة وهذا مذهب النظر وأما الطائفة فأقرت الهوية والوحدة وجعلت الوجه الذي هو منه أول هو عينه منه آخى وظاهر وباطن صرح بذلك أبو سعيد الخراز فرجال الله ما أثبتوا للحق إلا ما هم عليه ولا يثبت في الكون وفي جميع المخلوقات إلا ما هو الحق عليه فارتبط الكل بالكل وضرب الواحد في الواحد فلم يتضاعف بل هو عينما ضرب وكذلك ما يضرب في الواحد أو يضرب الواحد فيه من واحد أو كثرة لا يتضاعف بل هو عين ما ضرب فهكذا الأمر فالتلويين ضرب الواحد في الكثرة فلا يظهر سوى عين تلك الكثرة المضروب فيها واحد أو المضروبة في الواحد والحق واحد بلا شك وضرب الشئ في الشئ نسبته إليه ونحن كثيرون عن عين واحدة جلت تعالى انتسبت إلينا إيجاداً وانتسبنا إليها وجوداً فمن عرف نفسه خلقاً

وموجوداً عرف الحق خالقاً موجوداً فإذا نظرت إلى أحدية العالم ضربت الواحد في الواحد وإذا نظرت إلى العالم ضربت الواحد في الكثير والعالم أثر أسمائه الأثر كما قدمنا صورة الاسم في اللوائح فما ضربت أحدية الحق إلا في صور أسمائه فما زلت عنه فلم يخرج بعد الضرب إلا هو والأسماء كثيرة كذا ورد الخبر الإلهي فيها من التسعة والتسعين فما فوقهما مما يعلم ومما لا يعلم والعين واحدة والألوان مراتب والتلوين نسبة إليها فإن قلت واحد صدقت وإن قلت كثيرون صدقت فإن أسماء الله كثيرة لمعان مختلفة والله الهادي بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثالث عشر ومائتان في حال الغيرة

شعر في المعنى

ما بين علم وحكم يذهب الناس

من الحقيقة رداً فيه إفلاس

لم يهده في ظلام الليل نبراس

عنها فليس لذاك الحكم إيناس

إن التغير حال كونه خطر

إن قال ماذا بحكم رده علم

كذلك ذو الكم ممن لكم فهو أجهل من

وضنة الحق أولى أن تنزهه

العم أنه لما كانت الغيرة عند الكائفة على ثلاثة مقامات غيرة في الحق وغيرة على الحق وغيرة من الحق كان لها ثلاثة أحوال بحسب ما تنسب إليه من أجل التجانس فأ الغيرة فأصلها مشاهدة الغير إذا ثبت أن ثم غيراً فإذا ثبت صح ما قلناه عنهم من التفاصيل وأعني بثبوتية عين وجود الغير لا عين معقوليته فإنه معقول بلا شك ولكن هل هو موجود العين هذا الغير المعقول أم لا فمن قال بالظاهر في المظاهر لم يقل بوجود الغير مع ثبوت حكمه وحاله المعبر عن ذلك بالغيرة وهو أثر استعداد المظاهر في الظاهر والغيرة موجب الكثرة عيناً أو حالاً لا بد من ذلك والكثرة معقولة بلا شك ولكن هل لها وجود عيني أم لا فيه نظر فمن قال أن هذه الكثرة الظاهرة في العين أحوال مختلفة قائمة بعين واحدة لا وجود لها إلا في تلك العين فهي نسب فلا حقيقة لها عينية في الوجود العيني ومن قال أن لها أعياناً لم يقل بالعين الواحدة ولا بالظاهر في المظاهر لأن الكثير مشهود لا الكثرة فالكثرة معقولة والكثير موجود مشهود فمن هنا حكم حال الغيرة في الأشياء واتصف بالغيرة الإله والشئ لا يكون غير نفسه إلا إذا كان الشئ أشياء فيكون كل شئ غير للشئ الآخر والحق ليس بأشياء فلا يقبل الغير وقد اتصف بأنه غيور ومن غيرته حرم الفواحش فتدبر كما ذكرناه حتى تعرف ما الفاحشة وما الفعل المسمى فاحشة وغير فاحشة فالغير على الحقيقة ثابت لا ثابت هو لا هو فأما حال الغيرة في الحق وهي الغيرة التي تكون عند رؤية المنكر والفواحش وهي التي اتصف الحق بها والملا الأعلى والرسول وصالحوا المؤمنين على أن الغيرة مركوزة في الطبع فلا بد منها إلا أنها تنقسم إلى محمود ومذموم وكلامنا في المحمود منها وهي الغيرة في الحق وهي من أشكال المسائل فإنه تعالى من غيرته حرم الفواحش ثم إذا وقعت الفواحش في الكون لم نره يشرع بالأخذ عليها لا ديني ولا آخرة فعلمنا أن ثم مانعاً أقوى يمنع من ذلك يكون ذلك المانع أعظم إحاطة وتكون نسبته إلى الغيرة نسبة العلم الإلهي إلى القدرة وإن تعلقت بما لا يتناهى من الممكنات فلا تشك أن العلم أكثر إحاطة منها لأنه يتعلق بها وبالممكنات والواجبات والمستحيلات والكائنات وغير الكائنات مع ما يعطي الدليل أن ما لا

يتناهى لا يفضل ما لا يتناهى كذلك السبب الموجب لترك المؤاخذة على ما يقع عمن يأتي ما وقعت عليه الغيرة ولا بد أن يكون أقوى من حال الغيرة هذا كله في حق الحق وأما في حق المخلوقين فلا بد من تغيير النفس وهو مكلف بها في الحق لا بد من ذلك ومذموم من لم يجد ذلك من المكلفين فإنه مخاطب بتغييره من يده بالفعل إلى لسانه بالقول إلى وجود ذلك في النفس وهو أضعف الإيمان في الزمان لا في نفس الغيور فحال الغيرة هو ما يجده الغيور من اختلاف الأمر عليه في نفسه عند وقوع ما لا يرضي الله سواء وقع ذلك منه أو من غيره بل من هذه صفته هو معصوم فإن من وقع منه ما يوجب الغيرة ولا يغار وإذا رأى ذلك من الغير أدرسته الغيرة فليست بغيرة حقيقية إلهية وإنما هي غيرة نفسية لا فربة فيها إلى الله تعالى تلك هي الغيرة الإلهية من المخلوقين وهو الفاعل للأمر الذي يوجب الغيرة ولا يؤاخذ على ذلك أخذ عموم فكذلك من توجد منه الغيرة في حق زيد لفعل خاص وإذا وقع منه ذلك الفعل لا يجد غيره فلماذا قلنا صاحب هذا الحال أحق وأقرب للإتصاف بالنعته الإلهي بالغيرة من الذي يغار مطلقاً في حق نفسه وغيره ومن أجل ذلك سمى معصوماً أو محفوظاً فلم يقع منه له يوجب الغيرة وهو السعيد في العموم المثني عليه في الشرع والآخر يذم كما يذم الجبار من المخلوقين وإن كان الجبروت وصفاً إلهياً كذلك خصوص الغيرة لا ينبغي للمؤمن أن يتصف بذلك بل تعمر غيرته في الحق وحينئذ يحمده الله تعالى ويثني عليه فقد نبهتكم على سر من أسرار الغيرة لتسريح إليه أن تفتنت له ولا تستعمله فتشقى بل كن لله غيوراً في الحق مطلقاً من غير تقييد وأما حال الغيرة على الحق وهي كتمان السرائر والأسرار وتلك حالة الأخفياء الأبرياء من الملامية المجهولين المجهولة مقاماتهم فلا تظهر عليهم أمر إلهي يعرف به أن الله عناية بهم فأحوالهم تستر مقامهم لحكمة المواطن فإنهم لا يظهرون في محل النزاع إذ كان سيدهم وهو الله تعالى قد نوزع في إلهيته في هذه الدار وهذه الطائفة متحققة بسيدها فمنعهم ذلك التحقيق أن يظهروا

في المواطن الذي استتر سيدهم فيه فجروا مع العامة على ما هي العامة عليه من ظاهر الطاعات التي لم تجر العادة في العرف أن يسموا بها أنهم من أهل الله لأنهم ما ظهر منهم ما يتميزون به عن العامة من الأفعال كما ظهر من بعض الأولياء من خرق العوائد في الأحوال أو من تتبع تغيير المنكرات إذا بدت تغييراً يتميز به عن التغيير العام بحيث أن يشار إليه فيه فهذه حال الغيرة على الحق وأما حال الغيرة من الحق وهي ضنته بأوليائه حيث سترهم عن سائر عبادته فحبب إليهم السر ووقفهم للمعرفة بحكم المواطن فاتصفوا بصفة سيدهم فكانوا عنده خلف حجب العوائد فهم ضنائ الله وعرائسه فهم عنده كهو عندهم فما يشاهدون سواه ولا ينظر هو إليهم فمن أراد أن يعرفهم فليسلك مسلك الغيرة على الحق فينتظم في سلوكهم وأما قول بعضهم في الغيرة على الحق أن يذكر باللسنة الغافلين فكل لسان ذكره فليس بغافل بل ثمرة صحيحة ينالها الذاكر وهو اللسان وإن لم تقرن به نية من نفس صاحب ذلك اللسان فما ذكره ذاكر بغفلة قط بل ذلك من قوله تعالى وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم مثل هؤلاء فصاحب هذا القول لاحظ له في الرجولة وكذلك قول الآخر أغار على ذلك الجمال إلا نزه عن نظر مثلي يا ليت شعري وأي نظر لك وأين الموجود الذي له نظر من ذاته وهل ينظره إلا هو ينظره إلا هو يأبها المشرك أما تستحي أن تقول مثل هذا القول فحال الغيرة من الحق أن تكون حقاً وتقوم فيها بنسبتها إلى الحق فتتنظر ما الغيرة منه فتكون على ذلك ومع هذا على كل وجه فإنه يطلب ثبوت الغير والتفرقة بين الأشياء والتميز فتحفظ في ذلك من اثبات وجود عين زائدة أو من نفي عيون كثيرة في غير وجود عيني فاثبت الكثرة في الثبوت وأنفها من الوجود وأتيت الوحدة في الوجود وأنفها من الثبوت فاعلم ذلك

الباب الرابع عشر ومائتين في حال الحرية

إذا كان حال الفتى عينه
وإن كان ما لم يكن لم يكن
فحرية العبد معلولة
فيا أيها الحر لا تفتقر
ولا بد منه فمإذا ترى
اضم غناه إلى فقرنا
فذلك حر وإن لم يكن
بأكوانه كائن يستكين
ولأرق إلا لمن قال كن
فجنبك من فقرة قدوهن
ولا بد منك فقد أن أن
وذلك عندي من أقوى الجنن

العم أن الحرية عند الطائفة الإسترقاق بالكلية من جميع الوجوه فتكون حراً عن كل ماسوى الله وهي عندنا إزالة صفة العبد بصفة الحق وذلك إذا كان الحق سمعه وبصره وجميع قواه وما هو عبد إلا بهذه الصفات التي أذهبها الحق بوجوده مع ثبوت عين هذا الشخص والحق لا يكون مملوكاً فكان هذا المحل حراً إذ لا معنى له من عينه ما لم يكن موصوفاً بهذه الصفات وهي الحق عينها لا صفات الحق عينها فثبت عين الشخص بوجود الضمير في قوله كنت سمعه فهذه الهاء عينه والصفة عين الحق لا عينه فثبتت الحرية لهذا الشخص فهو محل لأحكام هذه الصفات التي هي عين الحق لا غيره كما يليق بجلاله فنعتة سبحانه بنفسه لا بصفته فهذا الشخص من حيث عينه هو ومن حيث صفته لا هو

فوصفك معدوم وعينك ظاهر
وأنت ملك ولست بعبد
وَأَنْتَ لَهُ آلَ كَمَا هُوَ آخِر
فَمَا أَنْتَ مَرْجُورٌ وَلَمَّا أَنْتَ هُوَ زَاجِر
وعلى الحقيقة لا يقال في الحق أنه حر لكن يقال أنه ليس بعبد إذا كان لا يعرف إلا بالنعت السلي لا بالنعت الثبوتي النفسي لكن للمظاهر حكم فيه من حيث ما هو ظاهر فيها فينسب إليه جميع ما ينسب إلى المظهر من نعوت نقص عرفي ونعوت كمال وتمام
وليس إلا الحق لا غيره
ولا نقل بأنه عينهم
فعينه الظاهر نعت العبيد
بل قل كما قلته لا تزيد

وَأَلْسَنَةُ الشَّرَائِعِ الْإِلَهِيَّةِ بِهَذَا انْطَقَتْ حَقِيقَةً لَا بِحَاجِزٍ وَالْأَدْلَةُ الْعَقْلِيَّةُ النَّظَرِيَّةُ تَنْفَقِي مِثْلَ هَذَا عَنِ الْجَنَابِ الْإِلَهِيِّ وَإِذَا وَرَدَتْ بِهِ الشَّرَائِعُ فَإِنْ فَحُولَ عِلْمَائِهِمْ يَتَأَوَّلُونَ مِثْلَ هَذَا الْعَدَمِ الْكَشْفِ إِذْ لَمْ يَكُنِ الْحَقُّ بَصَرَهُمْ

تقلدوا الفكر على قصوره
فسبحان من أخفى عن العين ذاته
وما استضاءوا ساعة بنوره
وأظهرها في خلقه بصفاتهم
فلا حر ولا عبد فأين العهد والوعد
قلله وجود الأمد من قبل ومن بعد

واعلم ان الحر من ملك الأمور بأزمته ولم تملكه وصرفها ولم تصرفه وهذا غير موجود في الجنابين فإن الله يقول ادعوني أستجب لكم وطلب منا الإجابة لما دعانا فحصل التصريف من جانب الحق ومن جانب العبد فلولا دعاء العبد وسؤاله ما كان الحق مجيباً

والإجابة نعتة فقد ظهر من العبد صورة تصرف في الحق وقد ظهر من الحق تصرف في العبد لا صورة تصرف فهذا القدر بين الحق والعبد ولا يكون حراً مطلق الحرية من هذا نعتة ففي الحقيقة ليس للحرية وجود عين فإن إضافات تمنع من ذلك لكن حقيقة الحرية في غنى الذات عن العالمين مع ظهور العالم عند لذاته لا لأمر آخر فهو غنى عن العالمين فهو حر والعالم مفتقر إليه فالعالم عبيد فلا حرية لهم أبداً فإذا طلبتهم الإلوهة بما كلفتهم به من الأحكام التيلا زهور لها للإلوهية إلا بها ظهرت الإضافات فصار الأمر موقوفاً من الطرفين كل طرف على صاحبه فامتنعت الحرية أن تقوم بواحد من المضافين فمن قال أن الحق معروف فلا يدري كما من قال أن الحق مجهول فلا يدري فهذا حال الحرية قد استوفيناها مختصراً قريب المأخذ والمتناول

الباب الخامس ومائتان في معرفة اللطيفة وأسرارها

فتلك لطائف الرحماني فينا

فنجي من إشارتها سنينا

يهيمها الهوى حيناً فحيناً

هو الحب الذي منه ابتلينا

إذا عزت عن الشرح المعاني

يشار بها إلينا من بعيد

وإن الله يمنحها قلوباً

وما ذاك الهوى المذموم لكن

اعلم أيدنا الله وأياك بروح القدس أن أهل الله يطلقون لفظ اللطيفة على معنيين يطلقونه ويريدون به حقيقة الإنسان وهو المعنى الذي البدن مركبة ومحل تدبيره وآلات تحصيل معلوماته المعنوية والحسية ويطلقونه أيضاً يريدون به كل إشارة دقيقة المعنى تلوح في الفهم لا تسعها العبارة وهي من علوم الأذواق والأحوال فهي تعلم ولا تنقال لا تأخذها الحدود وإن كانت محدودة في نفس الأمر ولكن ما يلزم من له حد وحقيقة في نفس الأمر أن يعبر عنه وهذا معنى قول أهل الفهم أن الأمور ومنها ما يحد ومنها ما لا يحد أي تتعذر العبارة عن إيضاح حقيقته وحده للسامع حتى يفهمه وعلوم الأذواق من هذا القبيل ثم يتوسعون في اللطائف فيسمون كل معنى دقيق عزيز المثال وإن قيل ينفرد به افراد الرجال لطيفة ومن الاسماء الإلهية الاسم اللطيف ومن حكم هذا الاسم الإلهي إيصال أرزاق العباد المحسوسة والمعنوية المقطوعة الأسباب من حيث لا يشعرون بها المرزوق وهو قوله تعالى "ويرزقه من حيث لا يحتسب" ومن الاسم اللطيف قوله عليه السلام "في نعيم الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" فاعلم وفقك الله أن اللطيفة التي تحصل للعبد من الله من حيث لا يشعرون إذا أوصلها العبد بممته لتلمذه أو لمن شاء من عباد الله من حيث لا يشعر ذلك الشخص عن قصد من الشيخ حينئذ يقال فيه أنه صاحب لطيفة ولا يصح هذا إلا للمتخلق بالاسم الإلهي اللطيف فإن وقع الشعور بها فليس بصاحب لطيفة وإن وقع للتلميذ أو للموصل إليه ذلك المعنى أنه وصل إليه من هذا الشيخ عن علم محقق لا عن حسبان ولا حسن ظن ولا تخمين فذلك الشيخ ليس بصاحب لطيفة في تلك المسئلة فإنه من شأن صاحب هذا المقام العزة والمنع أن يشعر به أن ذلك من عنده على تفصيل ما وقع منه الإيصال لا على الإجمال كما أن الرزاق هو الله على الإجمال ولكن ما تعرف كيف إيصال الرزق للمرزوق على التفصيل والتعيين الذي يعلمه الحق من اسمه اللطيف فإن علم فمن حكم إسم آخر إلهي لا من الاسم اللطيف وليس ذلك بلطيفة فلا بد من الجهل بالإيصال ولهذا المعنى سميت حقيقة الإنسان لطيفة لأنها ظهرت بالنفخ عند تسوية البدن للتدبير

من الروح المضاف إلى الله في قوله فإذا اسويته ونفخت فيه من روحي وهو النفس الإلهي وقد مضى بابه فهو سر إلهي لطيف ينسب إلى الله على الإجمال من غير تكييف فلما ظهر عينه بالنفخ عند التسوية وكان ظهوره عن وجود لا عن عدم فما حدث إلا إضافة التولية إليه بتدبير هذا البدن مثل ظهور الحرف عن نفس المتكلم وأعطى في هذا المركب الآلات الروحانية والحسية لإدراك علوم لا يعرفها إلا بواسطة هذه الآلات وهذا من كونه لطيفاً أيضاً فإنه في الإمكان العقلي فيما يظهر لبعض العقلاء من المتكلمين أن يعرف ذلك الأمر من غير وساطة هذه الآلات وهذا ضعيف في النظر فإننا ما نعي بالآلات إلا المعاني القائمة بالحل فنحن نريد السمع والبصر والشم لا الأذن والعين والأنف وهو لا يدرك المسموع ألا من كونه صاحب سمع لا صاحب أذن وكذلك لا يدرك المبصر ألا من كونه صاحب بصر لا صاحر حدقة وأجفان فإذا أضافات هذه الآلات لا يصح ارتفاعها وما بقي لمإذا ترجع حقائقها هل ترجع لأمر زائدة على عين اللطيفة أو ليست ترجع ألا إلى عين اللطيفة وتختلف الأحكام فيها باختلاف المدركات والعين واحدة وهو مذهب المحققين من أهل الكشف والنظر الصحيح العقلي فلما ظهر عين هذه اللطيفة التي هي حقيقة الإنسان كان هذا أيضاً عين تدبيرها لهذا البدن من باب اللطائف لأنه لا يعرف كيف ارتباط الحياة لهذا البدن بوجود هذا الروح اللطيف لمشاركة ما تقتضيه الطبيعة فيه من وجود الحياة التي هي الروح الحيواني فظهر نوع اشتراك فلا يدري على الحقيقة هذه الحياة البدنية الحيوانية هل هي لهذه اللطيفة الظاهرة عن النفخ الألهي المخاطبة المكلفة أو للطبيعة أو للمجموع ألا أهل الكشف والوجود فإنهم عارفون بذلك ذوقاً أذ قد علموا أنه ما في العالم ألا حي ناطق بتسييح ربه تعالى بلسان فصيح ينسب إليه بحسب ما تقتضيه حقيقته عند أهل الكشف وأما ما عدا أهل الكشف فلا يعلمون ذلك أصلاً فهم أهل الجماد والنبات والحيوان ولا يعلمون أن الكل حي ولكن لا يشعرون كما لا يشعرون بحياة الشهداء المقتولين في سبيل الله قال تعالى "ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون" ثم أن تدبير هذه اللطيفة هذا البدن لبقاء الصحة لما أفتتته من المعارف والعلوم بصحة هذا الهيكل ولا سيما أهل الهياكل المنورة وهنا ينقسم أهل الله إلى قسمين قسم يقول بالتجريد عند مفارقة هذا البدن فإنها تكتسب من خلقها وعلومها ومعارفها أحوالاً وهيآت يعلمون بها في عالم التجريد من أخواتها فتطلب درجة الكمال وهذا الصنف وأن كان من أهل الله فليس من أهل الكشف بل الفكر عليه غالب والنظر العقلي عليه حاكم والقسم الآخر من أهل الله وهم أهل الحق لا يبالون بالمفارقة متى كانت لأنهم في مزيد علم أبداً دائماً وأنهم ملوك أهل تدبير لمواد طبيعية أو عنصرية دنيا وبرزخاً وآخرة وهم المؤمنون القائلون بحشر الأجساد وهؤلاء لهم الكشف الصحيح فإن اللطيفة الألهية لم تظهر ألا عن تدبير وتفصيل وهيكل مدبر هو أصل وجودها مدبرة فلا تنفك عن هذه الحقيقة ومن تحقق ما يرى نفسه عليه في حال النوم في الرؤيا يعرف ما قلناه فإن الله ضرب ما يراه النائم في نومه مثلاً وضرب اليقظة من ذلك النوم مثلاً آخر للحشر والأول ما يؤول إليه الميت بعد مفارقة عالم الدنيا ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون فنحن في ارتقاء دائم ومزيد علم دنيا وبرزخاً وآخرة والآلات مصاحبة لا تنفك في هذه المنازل والمواطن والحالات عن هذه اللطيفة الإنسانية ثم أن الشقاء لهذه اللطيفة أمر عارض يعرض لها كما يعرض المرض في الدنيا لها لفساد هذه الأخلاط بزيادة أو نقص فإذا زيد في الناقص أو نقص من الزائد وحصل الاعتدال زال المرض وظهرت الصحة كذلك ما يطرأ عليها في الآخرة من الشقاء ثم المآل إلى السعادة وهي استقامة النشأة في أي دار كان من جنة أو نار أذ قد ثبت أنه لكل واحد من الدارين ملؤها فالله يجعلنا ممن حفظت عليه صحة مزاج معارفه وعلومه فهذا طرف من حقيقة مسمى اللطيفة الإنسانية بل كل موجود من الأجسام له لطيفة روحانية ألهية تنظر إليه من حيث صورته لا بد من ذلك وفساد الصورة

والهيئة موت حيث كان وأما اصطلاحهم اللطيفة على المعنى الآخر الذي هو كل إشارة تلوح في الفهم لا تسعها العبارة فاعلم أن أهل الله قد جعلوا الإشارة نداء على رأس البعد وبوحاً بعين العلة ولكن في التقسيم في الأشارات يظهر فرقان وذلك أن الإشارة التي هي نداء على رأس البعد فهو حمل ما لا تبلغه العبارة كما أن الإشارة للذي لا يبلغه الصوت لبعد المسافة وهو ذو بصر فيشار إليه بما يراد منه فيفهم فهذا معنى قولهم نداء على رأس البعد فكل ما لا تسعه عبارة من العلوم فهو بمنزلة من لم يبلغه الصوت فهو بعيد عن المشير وليس ببعيد عما يراد منه فإن الإشارة قد أفهمته ما يفهمه الكلام أو يبلغه الصوت وقد قطعاً أن المشير إذا كان الحق فإنه بعيد عن الحد الذي يتميز به العبد فهذا بعد حقيقي لا بد منه ولا يكون الأمر ألا هكذا فلا بد من الإشارة وهي اللطيفة فإنه معنى لطيف لا يشعر به ثم أنه وأن لم يكن بعد فهو بوح بعين العلة وذلك أن الأصم يكون قريباً من المتكلم ولكن قربه لا تقع به الفائدة لأنه لا يصل إليه الصوت لعله الصمم فيشير إليه مع القرب كما يقول الحق على لسان عبده سمع الله لمن حمده فهذا غاية القرب مع وجود العلة وظهورها وأكثر من هذا القرب ما يكون فإنه هو مع قوله قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ففرق وفصل وأين هذا ممن جعل قوله قوله وأنه المتكلم والقائل لا هو فهذا قرب معلول فهو قولهم وبوح بعين العلة ولهذا سميت لطيفة لأنها أدرجت الرب في العبد فقال تعالى فأجره حتى يسمع كلام الله وكان المتكلم محمداً صلى الله عليه وسلم بكلام الله وقال تعالى كنت سمعه وبصره ولسانه وهذا من اللطف ما يكون ظهور رب في صورة خلق عن أعلام ألهي لا تعرف له كيفية ولا تنفك عنه بينية فليس كمثله شيء وهو السميع البصير ثم أنه من هذا الباب حنين الأمهات إلى أولادها وعطفها عليهم والحنين إلى الأوطان والشوق إلى الآلاف وهي مناسبات في الجملة بين الأمرين إذا أراد الشخص أن يعرف عللها لم يقدر على ذلك ولكن يقارب ألا من حصل له التعريف الألهي فذلك عالم بما هو الأمر عليه تلقاه من أصل الوجود بل من عين الوجود إذا الحق هو الوجود ليس ألا

الباب السادس عشر ومائتان في معرفة الفتوح وأسراره

وهو العذاب فلا تفرح إذا وردا

رأيت فأتخذ ما شئت سنداً

ما شاء من رحمة فيها إذا قصدا

كريح عاد بنقل ثابت شهدا

عسى تحوز بذاك الفوز والرشدا

أن الفتوح هو الراحة أجمعها

حتى ترى عين ما يأتي به فإذا

الريح بشرى من الرحمن بين يدي

وقد تكون عذاباً ما أستعد له

فالمكر منه خفي فأستعد له

أعلم أيدينا الله وأياك بما أيد به الخاصة من عباده أن الفتوح عند الطائفة على ثلاثة أنواع النوع الواحد فتوح العبارة في الظاهر قالوا وذلك سببه أخلاص القصد وهو صحيح عندي وقد ذقته وهو قوله عليه السلام أوتيت جوامع الكلام ومنه القرآن وقد سألت في الواقعة عن هذه المسئلة فقل لي لا تخبر ألا عن صدق وأمر واقع محقق من غير زيادة حرف أو تزوير في نفسك فإذا كان كلامك بهذه الصفة كان معجزاً وأما النوع الثاني من الفتوح فهو فتوح الحلاوة في الباطن قالت الطائفة هو سبب جذب الحق بأعطافه وأما النوع الثالث فهو فتوح المكاشفة بالحق قالت الطائفة هو سبب المعرفة بالحق والجامع لذلك كله أن كل أمر جاءك من غير تعمل ولا

أستشراف ولا طلب فهو فتوح ظاهراً كان أو باطناً وله علامة في الذائق الفتوح وهي عدم الأخذ من فتوح الغير أو نتائج الفكر ومن شرط الفتوح أن لا يصحبه فكر ولا يكون نتيجة فكر وكان شيخنا أبو مدين يقول في الفتوح أطعمونا لحماً طرياً كما قال الله تعالى لا تطعمونا القديد أي لا تنقلوا إلينا من الفتوح ألا ما يفتح به عليكم في قلوبكم لا تنقلوا إلينا فتوح غيركم يرفع بهذا همة أصحابه لطلب الأخذ من الله تعالى فاعلموا يا أخواننا أن مقام الفتوح محتاج إلى ميزان حقيقي وهو مقام فيه مكر خفي وأستدراج فإن الله قد ذكر الفتح بالبركات من السماء والأرض وذكر الفتح بالعذاب هذا حتى لا يفرح العاقل بالفتح عند فتح الباب حتى يرى ما يفتح له قال بعضهم عند الموت هذا باب كنت أقرعه منذ كذا وكذا سنة هو ذا يفتح لي ولا أدري بماذا قالت عاد هذا عارض مطرناً حجبتهم العادة قيل لهم بل هو ما أستعجائم به ريح فيها عذاب أليم فلا تغتر بالفتح إذا لم تدر مآله وقل رب زدني علماً ولما كان الفتح الألهي على نوعين في العالم فتح عن قرع وفتح ابتداء لا عن قرع فأما فتح القرع فيعلم أهل الله بماذا يفتح فإن القرع هو دليلهم على ما يفتح به وليس مطلوب القوم بالفتوح هذا النوع وإنما مطلوبهم بالفتوح ما يكون ابتداء من غير تعمل لذلك وأن كان يطلبه العمل من العبد الذي هو عليه بحكم التضمن ولكن ما يخطر للعبد العامل ذلك جملة واحدة فيكون الفتح في حقه إذا ورد ابتداء وإذا ورد الفتح على اختلاف ضروبه كما قررناه تعين على هذا العبد إقامة الوزن بالقسط كما أمره الله في قوله "أقيموا الوزن بالقسط" فيقيم الوزن هذا العبد بين حاله الذي هو عليه وبين الفتح فإن كان الفتح مناسباً للحال فهو نتيجة حاله فيقيم عند ذلك وزناً آخر وهو أن ينظر في مقدار الفتح وقوة الحال فإن ساواه فهو نتيجة بلا شك فليحذر هذا العبد مكر الله في هذا الفتح فإنه نتيجة في غير موطنها فرمما عجلت له عطيته وأنقلب إلى الدار الآخرة صفر اليدين فإن كان الفتح مما يعطي أدباً وترقياً فليس بمكر بل هو عناية من الله تعالى بهذا العبد حيث زاده فتحاً يؤديه إلى زيادة خير عند الله تعالى وأن أقام الوزن بين مقدار الفتح وقوة الحال ورأى الفتح فوق الحال فيترل منه مقدار قوة الحال وما زاد فذلك هو الفتوح الذي ذكرته الطائفة هذا أصل ينبغي أن يعلم ويتحقق وله شواهد يعلمها الذائق له وأن لم يدخل الفتح في ميزان الحال جملة واحدة وبقي حاله موفوراً عليه كان ذلك الفتح هو الفتح المطلوب عند القوم وبعد أن تقرر هذا فلنذكر كل نوع من أنواع الفتوح أما الفتوح في العبارة فإنه لا يكون إلا للمحمدي الكامل من الرجال ولو كان وارثاً لأي نبي كان أقوى مقام صاحب هذا الفتح الصدق في جميع أقواله وحركاته وسكونه إلى أن يبلغ به الصدق أن يعرف صاحبه وجليسه ما في باطنه من حركة ظاهرة لا يمكن لصاحب هذا الفتح أن يصور كلاماً في نفسه ويرتبه بفكره ثم ينطق به بعد ذلك بل زمان نطقه زمان تصوره لذلك اللفظ الذي يعبر عنه عما في نفسه زمان قيام ذلك المعنى في نفسه وصورته وليس لغير صاحب هذا الفتح هذا الوصف ويكون التثنية على صاحب هذا الفتح من المرتبة التي نزل فيها القرآن خاصة من كونه قرآناً لا من كونه كلام الله فإن كلام الله لا يزال يتزل على قلوب أولياء الله تلاوة فينظر الولي ما تلى عليه مثل ما ينظر النبي فيما أنزل عليه فيعلم ما أريد به في تلك التلاوة كما يعلم النبي ما أنزل عليه فيحكم بحسب ما يقتضيه الأمر هكذا هو الشأن ولهذا التزل في قلب الولي حلاوة نذكرها في النوع

الثاني من الفتوح فلا تقع التلاوة لصاحب هذا الفتح إلا من كون المتلو قرآناً لا غير فيفتح الله له في العبارة فيعرب بقلمه أو بلفظه عما في نفسه بحيث أن يوضح المقصود عند السامع إذا كان السامع ممن ألقى السمع ومن علامة صاحب هذا الفتح عند نفسه استصحاب الخشوع وتوالي الإقشعرار عليه في جسده بحيث أن يحس بأجزائه قد تفرقت فإن لم يجد ذلك في نفسه فيعلم أنه ليس ذلك الرجل المطلوب ولا هو صاحب هذا الفتح وهذا فتح ما رأيت له في عمري فيمن لقيته من رجال الله أثراً في أحد وقد يكون

في الزمان رجال لهم هذا الفتح ولم ألقهم غير أبي منهم بلا شك عندي ولا ريب فله الحمد على ذلك وسيرد في فصل المنازل في منزلة القرآن فرقان ما بين أسمائه فإنه القرآن والفرقان والنور والهدى وغير ذلك من الأسماء الموضوعة له مهما تصور المتكلم المعبر عما في نفسه ما يتكلم به قبل العبارة ويرتب التعبير عن الأمر في نفسه ويحسنه ويتمعنه بحيث أن يحسن عند كل من يسمع تلك العبارة فليس هو بصاحب فتح فإنه من شأن الفتوح أن يفجأ ويأتي بغتة من غير شعور هكذا كل فتوح يكون في هذا الطريق ثم أنه من حقيقة صاحب هذا الفتح شهود ما يعبر عنه وشهود من يسمع منه وما يسمع منه فيعطيه من العبارة ما يليق بذلك السمع الخاص فإن لم يكن بهذا الوصف فليس هو بصاحب فتح في العبارة وهذا معنى قولنا أن سببه الإخلاص النوع الثاني من الفتوح الذي هو فتح الحلاوة في الباطن وهو سبب جذب الحق بأعطافه فهذه الحلاوة وإن كانت معنوية فإن أثرها عند صاحبها يحس به كما يحس ببرد الماء البارد وصورة الإحساس بها كصورة الإحساس بكل محسوس وطريقها في الحس من الدماغ يتزل إلى محل الطعم فيجدها ذوقاً فيجد عند حصول هذا الذوق استرخاء في الأعضاء والمفاصل وخدرا في الجوارح لقوة اللذة واستفراغاً لطافته ومن أصحاب ومن أصحاب هذا الفتح من تدوم معه هذه الحلاوة ساعة ويوماً وأكثر من ذلك ليس لبقائها زمان مخصوص فإنه يختلف علينا بقاؤها فوقتنا نزلت علينا في قضية فدامت معنا ساعة ثم ارتفعت ثم نزلت في واقعة أخرى فدامت أياماً ليلاً نهاراً وحينئذ ارتفعت فإذا ارتفعت زال ذلك الخدر من الجوارح وهذه الحلاوة لا يمكن أن يشبهها لذة من اللذات المحسوسة لأنها غريبة لكونها معنوية في غير مادة محسوسة فما تشبه حلاوة العسل ولا حلاوة الجماع ولا حلاوة شئ محسوس كما أنها أيضاً لا تشبه حلاوة حصول العلوم المعشوقة للطالب بل هي أعلى وأجل وأثرها في الحس أعظم من أثر الحلاوة المركبة في المواد المحسوسة كحلاوة كل حلو وتميزها عن الذات المعاني إنما هو بما لها من الأثر في الحس فافهم ذلك ولما سماني الحق عبداً باسمائه وفتح لي في الحلاوة ما رأيت أشد أثراً منها في الاسم العزيز فلما ناداني بيا عبد العزيز ومعنى ذلك أن يقاوم الإنسان عبداً في كل إسم إلهي ليحصل الفرقان بين الحقائق لتحصيل العلوم الإلهية وجدت لهذا النداء من الحلاوة ما لم أجد في لغيره من الأسماء ونظرت في سبب ذلك فوجدت أن مقام العزة يقتضي أن يكون الأمر كذلك وهذه الحلاوة وإن تميزت عن حلاوة المحسوسات والمعاني فهي متنوعة في نفسها فحلاوة أمر ما منها خلاف حلاوة حلاوة أمر آخر يجد الذائق الفرق بينهما كحلاوة السكر يجد الإنسان والفرق بينها وبين حلاوة العسل وإن اشتركا في الحلاوة وكذلك الأمر هنا لا تحصل هذه الحلاوة لأحد من أهل الله ألا بالعطف الإلهي فإذا ورد العطف الإلهي على العبد رزقه الله وجدان هذه الحلاوة في باطنه فيجذبه إليه تعالى لأن النفس مجبولة على الميل إلى كل ما تستلده ومن أشد حلاوة من هذا الفتح مر علي في هذا الزمان لما تلي على أن والقلم وما يسطرون فلم أجد لذة أعظم من لذة وأنك لعل خلق عظيم فهذه أعظم بشرى وردت على ثم أنه تليت على مرتين في زمانين متتابعين فزادني أعجاباً بها تكرار التلاوة على بها وتكرار التلاوة فينا مثل تكرار نزول الآية أو السورة على الرسول مرتين كما جاء في نزول سورة والمرسلات وغيرها أنها نزلت مرتين فإذا عطف الحق على عبده بهذه الحلاوة فجذبه إليه بها ليمنحه علماً لم يكن عنده فإن لم يجد علماً فليس بجذب ولا تلك حلاوة فتح فذلك من علامات فتح الحلاوة وإنما يفعل الحق ذلك لتكون حركة العبد معلولة لأنه معلول في الأصل وذلك لأقامة حجة الله عليه فإن العبد يزهو بالقوة

الألهية التي عنده فرما يرى أن له تزيهاً بأنجذابه إلى الحق دون غيره من العبيد ويزعم أن ذلك أثار منه لجناب الحق فجعل الله أنجذابه عن حلاوة فإن زها كما قلنا قامت الحجة علينا بأنه ما أخذ به إلى الحق أثار جناب الحق بل وجد أن الحلاوة والألتاذ فلنفسه

سعى والله المنة وحده لا منة لأحد على الله وله الحجة البالغة لا حجة لأحد على الله وكل من قال بغير هذا من أهل الله فإنما قالها شطحاً لا حقيقة لغلبة الحال عليه فهو لسان حاله لا لسانه فإذا أفاق قال سبحانك تبت إليك فإن قلت فما معنى الجذب هنا مع كونه معه قلنا ليس أحد مع الحق من حيث ما هو الحق لنفسه وإنما هم مع الحق من حيث ما أقامه الحق فيه فيكون من الحق الجذب بهذه الحلاوة من الحال التي أقامه الحق فيها لحال آخر يفيد فيه علماً لم يكن عنده ذوقاً هكذا على الدوام إلى ما لا نهاية له وسماه جذباً لأن العبد لا بد أن يتعشق بحاله ويألفه فلا ينجذب عنه ألا بما هو أعجب إليه منه فلهذا فتح له في الحلاوة لتخلصه مما وقف معه فإذا أنجذب إلى الحق صحبه حاله الذي كان عليه أيضاً لأنه لا يفارقه إذا المعلوم لا يجهل فبقي حكم الجذب أنما متعلقه أن لا يتركه يقف مع حاله فيقتصر عليه فيحدث له التشوق إلى تحصيل أمر آخر ليس عنده مع صحبته لما كان عليه من الحال فاعلم ذلك وليس كل أهل الله على هذا القدم الذي ذكرناه وأنما هذا الذي ذكرناه حال الأكابر منهم فإن جماعة من أهل الله يشغلهم ما رجعوا إليه عما كانوا عليه فإن الله قد رفع بعضهم على بعض وفضل كل صنف بعضه على بعض فقال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وأعلم أن أصل وجدان هذه الحلاوة فينا من الجنب الألهي من الحلاوة الألهية التي يتضمنها صريح قوله عليه السلام لله أفرح بتوبة عبده الحديث فمن هناك نشأت هذه الحلاوة في باطن أهل الله فإن فهمت فقد رميت بك على الطريق ولا يعرف هذا ألا العارفون بالله المنعوت في الشرع لا المدلول عليه بالعقل وهكذا جميع ما يأتي من مثل هذا الباب وليس للضحك الألهي ولا التبشيش مدخل في هذه الحلاوة بل ذلك للفرح فلا تخلط ولا تقس فإن طريق الله لا تدرك بالقياس فما كل أمر يشبه أمر آله حكم ذلك المشبه ليس الأمر كذلك وإنما له منه حكم ما وقع الشبه به كالحمصة تشبه الولوة في الاستدارة وما لكل واحدة منهما حكم الأخرى كما تختلف العلل أيضاً مع أحدية المعلول إذا كان المعلول محمولاً كالأستدارة التي وقع التمثيل بها وهي أمر محمول في المستدير ما كان فعلة أستدارة الفلك ليست علة أستدارة الولو فأختلفت العلل لأختلاف محال المعلول والمعلول الأستدارة فأحذر من القياس في العلم الألهي بل أن تحققت الأمور لم يصح وجود القياس أصلاً وإنما هو من الأمور التي غلط فيها أهل النظر في أن حملوا حكم المقيس عليه على المقيس فهذا قد بينا في هذا النوع من الفتح قدر ما تقع به الكفاية لمن أراد تحصيله ذوقاً من نفسه فإذا ذاقه علم ما يحتمله من البسط وأما النوع الثالث من الفتوح وهو فتوح المكاشفة الذي هو سبب معرفة الحق أعلم أولاً أن الحق أجل وأعلى من أن يعرف في نفسه لكن يعرف في الأشياء فالمكاشفة سبب معرفة الحق في الأشياء والأشياء على الحق كالستور فإذا رفعت وقع الكشف لما وراءها فكانت المكاشفة فيرى المكاشف الحق في الأشياء كشفاً كما يرى النبي صلى الله عليه وسلم من وراءه من خلف ظهره فأرتفع في حقه الستر وأنفتح الباب مع ثبوت الظهر والخلف فقال أي أراكم من خلف ظهري وقد ذقنا هذا المقام والله الحمد فلا يعرف الحق في الأشياء ألا مع ظهور الأشياء وأرتفاع حكمها فأعين العامة لا تقع ألا على حكم الأشياء والذين لهم فتوح المكاشفة لا تقع أعينهم في الأشياء ألا على الحق فمنهم من يرى الحق في الأشياء ومنهم من يرى الأشياء والحق فيها وبينهما فرقان فإن الأول ما تقع عينه عند الفتح الأعلى الحق فيراه في الأشياء والثاني تقع عينه على الأشياء فيرى الحق فيها الوجود الفتح وأصل ظهور هذا الفتح من الجنب الألهي حالة قوله ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم فيرفع الأبتلاء حجاب الدعوى الذي كان يدعيه الكون فيكون الكشف وهو التعلق الخاص من العلم الألهي بما وقع الأمر عليه فعلم صدق دعوى الكون من كذبه فمن هذه الصفة الألهية ظهر فتح

المكاشفة أذ لا يظهر في الوجود حكم ألا وله أصل في الجنب الألهي إليه أستاده ولا يصح أن يكون الأمر ألا هكذا فإنه قد ذكرنا

في غير ما موضع أن علم الله بالأشياء من علمه بنفسه فخرج العالم على صورته فلا يشذ عنه حكماً أصلاً فهو سبحانه رب كل شيء ومليكه فالأشياء مرتبطة به في كل حال وما هو في كل حال مرتبط بالأشياء ولهذا غلط من غلط من أصحابنا ومن بعض النظار في أنهم عرفوا الله ثم عرفوا الأشياء فهم عرفوا الله من حيث أنه واجب الوجود لذاته وأنه لا يصح أن يكون ثم واجب الوجود لذاته فصحت أحدية واجب الوجود هذا كله صحيح لا نزاع فيه عند المنصف ولكن ليس المقصود ألا علم كونه رباً لهذا العالم هذا لا يعرفه ما لم تتقدم له معرفته بالعالم هذا ما يعطيه علم الكمل من رجال الله من أهل الحق ولهذا قال عليه السلام من عرف نفسه عرف ربه ما قال من عرف ربه عرف نفسه لأنه من حيث نفسه واجب الوجود وله الغنى المطلق فلا التفات للغنى المطلق إلى غير ذاته أذ لو ألتفت لم يصح ما قرره فلا يعلم أنه باله للعالم فإذا أراد أن يعلم أنه آله العالم نظر في العالم فرأى فيه حقيقة الافتقار بأمكانه إلى المرجح فلم يجد ألا هذا الواجب الوجود لذاته الذي أثبتته بدليله قبل أن ينظر في هذه المسئلة الأخرى فأضافه إليه فقال هذا الواجب هو رب هذا العالم وبغير هذا الطريق في النظر فلا يعرف أنه آله العالم ثم أن أهل النظر أنجبوا عما ثبت في نفوسهم من افتقارهم حين صرفوا النظر إلى معرفة واجب الوجود لذاته فإن ثبت عندهم بالدليل أظهر لهم أمكانهم وأفتقارهم من حيث لا يشعرون أن ذلك الواجب الوجود هو ألهم فقالوا علمنا بالله متقدم على علمنا بالعالم وصدقوا ما قالوا علمنا بألهمنا أنه ألهمنا متقدم على علمنا بنا فلم يشعروا بما وقعوا فيه من الغلط وعلمت بذلك الأنبياء فجعلت العالم دليلاً عليه وأعظم فتح المكاشفة في مثل هذه المسئلة أن يرى الحق فيكون غين رؤيته إياه عين رؤيته العالم للأرتباط المحقق فيكشف العالم من رؤيته الله تعالى ولكن هذه الدقيقة ليست لأهل النظر لأن النظر ليس في قوته ذلك وإنما هو من خصائص الكشف هذا أبلغ ما يمكن أن تحقق به هذه المسئلة من تقدم العلم بالله من كونه ألماً للعالم على العلم بالعالم فهذا لا يعرف ألا من فتوح المكاشفة وما رأيت أحداً من المتقدمين من أهل الله تعالى نبه في هذا الفتوح الكشفي على هذه المسئلة على التعيين فأحمد الله تعالى حيث أجري على لساني الأمانة عن هذه المسئلة فإنه ما كان في نفسي أن أشير إليها فأحري أن أصرح بها وأما الغيرة غلبت علي والحرص على نصح العباد الذين أمرني الحق بنصحهم على التخصيص أداني إلى شرح هذا القدر في فتوح المكاشفة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب السابع عشر ومائتان في معرفة الرسم والوسم وأسرارهما

والوسم ما دل عليه الخبر

ما فيها للعاقل من معتبر

معرفة وصح منك النظر

سيماهم في وجههم من أثر

أظهره رب القضاء والقدر

وكن به في خرب من قد شكر

في حزب من يجحد أو من كفر

الرسم ما أعطيته من أثر

أن دياراً قد عفى رسمها

والوسم للتمييز أن كنت ذا

وعنهما أخبرنا قوله

في أزل كان لهم كل ما

فسلم الأمر إلى علمه

فإنه أولى بنا لاتكن

أعلم أن الوسم والرسم عند الطائفة نعتان يجريان في الأبد بما جريا في الأزل ويستبين تحقيق الإشارة إليهما فالوسم بالواو من السمة وهي العلامة الألهية على العبد أو في العبد تكون دلالة على أنه من أهل الوصول والتحقق وأما الرسم بالراء فهو أثر الحق على العبد الظاهر عليه عند رجوعه من حال ما قد أدعاه أو مقام فيصدق هذا الأثر للظاهر عليه في دعواه فاعلموا أيدينا الله وأياكم بروح منه أن الوسم فينا كالاسماء لله دلالات عليه ليعرف بها فلما كثرت المعاني وتعددت نسبتها جعل للذات المنسوبة إليها هذه المعاني أسماء بأزاء كل معنى اسماً يدل عليه ويعرف به لتحصيل الفوائد من العلماء بذلك المتعلقة بما فجعل الله لكل حال ومقام علامة تسمى وسما تدل على ذلك المقام والحال دلالة ترفع الأهمام والأجمال والأشترار وتكون تلك الدلالة نعتاً لذلك المعنى الذي له الحكم من هذه الذات فلا يزال يجري في الأبد أي يظهر دائماً كما لم يزل في الأزل وهنا نكتة بديعة وذلك أنا قد قدمنا أن العالم على صورة الحق ومن علمه بنفسه تعلق العلم بالعالم فكان العالم مشهوداً للحق أزلاً وأن لم يكن موجوداً والوسم من جملة العالم على حكمه ومرتبته فهو مشهود له أزلاً يجري بحسب ما هو عليه في الأبد هذا هو تحقيق شأنه وكذلك الرسم فجميع ما هو العالم عليه في الأبد إنما هو على صورة ما ظهر به في الأزل أذ لا يختلف شهود الحق فيه وقد كان مشهوداً له في الأزل حيث لم يكن موجوداً عينياً فقد شاهد هذا الرسم والوسم أزلاً يجريان في العالم كما هما في الأبد عليه فأفهم ذلك وليس الوسم ولا الرسم يجعل جاعل في الأصل بل ظهرا هنا في الأبد يجعل جاعل وهو الله تعالى ولا بد لكل حال ومشهد ومقام من أثر فيمن قام به ذلك لأثر هو الرسم فالأثر من حيث ظهوره في المؤثر فيه بفتح الثاء يسمى رسماً وهو بعينه من حيث أنه دلالة على صدق صاحب ذلك الحال أو المشهد أو المقام أو ما كان يسمى وسماً فعين مسمى الوسم هو عين مسمى الرسم ويختلفان من حيث الحكم فالوسم عين الرسم من وجهه وليس هو عينه من وجهه إذا اعتبرت الحكم فالرسم في الجنب الألهي الذي صدر عنه هذا الرسم في الكون هو كون الحق يظهر فيه أثر الأجابة عند سؤال السائلين أذ لا يكون مجيباً ألا عن سؤال فلما أوجب السؤال الأجابة كانت الأجابة أثراً في المجيب فهذا هو الرسم الألهي ودليلنا عليه "وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني" ولما كان الأمر في نفسه بهذه المثابة في الجنب الألهي ظهر في العالم الأثر أيضاً أذ لو لم يكن كذلك لظهر في العالم أمر لا مستند له في الجنب الألهي فينط به الجهل به أذ قد تقرر أن علمه بالعالم علمه بنفسه فلهذه الحقيقة الألهية أستناد الرسم والوسم وقد يكون قول الطائفة في الوسم والرسم بما جريا في الأزل حكمهما في الجنب الألهي أذ كان العالم ظاهراً بصورة حق ولا يحتل البسط في هذا الباب أكثر من هذا وأما التفصيل فيه فيطول بطول العالم والعالم لا يتناهي الأثر فيه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الثامن عشر ومائتان في معرفة القبض وأسراره على الاختصار والأجمال

للقبض أسباب ولكنها	تعلم أوقاتاً وقد تجهل
فكل ما نعلم أسبابه	فحكمه السبب الأول
وكل ما تجهل أسبابه	فلا تقل أدنى ولا أفضل
فأفضل القبض إليه الذي	يعرفه الأمثل فالأفضل

أعلم أن الطائفة قالت في القبض أنه عبارة عن حال الخوف في الوقت فإن الأسف في الماضي والخوف والحذر في المستقبل والقبض للمعنى الحاصل في الوقت وبعضهم نزع في القبض إلى نتائجه فقال القبض وارد يرد على القلب يوجب إشارة إلى عتاب أو زجر بأستحقاق تأديب وقال بعضهم القبض حال ينتجه الخوف وقد يكون الخوف مشعوراً به وقد لا يكون فاعلموا أيديكم الله أن القبض في الجنب الألهي الذي عنه صدر القبض في الكون هو ما أتصف به الحق سبحانه من صفات المخلوقين ولا سيما في قوله ووسعني قلب عبدي ثم تجليه لكل معتقد فيه في صورة أعتقاده فيه فصار الحق كأنه محصور مقبوض عليه بالأعتقادات وهي العلامة التي بين الله وبين عامة عباده ولو لم يكن كذلك لم يكن ألهاً وهو أله العالم بلا شك فلا بد من أتصافه بهذه السعة والعالم متباين الأستعداد ولا بد له من الأستناد فلا يزال يعبد كل جزء من العالم الله من حيث أستعداده فلا بد أن يتجلى له الحق بحسب أستعداده للقبول فما من شيء ألا وهو يسبح بحمده فقد قبض بكلتا يديه على ما أعتقده ولكن لا تفقهون تسبيحهم فلو كان تسبيحهم راجعاً إلى أمر واحد لم يجهل أحد تسبيح غيره وقد قال الله أن تسبيح الأشياء لا يفقه فدل على أن كل شيء يسبح أله بما تقرر عنده منه مما ليس عند الآخر ولما كان في قضية العقل أن الله عز وجل لا يكون محصوراً وفي قضية الوقوع وجود الحصر وصف نفسه في آخر الآية بأنه حلیم فلم يؤاخذ مع القدرة من زعم أن الحق على وصف كذا خاصة وما هو على وصف كذا ووصف نفسه في آخر هذه الآية بأنه غفور لما ستر به قلوبهم عن العلم به ألا من شاء من عباده فإنه أعطاه العلم به على الأجمال وقال ليس كمثله شيء لأنه عين كل شيء بدليل العلامة التي ثبتت عنه والشيء لا يكون مثلاً لعينه لأنه عين كل شيء في كل ظل وكل فيء وكل طائفة سوى أهل الله قد نزهته أن يكون كذا ولهذا أخبر عنهم فقال وأن من شيء ألا يسبح أي يتره بحمده أي بالثناء عليه والتزيه البعد وما ذكر الله أنه أمرهم بتسبيحه بل أخبر أنهم يسبحون بحمده فأجعل بالك لقول الله في تلاوتك لما يقوله ربك عن نفسه وما يقوله العالم عنه وفرق ولا تحتج فيه ألا بما قاله عن نفسه لا بما يحكيه من قول العالم فيه تكن من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته وحقيقة حال القبض الألهي في أخباره تعالى عن نفسه ما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له من لقائي فوصف نفسه بالكراهية وكل فحاله القبض فأفهم ما نبهتك عليه تعثر على الحق وقد حصل في هذا الخبر أمر أن موجبان للقبض وهما التردد والكراهية والغضب المنسوب إليه والغضب حكم قبض بلا شك ولكن لما كان الجنب الألهي في أعتقاد العامة يضيق المجال فيه الذي وسعه الشارع لم نقدر على إيضاح الأمر على ما هو عليه ذلك الجنب الألهي أذ له الأتساع الذي لا ينبغي ألا له ومن أسمائه الواسع وهو من أعظم الاسماء أحاطة وهو الاسم الذي يتضمن الاسماء الألهية التي تطلبها الأكوان كلها لأتساعه وهي أكثر من أن تحصى كثرة وأعيانها معلومة عند أهل الله تعالى في قوله عز وجل "يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله" فمن كحل عين بصيرته بكحل الكشف علم ما قلناه وكل أثر وخبر ورد فيه القهر الألهي فإنه من باب القبض الألهي ومن هناك ظهر القبض فينا فمن وفي مقام القبض حالاً وذوقاً كان قبضه ألهاً بلا شك وأما القبض الذي هو عن حال الخوف كما يراه بعضهم فذلك قبض خاص يتعلق بالنفس وسواء خاف صاحبه على نفسه أو على غيره فإن كان خوفه على غيره صحبه الأشفاق أذ كان آمناً على نفسه وكخوف الأنبياء على أمهم يوم القيامة فهم وأمثالهم ممن يجزهم الفرع الأكبر من أجل أمهم وهم

ممن لا يحزنهم الفزع الأكبر من أجل أنفسهم والقبض حال خوف أبداً ألا القبض المجهول سببه فإنه أيضاً مجهول الخوف فإذا ورد القبض المجهول على قلب العارف سكن تحته ولم يتحرك رأساً حتى ينقذ له السبب فيعمل عند ذلك بحسب ما تقتضيه حقيقة ذلك السبب من الأثر فيه في أي جانب ظهر من حق وخلق وهو من المقامات المسطحة إلى أول قدم يلقيه في الجنة فيرتفع عنه ولا يتصف به أبداً كما يرتفع بعض حكم الاسماء الألهية الموجودة هنا وفي الآخرة بأنقضاء مدة حكمها فلا تجد قابلاً فترتفع بارتفاع حكمها أذ كانت عين حكمها ومن هنا تعلم أن أعيان الاسماء الألهية هي أعيان أحكامها ولذلك تبقى أعيانها ما بقيت أحكامها وتفتى بفناء أحكامها فلو كانت الاسماء الألهية راجعة إلى ذات المسمى موجودة قائمة بها لم يصح فناؤها ولا فناء أحكامها ولو كانت أيضاً راجعة إلى ذات المسمى لكان حكمها كذلك فلم يبق أن تكون ألا لنسب وأضافات لا وجود لها في عينها فلذلك قلنا أنها عين أحكامها فتزول بزوال الحكم وتثبت بثبوته

الباب التاسع عشر ومائتان في معرفة البسط وأسراره

البسط حال ولكن ليس يدرية	ألا الأله الذي أقامنا فيه
له التحكم في الأكوان أجمعها	به الوجود الذي تبدو معانيه
وليس يحجبه عنا سوى قدر	وهو الذي عن عيون الخلق يخفيه
البغي حكم له أن كنت ذا نظر	جاء الكتاب به لو كنت تدريه
في عالم الخلق هذا الحكم ليس له	في عالم الأمر هذا في تجليه

أعلم وفقك الله أن البسط عند الطائفة عبارة عن حال الرجاء في الوقت وقال بعضهم القبض والبسط أخذ وارد الوقت بحكم قهر وغلبة والبسط عندنا حال حكم صاحبه أن يسع الأشياء ولا يسعه شيء حقيقة البسط لا تكون ألا لرفع المزلّة رفيع الدرجات فيترّل بالحال إلى حال من هو في أدنى الدرجات فيساويه وهو في الجنب الألهي في مثل قوله تعالى "وأقرضوا الله قرضاً حسناً" وأعظم في التزول من ذا الذي يقرض الله ولأجل هذا البسط قال من قال أن الله فقير ونحن أغنياء وهذا القول تصديق قوله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ومن البسط الألهي قوله تعالى "ينشر رحمته وهو الولي الحميد" ولولا البسط الألهي ما تمكن لأحد من خلق الله أن يتخلق بجميع الاسماء الألهية وأعظم تعريف في البسط الألهي أن ربك واسع المغفرة ويا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله فلما تمكن مثل هذا البسط في قلوب العباد ربما أثر في قلوبهم بغياً فتعدوا مترلّتهم فلما علم الحق أنه ربما أثر ذلك مرضا في قلوب بعض العباد جعل دواءه تمام الآية وهو قوله "والله هو الغني الحميد" فأنزل الداء والدواء وهذا من نشر رحمته لأن الأدنى في مرتبة تقتضي أن لا يكون صاحب بسط فإن انبسط فليس له إلا أن يجول في غير ميدانه فيموت البسط من الأدنى سوء أدب ولما علم الحق هذا أمر عباده بالتخلق بمكارم الأخلاق واثني عليهم بها وجعل ذلك من أعظم أعمال العباد فظهروا بها عن الأمر الإلهي فكان بسطهم عبادة وقربة إلى الله وهذا من نشر رحمته واتساع مغفرته وعموم تفضيله فبسط العباد بسط عن قبض وبسط أوجد الخلق

ولا يكون حكم القبض والبسط إلا مع ثبوت الأغيار ولولا الأغيار لم يتحقق بسط ولا قبض فتتحقق ذلك واعلم أن أعظم بسط العبد أن يكون خلاقاً فإن تأدب في هذا البسط فهو المذكور الداخل في عموم قوله تعالى "فتبارك الله أحسن الخالقين" فأضاف الحسن إلى الخالقين غير أن الله أحسن الخالقين إذ كان هذا النعت من خصوص وصف الإله لأنه قال تعالى في الرد على عبدة الأوثان "أفمن يخلق كمن لا يخلق" فنفى الخلق عن الخلق فلو لم يرد عموم نفي الخلق عن الخلق لم لم تقم به حجة على من عبد فرعون وأمثاله ممن أمر من المخلوقين أن يعبد من دون الله ولم يكن هؤلاء ممن يدخل في عموم الخالقين من قوله "أحسن الخالقين" فإنهم لم يتصفوا بالإحسان في الخلق فإن الإحسان في العباد أن تعبد الله كأنك تراه فتعلم من هو الخالق على الحقيقة فلما كان هذا النعت من خصوص وصف الإله وقد أضاف الخلق إلى الخلق انفراد هو بالنظر إلى ما أثبت من الخلق للخلق بالأحسن في ذلك فقال "أحسن الخالقين" وهو معنى قوله تعالى "فتبارك الله أحسن الخالقين" والبركة الزيادة فزاد أحسن في قوله "أحسن الخالقين" وما أحسن قوله تعالى "أفأريتم ما تمنون أن أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون" أم نحن الخالقون ولم يقل أنتم تخلقونه منه ولا فيه وإنما قال تخلقونه فأراد عين إيجاده منياً خاصة والاسم المصور هو الذي يتولى فتح الصورة فيه أي صور شاء من الجنس أو غيره وهو قوله في أي صورة ما شاء ركبك فهو الاسم المصور وهنا أسرار من علوم الطبيعة لما جعل الله فيها من الإشتراك في التكوين فهل هي سبب من جملة الأسباب التي تفعل لعينها بذاتها فيكون الحق يفعل بها لا عندها أو تكون من الأسباب التي يفعل الحق مسببها عندها لا بها ويتفاوت هنا نظر النظائر وأما أهل الكشف فيعلمون ذلك ابتداء عند الكشف من غير نظر لعلمهم بمرتبة الطبيعة وإن منزلتها منزلة جميع الحقائق والحقائق لا تتبدل فيجرونها مجراها ويتزلزلونها منزلتها فبسط العلماء بالله هو عين العلم فإذا علموا علموا من انبسط ومن له البسط وعلموا من قبض ومن له القبض فيبقى عندهم كل أمر على أصله وحقيقته لا تبدل عندهم في ذلك ولا تحزير لأنهم على سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً فأهل سنة الله لهم البسط المحقق لأن البسط نشروا النشر ظهور ولولا الظهور وما أدركت الأشياء

فبسط العارفين على يقين

وبسط الخلق تخمين وحس

إذا خشعت الأصوات للرحمن فكيف يكون الحال مع الجبار

خشوع حياء لا خشوع مهانة

وهيبة اجلال وقبض تأدب

قال تعالى "وخشعت الأرض للرحمن فلا تسمع إلا همساً" حكم اقتضاه الموكن واعلم أيها الولي الحميم أن الخلق كان في قبض الحق للحق فلما انبسط ظهر للعالم قال الله تعالى لآدم ويداها مقبوضتان يا آدم اختر أيتهما شئت فقال آدم اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة فبسطها فإذا فيها آدم وذريته ولو فتح الأخرى لكان فيها سائر العالم فإنظر إلى الكون الإنسان في اليمين الحق إذ علم آدم آدم أن بين اليمين فرقاناً ولذلك قال لأدباً وكلتا يدي ربي يمين مباركة فاختار القوة نظراً إلى نفسه لما علم أنه على الصورة وأنه خلفية فعلم أن القوة له فاختار الأقوى بأدب ولما كان الخلق مطوياً في الحق لم ير نفسه وهو مشهود لله فلما كان البسط الإلهي ظهر العالم لنفسه فرأى نفسه ورأى من كان في قبضته عن شهود نفسه فعلم من أين صدر وكيف صدر وما علم هل له رجوع أم لا ففعل له وإليه ترجعون وعلم أن الرجوع إنما هو رد إلى الأصل وقد علم أصل الوجود فعلم إلى أين يرجع وقد كان في الأصل لا

يعلم نفسه فعلم أنه يرجع إلى منزله لا بعلم نفسه مع ظهور عينه كما لم يشهد نفسه إذ كان في قبضة موجهه فيكون مآل العارفين ورجوعهم مع ثبوت عينهم إلى أن الحق عينهم لا هم وهذا مقام لا يكون إلا للعارفين فهم مقبوضون في حال بسطهم ولا يصح لعارف قط أن يكون مقبوضاً في غير بسط ولا مبسوطاً في غير قبض وما سوى العارف إذا كان في حال قبض لا يكون له حال بسط وإذا كان في حال بسط لا يكون له حال قبض فالعارف لا يعرف إلا بجمعه بين الضدين فإنه حق كله كما قال أبو سعيد الخراز وقد قيل له بم عرفت الله فقال بجمعه بين الضدين لأنه شاهد جمعهما في نفسه وقد علم أنه على صورته وسمعه يقول هو الأول والآخر والظاهر والباطن وبهذه الآية احتج في ذلك ثم نظر إلى العالم فرآه إنساناً كبيراً في الجرم ورآه قد جمع بين الضدين فإنه رأى فيه الحركة والسكون والإجماع والإفتراق ورأى فيه الأضداد وه أيضاً على صورة العالم كما هو على صورة الحق فإنظر ما أعجب هذه اللفظة من أبي سعيد ولهذا المقام كان يشير ذو النون المصري في مسائله في معرفة الخيال من باب المعرفة من هذا الكتاب مستوفاة فبسط العلماء بالله من البسط المنسوب إلى الحق بل هو عين البسط المنسوب إلى الحق لأنهم إليه رجعوا

فلم يكن البسط الإله **فهم أهل محو وإن أثبتوا**

وهذا القدر كاف في تحقيق البسط من العلم الإلهي

الباب العشرون ومائتان في معرفة الفناء وأسراره

إن الفناء أخو العدم	وله التسلطن إن حكم
هو عن كذا لا غيره	فبعن فينا قدم
ثم الفناء	حجاب ما ينفي الظلم
فشبيهه بل عينه	ما قيل في عدم العدم
هي لفظة ما تحتها	عين ولكن تحتكم
ما زال تطلبه الرجا	ل فمن يقوم به عصم
فيه إذا سلطانه	يمضيه تحصين الحكم

اعلم أن الفناء عند الطائفة يقال بازاء أمور فمنهم من قال أن الفناء فناء المعاصي ومن قائل الفناء فناء رؤية العبد فعله بقيام الله على ذلك وقال بعضهم الفناء فناء عن الخلق وهو عندهم على طبقات منها الفناء عن الفناء وأصله بعضهم إلى سبع طبقات فاعلموا أيدينا الله وإياكم بروح القدس إن الفناء لا يكون إلا عن كذا كما أن البقاء لا يكون إلا بكذا ومع كذا فعن للفناء لا بد منه ولا يكون الفناء في هذا الطريق عند الطائفة إلا عن أدنى بأعلى وأما الفناء عن الأعلى فليس هو اصطلاح القوم وإن كان يصح لغة فأما الطبقة الأولى في الفناء فهي أن تفنى عن المخلفات فلا تخطر لك ببال عصمة وكفظاً إلهياً ورجال الله هنا على قسمين القسم الواحد رجال لم يقدر عليهم المعاصي فلا يتصرفون إلا في مباح وإن ظهرت منهم المخالفات المسماة بالمعاصي شرعاً في الأمة إلا أن الله وفق هؤلاء فكانوا ممن أذنبوا فعلموا أن لهم رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب فقليل لهم على سماع منهم لهذا القول اعلموا ما شئتم فقد

غفرت لكم زكاهل بدر ففنيتم عنهم أحكام المخالفات فما خالفوا فإنهم ما تصرفوا إلا فيما أبيح لهم فإن الغير الإلهية تمنع أن ينتهك المقربون عنده حرمة الخطاب الإلهي بالتحجير وهو غير مؤاخذهم لما سبقت لهم به العناية في الأزل فأباح لهم ما هو محجور على الغير وسائر من ليس له هذا المقام لا علم له بذلك فيحكم عليه بأنه ارتكب المعاصي وهو ليس بعاص كلام الله المبلغ على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكأهل البيت حين أذهب الله عنهم الرجس ولا رجس أرجس من المعاصي وطهرهم تطهيراً وهو خير والخير لا يدخله النسخ وخبر الله صدق وقد سبقت به الأرادة الألهية فكل ما ينسب إلى أهل البيت مما يقدح فيما أخبر الله به عنهم من التطهير وذهاب الرجس فإنما ينسب إليهم من حيث اعتقاد الذي ينسبه لأنه رجس بالنسبة إليه وذلك الفعل عينه أرتفع حكم الرجس عنه في حق أهل البيت فالصورة واحدة فيهما والحكم مختلف والقسم الآخر رجال أطلعوا على سر القدر وتحكمه في الخلائق وعانوا ما قدر عليهم من جريان الأفعال الصادرة منهم من حيث ما هي أفعال لا من حيث ما هي محكوم عليها بكذا أو كذا وذلك في حضرة النور الخالص الذي منه يقول أهل الكلام أفعال الله كلها حسنة ولا فاعل ألا الله فلا فعل ألا الله وتحت هذه الحضرة حضرتان حضرة السدفة وحضرة الظلمة المحضة وفي حضرة السدفة ظهر التكليف وتقسمت الكلمة إلى كلمات وتميز الخير من الشر وحضرة الظلمة هي حضرة الشر الذي لا خير معه وهو الشرك والفعل الموجب للخلود في النار وعدم الخروج منها وأن نعم فيها فلما عاين هؤلاء الرجال من هذا القسم ما عاينوه من حضرة النور بادروا إلى فعل جميع ما علموا أنه يصدر منهم وفنوا عن الأحكام الموجبة للبعد والقرب ففعلوا الطاعات ووقعوا في المخالفات كل ذلك من غير نية لقرب ولا أنتهاك حرمة فهذا فناء غريب أطلعني الله عليه بمدينة فاس ولم أر له ذائناً مع علمي بأن له رجالاً ولكن لم ألقهم ولا رأيت أحداً منهم غير أبي رأيت حضرة النور وحكم الأمر فيها غير أنه لم يكن لتلك المشاهدة فينا حكم بل أقامني الله في حضرة السدفة وحفظني وعصمني فلي حكم حضرة النور وأقامني في السدفة وهو عند القوم أتم من الإقامة في حضرة النور فهذا معنى قول بعضهم في الفناء أنه فناء المعاصي وأما النوع الثاني من الفناء فهو الفناء عن أفعال العباد بقيام الله على ذلك من قوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت فيرون الفعل لله من خلف حجب الأكوان التي هي محل ظهور الأفعال فيها وهو قوله تعالى "أن ربك واسع المغفرة" أي ستره واسع والأكوان كلها ستره وهو الفاعل من خلف هذا الستر وهم لا يشعرون والمثبتون من المتكلمين أفعال العباد خلقاً لله يشعرون ولكن لا يشهدون لحجاب الكسب الذي أعمى الله به بصيرتهم كما أعمى بصيرة من يرى الأفعال للخلق حين أوقفه الله مع ما يشاهده ببصره فهذا لا يشعر وهو المعتزلي وذلك لا يشهد وهو الأشعري فالكل على بصره غشاوة وأما النوع الثالث فهو الفناء عن صفات المخلوقين بقوله تعالى في الخبر المروي النبوي عنه كنت سمعه وبصره وكذا جميع صفاته والسمع والبصر وغير ذلك من أعيان الصفات التي للعباد أو الخلق قل كيف شئت وعرف الحق أن نفسه هي عين صفاتهم لا صفته فإن من حيث صفاتك عين الحق لا صفته ومن حيث ذاتك عينك الثابتة التي أتخذها الله مظهرًا أظهر نفسه فيها لنفسه فإنه ما يراه منك ألا بصرك وهو عين نظرك فما رآه ألا نفسه وأفناك بهذا عن رؤيته فناء حقيقة شهودية معلومة محققة لا يرجع بعد هذا الفناء حالاً إلى حال يثبت لك أن لك صفة محققة ليست عين الحق وصاحب هذا الفناء دائماً في الدنيا والآخرة لا يتصف في نفسه ولا عند نفسه بشهود ولا كشف ولا رؤية مع كونه يشهد ويكشف ويرى ويزيد صاحب هذا الفناء على كل مشاهد وراء ومكاشف أنه يرى الحق كما يرى نفسه لأنك رأيته به لا بك وهذا مشهد عزيز لم أر له بالحال ذائناً فإنه دقيق فمن زعم أنه ذاقه ثم رجع بعد ذلك إلى حسه ونفسه وأثبت لنفسه صفة ليست هي عين الحق التي علمها فليس عنده خبر بما قاله ولا يعرف من شاهد ولا ما شاهد ثم أن صاحب هذا الفناء

مهما فرق بين صفاته في حال الفناء فرأى غير ما سمع وسمع غير ما سعى وسعى غير ما شم وطعم وطعم غير ما علم وعلم غير ما قدر وميز وفرق بين هذه النسب وأدعى أنه صاحب هذا النوع من الفناء فليس هو وإذا توحدت عنده العين فسمع بما به رأى بما به تكلم بما به علم وسعى وشم وطعم وأحس ولم يختلف عليه الإدراك باختلاف الحكم فهو صاحب هذا الفناء ذوقاً صحيح الحال وأما النوع الرابع من الفناء فهو الفناء عن ذاتك وتحقيق ذلك أن تعلم أن ذاتك مركبة من لطيف وكثيف وأن لكل ذات منك حقيقة وأحوالاً تخالف بها الأخرى وأن لطيفتك متنوعة الصور مع الآنات في كل حال وأن هيكلك ثابت على صورة واحدة وأن أختلفت عليه الأعراض فإذا فنيت عن ذاتك بمشهودك الذي هو شاهد الحق من الحق وغير الحق ولا تغيب في هذه الحال عن شهود ذاتك فيه فما أنت صاحب هذا الفناء فإن لم تشهد ذاتك في هذا الشهود وشاهدت ما شاهدت فإنك صاحب هذا النوع من الفناء وأما قلنا شاهدت ما شاهدت ولم نخصص شهوداً لحق وحده فإن صاحب هذا الفناء قد يكون مشهوده كوناً من الأكوان وهو حال يعصم ذات الإنسان من التأثير أخبرني الأستاذ النحوي عبد العزيز بن زايد أن بمدينة فاس وكان ينكر حال الفناء وكان يختلف ألينا وكانت فيه أنابة فلما كان ذات يوم دخل على وهو فارح مسرور فقال لي يا سيدي الفناء الذي تذكره الصوفية صحيح عندي بالذوق قد شاهدته اليوم قلت له كيف قال ألتست تعلم أن أمير المؤمنين دخل اليوم من الأندلس إلى هذه المدينة قلت له بلى قال أعلم أي خرجت أتفرج مع أهل فاس فأقبلت العساكر فلما وصل أمير المؤمنين ونظرت إليه فنيت عن نفسي وعن العسكر وعن جميع ما يحسه الإنسان وما سمعت دوي الكوسات ولا صوت طبل مع كثرة ذلك ولا البوقات ولا ضجيج الناس ولا رأيت ببصري أحداً من العالم جملة واحدة سوى شخص أمير المؤمنين ثم أنه ما أراحني أحد عن مكاني ووقفت في طريق الخيل وأزدحام الناس وما رأيت نفسي ولا علمت أي ناظر إليه بل فنيت عن ذاتي وعن الحاضرين كلهم بشهودي فيه ولما أنحجب عني ورجعت إلى نفسي أخذتني الخيل وأزدحام الناس فأزالوني عن موضعي وما تخلصت من الضيق ألا بشدة وأدرك سمعي الضجيج وأصوات الكوسات والبوقات فتحققت أن الفناء حق وأنه حال يعصم ذات الفاني من أن يؤثر فيه ما فنى عنه هذا يا أخي فناء في مخلوق فما ظنك بالفناء في الخالق فإن شاهدت في هذا الفناء تنوع ذاتك اللطيفة ولم تشاهد معها سواها ففناؤك عنك بك لا بسواك فإنك عن ذاتك ولست فانياً عن ذاتك فإنك لك بك مشهود من حيث لطيفتك وأنت لك بك مفقود من حيث هيكلك فإن شاهدت مركبك في حال هذا الفناء فمشهودك خيال ومثال ما هو عينك ولا غيرك بل حالك في هذا الفناء حال النائم صاحب الرؤيا وأما النوع الخامس من الفناء وهو فناءك عن كل العالم بشهودك الحق أو ذاتك فإن تحققت من تشهد منك علمت أنك شاهدت ما شاهدته بعين حق والحق لا يفنى بمشاهدة نفسه ولا العالم فلا تغنى في هذه الحال عن العالم وأن لم تعلم من يشهد منك كنت صاحب هذا الحال وفنيت عن رؤية العالم بشهود الحق أو بشهود ذاتك كما فنيت عن ذاتك بشهود الحق أو بشهود كون من الأكوان فهذا النوع يقرب من الرابع في الصورة وأن كان يعطي من الفائدة ما لا يعطيه النوع الرابع المتقدم وأما النوع السادس من الفناء فهو أن تغنى عن كل ما سوى الله بالله ولا بد وتغنى في هذا الفناء عن رؤيتك فلا تعلم أنك في حال شهود حق أذ لا عين لك مشهودة في هذا الحال

وهنا يطرأ غلط لبعض الناس من أهل هذا الشأن وأبينه لك أن شاء الله حتى يتخلص لك المقام وأن الله ألهمني لهذا البيان وذلك أن صاحب هذا الحال إذا فنى عن كل ما سوى الله بشهود الله فيما يقول فلا يخلو في شهوده ذلك أما أن يرى الحق في شؤنه أو لا يراه في شؤنه فإنه لا يزال في شؤن أذ لا غيبة له عن العالم ولا عن أثر فيه فإن شاهده في شؤنه فما فنى عن كل ما سوى الله وأن شاهده

في غير شؤنه بل في غناه عن العالم فهو صحيح الدعوى "فإن الله غني عن العالمين" وهذا المشهد كان للصديق فإنه قال ما رأيت شيئاً ألا رأيت الله قبله فأثبت أنه رآه ولا شيء ثم أقيم في مشهد آخر فرأى صدور الشيء عنه وقد كان رآه ولا شيء فجعل تلك الرؤية قبل هذا الشهود فقال ما رأيت شيئاً ألا رأيت الله قبله فقد ابنت لك الأمر على ما هو عليه وأما النوع السابع من الفناء فهو الفناء عن صفات الحق ونسبها وذلك لا يكون ألا بشهود ظهور العالم عن الحق لعين هذا الشخص لذات الحق ونفسه لا لأمر زائد يعقل ولكن لا من كونه علة كما يراه بعض النظار ولا يرى الكون معلولاً وإنما يراه حقاً ظاهراً في عين مظهر بصورة أستعداد ذلك المظهر في نفسه فلا يرى للحق أثراً في الكون فما يكون له دليل على ثبوت نسبة ولا صفة ولا نعت فيفنيه هذا الشهود عن الاسماء والصفات والنعوت بل أن حققه يرى أنه محل التأثير حيث أثر فيه أستعداد الأعيان الثابتة من أعيان الممكنات ومما يحقق هذا كونه تعالى وصف نفسه في كتابه وعلى السنة رسله بما وصف به المخلوقات المحدثات وأما أن تكون هذه الصفات في جنبه حقاً ثم نعتنا بها وأما أن يكون لنا حقاً ونعت نفسه بها توصلاً لنا وخبره بما صدق لا كذب وأن كنا نحن فيها الأصل فهو مكتسب وأن كان هو الأصل فقد كسبنا إياها وهذه من أغمض نتائج العلم بالله فإنه أضاف إليه نعوت المحدثات كلها بأخبار قدیم أزلي فمنها ما أشار به في أخباره بأنه مكتسب لبعضها مثل قوله "ولنبلونكم حتى نعلم" ومنها ما ذكره ولم يقيد بأكتساب ولا غيره ومن هذا الباب أجيب دعوة الداع وأدعوني أستجب لكم وأستلوني أعطكم وأستغفروني أغفر لكم وأذكروني أذكركم وأما قولهم الفناء عن الفناء فما هو نوع ثامن وأما هو الفاني إذا لم يعلم في فئائه أنه فإن فذلك الفناء عن الفناء كصاحب الرؤيا الذي لا يعلم أنه في رؤيا فهو حال تابع في كل نوع يقوم من أنواع الفناء وحال الفناء لا ينال بتعمل أي لا يقصدوا أدناه درجة حكمه في المتفكر فإذا أستغرق الإنسان الفكر في أمر ما من أمور الدنيا أو في مسألة من العلم فتحدثه ولا يسمعك وتكون بين يديه ولا يراك وترى في عينه جهوداً في تلك الحالة فإذا عثر على مطلوبه أو طرأ أمر يردده إلى أحساسه حينئذ يراك ويسمعك فهذه أدنى درجاته في العالم وسبب ذلك ضيق الحدث فإنه لا شيء أوسع من حقيقة الإنسان ولا شيء أضيق منها فأما اتساع القلب فإنه لا يضيق عن شيء ولكن عن شيء واحد وأما ضيقه فإنه لا يسع خاطرين معاً فإنه أحدى الذات فلا يقبل الكثرة فهو من حيث هذه الحقيقة في الحكم الألهي في معنى قوله "والله غني عن العالمين" وفي الرتبة الأخرى في قوله فأحببت أن أعرف وهذا القدر كاف في معرفة هذا الباب والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الأحد والعشرون ومائتان في معرفة البقاء وأسراره

كل النفوس بما فيها من الأثر

وأنت باق به أن كنت ذا نظر

فإنما الغير مشتق من الغير

سوى الوجود الذي تدعوه بالبشر

عيناً وعلماً فلا تخرج عن الصور

أذ رأيت قيام الله جل على

ذاك البقاء الذي قال الرجال به

فكن به لا تكن بالفكر متصفاً

وأين غيرو ما في الكون أجمعه

فإنه إسم يعم الكون أجمعه

أعلم أن البقاء عند بعض الطائفة بقاء الطاعات كما كان الفناء فناء المعاصي عند صاحب هذا القول وعند بعضهم البقاء بقاء رؤية العبد قيام الله على كل شيء وهذا قول من قال في الفناء أنه فناء رؤية العبد فعله بقيام الله تعالى على ذلك وعند بعضهم البقاء بقاء بالحق وهو قول من قال في الفناء أنه فناء عن الخلق أعلم أن نسبة البقاء عندنا أشرف في هذا الطريق من نسبة الفناء لأن الفناء عن الأدنى في المتزلة أبداً عند الفياني والبقاء بالأعلى في المتزلة أبداً عند الباقي فإن الفناء هو الذي أفناك عن كذا فله القوة والسلطان فيك والبقاء نسبته إلى الحق وأضافته إليه أعني البقاء في هذا الطريق عند أهل الله فيما أصطلحوا والفناء نسبته إلى الكون فإنك تقول فنيته عن كذا ونسبته إلى الحق أعلى فالبقاء في النسبة أولى لأتهما حالان مرتبطان فلا يبقى في هذا الطريق ألا فإن ولا يفنى ألا باق والموصوف بالفناء لا يكون ألا في حال البقاء والموصوف بالبقاء لا يكون ألا في حال الفناء ففي نسبة البقاء شهود حق وفي نسبة الفناء شهود خلق لأنك لا تقول فنيته عن كذا ألا مع تعقلك من فنيته عنه ونفس تعقلك إياه هو نفس شهودك إياه أذ لا بد من أحضاره في نفسك لتعقل حكم الفناء عنه وكذلك البقاء لا بد من شهود من أنت باق به ولا يكون البقاء في هذا الطريق ألا بالحق فلا بد من شهود الحق فإنه لا بد من أحضارك إياه في قلبك وتعقلك إياه فحينئذ تقول بقيت بالحق وهذه النسبة أشرف وأعلى لعلو المنسوب إليه فحال البقاء أعلى من حال الفناء وأن تلازما وكانا للشخص في زمان واحد فلا خفاء عند ذي نظر سليم في الفرق بين النسبتين في الشرف والمترلة شرح هذا المقام يتضمنه شرح باب الفناء وذلك أن ننظر في كل نوع من أنواع الفناء إلى السبب الذي أفناك عن كذا فهو الذي أنت باق معه هذا جماع هذا الباب ألا أن هنا تحقيقاً لا يكون ألا في الفناء وذلك أن البقاء نسبة لا تزول ولا تحول حكمه ثابت حقاً وخلقاً وهو نعت ألهي والفناء نسبة تزول وهو نعت كبري لا مدخل له في حضرة الحق وكل نعت ينسب إلى الجانبين فهو أتم وأعلى من النعت المخصوص بالجانب الكوني ألا العبودية فإن نسبتها إلى الكون أتم وأعلى من نسبة الربوبية والسيادة إليه فإن قلت فالفناء راجع إلى العبودية ولازم قلنا لا يصح أن يكون كالعبودية فإن العبودية نعت ثابت لا يرتفع عن الكون والفناء قد يفنيه عن عبودته وعن نفسه فحكمه يخالف حكم العبودية وكل أمر يخرج الشيء عن أصله ويحجبه عن حقيقته فليس بذلك الشرف عند الطائفة فإنه أعطاك الأمر على خلاف ما هو به فألحقك بالجاهلين والبقاء حال العبد الثابت الذي لا يزول فإنه من المحال عدم عينه الثابتة كما أنه من المحال أتصاف عينه بأنه عين الوجود بل الوجود نعت بعد أن لم تكن وأنما قلنا هذا لأن الحق هو الوجود ولا يلزم أن تكون الصفة عين الموصوف بل هو محال والعبد باقي العين في ثبوته ثابت الوجود في عبودته دائم الحكم في ذلك أن كل من في السموات والأرض ألا آتى الرحمن عبداً ما عندكم ينفذ وما عند الله باق فنحن عنده وهو عندنا فالحق النفاذ والبقاء بمن ألحقته هذه الآية والنفاذ فناء والبقاء نعت الوجود من حيث جوهره والفناء نعت العرض من حيث ذاته بل نعت سائر المقولات ما عدا الجوهر وقد أومأنا إلى ما فيه غنية لمن كان له له قلب أو ألقى السمع لخطاب الحق وهو شهيد

الباب الثاني والعشرون ومائتان في معرفة الجمع وأسراره

فهو السميع البصير الواحد الأحد

والنفس والعقل والأرواح والجسد

إذا سمعت بحق أو نظرت به

وأنت لا فيه والأعيان قائمة

فإن أخذت بجمع الجمع تصحبه

به فإنك هناك السيد الصمد

وأن علمت بهذا وأتصفت به

حالا عليك جميع الأمر ينعقد

أعلم أن الجمع عند بعض الطائفة إشارة من أشار إلى حق بلا خلق وقال أبو علي الدقاق الجمع ما سلب عنك وقالت طائفة منهم الجمع ما أشهدك الحق من فعله بك حقيقة وقال قوم الجمع مشاهدة المعرفة وحجته أياك نستعين وقال بعضهم الجمع أثبات الخلق قائماً بالحق وجمع الجمع الفناء عن مشاهدة كل شيء سوى الحق وقال بعضهم الجمع شهود الأغيار بالله وجمع الجمع الاستهلاك بالكلية وفناء الأحساس بما سوى الله عند غلبات الحقيقة وقال بعضهم الجمع مشاهدة تصريف الحق الكل ومن نظم القوم في الجمع والفرق

جمعت وفرقت عني به

ففرط التواصل منتهى العدد

فهذا قد ذكرنا بعض ما وصل إلينا من قولهم في الجمع وجمع الجمع والجمع عندنا أن تجمع ما له عليه مما وصفت به نفسك من نعوته وأسمائه وتجمع ما لك عليك مما وصف الحق به نفسه من نعوتك وأسمائك فتكون أنت أنت وهو هو وجمع الجمع أن تجمع ما له عليه وما لك عليه وترجع الكل إليه يرجع الأمر كله ألا إلى الله تصير الأمور فما في الكون ألا أسماؤه ونعوته غير أن الخلق أدعوا بعض تلك الأسماء والنعوت ومشى الحق دعواهم في ذلك فخطابهم بحسب ما أدعوه فمنهم من أدعى في الأسماء المخصوصة به تعالى في العرف ومنهم من أدعى في ذلك وفي النعوت الواردة في الشرع مما لا يليق عند علماء الرسوم ألا بالمحدثات وأما طريقنا فما أدعينا في شيء من ذلك كله بل جمعناها عليه غير أنا نيهنا أن تلك الأسماء حكم آثار استعداد أعيان الممكنات فيه وهو سر خفي لا يعرفه ألا من عرف أن الله هو عين الوجود وأن أعيان الممكنات على حالها ما تغير عليها وصف في عينها ويكفي العاقل السليم العقل قولهم الجمع فإنه لفظ مؤذن بالكثرة والتمييز بين الأعيان الكثيرة فمن حيث التمييز كان الجمع عين التفرقة وليست التفرقة عين الجمع ألا تفرقة أشخاص الأمثال فإنه جمع وتفرقة معاً وأن الحد والحقيقة بجمع الأمثال كالأنسانية وأشخاص ذلك النوع يتصفون بالتفرقة فزيد ليس بعمره وأن كان كل واحد منهما أنساناً وهكذا جميع الأمثال وأشخاص النوع الواحد قال تعالى ليس كمثله شيء على وجوه كثيرة قد علم الله ما يؤل إليه قول كل متأول في هذه الآية وأعلالها قولاً أي ليس في الوجود شيء يماثل الحق أو هو مثل للحق إذا لوجود ليس غير عين الحق فما في الوجود شيء سواه يكون مثلاً له أو خلافاً هذا ما لا يتصور فإن قلت فهذه الكثرة المشهودة قلنا هي نسب أحكام استعدادات الممكنات في عين الوجود الحق والنسب ليست أعياناً ولا أشياء وإنما هي أمور عدمية بالنظر إلى حقائق النسب فإذا لم يكن في الوجود شيء سواه فليس مثله شيء لأنه ليس ثم فأفهم وتحقق ما أشرنا إليه فإن أعيان الممكنات ما استفادت ألا الوجود والوجود ليس غير عين الحق لأنه يستحيل أن يكون أمراً زائداً ليس الحق لما يعطيه الدليل الواضح فما ظهر في الوجود بالوجود إلا الحق فالوجود الحق وهو واحد فليس ثم شيء هو له مثل لأنه لا يصح أن يكون ثم وجود أن مختلفين أو متماثلان فالجمع على الحقيقة كما قررناه أن تجمع الوجود عليه فيكون هو عين الوجود وتجمع حكم ما ظهر من العدد والتفرقة على أعيان الممكنات إنما عين استعدادها فإذا علمت هذا فقد علمت معنى الجمع وجمع الجمع ووجود الكثرة وألحقت الأمور بأصولها وميزت بين الحقائق وأعطيت كل شيء حكمه كما أعطى الحق كل شيء خلقه فإن لم تفهم الجمع كما

ذكرناه فما عندك خبر منه وأما إشارات الطائفة التي شردناها فإن لهم في ذلك مقاصد أذكرها أن شاء الله مع معرفتهم بما ذهبنا إليه أو معرفة الأكابر منهم وأما قول من قال منهم أن الجمع حق بلا خلق فهو ما ذهبنا إليه أن الحق هو عين الوجود غير أنه ما تعرض لما أعطته استعدادات أعيان الممكنات في وجود الحق حتى اتصف بما اتصفت به وأما قول الدقاق في الجمع أنه ما سلب عنك فإنه يقتضي مقامه أن يريد سلب ما وقعت فيه الدعوى منك وهو له كالتخلق بالاسماء الحسنی ونسبة الأفعال إليك وهي له هذا يعطيه حال الدقاق لا الكلام فإنه لو قال غيره هذه الكلمة ربما قالها على أنه يريد بقوله ما سلب عنك عين الوجود فإنه الذي سلب عنك إذ كان عن الوجود وأما قول الآخرين الجمع ما أشهدك الحق من فعله بك حقيقة فإنه يريد أنك محل لجريان أفعال والأمر في الحقيقة بالعكس بل هو المنعوت بحكم آثار استعدادات أعيان الممكنات فيه إلا أن يريد بقوله من فعله بك أي بك ظهر الفعل ولم يتعرض لذكر فيمن ظهر الأثر فقد يمكن أن يريد ذلك وهو ما ذهبنا إليه وما تعطيه الحقائق فلو علمنا من هو صاحب هذا القول حكمنا عليه بحاله كما حكمنا على الدقاق لمعرفتنا بقامه وحاله وأما قول من قال الجمع مشاهدة المعرفة فالعلم أن المعرفة بالله تعطى أن للعبد نسبة إلى العمل صحيحة أثبتها الحق ولذلك كلفه بالأعمال وللحق تعالى نسبة إلى العمل أثبتها الحق لنفسه وشرع لعبده أن يقول في عمله وإياك نستعين وقال موسى كليم الله وأعلم الخلق بالله رسل الله فقال لقومه استعينوا بالله واصبروا ولا فرق عندنا بين ما يقول الله أو يقول رسول الله من نعت الله في الصحة والنسبة إليه وقال الله قسمت الصلاة بيني وبين عبدي ثم فصل سبحانه وبين ما يقول العبد ويقول الله فنسب القول إلى العبد نسبة صحيحة والقول عمل وهو طلب العون من الله في عمله ذلك فصحت المشاركة في العمل فهذا قد جمعت في العمل بين الله وبين العبد فهذا معنى الجمع فقد قررت أن عين العبد مظهر بفتح الهاء وإن الظاهر هو عين الحق وإن الحق أيضاً عين صفة العبد وبالصفة وجد العمل والظاهر هو العامل فإذا ليس العمل إلا لله خاصة قلنا وعندما قررنا ما ذكرته قررنا أيضاً أن عين العبد لها استعداد خاص مؤثر في الظاهر وهو الذي أدى إلى اختلاف الصور في الظاهر الذي هو عين الحق فذلك الاستعداد جعل الظاهران يقول وإياك نستعين يخاطب ذلك الظاهر بأثر استعداد هذا العين المصلية حكم الاسم المعين أن يعينه على علمه فإن عين الممكن إذا كان استعداده يعطى عجزاً وضعفاً ظهر حكمه في الظاهر فقوله الظاهر هو لسان عين الممكن بل قول الممكن بلسان الظاهر كما أخبر الحق أنه قال على لسان عبده سمع الله لمن حمد فأعطت المعرفة أن تجمع العمل على عامله لما وقع في ذلك من الدعاوى بما قد ذهب إليه أصحاب النظر القائلين بإضافة الأفعال إلى العباد مجردة والقائلين بإضافة الأفعال إلى الله مجردة والحق بين الطائفتين أي بين القولين فللعبد إلى العمل نسبة على صورة ما قررناها من أثر استعداد عين الممكن في الظاهر وللحق نسبة إلى العمل على صورة ما قررناه من قبول الظاهر لتأثير العين فيه فإن العبد قال على لسان أثره في الظاهر إياك نعبد وإياك نستعين وهذا مذهبنا في الجمع فإن كان صاحب القول في الجمع أراد أنه مشاهدة المعرفة ويعرف معنى مشاهدة المعرفة فهو على قلناه فنحن إنما تكلمنا على معنى مشاهدة المعرفة لا على مقام قائلها إذ لهذه اللفظة وجوه نازلة عما ذهبنا إليه في شرحها فشرحنا ها على أتم تكلمنا على معنى مشاهدة المعرفة لا على مقام قائلها إذ أجل بعض تلك الوجوه اعترضنا على قائل هذه اللفظة في مختصر هذا الكتاب وإلى ما قررناه وذهبنا إليه في الجمع ترجع أقوال الجماعة التي ذكرناها وحكيها في أول الباب والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الثالث والعشرون ومائتان في معرفة حال التفرقة

إذا اجتمعت فقد أثبت تفرقة

والعين واحدة والحكم مختلف

فالجمع والفرق حال ناقص أبدا

والإزم طريقة جبريل وصاحبه

وتم جاء بما قد صح بعدهما

فتلك أربعة لا خامس لها

كما تحققت قرآناً وفرقانا

وقد أقمت على ما قلت برهانا

فاعدل وكن واحد إن كنت إنسانا

إذ قررا لك إسلاما وإيماناً

فقررا لك إحساناً وإحساناً

سوى المؤيد جل الحق سبحانه

اعلم أن التفرقة عند بعض القوم إشارة من أشار إلى خلق بلا حق وعند أبي على الدقاق الفرق ما ينسب إليك وعند بعضهم الفرق ما أشهدك الحق من أفعله أدبا وعند بعضهم الفرق مشاهدة العبودية وقيل الفرق إثبات الخلق وقيل التفرقة شهود الأغيار لله وقيل التفرقة مشاهدة تنوع الخلق في أحوالهم ومستند مقام التفرقة من العلم الإلهي نعت الحق سنفرغ لكم أيه الثقلان وهو انقضاء المدة التي سبق في علم الله مقدارها وهو زمان الحياة الدنيا في كل شخص واعلم أن أصل الأشياء كلها التفرقة وأول ما ظهرت في الاسماء الإلهية فتفرقت أحكامها بتفرق معانيها حتى لو نظر الإنسان فيها من حيث دلالتها كلها على العين مع الفرقان المعلوم بين معانيها التي يعقل فيها من أنه سميت هذه العين بكذا لكذا ولا سيما إذا كانت الاسماء تجري مجرى النعوت على طريق المدح والتفرقة وأظهر وبالتفرقة تعرف إلينا سبحانه فقال ليس كمثله شيء وقال أفمن يخلق كمن لا يخلق ففرق بين من يخلق ومن لا يخلق وحدود الأشياء أظهرته التفرقة بين الأشياء وبالتفرقة ظهرت المقامات والأحوال وظنرت مراتب الخلق وتميزت بها فلله ثمانون عبداً حققهم بحقائق الإسمان والله مائة عبد حققهم بحقائق النسب الإلهية والاسماء والله ستة آلاف عبد ويزيدون حققهم بحقائق النبوة المحمدية والله ثلاثمائة عبد حققهم بحقائق الأخلاق الإلهية ففرق عز وجل بين عبادته بالمراتب وعين الجمع هو عين التفرقة إذ هو دليل على الكثرة وإنما سمي جمعا من أجل العين الواحدة التي تجمع هذه التفرقة فقول من قال في التفرقة أنها إشارة من أشار إلى خلق بلا حق فمشهوده ما أعطته الحدود والحدود لم يكن لها ظهور إلا في الخلق إذ كان الحق لا يعرف لأنه الغنى عن العالمين أي هو المزه عن أن تدل عليه علامة فهو المعروف بغير حد المجهول بالحد والحدود أظهرته التفرقة بين الخلق وكل إنسان من أهل الذوق لا يتعدى في أخباره منزلة شهوده وذوقه لأنهم أهل صدق لا يخبرون أبداً إلا عن شهود لا عن خبر وأما قول الدقاق الفرق ما نسبت إليك فهو ما ذكرناه فإنه ما نسب إليك إلا الحدود إذا الحق لا ينسب إليه حد وجميع ما ينسب إلى العبد فماله إلى الفناء والعدم وما ينسب إلى الحق فماله إلى البقاء والوجود فكن ممن ينسب إلى الحق ولا ينسب إلى الخلق وهو معنى قوله تعالى ما عندكم ينفذ فوصف بالنفاد ما نسبة إلينا وما لفظة تدل على كل شيء كذا قاله سيويوه وما عند الله باق فمن كان عند الله منا صح له القاء ومن كان عند الخلق صح له النفاد ألا ترى من هو عبد لغير الله من المماليك إذا جاء الموت ارتفع الملك إذا كان للسيد عليه فنفذ فكل ما نسب إلى المخلوق فإنه ينفذ بالموت أو بالشهادة كل ما تنفذ فقد فارق من كان عنده وهذا لا يوجد في الحق فإنه لا يفارقه شيء لأنه معنا وإليه تصير الأمور فهذا معنى قوله الفرق ما ينسب إليك وأما قول من قال الفرق ما أشهدك الحق من أفعالك أدباً يشير إلى الأفعال التي لا تعطي الأدب أن تنسب إلى الله وأن كانت من الله لا إلى الأفعال التي تنسب إلى الله أدباً وحقيقة وأفعال العباد لأبقاءها عند

العبد سوى زمان وجودها خاصة وتزول عنه في الزمان الذي يلي زمان وجودها فهذا معنى قول الدقاق فأجتمع في المعنى غير أن هذا القائل خصص بعض الأفعال بقوله أدباً فإذا نسبت أعيان هذه الأفعال إلى الله أتصفت بالبقاء لا لأعيانها بل لكونها مشهودة لله وما عند الله باق كما يبقى الفعل عندك ما دام مشهوداً لك فإذا لم تشهده زال عينه عن شهودك ولهذا قال ما أشهدك الحق من أفعالك ولم يتعرض لما يشهدك كما أنه لم يتعرض إلى المحمود من أفعالك مع كونه ينسب إليك فقال أدباً وأما قول من قال الفرق مشاهدة العبودية فإنه نسب العبد إلى الصفة القائمة به ولا ينبغي أن تنسب ألا إلى الله والعبودية صفة للعبد فمن شاهد عبوديته كان لمن شاهد ولهذا ينسب عباد الله إلى العبادة لا إلى العبودية فهم عبيد الله من غير نسبة بخلاف نسبتهم إلى العبودية فإن الحق لا يقبل نسبة العبودية لأنه عين صفة العبد لا عين العبد فمن شاهد العبودية فلم يشاهد كونه عبد الله ففرق بين ما ينسب إلى الصفة وبين ما يضاف إلى الله قال أهل اللسان رجل بين الخصوصية والخصوصية وبين العبودية والعبودية نسبة إليها والعبادة نسبة إلى السيد وأما قول من قال الفرق

أثبت الخلق فهو كما تقدم في معنى قولهم إشارة إلى خلق بلا حق غير أن بينهما فرقاً فإنه قال أثبات الخلق ولم يقل وجود الخلق لأن عين وجود الخلق عين وجود الحق والخلق من حيث عينه هو ثابت وثبوته لنفسه أزلاً وأتصافه بالوجود أمر حادث طرأ عليه قد عرفناك بما يعقل من هذه اللفظة فقوله أثبات الخلق أي في الأزل وقع الفرق بين الله والخلق فليس الحق هو عين الأعيان الثابتة بخلاف حال أتصافها بالوجود فهو تعالى عين الموصوف بالوجود لا هي فلهذا قال هذا القائل في الفرق أنه أثبات الخلق وأما قول من قال أن الفرق شهود الأغيار لله أراد من أجل الله فهذه لام العلة فيشاهد في عين وجود الحق أحكام الأعيان الثابتة فيه فلا يظهر ألا بحكمها ولهذا ظهرت الحدود وتميزت مراتب الأعيان في وجود الحق فقل أملاك وأفلاك وعناصر ومولدات وأجناس وأنواع وأشخاص وعين الوجود واحد والأحكام مختلفة لأختلاف الأعيان الثابتة التي هي أغيار بلا شك في الثبوت لا في الوجود فأفهم وأما قول من قال التفرقة شهود تنوعهم في أحوالهم يريد ظهور أحكامهم في وجود الحق فإنها متنوعة والحق لا يقبل التنوع فثبت أن ذلك حكم الأعيان والمشهود لهذا العبد التنوع فالمشهود له الأعيان ففرق بينها وبين الوجود وأما قول من قال في التفرقة

جمعت وفرقت عني به

ففرط التواصل منتهى العدد

فإنه أراد ظهور الواحد في مراتب الأعداد فظهرت أعيان الاثنين والثلاثة والأربعة إلى ما لا يتناهي بظهور الواحد وهذه غاية الوصلة أن يكون الشيء عين ما ظهر ولا يعرف أنه هو كما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وقد عانق أبا محمد ابن حزم المحدث فغاب الواحد في الآخر فلم نر ألا واحداً وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذه غاية الوصلة وهو المعبر عنه بالاتحاد أي الاثنين عين للواحد ما في الوجود أمر زائد كما أن زيدا هو عين عمر وبل عين أشخاص هذا النوع الأنساني في الأنسانية فهو هو من حيث الأنسانية وليس هو من حيث الشخصية فإنعطاف الواحد بنفسه على مرتبة الاثنين هو عين ظهور الاثنين وما ثم سوى عين الواحد وهكذا ما بقي من الأعداد التي لا تتناهي فتحقق معنى التفرقة أن كنت ذا لب سليم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الرابع والعشرون ومائتان في معرفة عين التحكم

عين التحكم عند القوم التصرف لأظهار الخصوصية بلسان الأنسباط في الدعاء وهذا ضرب من الشطح وقريب منه لما يتوهم من دخول النفس فيه ألا أن يكون عن أمر ألهي فلا مؤاخذه على صاحبه فيه

مهما تحكم عارف في خلقه
ترك التحكم نعت كل محقق
ما للرجال الصم أعيان الورى
بل هم عبيد لم يزالوا خشعاً
عن غير أمر فالرعونة قائمه
لزم الحياء ولو أنته راغمه
المصطفين له نفوس حاكمه
في كل حال فالشهادة دائمه

أن التحكم في الحجاب مقامه

خلف الستور المرسلات المظلمه

فإذا كان عن أمر ألهي بتعريف فالأنسان فيه عبد ممثّل أمر سيده بطريق الوجوب فإن عرض عليه عين التحكم من غير أمر عرض الأمانة وقبله فليس هناك بل مرتبته مرتبته في قبول الأمانة المعروضة التي قال الله فيمن حملها أنه كان ظلوماً جهولاً ظلوماً لنفسه جهولاً بقدر ما تحمل لأنه جهل ما في علم الله فيه هل هو مما يؤدي الأمانة إلى أهلها أم لا فعين التحكم مخصوص بالرسول في أظهار المعجزات والتحدي بها عن الأمر الألهي فإنهم مرسلون بالدلالات على أنهم رسل الله فهم مخبرون بالحال أنهم المصطفون الأخيار لا بالقصد ثم قد يقع منهم بعد ثبوت الرسالة قول خارج عن مقتضى الدلالة ولا يكون منهم ألا عن أمر ألهي يودن ذلك القول بمرتبة القائل عند الله مثل قوله صلى الله عليه وسلم أنا سيد الناس يوم القيامة فلما كان في قوة هذا اللفظ أظهار الخصوصية عند الله ومن هو مشغول بالله ما عنده فراغ لمثل هذا ومن شغل أهل الله بالله امتثال أمر الله فأخبر عليه السلام حين عم فقال ولا فخر أي ما قصدت الفخر أي هكذا أمرت أن أعرفكم فإن العارف كيف يفتخّر والمعرفة تمنعه ومشاهدة الحق تشغله ولا يظهر مثل هذا ممن ليس بمأمور به إلا عن رعونة نفس أو فناء لغلبة حال يستغفر الله من ذلك إذا فارقه ذلك من باب الغيرة فلا يدل على اظهار الخصوصية وذلك بأن يرى الإنسان دعوة الرسول ترد ويتوقف في تصديقها ولا سيما عند من يفنى النبوة التي تثبتها فيقوم هذا العبد مقام وجود الرسول فيدعى ما يدعيه الرسول من إقامة الدلالة على صدق الرسول في رسالته نيابة عنه فيأتي بالأمر المعجز على طريق التحدي للرسول لا لنفسه فيظهر منه ذلك وهذا لا يدل على مقام الخصوصية عند الله فهو خارج عن عين التحكم وليس بخارج من حيث ما هو تحكيم لكنه خارج من حيث ما هو تحكيم خاص وقد يكون عين التحكيم في رجل يكون له مقام الأدلال مع الحق ويكون عنده تعريف إلهي بمقام المعلوم كالملائكة في قوله تعالى عنهم وما من إلهة مقام معلوم وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون فأنشأوا على أنفسهم بعد معرفتهم وتعريفهم بمقامهم فلا ينقصهم هذا الشاء ولا يحط مرتبتهم وإذا لم يؤثر عين التحكيم في المقام فلا بأس به وتركه أعلى لأنه على كل حال فراغ وما وقع مثل هذا من جبريل إلا لكونه معلماً رسول الله صلوات الله عليهما والمعلم ينبه التلميذ بمرتبته لتعلو همته ليلحق بمعلمه ومنهم من يبلغ في التحكيم أن يقسم على الله في أمر فيبر الحق قسمه ومع هذا يستغفر الله فلولاً أن فيه رائحة ما استغفر والحكايات في التحكيم عن الصالحين كثيرة ولا سيما ما يحكى عن عبد القادر الجيلي رحمة الله كان يبغداد أدركناه بالسن وكالذي سجد وحلف أن لا يرفع رأسه من سجده حتى يتزل الغيث فأبر الله قسمه وكالذي وقف على رأس بئر قد عطش ولم يكن له حبل ولا ركوة فقال لئن لم تسقني لأغضب ففاض الماء على فم البئر فسئل هل من

تغضب فقال على نفسي فأمنعها الماء وأما عين التحكيم عندنا فأمر هين في شهود المعرفة فإن التحكيم للظاهر في المظهر فما تحكم إلا من له التحكيم وهذه طريقة انفردنا بإظهارها في الوجود لأنها تقرب على أهل الله مأخذ الأمور لا تستعزم شيئاً مما ظهر فإنه ما زهر فإنه إلا ممن له الأمر من قبل ومن بعد والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الخامس والعشرون ومائتان في معرفة الزوائد

اعلم أن الزوائد في اصطلاح الصوفية من أهل الله تعالى زيادات الايمان بالغيب واليقين

إذا ما أنزلت بالنور رسوره	يزيد المؤمنون بها سرارا
فعلم الغيب أنفس كل علم	وكان العلم أجمعه حضروا
وادرأك الغيوب بلا دليل	سوى الرحمن لا يعطي ثورا
وما للغيب عند الحق عين	ولو جلى لك الاسم الخبيرا
لقد حجب العباد وكل عقل	بحتى نعلم الجلد الصبورا

قال الله تعالى "وإذا أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادهم رجساً إلى رجسهم" فلا بد من الزوائد في الفريقين وهي الشؤون التي الحق عليها وفيها في كل يوم أي في كل نفس الذي هو أصغر الأيام غير أن الزوائد التي اصطلاح عليها أهل الله هي ما تعطي من ذلك سعادة خاصة وعلماً بغيب يزيد يقينا مثل قوله "رب ألاني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي" يقول بلى آمنت ولكن وجوه الأحياء كثيرة متنوعة كما كان وجود الخلق فمن الخلق من أوجدته عن كن ومنهم من أوجدته بيدك ومنهم من أوجدته بيدك ومنهم من أوجدته ابتداء ومنهم من أوجدته عن خلق آخر فتنوع وجود الخلق وأحياء الخلق بعد الموت إنما هو وجود الآخرة طبعي يعني حشر الأجساد الطبيعية إذ كان ثم من يقول لا تحشر الأجسام وإنما تحشر النفوس بالمولود إلى النفس الكلية مجردة عن الهياكل الطبيعية فأخبر الله إبراهيم أن الأمر ليس كما يزعم هؤلاء فأحاله على أمر موجود عنده تصرف فيه اعلامنا أن الطبائع لو لم تكن مشهود معلومة مميزة عند الله لم تتميز فيما أوجد العالم الطبيعي إلا من شئ معلوم عنده مشهود له نافذ التصرف فيه فجمع بعضها إلى بعض فأزهر الجسم على هذا الشكل الخاص فأبان لآبراهيم بإحاطته على الأطيوار الأربعة وجود الأمر الذي فعله الحق في إيجاد الأجسام الطبيعية والعنصرية إذ ما ثم جسم إلا طبعي أو عنصري فأجسام النشأة الآخرة في حق السعداء طبيعية وأجسام أهل النار عنصرية لا تفتح لهم أبواب السماء فلو فتحت خرجوا عن العناصر بالترقي وأما حشر الأرواح التي يريد أن يعقلها إبراهيم من هذه الدلالة التي أحاله الحق عليها في الطيور الأربعة فهي في الإلهيات كون العالم يفتقر في ظهوره إلى إله قادر على إيجاد عالم بتفاصيل أمره مريد اظهار عينه حي لثبوت هذه النسب التي لا تكون إلا لحي فهذه أربعة لا بد في الإلهيات منها فإن العالم لا يظهر إلا ممن له هذه الأربعة فهذه دلالة الطيور عليه السلام في الإلهيات في العقول والأرواح وما ليس بسم طبعي كما هي دلالة على ترييع الطبيعة إيجاد الأجسام الطبيعية والعنصرية ثم قوله فصرهن أي ضمنهن والضم جمع عن تفرقة وبضم بعضها إلى بعض ظهرت الأجسام

ثم اجعل على كل جبل وهو ما ذكرناه من الصفات الأربع الإلهيات وهي أجبل لشموحها وثبوتها فإن الجبال أوتاد ثم ادعهن يأتينك سعياً ولا يدعى إلا من يسمع وله عين ثابتة فأقام له الدعاء بها مقام قوله كن في قوله "إنما أمرنا إذا أردناه أن نقول له كن فيكون" فزاد يقينه طمأنينة بعلمه بالوجه الخاص من الوجوه الإمكانية ومن الزوائد واتقوا الله يعلمكم الله فتزید علماً لم يكن عندك بعلمك إياه الحق تعالى تشريفاً منحه إياه التقوى فمن جعل الله وقاية حجه الله عن رؤية الأسباب بنفسه فرأى الأشياء تصدر من الله وقد كان هذا العلم مغيباً عنك فأعطاك العلم به زيادة الإيمان بالغيب الذي لو عرض على أغلب العقول لردته ببراهينها فهذه فائدة هذا الحال ومن الزوائد أن تعلم أن حكم الأعيان ليس نس الأعيان وأن ظهور هذا الحكم في وجود الحق وينسب إلى العبد بنسبة صحيحة وينسب إلى الحق بنسبة صحيحة فزاد الحق من حيث الحكم حمماً لم يكن عليه وزاد العين إضافة وجود إليه لم تكن يتصف به ألا فإنظر ما أعجب حكم الزوائد ولهذا عمت الفريقين فزادت السعيد إيماناً وزادت الشقي رجساً ومرضاً والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب السادس والعشرون مائتان في معرفة الإدارة

الإدارة عند القوم لوعة يجدها المرید من أهل هذه الطريقة تحول بينه وبين ما كان عليه مما يحجبه عن مقصوده

لوعة في القلب محرقة	هي بدء الأمر لو علموا
فلهذا حن صاحبها	للذي عنه العباد عموا
فإذا بيد ولناظره	يعتريه البهت والصمم
فتراه دائماً أبداً	بلهيب النار يصطلم
طل شيء عنده حسن	وبهذا كلهم حكموا

والإدارة عند أبي يزيد البسطامي ترك الإدارة وذلك قوله أري فأراد محو إدارة من نفسه وقال هذا القول في حال قيام الإدارة به ثم تم وقال لأني أنا المراد وأنت المرید يخاطب الحق وذلك أنه لما علم أن الإدارة متعلقها العدم والمراد لا بد أن يكون معدوماً لا وجود له ورأى أن الممكن عدم وأن اتصف بالوجود لذلك قال أنا المراد أي أنا المعدوم وأنت المرید فإن المرید لا يكون إلا موجوداً وأما الإرادة عندنا فهي قصد خاص في المعرفة بالله وهي أن تقوم به إرادة العلم بالله من فتوح المكاشفة لا من طريق الدلالة بالبراهين العقلية فتحصل له المعرفة بالله ذوقاً تعليمياً إلهياً فيما لا مكن ذوقه وهو قوله "واتقوا الله ويعلمكم الله" وقالت المشايخ في الإرادة أنها ترك ما عليه العادة وقد تكون عادة زيد ما هي عادة عمرو فيتترك عمرو عادته بعادة زيد لأنها ليست عادة ثم أعلم في مذهبن أنك إذا علمت أن الإرادة متعلقها العدم وعلمت أن العلم بالله مراد للعبد وعلمت أنه لا يحصل العلم به على ما يعلم الله به نفسه لأحد من المخلوقين مع كون الإرادة من المخلوقين لذلك موجود فالإرادة فيه أتم من كونها فيمن يدرك ما يريد فليست الإرادة الحقيقية إلا ما يدرك متعلقها فلا يزال عينها متصفاً بالوجود ما دام متعلقها متصفاً بالعدم فإن الإرادة إذا وجد مرادها أو ثبت زال حكمها وإذا زال حكمها زال عينها وينبغي للإرادة فينا أن تزول فإن مرادها لا يكون وأما من يتكون عن ارادته ما يريد فلا تصحبه الإرادة

وجوداً وإنما بقيت الإرادة هناط لأن متعلقها آحاد الممكنات وآحادها لا تتناهى فوجودها هناك لا يتناهى ولكن يختلف تعلقها باختلاف المرادات والذي يشير إلى أهل الله في تحقيق الإرادة أنها معنى يقوم بالإنسان يوجب له نفوس القلب في طلب الحق المشروع ليتصف به العمل ليرضى الله بذلك فيكون ممن رضى الله عنهم ورضوا عنه فصاحب الإرادة يسعى في أن يكون بهذه المثابة ثم ما زاد على هذا مما يناله أهل الله من الفتوح والكشف والشهود وأمثال هذه الأحوال فذلك من الله ليست مطلوبة لصاحب الإرادة التي يقتضيها طريق الله إنما جل ارادتهم أن يكونوا على حال مع الله يرضى الله بأقوالهم وأفعالهم وأحوالهم إثبات الجناب الحق لا رغبة في نعيم ينالونه بذلك ولا فراراً من ضده دنيا ولا آخرة بل هم على ما شرع لهم والله الأمر فيهم بما يشاء لا تخطر لهم حظوظ نفوسهم بخاطر هذا أتم ما توجهه الإدارة في المريد وإن خطر لهم حظ في ذلك فما خرجوا عن حكم الإرادة ولكن يكون صاحب الحظ النفسي ناقص المقام بالنظر إلى الأول مع كونه صاحب إرادة كما قال تعالى "ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض" من أن النبوة موجودة فما زالوا من النبوة مع فضل بعضهم على بعض وأما معنى قول الطائفة في الإرادة أنها لوعة يجدها المريد تحول بينه وبينما كان عليه مما يحجبه عن مقصوده فصحيح غير أنه ثم أمر تعطيه المعرفة بالله إذا حصل له العلم بالله من طريق الكشف والتعليم الإلهي فلا يبقى شئ يتصف به العبد يحجبه عن مقصوده إذا كان مقصوده الحق فهو يشهده في كل عين وفي كل حال ولا ينال هذا المقام إلا من رضى الله عنه ومن عاملات صاحب هذا المقام معانقة الأدب إلا أن يسلب عنه عقله بهذه المشاهدة فلا يطالب بالأدب كالبهليل وعقلاء المجانين لأنه طرأ عليهم أمر إلهي ضضعفوا عن جملة فذهب بعقولهم في الذاهبين وحكمهم عند الله حكم من مات على حالة شهود ونعت استقالة وبقي من حالته هذه حكمه حكم الحيوان ينال جميع ما يطلبه حكم طبيعته من أكل وشرب ونكاح وكلام من غير تقييد ولا مطالبة عليه عند الله مع وجود الكشف وبقائه عليهم كما يكشف الحيوان وكل دابة حياة الميت على النعش وهو يخور ويقول سعيدهم قدموني قدموني ويقول الشقي إلى أين تذهبون بي ويشاهدون عذاب القبر ويرون ما لا يراه الثقلان كذلك هذا الذي ذهب الله بعقله فيه حكمه حكم الحيوان وكل دابة وكما هو الميت على حكم مامات عليه كذلك هذا البهلول هو على حكم ما ذهب عنده عقله فهو معدوم في الأموات بذهاب عقله معدوم في الأحبار بطبعه فهو من السعداء الذين رضى الله عنهم كمسعود الحبشي وعلي الكردي وجماعة رأيانهم بهذه المثابة بالشام وبالمغرب وهم عباد الله على مثل هذا الحال نفعا الله بهم ومهما رد على من هذه حاله عقله وهو في الحياة الدنيا فإنه من

حينه يلزم الأدب الشرعية ويعانقها ومن أبقي عليه عقله كان عند القوم أتم وأعلى قيل للشيخ أبي السعود بن الشبل ما تقول في هؤلاء المجانين من أهل الله فقال رضى الله عنه هم ملاح ولكن العاقل أملح يشير إلى أن العناية بمن أبقي عليه عقله أتم فهذا أصل ما يرجع إليه مجموع أقوال أهل الله في الإدارة المصطلح عليها عندهم وإن اختلفت عباراتهم فهم بين أن ينطقوا في ذلك بأمر كلي أو أمر جزئي بحسب ذوقه وما يترجح عنده في حاله فإنهم لا يتعدون في العبارة عن الشئ ما يعطيه ذوقهم ولا يتصنعون ولا يتعملون ولا ولا يأخذون شئاً في تحقيق ذلك عن فكرهم بل يتعدى نطقهم ذوقهم ووجودهم فهم أهل صدق وعلم محقق لا تدخله شبهة عندهم ومن فكر فليس منهم ويصيب ويخطئ وليس صاحب الفكر بصاحب حال ولا ذوق وأما أهل الاعتبار فيكون منهم أصحاب أذواق ويعتبرون عن ذوق لا عن فكر وقد يكون الاعتبار عن فكر فيلتبس على الأجنبي في أهل الأذواق هو الأصل وفي أهل الأفكار فرع وصاحب الفكر ليس من أه الإرادة إلا في الموضع الذي يجوز له الفكر فيه أن كان ثم مما لا يمكن أن يحصل الأمر المفكر فيه إلا به بفتح الكاف فحينئذ يأخذ من بابه وهل ثم أمر بهذه المثابة لا يمكن أن ينال من طريق الكشف والوجود أم لا فنحن

نقول ما ثم نمنع من الفكر جملة واحدة لأنه يورث صاحبه التلبس وعدم الصدق وما ثم شيء إلا ويجوز أن ينال العلم به من طريق الكشف والوجود والإشتغال بالفكر حجاب وغيرنا يمنع هذا ولكن لا يمنعه أحد من أهل طريق الله بل مانعه إنما هو من أهل النظر والأستدلال من علماء الرسوم الذين لا ذوق لهم فيالأحوال فإن كان لهم ذوق في الأحوال كأفلاطون الإلهي من الحكماء فذلك نادر في القوم وتجد نفسه يخرج مخرج نفس أهل الكشف والوجود وما كرهه من كرهه من أهل الإسلام إلا لنسبته إلى الفلسفة لجهلهم بمدلول هذه اللفظة والحكماء هم على الحقيقة العلماء بالله وبكل شيء ومترلة ذلك الشيء المعلوم والله هو الحكيم العليم ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً والحكمة هي علم علم النبوة كما قال في داود عليه السلام وأنه ممن آناه الله الملك والحكمة وقيل هي المحبة فالفلسفة معناه حب الحكمة وكل عاقل يحب الحكمة غير أن أهل الفكر خطئهم في الإلهيات أكثر من إصابتهم سواء كان فيلسوفاً أو معتزلياً أو شعرياً أو ما كان من أصناف أهل النظر فما ذمت الفلاسفة لمجرد هذا الاسم وإنما ذموا لما أخطؤا فيه من العلم الإلهي مما يعارض ما جاءت به الرسل عليهم السلام بحكمهم في نظرهم بما أعطاهم الفكر الفاسد في أصل النبوة والرسالة والمإذا تستند فتشوش عليهم الأمر فلو طلبوا الحكمة حين أحبوها من الله لا من طريق الفكر أصابوا في كل شيء وأما ما عدا الفلاسفة من أهل النظر من المسلمين كالمعتزلة والأشاعرة فإن الإسلام سبق لهم حكم عليهم ثم شرعوا في أن يذنبوا عنه بحسب ما فهموا منه فهم مصيئون بالأصالة مخطئون في بعض الفروع بما يتأولونه مما يعطيهم الفكر والدليل العقلي من أنهم إن حملوا بعض ألفاظ الشارع على ظاهرها في حق الله مما أحالته أدلة القبول كان كفراً عندهم فيؤولونه وما علموا أن الله قوة في بعض عبادة تعطى حكماً خلاف ما تعطى قوة العقل في بعض الأمور وتوافق في بعض وهذا هو المقام الخارج عن طور العقل فلا يستقل العقل بادراكه ولا يؤمن به إلا إذا كانت معه هذه القوة في الشخص فحينئذ يعلم قصوره وبعلم أن ذلك حق فإن القوى متفاضلة تعطى بحسب حقائقها التي أوجدها الله عليها فقوة السمع لو عرض عليها حكم البصر أحالته والبصر كذلك نع غيره من القوى والعقل من جملة القوى بل هو المستفيد من جميع القوى ولا يفيد العقل سائر القوى شيئاً ومن صح له حكم الإرادة المصطلح عليها عند أهل عرف هذه المقامات كلها والراتب كشفاً وعرف صورة الغلط في الأشياء وأنه واقع في النسب والوجوه وكل غالط في النسبة حيث نسبها إلى غير جهتها فيأخذها أهل الله فيجعلون تلك النسبة في موضعها ويلحقونها بمنسوبها وهذا معنى الحكمة فأهل الله من الرسل والأولياء هم الحكماء على الحقيقة وهم أهل الخير الكثير جعلنا الله من أهل الإرادة ومن جمع بين العادة وترك العادة من حيث ما تعطيه الشهادة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب السابع والعشرون ومائتان في معرفة حال المراد

في كل حال على حل وترحال

على المقامات من حال إلى حال

بعينه فهو في نعمى واقبال

إن المراد هو المجذوب بالحال

يمشي به وهو في بيضاء في دعه

عناية منه والرحمن يحرسه

اعلموا أن المراد في اصطلاح القوم هو المجذوب عن ارادته مع تهيؤ الأمور فهو يجاوز الرسوم والمقامات من غير مشقة بل بالتلذذ وحلاوة وطيب تھون عليه الصعاب وشدائد الأمور وينقسم المرادون هنا إلى قسمين القسم الواحد أن يركب الأمور الصعبة وتحل

به البلاء المحسوسة والنفسية ويحس بها يكره ذلك الطبع منه غير أنه يرى ويشاهد ما له ذلك في باكن الأمر عند الله من الخير مثل العافية في شرب الدواء الكريه فيعلب عليه مشاهدة ذلك النعيم الذي في طي هذا البلاء فيلتذ بما يطرأ عليه من مخالفة الغرض وهو العذاب النفسي ومن الآلام المحسوسة لأجلي هذه المشاهدة كعمر بن الخطاب رضى الله عنه فإنه من أصحاب هذا المقام فقال في ذلك ما أصابني الله بمصيبة إلا رأيت أن لله على فيها ثلاث نعم النعمة الواحدة حيث لم تكن تلك المصيبة في ديني والنعمة الثانية حيث لك تكن مصيبة أكبر منها إذ في الجائر أن يكون ذلك والنعمة الثالثة ما عند الله لي فيها من تكفير الخطايا ورفع الدرجات فاشكر الله تعالى عند حلول كل مصيبة وهنا فقه عجيب في طريق القوم تعطيه الحقائق لمن عرف طريق الله فإن البلاء لا يقبل الشكر والنعمة لا تقبل الصبر فإن شكر من قام به البلاء فليس مشهود إلا النعم فيجب عليه الشكر وإن صبر من قامت به النعماء فليس مشهود إلا البلاء وهو ما فيها من تكليف طلب الشكر عليها من الله وما كلفه من حكم التصرف فيها فمشهود يقتضي له الصبر والحق سبحانه يردف عليه النعم وهو في شهوده ينظر ما لله عليه فيها من الحقوق فيجهد نفسه في أدائها فلا يلتذ بما يحسب الناس أنه به ملتذ فيصير على ترادف النعماء عليه فهو صاحب بلاء فليس المعتبر إلا ما يشهده الحق في وقته فهو بحسب وقته أما صاحب شكر أو صاحب صبر فهذا حال القسم الواحد من المرادين وأما القسم الآخر فلا يحس بالشدائد المعتاد بل يجعل الله فيه من القوة ما يحمل بها تلك الشدائد التي يضعف عن حملها غيرها من القوى كالرجل الكبير ذي القوة فبكلف ما يشق على الصغير أن يحمله فما عنده خير من ذلك بل يحمله من غير مشقة فإنه تحت قوته وقدرته ويحمله الصغير بمشقة وجهده فهذا ملتذ بحمله بقوة يفتخر بها لا يجد ألماً ولا يحس به كما قال أبو يزيد في بعض مناجاته

ولكني أريك للعقاب

سوى ملذوذ وجدي بالعذاب

أريدك لا أريدك للشواب

وكل مآربي قد نلت منها

فطلب اللذة بما جرت العادة به أن يثمر عذاباً خرقاً للعادة فما طلب العذاب يقول أهل الله ليس العجب من ورد في بستان وإنما العجب من ورد في قعر النيران يقول صاحب هذا الكلام ليس العجب ممن يلتذ بما جرت العادة أن يلتذ به الطبع وإنما العجب إن يلتذ بما جرت العادة أن يتألم به الطبع ذكر أن بعض المحبين جنى جناية فجلده الحاكم مائة جلدة فما أحس بتسع وتسعين منها فما استغاث فلما كان في السوط المكمل مائة استغاث فقل له في ذلك فقال العين التي كنت أعاقب من أجلها كانت تنظر إلى فكنت أتعم بالنظر إليها فما منت أحس بمواقع السوط من ظهري فلما كان في السوط الموفى مائة غابت عني فأحسست بموقع السوط فاستغثت ورأيت المرأة الصالحة بمكة فاطمة بنت التاج ضربها أبوها ضرباً مبرحاً من غير جناية فما أحست بذلك وكانت تحس بشيء يحول بين ظهراها ومواقع السياط فيقع السوط في ذلك الحائل وتسمع وقع السوط بأذنها وتتعجب حيث لا تحس به وقد جرى لنا مثل هذا في بدايتنا في حكاية طويلة فهذا المراد قد يعطيه الله اللذة دائماً بكل شيء يقوم به من بلاء ونعمة فإن النعيم ليس بشيء زائد على عين اللذة القائمة بالشخص كما أن البلاء ليس بشيء زائد على وجود عين الألم وأما الأسباب الموجبة لهما فغير معتبرة عندنا فليس صاحب البلاء ألا من قام به الألم وليس صاحب النعمة سوى من قامت به اللذة ويكون السبب ما كان معتاداً أو غير معتاد وهذا القسم قد يجعل الله فيه أن يكون مراد أله في نفسه جميع ما يريد الله أن يتزله به فإذا أعطاه الله مرادة ولا بد من

ذلك فإن مراد الله تعالى فإنه يلتذ بوقوع مراده فتكون الشدائد والمكاره المضادة مرادة له فتحل به فيحملها بما عنده وما جعل الله فيه من القوة فقد يكون حال المراد بهذه المثابة وأهل البداية في هذا الطريق كلهم عند حصول التوبة ملتذون بكل شدة تطراً عليهم فهي شدة عند غيرهم وهي ملذوذة هينة عندهم ولهذا أهل النهاية من العارفين يحنون إلى البداية لأجل هذه اللذة فإنهم لا يجدونها في النهاية فإنهم أهل تمييز متحققون بالحق فهم أهل غضب ورضي فيحنون إلى البداية لأجل ما فيها من الألتذاذ وكلما كمل الرجل أعطاه الله التمييز في الأمور وحققه بالحقائق أذ الموطن يعطي ذلك فلو كان مزاج الدنيا على مزاج الجنة لم يعط ألا نعيماً مجرداً أو على مزاج النار لم يعط ألا ألماً فلما كان ممتزجاً وقتاً هكذا ووقتاً هكذا كان العرفون بحسب الموطن وإذا علمت هذا فاعلم أنه يكون أيضاً من أحوال المراد رفع التمني والطمع والأخلاص من نفسه مع المبالغة في الأعمال فيشاهدها من حيث ما هو محل لجرياتها ويجعلها من جملة الأقدار الجارية عليه وذلك لفنائها عما ينسب إليه من الحول والقوة فليس له مقام ولا يحكم عليه حال فإنه لا يرى المقام ولا الحال لنظره إلى رب المقام والحال بعين رب المقام والحال متفرج في جريان الأقدار عليه وظهورها فيه وهو مع نفسه كأنه لا داخل فيها ولا خارج عنها وصل وأما كون هذا الشخص سمي مراداً ليس معناه أنه مراد لما أريد به وإنما معناه أنه محبوب فإن المحبوب لا يكون معذباً بشيء فلا بد أن يحول المحبين ما يؤلم محبوبه وبين محبوبه وأن لم يفعل ذلك فليس بمحب ولا ذلك محبوباً وكذا وقع أن الله ما أبتلى من أبتلى من عباده المحبوبين عنده من كونهم محبوبين وإنما رزقهم من جملة ما رزقهم أن جعلهم محبين له فلما أدعوا محبته أبتلاهم من كونهم محبين لا من كونهم محبوبين فأفهم فالحبوب له الأدلال والحب له الخضوع فالمراد هو المحبوب فلا يذوق بلاء وأما المراد الذي يكون مراداً لما أريد به فإنه لا بد أن يرزق الإرادة لما أريد به فلا يقع له ألا ما هو مراد له وقد ذكرناه وما كل مراد لما أريد به يكون له إرادة فيما أريد به فمن يكون له إرادة ذلك فهو المراد المصطلح عليه في هذا الطريق فالمراد لما أريد به هو حال يعم الخلق أجمعه ما فيه اختصاص ومن يكون له إرادة فيما أريد به فذلك خصوص وهو المطلوب بهذه اللفظة وهذا الاسم في هذا الطريق عند أهل الله فيكون مراداً مريداً والله يقول الحق وهو يهدي السبيل فإن الكلام في باب الإرادة والمراد والمريد يطول

الباب الثامن والعشرون ومائتان في حال المريد

فاعلم يا ولي وفقك الله أنه

به ولكنه من ينقضي غرضه

ليس المريد الذي قامت أرادته

فإن حاكمه في صرفه مرضه

فإن أراد أموراً ليس يدركها

في حكمه جوهر في الكون أو عرضه

وليس أذ ذاك من أهل الطريق ولا

لفظة المريد عند المحققين من أهل الله تطلق بأزاء المنقطع إلى الله المؤثر جناب الله الساعي في محاب الله ومراضيه وقد يطلقونها بأزاء المتجرد عن إرادته وأعظم مراتب المريد عندهم وعندنا أن يكون نافذ الإرادة لا عن كشف فإن كان عن كشف فليس بمريد وإنما هو عالم بما يكون كما أنه ليس من شروط المراد أن تكون له غرادة فيما يقع في الوجود به وبغيره أن يكون ما يقع مشهوداً له في إرادته فيريده قبل وقوعه بل قد لا يكون ذلك وليس بشرط وإنما حاله أن الأمر إذا وقع في الوجود يرضى به ولتذ بوقوعه ولا يريده

بخاطره ولا يكرهه فاعلم أنه من أعلمه الله مراده فيما يكون عناية منه فإنه مطلوب بالتأهب لذلك ولا سيما فيما يقع به لا غيره فيتلقيا بالصفة التي يطلبها ذلك الواقع شرعاً من رضى أو صبر أو شكر فإن كان مع هذا الأعلام يكون مريداً لذلك فتلك إرادة موافقة ويكون مريداً لقيام الإرادة به لا لنفوذ إرادته فإنه لا ينبغي في الطريق أن يسمى مريداً إلا من تنفذ إرادته وهو الله أو من أعطاه الله ذلك من خلقه وما سمعنا أنه نال هذا المقام أحد من خلق الله فإنه قد صح عندنا كشفاً ونقلًا أنه لا مقام أعلى من مقام أعلى من مقام محمد صلى الله عليه وسلم ومع هذا قد سأل الله في أشياء منها أن لا يجعل الله بأس أمته بينها فلم يقبل سؤاله في ذلك قال صلى الله عليه وسلم فمنعنيها فإذا لم يكمل مقام نفوذ الإرادة له صلى الله عليه وسلم فكيف يناله غيره فإنه ممن انفرد الله به فمن أطلع الله على مراداته فما أراد إلا ما يقع فيظهر نفوذ إرادته وما يعلم الناس ما هو مشهوده الذي أشهده الحق فهم يتخيلون أن ذلك المراد الواقع من أثر همته وليس كذلك فالمريد من انقطع إلى الله تعالى عن نظر واستبصار وطلب مرضاة الله وتجرد عن إرادته إذ علم أنه ما يقع في الوجود إلا ما يريد الله لا ما يريد الخلق فيقول هذا المريد فلم إذا أعني وأريد ما لا أعلم أنه يقع أم لا يقع فإنه لا علم لي بما في علم الله تعالى من ذلك فإن وقع ما أريد فلكونه مراد الله فبمإذا أفرح وإن لم يقع فلا بد من انكسار الخيبة فاستعجل المهم وربما ينجر معه عدم الرضى لعدم وقوع المراد فالأولى أن لا يريد إلا ما يريد الحق كان ما كان على الإجمال فمضى تلقيته بالقبول والرضى فيتجرد عن إرادته فلا يبقى له إرادة الأعلى هذا الحكم وأما الذين يطلعه الله من المرادين على مراد الله في العالم فإن ذلك قد يكون على أحد طريقين الطريق الواحد بأخبار إلهي وكشف لما يكون والطريق الثانية أن يرزقه الله علم ما تعطيه حقائق الأشياء وترتيبها الإلهي الذي رتب عليه فيريد عند ذلك أمراً ما فلا تخبطى له إرادة بل يقع مراده على حسب ما يتعلق به فهذا مريد بالحق كما كان سمياً بصيراً بالحق إذ كان الحق سمعه وبصره فتكون أيضاً إرادته ومهما أخطأت إرادته فليس بمريد على الحقيقة إذ لا فائدة في أن لا يكون مريداً إلا من قامت الإرادة وإنما الفائدة في أن لا يكون مريداً إلا من تنفيذ إرادته فالمريد في هذه الطريقة يحمل المشاق والشدائد والمكاره مشاق وشدائد ومكاره غير ملتذ بها يحملها من أجل الله أو أجل ما له فيها أي في حملها من السعادة الأبدية أعلاها وإن يشكر الله فعله فيكون ممن أثنى الله عليه فيتجرع الغصص ويصبر عليها لعلمه بما في طي ذلك من الخير الإلهي وقد يكون بعض رجال الله مريداً وإذا تألم بالواقع المحبوب كان مريداً فكيف حاله بالمكروه فهذا حال المريد قد بيناه مفصلاً لمن يعقل من أهل الله والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب التاسع والعشرون ومائتان في حال الهمة

فإن الوجود لها مستعد

ولا تك ممن بها يستبد

كما أنت في باطن المعتقد

إذا كنت في همة فانتد

ولا تفتحن بها مغلقاً

ولا تركزن إليها وكن

نريد بباطن المعتقد كون الله هو الفاعل للأشياء لا أثر فيها لهمة مخلوق ولا لسبب ظاهر ولا باطن لعلمه بأن الأسباب إنما جعلها الله ابتلاء ليميز من يقف عندها ممن لا يرى وقوع الفعل إلا بها ممن لا يرى ذلك ويرى الفعل لله من ورائها عندها لا بها أعلم أن الهمة

يطلقها القوم بازاء تجريد القلب للمنى ويطلقونها بازاء أول صدق المريد ويطلقونها بازاء جمع الهمم بصفاء الإلهام فيقولون الهممة على ثلاث مراتب هممة تنبه وهممة إرادة وهممة حقيقة فاعلم أن هممة التنبيه هي تيقظ القلب لما تعطيه حقيقة الإنسان مما يتعلق به التمني سواء كان محالاً أو ممكناً فهي تجرد القلب للمنى فتجعله هذه الهممة أن ينظر فيما يتمناه ما حكمه فيكون بحسب ما يعطيه العلم بحكمه فإن أعطاه الرجوع عن ذلك رجع وأن أعطاه العزيمة فيه عزم فيحتاج صاحب هذه الهممة إلى علم ما تمناه وأما هممة الإرادة وهي أول صدق المريد فهي هممة جمعية لا يقوم لها شيء وهذه الهممة توجد كثيراً في قوم يسمون بأفريقية العزابية يقتلون بها من يشاؤون فإن النفس إذا اجتمعت أثرت في أجرام العالم وأحواله ولا يعتاض عليها شيء حتى أدى من علم ذلك ممن ليس عنده كشف ولا قوة إيمان أن الآيات الظاهرة في العالم على أيدي بعض الناس إنما ذلك راجع إلى هذه الهممة ولها من القوة بحيث أن لها إذا قامت بالمريد أثراً في الشيوخ الكمل فيتصرفون فيهم بها وقد يفتح على الشيخ في علم ليس عنده ولا هو مراد به بهمة هذا المريد الذي يرى أن ذلك عند هذا الشيخ فيحصل ذلك العلم في الوقت للشيخ بحكم العرض ليوصله إلى هذا الطالب صاحب الهممة أذ لا يقبله إلا منه وذلك لأن هذا المريد جمع همته على هذا الشيخ في هذه المسألة والحكايات في ذلك مشهورات مذكورة وأثر هذه الهممة في الأهلين قول الله تعالى "أنا عند ظن عبدي بي" فليظن بي خيراً فمن جمع همته على ربه أنه لا يغفر الذنب ألا هو وأن رحمته وسعت كل شيء كان مرحوماً بلا شك ولا ريب قال تعالى "وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرادكم فأصبحتم من الخاسرين" لأنهم ظنوا أن الله لا يعلم كثيراً مما يعملون فلماذا قلنا أنه لا بد من علم ما يتعلق به هذه الهممة فإن تعلقت بمحال لم يقع وعادوا بالها على صاحبها فأثر في نفسه بهمة وأن تعلقت بما ليس بمحال وقع ولا بد وهنا من هذه الطائفة تعلقت بالمحال وهو نفى العلم عن الله ببعض أعمال العباد فعذبهم الله بأعمالهم فظنهم أراداهم وهذه مسألة لا يمكننا أن أوفيهما حقها لأتساعها وما يدخل فيها مما لا ينبغي أن يقال ولا يذاع غير أن لها النفوذ حيث وجدت فإذا لم تجتمع ودخلها خلل فليس لها هذا الحكم فلو أن هؤلاء الذين ظنوا بربهم أنه لا يعلم كثيراً مما يعملون يظنون أن الله لا يؤاخذ على الجريمة لما هو عليه من الصفح والتجاوز وتحجبهم جمعيتهم على هذا عن بطشه تعالى وشديد عقابه لم يؤاخذهم فإن ظنهم أنما تعلق بممكن وأما هممة الحقيقة التي هي جمع الهمم بصفاء الإلهام فتلك همم الشيوخ الأكابر من أهل الله الذين جمعوا همهم على الحق وصبروها واحدة لا حدية المتعلقة هرباً من الكثرة وطلباً لتوحيد الكثرة أو للتوحيد فإن العارفين أنفوا من الكثرة لا من أحديتها في الصفات كانت أو في النسب أو في الاسماء وهم متميزون في ذلك أي هم على طبقات مختلفة وأن الله يعاملهم بحسب ما هم عليه لا يردهم عن ذلك أذ لكل مقام وجه إلى الحق وأنما يفعل ذلك لتمييز الكثير الاختصاص بالله الذي أصطنعه الله لنفسه من عباد الله عن غيره من العبيد فإن الله أنزل العالم بحسب المراتب لتعمير المراتب فلو لم يقع التفاضل في العالم لكان بعض المراتب معطلاً غير عامر وما في الوجود شيء معطل بل هو معمور كله فلا بد لكل مرتبة من عامر يكون حكمه بحسب مرتبته ولذلك فضل العالم بعضه بعضاً وأصله في الأهلين الاسماء الألهية أين أحاطة العالم من أحاطة المريد من أحاطة القادر فتميز العالم عن المريد والمريد عن القادر بمرتبة المتعلق فالعالم أعم أحاطة فقد زاد وفضل على المريد والقادر بشيء لا يكون للمريد ولا للقادر من حيث أنه مريد وقادر فإنه يعلم نفسه تعالى ولا يتصف بالقدرة على نفسه ولا بالأرادة لوجوده أذ من حقيقة الإرادة أن لا تتعلق ألا بمعدوم والله موجود ومن شأن القدرة أن لا تتعلق ألا بممكن أو واجب بالغير وهو واجب الوجود لنفسه فمن هناك ظهر

التفاضل في العالم لتفاضل المراتب فلا بد من تفاضل العامرين لها فلا بد من التفاضل في العالم أذ هو العامر لها الظاهر بها وهذا مما لا

يدرك كشقاب أدرأكه بصفاء الأهام فيكشف المكاشف عمارة المراتب بكشفه للعامرين لها ولا يعلم التفاضل ألا بصفاء الأهام
الألهي فقد نبهناك على معرفة الهمة بكلام مبسوط في أيجاز فأفهم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الموفي ثلاثين ومائتان في الغربة

تغرب عن الأوطان والحال والحق
عساك تحوز الأمر في مقعد الصدق
وكن نافذاً في كل أمر تزومه
ولا تدهشن أن جاءك الحق بالحق
ولولا وجود الفتق في الأرض والسما
لما دارت الأفلاك من شدة الرتق
كذاك سموات العقول وأرضها
وأعني بها الطبع المؤثر في الخلق
فدارت بأفلاك القوى ثم أبرزت
معارفها للسامعين من النطق

أعلم أن الغربة عند الطائفة يطلقونها ويريدون بها مفارقة الوطن في طلب المقصود ويطلقونها في أغتراب الحال فيقولون في الغربة
الأغتراب عن الحال من النفوذ فيه والغربة عن الحق غربة عن المعرفة من الدهش أما غربتهم عن الأوطان بمفارقتهم إياها فهو لما
عندهم من الركون إلى المألوفات فيحببهم ذلك عن مقصودهم الذي طلبوه بالتوبة وأعطتهم البيضة وهم غير عارفين بوجه الحق في
الأشياء فيتخيّلون أن مقصودهم لا يحصل لهم ألا بمفارقة الوطن وأن الحق خارج عن أوطانهم كما فعل أبو يزيد البسطامي لما كان
في هذا المقام خرج من بسطام في طلب الحق فوقع به رجل من رجال الله في طريقه فقال له يا أبا يزيد ما أخرجك عن وطنك قال
طلب الحق قال له الرجل أن الذي تطلبه قد تركته ببسطام فتنبه أبو يزيد ورجع إلى بسطام ولزم الخدمة حتى فتح له فكان منه ما
كان فهو لاء هم السائحون فجعل الله سياحه هذه الأمة الجهاد في سبيل الله وأعلم أن هذا الأمر ليس بأختيار العبد وإنما صاحب هذا
الأمر يطلب وجود قلبه مع ربه في حاله فإذا لم يجده في موضع يقول ربما أن الله تعالى لم يقدر أن يظهر إلى قلبي في هذا الموضع
فيرحل عنه رجاء الحصول لما علم أن الله تعالى قد رتب أموراً وأقتضى علمه أزلاً أنه لا يكون كذا إلا بموضع كذا وبطابع كذا
وبسبب كذا فلما حكم عليه هذا الامكان وفقد قلبه في بعض المواطن عن وجود متقدم أولاً عن وجود رحل عن ذلك الموطن رجاء
حصول البغية هذا سبب أغترابهم عن الأوطان وأمثاله فإن بعضهم قد يفارق وطنه لما كان فيه من العزة فإذا رأى أنه قد زاد عزاً
بالزهد والتوبة أو لم يكن مذكوراً فأشتهر بالتوبة والخير فأورثه عزاً في قلوب الناس فوقع الأقبال عليه بالتعظيم فيفرو يغترب عن
وطنه إلى مكان لا يعرف فيه لمعرفته بنفسه مع ربه فإن تعظيم الناس للشخص سم قاتل مؤثر فيه أثراً يؤديه إلى الهلاك وهذا أيضاً من
الأسباب المؤدية إلى مفارقة الموطن والأغتراب عن الأهل فحيث وجد قلبه مع الله أقام أخبرني شيعي أبو الحسين ابن الصائغ الزاهد
الحدث بسببته قال سمعت شيخنا أبا عبد الله محمد بن رزق رحمه الله في سياحة كنا معه فيها أقرأ عليه بعض أجزاء الحديث وكان
صاحب رواية يقول مررت في سياحتي بمسجد خراب في فلاة من الأرض فقلت أدخل أركع فيه ركعتين فدخلته فوجدت قلبي
فقعدت فيه سنتين فأين زمان ركعتين من سنتين فمطلوبهم بالغربة عن الأوطان وجود القلب مع الله فحيثما وجدوه قاموا في ذلك
الموضع قال بعضهم كنت ماراً إلى مكة فرأيت في الطريق شاباً تحت شجرة وهو يصلي في البرية وحده فقلت له ألا تمشي إلى مكة

فقال لي كنت أسير إلى مكة عام أول فلما مررت بهذه الشجرة وجدت قلبي فلي هنا سنة لا أبرح من هذا الموضع ألا أن فقدت قلبي قال فبعد سنة مررت بذلك الموضع وبتلك الشجرة فلم أجد الشاب فمشيت غير بعيد فإذا بالشاب قائم يصلي فسلمت عليه فعرفني فقلت له رأيك قد تركت تلك السمرة فقال لي لما فقدت قلبي أخذت في طريقي الذي نويت أولاً أريد مكة فإنتهيت إلى هذا الموضع فوجدت قلبي فإنا به أيضاً مقيم فقلت له من أين طعامك وشرابك قال من عنده يجيئني به في الوقت الذي يريد أن يغذيني قال فتركته وأنصرفت وما أدري ما أنتهى إليه أمره بعد ذلك فقد يطلبون بالغربة وجود قلوبهم مع الله وأما غربة العارفين عن أوطانهم فهي مفارقتهم لأماكنهم فإن الممكن وطنه الأمكان فيكشف له أنه الحق والحق ليس وطنه الأمكان فيفارق الممكن وطن أمكانه لهذا الشهود ولما كان الممكن في وطنه الذي هو العدم مع ثبوت عينه سمع قول الحق له كن فسارع إلى الوجود فكان ليرى موجدته فأعترب عن وطنه الذي هو العدم رغبة في شهود من قال له كن فلما فتح عينه أشهده الحق أشكاله من المحدثات ولم يشهد الحق الذي سارع إلى الوجود من أجله وفي هذه الحال قلت

حننت إلى الأوطان حن الركائب

إذا ما بدا الكون الغريب لناظري

يقول فأردت الرجوع إلى العدم فإني أقرب إلى الحق في حال أتصافي بالعدم مني إليه في حال أتصافي بالوجود لما في الوجود من الدعوى وطلب حالة الفناء عن الحق للبقاء بالحق هو أن يرجع إلى حالة العدم التي كان عليها فهذه غربة أيضاً موجودة واقعة عن وطن بغير اختيار العبد ومن غربة العارفين بالله غربتهم عن صفاتهم عند وجودهم الحق عين صفاتهم وهذه غربة حقيقية فإن الصفة مضافة إليهم بكلام الله وهو الصادق فهم أهل صفة ولكن ما هي تلك الصفة وإلى من تضاف حقيقة فإن العالم يضاف إلى الله بأنه عبد الله كما أن الله مضاف إلى العالم فإنه رب العالمين فأضافة العبد مستندة إلى أضافة الحق فأول غربة أغتربناها وجوداً حسياً عن وطننا غربتنا عن وطن القبضة عند الأشهاد بالربوبية لله علينا ثم عمرنا بطون الأمهات فكانت الأرحام وطننا فأغتربنا عنها بالولادة فكانت الدنيا وطننا وأتخذنا فيها أوطاناً فأغتربنا عنها بحالة تسمى سفراً وسياحة إلى أن أغتربنا عنها بالكلية إلى موطن يسمى البرزخ فعمرنا مدة الموت فكان وطننا ثم أغتربنا عنه بالبعث إلى أرض الساهرة فمنا من جعلها وطناً أعني القيامة ومنا من لم يجعله وطناً فإنه ظرف زمني والأنسان في تلك الأرض كالماشي في سفره بين المنزلتين ويتخذ بعد ذلك أحد المواطنين أما الجنة وأما النار فلا يخرج بعد ذلك ولا يغترب وهذه هي آخر الأوطان التي يترها الأنسان ليس بعدها وطن مع البقاء الأبدي وأما قولهم في الغربة أنها الأغتراب عن الحال من النفوذ فيه فتلك غربة أخرى وذلك أن أصحاب الأحوال لا شك أن لهم النفوذ والتحكم وبها يكون خرق العوائد لهم المشهورة في العالم فإذا أطلعوا على أن الحال لا أثر له فيما ظهر له من الفعل عند قيامه بهم فيما أعطاه الكشف لم يرضوا به فأغتربوا عنه وقالوا الوقوف معه وبال على صاحبه فيرون أن الغربة عنه غاية السعادة وأنه من أعظم حجاب يحجب به الأنسان وأنه موضع المكر والأستدراج فإن العاقل لا يقف في موطن أمكان المكر فيها بل ينبغي له أن يقف ألا في موضع يكون على بصيرة فيه كما فعل موسى في غربة الوطن ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين فأغترب بجسمه عن وطنه خوفاً منهم فلو كان مثل خروج محمد صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة مهاجراً لم يكن خوفه منهم بل كان مشهوده خوفه من الله أن يسلطهم عليه فوهب له مع الرسالة التي كانت له قبل هجرته السيادة على العالمين فإن الهجرة كانت له مطلوبة وهي

الأغتراب عن وطنه فعلامة صدق المرید فی غربته عن وطنه حصول مقصوده فإذا لم يحصل فخلل فی غربته إذا طلبه وجده فلیس بصادق وإذا فارقه بالكلية ظاهراً وباطناً فلا بد من حصول المقصود فمن تعلق قلبه بوطنه فی حال غربته فما أغترب الغربة المطلوبة وأما الغربة عن الحق التي هي من حقيقة الدهش عن المعرفة فاعلم أن الأمكان موطنه غير موطن الوجوب بل هما موطنان للواجب والممكن وموطن الممكن العدم أولاً وهو موطنه الحقيقي فإذا أتصف بالوجود فقد أغترب عن وطنه بلا شك وكان فی حال سكناه فی وطنه مشاهداً للحق فإنه جار له أذ وصف العدم له أولاً وصف الوجود لله أولاً فأغترب عن وطنه بالوجود ففارق مجاورة الحق ولزم الحدوث بهذه الغربة والحق غير متصف بهذه الصفة ولم يتصف الحق بالحدوث أولاً فی حال عدمه فأغترب عن الحق بحدوثه ولما حصل له الوجود الحادث ووقعت المشاركة فی الوجود بينه وبين الحق دهش فإنه رأى ما لا يعرفه فإنه عرف نفسه متميزاً عن الحق بحال العدم فلما فارق هذا الحال بالوجود أدركه الدهش عن المعرفة الأولى وهذه الغربة حال رجلین رجل لم یأنس بهذا المقام ولا وصل إليه بطريق أستدرج وترق من حال إلى حال بل أنه بغتة فجاءه ما لم یعهده ولا ألفه فرأى نفسه تضعف عن حمله فیخاف من عدم عینه فیدهش عن تحصیل تلك المعرفة یرجع إلى حسه عاجلاً فیتغرب عن الحق فی تلك الرجعة ورأينا من أهل هذا المقام أبا العباس أحمد العصاد المعروف بمصر بالحريري وما رأينا غيره وأما الرجل الآخر فهو رجل ما من معرفة ترد علیه ألا وتدهشه لعظیم ما یرى مما هو أعلى مما حصل له وأمكن فیتغرب عن الحق الذي كان بيده ویحصل من هذه المعرفة حقاً یقوم به إلى وقت تجل آخر یعطي فيه معرفة تدهشه لما ذكرناه فیتغرب أيضاً عن الحق الذي حصل له فی هذه المعرفة دائماً

أبداً دنیا وآخرة وأما العارفون المكملون فلیس عندهم غربة أصلاً وأنهم أعيان ثابتة فی أماكنهم لم یرحوا عن وطنهم ولما كان الحق مرآة لهم ظهرت صورهم فيه ظهور الصور فی المرآة فما هي تلك الصور أعيانهم لكونهم یظهرون بحكم شكل المرآة ولا تلك الصور عين المرآة لأن المرآة ما فی ذاتها تفصیل ما ظهر منهم وما هم فما أغتربوا وأنما هم أهل شهود فی وجود وأنما أضيف إليهم الوجود من أجل حدوث الأحكام أذ لا تظهر إلا من موجود فمرتبة الغربة لیست من منازل الرجال فهي منزلة أدنى یتلها المتوسطون والمريدون وأما الأكابر فما یرون أنه أغترب شيء عن وطنه بل الواجب واجب والممكن ممكن والمحال محال فتعين وطن كل مستوطن ولو قامت غربة بهم لأنقلب الحقائق وعاد الواجب ممكناً والممكن واجباً والمحال ممكناً والأمر ليس كذلك والغربة عند العلماء بالحقائق فی هذا المقام غير موجودة ولا واقعة والله یقول الحق وهو یهدي السبیل

الباب الأحد والثلاثون ومائتان في المكر

من حيث لا یعلمه الماکر
یدري بذاك الفطن الخابر
لیحصل الباطن والظاهر
فیعلم الرابع والخاسر

یستدرج العاقل فی عقله
ومكره عاد علیه وما
فمن أراد الأمن من مكره
یحقق المیزان من شرعه

أعلم أن المكر یطلقه أهل الله على أرداف انعم مع المخالفة وابقاء الحال مع سوء الأدب واطهار الآيات من غير أمر ولا حد واعلم

أنه من المكر عندنا بالعبد أن يرزق العبد العلم الذي يطلب العمل ويحرم العمل به وقد يرزق العمل ويحرم الإخلاص فيه فإذا رأيت هذا من نفسك أو علمته من غيرك فاعلم أن المتصف به مكمور به ولقد رأيت في واقعة أنا ببغداد سنة ثمان وستمائة قد فتحت أبواب السماء ونزلت خزائن المكر الإلهي مثل المطر العام وسمعت ملكاً يقول ماذا نزل الليلة من المكر فاستيقظت مرعوباً ونظرت في السلامة من ذلك فلم أجد لها إلا في العلم بالميزان المشروع فمن أراد الله به خيراً وعصمه من غوائل المكر فلا يضع ميزان الشرع من يده وشهود حاله وهذه حالة المعصوم والحفوظ فأما ارداف النعم مع المخالفة فهو موجود اليوم كثير في المنتمين إلى طريق الله وعانيت من المكمور بهم خلقاً كثيراً لا يحصى عددهم إلا الله وهو أمر عام وأما ابقاء الحال مع سوء الأدب فهو في أصحاب الهمم وهم قليلون على إنا رأينا منهم جماعة بالمغرب وبهذه البلاد وهو أنهم لو لم يكونوا على حق في ذلك لتغير عليهم الحال نعوذ بالله من مكره الخفي قال تعالى "سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملئهم من كيدي متين" وقال "ومكرنا مكرًا وهم لا يشعرون" وقال إنهم يكيدون كيداً وأكد كيداً وهو من كاد من أفعال المقاربة أي كاد أن يكون حقاً لظهوره بصفة حق فهو كالسحر المشتق من السحر الذي له وجه إلى الليل ووجه إلى النهار فيظهر للمكمور به وجه النهار منه فيتخيل أنه الحق نعوذ بالله من الجهل واعلم أن المكر الإلهي إنما أخفاه الله عن المكمور بخاصة لا عن غير المكمور به ولهذا قال من حيث لا يعلمون فأعاد الضمير على المضممر في سنستدرجهم وقال ومكروا مكرًا ومكرنا مكرًا وهم لا يشعرون فمضمهرهم هو المضممر في مكروا فكان مكر الله بهؤلاء عين مكرهم الذي اتصفوا به وهم لا يشعرون ثم قد يمكر بهم بأمر زائد على مكرهم فإنه أرسله سبحانه نكرة فقال ومكرنا مكرًا فدخل فيه عين نكرهم ومكر آخر زائد على مكرهم وقد يكون المكر الإلهي في حق بعض الناس من المكمور بهم يعطى الشقاء وهو في العامة وقد يكون يعطى نقصان الحظ وهو المكر بالخاصة وخاصة الخاصة لسر إلهي وهو أن لا يأمن أحد مكر الله لما ورد في ذلك من الذم الإلهي في قوله "فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ومن خسر فما ربح تجارتهم وما كانوا مهتدين" فأخفى المكر الإلهي وأشد سترًا في المتأولين ولا سيما أن كانوا من أهل الإجتهد وممن يعتقد أن كل مجتهد مصيب وكل من لا يدعوا إلى الله على بصيرة وعلم قطعي فما هو صاحب اتباع لأن المجتهد مشرع ما هو متبع الأعلى مذهبنا فإن المجتهد إنما يجتهد في كلب الدليل على الحكم لا في استنباط الحكم من الخبر بتأويل يمكن أن يكون المقصود خلافه فإذا أمكن فليس صاحبه ممن هو على بصيرة وإن صادف الحق بالتأويل فكان صاحب أجرين بحكم الاتفاق لا بحكم القصد فإنه ليس على بصيرة وإن لم يصادف الحق كان له أجر طلب الحق فنقص حظه فهذا مكر إلهي خفي بهذا العالم المتأول فإنه من المتأهلين أن يدعو إلى الله على بصيرة بتعليم الله إياه إذا كان من المتقين فمكر العموم الإلهي في ارداف النعم على أثر المخالفات وزوالها عند الموافقات فلا يؤخذ بها فإن كان من علماء عامة الطريق فيرى أن ذلك من حكم قوة الصورة التي خلق عليها فيدعى القهر والتأثير في الحكم الإلهي بالوعيد ويرى أن عموم الحكمة أن يعطى الاسماء الإلهية حقها فيرى أن الاسم الغفار والغفور وإخواته ليس له حكم إلا في المخالفة فإن لم تقم به مخالفات لم يعط بعض الاسماء الإلهية حقها في هذه الدار ويحتج لنفسه بقول الله يا عبادي الذي أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله "أن الله يغفر الذنوب جميعاً" كذلك يفعل وهذا النظر كله لا يخطر له عند المخالفة وإنما يخطر له ذلك بعد وقوع المخالفة فلو تقدمها هذا الخاطر لمنع من المخالفة فإنه شهود والشهود بمنعه من انتهاك الحرمة الشرعية ولهذا ورد الخبر إذا أراد الله انفاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم حتى إذا أمضى فيهم قضاءه وقدره ردها عليهم ليعتبروا فمنهم من يعتبر ومنهم من لا يعتبر كما قال "وما خلقت الجن واطفئس إلا ليعبدون" من عبده ومنهم من أشرك به فما يلزم نفوذ حكم العلة

في كل معلول فلو أبقى عليهم عقلمهم ما وقع منهم ما وقع كذلك لو كان المشهود له عند إرادة وقوع المخالفة للأسماء الإلهية لمنعه الحياء من المسمى أن ينتهك حرمة خطابه في دار تكليفه فالمخالف يقاوم القهر الإلهي ومن قام القهر الإلهي هلك فإذا أردف النعم على من هذه حالته نخيل أن ذلك بقوة نفسه ونفوذ همته وعناية الله به حيث رزقه من القوة ما أثر بها في الشديد العقاب وغاب عن الحليم وعن الأمهال وعدم الإهمال فإن لم يقصد انتهاك الحرمة بقوة ما هو عليه من حم إسم إلهي فليس بممكور به مثل عصاة العامة عن غفلة وندامة بعد وقوع مخالفة فالصبر على ارداف النعم لما في طيها من المكر الإلهي أعظم من الصبر على الرزايا والبلايا فإن الله يقول لعبده مرضت فلم تعدني ثم قال في تفسير ذلك أما أن فلانا مرض فلم تعده فلو عدته لوجدتني عنده كما يجده الظمان المضطر عند ما يسفر له السراب عن عدم الماء فيرجع إلى الله بخلاف النعم فإنها أعظم حجاب عن الله إلا من وفقه الله وأما مكر الله بالخاصة فهو مستور في ابقاء الحال عليه مع سوء الأدب الواقع منه وهو التلذذ بالحال والوقوف معه وما يورث من الادلال فيمن قام به والمهجوم على الله وعدم طلب الإنتقاء منه وما قال الله لنبيه "وقل ربي زدني علماً" وما أسمعنا ذلك إلا تنبيهاً لنقول ذلك ونطلبه من الله ولو كان خصوصاً بالنبي لم يسمعنا أو كان يذكر أنه خاص به كما قال في نكاح الهبة فللحال لذة وحلاوة في النفس يعسر على بعض النفوس طلب الإنتقال من الأمر الذي أورثه ذلك الحال بل لا يطلب المزيد إلا منه وجهل أن الأحوال مواهب وأما المكر الذي في خصوص الخصوص وهو في اظهار الآيات وخرق العوائد من غير أمر ولا حد الذي هو ميزانها فإنه لما وجب على الأولياء سترها كما وجب في الرسل اظهارها إذا مكن الولي منها وأعطى عين التحكيم في العالم يطلب الممكور به لنقص حظ عن درجة غيره يريد الحق ذلك به وجعل فيهم طلباً لطريق اظهارها من حيث لا يشعرون أن ذلك مكر إلهي يؤدي إلى نقص حظ فوقع الإلهام في النفس بما في اظهار الآيات على أيديهم من انقياد الخلق إلى الله عز وجل وانقاذ الغرقى من بحار الذنوب المهلكة وأخذهم عن المألوفات وإن ذلك من أكبر ما يدعي به إلى الله ولهذا كان من نعت الأنبياء والرسل ويرى في نفسه أنه من الورثة وإن هذا من ورث الأحوال فيحجبهم ذلك عما أوجب الله على الأولياء من ستر هذه الآيات مع قوتهم عليها وغييبهم عن ما أوجب الله على الرسل من اظهارها لكونهم مأمورين بالدعاء إلى الله ابتداء والولي ليس كذلك إنما يدعو إلى الله بحكاية دعوة الرسول ولسانه لا بلسان يحدثه كما يحدث لرسول آخر والشرع مقرر من عند العلم به فالرسول على بصيرة في الدعاء إلى الله بما أعلمه الله من الأحكام المشروعة والولي على بصيرة في الدعاء إلى الله بحكم الإلتباع لا بحكم التشريع فلا يحتاج إلى آية ولا تنبيه فإنه لو قال ما يخالف حكم الرسول لم يتبع في ذلك ولا كان على بصيرة فلا فائدة لإظهار الآية بخلاف الرسول فإنه ينشئ التشريع وينسخ بعض شرع مقرر على يد غيره من لرسول فلا بد من اظهار آية وعلامة تكون دليلاً على صدقه أنه يخبر عن الله إزالة ما قرره الله حكماً على لسان رسول آخر اعلماً بانتهاء مدة الحكم في تلك المسئلة فيكون الولي مع خصوصيته قد ترك واجباً فنقصه من مرتبته ما يعطيه الوقوف مع ذلك الواجب والعمل به فلا شئ أضر بالعبد من التأويل في الأشياء فالله يجعلنا على بصيرة من أمرنا ولا يتعدى بنا ما ينقضيه مقامنا والذي أسأل الله تعالى أن يرزقنا أعلى مقام عنده يكون لأعلى ولي فإن باب الرسالة والنبوة مغلق وينبغي للعالم أنه لا يسأل في الحال وبعد الأخبار الإلهي يغلق هذا الباب فلا ينبغي أن نسأل فيه فإن السائل فيه يضرب في حديد بارد إذ لا يصدر هذا السؤال من مؤمن أصلاً قد عرف هذا ويكفي الولي من الله أن جعله على بصيرة في الدعاء إلى الله تعالى من حيث ما يقتضيه مقام الولاية والإلتباع كما جعل الرسول يدعو إلى الله على بصيرة من حيث ما يقتضيه مقام الرسالة والتشريع ويعصمنا من مكره ولا يجعلنا من أهل النقص ويرزقنا المزيد والترقي دنيا وآخرة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الثاني والثلاثون ومائتان في مقام الإصطلام

للإصطلام على القلوب تحكم

وله على كل النعوت تقدم

يعطى التحير في العقول وجوده

وهو السبيل من الأله إلا قوم

لوله ما عرف الإله ولا درت

الباب أهل الله أين هم هم

الإصطلام في اصطلاح القوم وله يرد على القلب سلطانه قوي فيسكن من قام به تحته وهو أن العبد إذا تجلى له الحق سره في صورة الجمال أثر في نفسه هيبه فإن الجمال نعت الحق تعالى والهيبة نعت العبد والجمال نعت الحق والإنس نعت العبد فإذا اتصف العبد بالهيبة فيخاف لذلك سطوته فيسكن وعلامته فيه في الظاهر خدر الجوارح وموتها فإن تحرك من هذه صفته فحركته دورية حتى لا يزول عن موضعه فإنه يخيل إليه أن تلك النار محيطه به من جميع الجهات فلا يجد منفذا فيدور في موضعه كأنه يريد الفرار منه إلى أن يخف ذلك عنه بنعت آخر يقوم به وهو حال ليس هو مقام ولما كان هذا الإصطلام نعت الشبلي كان يدور لضعفه وخوفه غير أن الله كانت له عناية منه فكان يرده إلى احساسه في أوقات الصلوات فإذا أدى صلاة الوقت غلب عليه حال الإصطلام بسلطانه فقبل الجنيد لسان ذنب فإنه أخيد وقته فليس بصاحب ذنب والغريب يشهده تاركاً للصلاة ومن أعجب حكم الإصطلام الجمع بين الضدين فإن الخدر ينفي الحركة فهو مخدور الجوارح بل هو محرك يدار به هو صاحب خدر هكذا يحسه من نفسه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الثالث والثلاثون ومائتان في الرغبة

رغبت عنه وفيه

من أجل ما يقتضيه

مقام من هو مثلي

في كل كا يرتضيه

الله سيف حسام

للكل إذ ينتضيه

الرغبة في اصطلاح القوم على ثلاثة أنحاء رغبة محلها النفس متعلقها الثواب ورغبة محلها القلب متعلقها الحقيقة ورغبة محلها السر متعلقها الحق فأما الرغبة النفسية فلا تكون إلا في العامة وفي الكمل من رجال الله ليعلمهم بأن الإنسان مجموع أموراً نشأ الله عليها طبيعية وروحانية وإلهية فعلم أن فيه من يطلب ثواب ما وعد الله به فرغب فيه له اثباتاً للحكم الإلهي وأما العامة فلا علم لها بذلك فيشترك الكمال والعامي في صورة الرغبة ويتميز في البعث كل واحد عن صاحبه كالخوف يوم الفزع الأكبر يشترك فيه الرسل عليهم السلام وهم أعلى الطوائف والعوام وهم المذنبون والعصاة فالرسل عليهم السلام خوفاً على أممها لا على أنفسهم فإنهم الآمنون في ذلك الوطن والعامة تخاف على نفوسها فيشتركان في الخوف ويفترقان في السبب الموجب له كان بعض الكمل قد برد ماء في الكوز ليشربه فنام فرأى في الواقعة المبشرة حواراء من أحسن ما يكون من الحور العين قد أقبلت فقال لها لمن أنت فقالت لمن لا يشرب الماء المبرد في الكيزان ثم تناولت الكوز وهو ينظر إليها فكسرتة فكانت له فلما استيقظ وجد الكوز مكسور افترق خزفه في موضعه لم يرفعه حتى عفى عليه التراب تذكرة له فعلم أن فيه من يطلب ربه وفيه ن يطلب تلك الجارية ولذلك استفهمها فأعطى

كل ذي حق حقه فلم يكن ظلوماً لنفسه فإن من المصطفين من عباد الله من يكون ظالماً لنفسه أي من أجل نفسه يظلم نفسه بأنه لا يوفيهما حقها لتروله وفي العلم عن رتبة من يعلم أن حقائقه التي هو عليها لا تتداخل ولا تتعدى كل حقيقة مرتبتها ولا تقبل إلا مايليق بها فلا تقبل العين إلا السهر والنوم وما يختص بها ولا تقبل من الثواب إلا المشاهدة والرؤية والأذن لا تقبل في الثواب إلا الخطاب أذ ليس الشهود للسمع والكامل يسعى لقواه على قدر ما تطلبه وهو أمام ناصح لرعيته ليس بغاش لها فإن ظلمها فإنما يظلمها لها في زعمه وذلك لجهله بما علم غيره من ذلك كسلمان الفارسي وأخيه في الله أبي الدرداء في حالهما فرجح رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان فإنه كان يعطي كل ذي حق حقه فيصوم ويفطر ويقوم وينام وكان أبو الدرداء مع كونه مصطفى لنفسه يصوم فلا يفطر ويقوم فلا ينام وأما الرغبة القلبية في الحقيقة فإن الحقيقة في الوجود التلويح والتمكن في التلويح هو صاحب التمكين ما هو المقابل للتلويح لأن الحقيقة تعطي أن يكون الأمر هكذا لأن الله كل يوم في شأن فهو في التلويح فهذا القلب يرغب في شهود هذه الحقيقة وجعل الله محلها القلب ليقرب على الإنسان تحصيلها لما في القلب من التقلب ولم يجعلها في العقل لما في العقل من التقييد فرمى أنه يثبت على حالة واحدة لو كانت هذه الرغبة في العقل بخلاف كونها في القلب فإنه يسرع إليه التقلب فإنه بين أصابع الرحمن فلا يبقى على حالة واحدة في نفس الأمر فيثبت على تقلبيه في أحواله بحسب شهوده وما يقبله الأصابع فيه وأما الرغبة السرية التي متعلقها الحق فنحن بالحق هنا ما يظهر للخلق في الأعمال المشروعة فيرغب السر في هذا الحق لما يندرج في ذلك أو يظهر به من المعارف الأهلية التي تتضمنها الأحكام المشروعة ولا تكشف ألا بالعمل بها فإن الظاهر أقوى من الباطن حكماً أي هو أعم لأن الظاهر له مقام الخلق والحق والباطن له مقام الحق بلا خلق إذا خلق لا يطن عن نفسه وهو ظاهر لنفسه فمن علم ذلك رغب سره في الحق فإن الله ربط العالم به وأخبر عن نفسه أن له نسبتين نسبة إلى العالم بالاسماء الأهلية المثبتة أعيان العالم ونسبة غناه عنه فمن نسبة غناه عنه يعلم نفسه ولا نعلمه فلم يطن عن نفسه ومن نسبة ارتباط العالم به للدلالة عليه علم أيضاً نفسه وعلمناه فعم الظاهر النسبتين فكان أقوى في الحكم من الباطن فرغب السر في الحق لعلمه بأن مدرك نسبة الغني لا يدركها ألا هو فقطع يأسه وأراح نفسه وطلب ما ينبغي له أن يطلب فنفيخ في ضرم ولم يكن لحماً على وضم جعلنا الله ممن رأى الحق حقاً فأتبعه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الرابع والثلاثون ومائتان في الرهبة

ومن وعيد لصدق المخبر الصادق

فالراهب الخائف المسارع السابق

الرهبة الخوف من سبق وتقلب

دل الدليل عليه من مضايقة

سير المرتب وسير الواله العاشق

يخاف في سيره من فجأة الطارق

يسير في ظلمة عمياء غاسقة

يسرى بهيمته خوفاً فتبصره

الرهبة عند القوم تقال بأزاء ثلاثة أوجه رهبة من تحقيق الوعيد ورهبة من تقلب العلم ورهبة من تحقيق أمر السبق فالأول إذا جاء الوعيد بطريق الخبر والخبر لا يدخله النسخ فهو ثابت والثاني تقلب العلم فيمحو الله ما يشاء ويثبت والثالث ما يبذل القول لدي

وأما الرهبة المطلقة من غير تقييد بأمر ما معين فهي كل خوف يكون بالعبد حذراً أن لا يقوم بحدود ما شرع له سواء كان حكماً مشروعاً ألهياً أو حكماً حكماً كما قال تعالى ورهبانية ابتدعوها أي هم شرعوها لأنفسهم ما أوجبنها عليهم ابتداء فأعتبرها الحق وآخذهم بعدم مراعاتها فما كتبها الله عليهم ألا أبتغاء رضوان الله فأتى على المراعين لها ليحسن القصد والنية في ذلك وفي الكلام تقديم وتأخير كأنه يقول فما رعوها حق رعايتها ألا أبتغاء رضوان الله يعني المراعين لها وفي شرعنا من هذه الرهبانية من سن سنة حسنة وهذا هو عين الابتداء ولما جمع عمر بن الخطاب الناس على أبي في قيام رمضان قال نعمت البدعة هذه فسمها بدعة ومشى السنة على ذلك إلى يومنا هذا فلما أقرن بالأعمال المشروعة وجوب القيام بحقها كالنذر خاف المكلف فقامت الرهبة به فأدته إلى مراعاة الحدود فسمى راهباً وسميت الشريعة رهبانية ومدح الله الرهبان في كتابه فمن الناس من علق رهبته بالوعيد فخاف من نفوذه كالمعتزلي القائل بأنفاد الوعيد فيمن مات عن غير توبة فاعلم أن هنا نكتة أنبهك عليها وذلك أنه من المحال أن يأتي مؤمن بمعصية توعده الله عليها فيفرغ منها ألا ويجد في نفسه الندم على ما وقع منه وقد قال صلى الله عليه وسلم الندم توبة وقد قام به الندم فهو تائب فسقط حكم الوعيد لحصول الندم فإنه لا بد للمؤمن أن يكره المخالفة ولا يرضى بها وهو في حال عمله إياها فهو من كونه كارهاً لها مؤمن بأنها معصية ذو عمل صالح وهو من كونه فاعلاً لها ذو عمل سيء فغايتة أن يكون من الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً فقال تعالى عقيب هذا القول عسى الله أن يتوب عليهم وعسى من الله واجبة ورجوعه عليهم إنما هو بالمغفرة ويرزقهم الندم عليها والندم توبة فإذا ندموا حصلت توبة الله عليه فهو ذو عمل صالح من ثلاثة أوجه الإيمان بكونها معصية وكرهته لوقوعها منه والندم عليها وهو ذو عمل سيء من وجه واحد وهو ارتكابه إياها ومع هذا الندم فإن الرهبة تحكم عليه سواء كان عالماً بما قلناه أو غير عالم فإنه يخاف وقوع مكروه آخر منه ولو مات على تلك التوبة فإن الرهبة لا تفارقه وينتقل تعلقها من نفوذ الوعيد إلى العتاب الألهي والتقرير عند السؤال على ما وقع منه فلا يزال مستشعراً وهو نوع من أنواع الوعيد فإن الله يقول فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره فلا بد أن يوقف عليه فهو يرهب من هذا التوبيخ برؤية ذلك العمل القبيح الذي لا بد له من رؤيته ولم يتعرض الحق في هذه الآية للمؤاخظة به فالرؤية لا بد منها فإن كان ممن غفر له يرى عظيم ما جنى وعظيم نعمة الله عليه بالمغفرة هذا يعطيه الخبر الألهي الصدق الذي لا يدخله الكذب فإنه محال على الجناب الألهي فإن نظر العالم إلى أن خطاب الحق لعباده إنما يكون بحسب ما تواطوا عليه وهذا خطاب عربي لسائر العرب بلسان ما أصطلحوا عليه من الأمور التي يتمدحون بها في عرفهم ومن الأمور التي يذمونها في عرفهم فعند العرب من مكارم الأخلاق أن الكريم إذا وعد وفا وإذا أوعد تجاوز وعفا وهي من مكارم أخلاقهم ومما يمدحون بها الكريم ونزل الوعيد عليهم بما هو في عرفهم لم يتعرض في ذلك لما تعطيه الأدلة العقلية من عدم النسخ لبعض الأخبار ولأستحالة الكذب بل المقصود أتيان مكارم الأخلاق قال شاعرهم

وأني إذا أوعدته أو وعدته

لمخلف أيعادي ومنجز مواعيدي

مدح نفسه بالعفو والتجاوز عمن جنى عليه بما أوعد على ذلك من العقوبة بالعفو والصفح ومدح نفسه بأنجاز ما وعد به من الخير يقال في اللسان وعدته في الخير والشر ولا يقال أوعدته بالهزم ألا في الشر خاصة والله يقول "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه" أي بما تواطوا عليه والتجاوز والعفو عند العرب مما تواطوا على الثناء به على من ظهر منه فالله أولى بهذه الصفة فقد عرفنا الله أن

وعيده ينفذه فيمن شاء ويغفر لمن شاء ومع هذه الوجوه فلا يتمكن زوال الرهبة من قلب العبد من نفوذ الوعيد لأنه لا يدري هل هو ممن يؤاخذ أو ممن يعفى عنه وقد قدمنا ما يجده المخالف عقيب المخالفة من الندم على ما وقع منه وهو عين التوبة فالحمد لله الذي جعل الندم توبة ووصف نفسه تعالى بأنه التواب الرحيم أي الذي يرجع على عباده في كل مخالفة بالرحمة له فيرزقه الندم عليها فيتوب العبد بتوبة الله عليه لقوله ثم تاب عليهم ليتوبوا أن الله هم التواب الرحيم وأما الرهبة الثانية التي هي لتحقيق تقليب العلم فيخاف من عدم علمه بعلم الله فيه هل هو ممن يستبدل أم لا قال تعالى "وأن تتولوا يستبدل قوماً غيركم" ثم لا يكونوا أمثالكم فقد أعطي السبب وهو التولي وقد أعطي العلامة وهو عدم التولي عن الذكر لا عن الله فإن التولي عن الله لا يصح ولهذا قال لنبيه "فأعرض عمن تولى عن ذكرنا" كيف يتولى عمن هو بالمرصاد والكل في قبضته وبعينه ولما كان مشهده تقليب العلم بتقليب المعلوم فإن العلم يتعلق به بحسب ما هو عليه فتغير التعلق لتغير المتعلق لا لتغير العلم فرهبته من تقليب العلم عين رهبته مما يقع منه فإن العلم لا حكم له في التقليب على الحقيقة وأما التقليب لموجد عين الفعل الذي يوقع الرهبة في القلب وهو كونه قادراً ويتعلق العلم بذلك الانقلاب والمنقلب إليه قال تعالى "ولنبلونكم حتى نعلم" أي إذا ظهر منكم عند الأبتلاء بالتكليف ما يكون منكم من مخالفة أو طاعة يتعلق العلم مني عند ذلك به كان ما كان وحضرة تقليب العلم قوله "يمحو الله ما يشاء ويثبت" فذكر الحو بعد الكتابة ويثبت ما شاء مما كتبه وعنده أم الكتاب وهي السابقة التي لا تبدل ولا تمحي فلما علم عز وجل ما يمحو من ذلك بعد كتابته وما يثبت أضيف التقليب إلى العلم والتحقيق ما ذكرناه من تغيير التعلق وعدم التقليب في العلم وأما قوله تعالى علم الله أنكم كنتم تحتانون أنفسكم فما أراد هنا تعلق علمه تعالى بأنهم يحتانون أنفسهم وأما المستقبل هنا بمعنى الماضي فإن اللسان العربي يجيء فيه المستقبل بينة الماضي إذ كان متحققاً كقوله تعالى "أتى أمر الله فلا تستعجلوه" وشبهه وقد كان الحق كلفهم قبل هذا التعريف أن لا يياشر الصائم أمراته ليلة صومه فمنهم من تعدى حد الله في ذلك فلما علم الله ذلك عفا عمن وقع منه ذلك وأحل له الجماع ليلة صومه ألا أن يكون معتكفاً في المسجد فما خفف عنهم حتى وقع منهم ذلك ومن من شأنه مثل هذا الواقع فإنه لا يزال يتوقع منه مثله فأبيح له رحمة به حتى إذا وقع منه ذلك كان حلالاً له ومباحاً وتزول عنه صفة الخيانة فإن الدين أمانة عند المكلف وأما الرهبة لتحقيق أمر السبق فلقوله تعالى ما يبدل القول لدى وقوله لا تبدل لكلمات الله وأن كان يسوغ في هذه الآية أن كلمات الله عبارة عن الموجودات كما قال في عيسى أنه كلمته ألقاها إلى مريم فنفي أن يكون للموجودات تبدل بل التبديل لله ولا سيما وظاهر الآية يدل على هذا التأويل وهو قوله "فأقم وجهك للدين حنيفاً" فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبدل لكلمات الله أي ليس لهم في ذلك تبدل وهذه بشرى من الله بأن الله ما فطرنا ألا على الأقرار بربوبيته فما يتبدل ذلك الأقرار بما ظهر من الشرك بعد ذلك في بعض الناس لأن الله نفى عنهم أن يكون لهم تبدل في ذلك بل هم على فطرتهم وإليها يعود المشرك يوم القيامة عند تربي الشركاء منهم وإذا لم يضاف التبديل إليهم فهي بشرى في حقهم بمآلهم إلى الرحمة وأن سكنوا النار فبحكم كونها داراً لا كونها دار عذاب وآلام بل يجعلهم الله على مزاج ينعمون به في النار بحيث لو دخلوا الجنة بذلك المزاج تألموا لعدم موافقة مزاجهم لما هي عليه الجنة من الاعتدال فمن حقت عليه كلمة الله بأمر فإنه يعمل في غير معمل ويطمع في غير مطعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن

يعمل بعمل أهل الجنة حتى يقرب منها بعمله فيما يبدو للناس فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار فيدخل النار وكذلك الآخر ثم قال وأما الأعمال بالخواتم فذكر في هذا الحديث لمن هي السابقة وأن الخاتمة هي عين حكم السابقة ولهذا كان بعضهم

يقول أنتم تخافون من الخاتمة وأنا أخاف السابقة وأما سميت سابقة من أجل تقديمها على الخاتمة فهذا معنى موجود لم يظهر حكمه ألا بعد زمان فهو من بعض ما يمكن أن يستند إليه القائل بالكُمون والظهور ولا سيما والشارع قد نبه عليه في الحديث بقوله في عمل أهل النار أعمال السعداء فقال فيما يبدو للناس وكذلك في عمل أهل الجنة أعمال الأشقياء فيما يبدو للناس والذي عندهم وهم فيه في بواطنهم خلاف ما يبدو للناس فعلم الله ذلك منهم فهذا معنى ما ظهر له حكم في الظاهر مع وجوده عندهم والمراؤون من هذا القبيل غير أن هنا بشرى فيما يذهب إليه وذلك أن العلماء قد علموا أن الحكم للسابق فإن اللاحق متأخر عنه ولهذا السابق يحوز قصب السبق وقصب السبق هنا آدم وذريته وقد تجاري غضب الله ورحمته في هذا الشأ وفسبقت رحمته غضبه فحازتنا ثم لحق الغضب فوجدنا في قبضة الرحمة قد حازتنا بالسبق فلم ينفذ للغضب فينا حكم التأييد بل تلبس بنا للمشاهدة بعض تلبس لما جمعنا مجلس واحد أثر فينا بقدر الاستعداد منا لذلك فلما انفصلت الرحمة من الغضب من ذلك المجلس أخذتنا الرحمة بحيازتها أيانا وفارقنا غضب الله فحكمه فينا أعني بني آدم غير مؤيد وفي غيرنا من المخلوقين ما أدري ما حكمه فيهم من الشياطين والله أعلم وصاحب هذا الذوق ما يرهب السابقة فإن رحمة الله لا يخاف منها ألا في دار التكليف فرهبة السابق إنما متعلقها سبق مخصوص لا سبق الرحمة وذلك السابق عرضي ليس بدائم إذا كان سبق شقاوة لأنه ليس له أصل يعضده فإن أصله غضب الله وهو لا حق لا سابق وأما سبق السعادة فما هو عرضي فيزول لأن له أصلاً يعضده ويقويه وهو رحمة الله التي سبقت غضبه ولهذا السابق الجزئي العرضي السعادي يبقى والشقاوي لا يبقى فاعلم ذلك والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الخامس والثلاثون ومائتان في التواجد وهو استدعاء الوجد

أن التواجد لا حال فتحمد	ولا مقام له حكم وسلطان
يزري بصاحبه في كل طائفة	وما له في طريق القوم ميزان
بل ذمه القوم لما كان منقصة	والنقص ما فيه في التحقيق رحجان
وكل ما هو فيه من يقوم به	فإنه كله زور وبهتان

أعلم أن التواجد استدعاء الوجد لأنه تعمل في تحصيل الوجد فإن ظهر على صاحبه بصورة الوجد فهو كاذب وراء منافق لاحظ له في الطريق ولهذا لم تسلمه الطائفة ألا لمن أعلم الجماعة التي يكون فيها أنه متواجد لا صاحب وجد ولا يسلم له ذلك ألا إذا أتفق أن يعطي الحال بقرينته أن يوافق أهل الوجد في حركاتهم عن إشارة من شيخ يكون له حكم في الجماعة أو حرمة عندهم فإن خرج عن هذه الشروط فلا يجوز له أن يقوم متواجداً ولا أن يظهر عليه من ذلك أثر وكل وجد يكون عن تواجد فليس بوجد فإن من حقيقة الوجد أن يأتي على القلب بغتة يفجأ وهو المهجوم على الحقيقة فالوجد كسب فهو له والتواجد تكسب وأكتساب الوجد عن التواجد أكتساب لا كسب وهذه بشرى من الله حيث جعل المخالفة أكتساباً والطاعة كسباً فقال لها يعني للنفس ما كسبت فأوجب لها وقال في الأكتساب وعليها ما أكتسبت فما أوجب لها ألا الآخذ بما أكتسبته فالأكتساب ما هو حق لها فتستحقه

فتستحق الكسب ولا تستحق الأكتساب والحق لا يعامل ألا بالاستحقاق فالعفو من الله يحكم على الأخذ بالجريمة فالتواجد الذي عند أهل الله أظهار صورة وجد من غير وجد على طريق الموافقة لأهل الوجد مع تعريفه لمن حضر أنه ليس بصاحب وجد لا بد من هذا ومع هذا الصدق فتركه أولى لأن مراعاة حق الله أولى من مراعاة الخلق أذ مراعاة الخلق أن لم تكن عن مراعاة مر الحق بها وألا فهي مdahنة والمداهنة نعت مذموم لا ينبغي لأهل الله أن تتصف بشيء لا يكون للحق فيه أمر بوجوب أن كان فعلاً أو يكون لذلك الفعل نعت ألهي في النعوت فتستند إليه فيه ولو كان مذموماً في الخلق فإنه محمود في جانب الحق لظهور الحق به لأمر يقتضيه الحكم فمستنده الألهي قول نوح لقومه إنا نسخر منكم كما تسخرون وقول الله "أنا نسيناكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا" فوصف نفسه بالنسيان ويظهر حكم مثل هذا المقصود من ألحق به هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون فموضع الأستشهاد من هذا الموافقة في الصورة فإنسحب الاسم عليه في الجنب الألهي كما أنسحب عليه في الجنب الكوني ولم يكن الغرض كون ذلك الأمر محموداً أو مذموماً وإنما المراد ظهور الموافقة الألهية فلما رأى أهل الله ظهور الموافقة الألهية ساءحوا في التواجد وأشترطوا التعريف لما يعطيه مقام الصدق الذي عليه أعتماذ القوم فإن قلت فهذه الموافقة الألهية والنبوية أنما وقعت في دارين ومجلسين مختلفين والتواجد في مجلس واحد قلنا صدقت فيما ذكرته في عين ما أستشهدنا به فنحن ما قصدنا ألا الموافقة فإن أردت حصول الأمر من الجانبين في وقت واحد فذلك موجود في مكر الله بالماكرين من حيث لا يشعرون فلا يكون ذلك ألا في الدنيا فإنهم في الآخرة يعرفون أن الله مكر بهم في الدنيا بما بسط لهم فيها مما كان فيه هلاكهم فهنا وقع المكر بهم حيث وقع المكر منهم بل في بعض الوقائع أو أكثرها بل كلها أن عين مكرهم هو مكر الله بهم وهم لا يشعرون ولما دخل عمر بن الخطاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده وأبا بكر يكيان في قضية أسارى بدر فقال لهما عمر بن الخطاب أذكر إلى ما أبكاكما فإن وجدت بكاء بكيت وأن لم أجده تباكيت أي أوافقكما في إرسال الدموع والتباكي كالتواجد أظهار صورة من غير حقيقة فهي صورة بلا روح غير أن لها أصلاً معتبراً ترجع إليه وهو ما ذكرناه فإن قلت فكيف تعطي الحقائق أظهار حكم معنى في الظاهر من غير وجود ذلك المعنى فيمن ظهر عليه حكمه قلنا هذا موجود في الألهيات في قوله ولا يرضى لعباده الكفر وأن تشكروا يرضه لكم والرضى أرادة وقد نفى أن يكون مرضياً عنده فقد نفى أن يكون مراداً له فقد ظهر حكم معنى نفاه الحق عن نفسه فكذلك حكم الوجد في التواجد مع نفى الوجد عنه ولمسئلة الرضى معنى دقيق ذكرناه في كتاب المعرفة وهو جزء لطيف فلينظر هناك وأنما جئنا به هنا صورة لم نذهب به مذهب التحقيق الذي لنا في الأشياء وأنما أخرجناه مخرج البرهان الجدلي الموضوع لدفع حجة الخصم لا لأقامة البرهان على الحق فالوجد الظاهر في التواجد هو حكم وجد متخيل في نفس المتواجد فهو حكم محقق في حضرة خيالية وقد بينا أن الخيال حضرة وجودية وأن المتخيلات موصوفة بالوجود فما ظهر المتواجد بصورة حكم الوجد ألا لهذا الوجد المتخيل في نفسه فما ظهر ألا عن وجود فله وجه إلى الصدق ولهذا يجب على المتواجد

التعريف بتواجده ليعلم السامع من أهل المجلس أن ذلك عن الوجد المتخيل لا عن الوجد القائم بالنفس في غير حضرة الخيال له في والخيال حكم صحيح في الحس كصاحب الصفراء إذا كان في موضع يتخيل السقوط منه فيسقط فهذا سقوط عن تخيل ظهر حكمه في الحس وكذلك المتواجد قد يحكم عليه الوجد المتخيل بحيث أن يفنيه عن الأحساس كما يفنى صاحب الوجد الصحيح ولكن بينهما فرقان في النتيجة قد ذكرناه في شرح ما لا يعول عليه في الطريق فإن نتيجة الوجد الصحيح مجهولة ونتيجة الوجد الخيالي إذا حكم مقيدة معلومة يعلمها صاحبها أن كان من أهل هذا الشأن فإنه ما ينتج له ألا ما يناسب خياله في الوجد وهو معلوم والوجد

الصحيح مصادفة من حيث لا يشعر صاحبه فلا يدري بما يأتيه به وقد ذكرنا في التواجد ما فيه غنية والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب السادس والثلاثون ومائتان في الوجد

فذاك الوجد ليس به خفاء

نعم وله التلذذ والفناء

فإن مزاجه عسل وماء

إذا أفناك عنك ورود أمر

له حكم وليس عليه حكم

وذا من أعجب الأشياء فيه

وأعلم أن الوجد عند الطائفة عبارة عما يصادف القلب من الأحوال المفضية له عن شهوده وشهود الحاضرين وقد يكون الوجد عندهم عبارة عن ثمرة الحزن في القلب قال الأستاذ وبالجملية فهو حسن الوجد حال والأحوال مواهب لا مكاسب ولهذا كان وجد المتواجد إذا أورثه التواجد الوجد لأنفعال نفسه لما يجتلبه مكتسباً والحال لا يكتسب عند القوم فلذلك لا يعول على وجد المتواجد فنظير الوجد في الأحوال عند القوم كمجيء الوحي إلى الأنبياء فيفجؤهم ابتداء كما ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يتحنث في غار حرا حتى فجأه الوحي ولم يكن ذلك مقصوداً له فكذلك أهل الوجد إنما هم في سماع من الحق في كل ناطق في الوجود وما في الكون ألا ناطق فهم متفرغون لفهم عن الله في نطق الكون وسواء كان ذلك في نغم أو غير نغم وبصوت أو غير صوت فيفجؤهم أمر ألهي وهم بهذه المثابة فيفنيهم عن شهودهم أنفسهم وعن شهودهم أنهم أهل وجد وعن شهود كل محسوس فإذا حصل لهم ذلك فذلك هو الوجد عند القوم ولا بد لصاحبه من فائدة يأتي بها فإن جاء بغير فائدة ولا مزيد علم فذلك نوم القلب من حيث لا يشعر فإن الذي يأتيه في تلك الفجأة إنما يأتيه من الله ليفيده علماً بما ليس عنده مما تشرف به نفسه وتكمل وترى على غيرها من النفوس فإنه لا يرد ألا على نفس طاهرة زكية هذا حكمه في هذا الطريق وأما الوجد العالم فهو ما ذكرناه في حده في أول الباب فلا يشترط فيه طهارة ولا غيرها ألا في هذا الطريق ولما كان يظهر في العموم مع عدم الطهارة لهذا لا يكون الوجد شاهد صدق ألا على نفسه أنه وجد خاصة لا أنه وجد في الله ولهذا يلتبس على الأجانب فلا يفرقون بين أهل الله فيه وبين المتصورين بصورة أهل الله وأن كانوا ليسوا منهم فالحال الحال ولهذا أهل الله في السماع المقيد بالنغم من شرطهم أن يكونوا على قلب واحد وأن لا يكون فيهم من ليس من جنسهم فلا يحضرون ألا مع الأمثال أو مع المؤمنين بأحوالهم المعتقدين فيهم ومستنده الألهي كون الحق نعت نفسه بأن قاتل نفسه بادره بنفسه وإن كان ما بادره إلا به ولكن هكذا ورد في النعوت الإلهية فنقره ولا بد فإنه أراد الله بذلك المحل أمراً إما فيما كلفه به فجاء ذلك الأمر الإلهي الشرعي لحج زمانه ووقته فصادف المحل على غير ما تعطيه حقيقة ذلك الوارد الذي فجأه الحاكم على المحل مع علمنا أنه ما نفذ فيه إلا علم الله فيه ولكن تعمير المراتب أدى إلى اختلاف المذاهب فصار الحق هنا صاحب وجد وموجود على من قتل نفسه مبادراً كما جاء عنه في غضبه على من غضب عليه ففنى المقام الإلهي هنا عن شهود نفسه بأنه غنى عن العالمين إذا المقامات تتجاوز ولا تتداخل فكل مقام له حكم وقد بين الله لعباده في أخباره الصادقة كتبه وعلى السنة رسله ما هو عليه بما ينسب إليه فمن الأدب أن تنسب إليه ما نسبة إلى نفسه وإن ردت الأدلة العقلية فإن

بالدليل العقلي أيضاً قد علمنا أن بعض الكون لا يعرفه على حد ما يعرف نفسه فهو المجهول المعروف لا إله إلا هو ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فإن قلت بالمصادفة تقضي بعدم العلم بما صادف فأين مستنده الإلهي فنقول في قوله "ولنبلونكم حتى نعلم" ما علمه بما يكون منهم فبتلك النسبة تجري هنا وقد وردت والوجد يفنى الفناء والغيبة ولا بد لصاحب هذه الأحوال ممن يحضرون معه ويتصفون بالبقاء معه والشهود له وإن لم يكونوا بهذه المثابة فما هو المطلوب بهذه الألفاظ واختلفوا في الوجد هل يملك أم لا يملك فذكر القشيري عن بعضهم أنه كان يملك وجده وكان إذا ورد عليه وعنده من يحتشمه يلزم الأدب معه أمسك وجده فإذا خلا بنفسه أرسل وجده وجعل ذلك كرامة له أنتجها احترام من يجب احترامه وعندنا أن الوجد لا يملك وذلك الذي أرسله ما هو عين ما ورد عليه مع حضور من احترامه فإن المعلوم ماله عين يملكها المحدث فلما خلا ذلك الرجل ظهر حكم الوجد فيه في ذلك الوقت فتخيل أنه مالك لوجده كما يملك القاعة قيامة أي بما هو مستعد للقيام لا أن القيام وجد فيه فلم يقم فاعلم ذلك والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب السابع والثلاثون ومائتان في الوجود

فإني بالوجود فنيت عنه

ولا يدري لعين الوجد كنه

وجود الحق عين وجود وجدي

وحكم الوجد أفنى الكل عنى

بحال أو بلا حال فمنه

ووجد أن الوجود بكل وجه

العم أن الوجود عند القوم وجد أن الحق في الوجد يقولون إذا كنت صاحب وحجد ولم يكن في تلك الحال الحق مشهوداً لك وشهوده هو الذي يفنيك عن شهودك وعن شهودك الحاضرين فلست بصاحب وجد أذ لم تكن صاحب وجود للحق فيه وأعلم أن وجود الحق في الوجد ما هو معلوم فإن الوجد مصادفة ولا يدري بما تقع المصادفة وقد يجيء بأمر آخر فلما كان حكمه غير مرتبط بما يقع به السماع كان وجود الحق فيه على نعت مجهول فإذا رأيت من يقرر الوجد على حكم ما عينه السماع المقيد والمطلق فما عنده خبر بصورة الوجد وأما هو صاحب قياس في الطريق وطريق الله لا تدرك بالقياس فإنه كل يوم في شأن وكل نفس في استعداد فلا تضربوا لله الأمثال فإن الله يعلم وأنتم لا تعلمون وأعلم أنه إنما اختلف وجود الحق في الوجد عند الواجدين لحكم الاسماء الألهية ولحكم الاستعدادات الكونية فكل نفس من الكون له استعداد لا يكون لغيره وصاحب النفس بفتح الفاء هو الموصوف بالوجد فيكون وجده بحسب أستعداده والاسماء الألهية ناظرة رقيقة وليس بيد الكون من الله ألا نسب أسمائه ونسب عنايته فوجود الحق في الوجد بحسب الاسم الألهي الذي ينظر إليه والاسماء الألهية راجعة إلى نفس الحق وقد شهد روح الله بشهادة تعم الكون في الله فقال تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك على الوجهين الوجه الواحد أن تكون النفس هنا نفس عيسى عنه أو تكون نفس الحق فإذا جهل العبد ما هي عليه نفسه من حكم الاستعداد الذي به يقبل الوجود الحق الخاص فهو بما ينظر إليه من الاسماء الألهية في المستأنف أجهل فإذا ظهر لصاحب الوجد وجود الحق عند ذلك الظهور يعلم ما تجلى له من الاسماء فيخبر عند رجوعه عن وجود معين وشهود محقق وأما غير صاحب الوجد فحكمه بحسب الحال التي يقام فيها والضابط لباب العلم بالله أنه لا يعلم شيء من ذلك ألا

بأعلام الله في المستأنف وأما في الحال والماضي فأعلام الله به وقوعه مشهوداً لمن وقع به عن ذوق لا عن نقل ألا أن يكون الناقل مقطوعاً بصدقه ويكون القول أيضاً في الباب نصاً جلياً لا يحتمل أن لم يكن بهذه المثابة وألا فلا يعلم أصلاً وأن وقع العلم به من شخص في وقت فيحكم المصادفة ومثل هذا لا يسمى علماً عند أحد من أهل النظر وأن كان الشارع قد سماه علماً في قصة ابن عمر أو من كان من الصحابة في حديث الفاتحة فقال ليهنك العلم مع كونه مصادفة وأعلم أن الذي يتقيد به وجود الحق في صاحب الوجد إنما هو بحسب الوجد والوجد ليس بمعلوم وروده لمن ورد عليه حتى يتزل به فوجود الحق في كل صاحب وجد بحسب وجده ثم أن الوجد عند العارفين يخرج عن حكم الاصطلاح بل يرسلونه في العموم فما عندهم صاحب وجد صحيح كان فيمن كان ألا وللحق في ذلك الوجد وجود يعرفه العارفون بالله فيأخذون عن كل صاحب وجد ما يأتي به في وجده من وجوده وأن كان صاحب ذلك الوجد لا يعرف أن ذلك وجود الحق فإن العارف يعرفه فيأخذ منه ما يأتي به صاحب كل وجد من وجوده وأن الحق تجلى في ذلك الوجد بصورة ما قيده به هذا المخبر عن وجود ما وجده في وجده وهذا ذوق عزيز هو حق في نفس الأمر معتبر مقطوع به عند أرباب هذا الشأن لا عند كلهم وقد أنبأ الحق عن نفسه في ذلك بتغير الصور والنعوت عليه لتغير أحوال العباد ومعلوم أنه ما تغيرت أحوال الكون في الثقليين ألا لتغير حكم الاسماء وتغيرت الصور والتحليات لتغير أحوال الكون فالأمر منه بدا وإليه يعود فللعبد أثر بوجه ما قرره الحق فلا يرفع عنه حكم ما قرره الحق ومن فعل ذلك فقد نازع الحق وهو القهار في مقابلة المنازعين فالعلماء بالله يقهرون بالله ولا يتجلى لهم الله في إسم قاهر ولا قهار في نفوسهم وأنما يرونه في هذا الاسم في صورة الأغيار فيعرفونه منهم لا من نفوسهم لأنهم محفوظون من المنازعة بينهم وبين أشكالهم فكيف بينهم وبين الله والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الثامن والثلاثون ومائتان في الوقت

فلا تزال بحكم الوقت مشهوداً

فإن في الوقت مذموماً ومحموداً

تقوم شرعاً وإيماناً وتوحيداً

الوقت أنت موصوف به أبداً

فالله يجعل وقتي منه مشهده

له الشئون من الرحمن وهي بنا

أعلم أن القوم أصطلحوا على أن حقيقة الوقت ما أنت به وعليه في زمان الحال وهو أمر وجودي بين عديمين وقيل الوقت ما يصادفهم من تصريح الحق لهم دون ما يختارون لأنفسهم وقيل الوقت ما يقتضيه الحق ويجريه عليك وقيل الوقت مبرد يسحقك ولا يحققك وقيل الوقت كل ما حكم عليك ومدار الكل على أنه الحاكم ومستند الوقت في الإلهية وصفه نفسه تعالى أنه كل يوم في شأن فالوقت ما هو به في الأصل إنما يظهر وجوده في الفرع الذي هو الكون فتظهر شئ الحق في أعيان الممكنات فالوقت على الحقيقة ما أنت به وما أنت به هو عين استعدادك فلا يظهر فيك من شئ الحق التي هو عليها إلا ما يطلبه استعدادك فالشأن محكوم عليه بالأصالة فإن حكم استعداد الممكن بالإمكان أدى إلى أن يكون شأن الحق فيه الإيجاد ألا ترى أن الحال لا يقبله فأصل الوقت من الكون لا من الحق وهو من التقدير ولا حكم للتقدير إلا في المخلوق فصاحب الوقت هو الكون فالحكم حكم الكون كما قررنا

في ظهور الحق في أعيان الممكنات بحسب ما تعطيه من الاستعداد فتنوعه بها وهو في نفسه الغنى عن العالمين ولما كانت أذواق في الوقت تختلف لذلك اختلفت عباراتهم عنه والوقت حقيقة كل ما عبروا به عنه وهكذا كل مقام وحال ليس يقصدون في التعبير عنه الحد اللذاتي وإنما يذكرونه بنتائجه وما يكون عنه مما لا يكون إلا فيمن ذلك المقام أو الحال نعتة وصفته فمن أحكامه فيهم وفي غيرهم أن الله قد رتب لهم أمور معتادة يتصرفون فيها بحكم العادة مما لا جناح عليهم فيها أو مما قد اقترن به خطاب من الحق بأنه قرينة فيختارون لأنفسهم فعل ذلك على جهة القرينة إن كان من القرب أو على كونه مرفوع الحرج فيصادفهم من الحق أمر لم يكن في خاطرهم ولا اختاروه لأنفسهم فيعلمون أن الوقت أعطى ذلك الأمر وإن الله اختاره لهم فإنه القائل وربك يخلق ما يشاء أي يقدر ويوجد ثم قال ويختارون ونفى أن تكون لهم الخيرة فقال ما كان لهم الخيرة وعندنا أن هنا إسم وهو في موضع نصب على أنه مفعول بقوله ويختار لنفسه في المنشط والمكره ويرى أن الكل له فيه خير فيعامله الله كل ذلك بخير فإن كان وقته يعطى نعمة وكان عقده مع الله مثل هذا رزقه الشكر عليها والقيام بحق الله فيها وأعين عليها وإن كان بلاء رزق الصبر عليه والرضاه وجعل الله له مخرجاً من حيث لا يحتسب كرجل يريد أن يسبح الله مائة ألف تسبيحة فيحتاج إلى زمان طويل في ذلك مع ما فيه من التعب والنفرغ إليه من الحضور فيعثر على خير صدق أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل قول الإنسان سبحانه الله عدد خلقه سبحانه الله زنة عرشه سبحانه الله رضاء نفسه سبحانه الله مداد كلماته ثلاث مرات والحمد لله مثل ذلك والله أكبر مثل ذلك ولا إله إلا الله مثل ذلك أفضل مما أراده هذا العبد فقال هذا القول الذي جاء بحكم المصادفة وإن لم يكن عنده منه خبر وترك ما كان يريدون أن يذكرونه وعلم أن الذي اختاره الله له بهذا التعريف في هذا الوقت أعظم مما اختاروه لنفسه وقد وقع هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عجوز مر عليها والحديث مشهور فإذا اقتضى الحق أمراً وكان له بك عناية أجراه عليك ورزقك القيام بحقه فالعقل من أهل الله من يرى أن الخير كله الذي يكون للعبد هو فيما اقتضاه الحق فيما شرع لعباده وبعث به رسوله صلى الله عليه وسلم فمن استعمله الله في اقتضاء الحق المشروع فما بعد عناية الله به من عناية لمن عقل عن الله فالوقت المعلوم من جانب الحق هو عين ما خاطبك به الشرع في الحال فكن بحسب قول الشارع في كل حال تكن صاحب وقت وهو علامة على أنك من السعداء عند الله وهذا عزيز الوجود في أهل الله هو لأحد منهم من أهل المراقبة لا يغفلون عن حكم الله في الأشياء وهنا زلت أقدام طائفة من أهل الحضور مع الله في كل شئ فهم لا يغفلون عن الله طرفه عين ولكنهم يغفلون عن حكم الله في الأشياء أو في بعضها أو في أكثرها فمن لم يغفل عن حكم الله في الأشياء فما غفل عن الله فقد جمعوا بين الحضور مع الله وخع حكمه فهم أكثر علماً وأعظم سعادة وهم أصحاب الوقت الذي يعطى السعادة وبعض رجال الله علم أن الله لا يعدم الأشياء القائمة بأنفسها بعد وجودها ولا يتصف بإعدام أحوالها ولا اعراضها بعد وجودها وإنما الأشياء تكون على أحوال فتزول تلك الأحوال عنها فيخلع الله عليها أحوالاً غيرها أمثلاً كانت أو اضداداً مع جواز اعدام الأشياء بمسكه الإمداد بما به بقاء أعيانها لكن قضى القضية أن يكون الأمر إلا هكذا ولذلك قال أن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ولكن ما فعل فإن الإرادة والمشئة ما تحدث له إذ ليس ملاً للحوادث فمشيئته أحادية التعلق لكنه في الأشياء بين أن يجمعها أو يفرقها كلا أو بعضاً وهي الأكوان فالوقت على الحقيقة عند الكامل جمع وتفرقة دائماً ومن الناس من يشهد التفرقة خاصة في الجمع ولا يشهد جمع التفرقة فيتخيل أن ذلك عين الوقت فإذا سئل عن الوقت يشبهه بالمبرد فيقول الوقت مبرد يسحقك ولا يحققك يقول يفرق جمعيتك ولا يذهب عينك فمن عرف الوقت وإن الحكم له فيه سكن تحت ما حكم به عليه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب التاسع والثلاثون ومائتان في الهيبة

إن الجمال مهوب حيثما كانا

الحسن حليته واللفظ شيمته

فالقلب يشهده بسطو بخالقه

لأن فيه جلال الملك قد بانا

لذلك نشهده روحاً وريحانا

والعين تشهده بالذوق إنسانا

اعلم أن الهيبة حالة للقلب يعطيها أثر تجلي جلال الجمال الإلهي لقلب العبد فإذا سمعت من يقول أن الهيبة نعت ذاتي للحضرة الإلهية فما هو قول صحيح ولا نظر مصيب وإنما هي أثر ذاتي للحضرة إذا تجلى جلال جمالها للقلب وهي عظمة يجدها المتجلي له في قلبه إذا أفرطت تذهب حاله ونعته ولا تزيل عينه فلما تجلى ربه للجبل جعله ذلك التجلي دكاً فما أعدمه ولكن أزال شموحه وعلوه وكان نظر موسى في حال شموحه وكان التجلي له به من الجانب الذي لا يلي موسى فلما صاد دكا ظهر لموسى ما صير الجبل دكا فخر موسى صعباً لأن موسى ذو روح له حكم في مسك الصورة على ما هو عليه وما عدا الحيوان فروحه عين حياته لا أمر آخر فكان الصعف لموسى مثل الدك للجبل لإختلاف الإستعداد إذ ليس للجبل روح يمسك عليه صورته فرال عن الجبل إسم الجبل ولم يزل عن موسى بالصعق إسم موسى ولا إسم الإنسان فأفاق موسى ولم يرجع الجبل جبلاً بعد دكه لأنه ليس له روح يقيمه فإن حكم الأرواح في الأشياء ما هو مثل حكم الحياة لها فالحياة دائمة في كل شئ والأرواح كالولادة وقتاً يتصفون بالعزل ووقتاً يتصفون بالولاية ووقتاً بالغيبة عنها مع بقاء الولاية فالولاية ما دام مديراً لهذا الجسد الحيواني والموت عزله والنوم غيبته عنه مع بقاء الولاية عليه فإذا علمت أن الهيبة عظمة وأن العظمة راجعة لحال المعظم بكسر الظاء إسم فاعل علمت أنها حالة القلب فهو نعت كيان ومستنده في الإلهية من العلوم التي لا تنقل ولا تداع ولا يعرفه إلا من علم أن الوجود هو الحق وأنه المنعوت بكل نعت قال تعالى ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب يعني تلك العظمة ولما كانت العظمة تعطي الحياء والحياء نعت إلهي فإن الله يستحي من ذي الشبهة يوم القيامة لعظيم حرمة الشيب عنده تعالى فقد نعت نفسه بأن بعض الأشياء تعظم عنده كما قال وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم فقد قامت به العظمة لذلك الذي هان على الجاهل بقدره من الإفتراء على بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والألفاظ لما كانت محجورة من الشارع علينا فلا نطلقها إلا حيث أمرنا بإطلاقها فوق الفرق بين الهيبة والعظمة فنطلق العظمة في ذلك ولا نطلق الهيبة ولا الخوف ولا القبض فاعلم ذلك والله سبحانه يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الأربعون ومائتان في الإنس

الإنس بالإنس لا بالصور يجمعنا

لا تقف ما لست تدريه وتجهله

أنت الامام ولكن فيك حكمته

فكيف يأنس من تفنى شواهد

فاحذر فإنك ممكور ومخدوع

فإن ودك مفروق ومجموع

تعطى بأنك مخلوق ومصنوع

أكوانه وهو في الاسماع مسموع

اعلم أيدينا الله بروح منه أن الإنس عند القوم ما تقع به المباشطة من الحق للعبد وقد تكون هذه المباشطة على الحجاب ععلى الكشف والإنس حال القلب من تجلى الجمال وهو عند أكثر القوم من تجلى الجمال وهو غلط من جملة ما غلطوا فيه لأن لهم أغاليط في العبارة لعدم التمييز بين الحقائق فما كل أهل الله رزقوا التمييز والفرقان مع الشهود الصحيح ولكن الشأن في معرفة ما هو هذا الذي وقع عليه الشهود وقد رأينا جماعة ممن شهد حقاً ولكن ما عرف ما شهد وحمله على خلاف طريقة فلا بد من التجلي من تعريف إلهي أما بصفات الإلهاً وأما بما شاء الحق من أنواع التعريف وللإنس بالله علامة عند صاحبه فإنه موضع بخل فيه كثير من أهل الطريق فيجدون إنساً في حال ما يكون عليه فيتخيل أن ذلك إنس بالله فإذا فقد ذلك الحال فقد الإنس بالله فعندنا وعند الجماعة أن أنسه كان بذلك الحال لا بالله لأن الإنس بالله إذا وقع لم يزل موجوداً عنده في كل حال ولذلك يقول القوم من أنس بالله في الخلوة وفقد ذلك الإنس في الملا فإنسه كان بالخلوة لا بالله واعلم أنه لا يصح الإنس بالله عند المحققين وإنما يكون الإنس باسم إلهي خاص معين لا بالاسم الله وهكذا جميع ما يكون من الله لعباده لا يصح الإنس بالله عند المحققين وإنما يكون الإنس باسم الجامع لحقائق الاسماء الإلهية فلا يقع أمر لشخص معين في الكون إلا من اسم معين بل ولا يظهر في الكون كله أعني في كل ما سوى أحكامه ظهور العالم وجهه سبحانه لذلك الظهور والغنى عن العالم لا يفرح بالعالم والله يفرح بتوبة عبده فالاسم الله تعلم الله شئ يعمه إلا من اسم خاص معين لا يصح أن يكون الاسم الله فإنه من أحكامه أيضاً الغنى عن العالم لا يفرح بالعالم والله يفرح بتوبة عبده فالاسم الله تعلم مرتبته ولا يتمكن ظهور حكمه في العالم لما فيه من التقابل وهذه مسئلة عظمية جلية القدر صعبة التصور في الإلهيات فإن الشئ إذا اقتضى أمر ذاته فمن المحال أن تتصف الذات بالغنى عن ذلك الأمر كما لا تتصف بالافتقار إليه وقد ورد الغنى عن العالمين فإن جعلناه غنيا عن الدلالة كأنه يقول ما أوجدت العالم ليدل على ولا اظهرته علامة على وجودي وإنما أظهرته ليظهر حكم حقائق أسمائي وليست لي علامة على سوائي فإذا تجليت عرفت بنفس التجلي والعالم علامة على حقائق الاسماء لا على علامة أيضاً على أي مستنده لا غير فالعالم كله ذو إنس بالله ولكن بعضه لا يشعر أن الإنس الذي هو عليه بالله لأنه لا بد أن يجد إنساً بأمر بطريق الدوام أو بطريق الانتقال بإنس يجده بأمر آخر وليس لغير الله الأكوان حكم فإنسه لم يكن إلا بالله وإن كان لا يعلم والذي ينظر فيه أنه إنس به فذلك صورة من صور تجليه ولكن قد يعرف وقد ينكر فيستوحش العبد من عين ما أنس به وهو لا يشعر باختلاف الصور فما فقد أحد الإنس بنفوسهم لا بالله إذ استوحش أحد إلا من الله والإنس مباسطة والإستيحاش انقباض وإنس العلماء بالله إنما هو إنسهم بنفوسهم لا بالله إذ قد علموا أنهم ما يرون من الله سوى سوى صورة ما هم عليه ولا يقع إنس عندهم إلا بما يرون وغير العارفين لا يرون الإنس إلا بالغير فتدركهم الوحشة عند انفرادهم بنفوسهم وكذلك الإستيحاش إنما يستوحشون من نفوسهم لأن الحق مجلاهم فهم بحسب ما يرونه فيهم بل فيه من أحوالهم فيقع الحكم فيهم بالإنس أو الوحشة وحقيقة الإنس إنما تكون بالمناسب فمن يقول بالمناسبة يقول بالإنس بالله ومن يقول بارتفاع المناسبة يقول لا أنس بالله ولا وحشة منه وكل واحد بحسب ذوقه فإنه الحاكم عليه ومن له الإشراف من أمثالنا على المقامات والمراتب ميز وعرف كل شخص من أين تكلم ومن نطفه وأنه مصيب في مرتبته غير مخطئ بل لا خطأ مطلقاً في العالم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الأحد والأربعون ومائتان في معرفة الجلال

أن الجلال على الضدين ينطلق

وهو الذي بنعوت القهر أشهد

له العلو ولا علو يماثله

له النزول فكل الخلق يججده

أنني بكل الذي قد قلت أعرفه

وليس غير الذي قد قلت أقصده

اعلم أن الجلال نعت إلهي يعطي في القلوب هيبة وتعظيماً وبه ظهر الاسم الجليل وحكم هذا الاسم من أعجب الأحكام فإن له حكم ليس كمثله شيء وسبحان ربك رب العزة وله حكم قوله على لسان رسوله ك مرضت فلم تعدني وجعت فلم تطعمني وظمئت فلم تسقني فإنزل نفسه منزلة من هذه صفته من الإفتقار إلى العبيد وكذلك نزوله في قوله وسعني قلب عبدي ومن هذا الباب فرحه بتوبة عبده وتعجبه من الشاب الذي لا صبوة له وتبشيشه بالذي يأتي إلى المسجد للصلاة هذا كله وأمثاله من نعوت التثنية والتشبيه يعطيه حكم الجلال والاسم الإلهي الجليل ولهذا قلنا أنه يدل على الضدين كالجون ينطلق على الأبيض والأسود كذلك القرء ينطلق على الحيض والطهر ومن حضرة الجلال نزل قوله تعالى "وما قدرُوا الله حق قدره" فمن وصفه إنما وصف نفسه ولا يعرف منه إلا نفسه لأن رب العزة لا يعينه وصف ولا يقيدته نعت ولا يدل على حقيقته إسم خاص وأن يكن الحكم ما ذكرناه فما هو رب العزة فإن العزيز هو المنيع الحمى ومن يوصل إليه بوجه ما من وصف أو نعت أو علم أو معرفة فليس بمنيع الحمى ولذلك عم بقوله سبحان ربك رب العزة عما يصفون ولحضرة الجلال السبحات الوجهية المحرقة ولهذا لا يتجلى في جلاله أبداً لكن يتجلى في جلال حجماله لعباده فبه يقع التجلي فيشهدونه مظهر ما ظهر من القهر الإلهي في العالم

أن الجليل هو الذي لا يعرف

وه الذي في كل حال يوصف

فهو الذي يبدو فيظهر نفسه

في خلقه وهو الذي لا يعرف

والجلال لا يتعلق به إلا العلماء بالله وما له أثر إلا فيهم وليس للمحبين إليه سبيل هذا إذا كان بمعنى العلو والعزة وأنه إذا كان بالمعنى الذي هو ضد العزة والعلو فإن المحبين يتعلقون به كما يتعلق به العارفون وحضرته من العماء إلى قوله وفي الأرض إله وأما قوله وهو معكم أينما كنتم فذلك من أسمائه المؤثرة وخاصة والحافظة لنا والرقية علينا وأما الأسماء التي تختص بالعالم الخارج عن الثلين فأسماء آخر ما هي الأسماء التي معنا أينما كنا وقد بينا شرح الأسماء الحسنى معنى الاسم الجليل على الوجهين مختصراً في جزء لنا في شرحها والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الثاني والأربعون ومائتان في الجمال

جميل ولا يهوى جلى ولا يرى

وتشهد الأبواب من حيث لا تدري

ولا تترك الأبصار منه سوى الذي

تنزهه عنه عقول ذوي الأمر

فإن قلت محبوب فلست بكاذب

وإن قلت مشهود فذاك الذي أدري

فما ثم محبوب سواه وإنما

سليمى وليلى والزيانب للستر

فهن ستور مسدلات وقد أتى

بذلك نظم العاشقين مع النثر

كمجنون ليلى والذي كان قبله

كبشر وهند من ذكرهم صديري

اعلم أن الجمال الإلهي الذي تسمى الله به جميلاً ووصف نفسه سبحانه بلسان رسوله أنه يحب الجمال في جميع الأشياء وما ثم الإجمال فإن الله ما خلق العالم الأعلى صورته وهو جميل فالعالم كله جميل وهو سبحانه يحب الجمال ومن أحب الجمال أحب الحبيل والحب لا يعذب محبوبه الأعلى إيصال الراحة أو على التأديب لأمر وقع منه على طريق الجهالة كمتا يؤدب الرجل ولده مع حبه فيه ومع هذا يضربه وينتزهه لأمر تقع منه مع استصحاب الحب له في نفسه فمآلنا أن سشاء الله إلى الراحة والنعيم حيث ما كنا فإن اللطيف الإلهي هو الذي يدرج الراحة من حيث لا يعرف من لطف به الجمال له من العالم وفيه الرجاء والبسط واللفظ والرحمة والحنان والرأفة والجود والإحسان والنقم التي في طيها نعم فله التأديب فهو الطيب الجميل فهذا أثره في القلوب وأثره في الصور ما يقع به العشق والحب والهيمان والشوق ويورث الفناء عند المشاهدة ومن هذه الحضرة تنتقل صورة تجليه فيها إلى المشاهد فينصبغ بها انتقال فيض تظهور نور الشمس في الأماكن ويسمى ذلك النور شمساً وإن يكن مستديراً ولا في فلك ثم يفيض الإنسان من تلك الصورة التي ظهر فيها عن الفيض الإلهي على جميع ملكه في رده إلى قصره فينصبغ ملكه كله بصورة جمال لم يكن فلا يفقد الإنسان في ملكه صورة ما شاهدها من ربه في رؤيته فهو عند العلماء بالله تجل دائم دنيا وآخرة لا ينقطع وعند العامة في الجنة خاصة لكونهم لا يعرفون الله معرفة العارفين وليس لتجلي الجلال في الجنة حكم أصلاً وإنما محله الدنيا والبرزخ والقيامة وبه تبقى النار والشقاء والأشقياء مدة بقائهم فيه إلى أن يرتفع الشقاء وتغلب الرحمة فلا يبقى لتجلي الجلال في التعلق حكم وتنفرد به الملائكة بطريق الهيبة والعظمة والخوف والخشوع والخضوع والله اعلم

الباب الثالث والأربعون ومائتان في الكمال

ليس الكمال الذي بالنقص تعرفه

أن الكمال الذي بالنقص موصوف

العلم يشهده والعين تنتظره

لأنه عدم والنقص معروف

لو لم تكن عين ولا صفة

ولا وجود ولا حكم وتصريف

ألا ترى التستري الحبر أثبتته

وهو الصواب الذي ما فيه تحريف

أراد بقول سهل أن لكذا سراً لو ظهر بطل كذا اعلم أن الكمال الذي لا يقبل الزيادة لا يكون إلا الله من كونه غنياً عن العالمين وأما الكمال الذي يقبل الزيادة فمثل قوله ولنبلوكم حتى نعلم كما أمر نبيه أن يقول: رب زدني علماً" فالكمال هو وقوف الإنسان على الصورة الرحمانية بطريق الإحاطة لذلك عند مقابلة النسخة حرفاً حرفاً فيؤثر ولا يتأثر ولا يميل ولا يؤثر عدل في فضل ولا فضل في عدل بل يرتفع الفضل والعدل ويبقى الوجود والشهود وقبول القوابل بحسب استعدادها روحاً وجسماً فلا ينسب إليه من حيث هو حكم أصلاً وجميع النسب تتصف به القوابل وهو على الوجه الواحد الذي يليق به لا يقبل التغيير ولا التأثر كما لا يقبل النور ما انصبغ بالألوان ولكن هكذا تشهد العين والعلم يقضي بأنه على صورته التي كان عليها ما تأثر في عينه بشئ من ذلك ألا

تنظر إليه فيالمساحة الهوائية التي بين موضع الزجاج وموضع النور المنعكس المتلون هل تزي في النور في هذه المساحة لوناً من تلك الألوان مع كونه قد انبسط على الزجاج وحينئذ عمر المساحة الهوائية التي بين ما يظهر من الألوان وبين الزجاج وكقوس قزح فالكمال من لا يقبل الزائد ونحن في مزيد علم دنيا وآخرة فالنقض بنا منوط فكلما لنا بوجود النقص فيه فلنا كمال واحد وللحق كما لأن كمال مطلق زطمال يقلز به حتى نعلم فنسختنا من كمال حتى نعلم لا من الكمال المطلق فافهم فإنه سر عجيب في العلم الإلهي فنشهدته تعالى من كونه إلهاً من كونه ذاتاً والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الرابع والأربعون ومائتان في الغيبة

أغيب عنه ولي عين تشاهده	في حضرة الغيب والغياب ما حضروا
ما في الوجود سواه في شهادته	وغيبه فإنظروا في الغيب واقتكروا
فتلك غيبة من هاتيك حالته	فغيبة القلب حال ليس تعتبر
عمن تغيب وما في الكون من أحد	سوى الوجود فلا عين ولا أثر

اعلم أن الغيبة عند القوم غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق لشغل القلب بما يرد عليه وإذا كان هذا فلا تكون الغيبة إلا عن تجلي إلهي ولا يصح أن تكون الغيبة على ما حدوه عن ورود مخلوق فإنه مشغول غائب عن أحوال الخلق وبهذا تميزت الطائفة عن غيرها فإن الغيبة موجود الحكم في جميع الطوائف فغيبة هذه الطائفة تكون بحق عن خلق حتى تنسب إليه على جهة الشرف والمدح وأهل الله في الغيبة على طبقات وإن كانت كلها بحق فغيبة العارفين غيبة بحق عن حق وغيبة من دونهم من أهل الله غيبة بحق عن خلق وغيبة الأكابر من العلماء بالله غيبة بخلق عن خلق فإنهم قد علموا أن الوجود ليس إلا الله بصور أحكام الأعيان الثابتة الممكنات ولا يغيبه إلا صورة حكم عين في وجود حق فغيب عن حكم صورة عين أخرى تعطي في وجود الحق ما لا تعطي هذه والأعيان وأحكامها خلق فما غاب إلا بخلق عن خلق مثل الكمل من رجال الله وما في الأعيان عين يكون حكمها مشاهدة للكل فلا تتصف بالغيبة ولما لم تكن ثم عين لها وصف الإحاطة بالحضور مع الكل وإن ذلك من خصائص الأله فلا بد من الغيبة في العالم والحضور وقد أومأنا إلى ما فيه كفاية في هذا الباب والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الخامس والأربعون ومائتان في الحضور

وهو الحضور مع الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه مع الغيبة هكذا هو عند القوم

حضور مع الحق في غيبيتي	حضور به فهو الحاضر
هو الباطن الحق في غيبيتي	وعند حضور هو الظاهر
فإن فته فإننا أول	وأن فاتني فإننا الآخر

أعلم أنه لا تكون غيبة ألا بحضور فغيبتك من تحضر معه لقوة سلطان المشاهدة كما أن سلطان البقاء يفنيك لأنه صاحب الوقت والحكم والتفصيل في الحضور في أهله كما ذكرناه في الغيبة سواء فكل غائب حاضر وكل حاضر غائب لأنه لا يتصور الحضور مع المجموع وإنما هو مع آحاد المجموع لأن أحكام الاسماء والأعيان تختلف والحكم للحاضر فلو حضر بالمجموع لتقابلت وأدى إلى التمانع وفسد الأمر فلا يصح الحضور مع المجموع لا عند من يرى حضوره بحق ولا عند من يرى حضوره بخلق فإن حكم الأعيان مثل حكم الاسماء في التقابل والأختلاف وظهور السلطان فتدبر ما ذكرناه تجد العلم أن شاء الله والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب السادس والأربعون ومائتان في السكر

رش المحيط المستدير

من كل ما يغني فقير

والسكر من نظر المدير

وهو العليم به الخبير

رب الخورنق والسريير

رب الشويهة والبعير

السكر أفعدني على الع

وأنا بقاع قرقر

والسكر من خمر الهوى

قد قال قبلي شاعر

فإذا سكرت فإنني

وإذا صحت فإنني

قال تعالى وأتاه من خمر لذة للشاربين وهو علم الأحوال ولهذا يكون لمن قام به الطرب والإلتذاذ وأما حدهم له بأنه غيبة بوارد قوى فما هو غيبة إلا عن كل ما يناقض السرور والطرب والفرح وتجلى الأماني صوراً قائمة في عين صاحب هذا الحال ورجال الله تعالى في حال السكر على مراتب نذكرها إن شاء الله فسكر طبيعي وهو ما تجده النفوس من الطرب والإلتذاذ والسرور والإبتهاج بوارد الأماني إذا قامت له في خياله صوراً قائمة لها حكم وتصرف يقول شاعرهم

رب الخورنق والسريير

فإذا سكرت فإنني

فإنه كان يرى ملكه لذنيك غاية مطلوبه فلما سكر قامت له صورة الخورنق والسريير ملكاً له يتصرف فيه في حضرة تخيله وخياله أعطاه إياه حال السكر فإن له أثراً قوياً في القوة المتخيلة قالوا قفوا من أهل الله الخيال لهم هذا السكر الطبيعي فإنهم لا يزالون يراقبون ما تخيلوا تحصيله من الأمور المطلوبة لهم من الله حتى يتقوى عندهم ذلك ويحكم عليهم مثل قوله عليه السلام اعبد الله كأنك تراه وقوله صلى الله عليه وسلم أيضاً أن الله في قبلة المصلى وقول الصاحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سألت صلى الله عليه وسلم عن حقيقة إيمانه حين قال أنا مؤمن حقاً فقال رضى الله عنه كأي أنظر إلى عرش ربي بارزاً يعني في يوم القيامة فجاء بما تعطيه حضرة الخيال فإذا تقوى مثل هذا التخييل أسكر النفس وقامت له صورة ما تخيل ينظر إليها بعينه ويخبر عنها كرؤية صاحب الرؤيا سواء وتلقى إليه ويصغي إليها وهو لا يعلم أنه يخاطب ويشاهد صورة خيالية بل يقطع أن ذلك شهود حسى فإذا صحا من ذلك السكر ارتفع عنه ذلك الأمر من حيث صورته مع بقاء تخيله عند بعض الناس ممن يتذكر ذلك في الذهن كما يرتفع عنه صورة ما رأى في النوم بالإنباه ومن أهل هذا المقام من يبقى الله له تلك الصورة المتخيلة في حال صحوه فيشتبه له محسوسه بعدما كانت

متخيلة كالجنة التي خيلها إبليس في الخيال المنفصل لسليمان عليه السلام ليفتنه بها ولا علم لسليمان عليه السلام بذلك فسجد شكر الله تعالى حيث أتحفه بها فأبقاها الله له الجنة محسوسة يتنعم بها ورجع إبليس خاسر إلا أنه أريد بذلك فتنته وما علم أن أهل الله إذا وقع لهم مثل هذا أنه يحدث ذلك عبادة لله عندهم هذا والمخيل عدو فكيف حالهم إذا كان خيالهم منهم وليسوا بأعداء نفوسهم فإنهم يسعون في خلاصها ونجاتها فإذا كان سكرهم الطبيعي أثر لهم مثل هذا فما ظنك بما فوقه من مراتب الإسكار وأما السكر العقلي فهو شبيه بالسكر الطبيعي في رد الأمور إلى ما تقتضيه حقيقته لا إلى ما يقتضيه الأمر في نفسه ويأتي الخبر الإلهي عن الله لصاحب هذا المقام بنعوت المحدثات إنها نعت الله فيأبى قبولها على هذا الوجه لأنه في سكرة دليله وبرهانه فيرد ذلك الخبر لما يقتضيه نظره مع جهله بذات الحق وهل تقبل هذا النعت أولاً تقبله بل تحيل أنها لا تقبله فيمد رجله هذا العقل لسكره في غير بساطه فوقع في الحق بسكره ويعذره الحق في ذلك لأن السكران غير مؤاخذ بما ينطق فجرد عن الله ما نسبة الحق لنفسه فإذا صحا هذا العاقل عن سكره بالابمان لم يرد الخبر الصدق والقول الحق وقال أن الحق أعلم بنفسه وبما ينسبه إليه من العقل فإن العقل مخلوق والمخلوق لا يحكم على الخالق فإنه ما من مصنوع إلا يجهل صانعه فإن السقة تجهل صانعها وهو الحائك كذلك الأركان مع الأفلاك وكذلك الأفلاك مع النفس والنفس مع العقل وكذلك العقل مع الله وغاية ما علم من علم منهم افتقاره إليه واستناده في وجوده إلى صانعه ولا يحكم عليه بشئ ولا سيما أن أخبر الصانع عن نفسه بأمور فليس للمصنوع إلا قبولها فإن ردها فلسكر قام به فحمره الذي يشوب إنما هو دليله وبرهانه ويقويه على ذلك ما تعطيه بعض الأخبار الإلهية من النعوت في حقه الموافقة لبرهانه ودليله فهذا سكر عقلي فالسكر الطبيعي سكر المؤمنون والسكر العقلي سكر العارفين وبقي سكر الكمل من الرجال وهو السكر الإلهي الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم زدني فيك تحيراً والسكران حيران فالسكر الإلهي ابتهاج وسرور بالكمال وقد يقع في التجلي في الصور سكر بحق قال بعضهم

وأسكر القوم دور كاس

وكان سكرى من المدير

فمن أسكره الشهود فلا صحو له أليته وكل حال لا يورث طرباً وبسطاً وأدلاً وأفشاء أسرار أهلية فليس بسكر وإنما هو غيبة أو فناء أو محق ولا يقاس سكر القوم في طريق الله على سكر شارب الخمر فإنه ربما أورث بعض من يشربه غماً وبكاءً وفكرة وذلك لما يقتضيه مزاج ذلك الشارب ويسمونه سكران ومثل هذا لا يكون في سكر الطريق وقليل من الناس من يفرق بين الحيوان والسكران وعندنا في العلم الطبيعي أن شارب الخمر إذا أورثه غماً وبكاءً وحزناً وفكرة وأطراً لما يقتضيه طبعه ومزاجه فليس بسكران ولا هو صاحب سكر فإن بعض الأمزجة لا تقبل السكر ولا أثر له فيها فغيبية السكران ليست عن أحساسه وإنما غيبته عن مقابل الطرب لا غير ونظير هؤلاء الذين لا يظربون نظير أصحاب الفكرة والغيبة والفناء ويفارق السكر سائر الغيبات لأن الصحو لا يكون إلا عن سكر والسكر يتقدم صحوه وليس الحضور مع الغيبة كذلك ولا الفناء مع البقاء كذلك لكنه مثل الصعق مع الأفاقة والنوم مع اليقظة فإن النوم مقدم على الأنبياء والغشية متقدمة على الأفاقة وإنما ذكرنا هذا التفصيل من أجل مذهبهم في حد السكر أنه غيبة بوارد قوى فأطلقوا عليه إسم الغيبة فيتخيل من لا ذوق له أن حكمه حكم الغيبة فيقيس فيخطئ في تربيته للمريد أن كان من المتشيعين فيلتبس عليه الأمر فلا يفرق في حال المريد بين سكره وعيبته وفنائه والسكران في هذا الطريق لا يغيب عن أحساسه فإن

غاب كما يراه الحنفيون في سكر شارب الخمر فقد أنتقل عندنا من حال السكر إلى حال فناء أو غيبة أو محق ولم يعقب سكره صحو بل أنتقل من حال سكر إلى حال فناء أو غيره من الأحوال المغيبة عن بعضه أو كله ولا يتخيل أن السكر لما كان على هذه المراتب المتميزة أنه يمكن أن يكون لصاحب هذه الحال سكران أو يجمعها كلها لما هو عليه من الحقائق كما قررنا في بعض المسائل من جمع الإنسان لأمر كثيرة لحقائق تطلبها منه ولا سيما وقد أنشد بعض من أسكره الخمر والهوى فقال

سكران سكر هوى وسكر مدامة

فتى يفيق فتى به سكران

فأخبر أنه قام به سكران وسكر هل الله ليس كذلك فإن المعرفة تمنع منه فإن السكران الألهي لا يتمكن أن يكون له السكر العقلي فإن الشهود يمنع من ذلك والسكران بالسكر العقلي لا يتمكن له أن يتمكن منه السكر الطبيعي فإن دليله ينفيه فإنه إذا كان يرد حكم السكر الألهي فكيف يقبل حكم السكر الطبيعي وأما السكران من أهل الله يرتقي في سكره من سكر إلى سكر لا يجمع بينهما مثل ما قال هذا الشاعر وما أستشهد به في الطريق ألا صاحب قياس لا صاحب ذوق فمن أسكره السكر الطبيعي ثم جاءه السكر العقلي فإن السكر الطبيعي يفارق المحل بالضرورة ويزول حكمه عن صاحب ذوق فمن أسكره السكر الطبيعي ثم جاءه السكر العقلي فإن السكر الطبيعي يفارق المحل بالضرورة ويزول حكمه عن صاحبه وما هو الأمر في هذه الأسكارات بالتدرج قد يوهب الإنسان السكر ابتداء أعني السكر الألهي فلا يمكن أن يكون له ذوق السكر العقلي أبداً لكنه قد يكون له العلم به ومرتبه من غير أن يكون له أثر فيه وهو الذوق وقد يوهب السكر العقلي ابتداء ذوقاً فلا يتمكن له أن يكون له ذوق في السكر الطبيعي لكن قد ينتقل إلى السكر الألهي ذوقاً فيزول عنه حكم السكر العقلي ذوقاً وحالاً ويبقى له العلم به من طريق الذوق لأنه قد تقدمه ذوقه قبل أن ينتقل فهكذا هو الأمر في سكر أهل الطريق في الألهيات وأما في غير الألهيات فقد يمكن أن يجمع بين السكرين في الصورة وإذا حققت الأمر فيه وجدته على خلاف ذلك فإنه يتخيل في الإنسان أنه إذا علم شيئاً فهو صاحب ذوق له وليس الأمر كذلك فإن الذوق لا يكون إلا عن تجل والعلم قد يحصل بنقل الخير الصادق الصحيح فهكذا فلتعرف طريق الله يا ولي فقد أعطيتك ميزان الأمور في هذه المقامات وأريتك مستندها وما تجد هذا البيان في غير هذا الكتاب في كلام هذه الطائفة ألا أن تكون أشارات منهم إلى ذلك في بعض ما ينقل عنهم فإنهم عالمون به ضرورة إذا كانوا أصحاب ذوق وهم أصحاب ذوق أذ لا يكون منهم ألا من هو صاحب ذوق فالطبع يشهده فيسكر والعقل يشهده فيسكر والسر يشهده فيسكر ولا تجتمع هذه الأسكارات أبداً لأحد في وقت واحد وأن كان الكل من أهل الله كما أن الظالم لنفسه ما هو مقتصد فيما هو ظالم ولا سابق فيما هو مقتصد مع كون كل واحد منهم مصطفى من ورثة الكتاب الألهي بل يعطي الكشف الصحيح أنه لا يكون ظالماً لنفسه من ذاق الاقتصاد وكذا ما بقي من غير تقييد فإن حكم الأذواق في الأمور وحصول العلم عنها ما هو مثل حكم سائر الطرق فاعلم ذلك والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ولو شاء لهداكم أجمعين والحمد لله رب العالمين

الباب السابع والأربعون ومائتان في الصحو

الصحو يأتي بعين العلم والأدب

أن لم يكن صليماً للحكم والسبب

ووارد الصحو أقوى عند طائفة

من وارد السكر أذ يغني عن الطرب

واللهو تحيا به كل النفوس وما

في وارد الصحو من لهو ومن لعب

لذلك قواه أقوام وأضعفه

قوم وعندي فحكم الوقت للنسب

أعلم أن الصحو عند القوم رجوع إلى الأحساس بعد الغيبة بوارد قوى وأعلم أنهم قد جعلوا في حد السكر أنه وارد قوى وكذلك الصحو أنه وارد قوى وما قالوا أنه أقوى وذلك أن المحل الموصوف بالسكر والصحو لهذين الواردين مع أستوائتهما في القوة فيتما نعان بل وارد السكر أولى فإنه صاحب المحل فله المنع ولكن لا يتمكن لورود وارد على محل ألا بنسبة وأستعداد من المحل يطلب بتلك النسبة أو الأستعداد ذلك الوارد المناسب وأن تساوت الواردات فإذا جاء الوارد وفي المحل غيره فوجد النسبة والأستعداد يطلبه حكم عليه وأزال عنه حكم الوارد الآخر الذي كان فيه لا لقوته وضعف الآخر بل للنسبة والأستعداد وأعلم أنه لا يكون صحو في هذا الطريق ألا بعد سكر وأما قبل السكر فليس بصاح ولا هو صاحب صحو وأما يقال فيه ليس بصاحب سكر بل يكون صاحب حضور أو بقاء وغير ذلك ثم أعلم أن صحو كل سكران بحسب سكره على ميزان صحيح فلا بد أن يأتي بعلم محقق أستفاده في غيبة سكره فإن كان صحوه صليماً فما كان قط سكران سكر الطريق أذ العلم شرط في الصاحي من السكر هكذا هو طريق أهل الله لأن الجود الألهي ما فيه بخل ولا في قدرته عجز فإذا صحا كتم ما ينبغي أن يكتنم وإذاع ما ينبغي أن يذاع وقوله في حال صحوه مقبول لأنه شاهد عدل وقول السكران وإن كان شاهد عدل فإنه لا يقبل إذا ناقض قول الصاحي وإن كان حقا ولكن إذا قيل الحق في غير موطنه لم يقبل وربما عاد وباله على قائله مع كونه حقا إذ كل قول حق لا يكون محموداً عند الله وهذا معلوم مقرر في شرع الله في العموم والخصوص كالشيلي والحلاج فقال الشيلي شربت أنا والحلاج من كأس واحد فصحوت وسكر فعربد فحبس حتى قتل والحلاج في الخشبة مقطوع الأطراف قبل أن يموت فبلغه قول الشيلي فقال هكذا يزعم الشيلي لو شرب ما شربت لحل به مثل ما حل بي أو قال مثل قولي فقلنا قول الشيلي ورجحناه على قول الحلاج لصحوه وسكر الحلاج فالصحو بالله والسكر بالله لا بد فيه من علم بالله وما لا يعطى علماً فليس بصحو الطريق ولا سكره وقد تقدم صحوه في البرزخ زمنهم من يبقى على سكره في البرزخ إلى البعث وأعلم أنه إن تقدم للعبد سكر طبيعي أو عقلي ثم أزلهما أو أحدهما السكر الإلهي صحو من هذا السكر الذي كان في المحل وإن لم يتقدم لصاحب السكر الإلهي في المحل سكر عقلي ولا طبيعي فليس سكره الإلهي بصحو بل هو حال سكر ورد عليه ومعنى الصحو أنه ينكشف له حق الله في الأمور التي استفادها في حال سكره فيعلم عند صحوه ما ينبغي أن يذاع منها في العموم والخصوص وما ينبغي أن يستر فإن كان إذاع منها في حال سكره شيئاً فيعطيه الصحو أن يستغفر الله من ذلك وعذره مقبول وإنما يستغفر لأن السكران لا بد أن يبقى فيه من الإحساس ما يكون معه الطرب فلو لم يبقى معه إحساس لكان مثل النائم يرتفع عنه القلم أي لا يلزمه الإستغفار وهذا الفرق بين السكران والمجنون وإن كل واحد منهما من أهل الإحساس فإن المجنون ارتفع عنه الحكم ولم يرتفع عن السكران ومن حاله الإستغفار مما ظهر منه ما هو مثل حال من لم يقع منه ما وجب الإستغفار فإن الإستغفار عندنا في طريق الله يكون في مقامين الواحد ما ذكرناه وهو أن يبدو منه ما ينبغي أن يكون مستورا فيجب عليه الإستغفار من ذلك وقد يقع الإستغفار ممن لم يبد منه شيء يوجب الإستغفار فيستغفر من هذا مقامه أي يطلب أن يستره الله في كنف عنايته أن يحكم

عليه حال من شأنه إذا لم يستره الله في كنف عنايته أن يبدو منه بحكم ذلك الحال ما ينبغي أن يستر وهذا هو المقام الثاني الذي لأهل الإستغفار فيبتدئون بطلب الستر من الله عن حكم حال يوجب عليهم الإعتذار من وقوعه وهذا هو استغفار الأكابر من الرجال المعصومين ولذلك ما سمع من نبي قط في حال نزول الوحي عليه كلام حتى يسري عنه فإذا صحا حينئذ يخبر بما يجب ولهذا ما نقل عن نبي قط أنه ندم على ما قاله مما أوحى إليه فيه وأما ما كان عن نظر من غير وارد وحي فقد يمكن أن يرجع عن ذلك ويندم على ما جرى منه في ذلك وقد وقع منه مثل هذا في أساري بدر وسوق الهدى في حجة الوداع وغير ذلك ولما كان في الصحو انكشاف لمراتب الأمور قدمناه في الفضيلة على السكر أي صاحبه مقبول الحكم لمعرفة بالمواطن وإن كان السكران صاحب حق ألا ترى الصحو في السماء إذا أصبحت أي زال غيمها وانكشفت لتعطي الشمس من حرارتها لما يخرج من الأرض من النبات وتسخين العالم لأن لها أثر في ذلك كما أعطى الغيم ما في قوته من الرطوبة في الأرض لأجل ذلك النبات فأفاد حال السكر وحال الصحو في الطبيعة فإذا لم يقع فائدة عند السكران في الطريق ولا عند الصاحي منه فما هو من أهل الطريق بل يكون كالصحو الذي معه القحط المسمى صيلما وهو الذي أشرنا إليه في الأبيات في أول هذا الباب فصحو السكر كله أدب وعلم والناس فيه متفاضلون تفاضلهم في السكر

فكل سكر له احتكام

وكل صحو له ثبات

واعلم أن من الصالحين من يصحو بربه ومنهم من يصحو بنفسه والصاحي بربه لا يخاطب في صحوه إلا ربه ولا يسمع إلا منه فلا تقع له عين الأعلى ربه في جميع الموجودات وهو على أحد مقامين أما أن يكون يرى الحق من وراء حجاب الأشياء بطريق الإحاطة مثل قوله "والله من ورائهم محيط" وأما أن يرى الحق عين الأشياء وهنا ينقسم رجال الله على قسمين قسم يرى الحق عين الأشياء في الأحكام والصور وقسم يرى الحق عين الأشياء من حيث ما هو قابل لحكم الصور وأحكامها لا من حيث عين الصور فإن الصور من جملة أحكام الأعيان الثابتة فتختلف أحوال رجال الله في صحوهم بالله وأما من صحا بنفسه فإنه لا يرى إلا أشكاله وأمثاله ويقول ليس كمثله شئ خاصة ولا يعطى مقامه ولا حاله أن يتم الآية ذوقاً وإن تلاها وهو قوله "وهو السميع البصير" وصاحب الذوق الأول يقول وهو السميع البصير ذوقاً وتلاوة فيرى صاحب صحو النفس أن الحق في عزله عنه كما يراه من جعله في قبلته إذا صلى ولا يراه أنه هو المصلى وهذا القدر من الإشارة في معرفة الصحو والسكر من الألفاظ المحجور لاختصاصه بالأحوال فافهم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الثمن والأربعون ومائتان في الذوق

ذوق ينبئ عن معنى تحيله

وذلك الحكم من أعلى توليه

كان الدنو إلينا في تدليه

كان الترقى به إلى تجليه

لكل مبدأ مجلى في تجليه

أن التجلي بالاسماء يحكمها

إذا تدلى إلى أمر يعن له

لما تلقاه قلبي في منازل

اعلم أن الذوق عند القوم أول مبادي التجلي وهو حال يفجأ العبد في قلبه فإن أقام نفسين فصاعداً كان شرباً وهل بعد هذا الشرب ري أم لا فذوقهم في ذلك مختلف فيه وقد ذكر عن بعضهم أنه شرب فارتوى نقل عنه ذلك ونقل عن أبي يزيد أن الري محال وكل نطق بحاله ولكل صاحب قول وجه عندنا صحيح في الطريق وعندنا في هذه المسئلة تفصيل يردان شاء الله فيما بعد في باب الشرب أو الري أو في باب عدم الري إن ذكرنيه الله فابحث عليه في آخر هذه الأبواب من هذا الكتاب اعلم أن قولهم أول مبادئ التجلي غلام أن لكل تجل مبدأ هو ذوق لذلك التجلي وهذا لا يكون إلا إذا كان التجلي الإلهي في الصور أو في الاسماء الإلهية أو الكونية ليس غير ذلك فإن كان التجلي في المعنى فعين مبدئه عينه ما له بعد المبدأ ما لا يراه من ذلك الاسم بعد ذلك وصاحب المعنى مبدأ كل شئ عينه فلا يستفيد منه بعد هذه الإفادة الكلية فله التفصيل في التعبير عن ذلك الأمر الواحد وهو المراد بقولنا في صدر هذا الكتاب

حتى بدت للعين سبحة وجهه

وإلى هلم لم تكن الإلهي

فكان مبدؤها عينها وكل ما نأتي به بعد ذلك في جميع كلامنا إنما هو تفصيل لذلك الأمر الكلي تتضمنه تلك النظرة في تلك العين الواحدة وأكثر الناس على خلاف هذا الذوق ولهذا لا ينتظم كلامهم ويطلب الناظر فيه أصلاً يرجع إليه جميع أقولهم فلا لهم فلا يجد وكلامنا مرتبط ببعضه لأنه عين واحدة وهذا تفصيلها ويعرف ما قلناه من يعرف مناسبة آي القرآن في نسق بعضها إلى بعض فيعرف الجامع بين الآيتين وإن كان بينهما بعد ظاهر فذلك صحيح ولكن لا بد من وجه جامع بين الأسين مناسب هو الذي أعطى أن تكون هذه الآية مناسبة لما جاورها من الآيات لأنه نظم إلهي وما رأينا أحداً ذهب إلى النظر في هذا الرماني من التحوين فإن له تفسير للقرآن أخبرني من وقف عليه أنه نحاف القرآن هذا المنحى وما وقفت عليه لکني رأيت بمراكش ببلاد المغرب أبا العباس السبتي صاحب الصدقات يسلك هذا المسلك وفاوضته فيه وكان من أصحاب الموازين ثم اعلم أن الذوق يختلف باختلاف التجلي فإن كان التجلي في الصور فالذوق خيالي وإن كان في الاسماء الإلهية والكونية فالذوق عقلي فالذوق الخيالي أثره في النفس والذوق العقلي أثره في القلب فيعطى حكم أثر ذوق النفس المجاهدات البدنية من الجوع والعطش وقيام الليل وذكر اللسان والتلاوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله ورمى ما تملكه اليدان كان وحده لا تكون له عائلة ولا شيخ فإن كان بين يدي شيخ معتبر يريه فيرمي ما بيده بين يدي ذلك الشيخ ويخرج عنه بالكلية ظاهراً وباطناً ولا يبقى له ملكاً وإن كره ذاك بباطنه لضعفه أو ادركته فيه مشقة فلا يترز باخراج ذلك من يده الإلتذاذ بذلك بل إذا أخرجه عن مشقة أخرجه بنظر صحيح ثابت لا يتمكن له في نفسه إزالة ما نواه في ذلك من يده الإلتذاذ بذلك بل إذا أخرجه عن مشقة أخرجه بعقله فإن ارتفعت اللذة يمكن أن يدركه الندم بخلاف الكاره فإنه إذا أخرجه مع الكره ثم بداله في نفسه بالعناية الإلهية ما أزال الكره عنه انتقل إلى حالة الإلتذاذ بذلك فهو أثبت في المقام وهكذا كان خروجنا عما بأيدينا ولم يكن لنا شيخ نحكمه في ذلك ولا نرّميه بين يديه فحكمنا فيه الوالد رحمة الله لما شاورنا في ذلك فإننا تركنا ما بأيدينا ولم نسند أمره إلى أحد لأننا لم نرجع على يد شيخ ولا كنت رأيت شيخاً في الطريق بل خرجت عنه خروج الميت عن أهله وماله فلما شارونا الوالد وطلب منا الأمر في ذلك حكمناه في ذلك ولم أسأل بعد ذلك ما صنع فيه إلى يومي هذا هذا ما يعطي حكم ذوق النفس ولا بد منه لكل طالب وأصله إتيان أبي بكر بجميع ما يملكه إلى النبي صلى الله عليه وسلم حين

قال له اثنتي بما عندك وأتاه عمر بشطر ماله فإنه صلى الله عليه وسلم ما حد لهم في ذلك ولوحدهم في ذلك ما تعدى أحد منهم ما حده له رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما أراد صلى الله عليه وسلم أن تتميز مراتب القوم عندهم فقال لأبي بكر ما تركت لأهلك فقال الله ورسوله وهذا غاية الأدب حيث قال ورسوله فإنه لو قال الله لم يتمكن له أن يرجع في شيء من ذلك إلا حتى يرده الله عليه من غير واسطة حالاً وذوقاً فلما علم ذلك قال رسوله فلو رد إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من ماله شيئاً قبله لأهله من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه تركه لأهله فما حكم فيه إلا من استنابه رب المال فإنظر ما أحكم هذا وما أشد معرفة أبي بكر بمراتب الأمور وتخيل عمر أنه يسبق أبا بكر في ذلك اليوم لأنه رأى اتيانه بشطر ماله عظيماً ثم قال لعمر بن الخطاب ما تركت لأهلك قال شطر مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينكما ما بين كلمتيكما قال عمر فعلت أي لا أسبق أبا بكر أبداً والإنسان ينبغي أن يكون عالي الهمة يرغب في أعلى المراتب عند الله ويوفى كل مرتبة حقها فلم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر شيئاً من ما له تنبيهاً للحاضرين على ما علمه من صدق أبي بكر في ذلك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد علم منه الرفق والرحمة فلو رود شيئاً من ذلك عليه تطرق الإحتمال في حق أبي بكر أنه خطر له رفق رسول الله صلى الله عليه وسلم فعوض رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل أبي بكر بما يقتضيه نظره صلى الله عليه وسلم وجاءه عبد الرحمن بن عوف بجميع ماله فردده عليه كله وقال أمسك عليم مالك فإنه ما دعاه إلى ولو دعاه إلى

لقبله منه كما قبله من أبي بكر ويعطي حكم ذوق العقل الرياضيات النفسية وتهذيب الأخلاق فتتضمن الرياضة المجاهدات البدنية ولا تتضمن المجاهدة الرياضات والرياضات أتم في الحكم فإن النبي صلى الله عليه وسلم بعث ليتم مكارم الأخلاق فمن جبل عليها فهو منور الذات مقدس ومن لم يجبل عليها فإن الرياضة تلحقه بها وتحكم عليه والرياضة تذليل الصعب من الأمور فمن ذلل صعباً فقد راضه وأزال عن النفس جموحها فإنها تحب الرياسة والتقدم على أشكالها والرياضة تمنع النفس من هذا الخاطر وسلطانها ولا ترى لها شفوفاً على غيرها لإشتراكها معهم في العبودية وأحاطة القبضة بالكل فبمإذا ترأس فتمثل أمر الله من حيث أنها مخاطبة من عند الله بذلك وتود أن تكون كل مخاطب من العبيد مسارعاً إلى امتثال أمر سيده إثارة الجنابه ما يخطر لها في المسارعة أن تسبق غيرها من النفوس فيكون لها بذلك مزية على غيرها لإشتراكها معهم في العبودية وأحاطة القبضة بالكل فبمإذا ترأس فتمثل أمر الله من حيث أنها مخاطبة من عند الله بذلك وتود أن يكون كل مخاطب من العبيد مسارعاً إلى امتثال أمر سيده إثارة الجنابه ما يخطر لها في المسارعة أن تسبق غيرها من النفوس فيكون لها ذلك مزية على غيرها لا يقتضي مقام الرياضة ذلك فإن الرياضة ولا مجاهد فإن الرياضة لا تكون إلا في صعب الإنقياد كثير الجموح والمجاهدة إحساس بالمشقة وهذه العين التي ذكرناها ما تركت صعباً فتحكم عليه الرياضات فهو ذلول في نفسه أعطته ذلك مشاهدة تلك العين دفعة وأما الإحساس بالمشقات البدنية فذلك حس الطبع لا حس النفس فهو صاحب لذة في مشقة يحكم فيها بحكم ما عين الله له من الحقوق حيث قال له على لسان المبين عنه وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لعينك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً ولزورك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً فأعط كل ذي حق حقه فالذائق لهذه العين حكمه ما شرع له ليس له ولا عنده رياضة في قبول ذلك أصلاً والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والذوق بعطيك بعد ذلك التجلي العلم ومنه تحقيق ميزانه ومرتبته فيتأدب معه بما يستحقه في النظر إليه فإنه نظير العين فيما لا مساغ لها فيه وهو الذي يورث عندك الطمأنينة إذا لم تكن مؤمناً فإن كنت مؤمناً فالإيمان يعطيك الظمأ ويشد عطشك ويقل على قدر إيمانك ومن

ليس بؤمن لا ظمأ عنده ألبته لشرب التجلي وإن أدركه العطش للعلم فمن حيث النظر الفكري وأما العلوم التجلي فليس إلا الإيمان ولا يحصل إيمان إلا ظمأ بصحبه فيزيد بالذوق فافهم

الباب التاسع والأربعون ومائتان في الشرب

مثل القضية بين النشر والطبي

عليك فاحذر إذا ما كنت في الغي

فلا سبيل إلى مطل ولا لي

إذا تناظرت العشاق في مي

فإنني حاتمي الأصل من طي

الشرب بين مقام الذوق والري

إن الحقوق التي للحق قائمة

أنت الغني به إذ كان عينكم

غيلان لم تك مثلي في محبته

وصل الوفاء وهجر المطل من شيمي

اعلم أيديك الله أن الشرب هو ما تستفيده في النفس الثاني مضافاً إلى ما استفدته في نفس الذوق بالغاً ما بلغ على مذهب من يرى الري ومن لا يراه واعلم أن الشرب قد يكون عن عطش وقد يكون عن الإلتذاذ لا عن عطش كشرب أهل الجنة بعد شربهم من الحوض الذي قام لهم مقام الذوق فشربهم من الحوض عن ظمأ ثم لا يظمئون بعد ذلك أبداً فإن أهل الجنة لا يظمئون فيها وهم يشربون فيها شرب شهوة والتذاذ لا شرب ظمأ ولا دفع ألمه والعم أن الشرب يختلف باختلاف المشرب فإن كان المشروب نوعاً واحداً فإنه يختلف باختلاف أمزجه الشارين وهو استعدادهم فمن الناس من يكون مشربه ماء منهم من يكون مشروبه لبنا ومنهم من يكون مشروبه خمر ومنهم من يكون مشروبه عسلاً بحسب الصورة التي يتجلى فيها ذلك العلم فإن هذه الأصناف صور علوم مختلفة قد ذكرناها في جزء لنا سميناه مراتب علوم الوهب ودليلنا على ما قلناه أنها علوم رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم فإنه قال أريت كأني أوتيت بقدر لين فشربت منه حتى رأيت الري يخرج من أظفاري ثم أعطيت فضلي عمر قالوا فما أولته يا رسول الله قال العم فهذا علم تجلي في صورة لبن كذلك تتجلى العلوم في صور المشروبات ولما كانت الجنة دار الرؤية والتجلي وما ذكر الله فيها سوى أربعة أنهار أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى علمنا قطعاً أن التجلي العلمي لا يقع إلا في أربع صور ماء ولبن وخمر وعسل ولكل تجل صنف مخصوص من الناس وأحوال مخصوصة في الشخص الواحد فمنه ما هو لأصحاب المنابر وهم الرسل ومنه ما هو لأصحاب الأسرة وهم الأنبياء ومنه ما هو لأصحاب الكرسي وهم الورثة الأولياء العارفون ومنه ما هو لأصحاب المراتب وهم المؤمنون وما ثم صنف خامس وكل صنف يفضل بعضه على بعضه كما قال الله في ذلك تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقوله فضلنا بعض النبيين على بعض فإن الأعمال كانت هنا في زمن التكليف مقسمة على أربع جهات ولذلك لما علم إبليس بهذه الجهات قال ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولم يذكر بقية الجهات لأنه لم يقترب بها عمل فإنها للترزية الإلهي والوهب الرباني الرحاني الذي له العزة والمنع والسلطان فالعلوم وإن كثرت فإن هذه الأربعة تجمعها وهي مجال إلهية في منصات ربانية في صور رحمانية وهي في حق قوم مع الأنفاس دائماً وهم الذين لا يقولون بالري وفي حق قوم إلى أمد معين عينه لهم قوله تعالى يوم الزور والرؤية ردوهم إلى قصورهم وهم الذين

يقولون بالري في هذه المشروبات كلها في بعضها والمتنوع في الكل من الناس من يكون مشروبه واحداً مما ذكرناه لا ينتقل عنه أبداً ومنهم من يتنوع في المشروبات وهو الإثم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب مزج الماء باللبن فيشربه ومزج العسل باللبن وما بقي إلا الخمر وليست دار الدنيا محل إباحته في شرع محمد صلى الله عليه وسلم الذي مات عليه فلم يمكن لنا أن نضرب به المثل بالفعل كما ضرب النبي صلى الله عليه وسلم بالفعل بشرب اللبن بالماء وشرب العسل وباللبن فشربه رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصاً ومزوجاً بما هو حلال له ولذلك أيضاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في اللبن إذا شربه اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه لأنه تقوم معه صورة ضرب المثل به في العلم في حديث الرؤيا الصحيح وهو مأمور بطلب الزيادة من العلم بقوله "وقل ربي زدني علماً" فكان اللبن مذكوراً له بطلب الزيادة منه وكان يقول في سائر الأطعمة اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه وكان صلى الله عليه وسلم إذا شرب ماء زمزم تضرع منه وكان يحب الحلوى والعسل فهذه كلها أعني المشروبات وضعها الله ضرب أمثلة لأصناف علوم تتجلى للعافين في صور هذه المحسوسات وخص الخمر بالجنة دون الدنيا وقرن به اللذة للشاربين منه ولم يقل ذلك في غيره من المشروبات وذلك لأنه ما في المشروبات من يعطي الطرب والسرور التام والإبتهاج إلا شرب الخمر فيلتذ به شاربه وتسرى اللذة في أعضائه وتحكم على قواه الظاهرة والباطنة وما في المشروبات من له سلطان وتحكم على العقل سوى الخمر فهو للعلم الإلهي الذوقي الذي تمجده العقول من جهة أفكارها ولا يقبله إلا الإيمان كما أن علم العلماء في علم هذا الطريق همة لأن علم هذا الطريق همة لأن

علم هذا الكريق له أثر فيها فهو الحاكم المؤثر في غيره من أصناف العلوم ولا يؤثر فيه غيره لقوة سلطانه لأنه مؤثر في العقل والعقل أقوى ما يكون وكذلك يزيل حكم الوهم والوهم سلطان قوى وليس يزيل حكمه من المشروبات إلا الخمر فلا يقف لقوة سلطانه عقل ولا وهم وأعظم قوة من هاتين في الإنسان ما يكون ألا ترى إلى السكران يلقي نفسه في المهالك التي يقضي العقل والوهم باجتنابها فحكم العلم المسببه به في العلوم حكمه فلو أبيح في هذه الشريعة مع أعطى الله هذه الأمة من الكشف والفتوح والإمداد في العلوم وثبوت القدم فيها لظهرت أسرار الحق على ما هو عليه وبطلت أشياء كثيرة كان الشرع من علم اللبن قد قررها فهذا التجلي في صورة الخمر لا يحصل في الدنيا إلا للأمناء فيلتذون به في بواطنهم ولا يظهر عليهم حكمه وهو ما أشار إليه سهل بن عبد الله التستري بقوله أن الربوبية سرّاً لو ظهر لبطلت النبوة وإن للنبوة سرّاً لو ظهر لبطل العلم وإن للعلم سرّاً لو ظهر لبطلت الأحكام فلو وقع التجلي في صورة الخمر وظهر هذا العلم في العموم ولم يكن الإنسان في طبعه ومزاجه على مزاج أهل الجنة لظهرت الأسرار بإظهاره إياها في العالم فأدى ظهورها إلى فساد لقوة سلطانه في الإلتذاذ والإبتهاج والفرح ومغيب حكم العقول عن شاربه ولهذا ضرب الله مثلاً فيمن حصل له هذا التجلي في الدنيا في الدنيا ولم يظهر عليه حكمه مثل الأنبياء وأكابر الأولياء كالضرر والمقربين من عباده فخلق بعض الأجسام البشرية هنا على مزاج لا يقبل السكر ليعلم أن ثم لله عبادة حصل لهم هذا التجلي الإلهي في صورة الخمر وهم على استعداد يعطى الكتمان وعدم الإفشاء واعلم أن من أعطاه الله المعاني مجردة عن الخطاب أو النصوص في الخطاب فهو عن تجليه في صورة الماء غير الآسين وهو العلم الإلهي الذي لا تعلق له بالطبيعة ومن أعطاه الله العلم بأسرار الشرع وأحكامه وعلم حكمة قوله وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه وعرف ميزان الأحكام بعلم الأوقات والأحوال فيحرم في شرع ما يحلل في غيره فذلك من علم تجليه في صورة اللبن أعني الحليب منه الذي لم يتغير طعمه بعقده أو أو مخضه أو ترتبيه ومن أعطاه الله العلم بالكمال والأحوال والجمال فإنه عن تجلي العلم في صورة الخمر ومن أعطاه الله العلم عن التجلي في صورة العسل فإذا كان شربه شيئاً من

هذه المشروبات أو كلها كان محصلاً لما شرب كالنبي الذي قال فعلت علم الأولين والآخرين ولم يذكر أنه اختص به فلما لم يذكر الإختصاص أبقي الباب غير مغلق لمن أراد الدخول منه إلى نيل هذا المقام فالواجب على كل عاقل أن يتعرض لنفحات الجود الإلهي فإن لله نفحات فتعرضوا لها والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الخمسون ومائتان في الري

علم بأن وجود الري معدوم

أمداده وزيارات وتعليم

لكنه الرزق في الأشخاص مقسوم

الري قال به قوم وليس لهم

لو كان ري تنهى الأمر وانقطعت

فالأمر ليس له حد يحيط به

الري ما يحصل به الإكتفاء ويضيق المحل عن الزيادة منه اعلم نأته لا يقول بالري إلا من يقول بأن ثم نهاية وغاية وهم المكشوف لهم عالم الحياة الدنيا ونهاية مدتها وهم أهل الكشف في اللوح المحفوظ المعتكفون على النظر فيه أو من كان كشفه في نظريته ما هو الوجود عليه ثم يسدل الحجاب دونه ويرى التناهي إذ كل ما دخل في الوجود متناه وليس لصاحب هذا الكشف من الكشف الأخرى شئ فمن رأى الغاية قال بالري وعلق همته بالغاية وهؤلاء هم الذين قال فيهم شيخنا أبو مدين أنه من رجل الله من يحن في نهايته إلى البداية وذلك لأن الله ما كشف لهم عن حقيقة الأمر على ما هو عليه كالقائلين برجوع الشمس في طول النهار وما هو رجوع في نفس الأمر والقائلون بالري هم القائلون بالدور لما يرونه من تكرار أيام الجمعة والشهور والذين لا يقولون بالري هم الذين يسمون النهار والليل الجديدين وليس عندهم تكرار جملة واحدة فالأمر له بدء وليس له غاية لكن فيه غايات بحسب ما تتعلق به هم بعض العارفين فيوصلهم الله إلى غاياتهم ومن هناك يقع لهم التجديد فيه لا عليه فيفوتهم خير كثير من الحكم وعلم كبير في الإلهيات بل يفوتهم من علم الطبيعة خير كثير فإن تركيبها لا نهاية له في الدنيا والآخرة ويحجبهم عن عدم الري قوله تعالى "وإليه ترجعون" فسماء رجوعاً وذلك لكونه شغلهم عنه بالنظر في ذواتهم ودوات العالم عند صدورهم عنه وما علموا أن الحقيقة الإلهية التي صدرت عنها ما هي التي رجعوا إليها بل هم في سلوك دائماً إلى غير نهاية وإنما نظروا لكونهم رجعوا إلى النظر في الإله بعدما كانوا ناظرين في نفوسهم لما لم يصح أن يكون وراء الله مرمى وسبب الري الحقيقي أنه لما لم يتمكن أن يقبل من الحق إلا ما يعطيه استعدادده وليس هناك منع فحصل الإكتفاء بما قبله استعداد القابل وضاق المحل عن الزيادة من ذلك فقال صاحب هذا الذوق ارتويت فما يقول بالري إلا من هو واقف مع وقته وناظر إلى استعدادده والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الأحد والخمسون ومائتان في عدم الري

وقال به قوم

أن أحكام التناهي لا تكون

ورأوا أن الذي قيل يهون

عدم الري دليل واضح

قال بالري رجال غلطوا

وهم لو عرفوا مقداره

ورأوا أما يقتضي كن فيكون

لم يقولوا مثل هذا وأتوا

للذي أنكره يتعذرون

أمر الله تعالى نبيه أن يقول رب زدني علماً ومن طلب الزيادة فما ارتوى وما أمره إلى وقت معين ولأحد محدود بل أطلق فطلب الزيادة والعطاء دنيا وآخرة يقول النبي صلى الله عليه وسلم في شأن يوم القيامة فأحمده يعني إذا طلب الشفاعة بمحامد يعلمنيها الله لا أعلمها الآن فالله لا يزال خلاقاً إلى غير نهاية فينا فالعلوم إلى غير نهاية وليس غرض القوم من العلم إلا ما يتعلق بالله كشفاً ودلالة وكلمات الله لا تنفذ وهي أعيان موجوداته فلا يزال طالب العلم عطشاناً أبداً لا ري له فإن الاستعداد الذي يكون عليه يطلب علماً يحصله فإذا حصل أعطاه ذلك العلم استعداد العلم آخر كوني أو إلهي فإذا علم بما حصل له أن ثم أمراً يطلبه استعداده الذي حدث له العلم الحاصل عن الاستعداد الأول يعطش إلى تحصيل ذلك العلم فطالب العلم كشارب ماء البحر كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً والتكوين لا ينقطع فالمعلومات لا تنقطع فالعلوم لا تنقطع فأين الري فما قال به إلا من جهل ما يخلق فيه على الدوام والإستمرار ومن لا علم له بنفسه لا علم له بربه قال بعض العارفين النفس بحر لا ساحل له يشير إلى عدم النهاية وكلمة دخل في الوجود أو اتصف بالوجود فهو متناه وما لم يدخل في الوجود فلا نهاية له وليس إلا الممكنات فلا يصح أن يعلم إلا محدث فإن المعلوم لم يكن ثم كان يكون آخر أيضاً فلو اتصف المعلوم بالوجود لتناهي واكتفى به فلا تعلم من الله إلا ما يكون منه ويوجده فيك أما إلهما ما أو كشفاً عن حدوث تجل وهذا كله معلوم محدث فلا علم لأحد إلا بمحدث ممكن مثله والممكنات لا تتناهي لأنها غير داخلية في الوجود دفعة واحدة بل توجد مع الآفات فلا يعلم الله إلا الله ولا يعلم الكون المحدث إلا محدثاً مثله يكونه الحق فيه قال تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث وهو كلامه وحدث فيهم فتعلق علمهم به فما تعلق إلا بمحدث وذلك الذي يتخيله من لا علم له من أنه علم الله فلا صحة له لأنه لا يعلم الشيء إلا بصفة النفسية الثبوتية وعلمنا بهذا محال فعلمنا بالله محال فسبحان من لا يعلم إلا بأنه لا يعلم فالعالم بالله لا يتعدى وتبته ويعلم ما يعلم أنه بمن لا يعلم واله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

الباب الثاني والخمسون ومائتان في المحو

للمحو حكم إلهي يقول به

في سورة الرعد والبرهان يحمله

المحو يثبت الإثبات وهو له

صد وهل بوجود الضد تعقله

المحو ثبت ولكن حكمه عدم

فابحث على عالم به يفصله

العم أن المحو عند الطائفة رفع أوصاف العادة وإزالة العلة وما ستره الحق ونفاه قال تعالى يحو الله ما يشاء ويثبت فثبت المحو وهو المعبر عنه بالنسخ عند الفقهاء فهو نسخ إلهي رفعه الله ومحاه بعد ما كان له حكم في الثبوت والوجود وهو في الأحكام انتهاء مدة الحكم وفي الأشياء انتهاء المدة فإنه تعالى قال "كل يجري إلى أجل مسمى" فهو يثبت إلى وقت معين ثم يزول حكمه لا عينه فإنه قال "يجري إلى أجل مسمى" فإذا بلغ جريانه إلا جل زال جريانه وإن بقي عينه فالعادة التي في العموم يحوها الله عن الخصوص فمنهم

من تمحي عن ظاهره ومنهم من تمحي عن باطنه وتبقي عليه أوصاف العادة وهو الكامل مع كونه صاحب محو كما أنه يكون المسخ في القلوب وهو اليوم كثير وكان في بني إسرائيل ظاهراً بالصورة فمسخهم الله قردة وخنازير وجعل ذلك في هذه الأمة في باطنها تمييزاً لها ولكن لا تقوم الساعة حتى يظهر في صورها شيء من ذلك مع خسف وقذف كذا ورد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن العادة الركون إلى الأسباب واعلل فصاحب الخو يزول عنه الركون إلى الأسباب لا الأسباب فإن الله لا يعطل حكم الحكمة في الأشياء والأسباب حجب أهلية موضوعة لا ترفع أعظمها حجاباً عينك فعينك سبب وجود المعرفة بالله تعالى أذ لا يصح لها وجود ألا في عينك ومن المحال رفعك مع إرادة الله أن يعرف فيمحوك عنك فلا تقف معك مع وجود عينك وظهور الحكم منه كما مح الله رسول الله صلى الله عليه وسلم في حكم رمية مع وجود الرمي منه فقال وما رميت فمحاه أذ رميت فأثبت السبب ولكن الله رمى وما رمى ألا بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح كنت سمعته وبصره ويده فأزالة العلة في الخو إنما هي في الحكم لا في العين أذ لو زالت العلة والسبب لزال وهو لا يزول فمن الحكمة أبقاء الأسباب مع محو العبد من الركون إليها على حكم نفي أثرها في المسببات فالأسباب ستور وحجب ولا يكون محو أبداً ألا فيما له أثر وألا فليس بمحو والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الثالث والخمسون ومائتان في معرفة الأثبات

وهو أحكام العادات وأثبات المواصلات

من المحو لما أن دعائي أمامها

بهاد وحاد خلفها وأمامها

وقد ساقها شوقاً إلى غرامها

إلى حضرة الأثبات أعملت همتي

فلما أتينا حضرة لم نزل بها

إلى أن تراءت بين سلع وحاجر

الأثبات هو الأمر المقرر الذي عليه جميع العالم فمن طلب من غير نبي أو مشد لني رفع حكم العوائد فقد أساء الأدب وجهل وأما هذا الذي يسمونه خرق عادة هو عادة أذ كان ثبوت خرق العادة عادة فما محوت العادات ألا بأثباتها غير أن صاحب الأثبات لا بد أن يكون له وصلة بالحق ولهذا يثبت أحكام العادات فإن صاحبه وضعها ومن شرط الصحبة الموافقة فكيف يصحبه ويكون مواصلاً له ويحكم عليه بأزالة ما يرى الحكمة في ثبوته ولا سيما وقد علم صاحب هذا المقام أن الله حكيم عليم بما يجريه ويثبت فيثبت ما أثبتته صاحبه وأن لم يفعل وطلب غير ذلك فهو منازع ومن نازعك فما هو بصاحب لك ولا أنت بصاحب له أن نازعته وكان إلى العناد أقرب فصاحب الأثبات دائم المواصلة مع الحق فإنه يثبت أحكام العادات لأنه يشهده فيها فلا يمكن له مع هذا أن يطلب رفع أحكامها ولا محوها فهذا مقام الأثبات على غاية الأيجار والبيان والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الرابع والخمسون ومائتان في معرفة الستر وهو ما سترك عما يفنيك

ألا من أجل الذي تحظي به المقل

أو للذي يقتضيه الطبع والملل

والله ما تسدل الأستار والكلل

وقد يكون حذاراً من تأملها

إذا نظرت الذي يحويه من عبر

لولا الستور التي تخفي ضنائها

والله ما ترسل الأستار والكلل

أساساً لها قامت الأغراض والملل

لم يدر ما كان لي غرض فيها ولا أمل

ألا لأمر عظيم خطبه جل

الستر غطاء الكون والوقوف مع العادات ونتائج الأعمال وقد أعلمناك أن الأسباب حجب ألهية لا يصح رفعها ألا بها فعين رفعها سد لها وحقيقة محوها أثباتها والستر رحمة عامة ألهية في حق العامة لما قدر عليهم من المخالفة لأوامر فلا بد لهم من أبقاعها ومع الكشف والتجلي فلا تقع أبداً فلا بد من الستر ولهذا أهل التجلي العلمي رفع عنهم الحجر فلم يبق في حقهم تحجير بل أبيع لهم ما شأوه في تصرفهم فإنه ورد في صحيح الخبر أن الله يقول لمن أذنب فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب أعمل ما شئت فقد غفرت لك فأباح لمن هذه صفته ما حجره على غيره ومن المحال أن يأمره بآتيان ما حجر عليه الأتيان به فإن الله لا يأمر بالفحشاء فأسدل الستور دون أهل الحجر هذا حكمه في العامة وأما في الخاصة فقول القائل

فإنت حجاب القلب عن سر غيبه

ولولاك لم يطبع عليه ختامه

فجعلك عين ستره عليك ولولا هذا الستر ما طلبت الزيادة من العلم به فإنك المتكلم والمخاطب من خلف ستر الصورة التي كلمك منها فإنظر في بشريتك تجدها عين سترك الذي كلمك من ورائه فإنه يقول وما كان لبشر أن يكلمه الله ألا وحيا أو من وراء حجاب وقد يكلمك منك فإنك حجاب نفسك عنك وستره عليك ومن المحال أن تزول عن كونك بشراً فإنك بشر لذاتك ولو غبت عنك أو ففيت بحال يطراً عليك فبشريتك قائمة العين فالستر مسدل فلا تقع العين ألا على ستر لأنها لا تقع ألا على صورة وهذا لما تقتضيه الألوهية من الغيرة والرحمة فأما الغيرة فإنه يغار أن يدركه غير فيكون محاطاً لمن أدركه وهو بكل شيء محيط والمحاط فلا يكون محيطاً لمن أحاط به وأما الرحمة فإنه علم أن المحدثات لا تبقى لسبحات وجهه بل تحترق بها فسترهم رحمة بهم لأبقاء عينهم ثم أن الله أيضاً أسدل للعالمين ستور نتائج أعمالهم بقوله أن عمل كذا ينتج لعامله كذا فيقف العامل مع النتيجة لا رغبة فيها إذا كان من أهل الخصوص وأما يرغب من يرغب فيها ليصحح بها وبشهودها عمله الذي كلفه به سيده وأما العامة فلرغبتها فيها وتعشيقها بها فلما جعل الله علامات تدل على صحة الأعمال في العاملين رغبت الخاصة في مشاهدة نتائج الأعمال ليكونوا على بصيرة في أمورهم أذ كان مطلوبهم وهمهم القيام بما أشهدهم عليه من الحقوق وليست الحقوق سوى الأعمال التي كلفهم وقد يسدل الستر خوفاً من نفوذ العين وأصابته ويدخل في هذا سدل الحجب من أجل السبحات الوجعية المحرقة أعيان الممكنات وأما في حق بعض الناس ممن ليست له تلك القدم في العلم بالله فلا يعلم أن الله تجلياً في كل نفس ما هو على صورة التجلي الأول فلما غاب عنه هذا الإدراك ربما أستصحب تجلياً ودام عليه شهوده والطبع يطلبه بحقيقته فيدركه الملل والملل في هذا المقام عدم احترام بالجناب الألهي فإنهم في لبس من خلق جديد مع الأنفاس وهم يتخيلون أن الأمر ما تغير فسدل الستر من أجل الملل الذي يؤدي إلى عدم الاحترام لما حرمهم الله العلم بهم وبالله فهم يتخيلون أنهم هم في كل نفس وهم هم من حيث جوهريتهم لا من حيث ما يتصفون به ولا تقل أن الأمر ليس كذلك هذا من الأسرار الألهية التي قد حجب الله عن أدراكها خلقاً كثيراً من أهل الله أرباب فتوح المكاشفة فكيف حال غيرهم فيها فالستر لا بد منه أذ لا بد منك فأفهم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الخامس والخمسون ومائتان في معرفة المحق وهو فناؤك في عينه

وفي معرفة محق المحق وهو ثبوتك في عينه

وعين الكون حق ثم خلق

يقوم بذات من يبغيه محق

من أسماء الحقيقة في شق

فناء الكون في الأعيان محق

فإن قام الدليل على وجودي

وأني بالذي يحويه كوني

هذا الحق وأما محق الحق فهو

وهو في التحقيق أنذار

في لم تدركه أبصار

دونه حجب وأستار

ودليلي فيك آثار

أن محق المحق أبعاد

فإذا أبصرت طلعت

قال للحداد حين أتى

من أنا فقال خالقنا

أعلم أن الحق ظهورك في الكون به بطريق الاستخلاف والنيابة عنه فلك التحكم في العالم ومحق الحق ظهورك بطريق الستر عليه والحجاب فإنت تحجبه في محق الحق فيقع شهود الكون عليك خلفاً بلا حق لأنهم لا يعلمون أن الله أرسلك سترًا دونهم حتى لا ينظرون إليه فمحق الحق يقابل الحق ما هو مبالغة في الحق وأما هو مثل عدم العدم فإذا أقيم العبد في خروجه عن حضرة الحق إلى الخلق بطريق التحكيم فيهم من حيث لا يشعرون وقد يشعرون في حق بعض ألا باص من هذا النوع كالرسل عليهم السلام الذين جعلهم الله خلائف في الأرض يبلغون إليهم حكم الله فيهم وأخفي ذلك في الورثة فهم خلفاء من حيث لا يشعر بهم ولا يتمكن لهذا الخليفة المشعور به وغير المشعور به أن يقوم في الخلافة ألا بعد أن يحصل معاني حروف أوئل السور سور القرآن المعجمة مثل ألف لام ميم وغيرها الواردة في أوئل بعض سور القرآن فإذا أوقفه الله على حقائقها ومعانيها تعينت له الخلافة وكان أهلاً للنيابة هذا في علمه بظاهر هذه الحروف وأما علمه بباطنها فعلى تلك المدرجة يرجع إلى الحق فيها فيقف على أسرارها ومعانيها من الاسم الباطن إلى أن يصل إلى غايتها فيحجب الحق ظهوره بطريق الخدمة في نفس الأمر فيرى مع هذا القرب الألهي خلقاً بلا حق كما يرى العامة بعضهم بعضاً فيحكم في العالم عند ذلك بما تقتضيه حقيقته بما هو نسخة كونية للمناسبة التي بينه وبين العالم فلا يعلم العالم هذا القرب الألهي وهذا هو محق الحق الذي يصل إليه رجال الله فهو يشهد الله بالله ويشهد الكون بنفسه لا بالله ويكون في هذا المقام متحققاً من حروف أوئل السور المعجمة بالألف والراء خاصة مع علمه بما بقي منها غير أن الحكم فيه للألف والراء في هذا المقام حيثما وقعا من السور وأما حكمه في العالم في هذا المقام فمن باقي هذه الحروف من لام وميم وصاد وكاف وهاء وياء وعين وطاء وسين وحاء وقاف ونون فهذه الحروف يظهر في العالم في مقام محق الحق وبالألف والراء يظهر في الحق وهم الأولياء الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا رؤوا ذكر الله وذلك لأن عين تجليهم بهذين الحرفين في الصورة الظاهرة عين تجلي الحق فمن رآهم رأى الحق فهم إذا رؤوا ذكر الله لتحققهم بصفته فهم يشاهدون الحق فيه إذا تجلى لهم في صورة حق ولقد رأيته في هذا

التجلي ورأيت كثيرين من أهل الله لا يعرفونه وينكرونه وتعجبت من ذلك حتى أعلمت بأنهم وأن كانوا من أهل الله من حيث أنهم عاملون بأوامر الله لا عاملون فهم أهل إيمان ولما كان بين رتبة الألف من هذه الحروف وبين الراء ثلاث مراتب لذلك لم تقو الراء قوة الألف فإن الألف لا تحمل الحركة ولا تقبلها والراء ليست كذلك وأعلم أن محق الحق أتم عند أهل الله في الدنيا والحق أتم في الآخرة ومحق الحق لا يفوز به ألا أخص أهل الله وهو للعقول النورة هيكلها والحق يفوز به الخصوص وهو للنفوس المنورة جعلنا الله ممن محق محقه فإنفرد به حقه وهذه التي تسمى خلوة الحق فإنه لا يشهد ولا يرى وأن علمه بعض الناس فلا يكون مشهوداً له ومن هذه الحقيقة أتخذ أهل الله الخلوة للانفراد لما رأوه تعالى أتخذها للانفراد بعبدته ولهذا لا يكون في الزمان ألا واحد يسمى الغوث والقطب وهو الذي ينفرد به الحق ويخلو به دون خلقه فإذا فارق هيكله المنور أنفرد بشخص آخر لا ينفرد بشخصين في زمان واحد وهذه الخلوة الألهية من علم الأسرار التي لا تذاع ولا تفشي وما ذكرناها وسميناها ألا لتنبيه قلوب الغافلين عنها بل الجاهلين بها فإني ما رأيت ذكرها أحد قبلي ولا بلغني مع علمي بأن خاصة أهل الله بها عالمون وقد ورد خبر صحيح في التنبيه على هذا يوم القيامة حيث الجمع الأكبر في أنفراد العبد مع ربه وحده فيضع كنفه عليه ويقرره على ما كان منه ثم يقول له أي سترتها عليك في الدنيا وأنا أسترها عليك هنا ثم يأمر به إلى الجنة فنبه على الأنفراد بالله ونبهناك نحن على الأنفراد الألهي بالعبد وذلك العبد عين الله في كل زمان لا ينظر الحق في زمانه ألا إليه وهو الحجاب الأعلى والستر الأزهي والقوام الأهي

الباب السادس والخمسون ومائتان في معرفة الأبدار وأساراه

بدر الرجوع إلى بدر السلوك عسى

فإنظر بهل وبلم وثم كيف وما

فإن تعالى وجود عن مطالبها

لا فرق بين أستوى فيه وبين عما

من لا يؤثر في توحيده نسب

ذاك الذي حار في توحيده القدما

وما رأينا لعقل في تقلبه

في حضرة الذات في توحيده قدماً

أعلم أنه لا يقال في مذكور هل هو موجود أم لا حتى يكون خفي الوجود ومن كان وجوده ظاهراً لكل عين فإنه يرتفع عنه طلب هل فإنه أستفهام والأستفهام لا يكون ألا عن جهالة بحال ما أستفهم عنه وكذلك لا يقال لم ألا في معلول ولا يقال ما ألا في محدود ولا يقال كيف ألا في قابل للأحوال والحق متزه عن هذه الأمور المعقولة من هذه المطالب فهو متزه الذات عن هذه المطالب بل لا يجوز عليه لا في حق من يرى أن الوجود هو الله ولا في حق من يراه فإن الذي يرى أن الوجود هو الله فيرى أن حكم ما ظهر به الحق إنما هو أحكام أعيان الممكنات فما وقعت هذه المطالب ألا على مستحقها فإنه ما طلبت عين الحق ألا من حيث ظهورها بحكم عين الممكن فعين الممكن هو المطلوب والتبس على الطالب وأما من لا يرى أن عين الوجود هو الحق فلا تجوز عليه المطالب ثم نرجع فنقول أما الأبدار الذي نصبه الله مثلاً في العالم لتجليه بالحكم فيه فهو الخليفة الألهي الذي ظهر في العالم باسماء الله وأحكامه والرحمة والقهر والانتقام والعفو كما ظهر الشمس في ذات القمر فإناره كله فسمى بدرأ فرأى الشمس نفسه في مرآة ذات البدر فكساه نوراً سماه به بدرأ كما رأى الحق في ذات من أستخلفه فهو يحكم بحكم الله في العالم والحق يشهده شهود من يفيد نور العلم

قال تعالى أي جاعل في الأرض خليفة وعلمه جميع الاسماء وأسجد له الملائكة لأنه علم أنهم إليه يسجدون فإن الخليفة معلوم أنه لا يظهر ألا بصفة من أستخلفه فالحكم لمن أستخلفه قال الحق لأبي يزيد في بعض مكاناته مع الحق أخرج إلى الخلق بصفتي فمن رآك رأي ومن عظمك عظمي فتعظيم العبيد لتعظيم سيدهم لا لنفوسهم فهذا سر الأبدار فنصب الله صورة البدر مع الشمس مثلاً للخلافة الألهية وأن الحق يرى نفسه في ذات من أستخلفه على كمال الخلقة فإنه لا يظهر له ألا في صورته وعلى قدره ومن يرى أن الحق مرآة العالم وأن العالم يرى نفسه فيه جعل العالم كالشمس والحق كاللبن والثلثين صحيح واقع وأعلم أن الله قصد ضرب الأمثال للناس فقال كذلك يضرب الله الأمثال للذين أستجابوا لربهم الآية فالعالم كله بما فيه ضرب مثل ليعلم منه أنه هو فجعله دليلاً عليه وأمرنا بالنظر فيه فمما ضرب الله في العالم من المثل صورة القمر مع الشمس فلا يزال الحق ظاهراً في العالم دائماً على الكمال فالعالم كله كامل وجعل الله للعالم وجهين ظاهراً وباطناً فما نقص في الظاهر من أدراك تحليله أخذه الباطن وظهر فيه فلا يزال العالم بعين الحق محفوظاً أبداً ولا ينبغي أن يكون ألا هكذا وأحوال العالم مع الله على ثلاث مراتب مرتبة يظهر فيها تعالى بالاسم الظاهر فلا يطن عن العالم شيء من الأمر وذلك في موطن مخصوص وهو في العموم موطن القيامة ومرتبطة يظهر فيها في العالم في الباطن فتشاهده القلوب دون الأبصار ولهذا يرجع الأمر إليه ويجد كل موجود في فطرته الاستناد إليه والأقرار به من غير علم به ولا نظر في دليل فهذا من حكم تحليله سبحانه في الباطن ومرتبطة ثالثة له فيها تجل في الظاهر والباطن فيدرك منه في الظاهر قدر ما تجلى به ويدرك منه في الباطن قدر ما تجلى به فله تعالى التجلي الدائم العام في العالم على الدوام وتختلف مراتب العالم فيه لأختلاف مراتب العالم في نفسها فهو يتجلى بحسب استعدادهم فمن فهم هذا علم أن الأبدار لا يزال فأفهم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب السابع والخمسون ومائتان في معرفة المحاضرة وهي حضور القلب

بتواتر البرهان ومجارة الاسماء الالهية بما هي عليه من الحقائق التي تطلبها الأكوان

دليل على الماضي دليل على الآتي

لوجدان آلام ووجدان لذات

ولا عند من يدري وجود لأثبات

محاضرة الاسماء في حضرة الذات

أقول بها والكون يعطي وجودها

فلولا وجود المحو ما صح عندنا

المحاضرة صفة أهل الاعتبار والنظر المأمور به شرعاً فما يفرغون من نظر في دليل بعد أعطائه إياهم مدلوله ألا ويظهر الله لهم دليلاً آخر فيشغلون بالنظر فيه إلى أن يوفي لهم ما هو عليه من الدلالة فإذا حصلوا مدلوله أراهم الحق دليلاً آخر هكذا دائماً وهو قوله تعالى "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم فذكر أنه يريهم آيات ما جعل ذلك آية واحدة ثم قال حتى يتبين لهم أنه الحق وهو عثورهم على وجه الدليل وحصول المدلول وهذه مسألة تختلف فيها فتوح المكاشفة فمنهم من يعطي الدليل ومدلوله كشفاً ولا يعطي أبداً ذلك المدلول دون دليله حتى زعم بعض العلماء به أن علوم الوهب التي من شأنها أن تدرك في النظر ألا بالدليل العقلي لا توهب لمن وهبت ألا بأدلتها فإنها بما مرتبطة ارتباطاً عقلياً ومنهم من يقول أنه قد يعطي الله ما يشاء من العلوم التي لا تدرك في

العقل ألا بالأدلة بغير دليلها لأن المقصود ما هو الدليل وأما المقصود مدلوله فإذا حصل بوجه من الحق من غير الدليل الذي يرتبط به في النظر العقلي فلا حاجة للدليل أذ قد علمنا أن الدليل يقابل حصول المدلول في النفس وأتقنا لا يجتمعان وهذا غلط وأما الذي لا يجتمع مع المدلول النظر في الدليل لا عين الدليل فإن الناظر في الدليل فاقد واجد ومحصل للمدلول وقد تكون المحاضرة من العبد مع الاسماء الألهية والكونية من حيث أن الاسماء الكونية قد وسم الحق بها نفسه والاسماء الألهية قد وسم الكون بها نفسه وأستحق الحنابان الاسماء جميعها وهذا مما يقوي حديث خلق العالم على الصورة فإذا حضرت الاسماء الحسنى وأسماء الكون وجرت في ميدان المفارقة فإن الله يستهزئ بالمنافقين وبأهل الاستهزاء بالجناب الألهي ويمكر سبحانه بالماكرين ويعجب ممن قهر الطبيعة على قوتها في الحكم وهذا كله سمات الأحداث وقد وسم الحق بها نفسه كما وسمها بكونه قديراً وخلاقاً وعليماً وغير ذلك فالكل عند طائفة أصل للأصل النسبي الذي أوجد العالم وبعضهم فرق فجعل خلاف الاسماء الحسنى أصلاً في الكون منقولاً في الجناب الألهي وحكم هذه المحاضرة في كل شخص بحسب ما يتقوى عنده ويعطيه النظر فتختلف أحوال أهل الله في ذلك وهو قوله أن في ذلك آيات لقوم يتفكرون والتفكر في ذات الله محال فلا يبقى ألا التفكير في الكون ومتعلق الفكرة الاسماء الحسنى وسمات الأحداث فالاسماء كلها أصل في الكون على هذا النظر فإذا وقف على محاضرة الاسماء ومناظرتها علم من أثر في وجود الكون بعد أن لم يكن هل أثر فيه الحق الوجود أو أستعداده أو المجموع هذه فائدة المحاضرة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الثامن والخمسون ومائتان في معرفة اللوامع

وهي ما ثبت من أنوار التجلي وقتين وقريباً من ذلك

عند تغريدي بتجريدي

أذنت فينا بتحيدي

حل تركيب وتبديد

ظاهر بنقص توحيدي

لمعت أنوار توحيدي

كلما أبدت لوامعها

كل محدود يؤول إلى

فصله من جنسه علم

اللوامع فوق الذوق فإنما تزيد على المبدأ ودون الشرب فإن الشرب قد ينتهي إلى الري وقد لا ينتهي فإذا ثبتت أنوار التجلي وقتين وقريباً من ذلك فهي اللوامع وهذا لا يكون في التجلي الذاتي وإنما يكون في تجلي المناسبات فإذا تجلى في المناسبات دام بقدر ثبوت تلك المناسبة والمناسبات صغيرة الزمان قصيرة في الثبوت لأن الشؤوت الإلهية لا تتركها ووما سوى الأعيان القائمة بأنفسها أعرض سريعة الزوال وإنما ثبتت وقتين وقريباً من ذلك لأن الوقت الأول لظهورها والوقت الثاني لإفادة ما تعطيه مما لمعت له فإن المحل يدهش عند لمعانها وهو حديث عهد بالتجلي الذي فارقه فتربص هذه اللوامع حتى يزول الدهش والتعلق بما كان عليه فيقبل ما أتته به هذه اللوامع وأعني بتربصها تواليها فإذا حصل لقبول مضى حكمها فرالت وجاء غيرها مثلها أو أخلاقها وصاحبها أبداً سريع الرجوع إلى عالم الحس ولا ترد هذه اللوامع إلا بعلوم إلهية لا تعلق لها بعلوم الكون فهي إلهية مجردة هذه ميزاتها فإن وجد الإنسان علماً يكون في حاله فما هي لوامع لأن ضروب التجلي كثيرة متنوعة الحكم فاعلم ذلك والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب التاسع والخمسون ومائتان في معرفة الهجوم والبوادة

فالهجوم ما يرد على قلب بفوت الوقت من غير تصنع منك والبوادة ما يفجأ القلب من الغيب على سبيل
الوهلة وهو ما موجب فرح أو ترح

قلب تقلب في ظلماته زمناً

حالا فتلقه بحالة الزمنا

ما دبرت روحنا نفساً ولا بدنا

نور البوادة فجأت الغيوب على

وواردات هجوم الكشف تورثها

لو أنها وردت لرروح نشأتنا

اعلم أيدنا الله وإياك بروح منه أن البوادة والهجوم والصحو والسكر والذوق والشرب وأمثالها إنما هي واردات الغيب ترد على
القلوب فتؤثر فيها أحوالاً مختلفة فيمن قامت به ويسمون ذلك الحال بالوارد وليس للعبد تعمل في تحصيل هذه الواردات مع أنها ما
ترد الأعلى قلب مستعد لقبولها فإذا ورد الوارد على القلب فجأة من غير تصنع فيعطيه ذلك الوارد حسرة فوت الوقت فإنه منبه لمن
غفل عن حكم وقته فيه فلم يتأدب مع وارد وقته أراد الحق أن ينهيه عناية منه به فبعث إليه هذا الوارد رسولا من الله يكشف له عن
فوت وقته وأنه ممن أساء الأدب مع الله فيندمه على ما كان منه من فوت الوقت فيجبر له هذا الندم فضيلة ما فاتته من وقته حتى
يكون كأنه ما فاتته شيء وهذا غلط عظيم فيتزين وقته بزينة ندمه كما كان يتزين أدبه معه لو حضر معه ولم يفته فهذه فائدة الهجوم
يجبر الوقت الذي فاتع ولنا في ذلك.

ولتتخذ زادك الرحمن في سفرك

بارد لجبر الذي قد فات من عمرك

وأما البوادة فهي أيضاً فجأة إلهية تفجأ القلوب من حضرة الغيب بحكم الوقت ولا تأتي في اصطلاحهم هذه البوادة إلا أن تعطى
فرحاً في القلب أو حزناً فتضحك وتبكي وهو قول أبي يزيد ضحكك زمانا يريد أنه كان في حكم البوادة ثم قال وأنا اليوم لا
أضحك ولا أبكي يعرف بانتقاله من تأثر حال البوادة فيه إلى حال العظمة ولا تكون البوادة إلا فيمن يتصف ومن لا وصف له لا
بديهة له غير أنه لما كانت البوادة من حضرة الهو لم يعرف متى تأتي فإذا وردت إنما ترد فجأة وبغته فتعطى ما وردت به وتنصرف
وأما البديهة إلا ما أوجب فرحاً أو ترحاً وأما إذا لم يوجب ذلك فأحوالهم فيها أحوال الناس غير أن أهل الطريق يعلمون أن البوادة
إذا وردت لا يخطئ حكمها ألبتة ولها الإصابة في كل ما ترد به ولهذا إذا سأل الشيوخ تلاميذهم عن مسألة على تعليم الأخذ عن الله
لا يتكونه يفكر في الجواب فيكون جوابهم نتيجة فكر وإنما يقولون لا تجب إلا بما يخطر لك فيما سئلت عنه عند السؤال فتتظر إلى
قلبك ما ألقى فيه عند ورود السؤال فاذا ذكره ببادئ الرأي فإن لم يفعل فلا يقبل منه الجواب وإن أصاب عن فكر ونظر فإن الله لا
يغفل في كل نفس عن قلب أحد من عباده بل هو الرقيب عليه فيهيبه في كل نفس بحسب ما يريده سبحانه فأصحاب القلوب
المراقبين قلوبهم من أجل آثار رهم فيها يجيئون بورود الوارد في كل نفس فيعلمون بمقتضاه أن وافق المسيزان الشرعي الذي قد شرع
لسعادتهم وإن لم يوافق طريق السعادة فإن لهم لهذا الوارد أخذاً مخصوصاً فيأخذونه تنبيهاً من الحق وتعريفاً لا مؤثراً في ظاهرهم ولا
باطنهم فهذا قد بينا معنى البوادة والهجوم عند القوم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الموفى ستين ومائتان في معرفة القرب وهو القيام بالطاعات

وقد يطلقونه ويريدون به قرب قاب قوسين وهما قوساً الدائرة إذا قطعت بخط أو أدنى

قوسان ذلك قرب الحق فاعتبروا

ما حزته لاح ما يقتضي به النظر

خلاف نسبة ما يسري به البصر

إذا قطعت بخط أكرة فبدا

إلى حقيقة أدنى منهما فإذا

إن المعارج للأرواح نسبتها

قال تعالى ونحن أقرب إليه من حبل الوريد فوصف نفسه بالقرب من عباده والمطلوب بالقرب إنما هو أن يكون صفة العبد فيتصف بالقرب من الحق اتصاف الحق بالقرب منه كما قال "وهو معكم أينما كنتم" والرجال يطلبون أن يكونوا مع الحق أبداً في أي صورة تجلى وهو لا يزال متجلياً في صور عباده دائماً فيكون العبد معه حيث تجلى دائماً كما لا يخلو العبد عن أينية دائماً والله معه أينما كان دائماً فأينية الحق صورة ما يتجلى فيها فالعارفون لا يزالون في شهود القرب دائمين لأنهم لا يزالون في شهادة الصور في نفوسهم وفي غير نفوسهم وليس إلا تجلي الحق وأما القرب الذي هو القيام بالطاعات فذلك القرب من سعادة العبد بالفوز منشقاوته وسعادة العبد في نيل جميع أغراضه كلها ولا يكون له ذلك إلا في الجنة وأما في الدنيا فإنه لا بد من ترك بعض أغراضه القادحة في سعاده فقرب العامة والقرب العام إنما هو القرب من السعادة فيطيع ليسعد وقرب العارفين ما ذكرناه فهو يتضمن السعادة وزيادة ولولا الاسماء الإلهية وحكمها في الأكوان ما ظهر حكم القرب والبعد في العالم فإن كل عبد في كل وقت لا بد أن يكون صاحب قرب من إسم إلهي صاحب بعد من إسم آخر لا حكم له فيه في الوقت فإن كان حكم ذلك الاسم الحاكم في الوقت المتصف بالقرب منه يعطى للعبد فوزاً من الشقاء وحياسة لسعاده فذلك هو القرب المطلوب عند القوم وهو كل ما يعطي العبد سعادة وإن لم يعط ذلك فليس بقرب عند القوم وإن كان قرباً من وجه آخر لا من حيث ما وقع عليه الإصطلاح أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه في هذا الباب أن الله يقول ما تقرب المتقربون بأحب إلى من اداء ما افترضته عليهم ولا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً وقال سببحانه في الخبر الصحيح من تقرب إلي شبر تقربت إليه ذراعاً ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً ومن أتاني يسعى أتيت هرولة وقال تعالى "وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان" وقال في حق الميت "ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون" ومعناه عندنا لا تميزون يقول تبصرون ولكن لا تعرفون ما تبصرون فكأنكم لا تبصرون أعلم أن القرب من الله على ثلاثة أنحاء قرب بالنظر في معرفة الله جهد الإستطاعة أصاب في ذلك أو أخطأ بعد بذل الوسع في الإجتهد في ذلك فقد يعتقد المجتهد فيما ليس برهان أنه برهان فيحجزاه الله مجازاة أصحاب البراهين الصحيحة وقد نبه سبحانه على ما يفهم منه ما ذكرناه وهو قوله ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به وقد رأى بعض العلماء أن الإجتهد يسوغ في الفروع والأصول فإن أخطأ فله أجر وإن أصاب فله أجران والنوع الآخر قرب بالعلم والنوع الثالث قرب بالعمل وينقسم على قسمين قرب بإداء الواجبات وقرب بالمندوبات في عمل الظاهر والباطن فأما قرب العلم فأعلاه توحيد الله في إلهوته فإنه لا إله إلا هو فإن كان عن شهود لا عن نظر وفكر فهو من أولى العلم الذين ذكرهم الله قوله "شهد الله أنه لا إله إلا

هو والملائكة وأولو العلم" لأن الشهادة إن لم تكن عن شهود والأفلاكيان الشهود لا يدخله الريب ولا الشكوك وإن وحده بالدليل الذي أعطاه النظر فما هو من هذه الطائفة المذكورة فإنه ما من صاحب فكر وإن أنتج له علماً إلا وقد يخطر له دخل في دليته وشبهة في برهانه يؤديه ذلك إلى التحير والنظر في رد تلك الشبهة فلذلك لا يقوى صاحب النظر في علم ما يعطيه لنظر قوة صاحب الشهود وهذا الصنف إذا قضى الله عليه بدخول النار لأسباب أوجبت له ذلك فهو الذي يخرج من النار بعد شفاعته الشافعين وأما قرب العمل فهو علم ظاهر وهو ما يتعلق بالجوارح وعلم باطن وهو ما يتعلق بالنفس فأعم الأعمال الباطنة الإيمان بالله وما جاء من عنده لقوله الرسول لا للعلم بذلك وعمل الإيمان يعم جميع الأفعال والتروك فما من مؤمن يرتكب معصية ظاهرة أو باطنة الأولى فيها قربة إلى الله من حيث إيمانه بما أنها معصية فلا يخلص أبداً للمؤمن عمل سيئ دون أن يخالطه عمل صالح قوله تعالى فيمن هذه صفته عسى الله أن يتوب عليهم وما ذكر لهم قربة فما تاب هنا في هذه الآية عليهم ليتوبوا وإنما هو رجوع بالعفو والتجاوز وعسى من الله واجبة عند جميع العلماء فالشرط المصحح لقبول جميع الفرائض فرض الإيمان ثم يتقرب العبد بأداء الفرائض فمن حصل له هنا ثمرتها كان سمعاً للحق وبصراً فيريد الحق بإرادته على غير علم منه أن مراده مراد الله وقوعه فإن علم فليس هو صاحب هذا المقام هذا ميزان أداء الفرائض وهو أحب ما يتقرب به إلى الله وأما قرب النوافل فإنه أيضاً يحبه الله ومحبة الله أعطته أن يكون الحق سمعه وبصره هذا ميزانها في قرب النوافل ولما كانت المحبة لها مراتب متميزة في الحب قيل محب وأحب وقد وصف الله نفسه بأحب في قوله بأحب إلى من أدا ما افترضته عليه وفي النوافل قال أحببته من غير مفاضلة وافترض عليه الإيمان به وبما جاء من عنده فالمؤمن له مرتبة الحب والأحب وأما عمل الجوارح فإنه قرب أيضاً ولا بد أن تجنى الجارحة ثمرتها أي ثمره عملها في حق كل إنسان من غير تقييد ولكن هم في ذلك على طبقات مختلفة في أي دار كانوا أو من أي صنف كانوا وسواء قصد القرب بذلك العمل أو لم يقصد فإن العمل يطلب ميزانه وقد وقع من الجارحة فهو حق لها والنية حق للنفس حتى أنه لو ذكر الله بيمين فأجرة يقتطع بها حق امرئ لكان للجارحة أجر ذكر الله لكا جرى على اللسان وعلى النفس وررمانوته من ذلك والتنبيه على ما ذكرناه كون حكم ظاهر الشرع أسقط عنه يمينه حق الطالب فإذا كان أثرها في الظاهر بهذه القوة في الدنيا فما ظنك بما تجنيه تلك الجارحة الذاكرة ربحاً في الأخرى فإن الجارحة لا خير لها بما نوته النفس من ذلك فحفظها النطق بذكر الله لا تدري أن ذلك الذكر يعود منه وبال على النفس أم ولا تدري هل هو مشروع أم غير مشروع ولذلك إذا شهدت الجوارح والجلود بما وقع منها من الأعمال على النفس المدبرة لها ما تشهد بوقوع معصية ولا طاعة وإنما شهادتها بما عملته والله يعلم حكمه في ذلك العمل ولهذا إذا كان يوم القيامة تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ولم يشهدوا بكون ذلك العمل طاعة ولا معصية فإن مرتبتهم لا تقتضي ذلك فالإنسان من حيث هيكله سعيد كله ومن حيث نفسه أن كان مؤمناً فهو صاحب تخليط وأما قرب الله منه فعلى نوعين النوع الواحد قرب رحمة وعطف وتجاوز ومغفرة وإحسان والنوع الآخر قرب لا يمكن كشفه لكن نومي إليه فنقول لا يخلو الحق مع كل عبد عندما يتجلى له أن يظهر له مادة أو في غير مادة فإن تجلي له في مادة وهي الصورة تبع القرب تلك المادة في مجلس الشهود وحضرة الرؤية وإن تجلى له في غير مادة كان قرب المتزلة والمرتبة كقرب الوزير والقاضي والوالي وصاحب الحسية من الملك فإنه قرب متفاضل وقد يدي مجلس إلا دون ليسارره بأمر ينفذ في مرتبته ويكون الأعلى أبعد منه مجلساً في ذلك المجلس ولا يقتضي قرب في ذلك المجلس بأنه أعلى رتبة من الأعلى منه فإن حكم المواد يخالف حكم النفوس في الصورة وإذا علمت هذا فقد قربت من العم بقرب الحق والقرب بين الإثنين على حد واحد فمن منك فقد اتصف بأنك منه قريب وفي نفس الأمر ليس للبعد من

الله سبيل وإنما البعد أمر إضافي يظهر في أحكام الاسماء الإلهية فزمان حكم الاسم الإلهي في الشخص هو زمان أتصافه بالقرب من البعد وقرب العبد منه والاسم الألهي الذي ما له حكم الوقت في الشخص هو منه بعيد كيف يتصف بالبعد عنك أو تتصف بالعبد منه من أنت في قبضته ألم يفتح لآدم يده اليمين تعالى وكلتا يديه يمين مباركة فبسطها فإذا فيها آدم وذريته وهل يؤيد شقاء من هو في يمين الحق لا والله وكانت القبضة الأخرى جميع العالم فإنظر في اختيار آدم يمين الحق للتمييز مع كونه يعرف أن كلتي يدي ربه يمين مباركة وليس ألا ما ذكرناه ولولا ما كان التجلي لآدم في صورة مادية ما أتصفت اليدان بالقبض والبسط وقد نبهتكم على معرفة القرب حتى تشهده من نفسك مع الله أن كنت من أهل التجلي في هذه الدار وإذا وقع التجلي في المواد جاءت الحدود بغير شك فجاء الشير والذراع والباع والسعي والهرولة بحسب ما يقتضيه الحال فإن قرب المواد تابع للأحوال فعلى قدر الحال يكون القرب في المادة بين القريين ليعلم بذلك القرب أن حاله أعطي ذلك فهو ترجمان عن الأحوال وأما القرب من الله بحياز الصورة فليس ذلك ألا للخلفاء خاصة سواء كانوا رسلاً أو لم يكونوا فإن الرسالة ليست بنعت ألهي وإنما هي نسبة بين مرسل ومرسل إليه لينوب عنه فيما يريد أن يبلغه إلى هذا الشخص المرسل إليه فالرسول خليفة ونائب في التبليغ خاصة وتتمة الخلافة والنيابة إنما هي في الحكم بما تقتضيه حقائق الاسماء الإلهية من القهر والأرعاد والأبراق والأخذ والرحمة والعفو والتجاوز والأنتقام والحساب والمصادرة وما ثم أصعب في الألهيات من المصادرة إذا لم تقع عن حساب أو تجاوز في الأخذ حد الأستحقاق وذلك في قوله لا يسأل عما يفعل والأخذ والتجاوز بعد التقرير والحساب والسؤال في قوله وهم يسألون وقوله "فلله الحجة البالغة" فقرب بالصورة على نوعين في الخلافة النوع الواحد خلافة عن تعريف ألهي بمنشور وخلافة لا عن تعريف ألهي مع نفوذ الأحكام منه ولا يسمى مثل هذا القرب على طريق الأدب بلسان الأدباء خلافة ولا هو خليفة وبالحقيقة هو خليفة وتلك خلافة فالخلفاء متفاضلون أيضاً فيها والخلافة بغير التعريف أتم في القرب المعنوي فإن الخليفة بالتعريف والأمر الظاهر يبعد من المستخلف في الصورة فإن حكمه في العالم لم يكن عن أمر من غيره بل هو حاكم لنفسه فمن حكم في العالم بنفسه ونفذ حكمه فيه من غير أمر ألهي ولا أستخلاف بتعريف ولا منشور فهو أقرب من الصورة الإلهية ممن عقدت له الخلافة عن أمر ألهي بتعريف ومنشور لكنه أقرب إلى السعادة المطلوبة له من ذلك الذي لم يقترب بخلافته أمر ألهي والقرب إلى السعادة هو المطلوب عند العلماء بالله وهذا القدر كاف في معرفة القرب والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الأحد والستون ومائتان في معرفة البعد

أعلم أن البعد هو الإقامة على المخالفة ويطلق أيضاً على البعد منك

وتر وشفع وتو

يقول للقوم سووا

لها العلا والدنو

له البقا والسمو

البعد منك دنو

لما رأيت أماماً

صفوفكم في صلاة

علمت أن وجودي

وأعلم أن البعد يختلف باختلاف الأحوال فيدل على ما يراد به قرائن الأحوال وأن الأحوال وجميع ما ذكرناه فيما يكون قرباً إذا لم يكن صفة للعبد فعدمه عين البعد هذا هو الجامع لهذا الباب الذي أشار إليه القوم وأما حكم البعد عندنا فقد يكون على خلاف ما قرروه بعداً مع تقريرنا ما قرروه بعداً أنه بعداً بلا شك ألا أنا زدنا فيه أموراً أغفلتها الجماعة لا أنهم جهلوا ما نذكره ألا أنهم ما ذكروه في معرفة البعد وأدخلوه في باب القرب وذلك أن القرب اجتماع والبعد افتراق وما يقع به الاجتماع غير ما يقع به الافتراق فالبعد غير القرب فإذا اجتمع أمران في شيء ما فذلك غاية القرب لأن عين كل واحد منهما عين الآخر فيما وقع فيه الاجتماع فإذا تميز كل واحد من العينين عن صاحبه بنعت لا يكون عليه الآخر فقد تميز عنه وإذا تميز عنه فذلك البعد لأنه ليس عينه من حيث ما هو عليه مما وقع له به الافتراق ويظهر ذلك في حدود الأشياء وإذا وقع البعد اختلف الحكم وقد يكون البعد بنعت عرضي كالمكان والزمان والحد والمقدار والأكوان والألوان في حق من تطلب ذاته هذه النعوت فإذا عقل أمران لا اجتماع بين واحد منهما مع الآخر وأفترقا من جميع الوجوه كلها فذلك غاية البعد فلا أبعد من العالم من الله لأنه مائم من حيث ذاته شيء يجمع بينهما وهذا موجود في قواه تعالى والله غنى عن العالمين وكان الله ولا شيء معه ثم نزل في درجة البعد دون هذا فنقول العبد لا يكون سيد المن هو عبد له فلا شيء أبعد من العبد من سيده فالعبودية ليست بحال قرينة وإنما يقرب العبد من سيده بعلمه أنه عبد له وعلمه بأنه عبد له ما هو عين عبوديته فعبوديته تقتضي البعد عن السيد وعلمه بها يقضي بالقرب من السيد قال الله لأبي يزيد البسطامي لما حار في القرب وما عرف بما إذا يتقرب إليه فقال له الحق في سره يا أبا يزيد تقرب إلى بما ليس لي الذلة والافتقار فنفي سبحانه عن نفسه هاتين الصفتين الذلة والافتقار وما نفاه عنه فإنه صفة بعد منه فمن قامت به تلك الصفة التي تقتضي البعد فهو بحيث هي وهي تقتضي البعد وقال أبو يزيد لربه في وقت آخر بم أتقرب إليك فقال له الحق أترك نفسك وتعال وإذا ترك نفسه فقد ترك حكم عبوديته لما كانت العبودية عين البعد من السيادة فالعبد بعيد من السيد فطلب منه في الدلة والافتقار القرب بالعبودية وطلب منه في ترك النفس القرب بالتخلق بأخلاق الله وهو ما يكون به الاجتماع فالتجلي في غير مادة تجلي البعد وفي المواد تجلي القرب وأما البعد من الاسماء الألهية فكل إسم لا يكون العبد تحت حكمه في الوقت وأعلم أن الاسماء الألهية إذا ظهر بها العبد عن الأمر الألهي فهو في قرب النيابة عن الله لا في قرب الحقيقة وإذا ظهر ببعضها عن غير أمر ألهي فهو في عين البعد المستعاذ منه في قوله صلى الله عليه وسلم وأعوذ بك منك لأن حقيقة المخلوق لا تتمكن في حال شهوده لمخلوقيته أن يكون خالقاً والكبرياء والجبروت صفة للحق فإذا قامت بالعبد فقد قام به الحق فاستعاذ منه وما ثم أعظم منه يستعاذ فاستعاذ به فأين كبرياء الحق وجبروته من صفته بأنه يفرح بتوبة عبده ويصف نفسه بجوع عبده وعطشه ومرضه فبمثل هذا استعاذ ومن مثل ذلك الآخر استعاذ بالمنعوت بهما واحد العين وهو الله فاستأذ به منه فقال وأعوذ بك منك وهذا غاية ما يصل إليه تعظيم الحدث إذا عظم جناب الله وأما بعد المخالفة فهو بعد العبد عن سعادته وعن الاسماء الألهية التي تقتضي الموافقة في القرب بالطاعات وأن كان في المخالفة قريباً من الاسماء الألهية التي تطلب الأكوان من حيث التكليف فإنها محصورة في عفو ومؤاخذه فهو قريب بالمؤاخذه منه فالمخالفة تطلب الرحمة وتعرض للعقوبة وهو سبحانه على مشيئته في ذلك فلم يبق في بعد المخالفة ألا البعد عن سعادته أما بنقصان حظ عن غيره أو مؤاخذه بالجريمة وأما البعد منك الذي ذكرته الطائفة فهو قوله لأبي يزيد أترك نفسك وتعال ومن ترك نفسه بعد عنها وقد بينا لك في هذا الباب معنى هذا القول والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الثاني والستون ومائتان في معرفة الشريعة

الشريعة التزام العبودية بنسبة الفعل إليك

عليه أهل مقامات العلي درجوا

أن الشريعة حد ما له عوج

لحضرة دخلوا فيها وما خرجوا

علوا معارج من عقل ومن همم

عليهم في الذي جاؤا به حرج

جاؤا بأمر عظيم القدر منه وما

الشريعة السنة الظاهرة التي جاءت بها الرسل عن أمر الله والسنن التي أبتدعت على طريق القرية إلى الله كقوله تعالى "ورهبانية أبتدعوها" وقول الرسول صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فأجاز لنا أبتداع ما هو حسن وجعل فيه الأجر لمن أبتدعه ولمن عمل به وأخبر أن العابد لله بما يعطيه نظره إذا لم يكن على شرع من الله معين أنه يحشر أمة وحده بغير أمام يتبعه فجعله خيراً وألحقه بالأخيار كما قال في إبراهيم أن أبراهيم كان أمة قانتا لله وذلك قبل أن يوحى إليه وقال عليه السلام بعثت لأتمم مكارم الأخلاق فمن كان على مكارم الأخلاق فهو على شرع من ربه وأن لم يعلم ذلك وسماه النبي صلى الله عليه وسلم خيراً في حديث حكيم بن حزام وأنه كان يتبرر في الجاهلية بأمور من عتق وصدقة وصلة رحم وكرم وأمثال ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سأله عن ذلك أسلمت على ما أسلفت من خير فسماه خيراً وجازاه الله به فالشريعة أن لم تفهم هكذا وألا فما فهمت الشريعة وأما تتممة مكارم الأخلاق فهي تعريتها مما نسب إليها من السفسفة فإن سفساف الأخلاق أمر عرضي ومكارم الأخلاق أمر ذاتي لأن السفساف ليس له مستند أهلي فهو نسبة عرضية مبناها الأغراض النفسية ومكارم الأخلاق لها مستند أهلي وهو الأخلاق الأهلية فتتممة النبي صلى الله عليه وسلم مكارم الأخلاق ظهر في تبينه مصارفها فعين لها مصارف تكون بها مكارم أخلاق وتعري بذلك عن ملابس سفساف الأخلاق فما في الكون ألا شريعة ثم أعلم أن الشريعة أتت بلسان ما تواطأت عليه الأمة التي شرع الله لها ما شرع فمنه ما كان عن طلب من الأمة ومنه ما شرعه أبتداء من الأحكام ولهذا كان يقول صلى الله عليه وسلم أتركوني ما تركتكم فإن كثيراً من الشريعة نزل بسؤال من الأمة لو لم يسألوه ما نزل وأسباب الأحكام دنيا وآخرة معلومة عند العلماء بأسباب التزول والحكم يقال شرعت الرمح قبله أي قصده به مستقبلاً والشريعة من جملة الحقائق فهي حقيقة لكن تسمى شريعة وهي حق كلها والحاكم بها حاكم بحق مثاب عند الله لأنه حكم بما كلف أن يحكم به وأن كان المحكوم له على باطل والمحكوم عليه على حق فهل هو عند الله كما هو في الحكم أو كما هو في نفس الأمر فمن يرى أنه عند الله كما هو في الحكم ومن يرى أنه عند الله كما هو في نفس الأمر وفي هذه المسئلة نظر يحتاج إلى سير أدلة فإن العقوبة قد أوقعها الله في رمي الحصنات وأن صدقوا إذا لم يأتوا بأربعة شهداء وقال في قضية خاصة في ذلك كان الرامي كاذباً فيها فقال لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء كما قرر في الحكم فأذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون فقوله أولئك هل يريد بهذه الإشارة هذه القضية الخاصة أو يريد عموم الحكم في ذلك فجلد الرامي أما كان لرميه ولكونه ما جاء بأربعة شهداء وقد يكون الشهداء شهداء زور في نفس الأمر وتحصيل العقوبة بشهادتهم في المرمى فيقتل وله الأجر التام في الأخرى مع ثبوت الحكم عليه في الدنيا وعلى شهود الزور والمفتري العقوبة في الأخرى وأن حكم الحق في الدنيا بقوله وشهادة شهود الزور فيه ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أنا بشر وأنكم لتختصمون إلى

ولعل أحدكم يكون ألحن بحجته من الآخر فمن قضيت له بحق أخيه فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار فقد قضي له بما هو حق لأخيه وجعله له حقاً مع كونه معاقباً عليه في الآخرة كما يعاقب على الغيبة والنميمة مع كونهما حقاً فما كان حق في الشرع تقترون به السعادة ولما كان الشريعة عبارة عن الحكم في المشروع له والتحكم فيه بما كان المشروع له عبداً فالتزم عبوديته لكون الحكم لا يتركه يرفع رأسه بنفسه فما له من حركة ولا سكون ألا وللشرع في ذلك حكم عليه بما يراه فلذلك جعلت الطائفة الشريعة ألتزام العبودية فإن العبد محكوم عليه أبداً وأما قولهم بنسبة الفعل إليك فإنك أن لم تفعل ما يريدك السيد منك وألا فما وجب عليك الأخذ¹ به ولذلك رفع القلم عمن لا عقل له ويكفي هذا القدر في علم الشريعة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الثالث والستون ومائتان

في معرفة الحقيقة وهي سلب آثار أوصافك عنك

بأوصافه أنه الفاعل بك فيك منك لا أنت ما من دابة ألا هو آخذ بناصيتها

والعقل بالفكر ينفي الواحد الأحدا

والكون يطلب من آثاره العدا

لا أهل فيها ولا أبا ولا ولدا

أن الحقيقة تعطي واحداً أبداً

فالذات ليس لها ثان فيشفعها

والكل ليس سوى عين محققة

أعلم أيدينا الله وأياك بروح منه أن الحقيقة هي ما هو عليه الوجود بما فيه من الخلاف والتماثل والتقابل أن لم تعرف الحقيقة هكذا وألا فم عرفت فعين الشريعة عين الحقيقة والشريعة حق ولكل حق حقيقة فحق الشريعة وجود عينها وحقيقتها ما تنزل في الشهود منزلة شهود عينها في باطن الأمر فتكون في الباطن كما هي في الظاهر من غير مزيد حتى إذا كشف الغطاء لم يختل الأمر على الناظر قال بعض الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنا مؤمن حقاً فادعى حق الإيمان وهو من نعوت الباطن فإنه تصديق والتصديق محله القلب فآثاره في الجوارح إذا كان تصديق له أثر فإن كان تصديق ما له أثر فلا يلزم ظهوره على الجوارح كما قال والفرج يصدق ذلك أو يكذبه فنسب الصدق إلى الفرع وهو عضو ظاهر فقال له رسول الله " فما حقيقة إيمانك فقال كأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً وقد كان صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله أن عرش ربه يبرز يوم القيامة فجعله هذا السامع مشهود الوقوع في خياله فقال كأني أنظر إليه أي هو عندي بمنزلة من أشاهده ببصري فلما أنزله منزلة الشهود البصري والوجود الحسي عرفنا أن الحقيقة تطلب الحق لا تخالفه فما ثم حقيقة تخالف شريعة لأن الشريعة من جملة الحقائق والحقائق أمثال وأسباب فالشرع ينفي ويثبت فيقول ليس كمثله شيء فنفي وأثبت معاً كما يقول وهو السميع البصير وهذا هو قول الحقيقة بعينه فالشريعة هي الحقيقة فالحقيقة وإن أعطت أحدية الألوهة فإنها أعطت النسب فيها فما أثبتت إلا الأحدية الكثرة النسبية لا أحدية الواحد فإن أحدية الواحد ظاهر بنفسها وأحدية الكثرة عزيزة المنال لا يدركها كل ذي نظر فالحقيقة التي هي أحدية الكثرة لا يعثر عليها كل أحد ولما رأوا أنهم عاملون بالشريعة خصوصاً وعموماً ورأوا أن الحقيقة لا يعلمها إلا الخصوص فرقوا بين الشريعة والحقيقة فجعلوا الشريعة لما ظهر من

أحكام الحقيقة وجعلوا الحقيقة لما بطن من أحكامها لما كان الشارع الذي هو الحق قد تسمى بالظاهر والباطن وهذا ان الاسمان له كقيقة فالحقيقة ظهور صفة حق خلف حجاب صفة عبد فإذا ارتفع حجاب الجهل عن عين البصيرة رأى أن صفة العبد الحق عندهم وعندنا أن صفة العبد هي عين الحق لا صفة الحق فالظاهر خلق والباطن حق والباطن منشأ الظاهر فإن الجوارح تابعة منقادة لما تريد بها النفس والنفس باطنة العين طاهرة الحكم والجارحة ظاهرة الحكم لا باطن لها لأنه لا حكم لها فينسب الإعوجاج والإستقامة للماشي بالمشي به لا إلى من مشى به والماشي بالخلق إنما هو الحق وذكر أنه على صراط مستقيم فالإعوجاج قد يكون استقامة في الحقيقة كاعوجاج القوس فاستقامته التي أريدها اعوجاجه فما في العالم إلا مستقيم لأن الآخذ بناصيته هو الماشي به وهو على صراط مستقيم فكل حركة وسكون في الوجود فهي إلهية لأنها بيد حق وصادرة عن حق موصوف بأنه على صراط مستقيم بأخبار الصادق فإن الرسل لا تقول على الله إلا ما تعلمه منه فهم أعلم الخلق بالله وليس للكون معذرة أقوى من هذه فمن رحمة الرسل بالخلق تنبيه الخلق على مثل هذا ولما حكاهما الحق عنه كيسمعنا مقلته علمنا أن ذلك من رحمته بنا حيث عرفنا بمثل هذا فكان تعريفه إيانا بما قاله رسوله بشرى من الله لنا من قوله لهم البشرى في الحياة الدنيا وكانت البشرى من كلمات الله ولا تبديل لكلمات الله ومن باب الحقيقة كونه عين الوجود وهو الموصوف بأن له صفات من كون الموجودات ذات صفات ثم أخبر أنه من حيث عينه عين صفات العبد وأعضائه فقال كنت سمعه فنسب السمع إلى عين الموجود السامع وأضافه إليه وما ثم موجود إلا هو فهو السامع والسمع هكذا سائر القوى والإدراكات ليست إلا عينه فالحقيقة عين الشريعة فافهم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الرابع والستون ومائتان

في معرفة الخواطر والخواطر ما يرد على القلب

والضمير من الخطاب من غير إقامة وهو من الواردات التي لا تعمل لك فيها فإذا أقامت فهي حديث نفس ما هي خواطر

يمر بنا ثم لا يرجع

وما فيه رد ولا مدفع

تجدد أعراضنا

وآخر في أثره يتبع

إذا كان واردنا خاطراً

فما في الوجود سوى خاطر

تجدد أعياننا كلما

فما ثم عين سوى واحد

اعلم أن الله سفراء إلى قلب عبده يسمون الخواطر لا إقامة لهم في قلب العبد الأزمان مرورهم عليه فيؤدون ما أرسلوا به إليه من غير إقامة لأن الله خلقهم على صورة رسالة ما أرسلوا به فكل خاطر عينه عين رسالته فعندما يقع عليه عين القلب فهمه فيما يعمل بمقتضى ما أتاه به أو لا يعمل وجعل الله بينه وبين هذا القلب طرقاً خمسة عليها تشي هذه الخواطر إلى القلب وهذه الطرق أحدثها الله لما أحدث الشرائع فلولا الشرائع ما أحدثها وجعلها كالهالة للقمر محيطه به فسمى الطريق الواحد وجوباً وفرضاً وسمى الثاني ندبا

والثالث حظراً والرابع كراهة والخامس إباحة وخلق الملك الموكل بالقلب يحفظه عن أمر الله بذلك وعين له من الطرق طريق الجوب والندب وجعل في مقابلته شيطاناً أقعده إلى جانبه عن غير أمر الله المشروع حسداً منه لما رأى من اعتناء الله بهذه النشأة الإنسانية دونه وشفوفه عليه وعلم ما يفضي إليه من السعادة إذا قام بحق ما شرع له من فعل وترك وجعل مثل ذلك على طريق الحظر والكراهة سواء وجعل على طريق الإباحة شيطاناً لم يجعل هناك ملكاً في مقابلته وجعل قوى النفس كلها وجبلتها مستفرغة لذلك الطريق وأمرها الله بحفظ ذاتها من ذلك الطريق الشيطان وجعل الله في هذه النفس الإنسانية صفة القبول تقبل بها على كل من يقبل إليها وقبل أحداث الشرائع من آدم إلى زماننا إلى انقضاء الدنيا لم يكن ثم شيء مما ذكرناه من ملك حافظ وشيطان منازع مناقض بل كان الأمر كما يؤل إليه عند ارتفاع الشرائع من الله إلى عبده ومن العبد إلى الله من غير تحجير ولا حكم من هذه الأحكام بل يتصرف بحسب ما تعطيه إرادته ومشيتته ثم خلق الله لهذه النفس الإنسانية صفة المراقبة لمن يرد من هذه الأحكام بل يتصرف بحسب ما تعطيه إرادته ومشيتته ثم خلق الله لهذه النفس الإنسانية صفة المراقبة لمن يرد من هذه الطرق وأوحى إليها إلهاماً أن بينه وبينها سفراء يأتون إليها من هذه الطرق ولا إقامة لهم عندها وقد أنشأنا ذواتهم من صورة رسالتهم حتى إذا رأيتهم علمت بالمشاهدة ما بعثهم الله به إليك فتبقيظ ولا تغفل عنهم فإنهم يعمرون بساحتك ولا يثبتون ويقول الحق قلت لهؤلاء السفرة أي أوجدت في هذا المرسل إليه صفتين صفة سميتها الغفلة وصفة سميتها اليقظة والإنتباه فإن وجدتموه متصفاً باليقظة فهو الغرض المقصود وإن وجدتموه متصفاً بالغفلة فافزعوا عليه بابه فإنه يتيقظ فإن لم يتيقظ فإنكم لا تفوتونه فإني جعلت له بصراً حديداً يدرك به صورتكم فيعلم ما بعثكم به وإن لم يتيقظ لنقركم فأتركوه وتعالوا إلينا وقد ملك الله هذا الملك الموكل بالحفظ والقرين الملازم والنفس قوة التصور والتشكل لما يرون فيشكلون أمثاله حتى كأنه هو وليس هو وجعل هذه الأمثال في المرتبة الثانية فصاعداً في المراتب لا قدم لهم في المرتبة الأولى فالمرتبة الأولى لها الصدق ولا تخطئ فلا تعمل النفس بمقتضى ذلك الخاطر الأول فتخطئ ولا تكذب أبداً وأما التي على صورة الخواطر الأول فقد تصدق وتخطئ فلا تعمل النفس بمقتضى ذلك الخاطر الأول فتخطئ ولا تكذب أبداً وأما التي على صورة الخواطر فقد تصدق وتخطئ بحسب قوة التصوير وحفظ أجزاء الصورة وكذلك النظرة الأولى والحركة الأولى والسماع الأول وكل أول فهو إلهي صادق فإذا أخطأ فليس بأول وإنما ذلك حكم الصورة التي وجدت في المرتبة الثانية وأكثر مراقبة الأمور الأول لا يكون إلا في أهل الزجر وقد رأينا منهم وفي أهل الله خاصة فهو في أهل الله رتبة عاصمة وحافضة من الخطأ والكذب وهو في الزاجر قوة مراقبة وعلم وشهود وإسم هذا الخاطر الأول عندهم الهاجس ونقر الخاطر والسبب الأول فما يمر من هؤلاء السفرة الكرام البررة على هذه الطرق المعينة لهذا القلب يلقي من هو عليه من ملك وشيطان ونفس فيأخذه من بادر إليه من هؤلاء بالتلقي فإن أخذه الملك وهو مما يقتضي وجود عمل سعادتي أوحى إليه الملك في سره أعمل كذا وكذا فيقول له الشيطان لا تعمله وأخره إلى وقت كذا طعماً منه في أن لا يقع منه ما يؤدي إلى سعادته وهو ما يجده الإنسان من التردد في فعل الخير وتركه وفي فعل الشر وتركه وكذلك إذا جاءه على كريق الإباحة فذلك التردد في فعل المباح وتركه إنما هو بين النفس واشيطان لا بين الملك والشيطان فإن لمة الملك ولمة الشيطان المقابلة وإنما تكون في الأربعة

الطرق من الأحكام وأما في المباح فلمة الشيطان خاصة وما له إلا النفس وإنما كان للنفس المباح دون غيره لأنها جبلت على جلب المنافع ودفع المضار والأمر أبداً يتقدم النهي في لمة الملك والشيطان فصاحب الأمر في في الشر هو الشيطان فله التقدم وصاحب الأمر في الخير إنما هو الملك فله التقدم فلا يرد نهى إلا بعد أمر ولا عكس في مثل هذا في هذه الحضرة وأصله في الإنسان من آدم عليه

السلام فإن الأمر تقدمه بسكنى الجنة والأكل فما حجر عليه الأكل وإنما حجر عليه القرب منها الذي كان قد أطلقه في حيث شئتما فما أكلا منها حتى قرباً فتننا ولا منها فأخذاً بالقرب لا بالأكل وكان له بعد المؤاخذة الإلهية ما أعطته خاصته تلك الشجرة لمن أكل من ثمرها من الخلد والملك الذي لا يبلى وكان ذريته فيه لما وقع منه ما وقع ثم أهبط للخلافة وحواء للنسل لأنها محل التكوين فخرجت الذرية بعد أن تاب الله عليه بكله وذريته فيه وأسعد الله الكل فله النعيم في أي دار كان منهم ما كان بعد عقوبة وآلام تقوم بهم دنيا وآخره فأما الدنيا فالكل لا بد من ألم أدناه استهلال المولد حين ولادته صارخاً لما يجده عند المفارقة للرحم وسخائته فيضربه الهواء عند خروجه من الرحم فيحس بالألم فيبكي فإن مات فقد أخذ بحظه من البلاء ثم يعيش فلا بد له في الحياة الدنيا من الآلام فإن الحيوان مجبول على ذلك فإذا نقل إلى البرزخ فلا بد من ألم السؤال فإذا بعث فلا بد له من ألم الخوف على نفسه أو على غيره فإذا نفذت مشيئته فيه بما كان من الآلام أعقبه فيها نعيماً بالعناية التي أدركته وهو في صلب أبيه آدم لما تاب عليه ليأخذ حظه من الألم واللذة كما أخذ أبوه فله نصيب من توبة أبيه وبقيت أسماء الإنتقام في حق من شاء الله من سوى هذا المسمى إنساناً تحكم بحسب حقائقها فإن رحمته ما سبقت غضبه إلا في هذه النشأة الإنسانية وأما ما عداها فمن كون رحمته وسعت كل شئ لا من سبق فلإنسان دون غيره الرحمة الواسعة والرحمة السابقة فتطلبه الرحمة من وجهين وليس لغير الإنسان هذا الحكم من الرحمة فهي أشد عناية بالإنسان منها بغيره ثم نرجع إلى ما كنا بصدد من معرفة الخواطر فنقول وبعد أن أعلمتك بحقائقها فتختلف آثارها في النفس باختلاف من يتعرض لها في طريقها فإن لم يتعرض لها أحد ممن ذكرنا فذلك خاطر العلم لا يكون خاطر عمل ألبته وهو الخاطر الرباني وخواطر الأعمال والتروك تكون ملكية وشيطانية ونفسية لا غير ذلك وكل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً فأحرى قديماً فألمهما فجورها عملاً أو تركاً لمجيئه على يد شيطان وتقواها عملاً أو تركاً لمجيئه على يد ملك فمن راقب خواطره من طريقها فقد أفلح فإنه يعلم من يأخذها ومن يتعرض إليها من القاعدين لها كل مرصد ومن غفل عن طريقها وما شعر بها حتى وجدها في المحل كما تجدها العامة عمل بمقتضاها وهو عمل الجاهل بالشئ فإن كان خيراً فبحكم المصادفة وإن كان شراً فكذلك لأن الخاطر الأول الذي أتاه بالعلم بمن يأتي بعده من الخواطر وعلى يد من يأتيه لم يشعر به ولا علمه ولا شاهده ففاته حكمه فلما فجئته هذه الخواطر العملية على حين غفلة وعدم تيقظ ومراقبة لطرقها عمل بمقتضاها فكان خيره وشره مصادفة ورأيت ابن الحجازي المحتسب بمدينة فاس ولم يكن صاحب علم بالشريعة يوفقه الله لأصابة الحكم وأعرف من صلاحه أنه ما فاتته تكبيرة الأحرار خلف الامام في الصلوات كلها بجامع القرويين إلى أن مات فكانت أحكامه في حسبه تجري على السداد ألهاماً من الله فكان يقول أني لأعجب من أمري ما أشتغلت بعلم أحكام الشريعة وأوفق حكم الشرع في جميع أحكامي ولم يقدر أحد من علماء الشريعة يأخذ عليه في حكم لم يقل به مجتهد هذا وحده رأيت من عامة الناس معتنى به ولم يكن من أهل الطريق بل كان حريصاً على الدنيا مكباً عليها كسائر عامة الناس لكن كان منور الباطن ولا يشعر بذلك والخواطر كلها خطابات إلهية ما هي بتجليات ولهذا ينشئها الله صوراً تحدث في العماء الذي هو النفس الألهي فمن شهدا ولا يرزقه الله علماً بما ذكرناه يتخيل أن الخواطر تجل ألهي لما يرى من الصورة وهذا هو السبب في تسميتها خواطر وأنها لا تثبت كما لا تثبت صورة الحرف في الوجود بعد نطق اللسان به فما له سوى زمان النطق به ثم ينعدم ويبقى في فهم السامع مثال صورته فيتخيل أن

الخواطر باق كما تخيل ذو النون في قوله ألسنت بربكم فقال كأنه الآن في أذني فما ذلك هو الكلام الذي سمع وأما ذلك الباقي مما أخذ الفهم من صورة الكلام فنثبت في النفس والقليل من أهل الله من يفرق بين الصورتين ولما كانت الخواطر من الخطاب الألهي

لذلك دعا من أهل الله الخلق إلى الله على بصيرة فإن الدعاء على بصيرة لا يكون ألا بالتعريف الألهي والتعريف الألهي لا يكون ألا كلاماً لا غير ذلك ليرتفع الأشكال ولو كان التكوين عن غير كلمة كن لم يكن له ذلك الأسراع في قوله فيكون بقاء التعقيب وهي جواب الأمر لأن يكون كان على بصيرة لأنه خطاب فلو كان غير خطاب لم يكن له هذا الحكم ولكن أين النفوس المراقبة العالمة المحسة التي تعرف الأمر على ما هو عليه وغاية الناظر في هذا الأمر أن يجعل ما هو خطاب حق في النفس أن ذلك المعبر عنه بالعلم الضروري خلقه الله في محل هذا الشخص لا غير وصاحب الكشف الصحيح يدري أن الله ما خلق له العلم الضروري بالأمر ألا بعد أسماعه إياه كلامه فيعلم عند ذلك ما أراد الحق بذلك الخطاب فذلك العلم هو العلم الضروري ولكن ما يشعر به ألا أهل الشعور من أصحاب الأسرار الألهية من أهل الله والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الخامس والستون ومائتان في معرفة الوارد

تعشق شفعي بالواحد

سراعا لتخفي على الراصد

إلى كل قلب لها قاصد

تعشقت بالصادر الوارد

وأسمأؤه كلها ورد

وتعطي بآثارها همة

الوارد عند القوم وعندنا ما يرد على القلب من كل إسم ألهي فالكلام عليه بما هو وارد لا بما ورد فقد يرد بصحو وبسكر وبقبض وببسط وبهيبة وبأنس وبأمر لا تحصي وكلها واردات غير أن القوم أصطلحوا على أن يسموا الوارد ما ذكرناه من الخواطر المحمودة فاعلم يا أخي أن الوارد بما هو وارد لا يتقيد بحدوث ولا قدم فإن الله قد وصف نفسه مع قدمه بالآتيان والورود آتيان والوارد قد تختلف أحواله في الآتيان فقد يرد فجأة كالهجوم والبوادة وقد يرد غير فجأة عن شعور من الوارد عليه بعلامات وقرائن أحوال تدل على ورود أمر معين يطلبه استعداد المحل وكل وارد ألهي لا يأتي ألا بفائدة وما ثم وارد الألهي كونيا كان أو غير كوني والفائدة التي تعم كل وارد ما يحصل عند الوارد عليه من العلم من ذلك الورود ولا يشترط فيه ما يسره ولا ما يسوءه فإن ذلك ما هو حكم الوارد وإنما حكم الوارد ما حصل من العلم وما وراء ذلك فمن حيث ما ورد به لا من حيث نفسه فيأتي الله يوم القيامة للفصل والقضاء بين الناس فمن الناس من يقضي له بما فيه سعادته ومن الناس من يقضى له بما فيه شقاوته والآتيان واحد والقضاء واحد والمقضي به مختلف والوارد لا يخلو أما أن يكون متصفاً بالصدور في حال وروده فيكون وارداً من حيث من ورد عليه صادراً من حيث من صدر عنه فلا بد أن يكون هذا الوارد محدثاً من الله وأن لم يتصف بالصدور في حال وروده فإنه وارد قديم والورود نسبة تحدث له عند العبد الوارد عليه فالواحد صادر وارد والآخر وارد لا غير وما ثم قديم يرد غير الاسماء الألهية فإن وردت من حيث العين فلا تختلف في الورود وأن وردت من حيث الحكم فتختلف باختلاف الأحكام فإنها مختلفة الحقائق ألا ما تكون عليه من دلالتها على العين فلا تختلف وسواء كان الوارد قديماً أو محدثاً فإن الذي ورد به لا بد أن يكون محدثاً وهو الذي يبقى عند الوارد عليه وينصرف الوارد ولا بد من أنصرافه وسبب ذلك بقاء الحرمة عليه فإنه لا بد من وارد آخر يرد عليه فلا بد من القبول عليه سن هذا الشخص والأعراض عمن يكون هناك فيقع عدم وفاء بأحترام الوارد الأول فلهذا يرحل بعد أداء ما ورد به فإذا ورد الوارد

الثاني وجدته مفرغاً له فأستقبله وما ثم خاطر يجذبه عنه بتعلقه به فكل وارد يصدر عنه بحرمته وحشمته فيثنى عليه خيراً عند الله فيكون ذلك الثناء سعادته والواردات على الحقيقة إذا كانت محدثة فما هي سوى عين الأنفاس والذي ترد به من الأمور والأحكام هي التي تعرفها أهل الطريق بالواردات فإن الأنفاس هي الحاملة لصور هذه الواردات فليست الواردات المحدثة فإنها بأنفسها بل هي صور الأنفاس فتختلف صورها باختلاف أحكام الاسماء الألهية فيها فالوارد لها كالتحيز للعرض بحكم التبعية للجوهر فيه فالجوهر هو المتحيز لا العرض كذلك النفس هو الوارد لا الصورة والفائدة في الصورة كالرسالة في الرسول فوارد بعلم ووارد بعمل ووارد جامع لهما ووارد بحال ووارد بعلم وحال ووارد بعمل وحال وذلك كوارد الصحو والسكر وأمثاله وهو أقوى الواردات وإذا كان الوارد غير محدث فهو المعبر عنه بارتفاع الوسائط بين الله وبين عبده فهو تجل من الوجه الخاص الذي لكل مخلوق فما ينقال ما يعطيه ولا ما يحصل له فيه وقليل من أهل الله من يكون له ذلك وليس في الواردات مثله والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب السادس والستون ومائتان في معرفة الشاهد

وهو بقاء صورة المشاهد في نفس المشاهد إسم فاعل فصورة المشهود في القلب هي عين الشاهد وبه يقع النعيم للمشاهد

تحصيل شاهدها في القلوب

موقفة خلف ستر الغيوب

على شمسه في مهب الجنوب

مشاهدة الحق من علمنا

فيدركها بعيون الحجي

ويطلعه بدر تم علا

ولما كان الشاهد حصول صورة المشهود في النفس عند الشهود فيعطي خلاف ما تعطيه الرؤية فإن الرؤية لا يتقدمها علم بالمرئى والشهود يتقدمه علم بالمشهود وهو المسمى بالعقائد ولهذا يقع الأقرار والآنكار في الشهود ولا يكون في الرؤية ألا الأقرار ليس فيها أنكار وإنما سمي شاهداً لأنه يشهد له ما رآه بصحة ما أعتقده فكل مشاهدة رؤية وما كل رؤية مشاهدة ولكن لا يعلمون فما يرى الحق ألا الكمل من الرجال ويشهده كل أحد ولا يكون عن الرؤية شاهد وقال الله تعالى في أثبات الشاهد أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه وفي هذه الآية وجوه كلها مقصودة لله فيكون العبد على كشف من الله لما يريد به أو منه وذلك لا يكون له ألا بأخبار ألهي وأعلام بالشيء قبل وقوعه وهو قول الصديق ما رأيت شيئاً ألا رأيت الله قبله ثم أن ذلك الأمر لا يكون له عين ألا من إسم ألهي تكون له أثر ذلك الاسم فيقوم الاسم في قلب العبد ويحضر فيه فيشاهده العبد ثم يرى ظهور ذلك الأثر ووجوده في نفسه أو في الآفاق الذي تقدم له به لأعلام الألهي فيسمى ذلك الاسم شاهداً حيث شاهده هذا العبد متعلق ذلك الأثر المعلوم عنده وهذا لا يكون ألا للكمل من الرجال فهم أصحاب شهود في كل أثر يشهدون لهم به بعد العلم به الألهي على طريق الخبر وأما قلنا في الوجوه أنها مقصودة لله فليس يتحكم على الله ولكنه أمر محقق عن الله وذلك أن الآية المتلفظ بها من كلام الله بأي وجه كان من قرآن أو كتاب منزل أو صحيفة أو خبر ألهي فهي آية على ما تحمله تلك اللفظة من جميع الوجوه أي علامة عليها مقصودة لمن أنزلها

بتلك اللفظة الحاوية في ذلك اللسان على تلك الوجوه فإن مترها عالم بتلك الوجوه كلها وعالم بأن عباده متفاوتون في النظر فيها وأنه ما كلفهم من خطابه سوى ما فهموا عنه فيه فكل من فهم من الآية وجهاً فذلك الوجه هو مقصود بهذه الآية في حق هذا الواحد له وليس يوجد هذا في غير كلام الله وأن احتمله اللفظ فإنه قد لا يكون مقصوداً للمتكلم به لعلنا بقصور علمه عن الأحاطة بما في تلك اللفظة من الوجوه فإن كان من أهل الله الذين يقولون ما في الوجود متكلم ألا الله وهم أهل السماع المطلق منه فتكون تلك الوجوه كلها مقصودة لأن المتكلم الله والشخص المقول على لسانه تلك الكلمة مترجم كما قال على لسان عبده في الصلاة سمع الله لمن حمده فالمتكلم هنا هو الله والمترجم العبد ولهذا كان كل مفسر فسر القرآن ولم يخرج عما يحتمله اللفظ فهو مفسر ومن فسر برأيه فقد كفر كذا ورد في حديث الترمذي ولا يكون برأيه ألا حتى يكون ذلك الوجه لا يعلمه أهل ذلك اللسان في تلك اللفظة ولا أصطلحوا على وضعها بأزائه وهنا إشارة نبوية في قوله فقد كفر ولم يقل أخطأ فإن الكفر الستر ومن لا يرى متكلماً ألا الله من أهل الله وقد جعل هذا التفسير لهذه الآية مضافاً إلى رأيه فقد ستر الله عن بعض عباده في هذا الوجه مع كونه حقاً لأضافته إلى رأي المفسر لأن أهل اللسان ما أصطلحوا على وضع ذلك اللفظ بأزاء ذلك الوجه ولا أستعاروه له لا بد من هذا الشرط والمتكلم الله به وبالوجه والأصالة حق إذا أضيفت إلى الحق فلذلك قال عليه السلام فقد كفر ولم يقل أخطأ والله أن يستر ما شاء وأضافة الخطأ إليه محال فإنه لا يقبله لأحاطة علمه بكل معلوم ويكفي هذا القدر في معرفة الشاهد عند القوم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب السابع والستون ومائتان في معرفة النفس بسكون الفاء

وهو عندهم ما كان معلولاً من أوصاف العبد وهو المصطلح عليه في الغالب

فكل سر منها يبين

وكل صعب بها يهون

يمده روحه الأمين

وسره في الوري دفين

سبحانه ما يشا يكون

النفس من عالم البرازخ

مقامها في العلوم شامخ

وروحها في العماء راسخ

منسوخها بالنكاح ناسخ

سامي العلي مجدها وباذخ

أعلم أنه لما كان الغالب في اصطلاح القوم بالنفس أنه المعلول من أوصاف العبد أقتصرنا على الكلام فيه خاصة في هذا الباب فإنهم قد يطلقون النفس على اللطيفة الإنسانية وسموئ في هذا الباب أن شاء الله إلى النفس ولكن بما هي علة لهذا المعلول فاعلم أن لفظة النفس في اصطلاح القوم على الوجهين من عالم البرازخ حتى النفس الكلية لأن البرزخ لا يكون برزخاً ألا حتى يكون ذا وجهين لمن هو برزخ بينهما ولا موجود ألا الله وقد جعل ظهور الأشياء عند الأسباب فلا يتمكن وجود المسبب ألا بالسبب فلكل موجود عند سبب وجه إلى سببه ووجه إلى الله فهو برزخ بين السبب وبين الله فأول البرازخ في الأعيان وجود النفس الكلية فإنها وجدت عن العقل والموجد الله فلها وجه إلى سببها ولها وجه إلى الله فهي أول برزخ ظهر فإذا علمت هذا فالنفس التي هي لطيفة العبد المدبرة

هذا الجسم لم يظهر لها عين ألا عند تسوية هذا الجسد وتعديله فحينئذ نفخ فيه الحق من روحه فظهرت النفس بين النفخ الألهي والجسد المسوى ولهذا كان المزاج يؤثر فيها وتفاضلت النفوس فإنه من حيث النفخ الألهي لا تفاضل وأما التفاضل في القوابل فلها وجه إلى الطبيعة ووجه إلى الروح الألهي فجعلناها من عالم البرازخ وكذلك المعلول من أوصاف العبد من عالم البرازخ فإنه من جهة النفس مذموم عند القوم وأكثر العلماء ومن كونه مضافاً إلى الله من حيث هو فعله محمود فكان من عالم البرازخ بين الحمد والذم لا من حيث السبب بل الذم فيه من حيث السبب لا عينه فكل وصف يكون لنفس العبد لا يكون الحق للنفس في ذلك الوصف مشهوداً عند وجود عينه فهو معلول فلذلك قيل فيه أنه نفس أي ما شهد فيه سوى نفسه وما رآه من الحق كما يراه بعضهم فيكون الحق مشهوداً له فيه وكذلك إذا ظهر عليه هذا الوصف لعله كونية لا تعلق لها بالله في شهودها ولا خطر عندها نسبة ذلك إلى الله فهو معلول لتلك العلة الكونية التي حركت هذا العبد لقيام هذا الوصف به كمن يقوم مريد العرض من أعراض الدنيا لا يحركه قولاً أو فعلاً ألا ذلك الغرض وحبه لا يخطر له جانب الحق في ذلك بخاطر فيقال هذه حركة معلومة أي ليس لله فيها مدخل في شهودك كما قال تريدون عرض الدنيا يعني فداء أساري بدر فأرسل الخطاب عاماً في أعراض الدنيا والله يريد الآخرة فالعرض القريب هو السبب الظاهر الأول الذي لا تعرف العامة مشهوداً سواء والأمر الأخروي غيب عنها وعن أصحاب الغفلة لأنه مشهود بعين الايمان وقد يغيب الإنسان في وقت عن معرفة كونه مؤمناً لشغله بشهود أمر آخر لغفلته ولو مات على تلك الحالة لمات مؤمناً بلا شك مع غفلته فإن الغافل من أذ أستخضر حضر والجاهل ليس كذلك لا يحضر إذا أستخضر فاعلم ذلك والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الثامن والستون ومائتان في معرفة الروح

وهو الملقى إلى القلب علم الغيب على وجه مخصوص

والحكم يثبت بين النهي والأمر

أن الكوائن بين السر والجهر

عناية حاله من قبضة الأسر

الروح روحان روح الياء والأمر

وما سواه فأخبار منبئة

وعالم البرزخ الأعلى يخلصه

قال قال تعالى "وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا" وقال "ويلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده" وقال نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين فذكر الإنذار وهكذا في قوله يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر وكذلك يتزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أنانذروا فما جاء إلا بالإعلام وفيه ضرب من الزجر حيث ساق الأعلام بلفظة الإنزال فهو اعلام بزجر فإنه البشير النذير والبشارة لا تكون إلا عن اعلام فغلب في الإنزال الروحاني باب الزجر والخوف فلما قام بالنفوس من الطمأنينة الموجبة ارسال الرسل ليعلموهم أنهم عن الدنيا إلى الآخرة منقلبون وإلى الله من نفوسهم راجعون وأما قولنا روح الياء فاردنا قوله ونفخت فيه من روحي بياء الإضافة إلى نفسه ينبه على مقام التشريف أي أنك شريف الأصل فلا تفعل إلا بحسب أصلك لا تفعل فعل الأراذل وروح الأمر قوله ويستلونك عن الروح أي من أين ظهر فقيل له قل الروح من أمر ربي فما كان سؤالاً عن الماهية كما زعم بعضهم فإنهم ما قالوا ما الروح وأن كان السؤال بهذه الصيغة محتملاً ولكن قوى الوجه الذي ذهبنا

إليه في السؤال ما جاء في الجواب من قوله من أمر ربي ولم يقل هو كذا فعلم الغيب ولا يدري من كالكهنة وأهل الزجر وأصحاب الخواطر وأهل الإلهام يجدون العلم بذلك في قلوبهم ولا يعرفون من جاءهم به وأهل الله يشاهدون تنزل الأرواح على قلوبهم ولا يرون الملك النازل إلا أن يكون المتزل عليه نبياً أو رسولا فالولي يشهد الملائكة ولكن لا يشهدا ملقية عليه أو يشهدون الإلقاء ويعلمون أنه من الملك من غير شهود فلا يجمع بين رؤية الملك والإلقاء منه إليه إلا نبي أو رسول وهذا يفترق عند القوم ويتميز النبي من الولي أعني النبي صاحب الشرع المتزل وقد أغلق الله باب التنزل بالأحكام المشروعة وما أغلق باب التنزل بالعلم بها على قلوب أوليائه وأبقى لهم التنزل الروحاني بالعلم بها ليكونوا على بصيرة في دعائهم إلى الله بها كما كان من اتبعوه وهو الرسول ولذلك قال "ادعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني فهو أخذ لا يتطرق إليه قهمة عندهم ولهذا قال القشيري في الثناء على علم أهل الله ما ظنك بعلم علم العلماء فيه قهمة لأن غيرهم من العلماء ما هم على بصيرة لا في الفروع ولا في الأصول أما في الفروع فلإحتمال في التأويل وأما في الأصول فلما يتطرق إلى الناظر صاحب الدليل إلى دليله من الدخل عليه فيه والشبه من نفسه أو من نفس غيره فيتهم دليله لهذا الدخل وقد كان يقطع به وأهل البصائر من الله لا يتصفون بهذا في علمهم وذلك العلم هو حق اليقين أي حق استقراره في القلب أن يزلزله شيء عن مقره وهذا القدر كاف في علم الروح الملقى وأما كيفية الإلقاء فموقفه على الذوق وهو الحال ولكن أعلمك أنه بالمناسبة لا بد أن يكون قلب الملقى إليه مستعد لما يلقي إليه ولولاه ما كان القبول وليس الاستعداد في القبول وإنما ذلك اختصاص إلهي نعم قد تكون النفوس تمشي على الطريق الموصلة إلى الباب الذي يكون منه إذا فتح هذا الألقاء الخاص وغيره فإذا وصلوا إلى هذا الباب وقفوا حتى يروا. فإذا يفتح في حقهم فإذا فتح خرج الأمر واحد العين وقبله من خلف الباب بقدر استعدادهم الذي لا تعمل لهم فيه بل اختص الله كل واحد باستعداد وهناك تتميز الطوائف والإتباع من غير الإتيان والأنبياء من الرسل والرسل من الإتيان المسمين في العرف أولياء فيتحيل من لا علم له أن سلوكهم إلى الباب سبب به وقع الكسب لما حصل لهم عند الفتح ولو كان ذلك لتساوي الكل وما تساوى فما كان ذلك إلا بالاستعداد الذي هو غير مكتسب ومن هنا أخطأ من قال باكتساب النبوة من النظارة ولا يقول باكتسابها إلا أن يرى أنها ليست من الله وإنما هي فيض من العقل والأرواح العلوية على بعض النفوس المعنونة بالصفاء والتخلص من أسباب الطبيعة فينتقش فيها صور ما في العالم لصفائها وصفاءها مكتسب فما حصله صفاءها فهو مكتسب وهذا غلط بل الصفاء صحيح ونقش صور ما في العالم صحيح في نفس ممن لها هذه الصفة من الإطلاع وكون هذا الشخص دون غيره من أهل الصفاء مثله رسولا ونبياً وصاحب تشريع دون غيره اختصاص إلهي ينقشه في نفسه ما في صور العالم فإن اللوح المحفوظ هو العام لما ذكرناه ففيه منقوش صورة الرسول ورسالته وصورة النبي ونبوته وصورة الولي ولايته فإذا صفت النفس وانتقش فيها ما في اللوح لم يلزم أن يكون رسولا بل انتقش فيها من يكون رسولا وتميزت الأشياء عندها وهذا خلاف ما توهموه مما يحصل بصفاء النفوس فينتقش فيها المراتب وأصحابها علواً وسفلاً وأما حكم الاستعداد الذي يقبل الألقاء بالمناسبة التي هي الحبل الإلهي الحاصل في القلب الموجود بالاستعداد إذا اتصل بحضرة الحق نزل الألقاء عليه وهو الطريق فيتنور القلب بما حصل فيه من علم الغيب ولا سيما إذا كان العلم بالله الذي يتعلق له بالكون كالعلم بأنه غني عن العالمين وبتزييه عن الأوصاف وبليس كمثلته شيء ومثال الاستعداد والتنزل والحبل المتصل مثل الفتيلة الخارج منها الدخان تحت السراج وعلى ستمته بحيث يتصل ذلك الدخان بسرعة فيتصل برأس الفتيلة فتتقد الفتيلة فتظهر صورة السراج المنير الذي منه نزل النور إليها وينظر هل انتقص من السراج شيء أو هل حل منه فيه شيء فلا تجد مع وجود الصورة كأنه هو فمن علم سر هذا علم معنى قوله أن

الله خلق آدم على صورته وعلم أن الإستعداد إذا كان على المقابلة وصحة المناسبة وتعلقت المهمة الخاصة به أنه يتزل عليه بحسب ذلك ويكون النور الحاصل في الفتيلة في العظم الجرمي والصغر بحسب كبر جرمها وصغره وتكون اضاءته بحسب صفائها وصفاء دهنها وتكون إقامته فيها بحسب كثرة دهنها وقلته فإنه الممد لبقائه فإن فهمت ما قلناه في هذا التشبيه فقد علمت علماً لا يعلمه إلا العلماء بالله وتحققت إلقاء الروح على القلب علم الغيب كيف يكون وأي قلب يقبل ذلك وما يكون عليه من الصفات وتعلم أن همة الأذنى تؤثر في الأعلى إذا تعلقت به كما وقع الجواب من الله للعبد إذا دعاه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب التاسع والستون ومائتان في معرفة علم اليقين

وهو ما أعطاه الدليل الذي لا يقبل الدخول ولا الشبهة ومعرفة عين اليقين وهو ما أعطته المشاهدة والكشف ومعرفة حق اليقين وهو ما حصل في القلب من العلم بما أريد له ذلك الشهود

تبدو دلائله على الأكوان

ما قام توحيد على برهان

في عالم الأرواح والأبدان

في كل ما بيد ومن الأعيان

علم اليقين بعينه وبحقه

لولا وجود العين في ملكوته

فإنظر إلى حق اليقين وعينه

تجد الذي عنه تكون سره

اعلم أيدينا الله وإياك بروح منه أنا قد علمنا علماً يقينا لا تدخله شبهة أن في العالم بيتاً يسمى الكعبة ببلدة يسمى مكة لا يتمكن لأحد الجاهل بهذا ولا أن يدخله شبهة ولا يقدح في دليله دخل فاستقر العلم بذلك فاضيف إلى اليقين الذي هو الإستقرار أن الله بيتاً يسمى الكعبة بقرية تسمى مكة تحج الناس إليه في كل سنة ويطوفون به ثم شوهدها هذا البيت عند الوصول إليه بالعين المحسوسة فاستقر عند النفس بطريق العين كيفيته وهيئته وحاله فكان ذلك عين اليقين الذي كان قبل الشهود علم يقين وحصل في النفس برؤية ما لم يكن عندها قبل رؤيته ذوقاً ثم فتح الله عين بصيرته في كون ذلك البيت مضافاً إلى الله مطافاً به مقصوداً دون غيره من البيوت المضافة إلى الله فعلم علة ذلك وسببه باعلام الله لا بنظره واجتهاده فكان علمه بذلك حقاً يقيناً مقررراً عنده لا يتزلزل فما كل حق له قرار ولا كل علم ولا كل عين فلذلك صحت الإضافة فلو كان علم اليقين وعينه وحقه نفس اليقين ما صحت الإضافة لأن الشئ الواحد لا يضاف إلى نفسه لأن الإضافة لا تكون إلا بين مضاف ومضاف إليه فتطلب الكثرة حتى يصح وجودها ومن لم يفرق بين اليقين والعلم ويقول أن العلم وهو اليقين وقد ورد في كتاب الله مضافاً احتاج إلى طلب وجه في ذلك تصح له به الإضافة ليؤمن بما جاء من عند الله فقال قد يكون المعنى واداً ويدل عليه لفظان مختلفان فيضاف أحد اللفظين إلى الآخر فإنهما غير أن بلا شك في الصورة مع أحدية المعنى ولفظة العلم ما هي لفظة اليقين فأضيف العلم إلى اليقين لهذا التباين فصحت الإضافة في الألفاظ لا في المعنى وإنما احتال من احتال هذه الحيلة لقصور فهمه عما تدل عليه الألفاظ في الموضوعات من المعاني فلو علم ذلك لعلم أن مدلول لفظة العلم غير مدلول لفظة اليقين وإذا تقرر هذا فقد علمت معنى علم اليقين وعينه وحقه ثم بعد هذا فاعلم أن اليقين في هذه المسئلة هو المطلوب ولهذا أضيف هذه الثلاثة إليه وكان مدارها عليه فمن ثبت له القرار عند الله في الله بالله مع الله فلا بد له من

الاسم العام الذي له الذي هو عبد الله سواء كان القطب نبياً في زمان النبوة المقطوع بها أو وليا في زمان شريعة محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك الامامان لكل واحد منهما إسم يخصه ينادي به كل إمام في وقته هناك فالامام الأيسر عبد الملك والامام الأيمن عبد ربه وهما للقطب الوزيران فكان أبو بكر رضى الله عنه عبد الملك وكان عمر رضى الله عنه عبد ربه في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن مات صلى الله عليه وسلم فسمى أبو بكر عبد الله وسمى عمر عبد الملك وسمى الامام الذي ورث مقام عمر عبد ربه ولا يزال الأمر على ذلك إلى يوم القيامة وكان الحسن والحسين رضى الله عنهما أمكن الناس في هذا المقام من غيرهما ممن اتصف به وجرت السنة الإلهية في القطب إذا ولى المقام أن يقوم في مجلس من مجالس القربة والتمكين وينصب له فيه تخت عظيم لو نظر إلى بهائه الخلق لطاشت عقولهم فيقعد عليه ويقف بين يديه الامامان اللذان قد جعلهما الله له ويمد يده للمبالغة الإلهية والإستخلاف وتؤمر الأرواح الملكية والجن والبشر الروحاني بمبايعته واحداً بعد واحد فإنه جل جناب الحق أن يكون مصدر الكل وارد وأن يرد عليه إلا واحد بعد واحد فكل روح يبایعه في ذلك المقام يسأله الروح القطب عن مسألة من المسائل فيجيبه أمام الحاضرين ليعرفوا منزلته من العلم فيعرفون في ذلك الوقت أي إسم إلهي يختص به وقد أفردنا لهذه المبايعة كتاباً كبيراً سميناه مبايعة القطب في حضرة القرب وذكرنا فيه معني مسائل كثيرة مما سئل عنها فأجاب ولا يتابعه إلا الأرواح المطهرة المقربة ولا يسأله من الأرواح المبايعة من الملائكة والجن والبشر إلا أرواح الأقطاب الذين درجوا خاصة فذكرنا في ذلك الكتاب سؤالاتهم وجوابه عليها موفى وهكذا هي حالة كل قطب يبایع في زمانه فلندكر في هذا الباب من بعض أحواله العامة لكل قطب دون الأحوال الخاصة به ليعلم الواقف على كتابي هذا صاحب الذوق المشاهد إياه أنا ما عدلنا في كتابنا هذا عن الطريق التي لا يجهلها كل عارف من أهل هذا الشأن فلو ذكرنا الحال الخاص به ربما كان يقول هذه دعوى فلنبداً أو لاجال الامام الأقصى ثم الامام الأدنى ثم القطب فأما الامام الأقصى وهو عبد ربه فإن حاله البكاء شفقة على العالم لما يراهم عليه من المخالفات من العفو والتجاوز فلهذا يكثر بكاءه فلا يزال داعياً لعباد الله رحيماً بهم سائلاً الله سبحانه أن يسلك بهم طريق الموافقات ولقد عاينت في بعض سياحاتي هذا الامام فما رأيت ممن رأيت من الصالحين أشد خوفاً منه على عباد الله ولا أعظم رحمة فقلت له لم لا تأخذ الغيرة لله فقال أي لا أريد أن يغار الله من أجلي ولكن أريد أن يسأل الله من أجلي ليرحمي ويتجاوز فلا أحب لعباد الله إلا ما أحبه لنفسه ولا ينبغي للصادق مع الله أن يتصور في صورة حال لا يعطيه مقامه ولهذا الامام قوة سلطان على الشياطين الملائمين أهل الخير والصلاح ليصرفوهم عن طريقهم فإذا وقع نظر الشيطان على هذا الامام وهو عند بعض الصالحين يحتال كيف يصرفه عن طريقته يذوب كما يذوب الرصاص في النار فيناديه الامام عسى يسلم فيديرها رباً فلا يزال ذلك الصالح محفوظاً من إلقاء هذا الصنف من الشياطين إليه ما يخرج عن صلاحه ما دام هذا الامام حاضراً ناظر إليه وإن ذلك

الصالح لا يعرف ولا يعرف ما جرى وقد عاينا هذه الطائفة فيدفع الله عن عباده بهذا الامام الشرور التي تختص بالصالحين من عباده خاصة عناية منه بهم ومن خاصية هذا الامام التصديق بكل خبر مخبر به عن الله سواء كان ذلك الخبر صادقاً في أخباره أو مفترياً فإن هذا الامام يصدقه لكونه ناظر إلى الاسم الإلهي الذي يتولى هذا المخبر في أخباره فإن كان صادقاً فأخبره عن كشف محقق فيستوي هو الامام في ذلك وإن لم يكن له كشف وأخبر عما وقع عنده وهو لا يدري من أوقعه ويقصد الكذب فإن هذا الامام يصدقه في أخباره والمخبر معاقب من الله محروم بقصده الكذب وهو في نفس الأمر ليس كذلك فوبال قصده عاد عليه فعذب أن آخذه الله بذلك ومن أحوال هذا الامام أن يسأل دائماً الإنتقال إلى مقام المشاهدة من الأحوال ومقام الصلاح من المقامات وله اطلاع دائم

إلى الجنان وإنما خصه الله بهذا الإطلاع ابقاء عليه فيقابل ما هو عليه من البكاء والحزن المؤدي إلى القنوط بما يراه ويطلع الله عليه من سرور الجنان ونعيم أهل فيه ويعاين اشتياق أهل إليه وانتظارهم لقدومه فيكون ذلك سبباً لاعتداله ومقام هذا الامام الإحسان الأول وهو قول جرير عليه السلام لرسول الله عليه السلام ما الإحسان وجوابه صلى الله عليه وسلم الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه والذي بعده ليس لهذا الامام ويبد هذا الامام مصالح العالم وما ينتفعون به وهو يربى الأفراد ويغذيهم بالمعارف الإلهية ويقسم المعارف على أهلها بميزان محقق على قدر ما يرى فيه صلاح ذلك العارف لتحيا بتلك المعرفة نفسه وله السيادة على الثقلين والحكم والتصرف فيهما بما تعطيه المصلحة لهم ومن خصائص هذا الامام الإقامة على كل ما يحصل له من الأحوال حكم عليه سلطان ذلك المقام والحال وغيبه عما انتقل عنه وهذا الامام إذا انتقل إلى مقام أو حال حكم عليه سلطان ذلك المقام والحال وغيبه عما انتقل عنه وهذا الامام ليس كذلك فإن المقام الذي انتقل عنه محفوظ عليه لا يغيب عنه قوة إلهية خصه الله بها ولروحه من اجنحة مائتان جناح وأربعة أجنحة أي جناح نشر منها طاربه حيث شاء وله قدم في المرتبة الأولى فكان طريقته من غايته إلى بدايته بخلاف السلوك المعروف فرجع القهقري بقطع المقامات والدرجات والمنازل فمن نهايته إلى بدايته تسعة عشر منزلاً فيها منزل البداية والنهاية فتم منزل درجاته مائة واثنان وعشرة تسعون وعشرون وثلاثة وأربعة وثلاثون وخمسة وأربعون وستة وخمسون وسبعة وستون وثمانية وسبعون وثمانون وتسعون ومائتان ولكا كانت المراتب أربعاً لا زائد عليها وكل مرتبة تقتضي أموراً لا نهاية لها من علوم وأسرار وأحوال فالمرتبة الأولى إيمان والثانية ولاية والثالثة نبوة والرابعة رسالة والنبوة وإن انقطعت في هذه الأمة بحكم التشريع فما انقطع الميراث منهما فمنهم من يرث نبوة ومنهم من يرث رسالة ونبوة معاً وإذ قد ذكرنا ما لهذا الامام الأقصى فلنذكر للإمام الأدنى وهو عبد الملك فنقول والله يقول الحق وهو يهدي السبيل إن لهذا الامام من جهة روحانية من الأجنحة تسعين جناحاً أي جناح نشر منها طار به حيث شاء وكانت بدايته ونهايته في المرتبة الثانية ليس له قدم في باقي المراتب الثلاثة فلم يكن له منازل ولا درجات ولا مقامات يقطعها ولهذا الامام الشدة والقهر وله التصرف بجميع الاسماء الإلهية التي يستدعي الكون مثل الخالق والرزاق والملك والبارئ على بعض وجوهه وغير ذلك وليس له تصرف باسماء التزويه بخلاف الامام الذي تقدم ذكره ويلجأ إليه في الشدائد والنوازل الكبار فيفرجها الله على يده فإن الله قد جعل له عليها سلطاناً وله الكرم وليس له الإيثار لثراسته عن الحاجة إلى ما يقع به الإيثار وله الأنعام على الخلق من حيث لا يشعرون ولقد أنعم على هذا ببشارة بشري بها وكنت لا أعرفها في حالي وكانت حالي فأوقفي عليها ونهاني عن الإنتماء إلى من لقيت من الشيوخ وقال لي لأنتم إلا الله فليس لأحد ممن لقيته عليك يد مما أنت فيه بل الله تولاك بعنايته فاذا ذكر فصل من لقيت إن شئت ولا تنتسب إليهم وانتسب إلى ربك وكان حال هذا الامام مثل حالي سواء لم يكن لأحد ممن لقيه عليه يد في طريق الله إلا الله هكذا انقل لي الثقة عندي عنه وأخبرني الامام بذلك عن نفسه عند اجتماعي به في مشهد برزخي اجتمعت به فيه لله الحمد

والمنة على ذلك وولاية أمور الخلق راجعون إلى هذا الامام فيولى ويعزل ويدفع الله به الشرور وله سلطان قوى على الأرواح النارية من الشياطين المبعودين من رحمة الله ويجتمع من الامام الأول الأقصى في درجة واحدة من خمس درجات وينفرد عنه الامام الأقصى بأربع درجات وقد ذكرنا من أحوال الامامين ما فيه كفاية فلنقتصر على ما قد ذكرناه رغبة في الاختصار وإذ قد ذكرناه من أحوال الامامين هذا القدر فنذكر أيضاً من حديث القطب ما تقع به الكفاية في هذه العجالة إن شاء الله فأما القطب وهو عبد الله وهو عبد الجامع فهو المنعوت بجميع الاسماء تخلقاً وتحققاً وهو مرآة الحق ومجلى النعوت المقدسة ومجلى المظاهر الإلهية وصاحب الوقت وعين

الزمان وسر القدر وله علم دهر الدهور الغالب عليه الخفاء محفوظ في خزائن الغيرة ملتحف بارد به الصون لا تعتريه شبة ولا يخطر له خاطر يناقض مقامه كثير النكاح راغب فيه محب للنساء يوفى الطبيعة حقها على الحد المشروع له ويوفى الروحانية حقها على الحد الإلهي يضع الموازين ويتصرف على المقدار المعين الوقت له ما هخو للوقت هو الله لا غيره حاله العبودية والإفتقار يقبح القبيح ويحسن الحسن يحب الجمال المقيد في الزينة والأشخاص تأتيه الأرواح في أحسن الصور يذوب عشقاً يغار الله ويغضب الله لا تنقيد له المظاهر الإلهية بالتدبير بل له الإطلاق فيها فتظهر له في تدبير المدبر روحانية من البشر المحسوس من خلف حجاب الشهادة والغيب لا يرى من الأشياء إلا وجه الحق فيها يضع الأسباب وقيمتها ويدل عليها ويجري بحكمها يتزل إليها حتى نحكم عليه وتؤثر فيه لا يكون فيه ربانية بوجه من الوجوه مصاحب لهذا الحال دائماً إن كان صاحب دنيا وثروة وتصرف فيها تصرف عبد في مال سيد كريم وإن لم يكن له دنيا وكان على ما يفتح له لم تستشرف له نفس بل يقصد بنفسه عند الحاجة إلى بعض ما تحتاج إليه طبيعته بيت صديق ممن يعرفه يعرض عليه ما تحتاج إليه طبيعته كالشفيع لها عنده فيتناول لها منه قدر ما تحتاج إليه وينصرف لا يجلس عن حاجته إلا من ضرورة فإذا لك يجد لجأ إلى الله في حاجة طبيعية لأنه مسئول عنها لكونه والياً عليها ثم ينتظر الإجابة من الله فيما سأله فإن شاء أعطاه ماسأل عاجلاً أو آجلاً فمرتبه الإلحاح في السؤال والسفاعة في حق طبيعته بخلاف أصحاب الأحوال فإن الأشياء تتكون عن همتهم وطرحهم الأسباب عن نفوسهم فهم ربانيون والقطب مآثره عن الحال ثابت في العلم مشهود فيه فيتصرف به فإن أطلعه الحق على ما يكون أحبر بذلك على جهة الإفتقار والمنة لله لا على جهة الإفتخار لا تطوى له أرض ولا يمشي في هواء ولا على ماء ولا يأكل من غير سبب ولا يطرأ عليه شيء مما ذكرناه من خرق العوائد وما تعطيه الأحوال إلا نادراً لأمر يراه الحق فيفعله لا يكون ذلك مطلوباً للقطب بجوع اضطرار الإختيار أو يصير عن النكاح كذلك لعدم الطول يعلم من تجلى النكاح ما يحرضه على طلبه والتعشق به فإنه لا يتحقق له ولا لغيره من العارفين عبوديته أكثر مما يتحقق له في النكاح لا في أكل ولا في شرب ول في لباس لدفع مضرة ولا يرغب في النكاح للنسل بل لمجرد الشهوة واحضار التناسل في نفسه لأمر مشروع والتناسل في ذلك للأمر الطبيعي لحفظ بقاء النوع في هذه الدار فإن نكاح صاحب هذا المقام كنكاح أهل الجنة لمجرد الشهوة إذ والتجلي الأعظم الذي خفى عن الثقلين إلا من اختصه الله به من عباده وعلى هذا يجري نكاح البهائم لمجرد الشهوة لكن غاب عن هذه الحقيقة كثير من العارفين فإنه من لأسرار التي لا يقف عليها إلا القليل من أهل العناية ولو لم يكن فيه من الشرف التام الدال على ما تستحقه العبودية من الضعف إلا ما يجد فيه من قهر اللذة المفضية له عن قوته ودعواه فهو قهر لذيد إذ القهر مناف للإلتذاذ به في حق المقهور لأن اللذة في القهر من خصائص القاهر لا من خصائص المقهور إلا في هذا الفعل خاصة وقد غاب الناس عن هذا الشرف وجعلوه شهوة حيوانية نزها نفوسهم عنها مع كونهم سموها بأشرف الأسماء وهو قولهم حيوانية أي هي من خصائص الحيوان وأي شرف أعظم من الحياة فما اعتقدوه قبحاً في حقهم هو عين المدح عند العارف المكمل هذا مضى بسبيله وأما حب القطب الجمال المقيد المندرج في الجمال المطلق فذلك لقربه في المناسبة إلى الجمال فلا يحتاج فيه إلى غور بعيد وقفة يشق بها حجاب قبح الطبع إلى إدراك الجمال الإلهي المودع في ذلك القبح فالجمال المقيد يعطيه بأول وهلة مقصوده حتى يتفرغ إلى أمر آخر أكد عليه من مقاومة القبح الطبيعي لإدراك الجمال المطلق إذ الأنفاس عزيزة في دار التكليف ويريد أن لا يكون له نفس إلا وقد تلقاه بأحسن أدب وصرفه بأحسن خلعة وزينة وقد غاب عن هذا القدر من المعرفة جماعة من العارفين وأنفت نفوسهم من ذلك لمشاركة أهل الأعراض من العامة فيه وما علموا أن هذا الرجل له مشاهدة الجمال المطلق في الجمال المقيد وفي غيره بخلاف

العامة واعلم أن القطب هو الرجل الكامل الذي قد حصل الأربعة الدنانير الذي كل دينار منها خمسة وعشرون قيراطاً وبها توزن الرجال فمنهم ربع رجل ونصف رجل وثلث وسدس ونصف سدس وثلاثة أرباع ورجل كامل فالدينار الواحد للمؤمن الكامل والدينار الثاني للولي الخاص والدينار الثالث للنبوتين والدينار الرابع للرسالتين أعني الأصلية بحكم الأبوة والوراثية بحكم البنوة فمن حصل الثاني كان له الأول ومن حصل الثالث كان له الثاني والأول ومن حصل الرابع حصل الكل والقطب من الرجال الكامل وإنما قلنا من الرجال الكامل من أجل الأفراد فإنهم مكملون ومناحوال القطب تقرير العادات والجري عليها ولا يظهر عليه خرق عادة دائماً كما ظهر على صاحب الحال ولا يكون خرق العادة مقصود إليه بل تظهر منه ولا تظهر عنه إذ لا اختيار له في ذلك كما قال العارف أبو السعودين الشبل في الرجل يتكلم على الخاطر وما هو مع الخاطر فيكون في حقه بحكم الإتفاق الوجودي وفي حق الله بحكم الإرادة والقصد فقد بينا بحمد الله الضروري الخاص من أحوال القطب وبيننا رتبته لمن جهلها وإن الرجولية ليست فيما يتخيله الجهال من عامة الطريق بطريق الله فينحجبون بالحال عما يقتضيه العلم والمقام فيقولون كل علم لا يكون بالحال فليس بشيء فقل له لا تقل ذلك يا أخي فإنه خلاف الأمر وإنما الصحيح أن تقول كل علم لا يكون عن ذوق فليس بعلم أهل الله يفأرك لا تفرق بين الحال والذوق وما ثم علم قط إلا عن ذوق لا يكون غير هذا والتممكن في العبودية لا حال له البتة يخرج عن عبوديته فلو لم يكن في الأحوال من النقص إلا أنها تخرج العبد عن مقامه إلى ما لا يستحقه ولا هو حق له حتى أنه لو مات في حال الحال لمات صاحب نقص وحشر صاحب نقص فليست الأحوال من مطالب الرجال لكن الأذواق مطالبهم وهي لهم لما يحصل لهم فيها من العلوم بمثلة الأدلة لأصحاب النظر فيها فالله يجعلنا ممن فهم ففهم عن الله مراده والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وفي هذا الباب من العلوم علم ما يستند إليه من الحضرة الإلهية وعلم نسبة بني آدم إلى الله من أسماء مخصوصة وعلم ما يتقى ويحذر من العالم الروحاني وعلم رجعة العالم بالروحاني من أين وإلى أين وعلم الصدور البشري

الباب الأحد والسبعون ومائتان في معرفة منزل عند الصباح

يحمد القوم السري من المناجاة المحمدية وهو أيضاً من منازل الأمر

عند الصباح يحمد القوم السرى

كل الأنام في الامام والورا

على الإله عالماً بما جرى

ما لفظة يقولها كل الورى

مإذا ترى في قولهم يا من يرى

قد خاب في ابنائه من افترى

اعلم أيدنا الله وأيدك بروح منه أن هذا المنزل منزل علم السرى وأهله يتضمن معرفة عالم الخلق والظلال ومنه يعرف كسوف القمر أهل الكشف وأنه من الخشوع الطارئ عن القمر من التجلي ويتعلق بهذا المنزل علم هاروت وماروت من علم السحر وعلم طلوع الأنوار اعلم وفقك الله للقبول أن الأنوار على قسمين أنوار أصلية وأنوار متولدة عن ظلمة الكون كنور قوله تعالى "وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون" وكقوله عز وجل "فالق الإصباح وجاعل الليل سكناً" ينظر إلى ذلك ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ليكون له على النور ولادة والنور المتكلم عليه في هذا المنزل هو النور المولد الزماني وهذا المنزل

مخصوص بالامام الواحد من الامامين اللذين للقطب وهو المسمى بعبد ربه وتارة يكون هذا النور ذكراً وتارة يكون أنثى فإذا غشى الليل النهار فالتولد منه هو النور المطلوب وهذا النور المولد الذي شرعنا فيه هو نور العصمة للنبي والخف للولي وهو يعطي الحياء والكشف التام فإنه يكشف ويكشف به والنور الأصلي يكشف ولا يكشف به لأنه يغلب على نور الأبصار فتزول الفائدة التي جاء لها النور ولهذا تلجأ نفوس العارفين والأنوار ومراتبها إلى هذا النور المولد من الظلمة للمناسبة التي بيننا وبينه من خلق أرواحنا فإن الأرواح الجزئية متولدة عن الروح الكلي المضاف إلى الحق والأجسام الطبيعية الظلمانية بعد تسويتها وحصول استعدادها للقبول فيظهر بينهما في الجسم الروح الجزئي الذي هو روح الإنسان ينفلق عنه الجسم كإفلاق الصباح من فلق الإصباح في الليل فتقع المناسبة بين النور وبين روح الإنسان فلذلك يأنس به ويستفيد منه هكذا أجرى الله العادة ولم يعط من القوة أكثر من هذا ولو شاء لفعل وهكذا جرت المظاهر الإلهية المعبر عنها بالتجليات فإن النور الأصلي مبطن فيها غيب لنا والصور التي يقع فيها التجلي محل لظهور المظهر فتقع الرؤية منا على المظاهر ولهذا هي المظاهر مقيدة بالصور ليكون الإدراك منا بمناسبة صحيحة فإن المقصود من ذلك حصول الفائدة به وبما يكون منه وهذا منزل عال كبير القدر العالم به متميز على أبناء جنسه وهو سار في الأشياء فكما أنه سبحانه ذكر أنه فلق الإصباح كذلك هو فلق الحب والنوى بما يظهر منهما فما وقعت الفوائد إلا بمثل هذا النور وكانت الأنبياء عليهم السلام تتخذ له وقاية وذلك أن الوقاية لا تكون إلا من أجل الأمور التي يكرهها الإنسان طبعاً وشرعاً وهي أمور مخصوصة بعالم الخلق والتركيب الطبيعي لا بعالم الأمر وقد بينا في هذا الكتاب وغيره ما تنريده بعالم الأمر وعالم الخلق والكل لله تعالى قال عز وجل أله الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين فحصره بالاسم الرب دون غيره ولما كان عالم الخلق والتركيب يقتضي الشر لذاته لهذا قال عالم الأمر الذي هو الخير الذي لا شر فيه حين رأى خلق الإنسان وتركيبه من الطبائع المتنافرة والتنافر هو عين التنازع والتراع أمر مؤد إلى الفساد قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء من غير تعرض لمواقع الأحكام المشروعة وكذلك وقع مثل ما قالوه ورأوا الحق سبحانه يقول "والله لا يحب المفسدين" وقال والله لا يحب الفساد فكروهوا ما كره الله وأحبوا ما أحب الله وجرى حكم الله في الخلق بما قدره العزيز العليم فما ظهر من عالم التركيب من الشرور فمن طبيعته التي ذكرتها الملائكة وما ظهر منه من خير فمن روحه الإلهي الذي هو النور المولد فصدقت الملائكة ولذلك قال وما أصابك من سيئته فمن نفسك وإذا كان عالم الخلق بهذه المثابة فواجب على كل عاقل أن يعتصم بهذا النور المذكور في هذا المنزل فالشرور كلها مضافة إلى عالم الخلق بعد أن كانت متنافرة ليظهر بذلك شرف هذا النور بما يكون فيه من الخير مع تولده من هذا التركيب لقوته وغلبة عالم الأمر على نشأته دخلت في الوجود الحسي فسميت جسماً وحيواناً ونباتاً وجماداً وما من شئ من هذا كله إلا والفساد والتغيير موجود فيه في كل حال ولولا هذا النور الإعتصامي لهلك عالم الخلق جملة واحدة فأمر الله سبحانه أن يلجأ إليه بالدعاء في دفع هذه المكروه كلها فيؤيد الله هذا الروح بما يعطيه من هذا النور من الاسم الرب ليدفع به ما تقع له به المضرة من جانب ظلمة الطبع واعلم أن مسمى الشر على الحقيقة ومسمى الخير إنما هو

راجع أما لوضع إلهي جاءت به ألسن الشرائع وأما للملامية مزاج فيكون خيراً في حقه أو منافرة مزاج فيكون شراً في حقه وأما الكمال مقرر اقتضاه الدليل فيكون خيراً أو نقص عن تلك الدرجة فيكون شراً وأما الحصول غرض فيكون خيراً في نظره أو عدم حصوله فيكون شراً في نظره فإذا رفع الناظر نظره عن هذه الأشياء كلها لم تبق إلا أعيان موجودات لا تتصف بالخير ولا بالشر هذا هو المرجوع إليه عند الإنصاف والتحقيق ولكن ما فعل الله سبحانه إلا ما قد حصل في الوجود من كمال ونقص ولامية ومنافرة و

وشرائع موضوعة بتحسين وتقبيح واغراض موجودة في نفوس تنال وقتاً ولا تنال وقتاً وما خلا الوجود من هذه المراتب وكلام المتكلم إنما هو بما حصل في الوجود لا بالنظر الآخر المنسوب إلى جانب الحق ثم أصل هذا الأمر كله إنما هو من جانب وجود واجب الوجود لذاته وهو الخير المحض الذي لا شر فيه من جانب العدم المطلق الذي في مقبلة الوجود المطلق وهذا العدم هو الشر المحض الذي لا خير فيه فما ظهر من شر في العالم فهذا أصله لأنه عدم الكلام أو عدم الملامية أو عدم حصول الغرض فهي نسب وما ظهر من خير فالوجود المطلق فاعله ولذلك قال قل كل من عند الله وما هو موصوف بأنه عندك فليس هو عينك والإعدام والإيجار بين ارادته سبحانه وقدرته ولهذا قلنا أن الخير فعل الحق ولم نقل في الشر فعلاً وإنما قلنا أن ذلك العدم المطلق أصله فحررنا العبارة عنه ليعرف العاقل الناظر في كتابي هذا ما أردناه وإذ قد تبين هذا الأصل النافع في هذا الباب فلنقل ومما يلجأ إليه في دفع ما يكره من الأفعال ما تتلوه الشياطين على ملك سليمان من علم السحر الذي مزجوه بما أنزل على الملكين هاروت وماروت من علم الحق فعلم الحق من ذلك هو العلم بالأمور التي تسمى معجزات فإن الحق معجز وهو النور الذي يستند إليه وعلم الباطل من ذلك علم الخيال الذي قال فيه بخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ولهذا سمي السحر سحر أما مأخوذ من السحر وهو اختلاط الضوء والظلمة فالسحر له وجه إلى الظلمة وليس ظلاماً خاصاً وله وجه إلى الضوء وليس ضوءاً خالصاً كذلك السحر له وجه إلى الحق وهو ما ظهر إلى بصر الناظر فإنه حق وله وجه إلى الباطل لأنه ليس الأمر في نفسه على ما أدركه البصر فلهذا سمته العرب سحراً وسمى العامل به ساحر إلا العالم به ولهذا سمي كيدا من كاد يكيد أي كاد يقارب الحق قال تعالى أنهم يكيدون كيدا أي يقاربون الحق فيما يظهر لكم وكاد من أفعال المقاربة تقول العرب كاد العروس يكون أميراً أي قارب أن يكون أميراً قال تعالى إنما فعلوا كيد ساحر أي فعلوا ما يقارب الحق في الصورة الظاهرة للبصر فإذا لم يكن حقاً ففإذا لم يكن حقاً ففإذا بعد الحق إلا الضلال فإني تصرفون أي كيف تصرفون عن معرفة هذه الحقائق ومما يتعلق بهذا العلم من الشر مقلوب الحمد ولهذا قال فلا تكفر فإن مقلوب الحمد كفر وهو الذم إذا الحمد هو الثناء على الحمود بما هو عليه من الخلال وبما يكون منه مما تعطيه مكارم الأخلاق والذم في مقابلة ما ذكرناه قال تعالى فيتعلمون منهما أي من المعلمين ما يفرقون به بين المرء وزوجه والله قد كره وقد ذمه وندب إلى الإلفة وانتظام الشمل ولما علم سبحانه أن الافتراق لا بد منه لكل مجموع مؤلف للحقيقة خفيت عن أكثر الناس شرع الطلاق رحمة بعباده ليكونوا مأجورين في أفعالهم محمودين غير مذمومين إرغاماً للشياطين ومع هذا فقد ورد في الخبر النبوي أنه صلى الله عليه وسلم قال ما خلق الله حالاً أبغض إليه من الطلاق لأنه رجوع إلى العدم إذ كان بائتلاف الطبائع ظهر وجود التركيب وبعدم ائتلاف كان العدم فكانت الاسماء الإلهية معطلة التأثير فمن أجل هذه الرائحة كره الفرقة بين الزوجين فعدم عين الاجتماع أي هذه الحالة ارتفعت بافتراق هذين الزوجين وإن بقيت أعيانها وإن كان الاجتماع والافتراق والحركة والسكون الحاصل من ذلك راجع إلى نسب معقولة لا أعيان موجودة كما يراه بعضهم وبهذا النور الخاص بهذا المنزل يندفع جميع ما ذكرناه من الشرور وما لم نذكره مما ينطلق عليه إسم شر بالإضافة إلى ما قررناه من الكمال والملامية وغير ذلك وهذا القدر من السحر الذي يعطي التفرقة هو الذي يدفعه سبب وجود هذا النور في هذا المنزل خاصة وعند الخروج من هذه السدف والظلم بالإدراج فيها حتى يطلع لك الصباح وتشرق

الأنوار وذلك عالم الآخرة حيث كان حينئذ محمد مسعك وما فاتك بذلك السهر في سيرك من لذة النوم والإضطجاع والسكون فوضعوا لذلك لفظاً مطابقاً وهو قولهم عند الصباح يحمد القوم السرى والصباح عبارة عن هذا النور ومن حصل له هذا النور كان

الناس فيه بين غابط وحاسد فالغابط من طلب من الله أن يكون له مثل ما حصل لهذا من هذه الحال منغير أن يسلب ذلك عن صاحبه والحاسد من يطلب زوال هذا الأمر من صاحبه ولا يتعرض في طلبه لنيله جملة واحدة فإن طلب مع طلب إزالته من ذلك نيله فيه يقع الإشتراك بين الغابط والحاسد فلذلك فصلنا فيه هذا التفصيل وإن كان الشرع قد أطلق لفظ الحسد في موضع الغبط فقال صلى الله عليه وسلم لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق فهو ينفق منه ويرفقه يميناً شمالاً وفي هذا سر وتنبية على فضل الكرم والعطاء لغير عوض فإنه من أعطى لعوض فهو شراء ليس بكرم إذا الكريم من لا يطلب المعارضة فلذا قال يميناً شمالاً ولو عني بالشمال الإنفاق في معصية من زنا أو غيره فليس بكرم لأنه يحصل به عوضاً هو أحب إليه من المال فإن قيل أن العوض له لازم فإن الثناء بالكرم لازم لدى الكرم قلنا هذا لا يقع إى من الجاهل لأن الثناء الحسن من لوازم الكرم سواء طلبه فاشتغاله بطلب الحاصل جهل فإن الحاصل لا يبتغي والازم للشئ لا بد له منه وإلا فليس بلازم فإن فعل ذلك التحق بأصحاب الأعواض ولم يتصف عند ذلك بالكرم ولا لبسه والرجل الآخر رجل آتاه الله علماً فهو يبيته في الناس أي يفرقه فيهم الحديث كما قال عليه السلام فإننا أوردناه من جهة المعنى وبعض ألفاظه صلى الله عليه وسلم فسماه حسداً وقد يسمى الشئ باسم الشئ بما يقاربه أو يكون منه بسبب وبعد أن فصلنا ما أوردناه ارتفع الأشكال فيما قصدناه ونحن إنما أوردناه ما أراد الله تعالى بقوله "ومن شر حاسد إذا حسد" وليس الشر في طلب نيل مثله وإنما الشئ في طلب زواله ممن هو عنده ولما قلنا أن عبد الرب له خمس درجات وأنه يزيد على عبد الملك بأربع درجات كان هذا المنزل على خمس درجات والدرجة السادسة التي لهذا المنزل فيها خلاف بين أهل هذا الشأن فمنهم من جعلها درجة مستقلة بنفسها لكنها فاصلة بين مقامين من المقامات الإلهية وليس هو مذهبنا ومنهم من جعلها درجة سادسة في عين هذا المقام وهو مذهبنا وهذه الدرجة تتضمن منزلاً واحداً من منازل الغيب والإجماع من أهل هذا الشأن وقيل ثلاث منازل بخلاف بينهم فأما ابن برجان فإنفرد دون الجماعة باظهار المنزل الثاني في هذه الدرجة من منازل الغيب ولم أعلم ذلك لغيره وله وجه تلك القوة وإنما يظهر عند صنعه التحليل والكلام على المفردات من علم هذا الطريق وهو مما يتعلق بمعرفة الهوية ولهذه الدرجة تسعة عشر منزلاً من منازل الشهادة كل منزل من هذه المنازل الشهادة كل منزل من هذه المنازل يمنع ملكاً من التسعة عشر الذين على النار فلا يصيب صاحب هذه الدرجة من النار شئ قال تعالى عليها تسعة عشر فلووجود هذه المنازل في هذه الدرجة جعلت ملائكة النار تسعة عشر ولا نعكس فنقول من أجل هؤلاء الملائكة جعلت هذه المنازل تسعة عشر فإن الأمر لم يكن كذلك ولم تكن هذه المنازل بحكم الجعل بخلاف الملائكة فإن هذه الدرجة اقتضت هذه المنازل لذاتها وقال في الملائكة "وما جعلنا عدتهم إلا فتنة" فكانوا بحكم الجعل وكانوا في عالم الشهادة لأن النار محسوسة مشهودة وتتضمن هذه الدرجة السادسة من العلوم علم الاسماء الإلهية المتعلقة بالكون ولها صورة فيالعموم من حيث الإيجاد وفي الخصوص من حيث السعادة واعلم أنه ما من منزل من هذه المنازل التي في هذا الكتاب الأوله هذه الدرجة وتختلف آثارها باختلاف المنازل إلا منزلاً واحداً من منازل القهر وسيأتي ذكره إن شاء الله وكنا قد ذكرنا في الكتاب هياكل الأنوار هذا المنزل وما يختص به وما يعطيه هيكله فلينظر هناك وهو الهيكل الثاني عشر ومائة وهذه العجالة تضيق عن أسرارها في كل منزل من هذه المنازل المودعة فيه أعني في هذا الكتاب وكذلك المنازل والفرق بين المنزل والمنازل ما نبينه لك وذلك أن المنزل عبارة عن المقام الذي يتزل الحق فيه إليك أو تتزِيل أنت فيه عليه ولتعلم الفرق بين إليك وعليه والمنازل أن يريد هو التزول إليك ويجعل في قلبك طلب التزول عليه فتتحرك الهمة حركة روحانية لطيفة للتزول عليه فيقع الاجتماع به بين نزولين نزول منك عليه قبل أن تبلغ المنزل ونزوله منه إليك أي توجه إسم إلهي

قبل أن يبلغ المنزل فوقوع هذا الاجتماع في غير المنزلين يسمى منزلة وهنا يكون لصاحب هذه الحالة أحد ثلاثة أمور أما تحصل الفائدة عند اللقاء المطلوبة لذلك الاسم من هذا العبد ولهذا العبد من ذلك الاسم فينفضل عنه الاسم إلى مسماه ويرجع العبد إلى مقامه الذي منه خرج وأما أن يحكم عليه الاسم الألهي بالرجوع إلى ما منه خرج ويكون ذلك الاسم الألهي معه إلى أن يوصله إلى ما منه خرج وأما أن يأخذ الاسم الألهي معه ويعرج به إلى مسماه وأي الأمرين حصل من هذا الذي ذكرنا فيسمى عندنا هذا المنزل الذي رجعا إليه بهذه الصفة الخاصة بمنزل المنازل لأنه يعطي من الأحكام خلاف ما يعطيه إذا لم يكن نزوله عن منزلة يعرف هذا أهل الأذواق وأهل الشرب والري وقد جعلنا في هذا الكتاب من المنازل ما تقف عليه أن شاء الله وأعلم أن المنازل لا ينطلق عليها هذا الاسم إلا عند التزل فيهما فإن أقام فيها ولم ينتقل عنها حدث لها إسم الموطن لأستيطانها فيها وإسم المسكن لسكونه إليها وعدم أنتقاله إلى منزل ألا أنه لا بد له أن ينتقل في نفس هذا المنزل في دقائقه بحيث لا يخرج عنه كمثل الذي يتصرف في بيوت الدار التي هو ساكنها فما دام العارف مستصحباً لإسم واحد ألهي مع اختلاف تصرفه فيه كان موطناً له من حيث الحملة ومن المحال أن يقيم أحد نفسين على حالة واحدة فلا بد له من الانتقال في كل نفس ولهذا منع بعضهم من أهل الله أن يكون الاسم موطناً أو مسكناً لأنه تحيل أن لكل نفس وكل حال إسماً ألهياً ولم يدر أن الاسم الألهي قد يكون له حكم أو يكون له أحكام كثيرة مختلفة فيكون موطناً لهذا الشخص ما دام يتصرف تحت أحكامه فأما قولهم من المحال بقاؤه نفسين على حكم واحد على أن يكون واحد نعتاً لحكم فصحيح وأما أن أرادوا أستحالة بقائه نفسين على حكم واحد على طريق الأضافة أضافة الحكم إلى الواحد فليس بصحيح فإن الوجوه لهذا الاسم الألهي فالغفار يستره عن كذا وكذا وكذا بحسب المطالب التي تطلبه في كل نفس مما يصح أن يستره عنها الاسم الغفار على التالي والتتابع من غير أن يتخللها ما يطلب إسماً آخر ولهذا صحت فيه المبالغة لأنه يكثر منه ذلك وهكذا الخلاق والرزاق وجميع الاسماء التي لها حكم في الكون إذا توالى على الإنسان ما يطلب هذا الاسم ولا بد فالاسماء الألهية منازل بوجه ومساكن ومواطن بوجه وقد بينا في هذا الباب على طريق الإشارة وضيق الوقت ما تقع به الفائدة لصاحب الذوق وما نودع كل باب مما عندنا فيه ألا نقطة من بحر محيط هذا بالنظر إلى ما عندنا فيه فكيف هو بالنظر إلى ما هو عليه في نفسه هو البحر الذي لا ساحل له وهذا المنزل من منازل الأمر وهذه المنازل الأمرية وأن كانت سبعة في العدد فمن حيث الأمهات وأنما هي أكثر من ذلك ولا بد لنا أن تفرغنا إليها من حصرنا إياه حتى يعلم إلى كم تنتهي من جناب الحق فإن فيها فوائد جمة هي مثبوبة في كتبنا والله سبحانه يقول الحق وهو يهدي السبيل وفي هذا المنزل من العلوم علم أخراج المغيبات بالاسماء الألهية وعلم الخلق وعلم الغيب الداخل في الشهادة وعلم الشبه وعلم نفث الروح في الروح

الباب الثاني والسبعون ومائتان في معرفة منزل تنزيه التوحيد

وذلك نور ما لديه أقول

وأن الذي يدري به لقليل

فمن شاء قولاً فليقل بيقول

فحرف حضور ما عليه قبول

بتنزيه توحيد الأله أقول

وتنزيهه ما بين ذات ورتبة

تنزه عن تنزيه كل منزله

فإن وجود الحق في حرف غيبه

أعلم أيدينا الله وأياك بروح منه أن المراد بلفظة تزيه التوحيد أمران الواحد أن يكون التوحيد متعلق بالتزيه لا الحق سبحانه والأم
الآخر أن يكون التزيه مضافاً إلى التوحيد على معنى أن الحق تعالى قد يتره بتزيه التوحيد إياه لا بتزيه من نزهه من المخلوقين
بالتوحيد مثل حمد الحمد فإن قيام الصفة بالموصوف ما فيها دعوى ولا يتطرق إليها احتمال والواصف نفسه أو غيره بصفة ما يفتقر
إلى دليل على صدق دعواه فيتعلق بهذا فصول تدل عليها آيات من الكتاب منها هل يصح الأضمار قبل الذكر في غير ضرورة الشعر
أم لا فالشاعر يقول

جزى ربه عني عدي بن حاتم فأضمر قبل الذكر ولكن الشعر موضع الضرورة ومن فصول هذا المتزل الأمر بتوحيد الله فلا يكون فيه
توحيد الحق نفسه ويتعلق به التقليد في التوحيد لأن الأمر لا يتعلق بمن يعطيه الدليل ذلك إلا أن يكون متعلق الأمر بالإستدلال لا
التعريف على طريق التسليم أو الإستدلال بالتنبيه على موضع الدلالة مثل قوله إذا لذهب كل إله بما خلق وكقوله لو كان فيهما آلهة
إلا الله لفسدتا وكقوله لم يلد ولم يولد ومن فصول هذا المتزل قوله تعالى "ما اتخذ صاحبة ولا ولداً" لعدم الكفاءة إذ لم يكن له كفؤاً
أحد فلو كانت الكفاءة موجودة لجاز ذلك قال عز وجل ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن فجعل الكفاءة بالدين وقوله لو أراد الله
أن يتخذ ولداً فجعله من قبيل الإمكان فقال لا اصطفي والإصطفاء جعل والجعل ينافي الكفاءة للجاعل وأين مرتبة الفاعل من
المفعول ومن فصول هذا المتزل التزيه أن يكون مدركاً بالمقدمات التي تنتج وجوده أو معرفة به تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ومن
فصول هذا المتزل أنه لا يكون مقدمة لأنتاج شئ للتركيب الذي يتصف به المقدمات والسبب الرابط في المقدمات فيستدعي المناسبة
بين الخلق والحق غير معقولة ولا موجودة فلا تكون عنه شئ من حيث ذاته ولا يكون عن شئ من حيث ذاته وكل ما دل عليه
الشرع أو اتخذه العقل دليلاً إنما متعلقة بالإلوهة لا الذات والله من كونه إلهاً هو الذي يستند إليه الممكن لا مكانه فلنذكر ما يتعلق
بفصول هذا المتزل على الاختصار إن شاء الله أعلم أن هذا المتزل هو الرابع من منزله العظمة في حق أصحاب البدايات وهو الحادي
عشر والعاشر ومائة في حق الأكابر الروحانيين ولما كانت الحضرة الإلهية تنقسم إلى أقسام ذات وصفات وأفعال كان هذا المتزل
أحدهما وهو الثالث منها ولما كانت الصفات على قسمين صفة فعل وصفة تزيه كان هذا المتزل صفة التزيه منهما فأما تزيه
التوحيد فهو أن هذا التوحيد الذي ننسبه إلى جناب الحق منزّه أن ينسب إلى غير الحق فهو المنزه على الحقيقة لا الحق وإنما قلنا هذا
لأنه يجوز أن يوصف به غير الحق فيما يعطيه اللفظ كما وقعت المشاركة في إطلاق لفظة الوجود والعلم والقدرة وسائر الاسماء في
حق الخلق فهذا المتزل يتره هذا التوحيد المنسوب إلى الله أن يوصف به غيره فإنه توحيد الذات من جميع الوجوه ولا يوصف بهذا
التوحيد غيره لا في اللفظ ولا في المعنى وكانت ذات الحق المنسوب إليها هذا التوحيد لا يتعلق بها تزيه لأنه لا يجوز عليها فتبعد عن
وصفها الذي يجوز عليها إذ كانت فينفس الأمر منزّه لا بتزيه منزّه وأما كان تزيه التوحيد متعلقة الحق سبحانه فيكون منزّه من
حيث ذاته بلسان عين هذا الوصف الذي هو التوحيد له كثناء لسان صفة الكريم بالكريم لقيامه به لا بقوله القائل ودليل الناظر أنه
سبحانه واحد فقد كان له هذا الوصف لا أنت وله هذا الوصف وأنت أنت وإذا كان هذا الأمر على هذا الحد فما ثم موجود يصح
إن يضمّر قبل الذكر إلا من يستحق الغيب المطلق الذي لا يمكن أن يشهد بحال من الأحوال فيكون ضمير الغيب له كالاسم الجامد
العلم للمسمى يدل عليه بأول وهلة من غير أن يحتاج إلى ذكر تتقدم مقرر في نفس السامع يعود عليه هذا الضمير فلا يصح أن يقال
هو إلا في الله خاصة فإذا أطلق على غير الله فلا يطلق إلا بعد ذكر متقدم معروف بأي وجه كان مما يعرف به فيقال هو عين محل
هذا الضمير مشهود عند من لا يصح أن يقال فيه هو لحضوره عنده فيزول عنه إسم الهو بالنظر إلى ذلك ويثبت له إسم الهو بالنظر

إلى من غاب عنه فإن قيل إذا صح ما قررته فإنه سبحانه مشهود لنفسه فيزول عنه الهو بالنظر إلى شهوده نفسه فإذا الهو ليس له بمترلة الاسم العلم كما زعمت قلنا وإن شهد نفسه فإن الهوية معلومة غير مشهودة وهي التي ينطلق عليها إسم الهو هذا على مذهبنا وهو مذهب أهل الحق كيف وثم طائفة تقول أنه لا يعلم نفسه فلا يزال الهو له منا ومنه قال تعالى في أول سورة الإخلاص لنبية عليه السلام قل هو الله أحد فابتدأ بالضمير ولم يجر له ذكر متقدم يعود عليه في نفس القرآن وإن كانت اليهود قد قالت له انسب لنا ربك فرمما يتوهم صاحب اللسان أن هذا الضمير يعود على الرب الذي ذكرته اليهود ولتعلم أن هذا الضمير لا يريد به الرب الذي ذكرته اليهود لأن الله يتعالى أن يدرك معرفة ذاته خلقه ولذلك

قال هو الله وما ذكر في السورة كلها شيئاً يدل على الخلق بل أودع تلك السورة التبري من الخلق فلم يجعل المعرفة به نتيجة عن الخلق فقال تعالى "ولمن يلد ولم يجعل الخلق" في وجوده نتيجة عنه كمات يزعم بعضهم بأي نسبة كانت فقال تعالى لم يلد ونفى التشبيه بأحدية كل أحد بقوله ولم يكن له كفواً أحد وأثبت له أحدية لا تكون لغيره وأثبت له الصمدانية وهي صفة تزيه وتبرئة فارتفع أن يكون الضمير يعود على الرب المذكور المضاف إلى الخلق في قولهم له صلى الله عليه وسلم أنسب لنا ربك فأضافه إليه لا إليهم ولما نسبة صلى الله عليه وسلم بما أنزل عليه لم يصفه لا إليه ولا إليهم بل ذكره بما يستحقه جلاله فإذا ليس الضمير في هو الله يعود على ما ذكر وأين المطلق من المقيد فهوية المقيد ليست هوية المطلق فهوية المقيد نسبة تتعلق بالكون فتتقيد به إذ تقيد الكون بما فيقال خالق ومخلوق وقادر ومقدور وعالم ومعلوم ومريد ومراد وسميع ومسموع وبصير ومبصر ومكلم ومكلم والحي ليس

كذلك فهو هويته لا تعلق له بالكون وليس القيوم كذلك فإذا عرفت ما ذكرناه عرفت أن الأضمار قبل الذكر لا يصح إلا على الله وبعد الذكر تقع فيه المشاركة قال تعالى الذي لا إله إلا هو فأعاد الضمير على الله المذكور في أول الآية واعلم أن التوحيد اتلذي يؤمر به العبد أن يعلمه أو يقول ليس هو التوحيد الذي يوحد الحق به نفسه فإن توحيد الأمر مركب فإن المأمور بذلك مخلوق ولا يصدر عن المخلوق إلا ما يناسبه وهو مخلوق عن مخلوق فهو أبعد في الخلق عن الله من الذي وجد عنه هذا التوحيد على كل مذهب من نفاة الأفعال عن المخلوقين ومثبتها لأن النفاة قائلون بالكسب وغير النفاة قائلون بالإيجاد فكيف يليق بالجناب العزيز ما هو

مضاف إلى الخلق وإن كنا تعبدنا به شرعاً فنقرره في موضعه ونقوله كما أمرنا به على وجهه القربة إليه مع ثبوت قدمنا فيما أشهدنا الحق من المعرفة به من كونه لا يعرف في ليس كمثله شيء وفيما ذكره في سورة الإخلاص وفي عموم قوله بالتسبيح الذي هو التزيه رب العزة عما يصفون والعزة تقتضي المنع أن يوصل إلى معرفته ومن أسرار هذا المنزل قوله لو أرادو الله أن يتخذ ولداً فإن كان حرف أمتناع ولكنه أمتناع شيء لأمتناع غيره فهو عدم لعدم إذا جاء حرف لا بعد لو كان حرف أمتناع لوجود ولم يأت في هذه الآية لا فنفي الأرادة أن تتعلق بأخذ الولد ولم يقل أن يلد ولداً فإنه يقول لم يلد والولد المتخذ يكون موجود العين من غير أن يكون ولداً فيتبني بحكم الأصطفاء والتقريب في المنزل أن يتزل من نفسه منزلة الولد من الوالد الذي يكون له عليه ولادة والحقيقة تمنع من

الولادة والتبني لأن النسبة مرتفعة عن الذات والنسبة الألفية من الله لجميع الخلق نسبة واحدة لا تفاضل فيها إذا التفاضل يستدعي الكثرة فلماذا أتى بلفظة لو ولم يجعل بعدها لفظة لا فكان حرف أمتناع أي لم يقع ذلك ولا يقع لأمتناع الذات أن توصف بما تستحقه ولهذا قال ما أتخذ صاحبة ولا ولداً بعد قوله تعالى وأنه تعالى جرد بنا فوصفه بالعلو عن قيام هذا الوصف لعظمة الرب المضاف إلى المربوب بالذكر فكيف بالرب من غير أضافة لفظية فكيف بالاسم الله فكيف بالذات من غير إسم فأعظم من هذا التزيه ما يكون وأما نفي الكفاءة والمثل فرمما يتوهم من لا معرفة له بالحقائق أنه لو وجدت الكفاءة جاز وقوع الولد بوجود صاحبة التي

هي كفؤ فليعلم أن الكفاءة مشروعة لا معقولة والشرع إنما لزمها من الطرف الواحد لا من الطرفين فمنع المأة أن تنكح ما ليس لها بكفؤ ولم يمنع الرجل أن ينكح ما ليس بكفؤ له ولهذا له أن ينكح أمته بملك اليمين وليس للمرأة أن ينكحها عبدها والحق ليس بمخلوق وهو الوالد لو كان له ولد والكفاءة من جهة صاحبة لا تلزم فأرتفع المانع لوجود الولد لا لعدم الكفاءة بل لما تستحقه الذات من ارتفاع النسب والنسب ولما تستحقه أحدية الألوهة إذا الولد شبيهه بآبيه فبطل مفهوم من حمل ما أئخذ صاحبة ولا ولداً على جواز ذلك أذ كان متخذاً وكان المفهوم منه ومن نفي الكفاء والمثل ما ذكرناه ولما كان التزيه للذات على ما قررناه بطل أن تكون المعرفة به القائمة بنا نتيجة عن معرفتنا بنا لأستنادنا إليه من حيث أماكننا وأن ذلك لا يتضمن معرفة ذاته بالصفة الثبوتية النفسية التي هو عليها بالأصح من ذلك ألا

الأستناد لذات متزهة عما ينسب إلينا مجهولة عندنا ما ينسب إليها من حيث نفسيتها فلا يعرف سبحانه أبداً وإذا كانت المعرفة به من التزاهة والعلو بهذا الحد فأحرى أن يكون وجوده معلولاً لعله تتقدمه في الرتبة أو مشروطاً بشرط متقدم أو محققاً لحقيقة حاكة أو مدلولاً لدليل يربطه به وجه ذلك الدليل فلا جامع سبحانه بيننا وبينه من هذه الجوامع الأربعة فالتحقت المعرفة به منا بوجوده في التزاهة والرفعة عن الإدراك لها وكما لم يصح أن ينتجه شيء فلا تكون هويته أيضاً من حيث هويته لا من حيث مرتبته تنتج شيئاً أذ لو أرتبط به شيء من حيث هويته لأرتبطت هويته بذلك الشيء فلا يصح أن يكون علة لمعلول ولا شرطاً لمشروط ولا حقيقة لمحقق ولا دليلاً لمدلول ولا سيما وقد قال سبحانه لم يلد مطلقاً وما قيد فلو كان حقيقة لولد محققاً ولو كان دليلاً لولد مدلولاً ولو كان علة لولد معلولاً ولو كان شرطاً لولد مشروطاً فهو سبحانه المستند المجهول الذي لا تدركه العقول ولا تفصل أجماله الفصول فهذا أيضاً وجه من وجوه تزيه التوحيد وأما ما يتعلق بالواحد والأحد من التوحيد في أحديته فإن لفظ الأحدية جاءت ثابتة الأطلاق على من سواه فقال "ولا يشرك بعبادة ربه أحداً" وأن كان المفهوم منه بالنظر إلى تفسير المعاني على طريق أهل الله أنه لا يعبد من حيث أحديته لأن الأحدية تنافي وجود العابد فكأنه يقول لا يعبد إلا الرب من حيث ربوبيته فإن الرب أوجدك فتعلق به وتذلل له ولا تشرك الأحدية مع الربوبية في العبادة فتذلل لها كما تتذلل للربوبية فإن الأحدية لا تعرفك ولا تقبلك فيكون تعبد في غير معبد وتطمع في غير مطمع وتعمل في غير معمل وهي عبادة الجاهل فنفي عبادة العابدين من التعلق بالأحدية فإن الأحدية لا تثبت ألا الله مطلقاً وأما ما سوى الله فلا أحدية له مطلقاً فهذا هو المفهوم من هذه الآية عندنا من حيث طريقنا في تفسير القرآن ويأخذ أهل الرسوم من ذلك قسطهم أيضاً تفسير للمعنى فيحملون الأحد المذكور على ما أئخذوه من الشركاء وهو تفسير صحيح أيضاً فالقرآن هو البحر الذي لا ساحل له أذ كان المنسوب إليه يقصد به جميع ما يطلبه الكلام من المعاني بخلاف كلام المخلوقين وإذا علمت هذا علمت المراد بقوله جل ثناؤه لنبيه عليه السلام قل هو الله أحد أي لا يشارك في هذه الصفة وأما الواحد فإننا نظرنا في القرآن هل أطلقه على غيره كما أطلق الأحدية فلم أجده وما أنا منه على يقين فإن كان لم يطلقه فهو أخص من الأحدية ويكون إسماً للذات علماً لا يكون صفة كالأحدية فإن الصفة محل الاشتراك ولهذا أطلقت لأحدية على كل ما سوى الله في القرآن ولا يعتبر كلام الناس وأصطلاحهم وأما ينظر ما ورد في القرآن الذي هو كلام الله فإن وجد في كلام الله لفظ الواحد كان حكمه حكم لأحدية للاشتراك اللفظي فيه وأن كان لا يوجد في كلام الله لفظ الواحد يطلق على الغير فيلحقه بخصائص ما تستحقه الذات ويكون كالاسم الذي لم يتسم به أحد سواه ومما يتعلق بهذا المتزل من التزيه الخاص به ما يحصل من المعارف التي ذكرناها في كتاب مواقع النجوم في التجلي الصمد أي ولا نريد بذلك ما أراد العارف أبو عبد الله البستي في كتابه الذي جعله في عبد الرب وعبد

الصمد فإن الصمد الذي نريده لا يضاف ولا يضاف إليه فإن المتضايين لا بد أن يكون لهما بينية فيكون بينهما نسبة رابطة بها يصح أن تكون الأضافة محققة لهما فالصمد الذي أراده البستي بعبد الصمد هو الذي يلجأ إليه ويتعلق به ويقابل بالتوجه ولهذا أتمت الشريعة للمصلي إذا أستر بأصطوانة أو عصا أو مؤخرة رحل أو ما هو مثلها أن يصمد إليها صمداً ولكن ينحرف عنها قليلاً يميناً أو شمالاً وليس من أوصاف التزيه من يصمد إليه ولكنه من أوصاف الكرم فالصمدية المطلقة عن هذا التقييد هي التي تستحق أن تكون صفة تزئية إذ لا تعلق للكون بها وهي المطلوبة في هذا المنزل وشرحها في اللغة مذكور وأعلم أن هذا المنزل وإن كان يطلب الأحدية والتزيه من جميع الوجوه فإنه يظهر في الكشف الصوري المقيد بالمظاهر كالبيت القائم على خمسة أعمدة عليها سقف مرفوع محيط به حيطان لا باب فيها مفتوح فليس لأحد فيه دخول بوجه من الوجوه لكن خارج البيت عمود قائم ملصق إلى حائط البيت يتمسح به أهل الكشف كما يقبلون ويتمسحون بالحجر الأسود الذي جعله

الله ن خارج البيت وجعله يميناً له وأضافه إليه لا إلى البيت كذلك هذا العمود لا يضاف إلى هذا المنزل وإن كان منه إلا أنه ليس هو خاصاً به فإنه موجود في كل منزل إلهي وكأنه ترجمان بيننا وبين ما تعطيه المنازل من المعارف وقد نبه على ذلك ابن مسرة الجبلي في كتاب الحروف له وهذا العمود له لسان فصيح يعبر لنا عما تحويه المنازل فنستفيد منه علم ذلك ومن المنازل ما ندخل فيه ونمشي في زواياه فنجد الأمر على حد ما عرفناه فيه ومن المنازل ما لا سبيل لنا إلى الدخول فيه مثل هذا المنزل فنأخذ من هذا العمود التعريف بحكم التسليم فإنه قد قام الدليل لنا على عصمته فيما يخاطبنا به في عالم الكشف كالرسول في عالم الحس فهو لسان حق ومن الناس من يلحقه بأعمدة البيت فإن بعض الحائط عليه ولا يظهر لنا منه إلا وجه واحد وسائر مستور في الحائط فيقول بعض المكاشفين أن البيت قائم على ستة أعمدة فلا تناقض بين مثبتتي الخمسة والستة في قيام البيت عليها فقد بينا لك ذلك حتى لا تتخيل أن الحق في أحد القولين ومع إحدى الطائفتين فكل طائفة منهما صادقة فلماذا أخبرتك بكيفية ذلك هكذا جميع ما يظهر للناس أنهم اختلفوا فيه فليس بين القوم بحمد الله خلاف فيما يتحققون به بل هم في شغلهم أصح وأحق من أهل الحس فيما يدركونه بحواسهم وأعلم أن الدخول لهذا المنزل من الدينار الثاني الذي للرجولية والنهاية فيه إلى الدينار الرابع وهو تمام الرجولية التي بها يسمى الشخص رجلاً كما قد قدمناه في ترتيب الايمان والولاية والنبوة والرسالة ولا خامس لها يكون خامس خمسة بل قد يكون لها خامس أربعة فاعلم ذلك وإذا تفتنت إلى ما فصله الحق تعالى عرفت أنت تفصيله فيما أجمله في قوله ولا أدنى من ذلك يعني الأثنين ولا أكثر يعني السبعة فما فوقها من الأفراد ففصل الحق بقوله ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولم يقل ولا أربعة إلا هو خامسهم فعرفنا من أدنى ذلك وأكثر أنه يريد الأفراد يشفعها بما ليس منها فتحققنا أن الغيرة حكمت هنا فلم تثبت لأحد فردية إلا شفاعتها هوية الحق حتى لا تكون الأحدية الإله فلا يشفع فرديته مخلوق ويشفع هو فردية المخلوقين ولذلك قال وهو معكم أينما كنتم ولم يقل وأنتم معه لأنه مجهول المصاحبة فيعلم سبحانه كيف يصحبنا ولا نعرف كيف نصحبه فالمعية ثابتة فينا منفية عنا فيه فلم يقل وأنتم معه إلا هو خامسهم ولا اثنين إلا هو ثالثهما لأن الغيرة لا تتعلق بالشفعية في الأكوان لأن الشفع لها حقيقة وإنما تتعلق بالوترية إذا نسبت إلى الأكوان وهي لا تستحقها فنوترها بالحق ليكون الظهور له تعالى في الأشياء وهذا من أقوى الدلائل على صفة تعالى بالغيرة لأنها مشتقة من رؤية الغير لأنه يستدعي المشاركة والله برئ من مشاركة الغير فهو برئ أن يكون غير الأحد أو يكون أحد غير إله قال صلى الله عليه وسلم لا أحد أو كما قال غير من الله فوصفه بالغيرة وحكمها في هذا المقام قوى فهذا قد ذكرنا نبذا مما يعطيه هذا المنزل على ضيق الوقت والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وفي هذا المنزل من العلوم علم

الأحدية والفرق بينهما وبين الوجدانية وعلم النسب الإلهي يقول الله تعالى يوم القيامة اليوم أضع نسبكم وأرفع نسيي أين المتقون وعلم البسائط والعلم الضروري وعلم التماثل والحمد لله رب العالمين

الباب الثالث والسبعون ومائتان في معرفة منزل الهلاك للهوى والنفس

من المقام الموسوى

إذا ما هب في اللوح

إله الجسم والروح

بما قد جاء في نوح

على ما قلته نوحى

بريق من سنا يوحى

هلاك الخلق في الريح

ولاذ بغير مولاه

ووعر مسلكاً سهلاً

وفي لوط فيا نفسي

ولولا العشق آداه

أعلم أن الله تعالى لما خلق الأفلاك وعمرها بالأفلاك وقدر للكواكب السبعة السيارة فيها منازل تجري فيها إلى أجل مسمى تعين الزمان بجريائها وسباحتها وخلق المكانة قبل الأمكنة ومد منها رقائق إلى أمكنة مخصوصة في السموات السبعة والأرض ثم أوجد المتمكانات في أمكنتها على قدر مكانتها فكان من تقدير الله العزيز العليم أن خلق عقلا من العقول اعلاما بما أودعه فيه من صفة القدرة لا من صفة غيرها خصه بذلك على أبناء جنسه وذلك من الاسم الظاهر الذي يختص بهذا العقل فألقى إليه ذلك بضرب من القهر سار فيه موده لها ثلج وبرد وسرور فتفجرت فيه خمسة أنهار من العلم من الاسم الأول والآخر الذي يختص به هذا العقل ثم جرت هذه الأنهار في الاسم الباطن الذي له فتقدست أوليته على سائر الأوليات وآخريته على سائر الآخريات وكذلك ظاهره وباطنه وصدر عن أم الكتاب الذي عنده حضرة تسمى أم الجمع ادخلني الحق إياها فرأيتها ورأيت ظاهرها وباطنها وعانيت مكان هذا العقل منها نكتة سوداء مستورة نقية ما بين حمرة وصفرة وعانيت الرقيقة التي بين المكانة وهذا المكان المعين ورأيت موسى وهارون ويوسف عليهم السلام ناظرين إلى هذا العقل وفرع سبحانه من هذه الحضرة الجامعة التي اختصها لنفسه حضرات لا يعلم عددها إلا الله في السماء والأرض وما بينهما وما تحت الثرى إلى حد الإستواء كل هذه الحضرات للحق إليها نظر خاص رفعها بذلك على غيرها فلها عند من يعرفها من عرفه الحق بها حرمة وبروا كرام تسمى هذه الحضرات مقامات التنزيه إذا دخلتها الروحانيات العلى اكتسب من أحوال التنزيه الإلهي ما لا يعلم قدره إلا الله وحصل لهم من الخضوع والخشوع والذلة والإفتقار ما لم يكن لهم قبل دخولهم ومن هذه الحضرات وفي هذه المقامات يحصل لهم رؤية وجه الحق في كل شئ على التمام والكمال لكن من الرجال من يشاهدها ومن الرجال من يعطيهم هذه الحال ولا يعرفها ولا يدري في أي رتبة حصلت له على قدر ما سبق به علم الله فيه فمنهم ومنهم فلنرجع إلى ذلك العقل الذي ذكرناه الذي له أثر انفعال بمكانة في هذا المنزل ونذكر ما كان له وما كان عنه وبسببه مما يختص بهذا المنزل عند كل من شاهده وشخص سبحانه مقام الصدق والصفاء وعين فيه اثنتين وسبعين مرقاة كل مرقاة منها تعطي علوماً لمن يرقى فيها للصفاء الذي استلزمته هذه الصورة فهي علوم كشف إلى أن ينتهي إلى ذروتها فتقابله حضرة الإلام

بذاتها فتعطيه من التزيه الإلهي والثناء بالوحدانية والصدق والقهر والنصر والإخلاص والذلة ولما أدخلني الله هذه المراقي رأيت سبحانه قد حجبها عن الأعين بظلمة الطبيعة حجاباً لا يرفع فليس اليوم لراق فيها قدم موضوعة لكنه يكشف بها من خلف ظلمة الطبع ولا يحصل له فيها قدم كذا رأيت ورأيت معي من حقائق العارفين جملة كثيرة على مراتب مختلفة من عال وأعلى وهم فيها بهذه المثابة فأمر لهذا العقل المخصوص بهذا المتزل أن يرقى فيما شخصه مما ذكرناه واجتمعت العقول إليه وأنا أنظر ما يصنع وما يقول لأستفيد منه ثم رأيت شخص ولم يتكلم ولا أدري بأمر إلهي أشخص فرأيت عليه حين رجع أثر كآبة وقهر وانزعاج فعلمت أنه في مقام انذار من الإنذارات الحق للأرواح روى في خبر أن جبريل وميكائيل عليهما السلام قعدا يكيان فأوحى الله إليهما ما هذا البكاء فقالا إنا لا نأمن من مكرك فأوحى الله إليهما كذلك فلتكونا فلما ألقى إلينا ما ألقى إليه بخشوع وذلة واتفق أي اطلعت على اليسار فرأيت الهوى والشهوة وهما يتناحيان وقد أعطى الله من القوة النافذة لهذا الهوى ما يظهر بها على أكثر العقول إلا أن يعصم الله تعالى فوقف الهوى في ذلك الموقف وقال أنا إله المعبود عند كل موجود وأعرض عن العقل وما جاء به من النقل فاتبعه الشياطين والشهوة بين يديه حتى توسط بجبوحة النار ففرش له فراش من القطران واعتمد على أمر تخيل أنه ينجيه من عذاب الله بينه وبين من اعتمد عليه واستند إليه فهلك ومن تبعه بنعيم السعداء وكان مشهداً كريماً هائلاً مفرعاً ما صدقنا التخلص منه أنا وكل عارف حضره معنا في ذلك اليوم ثم أي أردت أن أحيط بما في هذا المتزل من المراتب والحقائق والأسرار والعلوم فأخذ بيدي ذلك العقل صاحب هذا المتزل وبسببه ظهر هذا المتزل وقال لي هذا منزل الهلاك ومصرع الهلاك فرأيت فيه خمسة آيات في البيت الأول أربع خزائن على الخزانة الأولى ثلاثة أقفال وعلى الثانية مثل ذلك وعلى الثالثة ستة أقفال وتعرف ما فيها ثم أخذ بيدي وقمنا فخرجنا إلى البيت الثاني فدخلته فرأيت فيه أربع خزائن وبعد ذلك تفتح أقفالها وتعرف ما فيها ثم أخذ بيدي وقمنا فخرجنا إلى البيت الثالث أربعة أقفال وعلى الخزانة الرابعة ستة أقفال ثم أخذ بيدي فخرجنا من ذلك البيت وعلى الخزانة الأولى خمسة أقفال وعلى الخزانة الثانية أربعة أقفال وعلى الخزانة الثالثة ستة أقفال ثم أخذ بيدي فخرجنا من ذلك البيت وكل ذلك أدخل من باب وأخرج من باب آخر فدخلت البيت الرابع وإذا فيه ثلاث خزائن على الخزانة الأولى سبعة أقفال وعلى الخزانة الثانية خمسة أقفال وعلى الثالثة خمسة أقفال ثم أخذ بيدي فخرجنا منها فدخلت البيت الخامس فرأيت فيه ثلاث خزائن على الخزانة الأولى سبعة أقفال وعلى الخزانة الثانية ثلاثة أقفال وعلى الخزانة الثالثة خمسة أقفال ثم أخذ بيدي وخرجنا نطلب البيت الأول لنفتح تلك الأقفال فنبر ما تحوي عليه تلك الخزائن من الودائع فدخلت البيت الول إلى الخزانة الأولى فرأيت معلقاً على كل قفل مفتاحه وبعض الأقفال عليه مفتاحان وثلاثة فرأيت على القفل الأول وثلاثة مفاتيح تحوي تلك المفاتيح على أربعمئة حركة فمددت يدي وفتحت ذلك القفل ثم رأيت على القفل الثالث كذلك ثلاثة مفاتيح تحوي على أربعمئة حركة ففتحت الثالث ورجعت إلى الثاني وعليه مفتاحان وهو قفل مطبق فهما قفلان في قفل واحد يحوي على أربع حركات في حركتين فلما فتحت الأقفال وأطلعت في الخزائن بدأ لي من صور العلوم على قدر حركات مفاتيح تلك الخزانة لا تزيد ولا تنقص فرأيت علوماً مهلكة ما اشتغل بها أحد إلا هلك من علوم العقل المخصوصة بأرباب الأفكار من الحكماء والمتكلمين فرأيت منها ما يؤدي صاحبها إلى الهلاك الدائم ورأيت منها ما يؤدي صاحبه إلى هلاك ثم ينجو غير أنه ليس لنور الشرع فيها أثر ألبتة قد حرمت صاحبها السعادة فيها من علوم البراهمة كثير ومن علوم السحر وغير ذلك فحصلت جميع ما فيها من العلوم لنتجنبها وهي أسرار لا يمكن اظهارها وتسمى علوم السر وكان ممن اختص بها من الصحابة رضى الله عنهم حذيفة بن اليمان خصه بها رسول الله صلى الله عليه

وسلم فلذلك كان بين الصحابة يقال له صاحب علم السر وبه كان يعرف أهل النفاق حتى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استحلفه يوماً بالله هل في من ذلك شئ قال لا ولا أقوله لأحد بعدك وكان عمر بن الخطاب لا يصلي على جنازة بحضور حذيفة حتى يرى حذيفة يقول بالصلاة عليها فإن صلى حذيفة صلى عمر والأفلا فمن علمنا ليحذرهما فقد سعد ومن علمها يعتقدها ويعمل عليها فقد شقى فلما حصلت بها وأحطت بها علماً ونزهت نفسي بما عصمني الله به من العناية الإلهية عن العمل بها والإتصاف بأثرها شكرت الله على ذلك وفي هذه المقامات هلك كثير من سالكي هذه الطريقة لأنهم يرون علو ما تتعشق بها النفوس ويكونون بها أرباباً ويكونون بها أشياخاً والنفوس تطلب الشفوف والرياسة على أبناء جنسها فيخرجون بها فيستعملونها في عالم الملك فيضلون ويضلون فاضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ثم أي أنتقلت إلى الخزانة الثانية فرأيت على قفلين منها مفاتيح والقفل الثالث لا مفتاح عليه فرأيت على القفل الأول ثلاثة مفاتيح تحوي على عشر حركات ففتحته ثم جئت القفل الثاني فوجدت عليه مفتاحاً واحداً يحوي على أربع حركات فأخذه وفتحت به القفل ثم جئت إلى القفل الثالث فلم أر عليه مفتاحاً فحرت ولم أدر كيف أصنع فقيل لي أقرأ على كل قفل لا مفتاح له أن ربك هو الفتح العليم ثم قيل لي هذا القفل مفتاحه من مفاتيح الغيب لا يعلمه إلا هو فقلت ذلك فإنفتح القفل وأنفتحت الخزانة فرأيت صور العلوم على عدد حركات المفاتيح ورأيت صورة علم زائد على ما رأيت من الصور التي ظهرت على عدد حركات المفاتيح فقلت ما هذا العلم فقال العلم الساري في المعلومات والعلوم فجميع العلوم معلومات بهذا العلم لا بأنفسها فعلت أن أبا المعالي الجويني لما قال أذ بالعلم يعلم العلم كما يعلم به سائر المعلومات وأراد أن العلم الذي به يعلم معلوم ما به يعلم نفس العلم وليس الأمر كما زعم بل يعلم العلم بهذا العلم الساري فتكون العلوم به معلومة وهو لا يعلم فاعلم

ذلك فهذا هو الذي أعطاه الكشف كشف المعاني لا كشف الصور وهذه العلوم التي رأيت في هذه الخزانة الثانية علوم القدرة والأقتدار والعلوم التي تتكون عنها الأشياء وتظهر بها الأعيان المضافة إلى الأكوان وهي أعيان أفعال منسوبة إلى العباد فهذا المنزل يحكم عليها بالهلاك بسبب العلم الساري الذي صاحبها وهو هلاك أضافة ونسبة لأهلاك عين فالذي هلك إنما هو نسبة هذه الأفعال إلى العباد فيعطيه هذا المنزل أن هذه النسبة ليست بصحيحة وهو عين هلاكها وأطلعه العلم الساري أنها أفعال الله فأعيان أفعال العباد برئية من الهلاك فحصلت من هذه الحركة علوم التكوين وسر قوله كن الساري في كل متكون ثم أي أنتقلت إلى الخزانة الثالثة التي عليها ستة أقفال ومفاتيحها على أقفالها فعلى القفل الأول مفتاح واحد يحوي على حركة واحدة وعلى الثاني مفتاحان يحويان على حركتين وعلى الثالث مفتاحان يحويان على عشر حركات وعلى الرابع مفتاح واحد يحوي على ثلاثين حركة وعلى الخامس مفتاح واحد يحوي على خمس حركات وعلى السادس مفتاحان يحويان على حركتين فأخذت المفاتيح وفتحت الأقفال فلما أنفتحت الخزانة رأيت جهنم تحطم بعضها بعضاً وفي وسطها روضة خضراء ورأيت رجلاً قد أخرج من النار ووقف به في تلك الروضة ساعة ثم رد إلى النار فيعذب بسنة أنواع من العذاب ثم يعاد إلى الروضة ساعة ثم يخرج منها إلى النار فيعذب بسنة أنواع من العذاب فحصلت من علم ما يتقي به ذلك العذاب المؤلم والنار المحرقة من ماء شربته من تلك الروضة كانت في تلك الشربة عصمي ثم أنتقلت إلى الخزانة الرابعة فرأيت على القفل الأول منها مفتاحاً واحداً له ست حركات هندسية وعلى القفل الثاني ثلاثة مفاتيح تحوي الثلاثة المفاتيح على أربعمئة حركة بصنعة معلومة وعلى القفل الثالث وهو قفلان في قفل يعرف بالقفل المطبق مفتاحان يحويان على حركتين في أربع حركات ففتحت الأقفال فرأيت بقية علوم الخزانة الأولى من هذا البيت غير أن تلك العلوم التي في

الخزانة الأولى من هذا البيت يتعلق أهلاكها بأعيان الصفات وهذه العلوم التي في الخزانة الرابعة يتعلق أهلاكها بأعيان الذوات الموصوفين بتلك الصفات الهالكة فحصلت علومها أيضاً لأتقيها وأجتنب الأفعال التي تطلبها بالخاصية وصور العلوم فيها أيضاً على قدر ما تحويه المفاتيح من الحركات وهكذا هي علوم هذا المنزل كلها عددها على عدد حركات مفاتيحها ولها تفاصيل وأحوال أضربنا عن ذكرها مخالفة التطويل ثم أنتقلنا إلى البيت الثاني لأطلع أيضاً على ما في خزائنه وهي أربع خزائن فجئت الخزانة الأولى فإذا عليها ستة أقفال على القفل الأول مفتاح واحد يحوي على أربعين حركة ولم أر للقفل الثاني مفتاحاً ففتحت بالاسم ورأيت على القفل الثالث مفتاحاً واحداً يحوي على حركة واحدة وفتحت القفل الرابع بمفتاحين وجدتهما عليه يحويان على تسعمائة حركة كل حركة لا تشبه الأخرى وفتحت القفل الخامس بمفتاحين وجدتهما عليه يحويان على خمسين حركة هندسية وجئت القفل السادس فلم أر عليه مفتاحاً ففتحت بالاسم وقد يظهر لبعض المكاشفين الداخلين هذا المنزل هذا القفل السادس وعليه مفتاحان يحويان على عشر حركات وعدم المفتاح أصبح من وجوده لهذا القفل في حضرة الخطاب الفهواني والذي يرى له المفتاح فإنما يراه من اللوح المحفوظ فلما فتحت هذه الخزانة رأيت صور العلوم المخزونة فيها على عدد حركات المفاتيح سواء لا ينقص ولا يزيد وهي علوم الفناء عن الأمر الذي يستند إليه من لا معرفة له بربه سبحانه وتعالى فحصلت جميع ما فيها من العلوم من علوم الفناء وكأنها تدل على حصر الأمور التي يستند إليها ثم خرجت من هذه الخزانة وجئت الخزانة الثانية فرأيت عليها ثلاثة أقفال على القفل الأول مفتاح وعلى الثاني مفتاحان وعلى الثالث مفتاح تحوي هذه المفاتيح على مائة وخمس وعشرين حركة ففتحت الخزانة فإذا علوم من صور علوم لا تؤخذ ألا عنه فهي مأخذ عزيزة المثال فحصلتها كلها في لحظة واحدة ثم جئت الخزانة الثالثة فإذا عليها أربعة أقفال على القفل الأول والثالث والرابع مفتاح مفتاح تحوي هذه المفاتيح على إحدى وسبعين حركة والقفل الثاني لا مفتاح له ففتحت تلك الأقفال بالمفاتيح والاسم فإذا صور العلوم التي أضل بها السامري قومه وما هدى فحصلتها لأتقي شرها وأخذت بها مصرفاً مرضياً عند الله

لأتبعة فيه ثم جئت الخزانة الرابعة وعليها ستة أقفال على القفل الأول والثاني والرابع والخامس مفتاح مفتاح والثالث لا مفتاح له والسادس عليه مفتاحان يحوي جميع المفاتيح على ثلثمائة وتسع وستين حركة ففتحت الأقفال بالاسم الألهي والمفاتيح فرأيت صور العلوم التي تحويه وهي العلوم التي تنال بالكسب لا بطريق الوهب وهي العلوم المدركة بالفكر فحصلتها بطريق العمل حتى لا تبرح مكتسبة ثم أتي خرجت إلى البيت الثالث فدخلته فرأيت فيه ثلاث خزائن فقصدت الخزانة الأولى فإذا عليها خمسة أقفال على القفل الثاني ثلاثة مفاتيح والقفل الخامس لا مفتاح له وبقية الأقفال عليها مفتاح مفتاح ففتحتها بالاسم والمفاتيح فرأيت فيها صور علوم الأصطلام وهي من علوم الأحوال فحصلتها من طريقها وخرجت عنها وقصدت الخزانة الثانية فرأيت عليها أربعة أقفال القفل الثاني والرابع لا مفتاح عليه والقفل الأول عليه مفتاحان يحويان على خمسين حركة والقفل الثالث عليه مفتاح يحوي على مائتي حركة ففتحتها بالاسم والمفاتيح فإذا هي تحوي على علوم الخوف والمجاهدة وأحوال الشوق والأشتياق وعلم السعير من جهنم لا علم الزمهرير وعلم ما يكون عنه نضج الجلود في جهنم أذ لا يكون عن النار ولا عن الزمهرير بل عذاب متولد بينهما من مجاورة كل واحد منهما لصاحبه فيتولد من أمتزاجهما حالة ثالثة ليس هي عين واحد منهما تلك الحالة الحادثة هي العذاب الذي به ينضج الجلود في جهنم وعلم تبديلها من أي حضرة تبدل وهو مشهد عظيم فإن التبديل قد ورد النص به في الجلود والسموات والأرض ونفاه عن الخلق فقال لا تبديل لخلق الله ونفاه عن القول الألهي فقال ما يبذل القول لدي وقال لا تبديل لكلمات الله كل هذا

تتضمنه هذه الخزانة ثم جئت الخزانة الثالثة فرأيت عليها ستة أقفال فيها شبه بأقفال الخزانة التي خرجت منها إلى هذه فالقفل الثاني لا مفتاح له والقفل الأول له مفتاحان والقفل الثالث عليه ثلاثة مفاتيح والقفل الرابع والخامس لكل واحد منهما مفتاح والقفل السادس عليه مفتاحان تحوي هذه المفاتيح على ألف ومائة وسبع وثلاثين حركة ففتحتها بالاسم والمفاتيح فإذا صور علوم الأرتقآت والمعارج ومعرفة اليوم الذي مقداره خمسين ألف سنة ولكن إذا كانت الأرتقآت والمعارج من المرادين لا من المرادين فتكون عن شوق ومجاهدة ورياضة ومكابدة ثم جئت إلى البيت الرابع فدخلته فإذا فيه ثلاث خزائن الخزانة الأولى عليها سبعة أقفال القفل الثاني منها لا مفتاح عليه والقفل الأول له مفتاح فيه ست حركات والقفل الثالث يحوي مفتاحه على أربعين حركة وبقية الأقفال تحوي على ستمائة حركة وست حركات فجميع حركات مفاتيحها ستمائة وأثنان وخمسون حركة ففتحتها فإذا فيها علم النكاح وكيف يصحب الإنسان زوجته إذا كانت لا تعينه على طاعة ربه ويقف على قوله "ولا تعاونوا على الأثم والعدوان" وهل يستعين الإنسان في عبادة ربه في وضوئه بغيره من صب الماء عليه إذا توضأ فإن بعض العلماء كره ذلك وقد رأى النفيس ابن وهبان السلمى في واقعة كراهة ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم وأخبرني به فمن هذه الخزانة يعرف ذلك ثم جئت الخزانة الثانية فرأيت عليها خمسة أقفال القفل الثاني منها مطبق والقفل الثالث لا مفتاح له والأول له مفتاح وكذلك الثاني والخامس وأما الرابع فله ثلاثة مفاتيح تحوي هذه المفاتيح على أربعمائة وثمان وسبعين حركة ففتحتها فإذا هي تناسب التي قبلها وتزيد عليها بأمور ليست فيها ثم جئت الخزانة الثالثة فإذا عليها خمسة أقفال القفل الأول لا مفتاح له والثاني والثالث والرابع ذو مفتاح مفتاح والخامس مفتاحان تحوي هذه المفاتيح على ست وأربعين حركة ففتحتها فإذا هي معرفة الحجارة التي توقد بها النار في الآخرة وكيف تكون الحجارة تقبل الوقود وهي يابسة واليابس لا يقبل الوقود في علم الطبائع وهل يجوز ما طبعه أمر ما أن يزال عنه طبعه مع بقاء عينه وذاته فإن في هذا العلم زل كثير وجهل ممن أثبت ذلك ونفاه وكلتا الطريقتين غير محمودتين ولا صحيحتين وكل واحد منهما أثبت من غير وجهه ونفاه من غير وجهه قال تعالى "يا نار كوني برداً" وشبه هذا ثم جئت البيت الخامس فرأيت فيه ثلاث خزائن الخزانة الأولى عليها سبعة أقفال القفل الأول والثاني والثالث والرابع لكل واحد منها مفتاحان والخامس والسادس لكل واحد مفتاح والسابع لا مفتاح له تحوي هذه المفاتيح على مائة وثلاث عشرة حركة ففتحتها فإذا فيها علوم الحس والحسوس والخيال والمتخيل والفكر وما يفكر فيه والحافظ والحفوظ والعقل والمعقول وجميع القوى التي تدرك بها العلوم ومعرفة الجماعات والأنوار والأستشرافات ومجاري الأرواح في طرق السموات ومجاري الطبيعة في الحيوانات والنبات والجماد وما يختص به عالم الأنفاس من العلوم ويقف على نفس الرحمن الذي أتى من قبل اليمن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جئت الخزانة الثانية فرأيت عليها ثلاثة أقفال على الأول والثالث مفتاح مفتاح وعلى الثاني مفتاحان تحوي هذه المفاتيح على أربعين حركة ففتحتها فإذا فيها علم الأسباب العامة في الوجود والخاصة بأهل الله وأسباب التزول المضافة إلى الله التي يعتمد عليها ويوصل إلى الله من يعتمد عليها وطرد من يتركها من باب الله ومن سعادته وهي علوم شريفة زهد فيها أكثر الناس فشقي وأستعملها بعض الناس فسعد وتحوي على علم الشرائع المتزلة لا علم الشريعة الحكيمية ثم جئت الخزانة الثالثة فرأيت عليها خمسة أقفال القفل الأول عليه مفتاح وكذلك بقية الأقفال وتحوي أقفالها على أربعمائة وأربع وثلاثين حركة ففتحتها فإذا فيها علوم الألتفاف والتفاف الأرواح بالأجساد والتفاف أرواح الحبين والمحبوبين والتفاف الساقين واللام بالألف ومعنى قوله وألتفت الساق بالساق والتفاف المتضايقين وهذه كلها علوم الارتباطات رب ومزبوب وأله ومألوه وقادر ومقدور وعالم ومعلوم فهذه الخزانة تتضمن جميع العلوم

فهذا قد ذكرنا جميع ما يحويه هذا المتزل من خزائن العلوم قال تعالى "وأن من شيء ألا عندنا خزائنه" وما نزل له ألا بقدر معلوم غير أني تركت عند الدخول إلى هذا المتزل بيتاً واحداً في دهليز هذا المتزل لا يفتح لكل أحد وقد فتح لي ودخلته وعرفت ما فيه وهو يتضمن ويخزن فيه جميع مفاتيح الخزائن كلها التي تتضمنها هذه المنازل التي في هذا الكتاب وهو يحوي على أمور جلية وللعارف به تحقق في إيجاد الكائنات عنه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وقد نبهنا على بعض ما في هذا المتزل من العلوم

الباب الرابع والسبعون ومائتان في معرفة منزل الأجل المسمى

من العالم الموسوي

مؤيدة بالعرز والقسر والنصر

من العالم العلوي والقسر والنصر

بتنزيه إيمان تولد عن ذكر

بغير هواء حار في كونه فكري

أنتك فتوح الكون بالبلد الفقير

وبالليلة الغراء جاءت ركائب

فراجع إذا راجعت ربك وحده

يراجعك من عرش وإن شاء من عمى

قال تعالى "ثم قضى أجلاً" وهو النهاية عمر كل حي يقبل الموت وأجل مسمى عنده وهو ميقات حياة كل من كلن قبل الموت في حيات الأولى وهو المعبر عنه بالبعث ولذلك قال تعالى "ثم أنتم تمترون" يعني فيه فإن الموت لا يمترون فيه فإنه مشهود لهم في كل حيوان مع الأنفاس وإنما وقعت المربة في البعث وهو الأجل المسمى المذكور وإنما لم يجعل أجل الموت مسمى لأن الله يقول "ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله" فاستثنى طائفة لا يصعقون فلا يموتون فيما أن يكونوا الكوهم على حقائق لا تقبل الموت فيكون استثناء متصلاً فاعلم أيها السامع أن أهل الله إذا جذبهم الحق إليه سبحانه من مريد ومراد جعل في قلوبهم داعية إلى طلب سعائهم فبحثوا عليها وفحصوا عنها ووجدوا في قلوبهم رقة وخشوعاً وطلباً للسلامة مما الناس عليه من التكلب والتحاسد والتدابير والتنافر فإذا وفوا مكارم الأخلاق أو قاربوا ذلك وجدوا في أنفسهم داعية إلى الخلوات والإنفراد عن الاس فمنهم من أخذ في السياحة ولازم الجبال والفلوات ومنهم من كانت سياحته في البلاد كل ما أنس به أهل بلدة أو عرف فيها رحل عنها إلى غيرها ومنهم من عزل في مسكنه بيتاً وانفرد به واحتجب عن الناس كل ذلك ليقع له التفرد بالحق الذي دعاه إليه والإنس به لا يعلم ولا ليجد كوناً من الأكوان من خرق عادة في ظاهر الحس أو في سره فلا يزال على كل ما ذكرناه إلى أن ينقذ له في نفسه لبعضهم أو في خياله لبعضهم أو من خارج لبعضهم من جانب الحق ما يحول بينه وبين نفسه ويستوحش من ذلك الوارد عليه وطلب الإنس بالمخلوقات في تلك الساعة فإذا سكت حكم الوارد عنه وعاد إلى حسه اشتاق إليه اشتياقاً شديداً واستفرغ في محبة ذلك الوارد استفرغاً عظيماً ووجد حلاوته عند فقدده وسرت اللذة في حسه وروحه ويأنيه في ذلك الوارد خطاب وتعريف بحاله أو بما يدعي إليه كإبراهيم بن أدهم حين نودي من قربوس سرجه ليس لهذا خلقت ولا بهذا أمرت وآخر قيل له إن كنت تطلبني فقد فقدتني في أول قدم وآخر قيل له أنت عبي فإن كان صاحب هذا الإنقطاع من أصحاب الجبال والقفار جعل له الإنس في الحيوان وإن كان سائحاً في البلدان جعل الله له الإنس في الحركة ما بين المدينتين وإن كان ممن لزم بيته جعل له الإنس في

الروحانيات وكل هذا ابتلاء إلا أن يجعل الله له الإنس في الأرواح النورية الملكية فهذا يرجى فلاحه بل يتحقق وهي بشرى من الله سارعت إليه عناية منه به وما عدا هذا فهو على خطر عظيم فليعمل في قطعه ثم أنه منهم من يظلم عليه الجو عند الوارد فيجد لذلك غماً وضيق صدر وعصراً في قلبه فليصبر فإنه يعقبه اتساع وانشرح ثم لا تزال الأرواح تلزمه في عالم خياله في أكثر حالاته وتظهر له في الحس في أوقات فلا يرمي بذلك ولا يزهد فيه ويتعمل في إزالة التعلق به ويقف مع الفائدة التي يأتيه بها فذلك المطلوب فإن سمع خطاباً من وراء حجاب نفسه فليلق السمع وهو شهيد وبع ما يسمع فإن اقتضى الكلام جواباً على قدر فهمك فلتجب بقدر فهمك فإن رزقت العلم بذلك فهي العناية الكبرى وإن لم يقتض جواباً فلتحصل ما قيل لك في خزنة حفظك فإن له موطناً يحتاج إليه فيه ولا بد فيكون عندك بحكم الاستعداد لذلك الوقت فإن الله سبحانه يقول أعددت فإذا كان الحق مع نفوذ قدرته في الآن قد أعد أمور الأوقات ظهور أحكامها فالمخلوق أولى بهذا وقال وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وإن هنا بمعنى ما فعم بما وبشيء وجعله مخزوناً في خزائن غيبه عنا ولهذا قلنا أن الكون صادر من وجود شيء وهو ما تحتويه هذه الخزائن إلى وجود وهو ظهورها من هذه الخزائن لا نفسها بالنور الذي تكشف به نفسها فإنها في ظلمة الخزائن محجوبة عن رؤية ذاتها فهي في حال عدمها وقال "وما تزل إلا بقدر معلوم" فما يتميز عنده إلا ما هو موجود له ولا يجري القدر إلا في عين مميزة عن غيرها وليس هذا صفة المعدوم من كل وجه فدل ذلك كله على وجود الأعيان لله تعالى في حال اتصافها بالعدم لذاتها وهذا هو الوجود الأصلي الإضافي والعدم فثبتت الأحوال للعالم ولكل ما سوى الله وإن الوجود ليس عين الموجود إلا في حق الحق سبحانه حتى لا يكون معلولاً لوجوده فإنه لو كان معلولاً لوجوده لكان حالاً له تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فإذا خلص الإنسان بعد خروجه من ظلمة طبعه وهواه إلى نور عقله وهده أربعين صباحاً ظهر عنه مثل ما ظهر له وأخذ عنه مثل ما أخذ وتلك أول درجة الدينار الثالث وأول قيراط منه ولا يزال فيه حتى يجب عليه أن يطلب على من يأخذ عنه فإذا وجب عليه ذلك وجوباً شرعياً كفروض الأعيان كلها كان ذلك أول قيراط من الدينار الرابع وسمى رجلاً عند ذلك وإن لم يحصل له هذا الوجوب فليس برجل فكمال الرجولية فيما ذكرناه وسواء كان ذكراً أو أنثى وأما الكمال الذاتي وهو غير كمال الرجولية فهو أن يتخلل عبوديته في نفسه ربانية بوجه من الوجوه فيكون وجوداً في عين عدم وثبوتاً في عين نفي ولذلك أوجده الحق فكمال الرجولية عارض وكمال العبودية ذاتي فبين المقامين ما بين الكمالين وأما درجات منازل هذين الكمالين فمعلومة عندنا حيث هي درجة الكمال الذاتي في نفس الحق ودرجات الكمال العرضي في الجنان فلهؤلاء النور ولهؤلاء الأجور قال تعالى "لهم أجرهم" يعني من كمالهم العرضي وما يستحق الأجر من كل أمر عرضي ولهم نورهم من كمالهم الذاتي الله نور السموات والأرض وتقول الرسل قاطبة وهم الكمل بلا خلاف أن أجري الأعلى الله فإن ذلك المقام يعطى الأجر ولا بد فيقع التفاضل في الكمال العرضي ولا يقع في الكمال الذاتي قال تعالى "تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض" وقال "هم درجات عند الله" ولم يقل درجات درجات عند الله ممن جمع بين الكمالين فإن حرمانا الجمع فالله يجعلنا من أهل الكمال الذاتي وبالكمال العرضي لهم الدرجات الجنانية فاعلم ذلك جعلنا الله ممن جمع بين الكمالين فإن حرمانا الجمع فالله يجعلنا من أهل الكمال العرضي الذاتي بمنه وكرمه وأنا أوجو من الله أي قد حصلته تحصيلاً لا يحال بي دونه بحسن ظني بربي فما أعلاه من يشهد فإذا حصل للعبد هذا الكمال العرضي ورأى الإجابة الكونية لندائه من غير طلب دليل ولا برهان علم قطعاً أن الحق قد تجلّى لقلوب عباده وأنه سبحانه قد رفع الوساطة في أمره بينه وبين قلوب عباده فإن أمره سبحانه برفع الوسائط لا يتصور أن يعصى لأنه بكن إذ كن لا تقال إلا لمن هو موصوف بلم يكن وما هو موصوف بلم يكن بواسطة وإنما يكون الأمر بما يدل على الفعل فيؤمر

بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة فيقال له أقم الصلاة وآت الزكاة فاشتق له من إسم الفعل إسم الأمر فيطيعه من شاء منهم ويعصيه من شاء منهم فإذا أطاعوه كما قد ذكرنا بهذا التحلي الإلهي لقلوب عباده الذي لا يحتاج فيه المأمور إلى دليل ولا برهان لوجود الإجابة من نفسه ضرورة لأن الضرورة إنما تصورت هنا لكون الإنسان لا يقدر على دفع ما تكون في نفسه فإن كن إنما تعلقت بما تكون في نفس الإنسان فكان الحكم لما تكون فيمن تكون فآمن ولا بد أو صلى ولا بد أو صام ولا بد على حسب ما تعطيه حقيقة الأمر الذي تعلق به كن وقد يرد أمر الواسطة ولا يرد الأمر الإلهي فلا يجد المخاطب آلة يفعل بها فيظهر كأنه عاص وإنما هو عاجز فاقد في الحقيقة لأنه ما تكون فيه ما أمر به أن يتكون عنه والله الغني الحميد واعلم أن الفتوح الإلهي الذي يتعلق بالكون مثل النصر على الأعداء والقهر لهم والرحمة والأولياء والعطف عليهم إنما هو من نائج الرجولة لا من غيرها فإذا حصل هذا المقام وأكمل نشأته ناداه الحق في سره من كماله سبحانه لكمال العبد الذاتي فتره ذات موجوده عن الكمال العرضي وهو الكمال الإلهي فإن الكمال الإلهي بالفعل فهو في نفوذ الإقتدار في المقدورات ونفوذ الإدارة في المرادات وظهور أحكام الاسماء الإلهية والكمال الذاتي الغني المطلق عن هذا كله فيكون العبد في هذا المقام لا يشهد ذات موجوده من كونها موصوفة بالإلوهة وإنما مشهده غناها عما تستحقه الألوهة من الآثار الكونية فيفتقر إليها افتقار ذاتياً فهو في عبادته تلك صاحب عبادة ذاتية من غير اقتران أمر بها لأن الأمر إنما متعلقة الأمور العارضة الذاتية فلا يقال للعبد كن عبداً فإنه عبد لذاته وإنما يقال له اعمل كذا أيها العبد وعمله أمر عرضي والعمل متعلق الأمر من العبد وقد يعمل وقد لا يعمل وهذا المتزل يعطى جميع ما ذكرناه ويكون تربيته لذات موجوده بما يستحقه من الثناء الذي يليق بالكمال الذاتي ثم أنه بما فيه من الكمال العرضي الذي هو كمال الرجولة قد يصدر عنه الثناء بما يستحقه الإله عارضاً بعارض ولكن لا بطريق التثنية فإن طريق التثنية فإن طريق التثنية إنما هو للذات كما قال

ليس كمثله شئ للكمال الذاتي وهو السميع البصير للكمال الإلهي لطلب المسموع والمبصر وكل طالب يستدعي مطلوباً والمستدعي فاقداً لما استدعاه من أحوال هذا العبد والله غني حميد فلسان الأدب أن يقال طلبك لك لا له وفي هذا ينبغي أن يقال ما قيل

بديع في معانيه

رأيت الدريحيه

كتاب فيه ما فيه

إذا عاينت ما فيه

وهو هذا المتزل وهذا الكلام الذي سردناه والكتاب الذي سطرناه ففيه ما فيه لسان الحقيقة يدل على أن الأمر فوق ما ذكر وسطر وليس وقوة الترجمة عنه والعبارة أكثرها مما ظهر والله أكبر من ذلك ثم ستر هذا اللسان الحقيقي بقوله بديع في معانيه فكأنه يقول في قوله ما فيه على طريق التعجب به والفرح ولهذا نبه على ذلك بما ذكرناه في البيت الثاني ثم أن الثناء على الله في هذا المتزل خاصة إنما هو بما يستحقه الربوبية لما خصصتك به من الفصل على أبناء جنسك لا بما تستحقه بما فضلت به على غيرك وما أنعمت به على سواك فإن هذا المتزل لا يتضمن مثل هذا الثناء فيستعين العبد في هذا المتزل على تربيته الحق بثناء الربوبية على نفسها من جهة ما خصصتك به ثم أن العبد بعد استفراغ طاقته في الثناء على ربه بربه من جهة نعمته عليه لاح له علم إلهي في فلاة نفسه عن يمين طريقه فعرف أنه قد زل عن طريق ينبغي أن يسلك أيضاً" عليها وهنا مسألة دقيقة وهي تختص بهذا المتزل وذلك أنه لما قيد ثناءه على ربه بما خصه به ربه هل ذلك نقص في المعرفة أو في معرفته أو ليس في الوسع إلا ما وقع وإذا لم يكن في الوسع فقد أتى بكمال

ما في الوسع وذلك أنه إذا أثنى على ربه كان منه سبحانه لغير هذا العبد المثنى فلا يخلوا ما أن يثنى عليه بما تحققه علماً في نفسه ولا يكون إلا كذلك فقد صار هو منعوتاً بذلك وهو صفة إلهية فإن الحق سبحانه يثنى على العبد بالطاعة وليست من صفات الحق كذلك هذا العبد إذا أثنى على ربه إلا بما أعطى لغيره فثناؤه على ربه بما أعطاه في نفسه هو ما حصل له من ربه من العلم بذلك فإذا أثنى على ربه إلا بما خصه به سواء أثنى على ربه بما أعطاه سبحانه لغيره أو لم يذكر الغير ولا تعرض له فتحقق هذه المسئلة فإنها من الحقائق والحقائق لا تقبل التبدل وهذا المتزل من حصل فيه يعطيه ما ذكرناه فإذا لاح له ذلك العلم الذي ذكرناه ستره نظره إليه عما هو عليه وعرف أن ذلك العلم يدل على أمر غيبي ينبغي له أن يبقيه في غيبه ولا يظهره ويرجع من حال الخطاب بالمواجهة والحضور إلى الخطاب بالغيبة فإنه أنزه لأن الحقائق تعطى أنك ما حضرت إلا معك فإن الأمر إذا أعطى للحاضر في حضوره مع من حضر أنه لا يتمكن أن يحضر معه الأعلى حد ما تعطيه مرتبتك فمعك حضرت لامعه فإنه ما تجلى لك منه الأقدار ما تعطيه مرتبتك فافهم ذلك تنتفع به ولا يغيب هذا عنك في رجوعك إليه مما رجعت عنه لئلا تتخيل أنك رجعت إلى أعلى منك فإنك ما رجعت منك إلا إليك والحق سبحانه لا يرجع إليك إلا بك لا به لأنه ليس في الوسع أن يطيقه مخلوق ولهذا تتنوع رجعاته وتختلف تجلياته وتكثر مظاهره ولا تكرر وهو في نفسه مژه عن التكرار والتغير ليس كمثله شيء فيما ينسب إلى ذاته قال تعالى "ثم تاب عليهم ليتوبوا" فرجوع العباد إليه نتيجة رجوعه إليهم بأعطاء ما رجعوا به إليه فإذا رجعوا إليه ضاعف لهم الرجوع الألهي الذي ينتجه رجوعهم إليه الذي هو في نفسه ينتجه رجوعه الأول إليهم فالرجوع الألهي الأول رجوع عناية وتفضل والرجوع الثاني الذي أنتجه رجوعهم إليه سبحانه في قوله من تقرب إلى شراً تقربت منه ذراعاً فمقدار الشر من الذراع في الرجوع رجوع أستحقاق يستحقه رجوعهم إليه والشر الثاني الذي به كمال الذراع من الرجوع رجوع منه لترجيح الوزن والوصف بالفضل والترغيب والتحضيض على معاملة الكريم فالرجوع الألهي الثاني يتضمن أمرين رجوع الاستحقاق منه بمرتلة الجسد ورجوع المنة منه بمرتلة الروح للجسد الذي به حياته فإنه وأن كان الاستحقاق بما أوجبه الحق على نفسه فإن الحقيقة تعطي أن لا يستحق العبد شيئاً على سيده فمن منته سبحانه على عبد أن أوجب له على نفسه ليأنس العبد بما أوجبه الحق عليه من طاعته ليسارع بأداء ما وجب عليه فإذا حصل العبد في هذا المقام فليس وراءه مرمى لرام ويعلم أن الله قد أراد أن ينقله من عالم شهادته إلى عالم غيبه ليكون له غيبه شهادة في موطن آخر غير هذا الموطن له حكم آخر وهو الموطن الذي تكون فيه المظاهر الألهية وهو أوسع المواطن فلهذا عبر عن هذا المتزل بالأجل المسمى لأنه أجل البعث إليه من عالم الشهادة المقيد بالصورة التي لا تقبل التحول في الصور لكن تقبل التغيير وهو زوال عينها بغيرها لذلك الغيب الذي كانت به فيدير الروح الغيبي صورة ذلك الغير

فلهذا قلنا يقبل التغيير ولا يقبل التحويل فإن الحقائق لا تبدل فإننتقاله إلى موطن التحول في الصور يسمى أجلاً مسمى أي معلوم النهاية وكان من المقام الموسوي دون غيره لأنه لم يرد في الخبر أنه عليه السلام رأى في أسرائه من جمع بين صورتين سوى موسى عليه السلام فرآه في السماء وكان بينهما ما كان وهو في قبره يصلي والني يراه صلى الله عليه وسلم عليهما في الحالتين معاً ولا يقال في مثل هذا الكشف أن الآن لا يتسع لأمرين متعارضين في الشخص الواحد فصحيح ما يقول ولكن أين الآن هنا أما ذلك لمن تقيد بالزمان وتعين بالمكان فإذا كان الموجود لا يتقيد بالزمان ولا بالمكان فلا يستحيل هذا الوصف عليه وإذا فهمت ما أشرنا إليه لم يعارض ما ذهبنا إليه وذكرناه كون الأسراء وقع بالليل وهو الزمان وكون موسى عليه السلام في القبر والسماء وهما المكان فإنك أنت تسلم من مذهبك أن الجسم لا يكون في مكانين وأنت تؤمن بهذا الحديث فإن كنت مؤمناً فقلدو أن كنت عالماً فلا تعترض

فإن العلم يمنعك وليس لك الاختبار فإنه لا يختبر ألا الله ولا تتأول أن الذي في الأرض غير الذي في السماء فإن النبي عليه السلام ما قال رأيت روح موسى ولا جسد موسى وإنما قال رأيت موسى في السماء ومعلوم أنه مدفون في الأرض وكذلك سائر من رآه من الأنبياء عليهم السلام فالمسمى موسى أن لم يكن عينه فالأخبار عنه كذب أنه موسى هذا وأنت القائل رأيتك البارحة في النوم وأنت تقول كذا وكذا والمرئي معلوم أنه كان في منزله على حالة غير الحال التي رآه عليها أو عليها ولكن في موطن آخر ولا تقول له رأيت غيرك ثم تنكر علينا مثل هذا وإنما تختلف الحضرات والمواطن وتختلف الأحوال والعين واحدة فهذا قد ذكرنا بعض ما يحوي عليه هذا المنزل وسكتنا عن بيوته وخزائنه فما من منزل ألا وله بيوت وخزائن وأقفال ومفاتيح ولكن يطول ذكرها في كل منزل وربما إذا بينها يدعيها الكاذب والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وفي هذا المنزل علم أتيان المعاني في الصور وعلم الفتوح وله باب قد تقدم وعلم الوافدين على الحق وعلم التنزيه وعلم الستر والتجلي وعلم الرجوع إلى الله على من يرجع هل يرجع على عباده أو على أسمائه

الباب الخامس والسبعون ومائتان في معرفة منزل التبري من الأوثان

من المقام الموسوي وهو من منازل الأمر السبعة

منازل الأمر بالندا	منازل ما لها أنتها
يا أي يا أي لا تفارق	فكونكم ما له أنقضا
وأي أي يكون منه	لوجهه بيننا رآء
عساكر للحروف جاءت	يضيق عن حملها الفضاء
أرماحها كلها نجوم	أيدها الأمر والقضاء
سفائن بحرها عميق	قد مخرت ريحها رخاء
فلتلتزم يا أخي علماً	ضاق له الأرض والسماء
ولتترك الغير في عماه	بمشهد ما هو العماء

أعلم أن الذلة والأفتقار لا تكون من الكون ألا الله تعالى فكل من تدلل وأفتقر إلى الله تعالى وأعتمد عليه وسكن في كل أمره إليه فهو عابد وثن وذلك المفتقر إليه يسمى وثناً ويسميه المفتقر ألهماً وألطف الأوثان الهواء وأكتفها الحجارة وما بينهما ولهذا قال المشركون لما دعوا إلى توحيد الأله في ألوهته أجعل الآلهة ألهماً واحداً أن هذا لشيء عجاب فالناس يحملون قوله أن هذا الشيء عجاب أنه من قول الكفار حيث دعاهم إلى توحيد أله وهم يعتقدون كثرتها وهو عندنا من قول الحق أو قول الرسول وأما قول الكفار فإنتهى في قوله ألهماً واحداً والتعجب أنه يأول العقل يعلم الإنسان أن الأله لا يكون بجعل جاعل فإنه أله لنفسه ولهذا وقع التوبيخ بقوله تعالى أتعبدون ما تنحتون والأله في ضرورة العقل لا يتأثر وقد كان هذا خشبة يلعب بها أو حجراً يستجمر به ثم أخذه

وجعله ألهًا يذل ويفتقر إليه ويدعوه خوفاً وطمعاً فمن مثل هذا يقع التعجب مع وجود العقل عندهم فوق التعجب من ذلك ليعلم من حجب العقول عن أدراك ما هو لها بديهي وضروري ذلك لتعلموا أن الأمور بيد الله وأن الحكم فيها لله وأن العقول لا تعقل بنفسها وإنما تعقل ما تعقله بما يلقي إليها ربها وخالقها ولهذا تتفاوت درجاتها فمن عقل مجعول عليه فقل ومن عقل محبوس في كن ومن عقل طلع على مرآته صداً فلو كانت العقول تعقل لنفسها لما أنكرت توحيد موجدتها في قوم وعلمته من قوم والحد والحقيقة فيهما على السواء فلماذا جعلنا قوله تعالى أن هذا لشيء عجاب ليس من قول الكفار فاعلم يا أخي أن هذا المتزل هو منزل من منازل الستر والكتمان وتقرير الألوهية في كل من عبد من دون الله لأنه ما عبد الحجر لعينه وأما عبد من حيث نسبة الألوهية إليه ولهذا ذكرنا أنه من منازل الكتمان والستر قال تعالى "وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه" ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فما ذكروا قط ألا الألوهية وما ذكروا الأشخاص ولكن لم يقبل الله منهم العذر بل قال أنكم وما تعبدون من دون الله أي الذي أنفرد بهذا الاسم حصب جهنم وهو قوله "وقودها الناس والحجارة" وهو كل من دعاكم إلى عبادة نفسه أو عبدتموه وكان في وسعه أن ينهاكم عن ذلك فما نهاكم فمثل هؤلاء يكونون من حصب جهنم فالموحد يعبد الله من طريقين من طريق الذات من كونها تستحق وصف الألوهية ومن طريق الألوهية فالسعيد الجامع بينهما لأن العابد مركب من حرف ومعنى فالحرف للحرف والمعنى للمعنى فلذلك لم نعبد الذات معرفة عن وصفها بالألوهية ولم نعبد الألوهية من غير نسبتها إلى موصوف بها فلم تقم العبادة ألا على ما تقتضيه حقيقة العبد وهو التركيب لا على ما تقتضيه حقيقة الحق وهو الأحدية ولهذا يكون القائل في عبادته وفاء لحق الله غير مصيب إذا أراد الذات فإن حقيقتها الأحدية وقد يمكن أن يصح قول من قال أما أعبدته وفاء لحق الربوبية لا لحقيقتها أذ كل حق له حقيقة فالحق من ذلك به تتعلق العبادة من العابد والحقيقة هي الأحدية التي لا تتعلق ولا يتعلق بها ولهذا كانت الألف في الوضع الإلهي بالخط العربي إذا تقدمت في الكلمة لا تتصل ولا يتصل بها وإذا تأخرت اتصلت بها بعض الحروف ممن لا علم له بالأحدية المطلقة التي تستحقها هذه الذات ألا خمسة أحرف لا غير من جميع الحروف وهي الدال والذال والراء والزاي والواو وهي خمسة أحوال من أتصف بها عرف الأحدية وكانت عبادته ذاتية لم يقترب بها أمر وهي عبادة المعنى للمعنى فإن الأمر عبادة الحرف للحرف فلا يخطر لعابد المعنى فرق بين الذات والألوهية ولا كثرة بل يرى عيناً واحدة تستحق ما هو عليه هذا العارف من حيث معناه لا من حيث حرفه وهذا مقام الجلال والعظمة وأحدية العبد التي أعطته معرفة الأحدية الذاتية والتثنية والغنى فهذه أحوال خمسة تدل عليها الحروف الخمسة التي لا تتصل بها الألف الواقعة في أواخر الكلم مثل جبراً وعزيراً وأحداً وإذا وعلوا فدلّت الألف في أول الكلمة من عدم الاتصال على قوله كان الله ولا شيء معه وهو على ما عليه كان مع وجود الأشياء من عدم الاتصال كما لم تتصل الألف بالكلمة ودل عدم اتصال الحروف الخمسة بها في آخر الكلمة على حال معرفة مقام بعض العباد من العلماء بالله دون غيرهم حيث رفعوا النسبة بينهم وبين الله تعالى وأهم مشاهدون لما ذكرناه من الجلال والعظمة والأحدية والتثنية

والغنى وما عدا هذه الطائفة جعلوا نسبة ورابطة بين الأله والمألوه وما فرقوا بين المرتبة والذات لما لم يعرفوا الله ألا من نفوسهم بحكم الدلالة لأستناد الممكن إلى المرجح فطلبوه وطلبهم ولهم من الحروف كل حرف اتصل بالألف في آخر الكلمة ول هؤلاء الأكابر أيضاً قسم وحظ وافر في منزل هذه الحروف التي اتصلت من حيث حرفيتهم لا من حيث معانهم وهؤلاءك جهلوا هذا القدر الفارق بينهم لكنهم ستروا ذلك عن العامة وأنفردوا به عن أشكالهم يختص برحمته من يشاء ولأجل هذا قال الجنيد سيد هذه الطائفة لا يبلغ أحد درج الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صديق بأنه زنديق فإن المقام يضر بمن ليس من أهله كما يضر رياح الورد بالحلل لأن الحال

التي هم عليها لا تقبل هذا المقام ولا يقبلها فإذا رآهم الناس في العموم لم يعرفوهم لأنه ليس على حرفهم أمر ظاهر يتميز به عن العامة وإذا رآهم الناس في الخصوص كالفقهاء وأصحاب علم الكلام وحكماء الأسلام قالوا بتكفيرهم وإذا رآهم الحكماء الذين لم يتقيدوا بالشرائع المتزلة مثل الفلاسفة قالوا أن هؤلاء أهل هوس قد فسدت خزانة خيالهم وضعفت عقولهم فلا يعرفهم سواهم ومن أقتطعهم من خلقه إليه قال تعالى في المعنى "وما قدروا الله حق قدره" ول هؤلاء حظ وافر في هذه الآية حيث جهلهم العام والخاص والمسلم وغير المسلم فهم الضنائن المصانون بحجب الغيرة فلا يعرفهم إلا الحق وهل يعرف بعضهم بعضا فيه توقف وهم المطلوبون من العباد ألحقنا الله بهم وأرجو أن أكون منهم وأما تري المسلم ممن أستند إليه المشرك فليس تريؤه ألا من النسبة ومن المنسوب إليه لا من المنسوب فأجتمع المشرك والمسلم في المنسوب وأفترقا في المنسوب إليه والنسبة ولهذا لم تضرب الجزية على المشرك وفرق بينه وبين الكفار من أهل الكتب المتزلة فإن المشرك قادح في الحق وفي الكون بشركه فلم يكن له مستند يعصمه من القتل لأنه قدح في التوحيد وفي الرسل والكفار من أهل الكتاب لم يقدحوا في التوحيد ولا في الكون أعني الرسل لكن قدحوا في رسول معين لهمي أو شبهة قائمة بنفوسهم أداهم ما قام بهم إلى جحود الحق ظلماً وعلوا مع اليقين به وأما لشبهة قامت بهم لم يثبت صدق صاحب الدعوى عندهم فل هذا كان لهم في الجملة مستند صحيح عندهم لا في نفس الأمر يعصمهم من القتل فضربت عليهم الجزية وتركوا على دينهم ليقيموه أو يقيموا بعضه على قدر ما يوفقون إليه وهنا نكتة لمن فهم أن دينهم مشروع لهم بشرعنا حيث قرره عليه ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمع أن الروم قد ظهرت على فارس يظهر السرور في وجهه مع كون الروم كافرين به صلى الله عليه وسلم ولكن الرسول لعلمه صلى الله عليه وسلم كان منصفاً لأنه علم أن مستند الروم لمن أستند إليه أهل الحق لأنهم أهل كتاب مؤمنون به لكنهم طرأت عليهم شبهة من تحريف أئمتهم ما أنزل عليهم حالت بينهم وبين الإيمان والأقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم أو بعمومها وكلامنا مع المنصف منهم من علمائهم فعذرهم الشرع لهذا القدر الذي علمه منهم وراعى فيهم جناب الحق تعالى حيث وحدوه وما أشركوا به حين أشرك به فارس وعبد الأوثان وقدحت في توحيد الأله وما يستحقه من الأحدية وهكذا حال العارفين من أهل هذا المقام وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمره أيانا بمخالفة أهل الكتاب أنما هو في كونهم آمنوا ببعضهم كفروا ببعضه وأرادوا أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً فأمرنا بمخالفتهم في أمور من الأحكام معينة وفيما ذكرناه ولو أمرنا بمخالفتهم على الإطلاق لكننا مأمورين بخلاف ما أمرنا به من الإيمان فلا تصح مخالفتهم على الإطلاق فهذا المراد بقوله صلى الله عليه وسلم خالفوا أهل الكتاب وأعلم أن كل مشرك كافر فإن المشرك باتباع هواه فيمن أشرك وأتخذة ألهاً وعدو له عن أحدية الأله يسترها عن النظر في الأدلة والآيات المؤدية إلى توحيد الأله فسمى كافراً لذلك الستر ظاهراً وباطناً وسمى مشركاً لكونه نسب الألوهية إلى غير الله مع الله فجعل لها نسبتين فأشرك فهذا الفرق بين المشرك والكافر وأما الكافر الذي ليس بمشرك فهو موحد غير أنه كافر بالرسول وبعض كتابه وكفره على وجهين الوجه الواحد أن يكون كفره بما جاء من عند الله مثل كفر المشرك في توحيد الله والوجه الآخر أن يكون عالماً برسول الله وبما جاء من عند الله أنه من عند الله

ويستر ذلك عن العامة والمقلدة من أتباعه رغبة في الرياسة وهو الذي أراد عليه السلام بقوله في كتابه إلى قيصر فإن توليت فإن عليك أثم اليريسيين يعني الأتباع وأعلم أن التأيه والندا مؤذن بالبعد عن الحالة التي يدعوه إليها من يناديه من أجلها فيقول يا أيها الذين آمنوا آمنوا فليعدهم مما أيه بهم أن يؤمنوا به لذلك أيه بهم فإن كانوا موصوفين في الحال بما دعاهم إليه فيتعلق البعد بالزمان المستقبل في حقهم أي أثبتوا على حالكم الذي أرتضاه الدين لكم في المستقبل كما قال يعقوب لبنيه ولا تموتن ألا وأنتم مسلمون في

حال حياتهم فأمرهم بالأسلام في المستقبل أي بالثبوت عليه والاستقبال بعيد عن زمان الحال فيكون التأيه أيضاً بما هو موجود في الحال أن يكون باقياً في المستقبل قال تعالى "يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود" وهم في حال الوفاء بعقد الايمان فإنه نعتهم في تأييه بهم بالايمان فكان البعد في العقود إذا قبلوها متى قبلوها وأعلم أن النداء الإلهي يعم المؤمن والكافر والطائع والعاصي والأرواح والروحانيين ولا يكون النداء إلا من الاسماء الإلهية ينادي الاسم الإلهي من حكم عليه إسم إلهس غيره إذا علم أنه قد انتهت مدة حكمه فيه فيأخذه هذا الاسم الذي ناداه كذلك دنيا وآخرة فجميع من سوى الله تعالى منادي يناديه إسم إلهي لحال كوني يطلبه به ليوصله إليه فإن أجاب سمي مطيعاً وكان سعيداً وإن يجب سمي عاصياً وكان شقيماً فإن قال كيف يكون النداء من إسم إلهي ويقف الكون عن إجابته مع ضعفه وقوله للإقتدار الإلهي قلنا لم تكن إبابته عن إجابته من حيث نفسه وحقيقته لأنه مقهور دائماً ولكن لما كان تحت قهر إسم إلهي لم يتركه ذلك الاسم أن يجيب من ناداه فالتنازع وقع بين الاسماء الإلهية وهم أكفاء والحكم لصاحب اليد وهو الاسم الذي هو في يده في وقت نداء الاسم الآخر فلهذا كان أقوى للحال فإن قلت فلماذا يؤاخذ بالإبابة قلنا لأنه ادعى الإبابة لنفسه ولم يضيفها إلى الاسم الإلهي الذي هو تحت قهره فإن قلت فالأمر باق فإنه إنما أبي لقهر إسم إلهي كانت الإبابة عنه في هذا المدعو قلنا صدقت ولكنه جهل ذلك فأخذ بجهله فإن الجهل له من نفسه فإن قلت فإن جهله من إسم إلهي حكم عليه قلنا الجهل أمر عديم لا وجودي والاسماء الإلهية تعطي الوجود ما تعطي العدم فالعدم للمدعو من نفسه والجهل عدم العلم فلم يدر المعارض ما اعترض به والاسماء الإلهية لا تعطي إلا الوجود فلم يلزم ما ذكرنااته وانقطع الاعتراض من هذا القائل بما ذكرناه وإذا ثبت أن النداء يعم فالمنادى به أيضاً يعم ولكن نداء الحق لا يكون إلا بما يكون في إجابته السعادة للعبد ينقسم إلى أمرين إلى فعل فيه سعادة ذلك العبد وهو الذي يقتن به نداء الحق تعالى وفعل لا يقتن به سعادة العبد فليس عن نداء الحق لكنه عن إرادة الحق وخلقه لا عن ندائه وأمر شرعه ونفى السعادة فيه على قسمين الواحد أن يكون فعلاً لا يقتن به شقاوة ولا سعادة أو يكون فعلاً تقتن به شقاوة والفعل الذي تقتن به الشقاوة على قسمين قسم تقتن به على الأبد وهي شقاوة الشرك وشقاوة لا تقتن به على الأبد وهو كل فعل لا يكون شركاً ولا نداء للحق فيه البتة فهذا المنزل هو منزل النداء لا منزل الأفعال وسيأتي إن شاء الله منازل الأفعال ويشته على بعض العارفين هذا المنزل واخوانه بمنزل الأفعال لكونه يرى النداء بالأفعال وليس المنزل واحداً في ذلك بل النداء له منزل والفعل له منزل وأعلم أن النداء على مراتب لكل مرتبة أداة معينة فالأدوات الهمزة ويا وأيا وهيا وأي مسكنة الياء فأقربها الهمزة في الرتبة وأبعدها هيا والنداء قد يصحبه التنبيه وقد لا يصحبه التنبيه فإذا كان النداء بأي فهو نكرة فلا بد من التنبيه لأن النداء إنما يطلب التعريف وهو بنفس المنادى فلا بد أن يصحب هاء التنبيه لأي في النداء لأن التنبيه تعريف ثم يردف التنبيه باسم المنادى ليعرف المنادى أنه منادى دون غيره فإن كان إسمه ناقصاً كالذين فلا بد له من صلة وهو الذي يصفه به ليتم به المقصود ولا بد من رابط بين هذه الصلة والموصول ليعلم أنه المراد بذلك النداء وإن لم يردف باسم ناقص لم يحتج إلى ما ذكرناه فيقال يا أيها الناس وأمثال هذا وأما إذا لم يقتن بالنداء أي فإن النداء يتصل باسم المنادى وقد يكون منادى منكوراً مطولاً مثل قوله تعالى يا سرّة على العباد ومثل قوله يا عجباً قال الشاعر

يا عجباً لهذه الفليقة

هل تذهبين القربا لرقيقه

وقد يكون منادى يعرف مثل يا جبال أوبى معه ولا يكون ما بعد النداء أبداً إلا منصوباً أما معنى ولهذا عطف بالمنصوب على الموضع في قوله تعالى والطير بالنصب عطفاً على موضع يا جبال وإن كان مرفوعاً في اللفظ فقد يراعى اللفظ في أوقات ولهذا قرئ أيضاً والطير بالرفع ولكل فصل من هذه الفقرات حقائق إلهية لولا التطويل لذكرناها فصلاً فصلاً فتركناها لمن يقف على كلامنا من العارفين كالتنبيه لهم على ما يتضمنه مثل النداء من المعاني الإلهية وإن الكون مرتبط ببعضه ببعض ارتباط المعاني بالكلمات وربما جعلوا الواو من أدوات النداء ولكن خصوها ببناء خاص لحال خاص بخلاف سائر الأدوات فخصوها بالإنتداب فينا دون الميت واجبله واسنده وبه يعذب الميت الملك بطعنه في خاصرته أن هكذا كنت ويقولون وازيداه واسلطاناه ولا بد في هذا النداء من ادخال الهاء هاء السكت في آخره لأنه ليس من شرط هذا النداء أن يقال بعده شئ فلهذا ادخل هاء السكت عليه فيكتفي به فيقول واجبله واخزنه ولا يحتاج إلى أمر آخر وإذا قلت يا زيد وناديته بسائر حروف النداء من غير نداء الندبة فلا بد أن تذكر السبب الذي ناديته من أجله فتقول يا جبال أوبى معه يا أيها الذين آمنوا أوفوا يا أيها الناس اتقوا فلا تكون هاء السكت إلا في نداء الندبة خاصة وأما النداء المرخم فإنهم يريدون به تسهيل الكلام ليخف على المنادى ليصل إلى المقصود مسرعاً بما حذفه من الكلمة فإن الترخيم التسهيل ومنه رخيم الدلال في وصف المعشوق المستحسن أي هو سهل ومثل الترخيم في المرخم هو أن تحذف الآخر من إسم المنادى فتقول إذا ناديت من إسمه حارث يا حار هلم فحذفت آخر الكلمة طلباً للتسهيل ولتعليم أن الاسماء وأسماء الأفعال على قسمين معرب ومبني فما تغير آخره بدخول العوامل سمي معرباً والأعراب التغير يقال أعربت معدة الرجل إذا تغيرت وقد تغير هذا الاسم من حال إلى حال هذا بعض وجوه اشتقاقه من كونه سمي معرباً والمبني هو إسم لفعل كان أو لغير فعل ثبت على صفة واحدة لفظه ولم يؤثر فيه دخول العوامل التي تحدث التغير في المعرب عليه فسمى مبنياً من البناء لثبوته وعدم قبوله للتغير وهذا له باب في الصفة الثبوتية للإله من كونه ذاتاً ومن ثبوت نسبة الإلهية إليه دائماً والمعرب له باب في المعارف الإلهية من قوله كل يوم هو في شأن وسنفرغ لكم أيها الثقلان فهذا الفرق بين المعرب والمبني فإذا رخم الاسم فقد ينتقل أعرابه إلى آخر ما يبقى من حروف الكلمة فتقول يا حار لهم بعدما كانت الراء مكسورة نقل إليها حركة الثاء ليعرف السامع أنه قد حذفت من الاسم حرف فإنه إنما يعرف المنادى إسمه إذا كان إسمه حارثاً بالثاء فإذا حذف الثاء ربما يقول ما هو أنا فإذا نقل إلى الراء حرك الثاء علم أنه المقصود كذلك إذا نودي العبد باسم إلهي ربما يقع في نفسه أنه جدير بذلك الاسم فينتقل وصف عبوديته إلى ذلك الاسم الإلهي الذي نودي به هذا العبد فيعرف أنه المقصود من كونه عبداً لاستصحاب الصفة له هذا إذا نقل وإذا لم ينقل حركة المحذوف من الاسم لما بقي وترك على حاله كان القصد في ذلك قصداً آخر وه ترك كل حق على حقيقته حتى لا يكون لكون أثر في كون ولا يظهر لكون خلعه على كون ليكون المنفرد بذلك هو الله تعالى فإن الضمة التي على الثاء من حارث هي لباسه فإذا خلعه على الراء في الترخيم فقد خلع كون على كون فرمما قصده المخلوع عليه بالعبودية له والثناء عليه والخلع على الحقيقة إنما هو المتكلم المنادى لا الحرف الثاء فالمنادى هو الذي خلع على الراء الرفع الذي كان لحرف الثاء لما أزال عينه من الوجود كخلع القطبية والامامة من الشخص الذي فقد عينه إلى الشخص الذي قام في ذلك المقام إذ كان الله هو الذي أقامه لا هذا الامام الذي درج فهذا قد بينا في هذا المنزل بعض ما عندنا من أسرارهِ ليقع التنبيه على ما فيه للطالب إن شاء الله تعالى والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب السادس والسبعون ومائتان في معرفة منزل الحوض وأسراره

من المقام المحمدي

وهي العلوم التي تختص بالبشر

والقعر يظهر ما فيه من الكدر

فاطلب من العلم ما يسمو عن الفكر

بالفكر في عالم الأجساد والصور

لكنه غير معصوم من الضرر

منزلها خالصاً من شائب الغير

الحوض منزل وصف الماء بالكدر

فالماء في العين صاف ما به كدر

وعلة الرنق كون الفكر ينتجه

أن الخيال إذا جاءت قيديها

والفكر من صورها وقتاً يخلصها

فاطلبه بالذكر لا بالفكر تحظ به

اعلم أيها الولي الحميم نور الله بصيرتك وحسن سريرتك أن العلوم على قسمين موهوبة وهو قوله تعالى لأكلوا من فوقهم وهي نتيجة التقوى كما قال تعالى "واتقوا الله يعلمكم الله" وقال "إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً" وقال "الحمن علم القرآن" ومكتسبة وإليها الإشارة بقوله تعالى "ومن تحت أرجلهم" يشير إلى كدهم واجتهادهم وهم أهل الإقتصاد والضمير في أرجلهم يعود على الذين أكلوا من فوقهم وهم الذين أقاموا كتاب الله وما أنزل إليهم من ربه وهم المسارعون في الخيرات وهم لها سابقون فمنهم من سبق بالخيرات ومنهم من أقام الكتاب من رقدته فإن التأويل من العلماء أضجعه بعدما كان قائماً فجاء من وفقه الله فأقامه من رقدته أي نزهه عن تأويله والتعمل فيه بفكر فقام بعباده ربه وسأله أن يوفقه على مراده من تلك الألفاظ التي حواها الكتاب والتعريف من المعاني المخلصة عن المواد فأعطاهم الله العلم غير مشوب قال تعالى "وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم" يعلمهم الحق ما يؤل إليه هذا اللفظ المتزل المرقوم وما أودع فيه من المعاني من غير فكر فيه إذ كان الفكر في نفسه غير معصوم من الغلط في حق كل أحد ولهذا قال والراسخون في العلم يقولون ربنا لا تزع قلوبنا يعني بالفكر فيما أنزلته بعد إذ هديتنا إلى الأخذ منك علم ما أنزلته ألينا وهب لنا من لدنك رحمة أنك أنت الوهاب فسأله من جهة الوهب لا من جهة الكسب ولهذا جعلنا الضمير يعود على الذين أكلوا من فوقهم يقول ومن تحت أرجل هؤلاء أمم منهم أمة مقتصدة وهم أهل الكسب وهم الذين يتأولون كتاب الله ولا يقيمونه بالعمل الذي نزل إليه ولا يتأدبون في أخذه وهم على قسمين القليل منهم المقتصد في ذلك وهو الذي قارب الحق وقد يصيب الحق فيما تأوله بحكم الموافقة لا بحكم القطع فإنه ما يعلم مراد الله فيما أنزله على التعيين ألا بطريق الوهب وهو الأخبار الإلهي الذي يخاطب به الحق قلب العبد فس سره بينه وبينه ومن لم يقتصد في ذلك وتعمق في التأويل بحيث أنه لم يترك مناسبة بين اللفظ المتزل والمعنى أو قرر اللفظ على طريق التشبيه ولم يرد علم ذلك إلى الله فيه وهم الذين قال الله فيهم في الآية عينها "وكثير منهم ساء ما يعملون" وأي سوء أعظم من هذا وهؤلاء هم القسم الثاني ولما شاهد الرسول هذا الأمر وقد بعث رحمة بما نزل به ورأى الكثير لم تصبه هذه الرحمة وأن علة ذلك إنما كان تأويلهم بالوجهين من التشبيه أو البعد عن مدلول اللفظ بالكلية تحير في التبليغ وتوقف حتى يرى هل يوجب ذلك عليه ربه أم لا فإنزل الله تعالى "يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك" وقيل له "ما عليك ألا البلاغ" وقيل له ليس عليك هداهم فيما يجري منهم من خير وشر وقيل له "أنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من

يشاء" فعلم الرسول أن المراد منه التبليغ لا غير فبلغ صلى الله عليه وسلم وما أخفي مما أمر بتبليغه شيئاً أصلاً فإنه معصوم محفوظ قطعاً في التبليغ عن ربه ما أمر بتبليغه وما خص به فهو فيه على ما يقتضيه نظره فالتقدير في الآية على التفسير ومن تحت أرجلهم أمم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون ولهذا قال لنبيه وأن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله وقال ما يعلمهم ألا قليل فأشرف العلوم ما ناله العبد من طريق الوهب وأن كان الوهب يستدعيه استعداد الموهوب إليه بما أتصف به من الأعمال الزكية المشروعة ولكنه لما لم يكن ذلك شرطاً في حصول هذا العلم لذلك تعالى هذا العلم عن الكسب فإن بعض الأنبياء تحصل لهم النبوة من غير أن يكونوا على عمل مشروع يستعدون به إلى قبولها وبعضهم قد يكون على عمل مشروع فيكون ذلك عين الاستعداد فرمما يتخيل من لا معرفة له أن ذلك الاستعداد لولاه ما حصلت النبوة فيتخيل أنها أكتساب والنبوة في نفسها اختصاص إلهي يعطيه لمن شاء من عباده وما عنده خبر بشرع ولا غيره ولا يعرف من هو ولا بما هو الأمر عليه فلو كان الاستعداد ينتج هذا العلم لوجد ذلك في الأنبياء ولم يقع الأمر كذلك فإن النبوة غير مكتسبة بلا خلاف بين أهل الكشف من أهل الله وأن كان أختلف في ذلك أهل الفكر من العقلاء فذلك من أقوى الدلالات عندنا على أن الفكر يصيب العاقل به ولكن خطؤه أكثر من أصابته لأن له حداً يقف عنده فمتى ما وقف عند حده أصاب ولا بد ومتى جاوز حده إلى ما هو لحكم قوة أخرى يعطاها بعض العبيد قد يخطئ ويصيب عصمنا الله وأياكم من غلطات الأفكار وجعلنا من الذاكرين المذكورين بفضل لا رب غيره ولنا فيما ذكرناه أنفاً نظم كتبت به إلى بعض الأخوان سنة إحدى وستمئة من مدينة الموصل في النبوة أنها اختصاص من الله تعالى ولذلك لا يشوب رائقها كدر

ألا أن الرسالة برزخيه

إذا أعطت بنيته قواها

وأن الاختصاص بها منوط

وهذا الحق ليس به خفاء

ولا يحتاج صاحبها لنبيه

تلقتها بقوتها البنيه

كما دلت عليه الأشعرية

فدع أحكام كتب فلسفيه

في أبيات كثيرة ولكن قصدنا إلى الأمر الذي يطلبه هذا الموضع منها ولتعلم أن سبب ظهور الأكدار أنما هو قرار الماء وسكونه لطلب الراحة من الحركة في غير موضعها ومحلاها ولذلك كنيها عن هذه الحالة بالحوض لأن فيه قرار الماء وسكونه وقد قلنا في باب الغزل والنسيب أصف نزاهة المعشوق في نفسه

روحت كل من أشب بها

غيرة أن يشاب رائقها

نقلة عن مراتب البشر

بالذي في الحياض من كدر

أريد أن المحب إذا تعشق من صفته هذه حكم عليه هذا المعشوق فنقله إليه وكساه من ملابسه فأخرجه عن الذي يقتضيه عالم الطبيعة من كدر الشبه إذا كان المعشوق علماً والشبهات والحرام إذا كان المعشوق عملاً والشبهات الطبيعية إذا كان المعشوق روحاً مجرداً عن المواد وعن البشرية إذا كان المعشوق ملكاً وعمما سوى الله إذا كان المحبوب هو الله فالحب الصادق من أنتقل إلى صفة المحبوب لا من أنزل المحبوب إلى صفته ألا ترى الحق سبحانه لما أحبنا نزل إلينا في ألطافه الخفية بما يناسبنا مما يتعالى جده

وكبرياؤه عن ذلك فتزل إلى التبشيش بنا إذا جئنا إلى بيته نقصد مناجاته وإلى الفرح بتوبتنا ورجوعنا إليه من أعراضنا عنه والتعجب من عدم صبوة الشاب من الشاب الذي هو في محل حكم سلطانها وأن كان ذلك بتوفيقه وإلى نيابته عنا في جوعنا وعطشنا ومرضا وأنزاله نفسه ألينا مترلنا لما جاع بعض عبيده قال للآخرين جعت فلم تطعمني ولما عطش آخر من عبادته قال سبحانه لعبد آخر ظمئت فلم تسقني ولما مرض آخر من عبادته قال لآخر من عبادته مرضت فلم تعدني فإذا سأله هؤلاء العبيد عن هذا كله يقول لهم أما أن فلاناً مرض فلو عدته لوجدتني عنده أما أنه جاع فلان فلو أطعمته لوجدت ذلك عندي أما أنه عطش فلان فلو سقيته لوجدت ذلك عندي والخبر صحيح فهذا من ثمة المحبة حيث نزل إلينا فلهذا قلنا أن الصدق في المحبة يجعل الحب يتصف بصفة المحبوب وكذا العبد الصادق في محبته ربه يتخلق باسمائه فيتخلق بالغنى عن غير الله وبالعز بالله تعالى وبالعطاء بيد الله تعالى وبالحفظ بعين الله تعالى وقد علم العلماء التخلق باسماء الله ودونوا في ذلك الدواوين وسبب ذلك لما أحبوه اتصفوا بصفاته على حد ما يليق بهم ثم نرجع إلى ما كنا بسبيله فنقول والله يقول الحق وهو يهدي السبيل أن العلوم وأعني بها المعلومات إذا ظهرت بذواتها للعلم وأدركها العلم على ما هخي عليه في ذواتها فذلك العلم الصحيح والإدراك التام الذي لا شبهة فيه البتة وسواء كان ذلك المعلوم وجوداً أو عدماً أو نفيّاً أو اثباتاً أو كثيفاً أو لطيفاً أو رباً أو مربوباً أو حرفاً أو معنى أو جسماً أو روحاً أو مركباً أو مفرداً أو ما أنتجه التركيب أو نسبة أو صفة أو موصوفاً فمتى ما خرج شئ مما ذكرناه عن أن يبرز للعلم بذاته وبرز له في غير صورته فبرز العدم له في صورة الوجود بالعكس والرب بصفة المربوب والمربوب بصفة الرب والمعاني في صور الأجسام كالعلم في صورة الدين والثبات في الدين في صورة القيد والايتمان في صورة العروة والإسلام في صورة العمد والأعمال في صور الأشخاص من الجمال والقبح فذلك هو الكد الذي يلحق العلم فيحتاج من ظهر له هذا إلى قوة إلهية تعديه من هذه الصورة إلى المعنى الذي ظهر في هذه الصورة فيتعب وسبب ذلك حضرة الخيال والتمثيل والقوة المفكرة وأصل ذلك هذا الجسم الطبيعي وهو المعبر عنه بالحوض في هذا المنزل وقعر هذا الحوض هو خزانة الخيال وكدر ماء هذا الحوض المستقر في قعره هو ما يخرج الخيال والتخيل عن صورته فيطراً للتليس على الناظر بما ظهر له فما يدري أي معنى ليس هذه الصورة فيتخير ولا يتخلص له ذلك أبداً من نظره إلا بحكم الموافقة وهو على غير يقين محقق فيما أصاب من ذلك إلا بأخبار من الله ولهذا لما قام أبو بكر الصديق في هذا المقام وسأل تعبير الرؤيا وأمره النبي صلى الله عليه وسلم بتعبيرها فلما فرغ سأل النبي صلى الله عليه وسلم فيما عبره مل أصاب أو أخ طأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصيبت بعضاً وأخطأت بعضاً فما علم الصديق أصابته للحق في ذلك من خطئه فلهذا قلنا أن المصيب في مثل هذا ليس على يقين فيما أصابه فلهذا جنح العارفون وامتنعوا أن يأخذوا العلم إلا من الله بطريق الوهب الذي طريقه في الأولياء الذكر لا الفكر فإن أعطوا المعاني مجردة وبرزت لهم المعلومات بذواتها في صورها التي هي حقائقها فهو المقصود وإن أبرزها الحق لهم عند الذكر وهذا الطلب في غير صورها وحجب عنهم ذواتها أعطوا من القوة والنور والنفوذ في تلك الصور إلى ما وراءها هو الذي أريدت له هذه الصور وقيد بها فمشهوده على كل حال المعاني التي هي المقصود وهي عالم الألفاظ والعبارات بمتزلة المنصوص والمحكم الذي لا أشكال فيه ولا تأويل والآخر بمتزلة الظواهر التي تحمل المعاني المتعددة وما يعرف الناظر مقصد المتكلم بها منها واعلم أن هذه العلوم إذا أعطاه الله العبد في غير صورها وأعلمه ما أراد بها فوقف على عينها من تلك الصورة في تلك الصورة فهو المشبه بالحوض لأنه يدرك الماء ويدرك الكدر الذي في قعر الحوض ويلبس الماء ولا بد في ناظر العين لون ذلك الكدر حمرة كان أو صفرة أو ما كان من الألوان فتبصر الماء أحمر أو أصفر وغير ذلك من الألوان ولهذا قال الجنيد وقد شغل عن

المعرفة والعارف فقال لون الماء لون إنائه ولما قبل الماء هذا اللون صار في العين مركباً من متلون ولون وهو في نفس الأمر شيء آخر فيعلم الماء ويعلم أن ذلك لون الوعاء كذلك التحليات في المظاهر الإلهية حيث كانت فأما العارف فيدركها دائماً والتجلي له دائم والفرقان عنده دائم فيعرف من تجلى ولماذا تجلى ويختص الحق دون العالم بكيف تجلى لا يعلمه غير الله لا ملك ولا نبي فإن ذلك من خصائص الحق لأن الذات مجهولة في الأصل فعلم كيفية تجليها في المظاهر غير حاصل ولا مدرك لأحد من خلق الله هذا هو العلم الذي لا ينتج غيره فهو منقطع النسل لا عقب له وما عدا هذا من العلوم فقد يكون العلم بالنظر فيه ينتج علماً آخر ولا يكون إلا هكذا وهو الأكثر بل هو الذي بأيدي الناس فإن المقدمات إن لم يحصل لك العلم بها وبما ينتج منها مما لا ينتج والسبب الرابط بينهما فبعد حصول هذا العلم ينتج لك العلم بما أعطاه هذا التركيب الخاص وهو التناسل الذي يكون في العلوم بمنزلة التناسل الذي يكون في النبات والحيوان وهذا هو تناسل المعاني ولهذا قبلت المعاني الصور الجسدية لأن الأجساد محل التوالد فإن قلت فالذي يكون من العلوم لا ينتج فكان ينبغي أن لا يقبل الصورة قلنا إنما قبل الصورة من كونه نتيجة عن منتج ونتاج وهو في نفسه عقيم لا ينتج أصلاً كالعقيم الذي يكون في الحيوان مع كونه متولداً من غيره ولكن لا يولد له لأنه على صفة قامت به تقتضي له ذلك ولذلك جاء الحق في تزيه نفسه عن الأمرين فقال لم يلد ولم يولد وهذا تزيه الذات فلا تتعلق ولا يتعلق بها والنتاج إنما وقع وظهر في المرتبة فطلب الرب المربوب والقادر والمقدور فإن قلت فإذا كان الأمر على ما ذكرت في لم يلد ولم يولد فكانت المظاهر تبطل وهي موجودة فما جوابك قلنا المظاهر للمرتبة لا للذات فلا يعبد إلا من كونه إلهاً ولا يتخلق باسمائه وهي عين العبادة له إلا من كونه إلهاً ولا يفهم من مظاهره في مظاهره الأكوانه إلهاً فاعلم ذلك ولو كانت المظاهر تظهرها الذات من كونها ذاتاً علمت أحيط بها ولو أحيط بها حدثت ولو حدثت انحصرت ول انحصرت ملكت وذات الحق تعالى علواً كبيراً عن هذا كله فعلمنا أنه ليس بين الذات وبين هذه المظاهر نسبة يتعلق العلم بها من حيث نسبة المظهر إليها أصلاً وإذا لم يحصل مثل هذا العلم في نفوس العلماء بالله وتعالى عن ذلك فأبعد وأبعد أن تعلم نسبة الذات إلى المظاهر فإن قلت أن النسبة واحدة ولكن لها طرفان من حيث الذات طرف ومن حيث المظهر طرف قلنا ليس الأمر كما تظن في أن النسبة واحدة بين المتضايقين فإن نسبة الولد إلى نسبة بنوة والبنوة انفعال ونسبة الوالد إلى نسبة أبوة والأبوة فاعليه وأين أن يفعل من أن يفعل هيئات فليست النسبة واحدة ولا لها طرفان أصلاً فإنها غير معقولة الإنقسام أعني هذه النسبة الخاصة وهو الطرف الذي جعلته أنت للنسبة بخيالك فذلك الطرف هو النسبة التي إذا الطرفان للشيء الموصوف بهما يوزنان بقسمته والمعنى لا ينقسم

فإنه غير مركب والذي بنتيجة هذا العلم المشبه بالحياض مناجاة الحق من جهة الصدر وهو مناجاتك إياه في صدورك عنه حين أمرك بالخروج إلى عباده بالتبليغ أن كنت رسولا وبالتثبيت إن كنت وارثاً وهذه المناجاة لا تكون منه إليك إلا فيك لا في غيرك فمنك تعرفه لا من غيرك لأنك الحجاب الأقرب والستر المسدل عليه ومن كونك سترًا وحجاباً حددته فمعرفتك به في هذا الموطن عين عجزك عن معرفته وإن شئت قلت عين الجهل به ونريد بالجهل عدم العلم وأما الغير فحجاب أبعد بالنظر إليك فإن الله ما وصف نفسه إلا بالقرب إليهم وهكذا قربه من غيرك إلى ذلك الغير كقربه إليك فوصفه بالقرب إليك أبعد بالنظر إلى غيرك إذا أراد العلم بكيفية قربه من الأشياء بقوله تعالى "ونحن أقرب إليه من حبل الوريد" فأثبت قربه إلى الأشياء ونفى العلم بكيفية قربه من الأشياء بقوله تعالى "ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون" فعم البصيرة والبصر إذ كان ادراك البصر في الباطن يسمى بصيرة والذات واحدة واختلف عليها المواطن فسمى في ادراك المحسوس بصرًا وفي ادراك المعاني بصيرة فالمدرك واحد العين فيهما ولما كان على

الحوض الذي يكون في الدار الآخرة كؤوس كثيرة على عدد الشاربين منه أن الماء في الإناء على صورة الإناء شكلاً ولونا علمنا قطعاً أن العلم بالله سبحانه على قدر نظرك واستعدادك وما أنت عليه في نفسك فما اجتمع اثنان قط على علم واحد في الله من جميع الجهات لأنه ما اجتمع في اثنين فما عرف أحد من الحق سوى نفسه فإذا عامل من تجلّى له بما عامله به وقد ثبت أن عمله يعود عليه لن ينال الله من ذلك شيء قال صلى الله عليه وسلم إنما هي أعمالكم ترد عليكم فيكسوكم الحق من أعمالكم حللاً على قدر ما حصنتموه واعتنيتم بأصولها فمن لابس حرير أو من لابس مشاقة كتان وقطن وما بينهما فلا تلم إلا نفسك ولا تلم الحائك فما حاك لك إلا غزلك فإنقلت كيف تقول لن ينال الله من ذلك شيء وقد قال سبحانه يناله التقوى منكم فلتعلم أن المراد بآيات النيل هنا وعدم النيل في جانب الحق أن الله سبحانه ما يناله شيء من أعمال الخلق مما كلفهم العمل فيه نيل افتقار إليه وتزين به ليحصل له بذلك حالة لم يكن يناله التقوى وهو أن تتخذوه وقاية مما أمركم أن تتقوه به على درجات التقوى ومنازله فقد قال اتقوا النار واتقوا الله وقوا الله وقوا أنفسكم وأهليكم فمعنى يناله التقوى أنه يتنازل منك ليلبسك إياها بيده تشريعاً لك حيث خلع عليك بغير واسطة إذ لبسها غير المتقى من غير يد الحق وسواء كانت الخلعة من رفيع الثياب أو دينيها فذلك راجع إليك فإنه ما ينال منك إلا ما أعطيته وإن جمع ذلك التقوى فإنه لا يأخذ شيئاً سبحانه من غير المتقى فلهذا وصف نفسه بأن التقوى تناله من العباد وإنما وصف الحق سبحانه بأن التقوى تصيبه واللحوم والدماء لا تصيبه لما كانت الإصابة بحكم الاتفاق لا بحكم القصد أضاف النيل إلى المخلوق لأنه يتعالى أن يعلم فيقصد من حيث يعلم ولكن إنما يصاب بحكم الاتفاق مصادفة والحق مآثره أن يعلم الأشياء بحكم الإصابة فيكون علمه للأشياء اتفاقاً فإذا ناله التقوى من المتقى وخدم بين يديه وحل ذاته بين يديه مستسلماً لما يفعله فيه فيخلع سبحانه عند ذلك من العلم على المتقي ومن شأن هذا العلم أن يحصل من الله تعالى للعبد بكل وجه من وجوه العطاء حتى يأخذ كل آخذ منه بنصيب فمنهم من يأخذه من يد الكرم ومنهم من يأخذه من يد الجود ومنهم من يأخذ من يد السخاء ومنهم من يأخذه من يد المنّة والكول إلا الإيثار فإنه ليس له يد في هذه الحضرة الإلهية إذ كان لا يعطي عن حاجة إلى الأخذ عنها فتتسم من هذا رائحة الإيثار وليس بصحيح وإنما وقع في ذلك طائفة قد أعمى الله بصيرتهم ولذلك العارفون اتصفوا بأصناف العطاء في التخلق بالاسماء لا بالإيثار فإنهم في ذلك امناء لا يؤثرون إذ لا يتصور الإيثار الحقيقي لا المجازي عندهم والعارف لا يقول أعطيتكم وإنما يقول أعطيتك لأنه لا يشترك اثنان في عطاء قط فلهذا يفرد ولا يجمع فالجمع في ذلك توسع في الخطاب والحقيقة ما ذكرناه ولل كلام في هذا المتزل مجال رحب لا يسعه الوقت والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

مراتب العلم وأنواره

صفاؤه شيب باكداره

يلحقه القعر باغباره

منازل الحوض وأسراره

وهو من العلم الذي لم يزل

محله الطبع الذي رتقه

الباب السابع والسبعون ومائتان في معرفة منزل التكذيب والبخل وأسراره

من المقام الموسوى

الظواهرات من الأرواح في البشر

العلم علمان علم الدين في الصور

و علم حق بتحقيق يؤيده	ما أودع الله في الآيات والصور
من كل ناظرة بالعين ناضرة	فاللام ناظرة بالفاء في خبر
هذي منازل أنوار سباعية	الخمسة تخنس دون الشمس والقمر
منها ليظهر ما في الغيب من عجب	فكل منزلة تسعى على قدر
إن الصفات التي جاء الكتاب بها	تقدست على مجال العقل والفكر
وكيف يدرك من لا شئ يشبه	من يأخذ العلم عن حس وعن نظر
فالعلم بالله عين الجهل فيه به	والجهل بالله عين العلم فأعتبر
وليس في الكون معلوم سواء فما	تقول يا أيها المغلوب عن حصر
أن الظهور إذا جاز الحدود خفا	كذلك الأمر فإنظر فيه وأفكر

أعلم أيها الولي الحميم نور الله بصيرتك أن العلم بالجزاء عن نور الايمان لا عن نور العقل فإن ارتباط الجزاء بالأعمال في الدنيا والآخرة لا يعلم إلا من طريق الايمان والكشف فأما تسميتنا إياه علماً أعني علم الايمان وأن كان عين التصديق بخير المخبر فمثل هذا لا يكون علماً لزواله لو رجع المخبر عنه تقدير أو حينئذ فله وجهان الواحد أن المؤمن يجده ضرورة في نفسه لو رام الانفكاك عنه لم يقدر على ذلك فهو عنده من العلوم الضرورية كل عقل عنده الايمان والوجه الآخر أن الايمان له نور يكشف به ما وقع الأخبار به كما يكشف المدلول العقل بالنظر الصحيح في الدليل الشاد بل أكمل لأن العقل أن لم يستند في دليله وبرهانه إلى العلوم الضرورية في ذلك وألا فليس ببرهان عنده ولا هو علم وعلم الايمان علم ضروري وهو مستند العقل في الحق المطلوب فالإنسان إذا سئل عن الجزاء من جهة علمه النظري لم يقل أنه جزء وأما اقتضت الحركة الفلكية وجود هذه الواقعة في عالم الكون والفساد بحسب القابل لها منه وأتفق أيضاً أنه كان قبل ذلك حركة أخرى اقتضت لهذا القابل من عالم الكون والفساد وجود أمر ما ظهر منه فنوسب بين الواقعتين الأولى والثانية بأمر عرضي أو أمر وضعي مقرر في نفوس العامة فسموا الواقعة الآخرة جزء للواقعة الأولى لمن قامت به ليس غير ذلك فما يدرك تلك الرابطة ألا أهل الكشف الإلهي وأن أدركها أهل النظر العقلي لأنه قد يدرك الرابطة من كونها فعلاً لا من كونها جزء ولا سبيل إلى رفع ذلك جملة واحدة وأهل الكلام من علماء النظر يجوزون رفعها بنور عقولهم وصدقوا فإن نور العقل لا يتعدى قوته فيما يعطيه ونور الايمان فوق ذلك يعطي أيضاً بحسب قوته وما جعل الله فيه مما لا يدركه العقل معري عن الشرط فإن العقل يقول أن كان سبق العلم به فلا بد منه عقلاً فأدخل الشرط والايمان ليس كذلك فإنه عن كشف محقق لأمرية فيه ثم أن طائفة من العقلاء الذين ذكرناهم وهي التي أثبتت الفعل ولم تصدق أنه جزء أنكروا ذلك دنيا وآخرة فأما دنيا فلما ذكرناه وأما آخرة فإنقسموا في ذلك قسمين فطائفة منهم أثبتوا الآخرة على وجه يخالف وجه الايمان وهم الذين أنكروا الأعادة في الأجسام الطبيعية وطائفة نفت الآخرة جملة واحدة فأحرى الجزاء فأما الطائفة التي أثبتت الآخرة وأنكرت الجزاء فما أنكرت ألا الجزاء الحسي من نعيم الجنان وجعلت الجزاء الروحاني كون الأرواح لما فارقت تدبير أجسادها وتخلصت من أسر الطبيعة وكانت في هذه المدة قد أكتسبت من الأخلاق الكريمة والعلوم الأهلية والروحانية هيئة حسنة ألحقها بالرتبة الملكية فلما انفصلت عن الطبيعة انفصلاً يسمى

الموت ألتحقت بالملائكة ودام لها ذلك مؤبداً فكان ذلك الدوام لها في الرتبة الملكية ثمرة جنتها مما حصلته في حال سجنها في تدبير جسمها الطبيعي فذلك المسمى جزاء في الشرع وما ثم غيره وأهل الايمان بالله وما جاء من عنده وهم أصحابنا وأهل الكشف منا أيضاً الذين عملوا بنور الايمان قد جمعنا مع هؤلاء فيما ذكرناه من الجزاء الروحاني للنفوس التعليمية وأنفردنا عنهم بالأعادة في الأجسام الطبيعية على مزاج مخصوص يقتضي لها البقاء في دار الكرامة والجزاء الحسي من اللباس والزينة والأكل والشرب والنكاح ورفع الخبائث من منزل الجنان كالأموار المستقدرة طبعاً والأرواح النتنه طبعاً وذلك في حال السعداء وأما في حال الأشقياء فالأعادة أيضاً لهم في الأجساد الطبيعية ولكن على مزاج يقارب مزاج الدنيا في الذهاب والزوال بالعلل المنضجة للجلود المذهبة لأعيانها وإيجاد غيرها مع بقاء العين المعذبة بذلك فليست تشبه أعادة الأشقياء أعادة السعداء وأن أشركا في الأعادة فمرض الأشقياء في دار الشقاء زمالة مؤيدة إلى غير نهاية مدة أعمارهم التي لا أنقضاء لها كالزمالة التي كانت للزمني في الدنيا مدة أعمارهم وتعلم كل طائفة من هؤلاء أن بعض الذي هم فيه جزاء بما كانوا يعملون وأنما قلنا بالبعض لأن الجنان ثلاث جنة جزاء العمل وجنة ميراث وهي التي كان يستحقها المشرك لو آمن وجنة أختصاص غير هاتين ولا أدري جنة الأختصاص هل تعم أم هي لخصائص من عباد الله والذين ما عملوا خيراً قط مشروعةً فلهم جنة الميراث ولا أدري هل لهم جنة أختصاص أم لا كما قلنا وأما جنة الأعمال المشروعة من كونها مشروعة لا من كونها

موجودة فليس لهم فيها نصيب فإنهم قد يكون منهم من فيه مكارم الأخلاق ولكن لم يعمل بها من كونها مشروعة فإذا تقرر ما ذكرناه فاعلم أن الطائفة التي لم يحصل لها الايمان بعلم الجزاء يحرمون من العلوم الموهوبة قبول كل علم لا يقوم لهم فيه من نفوسهم ميزان من عمل عملوه فإذا جاءهم الفتح في خلواتهم وسطعت عليهم الأنوار الإلهية بالعلوم المقدسة عن الشوب القادح ينظرون ما كانوا عليه من الأعمال وما كانوا عليه من الاستعدادات التعليمي فيأخذون من تلك العلوم قدر ما أعطتهم موازينهم ويقولون هذا من عند الله وما لم كانوا عليه من الاستعدادات التعليمي فيأخذون من تلك العلوم قدر ما أعطتهم موازينهم ويقولون هذا من عند الله وما لم يدخل لهم في موازينهم من هذه العلوم دفعوا بها وهذا من أعجب الأمور الإلهية في حق هذه الطائفة ألها غير قائمة بعلم الجزاء ولا تأخذ من العلوم ألا ما أعطتها موازينهم من الأعمال والاستعدادات التعليمية وهذا نقيض ما بنى عليه الأمر عند أهل الطريق وهذا كشف خاص خص به أمثالنا لله الحمد على ذلك وأما نحن ومن جرى مجرانا من أهل الطريق فلا نرمي بشيء مما يرد علينا من ذلك ولا ندفع به جملة واحدة سواء أقتضاه عملنا وأستعدادنا التعليمي أو لم يقتضه فإن الأقتضاء غير لازم عندنا في كل شيء بل أوجد الله ما يريد في أي محل يريد ولو نور الله بصائر هذه الطائفة التي ذكرناها لرأت وأتعظت بحالها فإنها لا تصدق بالجزاء ولا تقبل من العلوم ألا ما أعطاه ميزان الجزاء من نفوسهم وهم لا يشعرون وهو موضع حيرة كما أنا لا نرمي أيضاً بشيء مما أعطانا الله على يد واسطة مذمومة كانت تلك الواسطة أو محمودة كما فعل سليمان عليه السلام أو بارتفاع الوسائط سواء كان ذلك منهياً عنه أو مأموراً به فإن الله قد أعطانا من القوة وعلم السياسة بحيث نعلم كيف نأخذ وإذا أخذنا كيف نتصرف به وفيه وفي أي محل نتصرف به وهذا نخصوص بأهل السماع من الحق دائماً وهو طريقنا وعليه عمل أكابرنا ويحتاج إلى علم وافر وعقل حاضر ومشاهدة دائمة وعين لا تقبل النوم ولا تعرفه وتحقق بذلك تحقيقاً يسرى معها حساً وفي حال نومها خيالاً وفي حال فنائها وغيبتها تحقّقاً وهو مقام عزيز مخصوص بالأفراد منا وعلم الأنبياء أكثره من هذه العلوم التي ليس لها مستند ولهذا كانت النبوة أختصاصاً من الله لا بعمل ولا بتعمل ونحن ورثنا هذا المقام من عين المنة فحصلنا من العلوم التي لا مستند لها يطلبها ما عدا النبوة كثيراً تعرفها أسرارنا دون نفوسنا

فلذلك لا يظهر علينا منها شيء فإنه لا تعلق لها بالكون قال تعالى "ألم يجدك يتيماً فأوى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فأغنى" فأختلف أصحابنا في هذه الأحوال الثلاثة وما يشبهها هل هي استعدادات لما حصل من الأيواء والهدى والغنى أم ليست استعداداً ومنا من قال لا يكون استعداد ألا عن تعمل فيه وهم الأكثرون ومنهم من قال الاستعداد من أهل لتحصيل أمر ما سواء كان عن تعمل أو غير تعمل فالخلاف لفظي وهو الخلاف الذي ينسب إلى أهل هذه الطريقة وقد يكون الاستعداد معلوماً للشخص الذي هو صاحبه أنه استعداد وقد لا يكون والتحقيق في ذلك ما ذكره وذلك أن حقيقة الاستعداد ما هو الطلب أن يكون معد الأمر ما عظيم من الله يحصل له فهذا يسمى تعاملاً لأنه أستفعال مثل أستخرج وأستطلق وأسترسال وأما كونه معداً لما حصل له فلا بد أن يكون في نفسه على ذلك لا يجعل جاعل وأخفاه العدم الممكن والعدم المحال فلولاً أن العدم الممكن هو معد في نفسه لقبول أثر المرجح ما كان له الترجيح إلى أحد الجانبين في وقت وترجيح الجانب الآخر في وقت آخر والعدم المحال لولا ما هو في نفسه معد لعدم قبول ما يضاد ما هو عليه في نفسه لقبوله وكذلك من ثبت له الوجوب الوجودي لذاته فهذا تحقيق المسئلة في الاستعداد والفرق بينه وبين الأعداد والأعداد لا بد منه وجودي وعدمي ولا وجودي ولا عدمي كالنسب فهذا الفصل من هذا المتزل قد أستوفيناه وبقي من فصوله ما ذكره وذلك معرفة العلم الذي يطلبه الفقير بأفتقاره ومسكنته ما هو وإذا حصل هل يقع له به الغنى أم لا وهل إلى ذلك طريقة معلومة لقوم أم لا وهل العالمون بما يتعين عليهم أن يحضوا الناس على سلوكها أم لا فاعلم أن الأفتقار في كل ما سوى الله أمر ذاتي لا يمكن الأنفكاك عنه ذوقاً وعلماً صحيحاً ألا أنه

تختلف مقاصدة في تعيين ما يفتقر إليه هذا الفقير وما هو المعنى الذي يفتقر إليه فيه فاعلم أن الفقر والمكنة لما ثبت في العلم أنها صفة ذاتية كان متعلقها الذي أفتقرت فيه طلبها استمرار كونها واستمرار النعيم لها على أكمل الوجوه بحيث أنه لا يتخلله النقيض فأهل هذه الطريقة لم يروا ذلك حالاً وعقداً ألا من الله تعالى فأفتقروا إليه في ذلك دون غيره سبحانه ولا يصح الأفتقار لهم إليه في وجودهم لأنهم موجودون وأما كان ذلك الأفتقار منهم لوجودهم في حال عدمهم فلهذا أوجدتهم فمتعلق الأفتقار أبداً أما هو العدم ليوجده لهم أذ بيده إيجاد ذلك وأما غيرنا فأروا ذلك من الله عقد ألا حالاً وهم المسلمون الأكثرون عالمهم وجاهلهم ومن الناس من يرى ذلك من الله أصلاً لا عقداً ولا حالاً وهم القائلون بالعلل والمعلومات وهم أبعد الطوائف من الله ومن الناس من لا يرى ذلك من الله لا أصلاً ولا عقداً ولا حالاً وهم المعطلة وما من طائفة مما ذكرنا ألا وتجد الأفتقار من ذاتها ومن المحال أن يقع الغني من الله لأحد من هؤلاء الطوائف على الإطلاق أبداً ولكن قد يقع لهم الغنى المقيد دائماً لا ينفكون عنه وأما فرض الطريق إليه فهو ذاتي أيضاً من حيث هو طريق وأما الذي يتعلق به الأكتساب سلوك خاص في هذا الطريق لمن يفتقر إليه وإذا كان السلوك بهذه المثابة تعين التحريض عليه وتبيينه لمن جهله فمن عدل عن تبيينه لمن يستحقه وهو عالم به فهو صاحب حرمان وخذلان وقد نبه عليه السلام على مرتبة من مراتب ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه ألقمه الله بلجام من نار والسؤال قد يكون لفظاً وحالاً والمسؤول عنه الذي تعلق به الوعيد لا بد أن يكون واجباً عليه السؤال عنه فلا بد أن يجب على العالم الجواب عنه وسؤالات الأفتقار كلها بهذه المثابة قال الله تعالى "يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله" ففي هذا الخطاب تسمية الله بكل إسم هو لمن يفتقر إليه فيما يفتقر إليه فيه وهو من باب الغيرة الإلهية حتى لا يفتقر إلى غيره والشرف فيه إلى العالم بذلك وفي هذا الخطاب هجاء للناس حيث لم يعرفوا ذلك ألا بعد التعريف الإلهي في الخطاب الشرعي على السنة الرسل عليهم السلام ومع هذا أنكر ذلك خلق كثير وخصوه بأمور معينة يفتقر إليه فيها لا في كل الأمور من اللوازم التابعة للوجود التي تعرض مع الآنات للخلق وكان ينبغي لنا

لو كنا متحققين بفهم هذه الآية أن نبكي بدل الدموع دماً حيث جهلنا هذا الأمر من نفوسنا إلى أن وقع به التعريف الإلهي فكيف حال من أنكره وتأوله وخصصه فهذا قد بينا نبذة من الفصل الثاني المتعلق بهذا المنزل وأما الفصل الثالث من فصول هذا المنزل فاعلم أن الله تعالى قد عرف عباده أن له حضرات معينة لأمر دعاهم إلى طلب دخولها وتحصيلها منه وجعلهم فقراء إليها فمن الناس من قبلها ومن الناس من ردها جهلاؤها فمنها حضرة المشاهدة وهي على منازل مختلفة وأن عمتها حضرة واحدة فمنهم من يشهده في الأشياء ومنهم قبلها ومنهم بعدها ومنهم معها ومنهم من يشهده عينها على اختلاف مقامات كثيرة فيها يعلمها أهل طريق الله أصحاب الذوق والشرب ومنها حضرة المكاملة ومنها حضرة الكلام ومنها حضرة السماع ومنها حضرة التعليم ومنها حضرة التكوين وغير ذلك فإنها كثيرة لا يتسع هذا التصنيف لذكرها فحضرة المكاملة من خصائص هذا المنزل فمن عدل عنها فقد حرم ما يتضمنه من المعارف الإلهية والألتذاذ بالمحاذة الربانية وكان ممن قيل فيه ما يأتيهم من ذكر من ربه ومن الرحمن على حسب التحلي محدث ألا كانوا عنه معرضين وهي طائفة معينة وأخرى أستمعوه وهم يلعبون فأهل طريقنا لم يشتغلوا عند ورود هذا الكلام بما يليهم عما يتضمنه من الفوائد فإن أقتضى جواباً أجابوا ربه وإن اقتضى غير ذلك بادروا إلى فعل ما يقتضيه ذلك الخطاب وهم يسارقون النظر في تلك الحالة إلى المتكلم لتقر أعينهم بذلك كما تنعمت نفوسهم من حيث السماع غير أنهم لا يتحققون بالنظر في هذه الحال لمعرفةهم بأن مراد الحق فيهم الفهم عنه فيما يكلمهم به فيخافون من النظر مع شوقهم أن يفنيهم عن الذي طولوا به من الفهم فيكونون ممن آثروا حظوظ نفوسهم على ما أراده الحق منهم فهم في كلا الحالتين عبيد فقراء غير أن الأدب في كل حضرة من هذه الحضرات الوفاء بما تستحقه الحضرة التي يقام

العبد فيها ولطلوبه حضرة أخرى هي عنه في الكلام وهو الترجمان قال تعالى "فأجره حتى يسمع كلام الله" يريد على لسان الترجمان الذي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعت بعض الشيوخ يقول مادام في بشريته فالكلام له من وراء حجاب ولكن إذا خرج عن بشريته ارتفع الحجاب وهذا الشيخ هو عبد العزيز بن أبي بكر المهدي المعروف بابن الكره سمعته منه بمثله بتونس رحمه الله فأصاب فيه وأخطأ فأما أصابته فإثباته وتقريره للكلام من وراء الحجاب وإنه لم يجمع بينه وبين المشاهدة وأما خطؤه فقوله ارتفع الحجاب ولم يقيد وإنما يقال ارتفع حجاب بشريته ولا شك أن خلف حجاب بشريته حجباً آخر فقد يرتفع حجاب البشرية ويقع الكلام من الله لهذا العبد خلف حجاب آخر أعلاها من الحجب وأقربها إلى الله وأبعدها من المخلوق المظاهر الإلهية التي يقع فيها التجلي إذا كانت محدودة معتادة المشاهدة كظهور الملك في صورة رجل فيكلمه على الاعتدال للعادة والحد وقد تجلى له وقد سد الأفق فغشى عليه لعدم المعتاد وإن وجد الحد فكيف بمن لم ير حداً ولا اعتاد فقد تكون المظاهر غير محدودة ولا معتادة وقد تكون محدودة لا معتادة وقد تكون محدودة معتادة وتختلف أحوال المشاهدين في كل حضرة منها فمن عدل عن حضرة المكاملة فقد لحق بأهل الخسران وإن سعد ولكن بعد شقاء عظيم وإن من الناس من أصحاب الدعاوى في هذه الطريقة الذين قال الله فيهم "وقد خاب من دساها" حين أفلح من زكاها فيزعمون أنهم يكلمون الله في خلقه ويسمعون منه في خلقه وهو في نفسه مع نفسه ما عنده خبر من ربه لأنه لا يعرف ولا يعرف كيف يسمع منه ولا ما يسمع منه فأصحاب الدعاوى في هذه الطريقة كالمنافقين في المسلمين فإنهم شاركوهم في الصورة الظاهرة وبانوا بالبواطن فهم معهم لا معه فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله وهو والله من عنده ولكن من غير الوجه الذي يزعمون ولهذا شقوا بما قالوه وإن كانوا لا يعتقدونه وسعد الآخر بقوله أنه من عند الله واعتقاده ذلك على غير الوجه الذي يعطي الشقاء فالقول واحد والحكم مختلف فسبحان من أخفى علمه عن قوم وأطلع

عليه آخريين لا إله إلا هو العزيز الحكيم ولا يكون الأمر إلا هكذا فإنه هكذا وقع ولا يقع إلا ما علم أنه يقع كذا فإنه في نفس الأمر كذا لا يجوز خلافه وهنا عقدة لا يحلها إلا الكشف الإختصاصي لا تحلها العبارة وإذا فهمت هذا فاعلم أنه من آخر فصول هذا المتزل التعاون على البر والتقوى فإنه يكون عنه علم شريف يتعلق بمعرفة الأسباب الموضوعية في العالم وإن رفعها عيناً لا يصح إذا كان السبب علة فإن لم يكن علة فقد يصح رفع عينه مع بقاء لازمه لكن لا من حيث هو لازم له بل من حيث عين اللزم فهو لما هو لازم له على الطريقة المختصة لا يرتفع وهو من حيث عينه وإن كان لازماً لغيره فيكون أثره لعينه فيوجد حكمه لعينه ففي الأسباب التي ترفع ويوجد اللازم يفعل لعينه كالغذاء المعتاد على الطريقة المختصة به يلازمه الشبع بالأكل منه وقد يكون الشبع من غير غذاء ولا أكل ومثل السبب العلي وجود اتصاف الذات بكونها شابعة لوجود الشبع فلو رفعت الشبع ارتفع كونه شابعاً فمن الأسباب ما يصح رفعها وما لا يصح وتقرير الكل في مكانه وعلى حده على ما قرره واضعه هو الأولى بالأكابر وينفصلون عن العامة بالإعتماد فلا اعتماد للأكابر في شئ من الأشياء إذا وصفوا بالإعتماد الأعلى الله فمن منع وجود الأسباب فقد منع ما قرر الحق وجوده فيلحق به الذم عند الطائفة العالية وهو نقص في المقام كمال في الحال محمود في السلوك مذموم في الغاية والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الثامن والسبعون ومائتان في معرفة منزل الإلفة وأسراره

من المقام الموسوي والمحمدي

غير موجود على صورته

نازلاً فيه على سورتته

جارياً فيه على سيرته

فلهذا زاد في سورتته

أن ذاك النهي من غيرته

مطلقاً نزه عن حيرته

منزل الإلفة لا يدخله

فتراه عند ما تبصره

حاكماً فيه بما يعلمه

فاصطفاه الحق مرآة له

فنهاه الله اعلماً له

عندما حجر ما كان له

أكل المنهى عنه فبدت = رتبة الأكل في عورته

زلة جاءتته من جبرته

فدرى حين رآها أنها

لا يتألف اثنان إلا لمناسبة بينهما فمتزلة الإلفة هي النسبة الجامعة بين الحق والخلق وهي الصورة التي خلق عليها الإنسان ولذلك لم يدع أحد من خلق الله الألوهية إلا الإنسان ومن سواه دعيت فيه وما ادعاهما قال فرعون أنا ربكم الأعلى وما في خلق من يملك سوى الإنسان وما سوى الإنسان من ملك وغيره لا يملك شيئاً يقول تعالى في اثبات الملك للإنسان أو ما ملكت أيماكم وما ثم موجود من يقر له العبودية إلا الإنسان فيقال هذا عبد فلان ولهذا شرع الله له العتق ورغبة فيه وجعل له ولاء العبد المعتق إذا مات

عن غير وارث كما أن الورث لله من عباده قال تعالى: إنا نحن نرث الأرض ومن عليها" وما ثم موجود يقبل التسمية بجميع الاسماء الإلهية إلا الإنسان وقد ناب إلى التخلق بها ولهذا أعطى الخلافة والنيابة وعلم الاسماء كلها وكان آخر نشأة في العالم جامعة لحقائق العالم مما اختص بها ملكه كله وصورته ومن نشأته أيضاً الطبيعة القائمة من الأربع الطبائع مع القوة الناطقة التي اختص بها في طبيعته دون غيره مما خلق من الطبيعة كالصورة الإلهية القائمة على أربع الذي لا يعطي الدليل العقلي غيرها وهي الحياة والعلم والقدرة والإدارة فبهذه صح إيجاد العالم له كان هوأ لها بها إذ لو جرد عن هذه النسب لما كان إلهاً للعالم وهو المثل المقرر في القرآن الذي لا يماثل في قوله تعالى "ليس كمثله شئ" أي ليس مثل مثله شئ فأثبت المثلية له بالإنسان تزيهاً له تعالى أي إذا كان المثل المفروض لا يماثل فهو تعالى أبعد وأنزّه أن يماثل وفي السنة خلق آدم على صورته ونفى بهذه الآية أن يماثل هذا المثل وجعل له غيباً وشهادة ولما كان الإنسان بهذه المثابة كانت الألفة بينه وبين ربه فأحبه وأحبه ولهذا ورد أن السماء والأرض يعني العلو والسفل ما وسعه ووسعه قلب العبد المؤمن التقي الورع وهذا من صفة الإنسان لا من صفة الملك هذا وإن شورك الإنسان في كل ما ذكرناه إلا أن الإنسان امتاز عن الكل بالمجموع وبالصورة فاعلم هذا فلا يصح العبودية المحضة التي لا يشوبها ربوبية أصلاً إلا للإنسان الكامل وحده ولا تصح ربوبية أصلاً لا تشوبها عبودية بوجه من الوجوه إلا الله تعالى فالإنسان على صورة الحق من التثنية والتقديس عن الشوب في حقيقته فهو المألوه المطلق والحق سبحانه هو الإله المطلق وأعني بهذا كله الإنسان الكامل وما ينفصل الإنسان الكامل عن غير الكامل إلا برقطة واحدة وهي أن لا يشوب عبوديته ربوبيته أصلاً ولما كان للإنسان الكامل هذا المنصب العالي كان العين المقصود من العالم وحده وظهر هذا الكمال في آدم عليه السلام في قوله تعالى "وعلم آدم الاسماء كلها" فأكدتها بالكل وهي لفظة تقتضي الإحاطة فشهد له الحق بذلك كما ظهر هذا الكمال في محمد صلى الله عليه وسلم أيضاً بقوله فعلمت علم الأولين والآخرين فدخل علم آدم في علمه فإنه من الأولين وما جاء بالآخرين إلا لرفع الإحتمال الواقع عند السامع إذا لم يعرف ما أشرنا إليه من ذلك وهو صلى الله عليه وسلم قد أوتى جوامع الكلم بشهادته لنفسه واختلف أصحابنا في أي المقامين أعلى من شهد له الحق أو من شهد لنفسه بالحق كيحيى وعيسى عليهما فأما مذهبنا في ذلك فإن الشاهد لنفسه الصادق في شهادته أتم وأعلى وأحق لأنه ما شهد لنفسه إلا عن ذوق محقق بكماله فيما شهد لنفسه به مرتفعة شهادته تلم عن الإحتمال في الحال فقد فضل على من شهد له برفع الإحتمال والذوق المحقق فهذا المقام أعلى وليس من شأن المنصف الأجيال العالم بطريق الله أن يتكلم في تفاضل الرجال وإن علم ذلك فيمنعه الأدب فلهذا قلنا الأجيال وإنما يتكلم في تفاضل المقامات فيخرج عن العهدة في ذلك ويسلم له الحال عن المطالبة فيه إذ كانت المقامات ليس لها طلب وكان الطلب للموصوفين بها فالأديب حاله ما ذكرناه وهذا الذي ذكرناه كله يشهده من حصل في هذا المنزل وله من الحروف ألفة اللام بالألف وهو أول حرف مركب من الحروف فوحده الشكل فلم يعرف الألف من اللام فألحق بالمفردات فكأهما حرف واحد لما تعذر الانفصال ولم يتميز شكل اللام فيه من شكل الألف فلم يدركه البصر فإن قيل أن السمع يدركه بقوله لا فيعلم أن اللام تحتل الحركة والألف لا تحتل الحركة فلم يتمكن النطق بالألف فينطق باللام مشبعة الحركة لظهور الألف ليعلم أنه أراد لام الألف لا لام غيره

من الحروف حتى يرقمه الراسم على صورته الخاصة به فلا تمتاز الألف من اللام لتمكن الألفة كذلك الإنسان إذا كان الحق سمعه وبصره كما ورد في الخبر يرتبط بالحق ارتباط اللام بالألف ولهذا تقدم في حروف شهادة التوحيد في لفظه لا إله إلا الله فنفي بحرف الألفة ألوهة كل إله أثبتته الجاهل المشكك لغير الله فنفي ذلك بحرف يتضمن العبد والرب فإنه يتضمن مدلوله اللام والألف كما قال

عليه السلام آمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر فشركما معه بنفسه في الايمان ولم يكونا حاضرين أو كانا عنهما فلما شهد الحق لنفسه بالتوحيد شهد عنه وعن عبده بذلك فأتى بحرف لام ألف ولهذا سمي لام ألف ولم يقل لام ألف بالتعريف فسمى باسم الحرفين لئلا يتخيل السامع إذا جاء به معروفاً أنه أراد الإضافة وما أراد هذا الحرف المعين فجرى مجرى رام هرمرز وبعليك ولم يجر مجرى عبد الله وعبد الرحمن ولهذا اختلف في موضع الأعراب من بعليك ورام وهرمرز وبلال أباد ولم يختلف في موضع الأعراب من عبد الله وعبد الرحمن لأن المسمى بذلك قصد به الإضافة ولا بد فمن أجرى هذه الاسماء مجرى الاسم المضاف جعل محل الأعراب آخر الاسم الأول ومن أجراه مجرى زيد جعل محل الأعراب آخر الاسم الثاني كذلك وقع الاختلاف في حرف لام ألف إذا وقع فيالخط في تعيين أي فخذ من هذا الحرف هو اللام وأي فخذ هو الألف واختلف مراعاة الناس في ذلك فمن قاس الخط على اللفظ كان اللام عنده الذي يبتدئ به الكاتب سواء كان الفخذ المتقدم في الترتيب أو المتأخر ومن لم يحمله على النطق به بقي على الخلاف وجعل له التخيير في ذلك فيجعل أي شئ أراد اللام من الفخذين وأي شئ أراد الألف إذ كان كل واحد منهما لى صورة الآخر للإلتفاف الذي أخرج اللام عن حقيقته كذلك الإنسان الكامل والحق في الصورة التي تتزلت منزلة الإلتفاف فإن نسبت الفعل إلى قدرة العبد كان لذلكوجه في الأخبار الإلهي نوإن نسبت الفعل إلى الله كان ذلك وجه في الأخبار الإلهي يوماً الأدلة العقلية فقد تعارضت عند العقلاء وإن كانت غير متعارضة في نفس الأمر ولكن عسر وتعذر على العقلاء تمييز الدليل من الشبهة وكذلك في الأخبار الإلهي يتعذر وكذلك فيحقيقة العبد بتعذر لتعلق الأمر به فلا يؤمر إلا من له قدرة على فعل ما يؤمر به تمكن من ترك ما ينهى عنه فيعسر نفى الفعل المنسوب إلى العبد إنما هو لله فقد تعارضا خبرا وعقلا وهذا موضع الحيرة وسبب وقوع الخلاف في هذه المسئلة بين العقلاء في نظرهم في أدلتهم وبين أهل الأخبار في أدلتهم ولا يعرف ذلك إلا أهل الكشف خاصة من أهل الله كون الإنسان على الصورة يطلب وجود الفعل له والتكليف يؤيده والحس يشهد له فهو أقوى في الدلالة ولا يقدح فيه رجوع كل ذلك إلى الله بحكم الأصل فإنه لا ينافي هذا التقرير ولهذا ضعفت حجة القائلين بالكسب لا من كونهم قالوا بالكسب فإن هؤلاء أيضاً يقولون به لأنه خبر شرعي وأمر عقلي يعلمه الإنسان من نفسه وإنما تضعف حجتهم في نفيهم الأثر عن القدرة الحادثة وبعد أن علمت هذا الفصل من منزل الألفة فلنشرع فيما يرجع إلى تحقيقه في غير هذا النمط مما يتضمنه على جهة الإفصاح عنه فاعلم أن هذا المنزل هو منزل سفر الأبدال السبعة المجتمعين المتألفين مع القبض الذي هم عليه بعضهم عن بعض وانكار بعضهم على بعض مع وجود الصفاء فيما بينهم ولهم سفران في باب المعرفة سفر منهم إلى الإله في مظهره وسفر آخر منهم أيضاً إلى الذات فسفرهم إلى الإله من ربوبيتهم وسفرهم إلى الذات من ذواتهم فإذا أرادوا السفر إلى الذات قصدوا اليمن وإذا أرادوا السفر إلى الإله قصدوا الشام وبلاد الشمال وأي جهة قصدوا فإن استعدادهم على السواء في القدر الذي يحتاجونه إليه وإن تنوع فإن الأغذية تتنوع بتنوع الجهات فلا يؤخذ من الزاد إلى كل جهة إلا ما يصلح مزاج المسافر إلى تلك الجهة لئلا يحول بينه وبين مقصده مرض للأهواء المختلفة في الجهات وأثرها في المزاج فلا بد أن يختلف الاستعداد هلة أن أقامتهم قليلة في السفيرين ويعودون إلى مواطنهم فإذا قصدوا اليمن لم يقصدوا فيه سوى أربعة وعشرين يوماً يحصلون فيها مرادهم ويرجعون إلى سنة أخرى وإذا قصدوا الشمال لم يقيموا فيه إلا ستة أيام يحصلون فيها مرادهم ويرجعون إلى سنة أخرى وسفرهم روحاني لا جسماني فأما العلوم التي يستفيدونها في سفرهم إلى

اليمن

فعلوم الإصطلام وعلم السباحات من وراء الحجب علم ذوق وأما العلوم التي يستفيدونها في سفرهم إلى الشمال فعلوم زيادات اليقين

بما يتحلى لهم وعلم العبودية والقبض وما نتيجته الخلوات علم ذوق وموطنهم الذي يستقرون فيه مكة فإن التزل في روحاً نيتها أتم التزل لأنها كما قال تعالى أم القرى وقال يجي إليه ثمرات كل شئ فعم وقال فيه رزقاً من لدنا فما أضافه إلى غيره فهي علوم وهب تحيا بها أرواحهم ولم يقل ذلك في غير مكة ولا تحصل هذه العلوم التي أشرنا إليها إلا لمن كان حاله الذلة والإفتقار ومقامه الجلال والقبض والهيبة والخوف فإذا كانت أوصاف العبد ما ذكرناه منحه الله العزة والغنى في حاله والجمال والبسط والإنس به والرجاء في غيره لا في نفسه فإنه في حق نفسه من ربه في أمان لأنه قد بشر كما قال لهم البشرى في الحياة الدنيا وبشارة الحق حق لا يدخلها نسخ فيؤمن بوجودها المكر ولكن إذا كان نصاً وفي هذا المنزل ذوق عجيب لا يكون في غيره وهو أنه إذا كنت في حال من الأحوال فإن الحق يهبك في تلك الحال علماً من ذلك الحال لا تخرج عنه مثل الذي ينتقل من العلم بالشئ إلى معانيه ذلك الشئ فلم يحصل له إلا مزيد وضوح في عين واحدة كذلك هذا المنزل وهو منزل من العلم الجمع بين الضدين وهو وجود الضد في عين ضده وهذا العلم أقوى علم تعلم به الوحداية لأنه يشاهد حالاً لا يمكن أن يجهله أن عين الضد هو نفسه عين ضده فيدرك الأحدية في الكثرة لا على طريقة أصحاب العدد فإن تلك طريقة منوهمة وهذا علم مشهود محقق وممن تبرز في هذا المنزل المبارك أبو سعيد الخراز من المتقدمين وكنت أسمع ذلك عنه حتى دخلته بنفسي وحصل لي ما حصل فعرفت أنه الحق وإن الناس في انكارها ذلك على حق فإنهم ينكرونه عقلاً وليس في قوة العقل من حيث نظره أكثر من هذا ومن أعطى ما في وسعه من حيث ما تقتضيه تلك الجهة فقد وفى الأمر حقه وهذا الذي استقر عليه قدمنا وثبت فلا ننكر على مدع ما يدعيه إلا الإنكار الذي أمرنا به فنكره شرعاً وهذا الإنكار حقيقة أيضاً لا نشهد إلا هيئة يجب الإنكار بها وفيها كما أنكارنا ذلك عقلاً فللشرع قوة لا يتعدى بها ما تعطيه حقيقتها كما فعلنا في العقل وللذوق قوة نعاملها به أيضاً كما علمنا سائر ما نسب إليه القوى بحسب قوته فنحن مع الوقت فننكر مع العقل ما ينكره العقل لأن وقتنا العقل ولا ننكره كشافاً ولا شرعاً وننكر مع الشرع ما ينكره الشرع لأن وقتنا الشرع ولا ننكره كشافاً ولا عقلاً وأما الكشف فلا ينكر شيئاً بل يقرر كل شئ في رتبته فمن كان وقته الكشف أنكر عليه ولم ينكر هو على أحد ومن كان وقته العقل أنكر وأنكر عليه ومن كان وقته الشرع أنكر وأنكر عليه فاعلم ذلك واعلم أن لهذا المنزل حالاً لا يكون لغيره وهو أنه يعطى تحصيل هوية الاسماء الإلهية وهذا خلاف ما تعطيه حقيقة الهو فإن الهو من حقيقته أنه لا يتحصل ولا يشاهد أبداً إلا في هذا المشهد والمنزل فإن عين الظاهر فيه هو بنفسه عين الباطن غير أن هوية الحق لا تدخل في هذا المنزل وإنما قلنا ذلك في هوية الاسماء الإلهية من كون هويتها لا من انانيتها واعلم أن هذا المنزل إذا دخلته تجتمع فيه مع جماعة من الرسل صلوات الله عليه فتستفيد من ذوقهم الخاص بهم علوماً لم تكن عندك فتكون لك كشافاً كما كانت لهم ذوقاً فيحصل في هذا المنزل وهو علم كشف لأنك تشهد بالعلامة لا تراه من نفسك لأنه ليس بذوق لك ويحصل لك منهم علم القدم وهو علم عزيز به يكون ثباتك على ما يحصل لك من الأسرار والعلوم بعد انفصالك عن الحضرات التي يحصل لك فيها ما يحصل فيها ما يحصل من العلم والأسرار فكثير من الناس من نسي ما شاهده فإذا حصل له هذا العلم من هذا النبي يثبت فيه ثبات الأنبياء ويحصل لك منهم أيضاً علم الشرائع في العالم ومن أين مأخذها وكيف أخذت ولماذا اختلفت في بعض الأحكام وفيما إذا اتفقت واجتمعت حتى أن صاحب هذا الكشف لو لم يكن مؤيداً في كشفه لا داعي النبوة ولكن الله أيد أوليائه وعصمهم عن الغلط في دعوى ما ليس لهم لخروجهم عنحفظ نفوسهم عند الخلق لكنهم لا يخرجون عن حظوظها عند الحق ولا يصح أن يطلب الحق للحق وإنما يطلب الفائدة الطلب التحصيل للمطلوب والحق لا يحصل لأحد فلا يصح أن يكون مطلوباً بالعالم فلم يبق إلا الحظ ومن هذا العلم يداوي العيشاق إذا أفرطت فيهم المحبة من

الحضرة يستخرج لهم دواء الراحة مما هم فيه من العذاب الذي يعطيه العشق من القلق والكمد والإنزعاج ويحصل من مشاهدة هؤلاء الأنبياء أيضاً علم ما يحتاج إليه نواب الحق في عبادته من الرحمة والقهر والشدة واللين وما يعاملون به الخلق وما يعاملون به الحق وما يعاملون به أنفسهم إذا كانوا نواباً فيستفيد هذا كله وإن لم يحصل له درجة النيابة في العامة ولكنه نائب الله في عالمه الخاص به الذي هو نفسه وأهله وولده أن كان ذا أهل ولد ويحصل له منهم السر الذي به يحيي الجاهل من موت جهله وما يحيي الله به الموتى فإنه راجع إلى منزل الألفة لأن الحياة للشئ إنما تكون لتألفها به ونظرها إليه من إسمه الحي الذي ليس عن تأليف ويحصل أيضاً علم الخلق التام في قوله مخلقة ولا يحصل له في هذا المنزل علم غير المخلقة وإنما يحصل ذلك لمن حصل من منزل آخر وفي هذا المنزل يعلم من هؤلاء الأنبياء العلم التصوري وهو العلم بالمفردات التي لم تتركب ومن هذا المنزل تلبس المعاني الصور فيصور المسائل العالم في نفسه ثم يبرزها إلى المتعلمين في أحس صورة وهي المخلقة فإن أخطأ فمن غير هذا المنزل ومن هذا المنزل يعلم سبب العشق الحاصل في العاشق ما هو وما الرابطة بين العاشق والمعشوق حتى إلتف به على الإختصاص دون غيره ولماذا يراه في عينه أجمل ممن هو أجمل منه في علمه ولماذا يكون تحت سلطان المعشوق وإن كان عبده ولماذا ينتقل الحكم على السيد للعبد إذا كان معشوقاً له فيكون تحت أمره ونهي لا يقدر في نفسه أن يتصور مخالفته فيما يأمره به عبده وكيف انتقلت السيادة إليه وانتقلت العبودية إلى الآخر السيد ظاهرة الحكم بالتصرف فيه ولماذا يتخيل أنه يراه أعظم عنده من نفسه وإن سعادته في عبوديته وذلته بين يديه مع أنه يحب الرياسة بالطبع ولماذا أثر في طبعه وتبين له قوة الأرواح على الطبع وإن العشق روحاني فردّه إلى ما تقتضيه حقيقة الروح فإن الروح لا رياسة عنده في نفسه ولا يقبل الوصف بما ويعلم هل ينقسم العشق إلى طبع وروح أو هو من خصائص الروح أو هو من خصائص الروح أو هو من خصائص الطبع لوجوده من الحيوان والنبات ويعلم لماذا كان العشق من الإنسان لجارية أو غلام بحيث أن يفنى فيه ويكون بهذه المثابة التي ذكرناها ولا يستفرغ مثل هذا الاستفراغ في محبة الحق وحده دون ما ذكرناه ويعلم هل محبته للحق جزئية أم كلية ومعنى ذلك أنه هل أحبه ب كله من حيث طبعه وروحه أو من حيث روحه فقط لأن الحب الطبيعي لا يليق أن يتعلق من الحب بذلك الجناب وهل لذلك الجناب مظهر يمكن أن يتعلق به الحب الطبيعي أم لا كل ذلك من خصائص علم هذا المنزل ومما يستفيد من علوم هذا المنزل علم الزمان ولماذا يرجع هل لأمر وجودي أو لأمر عديمي وهل الليل والنهار زمان أو دليل على أن ثم زمانا وهل حدث الليل والنهار في زمان ومن هذا المنزل يعلم ترتيب إلهياً كل الموضوعية لاستئزال الأرواح وصورها وأشكالها وبنائها وما ينقش عليها وما ينفعل عنها وكم مدتها بعد معرفته هل لها مدة أم لا ويعلم علم الحروف والنجوم من حيث خصائصها وطبائعها وتأثيراتها التي فطرها الله عليها وفيمن تؤثر وبماذا تحتجب عن تأثيرها وإذا قيدت بمماذا يطلق من قيده عن تقييدها وإذا أطلق بمماذا يقيد من إطلاقه ويعلم من هذا المنزل ما أردناه بقولنا

فالناس ما بين متروك ومألوف

الحق ما بين مجهول ومعروف

فالحال ما بين مقبول ومصرف

والشأن ما بين وصاف وموصوف

فهذا بعض ما يحويه هذا المنزل وهو كثير والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب التاسع والسبعون ومائتان في معرفة منزل الإعتبار وأسراره

من المقام المحمدي

لدينا وعند الغير ذلك جائز

وكيف يرى في الفعل والعبد عاجز

ومن قائل الحق في المنع ناجز

ولا ينجلي إلا لمن هو فائز

تجليه في الأفعال ليس بممكن

ويحتج في ذاك الجواز بفعله

فمن قائل الحق في الكون ظاهر

وتحقيق هذا الأمر عجز وحيرة

اعلم أن التجلي الذاتي ممنوع بلا خلاف بين أهل الحقائق في غير مظهر والتجلي في المظاهر وهو التجلي في صور المعتقدات كائن بلا خلاف والتجلي في المعقولات كائن بلا خلاف وهما تجلي الإعتبارات لأن هذه المظاهر سواء كانت صور المعقولات أو صور المعتقدات فإنها جسور يعبر عليها بالعلم أي يعلم أن وراء هذه الصور أمر ألا يصح أن يشهد ولا أن يعلم وليس وراء ذلك المعلوم الذي لا يشهد ولا يعلم حقيقة ما يعلم أصلاً وأما التجلي في الأفعال أعني نسبة ظهور الكائنات والمظاهر عن الذات التي تتكون عنها الكائنات وتظهر عنها الماهر وهو قوله تعالى وا أشهدهم خلق السموات والأرض فالحق سبحانه قرر في اعتقادات قوم وقوع ذلك وقرر في اعتقادات قوم منع وقوع ذلك وهو سبحانه قد ذكرنا أنه يتجلي في صور المعتقدات فمن عرف أن أفعال نفسه وغيره مخلوقة لله مع أنه يشاهدها عن قدرته ويعلم أنها عن القدرة الإلهية مع أنه لا يشهد تعلق قدرته أو قدرته غيره بمقدوره حالة إيجادها وإبرازها من العدم إلى الوجود يمنع أن يتجلي الحق في الأفعال إلا على حد ما وقع هنا فمنع وقوع هذا التجلي ومن عرف أن أفعال نفسه مخلوقة له لا للقدرة القديمة مع أنه أيضاً لا يعرفها مشاهدة إلا حال وجودها ولا يرى صاحب هذا الإعتقاد إذا انصف تعلق قدرته بإيجادها وإنما يشهد تعلق الجارحة بالحركة القائمة قال بوقوع هذا التجلي ففيه خلاف بين أهل هذا الشأن لا يرتفع دنيا ولا آخرة غير أن الدنيا تقتضي بحالها أن يتنازعا في هذا الأمر وغيره وفي الجنة لأنزاع في ذلك لأن كل واحد قد قرره الحق على اعتقاده وأبقى عليه وهمه في تلك الدارانه متجل له في أفعاله وأبقى على الآخر علمه أنه لايتجلي في أفعاله مع حصول تجلي من أبقى عليه وهمه لمن أبقى علمه عليه بالمنع فصاحب المنع يشاهد من الحق ما يشاهده من يقول بوقوع التجلي في الأفعال فيعرف ما يشهد في ذلك التجلي كما يعرف هنا من يعقل معقولاته الصادرة عنه وذلك الآخر لا يعلم من الله هذا الذي يعلمه من يقول بالمنع فحصل من هذا أن الأمر مشكل فهو سبحانه المثبت لذلك والنافي له فيما خاطبنا به هنا في كتبه وعلى السنة وسله وقرره في أفكار النظر لتأخذه العقول على حد ما قرره في الأفكار من المنع لذلك أو وقوعه وهذا الحجاب لا يرتفع أبداً والتكليف محقق من حيث أن الأفعال مكتسبة بلا خلاف بين الطائفتين وإنما الخلاف في الإيجاد عن أي القدرتين كان قال تعالى ؤتينا لكم كيف فعلنا بهم وهو أقوى حجة للقائلين بالوقوع وهو أقوى حجة للقائلين بالمنع ألم تر إلى ربك كيف مد الظل فقرن الرؤية بالي وجعل المرئي الكيف فيقول صاحب المنع لما لم نشهد هنا ذات الحق وهو يكيف مد الظل ولا رأيناه وإنما رأينا مد الظلال عن الأشخاص الكثيفة التي تحجب الأنوار أن تنبسط على الأماكن التي تمتد فيها ظلال هذه الأشخاص علمنا أن الرؤية في هذا الخطاب إنما متعلقها العلم بالكيف المشهود الذي ذكرناه وإن ذلك من الله سبحانه لا من غيره أي أنه لو أراد أن تكون الأشخاص الكثيفة منصوبة والأنوار في جهة منها بمنع تلك الأشخاص انبساط النور على تلك الأماكن فيسمى منعها ظلالاً أو يقبض تلك الظلال عن الإنبساط على تلك

الأماكن ولا يخلق فيها نوراً آخر ولا ينبسط ذلك النور المحجوب على تلك الأماكن لما قصرت ارادته عن ذلك كما قال تعالى ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً وهو رجوع الظل إلى الشخص الممتد منه ببروز النور حتى يشهد ذلك المكان فجعل المقبوض إنما كان قبضة إلى الله لا إلى الجدار وفي الشاهد وما تراه العين أن سبب انقباض الظل وتشميره إلى جهة الشخص الكتيب إنما هو بروز النور فما في المسائل الإلهية ما تقع فيها الحيرة أكثر ولا أعظم من مسألة الأفعال ولا سيما في تعلق الحمد والذم بأفعال المخلوقين فيخرجها ذلك التعلق أن تكون أفعال المخلوقين لغير المخلوقين حال ظهورها عنهم وأفعال الله كلها حسنة ي مذهب المخالف الذي ينفي الفعل عن المخلوق ويثبت الذم للفعل بلا خلاف ولا شك عنده في تعلق الذم بذلك الفعل من الله وسببه الكشف لما وقع مخالفاً لحمد الله فيهما أموراً كان يفعلها فلم يفعله أو منهيّاً عن فعله وهذا فيه وما فيه وفي مثل هذه المسائل قلت

حيرة من حيرة صدرت

ليت شعري ثم من لا يحار

أنا أن قلت أنا قال لا

وهو ان قال أنا لا يعار

أنا مجبور ولا فعل لي

والذي أفعله باضطرار

والذي أسند فعلى له

ليس في أفعاله بالخيار

فإننا وهو على نقطة

ثبتت ليس لها من قرار

فقد أوقفناك بما ذكرناه في هذا الباب على ما يزيدك حيرة فيه وبعد أن ذكرنا ما ذكرنا فاعلم أن هذا المتزل هو على الحقيقة متزل حيرة ومقام وغيره ومن علوم هذا المتزل وهو داخل في باب الحيرة اتصاف العدم بالكونية وهي تقتضيه واتصاف الحق بجعل الموجودات في العدم وخلق العدم بحيث أن يقال فعل الفاعل لا شيء ولا شيء لا يكون فعلاً وقد نسب الحق إليه فقال أي يشأ يذهبكم أن يلحقكم بالعدم ويأت بخلق جديد فإنظر كيف أضاف الإلحاق بالعدم إلى المشيئة ولم يضيفه إلى القدرة التي يقع الخلق والجعل بها والكتب الإلهية من هذا مشحونة ويحتوي عليها هذا المتزل والصحيح في ذلك أن الموجودات إذا كانت كما قد ذكرنا لها أعيان ثابتة حال اتصافها بالعدم الذي هو للممكن لا للمحال فكما أبرزها للوجود وألبسها حاله وعراها عن حال العدم فيسمى بذلك موجوداً وتسمى هذه العين موجودة لا يبعد أن يردّها إلى ما منه خرجها وهي حالة العدم فيتصف الحق بأنه معدم لها وتتصف هي بأنها معدومة ولا يتعرض إلى العلم بأية صفة حصل ذلك فإن سئلنا ألحقنا حصول الأمرين والحالتين بالمشيئة ويسلم ذلك الخصمان وإذا سئلنا عن إلحاق تلك العين بالوجود نسبنا ذلك إلى القدرة والشيئة ويسلم الخصمان لنا ذلك فإذا فهمت ما أردناه فألحق الكل بالمشيئة وهو الأولى والأوجه حتى تسلم من النزاع في صنف الخبر من ذلك حتى لا يتصور نزاع فيه من جميع الطوائف ومن هذا الباب ذهب الله بنورهم أي أزاله عن أبصارهم ولكن لا يلزم من ذهابه عن أبصارهم إلحاقه بالعدم لولا أن المفهوم منه أن الله أعدم النور من أبصارهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ومن علوم هذا المتزل بعث الحق تعالى الجماعة لأمر يقوم به الواحد منهم أعني من تلك الجماعة ومن علوم هذا المتزل وجود العلم عن النظرة والضربة والرمية وكيف تقوم هذه الأمور مقام كلام العالم للمتعلم وذوقنا من هذا الفن ذوق النظرة فاعلم أنه كما يتضمن النظر بنور الشمس جميع المراتب على كثرتها وبعدها في غير زمان

مطول بل عين زمان اللحظة زمان بسط النور على المبصرات عين زمان ادراك البصر لها عين زمان تعلق العلم بما أدركه البصر من غير ترتيب زمني ولا امتداد وإن كان الترتيب معقولاً مثل ترتيب العلة والمعلول مع تساقفهما في الوجود كذلك اللحظة أو الضربة أو الرمية تتضمن العلوم التي أودع الله فيها فإذا وقعت من الضارب أو الرامي أو لاحظ أدك من العلم جميع ما في قوة تلك الضربة مثل ما أعطت اللحظة بنور الشمس جميع ما في تلك اللحظة من المبصرات وليس القصور من الضربة وغيرها فإنها تتضمن ما لا نهاية له من العلوم كما تشرق الشمس على أكثر مما يدركه البصر وإنما القصور في قلب المدرك مثل القصور في المبصر عن ادراك جميع ما أشرقت عليه الشمس وهذا كله في آن واحد أن كان المدرك ممن يتقيد بالزمان كالأرواح التي لا تتصف بالتحيز فتدرك ما تدركه في غير زمان مما يدرك في زمان وفي غير زمان ولهذا الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم أن الحق ضربه بيده بين كتفيه أو في ظهره فوجد برد الأنامل بين ثديه أو في صدره فعلم علم الأولين والآخرين فسبحان معلم من شاء بما شاء كيف شاء لا إله إلا هو العليم القدير وكذلك من هذا الباب لما رمى التراب في وجوه الأعداء يوم حنين فأصاب عيون القوم فأنهزموا فأنظر ما تضمنته تلك الرمية وما تضمنته تلك الشربة وأما لنظره فما رويتها عن أحد ولا سمعتها عن أحد ولا سمعتها عن أحد لكني رأيتها من نفسي نظرت نظرة فعلت ما تضمنته من العلوم وأعطيت نظرة فنظرت بما فعلت بما من نظرت إليه مع ما تضمنته تلك النظرة من العلوم وهذا هو علم الأذواق ومن هنا يعلم قول من قال يسمع بما به يبصر بما به يتكلم هذا مضى وأما فائدة ما يقوم به الواحد بما تبعث به الجماعة فلا أنعام الإلهي بتلك الجماعة وعناية الحق بهم حيث جعل لهم نصيباً في ذلك الخير لا لقصور القدرة عن ابلاغ الواحد ذلك الأمر دون الجماعة إلا أن تكون حقائق النسب فإن ذلك ترتيب حقيقي لا وضعي كتقدم الحي على العالم ودخول المريد تحت إحاطة العالم ودخول القادر تحت إحاطة المريد فلا يقوم المريد بما يختص به القادر ولا يقوم العالم بما يختص به المريد ولا يقوم به العالم ولا يقوم بما يختص به العالم ولا يقوم به الحي ولا يقوم المريد بما يختص به العالم ولا يقوم به القادر

القادر بما يختص به المريد وعين العالم عين المريد عين القادر وكذلك ما بقي فالنسب مختلفة والعين واحدة والمعلوم صفة وحال وموصوف فالجمع في عين العالم عين الوحدة مندرج حكماً لا عيناً فإنه ما ثم أعيان موجودة لهذا المجموع وإنما هي عين واحدة لها نسب مختلفة تبلغ ما بلغت فهذا هو السريان الوجودي في الموجودات فهذا من قيام الواحد بما تقوم به الجماعة بين موجود ومعقول فهذا المتزل يتضمن ما ذكرناه ومن علوم هذا المتزل معرفة استحالات العناصر والمولدات بعضها إلى بعض بنسبة رابطة بين المستحيل والمستحال إليه فإن ارتفعت تلك النسبة الرابطة لم يستحيل شئ إلى شئ فإنه منافر له من جميع الوجوه ولهذا كانت النسبة بين الرب والمربوبية موجودة وبها كان باله ولم يكن بين المربوب وذات الرب نسبة فلهذا لم يكن عن الذات شئ كما تقول أصحاب العلل والمعلولات فلا تتوجه الذات على إيجاد الأشياء من كونها ذات الأشياء من نسبة القدرة إليها وعدم المانع وذلك مسمى الألوهة كذلك الطبائع رتبها الله ترتيباً عجيباً لأجل الإستحالات فجعل عنصر النار يليه الهواء وعنصر الهواء يليه الماء وعنصر الماء يليه التراب فبين الماء والنار ومنافرة طبيعية من جميع الوجوه وبين الهواء والتراب منافرة من جميع الوجوه طبيعية فجعل بينهما الوسائط لكونها ذات وجهين لكل واحد مما يلي الطرفين مناسبة خاصة فإذا أراد الحق أن يحيل الماء نارا وهو منافر طبعاً أحاله أو لا هواء ثم أحال ذلك الهواء ماراً فما أحال الماء نارا حتى نقله إلى الهواء من أجل التناسب وكذلك جميع الاستحالات كلها في عالم الطبيعة وأما في الإلهيات فقد أشرنا إليه في هذه المسئلة وفي هذا الكتاب في وصف ذات الخلق بصفة ذات الخالق ووصف ذات الخالق بصفة ذات المخلوق ثم تجرد ذات الخالق عما تقتضيه ذات المخلوق وتجرد ذات المخلوق عما تقتضيه ذات الخالق فلولا النسبة الموجودة بين

الرب والمربوب ما دل عليه ولا قبل الأتصاف بصفته لا هذا ولا هذا وبتلك النسبة كان الحق مكلفاً عباده وأمرأً وناهياً وبها بعينها كان الخلق مكلفاً مأموراً منهاً فحقق ما نبهناك عليه أن كنت ذا قلب وألقيت السمع وأنت شهيد لما ذكرناه فإن لم تكن كذلك فأتك خير كثير وعلم نافع جليل القدر لكنه عظيم الخطر ألا أن يعصم الله ومكر إلهي خفي في هذا المتزل صدر عن الاسم القاهر والقادر موجود من عالم الغيب في عالم الحس بيده حسام القهر صلتا يطلب به موجوداً تعلق باسم رحمني مثل طلب موسى فرعون وطلب نمر وذو فراعنة الأنبياء للأنبياء عليهم السلام كل ذلك صفات تقوم للعارف في ظاهره وباطنه يكشفها من نفسه فإذا صال رجال الاسم القاهر التجأ العارف إلى الاسم الباطن فشفع له عند القاهر فتبادر جماعة من الاسماء الإلهية من أجل الاسم الباطن تعظيماً له لقربه من الهو وقاموا معه بالاسم القائم على الاسم الظاهر لبعده منزلته من الهو فأقام لهم الاسم من عالم الغيب جماعة في عالم البرزخ فإنه أشد قوة في التأثير من عالم الحس فإنه يؤثر في عالم الحس ما يؤثره الحس والحس لا يقدر يؤثر في الخيال ألا ترى النائم يرى في الخيال أنه ينكح فيترل منه الماء في عالم الحس ويرى ما يفزعه فيتأثر لذلك جسم النائم بحركة أو صوت يصدر منه أو كلام مفهوم أو عرق لقوة سلطانه عليه ويظهر الخيال في صورة الحس ما ليس في نفسه بمحسوس ويلحقه بالحس وليس في قوة الحس أن يرد المحسوس بعينه متخيلاً فيحصل لهذا العارف علوم من عين تلك الجماعة البرزخية يطلع بها على معرفة تلك الشبهة القادحة في سعادته لو ثبتت ومات عليها ولا بد في هذا المتزل من هذه الشبهة وهذه الأدلة فصل وأعلم أنه ما من متزل من المنازل ولا منازل من المنازل ولا مقام من المقامات ولا حال من الحالات ألا وبينهما برزخ يوقف العبد فيه يسمى الموقف وهو الذي تكلم منه صاحب المواقف محمد بن عبد الجبار النفري رحمه الله في كتابه المسمى بالمواقف الذي يقول فيه أوقفني الحق في موقف كذا فذلك الاسم الذي يضيفه إليه هو المتزل الذي ينتقل إليه أو المقام أو الحال أو المنازلة ألا قوله أوقفني في موقف وراء المواقف فذلك الموقف مسمى بغير إسم ما ينتقل إليه وهو الموقف الذي لا يكون بعده ما يناسب الأول وهو عند ما يريد الحق أن ينقله من المقام إلى الحال ومن الحال إلى المقام ومن المقام

إلى المتزل ومن المتزل إلى المنازل أو من المنازل إلى المقام وفائدة هذه المواقف أن العبد إذا أراد الحق أن ينقله من شيء إلى شيء يوقفه ما بين ما ينتقل عنه وبين ما ينتقل إليه فيعطيه آداب ما ينتقل إليه ويعلمه كيف يتأدب بما يستحقه ذلك الأمر الذي يستقبله فإن للحق آداباً لكل متزل ومقام وحال ومنازلة أن لم يلزم الآداب الإلهية العبد فيها وألا طرد وهو أن يجري فيها على ما يريده الحق من الظهور بتجليه في ذلك الأمر أو الحضرة من الإنكار أو التعريف فيعامل الحق بآداب ما تستحقه وقد ورد الخبر الصحيح في ذلك في تجليه سبحانه في موطن التلبيس وهو يجليه في غير صور الاعتقادات في فلا يبقى أحد يقبله ولا يقربه بل يقولون إذا قال لهم أنار بكم نعوذ بالله منك فالعارف في ذلك المقام يعرفه غير أنه علم منه بما أعلمه أنه لا يريد أن يعرفه في تلك الحضرة من كان هنا مقيد المعرفة بصورة خاصة يعبد فيها فمن أدب العارف أن يوافقهم في الإنكار ولكن لا يتلفظ بما تلفظوا به من الاستعاذة منه فإنه يعرفه فإذا قال لهم الحق في تلك الحضرة عند تلك النظرة هل كان بينكم وبينه علامة تعرفونه بها فيقولون نعم فيتحول لهم سبحانه في تلك العلامة مع اختلاف العلامات فإذا رآوها وهي الصورة التي كانوا يعبدونه فيها حينئذ أعترفوا به ووافقهم العارف بذلك في أعترافهم أدباً منه مع الله وحقيقة وأقر له بما أقرت الجماعة فهذه فائدة علم المواقف وما ثم متزل ولا مقام كما قلنا ألا وبينهما موقف ألا متزلان أو حضرتان أو مقامان أو حالان أو منزلتان كيف شئت قل ليس بينهما موقف وسبب ذلك أنه أمر واحد غير أنه يتغير على السالك حاله فيه فيتخيل أنه قد انتقل إلى متزل آخر أو حضرة أخرى فيحار لكونه لم ير الحق أوقفه والتغيير عنده حاصل فلا

يدري هل ذلك التغير الذي ظهر فيه هل هو من انتقاله في المنزل أو انتقاله عنه فإن كان هنالك عارف بالأمر عرفه وإن لم يكن له استاذ بقي التلبس فإنه من شأن هذا الأمر أن لا يوقفه الحق كما فعل معه فيما فيما تقدم وكما يفعل معه فيما يستقبل فيخاف السالك من سوء الأدب في الحال الذي يظهر عليه هل يعامله بالأدب المتقدم أوله أدب آخر وهذا لمن أوقفه الحق من السالكين فإذا لم يوقفه الحق في موقف من هذه المواقف ولم يعطيه الفصل بين ما ينتقل إليه وعنه كان عنده الإنتقالات في نفس المنزل الذي هو فيه فإنه ما ثم عند صاحب هذا الذوق إلا أمر واحد فيه تكون الإنتقالات وهو كان حال المنذري صاحب المقامات وعليها بني كتابه المعروف بالمقامات وأوصلها إلى مائة مقام في مقام واحد وهو المحبة فمثل هذا لا يقف ولا يتحير ولكن يفوته علم جليل من العلم بالله وصفاته المختصة بما ينتقل إليه فلا يعرف المناسبات من جانب الحق إلى هذا المنزل فيكون علمه علم اجمال قد تضمنه الأمر الأول عند دخوله إلى هذه الحضرات ويكون علم صاحب المواقف علم تفصيل ولكن يعفى عنه ما يفوته من الأدب إذا لم تقع منه وتجهل فيه ولا يؤثر في حاله بل يعطي الأمور على ما ينبغي ولكن لا يتزل منزلة الواقف ولا يعرف ما فاته فيعرف الواقف وهو لا يعرف الواقف فلهذا المنزل الذي نحن فيه موقف يجهل لا بل يحار فيه صاحب المواقف لأن المناسبة بين ما يعطيه الموقف الخاص به وبين هذا المنزل بعيدة مما بنى المنزل عليه وكذلك الذي يأتي بعده غير أن النازل فيه وإن كان حائر فإنه يحصل له من الموقف في تلك الوقفة إذا ارتفعت المناسبة بين المنزل والوقفة أن المناسبة ترجع بين الوقفة والنازل فيعرف ما تستحقه الحضرة من الآداب مع ارتفاع المناسبة فيشكر الله على ذلك فصاحب المواقف متعوب لكنه عالم كبير والذي لا موقف له مستريح في سلوكه غير متعوب فيه وربما إذا اجتمع رأى من لا موقف له حال من له المواقف ينكر عليه ما يراه فيه من المشقة ويتخيل أنه دونه في المرتبة فيأخذ عليه في ذلك ويعتبه فيها ويقول له الطريق أهون من هذا الذي أنت عليه ويتشيع عليه وذلك لجهله بالمواقف وأما صاحب المواقف فلا يجهله ولا ينكر عليه ما عامله به من سوء الأدب ويحمله فيه ولا يعرفه بحاله ولا بمافاته من الطريق فإنه قد علم أن الله ما أراد به ذلك ولا أهله فيقبل كلامه وغايته أن يقول له يا أخي سلم إلى حالي كما سلمت إليك حالك ووتركه وهذا الذي نهيتك عليه من أنفع ما يكون في هذا الطريق

لما فيه من الحيرة والتلبس فافهم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الثمانون ومائتان في معرفة منزلي مالي وأسراره

من المقام الموسوى

قلت مالي فقال مالك عندي

لم خصصته بقولك عندي

كان ما تحت ملك عندك عندي

صح ما قلت أن عندك عندي

فلنقل نحن أن عندك عندي

وتعاليت أنت فالعند عندي

قلت ما لي فقال مالك عبيدي

قلت لما أضفته لي ملكاً

قال لما علمت أنك عندي

قلت أن كان عينك أني

وكما قلت أن عندك عندي

وهو أولى فإن ذاتي ظرف

هذا منزل عال ليس بينه وبين موقفه مناسبة فترجع المناسبة إلى الواقف كما كان في المنزل الذي قبله من هذا المنزل قال يعقوب عليه السلام لبنينه وما أغنى عنكم من الله من شيء أن الحكم إلا الله ومن هذا المنزل قال محمد صلى الله عليه وسلم وقد نزل عليه وأنذر عشيرتك الأقربين فوقف على الصفا وجاء الناس يهرعون إليه فقال لا كرم الناس عليه يا فاطمة بنت محمد أنظري لنفسك لا أعني عنك من الله شيئاً وقال مثل هذه المقالة لجميع الأقربين وكان عمه أبو لهب حاضراً فنفخ في يده وقال ما حصل بأيدينا مما قاله شيء وصدق أبو لهب فإنه ما نفعه الله بأنذاره ولا أدخل قلبه منه شيئاً لما أراد به من الشقاء فإنزل الله فيه "تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب" فإنه كان معتمداً على ماله فمن أعتمد على غير الله في أموره خسر والقائلون بالأسباب إذا أعتمدوا عليها وتركوا الاعتماد على الله لحقوا بالأخسرين أعمالاً وإذا أثبتوا الأسباب وأعتمدوا على الله ولم يتعدوا فيها منزلتها التي أنزلها الله فيها فأولئك الأكابر من رجال الله الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وأثبت لهم الحق الرجولة في هذا الوطن ومن شهد له الحق بأمر فهو على حق في دعواه إذا أدعاه ومن أثبت الأسباب بأثبات الحق وركن إليها ركون الطبع وأضطرب المزاج فذلك من خصائص الرجال الأكابر وأن لم يضطرب المزاج ولم يحس بالفقد فذلك حال الاعتماد على الله وهو مقام المتوسطين أصحاب الأحوال ومن هذا المنزل قيل للنبي صلى الله عليه وسلم في فتح مكة لما وقف بين يديه رجل ممن كان النبي صلى الله عليه وسلم يريد قتله فلما قضى حاجته منه وأنصرف قال النبي صلى الله عليه وسلم لم لم تقتلوه حين وقف بين يدي فقال له أصحابه هلا أو مات ألينا بطرفك فقال صلى الله عليه وسلم ما كان لنبي أن تكون له خائنة عين وهي حالة لا يسلم منها وغاية أن يسلم منها من سلم في الشر وأما في الخير فإنهم ربما أتخذوها في الخير طريقاً محموداً فيومي الكبير في حق الحاضر إلى بعض من يمثل أمره أن يجئ إليه بخلة أو بمال يهبه لذلك الحاضر يكون ذلك أيماء بالعين لا تصريحاً باللفظ من غير شعور من يومي في حقه بذلك الخير ولا يقع مثل هذا وأن كان خيراً من نبي وسببه أن لا تعتاده النفس فرما تستعمله في الشر لأستصحابها إياه في الخير أذ كانت النفس من طبعها أن تسترقها العادة وأما سميت خائنة عين لأن الأفصاح عما في النفس إنما هو لصفة الكلام ليس هو من صفة العين وأن كان في قوة العين الأفصاح بما في النفس بالأشارة ولكن إنما لها النظر والذي عندها من صفة الكلام إنما هو أمانة بيدها للكلام فإذا تصرفت في تلك الأمانة بالإيماء والأشارة لمن تومي إليه في أمر ما فقد خانت الكلام فيما أمنها عليه من ذلك فلماذا سميت خائنة الأعين فوصفت بالخيانة والخيانة التصرف في الأمانة فإن الأمانة ليست بملك لك وأنت مأمور بأدائها إلى أهلها فإذا اقتضى المنزل الأمر بخير وشر في حق شخص وفي قوة العين الأفصاح عن ذلك لمن يشير إليه به فعلمت أن ذلك صفة للكلام فلم تفعل وردت تلك الأمانة إلى اللسان فنطق فقد أدت هذه العين الأمانة إلى أهلها ولم تخن فيها قال تعالى يعلم خائنة الأعين أي يعلم أنها خيانة وكيف هي خيانة ولم يقل يعلم ما أشارت به الأعين وما أو مات فإن المشار إليه يعلم ذلك فلا يكون مدحاً ولكن لا يعلم كل أحد أنها خيانة ألا من أعلمه الله بذلك وقد أعلمنا بما فعلمنها فهي في الخير خيانة محمودة وفي الشر خيانة مذمومة وما زالت عن كونها خيانة في الحالين وبعد أن بينا لك هذا الأمر فتحفظ منها ما أستطعت أن تفعلها مع الحضور فإنك لست بمعصوم فاستعمل الحضور عسى تفوز بهذا المقام فإن قلت قد أشارت من شهد لها بالكمال ومنعت من الكلام وهي مريم إلى عيسى أن يسأله عن شأنه قلنا بعد ذلك نالت الكمال لا في ذلك الوقت ألا ترى زكريا قيل له "آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام ألا رمزا" والرمز ما يقع بالأشارة فإن الإشارة صريحة في الأمر المطلوب بل هي أقوى في التعريف من التلفظ باسم المشار إليه في مواطن يحتاج المتكلم فيها إلى قرينة حال حتى لو قال شخص

لآخر كلم زيدا بكذا وكذا وزيد حاضر أحتمل أن يفهم عنه السامع زيدا آخر غير هذا والمتكلم إنما أراد الحاضر فإذا ترك التلفظ باسمه وأشار إليه بيده

أو بعينه فقال كلم هذا مشيراً إليه كان أفصح وأبعد من الأبهام والنكر والحرف إنما هو لفظ مجمل يحتمل التوجيه فيه إلى أمور مثل ما رمز الشاعر في التعريف بالنار من غير أن يسميها فقال

وتأكل في المساء وفي الصباح

وهز في الحسام لدى الكفاح

وتغلب للصوارم والرماح

وتكشف ما خفي تحت الوشاح

فترجع حية عند الجراح

وطائرة تطير بلا جناح

وتمشي في الغصون لها صياح

تفر الأسد منها في الفيافي

وتجلس بين أفخاذ العذارى

إذا ماتت تجارح والداها

يريد بالوالدين الزناد فهذا هو الرمز في النار وقال الآخر في العين فأحسن

تفوق الطائرين وما تطير

وتنكر أن يلامسها الحرير

وطائرة تطير بلا جناح

إذا ما مسها الحجر أستكنت

يريد بالحجر الأئمة وأعلم أنه من أقام في نفسه معبوداً يعبد على الظن لا على القطع خانه ذلك الظن وما أغذى عنه من الله شيئاً قال تعالى أن الظن لا يغني من الحق شيئاً وقال في عبادهم أن يتبعون ألا الظن وما تهوى ألا نفس فما نسب إليهم قط أنهم عبدوا غير الله ألا على طريق الظن لا على جهة العلم فإن ذلك في نفس الأمر ليس بعلم فمن هنا تعلم أن العلم سبب النجاة وأن شقي في الطريق فالمال إلى النجاة فما أشرف مرتبة العلم ولهذا لم يأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يطلب من الله تعالى الزيادة من شيء ألا من العلم فقال له "وقل رب زدني علماً" فمن فهم ما أشرنا إليه علم أهل السعادة من أهل الشقاء ولم تؤثر فيه الأمور العرضية التي توجب الشقاء في الطريق فلو علم المشرك ما يستحقه الحق من نعوت الجلال لعلم أنه لا يستحق أن يشرك به ولو علم المشرك أن الذي جعله شريكاً لا يستحق أن يوصف بالشركة لله في الوهته لما أشرك فما أخذ ألا بالجهل من الطرفين قال تعالى "فلا تكن من الجاهلين" وقال "أني أعظك أن تكون من الجاهلين" فلو اقتصر المشرك على الشركة في الفعل لا في الألوهة لكان في الأمر سعة فإن إضافة الأفعال إلى المخلوقين فيه أشكال ويعذر صاحبه فيمن هو ذو فعل فإذا أضافوا الأفعال إلى من يعلمون أنه ليس بفاعل فبالجهل أخذوا وبه وقع التوبيخ فليلهم أتعبدون ما تنحتون وقال في حق ذي فعل وأضل فرعون قومه وما هدى فنسب الأضلال لفرعون وما نسبه إلى قومه فإنه عندهم ذو فعل وفي نفس الأمر كذلك وقوله وما هدى أي ما بين لهم طريق الحق فإنه موضع لبس لكونه ذا أفعال فلو كان المعبود جماداً ما وقع اللبس فإن قيل فإن أتخذوا ألهاً من له فعل بالخاصية من جماد ونبات أيعذرون قلنا لا يعذرون فإن خاصيته لا تكون سارية في كل شيء حتى تضاف إليه الأفعال كما تضاف إلى الله وبهذا القدر من الجهل أخذوا عبدة المخلوقين

ذوي الأفعال كفرعون وغيره فإن القدرة التي له لا تزيد على قدرة العابد إياه فهي قاصرة عن سريانها في جميع الأفعال فإن القدرة الحادثة لا تخلق المتحيزات من أعيان الجواهر والأجسام فعبدوا من لم يخلق أعيانهم ولهذا وبخهم بقوله تعالى "أفمن يخلق كمن لا يخلق

أفلا تذكرون" فإن قيل فإن أقدر أحد على جهة حرق العادة على خلق جوهر فعبده أحد لذلك هل يعذر أم لا قلنا لا يعذر فإنه يشهد أنه يقبل الحوادث ولا يخلو عنها وما لا يخلو عن الحوادث يستحيل أن يتقدمها على الجملة وإذا لم يتقدم الحوادث على الجملة كان حادثاً مثلها ومن شأن الأله أن يكون أقدم من كل ما يحدث على الجملة فلا بد أن يكون الحادث متأخراً عنه بأي نسبة كان من نسب التأخر فلما فاته هذا القدر من العلم وكان جاهلاً به لم يعذر وأخذ بذلك وأصله أنما كان الجهل بذلك فمن أستند إلى معبود موضوع فإنما أستند إليه بظنه لا بعلمه فلذلك أخذ به فشقي ألا أن يعطي الجهود من نفسه في نفي الشريك فلم يعط فكره ولا نظره ولا أجتهداه نفيه جملة واحدة ولم يبعث إليه رسول ولم تصل إليه دعوته فإن جماعة من أهل النظر قالوا يعذر من هذه حالته وهو مأجور في نفس الأمر مع أنه مخطئ وليس بصاحب ظن بل هو قاطع لا عالم والقطع على الشيء لا يلزم أن يكون عن علم وربما يستروح من قول الله تعالى ومن يدع مع الله أهلاً آخر لا برهان له به أن الله يعذره ولا شك أن المجتهد الذي أخطأ في أجتهداه في الأصول يقطع أنه على برهان فيما آداه إليه نظره وأن كان ليس ببرهان في نفس الأمر فقد يعذره الله تعالى لقطعه بذلك عن أجتهداه كما قطع الصاحب أنه رأى دحية وكان المرئي جبريل فهذا قاطع على غير علم فأجتهد فأخطأ فإنه غير ذاك لما نقصه من التقسيم فإنه لو قال أن لم يكن روحاً تجسدوا لا فهو دحية بلا شك فتدبر ما قررناه في مثل هذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم يقول في المجتهد إذا أجتهد فأصاب فله أجران وأن أخطأ فله أجر ولم يفصل بين الأجتهد في الأصول والفروع وقال تعالى "وكننا معذبين حتى نبعث رسولا" ويلحق بهذا الباب طوائف ممن أوجب أكثر العلماء عليهم العذاب وحكموا عليهم بالشقاء من غير دليل واضح يفيد العلم فإنزلوهم منازل الأشقياء بالظن والقطع على غير علم في نفس الأمر فالأله لا يكون بالحسبان فثبت بما ذكرناه أنه من ظن لم ينج من عذاب في الأله فإن قيل يقول الله "أنا عند ظن عبدي

بي" قلنا له هو مذهبن فإنه قال بي فقد أثبتته وما قال أنا عند ظن العبد بمن جعله أهلاً فمتعلق الظن كان عنده بالله فيما يظنه من سعادة أو شقاء فإنه عالم بالله صاحب ظن في مؤاخذته على الذنب أو العفو عنه وبعد أن تقرر هذا فلتعلم أن الجنة جنتان جنة حسية وجنة معنوية فالحسوسة تتنعم بها الأرواح الحيوانية والنفوس الناطقة والجنة المعنوية تتنعم بها النفوس الناطقة لا غير وهي جنة العلوم والمعارف ما ثم غيرهما والنار نار أن نار محسوسة ونار معنوية فالنار المحسوسة تتعذب بها النفوس الحيوانية والنفوس الناطقة والنار المعنوية تتعذب بها النفوس الناطقة لا غير والفرق بين النعيمين والعذابين أن العذاب الحسي والنعيم الحسي يكون بالمباشرة للذي يكون عن مباشرته الألم القائم بالروح الحيواني والعذاب المعنوي لا يكون بمباشرة للنفوس الناطقة وأنما هو بما حصل لها من العلم بما فاتهما من العمل والعلم المؤدي إلى سعادة الروح الحيواني الذي يتضمن سعادة النفس الناطقة وأما نار الفكر الذي يتعلق ألمه بالحس وبالنفس فهي نار معنوية فإن حصل العلم عنها أعقبها نعيم جنة معنوية وأن لم يحصل العلم عنها لم يزل صاحبها معذباً ما دام مفكراً ولا نعيم له معنوي وإذا زال الفكر عنه بأي وجه زال من غير حصول علو فذلك النعيم الذي تجده النفس أنما هو الراحة من فقد نار التفكير المسلط على قلبه فهي راحة حسية لا معنوية فاعلم ذلك وأعلم أن هذا المترل يتضمن علم عقل ما ليس بحيوان في الإدراك الحس العادي عن الله تعالى ما يأمره به مثل قوله تعالى "أنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها" وقوله تعالى فقال لها وللأرض أئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين فجمعنهما جمع من يعقل وأثبت لها ما أثبت للحی العالم السميع القادر وقوله تعالى "عليهم نار مؤصدة" فأخبر أنها مسيطرة ولا يقبل التسليط ألا من يعقل وأنها محرقة بالطبع فإنه لو لم تحرق بالطبع ما قبلت الأرسال على الكفار أذ لو كان الحرق فيها بغير الطبع لما تصورت منها المخالفة لأن المخالف أنما هو الاحتراق فهو أمر

آخر يفتقر وجوده إلى أيجاد موجدته والحق ما خاطب ألا النار والأحراق عرض والعرض يفتقر إلى وجود في غير عين النار فإنه أن وجد في النار فإنه لا ينتقل إلى الجسم المسلط عليه النار لأن العرض لا ينتقل أذ لو أنتقل لخلا عن المحل وقام بنفسه والعرض لا يقوم بنفسه فمن المحال تحريق الجسم المحرق بالنار فيكون خطاب النار بالأحراق عبثاً وقد وقع الخطاب على النار بالتسليط فعلى من وقع فبطل أن يكون الحق يتكلم بالعبث فكيف يخرج هذا الخطاب وعلى من يقع إذا لم يكن الأحراق للنار بالطبع وهكذا كل جهاد ونبات وحيوان خوطب لا بد أن يكون حياً عاقلاً قابلاً لما يخاطب به من شأنه أن يعقل ما قيل له أفعل قبولاً ذاتياً تابعاً لوجود عينه فهذا قد نبهتكم على هذا النوع من الأدراك الذي يتضمنه هذا المتزل وأعلم أن جميع ما يحويه هذا المتزل من العلوم لا يوصل إليها ألا بالتعريف الإلهي بواسطة روحانية الأنبياء لهذا المكاشف وتلك الأرواح لا يعلمها من الله ألا بوسائط لغموضها ودقتها فمن جملة ما يحويه علم كسر المكسور إلى ما لا نهاية له ومعلوم من طريق العقل أن المكسور محصور فهو متناه لنفسه فكيف يقبل الكسر إلى ما لا يتناهي وهذه مسألة تشبه بمسألة أنقسام الجسم إلى ما لا نهاية له عقلاً حياً حساً عند الحكماء لأبطال أثبات الجوهر الفرد الذي تنتهي إليه قسمة الجسم في مذهب المتكلمين فمن هذا المتزل تعرف الحق عند من هو من هاتين الطائفتين وتطلع من هذا المتزل على علم قيام العذاب وحمله في غير أجسام المعذنين وعذاب المعذنين به مع كونه غير قائم بهم وهو من أشكال المسائل كيف يوجب المعنى حكمه لغيره من قام به فتشبه أيضاً هذه المسألة من يقول أن الله إذا أراد أن يمضي أمراً خلق أرادته لا في محل ثم أراد بها أمضاء ذلك الأمر فقد أوجب المعنى حكمه لمن يقيم به عند مثبت الصفات أعياناً لها أحكام وهم المتكلمون والفرق بين هذه المسألة وبين مسئلتنا أن العذاب محمول في أجسام وحكمه في أجسام آخر غير الأجسام القائم بها العذاب والعذاب المحمول في هذه الأجسام لا تتعذب به وهو قائم بها وهي متصفة به من كونها محلاً له لا من كونها معذبة به والوجه الجامع بين المسئلتين وجود الحكم المضاف إلى المعنى في غير المحل الذي قام به ذلك المعنى وهل العلم مثل الإرادة في هذا الباب وغيره من الصفات أم لا فيقوم العلم بزيد ولا يعلم به زيد ويعلم به عملاً وهذا محال عقلاً ولكن هذا المتزل يحكم بوقوع ذلك فإن أردت تأنيس النفس لقبول ما أعطاه هذا المتزل في هذه المسألة فإنظر ما أنت مجمع عليه مع أصحابك أن الحق سبحانه يتعالى عن الحلول في الأجسام فإن الإنسان أنما يبصر ببصره القائم بجراحة عينه في وجهه ويسمع بسمعه القائم بجراحه أذنه ويتكلم بالكلام الموجود في تحريك لسانه وتسكينه وشفتيه ومخارج حروفه من صدره إلى شفتيه ثم أن هذا الشخص يعمل بطاعة الله تعالى الزائدة على فرائضه من نوافل الخيرات فينتج له هذا العمل نفي سمعه وبصره وكلامه وجميع معانيه من بطش وسعي التي كانت توجب له أحكامها فكان ينطلق عليه من أحكامها سميع بصير متكلم إلى غير ذلك فصار يسمع بالله بعدما كان يسمع بسمعه ويبصر بالله بعدما كان يبصر ببصره مع العلم بأن الله يتقدس أن تكون الأشياء محلاً له أو يكون هو محلاً لها فقد سمع العبد بمن لم يقم به وأبصر بما لم يقم به وتكلم بما لم يقم به فكان الحق سمعه وبصره ويده فهكذا وجود العذاب في المحال التي لم تقم بها الصفة التي يكون حكمها العذاب كما قد ثبت أن الصفة تعطي خلاف حكمها في المحل وأنت القائل به ولا فرق بين المسئلتين وقد أنشد في ذلك صاحب محاسن المجالس

سليم طرف سقيم

معذب بنعيم

فهل سمعتم بصب

منعم بعذاب

وأنشد أبو يزيد الأكبر طيفور بن عيسى البسطامي يخاطب ربه عز وجل

أريدك لا أريدك للثواب

ولكني أريدك للعقاب

وكل مآربي قد نلت منها

سوى ملذ وذو جدي بالعذاب

فطلب اللذة في العذاب وهذا عكس الحقائق في العقل ولكن أهل الكشف والذوق وجدوا أموراً أحالها العقل وأن كنا نعرف نحن ما قاله القائلان في شعرهما ومن هذا الباب قال الله للنار كوني برداً وسلاماً والنار لا تكون برداً في العقل أذ لو كانت برد البطلت الحقائق أن تكون حقائق فقد جاء الذوق في تجليه بخلاف ما تعطيه العقل وأن كنا نحن نعرف ما قاله الحق في ذلك ولمن خاطب به ولكن جئنا بذلك تأنيساً للمريد ليتحقق أن الله على كل شيء قدير وأن قدرته مطلقة على إيجاد المحال لو شاء وجوده كما ذكره في كتابه عن نفسه ما هو محال في العقل بما يعطيه دليله فقال لو أراد الله أن يتخذ ولداً لأصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار فألحقه بدرجة الأمكان بالنسبة إلى المشيئة الإلهية والعقل قد دل على أن ذلك محال لا من كونه لم يرد فكانت هذه الآية أولها جرح جرح به العقل في صحة دليله ليبطله ثم داوى ذلك الجرح في آخر الآية بقوله سبحانه أي هو المتره أن يكون لأحدثه ثان غير أن في قوله القهار أسراراً من اعتبرها لمن يكون قهاراً وجميع الأفعال إنما هي أحكام أسمائه في الكون فلا فعل لأحد ألا الله فالأفعال كلها من الاسم القادر والقاهر فما يقهر بالاسم القاهر ألا موجد ذلك الفعل في الكون وهو أثر القاهر فما قهر ألا نفسه وهو أثر الاسم القادر فما قهر ألا الاسم القادر وهو المشارك له في وجود العين فما قهر القاهر القادر ألا بالاسم القادر فالقادر نفسه قهر بالاسم القاهر ألا أن يكون القهر بالمنع لا بالإيجاد فيكون عند ذلك القهر مضافاً إلى الاسم المريد ولكن ما يمنع ألا بالاسم القاهر للعين التي تهيأت لقبول الوجود فقهرتها المشيئة وأخرتها عن الوجود لأن لها الترجيح فقد حصلت لك بما أوردته من الأنس في قبول هذه المسئلة ما فيه كفاية فيما تعطيه طريقة القوم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الأحد والثمانون ومائتان في معرفة منزل الضم وإقامة الواحد مقام الجماعة

من الحضرة المحمدية

صلاة العصر ليس لها نظير

لنظم الشمل فيها بالحبيب

هي الوسطى لأمر فيه دور

محصلة على أمر عجيب

وما للدور من وسط تراه

ولا طرفين في علم اللبيب

فكيف الأمر فيه فدتك نفسي

فخص العبد بالعلم الغريب

قال رب هذا المتزل أن الصلاة الوسطى أجراها مقرون إذا لم تصل في جماعة بأجر من وتر أهله وما له وقد قال العدل عيسى عليه السلام قلب كل أنسان حيث ما له فأجعلوا أموالكم في السماء تكن قلوبكم في السماء أي تصدقوا وإلى هنا أنتهت معرفة هذا العدل وقال الصادق المؤتي جوامع الكلم رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم الصدقة تقع بيد الرحمن فيريها فيكون قلب العبد حيث ما له وأن حيثيته يد الرحمن وأين يد الرحمن من السماء فقد أجمع العدلان على أن المال له من القلب مكانة عليّة وأما الأهل من زوج وولد فلا خفاء على ذي لب أنهم منوطون بالفؤاد فأما الزوجة فقد جعل الله بينها وبين بعلمها المودة والرحمة والسكون

إليها والسكون صفة مطلوبة للأكابر وهي الطمأنينة قال إبراهيم بلى ولكن ليطمئن قلبي أي يسكن إلى الوجه الذي يجي به الموتى ويتعين لي إذا لوجوه لذلك كثرة فسكن إليه سكناً لا يشوبه تحير ولا تشويش يعني في معرفة الكيفية فإنظر بما ذا قرن النبي صلى الله عليه وسلم من فاته صلاة العصر وسبب ذلك أن أوائل أوقات الصلوات الأربع محدودة ألا العصر فإنها غير محدودة وأن قاربت الحد من غير تحقيق فقربت من التزيه عن تقييد الحدود إذ كان المغرب محدوداً بغروب الشمس وهو محقق محسوس والعشاء محدود أو له بمغيب الشفق وهو محقق محسوس أي شفق كان على الخلاف المعلوم فيه والفجر محدود أو له بالبياض المعترض في الأفق المستطير لا المستطيل وهو محقق محسوس والظهر محدود بزوال الشمس وفئ الظل وهو محقق محسوس ولم يأت مثل هذه الحدود في العصر فتزهدت عن الحدود المحققة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم وقتها أن تكون الشمس مرتفعة بيضاء نقية والحد الوارد في ذلك ما يكون في الظهور مثل سائر حدود أوقات الصلوات فعظم قدرها النبي صلى الله عليه وسلم للمناسبة في نفي تحقيق الحدود وكذلك حب المال والأهل لا يضبطه حد يقول القائل في الولد

وأما أولادنا بيننا

أكبادنا تمشي على الأرض

فإنزل الولد منزلة النفس وكما لا يفني الإنسان في حبه نفسه للقرب المفرط الذي ما يكون مثله قرب إليه البتة كذلك لا يفني الإنسان في حب ولده ولا ماله ولا أهله لأنه منوط بقلبه بمنزلة نفسه للقرب المفرط يخفي ذلك فيه فإن أتفق أن يطلق أمرأته وقد كان حبه إياها كامناً فيه لا يظهر لا فراط القرب أحذه الشوق إليها وهام فيها وحن إليها لبعدها عن ذلك القرب المفرط لتعلق الشوق والوجد بها ولهذا يفني العاشق في معشوقه الأجنبي لأنه ليس له ذلك القرب الظاهر الذي يحول بينه وبين الاشتياق إليه ولقرب الحق من قلوب العارفين بالعلم المحقق الذوقي الذي وجدوه لهذا صحوا ولم يهيموا فيه هيمان الحبين لله من كونه تجلى لهم في جمال مطلق وتجليه للعلماء به في كمال مطلق وأين الكمال من الجمال فإن الاسماء في حق الكامل تتمانع فيؤدي ذلك التمانع إلى عدم تأثيرها فيمن هذه صفته فيبقى متزهاً عن التأثير مع الذات المطلقة التي لا تقيدها الاسماء ولا النعوت فيكون الكامل في غاية الصحو كالرسل وهم أكمل الطوائف لأن الكامل في غاية القرب يظهر به في كمال عبوديته مشاهداً كمال ذات موجدته وإذا تحققت ما قلناه علمت أين ذوقك من ذوق الرجال الكامل الذين أصطفاهم الله فيه وأختارهم منه ونزههم عنه فهم وهو كهوهم فسماه الكامل منهم العصر لأنه ضم شيء إلى شيء لاستخراج مطلوب فضمت ذات عبد مطلق في عبوديته لا يشوبها ربوبية بوجه من الوجوه إلى ذات حق مطلق لا يشوبها عبودية أصلاً بوجه من الوجوه من إسم إلهي بطلب الكون فلما تقابلت الذاتان بمثل هذه المقابلة كان المعتصر عين الكمال للحق والعبد وهو كان المطلوب الذي له وجد العصر فإن فهمت ما أشرنا إليه فقد سعدت وألقيتك على مدرجة الكمال فارق فيها ولهذا المعنى الإشارة في نظمنا في أول الباب

صلاة العصر ليس لها نظير

لضم الشمل فيها بالحبيب

وبعد أن ابنت لك مرتبة الكمال فلنبين لك من هذا المتزل قيام الواحد مقام الجماعة وهو عين الإنسان الكامل فإنه أكمل من عين مجموع العالم إذ كان نسخة من العالم حرفاً بحرف ويزيد أنه على حقيقة لا تقبل التضاؤل حين قبلها أرفع الأرواح الملكية أسرافيل فإنه يتضاءل في كل يوم سبعين مرة حتى يكون كالوضع أو كما قال والتضاءل لا يكون ألا عن رفعة سبقت ولا رفعة للعبد الكلي

في عبوديته فإنه مسلوب الأوصاف فلو أنتج لذلك الروح المتضائل حال هذا العبد الكلي في عبوديته لما تكرر عليه التضاؤل فأفهم ما أشرت به إليك وقد نبهتك بهذا الخبر أن هذا الملك من أعلم الخلق بالله وتكرار تضاؤله لتكرار التجلي والحق لا يتجلى في صورة مرتين فيرى في كل تجل ما يؤديه إلى ذلك التضاؤل هذا هو العلم الصحيح الذي تعطيه معرفة الله ثم لتعلم أن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم للصورة التي خصه بها وهي التي أعطته هذه المتزلة فكان أحسن تقويم في حقه لا عن مفاضلة أفعل من كذا بل هو مثل قوله الله أكبر لا عن مفاضلة بل الحسن المطلق للعبد الكامل كالكبرياء المطلق الذي للحق فهو أحسن تقويم لا من كذا كما هو الحق أكبر لا من كذا ألا أله ألا هو ولا عبد ألا المصمت في عبودته فإن حاد العبد عن هذه المرتبة بوصف ما رباني وأن كان محموداً من صفة رحمانية وأمثالها فقد زال عن المرتبة التي خلق لها وحرم من الكمال والمعرفة بالله على قدر ما أتصف به من صفات الحق فليقلل أو يكثر وأعلم أن للإنسان حالتين حالة عقلية نفسية مجردة عن المادة وحالة عقلية نفسية مدبرة للمادة فإذا كان في حال تجريده عن نفسه وأن كان متلبساً بها حساً فهو على حالته في أحسن تقويم وإذا كان في حال لباسه المادة في نفسه كما هو في حسه فهو على حالته في خسر لا ربح في تجارته فيه فما ربح تجارته وما كانوا مهتدين وهو قوله أن الإنسان لكفور أن الإنسان لظلم كفار أن الإنسان لربه لكنود أن الإنسان لفي خسر أنه كان ظلوماً جهولاً فإذا قال الإنسان الكامل الله نطق بنطقه جميع العالم من كل ما سوى الله ونطقت بنطقه أسماء الله كلها المخزونة في علم غيبه والمستأثرة التي يخص الله تعالى بمعرفتها بعض عباده والمعلومة بأعيانها في جميع عباده فقامت تسييحته مقام تسييح ما ذكرته فأجره غير ممنون وسنومى إلى تحقيق هذا في المتزل التاسع والثمانين ومائتين وبعد أن نبهتك على معرفة قيام التوحيد بالواحد القائم مقام الجماعة في الخير والشر فإنه قال تعالى في هذا المقام في الخير والشر "من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً" ومترلتنا في هذا البيان لأصحابنا من أهل هذا الشأن ومترلة القابلين لما بيناه وغير القابلين ما أردف الله به هذه الآية من تعريف الأحوال فقال ولقد جاءكم رسلنا بالبينات ثم أن كثير منهم بعد ذلك في الأرض لمسروف فلنبين إيمان العصاة المعبر عنه بالتوبة وما يلزمه وذلك أن الإيمان الأصلي هو الفطرة التي فطر الله الناس عليها وهو شهادتهم له سبحانه بالوحدانية في الأخذ الميثاق فكل مولود يولد على فطرة فطرة أبيه وأمه ولكن لما حصل في حصر الطبيعة بهذا الجسم محل النسيان جهل الحالة التي كان عليها مع ربه ونسيها فافتقر إلى النظر في الأدلة على وحدانية خالقه إذا بلغ إلى الحالة التي يعطيها النظر وإن لم يبلغ هذا الحد فإن حكمه حكم والديه فإن كانا مؤمنين أخذ بتوحيد الله تعالى منهم تقليداً وإن كانا على أي دين كان ألحق بهما فمن كان إيمانه تقليداً جزماً كان أعصم وأوثق في إيمانه ممن أخذه عن الأدلة لما يتطرق إليها أن كان حاذقاً فطناً قوي الفهم من الحيرة والدخل في أدلته وإيراده الشبه عليها فلا يثبت له قدم ولا ساق يعتمد عليها هو عين إيمانه الميثاق لا غيره وإنما حال بينه وبين العبد حجاب الشرك كالسحابة الحائلة بين البصر والشمس فإذا انحلت ظهر الشمس للبصر كذلك ظهور الإيمان للعبد عند ارتفاع الشرك إذ كان المشرك مقراً بوجود الحق فإن قلت فما حكم المعطل هل يكون إيمانه يوجد في الوقت أم حاله حال المشرك قلنا المعطل أقرب إلى الإيمان من المشرك فإنه لا بد لكل إنسان أن يجد نفسه مستنداً في وجوده إلى أمر ما لا يدري ما هو فيقال له ذلك هو الله فإن حدث له بعد ذلك هل هو واحد أو أكثر من واحد كان في محل

النظر في ذلك أو يقلد من يعتقد فيه من الموحدين فما ثم إيمان محدث بل هو مكتوب في قلب كل مؤمن فإن زوال في حق المريد الشقاء فإنما تزول وحدانية المعبود لا وجوده وبالتوحيد تتعلق السعادة وبنفيه يتعلق الشقاء المؤبد ولهذا الإشارة بقوله تعالى "يا أيها

الذين آمنوا" في الأخذ الميثاقي آمنوا القول الرسول إليكم من عندنا فلولاً أن الإيمان كان عندهم ما وصفوا به وأما نسبة الأعمال إلى هذا المنزل فهو على نقره وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ومكارم الأخلاق أعمال وأحوال إضافية لأن الناس الذين هم محل مكارم الأخلاق على حالتين حر وعبد كما أن الأخلاق محمودة وهي التي تسمى مكارم الأخلاق ومذمومة وهي التي تسمى سفاسف الأخلاق والذين تصرف معهم مكارم الأخلاق وسفاسفها اثنان وواحد فالواحد هو الله والإثنان نفسك إذا جعلتها منك بمثالة الأجنبي وغيرك وهو كل ما سوى الله وكل ما سوى الله على قسمين وأنت داخل فيهم عنصري وغير عنصري فالعنصري تصريف الخلق معه حسى وغير العنصري تصريف الخلق معه معنوي فالأعمال المعبر عنها بالأخلاق على قسمين صالح وهو مكارمها وغير صالح وهو سفاسفها قال تعالى في القسم الواحد وعمل صالحاً وقال في الآخر عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم أي أعظمك أن تكون من الجاهلية فعلمه الأدب وإن تسأل عن علم ما لا يعلم فإذا علم فإن كان من أهل الشفاعة والسؤال فيه سأل فيه وإن يكن لم يسأل فيه ولكن غلبت عليه رحمة الأبوة وهي شفقة طبيعية عنصرية فصرفها في غير موطنها فاعلمه الله أن ذلك من صفات الجاهلين والجهل لا يكون معه خير كما أن العلم لا يكون معه شر فقول النبي صلى الله عليه وسلم بعثت لأتمم مكارم الأخلاق يريد أنه يعلم ما هي وكيف تصرف وأين تصرف فلتعلم أن المخاطبين بها كما ذكرنا لك حر وعبد فلعبد منها شرب وللحر منها شرب فإذا أضفت الخلق بعضه إلى بعض فهو بين حر وعبد فأما حظ العبد من الأخلاق فاعلم أن السيد على الإطلاق قد أوجب وحرّم فأمر ونهى وقد أباح فخير وقد رجع فندب وكره وما ثم قسم سادس فكل عمل يتعلق به الوجوب من أمر من السيد الذي هو الله بعمل أو ندب إلى عمل فإن العمل به من مكارم الأخلاق مع الله ومع نفسك أن كان واجباً وإن كان واجباً وإن كان مندوباً إليه فهو من مكارم الأخلاق مع نفسك فإن تضمن منفعة الغير ذلك العمل كان أيضاً من مكارم الأخلاق مع غيرك وترك هذا العمل إذا كان على هذا الحكم من سفاسف الأخلاق وكل عمل يتعلق به التحريم أو الكراهة فالتقسيم فيه كالتقسيم في الواجب والمندوب إليه على ذلك الحد فترك ذلك العمل لأتصافه بالتحريم أو الكراهة من مكارم الأخلاق وعمله من سفاسف الأخلاق وترك العمل فيه عمل روحاني لا جسماني لأنه ترك لا وجود له في العين وأما العمل الذي تعلق به التخيير وهو المباح فعمله من مكارم الأخلاق مع نفسك دنيا لا آخرة فإن أقرن مع العمل كونك عملته لكونه مباحاً مشروعاً كان من مكارم الأخلاق مع الله ومع نفسك دنيا وآخرة وكذلك حكمه في ترك المباح على هذا التقسيم سواء فجميع الأقسام تتعلق بالعبد وقسم المباح يتعلق بالحر وقسم المكروه والمندوب إليه يتعلق بالحر وفيه من روائع العبودية شمة لا حقيقة فهذا قد حصر لك هذا المنزل منازل الشقاء والسعادة وأبأنها لك معينة أي عينت لك من أين تعلمها وهو معرفة الشرع الذي أنت عليه فإن كان الإنسان ممن لم تبلغه الدعوة فمكارم الأخلاق في حقه ما قررها العقل من وجود الغرض والكمال وملازمة المزاج كشكر المنعم الذي هو من مكارم الأخلاق عقلاً وشرعاً وكفر النعمة من سفاسف الأخلاق عقلاً وشرعاً وما كلف الله نفساً ألا وسعها سواء بلغت الدعوة أو لم تبلغها فإن للشرع في عملها حكماً في نفس الأمر ويعفى عنه فيما أتته من سفاسف الأخلاق حيث لم تبلغها الدعوة والعفو عن ذلك من مكارم الأخلاق الإلهية فالحق أولى بصفات الكرم من العبد بل هي له حقيقة وفي العبد بعناية التوفيق ومما يتعلق بهذا المنزل من المكارم التعاون على شكر المنعم والتعاون على تلقي البلاء من المبلي بأن لا يستند في ارتفاع البلاء عنه ألا لمن أنزله به وهو الله تعالى فإن أنزله بالغير فهو من سفاسف الأخلاق وأن أنزله بالله كان من مكارم الأخلاق والعبد في الحالتين طالب رفع البلاء عنه والبلاء عبارة

عن وجوده وأحاساسه بالألم لا غير وفي هذا المقام يغلط كثير من أهل الطريق فيحبسون نفوسهم عن الشكوى إلى الله فيما نزل بهم والشبهة في ذلك لهم أنهم يقولون لا نعترض عليه فيما يجريه علينا فإنه يؤثر في حال الرضا عنه فيقال لهم قد حصل مقام الرضا بمجرد أحساسه وعدم طلب رفعه وذلك حد الرضا لا أستصحابه فإن النفس كراهة لوجود الألم ولذا عبرنا عن البلاء بالألم لا بسببه وينبغي للعبد أن يسأل الله تعالى أن يرفع عنه ما نزل به لما يؤدي به إليه من كراهة فعل الله به ولا بد من كراهته طبعاً لأن الألم يوجب حكمه لنفسه والفعل في أنزاله إنما هو الله فيتضمن من كراهة الألم كراهته طبعاً لأن الألم يوجب حكمه لنفسه وإنما أوجده الله في هذا العبد فتتعلق الكراهة حالاً وضمناً بالجناب العزيز فلهذا وقع من الأكابر رب أي مسني الضر والتعليم بالسؤال في أن لا يقع منه في المستقبل ما لم يقع في الحال بقوله "قالوا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به" ويتعلق به من سوء الأدب مقاومة القهر الإلهي ومقاومة العبد السيد في أمر ما من سفساف الأخلاق أذ ليس ذلك من صفات العبودة فيستعين العبد إذا كان ضعيفاً بأخيه المؤمن في ذلك ويجب على الآخر معونته بالتعليم والتعزية فإن المؤمن كثير بأخيه وإذا أنفرد الإنسان بجمه عظم عليه وإذا وجد من يلقيه إليه ليقاسمه فيه ويستريح عليه ويخف عنه فأعانه الآخر يحسن الأصغاء إليه فيما يلقي إليه من همه وجوابه إياه بما يسره في ذلك ومشاركته بأظهار التألم لما ناله فذلك الصديق الصادق المعين كما قيل

ویرمی بالعداوة من رمانی

صديقي من يقاسمني همومي

وقال الآخر

رقاب الخلق خف على الرقاب

إذا الحمل الثقيل تقسمته

فهذا قد بينا لك بعض ما يحويه هذا المنزل بالأجمال لا بالتفصيل مخافة التطويل فما تركنا منه شيئاً ولا أعلمناك منه بشيء وهكذا فعلنا في كل منزل أن شاء الله تعالى والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الثاني والثمانون ومائتان في معرفة منزل تزاور الموتى وأسراره

من الحضرة الموسوبة

فذلك موت والجسوم قبور

إذا جهلت أرواحنا علم ذاتها

وكان لها من أجل ذلك نشور

وأن علمت فالحشر فيها محقق

وكل كلام دون ذلك زور

فما العلم ألا بين نور وظلمة

أعلم أن الموت عبارة عن مفارقة الروح الجسد الذي كانت به حياته الحسية وهو طارئ عليهما بعدما كانا موصوفين بالأجتماع الذي هو علة الحياة فكذلك موت النفس بعدم العلم فإن قلت أن العلم بالله طارئ الذي هو حياة النفوس والجهل ثابت لها قبل وجود العلم فكيف يوصف الجاهل بالموت وما تقدمه علم قلنا أن العلم بالله سبق إلى نفس كل أنسان في الأخذ الميثاقي حين أشهدهم على أنفسهم فلما عمرت الأنفس الأجسام الطبيعية في الدنيا فارقتها العلم بتوحيد الله فبقيت النفوس ميتة بالجهل بتوحيد الله ثم بعد ذلك أحيا الله بعض النفوس بالعلم بتوحيد الله وأحياها كلها بالعلم بوجود الله أذ كان من ضرورة العقل العلم بوجود الله

فلهذا سميناه ميتاً قال تعالى "أو من كان ميتاً" يعني بما كان الله قد قبض منه روح العلم بالله فأحييناه وجعلناه له نوراً يمشي به في الناس فرد إليه علمه فحي به كما ترد الأرواح إلى أجسامها في الدار الآخرة يوم البعث وقوله كمن مثله في الظلمات يريد مقابلة النور الذي يمشي به في الناس وما هو عين الحياة فالحياة الأقرار بالوجود أي بوجود الله والنور المحعول العلم بتوحيد الله والظلمات الجهل بتوحيد الله والموت الجهل بوجود الله ولهذا لم يذكر الله في الآية عنا في الأخذ الميثاقي ألا الأقرار بوجود الله لا بتوحيده ما تعرض للتوحيد فيها فقال أليست بربكم فقالوا بلى فأقروا له بالربوبية أي أنه سيدهم وقد يكون العبد مملوكاً لأثنين بحكم الشركة فأبي سبيد قال له أليست بربك فلا بد أن يقول العبد بلى ويصدق فلماذا قلنا أن الأقرار أنما كان بوجود الله رباً له أي مالكاً وسيداً ولهذا أردف الله في الآية حين قال فأحييناه فلم يكتف حتى قال "وجعلناه له نوراً يمشي به في الناس" يريد العلم بتوحيد الله لا غيره فإنه العلم الذي يقع به الشرف له والسعادة وما عدا هذا لا يقوم مقامه في هذه المتزلة فتأمل ما قلناه فقد علمت أن ورود الموت على النفوس أنما كان عن حياة سابقة إذا لموت لا يرد ألا على حي والتفرق لا يكون ألا عن اجتماع وبعد أن علمت هذا فاعلم أنه من خصائص هذا المتزل أن علم الواحد بالكثرة يوجب له الجهل بنفسه لأن الكثرة مشهودة له وذلك أن الروح لا يعقل نفسه ألا مع هذا الجسم محل الكم والكثرة ولم يشهد نفسه قط وحده مع كونه في نفسه غير منقسم ولا يعرف أنسانيته ألا بوجود الجسم معه ولهذا إذا سئل عن حده وحقيقته يقول جسم متغذ حساس ناطق هذا هو حقيقة الإنسان وحده الذاتي النفسي فيأخذ أبداً في حده إذا سئل عنه من كونه أنساناً هذه الكثرة فلا يعقل أحديته في ذاته وأنما يعقل أحدية الجنس لا الأحدية الحقيقية والذي يحصل له بالأكتساب أنه واحد في عينه علم دليل فكري لا علم ذوق شهودي كشمي وكذلك العلم بالله أنما متعلقة العلم بتوحيد الإلهة لمسمى الله لا توحيد الذات فإن الذات لا يصح أن تعلم أصلاً فالعلم بتوحيد الله علم دليل فكري لا علم شهود كشمي فالعلم بالتوحيد لا يكون ذوقاً أبداً ولا تعلق له ألا بالمراتب وأين التوحيد في الذات مع ما قد ورد من الصفات المعنوية واختلاف الناس فيها واختلاف أعيانها بالحد والحقيقة وأن هذه ليست عين هذه هذا في العقل وفي الشرع ثم أنفرد التعريف الإلهي باليد والعين والقدم والأصابع وغير ذلك وهذه كلها تنافي توحيد الذات ولا تنافي توحيد الإلهة ولهذا ورد التنازع في قوله عليه السلام إذا بويح لخليفتي فأقتلوا الآخر منهما لأن أحدية المرتبة لا تقبل الثاني ولا تحمل الشركة لأن المطلوب الصلاح لا الفساد والإيجاد لا الأعدام وقال تعالى لو كان فيهما إلهة ألا الله لفسدنا فوحد الأله وما قال لو كانت ذات الأله تنقسم لفسدنا ما تعرض لشيء من ذلك وأن الأله عند المتكلمين مجموع ذوات فإن الصفات أعيان زائدة موجودة قائمة بذات الحق وبالمجموع يكون ألهاً فأين التوحيد الذي يزعمونه وكذلك العقلاء من الفلاسفة الأله عندهم مجموع نسب فأين الوحدانية عندهم فإنهم يصفونه بالعلم والحياة واللذة والأبتهاج بكماله فالوحدة أمر يسمع وإسم على غير مسمى حقيقي إذا أنصفت فلا أله ألا الله الواحد في ألوهيته القهار للمنازعين له في ألوهيته من عباده والمزاحمين له في أفعاله وما عدا هذين الصنفين فلهم الله الواحد الغفار وبعد أن علمت هذا فلا تحجبك هذه الكثرة عن توحيد الله تعالى ولكن

بينت لك متعلق توحيدك وما تعرضنا إلى الذات في عينها لأن الفكر فيها ممنوع شرعاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا في ذات الله وقال تعالى ويحذركم الله نفسه يعني أن تتفكروا فيها فتحكموا عليها بأمرها كذا وكذا وما حجر الكلام في الإلهة ولا تدرك بفكر ومشاهدتها من حيث نفسها ممنوعة عند أهل الله وأنما لها مظاهر تظهر فيها بتلك المظاهر تتعلق رؤية العباد وقد وردت بها الشرائع وما بأيدينا من العلم به ألا صفات تزويه أو صفات أفعال ومن زعم أن عنده علماً بصفة نفسية ثبوتية فباطل

زعمه فإنها كانت تحده ولا حد لذاته فهذا باب مغلق دون الكون لا يصح أن يفتح أنفراد به الحق سبحانه وإذا كان الحق على ما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن علمه بما علمه الله فقال اللهم أي أسألك بكل إسم سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو أستاثرت به في علم غيبك فعنده أسماء لا يعلمها ألا هو هي راجعة إليه وقد منع باستيثاره أنه لا يعلمها أحداً من خلقه وأسماءه ليست أعلاماً ولا جوامد وأما أسمائه على طريق الحمدة والمدح والثناء ولهذا كانت حسنى لما يفهم من معانيها بخلاف الأسماء الأعلام التي لا تدل ألا على الأعيان المسماة بها خاصة لا على جهة المدح ولا جهة الذم وأعظمها عندنا الاسم الذي لا تقع فيه المشاركة فأين التوحيد مع هذا التعريف الذي يزعمه هذا الزاعم أنه قد حصل على علم التوحيد النفسي وإذا لم يشهد له شرع ولا عقل ولا كشف وما ثم غير هؤلاء وهم عدول فكيف بك مما خرج عن هؤلاء فالزم ما كلفته من زيارة الموتى وهو اللحق بهم والأنخراط في سلكهم وهو العجز عن أدراك الأمر على ما هو عليه وأما نحن متصرفون في أفعال المقاربة وهي كاد وأخواتها فيقال كاد العروس يكون أميراً وما هو أمير في نفس الأمر وكاد زيد يحج أي قارب الحج وقال تعالى إذا أخرج يده لم يكد يراها فوصفه بأنه مارآها ولا قارب رؤيتها فإنه نفي القرب بدخول لم على يكاد وهو حرف نفي وجزم يدخل على الأفعال المضارعة للأسماء فينفيها ويتعلق بهذا المتزل علم الزجر والردع لمن قال من الناس أنه قد علم ذات الحق أنه لا ينكشف له جهله بما زعم أنه عالم به ألا في الدار الآخرة فيعلم هناك أن الأمر على خلاف ما كان يعتقد من علمه وأنه لا يعلم دنيا ولا آخرة قال تعالى "وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فعم فبد الكل طائفة تعتقد أمراً ما مما الأمر ليس عليه نفي ذلك المعتقد وما تعرض في الآية بما أنتفى ذلك هل بالعجز أو بمعرفة النقيض وكلا الأمرين كائن في الدار الآخرة كمن يقول بأنفاذ الوعيد لمن مات عاصياً على غير توبة فيغفر الله له يوم القيامة فقد بدا له من الله ما لم يكن يعلمه من التجاوز وزال علمه بالمؤاخاة فكل طائفة يبدوها من الله بحسب مسئلتها فلو كان العلم في نفس الأمر علم يقين لما تبدل وأما هو حساب وظن قد احتجب عن صاحبه بصورة علم فهو يقول أنه يعلم والحق يقول له تظن تحسب وأين مقام من مقام فما كل أمر يعلم ولا كل أمر يجهل فاعلم العلماء من علم ما يعلم أنه يعلم وما لا يعلم أنه لا يعلم قال صلى الله عليه وسلم لا أحصي ثناء عليك فقد علم أنه ثم أمر لأيحاط به وقال الصديق العجز عن درك الأدراك أدراك أي أنه أدرك أن ثم أمراً يعجز عن أدراكه فهذا علم لا علم فيعلم الإنسان يوم القيامة عجز فكره عن أدراك ما حسب أنه أدركه غير أنه معذب بفكره بنار أصطلامه فإن حجة الشرع عليه قائمة أذ قد أبان له وأعرب عما ينبغي له أن يفكر فيه كما قال أو لم يتفكر وأما بصاحبهم من جنة أي أنه يوصل إلى معرفة الرسول بالدليل وبهذه الآية يستدل على أنه لا بد من أن ينصب الله تعالى على يد هذا الرسول دليلاً يصدقه في دعواه ولو لم يكن كذلك ما صدق قوله أو لم يتفكروا ولا تكون الفكرة ألا في دليل على صدقه أنه رسول من عند الله والدليل هو المنظور فيه الموصول إلى المدلول فلولا ما نصب الأدلة ما شرع للعقلاء التفكير ولا طالبهم وكذلك في معرفتهم به سبحانه فقال لما ذكر أموراً أن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فإذا تعدى بالفكر حده وفكر فيما لا ينبغي له أن يفكر فيه عذب يوم القيامة بنار فكره ثم أن الإنسان يشغله الفكر فيما لم يشرع له التفكير فيه عن شكر المنعم على النعم التي أنعم الله عليه بما فيكون صاحب عذابين عذاب الفكر فيما لا

ينبغي وعذاب عدم الشكر على ما أنعم به عليه ولا نعمة أعظم من نعمة العلم وأن كانت نعم الله لا تحصى من حيث أسبابها الموجبة لها وأما النعيم على الحقيقة وجود اللذة في نفس المنعم عليه بما عند أسباب كثيرة لا تحصى محصورة في أمرين في وجود ما تكون به اللذة وفي عدم ما يكون بعدمه اللذة وهي أمور نسبية كوجود لذة خائف من عدو يتوقعه فيهلك ذلك العدو فيجد هذا

من اللذة عند هلاكه ما لا يقدر قدرها وذلك لوجود الأمن مما كان يحذره فالأسباب لا تحصى كثرة واللذة واحدة وهي النعمة المحققة كما أن الألم هو العذاب المحقق وأسبابه لا تحصى فسمى الشيء باسم الشيء إذا كان مجاوراً له أو كان منه بسبب وأعلم أن الزيارة مأخوذة من الزور وهو الميل فمن زار قوماً فقد مال إليهم بنفسه فإن زارهم بمعناه فقد مال إليهم يقلبه وشهادة الزور الميل إلى الباطل عن الحق فزيارة الموتى الميل إليهم تعشيقاً لصفة الموت أن تخل به فإن الميت لا حكم له في نفسه وإنما هو في حكم من يتصرف فيه ولا يتصور من الميت منع ولا أباية ولا حمد ولا ذم ولا أعتراض بل هو مسلم تسليم حال ذاتي كذلك ينبغي لزاره أن يكون حاله مع الله حال الميت مع من يتصرف فيه وإذا بلغ إلى هذا المقام على الحد المشروع فيه لا على الإطلاق حينئذ يبلغ مبلغ الرجال ولا يكون موصوفاً بهذه الصفة على الإطلاق ألا في معناه لا في حسه الظاهر والباطن بل ينبغي له أن يكون حياً في أفعاله الظاهرة والباطنة في الأمور التي تعلق بها النهي الإلهي ويكون ميتاً بالتسليم لموارد القضاء عليه في كل ذلك لا للمقضي والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الثالث والثمانون ومائتان في معرفة منزل القواصم وأسرارها

من الحضرة المحمدية

تذكر من الآيات أي القواصم

وأفصح من تحبيه أي العواصم

ولكنها جاءت على يد قاسم

بقصمة قهار وعصمة عاصم

وبين شخيص ملحق بالبهائم

إذا كنت مشغولاً بحب المعاصم

فإن لها عن ذاك زجراً وعصمة

وهذي أمور لم أتلها بفكرة

ويعطي أله الخلق عدلاً ومنة

فكم بين شخص بالملائك ملحق

أعلم أنه لما وصلت إلى هذا المنزل في وقت معراجي الذي عرج بي ليريني من آياته سبحانه ما شاء ومعني الملك قرعت بابه فسمعت من خلف الباب قائلاً يقول من ذا الذي يقرع باب هذا المنزل المجهول الذي لا يعرف ألا بتعريف الله فقال الملك عبد الحضرة عبدك محمد بن نور ففتح فدخلت فيه فعرفني الحق جميع ما فيه ولكن بعد سنين من شهودي إياه فكان ذلك شهوداً صورياً من غير تعريف ثم بعد ذلك وقع التعريف به ولما عرفني بأنه منزل مجهول قصم ظهري ولما وقع التعريف به رأيته كله قواصم ألا أن يعصم الله مما رأيت فخفت فسكن الله روعى بما جلى لي فرأيت في هذا المنزل تحول الصور الحسية في الصور الجسمية كما يتشكل الروحانيون في الصور فتخيلت أن تلك الصور الأول ذهب فحققت النظر فيها فلم أدركها حتى أعطيت القوة عليها فتحولت فأدركت المطلوب فإذا هو على نوعين في التحول النوع الواحد أن تعطي قوة تؤثر بها في عين الرائي ما شتته من الصور التي تحب أن تظهر له فيها فلا يراك ألا عليها وأنت في نفسك على صورتك ما تغيرت لا في جوهرك ولا في صورتك ألا أنه لا بد أن تحضر تلك الصورة التي تريد أن تظهر للرائي فيها في خيالك فيدركها بصر الرائي في خيالك كما تخيلتها ويحجبه ذلك النظر في الوقت عن أدراك صورتك المعهودة هذا طريق وطريقة أخرى يتضمنها هذا المنزل وذلك أن الصورة التي أنت عليها عرض في جوهرك فيزيل الله ذلك العرض

ويلبسك ما أردت أن تظهر به من صور الأعراض من حية أو أسد أو شخص آخر أنساني وجوهرك باق وروحك المدبر جوهرك على ما هو عليه من العقل وجميع القوى فالصورة صورة حيوان أو نبات أو جماد والعقل عقل أنسان وهو متمكن من النطق والكلام فإن شاء تكلم وأن شاء لم يتكلم بأي لسان شاء الحق أن ينطقه به فحكمه حكم عين الصورة في المعهود ومن هذا الباب يعرف نطق الجمادات والنبات والحيوان وهي على صورها وتسمعها كنطق الأنسان كما أن الروح إذا تجسد في صورة البشر تكلم بكلام البشر لحكم الصورة عليه وليس في قوة الروحاني أن يتكلم بكلام غير الصورة التي يظهر فيها بخلاف الأنسان وهو في غير صورة الأنسان وهذا منزل المسوخ من هذه الحضرة تمسخ الصورة الحسية في الدنيا والآخرة ومن هذا المنزل تمسخ البواطن فترى الصورة أناسي وفي الباطن غير تلك الصورة من ملك أو شيطان بصورة حيوان مناسب لما هو باطنه عليه من كلب أو خنزير أو قرد أو أسد وكل ذلك يخالف ما تطلبه أنسانيته أما عال وأما دون ومسوخ البواطن قد كثر في هذا الزمان كما ظهر المسوخ في الصور الظاهرة في بني إسرائيل حين جعلهم الله قردة وخنازير ولا بد في آخر الزمان أن يظهر المسوخ في هذه الأمة ولكن في اليهود منها لا في المسلمين فإن الإيمان يحفظهم فما تمسخ من هذه الأمة ألا يهودي أو منافق يظهر الأسلام ويخفي اليهودية وأما ألحقنا اليهود بهذه الأمة لأن أمة النبي ليست قبيلته وأما أمته جميع من بعث إليهم ومحمد صلى الله عليه وسلم بعث إلى الناس عامة فجميع الناس أمته من جميع الملل فمنهم من آمن ومنهم من كفر ومنهم من أسلم وأما دخول الجن في دينه صلى الله عليه وسلم فكان دخولهم في دينه مثل ما كان دخول من لم يبعث إليه نبي في وقته في دين نبي وقته ثم أن ذلك النبي الذي ما بعث إليه إذا لم يكن ذلك الداخل ممن بعث إليه نبي آخر تجري أحكامه على من بعث إليه بما بعث به فإن لكل نبي شرعة ومنهاجاً فهكذا كان إيمان الجن برسول الله صلى الله عليه وسلم وأما ما ذكرناه من مسوخ البواطن فقول النبي صلى الله عليه وسلم يخبر عن ربه في صفة قوم من أمته أنهم أخوان العلانية أعداء السريرة ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم قلوب الذئاب يلبسون للناس جلود الضان من اللين فهذا هو مسوخ البواطن أن يكون قلبه قلب ذئب وصورته صورة أنسان فالله العاصم من هذه القواصم وطريقة أخرى في التحول في الصورة وهي أن تبقي صورة هذا الشخص على ما كانت عليه ويلبس نفسه صورة روحاني يجد ذلك الروحاني في أي صورة شاء هذا الشخص أن يظهر للرائي فيها ويغيب هذا الشخص في تلك الصورة وهي عليه كالهواء الخاف به فتقع عين الرائي على تلك الصورة الأسدية أو الكلبية أو القردية أو ما كانت كل ذلك بتقدير العزيز العليم وطريقة أخرى وهي أن يشكل الهواء الخاف به على أي صورة شاء ويكون الشخص باطن تلك الصورة الهوائية المشكلة في

الصورة التي أراد أن يظهر فيها ولكن أن وقع من تلك الصورة نطق فلا يقع إلا بلسان المعروف عند الرائي فيسمع النعمة فيعرفها ويرى الصورة فينكرها لا يتمكن لمن هذه حالته أن يزول عن نعمته وهذه قوة الجن لمن يعرفهم فإنهم يظهرون فيما شاؤهم من الصور والنغمة منهم نغمة جن لا يقدر على أكثر من ذلك ومن لا معرفة له بهذا القدر فلا معرفة له الجن إلا أن ثم أقواما تلعب الجن بعقولهم فتخيل لهم في عيونهم صوراً مثل ما يخيل الساحر الحبال في صورة حيات ساعية فيحسبون أنهم يرون الجن وليسوا بجن وتكلمهم تلك الصور فيما يخيل إليهم وليست الصور بتكلمه بخلاف تجسد الجن في أنفسهم فمن عرف من العارفين نغمات كا طائفة عرف ما رأى ولم يطرأ عليه تلبس فيما رآه وقد رأينا جماعة بالأندلس ممن يرون الجن من غير تشكيل وفي تشكيلهم منهم فاطمة بنت ابن المشي من أهل قرطبة وكانت عارفة بهم من غير تلبس ورأيت طائفة بمدينة فاس ممن كانت الجن تخيل لهم صوراً في أعينهم وتخطبهم بما شاؤا لتفتنهم وليسوا بجن ولا بشكل جن منهم أبو العباس الزقاق بمدينة فاس وكان قد لبس عليه الأمر في ذلك

فكان يخيل إليه أن الأرواح الجنية تخاطبه ويقطع بذلك وسبب ذلك الجهل بنعمتهم فكان إذا قعد عندي وحضر مجلسي يبهت ثم يصف ما يرى فاعلم أنه يخيل له فكان يصل في ذلك إلى حد الملاعبة والمصاحبة والحادثة وربما يقع بينه وبين ذلك الذي شاهده مخاصمة في أمور ومناكرة فتضره الجن من طريق آخر وهو يتخيل أن تلك الصور منها صدر الضرر وغلب عليه ذلك رحمة الله وكان أبو العباس الدهان وجميع أصحابنا يشاهدون ذلك منه فمن عرف النعمات لم تلتبس عليه صورة أصلاً وقليل من يعرف ذلك ويعترون بصدق ما يظهر من تلك الصور في أوقات فهذا قد بينا لك مراتب التحول في الصور من هذا المتزل وفيه من هذا الظهور في الصور عجائب حجة تهر العقول وأعظمها تغير المزاج إلى مزاج آخر مع بقاء الجوهر لا بد منه الحامل لهذه الصورة فإن لم يبق الجوهر فما تحول قط ولكن هذا جوهر آخر في صورته ما تبدل ولا هو ذلك كما أن زيد أليس عمراً ومن هذا المتزل أيضاً وزن أبي بكر الصديق بالأمة فرجح هذا متزل حضرة الوزن بين المخلوقين من كل ما سوى الله ومن عرف ما في هذا المتزل وشاهد حكمه ورفعت له موازين الخلق على ما وضعهم الله عليه من الحال والمقام عرف فضل الملائكة بعضهم على بعض وفضل الناس بعضهم على بعض وفضل الجن بعضهم على بعض وفضل النبات بعضه على بعض وفضل الجماد بعضه على بعض والمفاضلة بين الملائكة والبشر وبين الجن والبشر وبين الجماد والنبات والبشر ويعرف مفاضله كل جنس مع غير جنسه ومن هنا يعرف فضل الحجر الأسود مع كونه جماداً وهو يمين الله فإنظر هذه الرتبة وهو جماد وانظر في فرعون وأبي جهل وهو إنسان ومن هذا المتزل إذا وقفت على هذه المفاضلات رأيت الجنة فيمن تسرى من هؤلاء الأجناس وأنواع الأجناس وأنواع الأنواع إلى آخر درجة وهي أشخاص النوع الأخير ويشاهد أيضاً سريان النار في الأجناس بين حروز مهير وفي أنواع الأجناس وأنواع الأنواع حتى تنتهي إلى أشخاص النوع الأخير فتحكم على كل من تشاهده بما تشاهده فإنك إنما تشاهده بما له لا بوقته وهنا يقع تلبس من حضرة خيالية في مقابلة هذه الحضرة فيشاهد ما يعطيه شاهد الوقت فيحكم عليه بالمآل وهو تلبس شيطاني من الصفة التي ذكرناها آنفاً من كون الجن والشياطين تخيل للناس صوراً عنهم وعن غيرهم وليس بحقيقة وهذه المسئلة التبس الأمر على أبي حامد الغزالي وغيره ومن التبس عليه الأمر في ذلك من الشيوخ الذين أدركناهم أبو أحمد بن سيد بون بوادي أشت فكان يقول هو وأمثاله أن الإنسان إنما يطرأ عليه التلبس ما دام في عالم العناصر فإذا ارتقى عنها وفتحت له أبواب السماء عصم من التلبس فإنه في عالم الحفظ والعصمة من المردة والشياطين فكل ما يراه هنالك حق فلنبين لك الحق في ذلك ما هو وذلك أن الذي ذهبت إليه هذه الطائفة القائلون بما حكيناه عنهم من رفع التلبس فيما يرونه لكونهم في محال لا تدخلها الشياطين فهي محال مقدسة مطهرة كما وصفها الله وذلك صحيح أن الأمر كما زعموه ولكن إذا كان المعراج فيها جسماً وروحاً كمعراج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما من عرج به بخاطره وروحانيته بغير انفصال موت بل بفناء أو

قوة نظر يعطي إياها وجسده في بيته وهو غائب عنه بفناء أو حاضر معه لقوة هو عليها فلا بد من التلبس أن لم يكن لهذا الشخص علامة إلهية بينه وبين الله يكون فيها على بينه من ربه فيما يراه ويشاهده ويخاطب به فإن كان له علامة يكون بها على بينه من ربه وإلّا لتلبس يحصل له وعدم القطع بالعلم في ذلك أن كان منصفاً وقد يكون الذي شاهده حقاً ويكون معصوماً محفوظاً في نفس الأمر ولكن لا علم له بذلك فإذا كان على بينه من ربه حينئذ يأمن التلبس كما أمنت الأنبياء عليهم السلام فيما يلقي إليهم من الوحي في بيوتهم وذلك أن الشيطان لا يزال مراقباً لحال هذا المريد المكاشف سواء كان من أهل العلامات أو لم يكن فإن له حرصاً على الإغواء والتلبس ولعلمه بأن الله قد يخذل عبده بعد عصمته مما يلقي إليه فيقول عسى ويعيش بالترجي والتوقع وإن عصم باطن

الإنسان منه ورأى أنوار الملائكة قد حفت بهذا العبد انتقل إلى حسه فيظهر له في صورة الحس أموراً عسى يأخذه بها عما هو بسبيله مع الله في باطنه وهذا فعله مع كل معصوم محفوظ بأنوار الملائكة حساً في باطنه حفظة من الملائكة فإن الشيطان يأتي إلى قلبه وهذا الشخص بكونه معصوماً في نفس الأمر التي هو عليها من ربه لا يقبل منه ما يلقي إليه هذا إن لم يكن متبحراً في العلم ويكون صاحب مقام مقصور عليه وأما أن كان صاحب تمكين ونبهر في العلم الإلهي أخذ ذلك منه فإنه رسول من الله إليه فإن كان محموداً فقلت عينه في مجرد الأخذ حيث أخذه عن الله ولم يلتفت إلى الوسطة لعلمه بمحلها عند الله من الطرد والبعد فينقلب خاسئاً حيث أراد أمراً فلم يتم له بل كان فيه زيادة سعادة لهذا الشخص ولكن من حرصه على الأغواء يعود إليه المرة وإن كان الذي أتاه به مذموماً قلب عينه فصار محموداً في حقه بأن يصرفه على المصرف المرضى فينقلب خاسئاً حيث أراد أمراً فلم يتم له بل كان فيه سعادة لهذا الشخص فإن كان حال هذا الشخص الأخذ من الأرض أقام له الشيطان أرضاً ليأخذ منها فأما أن يرده خاسئاً ويفرق بين الأرضين وأما أن يكون متبحراً فيشكر الله حيث أعطاه أيضاً أرضاً متخيلة كما أعطاه أرضاً محسوسة وينظر سر الله فيها ويأخذ منها ما أودع الله فيها من الأسرار التي لم يخطر ببال إبليس ويردها الله لهذا الشخص زيادة في ملكه وإن كان حاله السماء فإن الشيطان يقيم له سماء مثل السماء التي يأخذ منها ويدرج له من السموم القاتلة ما يقدر عليه فيعامله العارف بما ذكرناه في معاملته له بالأرض وإن لم يكن في هذا المقام لبس عليه وتخرج تلك السموم القاتلة ولحق بالأخسرين أعمالاً وإن كان حاله في صدره المنتهي أو في ملك من الملائكة جلى له صورة سدره مثلها أو صورة مثل صورة ذلك الملك وتسمى له باسمه ثم ألقى إليه ما عرف أنه يلقي إليه من ذلك المقام الذي هو فيه ليلبس عليه فإن كان من أهل التلبس فقد ظفر به عدوه وإن كان معصوماً ما حفظ منه فيطرده ويرمي ما جاء به أو يأخذه من الله دونه ويشكر الله على ما أولاه وما زاده ثم يرتقي هذا الشخص إلى حال هو أعلى فإن كان حاله العرش أو العماء أو الاسماء الإلهية ألقى إليه الشيطان بحسب حاله ميزانا بميزانا فإن كان من أهل التلبس كان كما ذكرناه وإن لم يكن انقسم أمره إلى ما ذكرناه فقد أعلمك أن الشيطان لا يجلي للشخص الأعلى ما هي عليه حالته في صورة ذلك على السواء وعلى ما استقر في ذهنه مما قررته الشريعة ألا ترى ابن صياد لما أظهر له أبليسه العرش أذ كان حاله وأبصر ذلك العرش على البحر لأنه رأى الله تعالى يقول وكان عرشه على الماء فجلى له العرش على البحر وهو قاعد عليه يأخذ عنه ابن صياد ويتخيل أنه يأخذ عن الله فإن الله قد قال على ما أخبره به رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله وكان عرشه على الماء فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخبره به رسول الله صلى الله عليه وسلم على البحر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك عرش أبليس وخبأ له رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الدخان من القرآن فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خبأت لك فقال الدخ والدخ هي لغة في الدخان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسأ فلن تعدو قدرك يعني أنك ممن لبس عليه الأمر فإنه صلى الله عليه وسلم ما خبأ له سورة الدخان وهي تحوي على الدخان وعلى غيره فما خبأ له الدخان فأتاه باسم السورة لا بما خبأ له وما قال سورة الدخان وأما قال الدخ ولم يأت في هذه السورة ألا الدخان لا الدخ وأن كان هو بعينه فلم يفرق ابن صيادين سورة الدخان وبين الدخان فجعل فلها قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسأ فلن تعدو قدرك حيث جاء من هذه السورة بما يناسب أبليس الذي عرفه بذلك وهو أن الشيطان مخلوق من النار فما رأى من تلك الخبيثة ألا ما يناسبه وما عرف أنها سورة الدخان فألقى إلى ابن الصياد في روعه هذا القدر وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم تلفظ باسم السورة عندما عينها في نفسه فسرقها الشيطان وأحتطفها من لفظه ولو أضمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه ما

عرفها أبلّيس فإنه ليس له على قلبه صلى الله عليه وسلم اطلاع ولا أستشراف بخلاف قلب الولي ولهذا أن النبي معصوم من الوسوسة في حال نزول الوحي وفي غيرها لا فرق ألا ترى الشيطان لما علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه المثابة والعناية من الله في عصمة قلبه من أستشراف أبلّيس عليه جاءه في الصلاة في قبلته بشعلة نار مخيلة فرمى بها في وجهه وغرضه أن يحول بينه وبين الصلاة لما يرى له فيها من الخير فإنه يحسده بالطبع فتأخر النبي صلى الله عليه وسلم إلى خلف ولم يقطع صلاته وأخبر بذلك أصحابه وأما الولي فقد يلقي إليه في قلبه وقد يسمع منه ما يحدث به نفسه فيطمع أن يلبس عليه حاله كما ذكرناه فمن كان على بينة من ربه فقد سعد وأرتفع الأشكال ولا بد للبيئة التي يكون عليها أن تكون بيئة له وأن لم تكن بيئة فلا يقدر أن يحكم بها فإنه قد تكون علامة لا بيئة فيتخيل أن العلامة هي البيئة وليس كذلك فإن العلامة إذا لم تكن بيئة وهو التحقق بها وبها يقطع النيون والأولياء فيما يرد عليهم من الله ولقد أخبرني أبو البدر التماشكي البغدادي وهو من الفقراء الصادقين من أنظفهم ثوبا وأحسنهم عبارة قال لي جمع بيني وبين الشيخ رغب الرجبي مجلس وكان من العارفين غير أنه لم يبلغ فيما نقل إلينا مبلغ العارفين المكملين في شغلهم أنه قال له عن رجل الوقت أنه رأى خلعة قد خرجت من الحضرة وقد أعطى علامة في ذلك الرجل وإلى الآن فما رآه لأنه لم ير تلك العلامة فقال له أبو البدر رضى الله عن جميعهم يا شيخ ألم تر بعد ذلك رجلاً كثيراً فقال له نعم قال وكانوا من الأكابر قال نعم ولكن ما رأيت تلك العلامة في واحد منهم فقال له أبو البدر وما يدريك أن واحداً من أولئك الرجال الذين رأيتهم كان هو المقصود بتلك الخلعة وتغرب عليك حتى لا تعرفه فقال له رغب قد يكون ذلك فهذا صاحب علامة ولكن ما هو على بيئة في علامته فإن العلامة إنما هي الباطن لا تزول عنه وهو الي يكون بها على بيئة من ربه في نفسه فإذا جلعت له العلامة في غيره كان ذلك الغير حاكماً لها أن شاء ظهر له فيها وإن شاء لم يظهر فلذلك قال رغب ما قال في العلامة ولم يبين من كان محل العلامة هل هو أو ذلك الرجل فلما أقر بوقوع ما قال له أبو البدر في الدخول عليه في علامته علمنا قطعاً إذا صدقنا رغبياً في دعواه أن العلامة كانت في غيره فإنه ما هو على بيئة من ربه فعلامته فيه ما يكون في غيره فلذلك قد يمكن أن يصح ما قال أبو البدر أن يكون الرجل قد دخل عليه فيمن رأى من الرجال عليه وتغرب عليه فاعترض أبي البدر على هذا العارف اعتاض صحيح محرر في الطريق وإقرار رغب في ذلك إقرار صادق يدل على صدق دعواه إلا أنه قد يكون هذا الشيخ أبو السعود ابن الشبل شيخ أبي البدر المذكور أنه انتهر شخصاً في ذكر عبد القادر بغيظ لا بسكون وهدو ووعرفه أنه يعرف عبد القادر كيف كان حاله في أهله وحاله في قبره لكان عبداً محضاً ولكن عاش بعد هذا فقد يمكن أنه صار عبداً محضاً لأنه لم ينتهر هذا الشخص لكونه أتى أمراً محرماً في الشرع وإنما وصف أحوال عبد القادر وعظم منزلته فلو أنه وقع في محذور شرعي وانتهره وغضب عليه لم يخرج ذلك عن أن يكون عبداً محضاً فسبحان من أعطى أبا السعود ما أعطاه فلقد كان واحد زمانه في شأنه نعم لو كان هذا الذاكر تلميذاً له لتعين عليه انتهاره إياه لأن انتهار من تربيته فإن كان من تلامذته فذلك الإنتهار لا يخرج عن عبوديته فإن كان ذلك اظفنتهار من أبي السعود عن أمر إلهي خوطب به في نفسه لمصلحة الوقت في حق من كان أو لغيره من الله على مقام قد أساء هذا المتكلم فيه الأدب فإنتهاره ذلك مما يحقق عبوديته لا يخرج عنها وهذا هو الظن بحال أبي السعود لا الذي ذكرناه أو لا وإنما ذكرنا ذلك وهذا وما بينهما النسب في الكلام على المقام بما يقتضيه من الوجوه على كمالها فلا بد أن يكون هذا الشيخ على واحد منها ولم يحكم عليه بواحد منها فأفدنا الواقف على هذا الكتاب معرفة هذا المقام وأحواله وإن الله ما أخبرني بحال من أحوال أبي

السعود حتى نلحقه بمثلته والله أعلم أي ذلك كان إلا أني أقطع أن ميزانه بين الشيوخ كان راححاً نفعاً الله بمحبته وبمحبته أهل الله وقد أوردنا من هذا المتزل بعض ما يحو به من القواصم فإنها كلها مخوفة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الرابع والثمانون ومائتان في معرفة منزل المجارة الشريفة وأسرارها

من الحضرة المحمدية

تحصل في ذاك التجاري من العلم

تعالت عن الحال المكيف والكم

فاسفر عن شمسي واعلم عن كتمي

من الضرب بالروح المولد عن جسم

فجاءت بشارات المعارف بالختم

وخصصني بالأخذ عنه وبالفهم

تجارت جياذ الفكر في حلبة الفهم

بأسرار ذوق لا تتال براحة

أغار على جيش الظلام صباحها

وأورى زناد الفكر نارا تولدت

فقمتم على ساق الثناء ممجدا

فسبحان من أحيا الفؤاد بنوره

من هذا الباب قوله تعالى "أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون" والناطق الذي يقوم للذاكرين في قلوبهم وما هو بحكمهم من دوام الذكر الذي يكونون عليه من غير أن يتخلله فترة فيسمعون ناطقاً في قلوبهم يذكر الله فيهم وهم سكوت أو في حديث من أحاديث النفوس وما يعرفون من ينطق فيهم فذلك الناطق هو القائل لموسى صلى الله عليه وسلم أي أنا الله لا إله إلا أنا ويسمى هذا النطق نطق القلب وهو الناطق عندهم وطائفة تقول أنه ملك خلقه الله من ذكره الذي كان عليه وأسكنه فيه ينوب عن هذا العبد في ذكره في أوقات غفلاته المتخللة بالذكر فإن استمرت غفلاته وترك الذكر فقد هذا الناطق ومن الناس من يرى فيه أن الحق أسمع نطق جوارحه كما قال ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم بما جاء من نطق جوارحهم في آخر الزمان وفي الدار الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل فخذ به بما فعل أهله وحتى يكلم الرجل عذبه سوطه وقال تعالى "وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون" وقال "وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون" وقال هؤلاء يوم القيامة لجلودهم لم تشهدتم علينا فقالت الجلود أنطقنا الله الذي أنق جميع الجمادات والنباتات والحيوانات فأما الحيوانات فقد يسمع نطقها ويفهم ما نقول بغير طريق الذكر بل بخاصية لحم حيوان أو مرققة لحمه يطلع أكله أو شارب مرققه على غيوب ما يحدث الله في العالم من الحوادث الجزئية والعامية ويسمع ويفهم ما تنطق به جميع الحيوانات وقد رأيت من رأى من أكل من لحم هذا الحيوان وشرب من مرققه فكانت له هذه الحالة فكان من رآها منه يتعجب ويكون هذا الحيوان في البرية التي بين مكة والعراق لكن خارجاً عن طريق الركب بأيام في غيضة عظيمة وشكل هذا الحيوان شكل امرأة تتكلم باللسان العربي يخرج إليها عرب تلك البرية وهم قبيلة معروفة في كل سنة يوماً معلوماً يأتون إلى تلك الغيضة بأيديهم الرماح فيقفون على أفواه سكك تلك الغيضة وتدخل طائفة منهم في الغيضة يتفرقون فيها بالصياح ويلحقون في الطلب على هذا الحيوان لينفروه فيخرج هذا الحيوان عند ذلك هارباً شارد أما على بعض تلك الأفواه فإن تمكن منه الواقف على تلك السكة طعنه بالرمح فقتله وإن فاته

وتوغل في البرية رجعوا إلى مثل ذلك اليوم من السنة المستقبلية ههنا في كل عام فإذا ظفروا به قطعوه وقسموا لحمه على الحي كله وطبخ كل واحد منهم قطعه وأكلها وشرب مرقها وأطعم منها من شاء من أهله وبيته وإن كان عندهم غريب ممن قد انقطع منالركب وتاه وحصل عندهم وصادف ذلك اليوم منعوه من أكل لحمها أو شرب مرقها إلا أن يتناوله بسرقة من غير علم منهم فإن علموا به استفرغوه جبراً بالقى المفرط فينقص فعل ذلك اللحم منه ولا يذهب بالكلية ويبقى عليه بقية من علم الغيوب فسبحان من أخفى علم ما أودعه في مخلوقاته عن بعض مخلوقاته لا إله إلا هو العليم الحكيم وكل ما ذكره من ذكره في معنى هذا الناطق ووحقيقته فصحيح فإنه قد يكون هذا الناطق عين قلبه وقد يكون ملكاً يخلق من ذكره وقد يكون روحاً يستلزمه وقد يكون مأوئاً إلى والفرقان بين ما أومأنا إليه وبين ما قاله غيرنا في تعيينه أنه يحادثه ويخاطبه بما شاء من التعريفات الإلهية والكونية أي بما يتعلق بمعرفة الله وبما يتعلق بالمخلوقين إذا استمر على ذكره ودام على طاعة ربه وهو الذي قال لصاحب المواقف ما حكاه عنه في مواقفه من القول أن لم يكن هو رحمه الله قد نبه على مراتب علوم فقاللي وقلت له فإن بعض العارفين قد يفعل هذا إذ لم يروا قائلاً في الوجود غير الله حالاً ولفظاً وكله علم محقق غير أنه إذا كان تعبيراً عن مراتب علوم فيتوهم السامع منه إذا قال صاحب هذا المقام قال لي وقلت له أن الحق يكلمه فإن سأل السامع عرفه بالأمر فإنهم أهل صدق إذا كان السائل مؤمناً بما يقول أهل طريق الله فإن كان متردداً في إيمانه بذلك فإنه يسكت عنه في ذلك ممن لا تلزمه طاعته شرعاً فإن كان ممن تلزمه طاعته وشرعاً وليست عنده أهلية لذلك قال له إنما هي سيارات أحوال ونطق حال لا نطق مقال كما تقول الأرض للوتد لم تشقني فيقول لها الوتد سل من يدقني يعني الدقاق الذي يدق به الوتد وهذا لسان حال معلوم يضرب مثلاً معروفاً

بين الناس ثم لتعلم بعد أن بينت لك هذا المسارع إلى الخيرات السابق لها أن كان يريد المشاهد الإلهية والعلوم الربانية فليكثر سهر الليل وليكثر فيه الجمعية دائماً فإن لاحت له أنوار متفرقة يتخللها ظلمة ما بين كل نور ونور ولا يكون لتلك الأنوار بقاء تكون سريعة الذهاب فتلك أول علامات القبول والفتح فلا يزال تظهر له تلك الأنوار الشريفة بالمجاهدات والمسارة فيها وإليها إلى أن يطلع له نور أعظم فإنه يكشف له عن أعماله التي كان عليها مذكاره ورياضاته ومجاهداته قد أنشأها الله خلقاً روحانياً فتسابق إلى أخذ تلك الأسرار كما يسبق هو بما فيأخذها وتكسو عاملها بما جزاء وفاقاً له حيث كان سبباً لوجود أعيان ذلك الخلق الذين هم عين أفعاله البدنية من نطق وحركة وكان الحضور أرواح تلك الصور العملية فيتصف العامل عند ذلك بالعلم بتلك العلوم والأسرار هكذا يشاهدها إذا أشهدها وقد يجد تلك العلوم من خلف حجاب الغيب ولا يطلع على الأمر كيف كان وهو كما ذكرنا قال القائل

جيش إذا عطس الصباح على العدى

كانت اغارة خيله تسميتا

ويشاهد مواقف بين صور تلك العلوم وبين صور هذه الأعمال من أجل انتظار الأذن الإلهي في ذلك فإن كان العامل ممن قد أراد الله أن يفتح له في الدنيا في حصول هذه الأسرار ورد الإذن الإلهي بذلك ففتح على هذا العامل في باطنه بعلوم شتى فيقال فلان قد فتح عليه وإن كان الله يريد أن يخبأ له ذلك إلى الدار الآخرة لمصلحة يراه له في منع ذلك لم تمكن صور الأعمال من خلع تلك العلوم على العامل لكن تلبسها الأعمال إلى أن ينقلب العامل إلى الدار الآخرة فيجدها مخبوءة له في أعماله فيلبسها خلعا إلهية فيقال في هذا العامل في الدنيا أنه مافتح له مع كثرة عمله ويتعجب المتعجبون من ذلك لأنهم يتخيلون أن الفتح أمر لازم وكذلك هو أمر

لازم تطلبه الأعمال وتنااله ولكن متى يكون ذلك صفة باطنك مثل مافتح لمن تراه على صورتك من العمل فلا تتهم فإنه مدخر لك واطرح عن نفسك التهمة في ذلك فلا تتهم ولا تجعل نفسك من أهل التهم وقل كما قلت في ذلك

ولا أنا ممن أتهم

أقول من بعد نعم

فإنني بحر خضم

بيت السماح والكرم

منصوبة مثل العلم

في عرب وفي عجم

مذكورة بكل فم

سارية وكم وكم

ما أنا من أهل التهم

وأنتي إن قلت لا

ولا أقول عكس ذا

وأنتي ابن حاتم

فكم لنا مآثر

ليهتدي بضوءها

معلومة مشهورة

محبوبة مشكورة

وما أحسن قول القائل في مثل ما قلت

وأني إذا أوعدته أو عدته

لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

وهذا من الكرم الإلهي أنه جعل مانعاً في مقابلة الوعيد وانفاذه وهو العفو والتجاوز ولم يجعل للوعد بالخير مانعاً إسم إلهي وإذا كانت حالة العبد من الرم بهذه المثابة فالجناب الإلهي أحق بهذه الصفة وإنما نبهت على أنني ابن حاتم من أجل الكرم الذي جبلت عليه ولي فيه الأصل المؤثّل مثل ما قيل أن الجياد على أعرقها تجري والأعراق هي الأصول جمع عرق وهو الأصل في لسان العرب واعلم أن العارفين يعاملون المواطن بحسب ما تقتضيه وغير العارفين ليس كذلك فالعارف أن أظهر للناس ما منحه به ربه من المعارف والأسرار لا يظهر ذلك إلا من أجل ربه لا على طريق الفخر على أبناء جنسه فحاشاه من ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم حين أمر أن يعرف الناس بمثلته أنا سيد ولد آدم هذا الذي قيل له قل ثم قال من نفسه ولا فخر يقول أي ما قصدت بهذا الكلام الفخر ولكن عرفتكم بالمقام الإلهي عن الأذن وأما إذا كان تعريف العارف مثلته للناس عن غير أمر إلهي ولا أذن رباني فإنه هوى نفس بتأويل ظهر له وهي زلة وقعت منه ينبغي له أن يتعوذ بالله من شرها فإن المواطن الدنياوي لا يقتضي الفتح ولا التعريف بالمقام إلا الأنبياء خاصة إذا أرسلوا وأما الأولياء فحصرتهم العبودية المحضة فهم في ستر مقامهم وحالهم لربهم لا لأنفسهم أي من أجل ربهم وأنهم حاضرون في ذلك مع ربهم وأن كان العارف من حيث إنسانيته ونفسه محباً في الثناء عليه بمثلته من سيده ليظهر بذلك الشفوف على أبناء جنسه وهو معذور فأى فخر أعظم من الفخر بالله ولكن العبد الخالص له الدين الخالص والدين الخالص هو ما يجازيه به ربه من ثنائه عليه بلسان الحق وكلامه لا بلسان المخلوقين فهو يحب الثناء من الله ليعلم باعلام الله إياه أنه ما أدخل بشيء مما يقتضيه مقام العبودية أو يستحقه مقام الربوبية ليكون من نفسه على بصيرة فقد أحب ما تقتضيه إنسانيته ونفسه من حب الثناء ولكن من الله لا من المخلوق ولا من نفسه على نفسه عند المخلوقين فإنه على غير بصيرة فيه ولا أذن من ربه في ذلك كما أنه يحب المال لما يستلزمه من الغنى عن الإفتقار إلى المخلوقين فمن كان غناه بربه فهو ماله إذ المال ليس محبو بالنفسه ولا

لأدخاره من غير توهم رفع الحاجة بوجوده فاعلم ذلك فجميع النفوس محبة للمال في الظاهر وهو الغني فبأي شئ وقع الغنى في نفس العبد فهو المال المحبوب عنده بل لكل نفس وفي ذلك قلت

من عالم الأرض والسماء

لم يعرفوا لذة العطاء

بالمال ينقاد كل صعب

فحسبه عالم حجاب

ومنها أعني من هذه القصيدة

من عسجد مشرق لرائي

به غنياً عن السواء

وعامل الحق بالوفاء

لا تحسب المال ما تراه

بل هو ما كنت يا بني

فكن برب العلي غنياً

ومن هذا المنزل تعلم يا بني ما أكنته القلوب من الأمور وما يجري فيها من الخواطر وما تحدث به نفوسها على طريق الأحصاء لها فيما مضى حتى أن المتحقق بهذا المنزل يعرف من الشخص جميع ما تضمنه قلبه وما تعلقت به ارادته من حين ولادته وحركته لطلب الثدي إلى حين جلوسه بين يديه مما لا يعرفه ذلك الشخص من نفسه لصغره ولما طرأ عليه من النسيان وعدم الالتفات لكل ما يطرأ في قلبه وما تحدث به نفسه لقدم الزمان فيعرفه صاحب هذا المنزل منه معرفة صحيحة لا يشك ولا يرتاب فيها لا من نفسه ولا من كل من هو بين يديه أو حاضر في خاطره وهو حال يطرأ على العبد وهذا المنزل قد سمعنا من أحوال أبي السعود بن الشبل أنه كان له حدثنا صاحبنا أبو البدر رحمة الله أن الشيخ عبد القادر ذكر بين يدي أبي السعود وأطنب في ذكره والثناء عليه وكان القائل قصد به تعريف الشيخ أبي السعود والحاضرين بمثلة عبد القادر وأفرط فقال له الشيخ أبو السعود كم تقول أنت تحب أن تعرفنا بمثلة عبد القادر كالمشتهر له والله أي عرف حال عبد القادر كيف كان مع أهله وكيف هو الآن في قبره وهذا لا يعلم إلا من هذا المنزل ولكن لا يحصل له هذا التحصيل الكامل إلا في الرجوع من الحق إلى رؤية المخلوقين بعين الله وتأنيده لا بعينه وقوته ومن هذا المنزل أيضاً يعلم كم حشر يحشر فيه الإنسان فاعلم أن الروح الإنساني أوجده الله حين أوجده مدبراً لصورة طبيعية حسية له سواء كان في الدنيا أو في البرزخ أو في الدار الآخرة أو حيث كان فأول صورة لبستها الصورة التي أخذ عليه فيها الميثاق بالإقرار بربوبية الحق عليه ثم أنه حشر من تلك الصورة إلى هذه الصورة الجسمية الدنياوية وحبس بها في رابع شهر من تكوين صورة جسده في بطن أمه إلى ساعة موته فإذا مات حشر إلى صورة أخرى من حين موته إلى وقت سؤاله فإذا جاء وقت سؤاله حشر من تلك الصورة إلى جسده الموصوف بالموت فيحيا به ويؤخذ باسماع الناس وأبصارهم عن حياته بذلك الروح الأمن خصه الله تعالى بالكشف على ذلك من بني أو ولي من الثقلين وأما سائر الحيوان فيأثم يشاهدون حياته وما هو فيه عينا ثم يحشر بعد السؤال إلى صورة أخرى في البرزخ يمسك فيها بل تلك الصورة هي عين البرزخ والنوم والموت في ذلك على السواء إلى نفخة البعث من تلك الصورة ويحشر إلى الصورة التي كان فارقه في الدنيا أن كان بقي عليه سؤال فإن لم يكن من أهل ذلك الصنف حشر إلى الصورة التي يدخل بها الجنة والمسؤل يوم القيامة إذا فرغ من سؤاله حشر في الصوري التي يدخل بها الجنة أو النار وأهل النار كلهم مسؤولون فإذا دخلوا الجنة واستقروا فيها ثم دعوا إلى الرؤية وبادروا حشروا في صورة لا تصلح إلا للرؤية فإذا عادوا وحشروا في صورة تصلح للجنة وفي كل

صورة ينسى صورته التي كان عليها ويرجع حكمه إلى حكم الصورة التي انتقل إليها وحشر فيها فإذا دخل سوق الجنة ورأى ما فيه من الصور فإية صورة رآها واستحسنها حشر فيها فلا يزال في الجنة دائماً يحشر من صورة إلى صورة إلى ما لا نهاية له ليعلم بذلك الاتساع الإلهي فكما لا يتكرر عليه صور التحلي كذلك يحتاج هذا المتحلي له أن يقابل كل صورة تتحلى له بصورة أخرى تنار إليه في تجليه فلا يزال يحشر في الصور دائماً يأخذها من سوق الجنة ولا يقبل من تلك الصور التي في السوق ولا يستحسن منها إلا ما يناسب صورة التحلي الذي يكون له في المستقبل لأن تلك الصورة هي كالإستعداد الخاص لذلك التحلي فاعلم هذا فإنه من لباب المعرفة الإلهية ولو تفتنت لعرفت أنك الآن كذلك تحشر في كل نفس في صورة الحال التي أنت عليها ولكن يحجبك عن ذلك رؤيتك المعهود وإن كنت تحس بانتقالك في احوالك التي عليها تتصرف في ظاهرك وباطنك ولكن لا تعلم أنها صور لروحك تدخل فيها في كل آن وتحشر فيها ويصرها العارفون صوراً صحيحة ثابتة ظاهرة العين وهذا المنزل منزل الخبرة والمهيمن عليه الاسم الرب وهذه الصور إنما تطلبها الخبرة لإقامة الحجة عليها في موطن التكليف فالعارف يقدم قيامته في موطن التكليف التي يؤل إليها جميع الناس فيزن على نفسه أعماله ويحاسب نفسه هنا قبل الانتقال وقد حرض الشرع على ذلك فقال حاسبوا أنفسكم قبل أن تحسبوا ولنا فيه مشهد عظيم عايناه وانتفعنا بهذه المحاسبة فيه فلم تعد علينا في الموطن الذي يحاسب الناس فيه وما أخذت هذا المقام إلا من شيخنا أبي عبد الله بن المحاهد وأبي عبد الله بن قسوم بإشيلية فإنه كان حالهما زدت على ابن قسوم في ذلك بمحاسبة نفسي بالخواطر وكان الشيخ لا يحاسب نفسه الأعلى الأفعال والأقوال لا غير وهذا القدر كاف في التعريف بما يتضمنه هذا المنزل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل قيل لي قل آخر كل منزل سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

الباب الخامس والثمانون ومائتان في معرفة منزل مناجاة الجماد ومن حصل فيه

حصل من الحضرة المحمدية والموسوية نصفها

بما فيها من العلم الغريب

على نفسي وعقلي من قريب

بما تعطي على علم القلوب

بميدان المشاهد والغيوب

وكم للعين من نظر مصيب

دليل واضح عند اللبيب

تتاجيني العناصر مفصحات

فاعلم عند ذاك شفاف جسمي

فيا قومي علوم الكشف تعلو

فإن العقل ليس له محال

فكم للفكر من خطأ وعجز

ولولا العين لم يظهر لعقل

أما قولنا وكم للعين من نظر مصيب فإنما جئنا به صنعه شعرية لما قلنا قبل في صدر البيت وإنما المذهب الصحيح أن العين لا تخطئ أبداً لا هي ولا جميع الحواس فإن ادراك الحواس الأشياء ادراك ذاتي ولا تؤثر العلل الظاهرة العارضة في الذاتيات وادراك العقل على قسمين ادراك ذاتي هو فيه كالحواس لا يخطئ وادراك غير ذاتي وهو ما يدركه بالآلة التي هي الفكر بالآلة التي هي الحس فالخيال يقلد الحس فيما يعطيه والفكر ينظر في الخيال فيجد الأمور مفردات فيحب أن ينشئ منها صورة يحفظها العقل فينسب بعض المفردات

إلى بعض فقد يخطئ في النسبة الأمر على ما هو عليه وقد يصيب فيحكم العقل على ذلك الحد فيخطئ ويصيب فالعقل مقلد ولهذا اتصف بالخطأ ولما رأت الصوفية خطأ النظر عدلوا إلى الطريقة التي لا لبس فيها ليأخذوا الأشياء عن عين اليقين ليتصفوا بالعلم اليقيني فإن الجاهل قد يتصف بالعلم فيما جهله ولا يتصف باليقين ولهذا جاز أن يضاف العلم إلى اليقين وليس من أضافة الشئ إلى نفسه لا لفظاً ولا معنى فأما اللفظ فإن لفظة اليقين ما هي لفظة العلم فجازت الإضافة ومن طريق المعنى أن اليقين عبارة عن استقرار العلم في النفس والإستقرار ما هو عين المستقر بل الإستقرار صفة للمستقر وهي حقيقة معنوية لا نفسية فليست عين نفس العلم فجازت الإضافة وإنما قلنا أن الجاهل قد يتصف بالعلم فيما هو جاهل به فهو قوله تعالى فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم أن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم ممن اهتدى فذكر اعلم في الصنفين إنما شرحنا بهذا الكلام ما قلناه في شعرنا فهو يتضمن شرح ما في هذا المتزل فلهذا أوردناه فلنرجع لي ما يعطيه هذا المتزل فنقول والله المؤيد اعلم أن من هذا المتزل تسبيح الحصى في كيف النبي صلى الله عليه وسلم ومن هذا المتزل أكله كتف الشارة ومن هذا المتزل حبه جبل أحد ومن هذا المتزل سلم عليه الحجر ومنه يشهد للمؤذن مدى صوته من رطب ويابس ومنه هرب الحجر بثوب موسى عليه السلام حتى أبصرت بنوا اسرائيل عورته بريئة مما نسبوا إليه فقال فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله زجيهاً ومنه قالت السموات والأرض لما تعلق بهما الأمر الإلهي أتينا طائعين ولما كان طلب حمل الأمانة عرضاً لا امراً لهذا أبت القبول لعلمها أنها تقع في الخطر فلا تدري ما يؤل إليه أمرها في ذلك وحكم هذا المتزل في الشرع واسع فلنذكر بتأييد الله بعض ما يتضمنه هذا المتزل إن شاء الله تعالى فأول علم يتضمنه هذا المتزل علم الحركات المعقولة والمحسوسة فاعلم أن الحركات وهي المعاني التي تكون عنها الإنتقالات واختلف أصحابنا فيها هل هي ذوات موجودة في عينها أم هي نسب وهي عندنا نسب وهذه النسب تعطى من الأحكام بحسب ما تنتسب إليه فلها نسبة في المتخيزات تخالف نسبتها في غير المتخيزات ونسبة في الأجسام تخالف نسبتها في الجواهر وما من موجود إلا ولها فيه نسبة خاصة وإن كانت نسبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يترل ربنا إلى السماء الدنيا في الثلث الباقي من الليل وهو موصوف سبحانه بأنه على عرشه مستو بالمعنى الذي أراده وهو سبحانه معكم أينما كنتم كما يليق به وهو أقرب من حبل الوريد إلينا وهو تعالى في العماء ما فوقه هواء وما تحته هواء فهذا كله بذلك على ما يراد بالإنتقالات فقد يكون ظهور حكم صفة على صفة وقد تكون الإنتقال من حال إلى حال وقد يكون من حيز إلى حيز وقد يكون من مكان إلى مكان وقد يكون من منزلة إلى منزلة فقد أعلمتكم أن الإنتقال سار في جميع الموجودات على ما تستحقه ذواتها فتختلف كفيات النسب وكله راجع إلى حكم الحركة ومن هذا الباب قوله تعالى سنفرغ لكم أية الثقلان وقوله "كل يوم هو في شأن" ثم لتعلم بعد أن قررنا هذا أن الحركة فيالمتحركات على قسمين طبيعية وهي كالنمو في الناميات وعرضية والعرضية اختيارية وغير الاختيارية لا توجد إلا في الحيوان وغير الاختيارية تكون في الحيوان وغيره وقسرية وهي التي يقع من غير المتحرك سواء اقتضاها طبعه أو لم يقتضيه طبعه فالجماد والنبات الحركة القسرية فيه لا يقتضيه طبعه وغير الجماد تكون فيه على خلاف ما يقتضيه اختياره وقد يكون المحرك من جنس المحرك وقد لا يكون وقد تكون الحركة قسرية عن حركة قسرية وقد تكون لا عن حركة قسرية فالأولى كتحريك

الرياح الأغصان والثانية رمى الإنسان الحجر علوا في الهواء ويدق الكلام في هذه المسئلة ويخفي فإنها مسئلة عظيمة القدر وما هي من العقول ببال ولها تعلق بباب التولد مثل حركة الخاتم لحركة الأصبع وحركة الكلم لحركة اليد وللحركة سلطان عظيم حكمها مشهود في الأجسام ولوازمها ومعقول في المعاني وما لا يعرف حده فلها السريان الأتم في الموجودات وأول حكم لها في كل ما

سوى الله خروج الأعيان وانتقالها من حالة العدم إلى حالة الوجود ولا يصح استقرار من موجود أصلاً فإن الاستقرار سيكون والسكون عدم الحركة فافهم وبعد أن تقرر هذا فإن الحركة التي في هذا المنزل التبس على الناس أمرها فما عرفوا هل هي طبيعية أو قسرية أو طبيعية قسرية لا قسرية أو قسرية لا طبيعية وإنما تصور الخلاف ممن لم يشهد هذا المنزل ولا دخل فيه وهي عندنا حركة طبيعية اختيارية لأظهار اسرار عن أمر إلهي واختلفوا في السبب الموجب لهذه الحركة هل السبب سبب الحياة أو سببها عالم الأنفاس أو لا سبب لها إلا الأمر الإلهي فاعلم أن الأمر في ذلك وجود الأمر الإلهي في عالم الأنفاس فتوجه على هذا الكون فحركة فقبل الحركة بطبعه كتوجه الهواء على الأشجار ليحركها بهبهة للمشاهد يرى حركة الأغصان لهبوب الرياح والعلم يرى أنه لولا ما أدخلت الأغصان أحياها لم تجد الرياح حيث تهب فلها الحكم فيها بوجه وليس لها الحكم فيها بوجه وكان المقصود من تحريك الهواء الأشجار إزالة الأبخرة الفاسدة عنها لئلا تودع فيها ما يوجب العلل والأمراض في العالم إذا تغذت به تلك الأشجار فيأكلها الحيوان أو تفسد هي في نفسها بتغذيتها بذلك فكان هبوب الرياح لمصالح العالم حيث يطرد الوحمة عنه ويصفي الجو فتكون الحياة طيبة فالرياح سبب مقصود غير مؤثر في مسببه وإنما الأثر في ذلك لناصب الأسباب وجاعلها حجاباً عنه ليتبين الفضل بين الخلائق في المعرفة بالله ويتميز من أشرك ممن وحد فالمشرك جاهل على الإطلاق فإن الشركة في مثل هذا الأمر لا تصح بوجه من الوجوه فإن إيجاد الفعل لا يكون بالشركة ولهذا لم تلتحق المعتزلة بالمشركون فإنهم وحدوا أفعال العباد للعباد فما جعلوهم شركاء وإنما أضافوا الفعل إليهم عقلاً وصدقهم الشرع في ذلك وإلا شاعرة وحدوا فعل الممكنات كلها من غير تقسيم لله عقلاً وساعدهم الشرع على ذلك لكن ببعض محتملات وجوه ذلك الخطاب فكانت حجج المعتزلة فيه أقوى فيالظاهر وما ذهبت إليه إلا شاعرة في ذلك أقوى عند أهل الكشف من أهل الله وكلا الطائفتين صاحب توحيد والمشرک إنما جهلناه لكون الموجود لا يتصف إلا بإيجاد واحد والقدرة ليس لها في الأعيان إلا الإيجاد فلا يكون الموجود موجود بوجودين فلا يصح أن يكون الوجود عن تعلق قدرتين فإن كل واحد منهما إنما تعطى الوجود للموجود فإذا أعطته الواحدة منهما وجوده فما للأخرى فيه من أثر فبطل إذا حققت الشركة في الفعل ولهذا هو غير مؤثر في العقائد فالمشرك الخاسر المشروع مقتنه هو من أضاف ما يستحقه الإله إلى غير الله فعبدته على أنه له فكأنه جعله شريكاً في المرتبة كاشتراك السلطانين في نعي السلطنة وإن كان هذا لا يحكم في ملك هذا ولكن كل واحد منهما سلطان حقيقة وبعد أن عرفت ما يتعلق من العلم بالحركة على قدر ما أعطاه الوقت من التعريف بذلك فلنبين من هذا المنزل لم وجدت هذه الحركة الخاصة فاعلم أنها وجدت لإظهار ما خفي في الغيب من الأخبار التي يثقل كونها على الخلق كما قال تعالى "أنا سنلقي عليك قولاً ثقیلاً" وقال في شأن الساعة ثقلت في السموات والأرض وذلك أن الغيب إذا ثقل عليه الأمر وضاق عنه ولم يتسع له استراح على عالم الشهادة فتنفس الغيب تنفس الحامل المثلث فأبرز في عالم الشهادة ما كان ثقل عليه حمله وهو في المعنى كما يثقل على الإنسان كتم سره وحمل همه إذا لم يجد من يستريح عليه من أخوانه فإذا وجد أخاً يثق إليه من همه الذي هو فيه وثقل عليه ما يجده في بئنه له راحة بما أخذه منه صاحبه فكأنه قاسمه فيه فخفف عليه فإن كان ما وقع له به الهم تحت قدرة من يثق إليه من أخوانه ففقد حاجته أزال ذلك الثقل عنه بالكلية فمثل هذا هو الثقل الذي يكون في الغيب فيستريح على الشهادة وسبب ذلك كونه ليس له إنما هو أمانة عنده للشهادة وإذا كان المكروب من ذلك الأمر الشهادة فإنما هو عند الغيب أمانة فيكون الغيب

مكلفاً بحفظها وأدائها في وقتها إلى الشهادة فبالضرورة يثقل عليه ألا ترى إلى قول الله تعالى "إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفق منها وحملها الإنسان" أنه كان ظلوماً يعني لنفسه جهولاً يعني بقدرها فهي ثقيلة في المعنى

وإن كانت خفيفة في التحمل فكانت السموات والأرض والجبال في هذه المسئلة اعلم من الإنسان ولم تكن في الحقيقة اعلم وإنما الإنسان لما كان مخلوقاً على الصورة الإلهية وكان مجموع العالم اغتر بنفسه وبما أعطاه الله من القوة بما ذكرناه فهان عليه حملها ثم أنه رأى الحق قد أهله للخلافة من غير عرض عليه مقامها فتحقق أن الأهلية فيه موجودة ولم تقوا السموات على الإنفراد ولا الأرض على الإنفراد ولا الجبال على الإنفراد قوة جمعية الإنسان فلماذا أئين أن يحملنها وأشفق منها وما علم الإنسان ما يطراً عليه من العوارض في حملها فسمى بذلك العارض خائناً فإنه مجبول على الطمع والكسل وما قبلها إلا من كونه عجولاً فلو فسخ الحق له في الزمان حتى يفكر في نفسه وينظر في ذاته وفي عوارضه لبان له قدر ما عرض عليه فكان يأبى ذلك كما أبته السماء وغيرها ممن عرضت عليه ولقد ورينا فيما رويناه عن الحسن البصري أن رجلاً قدم من سفر فقصد دار الحسن فلما خرج إليه الحسن قال له أي قدمت من مدينة كذا وحملني فلان صديقك السلام عليك فهو يسلم عليك فقال له الحسن متى قدمت قال الساعة قال هل مشيت إلى بيتك قبل أن تأتي قال لا هذا دخولي على حالتي إليك لأؤدي أمانتك قال يا هذا أما أنك لو مشيت إلى بيتك قبل أن تأتي ومات خائناً فالعقل من لا يعد ولا يحمل أمانة وحكم الأمانة إنما هي لمن توصل إليه لا لمن يحملها إياها قال تعالى "إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ولا شك ولا خفاء أنه في طبع كل شئ القلق مما يثقل عليه حتى يخرج عنه لكونه ليس له ما ثقل عليه وإنما هو أمر زائد فإذا كان ذلك الأمر له زال ذلك الثقل وفرح به حيث صار ملكه وظهرت له سيادته عليه ألا ترى أن الإنسان إذا أودعت عنده ما لا كيف يجد ثقله عليه ويتكلف حفظه وصيانته فإذا قال له رب المال قد وهبته لك وأخرجته عن نلكي وخرجت عنه كيف يرجع حمل ذلك المال عنده خفيفاً ويسر به سروراً عظيماً ويعظم قدر ذلك الواهب في نفسه كذلك العبد أوصاف الحق عنده أمانة لا يزال العارف بكونها أمانة عنده تثقل عليه بمراقبة كيف يتصرف بها وأين يصرفها ويخاف أن يتصرف فيها تصرف الممالك فإذا ثقل عليه ذلك ردها إلى صاحبها وبقي ملتزماً خفيفاً بعبوديته التي هي ملك له بل هي حقيقته إذ الزائد عليه قد زال عنه وحصل له الثناء الإلهي بأداء أمانته سالمة فقد أفلح من لم يتعد قدره كما يقال في المثل ماهلك امرؤ عرف قدره ومن هذا المتزل يعلم متعلق الإستفهام حيث كان وذلك أن الإستفهام لا يكون إلا مع عدم العلم في نفس الأمر أو مع اظهار عدم العلم لتقرير المستفهم من استفهمه على ما استفهمه مع علم المستفهم بذلك فيقول المستفهم أي شئ عندك ومالك ضربت فلانا فعلة الإستفهام عن الأمور عدم العلم والباعث على الإستفهام يختلف باختلاف المستفهم فإن كان عالماً بما استفهم عنه فالمقصود به اعلام الغير حيث ظنوا وقالوا خلاف ما هو الأمر عليه مثل قوله تعالى لعيسى عليه السلام "أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله" بحضور من نسب إليه ذلك من العابدين له من النصاري فتراهم عيسى بحضورهم من هذه النسبة فيقول سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق فكان المقصود توبيخ من عبده من أمته وجعله إلهاً فقد وقع في الصورة صورة الإستفهام وهو في الحقيقة توبيخ ومثل هذا في صناعة العربية إذا أعربوا في الإصطلاح يعربونه همزة تقرير وانكار لا استفهام وإن قالوا فيه همزة استفهام والمراد به الإنكار فلهم في اعراب مثل هذا طريقتان فينبغي للعبد أن لا يظهر بصفة تؤديه إلى أن يستفهم عنه فيها ربه لما تعطيه راحة الإستفهام في المستفهم من نفي العلم وذلك الجناح مقدس مآثره عن هذا فأحذر من هذا المقام ولا تعصم من مثل هذا ألا بأن تكون عبوديتك حاكمة عليك ظاهرة فيك على كل حال فإن أستفهمك الحق عن شئ فيكون ذلك ابتداء منه لا سبب لك فيه وهو سبحانه لا يحكم عليه شئ فإنه أن شاء أستفهم وأن شاء لم يستفهم مع نسبة العلم إليه تعالى فيما يستفهم عنه لا بد من ذلك وللاستفهام أدوات مثل ما وأي والهمزة فيخص هذا المتزل من الأدوات بما خاصة دون من وغيرها من الأدوات ليس

لغيرها من أدوات الاستفهام في هذا المتزل دخول وما وقفت إلى الآن على سبب اختصاص هذا المتزل بها دون غيرها وهي في الحكم فيمن تدخل عليه حكم من والهمزة فإنها تدخل على الاسماء والأفعال والحروف وما ثم ألا هذه الثلاث مراتب فعمت فكان لهذا المتزل عموم الاستفهام ولا يصح أن يظهر في هذا المتزل على هذه الحالة ألا أداة ما لأن معانيه تطلبها وقد يستفهم بالأشارة ومن هذا المتزل أفشاء الأسرار وخفي الغيوب لطلب المواطن لها فيعلم الإنسان من هذا المتزل المواطن التي ينبغي أن يبدي فيها مما عنده من الغيوب ويعرف أن موطن الدنيا لا يقتضي ذلك ولهذا لم يظهر من ذلك على الملامية شيء وأعني بالغيوب هنا كل غيب لا يطلبه المواطن وأما الغيوب التي يطلبها كل موطن فلا بد أن يخرج غيب كل موطن في موطنه إلى الشهادة وهذا حال الملامية ألا أن يقتصر بأبراز ذلك أمر إلهي ولا يقتصر به أمر قط ألا أن يطلبه حال ما من الأحوال وأما من غير حال تطلبه فلا ولهذا جهل الناس مقادير أهل الله تعالى عند الله وبهذا سموا أمناء فإذا اقتضى الموطن أبراز غيبه فالعارف أول من يبادر إلى ذلك ويسارع فيه وأن لم يفعل كان غاشاً خائئاً لا يصلح لشيء فإن سبق بأظهاره غيره تعين عليه ذلك الوقت أخفاؤه وأن لا يطلع أحد من الخلق على ما عنده فيه أذ قد ناب غيره فيه منابه فلم يبق لهذا العارف في أظهار ذلك منه ألا حظ نفس لا غير وهذا ليس من شأن خصائص الحق وأهله فإن جاءه وحي من الله بذلك مع أنه قد ظهر على يد غيره فليبادر لأمر الله فيه وليظهره ويكون فيه كالمؤيد للأول وأعلم أنه ما من جنس من أجناس المخلوقين ألا وقد أوحى إليه من ملك وحن وأنسان وحيوان ونبات وجماد فذكر من الحيوان النحل ومن الجماد السماء والأرض وأن كان الكل عندنا أحياء ولكن نجري على المعهود المتعارف في الحس الغالب وقال تعالى "وأن من شيء ألا يسبح بحمده" وقال "وأن من أمة ألا خلا فيها نذير" وقال ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وقال "لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً" وقال "وما أرسلنا من رسول ألا بلسان قومه" أي بلحنهم والوحي على ضروب شتى ويتضمنه هذا المتزل فمنه ما يكون متلقي بالخيال كالمبشرات في عالم الخيال وهو الوحي في النوم فالمتلقي خيال والنازل كذلك والوحي كذلك ومنه ما يكون خيالياً في حس على ذي حس ومنه ما يكون معنى يجده الموحى إليه في نفسه من غير تعلق حس ولا خيال بمن نزل به وقد يكون كتابة ويقع كثيراً للأولياء وبه كان يوحى لأبي عبد الله قضيب البان ولأبي زكريا يا البجائي بالمعرة بدير النقرة ولبقي بن مخلد تلميذ أحمد بن حنبل صاحب المسند ولكن كان أضعف الجماعة في ذلك فكان لا يجده ألا بعد القيام من النوم مكتوباً في ورقة ومما يتضمن هذا المتزل خلق الأعراض صوراً ذوات قائمة متحيزة في رأي العين فاعلم أن الإنسان إذا جاء الله به إليه جمعه عليه جمعية لا تفرقة فيها حتى يهبه الله تعالى في ذلك ما يريد أن يهبه مما سبق في علمه فإذا خرج عن ذلك المشهد وعن تلك الحالة خرج بما حصل له وكان قد حصل له أمراً كلياً بجملاً غير مفصل فيبدو له عند الخروج مفصل الأعيان لكل جزء منه صورة تخصه فيخرج عن حال جمعيته إلى حال تفرقه فتبادر صور الأعمال إليه دفعة واحدة وتعلق كل صورة منها بمن كان أصلاً في وجودها فأماله وأما عليه فتتعلق بعينه صور نظره وبأذنه صور تعلق سمعه وكذلك سائر حواسه في ظاهره ويتعلق بباطنه صور أعمال بباطنه من أعمال فكره وخیاله وسائر قواه الباطنة فيه فإن كانت الصور العملية توجب فرحاً فرح بذلك وبضده وأن كانت صور الأعمال توجب حزناً وغماً كان الإنسان بحسب ما توجه الصورة فإن كان من صورة ما يوجب هذا ويوجب هذا كان فرح الجزء الذي له صورة العمل المفرح فرحاً من حيثته لا من حيث النفس المكلفة فيتنعم ذلك الجزء الأنساني بقدر ذلك ويحزن الجزء الآخر بصورة عمله أيضاً والنفس في هذه الحالة تفرح بحكم التبعية لفرح هذا وتحزن بحكم التبعية لحزن هذا في حال واحدة بأقبالين مختلفين كما كانت تسمع في حال النظر في حال البطش في حال السعي في حال اللمس في حال الشم في حال الطعم ولا يشغلها

واحد عن الباقي مع أحدية المدرك كذلك ينعم من طريق ويحزن من طريق فهو الفرح المحزون وهو الرابح المغبون إلى أن يدخل الجنة وهذا من أعجب المشاهد وقليل واحده في هذه الدار من أهل الطريق لعدم كشفهم وتحققهم وقلة علمهم بذلك والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب السادس والثمانون ومائتان في معرفة منزل من قيل له كن فأبى فلم يكن

من الحضرة المحمدية

لعلمها أنها بالنور تفنيني

بأن في ذلك الإيماء تعنيني

خفية العين بين الكاف والنون

قد كان أجملها الرحمن في النون

شمس الفناء بدت في كاف تكويني

وقد أشارت ولم أعلم أشارتها

فكنت واو العين العلم ظاهرة

فصلت في اللوح أسراراً متوجة

من هذا المتزل قيدت جزاً سميته الفناء في المشاهدة فلنذكر الآن ما يتضمنه هذا المتزل على ما يحوي عليه من الأصول فإن البسط فيه يطول فاعلم أن مظهر هذا المتزل اسمه النور ولكن الأنوار على قسمين نور ما له شعاع ونور شعشعاني فالنور الشعشعاني أن وقع فيه التجلي ذهب بالأبصار وهو الذي أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قيل له يا رسول الله هل رأيت ربك فقال صلى الله عليه وسلم نور إني أراه يقول نور كيف أراه يريد النور الشعشعاني فإن تلك الأشعة تذهب بالأبصار وتمنع من أدراك من تنشق منه تلك الأشعة وهو أيضاً الذي أشار إليه صلى الله عليه وسلم بقوله أن لله سبعين حجاً من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه والسبحات هنا هي أنوار حقيقته فإن وجه الشيء حقيقته وأما النور الذي لا شعاع له فهو النور الذي يكون فيه التجلي ولا شعاع له ولا يتعدى ضوؤه نفسه ويدركه المبصر في غاية الجلاء والوضوح بلا شك وتبقى الحضرة التي يكون فيها هذا الذي كشفت له في غاية من الوضوح لا يغيب عنه منها شيء في غاية الصفاء وفي هذا التجلي يقول النبي صلى الله عليه وسلم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر فمن بعض ما يريد بهذا التشبيه الذي وقع بالرؤية أدراك ذات القمر لضعف أشعة القمر أن يمنع البصر من أدراك ذاته والصحيح في ذلك أنه يريد إذا كسف ليلة بدره فإنه عند ذلك يدرك البصر ذات القمر التي لا تقبل الزيادة ولا النقصان فهو أدراك محقق لذات القمر ثم قال في نفس الحديث أو كما ترون الشمس بالظهيرة ليس دونها سحب وفي ذلك الوقت يكون نورها أقوى فتظهر الأشياء كلها بما فيدرك البصر كلما وقع عليه من الأشياء أدراكه حين كشفت له هذه الشمس وإذا أراد أن يحقق النظر إلى ذات الشمس في هذه الحالة لا يقدر فأوقع التشبيه أن هذا التجلي ليس يمنع أن يرى الناس بعضهم بعضاً أي لا يفنى فلهذا أوقع التشبيه برؤية القمر ليلة البدر وبرؤية الشمس وما اقتصر على واحد منهما وأكد البقاء في هذا المشهد بقوله لا تضارون ولا تضامون من الضيم والضم الذي هو المزاحمة ومن الضير والأضرار ولما دخلت هذا المتزل وقع لي فيه التجلي في النور الذي لا شعاع له فرأيت عالماً ورأيت نفسي به ورأيت جميع الأشياء بنفسي وبما تحمله الأشياء في ذواتها من الأنوار التي تعطى حقائقهم لا من نور زائد على ذلك فرأيت مشهداً عظيماً حسيّاً لا عقليّاً وصورة حقيقة لا معنى ظهر في هذا التجلي اتساع الصغير لدخول الكبير فيه مع بقاء الصغير على صغره والكبير على كبره كالجمل يلج في سم الخياط يشاهد ذلك حساً لا خيالاً وقد وسعه ولا تدري كيف ولا تنكر ما تراه فسبحان من تعالى عن أدراك ما تكييفه العقول وفضل أدراك البصر

عليها لا آله ألا هو العزيز الحكيم فأظهر عجز العقول بهذا التجلي الذي أظهر به قوة الأبصار وفضلها على العقول وأظهر في تجليه في النور الشعشعاني عجز الأبصار وقوة العقول وفضلها على الأبصار ليتصف الكل بالعجز وينفرد الحق بالكمال الذاتي فمن عاين هذا المتزل يرى من العجائب والآيات ما لا يمكن أن يحويه غيره وأول هذا المتزل عند دخولك فيه ترى نفسك مظهر للحق فإذا رأيته تتحقق من نفسك أنه ليس هو وهو آخر هذا المتزل فيتضمن أوله هو مشاهدة ويخاطبك في هذا التجلي بأنه ليس بأنه ليس هو فإنه من التحليلات التي لا تفنى عين المشاهدة فتجمع بين الرؤية والخطاب وآخر هذا المتزل يتضمن الهو وهو في الغيب من غير رؤية وهو متعلق نظر العقل فأول هذا المتزل بصرى وآخره عقلي وما بينهما وهذا متزل يتضمن أيضاً ما نذكره فاعلم أن الأسرار التي يحقها الحق عبده من أهل هذه الطريقة على قسمين منها أسرار تعطيك بذاتها أن تظهرها في الأكوان من غير حرج في ذلك عليك ولا تحتاج في إظهاره إلى إذن إلهي فإن أظهرته عن غير إذن قوبلت ووقع الحرج والجناح عليك في إظهاره وقد وقع لي مثل هذا ولكن بحمد الله قوبلت بالعتاب لا بالعقاب رحمة من الله بي عناية وأسرار آخر لا يعطيها الحق لأحد بواسطة فلو طلبت الأذن فيها إذا أطلعك الحق عليها أن توصلها ما أذن لك فإنها أذواق لا تعرفها من غيرك. بمجرد العبارة عنها فإنها مما ينفرد الحق بأيسر لها من الحق إلى العبد كما يفعل بالأحوال فلو رام أحد أن يعبر عن الشوق الذي يجده إلى من اشتاق إليه ما أطاق ذلك ولا وصل إلى فهم الآخر منه شيء إلا أن يقوم الشوق به مثل ما قام بصاحبه فيعرف عند ذلك حقيقة مسمى هذا اللفظ وكذلك ما في معناه وكذلك الجماع التي حرّمها العنين لا يتمكن لمن قامت به أن يوصلها بالتعريف إلى العنين وكذلك كل علم يتعلق بالحواس لا يمكن للعقل أن يصل إلى معرفته بنفسه ولا بالعبارة عنه إلا أن يحس به الآخر فالذي يختص بهذا المتزل معرفة الأسرار التي يتوقف إظهارها ممن قامت به وأعطيته على الأذن الإلهي ومعرفة الأسرار الإلهية المستورة خلف حجاب الصور التي إلا لمن كان على بينة من ربه في ذلك فإذا شهدت البينة لها عند العبد قبلها فلا يحتاج إلى شاهد مثل ما يحتاج في غيرها فإذا حصل العبد في هذا المقام ووهبه الحق من هذه الأسرار وهب تجل واطلع على أمور غامضة من العلم بالله سترها في نفسه وكتّمها عن غيره وفاء بحق الأمانة وحفظها ومعرفة بقدرها ومزلتها ويطلع على هذه الأسرار معنا من ينسب بعض الأفعال إلى غير الله من المعتزلة والفلاسفة وأهل الشرك الذين عبدوا غير الله مع عبادة الله فقد ينفردون في أوقات مع الله دون الشريك وذلك في أوقات الضرورات المهلكة التي يقطعون فيها أن آلهتهم لا تغني عنهم فيها شيئاً فيلجؤون إلى الله في رفعها فمن تلك الحقيقة المستورة فيهم في حال لا يكون فيه تحت اضرار حسي من ذلك الوجه ينالون هذه الأسرار كانوا أشقياء فإن نيلهم إياها مما يزيد في شقاوتهم حيث عرفوا من بيده الإقتدار وعدلوا عنه وعملوا لغيره مما نصبوه بأيديهم وأيدي من هو من جنسهم إلهاً وظهر لهم عجزه وتمادوا على غيهم كما قال تعالى "في طغيانهم يعمهون" واعلم أن بينة الله في عبادته على قسمين القسم الواحد هو البينة الحقيقية وهو قوله تعالى "أفمن كان على بينة من ربه" يعني في نفسه وأما من تقام له البينة في غيره فقد يمكن أن يقبلها ويمكن أن لا يقبلها والذي يقبلها أن قبلها تقليداً لم تكن في حقه آية بينة ولا تنفعه وإنما يكون التقليد فيما يجيء به الرسول من الأحكام لا من البينات والشواهد على صدقه وإن لم يقبلها تقليداً فما قبلها إلا أن يكون هو على بينة من ربه في أن تلك آية بينية على صدق دعوى من ظهرت على يديه فيما ادعاه فعلمت من هذا أن الشيء لا ينفعك إلا إذا كان فيك ولا يضرّك إلا إذا كان فيك ولهذا نقول في كثير من كلامنا أن حقيقة العذاب هو وجود الألم فيك لا أسبابه سواء وقعت الأسباب فيك أو في غيرك فلا تقول في الأشياء إلا أن تقوم لك منك وأقلها أن يقول بك التصديق بما يتحقق به أهل طريق الله بأنه حق وإن لم تذقه ولا تخالفهم فتكون على بينة من ربك ولا بد في كونهم صادقين وبذلك البينة التي أنت عليها

توافقهم في ذلك فإنهم في مشربهم فإنهم أيضاً ممن يوافق بعضهم بعضاً فيما يتحققون به في الوقت وإن كان لا يدرك هذا ذوقاً ما أدركه صاحبه فيقر له به ويسلمه له مولا ينكره لأرتفاع التهمة ومجالسة هؤلاء إلا قوام لغير المؤمن بهم خطر عظيم وخسران مبین كما قال بعض السادة وأظنه رويما من قعد معهم وخالفهم في شئ مما يتحققون به سرائرهم نزع الله نور الايمان من قلبه فلا يزال الإنسان على الحالة التي هو عليها حتى يقوم له الشاهد بالخروج عنها فمن كان في حالة الكتم كتم ومن كان في حالة الإظهار أظهر وأفشى قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم. بمن هو أهدي سبيلاً فيما هي بسبيله وإن لم يكن ذلك ففي كونه على بينة من ربه كفاية فإن الشاهد إن لم يكن فيه المشهود له على بينة في نفسه من ربه أنه صادق ولكن الحاكم يطالبه بالشاهد فإذا شهد الشاهد له علم المشهود له أنه صادق في شهادته ببينته التي هو عليها أنه على حق في دعواه وإن كان المدعي ليس بصادق في دعواه فالمدعي على بينة من نفسه ومن ربه إن ذلك الشاهد الذي شهد له زور وشهد بالباطل ولا يقبله في نفسه وإن قبله الحاكم فأول ما يتجرع شاهد الزور عند من شهد له بما يعلم المشهود له أن الأمر على خلاف ما شهد له به فلهذا قلنا أن الشاهد لا نلتزمه إذ كنا لا نقبله ولا نتحقق صدقه ولا كذبه إلا حتى يكون في ذلك على بينة من الله فاعلم ذلك واعلم بعد أن تقرر هذا أن الأمر الذي كنى عنه الحق بأنه بينية لك من عنده هو سفير من الله إلى قلبك من خفي غيوبه مختص بك من حضرة الخطاب الإلهي والتعريف من الله أنه من عنده فخذ به وانظر ما يقبله وما يدل عليه فاعتمد

عليه وما ينفيه فإنفه كما يفعل صاحب الفكر في دليله غير أن صاحب الفكر قد يتخذ دليلاً ما ليس بدليل في نفس الأمر وقد يتخذ دليلاً ما هو دليل في نفس الأمر ولكن بالنظر إلى قوة العقل فقد أعطى ما في قوته فلا يكون أبداً من حيث هو عقل إلا أن ذلك دليل وهو دليل وصاحب البينة من ربه على نور من الله وصرط مستقيم لا يعلم الأشياء بما الأعلى ما تكون عليه الأشياء لا يقبل الشبه إلا شبيهاً ذوقاً من صورته لا يتمكن له أن يلبس فيها عليه بخلاف أصحاب الأفكار والذي يعطيه هذا السفير منه ما يعطيه ما هو مقيم وما ليس له بمقيم فالمقامات وغير المقيم كالأحوال ثم أن أصحاب هذا المقام يتفرقون فيه ويتنوعون على نوعين منهم من يعصم من تأثير هواه ومنهم من لا يعصم من تأثير هواه فيه مع أن كل واحد من الطائفتين على علم محقق فبينتهم التي هم عليها أنه معصوم وإن هواه ليس له عليه سبيل وأنه غير معصوم وأن هواه قد أثر فيه لما سبق في علم الله فيه وهل ينفعه هذا العلم عند الله في سعادته أم لا فعندنا أنه نافع وعند غيرنا أنه نافع وإنما وقع الخلاف في مثل هذه المسئلة بوجود الكشف عند الواحد وعدم الكشف عند المخالف مع الاستناد إلى أمر معارض أما عقلي وأما سمعي ثم أن الله تعالى أمر عباده بالإقامة على ما خلقهم له من الدلة والإفتقار إليه ببواطنهم عامة وبظواهرهم على طريقة مخصوصة بينها لهم الشارع وهي جميع الأفعال المقربة إلى الله سواء اقترنت بها في الصورة الظاهرة عزة أو ذلة وربوبية أو عبودية بخلاف الباطن فإن الباطن يجري على الأمر المحقق الذي هو في نفسه عليه والظاهر يجري على ما تقتضيه المصلحة في الوقت بك أو بغيرك فإن ظهر ربوبية وعزة في ظاهر العبد العارف كما ذكرناه لمصلحته فإن الميل في الباطن إلى الذلة والعبودية موجود عنده وهو المعتمد عليه وذلك عارض ولا سيما في موطن التكليف ومن هذا المنزل ينشئ العبد الأعمال صوراً قائمة يكون فيها خلافاً بالفعل ولكن مما يقع له به السعادة عند الله فلا يزال ينشئ تلك الصورة حتى يراها قائمة بين يديه حساً ينظر إليها ويفرح بها وجميع ما يظهر من تلك الصورة مما يقتضيه السعادة فإنما هو لمنشئ هذه الصورة وهو هذا العبد فهي له ك رأس المال وما يكون عنها كالأرباح والأرباح إنما تعود منفعتها على رب المال لا على نفس المال ومن هذا المنزل أيضاً يظهر الجود الذاتي الذي لا يمكن دفعه لا اختيار للعبد فيه فيعطي من نفسه لربه ما سأل فيه أن يعطيه مما لو لم يسأله فيه

لأعطاه إياه وهذا من كرم الله حيث علم أنه لا بد أن يعطيه ذلك لأنه أمر تقتضيه ذاتك فسألك في ذلك أن يجازيك على امتثال أمره في ذلك كما شالك فيما يمكن أن تأناه فأجرى هذا مجرى هذا جوداً منه وليقوم جزاء ما أعطيته عن أمره مما هو عطاء داني في مقابلة منعه وخالفت فيه أمره مما ليس هو عطاء ذاتياً بل امكانياً وهي جميع الأعمال المشروعة فلهذا أمرك بما لا يمكنك الإنفكاك عنه كما لا يمكن للسراج أن يمنع ضوءه ولكن يتصور أن يقال له أعط الأَبصار ضوءك ليدركوا به الأشياء فتجازي من حيث ذلك وذلك أن تعلم أن حضرة كن تتضمن روحاً وجسماً وقد يرتبطان وقد لا يرتبطان فإذا ارتبطا كان هذا الجسم حياً على هذه الصورة من الكاف والواو والنون وإذا كان حياً أنفعل عنه ما يتوجه عليه لأرتباط الروح به وهو الأذن الإلهي كالنفخ من عيسى عليه السلام في الطائرة مقارناً للإذان الإلهي الذي هو النفخ الإلهي فإندرج النفخ الأذني الإلهي الذي به حي الطائر وارتبط روحه في النفخ الجسماني القائم بعيسى فإذا وجد جسم كن من غير ارتباط الروح به لم يكن عنه شيء أصلاً إذا الميت لا يضاف إليه فعل أصلاً ولا يقوم لعقل فيه شبهة بخلاف الحي والصورة الجسمية فيهما واحدة وإذا انفرد روح كن دون جسميته انفعلت عنه الأشياء ومن جملة الأشياء جسمية كن الذي هو في عالم الحروف فإذا علمت ما أوضحنه لك في هذا الكلام وقفت على أمر عظيم من قوله تعالى "إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقوله له كن فيكون" ذلك الأمر ولا بد ويقول الحق سبحانه لعباده في كلامه العزيز أقيموا الصلاة واصبروا وصابروا ورابطوا وجاهدوا ولا يقع شيء من ذلك لأنه قال لهم اخلقوا وليس من شأنهم أن يخلقوا فتعلق بهم جسم كن لأروحها فكانت ميتة يحرم عليهم استعمالها فإذا تعلق الأذن الإلهي الذي هو كن الحية بإيجاد عين الجهاد أو الرباط أو الصلاة أو أي شيء كان من أفعال العباد تكون في حين التوجه علينا وليس من شأن الأفعال أن تقوم بنفسها فكانت الصلاة تظهر في غير مصل والصيام في غير صائم والجهاد في غير مجاهد وهو لا يصح فلا بد من ظهورها في المجاهد والمصلى وغير ذلك فإذا ظهرت فيه نسب الله الفعل إليه وجازاه عليه منة منه وفضلاً لأنه ما ظهر عين الصلاة إلا في المصلى فلو لم ينسب الفعل إليه لكان قدحاً في الخطاب والتكليف ومباهة للحس وكان لا يوثق بالحس في شيء فحسم الله هذا الأمر بما نسب من هذه الأفعال لمن أظهرها فيه وأضافها إليه وأمرهم بها وليس خلقها لهم وإنما ذلك إلى الله تعالى فإنظر ما أعجب هذا الأمر مع ما يتضمنه من التناقض المحقق والایمان بالطريقتين المتناقضتين فيه واجب والأطلاع عليه من باب الكشف مع وجود الايمان به تأييد عظيم وقوة لمن أعطي ذلك فإن في هذا الموطن زل كثير من أهل الكشف وهو قوله وأضله الله على علم والعلم كان لا ينبغي أن يصاحبه الضلال ولا يستلزمه وهنا قد وجد فيه ذلك فلا يخلو أما أن ضل بعلم أولاً بعلم والأمر فيه أشكال ثم أن هذا المنزل يتضمن الجزاء على الأعمال يعني جزاء من ذكرناه في هذا المنزل من الكائين لأسرار الحق الذين أمنهم الله عليها مما لا يظهرونها ألا عن أذن إلهي ومن ذكرناه من الطوائف معهم فجزاؤهم الجلال والعظمة والهيبة وفي الدنيا الخوف والقبص والوحشة وفي الأحوال الأضطلام وفي الحبة الغليل والأشتياق والشوق والكمد والخشية والتحقق بذلك في كل موطن بحسب ذلك الموطن من الدوام وعدم الدوام ألا أنه في ظهور كونه لا يتخلله غفلة ولا فترة أصلاً فإذا زال المقام زال الحال لزواله هذا جزاء من حفظ الأمانة ولم يظهروها ألا بأمر الله وجزاء من أظهرها بأذن الله الإقامة في جوار الله من إسمه الرب لا غيره من الاسماء ومعرفة العلوم التي تتعلق بمن هو تحت حيطته ودون منزلته لا بمن هو فوقه وأن هذه الحالة لهم دائمة والمقام لهم دائم في الدنيا والآخرة ولهم الجمال والأنس ومن الأحوال الرضا ومن الحبة الوصلة والتعانق والألتذاذ ثم الحبوب وضمه ومن خصائص هذا المنزل أن صاحبه لا يبذل المجهود من نفسه في أعماله بل أعماله دون قوته وطاقته ويقبل الله منه ذلك فإنه ممن أتقى الله حق تقاته ما هو

ممن أتقى الله أستطاعته وصاحب هذا المقام لا يتصور منه أن يطلب من الحق ما لم يعطه مما هو جائر أن يحصل له ويمنعه من ذلك الحياء من الله حيث لم يبذل المجهود من نفسه فيما كلفه من الأعمال على جهة الندب فهو قانع بما أعطاه ربه ولا يجد حسرة فوت لما فاتته مع علمه بما فاتته لأن حاله الألتذاذ في ذلك الوقت بما هو فيه من النعيم وقد بينا أصول هذا المنزل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب السابع والثمانون ومائتان في معرفة منزل التجلي الصمداني وأسراره من الحضرة المحمدية

شخص الزمان له نفس تدبره

غيدا معطرة من عالم الأمر

جيم وعين وفاء من منازلها

جاءت به رسله في محكم الذكر

لها صلاتان من علم الغيوب وما

للظهر والعصر ذاك الفخر والفجر

من أراد أن يقف على ما تضمنه هذا المنزل في التجلي الصمداني الذي هو خاص به من المعارف والحقائق والأسرار الضيائية وغيرها فليطالع في باب القلب من كتاب مواقع النجوم لنا في علم هذا الطريق فلنذكر في هذا المنزل ما سوى ذلك مخافة التطويل فاعلم أن لهذا المنزل الإنابة وممن تحقق بها أبو يزيد البسطامي وهي الجمعية الذاتية ولا تكون للمعارف من الله إلا عن شهود محقق من خلف حجاب مظهر بشري واعلم أن القوم قد اصططحوا على ألفاظ لمعان قرروها في نفوسهم يخاطبون بها بعضهم بعضا كما فعلت كل طائفة فيما تنتحل من العلوم كالتحويين وأصحاب العدد والمهندسين والأطباء والمتكلمين والفقهاء وغيرهم فمما اصطلحت عليه هذه الطائفة الهوية والأنية والأنانية لأغراض في نفوسهم فهذا المنزل من ذلك منزل الأنانية فالأنية هي عبارة عن الحقيقة من حيث الأحدية والأنانية التي هنا عبارة عن الحقيقة الأحدية التي هي عين الجمع فهذا منزل من منازل الغيوب لا ظهور له في الشهادة لكن المنازل التي في الغيب على ضربين منازل يكون عنها آثار في الشهادة يستدل بتلك الآثار عليها وإن كانت غيباً سواء ورد بذلك التعريف الإلهي أو لم يرد من حيث الخطاب ومنازل لا يكون عنها في الشهادة أثر فلا تعرف إلا من طريق التعريف الإلهي أو ولا يتحقق تحقق منازل الآثار وهذه الأنانية من المنازل التي لها آثار في عالم الشهادة والملكوت وآثارها مختلفة وتتنوع باختلاف آثارها وإن كانت في نفسها مطلقة فتارة تنقيد باسم ضمير مثلها في الرتبة فتحتاج إلى تنقيد آخر مثل قوله تعالى "إنا أوحينا إليك" فإنا والنون من أوحينا على مرتبة واحدة من حيث أحدية حقيقة الجمعية والتنقيد لأننا الوحي والتنقيد للنون من أوحينا ما يذكره بعده من قرآن أو روح أو غير ذلك وتارة لا يتقيد باسم ضمير مثل قولهم أنا بني فلان وكما قيل

نحن بني ضبة إذ جد الوهل

الموت أحلى عندنا من العسل

وما وقفت على مثل هذا في القرآن فكنا نستشهد به وإنما استشهدت بهذا وإن لم يكن قرآناً فإنه من كلام العرب الذي نزل القرآن بلسانهم والذي تنقيدت به في المنزل الإنزال الإلهي لا التزليل على العارفين م عباده أما بما أجراه في خلقه أو بما يجريه في خلقه وأنزله على قسمين قسم يكون الإنزال على جهة التعريف بمكانه ما يجريه في خلقه أو ما أجراه ومرتبته فيكون تنزله على قلب العبد من

الغيب في الغيب من عين واحد إلى عين واحد ر يقبل التفصيل والقسم الآخر يكون تنزلة على قلب العبد وهو مشغول في تدبير هيكله وطبعته لا يأخذه عن ذلك وذلك الإنزال من عين جمع إلى عين جمع ليفصل ما يزل عليه لخلق مما أجراه الله أو يجره حكي لنا من جماعة منهم أبو البدر عن شيخنا عبد القادر رحمه الله أنه بل السنة تأتيني إذا دخلت فتحبرني بما يكون فيها ويحدث وكذلك لشهر والجمعة واليوم وكذلك كان الشيخ أبو يعزى رمضان لأن صاحبنا أبا زيد الرقراقي الأصولي أخبرني بشهادة هذا في شهر رمضان إذ كان هذا المخبر عنده في ذلك الوقت فرأى رمضان قد جاءه مخبر إنما ذكرناه فلا تعرف منازل الأكوان عند الله من طريق التعريف الإلهي والعناية بهذا المقرب إلا بتعريف الله عباده في أسرارهم بما يليق فيها من نفث روح في روح مثل مثل ما كانت الملائكة تنزل على الأنبياء عليهم السلام بذلك واعلم أن المراتب التي يكون الخلق عليها متفاضلة في كل جنس فالرسل يفضل بعضهم بعض والانبيااء يفضل بعضهم بعض والمحققون يفضل بعضهم بعضا وهكذا إلى أصحاب الصنائع العملية فهذا المتزل يفضل غيره في التجليات الإلهية المشبه رؤيتها برؤية القمر والشمس بالفي تجلى وثمان تجليات منطقية مندرجة في الألفين المذكورين غير أن هذه الثمانية لها خصوص وصف يظهر في تجلي المقامات الذي هو مائة وستة وستون تجلياً فعند ذلك يظهر سلطان هذه الثمانية من التجليات ويعطى من المعارف ما شاء الله أن يعطى وأما الألفان فهي تجليات سريعة الزوال مكثها قليل ولا تعطي علماً عاماً المائة والستة والستون فتعطى من العلوم العامة السارية في الموجودات وبقائها وما يكون عنها وبسببها علماً عاماً مجرداً خالصاً ثابتاً لا يتزلزل ولا يشتهب وإن كان حكمه ينتقل منه وفيه ولا يخرج عنه واختلف أصحابنا هل ثم تجل في هذه التجليات يتصف بالنقص من حيث الصورة التي يتجلى فيها إذا كانت صورة طبيعية والطبائع رباعية فيكون التجلي الناقص في الصورة الطبيعية في وقت في العصر الناري فيكون غير كامل في نفسه ولكن يعطى بحسب ما يعطيه عنصره لا يزيد عليه فإذا كان في تجلي آخر انضاف إلى تلك الصورة العنصر الثاني إلى أن يكمل العناصر في أربع تجليات فيقع التجلي في العنصر الرابع بكمال الصورة الطبيعية على صورة مكملة فيلحق بأخوانه من التجليات والأمر عندنا ليس كذلك ولا يصح أن يكون هناك تجل ينقص أو يزيد وإنما هذا الشخص القائل بهذا ظهرت له حالته في عين التجلي فتخيل أن النقص في التجلي وكان النقص فيه ثم اتفق أنه لما تجلى له التجلي الثاني رأى تلك الصورة التي كان عليها في نفسه قد زاد فيها ما لم يكن والنقص والزيادة فيه فحكم على التجلي بذلك واعلم أن الأرواح النورية المسخرة لا المدبرة تنزل على قلوب العارفين كما قلناه بالأوامر والشؤون الإلهية والخيرات بحسب ما يريد الحق بهذا العبد فترقيه بما نزلت به إليه ترقيه وتخليصاً إلى الحجاب الأقرب من الحجب البعيدة إلى أن يتولاه الله بارتفاع الوسائط غير أن هذا القلب إذا فارقه التزيلات الروحية التي يشترك فيها أهل هذه الطريقة والحكماء العاملون على تصفية النفوس وتخليصها من كدر الطبع وقبل أن يتولى الحق أمره بارتفاع الوسائط يمكث معرى عن الأمرين مثل الوقفة بين المقامين ومثل النومة العامة بين الحس والخيال وهو مقام الحيرة لهذا القلب فإن الذي كان يأنس إليه ويأخذ عنه قد فقدته والذي يأتي إليه ما رآه بعد فيبقى حائراً ولقد أخبرني صاحبي أبو اسحق إبراهيم بن محمد الأنصاري القرطبي وفقه الله عن شيخنا أبي زكريا الحسني ببجاية قال أخبرني غير واحد من أصحابه وممن حضر موته أن الشيخ خرج إلى الناس وكان في المسجد الجامع معتكفا في شهر رمضان وقد غير لباسه الذي كان عليه وقد ظهر فيه التعبير فقال لهم ادعوا إلى فياني قد فقدت الذي كان عندي ولم يكن بعد قد حصل له شيء بما يأتي وحرار في أمره فطلب من الناس الدعاء فإنه لم يكن من أهل الأذواق الإلهية لغلبة الفقه عليه ما تخلص له الأمر ثم عاد إلى خلوته فأبطأ عليهم خروجه فدخلوا عليه فإذا هو مسبحس قد فارق الدنيا فأشار إليهم بتغيير

لباسه أن الذي كان يلبسه قد جرد عنه والخيرة والإفتقار إلى دعاء الأخوان دلت على أنه ما كان الحق تولى أمره الذي أوأنا إليه ففرحت له بذلك لعل الله يكون قد تولاه قبل كوته بلحظة فقبضته إليه وهو عندهو حال العارف في هذه الخيرة والوقفه التضرع والإبتهاال إلى الله بالإفتقار والخشوع المستعمل في أن يتجلى له حكم توليه إياه بارتفاع الوسائط م الوجه الخاص الذي بين كل موجود وبين ربه الذي لا يعرفه كل عارف ومن هذا المتزل يعرف ما يتزل الحق من المعارف على قلوب عباده بإنزال الأرواح إليها قال تعالى يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده أنه لا إله إلا أنا ولم يقل هو فكان الروح هو الملقى من عند الله إلى قلوب عباده ويكون الأمر الله هو الذي ألقاه ويكون ذلك الروح صورة قوله لا إله إلا أنا فاتقون فارتفعت الوساطة في هذا المتزل إذ كان عين الوحي المتزل هو عين الروح وكان اللقي هو الله لا غيره فهذا الروح ليس عين الملك وإنما هو عين المألركة فافهم فمثل هذا الروح لا تعرفه الملائكة لأنه ليس من جنسها فإنه روح غير محمول ليس نورانياً والملك روح الأمين على قلبك فهو رسول الرسول وأما تنزل الأرواح الملكية على قلوب العباد فإنهم لا يزالون إلا بأمر الله الرب وليس معنى ذلك أن الله يأمرهم من حضرة الخطاب بالإنزال والتزول بما وجدته في نفوسهم من الوحي الذي لا يليق بهم وإن ذلك الوحي من خصائص البشر ويشاهدون صورة المتزل عليه في الصور التي عندهم تسبيحها يا من أظهر الجميل وستر القبح للمستور التي تسدل وترفع فيعرفون من تلك الصور من هو صاحبها في الأرض فيتزولون عليه ويلقون إليه ما ألقى إليهم فيعبر عن ذلك الملقى بالشرع والوحي فإن كان منسوباً إلى الله بحكم الصفة سمي قرآنا وفرقانا وتورا وزبوراً وإنجيلاً وصحفاً وإن كان منسوباً إلى الله بحكم الفعل الصفة سمي حديثاً وخبراً ورأياً وسنة وقد يتزولون أيضاً بالأمر الإلهي من حضرة الخطاب وكلا الوجهين من التزل يتضمنه قول جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم لما قال له الحق أن يقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم عن ربه ولهذا جعله من القرآن وهو حكاية الله عن جبريل وجبريل هو الذي نزل به وما أخرجه نزوله به الحكاية عنه أن يكون قرآنا فكان جبريل يحكي عن الله تعالى ما حكى الله تعالى عن جبريل أن لو قال لمحمد صلى الله عليه وسلم ذلك لقاله له على هذا الخد في عالم الشهادة وهو قوله وما نتزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً فيما شاهده من قول جبريل لمحمد عليهما السلام وهم أعيان ثابتة في حال عدمهم وخطاباتهم أعيان ثابتة في حال عدمهم له فهو الإشارة إليه بقوله نسياً فكانت الحكاية أمراً محققاً عن وجود الله محقق لا يتصف بالحدوث ثم حدث الوجود لتلك الأعيان فأخبرت بما كان منها قبل كونها مما شاهده الحق ولم تشهد له عدم وجودها في عينها روى عن الزهري أنه حدث عن شخص من الثقات حديثاً أو حدث عنه فقال المحدث عنه لا أعلم هذا الحديث ولا أنا منه على يقين ولكن أنت عندي ثقة فرواه عنه عن نفسه وقال حدثني فلان عني وقال أي قلت له حدثني فلان واتصل الأسناد فتنبه لهذه المسئلة في طريق الرواية ومما يتضمن هذا المتزل فضل العلم المستور على العلم المشهور والعلم المستور هو على ضربين ضرب منه لم يضمن في الشهادة صور كلمات وضرب ضمن صور كلمات فمثل العلم المضمن صور كلمات وهو مستور عن أن يتعلق به معرفة عارف على القطع الإبأخبار إلهي فهو علم ما تشابه من القرآن الذي لا يعلم تأوله إلا الله فهذا من العلوم المستورة ولكن لا يعرف من صور الكلمات في أي وجه هو مستور فيه والعلم الثاني المستور هو الذي لم يكن له صورة يحتجب بها من صور الكلمات وفضل مثل هذا العلم ومزله مجهولة يعلمها الله ومن أعلمه الله وقد يصادف الإنسان العمل بما يقتضيه ذلك العلم وهو لا يعرف ذلك حتى ينتقل إلى الدار الآخرة فيجد ثمرة عمله مرتبطة بمزلة ذلك العلم المستور فيعلمه عند ذلك ومما يتعلق بهذا الباب انزال الهو

مترلة الشاهد مع بقاء الهو في عينيه مترلها ولا يكون الهو يتزل أبداً إلا في صور مدركة بالحس أما في الخيال ويسمى

بألهو في حال ظهور الصورة ليعلم أن الهو روح تلك الصورة ودلوها فيعلم أن تلك الصورة لا يعلم معناها إلا الله كما قال تعالى وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ومن كان عند الهو كان بحيث الهو والهو غيب والذي يكون عنده غيب وإذا كان غيباً عند غيب فلا تعلمه الشهادة وإنما يعلمه الغيب فلا يعلم ما في الغيب إلا من هو غيب فمن حيث الصور ينسب إلى الغيب الظرفية فإذا ارتفعت الصور زال الغيب لأن الحجاب قد ارتفع فلا يتصف بالغيب ولا بالشهادة لأن الشهادة لا تنفك عن الصور وقد قلنا لا صورة فقد قلنا لا شهادة والصورة تجعل ذلك الأمر غيباً وقد قلنا بزوال الصورة فقد رفعنا حكم الغيب عن ذلك الأمر فلا غيب ولا شهادة وفي هذا المتزل من العجائب والأسرار مالم أظهرناه لتوقفت عقول أكثر علماء هذه الطريقة السليمة عن قبول مثلها ومن هذا المتزل يتلقي ملك الموت آجال الناس وأختلف أهل الكشف في آجال الحيوان وفي آجال كل ما سوى الإنسان هل هذا المتزل متزل علمها أم لا وهل لما عدا الحيوان آجال أم لا فاعلم أن الله تعالى جعل لكل صورة في العالم أجلاً تنتهي إليه في الدنيا والآخرة ألا الأعيان القابلة للصور فإنه لا أجل لها بل لها منذ خلقها الله الدوام والبقاء قال تعالى "كل يجري إلى أجل مسمى" وقال ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده فجاء بكل وهي تقتضي الأحاطة والعموم وقد قلنا أن الأعيان القابلة للصور لا أجل لها فبماذا خرجت من حكم كل قلنا ما خرجت وأما الأجل الذي للعين إنما هو ارتباطها بصورة من الصور التي تقبلها فهي تنتهي في القبول لها إلى أجل مسمى وهو أنقضاء زمان تلك الصورة فإذا وصل الأجل المعلوم عند الله في هذا الارتباط أنعدمت الصورة وقبل العين صورة أخرى فقد جرت الأعيان إلى أجل مسمى في قبول صورة ما كما جرت الصورة إلى أجل مسمى في ثبوتها لتلك العين الذي كان محل ظهورها فقد عم الكل الأجل المسمى فقد قدر الله لكل شيء أجلاً في أمر ما ينتهي إليه ثم ينتقل إلى حالة أخرى يجري فيها أيضاً إلى أجل مسمى فإن الله خلاق على الدوام مع الأنفاس فمن الأشياء ما يكون مدة بقاءه زمان وجوده وينتهي إلى أجله في الزمان الثاني من زمان وجوده وهي أقصر مدة في العالم وفعل الله ذلك ليصبح الأفتقار مع الأنفاس من الأعيان إلى الله تعالى فلو بقيت زمانين فصاعداً لأتصفت بالغي عن الله في تلك المدة وهذه مسألة لا يقول بها أحد ألا أهل الكشف المحقق منا والأشاعرة من المتكلمين وموضع الأجماع من الكل في هذه المسئلة التي لا يقدرُونَ على أنكارها الحركة ألا طائفتين من يجعل الحركة نسبة لا وجود لها وهو الباقلاني من المتكلمين وأصحاب الكمون والظهور القائلون به وأن قال القائلون بالكمون والظهور بذلك فإنهم تحت حيلة كل بهذا المذهب فإنه قد جرى في كمونه إلى أجل مسمى وهو زمان ظهوره فقد أنقضت مدة كمونه وجرى في ظهوره إلى أجل مسمى وهو زمان كمونه فقد أنقضت مدة ظهوره ولا يلزم من جريانهم إلى الأجل أن المراد عدمهم بل يجوز أن يكون له العدم ويجوز أن يكون الانتقال مع بقاء العين الموصوفة بالجري ويجوز أن يكون منه أجل يعدمه ومنه ما يكون له أجل بآنتقاله يعدمه وهو الذي نذهب إليه ونقول به وأعلم أن الله في هذا المتزل أرواحاً من الملائكة بأيديهم من الخيرات والنعيم الدائم ما لا يدري مقداره ألا الله تعالى قد وكلهم الله على ذلك وجعلهم حفظة عليه وخزاناً لأصحابه من الأناسي يؤدون ذلك إليه في الوقت الذي قد قررهم الحق ذلك وعينه لهم بالحال التي ينتقل ذلك العبد السعيد إليها وكذلك له ملائكة خزنة بالنقيض أيضاً معدة لأنسان آخر يؤدون ذلك إليه في الوقت الذي قرره الحق لهم بالحال التي ينتقل إليها ذلك العبد الشقي كل ذلك بتقدير العزيز العليم وأعلم أنه ما من كلمة يتكلم بها العبد ألا ويخلق الله من تلك الكلمة ملكاً فإن كانت خيراً كان ملك رحمة وأن كانت شراً كان ملك نقمة فإن تاب إلى الله وتلفظ بتوبته خلق الله من تلك اللفظة ملك رحمة وخلع من المعنى الذي دل عليه ذلك اللفظ بالتوبة الذي قام بقلب التائب على ذلك الملك الذي كان خلقه من كلمة الشر خلعة رحمة وواخي بينه وبين الملك الذي خلقه من كلمة

التوبة وهو قوله تبت إلى الله فإن كانت التوبة عامة خلعت على كل ملك نقمة كان مخلوقاً لذلك العبد من كلمات شره خلعت رحمة وجعل مصاحباً للملك المخلوق من لفظة توبته فإنه إذا قال العبد تبت إليك من كل شيء لا يرضيك كان في هذا اللفظ من الخير جمعية كل شيء من الشر فخلق من هذا اللفظ ملائكة كثيرة بعدد كلمات الشر التي كانت منه فإن الإنسان أعطي لفظاً يدل على الأفراد وأعطي لفظاً يدل على الاثنين وأعطي لفظاً يدل على الكثرة فلفظة كل تدل على الكثرة فعلم أن قوله تبت إلى الله من كل شيء أنه تبت إلى الله من كذا تبت إلى الله من كذا تبت إلى اله من كذا كما تقول زيدون تريد بذلك زيد وزيد وهذا أقله إلى ما لا يتناهي كثرة وكذلك لفظة زيود في جمع التكسير فلهذا خلق الله من كلمة الجمع ملائكة بعدد ما تعمه تلك الكلمة وأنما قلنا بأن الملائكة المخلوقة من كلمة الشر يخلع عليها خلعت الخير وترجع ملائكة رحمة في حق هذا التائب ويصاحب بينها وبين الملائكة المخلوقة من لفظ التوبة عن ذلك الشر فإن الكشف أعطي ذلك وصدقه الوحي المتزل بقول الله تعالى في هذا الصنف يبذل الله سيئاتهم حسنات فجعل التبديل في عين السيئة وهو ما ذكرناه ولقد أخبرني عبد الكريم بن وحشي المصري وكان من الرجال بمكة رحمه الله سنة تسع وتسعين وخمسائة قال لي ركب البحر من جدة نطلب الديار المصرية فلما مخرنا جئنا ليلة ونحن نجري في وسط البحر وقد نام أهل المركب فإذا شخص من الجماعة قد قام يريد قضاء الحاجة فزلقت رجله ووقع في البحر وأخذته الأمواج فسكت الراس وما تكلم وكانت الرياح طيبة فما شعر راس المركب ألا والرجل يجيء على وجه الماء حتى دخل المركب وصحبته طائر كبير فلما وصل إلى المركب طار الطائر ونزل بجامور الصاري على رأس القرية ثم رآه قد مد منقاره إلى أذن ذلك الرجل كأنه يكلمه ثم طار فلم يقل له الراس شيئاً حتى إذا كان في وقت آخر من النهار أخذه الراس وأكرمه وسأله الدعاء فقال له الرجل ما أنا من القوم الذين يسأل منهم الدعاء فقال له الربان رأيتك البارحة وما جرى منك فقال يا أخي ليس الأمر كما ظننت ولكني لما وقعت في البحر وأخذتني الأمواج تيقنت بالهلاك وعلمت أن الاستغاثة بكم لا تفيد فقلت ذلك تقدير العزيز العليم مستسلماً لقضاء الله فما شعرت ألا وطائر قد قبض علي وأقامني من بين الأمواج وحملني على موج البحر إلى أن أدخلني المركب كما رأيت فتعجبت من صنع الله وبقيت أطلع إلى الطائر وأقول ياليت شعري من يكون هذا الطائر الذي جعله الله سبب نجاتي وحياتي فمد الطائر منقاره من أعلى الصاري إلى أذني وقال لي أنا كلمتك ذلك تقدير العزيز العليم وبه سميت فكان إسم ذلك الطائر ذلك تقدير العزيز العليم فهذا مما أشرنا إليه من خلق الله الملائكة من الكلمات وتلك الكلمات تكون أسماءهم وبها يتميزون وبها يدعون كانت ما كانت ويختص بهذا المتزل علوم كثيرة وتحليات يطول الكلام فيها ويكفي هذا القدر والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الثامن والثمانون ومائتان في معرفة منزل التلاوة الأولى

من الحضرة الموسوية

من إسمه الرب رب الروح والصور

له فلا فرق بين العقل والحجر

فلا يميز بين العين والمدر

له التميز بين العين والبصر

كن للأله كبسم الله للبشر

فالخلق والأمر والتكوين أجمعه

كالزاهد المتعالي في غناه به

والعارف المتعالي في نزاهته

أول ما أمر الله به عبده الجمع وهو الأدب وهو مشتق من المأدبة وهو الاجتماع على الطعام كذلك الأدب عبارة عن جماع الخير كله قال صلى الله عليه وسلم أن الله أدبني أي جمع في جميع الخيرات لأنه قال فحسن أدبي أي جعلني محلاً لكل حسن فقيل للإنسان أجمع الخيرات فإن الله جعل في الدنيا عبده عاملاً جانياً يجي له سبحانه جميع ما رسم له فهو في الدنيا يجمع ذلك فما خلقه الله ألا للجمع فإن جمع ما أمر بجمعه وجباه كان سعيداً ووهبه الحق جميع ما جباه وأنعم عليه فكانت أجرته عين ما جمعه مع الثناء الإلهي الحسن عليه بالأمانة والعدل وعدم الظلم والخيانة وأن كان عبد سوء خان في أمانته فأعطاهما غير أهلها وجمع ما لم يؤمر بجمعه مما نهى عنه أن يدخل فيه نفسه وترك جمع ما أمر بجمعه فلما أنقلب إلى سيده وحصل في ديوان المحاسبة وقعد أهل الديوان يحاسبونه ورأى شدة الهول في حسابه وحساب غيره ورأى الأمانة الذين جبوا على حد ما رسم لهم قد سعدوا وأمنوا كثر عليه الغم والحزن فمنهم من عفى عنه وخلق سبيله لشفاعته شافع ومنهم من لم يكن له شفيع فعذب وعصر فمن عرف ما خلق له وعمل عليه أستراح راحة الأبد مع أنه في نفسه في زمان جبايته على حذر وخطر وأن كان هذا فأحسن ما جمعه الإنسان في حياته العلم بالله والتخلق باسمائه والوقوف عندما تقتضيه عبوديته وأن يوفي ما تستحقه مرتبة سيده من أمثال أوامره ومثل هذا الأمر من الاسماء الإلهية الاسم الرب وقد نعت الله سبحانه هذا الاسم بالعظمة والكرم والعلو في مواضع من كتابه العزيز وذكر ما جعل تحت حكمه وبيده من الأمور وجعل للباء في هذا المنزل سلطاناً عظيماً حيث جعلها واسطة بين الله وعبده فإن الله تعالى قال لعبده "سبح إسم ربك الأعلى" فأمره بتزيهه فقال له العبد مقالة حال بما نسبته فقال "سبح باسم ربك العظيم" أي لا تزهه إلا باسمائه لا بشيء من أكوانه وأسمائه لا تعرف إلا منه عندنا وأن كانت هذه المسئلة مسئلة خلاف بين علماء الرسوم فإذا لم تعرف أسمائه إلا منه ولا يتره إلا بها فكأن العبد ناب مناب الحق في الثناء عليه بما أثني هو على نفسه لا بما أحدثه العبد من نظره وأي شرف أعظم من شرف من ناب مناب الحق في الثناء عليه والمعرفة به فكان الحق أستخلف عبده عليه في هذه الرتبة فلو أن المثنى على الله باسمائه يعرف قدر هذه المتزلة التي أنزله الله فيها لفني عن وجوده فرحاً بما هو عليه ثم لا يخلو العبد في هذا الثناء أما أن يثني على الله باسمائه التزيه أو باسماء الأفعال فالمتقدم عندنا من جهة الكشف أن تبتدئ باسماء التزيه وبالنظر العقلي باسماء الأفعال فلا بد من مشاهدة المفعولات فأول مفعول أشاهده الأقرب إلى وهو نفسي فأثني عليه باسماء فعله بي وفي وكلما رمت أن أنتقل من نفسي إلى غيري أطلعت على حادث آخر أحدثه في نفسي يطلب مني الثناء عليه به فلا أزال كذلك أبدأ الأبد دنيا وآخرة ولا يكون إلا هكذا فإنظر ما يبقى على من منازل الثناء على الله من مشاهدة ما سوى من المخلوقين وهذا المشهد يطلب لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ولهذا التميم قال الصديق العجز عن درك الإدراك أدراك وبعد الفراغ مني ومن المخلوقين حينئذ أشرع في الثناء عليه باسماء التزيه والفراغ من نفسي محال فالوصول إلى مشاهدة الأكوان بالفراغ من الأكوان محال فالوصول إلى أسماء التزيه محال فإذا رأيت أحداً من العامة أو ممن يدعي المعرفة بالله يثني على الله باسماء التزيه على طريق المشاهدة أو باسماء الأفعال من حيث ما هي متعلقة بغيره فاعلم أنه ما عرف نفسه ولا شاهدها ولا أحس بآثار الحق فيه ومن عمى عن نفسه التي هي أقرب إليه فهو على الحقيقة عن غيره أعمى وأضل سبيلاً قال تعالى ومن كان في هذا أعمى يعني في الدنيا وسماها دنيا لأنها أقرب إلينا من الآخرة قال تعالى أذ أنتم

بالعدوة الدنيا يريد القرية وهم بالعدوة القصوى يعني البعيدة فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً ثم لتعلم أنك من جملة أسمائه بل من أكملها اسماً حتى أن بعض الشيوخ وهو أبو يزيد البسطامي سأله بعض الناس عن إسم الله الأعظم فقال أروني الأصغر حتى أريكم الأعظم أسماء الله كلها عظيمة فأصدق وخذ أي إسم إلهي شئت ولقيت الشيخ أبا أحمد بن سيد بون بمرسية وسأله أنسان عن إسم الله الأعظم فرماه بحصاة يشير إليه أنك

إسم الله الأعظم وذلك أن الاسماء وضعت للدلالة فقد يمكن فيها الاشتراك وأنت أدل دليل على الله وأكبره فلك أن تسبحه بك فإن قلت وهكذا في جميع الأكوان قلنا نعم ألا أنك أكمل دليل عليه وأعظمه من جميع الأكوان لكونه سبحانه خلقك على صورته وجمع لك بين يديه ولم يقل ذلك عن غيرك من الموجودات فإن قلت فقد وصف نفسه بالعظمة قلنا وقد وصفك بالعظمة وندبك إلى تعظيمة فقال ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب وأنت أعظم الشعائر فيتضمن قوله تعالى "فسبح باسم ربك العظيم" أن تتره بوجدك وبالنظر في ذاتك فتطلع على ما أخفاه فيك من قرة عين فإنت إسمه العظيم ومن كونك على صورته ثبتت العلاقة بينك وبينه فقال يحبهم ويحبونه والحب علاقة بين الحب والمحوب ولم يجعلها ألا في المؤمنين من عباده ولا خفاء أن الشكل يألف شكله وهو الإنسان الكامل الذي لا يماثل في ليس كمثله شيء ولك حرف لام ألف من الصورة فإنه يلتبس على الناظر أي الفخذين هو اللام وأيهما هو الألف للمشاهدة في لآتداخل كل واحد منهما على صاحبه ولهذا كان لام الألف من جملة الحروف وأن كان مركباً من ذاتين موجودتين في العلم غير مفترقتين في الشكل ولهذا وقع الأشكال في أفعالنا هاهي لنا أو لله فلا يتخلص في ذلك دليل يعول عليه فالألف لها الأحدية في المرتبة والأول من العدد والام لها المرتبة الثالثة من أول مراتب العقد والثالثة هي أول الأفراد فقد ظهر التناسب بين الأحد والفرد من حيث الوترية فهو أول في الأحدية والإنسان الكامل أول في الفردية فاعلم ذلك ولهذا جاء في نشأة الإنسان أنه علة من العلاقة والعلقية في ثالث مرتبة من أطوار خلخته فهي في الفردية المناسبة له من جهة اللام في مراتب العدد قال تعالى "خلقنا الإنسان من سلالة من طين" وهذه أول مرتبة ثم جعلناه نطفة في قرار مكين هدى ثانية ثم خلقنا النطفة علة وهي المرتبة الفردية ولها الجمع والإنسان محل الجمع لصورة الحضرة الإلهية ولصورة العالم الكبير ولهذا كان الإنسان وجوده بين الحق والعالم الكبير وأنفصل جميع المولدات ما سوى الإنسان عن وجود الإنسان بأن جميع المولدات ما عداه موجودون عن العالم فهو عن أم بغير أب كوجود عيسى بن مريم صلوات الله عليه وأما نبهناك على هذا لثلاث تقول أن جميع المولدات وجدوا بين الله والعالم وما كان الأمر كذلك وألا فلا فائدة لقوله خلق آدم على صورته ولو كانت الصورة ما يتوهمه بعض أصحابنا بل شيوخنا من كونه ذاتاً وسبع صفات فإن ذلك ليس بصحيح فإن الحيوان معلوم أن له ذاتاً وأنه حي عالم مريد قادر متكلم سميع بصير فكان يبطل اختصاص الإنسان بالصورة وإنما جاءت على جهة التشريف له فلم يبق إلا تكون الصورة غير ما ذكرناه فإن منعت العلم عن الحيوان كابرته الحس فإن الحيوان مفطور على العلم وأنه يوحى إليه كما قال وأوحى ربك إلى النحل فإن نازعت في الكلام قلنا لك كلامه من جنس ما يليق بمزاجه وأما المكاشف فلا يحتاج معه إلى هذا فإنه يرى ما نرى ويعلم ما نعلم فإن قلت فكلامنا هو الحقيقة قلنا فالكلام الذي تثبته لنفسك أن أرادت به الأصوات والحروف المركبة فكلام الله عندك على خلاف هذا ليس بصوت ولا حرف أن كنت أشعرياً وأن كنت معتزلياً فالكلام لمن خلقه وإن كان الكلام عندك عبارة عن كلام النفس فذلك موجود في الحيوان فصوت السنور إذا طلب ما يأكل خلاف صوته إذا طلب ما ينكح فقد أعرب بصوته عما حدثته به نفسه فإن قلت أن ذلك الذي في النفس إرادة وليس بكلام قلنا وكذلك الإنسان الذي في نفسه إرادة وليس بكلام فإن قلت ما استدلل به أبو

اسحق الإسفرايني الأستاذ من حديث النفس بما مضى وما مضى لا يكون مراداً إذن فليست إرادة أعني ذلك الذي في النفس قلنا ذلك هو العلم بما قد مضى والتبس عليك ولا دليل لهم على كلام النفس أوضح من هذا وهو مدخول كما رأيت فخرج من هذا أن قوله صلى الله عليه وسلم على صورته لا يريد ما ذكرناه أصحابنا من الذات والصفات وكل الجماعة على ذلك فابحث على هذا الكثر حتى يفتح الله عليك به كما فتح به على من شاء من خلقه في قوله يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده وما يختص به هذا المتزل من العلوم أيضاً أن الله لما خلق العقل الأول أعطاه من العلم ما حصل له به الشرف على من هو دونه ومع هذا ما قال فيه أنه مخلوق على الصورة مع أنه مفعول

ابداً كما هي النفس مفعول انبعاثي فلما خلق الله الإنسان الكامل أعطاه مرتبة العقل الأول وعلمه ما لم يعلمه العقل من الحقيقة الصورية التي هي الوجه الخاص له من جانب الحق وبها زاد على جميع المخلوقات وبها كان المقصود من العالم فلم تظهر صورة موجود إلا بالإنسان والعقل الأول على عظمه جزء من الصورة وكل موجود مما عدا الإنسان إنما هو في البعضية ولهذا ما طغى أحد من الخلائق ما طغى الإنسان وعلا في وجود فادعى الربوبية وأكبر العصاة إبليس وهو الذي يقول "إني أخاف الله رب العالمين" عندما يكفر الإنسان إذا وسوس في صدره بالكفر وما ادعى قط الربوبية وإنما تكبر على آدم لا على الله فلولا كمال الصورة في الإنسان ما ادعى الربوبية فطوبى لمن كان على صورة تقتضي له هذه المتزلة من العلو ولم تؤثر فيه ولا أخرجته من عبوديته فتلك العصمة التي حباها الله بالخط الوافر منها فيوقتنا هذا فالله يقيها علينا فيما بقي من عمرنا إلى أن نقبض عليها أنا وجميع أخواننا وحبينا بمنه لا رب غيره ومن هذا المتزل تعرف عقوبة من لم يعرف قدره وجاز حده واحتجب بالصورة عما أراد الحق منه في خلقه بما أخبر به في شريعته فقال "وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون" ثم لتعلم أن علم القرية ف يهذه المتزل من وقف عليه وشاهده كان على بينة من ربه فيما يتقرب إليه به وهو ما نهناك عليه ومما يتضمنه هذا المتزل خاصة علم الجمع بين التقدير والإيجاد ولا تجد ذلك في منزل من المنازل مفصلاً لا واسطة بينهما إذ كان التقدير يتقدم الإيجاد في نفس الأمر في عالم الزمان ولهذا قيل وبعض الناس يخلق ثم لا يفرى فاعلم أنه لم يكن في الأزل شئ يقدر به ما يكون في الأبد إلا الهو فأراد الهو أن يرى نفسه رؤية كمالية تكون لها ويزول في حقه حكم الهو فنظر في الأعيان الثابتة فلم ير عيناً يعطى النظر إليها هذه الرتبة الأنانة الأعين الإنسان الكامل فقدرها عليه وقابلها به فوافقت إلا حقيقة واحدة نقصت عنه وهي وجودها لنفسها فأوجدتها لنفسها فتطابقت صورتان من جميع الوجوه وقد كان قدر تلك العين على كل ما أوجده قبل وجود الإنسان من عقل ونفس وهباء وجسم وفلك وعنصر ومولد فلم يعط شئ منها رتبة كمالية إلا الوجود الإنساني وسماه إنساناً لأنه إنس الرتبة الكمالية فوقه بما رآه الإنس له فسماه إنساناً مثل عمران فالألف والنون فيه زائدتان في اللسان العربي فإن قلت فلماذا ينصرف وعمران لا ينصرف قلنا في عمران علتان وهما اللتان منعتاه من الصرف وهما الزيادة والتعريف أعني تعريف العلمية والإنسان ليس كذلك فإن فيه علة واحدة وهي الزيادة وما لفظ الإنسان للإنسان إسم علم وإنما تعريفه إذا سمي بآدم فلما سمي بآدم لم ينصرف للتعريف والوزن وإنما سمي باسم معلول بعلة تمنعه من الصرف الذي هو التصرف في جميع المراتب ليعلم في صورته الإلهية أنه مقهور ممنوع عبد ذليل مفتقر إذ كانت الصورة الإلهية تعطيه التصرف في جميع المراتب ولهذا سمي بإنسان فرفع وخفض ونصب وما ثم في الأشسماء مرتبة أخرى فهو إنسان من حيث الصورة ومنها يتصرف في المراتب كلها ومنع الصرف من حيث هو في قبضة موجد ملوك يقيه ماشاء ويعدمه إن شاء ويعدمه إن شاء فبالصورة نال الخلافة والتصرف وإسم الإنسانية فمن إنسانية ثبت أنه غير يؤنس به ومن الخلافة ثبت أنه عبد فقير ماله قوة من استخلفه بل

الخلافة خلعت عليه بزيلها متى شاء ويجعلها على غيره كما قد وقع ولهذا قال تعالى "وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض" وهي محل الخفض إذا خفض لا يليق بالجناب العالي فلهذا أقام له نائباً فيه ليعلم أنه عبد فلو استخلف الإنسان في السماء مع وجوده على الصورة لم يشاهد عبوديته في رفعه للصورة والمكان والمكانة فربما طغى ولو طغى ما وقع الإنس به ولهذا من زاحك قصم قال الله الكبرياء ردائي والعظمة ازارني من نازعي واحداً منهما قصمته فالعبد صغير في كبرياء الحق فإن هذا الكبرياء الإلهي ألبسه الصغار وهو حقير في عظمة الحق فإن هذه العظمة الإلهية ألبسته الحقارة فالصغار رداء العبد والحقارة ازاره فمن نازعه من الأناسي واحدة منهما أي طلب مشاركته فيهما عصم لا قصم ورحم ما حرم ولهذا خلق فتأمل أيها الإنسان لم سماك إنساناً وتأمل لم سماك خليفة وتأمل لم سماك خليفة وتأمل لم سماك آدم في أول صورة ظهرت ولا تتعد ما تعطيه حقيقة هذه الاسماء لم ولا تغب عنك فتكون من المفلحين ولهذا ختم الاستخلاف الكامل باسم منصوب وهو محمد صلى الله عليه وسلم ليحبر به ما منع آدم من التصريف فإنه ما منع إلا العلة قامت به وهو أول في هذا النوع فعصم باسم غير منصوب ليعلم أنه تحت الحجر مقهور لا ينصرف ولا يتصرف إلا فيما ح0د له ثم بعد ذلك أعطى التصريف جماعة من الخلفاء كنوح وشيث وشعيب وصالح ومحمد وهود ولوط وغيرهم لأنه آمن بالأول وقوع ما كان يحذر ثم أنه تخلل هؤلاء الخلفاء أسماء لا تنصرف كادريس وإبراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب وسليمان وداود تنبيهاً للإنسان إذا سلك طريق الله ثم عاد بعد قطع الأسباب والإعتماد على الله إلى القول بالأسباب والوقوف عندها لكون الحق وضعها وربط الأمور بها وحاله الإعتماد على الله والطبع من عادته الأفة ويسرق صاحبه إلى الركون الحق لمألفه كما قلنا لأنه إنسان يأنس بمألفه فربما يتخلله اعتماد على السبب فيضعف اعتماد على الله تعالى فيتفقد نفسه بقطع الأسباب وقتاً بعد وقت كما فعل الله باسماء الخلائف وقتاً دعاهم باسم يقتضي لهم التصريف ووقتاً دعاهم باسم التي يمنعم التصريف تعليمياً لهم لئلا يقعوا في محذور محذور قال تعالى "علم الإنسان ما لم يعلم" فلهذا كانت هذه الاسماء التي تمنع الصرف في بعض الخلفاء وأما الذين أعطوا التصريف فهم على قسمين منهم من أعطى التصريف ظاهراً ومعنى وهو التصريف الكامل فلهم الاسم الكامل مثل محمد وصالح وشعيب وكل إسم منصوب ظاهر لواحد من هؤلاء الخلفاء والقسم الآخر أعطى التصريف معنى لا ظاهر فليست له علة تمنعه من الصرف في المعنى وكان آخره حرف علة منعه ذلك الحرف من التصرف في الظاهر فكان مقصوراً وسمى ذلك الاسم مقصوراً كموسى وعيسى ويحيى فقصوروا على المعنى دون الظاهر وسميت هذه بالمقصورة أي قصرت عن درجة التصرف في الظاهر وحسبت عنه ومنه حور مقصورات في الخيام وإنما قصر من قصر منهم صيانة لا سجن فصانوا مثل هؤلاء كما صين من لم ينصرف من الاسماء عناية ثم أن الله تعالى لما أراد أن لا يحجبهم عنهم طباقي حقهم لما يعلم ما تقتضيه هذه النشأة من العلل إذ كان الكمال لا يطاق حكمه إلا بالعناية الإلهية فكان من العناية الإلهية بهم أن أجرى عليهم الاسماء النواقص ليعلموا أنهم في مرتبة النقص وهو كما لهم عن الكمال الإلهي فقال والذي جاء بالصدق وصدق به يعني محمد صلى الله عليه وسلم فكفى عنه بالذي جاء بالصدق والذي من الاسماء النواقص ولما علم أن العبد المقرب يتألم بظهور نقصه ويخاف من الحاقة بالعدم ورجوعه إلى أصله آنسه سبحانه من باب اللطف والكرم فسمى سبحانه نفسه بالاسماء النواقص فكان ذلك هو الذي خلقكم وقال "الله الذي أنزل من السماء" وليس القرآن لله تعالى أكثر من الاسماء النواقص فكان ذلك تأمينا للخلفاء فإهم قاطعون بأن الحق ليس له مرتبة النقص ولا يقبلها ومع ذلك قد جرت عليه الاسماء النواقص فلو أثرت الاسماء لذاتها في المسى لأثرت في الله وهي غير مؤثرة فيه إذا فترجوا أنها لا تؤثر فينا تأثير العدم ولكن كما لنا في أن تؤثر فينا تأثير وقوفنا مع عجزنا وفقرنا وهذا الباب الذي فتحناه علينا في هذا المنزل باب

واسع لا يتسع الوقت لا يراد بعض ما يعطيه فليكشف هذا القدر منه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى السفر التاسع عشر من الفتوح المكي والحمد لله رب العالمين

الباب التاسع والثمانون ومائتان في معرفة منزل العلم الأمي الذي ما تقدمه علم

من الحضرة الموسوية

والعلم بالفكر تشبيه وتضليل

والعلم بالله تحقيق وتفضيل

والعلم بالله تحزيل وتبديل

فإن مدلولها جهل وتعليل

تعطيه علته وذاك تعطيل

وذاك علم ولكن فيه تمثيل

العلم بالله تزيين وتحلية

والعلم بالفكر اجمال ومغلطة

والعلم بالفكر اعلام مجردة

فلا تغرنك أقوال مزحوفة

فالفيلسوف يرى نفي الإله بما

والأشعري يرى عيناً مكثرة

الأمية عندنا لا تنافي حفظ القرآن ولا حفظ الأخبار النبوية ولكن الأمية عندنا من لك يتصرف بنظره الفكري وحكمه العقلي في استخراج ما تحوي عليه من المعاني والأسرار وما تعطيه من الأدلة العقلية في العلم بالإلهيات وما تعطيه للمجتهدين من الأدلة الفقهية والقياسات والتعليقات في الأحكام الشرعية فإذا سلم القلب من علم النظر الفكري شرعاً وعقلاً كان أمياً وكان قابلاً للفتح الإلهي على أكمل ما يكون بسرعة دون بطء ويرزق من العلم اللدني في كل شئ ما لا يعرف قدر ذلك إلا نبي أو من ذاقه من الأولياء وبه تكمل درجة الايمان ونشأته ويقف بهذا العلم على إصابته الأفكار وغلطتها وبأي نسبة ينسب إليها الصحة والسقم وكل ذلك من الله ويعلم مع حكمه بالباطل أنه لا باطل في الوجود إذ كان كل ما دخل في الوجود من عين وحكم الله تعالى لا لغيره فلا عبث ولا باطل في عين ولا حكم إذ لا فعل إلا الله ولا فاعل إلا الله ولا حكم إلا الله ولا حاكم إلا الله فمن تقدمه العلم بما ذكرناه فبعيد أن يحصل له من العلم اللدني الإلهي ما يحصل للأمي منا الذيما تقدمه ما ذكرناه فإن الموازين العقلية وظواهر الموازين العقلية وظواهر الموازين الإجتهدية في الفقهاء ترد كثيراً مما ذكرناه إذ كان الأمر جلة ومعظمه فوق طور العقل وميزانه لا يعمل هنالك وفوق ميزان المجتهدين من الفقهاء لا فوق الفقه فإن ذلك عين الفقه الصحيح والعلم الصريح وفي قصة موسى والخضر دليل قوي على ما ذكرناه فكيف حال الفقيه وأين الأينية وما شاكلها التي نسبها الشارع والكشف إلى الأله من الموازين النظرية والبراهين العقلية على زعم العقل وحكم المجتهد فالرحمة التي يعطيها الله عبده أن يحول بينه وبين العلم النظري والحكم الإجتهدية من جهة نفسه حتى يكون الله يحاييه بذلك في الفتح الإلهي والعلم الذي يعطيه من لدنه قال تعالى في حق عبده خضر عبداً من عبادنا فأضافه إلى نون الجمع آتيناه رحمة من عندنا بنون الجمع وعلمناه بنون الجمع من لدنا بنون الجمع علماً أي جمع له هذا الفتح العلم الظاهر والباطن وعلم السر والعلانية وعلم الحكم والحكمة وعلم العقل والوضع وعلم الأدلة والشبه ومن أعطي العلم العام وأمر بالتصرف فيه كالأنبياء ومن شاء الله من الأولياء أنكر عليه ولم ينكر هذا الشخص على أحد ما يأتي به من العلوم وأن حكم بخلافه ولكن يعرف موطنه وأين

يحكم به فيعطي البصر حقه في حكمه وسائر الحواس ويعطي العقل حكمه وسائر القوى المعنوية ويعطي النسب الإلهية والفتح الإلهي حكمهم فبهذا يزيد العالم الإلهي على غيره وهو البصيرة التي نزل القرآن بها في قوله تعالى "أدعوا لي الله على بصيرة أنا ومن أتبعني" وهو تتميم قوله تعالى "بعث في الأميين رسولا منهم" فهو النبي الأمي الذي يدعو على بصيرة مع أميته والأميون هم الذين يدعون معه إلى الله على بصيرة فهم التابعون له في الحكم أذ كان رأس الجماعة والمجتهد وصاحب الفكر لا يكون أبداً على بصيرة فيما يحكم به فأما المجتهد فقد يحكم اليوم في نازلة شرعية بحكم فإذا كان في غد لاح له أمر آخر أبان له خطأ ما حكم به بالأمس في النازلة فرجع عنه وحكم اليوم. بما ظهر له وبمضي الشارع حكمه في الأول والآخر ويحرم عليه الخروج عما أعطاه الدليل في أجهاده في ذلك الوقت فلو كان على بصيرة لما حكم بالخطأ في النظر الأول بخلاف حكم النبي فإن ذلك صحيح أعني الحكم الأول ثم رفع الله ذلك الحكم بنقيضه وسمى ذلك نسخاً وأين النسخ من الخطأ فالنسخ يكون مع البصيرة والخطأ لا يكون مع البصيرة وكذلك صاحب العقل وهو واقع من جماعة من العقلاء إذا نظروا وأستوفوا في نظرهم الدليل وعثروا على وجه الدليل أعطاهم ذلك العلم بالمدلول ثم تراه في زمان آخر أو يقوم لهم خصم من طائفة أخرى كمعتزلي وأشعري أو برهمي أو فليسوف بأمر آخر يناقض دليله الذي كان يقطع به ويقدر فيه فينظر فيه فيرى أن ذلك الأول كان خطأ وأنه ما أستوفى أركان دليله وأنه أخل بالميزان في ذلك ولم يشعر وأين هذا من البصيرة ولماذا لا يقع له هذا في ضرورات العقل فالبصيرة في الحكم لأهل هذا الشأن مثل الضروريات للعقول فمثل هذا العلم ينبغي للإنسان أن يفرح به حكي عن أبي حامد الغزالي المترجم عن أهل هذه الطريقة بعض ما كانوا يتحققون به قال لما أردت أن أنخرط في سلكهم وآخذ مأخذهم وأعرف

من البحر الذي أغترفوا منه خلوت بنفسي وأعتزلت عن نظري وفكري وشغلت نفسي بالذكر فإنقذ لي من العلم ما لم يكن عندي ففرحت بذلك وقلت أنه قد حصل لي ما حصل للقوم فتأملت فيه قوة فقهية مما كنت عليه قبل ذلك فعلمت أنه بعدما أنه بعدما خلص لي فعدت إلى خلوتي واستعملت ما استعمله القوم فوجدت مثل الذي وجدت أولاً وأوضح وأسنى فسررت فتأملت فإذا فيه قوة فقهية مما كنت عليه وما خلص لي عاودت ذلك مراراً والحال الحال فتميزت عن سائر النظائر أصحاب الأفكار بهذا القدر ولم ألق بدرجة القوم في ذلك وعلمت أن الكتاب على الخو ليست كالكتابة على غير الخو ألا ترى الأشجار منها ما يتقدم ثمرة زهره وهو كمرتبة علماء النظر إذا دخلوا طريق الله كالفقيه والمتكلم ومنه ما لا يتقدم ثمرة زهره وهو الأمي الذي لم يتقدم علمه اللدني علم ظاهر فكري فيأتيه ذلك بأسهل الوجوه وسبب ذلك أنه لما كان لا فاعل إلا الله وجاء هذا الفقيه والمتكلم إلى الحضرة الإلهية بميزاتها ليزنوا على الله وما عرفوا أن الله تعالى ما أعطاهم تلك الموازين إلا ليزنوا بها لله لا على الله فحرموا الأدب ومن حرم الأدب عوقب بالجهل بالعلم اللدني الفتحي فلم يكن على بصيرة من أمره فإن كان وافر العقل علم من أين أصيب فمنهم من دخل وترك ميزانه على الباب حتى إذا خرج أخذه ليزن به الله وهذا أحسن كالا ممن دخل ممن دخل به على الله ولكن قلبه متعلق بما تركه إذ كان في نفسه الرجوع إليه فحرم من الحق المطلوب بقدر ما تعلق به خاطره فيما تركه للإلتفات الذي له إليه وأحسن من هذا حالاً من كسر ميزانه فإن كان خشباً أحرقه وإن كان مما يذوب إذابه أو برده حتى يزول كونه ميزاناً وأن بقي عين جوهره فلا يبالي وهذا عزيز جداً ما سمعنا أن أحداً فعله فإن فرضنا وليس بمحال أن الله قوي بعض عبادته حتى فعل مثل هذا كما ذكر أبو حامد الغزالي عن نفسه أنه بقي أربعين يوماً حائراً وهذا خطر ليس حال الأمي على هذا فإن الأمي يدخل إلى الله مؤمناً وهذا وهذه الحال التي ذكرها أبو حامد ليست حال القوم وإنما هي حالة من لم يكن على شريعة فأراد أن يعرف ما ثم فسأل فدل على طريق القوم

فدخل ليعرف الحق بتعريف الله فهذا أيضاً ظاهر المحل وأبو حامد كان محلهم مشغولاً بالخيبة فلم يقو قوة هذا في قبول ما يرد به الفتح الإلهي فإذا اتفق على التقدير أن يفتح على مثل هذا الشخص الذي هو بهذه المثابة أبصر فيما يفتح له به تلك الموازين التي أذهبها فيعجب من ذلك فلما خرج خرج بها فوزن بها لله لا عليه كما فعلته الأنبياء عليهم السلام فهو لا يرد شيئاً ولا يضع شيئاً في غير ميزانه وارتفع الغلط والشك وعرف معنى قوله "ونضع الموازين القسط ليوم القيامة" فجعلها موازين كثيرة ليزن بكل ميزان ما وضع له ولما وزن المتكلم بميزان عقله ما هو خارج عن العقل لكونه وراء طوره وهو النسب الإلهية لم يقبله ميزانه ورمى به كفر به وتخليل أنه ما ثم حق إلا ما دخل في ميزانه والمجتهد الفقيه وزن حكم الشرع بميزان نظره كالشافعي المذهب مثلاً أراد أن يزن بميزان تحليل النبيذ الذي قبله ميزان أبي حنيفة فرمى به ميزان الشافعي فحرمه وقال أخطأ أبو حنيفة ولم يكن ينبغي للشافعي المذهب مثلاً أن يقول مثل هذا دون تقييد وقد علم أن الشرع قد تعبد كل مجتهد بما أداه إليه اجتهاد وحرم عليه العدول عن دليله فما وفي الصنعة حقها وأخطأ الميزان العام الذي يشمل حكم الشريعة على الإطلاق وهو الذين استند إليه علماء الشريعة بلا خلاف في أصول الأدلة وفي فروع الأحكام فأما في الأصول فالمثبتين القياس دليلاً أداهم إلى ذلك اجتهادهم المشروع لهم وقد علم المخالف لهم من الظاهرية أن كل مجتهد متعبد بما أعطاه اجتهاد ولكن يقول فيهم أنهم أخطؤا في اثباتهم القياس دليلاً وليس للظاهرة تخطئة ما قرره الشرع حكماً فيثبت القياس دليلاً شرعاً ويثبت نفى القياس أن يكون دليلاً شرعاً وأما في الفروع فكعلى رضي الله عنه الذي يرى نكاح الربيبة إذا لم تكن في الحجر وإن دخل بامها لعدم وجود الشرطين معاً وأنه بوجودهما تحرم الربيبة يعني بالمجموع والمخالف لا يرى ذلك فالميزان العام يمضي حكم كل واحد منهما ولكن العامل بالميزان العام قليل لعدم الإنصاف فقد بينا في هذا الفصل سبب الحرمان الذي حكم على الفقهاء العقلاء النظار فلم يلجوا باب هذا العلم الشريف الإحاطي الذي يسلم لكل طائفة ما هي عليه سواء قادهم ذلك إلى السعادة أو إلى الشقاء ولا يسلم له أحد طريقه سوى م ذاق مذاقوه وآمن به كما قال أبو يزيد إذا رأيتم من يؤمن بكلام أهل هذه الطريقة ويسلم لهم ما يتحققون به فقولوا له يدعو لكم فإنه مجاب الدعوة وكيف لا يكون مجاب الدعوة والمسلم في بحوحة الحضرة ولكن لا يعرف أنه فيها لجهله بها فالله يجعل له نوراً من النور الذي يهدي به من يشاء من عباده حتى يهدي به إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض من الموازين والصراطات إلا إلى الله تصير الأمور وترجع قال تعالى في معرض الإمتنان منه على رسوله صلى الله عليه وسلم وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا وهو قوله يلقي الروح من أمره ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان وهو عرو المحل عن كل ما يشغله عن قبول ما أوحى به إليه ولكن جعلنا نوراً يعني هذا المنزل نهدي به من نشاء من عبادنا فجاء بمن نكرة في الدلالة مختصة عنده ببعض عباده من نبي أو ولي وأنتك لتهدي بذلك النور الذي هديتك به فإن كان هذا العبد نبياً فهو شرع وإن كان ولياً فهو تأييد لشرع النبي وحكمه أمر مشروع مجهول عند بعض المؤمنين إلى صراط مستقيم في حق النبي طريق السعادة والعلم وفي حق الولي طريق العلم لما جهل من الأمر المشروع فيما يتض2 منه من الحكمة قال تعالى يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً لا يقال فيه قليل ثم قال "وما يذكر إلا ألول الأبواب" واللب نور في العقل كالدهن في اللوز والزيتون والتذكر لا يكون ألا عن علم منسي فتنبه لما حررناه في هذه الآيات تسعد أن شاء الله تعالى وبعد أن ابنت لك عن مرتبة هذا العلم من هذا المنزل فلنبين أصل هذا العلم ومادة بقائه وحجاب مادته وبمإذا يوصل إلى ذلك بتأييد الله وتوفيقه فاعلم أن أصل هذا العلم الإلهي هو المقام الذي ينتهي إليه العارفون وهو أن لا مقام كما وقعت به الإشارة بقوله تعالى يا أهل يثرب لا مقام لكم وهذا المقام لا يتقيد بصفة أصلاً وقد نبه عليه

أبو يزيد البسطامي رحمه الله لما قيل له كيف أصبحت فقال لا صباح لي ولا مساء أما الصباح والمساء لمن تقيد بالصفة وأنا لا صفة لي فالصباح للشروق والمساء للغروب والشروق للظهور وعالم الملك والشهادة والغروب للستر وعالم الغيب والملكوت فالعارف في هذا المقام كالزيتونة المباركة التي لا هي شرقية ولا غربية فلا يحكم على هذا المقام وصف ولا يتقيد به وهو حظه من ليس كمثله شيء وسبحان ربك رب العزة عما يصفون فالمقام الذي بهذه المثابة هو أصل هذا العلم وبين هذا الأصل وهذا العلم مراتب فالأصل هو الثبات على التزيه عن قبول الوصف والميل إلى حال دون حال ثم ينتج هذا الثبات صورة يتصف بها العارف لها ظاهر ولها باطن فالباطن منها لا يصل إليه ألا بعد المجاهدة البدنية والرياضة النفسية فإذا وصل إلى سر هذا الباطن وهو علم خاص هو لهذا العلم المطلوب كالدهن للسراج والعلم كالسراج فلا يظهر لهذا العلم ثمرة ألا في العلماء به كما لا يظهر للدهن حكم ألا في السراج القائم بالفتيلة وهنا يقع له اكتساب الأوصاف التي نزهنا الأصل عنها في ذلك المقام وفي هذا المقام نصفه بما من أجلنا لا من أجله فهذا الوصف للآثار لأله كان الله ولا شيء معه وسيأتي الكلام على هذا الأصل في الباب الخمسين وثلاثمائة من هذا الكتاب ومما يتضمنه هذا المتزل علم خلق الأجسام الطبيعية وأن أصلها من النور ولذلك إذا عرف الإنسان كيف يصفى جميع الأجسام الكثيفة الظلمانية أبرزها شفافة للنورية التي هي أصلها مثل الزجاج إذا خلص من كدروة رمله يعود شفافاً وجلّى الأحجار من هذا الباب ومعادن البلور والمهي وأما كان ذلك لأن أصل الموجودات كلها الله من إسمه نور السموات وهي ما علا والأرض وهي ما سفلى فتأمل في أضافته النور إلى السموات والأرض ولولا النورية التي في الأجسام الكثيفة ما صح للمكاشف أن يكشف ما خلف الجدران وما تحت الأرض وما فوق السموات ولولا اللطافة التي هي أصلها ما صح احتراق بعض الأولياء الجدران ولا كان قيام الميت في قبره والتراب عليه أو التابوت مسمراً عليه مجعولاً عليه التراب لا يمنعه شيء من ذلك عن قعوده وأن كان الله قد أخذ بأبصارنا عنه ويكشفه المكاشف منا وقد ورد في ذلك أخبار كثيرة وحكايات عن

الصالحين ولهذا ما ترى جسماً قط خلقه الله وبقي على أصل خلقته مستقيماً قط ما يكون أبداً ألا مائلاً للاستدارة لا من جماد ولا من نبات ولا من حيوان ولا سماء ولا أرض ولا جبل ولا ورق ولا حجر وسبب ذلك ميله إلى أصله وهو النور فأول موجود العقل وهو القلم وهو نور إلهي أبداعي وأوجد عنه النفس وهو اللوح المحفوظ وهي دون العقل في النورية للواسطة التي بينها وبين الله وما زالت الأشياء تكثف حتى انتهت إلى الأركان والمولدات وبما كان لكل موجود وجه خاص إلى موجد به كان سريان النور فيه وبما كان له وجه إلى سببه به كان فيه من الظلمة والكثافة ما فيه فتأمل أن كنت عاقلاً فلماذا كان الأمر كلما نزل أظلم وأكثف فأين منزلة العقل من منزلة الأرض كم بينهما من الوسائط ثم لتعلم أن جسم الإنسان آخر مولد فهو آخر الأولاد مركب من حمأ مسنون صلصال وهو كما رأيت مائل إلى الاستدارة وأن كانت له الحركة المستقيمة دون البهائم والنبات وفيه من الأنوار المعنوية والحسية والزجاجية ما فيه مما لا تجده في غيره من المولدات بما أعطاه الله من القوى الروحانية فما قبلها إلا بالنورية التي فيه فهي المناسبة لقبول هذه الإدراكات ولهذا قال تعالى "وآية لهم الليل نسلخ منه النهار" فاعلم أن النور مبطن في الظلمة فلولا النور ما كانت الظلمة ولم يقل نسلخ منه النور إذ لو أخذ منه النور لأنعدم وجود الظلام أن كان أخذ عدم وأن كان أخذ انتقال تبعه حيث ينتقل أذ هو عين ذاته والنهار من بعض الأنوار المتولدة عن شروق الشمس فلولا أن للظلمة نوراً ذاتياً لها ما صح أن تكون ظرفاً للنهار ولا صح أن تدرك وهي مدركة ولا يدرك الشيء أن لم يكن فيه نور يدرك به من ذاته وهو عين وجوده وأستعداده بقبول أدراك الأبصار بما فيها من الأنوار له وأختص الأدراك بالعين عادة وأما الإدراك في نفسه إنما هو لكل شيء فكل شيء يدرك بنفسه وبكل شيء ألا ترى

الرسول صلى الله عليه وسلم كيف كان يدرك من خلف ظهره كما كان يدرك من أمامه ولم يحجبه كثافة عظم الرأس وعروقه وعظامه وعصبه ومخه غير أن الله أعطي الظلمة والكثافة الأمانة فهي تستر ما تحوي عليه ولهذا لا تظهر ما فيها لمن شاء المودع وهو الحق تعالى فله أن يؤديها إليه بعض الأشخاص وإذا أمر من أودع الأمانة من أودعها أن يظهرها الله على أمانتهم بذكر بعضهم في قوله وهذا البلد الأمين فسماه آميناً وهو أرض ذو جدران وأسوار وتراب وطين ولين فوصفه بالأمانة وأقسم به كما أقسم بغيره تعظيماً للمخلوقات الله وتعليماً لنا أن نعظم خلقها ونعظمها بتعظيم الله إياها لا من جهة القسم بها فإنه لا يجوز لنا أن نقسم بها ومن أقسم بغير الله كان مخالفاً أمر الله وهي مسئلة فيها خلاف بين علماء الرسوم مشهوراً أعني القسم بغير الله فكلما اعوجت الأجسام كانت أقرب إلى الأصل الذي هو الإستدارة فإن أول شكل قبل الجسم الأول الإستدارة فكان فلكاً ولما كان ما تحته عنه كان مثله وما بعد عنه كان قريباً منه ولو لم تكن الطبيعة نوراً في أصلها لما وجدت بين النفس الكلية وبين الهيولي الكل الهيولي الذي هو الهباء أول ما ظهر الظلام بوجودها فهو جوهر مظلم فيه ظهرت الأجسام الشفافة وغيرها فكل ظلام في العالم من جوهر الهباء الذي هو الهيولي وبما هي في أصلها من النور قبلت جميع الصور النورية للمناسبة فإنثقت ظلمتها بنور صورها فإن الصورة أظهرتها فنسبت إلى الطبع الظلمة في اصطلاح العقلاء وعندنا ليست الظلمة عبارة عن شئ سوى الغيب إذا الغيب لا يدرك بالحس ولا يدرك به والظلمة تدرك ولا يدرك بها فلولا أن الظلمة نور ما صح أن تدرك ولو كانت غيباً ما صح أن تشهد فالغيب لا يعلمه إلا هو وهذه كلها مفاتيح الغيب ولكن لا يعلم كونها مفاتيح إلا الله يقول تعالى وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو وإن كانت موجودة بيننا لكن لا نعلم أنها مفاتيح للغيب وإذا علمنا بالأخبار أنها مفاتيح لا نعلم الغيب حتى نفتحه بها فهذا بمرتلة من وجد مفتاح بيت ولا يعرف البيت الذي يفتحه به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ثم لتعلم بعد ما عرفتكم بسريران النور في الأشياء أن الخلق بين شقي وسعيد فسريان النور في جميع الموجودات كثيفها ولطيفها المظلمة وغير المظلمة أقرت الموجودات كلها بوجود الصانع لها بلا شك ولا ريب وبما الغيب المطلق لا تعلم ذاته من طريق الثبوت لكن تتره عما يليق بالحدثات كما أن الغيب يعلم أن ثم غيباً ولكن لا يعلم ما فيه ولا ما هو فإذا وردت الأخبار الإلهية على ألسنة الروحانيين ونقلتها إلى الرسل ونقلتها الرسل عليهم السلام إلينا فمن آمن بها وترك فكره خلف ظهره وقبلها بصفة القبول التي في عقله وصدق المخبر فيما أنه به فإن اقتضى عملاً زائداً على التصديق به عمله فذلك المعبر عنه بالسعيد وهو مما ألقى السمع وهو شهيد وله الجزاء بما وعده به من الخير في دار القرار والنعيم الدائم الذي لا يجري إلى أجل مسمى فينقطع بحلول أجله من حيث الحملة حكماً إلهياً لا يتبدل ولا ينخرم ولا ينتسخ ومن لم يؤمن بها جعل فكره الفاسد أمامه واقتدى به ورد الأخبار النبوية أما بتكذيب الأصل وأما بالتأويل الفاسد فإن كذب المخبر بما أنه به ولم يعمل بمقتضى ما قيل له أن اقتضى ذلك عملاً زائداً على التصديق به فذلك المعبر عنه بالشقي وهو من جهة ما فيه من الظلمة كما آمن السعيد من جهة ما فيه من النور موله الجزاء بما أوعدته أن كذب من الشر في دار البور وعدم القرار لوجود العذاب الدائم الذي لا يجري إلى أجل مسمى وإن كان له أجل في نفس الأمر من حيث الحملة حكماً إلهياً عدلاً كما كان في السعيد فضلاً لا يتبدل ولا ينخرم ولا ينتسخ وفي هذا خلاف بين أهل الكشف وهي مسئلة عظيمة بين علماء الرسوم من المؤمنين وبين أهل الكشف وكذلك أيضاً بين أهل الكشف فيها الخلاف هل يترسم العذاب عليهم إلى ما لا نهاية له أو يكون لهم نعيم بدار الشقاء فينتهي العذاب فيهم إلى أجل مسمى واتفقوا في عدم الخروج منها وإنهم بما ماكنون إلى ما لا نهاية له فإن لكل واحدة من الدارين ملؤها وتنوع عليهم أسباب الآلام ظاهراً لا بد من ذلك وهم

يجدون في ذلك لذة في أنفسهم بالخلاف المتقدم باطناً بعدما يأخذ الألم منهم جزاء العقوبة حدثني عبد الله الموروي في جماعة غيره عن أبي مدين أمام الجماعة أنه قال يدخل أهل الدارين فيهما السعداء بفضل الله وأهل النار بعذل الله ويتزلون فيهما بالأعمال ويخلدون فيهما بالنيات وهذا كشف صحيح وكلام حر عليه حشمة فيأخذ جزاء العقوبة الألم موازياً لمدة العمر في الشرك في الدنيا فإذا فرغ الأمد جعل لهم نعيم في النار بحيث أنهم لو دخلوا الجنة نألموا لعدم موافقة المزاج الذي ركبهم الله فيه فهم يتلذذون بما هم فيه من نار وزمهرير وما فيها من لدغ الحيات والعقارب كما يلتذ أهل الجنة بالظلال والنور ولثم الحور الحسان لأن مزاجهم يقضي بذلك ألا ترى الجعل في الدنيا هو على مزاج يتضرر بريح الورد ويلتذ بالنتن كذلك من خلق على مزاجه وقد وقع في الدنيا أمرجة على هذا شاهدناها فما ثم مزاج في العالم إلا وله لذة بالمناسب وعدم لذة بالمنافر ألا ترى الحرور يتألم بريح المسك فاللذات تابعة للملأيم والآلام لعدم الملأيم فهذا الأمر محقق في نفسه لا ينكره عاقل وإنما الشأن هل أهل النار على هذا المزاج بهذه المثابة بعد فراغ المدة أم لا أوهم على ممزاج يقتضي لهم الإحساس بالآلام للأشياء المؤلمة والنقل الصحيح الصريح النص الذي لا أشكال فيه إذا وجد مفيداً للعلم بحكم به بلا شك فالله على كل شئ قدير وإن كنت لا أجهل الأمر في ذلك ولكن لا يلزم الإفصاح عنه فإن الإفصاح عنه لا يرفع الخلاف من العالم وبعض أهل الكشف قال أءهم يخرجون إلى الجنة حتى لا يبقى فيها أحد من الناس البتة وتبقى أبوابها تصفق وينبت فيها الجرجير ويخلق الله لها أهلاً يملؤها بهم من مزاجها كما يخلق السمك في الماء وعالم الهواء في الهواء وعالم في بطن الأرض لا حياة لهم إلا فيها كاخلد فإذا حصل على ظهر الأرض مات فالغم الذي لنا في ذلك الغم حياتهم فالسمك إذا خرج إلى الهواء مات وكان في الهواء غمة فينطفئ فيه نور حياته والإنسان والحيوان البري إذا غرق في الماء هلك وكان الماء غمه ينطفئ به نور حياته وثم حيوان يرى بحري يعيش هنا كالتماسيح وإنساناً الماء وكلبه وبعض الطيور وهذا كله بالطبع والمزاج الذي ركبه الله عليه وقد ذكرنا في هذا المنزل ما فيه كفاية واستوفينا أصوله بعون الله الهامة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب التسعون ومائتان في نعرفة منزل تقرير النعم

من الحضرة الموسوية

بالقول نشرح ذات القول فاعتبروا	في شرح ما هو في التحقيق مشروح
إن الأسامي للمعنى مفاتيح	وفي العبارات تعديل وتجريح
لا يحصل الشوق للملقى إليه إذا	ما لم يكن منك للإلقاء تلويح
فاكشف معارف أهل الله في حجب	لا يحكمك تبیین وتصريح
وانطق بما تغتذى به النفوس ولا	تنطق بما يتغذى بعلمه الروح
فالروح يكتم ما يلقى إليه كما	تبدي النفوس الذي تجري به الريح
إن النفوس بما تهواه ناطقة	والروح إن زل بالتصريح مجروح

اعلم أيديك الله وإيانا أن المنعم إذا أبطل نعمته بالمن والأذى لا يكون مشكوراً عند الله على ذلك وإن شكره المنعم عليه لمعرفته بذلة وفقره إليه فمن مكارم الأخلاق أن لا يمن المنعم بما أنعم به على بالمنعم عليه ولا سيما مع شكره على ذلك فإذا احتاج المنعم عليه لأمر وأظهر الذلة والإفتقار إلى المنعم في طلب ذلك الأمر الذي مست الحاجة فيه إليه وذلك الأمر عند المنعم عليه في النعمة التي أنعم بها المنعم عليه فللمنعم عند ذلك أن يعرفه بما أنعم به عليه ويقرره على ذلك وإن الذي طلب منه موجود في نفس نعمته فلم إذا افتقر في غير موضع الإفتقار حينئذ يجوز للمنعم أن يذكر للمنعم عليه نعمته كرجل وهب رجلاً ألف دينار أنعاماً عليه أن ينال جميع ما سأل من تلك النعمة فللمنعم عند ذلك أن يعرفه بأن كجميع ما تسألني فيه تصل إليه بما وهبتك إياه من المال فلم إذا تستعجل الذلة ففي مثل هذا المواطن يجب التقرير بالنعم على وجه التعليم والتنبيه لا على المن والأذى ألا أن من مكارم الأخلاق إذا قرره على ما أنعم به عليه أن لا يحيب سؤاله أما بعتاء في الوقت وأما بوعده فيبسطه بعد أنقباضه لما حصل عنده من الخجل نخلقاً ألهياً فاعلم أن هذا المتزل يتضمن تقرير النعم على ما ذكرت لك ويتضمن علم التشريح الذي تعرفه الأطباء من أهل الحكمة والتشريح الإلهي التي تتضمنه الصورة التي أختص بها هذا الشخص الأنساني من كونه مخلوقاً على صورة العالم وعلى صورة الحق فعلم تشريحه من جانب العالم علمك بما فيه من حقائق الأكوان كلها علوها وسفلها طيبها وخبيثها نورها وظلمتها على التفصيل وقد تكلم في هذا العلم أبو حامد وغيره وبينه فهذا هو علم التشريح في طريقنا وأما علم التشريح الثاني فهو أن تعلم ما في هذه الصورة الإنسانية من الاسماء الإلهية والنسب الربانية ويعلم هذا من يعرف التخلق بالاسماء وما ينتجه التخلق بها من المعارف الإلهية وهذا أيضاً قد تكلم فيه رجال الله في شرح أسماء الله كأبي حامد الغزالي وأبي الحكم عبد السلام بن برجان الأشيلي وأبي بكر بن عبد الله المغافري وأبي القاسم القشيري ويتضمن هذا المتزل التكليف ورفع من حيث ما فيه من المشقة لا من حيث ترك العمل فاعلم أن الله تعالى أمر عباده بالآيمان به وبما أنزل عليهم على أيدي رسله وجعل مع الآيمان ألزاماً من المعاني أمرهم الله تعالى أن يحملوها كلها في بواطنهم حملاً معنوياً وجعل محلها القلوب وعين أموراً عملية أنزلها على ظواهرهم وحملها جوارحهم مما فيه كلفة حسية من عمل الأيدي والأرجل ومما لا يعمل ألا بالأبدان كالصلاة والجهد ومما لا كلفة فيه حسية كغض البصر عن المحرمات والنظر في الآيات ليؤدي ذلك النظر إلى الاعتبار وتزيره السمع عن سماع الغيبة والأصغاء إلى الحديث الحسن فمثل هذا ألا كلفة فيه حسية وأما كلفته نفسية فإن فيها ترك الغرض وهو مما يشق على النفس وإذا أقيمت هذه الحضرة التي في هذا المتزل ممثلة في صور حسية يقام له توابيت على يمينه وتوابيت على يساره فالتوابيت التي على يمينه مملوءة درا ويقوتاً وأحجاراً نفيسة وحللاً ومسكاً وطيباً ومنها توايب كبار وصغار وقيل له لا بد لك من حمل هذا إلى موضع معين إلى دار حسنة وروضة مورقة وقيل له إذا أوصلت هذه الأحمال إلى هذه الروضة كان أجرك عليها وعلى ما آلمك من ثقلها ما تحوي عليه هذه التوابيت كلها ولك هذه الدار التي وصلتها بجميع ما تحوي عليه من الملك وهي خمسة أنواع من التوابيت منها توابيت الأمر الواجب وتوابيت الأمر المندوب وتوابيت الأمر المباح من حيث الآيمان به وتوابيت النهي الواجب وتوابيت النهي المكروه ومن هذه التوابيت ما يختص بك ومنها توابيت تتعلق بغيرك وكلفت أنت حملها فكل خطاب شرعي يختص بذاتك لا تتعدى بالعمل فيه إلى غيرك فهو المختص بك وكل خطاب شرعي يختص بذاتك وتتعدى في العمل به إلى غيرك فذلك الذي يتعلق بغيرك وكلفت أنت حمله كالسعي على العيال وتعليم الجاهل وأرشاد الضال والنصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم فهذه توابيت أصحاب اليمين فكما حملت ما هو لك ولغيرك في الدنيا كان لك أجرك وأجر

غيرك في الآخرة ولا ينقص الغير من أجره شيئاً أن كان مؤمناً وأن لم يكن مؤمناً مثل التكليف الذي يتعلق بك في معاملة أهل الذمة فلك أجرهم لو كانوا مؤمنين ولا أجر لهم ولهذا قيد

النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأمر بالعمل فقال من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة فالمؤمن لا يتقصه من أجره الأخروي شيء والذمي يعطي أجره في الدنيا إما بمنفعة معجلة أو دفع مضرة معجلة يكون ذلك لهذا العامل في الآخرة محققاً وقد يجمع له بين الدنيا والآخرة فيرى العامل ما تحمل تلك التواييت من الأشياء النفيسة ومآلها وقد حصل له البشري بأنها له ملك إذا حملها بحيث يفنى في حبها والتعشق بها فيهن عليه حكلها ويخف لحمل الهمة إياها فلا يجد فيها مشقة وهو حال تلذذه بالأذى وبما يحسن لأهل الذمة وآخر ينظر إلى ثقلها وهو المؤمن الذي لا كشف عنده إلا بمجرد تصديق الخبر فيجدها ثقيلة المحمل فمنهم من يحملها بمنشفة وكلفة لغلبة التصديق بما فيها وللحرص الشديد والطمع في أخذها وملكها الكون الأمر يحملها قال له هي لك في أجر حملك ومنهم من ثقلت عليه فأخرج منها جملة طرحها في الأرض ليخف عنه الثقل الذي يجده فلما خف حمله ببعض ما طرح منها حمل ما بقي وكلما طرحه من ذلك عاد ذلك المطروح حديداً ورصاصاً ونحاساً وزيد في التواييت التي على شماله والتواييت التي أقيمت له على شماله كلها مملوءة حديداً ونحاساً وقطرنياً وأنكا وشبه ذلك مما يثقل وتكره رائحته وقيل له هذه التواييت يحملها على ظهرك على ترتيب ما قررناه في تواييت اليمين وتوصلها إلى دار ذات لب وزمهير وما تحوي عليه هذه التواييت ملكك وهذا قوله تعالى وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وقوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة وإن لم يحضر للمكاشف في هذا المتزل صوراً نزلت على قلبه معاني مجردة عن المواد وعرف تفاصيلها والحق كل شيء منها بمقامه ومحلّه ولم يجد لذلك كلفة ولا مشقة لأنه لأغراض له مع مع إدارة سيده منه فهو في عالم الأنفساح والإنشراح وإن ضعفت أجسامهم عن حمل بعض ما كلفوه فقد أمر أن لا يحمل إلا وسع نفسه النفس هنا عبارة عن اطمال الحس لأن النفس المعنوية لا كلفة عليها إلا إذا كانت صاحبة غرض فكلفت بما لا غرض لها فيه فلها لم يعذر الإنسان من حيث نفسه ويعذر من حيث حسه لخروج ذلك عن طاقته في المعهود ويتعلق بهذا المتزل طرف من العلم بنشئ الملائكة وإنهم من عالم الطبيعة مخلوقون مثل الأناسي غير أنهم ألطف كما أن الجن ألطف من الإنسان مع كونهم من نار من مارجها والنار من عالم الطبيعة ومع هذا فهم روحانيون يتشكلون ويمثلون فلو كانت الطبيعة لا تقبل ذلك لما قبله عالم الجن وكيف ينكر ذلك ومعلوم قطعاً أن الإنسان من عالم الطبيعة الكثيفة وفيه منها خزانة الخيال في مقدم دماغه يتخيل بما ما شاء من المحالات فكيف من الممكنات فكذلك الملائكة عليهم السلام من العالم الطبيعية وهم عمار الأفلاك والسموات وقد عرفك الله أنه استوى إلى السماء وهي دخان فسواهن بيع سموات وجعل أهلها منها وهو قوله وأوحى في كل سماء أمرها ولا خلاف أن الدخان من الطبيعة وإن كانت الملائكة أجساماً نورية كما أن الجن أجسام نارية ولو لم يكن النور طبيعياً لما وصف والأحراق كما توصف النار بالتجفيف والذهاب بالرطوبات وهذا كله منصفات الطبيعة ثم أن الله قد أخبر عن الملائكة الأعلى أنهم يختصمون والخصام من الطبيعة لأنهما مجموع ضداد والمنازعة والمخالفة هي عين الخصام ولا يكون إلا بين الضدين ومن هذا الباب قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء هذا من طبيعتهم وغيرهم على الجناب الإلهي فلو وقفوا مع روحانيتهم لم يقولوا مثل هذا حين قال لهم الله أي جاعل في الأرض خليفة بل كان جواهرهم من حيث ما فيهم من السر الإلهي أن يقولوا ذلك إليك سبحانه تفعل ما تريد ونحن العبيد تحت أمرك بالطاعة لمن أمرك أمرتنا بطاعته فبالذي وقع من الإنسان من الفساد وغيره مما يقتضيه عالم الطبع به بعينه وقع الاعتراض من الملائكة فرأوه في غيرهم ولم يروه في نفوسهم وذلك لما قررناه من أن

التعشق بالغرض يحول بين صاحبه وبين فعل ما ينبغي له أن يفعله ولهذا قال لهم الله تعالى أي أعلم ما لا تعلمون ثم أراهم الله شرفه عليهم بما خصه به من علم الاسماء الإلهية التي خلق المشار إليهم بها وجهلتها الملائكة فكأنه يقول سبحانه أجعل علمي حيث شئت من خلقي أكرمه بذلك فمن هنا تعلم ما ذكرناه وسيأتي العلم بهذا الأمر محققا مستوفي في منزلة الخاص به فإن علوم هذه المنازل على قسمين منها علوم مختصة بالمتزل لا توجد في غيره ومنها علوم يكون منها في كل منزل طرف وأعلم أن القلب وإن كان محل السعة الإلهية فإن الصدر محل السعة القلبية إذ كان إنما سمي صدر الصدوره ولهذا قال ولكن تعمى القلوب التي في الصدور فإن القلب في حال الورود يضيق لما يقتضيه من الجلال والهيبة وما يعطيه القرب الإلهي والتجلي وإذا صدر اتسع وانفسح لأنه كون وهو صادر إلى الكون فينفسخ للمناسبة وتتسع أشعة نوره بانبساطها على الأكوان ويتهيج بكونه خص بهذا التعريف الإلهي على أبناء جنسه ولهذا إذا عرض له عارض يقبضه في غير محل القبض ينبهه الحق يذكره ما أنعم الله به عليه ليتذكر النعمة الإلهية عليه فيحول بينه وبين ما كان عليه من الضيق فهو في الظاهر من إلهي وفي المعنى رحمة بهذا القلب فمن هنا يقرر الحق عبده على مامتن به عليه فإن قلت فإن الله قد ذكر أنه يمن على عباده قلنا إنما جاء هذا لما امتنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامهم فقال الله له لهم يا محمد بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان أي إذا دخلتم في حضرة المن فالمن لله لا لكم فهو من علم التطابق لم يقصد به المن فما كان الله ليقولن في المن ما قال ويكون منه كما قال صلى الله عليه وسلم كما كان الله لينهاكم عن الربا ويأخذه منكم وما كان الله ليدلكم على مكارم الأخلاق من العفو والصفح ويفعل معكم خلافه فإذا وقع منكم من سفساف الأخلاق ما وقع رد الحق سبحانه أعمالكم عليكم لا أنه عاملكم بها من نفسه وإنما أعمالكم لم تتعديكم فله المنة التي هي النعمة والإمتنان الذي هو اعطاء المنة لا المن سبحانه وتعالى وإذا أراد الله تعالى رفعة عبده عند خلقه ذكر لعباده منزلته عنده أما بالتعريف وأما بأن يظهر على يده وفي حاله ما لا يمكن أن يكون إلا للمقرب من عباده فتنطلق له الألسنة وتنطلق بعلق مرتبته عند سيده مثل فتحه صلى الله عليه وسلم باب الشفاعة يوم القيامة الذي اختص به على سائر الرسل والأنبياء فيعلو مناره في ذلك الموكن على حد أحد وهنالك تطلب الرياسة والعلو وأما في الدنيا فلا يبالي العارف كيف أصبح ولا أمسى عند الناس لأنهم في محل الحجاب وهو في موطن التكليف فكل إنسان مشغول بنفسه المطلوب بأداء ما كلف به من العمل ومما يتضمن هذا المتزل علم التنكير وهو التجلي العام وعلم التعريف وهو التجلي الخاص وهو مندرج في العام كالاسم الرب إذا تجلى فيه الحق لعباده فإنه تجلى عام وإذا تجلى في مثل قوله فوربك فهو تجل خاص وإن كانت التجليات من الربوبية ولكن بينهما تباين فإن الحال التي لك مع الملك في مجلس العامة لبس هو الحال التي لك معه إذا انفردت بع فلهاذا مقام وعلم خاص ولهذا مقام وعلم مخاص والتجلي العام أكثر علماً وأنفع والتجلي الخاص أعظم قرية وأعلم أن أصل الأمور كلها المعرفة عندنا والنكرة عرض طارئ فإذا عرض وقع الإبهام والأشكال فالعارف من عرفه في حال التنكير فهو نكرة فيالعموم وعند هذا هو معرفة في النكرة إذا القائل كلمت اليوم رجلاً فرجل هنا نكرة وهو عند من كلمة معرفة بالتعيين في حال الحكم عليه بالنكرة فالذي يشاهد العارف من الحق في حال النكرة والإنكار من العالم هو عين المعرفة عنده لكونه أبقاء على الإطلاق الذي يستحقه في حححال تقييده به العقائد فيجهله العامة في التنكير وهو مقام عظيم الفائدة للعارفين والعم أن العارف في هذا المتزل لا يتمكن له أن يسأل الحق في أمر إلا من الوجه الأخص لا من الوجه الأعم ولا يصح له سؤال الحق في أمر هو فيه لأنه شغل عما يستحقه ذلك الأمر من الأدب فإذا وفاه حقه حساً كان مما يتعلق بالعبادات البدنية أو معنى كان مما يتعلق بالعبادات القلبية وأراد الحق أن ينقله من تلك العبادة لم يعرف العارف مراد الحق فيه لأي مرتبة ينقله إلى واجب آخر

أو مندوب أو مباح أو مكروه أو محذور فيبقى واقفاً بين المقام الذي فرغ منه وبين الأمر الذي إليه في علم الله ينتقل فعند ذلك يأتيه رسول الله من الله مظهر في سره يقول له أن الله قد أمرك أن تتضرع إليه وترغبه وتسأله في هذا الأمر الذي ينقلك إليه إن كانت بقيت لك حياة فليكن من الواجبات وهو المراد فإن لم يكن فمن المندوبات فإن لم تسبق العناية بالإجابة فمن المباحات فإن لم يكن ورأيت لوائح تبرق إليك من خلف حجاب

الخذلان وتعلم أنك تنتقل إلى محذور أو مكروه فاسأل من الله الحضور معه في ذلك الأمر الذي تنتقل إليه وأسأله أن يجعل فيك من الكراهة لك الأمر ولا يحول بينك وبين معرفتك بأنه شيء يسوءك فعله وإن العلم الإلهي لا يتبدل فيك بوقوعه منك حتى أنه إذا وقع منك وأنت على هذه الحالة لم يبق حكم للمعصية فيك جملة وكان الحكم في ذلك للقدر فإذا توجهت العقوبة على من هذه حالته لما تطلبها الكراهة التي كانت فيك لذلك الفعل والایمان بالقدر السابق فيها ويد الله مع الجماعة فتكون الغلبة والحكم لهؤلاء الاسماء التي تعطيه السعادة والخير مع وقوع المعصية وتكون معصية بحضور فيها مع الله حية ذات روح إلهي يستغفر له إلى روح إلهي يستغفر له إلى يوم القيامة ويبدل الله سيئها حسناً كما بدل عقوبتها مثوبة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الحادي والتسعون ومائتان في معرفة منزل صدر الزمان

وهو الفلك الرابع من الحضرة المحمدية

عين ولكنه للعقل معقول

لا في وجود فإن الحنث تعطيل

ولا أب هو في الأحكام مبتول

وكان عنه فذاك الشخص مقبول

هاد فذلك بالأهواء معلول

فإنكم لدليل العقل مدلول

أقسمت بالدهران الدهر ليس له

فإن حلفت به فاحلف على عدم

واعلم بأن الذي لا أم تؤنسه

إلا الذي رقيت فيه معارفه

كما الذي تاه في بحر وليس له

وإن نقات إلى فقر بغير غنى

اعلم وفق الله الولي الحميم أن لكل شيء صدرًا ومعرفة في هذا الكطريق مع أرفع العلوم والمعارف إذ كان العالم وكل جنس على صورة الإنسان وهو آخر موجود وكان الإنسان وحده على الصورة الإلهية في ظاهره وباطنه وقد جعل الله له صدرًا فما بين الحق والإنسان الذي له الآخرة وللحق الأولية صدور لا يعلم عددها إلا الله فلنعين منها بعض ما يصل إليه فهمك وما يمكن أن يقبله عقلك ونسكت عما لا يصل إليه فهمك ولا يقبله عقلك فلنبتدئ أولاً بالأعلى ونزل إلى آخر درجة فنقول أن الصار في الرتبة الثانية من كل صورة سواء كانت الصورة جنسية أو نوعية أو شخصية فصدر الواجبات الحياة الأزلية المنعوت بها الحق عز وجل وصدر الاسماء المؤثرة العالم وصدر صفات التنزيه نفى المثلية وصدر الإينيات العما الذي ما فوقه هواء وما تحته هواء وصدر الوجود الممكنات وصدر الموجودات العقل الأول وصدر الدهر ما بين الأزل والأبد وصدر الزمان زمان قبول الهيولي للصورة وصدر الطبيعة كيفية الجسم الأول وصدر الكيفيات تعلق القدرة بالإيجاد وصدر الكميات تقسيم المعاني وصدر الأفلاك الكرسي وصدر العناصر

الماء وصدر الليل مغيب الشفق الأحمر وصدر النهار اشراق الشمس لأشروقها وصدر المولدات الحيوان وصدر الإنسان معروف وصدر الأمة زمان ادريس وصدر هذه الأمة القرن الأول صدر الدنيا وجود آدم يوم الاثنين وصدر الآخر البعث وصدر البرزخ النوم وصدر النار الموبق وصدر الجنة التزول في المنازل منها وصدر العذاب والنعيم رؤية أسبائهما وصدر الدين فلان رسول الله واعلم أم لكل صدر قلباً فما دام القلب في الصدر فهو أعمى لأن الصدر حجاب عليه فإذا أراد الله أن يجعله بصيراً خرج عن صدره فرأى فالأسباب صدور الموجودات والموجودات كالقلوب فما دام الموجود ناظراً إلى السبب الذي صدر عنه كان أعمى عن شهود الله الذي أوجده فإذا أراد الله أن يجعله بصيراً ترك النظر إلى السبب الذي أوجده الله عنده ونظر من الوجه الخاص الذي من ربه إليه في إيجاد جعله الله بصيراً فالأسباب كلها ظلمات على عيون المسببات وفيها هلك من هلك من الناس فالعارفون يشبهونها ولا يشهدونها ويعطونها حقها ولا يعبدونها وما سوى العارفين يعاملونها بالعكس يعبدونها ولا يعطون حقها بل يغضونها فيما تستحقه من العبودية التي هي حقها ويشهدونها ولا يشبهونها فما تسمع أحداً من الناس إلا وهو يقول ما ثم إلا الله وينفى الأسباب فإذا أخذته بقوله أو نزلت به نازلة شاهد السبب وعمى عمن أثبتته وكفر به وآمن بما نفاه فإذا اتفق لبعض الناس إن تلك النازلة ما ارتفعت بهذا السبب الذي استند إليه وانقطعت به الأسباب حينئذ يكفر بها ويرجع إلى الله خالق الأسباب فلم يدر بما إذا كفر ولا بما به آمن ولم يدر ما معنى السبب ولا غيره إذ لو علم أن السبب لا يصح إلا أن يكون عنه المسبب لعلم أن السبب الذي استند إليه في رفعه لهذه النازلة لم يكن سببها بوجه من الوجوه إذ لو كان سببها لرفعها وإنما كان ذلك السبب في منعه رفع النازلة سبباً في رجوعه إلى الله في رفعها فلم يزل في المعنى تحت تأثير الأسباب فإن الأسباب محال رفعها وكيف يرفع العبد ما أثبتته الله ليس له ذلك ونحن الجهل عم الناس فأعملهم وحيرهم وما هداهم والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم بالزوج الموحى من أمر الله فيهدي به من يشاء من عباده فقد أثبت الهداية بالروح وهذا وضع السبب في العالم فالوقوف عند الأسباب لا ينافي الإعتماد على الله ولهذا جعل سبحانه الأسباب مسببات لأسباب غيرها ومن الأدنى حتى ينتهي فيها إلى الله سبحانه فهو السبب الأول عن سبب كان به نعم سبب كان به سبب الكون المرتبة لا الذات وسبب المرتبة الكون فسبب الكون في الإيجاد المرتبة وسبب المرتبة في المعرفة الكون فافهم فلما أضاء النهار للحركة وقعت الولادة للأشياء بها فظهرت الأعيان في عالم الحس غالباً وهبت الرياح في البحار فتلاطمت الأمواج وجرت السفن ورمت البحار ما فيها التلاطم المواج ولما أظلم الليل للسكون سكنت الرياح وسكنت الأمواج وأمسك البحر ما فيه غالباً وظهرت الولادة في البرزخ فكانت الأحلام ورؤيا المبشرات والمفرعات كالصورة القبيحة والجميلة في صور المولدات في الحس من الأفعال والنشآت وأغلب وقوع هذا في صدر الليل وفي صدر النهار لأن الرياح لا تهب إلا بعد طلوع الشمس حينئذ تكون الرياح كما أن رياح النصر لا تهب إلا في صدر العشى وهو بعد الزوال ولهذا يستحب فيه القتال ولما كان الليل أصلب المودة والرحمة حتى أن الذين تعذبهم الملوك لا تعذبهم إلا بالنهار غالباً وأما الليل فلا لأن المعذب يتعذب بالليل إذا عذب للسهر وعدم النوم والذي يلحقه فالليل زمان السكون والراحة والمعذب لا يريد أن يعذب نفسه فيترك غيبة المحبوب عن الحب عيبه تعليم وتأديب لما تعطيه المحبة فإن الحب إذا كان صادقاً في دعواه وابتلاء الله بغيبه محبوبه ظهرت منه الحركة الشوقية إلى مشاهدته فيصدق دعواه في محبته فيعظم منزلته وتتضاعف جائزته من التنعيم بمحبوبه فإن اللذة التي يجدها عند اللقاء أعظم من لذة الاستصحاب كحلاوة ورود الأمن على الخائف لا يقوى قوتها حلاوة إلا من المستصحب فهو يزيد به تضاعف النعيم ولهذا أهل الجنة في نعيم متجدد مع الأنفاس في جميع حواسهم ومعانيهم وتجليهم فهم في طرب دائمون فلهذا نعيمهم أعظم النعيم لتوقع الفراق

وتوهم عدم المصاحبة والجهل الإنسان بهذه المرتبة يطلب الاستصحاب والعالم يطلب استصحاب تحديد النعيم والفرق بين النعيمين حتى يقع الإلتذاذ بنعيم جديد كما هو في نفس الأمر وإن لم يعرفه كل إنسان ولا شاهده كل عين ولا عقل فهو متجدد مع الآتات في نفس الأمر وللجهل القائم بهذا الشخص لعدم مشاهدته التجديد في النعيم يقع الملل فلو ارتفع عنه هذا الجهل ارتفع الملل من العالم فالملل أقوى دليل على جهل الإنسان بالله في حفظ وجوده عليه وتحديد آلائه مع الأنفاس فالله يحققنا بالكشف الأتم والمشهد الأعم فما أشرف عين اليقين وما أسعد صاحب مشاهدة الأمور على ما هي عليه ولكن راعي الله سبحانه بهذا الجهل أصحاب الهموم فهو رحمة في حقهم فإنهم لو شاهدوا تحديداً لهم في كل زمان فرد لم يزل عذابه كبيراً عندهم وآلامه متضاعفة فلما حيل بينهم وبين هذه المشاهدة وتخيلوا أن الهم الأمل هو الذي استصحبهم لم يقم عندهم مقام فجأته في الفعل وهان عليهم حمله للإستصحاب الذي تخيلوه رحمة من الله بهم تخفيفاً عنهم إلا في جهنم فإن أهلها مع الأنفاس يشاهدون تجديد العذاب وكلامنا إنما هو في هذه الدار الدنيا محل الحجاب إلا العارفين فإن لهم مقام الآخرة في الدنيا فلهم الكشف والمشاهدة وهما أمران يعطيها عين اليقين وهو أتم مدارك العلم فالعلم الخاصل عن العين له أعظم اللذات في المعلومات المستلذة فهم في الآخرة حكماً وفي الدنيا حساً وهم في الآخرة ومكانة وفي الدنيا مكاناً ثم يتصل لهم ذلك بالآخرة من القبر إلى الجنة وما بينهما من منازل الآخرة وخو قوله تعالى "لهم البشرى في الحياة الدنيا" وهي ما هم فيه من مشاهدة ما ذكرناه وفي الآخرة من القبر إلى الجنة فهو نعيم متصل فهذا تعيم العارفين وليس لغيرهم هذا النعيم الدائم ثم أن الحق سبحانه وتعالى في هذا المنزل أمر عبده المعنى به أن يكون مع خلقه كما كان الحق معه في مثل هذا المشهد وكل ما يؤدي إلى سعادتهم وذلك بالنصيحة والتبليغ ليس بيده من الأمر غير هذا فللعارفين هذا الطريق الموصل إلى هذا المقام والأفصح عنه وليس بيده إعطاء هذا المقام فإن ذلك خاص بالله تعالى قال تعالى "يا أيها الرسول بلغ" فلما بلغ قيل له ما عليك إلا البلاغ ليس عليك هداهم إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وما أحسن قوله في الحقائق وهو أعلم بالمهتدين فإن العلم إنما يتعلق بالمعلوم على ما هو المعلوم عليه وقال لعلك باخع نفسك أن لا تكونوا مؤمنين فوظيفة الرسل والورثة من العلماء إنما هي التبليغ بالبيان والإفصاح لا غير ذلك وجزاهم جزاء من أعطى ووهب والدادل على الخير كفاعل الخير فإن الدلالة على الخير من الخير فيتضمن هذا المنزل من علم الاستناد والمستند إليه أعظم الاستناد وهو الاستناد الإلهي وهو استناد الاسماء الإلهية إلى محال وجود آثارها لتعيين مراتبها واستناد المحال إلى الاسماء الإلهية لظهور أعيانها فهذا أعلى الاستناد وأعلى المستندات إليها وقد رمينا بك على الطريق فادرج عليه نازلاً وصاعداً ومن هنا يعرف ما تحبب فيه الناس من تفضيل الفقر على الغنى والغنى على الفقر والخوض في هذه المسئلة من الفضول الذي في العالم والجهل القائم به فإن الحالات تختلف والمنازل تختلف وكل حالة كما لها في وجود عينها فالله يقول أعطى كل شئ خلقه فما تركت هذه الآية لأحد طريقاً إلى الخوض في الفضول لمن فهمها وتحقق بها غير أن الفضول أيضاً من خلق الله فقد أعطى الله الفضول خلقه ثم هدى أي بين أن من قام به الفضول فهو المعبر عنه بالمشغل بما لا يعينه وجهله بالأمر لكان الفقر عين الغنى والغنى عين الفقر إذ كان كل واحد مهما من مقومات صاحبه والخذ لا يكون عين الخد وإن اجتماعاً في أمر ما فلا يجتمع الغنى والفقر أبداً فليس للفقر منزلة عند الله في وجوده وليس للغنى منزلة عند العبد في وجود فكلما لا يقال الله أفضل من الخلق أو الخلق كذلك لا يقال الغنى أفضل من الفقير أو الفقير أفضل من الغنى فالفقر صفة الخلق والغنى صفة الحق والمفاضلة لا تصح إلا فيمن يجتمعهما جنس واحد ولا جامع بين الحق والخلق فلا مفاضلة بين الغنى والفقر قال تعالى في الغنى أن الله غنى عن العالمين وقال في الفقر "يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله

هو الغني والحميد" فمن قال بعد علمه بهذا الغنى أفضل من الفقر أم الفقر أفضل الله أم الخلق وكفى بهذا جهلاً من قائله وأما الذي بأيدي الناس الذي يسمونه غنى فكيف يكون غنى وأنت فقير إليه كمن قال من أفضل إليه غير مستغن في غناك فغناك عين ففرك وهذا على الحقيقة لا يسمى غنى فكيف تقع المفاضلة ما بين ماله وجود حقيقي وهو الفقير وبين ما ليس له وجود حقيقي وهو غناك وإذا سمى الإنسان غنيا فهو عبارة عن وجود السبب المؤثر عنده فيما فيه غرض في الوقت فيكون بذلك السبب غنياً فيما يفتقر إليه لوجوده به فهذه الفقير الذاتي في غناه العرضي وإذا لم يكن عنده وجود السبب المؤثر فيما افتقر إليه سمى فقيراً من غير غنى فالفقر له في الحالتين معاً لأن ذاته له في الحالين معاً والأمر إذا كان على هذا فطلب المفاضلة جهل بين الوصف الحقيقي والإضافي العرضي ومما يتضمنه هذا المتزل ما يلزمه العالم والمتعلم والسائل والمسؤول فلنبين من ذلك طرفاً فالمسيس الحاجة إليه فإنه يقع من الناس في غالب الأوقات وذلك أن الجاهل إذا جاء ليسأل العالم في أمر لا يعلمه من الوجه الذي يسأل عنه ويعلم منه قدر الوجه الذي دعاه إلى السؤال عنه كمن سمع حساً من خلف حجاب فيعلم قطعاً أن خلف الحجاب أمر إلا يدري ما هو أو لا يدري محل ذلك الحس ولعله ليس خلف ذلك الستر فيسأل من يعلم محل ذلك الستر هل خلفه ما يمكن أن يحس أم لا وإذا كان فما هو فيتصور السؤال من السائل عما لا يعلم لوجه ما معلوم عنده يتضمن ما لا يعلم إلا بعد السؤال عنه وعلى هذا المقام أورد بعض النظارة أشكالا وليس كتابنا مما قصد به النسب الفكرية النظرية وإنما هو موضوع للعلوم الوهية الكشفية فجرت العادة عند العلماء القاصرين عما ذكرناه أن المتعلم السائل إذا جاء ليسأل العالم عن أمر لا يعلمه فإن كانت المسئلة بالنظر إلى حالة السائل عظيمة قال له لا تسأل عما لا يعينك وهذا ليس قدرك وتقتصر عن فهم الجواب على هذا السؤال وليس الأمر كذلك عندنا ولا في نفس الأمر وإنما القصور في المسؤول حيث لم يعلم الوجه الذي تحتمله تلك المسئلة بالنظر إلى هذا السائل فيعلمه به ليحصل له الفائدة فيما سأل عنه ويستتر عنه الوجوه التي فيها مما لا يحتمله عقله ولا يبلغ إليه فهمه فيفسر السائل بجواب العالم ويصير عالماً بتلك المسئلة من ذلك الوجه وهو وجه صحيح أن فات علمه للعالم

الفهم الفطن فقد فاته من المسئلة بقدر ذلك الوجه فاستوى الفهم الفطن مع القدم في عدم أستيعاب وجوه تلك المسئلة فما سأل سائل قط في مسئلة ليس فيه أهلية لقبول جواب عنها ولقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الباب في تأديب الصحابة ما يتأدب به في ذلك وذلك أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بين ظهري أصحابه فقال يا رسول الله أي أسألك عن ثياب أهل الجنة أخلق تخلق أم نسيج تنسج فضحك الحاضرون من سؤاله فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتضحكون أن جاهلاً سأل عالماً يا هذا الرجل أنها تشقق عنها ثمر الجنة فأجابه بما أرضاه وعلم أصحابه الأدب مع السائل فأزال خجله وأنقلب عالماً فرحاً وقال الله تعالى وأما السائل فلا تنهر فعمم وأن كان المقصود في سبب نزولها السؤال في العلم لأنه تعليم لحال سابق كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله "ووجدك ضالاً فهدى" أي حائراً فأبان لك عن الأمر فأما السائل إذا جاءك يسألك فإنما هو بمثلتك حين كنت ضالاً فلا تنهره كما لم أتهرك وبين له كما بينت لك كما قال له تعليمياً لحال سبق له في قوله ألم يجدك يتيماً فأوى فلم يذل ولا طردك بالقهر ليطمئنت وكسرك فأما اليتيم إذا وجدته فلا تقهره والطف به وآوه وأحسن إليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله أدبني فحسن تأديبي فينبغي لنا أن نتبع الآداب الإلهية التي أدب الله سبحانه بها أنبياءه مثل هذا ومثل قوله لنوح "أني أعظك أن تكون من الجاهلين" فرفق به في قوله أعظك لشيخوخته وكبر سنه ومخاطبة الشيوخ لها حدو وصف معلوم ومخاطبات الشباب لها حد معلوم وقال في حق محمد رسوله صلى الله عليه وسلم فلا تكونن من الجاهلين فأين ذلك

الطف من هذا القهر فذلك لضعف الشيخوخة وذا القوة الشباب وأين مرتبة الخمسين سنة من رتبة خمسمائة وأزيد فوق الخطاب على الحالات في أول الرسل وهو نوح وفي آخرهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الأنبياء ومن الآداب الإلهية كل ما ورد في القرآن من أفعال كذا ولا تفعل كذا فإنظره في القرآن تحظ بالأدب الإلهي فاستعمله توفق أن شاء الله والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الثاني والتسعون ومائتان في معرفة منزل اشتراك عالم الغيب وعالم الشهادة من الحضرة الموسوية

والليل يستر ما في الغيب من عجب	والشمس تظهر ما ألا ظلام يستره
والشخص أن كان أنثى ليس يذكره	حتى إذا جاءت الأخرى تذكره
والجود أصل وضد الجود ليس بذی	أصل ولكن عين الجود تظهره
لا شيء يغنيك غير الله فارض به	رباً ولاتك ممن ظل يضمه
وقم به علماً في رأس رابية	وأن شهدت هلالاً فهو يبدره
وأن دعاك الهوى يوماً لمنقصة	فإن داعيه عن ذاك يزجره
عطاؤه منه أولى وأخرة	وليس عن عوض كذاك أذكره
أن الجزاء وفاق لا على عوض	فإن يكن عوض فلست أوتره

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أعلموا يا اخواننا أن هذا المنزل من أعظم المنازل قدراً هو منزل النكاح الغيبي وهو نكاح المعاني والأرواح ويختص بهذا المنزل علم التجلي الإلهي المشبه بالشمس ليس دونها سحاب دون التجلي القمري البدري وهو قوله صلى الله عليه وسلم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر وليس لهذا التجلي مدخل في هذا المنزل وكما ترون الشمس بالظهيرة ليس دونها سحاب وهذا المنزل منزله ومن هنا يعرف وهو مظهر إلهي عجيب ومن هذا المنزل يعرف الجود المقيد بالخوف والجزاء ومرتبة الصدق وإن قبح ومرتبة الكذب وأن حسن والغنى المكتسب وهو الغنى العرضي وعلامات السعادة وعلامات الشقاء وخيبة المعتمد على الأمور التي قد نصبها الله للأعتماد عليها ولماذا يخيب صاحبها مع كون الحق نصبها لهذا وأهلها لها وعلم الأفصاح عن درجات التقريب الإلهي من حضرة اللسان ومعرفة المقام الذي تتألف فيه الضرتان وتتحابان ومعرفة الأبطال لازم وصفة من أعطي مقام هذا الأبطال من المقربين من أمثالهم ممن لم يعطه والجود بما يجده العارف من كل شيء مما لا يجب عليه وهو خلق الجود الإلهي وهل يكون الحق عوضاً ينال بعمل خاص أم لا ولنبين أن شاء الله حقائق هذا المنزل فصلاً فصلاً إيماء وتلويحاً فإنه يطول والله المؤيد لا رب غيره فمن ذلك النكاح الغيبي المنتج قال تعالى "وأرسلنا الرياح لواقح" وقال تعالى "وأنزّل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات" وقال "جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء" وقد تقدم الكلام على هذا الفصل في فصل المعارف من هذا الكتاب في باب

الآباء العلويات والأمهات السفليات فليُنظر هنالك ولنذكر في هذا المنزل ما يتعلق به وهو أن المعاني تنكح الأجسام نكاحاً غيبياً معنوياً فيتولد بينهما أحكامهما وذلك حجاب على اليد الإلهية الغيبية التي ما من شأنها أن تدرك ومن ذلك جميع الصور الظاهرة في الهباء الهباء لها كالمرأة والصور لها كالبعل ولا يوجد عنهما إلا أعيانهما وهذا من أعجب الأسرار أن يكون الولد عين الأب والأم لمن هو لهما ولد والأب والأم عين الولد لمن هما له أيوان وهو الذي أشار إليه الحلاج رحمه الله في قوله ولدت أُمِّي أباهَا ولا يكون الولد عين الولد لمن هو له والد وهو له ولد ألا في هذا النكاح ومن هذا الباب قوله كن وهي كلمة أمر التكوين وقال في عيسى أنه كلمة الله وفي الموجودات أنها كلمات الله وما له كلمة في الموجودات ألا كن وهي عين الموجود فإنه الكلمة وتوجهها على العيون الثابتة فالأعين لها كالأم فظهرت الكلمات وهو وجود تلك الأعيان عن هذا النكاح الغيبي وكان الولد بينهما عينهما ليس غيرهما وهذا ألطف من الأمر الأول فإن الولد هنا عين كلمة الحضرة فكُن عين المكون وهو منسوب إلى الله والأول في الدرجة الثانية فإنه منسوب إلى الهباء والصورة وهذا النكاح مدرج فيه فأفهم فقد رميت بك على الطريق فالجسمانيات كلها أولاد عن نكاح غيبي والأجسام كلها منها ما هو عن نكاح غيبي ومنها ما هو عن نكاح حسي كنكاح الرياح والمياه والحيوانات والنبات والمعادن وما يتولد في الأجسام العنصرية لا الأجسام الطبيعية فإن العالم الملكي لا يتولد عنه من جنسه شيء إلا أن يكون أباً في وقت لام عنصرية بما يلقي إليها فما ينتج فذلك الولد بينهما قد يخلق ملكاً وهو المعبر عنه بلمة الملك وهو ما يلقيه إلى النفس الإنسانية فيتولد بينهما تسبيحة أو تهليلة تخرج نفساً من المسيح والمهمل فينفتح في عين ذلك النفس وجوهره صورة ملكية يكون ذلك الملك الملقى أباهَا والنفس أمها فترتقي تلك الصورة إلى أبيها وتلازمه بالاستغفار لأمه التي هي النفس الإنسانية إلى يوم القيامة ومن هنا يحكم في الشريعة للوالد بأخذ ولده عن أمه إذا ميزو عقل بلا خلاف فإن هذا الملك يخلق عقلاً ومن أعجب الأنكحة الأعدام ولهذا اختلف فيه أهل الكشف فالله سبحانه علقه بالمشيئة فقال "أن يشأ يذهبكم" وعلق الأقدار بإيجاد قوم آخرين فقال "ويأت بقوم آخرين" وكان الله على ذلك ولم يقل ذينك على التشبيه فكانت الإشارة من حيث أحديتها للأقرب وهو الذي أتى به ومن هذا الباب إرسال الريح العقيم فإنها لأزالة أعيان الصور الظاهرة عن التأليف لا أعيان الجواهر فما أنتجت وجوداً فنسب إليها العقم ونفي عنها أن تكون لاقحة فهذا نكاح لمجرد الشهوة لا

لوجود الولد كنكاح أهل الجنة فما يكون عن كل شهوة كيان ولا بد وجود عيني لنفسه ومن هنا وقع الخلاف بين أهل الكشف فمن كشف رجوع أعيان الصور التي كانت موجودة إلى كونها ثابتة غير موجودة قال بأن الريح العقيم قد أنتجت في حضرة الثبوت ما كان قد خرج عنها وهو مشهود للحق وبه تعلقت المشيئة بقوله "أن يشأ يذهبكم" أي يردكم إلى الحالة التي كنتم موصوفين فيها بالعدم وأما كان هذا عقماً لأنه لم يظهر عنه وجود العين لنفسه وأن كان ظاهراً مشهود الخالق ومن لم يشهد رجوع أعيان الصور الموجودة إلى العدم عند توجه المشيئة أو هبوب الريح العقيم قال أن ذلك لا ينتج شيئاً فإن الإيجاد للأقدار لا للمشيئة فقط وللريح اللاقحة لا للعقيم أذ لو ظهر شيء وجودي عنها لم تكن عقيماً فهذا سبب الخلاف بين أهل الكشف فمتعلق النافي عين الوجود ومتعلق المثبت عين الثبوت فما تواردا على شيء واحد فلا خلاف في الحقيقة أذ كان هذا الطريق عند المحققين من لا يتصور فيه خلاف ألا أن يكون مثل هذا وهذا خلاف لفظي فإذا فسر كل واحد ما أراد به ذلك اللفظ أرتفع الخلاف ويكفي ما أوامنا إليه ومن هذا المنزل التجلي الشمس لما وقع التشبه عند علماء الرسوم في رفع الشك عن الرائي في المرئي بالشمس والقمر ليلة البدر وهو من بعض الوجوه المقصورة في هذا الحديث ولكن عرف المحققون زائداً على هذا أن المظهرين مختلفان وأن التجلي

المشبه بالقمر ليلة البدر مظهر خاص لأنه قال ليلة البدر ولم يقل في أبداره فأضافه إلى الليلة فإني أشاهد بدرًا مع وجود الشمس بالنهار فما أضافه إلى الليلة ألا لأمر عرفه المحققون وليس هذا منزل الكلام عليه ولكن هذا المنزل يتضمن منزل التجلي في الشمس فإن الحق يتعالى عند المحققين أن يتجلى في صورة واحدة مرتين أو لشخصين فلا تكرر في أمر عند الحق للأطلاق الذي هو عليه والأتساع الإلهي والتكرار مؤد إلى الضيق والتقييد فاعلم أن التجلي الشمسي أي المشبه بالشمس هو يسمى عندنا التجلي الأوسع وهو التجلي الذي لا يفني الإنسان عن رؤية نفسه فيه وقد أومأنا إليه في أول هذا الكتاب في باب الأرض التي خلقت من بقية الطينة الآدمية وهذا التجلي مظهر ذاتي عجيب ونسب التجلي فيه إلى معلوله لا إلى علته مع ظهور العلة في معلولها عيناً محققة مجهولة الكيفية كظهور الشمس في النهار مع كون النهار معلولاً عن ظهور الشمس ونور السراج عن السراج المنبسط في زوايا الكون فمثل هذا يسمى شهود العلة ومعلولها معاً فكل نجل لا يغنيك عنك فهو بهذه المثابة وإنما سمي أوسع لأن المشاهد يعم رؤيته المتجلي والمتجلي فيه وله وغير الأوسع لا تشاهد غيره لا نفسك ولا غيرك ولا تعلم شهودك ولا ما أنت فيه حتى تعود إليك ويقع الحجاب فلو قرع الحجاب كان ذلك التجلي مقيداً ضيقاً أذ قيده الحجاب والأوسع يظهر في الحجاب وفي غير الحجاب ويفرق الشاهد بين الصورتين ولهذا يقال فيهم ردوهم إلى قصورهم للأشارة إلى عجزهم أي يحسبون فيه وهنا بحور تحوي أنواع من نفيس الجواهر لا يدركها ألا كل غواص واسع النفس عاشق في الغيب فقد بينت لك المقصود من هذا التجلي الذي يحويه هذا المنزل وفوائده لا تحصى لو ذهبنا نذكرها ما وسعها ديوان فإن له التأيد في العالم العلوي في الدنيا وله التأيد في العالم الآخروي السفلي وما ثم نجل يجمع فيما يكون عنه بين الضدين من ألم ولذة ألا هذا التجلي وهو كتجلي المحبوب للمحب يعانق غيره ويقبله فهو من نظره في لذة ومن نظره في ألم ومن هذا المنزل معرفة الجود المقيد بالخوف والجزاء ومرتبة الصدق وأن قبح ومرتبة الكذب وأن حسب والغني المكتسب وهو الغنى العرضي وعلامات السعادة وعلامات الشقاء وأعلم أن أسباب العطاء تختلف فمنهم من يعطي للعوض ويسمى شراء ويبعاً ففيه من الجودان المشتري قد أنعمت عليه من كونك بائعاً ما له غرض عظيم في تحصيله وقد أعطاك هو ما هو مستغن عنه فكل واحد منهما قد جاد على صاحبه بإيصاله إليه ما كان له غرض في تحصيله أذ كان له منع ذلك فبهذا القدر يلحق بباب الجود من جهة المعطي له إسم مفعول لا من جهة المعطي إسم فاعل وقد يعطي الأنسن من هذا الباب خوفاً على عرضه أو حلول آلام حسية تحل به فكأنه يشتري الثناء الحسن والعافية وألا من بذلك العطاء فهو كالأول والفرق وألا من غرض أصلاً ومن يقول بخلاف هذا من أصحابنا أن كان

محققاً كأبي يزيد في قولها كأبي يزيد في قوله

سوى ملذوذ وجدي بالعذاب

وكل مآربي قد نلت منها

فقد أبان عن مقصوده وهو اللذة وهو قلناه وذهبنا إليه وإن لم يكن محققاً فما هو من أصل طريقنا بالمعنى وإن ظهر بالصورة فلا كلام لنا معه ومنهم من يعطي للأنعام وغير ذلك وليس من هذا المنزل إلا ما ذكرناه خاصة ومن هذا الباب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه فأمرنا بمحبته لأنعامه وإحسانه وهل يكون منه سبحانه في حق العباد أمر وجودي يخرج عن النعم بوجه من الوجوه اختلف أصحابنا في ذلك فمنهم من رأى أن الأنعام فيه عين وجوده ولا يلتفت إلى الأغراض

المتعلقة مما يعطيه حكم هذا الموجود المنعم عليه بالوجود فإنه قد أنعم على الأ لم بوجود عينه وإن كان من يتألم به لا يوافق غرضه فهو نعمة الله على نفسه ولو توقف الأمر على عموم النعمة على الكل بالعين الواحدة ما كان شئ أصلاً فإن الحقائق تأبى ذلك فإذا له في كل وجود نعمة فمن كان مقامه الإيثار يصدق في غرضه بزهده إذا قام به حكم الأ لم أن يشكر الله على أنعم به على الأ لم من وجود عينه بعد أن لم يكن إيثار الجناب الله على رغبته حيث ظهر في الملك من يساعده على تعظيم الله وشكره الأ لم لله تعالى على إيجاد عينه فاعظم شفيح يكون لمن هذه حاله عند الله الأ لم من الموجودات والاسم المبلى والمستقم من الإلهيات فيكون نتيجة تلك الشفاعة وجود اللذة ورحلة الأ لم إما بزوال السبب أو ببقائه فيكون خرق عادة وهذا من أعظم الخلق الذي يشرف به الإنسان وأما إيثار في هذا لأدارة الله فلا يدري أحد ما يحصل له من إسمه المريد من الخير إلا الله الذي خصه بهذه الحال الشريفة فهذا هو الصدق مع الله في المعاملة وإن قبح فإنه لو نزل ذلك الأ لم بغيره فلا بد أن تصحبه هذه الحالة وفيصح عليه في حق الغيران يراه يشكر الله على ما قام بذلك الغير من الأ لم ولا سيما أن كان محبوباً له أو نبياً أو رسولاً وبما ينتجه هذا المقام من وجود العافية في ذلك الغير ستر القبح الذي كان لبسه هذا المحقق وأما من ترك العطاء في مثل هذا الموطن الذي ذكرناه فإنك تعرف مما بيناه لك ما سبب ذلك الترك وما المشهود لهذا التارك في وقت الترك فإنه يندرج علم ذلك كله فيما قررناه فابحث عنه فإنه يطول أن أوردناه وقد أعطيناك المفتاح وعينا لك قفله فافتح ما شئت من ذلك وأما الغنى المكتسب في هذا الباب فهو حكمه فإن الإنسان إذا استغنى عن الغير كان دليلاً على جهله بالحقائق إذ كان الغير لا أثر له فيه فقد علق غناه بغير متعلق وإن استغنى عن الله تعالى فأجهل وأجهل فإنه خرج بهذا الوصف عن العلم المحقق وعن الإسلام فلا أخسر منه لأنه لا أجهل منه فالإستغناء لا يصح حقيقة فإذا أضيف الغنى إلى أحد فهي إضافة عرضية لا ذاتية ولهذا هو الاسم الغنى للحق تعالى وصف سلب عنه الإفتقار إلى العالم ومن افتقر إلى شئ لم يستغنى عنه ألينة فالإستغناء على الحقيقة إنما هو بالأسباب من حيث النسب أي من حيث أهما نسب فكل نسبة أذهبت عنك ضدها فهي الحاكمة عليك وهل تسمى بغنى أم لا فلك النظر فيها بحسب ما تعطيك حقيقة تلك النسبة فإن كانت أغنتك عن غيرها فهي غنى وأنت غني بها وإن لم تغنك فما هي غنى ولا أنت غنى بها فالشيع مثلاً بمجرد حقيقته لا يقال فيه أنك قد استغنيت به عن الجوع من حيث حقيقة الجوع لأن الجوع ليس مطلوباً بالك حتى تستغني بالشيع عنه ولكن إن كان الجوع إذا قام بك أعطاك من الصفاء والركة واللطفة والتحقيق بالعبودية والإفتقار ما يعطيه حقيقته فإنك طالب له غير مستغن عنه فإن أعطاك الشيع ما أعطاك الجوع من كل ما ذكرناه فقد استغنيت بالشيع عن الجوع إذا الجوع ليس مطلوباً لنفسه وإنما هو مطلوب لما ذكرناه فإذا وجدنا ذلك في ضده فلا حاجة لنا به إذا الطبع يرده كما أن الطبع يوجده ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الجوع ويقول أنه بئس الضجيع وذلك لأنه أيضاً وإن أعطى ما ذكرناه ولكن لا يقطع أن يكون افتقاره ذلك إلى الله بل قد يكون لغير الله فلذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه أنه بئس الضجيع في العموم فإن شيوخ الطريق يقولون لو بيع الجوع في السوق لزم المريد أن يشتريه ومن نظر منهم إلى ما نظره النبي صلى الله عليه وسلم جعله من أغاليظ أهل الطريق كأبي عبد الرحمن السلمي إذ عمل أوراقاً فيما علطت فيه الصوفية وهو مذهبا للجوع حد ومقدار وهو الجوع

الحقق بخلاف الجوع المتخيل فما وقعت الإستعاذة النبوية إلا من الجوع المحقق فإنه يكون به الإنسان عاصياً للشرع ظالماً لنفسه إذا كان اختياراً ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجوع قط إلا اضطراراً وهو حال العلماء بالله لأنهم من صفتهم العدل وقد وقد ابنت لك ما فيه كفاية فإنه تلويح يغنى عن التصريح وأما أعمال السعادة فعلا ماها أن تستعمل الإنسان في الحضور مع الله في

جميع حركاته وسكناته وأن تكون مشاهدة نسبة الأفعال إلى الله تعالى من حيث الإيجاد والإرتباط المحمود منها وأما الإرتباط المذموم منها فإن نسبة إلى الله فقد أساء الأدب وجهل علم التكليف وبمن تعلق ومن المكلف الذي قيل له أفعَلْ إذ لو لم يكن للمكلف نسبة إلى الفعل بوجه ما لما قيل له أفعَلْ وكانت الشريعة كلها عبثاً وهي حق في نفسها فلا بد أن يكون للعبد نسبة صحيحة إلى الفعل من تلك النسبة قيل له أفعَلْ وليس متعلقها الإرادة كالقائلين بالكسب وإنما هو سبب اقتداري لطيف مدرج في الإقتدار الإلهي الذي يعطيه الدليل كاندراج نور الكواكب فينور الشمس فتعلم بالدليل أن للكواكب نوراً منبسط على الأرض لكن ما ندركه حساً لسلطان نور الشمس كما يعطي الحس في أفعال العبادان الفعل لهم حساً وشرعاً وإن الإقتدار الإلهي مندرج فيه يدركه العقل ولا يدركه الحس كاندراج نور الشمس في نور الشمس في نور الكواكب فإن نور الكواكب هو عين نور الشمس والكواكب لها مجلى فالنور كله للشمس والحس يجعل النور للكواكب فيقول قد اندرج نور الكواكب في نور الشمس وعلى الحقيقة ما ثم الأنوار الشمس فإندرج نوره في نفسه إذ لم يكن ثم نور غيره والمراي وإن كان لها أثر فليس ذلك من نورها وإنما النور يكون له أثر من كونه بلا واسطة في الكون ويكون له أثر آخر في مرآة تجليه بحكم يخالف حكمه من غير تلك الواسطة فنور الشمس إذا تجلى في البدر يعطى من الحكم ما لا يعطيه من الحكم بغير البدر لا شك في ذلك كذلك الإقتدار الإلهي إذا تجلى في العبيد فظهرت الأفعال عن الخلق فهو وإن كان بالإقتدار الإلهي ولكن يختلف الحكم لأنه بواسطة هذا المجلى الذي كان مثل المرآة لتجليه وكما ينسب النور الشمسي إلى البدر في الحس والفعل لنور البدر وهو للشمس فكذلك ينسب الفعل للخلق في الحس والفعل إنما هو الله في نفس الأمر ولأختلاف الأثر تغير الحكم النوري في الأشياء فكان ما يعطيه النور بواسطة البدر خلاف ما يعطيه بنفسه بلا واسطة كذلك يختلف الحكم في أفعال العباد ومن هنا يعرف التكليف على من توجه وبمن تعلق وكما تعلم عقلاً أن القمر في نفسه ليس فيه من نور الشمس شئ وإن الشمس ما انتقلت إليه بذاتها وإنما كان لها مجلى وإن الصفة لاتفارق موصوفها والاسم مسماه كذلك العبد ليس فيه من خالقه شئ ولا حل فيه وإنما هو مجلى له خاصة ومظهر له وكما ينسب نور الشمس إلى البدر كذلك ينسب الإقتدار إلى الخلق حساً والحال الحال وإذا كان الأمر بين الشمس والبدر بهذه المثابة مع الخفاء وأنه لا يعلم ذلك كل أحد فما ظنك بالأمر الإلهي في هذه المسئلة مع الخلق أخفى وأخفى فمن وقف على هذا العلم فهو من أعلى علامات السعادة وفقد مثل هذا من علامات الشقاء وأريد بهذا سعادة الأرواح وشقاوتها المعنوية وإنما السعادة الحسية والشقاوة فعلاً ما هما الأعمال المشروعة بشروطها وهو الإخلاص قال تعالى "ألا لله الدين الخالص" وقال "وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين" ويكفي هذا القدر من العلامات مجملاً والله الموفق لا رب غيره وأما خيبة المعتمد على الأمور التي نصبها الحق للإعتماد عليها ولماذا يخيب صاحبها مع كون الحق نصبها لهذا الأمر وأهلها له فاعلم أيها الأخ الولي أن الأمور التي نصبها الحق للإعتماد عليها ما خرجت عنه ولكن جعلها هذا الخائب أرباباً من دون الله فاعتمد عليها لذاتها لا على من جعلها فاضربه الجهل كما ذكرناه آنفاً فالآثار الظاهرة عن نور الشمس في مرآة البدر إذا نظر فيه الناظر واعتمد على الشمس في ذلك من حيث هذا المجلى الخاص الذي ربط الله الإثر به فهذا لا يخيب فإنه أعطى الأمر حقه وهذا لا ينكسف البدر في حقه أبداً والذي يخيب هو الذي ينكسف البدر في حقه فيبقى في ظلمة جهله مع وجود ذات المرآة القمرية فيكون هذا الخائب مع ذلك المظهر في الظلمات فإن القمر قد حجب في حق هذا الشخص الذي كان

يعتمد عليه أنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وهي الظلمة فإن الظلمة جهنم وأية ظلمة وأي جهنم أعظم من الجهل وبها شبه الله في قوله أو كظلمات فقال ظلمات بعضها فوق بعض وهو جهل على جهل وهو من جهل ولا يعلم أنه جهل فنفي عنه أن

يقارب رؤية يده فكيف أن يراها وادخل اليد هنا دون غيرها لأنها محل وجود الإقتدار وبها يقع الإيجاد أي إذا أخرج اقتداره ليراه لم يقارب رؤيته لظلمة الجهل لأنه لو رآه لراه عين الإقتدار الإلهي ألا تراه إذا أخرج في النور الذي هو العلم رأى يده وهو اقتداره فعلم أن الأقتدار الكوني هو اقتدار الحق لأرتفاع الظلمات المتراكمة التي كانت بعضها فوق بعض ولهذا وقع التشبيه بأشد الظلمات فإن ظلمة الجو تقتزن معها ظلمة البحر تقتزن معها ظلمة تراكم الموج تقتزن معها ظلمة السحاب التي تحجب أنوار الكواكب فلا يبقى للنور ظهور لا في عينه ولا في مجلى من مجاليه فظلمة الليل ظلمة الطبع وظلمة البحر ظلمة الجهل وهو فقد العلم وظلمة الفكر ظلمة الموج وظلمة الموج المتراكم ظلمة تداخل الأفكار في الشبه وظلمة السحاب ظلمة الكفر فمن جمع هذه الظلمات فقد خسر خسراناً ميبئاً وهذه حالة المعطلة لا غيرهم وأما ما يتضمنه هذا المتزل من علم الأفصاح عن درجات القرب الإلهي من حضرة اللسن فاعلم أن ذلك معرفه علم الشارع المترجم عن الله الذي أمرنا بالايان بمحكمه ومتشابهه ولنقبل جميع ما جاء به فإن ناولنا من ذلك على أنه مراد المتكلم به في نفس الأمر زال عنا درجة الايمان فإن الدليل حكم على الخير فيعطل حكم الايمان وجاء العلم الصحيح من المؤمن يقول لصاحب هذا الدليل أما القطع منك بأن هذا الذي أعطاك نظرك هو مقصود المفصح بما أفصح به فهو عين الجهل وفقد العلم الصحيح وأن صادف العلم وقد زال عنك الايمان والسعادة مرتبطة بالايان وبالعلم الصحيح عن علم والعلم الصحيح هو الذي يبقى معه الايمان فعلى العارف أن يبين طريق السعادة نياية عن الله تعالى في خلقه كنيابة القمر عن الشمس في أوصول النور فالأنبياء المرسلون عليهم السلام هم التراجمة عن الحق والورثة على درجتهم بما يعطيهم الله من الفهم فيما جاءت به الرسل من كتاب وسنة فهذا هو علم الأفصاح مختصر وأما علم تألف الضرتين فاعلم أن أبا سعيد الخراز قيل له بم عرفت الله فقال بجمعه بين الضدين وتلا هو الأول والآخر أي هو أول من عين ما هو آخر وظاهر من حيث ما هو باطن لأن الحيثية في حقه واحدة وكل ضدين ضرتان وهذا لا يدرك من قوة العقل فإن قوة العقل لا تعطيه وإنما تدرك هذا من المقام الذي وراء طور العقل الذي من ذلك الطور أعطي الواجبات وجوبها والجائزات جوازها والمستحيلات أحوالها والأحاديث أحاديثها فهو الذي جعل الواحد واحداً كما جعل الواجب واجباً بأعطائه الوجوب وليس في قوة العقل أدراك ما ذكرناه من حيث فكره فهذا علم صحيح إلهي لا عقلي فإذا أجمع الضدان في العلم الإلهي فقد تألفت الضرتان وتحابذاً كانا لعين واحدة فتدبر هذا الفصل بنور الايمان لا بنور العقل فإنه مردود عقلاً غير مقبول وكما لم يكن في قوة البصر أن يدرك المعقولات ولم يتعد حده كذلك العقل ليس في قوته أن يدرك ما يعطيه البصر بذاته من غير واسطة البصر فإذا عجزت قوة العقل أن تستقل بعلم المبصرات من حيث ما هي مبصرات وهي مخلوقة وقوة البصر مخلوقة فمن له بأدراك ما يخرج عن طوره إلى ما هو أعلى في نسبته إلى الحق وقد عجز عن أدراك ما خرج عن طوره إلى ما هو أنزل درجة وهو الحس في زعمه ومن أفقر إلى مخلوق مثله في أمر فهو إلى الخالق أفقر ويكفي هذه الإشارة فيما يعرفه العارفون من ذلك وأما معرفة الأصلام اللازم وصفة من أعطي مقام هذا الأصطلام من المقربين من أمثالهم ممن لم يعطه فاعلم أن الأصطلام نار ترد على قلوب المحبين تحرق كل شيء تجده ما سوى المحبوب وقد تذهب في أوقات بصورة المحبوب من نفس الحب وهو الوقت الذي يطلب الحب أن يتخيل محبوبه فلا يقدر على تخليه ولا يقيم صورته لقوة سلطان حرقة لهيب نار الحب فيقال فيه في ذلك الحال مصطلم وهو الذي أراد القائل بقوله

ذاتك توذي أنت في أضلعي

أودع فؤادي حرقاً أودع

وأرم سهام الحب أو كفها

أنت بما ترمي مصاب معي

موقعها القلب وأنت الذي

مسكنه بذاك الموضع

ومن هذه الحال قال قيس بن الملوح مجنون بني عامر صاحب ليلي وكان قد جاءته ليلي وهو مصطلم يأخذ الجليد ويلقيه على صدره فيذيه من ساعته حرارة الفؤاد وهو يصيح ليلي ليلي طلباً لها لفقد صورتها من خياله فنادته يا قيس أنا مطلوبك أنا ليلي فلم يكن لها في نفسه صورة متخيلة يعرفها بها إلا أنه لما سمع منها اسمها قال لها إليك عني فإن حبك شغلني فهذا حال الإصطلام وهو نعت لازم للحضرة الإلهية مؤثر ولكل إسم إلهي مشهود فيه جمال الحق يحول بين العبد وبين تكييف الحق ويذهب بكل صورة يضبطها أو يتخيلها ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الطوايبا ذا الجلال والإكرام من الألفاظ وهو الماثب وقرن الجلال بالإكرام وما ورد الجلال قط في النبويات إلا والإكرام مصاحب له ليقى رسم العبد ولا يذهب بعينه فالجلال الذي هو جلال الجمال يكسوك الهيبة فتهاهب المقام وهو الذي يجده الحب والعارف في نفسه من تعظيم المحبوب فيؤثر جنابه على كل شئ فإكرام الله به أنه يؤثر على كل شئ وثم اصطلام يزول في الوقت وهو ما يريد على القلب من مشاهدة المحبوب في صورة الخيال فما دام هذا الخيال دام اصطلامه والجلال يحو هذه الصورة من النفس غيرة من نقييد بصورة وله الإطلاق فيزول اصطلام تلك الصورة المقيدة بزوالها ويبقى الإصطلام اللازم الذي هو أثر الجلال في النفس فيرى الحب يكذب الصورة يحترق في نفسه التي تقول له أنا محبوبك ويعرض عنها اجلالاً لمحبه أن يقيده لمعرفته بأن محبوه لا يتقيد فهذا يحترق في نفسه حيث يريد أو ينتمي أن يضبط ما ينضبط لينعم به ولهذا كان العلم أشرف من المحبة وبه أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يسأله الزيادة منه لأنه عين الولاية الإلهية به يتولى الله عبادته وبه يكرمهم وبه يعرفون أنه لا يعرف وأ الحب إذا لم يكن عارفاً فهو يخلق في نفسه صورة يهيم فيها ويعشقها فما عبد ولا اشتاق إلا لمن هو تحت حيطته ولا يزيله عن هذا المقام إلا المعرفة فحيرة العارف في الجنب الإلهي أعظم الحيرات لأنه خارج عن الحصر والتقييد

تفرقت الظبا على خدش

فما يدري خدش ما يصيد

فله جميع الصور وماله صورة تقيده ولهذا كان يقول صلى الله عليه وسلم اللهم زدني فيك تحيراً لأنه المقام الأعلى والمنظر الأعلى والمكنة الزلفى والمظهر الأزهى والطريقة المثلى ومن هذه الحضرة صدر الأنداز فعدم القرار وحل البوار بساحة الكفار فلم يبق ستر ولا حجاب إلا مزقه وحرقه هذا المشهد الأسنى فإن الستر يقيد المستور والحجاب يحجب المحبوب ولا حد لذاته ولا تقييد لجلاله فكيف يستتره شئ أو تغيب له عين تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر فمن قال ليس كمثل شئ فقد صدق لأنه ما ثم موجود لا يغيب له عين ولا يحصره أين إلا الله فجميع الصور الحسية والمعنوية مظاهره فهو الناطق من كل صورة لا في كل صورة وهو المنظور بكل عين وهو المسموع بكل سمع وهو الذي لم يسمع له كلام فيعقل ولا نظر إليه بصر فيحد ولا كان له مظهر فيتقيد فالهو له لازم لا إله إلا هو العزيز الحكيم يحو وهو عين ما يحو قال ويثبت وهو عين ما يثبت فليس كمثل شئ في هذا الحكم وبه شهد له العلم الصحيح الموهوب فعلم الدليل ينفيه إذ لم يكن بيده منه ولالة تعلق بسوى صفات السلب والتزيه وعلم الكشف يثبت ويقيه ولا يبدو له مظهر لا ويراه فيه والعلمان صحيحان فهو لكل قوة مدركة بحسبها ليعرفها أنها مازالت عن منصبها وأنها لم تحصل بيدها من العلم بالله إلا ما هي عليه في نفسها فذاهما عرفت ونفسها وصفت فخرج عن التقييد والحدود بظهوره فيها ليكون هو

المعبود فقد قضى أن لا يعبد إلا إياه فكانت الأصنام والأوثان مظاهر له في زعم الكفار فاطلقوا عليها إسم الإله فما عبدوا إلا الإله وهو الذي دل عليه ذلك المظهر فقضى حوائجهم وسقاهم وعاقبهم إذ لم يحترموا ذلك الجنب الإلهي في هذه الصورة الجمادية فهم الأشقياء وإن أصابوا أو لم يعبدوا إلا الله فإنظر إلى هذا السريان الوجودي في هذه المظاهر كيف سعد به قوم وشقى به آخرون قال بعضهم كل ما تخيلته في نفسك أو صورة وهمك فالله بخلاف ذلك فصدق وكذب وأظهر وحجب وقال الآخر لا يكون الحق مدلولاً لدليل ولا معقول للعقول لا تحصله العقول بأفكارها ولا تستتر له المعارف بأذكارها فإذا ذكر فبه يذكر وبه يفكر ويعقل فهو عقل العقلاء وفكرة المفكرين وذكر الذاكرين ودليل الدالين لو خرج عن شئ لم يكن ولو كان في شئ لم يكن فهذا قد ابنت لك ما أثره الإصطلام اللازم وإن العلماء هم المقربون الذين أدركوا هذا المشهد الأحمى وهذه المعرفة العظمى ومن سواهم فقد نصب له علامة يعبدها وحقيقة يشهدها وهي ما انطوى عليه اعتقاده لدليل قام عنده أو قلد صاحب دليل فهو عند نفسه قد ظهر بمطلوبه واعتكف على معبوده وسكن إليه واستراح من الحيرة وكفر بما ناقض ما عنده وكفر بلا شك غيره ممن اعتقد غير معتقد فلهذا يكفر بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً دنيا وآخرة والعالم المحقق لما هو الأمر في عينه يتفرج في ذاته وفي العالم ظاهره وباطنه فهو العين المصيبة وهو المثل المتره المنصوص عليه الذي نفى الحق أن يماثل أو يقابل بقوله تعالى ليس كمثله شئ أي ليس مثله شئ فالكاف الصفة ما هي زائدة كما يرى بعضهم فبعض العلماء يرى في ذلك أن لو فرض له مثل لم يماثل ذلك المثل فأحرى أن يماثل هو في نفسه وعند بعضهم نفى المثل المحقق الذي ذكرناه شتل الجنيد عن المعرفة والعارف فقال لون الماء والإناء فأثبت الحرف والمعنى والإدراك ونفى الإراك ففرق وجمع فنعلم ما قال وبعد أن ابنت لك عن مرتبة الإصطلام اللازم فلنبين لك ما بقى من هذا المتزل وهو العلم بالجود الإلهي الخارج عن الوجوب وهل يكون الحق عوضاً ينال بعمل خاص أم لا فاعلم أن الله جوداً مقيداً وجوداً مطلقاً فإنه سبحانه قد قيد بعض جوده بالوجود فقال كتب ربكم على نفسه الرحمة أي أوجب وفرض على نفسه الرحمة لقوم خواص نعتهم بعمل خاص وهو أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم فهذا جود مقيد بالوجوب لمن هذه صفته وهو عوض عن هذا العمل الخاص والتوبة والإصلاح من الجود المطلق فجلب جوده بجوده فما حكم عليه سواء ولا قيده غيره والعبد بين الجودين عرض زائل وعرض مائل قال سهل بن عبد الله عالمنا وأماننا لقيت إبليس فعرفته وعرف مني أني عرفته فوقعت بيننا مناظرة فقال لي وقلت له وعلا بيننا الكلام وطال النزاع بحيث أن وقفت ووقف وحررت وحررت فكان من آخر ما قال لي سهل الله عز وجل يقول ورحمتي

وسعت كل شئ فعم ولا يخفى عليك أي شئ بلا شك لأن لفظة كل تقتضي الإحاطة والعموم وشئ أنكر النكرات فقد وسعتني رحمته قال سهل فو الله لقد أحرسني وحيرني بلطافة سياقه وظفروه. بمثل هذه الآية وفهم منها ما لم نفهم وعلم منها ومن دلالتها ما لم نعلم فبقيت حائراً متفكراً وأخذت أتلو الآية في نفسي فلما جئت إلى قوله تعالى فيها فسأكتبها الآية سررت وتخيلت أي قد ظفرت بحجة وظهرت عليه. بما يقصم ظهره وقلت له يا ملعون أن الله قد قيدها بنعوت مخصوصة يخرجها من ذلك العموم فقال فسأكتبها فتبسم إلبس وقال يا سهيل ما كنت أظن أن يبلغ بك الجهل هذا المبلغ ولا ظننت أنك ها هنا أألس تعلم يا سهل إن التقيد صفتك لا صفته قال سهل فرجعت إلى نفسي وغصصت بريقي وإقام الماء في حلقي ووالله ما وجدت جواباً ولا سدوت في وجهه باباً وعلمت أنه كمع في مطعم وانصرف وانصرف ووالله ما أدري بعد هذا ما يكون فإن الله سبحانه ما نص بما يرفع هذا الأشكال فبقي الأمر عندي على المشيئة منه في خلقه لا أحكم عليه في ذلك بأمد ينتهي أو بأمد لا ينتهي فاعلم يا أخى أي تتبع

كما حكى عن إبليس من الحجج فما رأيت أقصر منه حجة ولا أجهل منه بين العلماء فلما وقفت له على هذه المسئلة التي حكى عنه سهل ابن عبد الله تعجبت وعلمت أنه قد علم علماً لا جهل فيه فهو أستاذ سهل في هذه المسئلة وأما نحن فما أخذناها إلا من الله فما لإبليس علينا منة في هذه المسئلة بحمد الله ولا غيرها وكذا أرجو فيما نقي من عمرنا وهي مسئلة أصل لا مسئلة فرع فإبليس ينتظر رحمة أن تناله من عين المنة والجلود المطلق الذي به أوجب على نفسه سبحانه ما أوجب وبه تاب على من تاب وأصلح فالحكم لله العلى الكبير عن التقييد في التقييد فلا يجب على الله إلا ما أوجبه على نفسه فالعارف كذلك في وجود لا يتقيد ولا يعطى واجباً يجب عليه فإن وجوب العطا إنما سببه الملك ولا ملك للعارف مع الله فالمال الذي بيد العارف هو الله ليس له الزكاة تجب في عين المال على رب المال ولا رب له سواه سبحانه فقد أوجب على نفسه أن يخرج من هذا المال مقداراً معيناً هو حق لطائفة من خلقه أوجبه لهم على نفسه في هذا المال الذي بيد العارف فيخرج العارف من هذا المال حق تلك الطائفة نيابة عن رب المال كما يخرج الوصى عن اليتيم بحكم الوكالة فإنه وليه ومن هذا الباب زلت طائفة في كشفها لهذا المقام فلم تؤد زكاة ما بيدها من المال ورأيت منهم جماعة مع كونهم يخرجون ما هو أكثثر من الزكاة لا يزكونه ويقولون أن الله تعالى لا يجب عليه شئ وهذا المال لله ليس لي ويدي فيه عارية وأنا في هذه المسئلة حنفي المذهب فكلما لا يجب على ولي اليتيم اخراج الزكاة عن اليتيم لأن اليتيم لا تجب عليه الزكاة في ماله لأنه المخاطب فلا أزكيه فقد بينت لك وفقك الله الجود الإلهي وتقسيمه وأما هل يكون الحق عوضاً لعمل خاص أم لا فاعلم أن مالك بن أنس رضى الله عنه يقول في الرجل يعطى الرجل هدية ثم أن المعطى له لا يكافئه فيطلبه بالمكافأة عند الحاكم فللحاكم أن يفصل عليه الأمر لما فيه من الإجمال ليرتب الحكم على التعيين فيقول له حين أعطيته هذه الهدية ما ابتغيت بها هل ابتغيت بها جزءاً من الجنة أو معارضة في الدنيا أو ابتغيت بها وجه الله فإن قال الخصم ابتغيت بها الأجر في الآخرة من الجنة أو المعارضة في الدنيا حكم على المعطى إياه برد عين ما أخذه منه إن كانت عينه باقية وإن كانت العين قد ذهبت حكم له بالقيمة على الخلاف في ذلك هل تعتبر القيمة في الشئ في زمان العطا أو في زمان القضا وإن قال إنما أعطيتها ابتغاء وجه الله لم يحكم له بشئ في ذلك وقال ليس بيد صاحبك ما فصدته بهديتك فمن وجه أثبتته عوضاً عنها فيما يظهر فإنه لم يصرح مالك بأكثر من هذا ومن وجهه ينفي أن يكون عوضاً فإنه لا يماثله في القدر شئ من مخلوقاته والكل نعمته غير أنه المعاوضة على الله لهذا المعطى في الدار الآخرة مما يناسب هديته فإن زاد على ذلك فمن باب المنة وقد قيل

وليس لله أن فارقت من عوض

لكل شئ إذا فارقت عوض

والتحقيق في هذه المسئلة أن الحق من حيث ذاته ووجوده لا يقاومه شئ ولا يصح أن يراد ولا يطلب لذاته وإنما يطلب الطالب ويريد المرید معرفته أو مشاهدته أو رؤيته وهذا كله منه ليس هو عينه وإذا كان منه لا عينه فقد يصح أن يكون عوضاً فيكون عمله في الدنيا الذي هو الحضور مع الله في قوله اعبد الله كأنك تراه فيكون هذا العمل جزاؤه عند الله رؤيته وهي أرفع المنازل فهي للحاضر هنا في عمله جزاء وهي لغير الحاضر زيادة ومنة فهو عند هذا ليس عوضاً وهو عند الآخر عوض فيكون الحضور في الدنيا من الجود المطلق من عين المنة وتكون الرؤية من الجود المقيد جزاء بما وجبه على نفسه فمن جوده شهدت جوده فما خرج عنه شئ ولا أوجب مخلوق عليه شيئاً إلا هو العزيز الحكيم فإذا أعطى العبد ابتداء لغيره لأجزاء يستحقه ذلك الغير فيكون هذا المعطى لأجل ذلك الإستحقاق تحت قيد الحق فيكون عطاه مثل هذا إلا عن استحقاق لا يطلب بذلك الأوجه الله سواء طلبه بنيته أو لم

يطلبه فإن حالة العطاء المبتدأ يعطى ذلك فإنه اتصف فيه بصفة الحق من الجود المطلق حيث لم يكن عطاؤه جزاء ولما كان حاله هذا فكما أن الله تعالى يطلب الجزاء على ما امتن به من النعم على عباده وهو الشكر عليها ومعرفة النعم منه ويجازي هو على ذلك الشكر وعلى تلك المعرفة كذلك يعطى هذا العبد المنعم على غيره ابتداء اطلاق لسان المنعم عليه بالشكر والثناء عليه ثم يتولى الله جزاءه به لا بالجنة حتى اتصف بهذا العطاء بصفته تعالى فهذا قد ابنت محتملات ما يتضمنه هذا المتزل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الثالث والتسعون ومائتان في معرفة منزل سبب وجود عالم الشهادة

وسبب ظهور عالم الغيب من الحضرة الموسوية

إذا ما الشمس كان لها شعاع	فذاك من قبلي أتاها
إذا ما الموت حل بكب نفس	فذاك الموت من رب براها
إذا ما جنه المأوى تجلت	مزينة إلينا في حلاها
نعمنا بالرياح لما حوته	من الطيب الممسك في شذاها
وإن طمست نجوم في سماء	فذاك الطمس أورثها زهاها
وإن دخلت نفوس في نفوس	فإن دخولها فيها مناها
وعمار القفار لها شرود	من الصيد الذي يفنى ذماها
ولو أن الرسول يرى نفوساً	ترد رسالته لما أتاها
ولو عرضت عليه الحجب عما	يجئ به المنازع ما أبأها
ولو أن الجوارى سابحات	إلى أمد لحقق منتهاها
ولو أن الليالي مرسلات	غداثرها لما شقوا دجاها
ولو أن الصباح يرى وجودها	منورة الجوانب من ضحاها
لا خجله ومات بها عزاما	وهيمه وتيمه هواها
ولو أن الهلاك يكون بدرا	لأربعة وعشر ما تلاها
ولو أن البحار تكون الماء	فرا تا لم تلذه سواها
ولو أن الأراضي ذات سطح	لما قال المهيمن قد دحاها
وأظهر فبه زينة كل شئ	وأخفى حكمه فيه ثراها
ولو أن الديار بها أنيس	لكان أنيسها رب بناها

ولكن لا يصح الإنس عندي
ولو أن العوالي في سفال
ولو أن الرواسي شامخات
ولكن الشموخ لها مقام
ولو أن الجحيم تكون نارا
ولكن العذاب وجود ضد
ولو أن المحبة ذات شخص
ولو نظر المشرع حين تخلو
ولو أن السماء بلا نجوم
ولو أن الرياح جرت رخاء

ولو أن المياه تغور غورا
ولو أن السحاب حمت حياها
ولو أن الجبال تسير سيرا
ولو أن العيون ترى سناها
ولو أن الملوك تراك عينا
ولو نطق الكتاب بكل حمد
ولو أن المغير يغير صباحاً
ويثبت في مواقف مهلكات
لقد أقسمت بالسبع المثاني
لقد أبصرت عين الشمس تخفي
فتبصر جوها بيدي سحاباً
وتظهر حسنهما لعمى عيون
ولما قيل قد رحلت وغابت
أجبت رسولها لما أتاني
فقلت الستر أولى بي لأنني

بذات ما لها صفة تراها
لكان سفاها أعلى ذراها
لكان شموخها ممن علاها
به رب البرية قد حباها
بلا برد مشيت على هواها
تراه النفس ذوقاً في جناها
لا ضعف شوقها منها قواها
بمن تهواه شرعاً ما نهاها
لنورها قليل من سناها
لزعزعتها وأفقدتها رخاها

لأحيا العالمين ندا يداها
عن الكفار أغناهم حياها
لكان سماؤها منها ثراها
بلا حجب لحل بها عماها
إذا أقبلتم حلت حباها
على أحد من الدنيا عناها
عليها في الفلاة لما سبها
لقوتها إذا أمر دهاها
ومن سور الحروف بعين طهاها
عن الأبصار أذ تعطي نداها
وتبصر أرضها تزهو رباها
ويخفي طرفها عناها
وقد تركت خليفتها أخاها
ليسئل أن تكلمني سفاها
رأيت فناء عيني في فناها

ولكن كان عن حاد حداها

به جود المهيمن قد حداها

وصار الكون يرغب في حداها

ولولاها لملت على شفاها

تؤيده الأساة لما شفاها

لشهوته ولم تبلغ أنها

ونلناها عصمنا من إذاها

وكان العقل قد أخفي نواها

بها والعقل يحذر من جفاها

ولا حكمت عليه ولا نواها

إلى أهل السعادة في خساها

وصانهم المهيمن عن زكاها

فما رحلت لبغض كان منها

أجابته لأمر وأعتناء

فصار الكل مفتقراً إليها

فكم من حفرة قد كنت فيها

لعلة شهوة لو أن عيسى

وكم من طعمة أكلت بحرص

وكم من شهوة نظرت أليها

ولم تك نفسنا يوماً نوتها

مخافة أن تطالبه نفوس

ولا خطرت له يوماً ببال

ولكن الشريعة أثبتتها

فنالوها ولم تعقب حجاباً

أعلم أيدنا الله وأياك أن هذه القصيدة وكل قصيدة في أول كل باب من هذا الكتاب ليس المقصود منها أجمال ما يأتي مفصلاً في نثر الباب والكلام عليه بل الشعر في نفسه من جملة شرح ذلك الباب فلا يتكرر في الكلام الذي يأتي بعد الشعر فلينظر الشعر في شرح الباب كما ينظر النثر من الكلام عليه ففي الشعر من مسائل ذلك الباب ما ليس في الكلام عليه وبطريق النثر وهي مسائل مفردات تستقل كل مسألة في الغالب بنفسها ألا أن يكون بين المسئلتين رابط فيطلب بعضها بعضاً كالأنسان فإنه يطلب الكلام في الحيوان بما فيه من الأحساس ويطلب النبات بما فيه من النمو والغذاء ويطلب الجماد بما فيه مما لا يحس كالأظفار والشعر فيتعلق بالنبات لنموها ويتعلق بالجماد لعدم أحساسها وما في الوجود شيء أصلاً لا يكون بينه وبين شيء آخر ارتباط أصلاً حتى بين الرب والمربوب فإن المخلوق يطلب الخالق والخالق يطلب المخلوق ولذا كان العلم من العالم على صورة المعلوم وخرج المعلوم على صورة العلم وأن لم يكن كذلك فمن أين يقع التعلق فلا تصح المنافرة من جميع الوجوه أصلاً فلا بد أن تتداخل المسائل للارتباط الذاتي الذي في الوجود بين الأشياء كلها فأفهم ما أشرت به إليك في هذا الارتباط فإنه ينبئ عن أمر عظيم أن لم تتحققه زلت بك قدم الغرور في مهواة من التلف فإنه من هنا تعرف ما معنى قول من قال بحدوث العالم ومن قال بقديم العالم مع الأجماع من الطائفتين بأنه ممكن وأن كل جزء منه حادث وليس له مرتبة واجب الوجود بنفسه وأما هو عند بعضهم واجب الوجود بغيره أما لذات الموجد عند بعضهم وأما لسبق العلم بوجوده عند آخرين ولولا صحة الارتباط الذي أشرنا إليه لما صح أن يكون العالم أصلاً وهو كائن فالارتباط كائن والمنافرة وعدم المنافرة من وجه آخر فكل حقيقة إلهية لها حكم في العالم ليس للأخرى وهي نسب فنسبة العالم إلى حقيقة العلم غير نسبته إلى حقيقة القدرة فحكم العلم فيه لا مناسبة بينه وبين المقدور وأما مناسبته بينه وبين المعلوم والأمر من كونه

معلوماً يغير كونه مقدوراً فإذا نظرته على هذا النسق قلت لا مناسبة بين الله وبين عبادته وإذا نظرت بالعين الأخرى أثبت النسبة فإنها موجودة في الكل فأحكم بحسب ما تراه وما يغلب عليك في الوقت وإذا تبينت الحقائق لذي عينين فليقل ما حد له الشرع أن يقول ولا يقل بعقله فإن إطلاق الألفاظ منها ما هو محجور علينا مع صحة المعنى ومنها ما هو مباح لنا مطلقاً مع فساد المعنى طلاق نسبة الظرفية لمن لا يقبل الظرفية وكنسبة استفادة العلم لمن لا يستفيد علماً فالإطلاق مشروع والوجه المنافي معقول كما حجر إطلاق نسبة الولد وأدخله تحت حكم لو وكما حجر تبديل القول الإلهي في قوله ما يبذل القول لدي وأدخله تحت لو ولا يدخل تحت لوالا الممكن والعقل يدل على الأحوال في الولد دلالة عقلية ويدل على الأماكن في هداية الناس أجمعين دلالة عقلية ويدل على أحوال هداية الناس أجمعين لما سبق في العلم من الاختلاف دلالة عقلية وتدل لفظة لو على أنه مخير في نفسه أن شاء شاء أمر أمل أن شاء لم يشأ ذلك الأمر وهذا ورد به الأخبار الإلهي ويحيله العقل وقد أمرنا الله بالعلم به وجعل الآيات دلائل لأولى الأبواب ولكن لما هي دلائل عليه خاصة فلا يخلوا الأمر في أمره أيانا بالعلم به هل نسلك في ذلك دلالة الشارع والوقوف عند أخباره تقليداً أو نسلك طريقة النظر فيكون معقولاً أو نأخذه من دلالة العقل ما يثبت به عندنا كونه إلهاً ونأخذ من دلالة الشرع ما نضيفه إلى هذا الأله من الاسماء والأحكام فنكون مأمورين في العلم به سبحانه شرعاً وعقلاً وهو الصحيح فإن الشرع لا يثبت ألا بالعقل ولو لم يكن كذلك لقال كل أحد في الحق ما شاء مما تحيله العقول وما لا تحيله وهم قد فعلوا ذلك مع الإيمان بالشرع ودخلوا بالتأويل في أمور لا حاجة لهم بها ولو أستغنوا عنها لم يطالبهم العقل بذلك ولا سألهم الشرع عن ترك ذلك بل سألهم الشرع عن فعل ذلك وهم فيه على خطر ولا حجة على ساكت ألا إذا وجب عليه الكلام فيما سكت فيه وقد أدرج في هذا الكلام جميع ما ذكرناه في القصيدة التي في أول الباب فإنه جميع ما عدد فيها من الأمور تطلب حقائق إلهية تستند إليها وتنافر حقائق إلهية فمما يتضمن هذا المنزل تجلي الحجاب بين كشافين وتجلي الكشف بين حجابين وما في

المنزل منزل يتضمن هذا الضرب من التجلي ألا هذا المنزل فإن التجلي المنفرد في المظهر من غير بينة يعطي ما لا يعطيه في البينة والتجلي المفرد الذاتي في غير المظهر يعطي ما لا يعطيه في البينة وهذا التجلي الواقع في البينة يعطي الحصر بين أمرين وكل محصور محدود بمن حصره وهذا أعجب المعارف في هذا الطريق أن يكون التجلي الذاتي الذي له الإطلاق محصوراً فهو كما يقال عن القاعد في حال قعوده أنه قائم فظاهر الأمر أنه لا يتصور فسبحان من تزه عن الأضداد وقبلتها أو صافه قال صلى الله عليه وسلم ترون ربكم كما ترون الشمس بالظهيرة فإن كان أراد النهار بهذا اللفظ فقد عم التجليات الذاتية وأن اختلفت في حكم التجلي كأختلاف صفة تزيهه باسمه الغني عن الفقر وصفة تزيهه بالأحدية عن الشريك بقوله ولم يكن له شريك في الملك كذلك التجليات الذاتية البصرية مثل هذه التجليات الذاتية العقلية وأن كان أراد بالظهيرة وقتاً معيناً في النهار وهو الأظهر في المعنى المحقق واللفظ وعليه أولى أن يحمل هذا القول فإن النهار كله تجل ذاتي لأن الشمس فيه ظاهرة بذاتها فإن النهار جلاها للأبصار وأن كان النهار معلولاً عنها فظهرت بذاتها من أول شروقها إلى حال غروبها ولها تجل وحكم في كل دقيقة يعرفها من يعرفها ويجهلها والذي يعرف الكل من ذلك ما أمتد زمانه فيفرون ما بين حكمها في طلوعها وشروقها وحكمها في أشراقها وحكمها في ضحاها وحكمها في زوالها وهو أول غشيتها وحكمها في عصرها وحكمها في قبض ضوئها وقلة سلطانه عما كان عليه فيما يقابله من أول النهار وصدوره وحكمها عند سقوطها ولكل تجل وأن كان ذاتياً حكم ليس للآخر فما عدا الطرفين فهو تجل ذاتي بين تجلين ذاتيين ألا الطرفين فهو تجل ذاتي عقيب تجل حجابي والطرف الآخر تجل ذاتي يعقبه تجل حجابي فهو تجل ذاتي بين تجل ذاتي وحجابي وقد رمينا

بك على الطريق فأفهم من حالات تغير الأحكام الشمسية في هذه الآنات ووقوع التشبيه منها في آن معين وهو الظهيرة وحالة الصحو وعدم السحاب بينها وبين الراي وخذ أنت في الآنات الباقية آثار التجلي الذاتي فاعلم أن النور المنبسط على الأرض الذي هو من شعاع الشمس الساري في الهواء ليس له حقيقة وجودية ألا بنور البصر المدرك لذلك فإذا اجتمعت العينان عين الشمس وعين البصر أستتارت المبصرات وقيل قد أنبسط الشمس عليها ولذلك يزول ذلك الأشراق بوجود السحاب الحائل لأن العين فارقت هذه العين الأخرى بوجود السحاب وهي مسئلة في غاية الغموض لأي أقول لو أن الشمس في جو السماء وما في العالم عين تبصر من حيوان ما كان لها شعاع منبسط في الأرض أصلاً فإن نور كل مخلوق مقصور على ذاته لا يستتير به غيره فوجود أبصارنا ووجود الشمس معاً أظهرها النور المنبسط ألا ترى الألوان تنقلب في الجسم الواحد المتلون بالخضرة مثلاً أو الحمرة إذا اختلفت منك كفيات النظر إليه من الاستقامات والانحرافات كيف يعطيك ألواناً مختلفة محسوسة تدركها ببصرك لا وجود لها في الجسم المنظور إليه في الشمس ولا تقدر تنكر ذلك ولا سيما إذا كان الجسم المنظور إليه في الشمس فقد أدركت ما لا وجود له حقيقة بل نسبة كذلك النور المنبسط على الأرض وكتقلب الحراء في لون ما تكون عليه من الأجسام على التدريج شيئاً بعد شيء ما هي مثل المرأة تقبل الصورة بسرعة ولا هي جسم صقيل وأدراك تقلبها في الألوان محسوس مع علمك بأن تلك الألوان لا وجود لها في ذلك الجسم الذي أنت ناظر إليه ولا في أعيانها في علمك كذلك العالم مدرك لله في حال عدمه فهو معدوم العين ما أرك الله يراه فيوجد له نفوذ الأقدار الإلهي فيه ففيض الوجود العيني أنما وقع على تلك المراتب لله في حال عدمها فمن نظر إلى وجود تعلق رؤية العالم في حال عدمه وأنها رؤية حقيقية لا شك فيها وهو المسمى بالعالم ولا يتصف الحق بأنه لم يكن يراه ثم رآه بل لم يزل يراه فمن قال بالقدم فمن هنا قال ومن نظر إلى وجود العالم في عينه لنفسه ولم يكن له هذه الحالة في حال رؤية الحق إياه قال بحدوثه ومن هنا تعلم أن علة رؤية الرائي الأشياء ليس هو لكونها موجودة كما ذهب إليه من ذهب من الأشاعرة وأنما وجه الحق في ذلك أنما هو استعداد المرئي لأن يرى سواء كان موجوداً أو معدوماً فإن الرؤية تتعلق به وأما غير الأشاعرة من المعتزلة فإنها اشترطت في الرؤية البصرية أموراً زائدة على هذا تابعة للوجود ولهذا صرفت الرؤية إلى العلم خاصة فأما تجلي الذات بين تجليين حجابين فلا بد أن يظهر في ذلك التجلي الذاتي من صور الحجابين أمر للرائي فيكون ذلك التجلي له كالمرآة يقابل بها صورتين فيرى الحجابين بنور ذلك التجلي الذاتي في مرآة الذات كما تشهد الفقر في حال تزيهك الحق عنه سبحانه الغني الحميد وأن لم يكن الأمر كذلك فكيف تزهه عما ليس بمشهود لك عقلاً فهكذا صورة الحجاب في الذات عند التجلي وأوضح من هذا فلا يمكن فإذا أدرك العارف صورة هذين الحجابين أو صورة الحجاب والتجلي الذاتي الذي هذا التجلي الذاتي الآخر بينهما أو أدرك التجليين الذاتيين في مجلى الحجاب الواقع بينهما فليكن ذكره وعمله بحسب ما تعطيه تلك الصورتان في ذلك المجلى والعلة في أنه لا يدرك أبداً في التجلي أي تجل كان ألا صورتين لا بد منهما لكون الواحد يستحيل أن يشهد في أحديته ولما كان الإنسان لا تصح له الأحدية وهو في الرتبة الثانية من الوجود فله الشفعية لهذا لا يشاهد في التجلي ألا الصورتين الذي هو المجلى بينهما فلا يرى الرائي من الحق أبداً حيث رآه ألا نفسه فهذا التجلي يعرفك بنفسك وبنفسه فإن كان التجلي بين حجابين كانت الصورتان عملاً أن كان في الدنيا فيكون عمل تكليف مشروع وأن كان في الآخرة فيكون عمل نعيم في منكوح أو ملبوس أو مأكول أو مشروب أو تفرح بحديث أو كل ذلك أو ما أشبه ذلك بحسب الحجاب ولهذا إذا رجع الناس من التجلي في الدار الآخرة يرجعون بتلك الصورة ويرون ملكهم بتلك الصورة وبها يقع النعيم ويظهر أن النعيم متعلقه الأشياء وليس كذلك وأنما متعلق النعيم وجود الأشياء أو أدراكها على تلك الصور الحجابية

التي أدركها في المجلى الذاتي وأن كان التجلي تجلياً حجابياً بين تجليين ذاتيين كتجلي القمر بين الضحى والظهيرة وتجلي الليل بين نهارين كانت صورتان في ذلك المجلى الحجابي علماً لا عملاً ولكن من علوم التنزيه فتتجلي به النفس وتنعم به النعيم المعنوي وتلك جنتها المناسبة لها فأفهم وأن كان التجلي الذاتي بين تجل حجابي وذاتي كانت صورتان صورة علم لا صورة عمل فالتجلي الذاتي في الذاتي صورة علم تنزيه لا غير وصورة التجلي الحجابي فيه صورة علم تشبيه وهو تخلق العبد بالاسماء الإلهية وظهوره في ملكه بالصفات الربانية وفي هذا المقام يكون المخلوق خالقاً ويظهر بأحكام جميع الاسماء الإلهية وهذه مرتبة الخلافة والنيابة عن الحق في الملك وبه يكون التحكم له في الموجودات بالفعل بالهمة والمباشرة والقول فأما إلهمة فإنه يريد الشيء فيتمثل المراد بين يديه على ما أراده من غير زيادة ولا نقصان وأما القول فإنه يقول لما أراده كن فيكون ذلك المراد أو يباشره بنفسه أن كان عملاً كمباشرة عيسى الطين في خلق الطائر وتصويره طائراً وهو قوله لما خلقت بيدي فلأنسان في كل حضرة إلهية نصيب لمن عقل وعرف وأن كان التجلي الحجابي بين تجل حجابي وذاتي فالتجلي الحجابي في الحجابي علم ارتباطه بالحق من حيث ما هو دليل عليه وكونه سبباً عنه وأنه على صورته ونسبة الشبه به وأما صورة التجلي الذاتي في الحجابي فهو علم تجلي الحق في صفات المخلوق من الفرح والتعجب والتبشيش واليد والقدم والعين والناخذ واليدين والقبضة واليمين والقسم للمخلوق بالمخلوقين وبنفسه وأتصافه بحجب النور والظلم وبحصر سبحاته المحرقة خلف تلك الحجب النورية والظلمية وقد حصرت لك مقام التجليات في أربع وليس ثم غيرها أصلاً ولما أعطت الحقيقة في التجليات الإلهية أنها لا تكون ألا في هذه الأربع في العالم كانت الموجودات كلها على الترتيب في أصلها الذي ترجع إليه فكل موجود لا بد أن يكون في علمه علم تنزيه أو علم تشبيه وفي عمله أما في عمل صناعي أو عمل فكري روحاني ولا تخلو من هذه الأربعة الأقسام وكذا الطبيعة أعطت بذاتها لحكم هذه التجليات فإن الموجودات إنما خرجت على صورة هذه التجليات فكانت الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة وهي في كل جسم بكمالها غير أنه قد تكون في الجسم على التساوي في القوة وهو سبب بقاء ذلك الجسم وقد لا تكون في الجسم على السواء في القوة فتكون للعلل لذلك الجسم مستصحبة وحالات الأمراض تنقلب عليه بحسب غلبة بعضها على بعض فإن أفرطت كان الموت وأفراطها منها فإن السبب الموجب لأفراطها إنما وقع منها بماأكل يأكله الإنسان أو الحيوان فما يكون الغالب في ذلك المأكل أو المباشرة يزيد في كمية ما يناسبه من الجسم أن كان حاراً قوي الحرارة وأن كان بارداً قوي البرودة وكذلك ما بقي ثم أنه لا تأتلف من هذه الأربع ألا وزنها في العدد ولهذا كانت منها المنافرة من جميع الوجوه والمناسبة كما ذكرناه في الإلهيات في أول هذا الباب وتلك الحقيقة الإلهية حكمت على العالم أن يكون بتلك المثابة أذ كان المعلوم على صورة العلم وعلمه ذاته فافهم فالمنافرة كالحرارة والبرودة وكذلك الرطوبة واليبوسة فلذلك لا تجتمع الحرارة والبرودة ولا الرطوبة واليبوسة في حكم أبداً وأوجد الله العناصر أربعة عن تأليف هذه الطبائع فكان النار عن الحرارة واليبوسة ثم لم يجعل ما يليه ما ينافر من جميع الوجوه بل جعل إليه ما يناسبه من وجه وإن فارقته من وجه فكان الهواء له جاراً بما يناسبه من الحرارة وإن نافرته بالرطوبة فإن للوساطة أثراً وحكماً لجكعها بين الطرفين فقويت على المنافسة لهما فالهواء حار ورطب فيما هو حار يستحيل إلى النار بالمناسب وغلب الوساطة وبما هو رطب يستحيل إلى الماء بالمناسب ثم جاور الهواء من الطرف الأسفل الماء فقبل الهواء جوار النار للحرارة وقبل جوار الماء للرطوبة وإن نافرته بالبرودة كما نافرته الهواء بالحرارة وكذلك جاور بين التراب وبين الماء للبرودة الجامعة لجاورتهما فما ظهر عنها الأربعة لذلك الأصل وكذلك الجسم الحيواني المولد جعل أثر النار فيه الصفراء وأثر الماء البلغم وأثر التراب السوداء فركب الجسم على أربع طبائع وكذلك القوى الأربعة الجاذبة والماسكة والهاضمة

والدافعة وكذلك قرن السعادة والشقاء بالأربعة باليمين والشمال والخلف والامام لأن الفوقية لا يمشی الجسم فيها بطبعه والتحتية لا يمشی فيها الروح بطبعه والإنسان والحيوان مركب منهما فما جعلت سعادته وشقاوته إلا فيما يقبله طبعه في روحه وجسمه وهي الجهات الأربع وبها خوطب ومنها دخل عليه إبليس فقال ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولم يقل من فوقهم ولا من تحتهم لما ذكرناه فيإبليس ما جاءه إلا من الجهات التي تؤثر في سعادته أن سمع منه وقبل ما يدعوه إليه وفي شقاوته وإن لم يسمع منه ولم يقبل ما دعاه إليه فسبحان العليم الحكيم مرتب الأشياء مراتبها وهكذا فعل العالم الجسماني العلوي فجعل البروج التي جعل الأحكام عنها في العالم على أربع نارية وترابية وهوائية ومائية وكذلك جعل أمهات المكالب أربعة هل وما ولم وكيف وكذلك أمهات الاسماء المؤثر في العالم وهو العالم والمريد والقادر والقائل فعلمه بكونه يكون في وقت كذا على حالة كذا دون ذلك لا يمكن فهذا العلم علق الإرادة يتعين ذلك الحال فالقائل علق القدرة بإيجاد تلك العين فعلم فأراد وقال فقد فظهرت الأعيان عن هذه الأربعة فالحرارة للعلم واليبوسة للإرادة والبرودة للقول والركوبة للقدرة فللحرارة التسخين وللبيوسة التجفيف وللرطوبة التلين وللبرودة التبريد قال تعالى ولا رطب ولا يابس فذكر المنفعين دون الفاعلين لدلالتهما على من كانا منفعلين عنهما وهما الحرارة انفعل عنها اليبوسة وكذلك البرودة انفعل عنها الرطوبة فإنظر ما أعطته هذه التجليات بحصرها فيما ذكرناه وكذلك العالم سعيد مطلق وشقي ينتقل إلى سعادة وسعيد ينتقل إلى شقاوة فإنحصرت الحالات في أربع ومنه الأول والآخر والظاهر والباطن وما ثم خامس وهذه نعوت نسبية مع العالم ومراتب العدد أربعة لا خامس لها وهي الآحاد والعشرات والمئات والآلاف ثم يقع التركيب وتركيبتها كتركيب الطبائع لوجود الأركان سواء وأعلم يا أخي أنه ليلة تقييدي لبقية هذا المتزل من بركطاته رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد استلقى على ظهره وهو يقول ينبغي للعبد أن يرى عظمه الله في كل شئ حتى في المسح على الخفين ولباس القفازين وكمنت أرى في رجله صلى الله عليه وسلم نعلين اسودين جديدين وفي يده قفازين وكمانه يشير إلى مسروراً بما وضعته في هذا المتزل من العلم بما يستحقه جلال الله ثم يقول ما دام البدر طالعا فالنفوس في البساتين نائمة وفي جواً سقها آمنة فإذا كان الظلام ولم يطلع البدر خيف من اللصوص فينبغي أن يدخل الإنسان المدينة حذراً من اللصوص فكنت أفهم عنه من هذا الكلام أنه يريد أن النفوس إذا

كان شهود الحق غالباً عليها محققة به وفيه عند من يدخل بساتين معرفة الله والكلام في جلاله على ضروبه وكثرة فنونه فشبه الحق بالبدر وشبه ما تحويه البساتين من ضروب الفواكه بما تحويه عليه الحضرة الإلهية من معارف الاسماء الإلهية وصفات الجلال والتعظيم وفهمت منه في المنام من قوله إذا غاب البدر وذلك شهود الحق في الأشياء والحضور معه والنية الخالصة فيه كان ظلال الجهل والغفلة عن الله والخطأ وخيف من اللصوص يريد الشبه المضلة الطارئة لأصحاب النظر الفكري وأصحاب الكشف الصوري فذكر ذلك خوفاً على النفوس إذا اشتدت في الكلام على ما تستحقه جناب الحق فليدخل المدينة يريد فليتحصن من ذلك بالشرع الظاهر وليلزم الجماعة وهم أهل البلد فإن يد الله مع الجماعة ثم رأيت صلى الله عليه وسلم يتقلب قلقاً عظيماً بجميع أعضائه لعظيم ما هو فيه من السرور بما يتضمنه هذا المتزل من المعرفة وكانت في الليل والبدر طالع حتى كان منه في النهار أرى البدر يضيئ في كبد السماء وقائل يقول لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم في قلق عظيم لما يريد عليه من الله ويشهد واستسقط فقيدت الرؤيا في هذا المتزل واستبشرت بما رأيت لله الحمد على ذلك ويتضمن هذا المتزل علو ما حجة وما من متزل إلا يحتمل ما يحوي عليه من المعارف مجلدات كثيرة فقلت لأصحابي في هذه الليلة إنما أجعل من المتزل بعض ما يحوي عليه من المعارف مسئلة من مسائله فسألني بعض أصحابي

قال إذا كان الأمر على هذا فنبهنا على عدد ما يحويه من المسائل بذكر رؤس أصولها خاصة لنعرفها من غير تفصيل مخافة التطويل فقلت إن شاء الله ربما أفعل ذلك فيما بقي علينا من هذه المنازل في هذا الكتاب فكانت على هذه الليلة ليلة مباركة فاعلم أن هذا المنزل يتضمن علم التجلي في النجوم على كثرتها في كل نجم منها في آن واحد برؤية واحدة وعلم تداخل التحليات وعلم تجلي التابع والمتبوع وهل يحصل للتابع ذوق من تجلي المتبوع أم لا فإن المتبوع إنما جاء يدعو إلى الله ما جاء يدعو إلى الله ما جاء يدعو إلى نفسه فقالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا أرباباً من دون الله وقال أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني فجعل للتابع نصيباً في الدعاء إلى الله فكل علم يستقل به الإنسان من كونه عاقلاً لا يحتاج فيه إلى غيره من رسول ولا دل عليه كالعالم بتوحيد الله وما يجب له وكذلك ما يحصل له من الفيض الإلهي في الكشف في خلواته وطهارة نفسه بمكارم الأخلاق فمثل هذا يكون له من التجلي مثل ما للمتنوع لأنه ليس بتابع إنما هو ذو بصيرة ما الدليل عقل سارا ولكشف محقق هو فيه مثل المتنوع وكل إنسان ما له هذا المقام وما الذي عنده من العلم بالله أخذه إيماناً من المتنوع ومشى عليه يكون ذلك العلم مما لا يمكن أن يحصل الأعلى طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو علم التقريب إلى الله من كونه قربة لا من كونه علماً وكذلك الأعمال البدنية والقلبية على طريق القربة لا تعلم إلا من المتنوع فإذا كان التجلي في هذا المقام لصاحب هذا العلم فلا يلحق فيه التابع المتبوع أبداً فهو للمتنوع تجل شمسي وهو للتابع بجنب قمري ونجومي فاعلم ذلك ومما يتضمنه هذا المنزل تجلي الحق لأهل الشقاء في غير الاسم الرب مع أن الله ما جعل الحجاب إلا في يئوذ مخصوصاً وفي إسم الرب المضاف إليهم لا في إطلاق الاسم فهم في الحجاب في زمان مختص من إسم مضاف خاص بهم فلا يمنع تجليه في هذا الاسم الخاص لهم في غير ذلك الزمان وفي إسم الرب المطلق وفي غيره من الأسماء قال تعالى كلا أنهم عن ربهم يومئذ فأضاف إليهم يومئذ لمحجوبون فجعله زماناً معيناً فافهم ويتضمن هذا المنزل أنه ليس كل تجل يقع به النعيم وأن النعيم بالتجلي إنما يقع للمحبين المشتاقين الذين وفوا بشروط المحبة ويتضمن هذا المنزل بطون عالم الشهادة في الغيب فيرجع ما كان شهادة غيباً وما كان غيباً شهادة وهكذا ذهب إليه بعض العارفين في نضأة الآخرة أن الأجسام تكون مبطونة في الأرواح وأن الأرواح تكون لها ظروفاً ظاهرة بعكس ما هي في الدنيا فيكون الظاهر في الدار الآخرة والحكم للروح لا الجسم ولهذا يتحولون في أية صورة شاء الغلبة الروحية عليهم وغيبية الجسم فيها كما هم اليوم عندنا الملائكة وعالم الأرواح يظهرون في أية صورة شاءوا ومن منازل أصحاب الكشف الذين أنكروا حشر الأجسام فإنهم أبصروا في طشفهم الأمر الواقع في الدار الآخرة ورأوا أرواحاً تتحول في الصور كما يريدون وغيب عنهم ما تحوي عليه تلك الأرواح من الجسمية كما غاب عنهم في هذه الدار في البشر الروحانية المبطونة في الأجسام فكانت الأجسام قبوراً لها وفي الآخرة بالعكس الأرواح قبور الأجسام فلماذا أنكروا ذلك والكشف التام الذي فزنا به وأصحابنا هنا وفي الآخرة إنا كشفنا الأرواح هنا وغلب الأجسام الطبيعية عليها في الصورة الظاهرة فلا يرى من الأرواح في ظاهر الأجسام إلا آثارها ولولا الموت والنوم ما عرف غير المكاشف أن ثم أمراً زائداً على ما يشاهد في الكظاهر ومع وجود الموت والسكون وظهور الجسم عرياً عما كان له من الآثار ذهبت طائفة إلى هذا المذهب وهم الحشيشية فما رأت أن ثم خلف هذه الصورة الظاهرة شيئاً أصلاً فكيف بمؤلاء لو لم يكن موت في العالم ويتضمن هذا المنزل معرفة العالم العلوي وترتيب صورته في تركيبه وأنه على خلاف ما يذكره أصحاب علم الهيئة وإن كان ما قالوه يعطيه الدليل ويجوز أن يكون الله يرتبه على ذلك ولكن ما فعل مع أنه يعطى هذا الترتيب ما يعطيه ما ذهب إليه أصحاب علم الهيئة ويتضمن علم ما أودع الله في العالم السفلي في

ترتيبه من الأمور ويتضمن معرفة المكلفين ومن أين كلفت وما يحركهم ويتضمن علم القربات ويتضمن علم سبب قصم الجبابة المتكرين على الله ويتضمن الحاق الحيوان بالإنسان في العلم بالله ويتضمن علم العواقب ومآل كل عالم فقد ذكرت رؤس ومسائله والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الرابع والتسعون ومائتان في نعرفة المنزل المحمدي المكي

من الحضرة الموسوية

وكذا قيل كل ولي

في علوم وفي مقام على

فاطلب العلم في حروف الروى

في شريف محقق ودني

وفقير ممردك وغني

وعذاب مقسم في ركي

حرم الله قلب كل نبي

ورثوه وورثوه بينهم

فاذا مانسيت للشرعلما

وبحار لها معارف نور

ونبي مطهر ورسول

ونعيم مرتب في علو

اعلم أن هذا المنزل يتضمن من علم مرتبة العالم عند الله بجملته وهل العدم له مرتبة عند الله يتعين تعظيوه من أجلها أم لا ومن من خلق من أهل الشقاء المغضوب عليه له مرتبة تعظيم عند الله أم لا وهل التعظيم الإلهي له أثر في المعظم بحيث أن يسعد به أم لا وما سبب تعظيم الله العالم وهل لمن عظم العالم من الخلق صفة يعرف بها أم لا وما الاسماء الإلهية التي تضاف إلى المخلوقين في مذهب من يقول ما أقسم الله قط إلا بنفسه لكن أضمره تارة وأظهره في موطن آخر ليعلم أنه مضمّر فيما لم يذكر وجميع مايتعلق بهذا الفن يتضمنه هذا المنزل إن ذكرناها على التفصيل طال الكلام ومما يتضمن هذا المنزل علوم خلق الإنسان من العالم وهل الحيوان مشارك له في هذا الخلق أم هو خصيص به ولم خص بهذا الضرب من الخلق علم وإن كان يشاركه الحيوان فيه فلم عين الإنسان بالذكر وحده ولماذا ذكرت لفظة الإنسان في القرآن حيثما ذكرت ونيط بذكرها أما الدم وأما الضعف والنقص وإن ذكر بمدح أعقبه الذم منوطاً به فالذم كقوله أن الإنسان لفي خسر إن الإنسان لربه لكنود والضعف والنقص مثل قوله "خلقنا الإنسان من سلاله من طين" وقوله "لقد خلقنا الإنسان في كبد" والذم العاقب للمدح كقوله "لقد خلقنا الإنسان في احسن تقويم" هذا مدح ثم رددناه أسفل سافلين هذا ذم ويتضمن علم مآل أصحاب الدعاوى التي تعطيها رعونة الأنفس ويتضمن تقرير النعم الحسية والمعنوية ويتضمن التخلق بالاسماء ويتضمن علم القوة التي أعطتها الإنسان وأن لها أثراً وفي ذلك رد على الأشاعرة وتقوية للمعتزلة في إضافة الأفعال إلى المكلفين ويتضمن علم ما يقع فيه التعاون ويتضمن علم مآل عرف الدليل وتركه لهوى نفسه فهذا جميع رؤس ما يتضمنه هذا المنزل من المسائل وهي تشعب إلى ما لا يحصى كثرة إلا عن مشقة كبيرة فأم مرتبة العالم عند الله بجملته فاعلم أن الله تعالى ما خلق العالم لحاجة كانت له إليه وإنما خلقه دليلاً على معرفته ليكمل بذلك ما نقص من مرتبة الوجود ومرتبة المعرفة فلم يرجع إليه سبحانه من خلقه وصف كمال بل له النقص الكامل على الإطلاق ولا أيضاً كان العالم في خلقه مطلوباً لنفسه لأنه كما طرأ عليه من

خلقه صفة كمال بل له النقص الكامل على الإطلاق سواء خلق أو لم يخلق بل كان المقصود ما ذكرناه مرتبة الوجود ومرتبة المعرفة أن تكمل بوجود العالم وما خلق الله فيه من العلم بالله لما أعطاه التقسيم العقلي فإن وصف العالم بالتعظيم فمن حيث نصب دليلاً على معرفة الله وأن به كملت كرتبة الوجود ومرتبة المعرفة والدليل يشرف بشرف مدلوله ولما كان العلم والوجود أمرين يوصف بهما الحق تعالى كان لهما الشرف التام فشرف العالم لدلالته على ماهو شريف فإن القائل كان يقع هذا بجوهر فرد يخلقه في العالم أن كان المقصود الدلالة قلنا صدقت وذلك أردنا إلا أن الله تعالى نسباً وجوهاً وحقائق لا نهاية لها وإن رجعت إلى عين واحدة فإن النسب لا تتصف بالوجود فيدخلها التناهي فلو كان كما أشرت إليه لكان الكمال للوجود والمعرفة بما يدل عليه ذلك المخلوق على الدوام دنيا وآخرة فالمعرفة تحدث على الدوام دنيا آخرة ولذا أمر بطلب الزيادة من العلم أتراه أمره بطلب الزيادة من العلم بالأكوان لا والله ما أمره إلا بالزيادة من العلم بالله بالنظر فيما يحدثه من الكون فيعطيه ذلك الكون عن أية نسبة إلهية ظهر ولهذا نبه صلى الله عليه وسلم القلوب بقوله في دعائه اللهم أي أسألك بكل إسم سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم غيبك والاسماء نسب إلهية والغيب لا نهاية له فلا بد من الخلق على الدوام والعالم من المخلوق لا بد أن يكون علمه غيبك والاسماء نسب إلهية لا نهاية له فلا بد من الخلق على الدوام والعالم من المخلوقين لا بد أن يكون علمه متناهياً في كل حال أو زمان وأن يكون قابلاً في كل نفس لعلم ليس عنده محدث متعلق بالله أو بمخلوق يدجل على الله ذلك العلم فافهم فإن قال القائل فالأجناس محصورة بما دل عليه العقل في تقسيمه وكل ما يخلق مما لا يتناهي داخل في هذا التقسيم العقلي إذ هو تقسيم دخل فيه وجود الحق قلنا التقسيم صحيح في العقل وما تعطيه قوته كما أنه لو قسم البصر المبصرات لقسمها بما تعطيه قوته وكذلك السمع وجميع كل قوة تعطى بحسبها ولكن ما يدل ذلك على حصر

المخلوقات فإنها قسمت على قدر ما تعطى قوتها وما من قوة تعطى أمراً" وتخصر القسمة فيه إلا ويخرج عن قسمتها ما لا تعطيه قوتها فقوة السمع تقسم المسموعات ومتعلقها الكلام والأصوات لا غير فقد خرج عنها المبصرات كلها والمطعونات والمشمومات والملوسات وغيرها وكذلك أيضاً العقل لما أعطى بقوته ما أعطى لم يدل ذلك على أنه ما ثم أمور إلهية لا تعطى العلم بتفاصيلها وحقائقها قوة العقل وإن دخلت في تقسيمه من وجه فقد خرجت عنه من وجوه وجائز أن يخلق الله عبده قوة أخرى تعطى ما لا تعطيه قوة العقل فيرد المحال واجباً والواجب محالاً والجائز كذلك فمن جهل ما تقتضيه الحضرة الإلهية من السعة بعدم التكرار في الخلق والتجليات لم يقل مثل هذا القول ولا اعترض بمثل هذا الإعتراض فإن قال لا بد أن يكون ما خلق تحت حكم العقل وداخلاً في تقسيمه أما تحت قسمة النفي أو الإثبات قلنا صدقت ما تمنع أن يكون ما يعلم مما كان لا يعلم أما في قسم النفي أو الإثبات ولكن ما يدخل تحت ذلك النفي أو الإثبات هل يعطى ما يعطى النفي من العلم أو يعطى ما يعطى الإثبات من العلم أو يعطى ما يعطى أمراً آخر فإن النفي قد أعطى من العلم بالله ما أعطى من حيث ما هو نفي لا من حيث ما هو تحت دلالة من المنفيات التي لا نهاية لها وأن الإثبات قد أعطى من العلم بالله ما أعطى من حيث ما هو اثبات لا من حيث ما هو تحت دلالة من المثبتين فإذا الإيجاد مستمر والعلم فينا يحدث بحدوث الإيجاد والمعلوم الذي تعلق بع العلم من ذلك الدليل الخاص ليس هو المعلوم الآخر فهو معلوم لله لا للعالم فكملت مرتبة ذلك العلم بوجوده في هذا العالم الكوني وكملت مرتبة الوجود الخاص بهذا الموجود بظهور عينه والذي يعطيه كل موجود من العلم الذوقي لا يعطيه الآخر ولقد يجد الإنسان من نفسه تفرقة ذوقية في أكله تفاحة وادة في كل عضة يعض منها إلى أن يفرغ من أكلها ذوقاً لا يجد فرقاً حسيّاً في كل أكله منها وأن لم يقدر يترجمك عنها ومن تحقق ما ذكرناه يعلم أن الأمر

خارج عن كور كل قوة موجودة كانت تلك القوة عقلاً أو غير فسيحان من تعلق علمه بما ينتهي من المعلومات لا إله إلا هو العزيز الحكيم قال تعالى "ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء" وقد بين لك في هذه الآية أن العقل وغيره ما أعطاه الله من العلم إلا ما شاء ولا يحيطون به علماً ولذا قال وعنت الوجوه عقيب قوله ولا يحيطون به علماً أي إذا عرفوا أنهم لا يحيطون به علماً خضعوا وذلوا وطلبوا الزيادة من العلم فيما لا علم لهم به منه والوجوه هنا أعيان الذوات وحقائق الموجودات إذ وجه كل شئ ذاته وكل ما خلق الله من العالم فإنما خلقه الله على كماله في نفسه فذلك الكمال وجهة قال تعالى أعطى كل شئ خلقه فقد أكمله ثم هدى فأعطى الهدى أيضاً الذي هو البيان هنا خلقه فأبان الأمر عبيده على أكمل وجوهه عقلاً وشرعاً ما أهم ولا رمز ولا لغز أن هو الإذكر وقرآن مبين لتبين للناس ما نزل إليهم ولولا البيان ما فصل بين المتشابه والمحكم ليعلم أن المتشابه لا يعلمه إلا الله والمحكم يتعلق به علمنا فلو لم يزل المتشابه لنعلم أنه متشابه إلا الله فلو لم يزل نرى فيه وجهاً يشبه أن يكون وصفاً للمخلوق ويشبه أن يكون وصفاً للخالق فلا يعلم معنى ذلك المتشابه إلا الله فلو لم يزل المتشابه لم يعلم أن ثم في علم الله ما يكون متشابهاً وهذا غاية البيان حيث أبان لنا أن ثم ما يعلم وثم ما لا يعلمه إلا الله وقد يمكن أن يعلمه الله من يشاء من خلقه بأي وجه شاء أن يعلمه ومما يتضمنه هذا المتزل العلم بالأقسام الإلهية التي وردت في الشرائع المتقدمة والتأخرة لما أقسم وإذا أقسم عن أقسم هل بنفسه أو بمخلوقاته أو بهذا وقتاً آخر مثل قوله "تالله لقد أرسلنا فاقسم بالله" وكقوله فوربك فورب السماء والأرض وكقوله والذاريات والمرسلات والصفات والنجم والشمس وغير ذلك من المخلوقين الذين أقامهم في الظاهر مقام أسمائه فإن كان أضمر فما أضمر من الأسماء وعلى كل حال فلها شرف عظيم بإضافتها إليه سواء أظهر الاسم أو لم يظهر والقسم العام فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون فدخل في هذا القسم من الموجودات جميع الأشياء ودخل فيه العدم والمعدومات وهو قوله وما لا تبصرون وما تبصرونه في الحال والمستقبل والمستقبل معدوم فللأشياء نسبة إلى الشرف والتعظيم وكذلك العدم فأما شرف العدم المطلق فإنه يدل على الوجود المطلق فعظم من حيث الدلالة وهو مما يجري على ألسنة الناس وقد نظم ذلك فقيلاً وبضدها تتميز الأشياء فالعدم ميز الوجود والوجود ميز العدم وأما شرف العدم المقيد فإنه على صفة تقبل الوجود والوجود في نفسه شريف ولهذا هو من أوصاف الحق فقد شرف على العدم المطلق بوجه قبوله للوجود فله دالتان على الحق دلالة في حال عدمه ودلالة في حال وجوده وشرف العدم المطلق على المقيد بوجه وهو أنه من تعظيمه لله وقوة دلالاته أنه ما قبل الوجود وبقي على أصله في عينه غيرة على الجنب الإلهي أن يشركه في صفة الوجود فينطلق عليه من الاسم ما ينطلق على الله ولما كان نفس الأمر على هذا شرع الحق للموجودات التسبيح وهو التثنية وهو أن يوصف بأنه لا يتعلق به صفات المحدثين والتثنية وصف عدمي فشرف سبحانه لعدم المطلق بأن وصف به نفسه فقال سبحانه ربك رب العزة عما يصفون تشريفاً للعدم لهذا القصد المحقق منه في تعظيم الله فإنه أعرف بما يستحقه الله من المعدوم المقيد فإنه صفة الأزل في عدمه كما للحق صفة الأزل في وجوده وهو وصف الحق بنفي الأولية وهي وصف العدم بنفي الوجود عنه لذاته فلم يعرف الله مما سوى الله أعظم معرفة من العدم المطلق ولما كان للعدم هذا الشرف وكان الدعوى والمشاركة للموجودات لهذا قيل لنا وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً أي ولم تك موجوداً فكن معي في حال وجودك من عدم الاعتراض في الحكم والتسليم لمحاري الأقدار كما كنت في حال عدمك فجعل شرف الإنسان رجوعه في وجوده إلى حال عدمه فلولا شرف العدم بما ذكرناه ما نبه الحق الموجود المخلوق على الرجوع إلى تلك الحالة في الحكم لا في العين ولا يقدر على هذا الوصف من الرجوع إلى العدم بالحكم مع الوجود العيني ألا من عرف من أين جاء وما يراد منه وما خلق له فقد

تبين لك من شرف العدم المطلق ما فيه كفاية وهذه مسألة أغفلها الناس ولم يعقلوها عن الله حين ذكرها ولما تبين أن الشرف للموجودات والمعدومات أنما كان من حيث الدلالة وجب تعظيمها فقال تعالى "ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب" والشعائر هي الأعلام فهي الدلالات فمن عظمها فهو تقى في جميع تقلباته فإن القلوب من التقلب وما قال سبحانه أن ذلك من تقوى النفوس ولا من تقوى الأرواح ولكن قال من تقوى القلوب لأن الإنسان يتقلب في الحالات مع الأنفاس وهو إيجاد المعدومات مع الأنفاس ومن يتق الله في كل قلب يتقلب فيه فهو غاية ما طلب الله من الإنسان ولا يناله ألا الأقوياء الكمل من الخلق لأن الشعور بهذا التقلب عزيز ولهذا قال شعائر الله أي هي تشعر بما تدل عليه وما تكون شعائر ألا في حق من يشعر بها ومن لا يشعر بها وهم أكثر الخلق فلا يعظمها فإذا لا يعظمها ألا من قصد الله في جميع توجهاته وتصرفاته كلها ولهذا ما ذكرها الله ألا في الحج الذي هو تكرار القصد ولما كان القصد لا يخلو عنه أنسان كان ذكر الشعائر في آية الحج وذكر المناسك وهي متعددة أي في كل قصد فكان سبب القسم بالأشياء طلب التعظيم من الخلق للأشياء حتى لا يهملوا شيئاً من الأشياء الدالة على الله سواء كان ذلك الدليل سعيداً أو شقيماً وعدمه أو وجوداً أي ذلك كان وأن كان القصد الإلهي بالقسم نفسه لا الأشياء بل المقصود الأمران معاً وهو الصحيح فاعلم أنه ليس المراد بهذا القصد الآخر ألا التعظيم لنا والتعريف فذكر الأشياء وأضمر الاسماء الإلهية لتدل الأشياء على ما يريده من الاسماء الإلهية فما تخرج عن الدلالة وشرفها فقال "والسماء وما بناها" أي وباني السماء والأرض وما طحاها أي وباسط الأرض والنجم إذا هوى أي ومسقط النجم فأختلفت الأشياء فأختلفت النسب فأختلفت الاسماء وتعينت المختصة بهذا الكون المذكور فعلم من الله ما ينبغي أن يطلق عليه من الاسماء في المعنى فيما أضمر وفي اللفظ فيما أطلق أذ لو أراد إطلاق ما أضمره عليه لأظهره كما أظهره في قوله فورب السماء والأرض فجاء بالاسم الرب بالنسبة الخاصة المتعلقة بالسماء خاصة وإسم الأرض مضمرة لأنه للرب نسبة خاصة في الأرض ليست في السماء ولذلك لم يتمثلاً بل السماء مغيرة للأرض لأختلاف النسبة فنسبة الرب لخلق السماء مغيرة للنسبة الربانية لخلق الأرض لولا وجود الواو في قوله "والأرض" الذي يعطي التشريك لقلنا باختلاف الاسم الرب لاختلاف النسبة

ولكن الواو منعت والقرآن نزل باللسان العربي والواو في اللسان في هذا الباب إذا ذكر الأول ولم يذكر في المعطوف عليه حكم آخر دلة على التشريك فإذا قلت زيد وعمر وفلا يريد القائل إذا وقف على هذا من غير قاطع عرضي مثل أنقطاع النفس بسعلة تطراً عليه أو شغل يشغله عن تمام تلفظه في مراده فهو للتشريك ولا بد فيما ذكر قاطع منعه أن يقول وعمر وخارج أو يقول وعمر وأبوه قاعد فهذه الواو واو الأبتداء والحال لا واو العطف فإذا قال قام زيد وخرج عمرو فهذه واو العطف أعني عطف جملة على جملة لا واو التشريك فلهذا جعلنا الواو في قوله والأرض للتشريك في الاسم الإلهي المذكور الذي هو المعطوف عليه وكان الأضمار في النسبة التي يقع فيها التغاير فافهم فإنه من دقيق المعرفة بالله وعلم أنه لم رأى بعض العارفين تعظيم هذه الأمور مشروعاً ألحق كل ما سوى الله بالسعادة التي هي في حق أصحاب الأغراض من المخلوقين وصولهم إلى أغراضهم التي تخلق لهم في الحال فلم يبقى صاحب هذا النظر أحداً في العذاب الذي هو الألم فإنه مكروه لذاته وأن عمرو النار فإن لهم فيها نعيم ذوقياً لا يعرفه غيرهم فإن كل واحدة من الدارين ملؤها فأخبر الله أنه يملؤها ويخلد فيها مؤبداً ولكن ما ثم نص بتسرمم العذاب الذي هو الألم لا الحركات السببية في وجود الألم في العادة بالمزاج الخاص المحس للألم فقد نرى الضرب والقطع والحرق في الوجود ظاهراً ولكن لا يلزم عن تلك الأفعال ألم ولا بد وقد شاهدنا هذا في نفوسنا في هذا الطريق وهذا من شرف الطريق وفيه يقول أصحابنا ليس العجب من

ورد في بستان فإنه المعتاد وأما العجب من ورد في وسط النار لأنه غير معتاد يريد أنه ليس العجب مما يجد اللذة في المعتاد وأما العجب ممن يجد اللذة في غير السبب المعتاد وهو كل مطلوب أبا يزيد في قوله سوى ملذوذ وجدى بالعذاب ولهذا سمي عذاباً لأنه يعذب في حال ما عند قوم ما لمزاج يطلبه وإذا كان الحق يأمر بتعظيم كل ما سواه مما هو مضاف إليه وما ثم ألا ما هو مضاف إليه أما نصاً أو عقلاً فبعيد أن يتسرمد عليه العذاب الذي هو الألم وقد كان الله ولا شيء معه ولم يرجع إليه وصف لم يكن عليه مما أوجده وخلقه فكذلك هو ويكون وأما قلنا هذا من أجل من يقول بنفي إسم من الاسماء الإلهية لا أثر له قلنا وأن لم يكن له أثر فليس كما له بوجود الأثر عنه فإن العين واحدة فافهم ذلك وهذه مسألة من أشكال المسائل في هذا الطريق والله يقول أنا رحمته سبقت غضبه يريد أن حكمه برحمة عباده سبق غضبه عليهم ولا يظهر السبق في نفس الشاؤ فإنه قد يكون الفرس واسع النفس بطيء الحركة والآخر ضيق النفس سريع الحركة والشاؤ طويل فلا يزال واسع النفس وأن أبطأ في الحضر دخل على الضيق النفس حتى يريد عليه ويتركه خلفه فلا يحكم بالسبق إلا في آخر الشاؤ فمن حاز قصب السبق فهو السابق ولهذا يطول في المسابقة بين الخيل في المسافة وهو مشروع في معرض التنبيه على هذا المقام وآخر المسافة هو الذي ينتهي إليه الحكم بالسبق والرحمة سبقة غضب الله على خلقه فهي تحوز العالم في الدارين بكرم الله وما ذلك على الله بعزيز وأن كان في النار فلهم فيها نعيم فإنهم ليس منها بمخرجين ويصدق قوله تعالى "سبقت رحمتي غضبي" ويصدق قوله "لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين" ويصدق قوله "ورحمتي وسعت كل شيء" وقد أظهرت أمراً في هذه المسألة لم يكن باختياري ولكن حق القول الإلهي بأظهاره فكنت فيه كالجبور في اختياره والله ينفع به من يشأ لا إله إلا هو وهذا القدر كاف من علم هذا المتزل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الخامس والتسعون ومائتان في معرفة منزل الأعداد المشرفة

من الحضرة المحمدية

وغاصت بأرضي في خزائن أسرارى
وما كتمت منه فتسعة أعشار
ويطلبني وترى المصاب بأوتار
بناها من الماء المركب والنار
تحصنت فيه خلف سبعة أسوار
يعاملني فيها على حد مقداري
إلى صور تخيل ببرزخ أغباري
إلى أن يكون البعث من قبر أفكاري
بمشهد أنوار ومشهد أسرارى
برؤية أفكار ورؤية أبصار

تفجرة الأنهار من ذات أحجار
فعشر من العلم اللدني ظاهر
تطالبني نفسي بمثنى وجودها
فحصنت نفسي في مدينة سيد
فلم يرحصن مثله في ارتفاعه
مكانتها ما بين ذل وعزة
إلى أن يكون النفخ في صور حسه
ويبقى دوام الأمر فيه مخلداً
فأشده علماً وعيناً وحالة
منوعة تلك المظاهر عندنا

فهرست ما يتضمنه هذا المنزل من العلوم وذلك علم اللوائح وهي مقدمات الذوق وهي منزلة عجيبة لا تقبل الغفلة والنسيان وفيه علم دخول التأنيث في العدد وهو مذكر وفيه علم المانية من أين ضلت وما وجه الحق الذي عندها حتى قادها إلى هذا الاعتقاد وهل لها عذر مقبول في ذلك يوم القيامة أو لا وفيه علم الدخول وهو طلب الأوتار ولماذا تطلب ولمن يرجع فضلها وهل المغصوب على نفسه بالقتل هل يرضى بذلك أم لا ولاية حكمة جعل ذلك للولي وهل إذا عفا الولي عن الدم هل يسقط حق المقتول يوم القيامة أم مثل الحوالة في الدين إذا قبلها صاحب الحق لم يبق له رجوع على الأول أن أعسر المرجوع إليه عنه بعد رضا صاحب الدين بالحوالة وفيه علم قرار الغيب حتى لا يشهد ولماذا يقر وفيه علم الغيب الذي يجب أن يشهد وطلبه لذلك من الله وفيه علم العقل ومرتبة صاحبه وفيه علم الاعتبار وفيه علم الانتقال في الأحوال والمقامات وفيه علم الكيفيات والكميات وفيه علم تعالي ولماذا يؤدي وأنه مخصوص بأهل البلادة دون الأذكى وفيه علم الصلاح والفساد وفيه علم ما يترتب على الأعمال سواء وقع التكليف أو لم يقع وفيه من أين أخذ علم أهل النجوم الحاكمون بما الواقفون على ما أودع الله فيها من الأحكام من العلوم الإلهية وشرفه على سائر العلوم وذكر الحيوان الذي إذا أكل أعلاه أعطي بالخاصية لمن أكله علم النجوم وإذا أكل وسطه أعطي علم النبات وإذا أكل عجزه وهو ما يلي ذنبه أعطي علم المياه المغيبة في الأرض فيعرف إذا أتى أرضاً لا ماء فيها على كم ذراع يكون الماء فيها وهذا الحيوان حية ليست بالكبيرة ولا الصغيرة لا يوجد إلا بأحواز شلب من غرب الأندلس وكان قد وقع بها عندنا عبد الله بن عبدون كاتب أمير المسلمين فقطع رأسها وذنبها بسكين ذي شعبتين في ضربة واحدة وقسمها ثلاث قطع وكانوا ثلاثة أخوة فأكا عبد الله أعلاها فكان في علم القضاء بالنجوم آية من غير مطالعة كتاب أو توقيف أمام وأكل أخوه عبد المجيد الوسط منها فكان آية في علم النبات وخواصه وتركيباته من غير مطالعة كتاب ولا توقيف أخبرني ولده المنجنيفي بذلك بقونية وأكل الأخ الثالث القطعة الأخيرة التي تلي الذنب منها فكان آية في أستخراج المياه من جوف الأرض فسبحان من أودع أسرارها في خلقه وفيه علم الفرق في خرق العوائد بين الكرامة والأستدراج وفيه علم السبب الذي أوجب أن يحب العالم الحيواني الأنساني غير الله وسبب الحب أمران النسبة والأحسان والنسبة إلى الله أقرب فإنه مخلوق على الصورة والأحسان من الله فهو المنعم عليه بإيجاد عينه ثم لكل ما هو فيه فكيف يحب غيره ويفني فيه وفيه علم الآخرة وما يتعلق بها من حين وفوف الناس على الجسر دون الظلمة إلى أن يدخلوا منازلهم من الشقاء والسعادة فهذا جميع ما يتضمنه هذا المنزل من العلوم قد نهتك عليها الترتفع إلهمة إلى طلبها فلنذكر منها مسألة أو أكثر على قدر ما يتسع الكلام مع الاختصار دون الأطلاة والأكثر فأقول والله يقول الحق وهو يهدي السبيل أعلم أن الله لما خلق الأرواح الملكية المهمة وهم الذين لا علم لهم بغير الله لا يعلمون أن الله خلق شيئاً سواهم وهم الكروبيون المقربون المعتكفون المفردون المأخوذون عن أنفسهم بما أشهدهم الحق من جلاله اختص منهم مالمسمى بالعقل الأول والأفراد منا على مقامهم فجلال الله في قلوب الأفراد على مثل ذلك فلا يشهدون سوى الحق وهم خارجون عن حكم القطب الذي هو الامام وهو واحد منهم ولكنه يكون مادته من العقل الول الذي هو أول موجود من عالم التدوين والتسطير وهو الموجود الإبداعي ثم بعد ذلك من غير بعده زمان انبعث عن هذا العقل موجود انبعثي وهو النفس وهو اللوح المحفوظ المكتوب فيه كل كائن في هذه الدار إله يوم القيامة وذلك علم الله في خلقه وهو دون القلم الذي هو العقل في النورية والمرتبة الضيائية فهو كالزمردة الخضراء لأنبعث الجوهر الهبائي الذي في قوة هذه النفس فإنبعث عن النفس الجوهر الهبائي وهو جوهر مظلم لا نور فيه وجعل الله مرتبة الطبيعة بين النفس والهباء مرتبة معقولة لا موجودة ثم

بما أعطى الله من وضع الأسباب والحكم ورتب في العالم من وجود الأنوار والظلم لما يقتضيه الظاهر والباطن كما جعل الإبتداء في الأشياء والإنتهاء دائماً في مقاديرها بأجل معلوم وذلك إلى غير نهاية فما ثم

إلا ابتداء آت وانتها آت دائمة من إسمه الأول والآخر فعن تينك الحقيقتين كان الإبتداء والإنتهاء دائماً فالكون جديد دائماً فالبقاء السرمدي في التكوين فأعطى لهذه النفس لما ذكرناه قوة عملية عن تلك القوة أوجد الله سبحانه بضرب من التجلي الجسم الكل صورة في الجوهر الهبائي وما من موجود خلقه الله عند سبب الإبتجال إلهي خاص لذلك الموجود لا يعرفه السبب فيتكون هذا الموجود عن ذلك التجلي الإله يواتوجه الرباني عند توجه السبب لا عن السبب ولولا لزمه الشكل إذ كانت الأشكال من لوازم الأجسام فأول شكل ظهر في الجسم الشكل المستدير وهو أفضل الأشكال وهو للأشكال بمترلة الألف للحروف يعم جميع الأشكال كما أن حرف الألف يعم جميع الحروف بمروره هواء من الصدر على مخارجه إلى أن يجوز الشفتين فهو يظهر ذوات الحروف في المخارج فإذا وقف في الصدر ظهر حرف الهاء والهمزة في أعياهما عن حرف الألف فإذا انتقل من الصدر إلى الحلق ووقف في مراتب معينة في الحلق أظهر في ذلك الوقوف وجود الحاء المهملة ثم العين المهملة ثم الخاء المعجمة ثم الغين المعجمة ثم القاف المعقودة ثم الكاف وأما القاف التي هي غير معقودة فهي حرف بين حرفين بين الكاف والقاف المعقودة ما هي كاف خالصة ولا قاف خالصة ولهذا ينكرها أهل اللسان فأما شيوخنا في القراءة فإنهم لا يعقدون القاف ويزعمون أنهم هكذا أخذوها عن شيوخهم وشيوخهم عن شيوخهم في القراءة فإنهم لا يعقدون القاف ويزعمون أنهم هكذا أخذوها عن شيوخهم وشيوخهم عن شيوخهم في الأداء إلى أن صلوا إلى العرب أهل ذلك اللسان وهم الصحابة إلى النبي صلى الله عليه وسلم كل ذلك أداء وأما العرب الذين لقيناهم ممن بقي على لسانه ما تغير كبنى فهم فإني رأيتهم يعقدون القاف وهكذا جميع العرب فما أدري من أين دخل على أصحابنا ببلاد المغرب ترك عقدها في القرآن وهكذا حديث سائر الحروف إلى آخرها وهو الواو وليس وراء الواو مرتبة لحرف أصلاً وليس للأشكال في الأجسام حد ينتهي إليه يوقف عنده لأنه تابع للعدد والعدد في نفسه غير متناه فكذلك الأشكال فأول شكل ظهر بعد الإستدارة المثلث ومن المثلث المتساوي الأضلاع والزوايا تمشى الأشكال في الجسمات إلى غير نهاية وأفضل الأشكال وأحكمها المسدس وكلما اتسع الجسم وعظم قبل الكثير من الأشكال ثم أمسك الله الصورة الجسمية في الهباء بما أعطته الطبيعة من مرتبتها التي جعلناها بين النفس والهباء ولو لم يكن هنالك مرتبتها لما ظهر الجسم في هذا الجوهر ولا كان له فيه ثبوت فكانت الطبيعة للنفس كالآلة للصانع التي يفتح بها الصور الصناعية في المواد فظهر الجسم الكل في هذا الجوهر عن النفس بآلة الحرارة وظهرت الحياة فيه بمصاحبة الحرارة الرطوبة وثبتت صورته في الهباء بالبرودة واليبوسة وجعله أعني هذا الجسم الكري على هيئة السرير وخلق له حملة أربعة بالفعل ما دامت الدنيا وأربعة آخر بالقوة يجمع بين هؤلاء الأربعة والأربعة الآخر يوم القيامة فيكون المجموع ثمانية وسماه العرش وجعله معدن الرحمة فاستوى عليه باسمه الرحمن وجعله محيطاً بجميع ما يحوي عليه من الملك متحيز يقبل الإتصال والإنفصال وعمر الإينية الظرفية المكانية وكان مرتبة ما فوقه بينه وبين العماء الذي ما فوقه هواء وما تحته هواء وهو للإسم الرب والله هو الاسم الجامع المهيمن علة جميع الاسماء الإلهية فصفته المهيمنة وتوحدت الكلمة في العرش فهي أول الموجودات التي قبلها عالم الأجسام ثم أوجد جسماً آخر في جوهر هذا الهباء فإن جوهر هذا الهباء هو الذي عمر الخلاء فكل ما ظهر من الصور المتحيز الجسمية والجسمانية فهذا الجوهر هو القابل لها وإنما قلنا هذا لئلا يتخيل أن الكرسي صورة في العرش وليس كذلك وإنما هو صورة أخرى في الهباء قبلها كما قبل صورة العرش على حد واحد ولكن بنسب مختلفة فسمى هذا الموجود الآخر سياً ودلى إليه القدمين من

العرش فإنفلقت الرحمة افلاق الحب فتنوعت الرحمة في الصفة إلى الإطلاق وتقييد فظهرت الرحمة المقيدة وهي القدم الواحدة وتميزت الرحمة المطلقة بظهور هذه القدم الأخرى فظهر في هذه القدم انقسام الكلمة الواحدة العرشية التي لم يظهر لها انقسام في العرش إلى خبر وحكم وانقسم الحكم إلى أمر ونهي وانقسم الأمر إلى وجوب وندب وإباحة وانقسم النهي إلى حظر وكراهة وانقسم الخبر إلى هذه

الأقسام وزيادة من استفهام وتقرير ودعاء وانكار وقصص وتعليم فتنوعت الألسن وظهرت الملاحن في الكرسي فظهر تفصيل النغمات التي كانت مجملة في العرش فهو أول كرب ظهر في عالم الأجسام من السماع ومن هنالك سرى في عالم الأفلاك والسموات والأركان والمولدات ثم أوجد الحق أيضاً جسماً آخر مستديراً دون الكرسي في الرتبة وجعله مستديراً فلكياً غير مكوكب قدر فيه سبحانه اثني عشر تقديراً مقادير معينة سمي كل مقدار منها باسم لم يسم به الآخر وهي المعرفة بالبروج وأظهر منها سلطان الطبيعية فجعل منها ثلاثة من اجتماع الحرارة واليبوسة وجعل أحكامها مختلفة وإن كانت على طبيعة واحدة من الحر واليبس اتفقت أحكامها فتعمل بالاتفاق من وجهه وبالإختلاف من وجهه ولهذا ظهر عنها الكون والفساد والتغير والاستحالات ولست أعني بالفساد الشر والمعتادة عندنا هنا وإنما أعني بالفساد زوال نظم مخصوص يقال فيه فسد ذلك النظام أي زال كما تأكل التفاحة أو تشقها بالسكين إلى أقسام فقد فسد نظامها فذهبت تلك الصورة بظهور صورة أخرى فيها وعن هذا الفلك يتكون جميع ما في الجنة وعنه يكون الشهوة لأهلها وهو عرش التكوين ثم أن الله تعالى أوجد في جوف هذا الفلك الأطلس الذي هو محل لهذه الطبائع التي هي آلة النفس العملية فلكاً آخر في جوهر الهباء كما ذكرنا وبالتجلي الإلهي كما ذكرنا إذ لا يكون التكوين إلا له سبحانه وهذا الفلك هو فلك الكواكب الثابتة والمنازل التي يقدر بها تقسيم البروج المقدر في الأطلس إذ كان الأطلس متشابه الأجزاء وهي ثمانية وعشرون منزلة وهي النطح والبطين والثريا والدبران والهنعة والحقعة والذراع والثرة والطرف والجبهة والزبر والصرفة والعوا والسماك والغفر والزبايا والإكليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الأخبية والفرع المقدم والفرع المؤخر والرشا فهذه ثمان وعشرون منزلة معروفة مسماة يحكم لها بطبائع البروج وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت ولهذا الفلك المكوكب أعني فلك المنازل قطع في الفلك الأطلس فلك البروج وجعل لكل تقدير في فلك البروج منزلتين وثلاث من المنازل المذكورة ولما نزل به جميع كواكبه سباحة في أفلاك لها بطيئة لا يحس بها البصر إلا بعد آلاف من السنين كما ذكر عن أهرام مصر أنها بنيت والنسر في الأسد وهو اليوم في الجدي ونحن في سنة أربع وثلاثين وستمائة ثم أود على سطح هذا الفلك المكوكب الجنة بما فيها بطالع الأسد وهو برج ثابت فلماذا كان لها الدوام فإن أصحاب هذا الفن قد سمو هذه البروج بالاسماء التي ذكرناها ونعتوها بأمور على حسب ما أطلعهم الله عليه من آثارها العجيبة في حركاتها فعرفوا منها الثابت والمنقلب وذا الجسدين وغير ذلك وإلى الفلك الأطلس ينتهي علم أهل الأرصاد وعلى الحقيقة إنما ينتهي إلى المكوكب فإن حركات الكواكب والكواكب تعين أفلاك الكواكب وإنما ما عرف عددها وأما الفلك الأطلس فما استدلووا عليه من حيث أدركوه حساً وسموه أطلساً لكونه لا كوكب فيه يعينه للحس ويطل عليهم هذا الدليل بحركة أقصى الأفلاك فإن حركتها موجودة ولا تقطع في شئ عندهم أصلاً فما يدريكم يا صاحب الرصد لعل هذا الفلك المكوكب يقطع في لا شئ والحكماء لم يمنعوا أن يكون فوق الفلك الأطلس أفلاك أخرى إلا أن الراصد لم يبلغ إليها لأنه ما ثم ما يدل عليها بل هي في حكم الجواز عندهم لكن قالوا أن كان هنالك فلك فلا بد أن يكون له نفس وعقل ومع ذلك لا بد من الإنهاء ومن هذا

الفلك وقع الخلاف بيننا وبين الحكماء من الفلاسفة في ترتيب التكوين وما نازعونا فيما فوق الأطلس الذي هو الكرسي والعرش وقالوا بالجواز فيه فترتيب الأمر عندنا بعد الفلك المكوكب ولم يكن مكوكباً عند خلقه وإنما ظهرت الكواكب بعد هذا فيه وفي غيره من السموات فيها كانت حركة ما ذكرناه من هذه الأفلاك الموجودة الأربعة التي كملت فيها الطبيعية وظهر سلطانها حساً بعدما كان معقولاً فإن المعاني هي أصل الأشياء فهي في أنفسها معان معقولة غيبية ثم تظهر في حضرة الحس محسوسة وفي حضرة الخيال متخيلة وهي هي إلا أنها تنقلب في كل حضرة بحسبها كالحربا تقبل الألوان التي تكون عليها فأول ما أوجد الأرض وهي نهاية الخلاء وهو أقصى الكثائف والظلم وهو نازل إلى الآن دائماً والخلاء لا نهاية له فإنه امتداد متوهم لا في جسم فالعالم كله أسره نازك أبداً في طلب المكز وهذا الطلب طلب معرفة ومركزه هو الذي يستقر عليه أمره فلا يكون له بعد ذلك طلب وهذا غير كائن فتزوله للطلب دائم مستمر وهو المعبر عنه بطلب الحق فالحق هو مطلوبه وأثر فيه هذا الطلب التجلي الذي حصل له تعشق ذلك التجلي وهو المنعوت بالجمال والجمال معشوق لذاته ولولا ما تجلى سبحانه في صورة الجمال لما ظهر العالم فكان خروج العالم إلى الوجود بذلك العشق صل حركته عشقية واستمر الحال فحركة العالم دائمة لا نهاية لها ولو كان ثم أمر ينتهي إليه يسمى المركز يكون إليه النهاية لسكن العالم بعضه على بعض بالضرورة وبطلب الحركة فبطل الإمداد فأدى ذلك إلى فناء العالم وذهاب عينه والأمر على خلاف هذا وإنما الناس وأكثر الخلق لا يشعرون بحركة العالم ولأنه بكماله متحرك فيبقى الترتيب المشهود من البعد والقرب على حاله فلهذا الشهود يتخيلون شكون الأرض حول المركز ثم أوجد ركن الماء وهو كان الموجود الأول من الأركان وإنما ذكرنا الأرض مقدمة من أجل السفلى والماء كان أول العناصر فما كثف منه كان أرضاً وما سخف منه كان هواءً ثم ما سخف منه كان ماراً وهو كرة الأثير فأصل العناصر عندنا الماء ووافقنا على ذلك بعض الناس من النظائر في هذا الفن لكن مستندنا الكشف فيما ندعيه من هذا وغيره من العلوم وقد تكون تلك العلوم مما تدرك بالنظر الفكري فمن أصاب في نظره وافق أهل الكشف ومن أخطأ في نظره خالف أهل الكشف والحكماء في هذه المسئلة على ستة مذاهب خمسة منها خطأ والواحد منها صواب وهو الذي وافق الكشف والتعريف الإلهي لأهل خطابه من ملك وني وولى وكان وجود هذه العناصر ببرج السرطان وما من برج إلا وقد جعل له الله مدة في الولاية معلومة مع المشاركة لغيره في مدته فلجميعها مدة معلومة عندنا نسميها أعني الجملة عمر العالم فإذا انتهت المدد عاد المر ابتداء على حاله من الدوام فلا عدم يلحقه أبداً من حيث جوهره ولا يبقى صورة أبداً زمانين فالخلق لا يزال والأعيان قابلة للخلع عنها وعليها فالعالم في كل نفس من حيث الصورة في خلق جديد لا تكرر فيه فلو شاهدته لرأيت أمراً عظيماً يهولك منظر ويورثك خوفاً على جوهر ذاتك ولولا ما يؤيد الله أهل الكشف بالعلم لتاهوا خوفاً فلما حصلت العناصر وهي الأركان الأربعة محلاً مهياً أنوثياً لقبول التناسل والولادة وظهرت الإحترافات من عنصر النار في رطوبات الهواء والماء صعد منها دخان يطلب الأعظم الذي هو الفلك الأعلى الأقصى فوجد فلك الكواكب يمنعه من الرقي إلى الفلك الأعلى فعاد ذلك الدخان يتموج بعضه في بعض فتراكم فريق ففتق الله رتقه بسبع سموات ثم أنه تتطايرت الشرر من كرة الأثير في ذلك الدخان فقبلت من السموات ومن الفلك المكوكب أماكن فيها رطوبات طبيعية فتعلقت بها تلك الشرر فأنقذت تلك الأماكن لما فيها من الرطوبات فحدثت الكواكب فأضاء الجو كما يضيئ البيت بالسراج ألا ترى القادح للزناد يعلق الشرر الحراق بما فيه من الرطوبة فيتقد فيكون منه المصباح ولهذا قال تعالى وجعلنا الشمس سراجاً يضيئ به العالم وتبصر به الأشياء التي كان يسترها الظلام فحدث الليل والنهار بحدوث كوكب الشمس والأرض فالليل ظلمة الأرض

الحجابية عن انبساط نور الشمس والكواكب عندنا كلها مستتيرة لا تستمد من الشمس كما يراه بعضهم والقمر على أصله لا نور له البتة قد محا الله نوره وذلك النور الذي ينسب إليه هو ما يتعلق به البصر من الشمس في مرآة القمر على حسب مواجهة الأبصار منه فالقمر مجلى الشمس وليس فيه من نور الشمس لا قليل ولا كثير ثم أن الله رتب في كل فلك وسماء عالماً من جنس طبيعية ذلك الفلك سماهم ملائكة على مقامات فطرهم الله عليها من التسبيح والتهليل وكل ثناء على الله تعالى وجعل منهم ملائكة مسخرين لمصالح ما يخلق في عالم العناصر من المولدات وهي ثلاثة عوالم طبيعية ويسري في كل عالم مولد من هذه الثلاثة من النفس الكلية صاحبة الآلات أرواح هي نفوس هذه المولدات بما تعلم خالقها ومنشئها وبما سرت الحياة فيها كلها وبما خاطبها الحق وكلفها وهو رسول الحق إليها وداع كل شخص منه إلى ربه فما بطنت حياته سمي جماداً ونباتاً وانفصل هذان المولدان وتميزا بالنمو والغذاء فقبل في النامي منه نبات وفي غير

النامي جماد وما ظهرت حياته وحسه سمي حيواناً والكل قد عمته الحياة فنطق بالثناء على خالقه من حيث لا نسمع وعلمهم الله الأمور بالفطرة من حيث لا نعلم فلم يبق رطب ولا يابس ولا حار ولا بارد ولا جماد ولا نبات ولا حيوان إلا هو مسبح لله تعالى بلسان خاص بذلك الجنس وخلق الجن من لهب النار والأنسان مما قيل لنا ونفخ الأرواح في الكل وقدر الأقوات التي هي الأغذية لهذه المولدات من الأنس والجن والحيوان البحري والبري والهوائي وأرخي في كل سماء أمرها بما أودع الله في حركات هذه الكواكب وأقتراناتها وهبوطها وصعودها في بيوت نحوسها وسعودها وعن حركاتها وحركات ما فوقها من الأفلاك حدثت المولدات وعن حركات الأفلاك الأربعة حدثت الأركان وهذا خلاف ما ذهب إليه غير أهل الكشف من المتكلمين في هذا الشأن فأودع الله في خزائن هذه الكواكب التي في الأفلاك علوم ما يكون من الآثار في العالم العنصري من التقلب والتغيير فهي أسرار إلهية قد جعل الله لها أهلاً يعرفون ذلك ولكن لا على العلم بل على التقريب والأمر في نفسه صحيح غير أن الناظر من أهل هذا الشأن قد لا يستوفي النظر حقه لأمر فإنه من غفلة أو غلط في عدد ومقدار لم يشعر بذلك فيحكم فيخطئ فوق الخطأ من نظره لا من نفس الأمر وقد يوافق النظر العلم فيقع ما يقوله ولكن ما هو على بصيرة فيه من حيث تعيين مسألة بعينها وهذا العلم لا تفي الأعمار بأدراكه فيعلم أصله من النبوات فكان أول من شرع في تعليم الناس هذا العلم ادريس عليه السلام عن الله فاعلمه ما أوحى في كل سماء وما جعل في حركة كل كوكب وبين له أقترانات الكواكب ومقادير الأقترانات وما يحدث عنها من الأمور المختلفة بحسب الأقاليم وأمزجة القوابل ومساقط نطقه في أشخاص الحيوان فيكون القرآن واحداً ويكون أثره في العالم العنصري مختلفاً بحسب الأقاليم وما يعطيه طبيعته فشروطه كثيرة يعلمها أهل ذلك الشأن فلما أعطتهم الأنبياء الموازين وعلمتهم المقادير علموا ما يحدث الله من الأمور والشؤون في الزمان البعيد وعن الزمان البعيد الذي لو وكلهم الله فيه إلى نفوسهم بالحكم المعتاد حتى يتكرر ذلك عليهم تكراراً يوجب القطع عادة ورب أمر لا يظهر تكراره الذي يوجب القطع الظني به ألا بعد آلاف من السنين فهذا كان سبب التعريف الإلهي على السنة الأنبياء عليهم السلام فاعلمت الناس بما أوحى الله إليها ما أمن الله عليها هذه الكواكب المسخرة من الحوادث ولو عرف الجهال المنكرون هذا العلم قوله تعالى "والنجوم مسخرات بأمره" لما قالوا شيئاً مما قالوه فما علموا تسخيرها وأنها كما قال تعالى "ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً" كما سخر الرياح والبحار والفلك هكذا سخر الكواكب وهل في هذه المسخرات من الكواكب والأفلاك والرياح والبحار والدواب وكل مسخر عالم بما هو له مسخر أم لا هذا لا يعرفه لأهل طريقنا خاصة حكى القسيري أن رجلاً رأى شخصاً راكباً على حمار وهو يضرب رأس الحمار فنهاه عن ذلك فقال

له الحمار دعه فإنه على رأسه يضرب فمن عرف الجزاء كيف لا يعرف ما سخر له وقد رأينا من مثل هذا كثيراً من الجمادات والحيوانات وقد طال الكلام وهذا القدر كاف في معرفة ترتيب العالم الذي هو أحد أقسام ما يحتوي عليه هذا المتزل من العلوم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب السادس والتسعون ومائتان في معرفة منزل انتقال صفات أهل السعادة

إلى أهل الشقاء في الدار الآخرة من الحضرة الموسوية

لها في قلب نازلها خشوع

إذا ما أبتر خلعتها الضجيع

ولا يذهب لها عطش وجوع

ويحييه الخريف أو الربيع

يجليها لرفعتها الرفيع

عسى وقتاً يكون له رجوع

غشيت منازل لمقام صدق

ونار الأصطلام لها وقود

وأغذية العلوم تزيد حرصاً

ولو طعم الوجود لمات جوعاً

بخلق ثم صلب في سطوح

فعلم من تشاء بغير قهر

يريد في البيت الخامس قوله تعالى "أفلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت" يريد الاعتبار في ذلك أعلم وفقنا الله وأياك أن درجات الجنة على عدد دركات النار فما من درج ألا ويقابله درك من النار وذلك أن الأمر والنهي لا يخلو الإنسان أما أن يعمل بالأمر أولاً يعمل فإن همل به كانت له درجة في الجنة معينة لذلك العمل خاصة وفي موازنة هذه الدرجة المخصوصة لهذا العمل الخاص إذا تركه الإنسان درك في النار لو سقطت حصاة من تلك الدرجة في الجنة لوقعت على خط أستواء في ذلك الدرك من النار فإذا سقط الإنسان من العمل بما أمر فلم يعمل كان ذلك الترك لذلك العمل عين سقوطه إلى ذلك الدرك قال تعالى فأطلع فرآه في سواء الجحيم فالأطلاع على الشيء من أعلى إلى أسفل والسواء حد الموازنة على الاعتدال فما رآه ألا في ذلك الدرك الذي في موازنة درجته فإن العمل الذي نال به هذا الشخص تلك الدرجة تركه هذا الشخص الآخر الذي كان قرينه في الدنيا بعينه فإنظر إلى هذا العدل الإلهي ما أحسنه وهما الرجلان اللذان ذكرهما الله في سورة الكهف المضروب بهما المثل وهو قوله تعالى "وأضرب لهم مثلاً رجلين" إلى آخر الآيات في قصتهما في الدنيا وذكر فيالصفات حديثهما في الآخرة في قوله تعالى "قال قائل منهم أي كان لي قرين يقول أنك لمن المصدقين" وفيها ذكر المعاتبة وفي قوله "تالله أن كدت لتردين لما أطلع عليه فرآه في سواء الجحيم" وهو قوله "ما أظن الساعة قائمة" وورد في الأخبار الإلهية الصحاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل فيما يقوله لعبده يوم القيمة أظننت أنك ملاقي فلنمثل لك منها الأمهات التي بني الإسلام عليها وهي خمسة لا أله إلا الله وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً فمن الناس من آمن بها كلها فسعد ومنهم من كفر بها كلها فشقي ومنهم من آمن ببعضها وكفر ببعضها فهو ملحق بالكافر الحاق حق وهكذا جميع الأوامر والنواهي التي تقتضيها فروع الشريعة في جميع حركات الإنسان وسكونه في الإيمان بالحكم المشروع فيها والكفر والعمل المشروع فيها بظاهر الإنسان المكلف وباطنه وترك العمل ويحصر ذلك عقد وقول وعمل وفي مقابلته حل وصمت وترك

عمل هذه مقابلة من وجه في حق قوم ومقابلة أخرى في حق قوم أو هذا الشخص بعينه وهو عقد مخالف لعقد وقول يخالف قولاً وعمل مخالف لعمل أذ كان لا يلزم من صاحب الحل أن يكون قد عقد أمراً آخر فإن الحل إنما متعلقه ذلك العقد الإيماني بذلك المعقود عليه فأسقطه المعطل فلم يرتبط بعقد آخر وشخص آخر عقد على وجود الشريك لله فحل من عنقه عقد حبل التوحيد وعقد حبل التشريك فلهذا فصلنا الأمر على ما يكون عليه في الدار الآخرة موازناً لحالة الدنيا وهذا صورة الشكل في الأمهات وعليها نأخذ جميع المأمور بها والمنهي عنها من العمل بالمأمور والقول به والإيمان به وترك ذلك حلاً وعقداً في الكل أو في البعض وكذلك المنهي عنها من العمل به والقول به والعقد عليه وترك ذلك حلاً وعقد للكل والبعض صورة درج الجنة ودرك النار والأعراف وهو السور الذي باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب والرفائق النازلة والصاعدة وضعناها لك لتصورها في ذهنك أن كنت بعيد الفهم والله المعين لا رب غيره

كلا وبعضاً وهكذا مناسبات الجزاء كلها لا تختل قال الله عز وجل ومكروا ومكر الله وقال "قالوا إنما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم" وقال "إن تسخروا منا فإننا نسخر منكم كما تسخرون" وقال تعالى "إن الذين أجمعوا كانوا من الذين آمنوا يضحكون" وقال في الجزاء "فاليوم الذم آمنوا من الكفار يضحكون" ثم بين بعد فقال "هل ثواب الكفار ما كانوا يفعلون" فعم بالآلف واللام ورد الفعل عليهم وقال تعالى "نسوا الله فأنسيهم" ولهذا جزاء وفاقا ولو لم يكن الأمر كذلك لما كام جزاء وقد ورد في المتكبرين أنهم يحشرون كأمثال الذر يطأهم الناس بأقدامهم صغاراً لهم وذلة ولتكبرهم على أوامر الله فالجنة خير خير لا شر فيها والنار شر لا خير فيها فجميع علم المشرك وقوله الذي لو كان موحد جوزي عليه في الجنة بحسبه يعطى ذلك الجزاء للموحد الجاهل بذلك الأمر والعلم المفرط في ذلك العمل التارك لذلك القول والجزاء عليه الذي لو كان مشركاً لحصل له في النار يعطى لذلك المشرك الذي لاحظ له في الجنة فإذا رأى المشرك ما كان يستحقه لو كان سعيداً يقول يقتضي جزاء حسناً وقع ممن وقع فيقول الله له لما عملت كذا ويذكر له ما عمل من مكارم الأخلاق والقول بها والعمل بمواقعتها قد جازيتك على ذلك بما أنعمت به عليك من كذا وكذا فيقرر عليه جميع ما أنعمه عليه جزاء لا نعمة في خلقه المبتدأة التي ليست بجزاء فيزنها المشرك هنالك بما قد كشف الله علم الموازنة فيقول صدقت فيقول الله له فما نقصك من جزائك شيئاً والشرك قطع بك عن دخول دار الكرامة فتزل فيها على موازنة هذه الأعمال ولكن انزل على درجات تلك الأعمال فغن صاحبها منعه التوحيد أن يكون من أهل هذه الدار فهذا هو من الميراث الذي بين أهل الجنة وأهل النار ونذكر الكلام في هذا الفصل في باب الجنة والنار من هذا الكتاب فهذا هو الانتقال الذي بين أهل السعادة وأهل الشقاء فإن المؤمن هنا في عبادة والعبادة تعطيه الخشوع والذلة والكافر في عزة وفرحة فإذا كان في هذا اليوم يخلع عز الكافر وسروره وفرحه على المؤمن ويخلع ذل المؤمن وخشوعه الذي كان لباسه في عبادته في الدنيا على الكافر يوم القيامة قال تعالى خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي فإن هذا النظر هو حال الدليل لا يقدر يرفع رأسه من القهر وذلك الخشوع من الكافر يوم القيامة والذلة والنظر المنكسر الذي لا يرفع بسببه رأسه إنما هو الله تعالى خوفاً منه وهذا كان حال المؤمن في الدنيا لخوفه من الله فذلك يوم التغابن حيث يرى الإنسان صفة عزه ويرويه وفرحه على غيره ويرى ذل غيره وغمه وحزنه على نفسه فالحكم لله العلي الكبير ويتضمن هذا المنزل من العلوم علم سؤال الحق عباده السعداء عن مراتب الأشقياء بأي إسم يسأل وعلم المناسبات وعلم ما تعطيه الأفكار وعلم الكيفيات وهو على ضربين ضرب منه لا يعرف إلا بالذوق وضرب منه يدرك بالفكر وهو من باب التوسع في الخطاب لا من باب التحقيق فإن التحقيق يعلم الكيفيات إنما هو ذوق ولقد نبهني الولد العزيز العارف شمس الدين اسماعيل بن

سودكين التورى على أمر كان عندي محققاً من غير الوجه الذي نبهنا عليه هذا الولد ذكرناه في باب الحروف من هذا الكتاب وهو التحلي في الفعل هل يصح أو لا يصح فوقتاً كنت أنفيه بوجه ووقتاً كنت أثبتته بوجه يقتضيه ويطلبه التكليف إذ كان التكليف بالعمل لا يمكن أن يكون من حكيم عليم يقول اعمل وافعل لمن يعلم أنه لا يعمل ولا يفعل إذ لا قدرة له عليه وقد ثبت الأمر الإلهي بالعمل للبعد مثل أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واصبوا وصابروا وربطوا وجهادوا فلا بد أن يكون له في المنفعلة عنه تعلق من حيث الفعل فيه يسمى به فاعلاً وعاملاً وإذا كان هذا فبهذا القدر من النسبة يقع التحلي فيه فبهذا الطريق كنت أثبتته وهو طريق مرضى في غاية الوضوح يدل أن القدرة الحادثة لها نسبة تعلق بما كلفت عمله لا بد من ذلك ورأيت حجة المخالف واهية في غاية من الضعف والاختلال فلما كان يوماً فإوضني في هذه المسئلة هذ الولد اسماعيل أبو سودكين المذكور فقال لي رأي دليل أقوى على نسبة الفعل إلى العبد وأضافته إليه والتحلي فيه إذ كان من صفته من كون الحق خلق الإنسان على صورته فلو جرد عنه الفعل لما صح أن يكون على صورته ولما قبل التخلق بالاسماء وقد صح عندكم وعند أهل الطريق بلا خلاف أن الإنسان مخلوق على السورة وقد صح التخلق بالاسماء فلم يقدر أحد أن يعرف ما دخل على من السرور بهذا التنبيه فقد يستفيد الأستاذ من التلميذ أشياء من مواهب الحق تعالى لم يقض الله للأستاذ أن يناها إلا من هذا التلميذ كما نعلم قطعاً أنه قد يفتح للإنسان الكبير فيأمر يسأله عنه بعض العامة مما لا قدر له في العلم ولا قدم ويكون صادق التوجه في هذا العلم المسئول عنه فيرزق العالم في ذلك الوقت لصدق السائل علم تلك المسئلة ولم تكن عنده قبل ذلك عناية من الله بالسائل وتضمنت عناية الله بالسائل أن حصل للمسئول علماً لم يكن عنده ومن راقب قلبه يجد ما ذكرناه فالحمد لله الذي استفدنا من أولادنا مثل ما استفاده شيوخنا منا أموراً كانت شهب عليهم ويتضمن هذا المترل علم التبليغ عن الله إلى خلقه من رسول وني ووارث ويتضمن علم السياسة في التعلم بباب اللطف من حيث لا يشعر المطلوب بذلك ويتضمن علم الجزاء المطلق والمقيد فالمطلق مجازاة العبد ربه مثل الشكر على المنعم ومجازاة الله العبد مثل المزيد فيما وقع عليه الشكر من العبد والمجازاة المقيدة هي جزاء الله العبد في الدار الآخرة فإنها ليست بدار تكليف قال تعالى "وأفوا بعهدي" في موطن التطليف وهو الدنيا أف بعهديكم في الدارين معادينا وآخرة وهذا القدر كاف في هذا الباب إن شاء الله تعالى والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب السابع والتسعون ومائتان في معرفة منزل ثناء تسوية الطينة الإنسانية في المقام الأعلى من الحضرة المحمدية

على صفة المسوى بالسواء

وجاء به الرسول من السماء

بنا تعطيه مأمنه الرجاء

أقيم بها رخاء من رخاء

إلهي بمنزلة الصفاء

لا علو فوق منزلة السهاء

تنزه أيها الخلق المستوى

ولا تنظر إلى ما حال منه

فإن خفت الرجا أيدت فيه

سليمانية وقفت أمامي

وقفت على الصفا أعنو لسر

وعانقت الغزالة في سناها

قال الله تعالى "وإن من شئ إلا يسبح الله بحمده" فما من صورة في العالم وما في العالم إلا صور إلا وهي مسبحة خالقها بحمد مخصوص ألهمها إياه وما من صورة في العالم تفسد إلا وعين فسادها ظهور صورة أخرى في تلك الجواهر عينها مسبحة الله تعالى حتى لا يخلوا لكون كله عن تسبيح خلقه فتسبحه أعيان أجزاء تلك الصورة بما يليق بتلك الصورة والصور التي في العالم كلها نسب وأحوال لا موجودة ولا معدومة وإن كانت مشهودة من وجه ما فليست بمشهود من وجه آخر وعين زمان فناء تلك الصورة عين زمان وجود تلك الصور أي عين فسادها هو عين الأخرى لا أنه بعد الفساد تحدث الأخرى واعلم إذا علمت هذا أن العالم كله كما عدا الإنس والجان مستوفى الكشف لما غاب عن الإحساس البشري فلا يشاهد أحد من الجن والإنس ذلك الغيب إلا في وقت خرق العوائد لكرامة يكرمه الله بها أو خاصية أمر ما من الأمور التي تعطي كشف الغيوب كما أن كل جهاد ونيات وحيوان في العالم كله وفي عالم الإنسان والجن زأجسام الملائكة والأفلاك وكل صورة يدبرها روح محسوساً كان ذلك التدبير فيمن ظهرت حياته أو غير محسوس فيمن بطنت حياته كأعضاء الإنسان وجلوده وما أشبه ذلك كل هؤلاء في محل كشف الغيوب الإلهية المستورة عن الأرواح المدبرة لهذه الأجسام من ملك وإنس وجن لا غير فإنها محجوبة عن ادراك هذا الغيب الإلهي إلا بخرق عادة في بعضهم أو في كلهم وقد عرفت أن الحجر والحيوان والنبات عرف من هذا الباب نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو من الغيوب الإلهية فيجهل كل روح مثل هذا إلا أن يعرفه الله به إلا من ذكرناهم فإنهم يعرفونه بالفطرة التي فطركهم الله عليها إذا ظهر ناداهم الحق به في ذاتهم باسمه وإذا حضر بعينه أخبرني يوسف أين يخلف الكومي من أكبر من لقيناه في هذا الطريق سنة ست وثمانين وخمسائة رحمه الله قال أخبرني موسى السرداني وكان من الأبدال المحمولين قال لما مشيت أنا رفيقي إلى الجبل المسمى قاف وهو جبل محيط بالبحر المحيط بالأرض وقد خلق الله حية على شاطئ ذلك البحر والحبل دارت بجسمها بالبحر المحيط إلى أن اجتمع رأسها بنبتها فوققنا عندها فقال لي صاحبي سلم عليها فإنها ترد عليك قال موسى فسلمت عليها فقالت وعليك السلام ورحمة الله وبركاه ثن قالت لي كيف حال الشيخ أبي مدين وكان أبو مدين بيجاية في ذلك الوقت فقلت لها تركته في عافية وما علمك به فتعجبت وقالت وهل على وجه الأرض أحد لا يحبه وجهها أنه والله مذ اتخذ الله ولياً نادى به في ذواتنا وأنول محبته إلى الأرض في قلوبنا فما من حجر ولا مدر ولا شجر ولا حيوان إلا وهو يعرفه ويحبه فقلت لها والله لقد ثم أناس يريدون قتله لجهلهم به وبغضهم فيه فقالت ما علمت أن احداً يكون على هذه الحال فيمن أحبه الله فهذا من ذلك الباب ومنه شهادة الأيدي والأرجل والجلود والأفواه والألسنة التي هي في نظرنا خرس هي ناطقة في نفس الأمر فكل مخلوق ما عدا بني آدم في مقام الخشوع والتواضع إلا الإنسان فإنه يدعى الكبرياء والعزة والجبروت على الله تبارك وتعالى وأما الجن فتدعى ذلك على دونها في زعمها من المخلوقين كأستكبار إبليس من حيث نشأته على آدم عليه السلام ولذا قال أسجد لمن خلقت طيناً لأنه رأى عنصر النار أشرف من عنصر التراب وقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فلم يتكبر على الله عز وجل فاختص الإنسان وحده من سائر المخلوقات بهذه الصفة فلما حصلت مثل هذه الدعوى في الوجود وتحققت من المدعى في نفسه وفيمن اعتقد ذلك فيه مثل فرعون من استخف من قومه جعل الله ف يالوجود أفعل من كذا بمعنى المفاضلة كالمقر لتلك الدعوى والمثبت لها فقال الله أكبر فأتى بلفظة أفعل وقال صلى الله عليه وسلم أعلى وأجل

فأتى بالفعل فكل أفعّل من كذا المنعوت به جلال الله فسيبه مشاركة الدعوى في تلك الصفة لكن منها محمود ومذموم فالمذموم ما ادعاه فرعون والحمود مثل قوله تعالى عن نفسه أنه أرحم الراحمين وأحسن الخالقين فأتى بالفعل وأثنى على الرحماء من عباده بأن جعل نفسه أرحم منهم بخلقه وأما تقريره العام فإن الرحمة منهم حقيقة أوجدها فيهم فتراحموا بها وأوجد الكيرياء في الإنسان بالصورة فتكبر به فإن قلت إذا ورد أفعّل فليس هو المقصود به أفعّل من قلنا فالله يقول أحسن الخالقين وهو هنا أفعّل من بلا شك وكذلك في حق الإنسان لما

قال تعالى أعطى كل شيء خلقه فكل موجود فهو على التقويم الذي يعطيه خلقه وقال في الإنسان أنه خلقه في أحسن تقويم أي التقويم الذي خلقه عليه أفضل من كل تقويم وما صحت له هذه الصفة التي فضل بها على غيره إلا بكونه خلقه الله على صورته فإن قلت فهذا التغيير الذي يطرأ على الإنسان في نفسه وصورة الحق لا تقبل التغيير قلنا الله يقول في هذا المقام سنفرغ لكم أيها الثقلان وقال صلى الله عليه وسلم فرغ ربك وقال يتجلى في أدنى صورة ثم يتحول عند انكارهم إلى الصورة التي عرفوه فيها بالعلامة التي يعرفونها فقد أضاف إلى نفسه هذا المقام وهو العلي عن مقام التغيير بذاته والتبديل ولكن التجليات في المظاهر الإلهية على قدر العقائد التي تحدث للمخلوقين مع إطلاقات تسمى بهذا المقام وإذا كان الأمر على ما ذكرناه وكذلك هو فيصح ما ذكرناه ويرتفع الاعتراض المهمي تعالى الله علوا كبيرا ومما يتضمن هذا المتزل من العلوم علم أسماء الاسماء وإن لها من الحرمة ما للمسمى باسمائها فالحروف المرقومة في الصحف أعيان كلام يفهم منها كلام الله الذي هو موصوف به لما إذا يرجع ذلك الوصف علم آخر يختلف الناس فيه ولا حاجة لنا في الخوض في ذلك فالحق سبحانه من كونه متكلماً يذكر نفسه باسمائه بحسب ما ينسب إليه الكلام الذي لا تكيف نسبته وتلك الاسماء أسماء عندنا في لغة كل متكلم فيسمى بلغة العرب الاسم الذي سمي به نفسه من كونه متكلماً الله بالفارسية خدائي وبالحبشية واق وبلسان الفرنج كريبطور وهكذا بكل لسان فهذه أسماء تلك الاسماء وتعددت لتعدد النسب فهي معظمة في كل طائفة من حيث ماتدل عليه ولهذا نهينا عنالسفر بالمصحف إلى أرض العدو وهو خط أيدينا أوراق مرقومة بأيدي المحدثات بمداد مركب من عقص وزاج فلولا هذه الدلالة لما وقع التعظيم لها ولا الحقارة ولهذا يقال كلام قبيح وكلام حسن في عرف العادة وفي عرف الشرع وأمثال ذلك وسببه مدلول هذه الألفاظ فيالاصطلاح والوضع وهذا علم شريف لا يدرکه سوى أهل الكشف على ما هو الأمر عليه فليس بأيدينا سوى أسماء الاسماء فإذا وقع التثنية العبد الكامل أولى بالحرمة لأجل الصورة ولا سيما الوجه إذ كان الوجه أشرف ما في ظاهر الإنسان لكونه حضرة جميع القوى الباطنة والظاهرة ووجه كل شيء ذاته مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل وهو يضرب وجهه غلام له فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اتق الوجه فإن الله خلق آدم على صورته وهو محل الإقبال على الله دون غيره من الجهات فهي الجهة العظمى ومن علوم هذا المتزل العلم بالفرق بين الخلق والتقدير فالتقدير متعلق الاسم المدبر والمفصل لا غيرهما من الأمر يفصل الآيات وكلا الاسمين وتحت حيطه الاسم العالم ولا دخول للإسم القادر في هذه الحضرة فإن هذه الاسماء الثلاثة راجعة إلى ذات الحق ولا يكون الحق مقدوراً لنفسه فلا حكم للإسم القادر هنا فالاسم المقدّر هو المعتبر في هذه المرتبة والخلق يطلب أسم القادر وعقلاً ويطلب الاسم القائل كشفاً وشرعاً وإنما قلنا كشفاً ليفرق في ذلك بين الولي والنبى لأن كل واحد من هذين الرجلين يقول بهذا ما يعطيه النظر الفكري للعقل بدليله فكما تميز الاسم القادر من المقدّر لفظاً ومعنى كذلك تميز الخلق من التقدير لفظاً ومعنى فبالتقدير يقع البيان في صور الموجودات على اختلاف ذواتها حسية كانت أو معنوية من عالم الحروف الرقمية أو اللفظية أو الفكرية ومن عالم الأعيان القائمة بأنفسها ومن عالم الأعيان التي لا تقوم

بأنفسها ويدخل في ذلك عالم النسب فيما في هذه الأعيان من التسوية لذوات أشخاصها في عالم الغيب والشهادة يكون خلقا ولا يدخل في هذا عالم النسب لأنها ليست أعيانا وجودية ولا تتصف بالعدم المطلق لكونها معقول وبما فيها كلها من التمييز الذي يتضمنه أعيانها كان حسيّاً يكون للتقدير لا للخلق فإذا ظهر عين ما ذكرناه من كل عالم للحس أو للعقل عن الاسم الخالق أو المدبر المفصل والمقدر علق نفع بعضه ببعض فنفعت الأعيان بعضها بعضا ودعاهم الحق إليه من خلف ستر هذه الأعيان عند توجه بعضها لبعض بالمنافع فيدعو كل صورة من كل صورة إليه فمنها من يشعر فيعرف من دعاه ومنا من يلتبس عليه ذلك ولا يعرف كيف الأمر ويجد في نفسه قوة الفرقان ولا يبدو له وجه الفرقان ومنا من لا يلتبس عليه ذلك ويكون أعمى مكفوف البصر أكمة فيقول ما ثم إلا ما نشاه وهي أعيان هذه الصورة فنحن

ثلاثة أصناف صنف سليم النظر حديد الطرف وصنف قام به غشاء في عينه فلا يتحقق الصور مع معرفته أن ثم أمر أما ولكن لا يحقق صورته ومنا من هو أكمه أبصر شيئاً قط فهو مستريح الخاطر وما ثم صنف رابع وتختلف منافع هذه الصور باختلاف القوابل والسائلين وكل سائل يسأل بحسب حاجته وعرضه وقد يكون ضرورياً وقد لا يكون وعلى الحقيقة ما ثم إلا ضروري ولهذا يتعين العطاء فإن السائل ما يسأل إلا لغرض وليس لذلك الغرض أحوجه ذلك الغرض إلى السؤال فالغرض هو السائل واللسان بالحال أو بالمقال هو المترجم عن ذلك الغرض وليس لذلك الغرض حياة لا بتحصيل ما سأل فيه فإن لم ينله هلك فكان المانع له مما سأل فيه كان سبب زوال صورته من العالم فنقص بمنعه صورة من العالم كانت مسبحة لله تعالى والمحقق يريد أنه لو زاد ولا ينقص والأغراض قد تكون مدمومة وإذا مكنت مما تطلبه وقع الإنسان في محذور أشد من قتل هذا الغرض بما منع من سؤاله وكيف التخلص في هذه المسئلة فاعلم أنه لا يخاطب بقضاء الأغراض على الإطلاق من هو مقيد معقول في فبضة عقل التكليف وإنما هذا المقام لأصحاب الأحوال المغلوب على عقولهم فإن قلت فالحفظ أحسن كما قال الامام في وله الشبلي حين قبل له أنه يريد في أوقات الصلوات فإذا فرغ حكم عليه حال الوله وحال بينه وبين عقله الذي يعطيه الصحو فقال الامام أبو القاسم الجندي بن محمد سيد هذه الطائفة الحمد لله الذي لم يجر عليه لسان ذنب ولم يضعف إليه الذنب ولكن يتعلق به لسان الذنب من حيث الصورة عند من لا يعرفه وهو في نفس الأمر غير مذنب قال بعض أصحابنا فلولا أن التزّه عن جريان لسان الذنب أولى وأعظم لما حمد الله على ذلك هذا الامام قلنا ليس الأمر كما زعمت وأن هذا الامام خاف على من لم يبلغ هذه الرتبة أن يظهر بها وهو غير محقق بها فيخطئ فيقع في الذنب ولهم الشفقة على العالم وأما أن يكون من طريق الأفضلية وكيف يكون ذلك وقد أطلق سبحانه ألسنة عبادته عليه وعلى رسله بالذم والسب فلصاحب هذا الوله فيمن ذكرنا أسوة وعز فليس في ذلك فضل عندنا ومما يتضمن هذا المتزل علم الرحمة التي أبطنها الله في النسيان الموجود في العالم وأنه لو لم يكن لعظم الأمر وشق وفيما يقيم فيه التذكر كفاية وأصل هذا وضع الحجاب بين العالم وبين الله في موطن التكليف أذ كانت المعاصي والمخالفات مقدرة في علم الله فلا بد من وقوعها من العبد ضرورة فلو وقعت مع التجلي والكشف لكان مبالغة في قلة الحياء من الله حيث يشهده ويراه والقدر حاكم بالوقوع فأحتجب رحمة بالخلق لعظيم المصائب ألا تراهم في الأمور المدبرة بالعقل الجارية على السداد العقلي إذا أراد الله أمضاء قضائه وقدره في أمر ما أخفي في ذلك الأمر حكمته وعلمه الذي أجراه له مما لا يقتضيه نظر العقل فإذا أمضاه رد عليهم عقولهم ليعلموا أن الله قد رحمهم بزوال العقل في ذلك الحين لرفع المطالبة قال صلى الله عليه وسلم أن الله إذا أراد نفاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم حتى إذا أمضى فيهم قضاءه وقدره ردها عليهم ليعتبروا وقال صلى الله عليه وسلم رفع عن أمتي الخطأ والنسيان فلا يؤاخذهم الله به في الدنيا ولا في الآخرة فأما

في الآخرة فمجمع عليه من الكل وأما في الدنيا فأجمعوا على رفع الذنب وأختلفوا في الحكم وكذلك في الخطأ على قدر ما شرع الشارع في أشخاص المسائل فمن أظفر ناسياً في رمضان فطائفة أوجبت القضاء عليه مع رفع الأثم وقوم لم يوجبوا القضاء عليه مع ارتفاع الأثم أيضاً فإن الله أطعمه وسقاه هذا قول الشارع فيه فهذا من الرحمة المبطونة فيه أعني في النسيان وكذلك ما نسي من القرآن ولم يتذكر فينقل إلينا فيكون زيادة علينا في التكليف فرحم عباده بذلك وقد كان صلى الله عليه وسلم يقول أتركونينما تركتكم وقال لو قلت نعم للسائل عن الحج في كل عام لوجبت وكانت الأحكام تحدث بحدوث السؤال عن النوازل فكان غرض النبي صلى الله عليه وسلم حين علم ذلك أن يمتنع الناس عن السؤال ويجرون مع طبعهم حتى يكون الحق هو الذي يتولى من تنزيل الأحكام ما شاء فكانت الواجبات والمحظورات تقل وتبقى الكثرة في قبيل المباحات التي لا يتعلق بها أجر ولا وزر فأبنت النفوس قبول ذلك وأن تقف عند الأحكام المنصوص عليها فأثبتت لها عدلاً وجعلتها مقصودة للشارع وطردها وألحقت المسكوت عنه في الحكم بالمنطوق به

بعلة جامعة بينهما أقتضاها نظر الجاعل المجتهد ولو لم يفعل لبقى المسكوت عنه على أصله من الأباحة والعافية فكثرت الأحكام بالتعليل وطرده العلة والقياس والرأي والاستحسان وما كان ربك نسياً ولكن بحمد الله جعل الله في ذلك رحمة أخرى لنا لولا أن الفقهاء حجرت هذه الرحمة على العامة بالزامهم إياها مذهب شخص معين لم يعينه الله ولا رسوله ولا دل عليه ظاهر كتاب ولا سنة صحيحة ولا ضعيفة ومنعوه أن يطلب رخصة في نازلته في مذهب عالم آخر أقتضاه اجتهداه وشددوا في ذلك وقالوا هذا يفضي إلى التلاعب بالدين وتخيلوا أن ذلك دين وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تصدق عليكم فأقبلوا صدقته فالرخص مما تصدق الله بها على عباده وقد أجمعنا على تقرير حكم المجتهد وعلى تقليد العامي له في ذلك الحكم لأنه عنده عن دليل شرعي سواء كان صاحب قياس أو غير قائل به فنلك الرخصة التي رآها الشافعي في مذهبه على ما أقتضاه دليله قد قررها الشرع فيمنع المفتي من المالكية المالكية المذهب أن يأخذ برخصة الشافعي التي تعبد بها الشارع وأما أضفناها إلى الشارع لأن الشرع قررها بمنعه مما يقتضيه الدليل في الأخذ به بأمر لا يقتضيه الدليل الذي لا أصل له وهو ربط الرجل نفسه بمذهب خاص لا يعدل عنه إلى غيره ويحجر عليه ما لم يحجر الشرع عليه وهذا من أعظم الطوام وأشق المكلف على عباد الله فالذي وسع الشرع بتقرير حكم المجتهد من هذه الأمة ضيقه عوام الفقهاء وأما الأئمة مثل أبي حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل والشافعي فحاشاهم من هذا ما فعله واحد منهم قط ولا نقل عنهم أنهم قالوا لأحد أقتصر علينا ولا قلدي فيما أفيتك به بل المنقول عنهم خلاف هذا رضى الله عنهم ومما يتضمنه هذا المنزل الفرق بين تعلق علمه سبحانه بما يسره العبد في نفسه وبين ما يبيده ويظهره وهل يرجع ذلك إلى نسبة واحدة أو نسبتين ويتعلق بهذا الباب ما يريده الحق بقوله تعالى من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم فهاتان حالتان في الذكر والعلم فاعلم أن للحق سبحانه غيباً ومظهراً فبما هو غيب له الاسم الباطن وهو ذكره عبده في نفسه وعلمه بما يسره ومع ذلك الاسم يكون سر العبد الذي يعلمه الحق وذكر النفس الذي يذكر العبد به ربه وبما له المظهر من الاسم الظاهر وهو ذكره تعالى عبده في ملأ من ملائكته أو ملأ الاسماء الإلهية وعلمه بما يبيده العبد في عالم الشهادة ومع ذلك الاسم يكون علانية العبد التي يعلمها الحق وذكر العلانية التي يذكر العبد به ربه وأما العلم بما هو أخفى من السر فهو ما لا يعلمه إلا الله وحده لا علم لهذا العبد به ولا يمكن أن يعلمه إلا الله وهو علمه بنفسه وما عدا هذا العلم فهو ما علم سر أو علم علانية فمتعلق العلم ثلاثة أشياء الجهر والسر وما هو أخفى من السر ومتعلق الذكر أمران ذكر الملاء وهو نوعان ملأ الاسماء وملأ الملائكة والأمر الآخر ذكر النفس

فتساوى الذكر مع العلم في التقسيم ومما يتضمن هذا المترل كون الإنسان قد أودع الله فيه علم كل شيء ثم حال بينه وبين أن يدرك ما عنده مما أودع الله فيه وما هو الإنسان مخصوص بهذا وحده بل العالم كله على هذا وهو من الأسرار الإلهية التي ينكرها العقل ويحيلها جملة واحدة وقرها من الذوات الجاهلة في حال علمها قرب الحق من عبده وهو قوله تعالى "ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون" وقوله "ونحن أقرب إليه من حبل الوريد" ومع هذا القرب لا يدرك ولا يعرف ألا تقليداً ولولا أخباره ما دل عليه عقل وهكذا جميع ما لا يتناهي من المعلومات التي بعلمها هي كلها في الإنسان وفي العالم بهذه المثابة من القرب وهو لا يعلم ما فيه حتى يكشف له عنه مع الآتات ولا يصح فيه الكشف دفعة واحدة لأنه يقتضي الحصر وقد قلنا أنه لا يتناهي فليس يعلم ألا شيئاً بعد شيء إلى ما لا يتناهي وهذا من أعجب الأسرار الإلهية أن يدخل في وجود العبد ما لا يتناهي كما دخل في علم الحق ما لا يتناهي من المعلومات وعلمه عين ذاته والفرق بين تعلق علم الحق بما لا يتناهي وبين أن يودع الحق في قلب العبد ما لا يتناهي أن الحق يعلم ما في نفسه وما في نفس عبده تعييناً وتفصيلاً والعبد لا يعلم ذلك ألا مجماً وليس في علم الحق بالأشياء أجمال مع علمه بالأجمال من حيث أن الأجمال معلوم للعبد من نفسه ومن غيره فكل

ما يعلمه الإنسان دائماً وكل موجود فإنما هو تذكر على الحقيقة وتحديد ما نسيه ويحكم هذا المترل على أن العبد أقامه الحق في وقت ما في مقام تعلق علمه بما لا يتناهي وليس بمحال عندنا وأما المحال دخول ما لا يتناهي في الوجود لا تعلق العلم به ثم أن الخلق أنساهم الله ذلك كما أنساهم شهادتهم بالربوبية في أخذ الميثاق مع كونه قد وقع وعرفنا ذلك بالأخبار الإلهية فعلم الإنسان دائماً أنما هو تذكر فمننا من إذا ذكر تذكر أنه قد كان علم ذلك المعلوم ونسيه كذي النون المصري ومنا من لا يتذكر ذلك مع إيمانه به أنه قد كان يشهد بذلك ويكون في حقه ابتداء علم ولولا أنه عنده ما قبله من الذي أعلمه ولكن لا شعور له بذلك ولا يعلمه ألا من نور الله بصيرته وهو مخصوص بمن حاله الخشية مع الأنفاس وهو مقام عزيز لأنه لا يكون ألا لمن يستصحبه التجلي دائماً ويتضمن هذا المترل مسائل ذي النون المشهورة وهي إيجاد المحال العقلي بالنسب الإلهية ويتضمن علم المفاضلة بين المتنافرين من جميع الوجوه ويتضمن أن كل جوهر في العالم يجمع كل حقيقة في العالم كما أن كل إسم إلهي مسكى بجميع الاسماء الإلهية وذلك قوله تعالى قل أدعوا الله أو أدعوا الرحمن أياماً تدعوا فله الاسماء الحسنى وهذا العلم خاصة أنفردت به دون الجماعة في علمي فلا أدري هل عثر عليه غيري وكوشف به أم لا من جنس المؤمنين أهل الولاية لا جنس الأنبياء وأما في الاسماء الإلهية فقد قال به أبو القسم بن قسي في خلع النعلين له فرحم الله عبد أبلغه أن أحداً قال بهذه المسئلة عن نفسه كما فعلت أنا أو عن غيره فيلحقها بكتابي هذا في هذا الموضع أستشهد إلى فيما أدعيته فإني أحب الموافقة وأن لا أنفرد بشيء دون أصحابي والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الثامن والتسعون ومائتان في معرفة منزل الذكر من العالم العلوي في الحضرة المحمدية

وزهر روضك من زهر السموات

علم النفوس لأسباب وآفات

لأن أدراكها للذات بالذات

بما يراه من أعلام وآيات

زهر المعارف من زهر الرياضات

فللجسوم علوم ليس يشبهها

حقائق الحق لا تخفي مداركها

وما سواها فأدراك بواسطة

هزل الأكابر جد عن مشاهدة

أمها لهم ليس أهماً لعلهم

في طيه عندهم مكر الكرامات

بأن ذلك مربوط بأوقات

أن الرجال وأن حققت نسبته

أن قلت هم فهم أوقلت لا فهم

لأنه ليس تفنيهم مظاهره

إلى أب واحد أولاد علات

لكونهم بين آلام ولذات

وهي المعبر عنها بالستارات

أعلم وفقك الله أن شيخنا أبا العباس العربي كان ممن تحقق بهذا المنزل وفاوضناه فيه مراراً فكانت قدمه فيه راسخة رحمه الله وأعلم أن هذا المنزل قد جمع بين المشقة الشديدة والأمور التي لا تنال ألا بالقهر الشديد والآفات المانعة عن أدراك المطلوب وبين الرفق وارتفاع الآفات والوصول إلى المطلوب بالراحة المستلذة المعشوقة للنفوس وما بين هاتين الصفتين شذائد عظام فأول علم يتضمن هذا المنزل علم الخروج عن الطبع فاعلم أن الحركات منها طبيعية ومنها قسرية فلا تتخيل أن الحركة الطبيعية تعطي لذة والحركة القسرية تعطي ألماً لخروجك عن الطبع قد يكون الأمر كذلك وقد يكون على النقيض فلو وقع الإنسان من علو عظيم لكان نزوله إلى الأرض عن حركة طبيعية ولكن إذا وصل إلى الأرض ربما تكسرت أعضاؤه وتضاعفت آلامه وسببه الأضطراب الذاتي وعدم موافقة الاختيار الذي تطلبه ربانيته المودعة فيه التي قيل له أخرج عنها فما فعل والحركة القسرية هي أن يعرج به فيرى من الآيات والفرح والأنفساحات والتزهر على قدر ما علت به تلك الحركة القسرية التي أخرجته عن طبعه وأضراره ووافقته في اختياره فلا تفرح بكل ما يقتضيه الطبع فإنه أيضاً ما قبل الحركة القسرية إلا بطبعه فالطبع لا يفارق حكمه في الكركتين واعلم أن الصفات التي جبل عليها الإنسان لا تتبدل فإنها ذاتية له في هذه النشأة الدنيا والمزاج الخاص من الجبن والشح والحسد والحرص والتميمة والتكبر والغفلة وطلب القهر وأمثال هذا ولما لم يتجه تبدلها بين الله لها مصارف صرفها إليها حكماً مشروعاً فإن صرفت إليها أحكام هذه الصفات سعدت ونالت الدرجات فجنبته عن اتیان المحارم لما تتوقعه من المضرة وشحت بدينها وحسدت منفق المال وطالب العلم وحرصت على الخير وسعت بين الناس بإيصال الخير فنمت به كما تنم الروضة بما فيها من الأزهار الطيبة الريح وتكبرت بالله على من تكبر على أمر الله وأغظت القول والفعل في الوطن التي تعلم أن ذلك في مرضاة الله وطلبت القهر على من ناوى الحق وقاواه فلم تزل هذه النفس عن صفاتها وصرفتها في المصارف التي يحمدها عليها ربها وملائكته ورسله فالشرع ما جاء إلا بما يساعده الطبع فلا أدري من أين ينال الإنسان المشقة وما حجر عليه ما يقتضيه طبعه من هذه الصفات بتبيين المصارف فما هلك الناس إلا بسلطان الأغراض فإنه الذي أدخل الألم عليهم والمكروه فلو أن الإنسان يصرف غرضه إلى ما أراد له خالقه لاستراح قيل لأبي يزيد بعباده إلا اليسر ولا يريد بهم العسر ويريد لهم الخير وليس إليه الشر كما ورد في الخير الصحيح والخير كله في يديك والشر ليس إليك وإن كان الكل من عند الله بحكم الأصل ولما كان خروج الإنسان عن أن يكون مريداً محالاً وأنه أول ما كان يقدر ذلك في الطاعات فيفعلها من غيرنية مشروعة فلا تكون طاعة وإنما طلب أبو يزيد الخروج عن الأغراض النفسية التي لا توافق مرضاة الحق عز وجل واعلم أن المشي في الطلعة بغير سراج وضوء في طريق كثيرة المهالك والحفر والأحوال والمهادي

والحشرات المؤذية التي لا يتقى شئ من هذا كله إلا أن يكون الماشي فيها بضوء يرى به حيث يجعل قدمه ويجتنب به ما ينبغي أن يجتنب مما يضره من مهواة يهوى فيها أو مهلك يحصل فيه أوحيه تلدغه وليس وله ضوء سوى نور الشرع الذي قال فيه تعالى نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وقال ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور وقال نور على نور فإذا اجتمع نور الشرع مع نور بصر التوفيق والهداية بأن الطريق بالنورين فلو كان نور واحد لما ظهر له ضوء ولا شك أن نور الشرع قد ظهر كظهور نور الشمس ولكن الأعمى لا يبصره كذلك من أعمى الله بصيرته لم يدركه فلم يؤمن به ولو كان نور عين البصيرة موجوداً ولم يظهر للشرع نور بحيث أن يجتمع النودان فيحدث الضوء في الطريق لما رأى صاحب نور البصيرة كيف يسلك لأنه في طريق مجهولة لا يعرف ما فيها ولا أين تنتهي به من غير دليل وموقف فهذا الشخص الماشي في هذه الطريق أن لم يحفظ سراحه من الأهواء أن تطفئه بمبوهما والأهبت عليه رياح زعازع فأطفأت سراحه وذهب نوره وهو كل ريح يؤثر في نور توحيده وغيمانه فإن هبت ريح لينة تميل لسان سراحه وتحيره حتى يتحير عليه الضوء في مشاهدة الطريق فتلك الرياح كمتابعة الهوى في فروع الشريعة وهي المعاصي التي لا يكفر بها الإنسان

ولا تقدر في توحيد وإيمانه فلقد خلقنا لأمر عظيم ولكن إذا اقتحمنا هذه الشدائد وقاسينا هذه المكاهر حصلنا هلى أمر عظيم وهو سعادة الأبد التي لا شقاء فيها ومما يتضمن هذا المنزل علم الوقت الذي يصحبه فيه القرينان من الملك والشیطان فاعلم أن الإنسان إذا خلقه الله في أمه لم يعث فيها رسول لم يقترب به ملك ولا شيطان ويبقى يتصرف بحكم طبعه ناصيته بيد ربه خاصة فكل ما يمشی فيه في ذلك الوقت فهو على صراط مستقيم فإن ربه على صراط مستقيم قال تعالى ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها أن ربي على صراط مستقيم فإذا بعث فيهم رسول أو خلق في أمة

فيهم رسول لزمه من حين ولا دته قرينان ملك وشيطان من حين يولد لأجل وجود الشرع وأعطى كل واحد من القرينين لمة يهيمه ويقبضه بها ولا تقل أن المولد غير مكلف فلمإذا يقرن به هذان القرينان فاعلم أن الله ما جعل له هذين القرينين في حق المولود وإنما ذلك من أجل مرتبة والديه أو من كان فيهمزه القرين الشيطاني فيبكي أو يلعب بيده فيفسد شيئاً مما يكره فساد أبوه أو غيره فتكون تلك الحركة من المولود الغير مكلف سبباً مثيراً في الغير ضجراً وتسخطاً كراهة لفعل الله فيتعلق به الأثم فلماذا يقرن به الشيطان لا لنفسه وكذلك الملك وهو كل حركة تطرأ من المولود مما تثير في نفس الغير أمراً موجباً للشر أو للخير فإن كان شراً فمن الشيطان وإن كان خيراً فمن الملك وليس للصبي الصغير قط حركة نفسية ولا ربانية حتى يدرك وأن لم يكن في أمه لها شرع فحركته كلها نفسية من حال ولادته إلى أن يموت ما لم يرسل إليه رسول أو يدخل هو في دين إلهي يتقيد به أي دين كان مشروعاً من الله أو غير مشروع حينئذ يوكل به القرينان إذ لم يكن للعقل أن يشرع القربات وأن كان على مكارم الأخلاق المعتاد في العرف المحبوبة بالطبع التي يدركها العقل ولكن لا يحكم عليها بحكم أصلاً يقطع به على الله وليس له حكم في أثبات الآخرة ولا ينفيتها لكن هو متمكن بعقله من النظر في اثبات موجدته ولمن يستند في وجوده وما ينبغي أن يكون عليه موجوده من الصفات وما ينبغي أن يعظه به من نعوت الجلال لكن لا على جهة المتزلة الأخراوية عنده ولا يعرف بعقله ما يصير إليه بعد الموت ولا يدري هذا المدبر لبدنه ما هو ولا أين يذهب من الميت إذا مات ولولا أن الأمر من آدم كان ابتداءه بالنبوة فأخبر بما هنالك ففطنت العقول حيث أعلمت مآل هذه النفوس فذلك الذي حرضها على البحث والنظر في ذلك وحشر النفوس بعد الموت إلى أين يكون وكيف يجمع وصورة ما ينتقل به إليه وهل تنتقل مدبرة لمواد أخر أو تتجرد عن المادة وهل كان لها وجود قبل تسوية البدن في التكوين أم حدثت بحدوث

البدن ووقفوا على حكم تأثيرات في العالم فراقبوا الأفلاك وحركات ما لم تدرك الأعمار تكراره فذلك بأعلام النبي عليه السلام الذي كان في زمانهم أتاهم بما أعطاه الله وأطلعهم على ما اختزنه في تلك الحركات العلوية من الآثار العنصرية وأعلمهم حكمها في الدنيا والآخرة وليس مثل هذا كله من مدركات العقول من غير موقف فلولا التعريف الإلهي في هذه الدار والدار الآخرة ما عرف أحد شيئاً مما هنالك واعلم أن كل مخلوق ما سوى الإنس والجان مفطوران على تعظيم الحق والتسبيح بحمده وطذلت أعضاء جسد الإنس والجان كلها ولكن لا على جهة التقريب وابتغاء المترلة العظمى بل التسبيح لهم كالأنفاس في المتنفسين لما تستحقه الذات وهكذا يكون تسبيح الإنس والجان في الجنة والنار لا على طريق القرعة ولا ينتج لهم قرعة بل كل واحد منهم على مقام معلوم فتصير العبادة طبيعية تقضيها حقائقهم ويرتفع التكليف ولا يتصور منهم مخالفة لأمر الله إذا ورد عليهم ولا يبقى هنالك نهي أصلاً بعد قوله لأهل النار اخسؤا فيها ولا تكلمون وكلامنا إذا نزل الناس منازلهم في كل دار وغلقت الأبواب واستقرت الداران بأهلها الذين هم أهلها وارتفع شأن أرض الحشر وعادت كلها ناراً وصار كل ما تحت مقعر فلك الكواكب الثابتة إلى منتهى أسفل سافلين دار واحدة تسمى جهنم تحوي على حرور ورزمهرير وبينهما برازخ يكون فيها التكوينات في الجلود التي يقع فيها التبديل عند الإنضاج حالدين فيها مادامت السموات والأرض يريد المدة التي كانت الأرض عليها من يوم خلقها الله إلى يوم التبديل وكانت العرب التي نزل القرآن بلسانها تطلق هذه اللفظة ونريد بها التأييد وهي منقطعة بالخبر الإلهي وتعريف النبي صلى الله عليه وسلم إلا ما شاء ربك بما يرزقن في النار من اللذة والنعيم بما أن ربك فعال لما يريد وفي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض من حيث جوهر هما لا من حيث صورتهم ولهذا قال عطاء غير مجذوذ أي غير مقطوع ويقع الإستثناء في قوله إلا ما شاء ربك من زوال صورتهم إذ كانت السماء سماء والأرض أرضاً فإننا نعلم أن جوهر السماء هو جوهر الدخان وتبدلت عليه الصور فالجوهرة الذي قبل صورة الدخان هو الذي قبل صورة السماء كما قبل جوهر الطين والحجر صورة البيت فإذا تقدم البيت ويس الطين ذهبت صورة البيت والطين وبقي عين الجوهر وكذلك العالم كله بالجوهرة واحد وبالصورة يختلف فاعلم ذلك فيكون الإستثناء في حق أهل النار لمدة عذابهم ويكون الإستثناء في حق أهل الجنة على معنى إلا أن يشاء ربك وقد شاء أن يخرجهم فهم لا يخرجون فإن الله ما شاء ذلك بقوله عطاء غير مجذوذ ولم يقل في أهل النار عذاباً غير مجذوذ فافهم فإن الخبر الصحيح المتواتر قد ورد فقال تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ووصف السماء بأنها تصير كالدهان ووصفها بالإنشقاق وأنها تمور وقال فكانت ورده كالدهان أي مثل الهن الأحمر في اللون والسيلان فهذا كله أخبار عن ذهاب الصورة لا ذهاب الجوهر ومما يتضمن هذا المترل علم ما أراد الله من الإنسان أن يشتغل به في حال اعتباره وتفكره لما يؤديه ذلك النظر إليه من المعرفة بخالقه لا بربه فإنه لكل إسم من أسماء الله في العالم دليل خاص لا يدل على غيره من حيث هو دليل عليه ومن هنا تعلم أن الأرض خلقت من موج الماء حتى أزيد فكان ذلك الزبد عين الأرض لأنه انتقل من المائية إلى الزبدية وفي الزبد يكون الأرض وهذا هو السبب في اختراق الصالحين لها وجلس الميت في قبره مع ردم الأرض عليه وحكم كل ما خلق منها حكمها حكم الزبد وحكم الماء والماء يقبل الخرق وتحرك الأشياء فيه فيجري حكم هذا الأصل في جميع ما وجد عنه سواء كثف كالأرض أو سخف كالهواء والنار لكن النار للماء بمترلة ولد الوالد والأرض للماء بمترلة الولد والهواء والزبد للماء بمترلة أولاد الصلب فالماء لهما أب وهو للنار جد من جهة الهواء وللأرض جد من جهة الزبد فبين خلق آدم والماء وجود التراب الزبد فهو ولد ولد الولد كم حيث كثافته وكذلك بما فيه من النار وبما فيه من الهواء هو ولد الولد وأما خلق حواء فبينها وبين الأصل ثلاثة آدم والتراب والزبد فهي أبعد من الأصل وأما خلق بني آدم فهم أقرب

إلى الأصل من آدم فإنهم مخلوقون من الماء فهم من الماء مثل الزبد فهم أولاد الماء لصلبه والزبد أخ لبني آدم وهو جد لآدم وأب للأرض فبنو آدم أعمام للأرض فتكون متزلة آدم من بينة متزلة ابن الأخ من عم أبيه ويكون بنو آدم من آدم بمنزلة عن أبيه فهم أولاده وهو ولد ابن أخيهم فهم في الأسناد من هذا الوجه أقرب إلى السبب الأول وهو الجد الأعلى إلا بما في آدم من الماء الذي صار به التراب طينا ففيه الحاق بولد الصلب بمنزلة من نكح امرأة وهي حامل من غيره فسقى زرع غيره فله فيه بما حصل له من ذلك السقي نصيب وأما خلق عيسى عليه السلام فبينه وبين الماء أمه وحواء وآدم والأرض والزبد إلا من وجه آخر فهو يشبهنا وقليل من يعثر عليه وقد نبه الله على ما أومأنا إليه بقوله فتمثل لها بشرا سويا لما أراد الله فسرت اللذة بالنظر إليه بعدما استعادت منه وعرفها أنه رسول الحق لهيب لها غلاماً زكياً فتأهبت لقبول الولد فسرت فيها لذة النكاح بمجرد النظر فتزل الماء منها إل الرحم فتكون جسم عيسى من ذلك الماء المتولد عن النفخ الموجب للذة فيها فهو من ماء أمه وينكر ذلك الطبيعيون ويقولون أنه لا يتكون من ماء المرأة شيء وذلك ليس بصحيح وهو عندنا أن الإنسان يتكون من ماء الرجل ومن ماء المرأة ماء الرجل أنثا وفي رواية سبق بدل علا فقد جاء بالضمير المثنى في أذكر وأثنا وقد قلنا في كتاب النكاح لهذا الفصل أن المرأة والرجل إذا لم يسبق أحدهما صاحبه في انزال الماء وأنزلا معاً بحيث أن يخلأ ولا يعلو أحد المائتين على الآخر فإنه من أجل تلك الحالة إذا وقعت على تلك الصورة يخلق الله الخنثى فيجمع بين الذكورة والأنوثة فإن كانا على السواء من جميع الجهات والإعتدال من غير انحراف ماء من أحدهما كان الخنثى يبيض من فرجه وبمضى من ذكره فيعطى الولد ويقبل الولد ممن ينكحه وقد روى أنه رأى رجلاً ومعه ولدان أحدهما من صلبه والآخر من بطنه وإن انحراف الماء عن الإعتدال ولم يبلغ مبلغ العلو على الآخر كان الحكم للمنحرف إلى العلو فإن كان ماء المرأة حاض الخنثى ولم يمن وإن كان ماء الرجل أمني ولم يحض فسبحان القدير الخلاق العليم وهذا م أعجب البرازخ في الحيوان ذلك لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ويكفي علم هذا القدر من هذا المتزل فإنه يتضمن مسائل كثيرة أكثرها في تولد العالم الطبيعي بين حركات الأفلاك وتوجهاتها

وتوجهات كواكبها بأشعة النور وبين قبول العناصر والمولدات لآثار تلك النوار فيظهر من تلك الأحكام إيجاد الأعيان والمراتب والأحوال وهذا علم كبير طويل ويتعلق بهذا المتزل علم الإبتلاء في غير موطن التكليف ويتضمن علم الديوان الإلهي ويتضمن علم وجوب الكلمة الإلهية التي لا تبدل ويتضمن علم أنه ما في العالم باطل ولا عبث وأنه حق كله بما فيه من الحق والباطل ويتضمن لما إذا أقر الله غالباً العقوبات إلى الدار الآخرة في حق الأكثرين وعجلها في حق آخرين وهو المعبر عنه بانفاذ الوعيد وهو خبر والخبر الذي لا يتضمن حكماً لا يدخله النسخ فقد ينفذ ما أوعده به لمن خالفه لأنه لم يخص بانفاذه داراً من دار بل قال في الدنيا ليزيقهم بعض الذي عملوا وهو من جملة انفاذ الوعيد فالذاهبون إلى القول بانفاذ الوعيد مصيبون ولكن انفاذه حيث يعينه الحق تعالى فإذا أنفذه في الدنيا بمرض وألم نفسي أو حسي يدخله على هذا المستحق بالوعيد كان ذلك سترًا له عن عقوبة الآخرة فهو المعبر عن ذلك هنا بالمغفرة أي لا يؤاخذ بها في الآخرة وهذه أحوال أكثر السعداء والسعداء الذين لا تمسهم النار ولا يحزنهم الفزع الأكبر الذين لا خوف عليهم ولا عهم يحزنون ولهذا اعظم ابتلاء النفوس والبلاء المحسوس في الأمثال من الناس كالأنبياء والذين يأمرون بالقسط من الناس من رد الحق في وجوههم وما يسمعون من الكفرة مما يتأذون به في نفوسهم وقد أخبر الله بذلك وكذلك ما سلط عليهم من القتل والضرب كل ذلك من انفاذ الوعيد لخطرات وحركات تقتضيها البشرية والطبع مما لا يليق بالمنصب الذي هم فيه لكن هو لائق بالبشر ومن هنا يعرف قول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقد قرر

الذنب وأوقع المغفرة وأفهم من ذلك عباده أنه لا يعاقبهم في الآخرة وما علق المغفرة بالدنيا لما فيها من الآلام والأمراض النفسية والحسية وهو عين انفاذ الوعيد في حقهم وبصح قول المعتزلي في هذه المسئلة إيلام البرئ فإن الأشعري يجوز ذلك على الله ولكن ما كل جائز واقع وكل ما يحتاجون به على المعتزلة فليس هو بذلك الطائل والإنفصال عنه سهل وليس هذا الكتاب موضع أيراد هذا العلم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب التاسع والتسعون ومائتان في نعرفة منزل عذاب المؤمنين من المقام السرياني في الحضرة المرادية المحمدية

إن البروج منازل لمنازل	قد هيئت للسبعة الأنوار
فإذا مشت بالعدل في أفلاكها	تبدو لعينك أعين الأغيار
فالحق يجري في المنازل حكمه	والكون في الأكوار والأدوار
والخلق من تحت المنازل ظاهر	والأمر من فوق المنازل جاري
فيقال في لغة الكيان بأنه	أمر تصرفه يد الأقدار
والكف والقلم العلى مخطط	في اللوح ما يبدو من الأسرار

اعلم وفقنا الله وإياك أن المنزل من أعظيم المنازل الذي تخافه الشياطين النارية لقوة سلطانه عليهم وهو منزل عال يتضمن علوماً جمة اعلم أن الروح الإنساني لما خلقه الله خلقه كاملاً بالغاً عاقلاً عافاً مؤمناً بتوحيد الله مقرأً بربوبيته وهو الفطرة التي فطر الله الناس عليها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وأبواه هما اللذان يهود أنه أو ينصرانه أو يمجسانه فذكر الأغلب وهو وجود الأبوين فإنه قد يكون يتيماً فالذي يربيه هو له بمنزلة أبويه فالروح ليس له كمية فيقبل الزيادة في جوهر ذاته بل هو جوهر فرد لا يجوز أن يكون مركباً إذ لو كان كذلك لجاز أن يقوم بجزء منه علم بأمر ما وبالجزء الآخر جهل بذلك الأمر عينه فيكون الإنسان عالماً بما هو جاهل وهذا محال فتركيبية في جوهره محال فإذا كان هكذا فلا يقبل الزيادة ولا النقصان كما يقبله الجسم لعدم التركيب ولولا ما هو عاقل بذاته وهو عقل لنفسه ما أقر بربوبية خالقه عند أخذ الميثاق منه بذلك إذ لا يخاطب الحق إلا من يعقل عنه خطابه هذا هو حقيقة الإنسان في نفسه ثم أن الله تعالى جعل له في الجسم الذي جعله الله له ملكاً واستوى عليه جعل فيه قوى وآلات حسية ومعنوية وقيل له خذ العلوم منها وصرفها على حد كذا وكذا وجعلت له هذه الآلات على مراتب فالقوة المعنوية كلها قوى كاملة الأقوة الخيال فإنها خلقت ضعيفة والقوة الحساسة وجعلت هاتان القوتان تابعة للجسم فكلما نما الجسم وكبر وزادت كميته كلما تقوى حسه وخياله إذ كانت جميع القوى لا تأخذ الأشياء إلا من الخيال وهي قوة هيولانية قابلة لجميع ما يعطيها الحس من الصور وقابلة لما يفتح فيها القوة المصورة من الصور التي تركيبها من أمور موجودة قد أمسكها الخيال من القوة الحساسة وليس في القوى من يشبه الهيولي في قبول الصور إلا الخيال فإذا تقوى الخيال حينئذ وجد الفكر حيث يتصرف ويظهر سلطانه والوهم كذلك والعقل كذلك والقوة الحافظة كذلك فلم تكن لطيفة الإنسان من حيث ذاتها مدركة لما تعطيها هذه

القوى إلا بوساطتها فلو اتفق أن تعطى هذه القوى المعلومات من أول ما يظهر الولد في عالم الحس قبلها الروح الإنساني قبولاً ذاتياً ألا ترى أن الله قد خرق العادة في بعض الناس في ذلك وهو ما ذكر من صبي يوسف حين شهد له بالبراءة وكلام عيسى السلام حين شهد بالبراءة وصبي جريح حين شهد له بالبراءة وهذا سبب تأخير التكليف عن الروح الإنساني إلى الحلم الذي هو حد الكمال هذه القوى في علم الله فلم يبق عند ذلك عذر للروح الإنساني في التخلف عن النظر والعمل بما كلفه ربه وأول درجات التكليف إذ كان ابن سبع سنين إلى أن يبلغ الحلم وقد اعتبر الله فعل الصبي في غير زمان تكليفه لو قتل لم يقيم عليه الحد وحبس إلى أن يبلغ ويقتل بمن قتل في صباه إلا أن بعفو ولى الدم فقد آخذه الله بما لم يعمل في زمان تكلفه والقصد من هذا التمهيد ليقع الإنس بما نوره من عذاب المؤمن فإن الإنسان كما قلنا خلق مؤمناً وإن ألحقناهم بأبائهم في دفنهم في قبورهم معهم ورقهم إذا ملكناهم بطريق الإلحاق لا بطريق الاستحقاق تشريعاً وتبييناً لعلو مرتبة ظهور الإيمان الذي في الآباء وكما أن الكفر عارض كان الإسترقاق عاضاً أيضاً والأصل الحرية والإيمان فمن انفاذ لوعيد من حيث لا يشعر به وجود التكليف وهو أول العذاب لقيام الخوف بتفس المكلف فقد عذب عذاباً نفسياً مؤلماً وهو عقوبة ما جرى منه في الزمان الذي لم يكن فيه مكلفاً من الأفعال التي تطرأ بين الصبيان من الأذى والشتم والضرب على طريق التعدي وكل خير يفعل الصبي يكتب له وقد قرر ذلك الشارع حين رفعت امرأة إليه صلى الله عليه وسلم صبيّاً صغيراً وهو في الحج فقالت له يا رسول الله أهذا حج فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الصبي إذا حج قبل بلوغ التكليف ثم مات قبل البلوغ كتب الله له ذلك الحج عن فريضته وكذلك العبد إذا حج عبداً ثم مات قبل العتق وهذا الحديث وإن كان قد تكلم فيه من طريق اسناده فإن الحديث الصحيح يعضده وقد ورد في الصحيح أن الله يقول يوم القيامة في حق العبد يأتي بما فرض الله عليه ناقصاً قد انتقص منه شيئاً أن يكمل له من تكطوعه ما نقص من ذلك فقد أقام التطوع مقام الفرض وهو هذا بعينه لأن حج غير المكلف به ليس هو فرض عليه قال صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى في الحديث الصحيح أنه أول ما ينظر فيه من عمل العبد الصلاة فيقول الله انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها فإن كانت تامة كتبت له تامة وإن كان انتقص منها شيئاً قال انظروا على عبدي من تطوع فإن كان له تطوع قال أكملوا لعبدي فريضته من تطوعه قال صلى الله عليه وسلم ثم تؤخذ الأعمال على ذاك أي فيفعل في الزكاة والصوم والحج مثل ما فعل في الصلاة سماء فلو لم يعتبر الشرع ذلك لم يحكم بهذا وكل ما يفعله الصبي في غير بلوغ زمان التكليف معتبر في الشرع في الخير وفي الشر غير أن الكرم الإلهي جازاه بالخير المعمول في هذا الزمان في الدار الآخرة وادخر له ذلك وأما الشر فلم يدخر له في الآخرة منه شيئاً بل جازاه به في الدنيا من آلام حسية ونفسية تطرأ على الصبيان وهي موجودة لا يقدر أحد على انكارها وهي عقوبات وعذاب لأمر تطرأ من الصبيان يعرف هذا القدر أهل طريقنا حكمه أوقفهم الحق عليها وهي في حق المؤمنين كما قلنا عذاب أوجب لهم الكفارة في حق الكفار إذا أدركوا وما تواوهم كفار وعوقبوا في الآخرة وقد كانوا عذبوا في الدنيا وهم صغار مثل ما تعذب المؤمنين في حال صغرهم فذلك قوله تعالى زدناهم عذاباً فوق العذاب يعني الذي عذبوا به في الدنيا وما شاكل هذا فإن هذا نص في تضاعف العذاب على مراتبه الذي هو واحده من ذلك ومن عذاب المؤمنين ما سلط الله عليهم من أصحاب الأهواء والكفار من الأسر والعذاب والإسترقاق والقتل في الدنيا كل هذا تكفير لهفوات ومزلات نفسية وحسية على قدر ما وقع منهم وما يقع هذا من الكفار بالمؤمنين إلا لأجل إيمانهم قال تعالى يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا فإن وما بعدها بتأويل المصدر كأنه يقول يخرجون الرسول وإياكم من أجل إيمانكم وقال تعالى "وما مقموا منهم إلا أن يؤمنوا وعليه يخرج تخليد من قتل مؤمناً متعمداً" أي قصد قتله لإيمانه

ومما يتضمن هذا المنزل علم الإبتلاء وليس ذلك إلا الله قال تعالى "ولنبلونكم" وقال عز وجل أيضاً ليبليكم وليس للمؤمن أن يبتلي المؤمن إلا بأمر إلهي فيكون الإبتلاء لله تعالى ومنه لا منهم مثل قوله تعالى "فامتحانوهن" فالله أمر بذلك فامثل العبد أمر سيده كالسلطان يأمر بعذاب شخص فيتولى عذابه من أمر يتعذبه وأن كان شفيفاً عليه ولكن أمر السلطان واجب أن يمثّل للمرتبة لما يقتضيه من الهيبة فالإبتلاء لا يكون إلا الله وكل من ابتلى أحداً من المؤمنين بغير أمر إلهي فإن الله يؤاخذ على ذلك وبهذا المقام أنفرد الاسم الخبير وهو من أعجب أحكام الاسماء لأن الخيرة أنما جاءت لأستفادة علم المخبر المختبر وهنا في الجنب الإلهي العلم محقق بما يكون من هذا المختبر أسم مفعول فلا يستفيد علماً المختبر إسم فاعل فيظهر أنه لا حكم لهذا الاسم وكان الأولى به العبد لجهله بما يكون من المختبر إسم مفعول والعبد ممنوع من الاختيار ألا بأمر إلهي فقد يسمى الله تعالى بما يستحقه العبد فحكمه في جنب الحق أفادة العلم للمختبر في نفسه بهذا الاختبار لأقامة الحجة عليه وله فلهذا ألا يلحق الخبير بصفة العلم كما ألحقه أبو حامد والأسفرايني وأكثر الناس ولو كان كما زعموا لكان نقصاً وأنما أوقعهم في ذلك قوله تعالى حتى نعلم وهو حجة عليهم أن لو كان الأمر على ظاهره فإن الاختبار سبب في تحصيل العلم ما هو نفس العلم وبالخبرة سمي خبيراً فإذا حصل العلم سمي عالماً في ذلك الحال وغاية من نزه مثل ابن الخطيب وغيره في قوله حتى نعلم تعلق العلم بهذه الحالة وتعلق العلم محدث ولا يؤدي إلى حدوث العلم فبقي العلم على حاله من الوصف بالقدم وأن حدث التعلق فهذا منتهى غايتهم في التثريه ويقولون لو تعلق العلم بما من شأنه أنه سيكون كائناً أو قد كان فقد علم الشيء على خلاف ما هو به وكذلك لو علم ما هو كائن قد كان أو سيكون أو علم ما كان هو كائن أو سيكون لكان هذا كله جهلاً والله يتعالى عن ذلك فأدخلوا على الله الزمان من حيث لا يشعرون والتقدم في الأشياء والتأخر وما علموا أن الله تعالى يشهد الأشياء ويعلمها على ما هي عليه في أنفسها والأزمنة التي لها من جملة معلوماته مستلزمة لها وأحوالها وأمكنها أن كانت لها ومحالها أن كانت ممن يطلب المحال وأحيازها كل ذلك مشهود للحق في غير زمان لا يتصف بالتقدم ولا بالتأخر ولا بالآن الذي هو حد الزمانين ولهذا لم يرد مع قوله صلى

الله عليه وسلم عن ربه كان الله ولا شيء معه وأتى بكان وهي حرف وجودي لا بفعل ولم يقل وهو الآن فإن الآن نص في وجود الزمان فلو جعله ظرفاً لهوية الباري تعالى لدخل تحت ظرفية الزمان بخلاف كان فإن لفظ كان من الكون وهو عين الوجود فكأنه يقول الله موجود ولا شيء معه في وجوده فما هي من الألفاظ التي ينجر معها الزمان ألا بحكم التوهم ولهذا ألا ينبغي أن يقال كان فعل ماض في أعرابه على طريقة النحويين وقد بوب عليها الزجاجي وسمّاها بالحرف الذي يرفع الاسم وينصب الخبر ولم يجعلها فعلاً فينجر معها الزمان الماضي والحال والمستقبل وبهذا القدر المتوهم الذي يتخيل في هذه الصيغة التي هي كان ويكون وسيكون من الزمان أشبهت الفعل الصحيح الذي هو قام ويقوم وسيقوم وجعلوا قائماً مثل كائن فأجروها بجرى الأفعال من هذا الوجه وإذا كان أمرها على هذا فيطلق من الوجه الذي لا يقبل به ظرفية الزمان على الله تعالى وهو قوله "وكان الله غفوراً رحيماً" وكان الله شاكراً عليمًا وما أطلق عليه الآن لما ذكرناه لأنه نص في الزمان إسم علم له ومعناه الظرف كما جاء الاستواء على العرش بلفظ العرش ولفظ الاستواء وما هو نص في ظرفية المكان بخلاف إسم لفظة المكان فإنه نص بالوضع في ظرفيته والتمكن في المكان نص فيه فعل إلى الاستواء والعرش ليسوغ التأويل الذي يليق بالجنب العالي لمن يتأول ولا بد والأولى التسليم لله فيما قاله ورد ذلك إلى علمه سبحانه بما أراده في هذا الخطاب ونفي التشبيه المفهوم منه بقوله ليس كمثله شيء على زيادة الكاف أو فرض المثل أذ كان لا يستحيل فرض المحال ومما يتضمن هذا المنزل علم العالم العلوي المختص بالفلك الأطلس خاصة ومن عماره وما تسبيحهم وما يتعلق

به عمن يأخذ ولمن يعطي ومن يتلقي منه والعطاء الذاتي وهو عطاء العلة والعطاء الإرادي وهو عطاء الاختيار ومعرفة الآخرة ومعرفة ما يحصل من التجلي في نفس العبد وتأثير الضعيف في القوى وما تؤدي إليه الأغراض والأهواء الربانية السارية في العالم التي يدعيها كل أحد من الحيوان الإنسان وغيره ومعرفة الصلاح الذي تسأله الأنبياء من الله والتصديق الأنساني خاصة ولمن يصدق وبما إذا يصدق وما إذا يرد وهل يلزمه التصديق بما يحيله دليل العقل وما مترلته عند الله وأين ينتهي بصاحبه وهل المؤمنون فيه على السواء أو يتفاضلون وهل يقبل الزيادة والنقص أو هل ينقص في وقت عند قيام شبهة على ما وقع به التصديق وهل إذا قام به النقص في مسألة من مسائل الإيمان هل يسري ذلك النقص في الإيمان كله أو يؤثر في زواله بالكلية أو هو مقصور على ما وقعت عليه شبهة ومعرفة سرعة الأخذ الإلهي ما سببها فإنه لما أطلعني الله تعالى على أنزال هذه الآية بالأنزال الذي يرد على أمثالنا ممن ليس بنبي فإن القرآن وكل كلام يتزل على التالين والمتكلمين في حال تلاوتهم وكلامهم ولولا ذلك ما تلوا ولا تكلموا وهنا لطائف إلهية لمن نظر فليل لي أقرأ قلت وما أقرأ فليل لي أقرأ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة أو أخذه أليم شديد فقرأت هذه الآية على ما كنت أحفظها فليل لي لما وصلت إلى قوله تعالى أن أخذه قيل لي قل بك فقلت ما هو في القرآن ولا نزل كذا فليل لي لا تقل هكذا بل هكذا هو وكذا نزل قل بك وشدد على فقرأت أن أخذه بك أليم شديد فطلبت معنى ذلك فأقيم لي شخص كنت أعرفه وكان قد أفترى علي فليل لي هذا مأخوذ بك أي بسببك فقرأ أن أخذه بك أليم شديد وهو ممدود بين يدي فلما فرغ ذلك التزليل أستدعيت بالشخص وقلت له ما رأيت فتأفف علي وأظهر التوبة وخرج عني وهو على حاله من الفرية فلم يكمل الشهر حتى قتله الله بحجر شذخ رأسه وما أخذ القاتل من ثيابه ولا فرسه ولا ماله شيئاً فشاع الخبر وأنتهى إلى السلطان وقرروا عند السلطان أي كنت سبب قتله فما ألفت السلطان فلما كان يعد ثلاث سنين جاء القاتل وأعترف بين يدي السلطان بقتله فسأله ما سبب ذلك فقال ما له سبب ولا فعل معي قبيحاً ألا أي مررت عليه وهو نائم في خربة ولجام فرسه في يده فزين لي قتله فعمدت إلى حجر فأقتلته ووازنت رأسه ورميت عليه الحجر فما تحرك ولا أخذت له شيئاً وما طمعت في شيء من ذلك ولا أكرت فقتله السلطان به وبعث إلى الخبر بذلك وهذا من أعجب التزيلات وجود مثل هذه الزيادة فيعرف العارف من هذا المترل من أين صدرت وما إسمها وما مترلتها من كلام الحق فإن الأخبار النبوية المروية عن الله لا تسمى قرآناً مع أنها من كلام الله ويتضمن هذا المترل علم بدء الخلق وأعادته وكيفية أعادته فإن أهل الكشف اختلفوا في كيفية فذهب ابن قسي إلى كيفية أفراد بها وذهب الآخرون إلى غير ذلك على اختلاف بينهم وكذلك اختلف فيه علماء النظر الفكري ويتضمن علم المحبة الإلهية وثبوتها وعلم الستور التي بين المحبوبين وبين ما يؤدي لو وقع من غيرهم إلى عقوبتهم كما قيل

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد

جاءت ملاحظته بكل شفيق

وعلم العرش وعددها وصفاتها وعلم الإرادة المضافة إليه وما تأثيرها في حال العارفين وهل هي من نعوت الجلال أو من نعوت الجمال ويتضمن علم الاعتبار ويتضمن علم الوعيد من أي إسم هو ويتضمن علم النفس الكلية ولماذا لا يلحقها التغيير وما شرف القرآن على غيره من الكتب والصحف والأخبار المروية عن الله مع أن ذلك كله كلام الله وينجر مع هذا العلم في نفس القرآن شرف آية الكرسي على سائر آي القرآن بالسيادة ويس بالقلبية وإذا زلزلت بقيامها مقام نصف القرآن وسورة الكافرون مقام ربع القرآن وكذلك إذا جاء نصر الله وسورة الأخلاص مقام ثلث القرآن ويس مقام القرآن عشر مرار ولماذا يرجع ذلك ومن هو

الموصوف بهذا الفضل هل الدليل أو المدلول أو الناظر في الدليل ويكفي هذا القدر من هذا المتزل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

المجلد الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الموفى ثلثمائة في معرفة منزل انقسام العالم العلوي من الحضرة المحمدية

حمل المحقق ما يلقيه خالقه	فيه ليظهر ما في الغيب من خبر
تمتد منه إلى قلبي رقائقه	مثل امتداد شعاع الشمس للبصر
فالضم واللثم والتعقيق يجمعنا	مثل العرائس كالأنثى مع الذكر
على الدوام فلا صبح يفرقنا	منزهين عن الآصال والبكر
من بيننا تظهر الأسرار في حجب ال	آفاق طالعة شمساً بلا غير
لا شرق يظهرها لا غرب يسترها	لا عين تدركها من أعين البشر
زمانها الآن لا ماض فتفقدته	ولا بمستقبل يأتي على قدر
فيا أولى الفكر والألباب قاطبة	لا تعجبوا إنها نتيجة العمر
أنى لحي بحي لا حياة له	ولا حياة لنا في عالم السور
إن الحياة التي تجري إلى أمد	هي الحياة التي في عالم الصور

أعلم أن هذا المنزل يتضمن شرف الجماد على الإنسان وشرف الجن من المؤمنين في استماع القرآن على المؤمنين من الإنس لمعنى خلقهم الله عليه وخلقهم فيهم قال تعالى لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون أترى هذا الكبير في الجرم وعظم الكمية هيهات لا والله فإن ذلك معلوم بالحس وإنما ذلك لمعنى أوجده فيهم لم يكن ذلك للإنسان يعطيه العلم بالمراتب ومقادير الأشياء عند الله تعالى فنزل كل موجود منزلته التي أنزله الله فيها من مخلوق وأسماء إلهية ومن ذلك قوله تعالى أنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان أنه كان ظلوماً جهولاً أترى ذلك لجهلهم لا والله بل الحمل للأمانة كان لمجرد الجهل من الحامل وهل نعت الله بالجهل على المبالغة فيه وبالظلم لنفسه فيه ولغيره إلا الحامل لها وهو الإنسان فعلمت الأرض ومن ذكر قدر الأمانة وأن حاملها على خطر فإنه ليس على يقين من الله ن أن أن يوفقه لأدائها إلى أهلها وعلمت مراد الله بالعرض أنه يريد ميزان العقل فكان عقل الأرض والجبال والسماء أوفر من عقل الإنسان حيث لم يدخلوا أنفسهم فيما لم يوجب الله عليهم فإنه كان عرضاً لا أمراً فتعين عليهم الإجابة طوعاً أو كرهاً أي على مشقة لمعرفة تعظيم ما أوجب الله عليهم فأتوا طائعين حين قال لهما اتيا طوعاً أو كرهاً أي تهماً لقبول ما يلقي فيكما فلما أتيا طائعين وتهاً لقبول ما شاء الحق أن يجعل فيهما مستسلمين خائفين فقدر في الأرض أقواتها وجعلها أمانة عندها حملها إياها جبراً لا اختياراً

وأوحى في كل سماء أمرها وجعل ذلك أمانة بيدها تؤديها إلى أهلها حملها إياها جبراً لا اختياراً ومن معرفتهم أيضاً بما يعطيه حمل الأمانة بالعرض والاختيار من ظلم الحامل إياها لنفسه حيث عرض بها إلى أمر عظيم وإذا لم يوفق لأدائها كان ظالماً لغيره ولنفسه وجهل الإنسان ذلك من نفسه ومن قدرها وإن كان عالماً بقدرها فما هو عالم بما في علم الله فيه من التوفيق إلى أدائها بل هو جهول كما شهد الله فيه فكان قبول الإنسان الأمانة اختياراً لا جبراً فخاف فيها لأنه وكل إلى نفسه وكان حمل الأرض والسماء لها جبراً لا اختياراً فوفقهما الله تعالى إلى أدائها إلى أهلها وعصماً من الخيانة وخذل الإنسان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب الإمارة وكل إليها ومن أعطيها من غير طلب بعث الله أو وكل الله به ملكاً يسدده ومن شرف الأرض والسماء والجبال على الإنسان قول الله فيهم لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله أتري ذلك لجهله بما نزل عليه لا والله إلا بقوة علمه بذلك وقدره ألا تراه عز وجل يقول لنا في هذه الآية كذلك يضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون فإذا تفكروا في ذلك علموا شرف غيرهم عليهم فإن شهادة الله بمقدار المشهود له بالتعظيم كالواقع منه لأنه قول حق وعلموا إذا تفكروا جهلهم بقدر القرآن حيث لم تظهر منهم هذه الصفة التي شهد الله بها للجبل خرج أبو نعيم الحافظ في دلائل النبوة أن الله بعث جبريل عليه السلام إلى نبيه صلى الله عليه وسلم بشجرة فيها كوكرى طائر فقعد جبريل في الواحد وقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآخر وصعدت بهما الشجرة فلما قربا من السماء تدلى لهما أمر شبه الرفرف در أو ياقوتاً فأما جبريل فغشي عليه حين رآه وأما النبي صلى الله عليه وسلم فما غشي عليه ثم قال صلى الله عليه وسلم فعلمت فضل جبريل علي في العلم لأنه علم ما هو ذلك فغشي عليه وما علمت فاعترف صلى الله عليه وسلم فلو علم الإنسان قدر القرآن وما حمله لما كانت حالته هكذا فانظر إلى ما كان يقاسي صلى الله عليه وسلم في باطنه من حمله القرآن لمعرفته به وما أبقي الله عليه جسده وعصم ظاهره من أن يتصدع كالجبل لو أنزل عليه القرآن إلا لكون الله تعالى قد قضى بتبليغه إلينا على لسانه فلا بد أن يقي صورته الظاهرة على حالها حتى نأخذه منه وكذلك بقاء صورة جبريل النازل به وإنما الكلام فينا ومن شرف من ذكرناه على الإنسان وشرف الإنسان إذا مات وصار مثل الأرض في الجمادية على حاله حياً في الإنسانية قول الله تعالى ولو أن قرأناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى يعني لكان

هذا القرآن فحذف الجواب لدلالة الكلام عليه ومعنى ذلك لو أنزلناه على من ذكرناه لسارت الجبال وتقطعت الأرض وأجاب الميت وما ظهر شيء من ذلك فينا وقد كلمنا به

ومن شرف الجن علينا أن النبي صلى الله عليه وسلم حين تلا على أصحابه سورة الرحمن وهم يسمعون فقال لهم لقد تلوها على إخوانكم من الجن فكانوا أحسن استماعاً لها منكم وذكر الحديث وفيه فما قلت لهم فبأي آلاء ربكما تكذبان إلا وقالوا ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فانظر ما أعلمهم بحقائق ما خوطبوا كيف أجابوا بنفس ما خوطبوا به حتى بالاسم الرب ولم يقولوا يا إلهنا ولا غير ذلك ولم يقولوا ولا بشيء منها وإنما قالوا من آلائك كما قيل لهم لاحتمال أن يكون الضمير يعود على نعمة مخصوصة في تلك الآية وهم يريدون جميع الآلاء حتى يعم التصديق فيلحق الإنسان بمؤلاء كلهم من حيث طبيعته لا من حيث لطيفته بما هي مدبرة لهذا الجسم ومتولدة عنه فيدخل عليها الخلل من نشأتها فجسده كله من حيث طبيعته طائع لله مشفق وما من جارحة منه إذا أرسلها العبد جبراً في مخالفة أمر إلهي إلا وهي تناديه لا تفعل لا ترسلني فيما حرم عليك إرسلني إني شاهدة عليك لا تتبع شهواتك وتبرأ إلى الله من فعله بما وكل قوة وجارحة فيه بهذه المثابة وهم مجبورون تحت قهر النفس المدبرة لهم بتسخيرها فينجيهم الله تعالى

دونه من عذاب يوم أليم إذا أخذ الله يوم القيامة وجعله في النار فأما المؤمنون الذين يخرجون إلى الجنة بعد هذا فيميتهم الله فيها إماتة كرامة للجوارح حيث كانت مجبورة فيما قادها إلى فعله فلا تحس بالألم وتعذب النفس وحدها في تلك الموتة كما يعذب النائم فيما يراه في نومه وجسده في سريره وفرشه على أحسن الحالات وأما أهل النار الذين قيل فيهم لا يموتون فيها ولا يحيون فإن جوارحهم أيضاً في هذه المثابة ألا تراها تشهد عليهم يوم القيامة بأنفسهم لا تموت في النار لتذوق العذاب وأجسامهم لا تحيا في النار حتى لا تذوق العذاب فعذابهم نفسي في صورة حسية من تبديل الجلود وما وصف الله من عذابهم كل ذلك تقاسيه أنفسهم فإنه قد زالت الحياة من جوارحهم فهم ينضجون كما ينضج اللحم في القدر أترأه يحس بذلك بل له نعيم به إذا كان ثم حياة يجعل الله في ذلك نعيماً وإلا ما تحملته النفوس كشخص يرى بعينه نهب ماله وخراب ملكه وإهانته فالملك مستريح بيد من صار إليه والأمير يعذب بخراجه وإن كان بدنه سالماً من العلل والأمراض الحسية ولكن هو أشد الناس عذاباً حتى أنه يتمنى الموت ولا يرى ما رآه وجميع ما ذكرنا إنما أخبرنا الله به لتتفكر وتذكر ونرجع إليه سبحانه ونسأله أن يجعلنا في معاملته كمن هذه صفته فلحق بهم وهو قد ضمن الإجابة لمن اضطر في سؤاله فيكون من الفائزين فأني شرف أعظم من شرف شخص قامت به صفة منحه الله إياها أسعده بها وجعل من خلقه على صورته يسأله تعالى أن يلحق بهم في تلك الصفة فقد علمت قدر كبره على خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون فكأن يا أخي بما أعلمتك ونبهتك عليه من القليل الذي يعلم ذلك جعلنا الله منهم آمين بعزته ومما يتضمن هذا المنزل السماع الإلهي وهو أول مراتب الكون وبه يقع الختام فأول وجود الكون بالسماع وآخر انتهائه من الحق السماع ويستمر النعيم في أهل النعيم والعذاب في أهل العذاب فأما في ابتداء كون كل مكون فإنما ظهر عن قول كن فأسمعه الله فامتثل فظهر عينه في الوجود وكان عدماً فسبحان العالم بحال من قال له كن فكان فأول شيء؟؟ الممكن مرتبة السماع الإلهي فإن كن صفة قول قال تعالى إنما قولنا والسماع متعلقه القول وأما في الانتهاء في حق الكفار اخسؤا فيها ولا تكلمون فخاطبهم وهم يسمعون وأما في حق أهل الجنة فبعد الرؤية والتجلي الذي هو أعظم النعم عندهم في علمهم فيقول هل بقي لكم شيء فيقولون يا ربنا وأي شيء بقي لنا نجيتنا من النار وأدخلتنا الجنة وملكتنا هذا الملك ورفعت الحجب بيننا وبينك فأرأيناك وأي شيء بقي يكون عندنا أعظم مما لنناه فيقول سبحانه رضاي عنكم فلا أسخط عليكم أبداً فأخبرهم بالرضا ودوامه وهم يسمعون قال فذلك أعظم نعيم وجدوه فحتم بالسماع كما بدأ ثم استصحبهم السماع دائماً ما بين بدايتهم وغاية مراتب نعيمهم فطوبى لمن كانت له أذن واعية لما يورده الحق في خطابه فالعارف المحقق في سماع أبداً إذ لا متكلم عنده إلا الله بكل وجه فمن خاطبه من المخلوقين يجعل العارف ذلك مثل خطاب الرسول عن الحق فيتأهب لقبول ما خاطبه به ذلك الشخص وينظر ما حكمه عند الله الذي قرر شرعاً فيأخذه على ذلك الحد قال تعالى فأجره حتى يسمع كلام الله والمتكلم به إنما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس أحد من خلق الله يجوز أن يخبر عن نفسه ولا عن غيره وإنما أخبار الجميع عن الله فإنه سبحانه هو الذي يخلق فيهم يكن ما يخبرون به فالكل كلماته فليس للعبد على الحقيقة إلا السماع وكلام المخلوق سماع فلا يرمي العارف ولا يهمل شيئاً من كلام المخلوقين ويزله منزله كخبثاً ومنكراً وزوراً كان ذلك القول في حكم الشرع أو طيباً ومعروفاً وحقاً فالعارف يقبله ويزله في المنزل التي عينها الله على لسان الشرع والحكمة لذلك القول ومن علوم هذا المنزل الغمام الذي يقع الإتيان فيه في تجلي القهر والرحمة وهو حين تشقق السماء بالغمام أي بسبب الغمام أي لتكون غماماً فتفتح أبواباً كلها فتصير غماماً وقد كان الملائكة عمارها وهي سماء فيكونون فيها وهي غمام وفيها يأتون يوم القيامة إلى الحشر التقديري والملائكة في ظلل من الغمام والظلل أبوابها يقول الله في ذلك وفتحت السماء

فكانت أبواباً وقال ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تزيلاً وهو إتيانهم في ذلك الغمام لإتيان الله للقضاء والفصل بين عباده يوم القيامة فالعارف إذا شقت سماؤه بالغمام وتزلت قواه في ذلك الغمام وأتى الله للفصل والقضاء في وجوده في دار دنياه فقد قامت قيامته واستعجل حسابه فيأتي يوم القيامة آمناً لا خوف عليه ولا يحزن لا في الحال ولا في المستقبل ولهذا أتى سبحانه بفعل الحال في قوله ولا هم يحزنون فإن هذا الفعل يرفع الحزن في الحال والاستقبال بخلاف الفعل الماضي والمخلص للاستقبال بالسين أو سوف واعلم أن الأرض في كل نفس لها ثلاثة أحوال قبول الولد والمخاض والولادة ما لم تقم القيامة والإنسان من حيث طبيعته مثل الأرض فينبغي له أن يعرف في كل نفس ما يلقي إليه فيه ربه وما يخرج منه إلى ربه وما هو فيه مما ألقى فيه ولم يخرج منه مع هيئته للخروج فإنه مأمور بمراقبة أحواله مع الله في هذه الثلاث المراتب والأحوال وإلقاء الله إليه تارة بالوسائط وتارة بالوسائط تارة تكون محمودة وتارة مدمومة وتارة لا محمودة ولا مدمومة وإن كانت تؤدي هذه الحالة إلى الندم والغبن فالحقق يسمع ويأخذ ويعرف ممن يسمع ومن يأخذ وما يلد ومن يقبل ولده إذا ولد ومن يريه هل يريه ربه أو غير ربه كما ورد في الخبر الصحيح أن الصدقة وهي مما يلدّها العبد تقع بيد الرحمن فالرحمن قابلهما فيريها كما يري أحدكم فلوه أو فضيلة ولم يقل كما يري أحدكم ولده فإن الولد قد لا ينتفع به إذا كان ولد سوء فالنفع بالولد غير محقق بل ربما يطرأ عليه منه من الضرر بحيث أن يتمنى أن الله لم يخلقه والفلو والفصيل ليس كذلك فإن المنفعة بهما محققة ولا بد إما بركوبه أو بما يحمل عليه أو بثمنه أو بلحمه يأكله إن احتاج إليه فشبهه سبحانه بما يتحقق الانتفاع به ليعلم المصدق أنه ينتفع بصدقته ولا بد وأول الانتفاع بها أنها تظله يوم القيامة من حر الشمس حتى يقضي بين الناس ومما يلده الإنسان الكلمة الطيبة وقد قال صلى الله عليه وسلم أن الكلمة الطيبة صدقة فترى أيضاً له ويتولى الحق بنفسه تربية كل ما يلدّه العبد من النكاح لا من السفاح وإذا كان الملك يتولى تربية ولد عبده بنفسه هل يقدر ما يصل إليه من الخير من جهة ولده فأول ذلك أن الولد يعرف منزلة أبيه من الملك وأنه ما رباه الملك وأكرمه بذلك إلا لعلو مرتبة أبيه عنده فيرى المنّة لأبيه عليه بذلك فيكون باراً به محسناً إليه بنفسه إعظماً لمرتبة الملك وعنايته بأبيه وعلى هذا تجري أفعال العارفين من عباده وكل ما تكلمنا فيه من هذا المنزل فهو من خارج بابه لم تتعرض لما يحويه عليه لضيق الوقت وطلب الاختصار وما اتفق لي مثل هذا في العبارة عن غيره من المنازل لأني وجدت عند باب هذا المنزل صور علم ما ذكرته ولم نستوف جميع ما رأيته على بابه فكان هذا القدر مما في هذا المنزل كالغلمان والحدادين والحجاب الذين على باب الملك وأما فهرست ما يتضمنه هذا المنزل فهو معرفة العالم العلوي والسفلي بين الدارين وعلم إبراز الغيوب من خلف الحجب ولماذا حجبت ولماذا أخرجت وما أخرج منها وما بقي وما ينتظر إخراجه من ذلك وما لا يصح إخراجه مما هو ممكن أن يخرج فمنعه مانع فما ذلك المانع وهل يخرج عن سماع أو عن غير سماع وإذا كان عن سماع فعن كراهة أو عن محبة وسرور أو ينقسم إلى هذا وإلى هذا بحسب الأحوال التي تعطيها الأوقات ومن علوم هذا المنزل أيضاً علم الزيادة في الشيء من نفسه لا من غيره كنشر المطوى وبسط المقبوض وعلم إخراج الكنوز المحسوسة بالأسماء وما تعطيه من الخواص في ذلك بحيث أن يقف العارف بذلك على موضع الكثر فيتكلم بالاسم فيشق الأرض عن المال المكنوز فيها كما تنشق الكمّامة عن الزهرة فإذا أبصرها تكلم باسم آخر فيخرج المال بتلك الخاصية كما ينجذب الحديد إلى المغناطيس حتى لا يبقى من ذلك المال في ذلك الموضع شيء ويتضمن علم الأعمال المشروعة وأين مآلها وما يلقيه منها ويتضمن علم السعادة والشقاء بالعلامات ويتضمن علم الجهات ولماذا ترجع واتصاف الحق بالفوقية هل هي فوقية جهة أو فوقية رتبة ويتضمن معرفة أحوال الناس في منازلهم التي يزلونها في الدار الآخرة وما سبب تلك الأحوال التي يتقلبون فيها في تلك المنازل وهل تتكرر

عليهم بأعيانها في أزمنتها التي كانت فيها أم لا ويتضمن رؤية الله عباده لآية نسبة ترجع ويتضمن شرف الكواكب والزمان من غير مفاضلة ويتضمن علم نفي الإيمان مع وجود العلم وهذا من أقلق الأمور عند المحقق وفيها علم البشرى وإنها لا تختص بالسعداء في الظاهر وإن كانت مختصة بالخير فقله تعالى فبشرهم بعذاب أليم والكلام على هذه البشرى لغة وعرفاً فأما البشرى من طريق العرف فالمفهوم منها الخير ولا بد ولما كان هذا الشقي ينتظر البشرى في زعمه لكونه يتخيل أنه على الحق قيل بشره لانتظاره البشرى ولكن كانت البشرى له بعذاب أليم وأما من طريق اللغة فهو أن يقال له ما يؤثر في بشرته فإنه إذا قيل له خير أثر في بشرته بسط وجهه وضحكاً وفرحاً واهتزازاً وطرباً وإذا قيل له شر أثر في بشرته قبضاً وبكاءً وحزنًا وكمدًا واغبرارًا وتعيساً ولذلك قال تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غيرة ترهقها فترة فذكر ما أثر في بشرتهم فلماذا كانت البشرى تنطلق على الخير والشر لغة وأما في العرف فلا ولهذا أطلقها الله تعالى ولم يقيدوها فقال في حق المؤمنين لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولم يقل بماذا فإن العرف يعطي أن ذلك بالخير وقرينة الحال وفيه العلم بالأبد ولماذا يرجع وهل الأبد زمني أو هو عين الزمان وبماذا يبقى الزمان وهل يبقى بنفسه أو يبقى بغيره يكون له ذلك الغير كهو معنا ظرفاً لبقائه ودوامه وهو أمر متوهم ليس له وجود حقيقي عيني والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الأحد وثلاثمائة في معرفة منزل الكتاب المقسوم بين أهل النعيم وأهل العذاب

إن المقرب من كانت سجيته	سجية البر والإبرار تجهله
القرب منزل من لا شيء يشبهه	عيناً قد أنزله فيه منزله
إجماله قد علا قدساً منزلة	ولا لسان لمخلوق يفصله
إن العوالم بالميزان تدرکها	فلا تفرط ولا تفرط فتهمله
القرب أمر إضافي قرب أذى	يكون قوتاً لنفس منه تسأله
فليعطه سؤله إن كان ذا كرم	وليتق الشح إن الشح يقتله
إن العذاب الذي يأتيتك من كتب	قد كنت بالغير في دنياك تنزله
ومن آتاه الذي قد كان يفعله	فكيف ينكره أم كيف يجعله

قال الله عز وجل "الرحمن علم القرآن" على أي قلب يتزل "خلق الإنسان" فعين له الصنف المتزل عليه "علمه البيان" أي نزل عليه القرآن فأبان عن المراد الذي في الغيب "الشمس والقمر بحسبان" ميزان حركات الأفلاك "والنجم والشجر يسجدان" لهذا الميزان أي من أجل هذا الميزان فمنه ذو ساق وهو الشجر ومنه ما لا ساق له وهو النجم فاختلفت السجدتان "والسما رفعها" وهي قبة الميزان "ووضع الميزان" ليزن به الثقلان "أن لا تطغوا في الميزان" بالإفراط والتفريط من أجل الخسران "وأقيموا الوزن بالقسط" مثل اعتدال نشأة الإنسان إذ الإنسان لسان الميزان "ولا تحسروا الميزان" أي لا تفرطوا بترجيح إحدى الكفتين إلا بالفضل وقال تعالى

ونضع الموازين القسط فاعلم أنه ما من صنعة ولا مرتبة ولا حال ولا مقام إلا والوزن حاكم عليه علماً وعملاً فللمعاني ميزان بيد العقل يسمى المنطق يحوي على كفتين تسمى المقدمتين وللكلام ميزان يسمى النحو يوزن به الألفاظ لتحقيق المعاني التي تدل عليه ألفاظ ذلك اللسان ولكل ذي لسان ميزان وهو المقدار والمعلوم الذي قرنه الله بإنزال الأرزاق فقال وما تتزله إلا بقدر معلوم ولكن يتزل بقدر ما يشاء وقد خلق جسد الإنسان على صورة الميزان وجعل كفتيه يمينه وشماله وجعل لسانه قائمة ذاته فهو لأي جانب مال وقرن الله السعادة باليمين وقرن الشقاء بالشمال وجعل الميزان الذي يوزن به الأعمال على شكل القبان ولهذا وصف بالثقل والخفة ليجمع بين الميزان العددي وهو قوله تعالى بحسبان وبين ما يوزن بالرطل وذلك لا يكون إلا في القبان فلذلك لم يعين الكفتين بل قال فأما من ثقلت موازينه في حق السعداء وأما من خفت موازينه في حق الأشقياء ولو كان ميزان الكفتين لقال وأما من ثقلت كفة حسناته فهو كذا وأما من ثقلت كفة سيئاته فهو كذا وإنما جعل ميزان الثقل هو عين ميزان الخفة كصورة القبان ولو كان ذا كفتين لوصف كفة السيئات بالثقل أيضاً إذا رجحت على الحسنات وما وصفها قط إلا بالخفة فعرفنا أن الميزان على شكل القبان ومن الميزان الإلهي قوله تعالى أعطى كل شيء خلقه وقال صلى الله عليه وسلم وزنت أنا وأبو بكر فرجحت ووزن أبو بكر بالأمة فرجحتها واعلم أن الأمر محصور في علم وعمل والعمل على قسمين حسي وقلبي والعلم على قسمين عقلي وشرعي وكل قسم فعلى وزن معلوم عند الله في إعطائه وطلب من العبد لما كلفه أن يقيم الوزن بالقسط فلا يطغى فيه ولا يخسره فقال تعالى لا تغلوا في دينكم وهو معنى لا تطغوا في الميزان ولا تقولوا على الله إلا الحق وهو قوله وأقيموا الوزن بالقسط فطلب العدل من عباده في معاملتهم مع الله ومع كل ما سوى الله من أنفسهم وغيرهم فإذا وفق الله العبد لإقامة الوزن فما أبقى له خيراً إلا أعطاه إياه فإن الله قد جعل الصحة والعافية في اعتدال الطبائع وأن لا يترجح إحداهن على الأخرى وجعل العلل والأمراض والموت بترجيح بعضهن على بعض فلا اعتدال سبب البقاء والانحراف سبب الهلاك والفناء وترجيح الميزان في موطنه هو إقامته وخفة الميزان في موطنه إقامته فهو بحسب المقامات وإذا كان الأمر على ما قررناه فاعلم أن المحقق هو الذي يقيم هذا الميزان في كل حضرة من علم وعمل على حسب ما يقتضيه من الرجحان والخفة في الموزون بالفضل في موضعه والاستحقاق فإن النبي صلى الله عليه وسلم ندب في قضاء الدين وقبض الثمن إلى الترجيح فقال أرجح له حين وزن له فما أعطاه خارجاً عن استحقاقه بعين الميزان فهو فضل لا يدخل الميزان إذ الوزن في أصل وضعه وإنما وضع للعدل لا للترجيح وكل رجحان يدخله فإنما هو من باب الفضل وإن الله لم يشرع قط الترجيح في الشر جملة واحدة وإنما قال والجروح قصاص وقال وجزاء سيئة سيئة مثلها ولم يقل أرجح منها وقال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ولم يقل بأرجح فمن عفا وأصلح فأجره على الله فرجح في الإنعام وما ندب الله عباده إلى فضيلة وكريم خلق إلا وكان الجناب الإلهي الأعلى أحق بذاك وهذا من سبق رحمته غضبه فالنار يتزل فيها أهلها بالعدل من غير زيارة والجنة يتزل فيها أهلها بالفضل فيرون ما لا تقتضيه أعمالهم من النعيم ولا يرى أهل النار من العذاب إلا قدر أعمالهم من غير زيادة ولا رجحان إلى أن يفعل الله بهم ما يريد بعد ذلك ولذلك قال في عذابهم إن ربك فعال لما يريد وما يعلم أحد من خلق الله حكم إرادة الله في خلقه إلا بتعريفه ألا تراه في حق السعداء يقول عطاء غير مجذوذ والصورة واحدة والمدة واحدة ولم يقل في العذاب أنه غير مجذوذ لكن يقطع بأنهم غير خارجين من النار ولا يعرف حالتهم فيها في حال الاستثناء ما يفعل الله فيهم فلا يقضي في ذلك بشيء مع علمنا بأن رحمته سبقت غضبه وعلمنا بأن الله يجزي كل نفس بما عملت وقد قام الدليل على الفضل في أهل السعادة وما جاء مثل ذلك في الأشقياء وهذه مسألة يقف عندها صاحب الفكر أو يحكم بغلبة الظن لا

بالقطع إلا صاحب الكشف فإنه يعلم بما أعلمه الله من ذلك غير أن ابن قسي وهو من أهل هذا الشأن قال لا يحكم عدله في فضله ولا فضله في عدله وهذا كلام مجمل فلا أدري هل قاله عن كشف أو عن اعتبار وفكر وهذا الكلام من وجه ينافي قوله تعالى سبقت رحمتي غضبي ومن وجه لا ينافية فإن الحقائق تعطي أن الفضل لا يحكم في العدل وأن العدل لا يحكم في الفضل فإنه ليس كل واحد من النعتين محلاً لحكم الآخر وأن محل حكم الصفة إنما هو في المفضول عليه أو المعدول فيه وإنما قد علمنا من الله تعالى أن الله يتفضل بالمغفرة على طائفة من عباده قد عملوا الشر ولم يقم عليهم ميزان العدل ولا آخذهم بعدله وإنما حكم فيهم بفضله ولا يقال في مثل هذا أنه حكم فضله في عدله وهو الذي يليق بابن قسي رحمه الله أنه أنبأ عن حقيقة كما هو الأمر عليه في نفسه وإذا خالف الكشف الذي لنا كشف الأنبياء عليهم السلام كان الرجوع إلى كشف الأنبياء عليهم السلام وعلمنا أن صاحب ذلك الكشف قد طرأ عليه خلل بكونه زاد على كشفه نوعاً من التأويل بفكره فلم يقف مع كشفه كصاحب الرؤيا فإن كشفه صحيح وأخبر عما رأى ويقع الخطأ في التعبير لا في نفس ما رأى فالكشف لا يخطئ أبداً والمتكلم في مدلوله يخطئ ويصيب إلا أن يخبر عن الله في ذلك فأما ميزان العلم العقلي فهو على قسمين قسم يدركه العقل بفكره وهو المسمى بالمنطق في المعاني وبالنحو في الألفاظ وهذا ليس هو طريق أهل هذا الشأن أعني علم ما اصطالحوا عليه من الألفاظ المؤدية إلى العلم به من البرهان الوجودي والجدلي والخطابي والكلية والجزئية والموجبة والسالبة والشرطية وغير الشرطية وإن اجتمعنا معهم في المعاني ولا بد من الاجتماع فيها ولكن لا يلزم من الاجتماع في المعنى أن لا يكون ذلك إلا من طريق هذه الألفاظ وكذلك لا يلزمنا معرفة المبتدأ والابتداء والفاعل والمفعول والمضاف والمصدر والإضافة واسم كان واسم أن والإعراب والبناء وإن علمنا المعاني ولكن لا يلزم أن نعرف هذه الألفاظ فصاحب الكشف على بصيرة من ربه فيما يدعو إليه خلقه ولكن للعقل قبول كما له فكر ولذلك القبول في الكشف ميزان قد عرفه فيقيمه في كل معلوم يستقل العقل بإدراكه لكن لا يعلمه هذا الولي من طريق الفكر وميزان المنطق فالذي دخل في طريقنا من ميزان العلم العقلي هو إذا ورد العلم الذي يحصل عقيب التقوى من قوله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله ومن قوله أن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً فالعارف عند ذلك ينظر في تقواه وما اتقى الله فيه من الأمور وما كان عليه من العمل وينظر في ذلك العلم ويناسب بينه وبين تقواه في العمل الذي كان عليه فإن موازين المناسبات لا تخطيء فإذا رأى المناسبة محققة بين العلم المفتوح عليه به وبين ذلك العمل ورأى أن ذلك العمل يطلبه فذلك العلم مكتسب له بعمله فإذا رآه خارجاً عن الميزان وترتفع المناسبة أو يكون ما زاد من جنس ما حصل ولكن لا يقتضيه قوة عمله لضعف أو نقص كان في عمله فما زاد على هذا المقدار فهو من علوم الوهب وإن كان له أصل في الكسب فيتعين عليه أن يشكر الله سبحانه على ما منحه فيكون ذلك الشكر يجبر له ما نقص من العمل الذي لو عمله نتج له هذا الذي وهب له فهذا مسبب قد تقدم سببه بل عاد سبباً لما كان ينبغي أن يكون مسبباً عنه ويزيده الله لذلك الشكر فتحاً في قلبه على الحد الذي ذكرناه وتؤخذ جميع الأعمال على ذا كم فهذا حد الميزان العقلي في الطريق واختلفنا فيما يستقل العقل بإدراكه إذا أخذه الولي من طريق الكشف والفتح هل يفتح له مع دليله أم لا فذهبنا نحن إلى أنه قد يفتح له فيه ولا يفتح له في دليله وقد ذقناه وذهب بعضهم منهم صاحبنا الشيخ الإمام أبو عبد الله الكتاني بمدينة فاس سمعته يقول لا بد أن يفتح له في الدليل من غير فكر ويرى ارتباطه بمدلوله فعلمت أن الله ما فتح عليه في مثل هذا العلم إلا على هذا الحد فقال أيضاً ذوقه فأخبره أنه كذا رآه صحيح وحكمه أنه لا يكون إلا هكذا باطل فإن حكمه كان عن نظره لا عن كشفه فإنه ما أخبر عن الله أنه قال له هكذا أفعله وأن غير هذا الرجل من أهل هذا الشأن قد أدرك ما ذهبنا إليه ولم يعرف دليله العقلي فأخبر كل واحد بما رآه

وصدق في أخباره وما يقع الخطأ قط في هذا الطريق من جهة الكشف ولكن يقع من جهة التفقه فيه فيما كشف إذا كان كشف حروف أو صور وأما الميزان الشرعي فهو أن الله إذا أعطاك علماً من العلوم الإلهية لا من غيرها فإننا لا نعتبر الغير في هذا الميزان الخاص فننظر في الشرع إن كنا عالمين به وإلا سألنا المحدثين من علماء الشرائع لا نسأل أهل الرأي فنقول لهم هل رويتم عن أحد من الرسل أن قال عن الله كذا وكذا فإن قالوا نعم فوازنه بما علمت وبما قيل لك واعلم أنك وارث ذلك النبي في تلك المسألة أو ينظر هل يدل عليها القرآن وهو قول الجنيد علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة فهو الميزان وليس يلزم في هذا الميزان عين المسألة أن تكون مذكورة في الكتاب أو السنة وإنما الذي يطلب عليه القوم أن يجمعهما أصل واحد في الشرع المتزل من كتاب أو سنة على أي لسان نبي كان من آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم فإن أموراً كثيرة ترد في الكشف على الأولياء وفي التعريف الإلهي لا تقبلها العقول وترمي بها فإذا قالها الرسول أو النبي عليه السلام قبلت إيماناً وتأويلاً ولا تقبل من غيره وذلك لعدم الإنصاف فإن الأولياء إذا عملوا بما شرع لهم هبت عليهم من تلك الحضرة الإلهية نفحات جود إلهي كشف لهم من أعيان تلك الأمور الإلهية التي قبلت من الأنبياء عليهم السلام ما شاء الله فإذا جاء بها هذا الولي كفر والذي يكفره يؤمن بها إذا جاء بها الرسول فما أعمى بصيرة هذا الشخص وأقل الأمور أن يقول لها إن كان ما تقوله حق أنك خوطبت بهذا أو كشف لك فتأويله كذا وكذا إن كان ذلك من أهل التأويل وإن كان ظاهرياً يقول له قد ورد في الخبر النبوي ما يشبه هذا فإن ذلك ليس هو من شرط النبوة ولا حجره الشارع لا في كتاب ولا سنة ومن هذا الباب في هذا المتزل يعلم الإنسان ميزانه من الحضرة الإلهية في قوله أن الله خلق آدم على صورته فقد أدخله الجود الإلهي في الميزان فيوازن بصورته حضرة موحده ذاتاً وصفة وفعلاً ولا يلزم من الوزن الاشتراك في حقيقة الموزونين فإن الذي يوزن به الذهب المسكوك هو صنعة حديد فليس يشبهه في ذاته ولا صفته ولا عدده فيعلم أن لا يوزن بالصورة الإنسانية إلا ما تطلبه الصورة بجميع ما تحوي عليه بالأسماء الإلهية التي توجهت على إيجادها وأظهرت آثارها فيه وكما لم تكن صنعة الحديد توازن الذهب في حد ولا حقيقة ولا صورة عين كذلك العبد وإن خلقه الله على صورته فلا يجتمع معه في حد ولا حقيقة إذ لا حد لذاته والإنسان محدود بحد ذاتي لا رسمي ولا لفظي وكل مخلوق على هذا الحد والإنسان أكمل المخلوقات وأجمعها من حيث نشأته ومرتبته فإذا وقفت على حقيقة هذا الميزان زال عنك ما توهمته في الصورة من أنه ذات وأنت ذات وأنت موصوف بالحي العالم وسائر الصفات وهو كذلك وتبين لك بهذا الميزان أن الصورة ليس المراد بها هذا ولهذا جمع في صورة واحدة خلق الإنسان ووضع الميزان وأمر أن تقيمه من غير طغيان ولا خسران وما له إقامة إلا على حد ما ذكرت لك فإنه الله الخالق وأنت العبد المخلوق وكيف للصنعة أن تكون تعلم صانعها وإنما تطلب الصنعة من الصانع صورة علمه بها لا صورة ذاته وأنت صنعة خالقك فصورتك مطابقة لصورة علمه بك وهكذا كل مخلوق ولو لم يكن الأمر كذلك وكان يجمعكما حد وحقيقة كما يجمع زيدا عمراً لكنك أنت إلهاً أو يكون هو مألوماً حتى يجمعكما حد واحد والأمر على خلاف ذلك فاعلم بأي ميزان تزن نفسك مع ربك ولا تعجب بنفسك واعلم أنك صنعة حديد وزن بها ياقوتة يتيمة لا أخت لها وإن اجتمعت معها في المقدار فما اجتمعت معها في القدر ولا في الذات ولا في الخاصية تعالى الله فالزم عبوديتك واعرف قدرك واعلم أن الله قد جعل من مخلوقاته من هو أكبر منك وإن كان خلقه من أجلك ولكن لا يلزم إذا خلق شيئاً من أجلك أن تكون أنت أكبر منه فإن السكين عمل من أجل أمور منها قطع يد السارق والنار خلقت من أجل عذاب الإنسان فالإنسان أشرف من النار لأنها خلقت من أجله فهذا الفصل لا يطرد فلا تدخله ميزانك فأنت أنت وهو هو لا إله إلا هو العزيز الحكيم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فبهذا قد أعلمتك بالميزان

العلمي المشروع والمعقول وما يحتاج إليه من ذلك فلنبين لك ميزان العمل فاعلم أن العمل منه حسي وقلبي وميزانه من جنسه فميزان العمل أن ينظر إلى الشرع وكيف أقام صور الأعمال على أكمل غايتها قليلاً كان ذلك العمل أو حسيّاً أو مركباً من حس وقلب كالنية والصلاة من الحركات الحسية فقد أقام الشرع لها صورة روحانية يمسكها عقلك فإذا شرعت في العمل فلتكن عينك في ذلك المثال الذي أخذته من الشارع واعمل ما أمرت بعمله في إقامة تلك الصورة فإذا فرغت منها قابلها بتلك الصورة الروحانية المعبر عنه بالمثال الذي حصلته من الشارع عضواً عضواً ومفصلاً مفصلاً ظاهراً وباطناً فإن جاءت الصورة فيها بحكم المطابقة من غير نقصان ولا زيادة فقد أقمت الوزن بالقسط ولم تطع فيه ولم تخسر فيه فإن الزيادة في الحد عين النقص في الحدود فإذا وزنت عملك مثل هذا الوزن كانت صورة عملك مقدار للجزء الذي عينه الحق لك عليه سواء كان ذلك العمل محموداً أو مذموماً فإن الشرع أيضاً كما أقام لك صورة العمل المحمود لتعمله وبينه لك لتعرفه كذلك أقام لك صورة العمل المذموم لتعرفه وتميزه من المحمود وهناك أن تعمل عليه صورة تطابقه فإن خالفت وعملت صورة تطابق تلك الصورة طلبت تلك الصورة موازنتها من الجزء فإن اتفق أن يدخلها الحق في الميزان بالجزء فإنه لا يزيد عليها في المقدار وزن ذرة أصلاً هذا إذا أقام الوزن عليه بالجزء وكان عذابه في النار جزء على قدر عمله لا يزيد ولا ينقص لا في العمل ولا في مقدار الزمان والإصرار من الأعمال المنهي عن عملها ولا يزيله إلا التوبة فإن مات عليه خيف عليه ولم يقطع وإذا أدخل الحق صورة العمل الصالح الميزان ووزنه بصورة الجزء رجحت عليه صورة الجزء أضعافاً مضاعفة وخرجت عن الحد والمقدار منة من الله وفضلاً وهو قوله تعالى من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها كما ذكرناه وقال في الأخرى من جاء بالحسنة فله عشرة أمثالها وقال مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء ولم يجعل للتضعيف في الخير مقدار يوقف عنده بل وصف نفسه بالسعة فقال والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم وقال إن ربك واسع المغفرة وقال ورحمتي وسعت كل شيء وغضبه شيء فقد وسعته رحمته وحصرته وحكمت عليه فلا يتصرف إلا بحكمها فترسله إذا شاءت وفيه رائحة الرحمة من أجل المتزل وتمسكه إذا شاءت ولهذا ليس في البسملة شيء من أسماء القهر ظاهراً بل هو الله الرحمن الرحيم وإن كان يتضمن الاسم الله القهر فكذلك يتضمن الرحمة فما فيه من أسماء القهر والغلبة والشدة يقابله بما فيه من الرحمة والمغفرة والعفو والصفح وزناً بوزن في الاسم الله من البسملة ويبقى لنا فضل زائد على ما قابلنا به الأسماء في الاسم الله وهو قوله الرحمن الرحيم فأظهر عين الرحمن وعين الرحيم خارجاً زائداً على ما في الاسم الله منه فزاد في الوزن فرجح فكأن الله عرفنا بما يحكمه في خلقه وأن الرحمة بما هي في الاسم الله الجامع من البسملة هي رحمته بالبواطن وبما هي ظاهرة في الرحمن الرحيم هي رحمته بالظواهر فعمت فعظم الرجاء للجميع وما من سورة من سور القرآن إلا والبسملة في أولها فأولناها أهما إعلام من الله بالمآل إلى الرحمة فإنه جعلها ثلاثاً الرحمة المبטونة في الاسم الله والرحمن الرحيم ولم يجعل للقهر سوى المبطون في الاسم الله فلا عين له موجودة كالكناية في الطلاق ينوي فيه الإنسان بخلاف الصريح فافهم وأما سورة التوبة فاختلف الناس فيها هل هي سورة مستقلة كسائر سور القرآن أو هل هي وسورة الأنفال سورة واحدة فإنهم كانوا لا يعرفون كمال السورة إلا بالفصل بالبسملة ولم يجيء هنا فدل أنها من سورة الأنفال وهو الأوجه وإن كان لتركها وجه وهو عدم المناسبة بين الرحمة والتبري ولكن ما لهذا الوجه تلك القوة بل هو وجه ضعيف وسبب ضعفه أنه في الاسم الله المنعوت بجميع الأسماء ما هو في اسم خاص يقتضي المؤاخذه والبراءة إنما هي من الشريك إذا تبرأ من المشرك

فلكونه مشركاً لأن متعلقه العدم فإن الخالق لا يتبرأ من المخلوق ولو تبرأ منه من كان يحفظ عليه وجوده ولا وجود للشريك

فالشريك معدوم فلا شركة في نفس الأمر فإذا صحت البراءة من الشريك فهي صفة تزيه وتبرئة لله من الشريك وللرسول من اعتقاد الجهل ووجه آخر في ضعف هذا التأويل الذي ذكرناه وهو أن البسملة موجودة في كل سورة أولها ويل وأين الرحمة من الويل ولهذا كان للقراء في مثل هذه السورة مذهب مستحسن فيمن يثبت البسملة من القراء وفيمن يتركها كقراءة حمزة وفيمن يخبر فيها كقراءة ورش والبسملة إثباتها عنده أرجح فأثبتناها عند قراءتنا بحرف حمزة في هذين الموضعين لما فيهما من قبح الوصل بالقراءة وهو أن يقول والأمر يومئذ لله ويل فبسملوا هنا وأما مذهبنا فيه فهو أن يقف على آخر السورة ويقف على آخر البسملة ويتدأ بالسورة من غير وصل والقراء في هذا الفصل على أربعة مذاهب المذهب الواحد لا يرونه أصلاً وهو أن يصل آخر السورة بالبسملة ويقف ويتدأ بالسورة هذا لا يرضيه أحد من القراء العلماء منهم وقد رأيت الأعاجم من الفرس يفعلون مثل هذا مما لا يرضيه علماء الأداء من القراء والمذهب الحسن الذي ارتضاه الجميع ولا أعرف لهم مخالفاً من القراء الوقوف على آخر السورة ووصل البسملة بأول السورة التي يستقبلها والمذهب الآخران وهما دون هذا في الاستحسان أن يقطع في الجميع أو يصل في الجميع وأجمع الكل أن يتدأ بالتعوذ والبسملة عند الابتداء بالقراءة في أول السورة وأجمع على قراءة البسملة في الفاتحة جماعة القراء بلا خلاف واختلفوا في سائر سور القرآن ما لم يتدأ أحد منهم بالسورة فمنهم من خير في ذلك كورش ومنهم من ترك كحمزة ومنهم من بسمل ولم يخير كسائر القراء ولوجه التخيير والترك وعدم الترك لهذه البسملة حكم عجيبة لا يسع الوقت لذكرها ولأنها خارجة عن مقصود هذا الباب وهي آية حيثما وقعت إلا في سورة النمل في كتاب سليمان عليه السلام فإنها بعض آية ولا أعلم فيها خلافاً فهذا قد أمنت لك عن الميزان العملي والعلمي على التقريب والاختصار فلنبين لك ما يتضمنه هذا المتزل من الأمور التي لم نذكرها مخافة التطويل فاعلم أن هذا المتزل يتضمن علم علل هذه الموازين التي ذكرناها وفيه علم ما يستحقه الرب من التعظيم وفيه علم الآخرة الذي بين الدنيا ونزول الناس في منازلهم من الجنة والنار وفيه علم البعث وفيه علم بعض منازل الأشقياء والسعداء وفيه علم الستور وفيه علم الاصطلام وفيه علم مراتب العالم العلوي والسفلي والطبيعي والروحاني وفيه منزل القربة ولنا فيه جزء لطيف وفيه علم المفاضلة وفيه علم موازنة الجزاء وفيه علم التخليص والامتزاج وفيه معرفة الوصف الذي لا ينبغي أن يتصف به نبي وعصمة الولي من ذلك وهو عزيز وفيه علم ما يكره في الدنيا ويمقت فاعله وهو محبوب في الآخرة وهو ذلك الفعل بعينه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الثاني وثلاثمائة في معرفة منزل ذهاب العالم الأعلى

وجود العالم الأسفل من الحضرة المحمدية والموسوية والعيسوية

منزل من كان درج

إن فتح الباب خرج

إن فتح الباب ولج

ومن ألح يندرج

من كل ضيق وفرج

منزل تلقين الحجج

فلا تكن كمثل من

والزم وكن كمثل من

من لاذ بالله احتتمى

في كل ما تسأله

قد قيل ذا في مثل

في مثل هذا يا أخي

كم من لبيب هالك

وما على نفس ترى

بأن من أدلج حج

تفنى النفوس والمهج

في بحره وسط اللجج

فيه الهالك من حرج

اعلم أن الغيب ظرف لعالم الشهادة وعالم الشهادة هنا كل موجود سوى الله تعالى مما وجد ولم يوجد أو وجد ثم رد إلى الغيب كالصور والأعراض وهو مشهود لله تعالى ولهذا قلنا أنه عالم الشهادة ولا يزال الحق سبحانه يخرج العالم من الغيب شيئاً بعد شيء إلا ما لا يتناهى عدداً من أشخاص الأجناس والأنواع ومنها ما يرد إلى غيبه ومنها ما لا يرد أبداً فالذي لا يرد أبداً إلى الغيب كل ذات قائمة بنفسها وليس إلا الجواهر خاصة وكل ما عدا الجواهر من الأجسام والأعراض الكونية واللونية فإنها ترد إلى الغيب ويبرز أمثالها والله يخرجها من الغيب إلى شهادتها أنفسها فهو عالم الغيب والشهادة والأشياء في الغيب لا كمية لها إذا الكمية تقتضي الحصر فيقال كم كذا وكذا وهذا لا ينطلق عليها في الغيب فإنها غير متناهية فكم وكيف والأين والزمان والوضع والإضافة والعرض وإن يفعل وإن يفعل كل ذلك نسب لا أعيان لها فيظهر حكمها بظهور الجوهر لنفسه إذا أبرزه الحق من غيبه فإذا ظهرت أعيان الجواهر تبعثها هذه النسب ففعل كم عين ظهرت فقيل عشرة أو أكثر أو أقل فقيل كيف هي فقيل مؤلفة فعرض لها الجسمية فصحت الكيفية بالجسمية وحلول الكون واللون فقيل أين فقيل في الحيز أو المكان فقيل متى فقيل حين كان كذا في صورة كذا فقيل ما لسانه فقيل أعجمي أو عربي فقيل ما دينه فقيل شريعة كذا فقيل هل ظهر منه ما يكون من ظهور آباء كما ظهر هو من غيره فقيل هو ابن فلان قيل ما فعل قيل أكل قيل ما انفعل عن أكله قيل شبع فهذه جملة النسب التي تعرض للجواهر إذا أخرجها الله من غيبه فليس في الوجود المحدث إلا أعيان الجواهر والنسب التي تتبعه فكان الغيب بما فيه كأنه يحوي على صورة مطابقة لعالمه إذ كان علمه بنفسه علمه بالعالم فبرز العالم على صورة العالم من كونه عالماً به فصورته من الجوهر ذاته ومن الكم عدد أسمائه ومن كيف قوله كل يوم هو في شأن وسنفرغ لكم أيها الثقلان والرحمن على العرش استوى وأمثال هذا فيما أخبر به عن نفسه كثير والأين كان الله في عماء وهو الله في السماء والزمان كان الله في الأزل والوضع وكلم الله موسى تكليماً فأجره حتى يسمع كلام الله فجميع الشرائع وضعه والإضافة خالق الخلق مالك الملك وأن يفعل بيده الميزان يخفض القسط ويرفعه وأن يفعل يدعى فيجيب ويسأل فيعطى ويستغفر فيغفر وهذه كلها صورة العالم وكل ما سوى الله قد ظهر على صورة موحده فما أظهر إلا نفسه فالعالم مظهر الحق على الكمال فليس في الإمكان أبدع من هذا العالم إذ ليس أكمل من الحق تعالى فلو كان في الإمكان أكمل من هذا العالم لكان ثم من هو أكمل من موحده وما ثم إلا الله فليس في الإمكان إلا مثل ما ظهر لا أكمل منه فتدبر ما قلته فهو لباب المعرفة بالله ثم أن الله اختصر من هذا العالم مختصراً مجموعاً يحوي على معانيه كلها من أكمل الوجوه سماه آدم وقال أنه خلقه على صورته فالإنسان مجموع العالم وهو الإنسان الصغير والعالم الإنسان الكبير أو سم الإنسان العالم الصغير كيفما شئت إذا عرفت الأمر كما هو عليه في نفسه وعينه فانسب إليه واصطلح كما تريد فلا فضل للإنسان على العالم بجملته والعالم أفضل من الإنسان لأنه يزيد عليه درجة وهي أن الإنسان وجد عن العالم الكبير فله عليه درجة السببية لأنه عنه تولد قال تعالى وللرجال عليهن درجة لأن

حواء صدرت من آدم فلم تزل الدرجة تصحبه عليها في الذكورة على الأنوثة وإن كانت الأم سبباً في وجود الابن فابنها يزيد عليها بدرجة الذكورة لأنه أشبه أباه من جميع الوجوه فوجب على الإنسان تعظيم أبيه فأمه العالم بأسره وأبوه معروف غير منكور والنكاح التوجه فخرج الولد على صورة أبيه ولما كان الولد لا يدعى إلا لأبيه لا ينسب إلى أمه لأن الأب له الدرجة وله العلو فينسب إلى الأشرف ولما لم يتمكن لعيسى عليه السلام أن ينسب إلى من وهبه لها بشراً سوياً أعطيت أمه الكمال وهو المقام الأشرف فنسب عيسى إليها فقبل عيسى ابن مريم فكان لها هذا الشرف بالكمال مقام الدرجة التي شرف بها الرجال على النساء فنسب الابن إلى أبيه لأجلها وكمال مريم شهد لها بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وآسية امرأة فرعون فأما كمال آسية فلشرف المقام الذي ادعاه فرعون فلم يكن ينبغي لذلك المقام أن يكون العرش الذي يستوي عليه إلا موصوفاً بالكمال فحصل لآسية الكمال بشرف المقام الذي شقي به فرعون ولحق بالخسران المبين وفازت امرأته بالسعادة ولشرف المقام الذي حصل لها به الكمال قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة فما أنطقها إلا قوة المقام بعندك ولم تطلب مجاورة موسى ولاحد من المخلوقين ولم يكن ينبغي لها ذلك فإن الحال يغلب عليها فإن الكامل لا يكون تحت الكامل فإن التحتية نزول درجة ولما كان كمال مريم بعيسى في نسبته إليها لم تقل ما قالت آسية آسية تقول نجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين حتى لا تنتهك حرمة النسبة ومريم تقول يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً وهي بريئة في نفس الأمر عند الله فما قالت ذلك من أجل الله كما قالت آسية عندك فقدتمته وطلبت جواره والعصمة من أيدي عاداته ولكن قالت ذلك مريم حياء من الناس لما علمته من طهارة بيتها وآبائها فخافت من إلحاق العار بهم من أجلها ولما ذكرنا أن العالم كان مستوراً في غيب الله وكان ذلك الغيب بمترلة الظل للشخص فلو سلخ من الظل جميعه أمر ما لخرج على صورة الظل والظل على صورة ما هو ظل له فالخارج من الظل المسلوخ منه على صورة الشخص ألا ترى النهار لما سلخ من الليل ظهر نوراً فظهرت الأشياء التي كانت مستورة بالليل ظهرت بنور النهار فلم يشبه النهار الليل وأشبهه النور في ظهور الأشياء به فالليل كان ظل النور والنهار خرج لما سلخ من الليل على صورة النور كذلك العالم في خروجه من الغيب خرج على صورة العالم بالغيب كما قرناه فقد تبين لك من العلم بالله من هذا المقام ما فيه كفاية إن عرفت قدره فلا تكونن من الجاهلين وأما مسألة روح صورة هذا العالم وأرواح صور العالم العلوي والسفلي فهذا أبسطها لك في هذه المسألة من هذا المتزل في الدرجة الثامنة منه فإن هذا المتزل يحوي على سبعة عشر صنفاً من العلم هذا أحدها فنقول أن روح العالم الكبير هو الغيب الذي خرج عنه فافهم ويكفيك أنه المظهر إلا كبر الأعلى أن عقلت وعرفت قوله ألم تر إلى ربك كيف مد الظل وبعد أن بان لك روح العالم الكبير فبقي لك أن تعلم أرواح صور العالم هل هي موجودة عن صورة أو قبلها أو معها ومترلة الأرواح من صور العالم كمترلة أرواح صور أعضاء الإنسان الصغير كالقدرة روح اليد والسمع روح الأذن والبصر روح العين فاعلم أن الناس اختلفوا في هذه المسألة على ما ذكرنا تفصيله والتحقيق في ذلك عندنا أن الأرواح المديرة للصور كانت موجودة في حضرة الإجمال غير مفصلة لأعيانها مفصلة عند الله في علمه فكانت في حضرة الإجمال كالحروف الموجودة بالقوة في المداد فلم تتميز لأنفسها وإن كانت متميزة عند الله مفصلة في حال إجمالها فإذا كتب القلم في اللوح ظهر صور الحروف مفصلة بعدما كانت مجملة في المداد فقبل هذا ألف وباء وجيم ودال في البسائط وهي أرواح البسائط وقيل هذا قام وهذا زيد وهذا خرج وهذا عمرو وهي أرواح الأجسام المركبة ولما سوى الله صور العالم أي عالم شاء كان الروح الكل كالقلم واليمين الكاتبة والأرواح كالمداد في القلم والصور كمنازل الحروف في اللوح فنفخ الروح في صور العالم فظهرت الأرواح متميزة بصورها فقبل هذا زيد وهذا عمرو

وهذا فرس وهذا فيل وهذه حية وكل ذي روح وما ثم إلا ذو روح لكنه مدرك وغير مدرك فمن الناس من قال أن الأرواح في أصل وجودها متولدة من مزاج الصورة ومن الناس من منع من ذلك ولكل واحد وجه يستند إليه في ذلك والطريقة الوسطى ما ذهبنا إليه وهو قوله ثم أنشأنا خلقاً آخر وإذا سوى الله الصور الجسمية ففي أية صورة شاء من الصور الروحية ركبها إن شاء في صورة خنزير أو كلب أو إنسان أو فرس على ما قدره العزيز العليم فثم شخص الغالب عليه البلادة والبهيمية فروحه روح حمار وبه يدعى إذا ظهر حكم ذلك الروح فيقال فلان حمار وكذلك كل صفة تدعى إلى كتابها فيقال فلان كلب وفلان أسد وفلان إنسان وهو أكمل الصفات وأكمل الأرواح قال تعالى الذي خلقك فسواك فعدلك و تمت النشأة الظاهرة للبصر في أي صورة ما شاء ركبك من صور الأرواح فتنسب إليها كما ذكرنا وهي معينة عند الله فامتازت الأرواح بصورها ثم إنه إذا فارتقت هذه المواد فطائفة من أصحابنا تقول أن الأرواح تتجرد عن المواد تجرداً كلياً وتعود إلى أصلها كما تعود شعاعات الشمس المتولدة عن الجسم الصقيل إذا صدى إلى الشمس واختلفوا

هنا على طريقين فطائفة قالت لا يمتاز بعد المفارقة لأنفسها كما لا يمتاز ماء الأوعية التي على شاطئ النهر إذا تكسرت فرجع ماؤها إلى النهر فالأجسام تلك الأوعية والماء الذي ملئت به من ذلك النهر كالأرواح من الروح الكل وقالت طائفة بل تكتسب بمجاورتها الجسم هيئات رديئة وحسنة فتمتاز بتلك الهيئات إذا فارتقت الأجسام كما أن ذلك الماء إذا كان في الأوعية أمور تغيره عن حالته إما في لونه أو رائحته أو طعمه فإذا فارق الأوعية صحبه في ذاته ما اكتسبه من الرائحة أو الطعم أو اللون وحفظ الله عليها تلك الهيئات المكتسبة ووافقوا في ذلك بعض الحكماء وطائفة قالت الأرواح المدبرة لا تزال مدبرة في عالم الدنيا فإذا انتقلت إلى البرزخ دبرت أجساداً برزخية وهي الصورة التي يرى الإنسان نفسه فيها في النوم وكذلك هو الموت وهو المعبر عنه بالصور ثم تبعث يوم القيامة في الأجسام الطبيعية كما كانت في الدنيا وإلى هنا انتهى خلاف أصحابنا في الأرواح بعد المفارقة وأما اختلاف غير أصحابنا في ذلك فكثير وليس مقصوداً إيراد كلام من ليس من طريقنا واعلم يا أخي تولاك الله برحمته أن الجنة التي يصل إليها من هو من أهلها في الآخرة هي مشهودة اليوم لك من حيث محلها لا من حيث صورتها فأنت فيها تتقلب على الحال التي أنت عليها ولا تعلم أنك فيها فإن الصورة تحجبك التي تجلت لك فيها فأهل الكشف الذين أدركوا ما غاب عنه الناس يرون ذلك المحل إن كان جنة روضة خضراء وإن كان جهنماً يرونها بحسب ما يكون فيه من نعوت زمهريرها وحرورها وما أعد الله فيها وأكثر أهل الكشف في ابتداء الطريق يرون هذا وقد نبه الشرع على ذلك بقوله بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة فأهل الكشف يرونها روضة كما قال ويرون نهر النيل والفرات وسيحان وجيحان نهر عسل وماء وخمر ولبن كما هو في الجنة فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن هذه الأنهار من الجنة ومن لم يكشف الله عن بصره بقي في عمى حجاب لا يدرك ذلك مثل الأعمى يكون في بستان فما هو غائب عنه بذاته ولا يراه فلم يلزم من كونه لا يراه أنه لا يكون فيه بل هو فيه وكذلك تلك الأماكن التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها من النار كبطن محسر بمعى وغيره ولهذا شرع الإسراع في الخروج عنه لأتمته فإنه صلى الله عليه وسلم يرى ما لا يرون ويشهد ما لا يشهدون ومن الناس من يستصحبه هذا الكشف ومنهم من لا يستصحبه على ما قد أراده الله من ذلك لحكمة أخفاها في خلقه ألا ترى أهل الورع إذا حماهم الله عن أكل الحرام من بعض علاماته عندهم أن يتغير في نظره ذلك المطعوم إلى صورة محرمة عليه فيراه دماً أو خنزيراً مثلاً فيمتنع من أكله فإذا بحث عن كسب ذلك الطعام وجده مكتسباً على غير الطريقة المشروعة في اكتسابه فأهل الله تعالى أعين يبصرون بها وآذان يسمعون بها وقلوب يعقلون بها وألسنة يتكلمون بها غير ما هي هذه الأعين

والآذان والقلوب والألسنة عليه من الصورة فبتلك الأعين يشهدون وبتلك الآذان يسمعون وبتلك القلوب يعقلون وبتلك الألسنة يتكلمون فكلامهم مصيب فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور عن الحق والأخذ به صم بكم عمي فهم لا يعقلون عن الله فهم لا يرجعون إلى الله والله أن عيونهم لفي وجوههم وأن سمعهم لفي آذانهم وأن ألسنتهم لفي أفواههم ولكن العناية ما سبقت لهم ولا الحسنى فالحمد لله شكراً حيث حيانا بتلك القلوب والألسن والآذان والأعين ولقد ورد في حديث نبوي عند أهل الكشف صحيح وإن لم يثبت طريقه عند أهل النقل لضعف الراوي ولو صدق فيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا تزييد في حديثكم وتمريج في قلوبكم لرأيتم ما أرى ولسمعت ما أسمع قال الله تعالى لتبين للناس ما نزل إليهم وأكثر من هذا البيان الصريح ما يكون لكن أين من يفرغ محله لآثار ربه أين من ينقل ما يسمع من غير زيادة فيه هذا قليل جداً والله ولي التوفيق واعلم أن هذا المتزل يتضمن علم التحليل وعلم ما يحصل لأهل النار في النار من العلوم إذا دخلوها وعلم ما يعطيه عالم الطبيعة من الأسرار الإلهية التي لا تعلم من غيره وعلم السابقة اللاحقة وهي العاقبة وعلم تركيب البراهين الوجودية وعلم الإيجاد الروحاني والصوري وعلم السبب المؤدي إلى الشقاء وعلم ما يبقى به نظام العالم وحفظ صورته عليه وعلم التجلي في الحجاب وعلم الأحكام الإلهية على غير طريق الشارع وعلم توحيد الأفعال وعلم إلحاق الأعلالي بالأسافل والأسافل بالأعلالي وهو أو قريب منه علم التحام الأبعاد بالأداني والأداني بالأبعاد والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثالث وثلاثمائة في معرفة منزل العارف الجبرئيلي

من الحضرة المحمدية

يدري بذلك أقوام إذا ماتوا

لا تتجلي لهم إلا إذا باتوا

وما لهم في وجود السكرنيات

تتلى عليهم من القرآن آيات

للشمس في الفلك الأقصى علامات

تسري به أنفس مثلي مطهرة

من الخمر سكارى في محاربهم

فلو أراد زوال السكر صحوهم

اعلم أيديك الله أن من الأرواح العلوية السماوية المعبر عنها بالملائكة مقدمين لهم أمر مطاع فيمن قدموا عليه من الملائكة الأعلى وهم أصحاب أمر لا أصحاب نهي فلا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وقد نبه الله تعالى على أن جبريل عليه السلام منهم بقوله مطاع ثم أمين ولا يكون مطاعاً إلا من له الأمر فيمن يطيعه فاعلم أن العارف إذا كلن يمدده من الملائكة الأعلى روح من هذه الأرواح الآمرة التي لها التقدم على غيرها كإسرافيل وإسماعيل وعزرائيل وجبريل وميكائيل والنور والروح وأمثالهم فإن العارف يكون له أثر في العالم العلوي والسفلي بقدر مرتبة ذلك الروح الذي يتولاه من هناك فمن تولاه إسرافيل يكون له من الأثر بحسب مرتبة إسرافيل وما يكون تحت نظره وأمره وكذلك كل روح بهذه المثابة له رجل أو امرأة على مقامه وهو الذي تسمعونه من الطائفة من أن فلاناً على قلب آدم أو جماعة على قلب إبراهيم أي لهم من المنازل ما لإبراهيم وآدم من مقام الولاية التي لهم لا من مقام النبوة وإن كان لهم منها شرب فمن بعض مقاماتها لا كلها كالرؤيا جزء من أجزاء النبوة وغيرها وأما

النبوة بالجملة فلا تحصل إلا للنبي وأما الولي فلا إلا أن يكون له من ظهره غمده وتقويه وتؤيده هكذا أخذها مشاهدة من نفسي وأخبرت أن كل ولي كذا يأخذها من المكملين في الولاية ويترجم عنها ولكن من حجاب الظهر ويكون للنبي من فوق أو من الأمام تنزل على قلبه أو يخاطب بها في سمعه فالولي يجد أثرها ذوقاً وهو فيها كالأعمى الذي يحس بجانبه شخص ولا يعرف من هو ذلك الشخص ولذلك تقول الطائفة لا يعرف الله إلا الله ولا النبي إلا النبي ولا الولي إلا ولي مثله فالنبي ذو عين مفتوحة لمشاهدة النبوة والولي ذو عين مفتوحة لمشاهدة الولاية ذو عين عمياء لمشاهدة النبوة فإنها من خلفه فهو فيها كحافظ القرآن لأنه من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه ولم يقل في صدره ولا بين عينيه ولا في قلبه فإن تلك رتبة النبي لا رتبة الولي وأين الاكتساب من التخصيص فالنبوة اختصاص من الله يختص بها من يشاء من عباده وقد أغلق ذلك الباب وختم برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم والولاية مكتسبة إلى يوم القيامة فمن تعمل في تحصيلها حصلت له والتعمل في تحصيلها اختصاص من الله يختص برحمته من يشاء قال تعالى إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء كما قال الله تعالى هدي به من نشاء من عبادنا فبنور النبوة تكتسب الولاية فالأولياء هم ولاة الحق على عباده والخواص منهم الأكابر يقال لهم رسل وأنبياء ومن نزل عنهم بقي عليه اسم الولاية فالولاية الفلك المحيط للكل فهم وإن اجتمعوا في منصب الولاية فالولاية لهم مراتب فالسلطان وال على الخلق والقاضي وال والمحتسب وال وأين رتبة السلطان من مرتبة صاحب الحسبة وكلهم لهم الأمر في الولاية وهكذا ما ذكرناه في حق الأنبياء والرسل والأقطاب كل ولي على مرتبته فالسلطنة لا تحصل بالكسب جملة وما عداها يتعمل في تحصيلها فثم وال يقدم للسلطان خدمة من مال أو متاع فيؤليه السلطان المنصب الذي يليق به وخدم عليه وهو بمترلة من تحصل له الولاية من عند الله بالصدقة والقرض الحسن وصلة الرحم ومن الناس من يلزم خدمة السلطان في ركوبه وخروجه ويتعرض له فإذا أمر السلطان بأمر يفعل ما لم يعين أحداً بادر هذا الشخص لامتنال أوامر السلطان فيراه السلطان ملازماً مشاهدته مبادراً لأوامره فيؤليه فهذا بمترلة من تحصل له الولاية من الله بمراقبته والمبادرة لأوامر الله التي ندب إليها لا التي افترضها عليه وهو قوله ولا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداؤً ومؤيداً فهذا معنى الكسب في الولاية وكذلك من تعرض للسلطان وخدمه عن أمره واجهه بالأمر فرأى محافظته على الأوامر السلطانية التي أوجبها عليه لا يغفل عنها ولا يتأولها بل يأخذها على الوجوب ويسارع إليها ويسبق إلى امتثالها حين يبطئ عنها ويتأولها من هو معه في رتبته فيرى له السلطان ذلك فيؤليه ويعطيه النيابة عنه في رعيته كذلك المسارع إلى ما أوجب الله عليه من الطاعات وافترضها عليه وأخذ أوامره على الوجوب ولم يتأول عليه كلامه ولا أمره فإن الله يصطفيه ويؤليه أكبر ولاياته وقد عرفت الكسب ومحل الاختصاص وأهله فاسلك عليه فهو الباب الذي من دخل عليه نجا وتولى ودنا وتدلى ونودي بالأفق الأعلى واعلم أن الولي الذي تمتد إليه رقيقة روحانية جبريئية هو من الأمناء الذين لله تعالى في خلقه الذين لا يعرفون في الدنيا فإذا كلن في الآخرة وظهرت مترلته هناك وما كان ينطوي عليه في هذه الدار مما لا يعرف هنا فإنه كان إما تاجراً في السوق أو بائعاً صاحب حرفة أو صنعة أو والياً من ولاة المسلمين من حسبة أو قضاء أو سلطنة وبينه وبين الله أسرار لا نعرف منه فيقال عنه يوم القيامة عند ظهور ما كان عنده في الآخرة أن لله أمناء حيث كان هذا عندهم وما ظهوروا به في الدنيا حين ظهر غيرهم بما أعطاه الله من الكشف بالكلام على الخواطر أو على الأرض واختراق الهواء والمشى على الماء والأكل من الكون وما ظهر عليه شيء من ذلك وهو في قوته وتحت تصرفه وأبى أن يكون الأعلى ما هم عليه عامة المسلمين إلا وهم الملامية من أهل هذا الطريق خاصة كبيرهم وصغيرهم فيكون هذا الشخص في الأمة

الحمدية كجبريل في الأمة الملكية مطاع الباطن غير مطاع في الظاهر لو أمر لكنه لا يأمر فإنه ما امتاز عن العامة بشيء فلو امتاز عندهم بخرق عادة تظهر منه مما لا يقتضيها الموطن عظم وامثل أمره للتفوق الذي ظهر له على العامة فهذا سبب رد أمره لو أمر لكنه لا يأمر ولكنه في الباطن مطاع الأمر ورأينا من هؤلاء جماعة مثل عبد الله بن تاحمست ومثل ابن جعدون الحناوي وهو من الأوتاد كان كبير الشأن فهذا العارف الذي له هذا المقام الذي ذكرناه له لتمكن من نفسه فهو أقوى خلق الله فإن النفس تريد الظهور في العالم بالربوبية وصاحب هذا المقام قد خلع الله عليه من أوصاف السيادة وقواه بحيث أن يقول للشيء كن فيكون ذلك الشيء لمكانته من ربه فكان من قوته أنه ملك نفسه فلم يظهر عليه من ذلك شيء لا في أقواله ولا في أفعاله ولا عبادته وهو ممن نص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الحسن الغريب حين خلق الله الجبال عند ميد الأرض فرست وسكن ميدها فقالت الملائكة يا ربنا هل خلقت شيئاً أشد من الجبال قال نعم الحديد قالت يا ربنا هل خلقت شيئاً أشد من الحديد قال نعم النار قالت يا ربنا هل خلقت شيئاً أشد من النار قال نعم الماء قالت يا ربنا هل خلقت شيئاً أشد من الماء قال نعم الهواء قالت يا ربنا هل خلقت شيئاً أشد من الهواء قال المؤمن يتصدق بيمينه لا تعرف بذلك شماله أو قال فيخفيها عن شماله وهذه حالة من ذكرنا وقد وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقوة وأن له منها أكثر مما ذكره من الأقوياء فإن النفس مجبولة على حب الرياسة على جنسها هذا في أصل جبلتها وخلقها ومن قيل له اخرج عن جبلتك وطبعك فقد كلف أمراً عظيماً فسبحان من رزقهم من القوة بحيث أن هان عليهم مثل هذا وسبب ذلك أنه أعطاهم من المعرفة بالله التي خلقوا لها ما شغلهم الوفاء بحق العبودية عن مثل هذا فهم على الطريقة المثلى التي اختارها الله لعباده ولهم المكانة الزلغى بشوهم عليها مكرمون عند الله وهذا العارف الذي بهذه المثابة من الأفراد الذين أفردهم الحق إليه واحتصهم له وأرعى الحجاب حجاب العادة بينهم وبين الخلق فاستخلصهم لنفسه ورضي عنهم ورضوا عنه وأعطى صاحب هذا المقام من القوى المؤثرة في العالم الأعلى والأسفل ألفاً ومائتي قوة واحدة منها لو سلطها على الكون أعدمته ومع هذا التمكن من هذه القوى إذا نزل الذباب عليه لا يقدر على إزالته حياء من الله ومعرفة فأما المعرفة التي له فيه فإن ذلك الذباب رسول من الحق إليه وهو الذي أنزله عليه فهو يراقب ما جاءه به من العلم فإذا فرغ من رسالته إن شاء نهض إن استدعاه خالقه وإن شاء أقام فيكون هذا العارف كرسى ذلك الرسول الذبابي فهذا سبب تركه إياه ولا يشرده عن نفسه كما تفعله العامة للمعرفة وأما الحياء من الله فإن في إزالة الذباب راحة للنفس ونعيماً معجلاً وما خلق الله الإنسان في هذه الدار للراحة والنعيم وإنما خلق لعبادة ربه فيستحي أن يراه الله في طلب الراحة من أذى الذباب حيث أن الموطن لا يقتضيه فإن قلت فالمتنعم في الدنيا المباح له التنعم في الحلال قلنا لا نمنع ذلك في حق غير العارف ولكن العارف تحت سلطان التكليف فما من نعمة ينعم الله فيها عليه باطنة كانت أو ظاهرة إلا والتكليف من الله

بالشكر عليها يصحبها فذلك التكليف ينغص على العارف التنعم بتلك النعمة لاشتغاله بموازنة الشكر عليها وإذا وفي الشكر عليها فالوفاء به نعمة من الله يجب عليه الشكر عليها فلا يزال متعوب الخاطر في إقامة الوزن بالقسط أن لا يخسر الميزان ومن هذه حاله كيف ينعم فظاهرها نعمة وباطنها غصص وهو لا يبرح يتقلب في نعم الله ظاهراً وباطناً ولا تؤثر عنده إلا المأ وتغنيصاً والعامة تفرح بتلك النعم وتتصرف بها أشراً وبطراً والعارف مسدود عليه في الدنيا باب الراحة في قلبه وإن استراح في ظاهره فهو يموت في كل نفس ألف موة ولا يشعر به يقول عمر بن الخطاب ما ابتلاني الله بمصيبة إلا رأيت لله فيها علي ثلاث نعم إحداها أن لم تكن في ديني الثانية حيث لم تكن أكبر منها الثالثة ما وعد الله عليها من الثواب ومن كان في مصيبة واحدة يرى ثلاث نعم فقد انتقل إلى

مصيبة أعظم من تلك المصيبة فإنه يتعين عليه إقامة ميزان الشكر على ثلاث نعم فابتلاه الله بمصيبة واحدة ليصبر عليها وابتلته معرفته في تلك المصيبة بثلاث مصائب كلفه الله الشكر عليها حيث أعلمه بتلك النعم في تلك المصيبة الواحدة فانظر إلى معرفة عمر رضي الله عنه كيف أوجب على نفسه مثل هذا وانظر إلى ما فيها من الأدب حيث عدل عن النظر فيها من كونها مصيبة إلى رؤية النعم فتلقاها بالقبول لأن النعمة محبوبة لذاتها فرضي فكان له مقام الرضا والاستسلام والتفويض الصبر والاعتماد على الله وأين الناس من هذا الذوق الشريف ولم يحكم أحد من الأولياء ولا قام فيه مثل هذا المقام مثل أبي بكر الصديق إلا من لا أعرفه فإنه رضي الله عنه ما ظهر قط عليه مما كان عليه في باطنه من المعرفة شيء لقوته إلا يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهلت الجماعة وقالوا ما حكى عنهم إلا الصديق فإن الله تعالى وفقه لإظهار القوة التي أعطاه لكون الله أهله دون الجماعة للإمامة والتقدم والإمام لا بد أن يكون صاحباً لا يكون سكران فقامت له تلك القوة في الدلالة على أن الله قد جعله مقدم الجماعة في الخلافة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته كالمعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم في الدلالة على نبوته فلم يتقدم ولا حصل الأمر إلا له عن طوع من جماعة وكره من آخرين وذلك ليس نقصاً من إمامته كراهة من كره فإن ذلك هو المقام الإلهي والله يقول والله يسجد من في السموات ومن في الأرض طوعاً وكرهاً فإذا كان الخالق الذي بيده ملكوت كل شيء يسجد له كرهاً فكيف حال خليفته ونائبه في خلقه وهم الرسل فكيف حال أبي بكر وغيره فلا بد من طائع وكاره يدخل في الأمر على كره لشبهة تقوم عنده إذا كان ذا دين أو هوى نفس إذا لم يكن له دين أما من كره إمامته من الصحابة رضي الله عنهم فما كان عن هوى نفس نحاشيهم من ذلك على طريق حسن الظن بالجماعة ولكن كان لشبهة قامت عندهم رأى من رأى ذلك أنه أحق بها منه في رأيه وما أعطته شبهته لا في علم الله فإن الله قد سبق علمه بأن يجعله خليفة في الأرض وكذلك عمر وعثمان وعلي والحسن ولو تقدم غير أبي بكر لمات أبو بكر في خلافة من تقدمه ولا بد في علم الله أن يكون خليفة فتقدمهم بالزمان بأنه أولهم لحوقاً بالآخرة فكان سبب هذا الترتيب في الخلافة ترتيب أعمارهم فلا بد أن يتأخر عنها من يتأخر مفارقتها للدنيا ليلي الجميع ذلك المنصب وفضل بعضهم على بعض مصروف إلى الله هو العالم بمنالهم عنده فإن المخلوق ما يعلم ما في نفس الخالق إلا ما يعلمه به الخالق سبحانه وما أعلم بشيء من ذلك فلا يعلم ما في نفسه إلا إذا أوجد أمر أعلمنا أنه لولا ما سبق في علم الله كونه ما كان فالله يعصمنا من الفضول إنه ذو الفضل العظيم فهذا قد أبنت لك منزلة العارف من هذا المنزل على غاية الاختصار بطريق التنبيه والإيماء فإن المقام عظيم فيه تفاصيل عجيبة فلنذكر فهرست ما يتضمنه هذا المنزل من العلوم فمن ذلك علم ذهاب النور الأعظم وبقاء حكمه وهو من أعجب الأشياء وجود الحكم مع عدم عين الحاكم ويتعلق بهذه المسألة فقد النبي صلى الله عليه وسلم وبقاء شريعته في المكلفين إلا في مذهب من يقول أن الشارع هو الله وهو موجود وفيه علم طموس العلوم وما سببها ومنها سبب عزل أهل المراتب من مراتبهم مع وجود الأهلية منهم ولماذا عزلوا وهم يستحقونها وهل يصح هذا العزل أم لا

مع وجود الأهلية وهل للسلطان عزل القاضي العادل إذا ولاه أو لا ينزل في نفس الأمر إذا جار عليه السلطان وأخره عن الحكم فإن حكمهم بهذه المثابة هل ينفذ حكمه شرعاً أو لا ينفذ وبعد أن يحكم وهو بهذه المثابة لشخص بأمر ما فيأبى السلطان إمضاء ويطلب الخصم المحكوم عليه الرجوع إلى القاضي الذي ولاه السلطان فيظهر عند القاضي الثاني أن الحكم للذي كان الحكم عليه عند الأول هل لهذا المحكوم له عند القاضي الثاني أن يأخذ ما حكم له مما كان قد انتزعه منه خصمه بالحكم الأول أم لا وهل يصح قضاء هذا الثاني أم لا وإن صح فهل هو مستقل فيه كالأول أو هو كالنائب عن الأول إلا أنه بأمر سلطاني أو ينزل الحاكم الأول

إذا عزله السلطان من هذا المنزل يعرف ذلك ومن أراد تحقيق هذه المسألة ودليلها فليُنظر في النسخ الوارد في الشريعة الواحدة فيصح العزل ومن نظر في حكم المشرعين وأن الله ما عزل نبياً رسولاً عن رسالته بغيره في تلك الأمة التي له إلا بعد موته قال لا ينزل فهو على حسب ما يكشف له فافهم ومن علوم هذا المنزل علم الجور في العالم من أي حضرة صدر وما ثم إلا العدل المحض فمن أين هذا الجور وأي حقيقة ترتبط به وأي اسم يدل عليه وذهاب الرجال الذين يحفظ الله بهم العالم وعلم نزول الكلم والهمم على مراكب الأعمال لم كان ذلك وعلم البعث الأخروي هل هو عام في كل حيوان أو خاص بالإنس والجان وما معنى قوله سنفرع لكم أيها الثقلان وعلم الاستحالات العنصرية وعلم ما يتولد عن تأليف الروح والجسم الطبيعي وهل الجسم للروح كالمرأة للبعل في النكاح لما يتولد بينهما أم لا وهل الموت طلاق رجعي أو بائن فإن العلماء قالوا إن المرأة إذا ماتت كانت من زوجها كالأجنبية ولا بد فليس له أن يكشف عليها وذهب آخرون إلى بقاء حرمة الزوجية فله أن يغسلها وحاله معها كحاله في حياتها فإن كان رجعياً فإن الأرواح ترد إلى أعيان هذه الأجسام من حيث جواهرها في البعث وإن لم يكن رجعياً وكان بائناً فقد ترد إليها ويختلف التأليف وقد تنشأ لها أجسام آخر لأهل النعيم أصفى وأحسن ولأهل العذاب بالعكس وعلم كلام الأطفال من أين ينطقون ومن ينطقهم مثل كلام عيسى في المهد وصبي يوسف عليه السلام وجريج وأما أنا فرأيت في زماننا شخصاً شاباً اسمه والله أعلم عبد القادر بمدرسة ابن رواحة بمدينة دمشق فجاء وسلم فأخبرني عنه جماعة منهم الزكي بن رواحة صاحب المدرسة قالوا أن أم هذا الشاب لما كانت حاملة به عطست فحمدت الله فقال لها من جوفها يرحمك الله بصوت سمعه كل من حضر هنالك وأما أنا فكانت لي بنت ترضع وكان عمرها دون السنتين وفوق السنة لا تتكلم فأخذت ألاعبها يوماً فقلت لها يا زينب فأصغت إلي فقلت لها إني أريد أن أسألك عن مسألة مستفتياً ما قولك في رجل جامع امرأته ولم يتزل ماذا يجب عليه قالت لي يجب عليه الغسل بكلام فصيح وأما وجدتها يسمعان فصرخت جدتها وغشي عليها وعلم النشر بعد الطي كما قال تعالى والسموات مطويات بيمينه وعلم الحو والإثبات وعلم تضاعف الأنوار وعلم القرب الإلهية التي تعطي التجلي وعلم الغيبة والحضور وعلم النجوم وعلم الزمان وعلم تنزيل الشرائع وصفة من يتزل بها ومن تتزل عليه وهل هي من باب الاختصاص أم لا وعلم التأييد والسلطان والنيابة عن الحق في العالم حتى الإنسان في نفسه وعلم الكشف وما الحجاب الذي بين الناس وبين ما يكشفه هذا المكاشف وهل هو شرط في الطريق أم لا وعلم رؤية الأرواح العلوية وعلامة الصدق فيمن يدعي رؤية الأرواح الصادق فيه من الكاذب ولنا فيهم علامات تعرف من يصدق منهم ممن يكذب وعلامات آخر لنا أيضاً في الصادق منهم إذا أخبر عما رأى هل هو مخبر عن الأرواح أنفسها أو عن خيالات قامت له فيتخيل أنه رأى الملك أو الجني وهو ما رأى إلا أمثلة في خياله قامت له لقوة سلطان الخيال عليه خارجة عن وهمه فلنا في مثل هؤلاء علامات فهو يصدق فيما يراه ويخطئ في الحكم أنه رأى ملكاً أو جناً وذلك المرئي ليس بملك ولا جان فهذا من خصائص علم هذا المنزل وعلم الوعيد ولماذا يرجع ومن عارض القرآن من أين أتى عليه كالحلاج حين دخل عليه عمرو بن عثمان المكي فقال له يا حلاج ما تصنع فقال هوذا أعارض القرآن فدعا عليه فكانت المشيخة تقول ما أصيب الحلاج إلا بدعاء هذا الشيخ عليه وكالمهذب ثابت بن عنتر الحلوي لقيته

بالموصل سنة إحدى وستمئة عارض القرآن وسمعته يتلو منه سوراً كان في مزاجه اختلال إلا أنه كان من أزهد الناس وأشرفهم نفساً ومات في تلك السنة وفي هذا المنزل علم المشيئة المحدثه هل لها أثر في الأفعال كما نقوله إلا شاعرة في مسألة الكسب أو لا أثر

لها وهل هي مظهر من مظاهر الحق أو تكون في وقت من مظاهر الحق وهي المشيئة التي ينفذ حكمها وفي أوقات لا تكون مظهر الحق فتكون قاصرة واللّه يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الرابع وثلاثمائة في معرفة منزل إيثار الغنا على الفقر

من المقام الموسوي وإيثار الفقر على الغنا من الحضرة العيسوية

وفقر النفس ذل وانكسار

لزار العالمين ولا يزار

لكان له التقدم والفخر

ولا تدري لحكم العلم دار

غنى نفس المحقق مستعار

فلو أن الفقير يكون ملكاً

ولو أن الغني يكون عبداً

فحكم الجهل قد عم البرايا

ومن هذا المثل أيضاً قولنا:

والنور ليس به نقص فيخفيه

بيني وبينك وعد ما نوفيه

وبحر جهلي عقلي مغرق فيه

لا لي فإن حجابي في تجليه

وكيف أثر قربي في تدليه

وما أنا علة فيما يؤديه

يداك إلا بجهل ظاهر فيه

الكون أعمى لنقص كامن فيه

لك الكمال ولي ضد الكمال لذا

قد قلت أنك معروف بمعرفتي

هبني من الحال ما قد كنت فيه لكم

إني لأعجب مني حين أسرى بي

لولا دنوي لما قام التدلل به

فقل لعلمك لا تفرح فما ظفرت

ومن هذا المثل أيضاً قولنا:

ولا تداني ولا تجلى

وقد تعالى لما تحلى

خليفة سيداً معلى

وهو عن العين ما تخلقى

ناديت مولاي قال مهلا

فقال أهلاً بكم وسهلاً

لولا دنوي لما تدلى

فآب عنه وجود عيني

فقمتم في أرضه إماماً

أحكم فيه بحكم ربي

فعندما تم لي مرادي

خذني إلى ما خرجت منه

اعلم وفقك الله تعالى أن الله سبحانه يغار لعبده المنكسر الفقير أشد مما يغار لنفسه فإنه طلب من عباده أن يغاروا لله إذا انتهكت

حرماته غير أن غيرتك لله تعود محمدتها عليك وغيرته عز وجل لك تعود محمدتها أيضاً عليك لا عليه فهو سبحانه وتعالى يشي عليك
غيرته لك ويشي عليك بغيرتك له فأنت المحمود على كل حال وبكل وجد وهذا الفصل أرفع مقام يكون للعبد ليس وراءه مقام
أصلاً فينبغي للعبد أن يغار لنفسه في هذا المقام ولا بد فإن الله يغار له فإذا حضر ملك مطاع نافذ الأمر وقد جاءك مع عظم مرتبته
زائر أو جاءك فقير ضعيف في ذلك الوقت زائراً أيضاً فليكن قبولك على الفقير وشغلك به إلى أن يفرغ من شأنه الذي جاء إليه فإن
تجلي الحق عند ذلك الفقير أعلى وأجل من تجليه في صورة ذلك الملك فإنك تعين الحق في الملك المطاع تجلياً في غير موطنه اللائق به
على غير وجه التزيه الذي ينبغي له وأنى للعبد برتبة السيادة فإذا ظهر فيها وبها فقد أحل بها وأشكل الأمر على الأجانب فما عرفوا
السيد من العبد إذا رأوه على صورته في مرتبته ولذلك قال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون
وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً وقل الحق من
ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر أي لا تأخذكم في الله لومة لائم وكان سبب هذه الآية أن زعماء الكفار من المشركين
كالأقرع بن حابس وأمثلة قالوا ما يمنعنا من مجالسة محمد إلا مجالسته هؤلاء الأعداء يريدون بلالاً وخباب بن الأرت وغيرهما فكبر
عليهم أن يجمعهم والأعداء مجلس واحد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصاً على إيمان مثل هؤلاء فأمر أولئك الأعداء إذا
رأوه مع هؤلاء الزعماء لا يقربوه إلى أن يفرغ من شأنهم أو إذا أقبل الزعماء والأعداء عنده أن يخلو لهم المجلس فأنزل الله هذه الآية
غيرة لمقام العبودية وال فقر أن يستهضم بصفة عز وتآله ظهر في غير محله فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا جالس
هؤلاء الأعداء وأمثالهم لا يقوم حتى يكونوا هم الذين يقومون من عنده ولو أطالوا الجلوس وكان يقول صلى الله عليه وسلم إن الله
أمرني أن أحبس نفسي معهم فكان إذا أطالوا الجلوس معه يشير إليهم بعض الصحابة مثل أبي بكر وغيره أن يقوموا حتى يتسرح
رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض شؤونهم فهذا من غيرة الله لعبد الفقير المنكسر وهو من أعظم دليل على شرف العبودية
والإقامة عليها وهو المقام الذي ندعو له الناس فإن جميع النفوس يكبر عندهم رب الجاه ورب المال لأن العزة والغنى لله تعالى فحيثما
تجلت هذه الصفة تواضع الناس وافتقروا إليها ولا يفرقون بين ما هو عز وغنى ذاتي وبين ما هو منهما عرضي إلا بمجرد مشاهدة
هذه الصفة ولهذا يعظم في عيون الناس من استغنى عنهم وزهد فيما في أيديهم فترى الملوك على ما هم عليه من العزة والسلطان
كالعبيد بين يدي الزهاد وذلك لغناهم بالله وعدم افتقارهم إليهم في عزهم وما في أيديهم من عرض الدنيا فإذا التمس الفقير من
الغني بالمال شيئاً من عز أو مال سقط من عينه بقدر ذلك مع كونه يبادر لقضاء حاجته حتى لو وزنت مرتبته في قلب الملك قبل
طلب تلك الحاجة ووزنتها بعد طلب الحاجة نقصت عنها بقدر ما طلب فصفة الحق تعالى حيثما ظهرت محبوبة مطلوبة عند الناس
الذين لا يفرقون بين ظهورها عند من يستحقها ولو علم هذا الجاهل أن أفقر الناس إلى المال أكثرهم مالاً وذلك أن صاحب الفقر
المدقع محتاج بالضرورة إلى ما يسد به خلته فهو فقر ذاتي والغني بالمال مع كثر ماله بحيث لو قسمه على عمره وعمر بنيه وحفدته
لكفاهم ومع هذا ترك أهله وولده ويسافر بماله ويخاطر به في البحار والأعداء وقطع المفاوز إلى البلاد القاصية شرقاً وغرباً في اقتناء
درهم زائد على ما عنده لشدة فقره إليه وربما هلك في طلب هذه الزيادة وغرق ماله أو أخذ وربما استؤسر في سفره أو قتل ومع
هذه المعضلات لا يترك سفيراً في طلب هذه الزيادة فلولا جهله وشدة فقره ما خاطر بالأنفس في طلب الأخس فالفقير الزاهد يرى
أن هذا الغني أفقر منه بكثير وهو في فقره مذموم وإن هذا الزاهد لولا غناه بربه عن هذه الأعراض لكان أشد حرصاً في طلبها من
التجار والملوك ولنا في هذا المعنى آيات منها:

بالمال ينقاد كل صعب

يحسبه عالم حجاباً

لولا الذي في النفوس منه

لا تحسب المال ما تراه

بل هو ما كنت يا بني

فكن برب العلا غنياً

ولنا فيه أيضاً من قصيدة:

من عالم الأرض والسماء

لم يعرفوا لذة العطاء

لم يجب الله في دعاء

من عسجد مشرق الرءاء

به غنياً عن السواء

وعامل الحق بالوفاء

المال يصلح كل شيء فاسد

وبه يزول عن الجواد عثارة

وهذه طريقة أغفلها أهل طريقنا ورأوا أن الغنى بالله تعالى من أعظم المراتب وحجبهم ذلك عن التحقق بالتنبيه على الفقر إلى الله الذي هو صفتهم الحقيقية فجعلوها في الغنى بالله بحكم التضمين لمحبتهم في الغنى الذي هو خروج عن صفتهم والرجل إنما هو من عرف قدره وتحقق بصفته ولم يخرج عن موطنه وأبقى على نفسه خلعة ربه ولقبه واسمه الذي لقبه به وسماه فقال أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد فلرغوة النفس وجهالتها أرادت أن تشارك رها في اسم الغني فرأت أن تتسمى بالغنى بالله وتتصف به حتى ينطلق عليها اسم الغني وتخرج عن اسم الفقير فانظر ما بين الرجلين وما رأيت أحداً من أهل طريقنا أشار إلى ما ذكرناه أصلاً من غوائل النفوس المبطونة فيها إلا الله تعالى فهو الذي نبه عباده عليها وبعد هذا فما سمعوا وتعاموا وكم جهدت أن أرى لأحد في ذلك تنبيهاً عليه فما وجدت وأسأل من الله تعالى أن لا يجعلنا ممن انفرد بها وأن يشاركنا فيها إخواننا من العارفين وأما أصحابنا فإنهم أخذوها عنا وتحققوا بها في نفوسهم وما بقي عليهم فيها إلا التخلق بها وأن تكون صفتهم دائماً ولكن بعد أن عرفنا أولادنا فعرفوا هذه المرتبة وتنبهوا إلى ما جهل الناس من العارفين من ذلك فقد حصل لهم خير كثير منعهم هذا القدر أن يسيئوا الأدب مع الله تعالى ومن إساءة الأدب في طريق الله تعالى وهو مما يستدرج الله به العارفين عزة الشيوخ على أتباعهم من المريدين بما افتقروا إليهم فيه من التربية وامتيازهم عنهم فإن الشيخ إذا لم يوف هذا المقام حقه يحجبه فقر المريد إليه عن فقره إلى ربه حالاً ويكون مشهده عند ذلك غناه بالله والغنى بالله يطلب العزة وحال المحقق صاحب هذا المقام إذا رأى المريدين يفتقرون إليه فيما عنده من الله شكر الله على ذلك حيث ألزم الله به فقراء إليه يثبتونه بصفة فقرهم إليه على فقره إلى الله تعالى فإنه ربما لو لم يظهر صفة فقرهم إليه نسي فقره إلى الله تعالى فهكذا هو حال الشيخ المحقق فينظر هذا الشيخ المريدين المفتقرين إليه بعين من يثبتته على طريقه لئلا تزل به القدم فيه فهو كغريق وجد من يأخذ بيده كيف يكون حب ذلك الغريق فيه حيث أمسك عليه حياته فيرى هذا الشيخ حق المريد عليه أعظم من حقه على المريد فالمريد هو شيخ الشيخ بالحال والشيخ هو شيخ المريد بالقول والتربية وإن كنت عاقلاً فقد نبهتك على الطريق الأنفس فاعمل عليه فما أبقيت لك في النصيحة ولنا:

أنا عبد والذل بالعبد أولى

فانظروني فكلما قلت قولاً

لا أراني للعز بالحق أهلاً

كان قولي حالاً وعقداً وفعلاً

فيا أيها الولي الحميم لا ننسخ العلم بالظن فأخسر الأخسرين من كانت حاله هذه عزة الإيمان أعلى وعزة الفقر أولى فليكن شأنك تعظيم المؤمن الفقير على المؤمن الغني بماله العزيز بجاهه المحجوب عن نفسه فإن الفقير المؤمن هو مجلي حقيقتك وأنت مأمور بمشاهدة نفسك حذر الخروج عن طريقها فالفقير المؤمن مرآتك ترى فيه نفسك والمؤمن الغني بالمال عنك هو مرآة لك صدئت فلا ترى نفسك فيها فلا تعرف ما طراً على وجهك من التغيير فما عتب الله نبيه سدى بل أبان والله في ذلك عن أرفع طريق الهدى وزجر عن طريق الردى فقال كلا ردعاً وزجراً لحالة تحجبك عما ذكرته وقررتك لك في هذه النصيحة فلا تعدل بالغنى والعزة مستحقهما وهو الله تعالى تكن من العلماء الكمل الذين لم يدنسوا علمهم بغفلة ولا نسيان معذرة وبعد أن أبنت لك عن الطريقة المثلى التي غاب عنها الرجال الذين شهد لهم بالكمال فاعلم أن الأحوال تملك الإنسان لا بد من ذلك وإذا سمعت بشخص يملك الأحوال فإنه لا يملك حالاً ما إلا بحال آخر فالحال الذي أوجب له ملك هذا الحال هو الحاكم عليه في الوقت فإن الوقت له فإن بعض الناس غلط في هذه المسألة من أهل طريقنا وجعلوا من الفروق بين الأنبياء عليهم السلام وبين الأولياء ملك الحال فقالوا الأنبياء يملكون الأحوال والأولياء تصرفهم الأحوال وهو غلط كبير من كل وجه فإن الإنسان لا يخلو أبداً عن حال يكون عليه به يعامل وقته وهو الحاكم عليه وأعلم أن الله قد قرر في نفوس الأكابر من رجال الله تعظيم صفات الحق حيثما ظهرت فإن ظهرت على من هي فيه بحكم العرض كان تعظيم هذا الرجل الولي لصفة الحق لا للمحل الظاهرة فيه فإن غفل انحجب بالموصوف عن الصفة فعظمها من أحلها وينبغي أن لا يكون ذلك إلا فيمن ألبسه الحق إياها لا فيمن سرقها فكان كلابس ثوبي زور كالمتشبع بما لا يملك وإذا عظم الولي صفة الحق إذا ظهرت له في شخص وبدت له صفته في شخص آخر أعرض عن صفته إعظاماً أن يعرض عن الحق بمشاهدة نفسه فلم يقصد إلا التعظيم وينجر مع ذلك تعظيم المحل الذي ظهرت فيه صفة الحق وإن كان ليس مقصوداً للمعظم ومع هذا فالذي نبهناك عليه أولى وأحق بالتقدم من هذا وما أحسن قول النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال أنزلوا الناس منازلهم أو قال أمرت أن أنزل الناس منازلهم ومنازل الناس والله معلومة ولم يقل كل أحد منزلته وإنما قال الناس والصفة التي تعظم هي التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن تترجم فيها وهي التي ذكرناها ونبهناك عليها من الذلة والافتقار وكل ما ورد في القرآن من وصف الإنسان بما ليس له بحقيقة فإنما هو في مقابلة أمر قد ادعاه من ليس من أهله فقبول به من جنسه ليكون أنكى في حقه قال في ذلك عبد الله بن أبي ابن سلول لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فنخرج منها محمداً وأصحابه فجاء ولده فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم واستأذنه في قتل أبيه لما سمع الله يقول لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم وكان من المنافقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أريد أن يتحدث بأن محمداً يقتل أصحابه فأضاف الله العزة لرسوله وللمؤمنين في مقابلة دعوى المنافقين إياها فقال تعالى يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل والله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون لمن ينسبون العزة فكيف ينسبونها إلى غير الله من المؤمنين وما حظ الرسول والمؤمن منها ولم يقل تعالى بإخراجهم وكذلك ما أخرجهم بل هذا القائل لم يزل بالمدينة إلى أن مات ودفع لكفنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبه جزاء ليد كانت له عند النبي صلى الله عليه وسلم من جهة عمه العباس حين أسره في غزوة بدر

فكساه هذا المنافق ثوبه فلم يبق للمنافق يوم القيامة مطالبة للنبي صلى الله عليه وسلم من أجل ذلك إذا رأيت عارفاً قد وقع في مثل هذا فاعلم أنه ما قصد سوى تعظيم صفة الحق وتصغير نفسه فإن كنت مثله في المقام أو أكبر منه فاذكره بما عرفتكم به وإذا كان هذا المقام لك وأنت شاهد له فبالضرورة تكون أكبر منه في تلك الحالة وإن كنت نازلاً عنه في غيرها فعلى كل وجه ذكره وإن كان حاله الإيمان في ذلك الوقت فإنه يقبل الذكرى فإن انتهرك وقال لك لمثلي تقول هذا فاعلم أنه قد سقط من عين الله وقد حجب الله عن عبوديته وعن الإيمان فاتركه فقد فعلت ما فرضه الله عليك وادع له فإن الله قد أعمى بصيرته عن سبيل الله واعلم أن هذه الصفة التي نبهتكم عليها أعطتنا حالاً ومشاهدة من حضرة القدس فهي مقرها ولا يتصف بها إلا من له عند الله أرفع المنازل فإن كان رسولاً فأرفع المنازل في الرسالة وإن كان نبياً فأرفع المنازل في النبوة وإن كان ولياً فأرفع المنازل في الولاية وإن كان مؤمناً فأرفع المنازل في الإيمان وإن كان نصرانياً أو مجوسياً أو يهودياً أو معطلاً فهو في أرفع المنازل بها في صنفه وفي مقامه

لا يدعيه مقيداً ومسوداً

ومعطلاً ومشركاً وموحداً

وممكناً ومروحناً ومجسداً

كل الأنام وكان حتى يقصداً

عن نفسه حال الضلالة والهدى

إن الكبير من الرجال هو الذي

ومهوداً ومنصراً وممجساً

ومنزهاً ومشبهاً ومحيزاً

عمت صفات جلاله وجماله

إن الغيور هو الذي لا ينتهي

وإن المحل الذي تقوم به هذه الصفة لا بد لصاحبها إن كان على أي ملة كان أو نحلة أن يرجع إلى دين الهدى ويسلم ويؤمن ويبادر إلى مكارم الأخلاق عن كشف محقق وعلم صحيح فيكون أكمل الناس إيماناً وأعظمهم منزلة عند الله عارفاً بمنازل الرسل والأنبياء عليهم السلام وفضل بعضهم على بعض والأولياء والمؤمنين فإن الصفة التي قادته إلى الإسلام أعظم الصفات عند الله قدراً في حق العبد فتزله المنازل العلية وترفعه في عليين ويتلقاه من الملائكة كل ملك كريم على الله محسن في عبادة ربه هو الذي يتزل إلى هذا العبد من عند الله للمناسبة التي بين هذا الملك وبينه فيأخذ بيده فيرفعه إلى منزل هذه الصفة في عليين فلا يكون في صنفه أعلى منه منزلة إلا من عمل بعمله فإنه في درجته ومعه ويكفي هذا القدر من هذا المنزل وأما ما يحوي عليه من المسائل والعلوم فعلم كفران النعم وتفصيل الكفر وأين ينتهي كل كفر بصاحبه مثل كفر الآبق وتارك الصلاة والكافر ببعض ما أنزل الله وعلم البدو وعلم وضع الشرائع وعلم البرازخ وعلم البعث وعلم أقوات الأرض وأمر السموات وما يتولد بين السماء والأرض وبين توجهات الحق والكون وبين كل زوجين وعلم الإنسان والحيوان وعلم الساعة ولم سميت ساعة وهل هي في كل لسان بهذا المعنى المفهوم ومن اسم الساعة أم لا وهل للساعة صورة لها إدراك سمع وبصر وتميز أم لا وعلم الصفات المقومة لكل مرتبة حتى يمتاز بها أهلها وعلم الكتابين اللذين خرج بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في يديه على أصحابه فقال صلى الله عليه وسلم أن في الكتاب الواحد أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائهم وفي الكتاب الآخر أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائهم مع صغر حجم الكتابين وكثرة الأسماء فيعلم من ذلك إيراد الكبير على الصغير من غير تصغير الكبير أو تكبير الصغير وإلا فأبي ديوان يحصر أسماء هؤلاء ويعلم أن الأمر الذي يحيله العقل لا يستحيل نسبة إلهية فتعلم أن الله قادر على المحال العقلي كإدخال الحمل في سم الخياط مع

بقاء هذا على صغره وهذا على كبره ويشاهد من هذا المتزل المقام الذي وراء طور العقل من حيث ما يستقل بإدراكه من كونه مفكراً وإلا فعقل الأنبياء عليهم السلام والأولياء قبل هذا الأمر من كونه قابلاً لا من كونه ما ذكرناه فللعقول حد تقف عنده وليس لله حد يقف عنده بل هو خالق الحدود فلا حد له سبحانه فهو القادر على الإطلاق والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الخامس وثلاثمائة في معرفة منزل ترادف الأحوال

على قلوب الرجال من الحضرة المحمدية

حقائق الحق بالأسماء والحال	تقلب الكون من حال إلى حال
وليس يدري به إلا القلوب وما	للعقل فيه مجال دون إملال
يخالف العقل تقلب الوجود فما	للعقل شيء سوى قيد وأغلال
فالعقل يشهد ذاتاً لا انتقال لها	عنها وقلبك في تقلب أحوال
إن المظاهر تقلب الإله لنا	في نفسه وهو عندي إضلال

اعلم وفقك الله أن هذا المتزل يحوي على علوم كثيرة منها علم القوة وهو الرمي بالقوس والدخول فيه وعقد الأصابع على الوتر والسهم وكيفية الإطلاق وسداد السهم والمناضلة فإن الله تعالى ما اعتنى بشيء من آلة الحرب ما اعتنى بعلم الرمي بالقوس وأقامه في هذا المتزل مرتب المنازل بالاسم القوي وأمرنا في القرآن بالاستعداد به فقال وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي وجعله في هذا المتزل على أربع مراتب وأشهدها أصحاب الأذواق لهذه المنازل لحكمة علمها أهلها ليعلم الإنسان كيف يصيب الفعل ويؤثر من غير مباشرة من الاسم البعيد عن هذا الوصف ومن هذا العلم ينكشف لك سر القدر وكيف تحكم في الخلاق ولماذا يرجع أصله ولا دليل عليه إلا الرمي بالقوس وهو روح كن للإيجاد وروح المشيئة للإعدام ويحوي هذا المتزل على علم الأرواح المدبرة للأجسام العلوية والسفلية وما حكمها في الأجسام النورية وأن حكمها فيها تشكّلها في الصور خاصة كما أن حكمها في الأجسام الحيوانية الإنسانية التشكل في القوة الخيالية مع غير هذا من الأحكام فإن الأجسام النورية لا خيال لها بل هي عين الخيال والصور تقلبها عن أرواحها المدبرة لها وهو علم شريف وكما لا يخلو خيال الإنسان عن صورة كذلك ذات الملك لا تخلو عن صورة وهو علم شريف يحوي على أسرار كثيرة ويبد هذه الأرواح تعيين الأمور التي يريدها الحق بهذه الأجسام كلها فالإنسان عالم بجميع الأمور الحقية فيه من حيث روحه المدبر وهو لا يعلم أنه يعلم فهو بمنزلة الساهي والناسي والأحوال تذكره والمقامات والمنازل وقد قالها الحكيم في التقسيم الرباعي وهو الرجل الذي يدري ولا يدري أنه يدري فذلك الناسي فذكروه وفي هذا المتزل علم الصيحتين اللتين بالواحدة منهما يصعق العالم أصحاب السماع والأخرى يفيقون فيفزعون إلى ربهم تسمى نفخة البعث ونفخة الفزع وفيه علم القلوب وسرعة تقلبها وفيه علم البصيرة والبصر وما يتجلى لكل

واحد منهما وفيه علم الإعادة وكيفيته وماذا يراد منه وما لا يرد فيه علم الدور والكور وهل يكون ذلك في الصور أو في الأعيان الحاملة للصور وفيه علم اختصاص القيومية بالتبديل وفيه علم الكلام الإلهي المسموع بالأذن لا المسموع بالقلب في المواد الثواني وفيه علم الكبرياء الموجود في الثقيلين خاصة ولما اختص بهما دون سائر الموجودات وما الحقيقة التي أعطتهما ذلك وهل هو في الجن كما هو في الإنس أو يختلف السبب فيكون سببه في الإنسان وجوده على الصورة الكاملة ويكون في الجن كونه من نار وعلى من تكبر الإنسان وعلى من تكبر الجن وفيه علم ما يزول به هذا الكبرياء من العالمين وفيه علم الإعجاز وتفاضل الأمر المعجز وما يبقى منه وما لا يبقى وهل له حد ينتهي إليه أم لا ولماذا يرجع هل إلى الصرف أم لغير الصرف فإن كان إلى الصرف فهل إذا انقضى زمان الدعوى في عين ذلك الفعل وانفصل المجلس هل يقدر المنازع على الإتيان بذلك وإذا أتى هل يقدر في الدعوة الأولى من المتحدي أم لا يقدر وفيه ما السبب المانع من الرجوع إلى الحق بعد العلم به وهل ذلك علم أو ليس بعلم وفيه علم ما يفر إليه الفار مما يهوله وإلى أين يفر مع علمه بأن الذي يفر إليه منه يفر فماداً يحركه ويدعوه إلى الفرار مع هذا العلم وفيه علم الاعتبار ومن أهله ولماذا وضعه الله في العالم وأمر به وما المطلوب منه وفيه علم الخلق ولماذا خلق هل من أجل الإنسان أو من أجل الحيوان أو من أجلهما وفيه علم الآخرة وما فيها في الموقف وعلم الجنة والنار وعلم الصفات التي تطلب كل واحدة منهما وفيه إباحة التشريع للإنسان بالأمر والنهي في نفسه لا في غيره وأنه إن خالف ما تأمر به نفسه أو تنهي عوقب أو غفر له مثل ما هو حكم الشارع ومن أي حضرة صح له ذلك وهل لها ذوق في النبوة أو هي نبوة خاصة لا نبوة الأنبياء المحجورة وفيه علم منتهى القيامة وفيه علم طي الزمان فهذا جميع ما يتضمنه هذا المنزل من أجناس العلوم وتحت كل جنس من العلوم وأنواعها على حسب ما تعطى تقاسيم كل جنس ونوع منها فلنذكر منها مسألة واحدة أو ما تيسر كما عملنا في كل منزل والله المؤيد والعاصم لا رب غيره فمن الأحوال التي يتضمنها هذا المنزل حال الإنسان قبل أخذ الميثاق عليه وهو الحال الذي كان

فيها صلى الله عليه وسلم حين عرف بنبوته قبل خلق آدم عليه السلام وقد ورد ذلك في الخبر عنه صلى الله عليه وسلم فقال كنت نبياً وآدم بين الماء والطين فكان له التعريف في تلك الحالة وذلك أن هذه النشأة الإنسانية كانت مبثوثة في العناصر ومراتبها إلى حين موتها التي يكون عليها في وجود أعيان أجسامها معلومة معينة في الأمر المودع في السموات لكل حالة من أحوال التي تتقلب فيها في الدنيا صورة في الفلك على تلك الحالة قد أخذ الله بأبصار الملائكة عن شهودها مكتنفة عند الله في غيبه معينة له سبحانه لا تعلم السموات بما مع كونها فيها وقد جعل الله وجود عينها في عالم الدنيا في حركات تلك الأفلاك فمن الناس من أعطى في ذلك الموطن شهود نفسه ومرتبته إما على غاياتها بكما لها وإما يشهد صورة ما من صورته وه عين تلك المرتبة له في الحياة الدنيا فيعلمها فيحكم على نفسه بما وهنا شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نبوته ولا ندري هل شهد صورة جميع أحواله أم لا فالله أعلم قال تعالى وأوحى في كل سماء أمرها وهذا من أمرها وشأنها حفظ هذه الصور إلى وصول وقتها فتعطيها مراتبها في الحياة الدنيا تلك الصورة الفلكية من غير أن تفقد منها ذلك تقدير العزيز العليم وهذه الصور كلها موجودة في الأفلاك التسعة وجود الصورة الواحدة في المرايا الكثيرة المختلفة الأشكال من طول وعرض واستقامة وتعويج واستدارة وتربيع وتثلث وصغر وكبر فتختلف صور الأشكال باختلاف المجلى والعين واحدة فتلك صور المراتب حكمت على تلك العين كما حكمت أشكال المرايا على الصورة فالعارف من عرف ذاته لذاته من غير مجلى وإن كان بهذه المثابة لم تؤثر فيه المراتب إذا نالها كما قال صلى الله عليه وسلم وهو في المرتبة العليا أنا سيد ولد آدم ولا فخر فلم تحكم فيه المرتبة وقال في كل وقت وهو في مرتبة الرسالة والخلافة إنما أنا بشر مثلكم فلم تحجبه المرتبة

عن معرفة نشأته وسبب ذلك أنه رأى لطيفته ناظرة إلى مركبها العنصري وهو متبدد فيها فشاهد ذاته العنصرية فعلم أنها تحت قوة الأفلاك العلوية ورأى المشاركة بينها وبين سائر الخلق الإنساني والحيوان والنبات والمعادن فلم ير لنفسه من حيث نشأته العنصرية فضلاً على كل من تولد منها وأنه مثل لهم وهم أمثال له فقال إنما أنا بشر مثلكم ثم رأى افتقاره إلى ما تقوم به نشأته من الغذاء الطبيعي كسائر المخلوقات الطبيعية فعرف نفسه فقال يا أبا بكر ما أخرجك قال الجوع قال وأنا أخرجني الجوع فكشف عن حجرين قد وضعهما على بطنه يشد بهما أمعاءه وكان يتعوذ من الجوع ويقول إنه بئس الضجيع صلى الله عليه وسلم فقد عرفت أن قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبياً وآدم بين الماء والطين إنما كان هذا القول بلسان تلك الصورة التي فيها من جملة صور المراتب فترجم لنا في هذه الدار عن تلك الصورة فهذا من أحوال الخلق ولنا صور أيضاً فوق هذا لم نذكرها لأنه ليس لنا استرواح من قول شارع ولا من دليل عقلي نركن إليه في تعريفنا إياك بما فسكتنا عنها وإلا فلنا صورة في الكرسي وصورة في العرش وصورة في الميولى وصورة في الطبيعة وصورة في النفس وصورة في العقل وهو المعبر عنهما باللوح والقلم وصورة في العماء وصورة في العدم وكل ذلك معلوم مرئي مبصر لله تعالى وهو الذي يتوجه عليه خطاب الله إذا أراد إيجاد مجموعنا في الدنيا بكن فبنادر ونجيب إلى الخروج من حضرة العدم إلى حضرة الوجود فينصبغ بالوجود وهو قوله تعالى صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون" أي أذلاء خاضعون ونحن في كل ما ذكرنا لنا حال تتميز به في ذلك المقام وحالنا هو عين صورتنا فيه فما أوسع ملك الله وما أعظمه وكل ما ذكرناه في جنب الله كالأشياء ومن الأحوال أيضاً التي ترد على قلوبنا حال كوننا في الميثاق الذي أخذه ربنا علينا قال تعالى وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى أنت ربنا فلولاك ما كان لنا وجود في صورة آدم العنصرية معينين مرئيين متميزين عند الله في علمه ورؤيته وعندنا ما قلنا بلى أنت ربنا فأخلصنا له التوجه وكيف لا نخلص ونحن في قبضته مشاهدة عين محصورين والله بكل شيء محيط فاعلم أن آدم عليه السلام لما أوجده الله وسواه كما سوى الأفلاك وجميع الحضرات التي ذكرنا جعل لنا في صورته

صورةً مثل ما فعل فيما تقدم من المخلوقات ثم قبض على تلك الصور المعينة في طهر آدم وآدم لا يعرف ما يحوي عليه كما أنه كل صورة لنا في كل فلك ومقام لا يعرف بها ذلك الفلك ولا ذلك المقام وإنه للحق في كل صورة لنا وجه خاص إليه من ذلك الوجه يخاطبنا ومن ذلك الوجه نرد عليه ومن ذلك الوجه نقر برؤيته فلو أخذنا من بين يدي آدم لعلمنا فكان الأخذ من ظهره إذ كان ظهره غيباً له وأخذه أيضاً معنا في هذا الميثاق من ظهره فإن له معنا صورة في صورته فشهد كما شهدنا ولا يعلم أنه أخذ منه أو ربما علم فإنه ما نحن على يقين من أنه لم يعلم بأنه أخذ منه ولا بأننا أخذنا منه ولكن لما رأينا أن الحضرات التي تقدمته لا تعلم بصورتنا فيها قلنا ربما يكون الأمر هنا كذلك فرحم الله عبداً وقف على علم ذلك أنه علم آدم أو لم يعلم فيلحق ذلك في هذا الموضوع من هذا الكتاب فإن بعد عن فهمك ما ذكرناه من تعداد الصور فقد ورد في الخبر المشهور الحسن الغريب أن الله تجلى لآدم عليه السلام ويداها مقبوضتان فقال له يا آدم اختر أيهما شئت فقال اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة قال فبسطها فإذا آدم وذريته فنظر إلي شخص من أضواءهم أو أضواءهم فقال من هذا يا رب فقال الله له هذا ابنك داود فقال يا رب كم كتبت له فقال أربعين سنة فقال يا رب وكم كتبت لي فقال الله ألف سنة فقال يا رب فقد أعطيته من عمري ستين سنة قال الله له أنت وذاك فما زال يعد لنفسه حتى بلغ تسعمائة وأربعين سنة فجاءه ملك الموت ليقبض روحه فقال له آدم أنه بقي لي ستون سنة فأوحى الله إلى آدم أي يا آدم إنك وهبتها لابنك داود فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي آدم فنسيت ذريته قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم فمن ذلك اليوم أمر بالكتاب والشهود فهذا آدم وذريته صور قائمة في يمين الحق وهذا آدم خارج عن تلك اليد وهو يصير صورته وصور ذريته في يد الحق فمالك تقر به في هذا الموضع وتنكره علينا فلو كان هذا محالاً لنفسه لم يكن واقعاً ولا جائزاً بالنسبة إذ الحقائق لا تتبدل فاعلم ذلك وأكثر من هذا التأنيس ما أقدر لك عليه فلا تكن ممن قال الله فيهم صم بكم عمي فهم لا يرجعون صم بكم عمي فهم لا يعقلون وأخذ الله الصور من ظهر آدم وآدم فيهم وأشهدهم على أنفسهم بمحصر من المأل الأعلى والصور التي لهم في كل مجلى ألت بركم قالوا بلى فشهد على نطقهم من حضر ممن ذكرنا بالإقرار برؤيته عليهم وعبوديتهم له فلو كان له شريك فيهم لما أقروا بالملك له مطلقاً فإن ذلك موضع حق من أجل الشهادة فنفس إطلاقهم بالملك له بأنه رهم هو عين نفي الشريك وإنما قلنا ذلك لأنه لم يجر للتوحيد هنا لفظ أصلاً ولكن المعنى يعطيه ولما كان الموت سبباً لتفريق المجموع وفصل الاتصالات وشتات الشمل سمي التفريق الذي هو بهذه المثابة موتاً فقال تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم أي كنتم متفرقين في كل جزء من عالم الطبيعة فجمعكم وأحياكم ثم يميتكم أي يردكم متفرقين أرواحكم مفارقة لصور أجسامكم ثم يحييكم الحياة الدنيا ثم إليه ترجعون بعد مفارقة الدنيا وإن الله سيذكر عباده يوم القيامة بما شهدوا به على أنفسهم في أخذ الميثاق فيقولون ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل أي كما قبلنا حياة بعد موت وموتاً بعد حياة مرتين فليس بمحال أن نقبل ذلك مراراً فطلبوا من الله أن يمن عليهم بالرجوع إلى الدنيا ليعملوا ما يورثهم دار النعيم وحين قالوا هذا لم يكن الأمد المقدر لعذابهم قد انقضى ولما قدر الله أن يكونوا أهلاً للنار وأنه ليس لهم في علم الله دار يعمرونها سوى النار قال تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه حتى يدخلوا النار باستحقاق المخالفة إلى أن يظهر سبق الرحمة الغضب فيمكنون في النار مخلدين لا يخرجون منها أبداً على الحالة التي قد شاءها الله أن يقيمهم عليها وفيها يرد الله الذرية إلى أصلاب الآباء إلى أن يخرجهم الله إلى الحياة الدنيا على تلك الفطرة فكانت الأصلاب قبورهم إلى يوم يبعثون من بطون أمهاتهم ومن ضلع آبائهم في الحياة الدنيا ثم يموت منهم من شاء الله أن يموت ثم يبعث يوم القيامة كما وعد واختلف أصحابنا في الإعادة هل تكون على صورة ما أوجدنا في الدنيا من التناسل شخصاً عن شخص كما قال كما

بدأ كم تعودون بجماع وحمل وولادة في آن واحد للجميع وهو مذهب أبي القاسم بن قسي أو يعودون روحاً إلى جسم وهو مذهب الجماعة والله أعلم واعلم أن من الأحوال التي هي أمهات في هذا الباب فإن تفاصيل الأحوال لا تحصى كثرة ولكن نذكر منها الأحوال التي تجري مجرى الأمهات فمنها أحوال الفطرة التي فطر الله الخلق عليها وهو أن لا يعبدوا إلا الله فبقوا على تلك الفطرة في توحيد الله فما جعلوا مع الله مسمى آخر هو الله بل جعلوا آلهة على طريق القرية إلى الله ولهذا قال قل سموهم فإنهم إذا سموهم بان أنهم ما عبدوا إلا الله فما عبد كل عابد إلا الله في المحل الذي نسب الألوهية له فصح بقاء التوحيد لله الذي أقروا به في الميثاق وإن الفطرة مستصحبة والسبب في نسب الألوهية لهذه الصور المعبودة هو أن الحق لما تجلى لهم في أخذ الميثاق تجلى لهم في مظهر من المظاهر الإلهية فذلك الذي أجراًهم على أن يعبدوه في الصور ومن قوة بقائهم على الفطرة أنهم ما عبدوه على الحقيقة في الصور وإنما عبدوا الصور لما تخيلوا فيها من رتبة التقريب كالشفعاء وهاتان الحقيقتان إليهما مآل الخلق في الدار الآخرة وهما الشفاعة والتجلي في الصور على طريق التحول فإذا تمكنت هذه الحالة في قلب الرجل وعرف من العلم الإلهي ما الذي دعا هؤلاء الذين صفتهم هذا وأنهم تحت قهر ما إليه يؤولون تضرعوا إلى الله في الدياجي وتملقوا له في حقهم وسألوه أن يدخلهم في رحمته وإذا أخذت منهم النعمة حدها وإن كانوا عمار تلك الدار فليجعل لهم فيها نعيماً به إذ كانوا من جملة الأشياء التي وسعتهم الرحمة العامة

وحاشا الجناح الإلهي من التقيد وهو القائل بأن رحمته سبقت غضبه فلحق الغضب بالعدم وإن كان شيئاً فهم تحت إحاطة الرحمة الإلهية الواسعة وقد قال صلى الله عليه وسلم أن الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه تقول يوم القيامة إذا سئلوا في الشفاعة أن الله قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وهذا من أرحى حديث يعتمد عليه في هذا الباب أيضاً فإن اليوم الذي أشار إليه الأنبياء هو يوم القيامة ويوم القيامة هو يوم قيام الناس من قبورهم لرب العالمين قال تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين وفي ذلك اليوم يكون الغضب من الله على أهل الغضب وأعطى حكم ذلك الغضب الأمر بدخول النار وحلول العذاب والانتقام من المشركين وغيرهم من القوم الذين يخرجون بالشفاعة والذين يخرجهم الرحمن كما ورد في الصحيح ويدخلهم الجنة إذ لم يكونوا من أهل النار الذين هم أهلها ولم يبق في النار إلا أهلها الذين هم أهلها فعم الأمر بدخول النار كل من دخلها من أهلها ومن غير أهلها لذلك الغضب الإلهي لن يغضب بعده مثله فلو سرمد عليهم العذاب لكان ذلك عن غضب أعظم من غضب الأمر بدخولها وقد قالت الأنبياء أن الله لا يغضب بعد ذلك مثل ذلك الغضب ولم يكن حكمه مع عظم لك الغضب إلا الأمر بدخول النار فلا بد من حكم الرحمة على الجميع ويكفي من الشارع التعريف بقوله وأما أهل النار الذين هم أهلها ولم يقل أهل العذاب ولا يلزم من كان من أهل النار الذين يعمرونها أن يكونوا معذبين بها فإن أهلها وعمارها مالك وخزنتها وهم ملائكة وما فيها من الحشرات والحيات وغير ذلك من الحيوانات التي تبعث يوم القيامة ولا واحد منهم تكون النار عليه عذاباً كذلك من يبقى فيها لا يموتون فيها ولا يحيون وكل من ألف موطنه كان به مسروراً وأشد العذاب مفارقة الوطن فلو فارق النار أهلها لتعذبوا باغترابهم عما أهلوا له وإن الله قد خلقهم على نشأة تألف ذلك الموطن فعمرت الداران وسبقت الرحمة الغضب ووسعت كل شيء جهنم ومن فيها والله أرحم الراحمين كما قال عن نفسه وقد وجدنا في نفوسنا ممن جبلهم الله على الرحمة أنهم يرحمون جميع عباد الله حتى لو حكمهم الله في خلقه لا زالوا صفة العذاب من العالم بما تمكن حكم الرحمة من قلوبهم وصاحب هذه الصفة أنا وأمثالي ونحن مخلوقون أصحاب أهواء وأغراض وقد قال عن نفسه جل علاه أنه أرحم الراحمين فلا نشك أنه أرحم منا بخلقه ونحن قد عرفنا من نفوسنا هذه المبالغة في الرحمة فكيف يتسرمد عليهم العذاب وهو بهذه الصفة العامة من الرحمة أن الله أكرم من ذلك ولا سيما وقد قام الدليل العقلي على أن الباري لا تنفعه الطاعات ولا تضره المخالفات وأن كل

شيء جار بقضائه وقدره وحكمه وأن الخلق مجبورون في اختيارهم وقد قام الدليل السمعي أن الله يقول في الصحيح يا عبادي فأضافهم إلى نفسه وما أضاف الله قط العباد لنفسه إلا من سبقت له الرحمة أن لا يؤبد عليهم الشقاء وإن دخلوا النار فقال يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم اجتمعوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم اجتمعوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً فقد أخبر بما دل عليه العقل أن الطاعات والمعاصي ملكه وأنه على ما هو عليه لا يتغير ولا يزيد ولا ينقص ملكه مما طرأ عليه وفيه فإن الكل ملكه وملكه ثم قال من تمام هذا الخبر الصحيح يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد وسألوني فأعطيت كل واحد منكم مسألة ما نقص ذلك من ملكي شيئاً الحديث ولا شك أنه ما من أحد إلا وهو يكره ما يؤلمه طبعاً فما من أحد إلا وقد سأله أن لا يؤلمه وأن يعطيه اللذة في الأشياء ولا يقدح ما أومأنا إليه فيه قوله في الحديث إذا تعلق به المنازع في هذه المسألة إدخال لوفى ذلك قد علم وقوعه بالضرورة من كل مخلوق فإن الطبع يقتضيه والسؤال قد يكون قولاً وحالاً كبكاء الصغير الرضيع وإن لم يعقل عند وجود الألم الحسي بالوجع أو الألم النفسي بمخالفة الغرض إذا منع من الثدي وقد أخذت المسألة حقها والأحوال

التي ترد على قلوب الرجال لا تخصى كثرة وقد أعطيناك منها في هذا الكتاب أنموذجاً وعلى هذا الأسلوب تكون الأحوال المنسوبة إلى الرجال وأما الأحوال في نفوسها فلها الحكم العام في كل شيء ولها الوجود الدائم في كل شيء ففعل الحال يسمى الدائم ويتعلق بالقديم والمحدث قال تعالى سنفرغ لكم أيه الثقلان فهذا من الحال إن كنت تعلم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى السفر العشرون من الفتوحات المكية.

الباب السادس وثلاثمائة في معرفة منزل اختصاص الملائكة الأعلى

من الحضرة الموسوية

تخاصم الملائكة العلوي برهان
على تناسبنا في أصل خلقتنا
إن الطبيعة دون النفس موضعها
وإن تولد عن روح وعن فلك
مع اعتراض بدا منهم ونسيان
في الطبع وهو كمال فيه نقصان
فحكمها في الهباء الكل جثمان
عناصر هي في الأبيات أركان

فكل جسم له روح مدبرة
وكل جسم فإن الطبع يحكمه
فانظر ترى عجباً إذ ليس يخرج عن
وما أن قلت هذا بل أنتك به
من طبعه فهو نواًم ويقظان
فالجسم والروح تتور وبركان
حكم الطبيعة أملاك وإنسان
الأنبياء وتوراة وقرآن

وأما ما يتضمنه هذا المنزل من العلوم علم المقامات مقامات الملائكة من العالم ومرتبتهم وهل يعلم ذلك هنا أو في الدار الآخرة وعلم المقام الذي ظهر منه في العالم على الخلاف الواقع في العالم والحدلي وما له من أحوال الأسماء الإلهية المعارضة كالغفار والمنتقم إذا طلب كل واحد منهما حكمه في العاصي وعلم الأرض ولأي سبب وجدت وعلم الجبال وهل هي من الأرض أم لا وهل وجدت دفعة أو كما ذهبت إليه الحكماء وعلم النكاح الساري في العلم العقلي والمعنوي والحسي والحيواني وعلم النوم وهل هو في الجنة أم لا وهل له حكم في العلم الإلهي وعلم الليل والنهار واليوم والزمان وعلم السموات وعلم الشمس وعلم المولدات وعلم الغيوب وعلم الآخرة وما يتعلق به من تفاصيله وعلم الأسباب الأخروية وعلم كلام الرحمن وهل ينسب إليه الكلام كما ينسب إلى الاسم الله أم لا وعلى السكتة العامة وعلم ما جاءت به الرسل من التعريفات لا من الأحكام فهذه أمهات المسائل من العلوم التي يتضمنها هذا المنزل فلنذكر منها ما يسر الله على لساني والله المؤيد سبحانه والمعين وعليه أتوكل وبه أستعين يقول الله تعالى مخبراً عن نبيه صلى الله عليه وسلم ما كان لي من علم بالملائكة الأعلى إذ يختصمون ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم في أن اختصاص الملائكة الأعلى في الكفارات ونقل الأقدام إلى الصلاة في الجماعات وإسباغ الوضوء في المكاره والتعقيب في المساجد أثر الصلوات فمعنى ذلك أي هذه

الأعمال أفضل ومعنى أفضل على وجهين الواحد أي الأعمال أحب إلى الله من هذه الأعمال والوجه الآخر أي الأعمال أعظم درجة في الجنة للعامل بها وأما أسرار هذه الأعمال فهي التي يطلبها هذا المتزل فاعلم ابتداء أن الملائكة عليهم السلام لو لم تكن الأنوار التي خلقت منها موجودة من الطبيعة مثل السموات التي عمرتها هؤلاء الملائكة فإنها كانت دخاناً والدخان والبخار من عالم الطبيعة فالبخار غايته دون دائرة الزمهير وذلك أن الأبخرة إنما تصعد بما فيها من الحرارة وتزل عن الدخان بما فيها من الرطوبة فإن الأبخرة عن الحرارة التي في الأرض فإن هذه العناصر مركبة من الطبائع الأربع غير أنه ما هي في كل واحدة منها على الاعتدال فما غلب عليه برده ورطوبته سمي ماء وكذلك ما بقي فالبخار الخارج من الماء والأرض إنما هو بما فيهما من الحرارة وإنما علا الدخان فوق كرة الأثير لغلبة الحرارة واليبوسة عليه لأن كمية الحرارة واليبس فيه أكثر من الرطوبة ولذلك كانت السموات أجساماً شفافة وخلق الله عمار كل فلك من طبيعة فلكه فلذلك كانت الملائكة من عالم الطبيعة ونعتوا بأنهم يختصمون والخصام لا يكون إلا فيمن ركب من الطبائع لما فيها من التضاد فلا بد فيمن يتكون عنها أن يكون على حكم الأصل فالنور الذي خلقت منه الملائكة نور طبيعي فكانت الملائكة فيها الموافقة من وجهه المخالفة من وجهه فهذا سبب اختلاف الماء الأعلى فيما يختصمون فيه فلو أن الله يعلمهم بما هو الأفضل عنده من هذه الأعمال والأحب إليه ما تنازعوا ولو أنهم يكشفون ارتباط درجات الجنان بهذه الأعمال لحكموا بالفضيلة للأعلى منها وإنما الله سبحانه غيب عنهم ذلك فهم في هذه المسألة بمنزلة علماء البشر إذا قعدوا في مجلس مناظرة فيما بينهم في مسألة من الحيض الذي لا نصيب لهم فيه بخلاف المسائل التي لهم فيها نصيب وإنما قلنا ذلك لأن الكفارات إنما هي لإحباط ما خالف به المكلف ربه من أوامره ونواهيه والملائكة قد شهد الله لهم بالعصمة إنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون به وما بلغنا أن عندهم نهي وإن لم يعصوا وكانوا مطيعين فليس لهم في أعمال الكفارات قدم فهم يختصمون فيما لا قدم لهم فيه وكذلك ما بقي من الأعمال التي لا قدم لهم فيها فهم مطهرون فلا يتطهرون فلا يتصفون في طهارتهم بالإسباغ والإبلاغ في ذلك وغير الإسباغ وكذلك المشي إلى مساجد الجماعات لشهود الصلوات ليس لهم هذا العمل فإن قلت فإنهم يسعون إلى مجالس الذكر ويقول بعضهم لبعض هلموا إلى يغيتكم فاعلم أن الذكر ما هو عين الصلاة ونحن إنما نتكلم عن عمل خاص في الجماعة ليس لهم فيه دخول مثل ما لبني آدم فإنهم ليسوا على صور بني آدم بالذات وإنما لهم التشكل فيهم وقد علم جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات بالفعل وتلك

من جبريل حكاية يحكيها للتعليم والتعريف بالأوقات وأما التعقيب أثر الصلوات فإنما ذلك للمصلين على هذه الهيئة المخصوصة التي ليست للملائكة فما اختصموا في أمر هو صفتهم فلهذا ضربنا مسألة الحيض مثلاً وسبب ذلك أن الملائكة تدعو بني آدم في لماقها إلى العمل الصالح وترغبهم في الأفضل فلهذا اختصمت في الأفضل حتى تأمرهم به وبعد أن نبهناك على سبب الخصام فلنبين لك ما اختصموا فيه فاعلم أن الكفارات إنما شرعت لتكون حجباً بين العبد وبين ما عرض إليه نفسه من حلول البلايا بالمخالفات التي عملها مأموراً كان بذلك العمل أو منهياً عنه فإذا جاء المنتقم بالبلاء المتزل الذي تطلبه هذه المخالفة وجدت هذه الأعمال قد سترته في ظل جناحها واكتنفته وصارت عليه جنة ووقاية والاسم الغفار حاكم هذه الكفارات فلم يجد البلاء منفذاً فلم ينفذ فيه الوعيد لغلبة سلطان هذا العمل المسمى كفارة والكفر الستر ومنه سمي الزراع كافراً لأنه يستر البذر في الأرض ويغطيه بالتراب وقد أشار إلى ذلك صلى الله عليه وسلم حيث قال في الزاني أن الإيمان يخرج منه حتى يصير عليه كالظلة فإذا أقبل رجوع إليه الإيمان وذلك أن الزاني أو المخالف في حال الزنا يطلبه البلاء والعقوبة من الله أما في حال الزنا أو عقبه فإن كان في حال الزنا فله من البلاء على قدر

ما مضى فيه فإنه قد يطرأ عارض يمنعه من تمام الفعل وهو إنزال الماء أو خروج الذكر من الفرج فيجد الإيمان على الزاني كالظلمة وهو حجاب قوي فلا يستطيع النفاذ معه ولا الوصول إليه فإذا كان الزاني في حال الزنا محفوظاً معصوماً من البلاء لشرف الإيمان في الدنيا فما ظنك به في الآخرة فإن صولته في الآخرة أتم من حكمه في الدنيا فالكفارات كلها جنن هذه مرتبتها لا تزيد عليها وما زاد على ذلك من درجة في الجنة أو منزلة فهو ما خرج في ذلك العمل من حد كونه كفارة والكفارة لا ترفع الدرجات وإنما هي عواصم من هذه القواصم وأما قوله كفارات جمع كفارة ببنية المبالغة أنباء بذلك على أنه لصورة العمل الواحد أنواع كثيرة من البلاء وذلك لأن العمل يتضمن حركات مختلفة ولكل حركة بلاء خاص من عند الله فيكون هذا العمل المكفر له في كل بلاء تطلبه المخالفة سترًا يستره به من الوصول إليه والتأثير فيه فهو وإن كان مفرد اللفظ فهو متكرر في المعنى وكذلك عمل الكفارة فهو واحد من حيث الاسم وهو كثير من حيث أجزاؤه فإن كان العمل لا يتجزى كالتوبة التي هي مكفرة فالبلاء الخاص الذي تدفعه هذه التوبة هو بلاء واحد لا تعداد فيه ولا كثرة فإن الأمور الإلهية تجري على موازين إلهية قد وضعها الله في العالم ولا سيما في العقوبات فلا تطفيف فيها أصلاً وإذا كان الشيء الواحد وإن لم يكن معصية كفارات مختلفة مثل الحاج يلحق رأسه لأذى يجده أو المتمتع المظاهر أو من حلف على يمين فرأى خيراً منها فإن مثل هذا له كفارات مختلفة أي عمل مكفر فعل سقط عنه الآخر فقام هذا العمل الواحد مقام ما بقي مما سقط عنه فإن كانت اليمين غموساً فإن الكفارة فيه ككفارة سائر الخطايا فيتصور خطاب الملائكة أي كفارات التخيير أولى بأن يفعل أو لماذا تكون كفارة وما عمل شيئاً تجب أو تتوجه فيه العقوبة حتى تكون هذه الكفارة تدفعه فعن أي شيء تستره فالملأ الأعلى يختصمون في مثل هذا أيضاً فالعالم صاحب الميزان ينظر في الذي وقع عليه اليمين فيخرج من الكفارة المخير فيها ما يناسب ما حلف عليه ما لم يكن فيها فمن لم يجد وكذلك في الفداء وهذا كله مما يكون فيه النظر ويؤدي إلى التنازع فالظاهر من هذا الأمر أن الملائكة لهم نظر فكري يناسب خلقهم ولهذا من الحقائق الإلهية قوله تعالى يدبر الأمر يفصل الآيات ثم ختم الآية لعلكم بلقاء ربكم توقنون أي تثبتون على موازين الحكم ومما يؤيد هذه الحالة قوله تعالى في الأخبار الإلهية ما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي الحديث فوصف نفسه بالتردد الذي يوصف به المحدث من القوة المفكرة وهو في الملائكة اختصاصهم فيما ذكرنا فإن كنت ذا فهم فانظر فيما دللنا به من الخبر الإلهي الصحيح وأما قوله في خصامهم في نقل الأقدام أو السعي إلى الجماعات له من الحقائق الإلهية من تقرب إلى شيراً تقربت إليه ذراعاً ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً ومن أتاني يسهى أتيته هرولة وقوله تعالى ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير

منهم وقوله يتزل ربنا إلى سماء الدنيا فافهم مناسبة هذه الصفة العملية من بني آدم من الحقائق الإلهية فكلامهم في مثل هذه أي الحقائق الإلهية أقرب مناسبة لهذا الفعل فاختلفوا وكذلك قول إسباغ الوضوء على المكاره له من الحقائق الإلهية قوله تعالى في الأخبار الإلهية في قبضه نسمة عبده المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته فوصف نفسه بأنه يكره وكذلك من هذه الحقيقة يسبغ المؤمن الوضوء على كره منه من أجل شدة البرد فله الأجر أجر الكراهة من هذه الحقيقة الإلهية وكذلك قوله فيما يختصمون فيه التعقيب وهو الجلوس في المسجد بعد الفراغ من الصلاة له من الحقائق الإلهية قوله تعالى سنفرغ لكم أيه الثقلان وما تفرغ لنا إلا منا قال تعالى يسأله من في السموات ومن في الأرض كل يوم هو في شأن فالعبد إذا فرغ من الصلاة فقعده في المسجد يذكر ربه تعالى عقيب الصلاة فانتقل من مناجاته في حالة ما إلى مناجاته في حالة غيرها في بيت واحد فمن مقام سنفرغ لكم يكون له الميزان على هذا

العمل فقد ارتبطت هذه الأعمال بالحقائق الإلهية التي وقعت فيها المناظرة بين الملائكة الأعلى وفيها تفاصيل يطول ذكرها من المناسبات والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السابع وثلاثمائة في معرفة منزل تنزل الملائكة على الموقف المحمدي

من الحضرة الموسوية المحمدية

ومرت سحيراً بالرياض فنمت

وهل حبهم فيها كمثل محبتي

على السنة المثلى دليل تتمنى

وأخفيت فيكم سر علمي وحكمتي

ومن كان أعمى فهو من أصل حيرتي

وكل كيان فهو من أصل نشأتي

تنسمت أرواح العلى حين هبت

أفي عالم الأنفاس من هو مثلنا

فقال لسان الحق أن مسيركم

فأظهرت عنكم سر جودي ونقمتي

فمن كان ذا عين يرى ما جلوته

فكل مقام فهو من عين جوده

اعلم أيها الولي الحميم أن الله جعل من السماء إلى الأرض معارج على عدد الخلائق وما في السموات موضع قدم إلا وهو معمور بملك يسبح الله ويذكر بما قد حد له من الذكر والله تعالى في الأرض من الملائكة مثل ذلك لا يصعدون إلى السماء أبداً وأهل السموات لا يتزلون إلى الأرض أبداً كل قد علم صلاته وتسيحه وأن الله تعالى أرواحاً من الملائكة الكرام مسخرة قد ولاهم الله تعالى وجعل بأيديهم ما أوحى الله في السموات من الأمور التي قد شاء سبحانه أن يجريها في عالم العناصر وجعل سبحانه معارج الملائكة من الكرسي إلى السموات يتزلون بالأوامر الإلهية المخصوصة بأهل السموات وهي أمور فرقانية وجعل من العرش إلى الكرسي معارج للملائكة يتزلون إلى الكرسي بالكلمة الواحدة غير منقسمة إلى الكرسي فإذا وصلت الكلمة واحدة العين إلى الكرسي انفرقت فرقاً قدر ما أراد الحمن أن يجري منها في عالم الخلق والأمر ومن النفس رقائق ممتدة إلى العرش منقسمة إلى فرقتين للقيوتين اللتين النفس عليهما وهو اللوح المحفوظ وهو ذو وجهين وتلك الرقائق التي بين اللوح والعرش بمثابة المعارج للملائكة والمعاني النازلة في تلك الرقائق كالملائكة ومن النفس التي هي اللوح إلى العقل الذي هو القلم توجهات استفادة ومن العقل إليها توجهات إفادة ذاتية لا اختيار له فيها يحصل عن تلك التوجهات من العلوم للنفس بما يكون في الكون ما لا يحصى كثرة ومن العقل إلى الله افتقار ذاتي ومن الله إلى العقل امتداد ذاتي عن تجلي إرادتي فيعلم من علوم التفصيل في ذلك التجلي الإجمالي ما يزيد فقر إلى فقره وعجز إلى عجزه لا ينفك ولا يبرح على هذه الحالة فيتزل الأمر الإلهي في ذلك التجلي الإرادي بالإمداد الذاتي إلى العقل فيظهر في التوجهات العقلية إلى التوجهات النفسية ذلك الأمر الإلهي بصورة عقلية بعدما كان في صورة أسمائية فاختلقت على ذلك الأمر الإلهي الصور بحسب الموطن الذي تنزل إليه فينصبغ في كل منزل صبغة ثم يتزل ذلك الأمر الإلهي في الرقائق النفسية بصورة نفسية لها ظاهر وباطن وغيب وشهادة فتتلقاه الرقائق الشوقية العرشية فتأخذ منها فينصبغ في العرش صورة عرشية فيتزل في المعارج إلى الكرسي على أيدي الملائكة وهو واحد العين غير منقسم في عالم الخلق وقد كان نزل من النفس إلى العرش منقسماً انقسام عالم

الأمر فلما انصبغ بأول عالم الخلق وهو العرش ظهر في وحدانيته الخلق وهو أول وحدانية الخلق فهو من حيث الأمر منقسم ومن حيث الخلق واحد العين كالصوت الخارج من الصدر إلى خارج الفم عين واحدة لا يظهر فيه كمية أصلاً فتقسمه المخارج إلى حروف متعددة تزيد على السبعين وهو عين ذلك الصوت الواحد فينصبغ ذلك الأمر الإلهي في الكرسي بصورة غير الصورة التي كان عليها وما من صورة ينصبغ فيها ويظهر بها إلا والأخرى التي كان عليها مبطونة فيه لا تزول عنه والأولى أبداً من كل صورة روح للصورة التي تظهر فيها من أول الأمر إلى آخر منزل تلك الروح تمد هذه الصورة الظاهرة فيترل الأمر الإلهي من الكرسي على معراجيه إلى السدرة إن كان لعالم السموات القصد وإن كان لعالم الجنان لم يترل من ذلك الموضع وظهر سلطانه في الجنان بحسب ما نزل إليه أما في حورها أوفى أشجارها أوفى ولدانها أو حيث عين له من الجنان فإذا نزل إلى السموات على معراجيه نزلت معه ملائكة ذلك المقام النازل منه ومعه قوى أنوار الكواكب لا تفارقه فتلقاه ملائكة السدرة فتأخذه من الملائكة النازلة به وترجع تلك الملائكة بما تعطيها ملائكة السدرة من الأمور الصاعدة من الأرض فتأخذها وترجع بها وتبقى أرواح الكواكب معه فإن كان فيه ما تحتاج الجنة إليه من جهة ما فيها من النبات أخذته من السدرة العلية وفروعها في كل دار في الجنة وهي شجرة النور وإليها تنتهي حقائق الأشجار العلوية الجنانية والسفلية الأرضية وأصولها شجرة الزقوم وفروع أصلها كل شجر مر وسموم في عالم العناصر كما أن كل نبات طيب حلو المذاق فمن ظاهر السدرة في الدنيا والجنة فهذه السدرة عمرت الدنيا والآخرة فهي أصل النبات والنمو في جميع الأجسام في الدنيا والجنة والنار وعليها من النور والبهاء بحيث أن يعجز عن وصفها كل لسان من كل عالم ثم إن الأمر الإلهي يتفرع في السدرة كما تتفرع أغصان الشجرة ويظهر فيه صور الثمرات بحسب ما يمدد من العالم

الذي يترل إليه وقد انصبغ بصورة السدرة فيترل على المعراج إلى السماء الأولى فيتلقاه أهلها بالترحيب وحسن القبول والفرح ويتلقاه من أرواح الأنبياء والخلق الذين قبضت أرواحهم بالموت وكان مقرها هنالك وتتلقاهم الملائكة المخلوقة من همم العارفين في الأرض وتجدهنالك نهر الحياة يمضي إلى الجنة فإن كان له عنده أمانة ولا بد منها في كل أمر إلهي فإن الأمر الإلهي يعم جميع الموجودات فيلقيه في ذلك النهر مثل ما أعطى السدرة فيجري به النهر إلى الجنان وفي كل نهر يجده هنالك مما يمضي إلى الجنة وهنالك يجد النيل والفرات فيلقني إليهما ما أودع الله عنده من الأمانة التي ينبغي أن تكون لهما فتترل تلك البركة في النهرين إلى الأرض فإليهما من أنهار الأرض ويأخذ أرواح الأنبياء وملائكة الهمم وعمار السماء الأولى منه ما بيده مما نزل به إليهم ويدخل البيت المعمور فينتهج به وتسطع الأنوار في جوانبه وتأتي الملائكة السبعون ألفاً الذين يدخلونه كل يوم ولا يعودون إليه أبداً وهم ملائكة قد خلقهم الله من قطرات ماء نهر الحياة فإن جبريل عليه السلام ينغمس في نهر الحياة كل يوم غمسة فيخرج فينتفض كما ينتفض الطائر فيقطر منه في ذلك الانتفاض سبعون ألف قطرة يخلق الله من كل قطرة ملكاً كما يخلق الإنسان من الماء في الرحم فيخلق سبعين ألف ملك من تلك السبعين ألف قطرة بسبعين ألف ملك الذين يدخلون البيت المعمور كل يوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح في البيت المعمور أنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبداً فانظر ما أوسع ملك الله ثم ينصب المعراج من السماء الأولى إلى السماء الثانية فيترل فيه الأمر الإلهي وهو على صورة السماء الأولى فينصبغ بصورة المعراج الذي يترل فيه ومعه الملائكة الموكلون به من السماء الأولى ومعه أرواح البروج والكواكب الثابتة كلها ويترل معه ملك من قوة كيوان لا بد من ذلك فإذا وصل إلى السماء الثانية تلقته ملائكتها وما فيها من أرواح الخلائق المتوفين وملائكة الهمم وقوة بهرام الذي في السماء الثانية فيعطيهم ما بيده لهم ويترل إلى الثالثة وهو على صورة الثانية فينصبغ بصورة السلم الذي يترل فيه والحال

الحال مثل ما ذكرنا إلى أن ينتهي إلى السماء السابعة وهي السماء الدنيا فإذا أدى إليهم ما بيده لهم ومعه قوة صاحب كل سماء فتحت أبواب السماء لنزوله ونزلت معه قوى جميع الكواكب الثوابت والسيارة وقوى الأفلاك وقوى الحركات الفلكية كلها وكل صورة انتقل عنها مبطونة فيه فكل أمر إلهي يتزل فهو اسم إلهي عقلي نفسي عرشي كرسي فهو مجموع صور كل ما مر عليه في طريقه فيخترق الكور ويؤثر في كل كرة بحسب ما تقبله طبيعتها إلى أن ينتهي إلى الأرض فيتجلى لقلوب الخلق فتقبله بحسب استعداداتها وقبولها متنوع وذلك هو الخاطر الذي تجدها الناس في قلوبهم فيها يسعون وبها يشتهون وبها يتحركون طاعة كانت تلك الحركة أو معصية أو مباحة فجميع حركات العالم من معدن ونبات وحيوان وإنسان وملك أرضي وسماوي فمن ذلك التجلي الذي يكون من هذا الأمر الإلهي النازل إلى الأرض فيجد الناس في قلوبهم خواطر لا يعرفون أصلها وهذا هو أصلها ورسله إلى جميع ما في العالم الذي نزل إليه ما نزل معه من قوى الكواكب وحركات الأفلاك فهؤلاء هم رسل هذا الأمر الإلهي إلى حقائق هؤلاء العالم فتنمو به الناميات وتحيى به أمور ويموت به أمور ويظهر التأثيرات العلوية والسفلية في كل عالم بتلك الرسل التي يرسلها في العالم هذا الأمر الإلهي فإنه كالملك فيهم ولا يزال يعقبه أمر آخر ويعقب الآخر آخر في كل نفس بتقدير العزيز العليم فإذا نفذ فيهم أمره وأراد الرجوع جاءته رسله من كل موجود بما ظهر من كل من بعثوا إليه صوراً قائمة فيلبسها ذلك الأمر الإلهي من قبيح وحسن ويرجع على معارجه من حيث جاء إلى أن يقف بين يدي ربه اسماً إلهياً ظاهراً بكل صورة فيقبل منها الحق ما شاء ويرد منها ما شاء على صاحبها في صور تناسبها فجعل مقر تلك الصور حيث شاء من علمه فلا يزال تتابع الرسل إلى الأرض على هذه المعارج كما ذكرنا فلنذكر من ذلك حال أهل الله مع هذا الأمر الإلهي إذا نزل إليهم وذلك أن الحق من أهل الله يعاين نزوله وتخلفه في الجو في الكور إذا فارق السماء الدنيا نازلاً ثلاث سنين وحينئذ يظهر في الأرض فكل

شيء يظهر في كل شيء في الأرض فعند انقضاء ثلاث سنين من نزوله من السماء في كل زمان فرد ومن هنا ينطق أكثر أهل الكشف بالغيوب التي تظهر عنهم فإنهم يرونها قبل نزولها ويخبرون بما يكون منها في السنين المستقبلية وما تعطيههم أرواح الكواكب وحركات الأفلاك النازلة في خدمة الأمر الإلهي فإذا عرف المنجم كيف يأخذ من هذه الحركات ما فيها من الآثار أصاب الحكم وكذلك الكاهن والعرافون إذا صدقوا وعرفوا ما يكون قبل كونه أي قبل ظهور أثر عينه في الأرض وإلا فمن أين يكون في قوة الإنسان أن يعلم ما يحدث من حركات الأفلاك في مجاريها ولكن التناسب الروحاني الذي بيننا وبين أرواح الأفلاك العالمين بما تجري به في الخلق يتزل بصورتها التي اكتسبته من تلك الحركات والأنوار الكوكبية على أوزانها فإن لها مقادير ما تخطئ وهمة هذا المنجم التعالمي وهمة هذا الكاهن قد انصبغت روحانيته بما توجهت إليه همته فوقعت المناسبة بينه وبين مطلوبه فأفاضت عليه روحانية المطلوب بما فيها في وقت نظره فحكم بالكوائن الطارئة في المستقبل وأما العارفون فإنهم عرفوا أن الله وجهاً خاصاً في كل موجود فهم لا ينظرون أبداً إلى كل شيء من حيث أسبابه وإنما ينظرون فيه من الوجه الذي لهم من الحق فينظر بعين حق فلا يخطئ أبداً فإذا نزل الأمر الإلهي على قلب هذا العارف وقد لبس من الصور بحسب ما مر عليه من المنازل كما قرناه فأول صورة كان ظهر بها للعقل الأول صورة إلهية أسمائية وهي خلف هذه الصور كلها وهذا العارف همه أبداً مصروف إلى الوجه الخاص الإلهي الذي في كل موجود بعين الوجه الخاص الإلهي الذي لهذا العارف الحق فينظر في ذلك الأمر من حيث الصورة الأولى الإلهية ويترك الوسائط ويتزل من تلك الصورة على جميع الصور من أعلى إلى أسفل وفي كل صورة ما ينظر إليها الأمن حيث ذلك الوجه الخاص بها بوجهه الخاص به إلى أن ينتهي على جميع الصور فيعرف من ذلك الأمر الإلهي جميع ما في العالم من العقل الأول إلى الأرض من

الأسرار الإلهية حيث يعلم الكاهن أو العراف وأمثال هؤلاء ما يكون في العالم العنصري خاصة من الحوادث ثم أن العارف يكسو ذلك الأمر الإلهي من حلل الأدب والحضور الإلهي في أخذه منه والنور والبهاء ما إذا صعد به الأمر الإلهي على معراجته تتعجب منه ملائكة السموات العلى فيباهي الله به ملائكته ويقول هذا عبد جعل في الحضيض وفي أسفل سافلين بالنسبة إليكم فما أثر فيه منزله ولا حكم عليه موطنه ولا حجبه عني كثرة حجه وخرق الكل ونظر إلي وأخذ عني فكيف به لو كان مثلكم بلا حجب ظلمانية كثيفة عنصرية فيقول السامعون المخاطبون سبحانه ذلك فضلك تختص به من تشاء من عبادك منة منك ورحمة وأنت ذو الفضل العظيم فلا يضاهي هذا العبد أحد من خلق الله إلا العقل الأول والملائكة المقربون المهيمون ما ثم قلب بهذه المثابة من هذا العالم إلا قلوب الأفراد من رجال الله كالخضر وأمثاله وهم على قدم محمد صلى الله عليه وسلم فهذا قد ذكرنا يسيراً من صورة تنزل الملائكة على قلب الحمدي الواقف ويتضمن هذا المنزل من العلوم علم الأرواح العلوية والأرواح البرزخية وعلم ما يفتح الله به على الصادق في طلب العلم النافع وعلم التمييز والترجيح وعلم الإلقاء واللقاء والكتابة وعلم القرآن وعلم ما يكون وعلم الغيب وعلم المقادير وعلم رد الأشياء إلى أصولها وعلم الذهاب وعلم الآخرة وعلم إلحاق الثاني بالأول وعلم نشئ العالم وعلم الاستقرار في المكان والمكانة وعلم الحياة وعلم طول العالم وعرضه وعمقه ومن أين اكتسبه وعلم حوادث الجو وما سببها وهي الآثار العلوية وعلم مواطن الصمت والكلام وعلم الجمع والتفرقة وهو من علم النسب وعلم دقائق المكر وعلم التقوى أي الذي تنتجه التقوى في قوله واتقوا الله ويعلمكم الله وأين منه قوله أن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً وعلم الإحسان أي ما ينتجه الإحسان وعلم الإمهال من اسمه الحليم وعلم الحقائق وعلم الخشوع وعلم منزلة كلام الله من كلام المخلوقين والله بكل شيء عليم فإنه أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الثامن وثلاثمائة في معرفة منزل اختلاط العالم الكلي

من الحضرة المحمدية

والذي قيل له لم يك ثم	عجبي من قائل كن لعدم
لتكن والكون ما لا ينقسم	ثم إن كان فلم قيل له
دل بالعقل عليها وحكم	فلقد أبطل كن قدرة من
قد بناء العقل بالكشف هدم	كيف للعقل دليل والذي
تك إنساناً رأى ثم حرم	فنجاة النفس في الشرع فلا
فاز بالخير عبيد قد عصم	واعتصم بالشرع في الكشف فقد
واتركنه مثل لحم في وضم	أهمل الفكر ولا تحفل به
به فيه تك شخصاً قد رحم	إن للفكر مقاماً فاعتضد

كل علم يشهد الشرع له

هو علم فيه فلمعتصم

وإن خالفه العقل فقل

طورك الزم ما لكم فيه قدم

إن لله علوماً جمة

نالها من لم يقل ما ثم لم

جهل التكيف فيها وانتفى

عن حماها رفعة سلطان كم

مثل ما قد جهل اللوح الذي

خط فيه الحق من علم القلم

اعلم أن الناس اختلفوا في مسمى الإنسان ما هو فقالت طائفة هو اللطيفة وطائفة قالت هو الجسم وطائفة قالت هو المجموع وهو الأولى وقد وردت لفظة الإنسان على ما ذهب إلى كل طائفة ثم اختلفوا في شرفه هل هو ذاتي له أو هو بمرتبة نالها بعد ظهوره في عينه وتسويته كاملاً في إنسانية إما بالعلم وإما بالخلافة والإمامة فمن قال أنه شريف لذاته نظر إلى خلق الله إياه بيديه ولم يجمع ذلك لغيره من المخلوقين وقال أنه خلقه على صورته فهذه حجة من قال شرفه شرف ذاتي ومن خالف هذا القول قال لو أنه شريف لذاته لكننا إذا رأينا ذاته علمنا شرفه والأمر ليس كذلك ولم يكن يتميز الإنسان الكبير الشريف بما يكون عليه من العلم والخلق على غيره من الأناسي ويجمعهما الحد الذاتي فدل أن شرف الإنسان بأمر عارض يسمى المرتلة أو المرتبة فالمرتلة هي الشريفة والشخص الموصوف بها نال الشرف بحكم التبعية كمرتبة الرسالة والنبوة والخلافة والسلطنة والله يقول أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً وقال هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً أي قد أتى على الإنسان وقد قالت الملائكة فيه من حيث ذاته ما قالت وصدقت فما علم شرفه إلا بما أعطاه الله من العلم والخلافة فليس لمخلوق شرف من ذاته على غيره إلا بتشريف الله إياه وأرفع المنازل عند الله أن يحفظ الله على عبده مشاهدة عبوديته دائماً سواء خلع عليه من الخلع الربانية شيئاً أو لم يخلع فهذه أشرف مرتلة تعطى لعبده وهو قوله تعالى واصطنعتك لنفسي وقوله سبحانه الذي أسرى بعبده فقرن معه تزيهه قال بعض المحبين في هذا المقام

لا تدعني إلا بيا عبدها

فإنه أشرف أسمائي

فليس لصنعة شرف أعلى من إضافتها إلى صانعها ولهذا لم يكن لمخلوق شرف إلا بالوجه الخاص الذي له من الحق لا من جهة سببه المخلوق مثله وفي هذا الشرف يستوي أول موجود وهو القلم أو العقل أو ما سميت وأدن الموجودات مرتبة فإن النسبة واحدة في الإيجاد والحقيقة واحدة في الجميع من الإمكان فأخر صورة ظهر فيها الإنسان الصورة الآدمية وليس وراءها صورة أنزل منها وبها يكون في النار من شقي لأنها نشأة وتركيب تقبل الآلام والعلل وأما أهل السعادة فينشئون نشأة وتركيباً لا يقبل المأ ولا مرضاً ولا حبناً ولهذا لا يهرم أهل الجنة ولا يتمخطون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يستقمون ولا يجوعون ولا يعطشون وأهل النار على النقيض منهم وهي نشأة الدنيا وتركيبها فهي أدنى صورة قبلها الإنسان وقد أتت عليه أزمدة ودهور قبل أن يظهر في هذه الصورة الآدمية وهو في الصورة التي له في كل مقام وحضرة من فلك وسماء وغير ذلك مما تمر عليه الأزمان والدهور ولم يكن قط في صورة من تلك الصور مذكوراً بهذه الصورة الآدمية العنصرية ولهذا ما ابتلاه قط في صورة من صورته في جميع العالم إلا في هذه الصورة الآدمية ولا عصى الإنسان قط خالقه إلا فيها ولا ادعى رتبة خالقه إلا فيها ولا مات إلا فيها ولهذا يقبل الموت أهل الكبائر في النار

ثم يخرجون فيغمسون في نهر الحياة فيتركبون تركيب لا يقبل الألم ولا الأسقام فيدخلون بتلك الصورة الجنة واعلم أن الصراط الذي إذا سلكت عليه وثبت الله عليه أقدامك حتى أوصلك إلى الجنة هو صراط الهدى الذي أنشأته لنفسك في دار الدنيا من الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة فهو في هذه الدار بحكم المعنى لا يشاهد له صورة حسية فيمد لك يوم القيامة جسراً محسوساً على متن جهنم أوله في الموقف وآخره على باب الجنة تعرف عندما تشاهده أنه صنعتك وبنائك وتعلم أنه قد كان في الدنيا ممدوداً جسراً على متن جهنم طبيعتك في طولك وعرضك وعمقك وثلاث شعب إذ كان جسمك ظل حقيقتك وهو ظل غير ظليل لا يغنيها من اللهب بل هو الذي يقودها إلى لبس الجهالة ويضرم فيها نارها فالإنسان الكامل يعجل بقيامته في الوطن الذي تنفعه قيامته فيه وتقبل فيه توبته وهو موطن الدنيا فإن قيامة الدار الأخرى لا ينفع فيها عمل لأنه لم يكلف فيها بعمل فإنه موطن جزاء لما سلف في الدار الدنيا وهو قوله تعالى ثم هدى أي بين ما يقتضيه المواطن ليكون الإنسان المخاطب في كل موطن بما قرن به من العمل بالذي يرضيه وهو مزوج بما ينافيه مثل خلق الأجسام الطبيعية سواء فإن الحرارة تنافر البرودة وإن الرطوبة تنافر اليبوسة وأراد الحق أن يجمع الكل على ما هم عليه من التضاد في جسم واحد فضم الحرارة إلى اليبوسة فخلق منهما المرة الصفراء ثم زوج بين الحرارة والرطوبة فكان لهذا المزاج الدم وجعله مجاوراً لهما جعل الرطوبة التي في الدم مما بلى اليبوسة التي في الصفراء بحكم المجاورة حتى تقاومها في الفعل فلا تترك كل واحد منهما يظهر سلطانهما في المزاج الإنساني الحيواني فلو جعل الحرارة الدموية تليها فلا بد إن كان يليها من الصفراء أما الحرارة أو اليبوسة فإن وليتها اليبوسة وهي المنفعلة عن الحرارة فكان اليبس بتقوى سلطانه في الجسم فيؤدي إلى دخول المرض عليه فيحول المرض بينه وبين ما كلفه رب الجسم أن يشتغل به من العلوم واقتنائها والأعمال الموصلة إلى السعادة وكذلك لو جاورتها حرارة الصفراء لزادت في كمية الصفراء فيعتل فلهذا كانت الرطوبة مما يلي الصفراء ثم إنه تعالى زوج بين البرودة والرطوبة فكان من هذا الاختلاط البلغم فجعل الرطوبة البلغمية مما يلي الحرارة الدموية ولو لم يكن كذلك لكان كما ذكرناه أولاً من دخول العلة والسقم للزيادة في الكمية في ذلك الخلط ثم زوج بين البرودة واليبوسة فكان من ذلك المزج المرة السوداء فجعل اليبوسة من السوداء مما يلي الرطوبة من البلغم ولم يجعل البرودة من السوداء تليها لئلا تزيد في كمية رطوبة البلغم فإن الرطوبة منفعة عن البرودة فإذا حصلت بين برودة البلغم وبرودة السوداء تضاعفت وزادت كمية البلغم فدخلت العلة والمرض على الجسم فإنها قابلة للانفعال فانظر لحكمة الله في هذه النشأة وهذا لبقاء الصحة على هذا الجسم الذي هو مركب هذه اللطيفة ليوصلها إلى ما دعاها إليه بها عز وجل فهذا المركب الجسمي يستولي عليه

الروح الإلهي فإذا تغشاه حمل فينتج أعمالاً إما صالحة وهي المخلقة وإما فاسدة وهي غير المخلقة وظهرت هذه الأعمال في صور مراكب فإن كانت صالحة صعدت به إلى عليين قال تعالى إليه يصعد الكلم الطيب أي الأرواح الطيبة فإنها كلمات الله مطهرة قال تعالى وكلمته ألقاها إلى مريم وقال والعمل الصالح يرفعه كذلك إذا كان العمل فاسداً يهوي به إلى أسفل سافلين قال تعالى ثم رددناه أسفل سافلين أي هوى به مركبه وقد كان في أحسن تقويم إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فإن عمله يصعد به إلى عليين فيكون له أجر غير ممنون وهو الأجر المكتسب ولا يكون الأجر إلا مكتسباً فإن أعطى ما هو خارج عن الكسب لا يقال فيه أجر بل هو نور وهبات ولهذا قال في حق قوم لهم أجرهم ونورهم فأجرهم ما اكتسبوه ونورهم ما وهبهم الحق تعالى من ذلك حتى لا ينفرد الأجر من غير أن يختلط به الوهب حتى يشغل ذلك الوهب العبد عن معاينة سلطان الاستحقاق الذي يعطيه الأجر إذ كان معاوضة عن عمل متقدم مضاف إلى العبد فلا أجر إلا ويخالطه نور لما ذكرناه فإن النشأة على هذا الأصل قامت وذلك أن الجسم الطبيعي لما

تركب وظهر بروحه الحساس لو ترك مستقلاً لأهلكته الدعوى ولكن جعل الله له روحاً ربانياً من نفس الرحمن الذي هو الروح الإلهي فظهرت لطيفة الإنسان نوراً فوكلت بالجسم الحيواني فلهذا قرن الأنوار بالأجور حتى تكون المنة الإلهية تصحب هذا العبد حيث كان والله عليم حكيم ولهذا قلنا إن هذا منزل الاختلاط وإن كان يتضمن علوماً حمة منها علم حروف المعاني لا حروف المهجاء وهل إذا دخل بعضها على بعض هل ينقلها عن مقام الحرفية إلى مقام الاسمية إذ الحرف لا يعمل في مثله وبماذا يعمل حرف في حرف وليس كل حرف واحد بأقوى من صاحبه مثل دخول من على حرف عن فقد كان حرف يعطي معنى التجاوز فصيره حرف من يدل على الجهة والناحية كما يدل الاسم قال الشاعر من عن يمين الحيبا نظرة قبل فالعامل في يمين عن بلا شك ولكن هل عمل فيه عمل الحرفية لبقاء صورته أو عمل فيه عمل الإضافة وهو عمل الأسماء فيكون عمله من طريق المعنى الذي كساه من بدخوله عليه ويكون عن معمولاً لمن أو يبقى على أصله فنقول بجواز دخول الحروف بعضها على بعض ونترك عمل الواحد منهما ونجعله زائداً كما نعمله في ما إذا جعلناها زائدة في قوله إذا ما راية رفعت لجحد فما هنا زائدة لأن الكلام يستقل دونها فتقول إذا راية فلا عمل هنا لها وكذلك حرف إن في قول امرئ القيس فما إن من حديث ولا صال فإن هنا زائدة لا عمل لها فيكون ذلك كذلك ولا مانع إذ لو حذفنا عن من قوله من عن يمين لم يختل المعنى ولا يخرج الحرف عن بابه إلى باب الاسمية من غير ضرورة وإذا أبدل الحرف من الحرف هل يعطي معنى ما أبدل منه أو هل يعطي خلافه ومما يتضمن هذا المنزل علم المراكب والركبان وعلم الزمان وعلم شرف الكلام وعلم شرف الذكر على الفكر وكون الحق وصف نفسه بالذكر وما وصف نفسه بالفكر مع أنه أثبت لنفسه التدبير وهو الفكر أو يقوم مقام اللازم له ويتضمن علم الخلق والصفات وعلم البيان وعلم الأحوال وعلم الاستعداد وعلم الإحسان وعلم التجلي الوسط الأوسط الذي بين الذوق والري في مذهب من يقول بالري وعلم ثلج برد اليقين من أين حصل وعلم العبودية لله دون غيره من الأشياء وما لهذه العبودية من الآثار في العلوم وعلم ما يعطيه أداء الواجبات وعلم الآخرة وعلم الهبات من العطايا واختلاف أحوال العطاء وعلم التقوى وأصناف الوقايات وعلم نعيم الأرواح وعلم العرش والرفارف والمنابر والأسرة والكراسي والمراتب وأين حظ كل واحد منها وعلم النقيضين وعلم التداني الأعلى من التداني الأنزل وعلم الظلالات وعلم الانقياد بطريق الذلة وعلم الطواف بالبيت والطائفين ولماذا يطاف به وبماذا يطاف وعلم الاصطلام وعلم اللآلي والسلوك وعلم الرتبة الإلهية والدنياوية وتنوعاتها وما المحود منها وعلم التحجيل وعلم تقديس التجلي وعلم الجزاء الإلهي وعلم تزييل الغيوب وعلم التكليف وعلم الإرادة وعلم التبديل والإبدال وعلم الاختصاص وفي كل صنف مما ذكرناه من العلوم علوم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب التاسع وثلاثمائة في معرفة منزل الملامية من حضرة المحمدية

وهذا مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق رضي الله عنه ومن تحقق به من الشيوخ حمدون القصار وأبو سعيد الخراز وأبو يزيد البسطامي وكان في زماننا هذا أبو السعود بن الشبل وعبد القادر الجيلي ومحمد الأواني وصالح البربري وأبو عبد الله الشرفي ويوسف الشبريلي ويوسف بن تعز وابن جعدون الحناوي ومحمد بن قسوم وأبو عبد الله بن المجاهد وعبد الله بن تاحمست وأبو عبد الله المهدي وعبد الله القطان وأبو العباس الحصار وما يضييق الكتاب عن ذكرهم

يلزم الحنث له مهما حنث
أسكن الأرواح أجداث الجثث
أنه ما خلق الخلق عبث
قلت يا سيدي لا تكثر
عقد ما قرره ثم نكت
بذر الحب ونقى وحرث
أخبر الروح به حيث نفت
بين زوجين نكاحاً ثم بث
غيره منه زماناً ثم بث
حكمة ما بين شيخ وحدث
لهما كان لأمر قد حدث
هرم والشيخ قد حل الحدث
بعد موت عاد حياً فبعث

كل من أقسم بالخلق فما
فأنا أقسم بالله الذي
وبآيات الهدى من نوره
وإذا لم يكن الأمر كما
خاب عقل عاهد الشرع على
أترى يحصد شخص زرع من
لا وحق الحق ما يملكه
أودع الأرواح روحاً واحداً
كتم السر الذي فيه له
لم يسو الله في أحكامه
ثم إن جاء بحكم جامع
فكان بالطفل قد حل به
كان حياً ثم ميتاً ثم من

اعلم وفقك الله أن رجال الله ثلاثة لا رابع لهم رجال غلب عليهم الزهد والتبتل والأفعال الطاهرة المحمودة كلها وطهروا أيضاً
بواطنهم من كل صفة مذمومة قد ذمها الشارع غير أنهم لا يرون شيئاً فوق ما هم عليه من هذه الأعمال ولا معرفة لهم بالأحوال
ولا المقامات ولا العلوم الوهيبية اللدنية ولا الأسرار ولا الكشف ولا شيئاً مما يجده غيرهم فهؤلاء يقال لهم العباد وهؤلاء إذا جاء
إليهم أحد يسألهم الدعاء ربما انتهزه أحدهم أو يقول له أي شيء أكون أنا حتى أدعو لك وما متزلي حذراً أن يتطرق إليهم العجب
وخوفاً من غوائل النفس لئلا يدخله الرياء في ذلك وإن كان منهم أحد يشتغل بقراءة فكتابه مثل الرعاية للمحاسبي وما جرى مجراه
والصنف الثاني فوق هؤلاء يرون الأفعال كلها لله وأنه لا فعل لهم أصلاً فزال عنهم الرياء جملة واحدة وإذا سألتهم في شيء مما
يحذره أهل الطريق يقولون أغير الله تدعون إن كنتم صادقين ويقولون قل الله ثم ذرهم وهم مثل العباد في الجد والاجتهاد والورع
والزهد والتوكل وغير ذلك غير أنهم مع ذلك يرون أن ثم شيئاً فوق ما هم عليه من الأحوال والمقامات والعلوم والأسرار والكشف
والكرامات فتتعلق همهم بنيلها فإذا نالوا شيئاً من ذلك ظهروا به في العامة من الكرامات لأهم لا يرون غير الله وهم أهل خلق
وفتوة وهذا الصنف يسمى الصوفية وهم بالنظر إلى الطبقة الثالثة أهل رعونة وأصحاب نفوس وتلازمهم مثلهم أصحاب دعاوى
يشمرون على كل أحد من خلق الله ويظهرون الرياسة على رجال الله والصنف الثالث رجال لا يزيدون على الصلوات الخمس إلا
الرواتب لا يتميزون عن المؤمنين المؤدين فرائض الله بحالة زائدة يعرفون بما يمشون في الأسواق ويتكلمون مع الناس لا يبصر أحد من
خلق الله واحداً منهم يتميزون عن العامة بشيء زائد من عمل مفروض أو سنة معتادة في العامة قد انفردوا مع الله راسخين لا

يتزلزلون عن عبوديتهم مع الله طرفة عين ولا يعرفون للرياسة طعماً لاستيلاء الربوبية على قلوبهم وذلتهم تحتها قد أعلمهم الله بالمواطن وما تستحقه من الأعمال والأحوال وهم يعاملون كل موطن مما يستحقه قد احتجبوا عن الخلق واستتروا عنهم بستر العوام فإنهم عبيد خالصون مخلصون لسيدهم مشاهدون إياه على الدوام في أكلهم وشربهم ويقظتهم ونومهم وحديثهم معه في الناس يضعون الأسباب مواضعها ويعرفون حكمتها حتى تراهم كأنهم الذي خلق كل شيء مما تراهم من إثباتهم الأسباب وتحضيضهم عليها يفتقرون إلى كل شيء لأن كل شيء عندهم هو مسمى الله ولا يفتقر إليهم في شيء لأنه ما ظهر عليهم من صفة الغنى بالله ولا العزة به ولا أنهم من خواص الحضرة الإلهية أمر يوجب افتقار الأشياء إليهم وهم يرون كون الأشياء لا تفتقر إليهم ويفتقرون إليها كون الله قال للناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد فهم وإن استغنوا بالله فلا يظهرون بصفة يمكن أن يطلق عليهم منها الاسم الذي قد وصف الله نفسه به وهو الاسم الغني وأبقوا لأنفسهم ظاهراً وباطناً الاسم الذي سماهم الله به وهو الفقير وقد علموا من هذا أن الفقر لا يكون إلا إلى الله الغني ورأوا الناس قد افتقروا إلى الأسباب الموضوعة كلها وقد حجبهم في العامة عن الله وهم على الحقيقة ما افتقروا في نفس الأمر إلا إلى من بيده قضاء حوائجهم وهو الله قالوا فهنا قد تسمى الله بكل ما يفتقر إليه في الحقيقة والله لا يفتقر إلى شيء فلماذا افتقرت هذه الطائفة إلى الأشياء ولم تفتقر إليهم الأشياء وهم من الأشياء والله لا يفتقر إلى شيء ويفتقر إليه كل شيء فهؤلاء هم الملامية وهم أرفع الرجال وتلامذتهم أكبر الرجال يتقلبون في أطوار الرجولية وليس ثم من حاز مقام الفتوة والخلق مع الله دون غيره سوى هؤلاء فهم الذين حازوا جميع المنازل ورأوا أن الله قد احتجب عن الخلق في الدنيا وهم الخواص له فاحتجبوا عن الخلق لحجاب سيدهم فهم من خلف الحجاب لا يشهدون في الخلق سوى سيدهم فإذا كان في الدار الآخرة وتجلي الحق ظهر هؤلاء هناك لظهور سيدهم فمكانتهم في الدنيا مجهولة العين فالعباد متميزون عند العامة بتقشفهم وتبعدهم عن الناس وأحوالهم وتجنب معاشرتهم بالجسم فلهم الجزاء والصوفية متميزون عند العامة بالدعاوى وخرق العوائد من الكلام على الخواطر وإجابة الدعاء وإلا كل من الكون وكل خرق عادة لا يتحاشون من

إظهار شيء مما يؤدي إلى معرفة الناس به قربهم من الله فإنهم لا يشاهدون في زعمهم إلا الله وغاب عنهم علم كبير وهذا الحال الذي هم فيه قليل السلامة من المكر والاستدراج واللامية لا يتميزون عن أحد من خلق الله بشيء فهم المجهولون حالهم حال العوام واختصوا بهذا الاسم لأمرين الواحد يطلق على تلامذتهم لكونهم لا يزالون يلومون أنفسهم في جنب الله ولا يخلصون لها عملاً تفرح به تربية لهم لأن الفرح بالأعمال لا يكون إلا بعد القبول وهذا غائب عن التلامذة وأما الأكابر فيطلق عليهم في ستر أحوالهم ومكانتهم من الله حين رأوا الناس إنما وقعوا في ذم الأفعال واللوم فيما بينهم فيها لكونهم لم يروا الأفعال من الله وإنما يرونها ممن ظهرت على يده فناطوا اللوم والذم بما فلو كشف الغطاء ورأوا أن الأفعال لله لما تعلق اللوم بمن ظهرت على يده وصارت الأفعال عندهم في هذه الحالة كلها شريفة حسنة وكذلك هذه الطائفة لو ظهرت مكانتهم من الله للناس لاتخذوهم آلهة فلما احتجبوا عن العامة بالعادة انطلق عليهم في العامة ما ينطلق على العامة من الملام فيما يظهر عنها مما يوجب ذلك وكأن المكانة تلومهم حيث لم يظهروا عزها وسلطانها فهذا سبب إطلاق هذا اللفظ في الاصطلاح عليهم وهي طريقة مخصوصة لا يعرفها كل أحد انفرد بها أهل الله وليس لهم في العامة حال يتميزون بها واعلم أن الحكيم من العباد هو الذي يتزل كل شيء مترلته ولا يتعدى به مرتبته ويعطي كل ذي حق حقه لا يحكم في شيء بغرضه ولا بهواه لا تؤثر فيه الأعراض الطارئة فينظر الحكيم إلى هذه الدار التي قد أسكنه الله فيها إلى أجل وينظر إلى ما شرع الله له من التصرف فيها من غير زيادة ولا نقصان فيجري على الأسلوب الذي قد أبين له ولا يضع

من يده الميزان الذي قد وضع له في هذا الموطن فإنه إن وضعه جهل المقادير إما يخسر في وزنه أو يطفف وقد ذم الله الحالتين وجعل تعالى للتطفيف حالة تخصه يحمدها فيها التطفيف فيطفف هناك على علم فإنه رجحان الميزان ويكون مشكوراً عند الله في تطفيفه فإذا علم هذا ولم يبرح الميزان من يديه لم يخط شيئاً من حكمة الله في خلقه ويكون بذلك أمام وقته فأول ما يزن به الأحوال في هذا الموطن فإن اقتضى وزنه للحال إظهاراً لحق عبادته وتعريف الخلق به عرفهم وذلك في الموطن الذي لا يؤدي ذكره إلى أذى الله ورسوله فإن الله قد وصف نفسه بأنه يؤدي فقال إن الذين يؤذون الله وهذا الذي اقتضى له اسم الصبور والاسم الحليم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس شخص أصبر عليّ أذى من الله وقد كذب وتم أخبر الله بذلك في الصحيح من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه فقال كذبي ابن آدم ولم يكن ينبغي له ذلك وشتني ابن آدم ولم يكن ينبغي له ذلك وهذا القول إنما تكلم به الاسم اللطيف ولهذا أكسبه هذا اللطف في العتب في دار الدنيا ووقع به التعريف ليرجع المكذب عن تكذيبه والشتام عن شتمه فإنه موطن الرجوع والقبول منه والآخرة وإن كانت موطن الرجوع ولكن ليست موطن موطن قبول فمن الميزان أن لا يعرض الحكيم بذكر الله ولا بذكر رسوله ولا أحد ممن له قدر في الدين عند الله في الأماكن التي يعرفها هذا الحكيم إذا ذكر الله فيها أو رسوله أو أحد ممن اعتنى الله به كالصحابة عند الشيعة فإن ذلك داع إلى ثلب المذكور وشتمه وإدخال الأذى في حقه ففي مثل هذا الموطن لا يذكره ألا تراه صلى الله عليه وسلم قد نهانا أن نسافر بالقرآن الذي هو المصحف إلى أرض العدو فإنه يؤدي ذلك إلى التعرض لإهانتته وعدم حرمة مما يطرأ عليه ممن لا يؤمن به فإنه عدو له وهذا مقام الملامية لا غيره فالشريعة كلها هي أحوال الملامية سئلت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت رضي الله عنها كان خلقه القرآن ثم تلت قوله تعالى وإنك لعلی خلق عظیم فالأصل الإلهي الذي استندت إليه هذه الطائفة هو ما ذكرناه من أن الحق سبحانه يجب لجلاله من التعظيم والكبرياء ما تستحقه الألوهة ومع هذا فانظر موطن الدنيا ما اقتضاه في حق الحق من دعوى العبيد فيها الربوبية ومنازعة الحق في كبريائه وعظمته فقال فرعون أنا ربكم الأعلى وتكبر وتجبر وسبب ذلك أن الموطن اقتضى أن ينحجب الخلق عن الله إذ لو أشهدهم نفسه في الدنيا لبطل حكم القضاء والقدر الذي هو علم الله في خلقه بما

يكون عنهم وفيهم فكان حجابهم رحمة بهم وإبقاء عليهم فإن تجليه سبحانه يعطي بذاته القهر فلا يتمكن معه دعوى فلما كانت الألوهية تجري بحكم المواطن كان هذا الأصل الإلهي مشهود الملامية إذ كانوا حكماء علماء فقالوا نحن فروع هذا الأصل إذ كان لكل ما يكون في العالم أصل إلهي ولكن ما كل أصل إلهي يكون في حق العبد إذا اتصف به محموداً فإن الكبرياء أصل إلهي بلا شك ولكن إن اتصف به العبد وصير نفسه فرعاً لهذا الأصل واستعمله باطناً فإنه مذموم بكل وجه بلا خلاف ولكن إن استعمله ظاهراً في موضع خاص قد عين له وأبيح له فيه استعماله صورة ظاهرة لا روح لها منه كان محمود النفس الصورة ولهذا رأت الطائفة أن حرق العوائد واجب سترها على الأولياء كما أن إظهارها واجب على الأنبياء لكونهم مشرعين لهم التحكم في النفوس والأموال والأهل فلا بد من دليل يدل على أن التحكم في ذلك لرب المال والنفس والأهل فإن الرسول من الجنس فلا يسلم له دعواه ما ليس له بأصل إلا بدليل قاطع وبرهان والذي ليس له التشريع ولا التحكم في العالم بوضع الأحكام فلا شيء يظهر حرق العوائد حين يمكنه الله من ذلك ليجعلها دلالة له على قربته عنده لا لتعرف الناس ذلك منه فمتى أظهرها في العموم فلرعونة قامت به غلبت عليه نفسه فيها فهي إلى المكر والاستدراج أقرب منها إلى الكرامة فالملامية أصحاب العلم الصحيح في ذلك فهم الطبقة العليا وسادات الطريقة المثلى والمكانة الزلّفى في العدوّة الدنيا والعدوّة القصوى ولهم اليد البيضاء في علم المواطن وأهلها وما تستحق أن تعامل به

ولهم علم الموازين وأداء الحقوق وكان سلمان الفارسي من أجلهم قدراً وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المقام وهو المقام الإلهي في الدنيا ويتضمن هذا المتزل من العلوم هذا العلم وهو علم الحكمة ويتضمن علم المواقف وعلم الحساب وعلم الظن وعلم الإهمال والفرق بينه وبين الإمهال الذي يطلبه الاسم الحكيم وعلم السابقة إلى المعاصي والمخالفات وهل يكون للإنسان المخالفة عين الموافقة وإن كانت فهل تثمر له هذه المخالفة بهذه المثابة وسرعته إلى فعلها قربة عند الله وهل تحجب المقرب ولا بد وإن سارع إليها عند مباشرة الفعل المخالف للحكم المشروع عن الحكم المشروع فيه أو لا يحجب وإما أن يكون قربة ذلك الفعل المخالف ولكن قد يكون مقر بالأقربة وهو علم كبير لا يعرفه من أهل طريقنا إلا قليل فإن غوره بعيد وميزانه خفي دقيق ما في الموازين أخفى منه وإلا أكثر من أهل طريق الله ما شاهده ولا رآه وإن قيل له أنكره فما ظنك بعلماء الرسوم فما ظنك بالعامّة وأما أكابر الحكماء من الفلاسفة فأنكروه جملة واحدة وسبب إنكارهم مع فضلهم وبعد غورهم أنهم لا يقولون بالاختصاص كما نقول نحن بل الأمور عندهم كلها مكتسبة بالاستعداد فمن هنا خفي عليهم هذا العلم وغيره مما يتعلق بالاختصاص ومن علوم هذا المتزل علم السبب الذي أدى القائلين إلى إنكار الدار الآخرة الحسية والمعنوية فإنهم طائفتان بلا شك طائفة تنكر الحس الآخروي وطائفة تنكره معنى وحساً ومن علومه علم أحوال الموت ولماذا يرجع وما حقيقته وذبحه وصورته في عالم التمثيل كبشاً أملح ومكان ذبحه ولمن تنتقل حياته إذا ذبح وعلم التحلي الموجب لكسوف الكواكب المعنوية والحسية وعلم حضرة الجمع بين العبد والرب ومن هذه الحضرة ظهر القائلون بالاتحاد والحلول فإنها حضرة علم تزل فيها الأقدام فإن الشبهة فيه قوية لا يقاومها دليل مركب وعلم الأسفار ولنا فيه جزء سميناه الأسفار عن نتائج الأسفار يتضمن من العلم الإلهي ونسبة هذا الحكم الإلهي إليه ومن العلم الكوني ونسبة هذا الحكم الإلهي معنى وحساً شيئاً كثيراً ومن علوم هذا المتزل الإلهي أيضاً لأي اسم إلهي ترجع الناس يوم القيامة وعلم السبب الذي لأجله يسأل العالم غيره عما يعلمه وسبب جحد العالم ما يعلمه إذا سئل عن العلم به وعلم كشف الإنسان ما في نفس الملك وهل هو من علم الستر أو الظهور أو منه ما يكون من علم الستر بوجه ومن علم الظهور بوجه وعلم الأدب وعلم الإقتداء وعلم السبب الموجب لإيثار الدنيا على الآخرة مع ما فيها من الغموم والإنكار الحسية والمعنوية وعلم الرؤية في الدار الآخرة وهل هي جائزة أو محال سواء كانت رؤية بصيرة أو بصر وهل الرؤية محلها حقيقة الرائي أو العين المعتاد المعروف وهل الرؤية حكم أو معنى وجودي وهل هي عين الرائي أو غيره كالصفة له وعلم حال النفوس بعد الموت وعلم الآخرة المعجلة والدنيا المؤجلة وعلم الإقبال والإعراض وعلم الوعيد والتقدير وعلم الاقتدار وهذا القدر كاف في هذا المتزل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب العاشر وثلاثمائة في معرفة منزل الصلصلة الروحانية

من الحضرة الموسوية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في إنزال الوحي أنه يأتيه الوحي مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي يقول الراوي فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً فإن نزول الوحي على الأنبياء له صور مختلفة أشدها وحي الصلصلة

وهي المنازل للسيارة الشهب

إن البروج لأوضاع مقدرة

نظيرها من وجود السعد يشمله
إذا تعرضت الأنواء تطلبني
وجاءت السحب والأرواح تجملها
والبرق يخلع من أنوار نشأته
والسحب تسكب أمطار الحقائق في
والأرض تهتز إعجاباً بزهرتها
علم الحقائق هذا لا أريد سوى
لما تنزه علم ذاته علم
أنت الإله الذي لا شيء يشبهه

هذي إلى الفوز والأخرى إلى العطب
حباً لتمنحني ما شئت من أدب
والرعد يفصح عن عجم وعن عرب
على ظلام الدجا ثوباً من الذهب
بيت من الطين والأهواء والذهب
والروض يرفل في أثوابه القشب
العلم بالله والأسماء والحجب
على الوصول به ناديت من كذب
إلا الذي جاء في التنزيل والكتب

اعلم أن الله خلق الأرواح على ثلاث مراتب لا رابع لها أرواح ليس لهم شغل إلا تعظيم جناب الحق ليس لهم وجه مصروف إلى العالم ولا إلى نفوسهم قد هيّمهم جلال الله واختطفهم عنهم فهم فيه حيارى سكارى وأرواح مدبرة أجساماً طبيعية أرضية وهي أرواح الأناسي وأرواح الحيوانات عند أهل الكشف من كل جسم طبيعي عنصري فإن الله عز وجل يقول وإن من شيء إلا يسبح بحمده وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهد للمؤذن مدى صوته من رطب ويابس وسبح الحصا في كفه صلى الله عليه وسلم وفي كف من شاء الله من أصحابه وقال في أحد هذا جبل يحبنا ونحبه فهذه الأخبار كلها تدل على حياة كل شيء ومعرفته بربه فإن السماء والأرض قالتا أتيننا طائعين ونحن نعرف ذلك من طريق الكشف ولو لم يأت في ذلك خبر وهذه الأرواح المدبرة لهذه الأجسام مقصورة عليها مسخرة بعضها البعض بما فضل الله بعضهم على بعض كما قال عز وجل ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً وأرواح أخر مسخرات لنا وهم على طبقات كثيرة فمنهم الموكل بالوحي والإلقاء ومنهم الموكل بالأرزاق ومنهم الموكل بقبض الأرواح ومنهم الموكل بإحياء الموتى ومنهم الموكل بالاستغفار للمؤمنين والدعاء لهم ومنهم الموكلون بالغراسات في الجنة جزاء لأعمال العباد فاعلم أن أرواح الأناسي جعل الله لها آلات طبيعية كالعين والأذن والأنف والحنك وجعل فيها قوى سماها سمعاً وبصراً وغير ذلك وخلق لهذه القوى وجهين وجه إلى المحسوسات عالم الشهادة ووجه إلى حضرة الخيال وجعل حضرة الخيال محلاً واسعاً أوسع من عالم الشهادة وجعل فيها قوة تسمى الخيال إلى قوى كثيرة مثل المصورة والفكر والحفظ والوهم والعقل وغير ذلك وهذه القوى تدرك النفس الإنسانية جميع ما يعطيها حقائق هذه القوى من المعلومات فبالوجه الذي للبصر إلى عالم الشهادة تدرك جميع المحسوسات وترفعها إلى الخيال فتحفظها في الخيال بالقوة الحافظة بعد ما تصورها القوة المصورة وقد تأخذ القوة المصورة أموراً من موجودات مختلفة كلها محسوسة وتركب منها شكلاً غريباً ما أبصرته قط حساً بمجموعه لكن ما فيه جزء إلا وقد أبصرته فإذا نام الإنسان نظر البصر بالوجه الذي له إلى عالم الخيال فيرى ما فيه مما نقله الحس مجموعاً أو مما صورته القوة المصورة مما لم يقع الحس على مجموعة قط لا على أجزائه التي تألفت منها هذه الصورة فتراها نائماً إلى جانبك وهو يبصر نفسه معذباً أو منعماً أو تاجراً أو ملكاً أو مسافراً ويطراً عليه خوف في منامه في خياله فيصيح ويزعق والذي إلى جانبه لا علم له بذلك ولا بما

هو فيه وربما إذا اشتد الأمر تغير له المزاج فأثر في الصورة الظاهرة النائمة حركة أو زعاقاً أو كلاماً أو احتلاماً كل ذلك من غلبة تلك القوة على الروح الحيواني فيتغير البدن في صورته فإذا تنزلت الأملاك المسخرة بالوحي على الأنبياء عليهم السلام أو تنزل رقائق منها على قلوب الأولياء لأن الملك لا يتزل بوحى على قلب غير نبي أصلاً ولا بأمر إلهي جملة واحدة فإن الشريعة قد استقرت وتبين الفرض والواجب والمندوب والمباح والمكروه فانقطع الأمر الإلهي بانقطاع النبوة والرسالة ولهذا لم يكتف رسول الله صلى الله عليه وسلم بانقطاع الرسالة فقط لئلا يتوهم أن النبوة باقية في الأمة فقال عليه السلام أن النبوة والرسالة قد انقطعت فلا نبي بعدي ولا رسول فما بقي أحد من خلق الله يأمره الله بأمر يكون شرعاً يتعبد به فإنه إن أمره بفرض كان الشارع قد أمره به فالأمر للشارع وذلك وهم منه وادعاء نبوة قد انقطعت فإن قال إنما يأمره بالمباح قلنا لا يخلو إما أن يرجع ذلك المباح واجباً في حقه فهذا هو عين نسخ الشرع الذي هو عليه حيث صير بهذا الوحي المباح الذي قرره الرسول مباحاً واجباً يعصي بتركه وإن أبقاء مباحاً كما كان كذلك كان فائدة في الأمر الذي به جاء هذا الملك لهذا المدعي صاحب هذا المقام فإن قال ما جاء به ملك لكن الله أمرني به من غير واسطة قلنا هذا أعظم من ذلك فإنك ادعيت أن الله يكلمك كما كلم موسى عليه السلام ولا قائل به لا من علماء الرسوم ولا من علماء أهل الذوق ثم إنه لو كلمك أو لو قال لك فما كان يلقي إليك في كلامه إلا علوماً وأخباراً لا أحكاماً ولا شرعاً ولا يأمرك أصلاً فإنه إن أمرك كان الحكم مثل ما قلنا في وحي الملك فإن كان ذلك

الذي دندنت عليه عبارة على أن الله خلق في قلبك علماً بأمر ما فما ثم في كل نفس إلا خلق العلم في كل إنسان ما يختص به ولي من غيره وقد بينا في هذا الكتاب وغيره ما هو الأمر عليه ومنعنا جملة واحدة أن يأمر الله أحداً بشريعة يتعبد بها في نفسه أو يبعثه بها إلى غيره وما نمنع أن يعلمه الحق على الوجه الذي نقرره وقرره أهل طريقنا بالشرع الذي تعبد به على لسان الرسول عليه السلام من غير أن يعلمه ذلك عالم من علماء الرسوم بالمبشرات التي أبقيت علينا من آثار النبوة وهي الرؤيا يراها الرجل المسلم أو ترى له وهي حق ووحى ولا يشترط فيها النوم لكن قد تكون في النوم أو في غير النوم وفي أي حالة كانت فهي رؤيا في الخيال بالحس لا في الحس والمتخيل قد يكون من داخل في القوة وقد يكون من خارج يتمثل الروحاني أو التجلي المعروف عند القوم ولكن هو خيال حقيقي إذا كان المزاج المستقيم المهيأ للحق فإذا ورد الملك على النبي عليه السلام بحكم أو بعلم خبري وإن كان الكل من قبيل الخبر ولقي تلك الصورة الروح الإنساني وتلاقى هذا بالإصغاء وذلك بالإلقاء وهما نوران احتد المزاج واشتعل وتقوت الحرارة الغريزية المزاجية في النورين وزادت كميتها فتغير وجه الشخص لذلك وهو المعبر عنه بالحال وهو أشد ما يكون وتصدد الرطوبات البدنية بخارات إلى سطح كرة البدن لاستيلاء الحرارة فيكون من ذلك العرق الذي يطراً على أصحاب هذه الأحوال للانضغاط الذي يحصل بين الطبائع من التقاء الروحين ولقوة الهواء الحار الخارج من البدن بالرطوبات تغمر المسام فلا يتخلله الهواء البارد من خارج فإذا سرى عن النبي وعن صاحب الحال وانصرف الملك من النبي والرقيقة الروحانية من الولي سكن المزاج وانفشت تلك الحرارة وانفتحت المسام وقبل الجسم الهواء البارد من خارج فتخلل الجسم فيزيد في كمية البرودة وتستولي على الحرارة وتضعفها فذلك هو البرد الذي يجده صاحب الحال ولهذا تأخذه القشعريرة فيزداد عليه الثياب ليسخن ثم بعد ذلك يخبر بما حصل له في تلك البشرية إن كان ولياً أو في ذلك الوحي إن كان نبياً هذا كله إذا كان التنزيل على القلب بالصفة الروحانية فإن كان نفثاً فهو الإلهام وهذا يكون للولي وللنبي وأما إن حدث فسمع من غير رؤية فهو المحدث وأما إن تراءى له الملك إن كان نبياً في زمان وجود النبوة أو تراءت له الرقيقة رجلاً مثلاً أو صورة حيوان يخاطبه بما جاء به إليه فإن كان ولياً فيعرضه على الكتاب والسنة فإن

وافق رآه خطاب حق وتشريف لا غير لا زيادة حكم ولا إحداث حكم لكن يكون بيان حكم أو إعلاماً بما هو الأمر عليه فيرجع ما كان مظهرنا معلوماً عنده وإن لم يوافق الكتاب والسنة رآه خطاب حق وابتلاء لابد من ذلك فعلم قطعاً أن تلك الرقيقة ليست برقيقة ملك ولا بمجلى إلهي ولكن هي رقيقة شيطانية فإن الملائكة ليس لها مثل هذا المقام وأنها أجل من ذلك وأكثر ما يطرأ هذا على أهل السماع من الحق في الخلق فما بقي للأولياء اليوم بعد ارتفاع النبوة إلا التعريف وانسدت أبواب الأوامر الإلهية والنواهي فمن ادعاهها بعد محمد فهو مدع شريعة أوحى بها إليه سواء وافق بها شرعنا أو خالف أو ما في غير زماننا قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن تحجير ولذلك قال العبد الصالح خضر وما فعلته عن أمري فإن زمانه أعطى ذلك وهو على شريعة من ربه وقد شهد له الحق بذلك عند موسى وعندنا وزكاه وأما اليوم فالباس والخضر على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ما بحكم الوفاق أو بحكم الاتباع وعلى كل حال فلا يكون لهما ذلك إلا على طريق التعريف لا على طريق النبوة وكذلك عيسى عليه السلام إذا نزل فلا يحكم فينا إلا بسنتنا عرفه الحق بها على طريق التعريف لا على طريق النبوة وإن كان نبياً فتحفظوا يا إخواننا من غوائل هذا الموطن فإن تمييزه صعب جداً وتستحليه النفوس ويطرأ عليها فيه التلبس لتعشقها به وإذا أنس المحل بمثل هذا الإلقاء الذي ذكرناه هان عليه حمله وما يكون فيه كمثل حين يفاجئه وإن الله إذا تكلم بالوحي فكأنه سلسلة على صفوان فتصعق الأرواح عند سماعها ويكون العلم الذي يحصل لها في تلك الصلصلة كالعلم الذي حصل من الضرب بين الكتفين وكالعلم الحاصل من النظر سؤالاً وجواباً واستفادة علوم كثيرة من مجرد ضرب أو نظر وقد رأينا هذا كله بحمد الله من نفوسنا فلا نشك فيه وما أشبهه إلا بأبواب مغلقة فإذا فتحت الأبواب وتجلى لك ما وراءها أحطت بالنظرة الواحدة علماً بما كما يفتح الإنسان عينه في اللوحة الواحدة فيدرك من الأرض إلى فلك البروج ثم الذي يجده صاحب هذا الأمر من ثلج برد اليقين ما لا يقدر قدره ولتلك الحرارة التي قلنا توجد عند الإلقاء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند افتتاح كل صلاة وفي أكثر الأحوال اللهم اغسلني بالثلج والماء البارد والبرد فهذه ثلاثة كلها بوارد ليقابل بها حرارة الوحي فإنه محرق ولولا القوة التي تحصل للقلب من هذا البرد هلك واعلم أن هذا المنزل يتضمن من العلوم علم اليقين وعلم الحجاب وعلم الوعيد وعلم الكبرياء الكوني المنوط بالحق وعلم التقديس وعلم السبب الذي لأجله اتخذت المخلوقات أرباباً دون الله ولماذا قال أرباباً من دون الله وهم اتخذوها أرباباً مع الله وعلم ما يحل من الربا وعلم إثارة الحق وهل يصح هذا مع اعتقادك أن لا فاعل إلا الله فعلى من يؤثره وعلم أحدية النفخة واختلاف الأثر ولما كان الاشتعال في النار بالنفخ وينطفي به السراج والهواء أقرب للاشتعال للطفاته من الحشيش والفحم وعلم أحوال الآخرة من جانب ما تحوي عليه من الشدائد خاصة وعلم المعارضة التي قصدها العلاج حتى دعا عليه عمرو بن عثمان فلما جرى عليه ما جرى كانت المشيخة تقول إنما أصيب العلاج بدعوة الشيخ وعلم السحر الحقيقي وغير الحقيقي وهل هو في الحالتين خيال أم لا وعلم لماذا يرجع كون الباري له كلام هل لخلقه أو لصفة قائمة به زائدة على ذاته أو نسبة خاصة أو لعلمه ومحل الإعجاز من القرآن ما هو فإن هذا العلم عظيم منيع الحمى وعلم الاصطلام الذي تنتجه معارضة الكلام وعلم ما تحوي عليه البسملة من الأسرار ولماذا انحصرت في هذه الثلاثة الأسماء وهذه الحروف المخصوصة دون باقي الحروف وأين محلها من الآخرة وهل تخلق من حروفها ملائكة أي يأتي يوم القيامة كل حرف منها صورة قائمة مثل ما تأتي سورة البقرة وسورة آل عمران وهما الزهراوان يشهدان لقارئهما وإذا وجدت صور هذه الحروف يوم القيامة فمن حيث رقمها أو من حيث التلفظ بها أو منهما والحروف المشددة منها هل تخلق صورتين أو صورة واحدة وإذا خلقت هذه الحروف صوراً فمن أي شيء تقي قارئها ومن في مقابلتها ووقايتها هل

هي عين الشهادة فإن كانت للشهادة فما تشهد إلا لمن رقمها أو من تلفظ بها أنه رقمها أو تلفظ بها وقد رقمها الكافر وتلفظ بها المنافق وإن كانت تشهد بالإيمان بما الذي محله القلب فما هي بسملة الرقم ولا بسملة اللفظ وليس في النفس إلا العلم بها والإيمان والإرادة لها وكذلك يكون الأمر على هذا التقسيم في الزهراوين من رقمها أو قراءتها أو من كونها سورة فقط أو من كونها ذات آيات وحروف وهل الآيات في الصورة كالأعضاء لصورة الحيوان أو هي لها كالصفات النفسية للموصوف لا كالأعضاء هذا كله من علم هذا المنزل وعلم الضلال والهدى وهل يرجعان إلى نسب أو إلى أعيان موجودة وإن كانت موجودة أعياناً فهل هي مخلوقة أو غير ذلك وإن كانت مخلوقة فهل هما من خلق العباد أو من خلق الله أو بعضها من خلق العبد وبعضها من خلق الله وعلم تسليط المخلوقات بعضهم على بعض من المعاني وغير المعاني فإن الله تعالى لما سمى نفسه ملكاً سمى خلقه جنوداً وإذا كانوا جنوداً وما ثم إلا الله وخلقهم فلمن يحاربون أو هم أجناد زينة لا أجناد محاربة فإن حارب بعضهم بعضاً وهو الواقع فمن أجناد الله من هؤلاء الأجناد فالذين هم أجناد الله فإن الله مليكهم فمن ملك الأجناد الآخرين وهنا من الأسرار الإلهية مهالك ويرجع علم ذلك لما في أحكام الأسماء الإلهية من المنازعة والتضاد ومنها الموافق والمخالف وكذلك الأرواح الملكية وقد روى أن رجلاً من المسرفين على نفسه أراد التوبة وكان من قرية كلها شر وكانت ثم قرية أخرى كلها خير فأراد الهجرة إليها فبينما هو في الطريق جاء أجله فمات فتنازعت ملائكة الرحمة الذين هم أجناد الاسم الرحيم وملائكة العذاب الذين هم أجناد الاسم المنتقم فلما طال النزاع بينهم فيمن يتسلمه من هاتين الطائفتين الذين هم وزعة الأسماء الإلهية أوحى الله إليهم أن قدروا ما بين القريتين فإلى أيهما كان أقرب كان من أهلها فقدروا ما بين القريتين الرجل قد ناء بصدوره لا غير نحو قرية السعادة فحكم له بالسعادة فتسلمته ملائكة الرحمة ومعلوم أنه ما مشى إلا بعد حصول التوبة في قلبه أو إرادتها إن كان لا يعلم حدها فقد علم الله من ذلك ما علم وكل خطوة خطاها من أول خروجه من قريته فهجرة وحركة محمودة ومع هذا وقع الحكم بالتقدير المكاني والمكان فما سبب ذلك وما أثره في الكون وهل للحاكم فيه مدخل في الحكم بين الناس وهو الحكم بالاستهام وهو القرعة وعلم الأعمال المشروعة هل لها وجود قبل أن يعمل بها المكلف أو لا وجود لها بل هي عين عمل المكلف وإذا كانت عمله كيف تحكم الصنعة على صانعها من غير حكم النسب إذ لا أثر لها فيه إلا بما ينسب إليه منها من الثناء المحمود أو المذموم وقد ورد أن كل إنسان مرهون بعمله فمن الراهن والمرهون إذا كان المكلف عين الرهن فما أعجب حكم الله في خلقه فوالله ما عرف الله إلا الله وهل السعداء والأشقياء على هذا الحكم أو يختص به الأشقياء دون السعداء وعلم من يخرج الله من النار من غير شفاعة شافع من المخلوقين هل هو إخراج امتناني حتى لا يتقيد أو هل هو عن شفاعة الأسماء الإلهية كما قال تعالى يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ومعلوم أنه لا يحشر إلى شيء من كان عند ذلك الشيء ولما كان الالتقاء والخوف من حكم المتقى منه وهو الاسم الشديد العقاب والسريع الحساب فكان المتقى في حكم أمثال هذه الأسماء الإلهية فحشرهم الله يوم القيامة إلى الرحمن وزال عنهم حكم هؤلاء الأسماء الأخر فإن كان الأمر على هذا فقد يكون خروج شفاعة وإن لم يكن فهو خروج امتنان وهبة. وعلم صور الإعراض عن الحق والكل في قبضته. وعلم ما يتميز به الإنسان من سائر الحيوان كله والنبات والجماد والملائكة مخلوقون في المعارف إلا لطيفة الإنسان وإنها تخالف سائر المخلوقات في الخلق وهل العقل الذي في الإنسان وجد لاقتناء العلوم أو لدفع الهوى خاصة ما له غير ذلك وهذه المسألة من مسائل سهل بن عبد الله تستري وما رأيت غيره ذكرها ولا وصلت إلينا إلا من طريقه وعلوم هذا المنزل لا تحصى كثرة فاقصرنا من ذلك على ما ذكرناه فإنه كالأمهات لما بقي في المنزل من العلوم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الحادي عشر وثلاثمائة

في معرفة منزل النواشى الاختصاصية الغيبية

من الحضرة المحمدية

دثروني زملوني قول من	خصه الرحمن بالعلم الحسن
حين جلى الروح بالأفق له	وهو في غار حراء قد سجن
نفسه فيه لأمر جاءه	في غيابات الفؤاد المستكن
لتجل قام في خاطره	صورة مجموعة من كل فن
سورة سينية صادية	جمع السر لديها والعلن
فأتى يرجف منها هيبه	غادة تؤنسه حتى سكن
سألته ما الذي أقلقه	قال أمر قد نفى عني الوسن
هو أن الله قد أكرمني	بالذي أكرم أصحاب اللسن
من رسول ونبي مجتبی	في علوم وبلاء ومحن
كلما أحضره في خلدي	حن قلبي لتجليه وأن
فلذا يقلقني مشهده	ولذا أزهد في دندن دن

اعلم أنه ليلة تقييدي هذا الباب رأيت رؤيا سررت بها واستيقظت وأنا أنشد بيتاً كنت قد عملته قبل هذا في نفسي وهو من باب الفخر وهو

في كل عصر واحد يسمو به وأنا الباقي العصر ذاك الواحد

وذلك أني ما أعرف اليوم في علمي من تحقق بمقام العبودية أكثر مني وإن كان ثم فهو مثلي فإنني بلغت من العبودية غايتها فأنا العبد الخاضع الخالص لا أعرف للربوبية طعماً رديء يوماً عتبة الغلام وهو يخطر في مشيته شغل التائه المعجب بنفسه فقيل له يا عتبة ما هذا التيه الذي أنت فيه ولم يكن يعرف هذا منك قيل اليوم فقال وحقيق لمثلي أن يتيه وكيف لا أتيه وقد أصبح لي مولى وأصبحت له عبداً واعلم أنه في كل زمان لا بد من واحد فيه في كل مرتبة متميز حتى في أصحاب الصنائع وفي كل علم لو تفقد ذلك الزمان وجد الأمر على ما قلناه والعبودية في جملة المراتب والله سبحانه قد منحنيها هبة أنعم بها علي لم أنلها بعمل بل اختصاص إلهي أرجو من الله أن يمسكها علينا ولا يحول بيننا وبينها إلى أنه نلقاه بما فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون واعلم أن هذا المنزل منزل النواشى الاختصاصية وهي عبارة عن بداية وأولية كل مقام وحال قال تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون فلو كانت إعادة أرواحنا إلى

أجسادنا على هذا المزاج الخاص الذي كان لنا في النشأة الدنيا لم يصح قوله تعالى فيما لا تعلمون فإنه قد قال تعالى ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون وقال كما بدأكم تعودون يعني في النشأة الآخرة أنها تشبه النشأة الدنياوية في عدم المثال فإن الله أنشأنا على غير مثال سبق وكذلك ينشئنا على غير مثال سبق فإن قيل فما فائدة قوله تعودون قلنا يخاطب الأرواح الإنسانية أنها تعود إلى تدبير الأجسام في الآخرة كما كانت في الدنيا على المزاج الذي خلق تلك النشأة عليه ويخرجها من قبرها فيها ومن النار حين يبتون كما تنبت الحبة تكون في حميل السيل مع القدرة منه على إعادة ذلك المزاج لكن ما شاء ولهذا علق المشيئة به فقال تعالى ثم إذا شاء انشره يعني ذلك المزاج الذي كان عليه فلو كان هو بعينه لقال ثم ينشره فنرجع إلى ما نريد أن نبينه من بعض علوم هذا المنزل وهو العلم الذي يدور عليه فنقول أن العالم عالمان والحضرة حضرتان وإن كان قد تولد بينهما حضرة ثالثة من مجموعهما فالحضرة الواحدة حضرة الغيب ولها عالم يقال له عالم الغيب والحضرة الثانية هي حضرة الحس والشهادة ويقال لعالمها عالم الشهادة ومدرّك هذا العالم بالبصر ومدرّك عالم الغيب بالبصيرة والمتولد من اجتماعهما حضرة وعالم فالحضرة حضرة الخيال والعالم عالم الخيال وهو ظهور المعاني في القوالب المحسوسة كالعلم في صورة اللبن والثبات في الدين في صورة القيد والإسلام في صورة العمدة والإيمان في صورة العروة وجبريل في صورة دحية الكلبي وفي صورة الأعرابي وتمثل لمريم في صورة بشر سوي كما ظهر السواد في جسم العفص والزواج عند اجتماعهما ولم يكن لهما ذلك الوصف في حال افتراقهما ولذلك كانت حضرة الخيال أوسع الحضرات لأنها تجمع العالمين عالم الغيب وعالم الشهادة فإن حضرة الغيب لا تسع عالم الشهادة فإنه ما بقي فيها خلأ وكذلك حضرة الشهادة فقد علمت أن حضرة الخيال أوسع بلا شك وأنت قد عاينت في حسك وعلى ما تعطيه نشأتك في نفسك المعاني والروحانيين يتخيلون ويمثلون في الأجساد المحسوسة في نظرك بحيث إذا وقع أثر في ذلك المتصور تأثر المعنى المتصور فيه في نفسه ولا شك أنك أحق بحضرة الخيال من المعاني ومن الروحانيين فإن فيك القوة المتخيلة وهي من بعض قواك التي أوجدك الحق عليها فأنت أحق بملكها والتصرف فيها من المعنى إذ المعنى لا يتصف بأن له قوة خيال ولا الروحانيين من الملاء الأعلى بأن لهم في نشأتهم قوة خيال ومع هذا فلهم التميز في هذه الحضرة الخيالية بالتمثل والتخيل فأنت أولى بالتخيل والتمثل منهم حيث فيك هذه الحضرة حقيقة فالعامة لا تعرفها ولا تدخلها إلا إذا نامت ورجعت القوى الحساسة إليها والخواص يرون ذلك في اليقظة لقوة التحقق بما فتصور الإنسان في عالم الغيب في حضرة الخيال أقرب وأولى ولا سيما وهو في نشأته له في عالم الغيب دخول بروحه الذي هو باطنه وله في عالم الشهادة دخول بجسمه الذي هو ظاهره والروحاني ليس كذلك وليس له دخول في عالم الشهادة إلا بالتمثل في عالم الخيال فيشاهده الحس في الخيال صورة ممثلة نوماً ويقظة فإن تميز الإنسان في عالم الغيب فله ذلك فإنه يتميز فيه حقيقة لا خيالاً من حيث روحه الذي لا يدركه الحس وهو من عالم الغيب وإن أراد أن يتروحن بجسمه ويظهر به في عالم الغيب وجد المساعد وهو روحه المرتبط بتدبيره فهو أقرب إلى التمثل في عالم الغيب من الروحاني المتمثل في صورة عالم الشهادة ولكن هذا المقام يكتسب وينال مثل قضيب البان رحمه الله فلقد كان له هذا المقام ففي قوة الإنسان ما ليس في قوة عالم الغيب فإن في قوة الإنسان من حيث روحه التمثل في غير صورته في عالم الشهادة فيظهر الإنسان في أي صورة شاء من صور بني آدم أمثاله وفي صور الحيوانات والنبات والحجر وقد وقع ذلك منهم ولقد أخبرني شيخ من شيوخ طريق الله وهو عندي ثقة عدل وفاضله في هذه المسألة فقال أنا أخبرك بما شاهدته من ذلك تصديقاً لقولك وذلك أي صحبت رجلاً ممن له هذا المقام ولم يكن عندي من ذلك خبر فسألته الصحبة من بغداد إلى الموصل في ركب الحاج عند رجوعه فقال لي إذا عزمت فلا تبتدئني بشيء

من مأكول ومشروب حتى أكون أنا الذي أطلبه منك فعاهدته على ذلك وكان قد أسن فركب في شقة محارة وأنا أمشي على قدمي قريباً منه لئلا تعرض له حاجة إلى فمراض بيلة الإسهال وضعف فصعب ذلك علي وهو لا يتداوى بما يقطعه ويزيل عنه القيام قال فقلت له يا سيدي أروح لي هذا الرجل الذي على سبيل صاحب سنجار آخذ من المارستان دواء قابضاً إلي كالمنكر وقال الشرط أملك فسكت عنه قال فزاد به الحال فما قدرت على السكوت فلما نزل الركب بالليل وأسرجت المشاعل وقصد صاحب سبيل سنجار وكان خادماً أسود وقد وقفت الرجال بين يديه وأصحاب العلل يجيئون إليه يطلبون منه الأدوية بحسب عللهم وأمراضهم فقلت له يا مولاي أرح قلبي وفرج عني بأن تأمرني آتيك بدواء من عند هذا الرجل قال فتبسم وقال لي رح إليه قال فجئت إليه ولم يكن يعرفني قبل ذلك ولا كنت أنا على حالة وبزة توجب تعظيمي فمشيت إليه وأنا خائف أن يردي أو ينتهري لما كان فيه من الشغل فوقفت على رأسه بين الناس فلما وقعت عينه علي قام إلي وأقعدني وسلم علي بفرح وبسط وتبشيش وقال ما حاجتك فقلت له عن حال الشيخ ورضه فاستدعي بالدواء من الوكيل على أكمل ما يمكن واعتذر وقال لي تعנית وهلا بعثت إلي في ذلك وقمت أخرج من الخيمة فقام لقيامي ومشت المشاعل بين يدي فودعته بعدما مشي معي خطوات وأمر المشاعلي أن يمشي بالضوء أمامي فقلت له ما الحاجة وخفت من الشيخ أن يعز ذلك عليه فرجع المشاعلي وجئت فوجدت الشيخ على حاله كما تركته فقال لي ما فعلت فقلت له ببركتك أكرمني وهو لا يعرفني ولا أعرفه ووصفت له تفصيل ما كان منه فتبسم الشيخ وقال لي يا حامد أنا أكرمتك ما كان الخادم الذي أكرمك لا شك أي رأيك كثير الجزع علي لعلني فأردت أن أريح سرك فأمرتك أن تمشي إليه وخفت عليك منه لئلا يفعل معك ما يفعله مع الناس من الإهانة والطرده فترجع منكسراً فتجردت عن هيكلي وتصورت لك في صورته فأكرمتك وعظمت قدرك وفعلت معك ما رأيت إلى أن انفصلت وهذا دواؤك لا أستعمله فبقيت مبهوراً فقال لي لا تعجل ارجع إليه وانظر إلى ما يفعل بك قال فجئت إليه وسلمت عليه فلم يقبل علي وطردت فذهبت متعجباً فرجعت إلى الشيخ فقصصت إليه ما جرى لي فقال ما قلت لك فقلت له عجباً كيف رجعت خادماً أسود فقال الأمر كما رأيت ومثل هذه الحكاية عن الرجال كثير وهذا يشبه علم السيمياء وليس بعلم السيمياء والفرق بيننا في هذا المقام وبين علم السيمياء أنك إذا أكلت بالسيمياء أكلت ولا تجد شعباً والذي يقبض عندك مما تقبضه من هذا العلم إنما ذلك في نظرك ثم تطلبه فلا تجده وإذا أراك صاحب هذا العلم السيمائي تدخل الحمام ثم ترجع إلى نفسك لا ترى لذلك حقيقة بل كل ما تراه بطريق السيمياء إنما هو مثل ما يرى النائم فإذا انتبه لم يجد شيئاً مما رآه فإن صاحب علم السيمياء له سلطان وتحكم على خيالك بخواص الأسماء أو الحروف أو القلقطيرات فإن السيمياء لها ضروب أكثرها القلقطيرات وألطفها التلطف بالكلام الذي يخطف به بصر الناظر عن الحس ويصرفه إلى خياله فيرى مثل ما يرى النائم وهو في يقظته وهذا المقام الذي ذكرناه ليس كذلك فإنك إن أكلت به شيعت وإن مسكت فيه شيئاً من ذهب أو ثياب أو ما كان بقي معك على حاله لا يتغير وقد وجدنا هذا المقام من نفوسنا وأخذناه ذوقاً في أول سلوكنا مع روحانية عيسى عليه السلام ولهذا قال عليه السلام وقد فهمي عن الوصال فقليل له إنك تواصل فقال صلى الله عليه وسلم لست كهيتكم إني أبيت معي

مطعم يطعمني وساق يسقيني وفي رواية يطعمني ربي ويسقيني فلم يكن في تلك الجماعة التي خاطبها في ذلك الوقت من له هذا المقام ولم يقل لست كهيتة الناس فكان إذا أكل شبع وواصل على قوة معتادة ولما كان الأكل في حضرة الخيال لا في حضرة الحس صح أن يكون مواصلاً وقد رأينا أن جبريل ظهر في صورة الحس رجلاً معروفاً كظهوره في صورة دحية وفي وقت رجلاً غير معروف ولم

يبلغنا أنه ظهر في عالم الغيب في الملائكة في صورة غيره من الملائكة فجبريل لا يظهر في الملائكة وفي عالم الغيب في صورة ميكائيل أو إسرافيل ولهذا قال تعالى عنه وما منا إلا له مقام معلوم وقد رأينا من له قوة التمثل من البشر يظهر في البشر في صورة بشر آخر غير صورته فيظهر زيد في صورة عمر وليس للملك ذلك في عالم الغيب وكما ظهر جبريل في صورة البشر يظهر الإنسان في عالم الغيب عند الملائكة في صورة ملك من الملائكة أي صورة ملك شاء وأعجب من هذا أن بعض الرجال من المحبين من أهل هذه الطريقة دخل على شيخ فتكلم له الشيخ في المحبة وقد رآه بعض الحاضرين قد دخل عليه فما زال ذلك الحب يذوب في نفسه حساً من كلام ذلك الشيخ في المحبة لقوة تحقق ذلك الحب إلى أن رجع بين يدي ذلك الشيخ كفا من ماء فدخل عليه رجال فسألوه عن ذلك الحب أين هو فإننا ما رأيناه خرج فقال هذا الماء هو ذلك الحب الذي بين يدي فنظروا إلى ماء قليل على الحصى بين يدي الشيخ فانظر كيف رجع إلى أصله الذي خلق منه فيا ليت شعري أين تلك الأجزاء فاعلم أن الإنسان في هذا الطريق يعطي من القوة ما يظهر به في هذه النشأة كما يظهر في النشأة الآخرة التي يظهر فيها على أي صورة شاء فإن هذا في أصل هذه الصورة الدنيوية ولكن لا يصل كل واحد إلى معرفة هذا الأصل وهو قوله تعالى الذي خلقك فسواك فعدلك وهي هذه النشأة الظاهرة ثم قال في أي صورة ما شاء ركبك أي هذه النشأة المسواة المعدلة قابلة لجميع الصور فيجلبه الله تعالى في أي صورة شاء فأعلمنا أن هذه النشأة تعطي القبول لأي صورة كانت وكذلك قوله ثم أنشأناه خلقاً آخر بعد الفراغ من تسوية صورة الإنسان الظاهر فعين له صورة من الصور التي في قوته وتركيبه أن يقبلها فإذا علم الإنسان بالكشف الإلهي أنه على أصل وحقيقة تقبل الصور فيتعمل في تحصيل أمر يتوصل به إلى معرفة الأمر فإذا فتح له فيه ظهر في عالم الشهادة في أي صورة من صور عالم الشهادة شاء وظهر في عالم الغيب والملكوت في أي صورة من صورته شاء غير أن الفرق بيننا وبين عالم الغيب أن الإنسان إذا تروحن وظهر للروحانيين في عالم الغيب يعرفون أنه جسم تروحن والناس في عالم الشهادة إذا أبصروا روحاً تجسد لا يعلمون أنه روح تجسد ابتداء حتى يعرفوا بذلك كما قال عليه السلام حين دخل عليه الروح الأمين في صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر قال الراوي لا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وذكر حديث سؤاله إياه عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة وما لها من الشروط فلما فرغ من سؤاله قام ينصرف فلما غاب قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه أتدرون من الرجل وفي رواية ردوا على الرجل فالتمس فلم يجدوه فقال صلى الله عليه وسلم هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم غير أن بعض الناس يعرفون الروحاني إذا تجسد من خارج من غيره من الناس أو من جنس تلك الصورة التي يظهر فيها وما كل أحد يعرف ذلك ويفرقون أيضاً بين الصورة الروحانية المعنوية المتجسدة وبين الصورة الممثلة من داخل بعلامات يعرفونها وقد علمتها وتحققتها فإني أعرف الروح إذا تجسد من خارج أو من داخل من الصورة الجسمية الحقيقية والعامة لا تعرف ذلك والملائكة كلهم يعرفون الإنسان إذا تروحن وظهر فيهم بصورة أحدهم أو بصورة غريبة لم يروا مثلها فيزيدون على عامة البشر بهذا وينقصهم أن يظهروا في عالمهم على صور بعضهم كما نظهر في عالمنا إذا كان لنا هذا المقام في صورة جنسنا فسبحان العليم الحكيم مقدر الأشياء والقادر عليها لا إله إلا هو العليم القدير واعلم أن أصل هذا الأمر الذي ذكرته في هذه المسألة إنما هو من العلم الإلهي في التجلي الإلهي فمن هناك ظهر هذا الأمر في عالم الغيب والشهادة إذ كان العالم بجملته والإنسان بنسخته والملك بقوته على صورة مقام التجلي في

الصور المختلفة ولا يعرف حقيقة تلك الصور التي يقع التحول فيها على الحقيقة إلا من له مقام التحول في أي صورة شاء وإن لم

يظهر بها وليس ذلك المقام إلا للعبد المحض الخالص فإنه لا يعطيه مقام العبودية أن يتشبه بشيء من صفات سيده جملة واحدة حتى أنه يبلغ من قوته في التحقق بالعبودية أنه يفنى وينسى ويستهلك عن معرفة القوة التي هو عليها من التحول في الصور بحيث أن لا يعرف ذلك من نفسه تسليماً لمقام سيده إذ وصف نفسه بذلك ولولا هذا الأصل الإلهي وإن الحق له هذا وهو في نفسه عليه ما صح أن تكون هذه الحقيقة في العالم إذ يستحيل أن يكون في العالم أمر لا يستند إلى حقيقة إلهية في صورته التي يكون عليها ذلك الأمر ولو كان لكان في الوجود من هو خارج عن علم الله فإنه ما علم الأشياء إلا من علمه بنفسه ونفسه علمه ونحن في علمه كالصور في الهباء لو كنت تعلم يا فتى من أنت علمت من هو إذ لا يعلم الله إلا من يعلم نفسه قال صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه عرف ربه فالحق علمك من نفسه وأعلمك أنك لا تعرفه إلا من نفسك فمن تظن لهذا المعنى علم ما تقول وما نومي إليه فأما حديث التجلي يوم القيامة فأنا أوردته إن شاء الله كما ورد في الصحيح وذلك أنه خرج مسلم عن أبي سعيد الخدري أن ناساً في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة ليس معها سحاب وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال كذلك لا تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا ويتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وعبر أهل الكتاب قال فتدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزيزاً ونقول أنه ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون قالوا يا رب إنا عطشنا فاسقنا فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار ثم تدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح ونقول أنه ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ويقال لهم ماذا تبغون قالوا عطشنا يا رب فاسقنا فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر فيأتيهم رب العالمين تبارك وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها قال فيقول ماذا تنتظرون لتتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم قال فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً مرتين أو ثلاثاً حتى أن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم وبين ربكم آية تعرفونها فيقولون نعم قال فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول أنا ربكم فيقولون نعم أنت ربنا قال ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة الحديث إلى آخره وقد طال الكلام فلنذكر ما يحوي عليه هذا المتزل من العلوم فمن ذلك علم الاسم القيوم واختلف فيه أصحابنا هل يتخلق به أم لا فكان الشيخ أبو عبد الله بن جنيد القبرفيقي من كبار مشايخ هذه الطريقة بالأندلس وكان معتزلياً سمعته يمنع التخلق به وفاوضته في ذلك مراراً في محله بحضور أصحابه بقبرفيقي من أعمال ونده إلى أن رجع إلى قولنا من التخلق بالقيوم كسائر الأسماء الإلهية وفيه علم نشء عالم الغيب وفيه علم مقادير عالم الغيب وفيه علم وصف كلام الله بالتتابع وفيه علم تتزل الأرواح وما يجده من تتزل عليه من الثقل وضيق النفس ولقد كنت انقطعت في القبور مدة منفرداً بنفسي فبلغني أن شيخنا يوسف بن يخلف الكرمي قال أن فلاناً وسماي ترك مجالسة الأحياء وراح يجالس الأموات فبعثت إليه لو جئتني لرأيت من أجالس فضلى الضحى وأقبل إلي وحده فطلب علي

فوجدني بين القبور قاعداً مطرقاً وأنا أتكلم على من حضري من الأرواح فجلس إلى جانبي بأدب قليلاً قليلاً فنظرت إليه فرأيت أنه قد تغير لونه وضاق نفسه فكان لا يقدر يرفع رأسه من الثقل الذي نزل عليه وأنا أنظر إليه وأتبسم فلا يقدر أن يتبسم لما هو فيه من الكرب فلما فرغت من الكلام وصدر الوارد خفف عن الشيخ واستراح ورد وجهه إلي فقبل بين عيني فقلت له يا أستاذ من يجالس الموتى أنا أو أنت قال لا والله بل أنا أجالس الموتى والله لو تمادى علي الحال فطست وانصرف وتركني فكان يقول من أراد أن يعتزل عن الناس فليعتزل مثل فلان وفيه علم استقامة عالم الغيب وعصمته من المخالفة وإنه عالم الوفاق وفيه علم ما تواطأت عليه القوى الإنسانية وعلم ما اختلفت فيه فعين تجمعها وعين تفرقها وفيه علم الأسماء التي تعطي الذكر في كل ذاكر وما حضرتها وما أثرها وفيه علم الانفراد بالحق وما الذي يدعوه إلى ذلك وهل يصح في الملاء الانفراد أو لا يصح إلا بكلية الإنسان ظاهراً وباطناً وفيه علم أسماء الجهات من حضرة الربوبية وفيه علم توحيد كل حضرة وفيه علم الملك والمالك وهو علم تصريف الخلق الحق وهو مقام عزيز وفيه علم السياسة في ترك أبناء الجنس وفيه علم الوعيد وعلم الرسالة ومن أين بعثت الرسل ولمن بعثت من صفات الإنسان وما مقام الرسول من المرسل إليه وفيه علم الموطن الذي يلحق الأصاغر بالأكابر بالخاصية وهو علم انطواء الزمان كان انطواء ألف سنة من الزمان في يوم من أيام الرب وانطواء خمسين ألف سنة من الزمان عندنا في يوم من أيام ذي المعارج وهو كاللمحة في عالمه وكانطواء ثلاثمائة وستين يوماً من أيام الزمان المعلوم في يوم من أيام الشمس ولكل كوكب من السيارة والثوابت أيام تقدر لها من الأيام الزمانية بقدر اتساعها وهو من علوم هذا المتزل وفيه علم إثبات المشيئة للعبد من أي حضرة هي وأي اسم إلهي ينظر إليها وفيه علم تقلب الإنسان في عالم الغيب بين دخول وخروج وفيه علم المقادير والأوزان وما يعطى بالكيل والميزان فإنه قد ورد أن العقل يعطى بالمكيال والأعمال بالميزان وفيه علم الفرق بالكون والتخلق به وما أسمه من الأسماء الإلهية وفيه علم عجز العالم عن إدراك ما لا يمكن إدراكه لتمييز بذلك العبد فيعرف قدره وفيه علم السفر والمسافر والطريق وفيه علم ما يسافر من أجله وهل حصوله من عين المنة أم لا وهل يكون العالم المكتسب من عين المنة وإن كان فبماذا يقع الفرقان بين العلمين وكلاهما من عين المنة وفيه علم إنشاء صور الأعمال وفيه علم المقارضة الإلهية ولماذا يرجع وما فهمت من ذلك طائفة حتى قالت أن الله فقير ونحن أغنياء حين قال لهم الله وأقرضوا الله قرضاً حسناً فقالت أن رب محمد يطلب منا القرض وفيه علم الستر ورحمة الاختصاص والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الثاني عشر وثلاثمائة في معرفة منزل كيفية نزول الوحي على قلوب الأولياء

وحفظهم في ذلك من الشياطين من الحضرة المحمدية

لقد ربطت به موانت العلق

لقد أتيت به جمعاً على نسق

الحق أبلج بين النص والعنق

جعلت عهدك بالتوحيد في عنقي

كيف التخلق بالأسماء والخلق

قل للذي خلق الإنسان من علق

قل للذي خلق الإنسان من علق

قل للذي خلق الإنسان من علق

قل للذي خلق الإنسان من علق

قل للذي خلق الإنسان من علق

قل للذي خلق الإنسان من علق
قل للذي خلق الإنسان من علق
قل للذي خلق الإنسان من علق
لأن لي بصراً لا جفن يحصره
قل للذي خلق الإنسان من علق
لكنني إذ رأيت الأمر من جهتي
فالكل في ظلم الأطباق منحصر
فصاحب الفلق المشهود ظاهره
وصاحب الغسق المشهود باطنه
فالكل في حضرة التقيد ما برحوا
فلا يزال على بلوى تقلبه
وزاده عشقه فيه مكابدة
أعلاه في جنسه فيه كأسفله
فالروح يمسكه جسم يدبره

لا تحجبني فهذا آخر الرmq
العلم عند التجام الناس بالعرق
أعلمتني أن عين الأمر في النفق
وأن لي بصراً قد حف بالحدق
لقد جعلت وجود الكون في طبق
كان الوجود الذي شاهدت عن طبق
لذا تراه كثير الشوق والقلق
يرى الحقائق في الأسحار والغسق
يرى الحقائق في الأنوار والفلق
فإن أتاه سرج منه لم يطق
فيها وتزعجه لواعج الحرق
والعشق لفظة اشتقت من العشق
فالقيد في قدم والغل في عنق
والجسم يمسكه توافق الفرق

أريد بتوافق الفرق اجتماع الطبائع التي وجد عنها الجسم

اعلم أن المعلومات ثلاثة لا رابع لها وهي الوجود المطلق الذي لا يتقيد وهو وجود الله تعالى الواجب الوجود لنفسه والمعلوم الآخر
العدم المطلق الذي هو عدم لنفسه وهو الذي لا يتقيد أصلاً وهو المحال وهو في مقابلة الوجود المطلق فكانا على السواء حتى لو
اتصفا لحكم الوزن عليهما وما من نقيضين متقابلين إلا وبينهما فاصل به يتميز كل واحد من الآخر وهو المانع أن يتصف الواحد
بصفة الآخر وهذا الفاصل الذي بين الوجود المطلق والعدم لو حكم الميزان عليه لكان على السواء في المقدار من غير زيادة ولا
نقصان وهذا هو البرزخ الأعلى وهو برزخ البرازخ له وجه إلى الوجود ووجه إلى العدم فهو يقابل كل واحد من المعلومين بذاته
وهو المعلوم الثالث وفيه جميع الممكنات وهي لا تنتهى كما أنه كل واحد من المعلومين لا يتناهى ولها في هذا البرزخ أعيان ثابتة من
الوجه الذي ينظر إليها الوجود المطلق ومن هذا الوجه ينطلق عليها اسم الشيء الذي أراد الحق إيجاداً قال له كن فيكون وليس له
أعيان موجودة من الوجه الذي ينظر إليه منه العدم المطلق ولهذا يقال له كن وكن حرف وجودي فإنه لو أنه كائن ما قيل له كن
وهذه الممكنات في هذا البرزخ بما هي عليه وما تكون إذا كانت مما تتصف به من الأحوال والأعراض والصفات والأكوان وهذا هو
العالم الذي لا يتناهى وماله طرف ينتهي إليه وهو العاقر الذي عمر الأرض التي خلقت من بقية خميرة طينة آدم عليه السلام عمارة
الصور الظاهرة للرائي في الجسم الصقيل عمارة إفاضة ومن هذا البرزخ هو وجود الممكنات وبها يتعلق رؤية الحق للأشياء قبل كونها
وكل إنسان ذي خيال وتخيل إذا تخيل أمراً ما فإن نظره يمتد إلى هذا البرزخ وهو لا يدري أنه ناظر ذلك الشيء في هذه الحضرة

وهذه الموجودات الممكنات التي أوجدها الحق تعالى هي للأعيان التي يتضمنها هذا البرزخ بمترلة الظلالات للأجسام بل هي الظلالات الحقيقية وهي التي وصفها الحق سبحانه بالسجود له مع سجود أعيانها فما زالت تلك الأعيان ساجدة له قبل وجودها فلما وجدت ظلالها وجدت ساجدة لله تعالى لسجود أعيانها التي وجدت عنها من سماء وأرض وشمس وقمر ونجم وجبال وشجر ودواب وكل موجود ثم لهذه الظلالات التي ظهرت عن تلك الأعيان الثابتة من حيث ما تكونت أجساماً ظلالاً أوجدها الحق لها دلالات على معرفة نفسها من أين صدرت ثم إنها تمتد مع ميل النور أكثر من حد الجسم الذي تظهر عنه إلى ما لا يدركه طولاً ومع هذا ينسب إليه وهو تنبيه أن العين التي في البرزخ التي وجدت عنها لا نهاية لها كما قررناه في تلك الحضرة البرزخية الفاصلة بين الوجود المطلق والعدم المطلق وأنت بين هذين الظلالين ذو مقدار فأنت موجود عن حضرة لا مقدار لها ويظهر عنك ظل لا مقدار له فامتداده يطلب تلك الحضرة البرزخية وتلك الحضرة البرزخية هي ظل الوجود المطلق من الاسم النور الذي ينطلق على وجوده فلهذا نسميها ظلاً ووجود الأعيان ظل لذلك الظل والظلال المحسوسة ظلال هذه الموجودات في الحس ولما كان الظل في حكم الزوال لا في حكم الثبات وكانت الممكنات وإن وجدت في حكم العدم سميت ظلالاً ليفصل بينها وبين من له الثبات المطلق في الوجود وهو واجب الوجود وبين من له الثبات المطلق في العدم وهو الخال لتتميز المراتب فالأعيان الموجودات إذا ظهرت ففي هذا البرزخ هي فإنه ما ثم حضرة تخرج إليه ففيها تكتسب حالة الوجود والوجود فيها متناه ما حصل منه والإيجاد فيها لا ينتهي فما من صورة موجود إلا والعين الثابتة عينها والوجود كالثوب عليها فإذا أراد الحق أن يوحى إلى ولي من أوليائه بأمر ما تجلّى الحق في صورة ذلك الأمر لهذه العين التي هي حقيقة ذلك الولي الخاص فيفهم من ذلك التجلي بمجرد المشاهدة بما يريد الحق أن يعلمه به فيجد الولي في نفسه علم ما لم يكن يعلم كما وجد النبي عليه السلام العلم في الضربة وفي شربة اللبن ومن الأولياء من يشعر بذلك ومنهم من لا يشعر به فمن لا يشعر يقول وجدت في خاطري أمر كذا وكذا ويكون ما يقول على حد ما يقول فيعرف من يعرف هذا المقام من أي مقام نطق هذا الولي وهو أتم ممن لا يعرف وتلك حضرة العصمة من الشياطين فهو وحي خالص لا يشوبه ما يفسده وإن اشتبه عليك أمر هذا البرزخ وأنت من أهل الله فانظر في قوله تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان أي لولا

ذلك البرزخ لم يتميز أحدهما عن الآخر ولأشكال الأمر وأدى إلى قلب الحقائق فما من متقابلين إلا وبينهما برزخ لا يبغيان أي لا يوصف أحدهما بوصف الآخر الذي به يقع التميز وهو محل دخول الجنة التي لا تنال إلا برحمة الله ولهذا لا يصح أن يكون له عمل وهو حال الدخول إليها فلا تتصف بأنك قد دخلت ولا بأنك خارج وهو خط متوهم يفصل بين خارج الجنة ودخلها فهو كالحال الفاصل بين الوجود والعدم فهو لا موجود ولا معدوم فإن نسبته إلى الوجود وجدت فيه منه رائحة لكونه ثابتاً وإن نسبته إلى العدم صدقت لأنه لا وجود له والعجب من الأشاعرة كيف تنكر على من يقول أن المعدوم شيء في حال عدمه وله عين ثابتة ثم يطرأ على تلك العين الوجود وهي تثبت الأحوال اللهم منكر الأحوال لا يتمكن له هذا ثم إن هذا البرزخ الذي هو الممكن بين الوجود والعدم سبب نسبة الثبوت إليه مع نسبة العدم هو مقابلته للأمرين بذاته وذلك أن العدم المطلق قام للوجود المطلق كالمرآة فرأى الوجود فيه صورته فكانت تلك الصورة عين الممكن فلهذا كان للممكن عين ثابتة وشيئية في حال عدمه ولهذا خرج على صورة الوجود المطلق ولهذا أيضاً اتصف بعدم التناهي فقليل فيه أنه لا يتناهي وكان أيضاً الوجود المطلق كالمرآة للعدم المطلق فرأى العدم المطلق في مرآة الحق نفسه فكانت صورته التي رأى في هذه المرآة هو عين العدم الذي اتصف به هذا الممكن وهو موصوف بأنه لا

يتناهى كما العدم المطلق لا يتناهى فاتصف الممكن بأنه معدوم فهو كالصورة الظاهرة بين الرائي والمرآة لا هي عين الرائي ولا غيره فالممكن ما هو من حيث ثبوته عين الحق ولا غيره ولا هو من حيث عدمه عين المحال ولا غيره فكأنه أمر إضافي ولهذا نزع طائفة إلى نفي الممكن وقالت ما ثم إلا واجب أو محال ولم يتعقل لها الإمكان فالممكنات على ما قررناه أعيان ثابتة من تجلي الحق معدومة من تجلي العدم ومن هذه الحضرة علم الحق نفسه فعلم العالم وعلمه له بنفسه أزلاً فإن التجلي أزلاً وتعلق علمه بالعالم أزلاً على ما يكون العالم عليه أبداً مما ليس حاله الوجود لا يزيد الحق به علماً ولا يستفيد ولا رؤية تعالى الله عن الزيادة في نفسه والاستفادة فإن قلت فإن أحوال الممكنات مختلفة وإذا كان الممكن في حالة له مقابل لم يكن في الأخرى وبظهور إحداها تنعدم الأخرى من أين كان العلم له بهذه المرتبة قلنا له إن كنت مؤمناً فالجواب هين وهو أنه علم ذلك من نفسه أيضاً واكتسى الممكن هذا الوصف من خالقه وقد ثبت لك النسخ الإلهي في كلام الحق بما شرع وقد ثبت عندك تجلي الحق في الدار الآخرة في صور مختلفة فأين الصورة التي تحول إليها من الصورة التي تحول عنها فهذا أصل تقلب الممكنات من حال إلى حال يتنوع لتنوع الصور الإلهية فإن قلت فهذا التنوع ما متعلقه هل متعلقه الإرادة قلنا لا فإنه ليس للإرادة اختيار ولا نطق بها كتاب ولا سنة ولا دل عليها عقل وإنما ذلك للمشئة فإن شاء كان وإن شاء لم يكن قال عليه السلام ما شاء الله وما لم يشأ لم يكن فعلق النعي والإثبات بالمشئة وما ورد ما لم يرد لم يكن ورد لو أردنا أن يكون كذا لكان كذا فخرج من المفهوم الاختيار فالإرادة تعلق المشئة بالمراد وهو قوله إنما قولنا لشيء إذا أردناه هذا تعلق المشئة وقد ذهب بعض الناس من أهل الطريق أن المشئة هي عرش الذات وهو أبو طالب أي ملكها أي بالمشئة ظهر كون الذات ملكاً لتعلق الاختيار بها فالاختيار للذات من كونها إلهاً فإن شاء فعل وإن شاء لم يفعل وهو التردد الإلهي في الخبر الصحيح ما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نسمة المؤمن يكره الموت والعلم للذات من كونه ذاتاً ولهذا تظهر رائحة الجبر مع العلم ويظهر الاختيار مع المشئة فما حكم وسبق به العلم لا يتبدل عقلاً ولا شرعاً ما يبدل القول لدي ولرائحة الجبر فيه أعقبه وما أنا بظلام للعبيد لئلا يتوهم متوهم ذلك إذ كان الحكم للعلم فيه فلم أخذ بما هو عليه مجبور غير مختار ومن علم ما ذكرناه من تجلي الحق في مرآة العدم لظهور صور أعيان الممكنات على صورة الوجوب هان عليه هذا كله وعرف أصله واستراح راحة الأبد وعلم أن الممكن ما خرج عن حضرة إمكانه لا في حال وجوده ولا في حال عدمه والتجلي له مستصحب والأحوال عليه تتحول وتطرأ فهو بين حال عديم وحال وجودي والعين هي تلك العين وهذا من

العلم المكنون الذي قيل فيه أن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العالمون بالله فإذا نطقوا به لم ينكره إلا أهل الغرة بالله ولهذا كان الجن والأرواح لو بعث إليهم أحسن رداً على النبي صلى الله عليه وسلم حين كان يقرأ عليهم القرآن من الإنس وكذا قال لأصحابه وذلك لأنهم إلى هذه الحضرة أقرب نسبة وإلى عالم الغيب فإن لهم التحول في الصور ظاهراً وباطناً فكان استماعهم لكلام الله أوثق وأحسن للمشاركة في سرعة التنوع والتقلب من حال إلى حال وهو من صفات الكلام فهم بالصفة إليه أقرب مناسبة وأعلم بكلام الله منا ألا نراهم لما منعوا السمع وحيل بينهم وبين السماء بالرحوم قالوا ما هذا إلا لأمر حدث فأمر زوينة أصحابه وغيره أن يجولوا مشارق الأرض ومغاربها لينظروا ما هذا الأمر الذي حدث وأحدث منعهم من الوصول إلى السماء فلما وصل أصحاب زوينة إلى قهامة مروا بنخلة فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة الفجر وهو يقرأ فلما سمعوا القرآن أصغوا إليه وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فلولا معرفتهم برتبة القرآن وعظم قدره ما تفتنوا لذلك فولوا إلى قومهم منذرين فقالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طرق مستقيم يا قومنا أحييوا داعي الله وآمنوا يغفر لكم

من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم وقالوا إنا سمعنا قرآنًا عجباً يهدي إلى الرشd فأما به ولن نشرك بربنا أحداً وأنه تعالى جدر بنا ما نتخذ صاحبة ولا ولداً وكذلك لما قرأ عليهم سورة الرحمن ليلة الجن ما مر بأية يقول فيها فبأي آلاء ربكما تكذبان إلا قالوا ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب ولما تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك على أصحابه من الإنس لم يقولوا شيئاً مما قالتة الجن فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إني تلوتها على إخوانكم من الجن فكانوا أحسن استماعاً لها منكم ما قيل لهم فبأي آلاء ربكما تكذبان إلا قالوا ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب ولقد روينا حديثاً غريباً عن واحد من هذه الجماعة من الجن حدثني به الضرير إبراهيم بن سليمان بمزلي بحلب وهو من دير الرمان من أعمال الخابور عن رجل خطاب ثقة كان قد قتل حية فاختطفته الجن فأحضرتة بين يدي شيخ كبير منهم هو زعيم القوم فقالوا له هذا قتل ابن عمنا قال الخطاب ما أدري ما تقولون وإنما أنا رجل خطاب تعرضت لي حية فقتلتها فقالت الجماعة هو كان ابن عمنا فقال الشيخ رضي الله عنه خلوا سبيل الرجل وردوه إلى مكانه فلا سبيل لكم عليه فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنا من تصور في غير صورته فقتل فلا عقل فيه ولا قود وابن عمكم تصور في صورة حية وهي من أعداء الإنس قال الخطاب فقلت له يا هذا أراك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أدركته قال نعم أنا واحد من جن نصيبين الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا منه وما بقي من تلك الجماعة غيري فأنا أحكم في أصحابي بما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يذكر لنا اسم ذلك الرجل من الجن ولا سألت عن اسمه وقد حدث بهذا الحديث الشيخ الذي حدثنا به صاحبي شمس الدين محمد بن برتقش المعظمي وبرهان الدين إسماعيل بن محمد الأيدي بحلب أيضاً فإني كنت أحدثهما بهذا الحديث فلما جئنا مدينة حلب بعثتهما إليه ليحدثهما كما حدثني فحدثهما كما حدثني فكل عالم برزخي هو أعلم بحضرة الإمكان من غيره من المخلوقين لقرب المناسبة ويكفي هذا القدر من هذا المنزل فلنذكر ما يحوي عليه هذا المنزل من العلوم وذلك أنه يحوي على علم الأمر الإلهي هل له صفة أم لا وهل من شرطه أو من حقيقته الإرادة أم لا وعلم الوحي وضروبه وعلم السماع وعلم العالم البرزخي وعلم الجبروت وعلم الهدى وعلم العظمة الإلهية لماذا ترجع وأين تظهر ومن هو الموصوف بها ولمن هي نسبة ولمن هي صفة وعلم التنزيه وعلى من يعود وعلم الحضرة التي أطلق الله منها ألسنة عباده على نفسه بما لا يليق به في الدليل العقلي وهل لذلك وجه إلهي يستند إليه في ذلك أم لا وهو قولهم أن الله فقير وأن عيسى ابن الله وكذلك عزيز ويد الله مغلوله كما حكى الله عنهم وأمثال هذا وعلم الظن وحكمه والحمد منه والمذموم وما متعلقه وعلم الإيمان وعلم ما ينبغي أن يستند إليه ممن لا يستند وما صفته وما يجوز من ذلك مما لا يجوز وعلم مراتب الكواكب وعلم منازل الروحانيين من السماء وعلم أحوال الخلق وعلم الصديقين وعلم المسابقة بين الله وبين عبده وعلم المكر والفتن وعلم القيام بأوامر الله وعلم مراتب الغيب وما انفرد به الحق من علم الغيب دون خلقه وما يمكن أن يعلم من الغيب وهل العلم به يزيل عنه اسم الغيب في حق العالم أم لا وقوله تعالى عالم الغيب لماذا يرجع إطلاق الغيب هل لكونه غيباً عنا أو غيباً في نفسه من حيث لم يصفه بتعلق الرؤية فيكون شهادة وعلم العصمة وعلم تعلق العلم بما لا يتناهى هل يتعلق به على جهة الإحاطة أم لا وعلم قول النبي صلى الله عليه وسلم في الأسماء الحسنى من أحصاها دخل الجنة وما معنى الإحصاء ولماذا يرجع وهل يدخل تحته ما لا يتناهى كما يدخل تحت الإحاطة أو لا يدخل وما الفرق بين الإحاطة والإحصاء فإن الواحد يحاط به ولا يحصى والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الثالث عشر وثلاثمائة في معرفة منزل البكاء والنوح

من الحضرة المحمدية

أقول لأدم أصل الجسوم	كما أصل الرسالة شرع نوح
وإن محمداً أصل شريف	عزيز في الوجود لكل روح
أنا ولد لآباء كرام	فنوري في الإضاءة مثل يوح
إذا حضروا وإخواني وقوف	لخدمتهم حننت إلى المسيح
فإني كنت تبت على يديه	وساعدني على قتل المسيح
وذلك في المنام وكان موسى	نجي فيه بالقول الفصيح
وأعطاني الغزاة في يميني	وأفهم بالإشارة والصريح
وأغناني فروحي علواً	وأفقرني فأصحبني ضريحي
فإن حضروا وضمهم مقام	إليهم حين أبصرهم جنوحي
فبر الوالدين علي فرض	فيا نفسي على التفريط نوحي
أنا ابن محمد وأنا ابن نوح	كما أني ابن آدم في الصحيح
فيا من يفهم الألغاز هذا	لسان رموزنا بالعلم يوحي

اعلم أيديك الله أن أصل أرواحنا روح محمد صلى الله عليه وسلم فهو أول الآباء روحاً وأدم أول الآباء جسماً ونوح أول رسول أرسل ومن كان قبله إنما كانوا أنبياء كل واحد على شريعة من ربه فمن شاء دخل في شرعه معه ومن شاء لم يدخل فمن دخل ثم رجع كان كافراً ومن لم يدخل فليس بكافر ومن أدخل نفسه في الفضول وكذب الأنبياء كان كافراً ومن لم يفعل وبقي على البراءة لم يكن كافراً وأما قوله تعالى وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ليس بنص في الرسالة وإنما هو نص في أن في كل أمة عالماً بالله وبأمور الآخرة وذلك هو النبي لا الرسول ولو كان الرسول لقال إليها ولم يقل فيها ونحن نقول أنه كان فيهم أنبياء عالمون بالله ومن شاء وافقهم ودخل معهم في دينهم وتحت حكم شريعتهم كان ومن لم يشأ لم يكلف ذلك وكان إدريس عليه السلام منهم ولم يجيء له نص في القرآن برسائله بل قيل فيه صديقاً نبياً فأول شخص استفتحت به الرسالة نوح عليه السلام وأول روح إنساني وجد روح محمد وأول جسم إنساني وجد جسم آدم وللورثة حظ من الرسالة ولهذا قيل في معاذ وغيره رسول رسول الله وما فاز بهذه الرتبة ويحشر يوم القيامة مع الرسل إلا المحدثون الذين يروون الأحاديث بالأسانيد المتصلة بالرسول عليه السلام في كل أمة فلهم حظ في الرسالة وهم نقلة الوحي وهم ورثة الأنبياء في التبليغ والفقهاء إذا لم يكن لهم نصيب في رواية الحديث فليست لهم هذه الدرجة ولا يحشرون مع الرسل بل يحشرون في عامة الناس ولا ينطلق اسم العلماء الأعلى أهل الحديث وهم الأئمة على الحقيقة وكذلك الزهاد والعباد وأهل الآخرة ومن لم يكن من أهل الحديث منهم ومن كان حكمه حكم الفقهاء لا يتميزون في الورثة ولا يحشرون مع

الرسول بل يحشرون مع عموم الناس ويتميزون عنهم بأعمالهم الصالحة لا غير كما أن الفقهاء أهل الاجتهاد يتميزون بعلمهم عن العامة ومن كان من الصالحين ممن كان له حديث مع النبي صلى الله عليه وسلم في كشفه وصحبه في عالم الكشف والشهود وأخذ عنه حشر معه يوم القيامة وكان من الصحابة الذين صحبوه في أشرف موطن وعلى أسنى حالة ومن لم يكن له هذا الكشف فليس منهم ولا يلحق بهذه الدرجة صاحب النوم ولا يسمى صاحباً ولو رآه في كل منام حتى يراه وهو مستيقظ كشفاً يخاطبه ويأخذ عنه ويصحح له من الأحاديث ما وقع فيه الطعن من جهة طريقها فهؤلاء الآباء الثلاثة هم آباؤنا فيما ذكرناه والأب الرابع هو إبراهيم عليه السلام هو أبونا في الإسلام وهو الذي سمانا مسلمين وأقام البيت على أربع أركان فقام الدليل على أربع مفردات متناسبة وكانت النتيجة تناسب المقدمات فانظر من كانت هذه مقدماته وهو محمد وآدم ونوح وإبراهيم عليهم السلام ما أشرف ما تكون النتيجة والولد عن هؤلاء الآباء روح طاهر وجسد طاهر ورسالة وشرع طاهر واسم شريف طاهر ومن كان أبوه هؤلاء المذكورين فلا أسعد منه وهو أرفع الأولياء منصباً ومكانة ولما كانت النشأة ظهرت في الجنان أولاً واتفق هبوطها إلى الأرض من أجل الخلافة لا عقوبة المعصية فإن العقوبة حصلت بظهور السوآت والاجتناب والتوبة قد حصلاً بتلقي الكلمات الإلهية فلم يبق التزول إلا للخلافة فكان هبوط تشریف وتكریم ليرجع إلى الآخرة بالجسم الغفير من أولاده السعداء من الرسل والأنبياء والأولياء والمؤمنين ولكن الخلافة لما كانت ربوبية في الظاهر لأنه يظهر بحكم الملك فيتصرف في الملك بصفات سيده ظاهراً وإن كانت عبوديته له مشهودة في باطنه فلم تعم عبوديته جميعه عند رعيته الذين هم أتباعه وظهر ملكه بهم وباتباعهم والأخذ عنه فكان في مجاورتهم بالظاهر أقرب وبذلك المقدار يستتر عنه من عبوديته فإن الحقائق تعطي ذلك ولذلك كثيراً ما يتزل في الوحي على الأنبياء قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي وهذه آية دواء لهذه العلة فبهذا المقدار كانت أحوال الأنبياء الرسل في الدنيا البكاء والنوح فإنه موضع تنقي فنتته ومن كان ذلك حاله أعني التقوى والاتقاء كيف يفرح أو يلتذ من يتقي فإن تقواه وحذره وخوفه أن لا يوفي مقام التكليف حقه وعلمه بأنه مسؤول عنه لا يتركه يفرح ولا يسر بعبادة المقام قال صلى الله عليه وسلم أنا أتقاكم لله وأعلمكم بما أتقي حين قالت له الصحابة في اجتهاد قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر بعد قوله المتزل عليه ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر

وأمثال هذا وقال إنما يخشى الله من عباده العلماء وقال اتقوا الله حق تقاته وقال اتقوا الله ما استطعتم واتقوا الله ويعلمكم الله وهذا هو حظ الورثة من النبوة أن يتولى الله تعليم المتقي من عباده فيقرب سنده فيقول أخبرني ربي بشرع نبيه الذي تعبد به ممن أخذه أوحى به إليه فهو عال في العلم تابع في الحكم وهم الذين ليسوا بأنبياء وتغبطهم الأنبياء عليهم السلام في هذه الحالة لأنهم اشتركوا معهم في الأخذ عن الله وكان أخذ هذه الطائفة عن الله بعد التقوى بما عملوا عليه مما جاءهم به هذا الرسول فهم وإن كانوا بهذه المثابة وأنتج لهم تقواهم الأخذ عن الله في موازين الرسل وتحت حوطتهم وفي دائرتهم ووقع الاغتيال في كونهم لم يكونوا رسلاً فبقوا مع الحق دائماً على أصل عبودية لم تشبها ربوبية أصلاً فمن هنا وقع الغبط لراحتهم وإن كانت الرسل أرفع مقاماً منهم ألا تراهم يوم القيامة لا يجزئهم الفرع الأكبر ولا يداخلهم خوف البتة والرسل في ذلك اليوم في غاية من شدة الخوف على أمهم لا على أنفسهم والأمم في الخوف على أنفسهم وهؤلاء في ذلك اليوم لا أثر للخوف عندهم فإنهم حشروا إلى الرحمن وفداً ثم لتعلم بعد أن عرفتكم بعلو منصبك أيها الصديق في اتباع ما شرع لك أن الناس غلطوا في الصادقين من عباد الله المثابرين على طاعة الله واشترط من لا يعرف الأمر على ما هو عليه ولا ذاق طريق القوم أن الداعي إلى الله إذا كان يدعو إلى الله بحالة صدق مع الله أثر في نفوس السامعين القبول فلا ترد دعوته وإذا دعا بلسانه وقلبه مشحون بحب الدنيا وأغراضها وكان دعاؤه صنعة لم يؤثر في القلوب ولا

تعدى الآذان فيقولون أن الكلام إذا خرج من القلب وقع في القلب وإذا خرج من اللسان لم يتعد الآذان وهذا غاية الغلط فوالله ما من رسول دعا قومه إلا بلسان صدق من قلب معصوم ولسان محفوظ كثير الشفقة على رعيته راغب في استجابتهم لما دعاهم إليه هذه أحوال الرسل في دعائهم إلى الله تعالى وصدقهم ومع هذا يقول صلى الله عليه وسلم إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً فلم يردهم دعائي إلا فراراً وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً وقال تعالى ليس عليك هداهم وقال إنك لا تهدي من أحببت وقال ما على الرسول إلا البلاغ فلو أثر كلام أحد في أحد لصدقه في كلامه لأسلم كل من شافهه النبي عليه السلام بالخطاب بل كذب ورد الكلام في وجهه وقوتل فإن لم يكن لله عناية بالسامع بأن يجعل في قلبه صفة القبول حتى يلقي بها النور الإلهي من سراج النبوة كما وصفه تعالى وسراجاً منيراً ألا ترى الفتيلة إذا كان رأسها يخرج منه دخان وهي غير مشتعلة فإذا سامت بذلك الدخان السراج اشتعل ذلك الدخان بما فيه من الرطوبة وتعلق فيه النور من السراج ونزل على طريقه حتى يستقر في رأس الفتيلة التي انبعث منها ذلك الدخان إلى السراج فتشتعل الفتيلة وتلحق برتبة السراج في النورية فإن كانت لها مادة دهن وهي العناية الإلهية بقيت مستنيرة ما دام الدهن يمدّها وذلك النور يذهب برطوبات ذلك الدهن الذي به بقاؤه ولم يبق معه للسراج حديث بعد أن ظهر فيه النور وبقي الإمداد من جانب الحق فلا يذري أحد ما يصل إليه فإن الأنبياء ما دعت لأنفسها الناس وإنما دعتهم إلى ربها فأى قلب اعتنى الله به وقام به حرقة الشوق إلى ذلك الدعاء مثل احتراق رأس الفتيلة ثم انبعث من هذا الشوق همة إلى ما دعاه إليه الرسول في كلامه مثل انبعث الدخان من تلك النارية التي في رأس الفتيلة وهي قوة جاذبة فجذبت من نور النبوة والوحي والهداية ذلك الاشتعال الذي قام بالدخان فرجع به إلى قلب صاحبه فاهتدى واستنار كما اتقدت هذه الفتيلة ثم فارق النبي ومشى إلى أهله نوراً فإن اعتنى الله به وأمدّه بتوقيفه ثبت له في قلبه نور الهداية بذاك الإمداد ولم يبق للرسول بعد ذلك معه شغل إلا بتعيين الأحكام إلا أن ذلك النور هو نور الإيمان ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً تهدي به من نشاء من عبادنا قال عليه السلام عن ربه أدعو إلى الله ولم يقل أدعو إلى نفسي وإلى حرف موضوع للغاية فإذا أجاب المؤمن مشى إلى ربه على الطريقة التي شرع له هذا الرسول فلما وصل إلى الله تلقاه الحق تلقى إكرام وهبات ومنح وعطايا فصار يدعو إلى الله على بصيرة كما دعا ذلك

الرسول وهو قوله حين قال أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني فأخبر أن من اتبعه يدعو إلى الله أيضاً على بصيرة فإن كنت عارفاً بمواقع الخطاب الإلهي وتنبيهاته وإشاراته فقد عرفك بحالك مع رسوله صلى الله عليه وسلم وبحالك معه وقد جعلك على صورة نبيه صلى الله عليه وسلم في نوره وإمداده وأبان لك أن صورتك معه في هذا الأمر صورته أيضاً مع جبريل عليهما السلام الذي اتقدت فتيلته من سراج جبريل واشتعلت نوراً وكل واحد من السرج ما انتقل نوره عنه بل هو على نوره في نفسه وانظر إلى من استندت الرسل بعد أخذها عن جبريل عليه السلام هل كان استنادها إلى جبريل أو إلى الله لا والله بل قيل رسول الله وما قيل رسول جبريل وكذلك من أخذ عن النبوة مثل هذا النور ودعا إلى الله على بصيرة فذلك الدعاء والنور الذي يدعو به هو نور الإمداد لا النور الذي اقتبس من السراج فلينسب إلى الله في ذلك لا إلى الرسول فيقال عبد الله وهو الداعي إلى الله عن أمر الله بوساطة رسول الله بحكم الأصل لا بحكم ما فتح الله به عليه في قلبه من العلوم الإلهية التي هي فتح عين فهمه لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من القرآن والأخبار لا أن هذا الولي يأتي بشرع جديد وإنما يأتي بفهم جديد في الكتاب العزيز لم يكن غيره يعرف أن ذلك المعنى في ذلك الحرف المتلو أو المنقول فللرسل صلوات الله عليهم وسلامه العلم ولنا الفهم وهو علم أيضاً فإن

حققت يا أخي ما أوردناه في هذا الباب وقفت على أسرار إلهية وعلمت مرتبة عباد الله الذين هم بهذه المثابة أين ينتهي بهم ومعهم هم وعمن يأخذون ومن ينجون وإلى من يستندون وأين تكون منزلتهم في الدار الآخرة وهل لهم شركة في المرتبة في الدار الآخرة كما كان لهم شركة هنا في النورية والإمداد الإلهي أم لا فأما في الدنيا فليسوا بأنبياء فإنهم عن الأنبياء أخذوا طريقهم وما بقي الأمر إلا في إمداد هل أثره إبقاء النور الأول وتتجدد لهم الأنوار مع الآتات من الحق كما يتجدد نور السراج باشتعال الهواء من رطوبات الدهن فليس هو ذلك النور الأول ولا هو غيره ولا ذهب ذلك النور ولا بقي عينه والناظر يرى اتصال الأنوار صورة واحدة في النورية إلا أنه يعرف أنه لولا إمداد الدهن لطفى هذا حظ كل مشاهد من ذلك من حيث النظر والصورة ومن حيث المعنى يزيد على النظر معرفة ما يقع به الإمداد وما أثره في ذلك المشهود فيزيد علماً آخر لم يكن عنده فممن فقد مثل هذا ينبغي أن يطول نوحه وبكاؤه على نفسه جعلنا الله من أهله ومن دعا إلى الله على بصيرة أو انفرد مع الله على بصيرة أنه الملي بذلك والقادر عليه وهذا القدر كاف في هذا الباب وقد حصلت الفائدة فلنذكر ما يحوي عليه هذا المتزل من العلوم فاعلم أنه يتضمن علم الحقائق الأسمائية وعلم الرسالة من حيث المكانة التي أرسل منها لا من حيث أنها رسالة وعلم التخويف هل يخاف الله أو يخاف ما يكون منه وما مشهود من يخاف الله والخوف إنما هو مما يتعلق بك ويحل فيك والحق تعالى مزره الذات عن الحلول في الذوات فما معنى وأعوذ بك منك وعلم طاعة العباد فيماذا يطاعون وهل لهم في تلك الطاعة نصيب بطريق الاستحقاق أو ليس لهم فإن الله يقول من يطع الرسول فقد أطاع الله هذا مقام ومقام آخر وأطيعوا الرسول ومقام آخر وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فهذه مقامات كلها تقتضيها الطاعة ويختلف المطاع وتحقيق ذلك عجيب وتفصيل ما يقع فيه الطاعة كذلك وهل نسبة الطاعة لأولي الأمر كنسبتها إلى الرسول كنسبتها إلى الله أم لا بل تكون مختلفة وعلم نتائج المخالفات والموافقات وعلم الفرق بين الأجلين ولماذا كان الأول أجلاً ولماذا كان الآخر أجلاً هل لعين واحدة أم لأمرين مختلفين وعلم أحوال الناس المدعوين إلى الله ما الذي يحول بينهم وبين الإجابة مع العلم بصدق الداعي وما الذي يدعوهم إلى الإجابة والمجلس واحد والداعي واحد والدعوة واحدة وعلم الثواب المعجل الحسي والمعنوي وعلم الاعتبار وعلم العالم العلوي والعالم السفلي وعلم السر الذي قام في المعبودين من دون الله وما المناسبة التي جمعت بينهم وبين من عبدتهم ولماذا شقوا شقاوة الأبد ولم تنلهم المغفرة ولا خرجوا من النار وعلم الغيرة الإلهية والغيرة من كل غيور ولماذا ترجع والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الرابع عشر وثلاثمائة في معرفة منزل الفرق بين مدارج الملائكة والنبيين

والأولياء من الحضرة المحمدية

في قالب الأنوار بالأسرار

بدقائق الأدوار والأكوار

إلا بنعت الواحد القهار

بالوكة من حضرة الأبرار

بالصورتين حميدة الآثار

تنتزل الأملاك من ملكوته

حتى إذا ألقت إلي علومها

من كل علم ما له متعلق

عادت إلى أفلاكها أملاكها

قد زانها حسن التلقي فانتنت

وتيقنت أن المعارف إنما

وهبت لأهل العلم بالأسرار

وقد انتهت طول المقام بساحتي

لخروجها فيها عن الأطوار

اعلم أيديك الله أيها الولي الحميم أن الله تعالى لما خلق الخلق قدرهم منازل لا يتعدونها فخلق الملائكة ملائكة حين خلقهم وخلق الرسل رسلاً والأنبياء أنبياء والأولياء أولياء والمؤمنين مؤمنين والمنافقين منافقين والكافرين كافرين كل ذلك مميز عنده سبحانه معين معلوم لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم ولا يبدل أحد بأحد فليس لمخلوق كسب ولا تعمل في تحصيل مقام لم يخلق عليه بل قد وقع في الفراغ من ذلك وذلك تقدير العزيز العليم فنمازل كل موجود وكل صنف لا يتعدها ولا يجري أحد في غير مجراه قال تعالى في شأن الكواكب كل في فلك يسبحون وهكذا كل موجود له طريق تخصه لا يسلك عليها أحد غيره روحاً وطبعاً فلا يجتمع اثنان في مزاج واحد أبداً ولا يجتمع اثنان في منزلة واحدة أبداً فلا يكون الإنسان ملكاً أبداً ولا الملك إنساناً ولا الرسول غيره أبداً ولكل مدرجة عن الله تعالى لكل صنف بل لأشخاص كل نوع خواص تخصها لا ينالها إلا السالك عليها ولو جاز أن يسلك غيره على تلك المدرجة لنال ما فيها وإن جمع الجنس منزل واحد وهكذا كل نوع من الأنواع التي تحت كل جنس من الأجناس وكذلك كل جنس من الأجناس إلى جنس الأجناس كذلك إلى النوع الأخير كما تجمع الرسالة الرسل ويفضل بعضهم بعضاً والأنبياء النبوة ويفضل بعضهم بعضاً هذا وإن كانت الكواكب تقطع في فلك واحد وهو فلك البروج فلك واحد منها فلك يخصه يسبح فيه لا يشاركه فيه غيره فهكذا الأمر في الجميع أعني في المخلوقات وإن جمعهم مقام فإنه يفرقهم مقام فالفلك الكبير الذي يجمع العالم كله فلك الأسماء الإلهية فيه يقطع كل شخص في العالم فهي في منازل المقدرة ولا يخرج عنها بوجه من الوجوه ولكن يسبح فيه بفلكه الخاص به الذي أوجده الحق فلا يذوق غيره ذوقه من فلك الأسماء ولو ذاقه لكان هو ولا يكون هو أبداً فلا يجتمع اثنان منزل أبداً لاتساع فلك فلك الأسماء الإلهية فكل من ادعى من أهل الطريق أنه خرج عن الأسماء الإلهية فما عنده علم بما هي الأسماء ولا يعلم ما معنى الأسماء وكيف يخرج عن إنسانيته الإنسان أو عن ملكيته الملك ولو صح هذا انقلبت الحقائق وخرج الإله عن كونه إلهاً وصار الحق خلقاً والخلق حقاً وما وثق أحد بعلم وصار الواجب ممكناً ومحالاً والمحال واجباً وانفسد النظام فلا سبيل إلى قلب الحقائق وإنما يرى الناظر الأمور العرضية تعرض للشخص الواحد وتنتقل عليه الحالات ويتقلب فيها فيتخيل أنه قد خرج عنها وكيف يخرج عنها وهي تصرفه وما حال ما هو عين الآخر فطراً التلبس من جهله بالصفة المميزة لكل حال عن صاحبه تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وإن سبح الكل في فلك الرسالة فأين قطع الهلال من قطع النسر وذلك أن في الأمور اتساعاً وضيقاً ونشراً وطياً الحس حقيقة واحدة يقطع في فلكها الحواس فأين اللمس من البصر اللمس لا يدرك الملموس كونه خشناً أو ليناً إلا بغاية من القرب فإذا لمسه عرفه والبصر عندما تفتح عينك وترسله في المبصرات علوماً كان زمان فتحه زمان إدراكه فلك البروج فأين مسافة ما يقطعه البصر من مسافة ما يقطعه اللمس لو أرادت حاسة اللمس تدرك ملوسة فلك البروج أو خشونته لو كان خشناً متى كانت تصل إلى ذلك ومع هذا فقد جمعهما الحس وكذلك السمع والشم والطعم فانظر ما بين هذه الحقائق من التباين وطبقاتها من التفاضل وأين اتساع أفلاكها من اتساع أفلاك القوى الروحانية في الإنسان ذلك تقدير العزيز العليم وإذا علمت هذا علمت أن النبوة اختصاص إلهي وأن الرسالة كذلك والولاية والإيمان والكفر وجميع الأحوال وأن الكسب اختصاص فإن الملائكة ما لها كسب

بل هي مخلوقة في مقاماتها لا تتعداها فلا تكتسب مقاماً وإن زادت علواً ولكن ليس عن فكر واستدلال لأن نشأتهم لا تعطي ذلك مثل ما تعطيه نشأة الإنسان والقوى التي هم عليها الملائكة المعبر عنها بالأجنحة كما قال عز وجل جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع وقد صح في الخبر أن جبريل له ستمائة جناح فهذه القوة الروحانية ليس لها في كل ملك تصرف فيما فوق مقام صاحبها مثل الطائر عندنا الذي يهوي سفلاً ويصعد علواً وأجنحة الملائكة إنما تنزل بها إلى من هو دونها وليس لها قوة تصعد بها فوق مقامها فإذا نزلت بها من مقامها إلى ما هو دونه رجعت علواً من ذلك الذي نزلت إليه إلى مقامها ولا تتعداه فما أعطيت الأجنحة

إلا من أجل النزول كما أن الطائر ما أعطي الجناح إلا من أجل الصعود فإذا نزل نزل بطبعه وإذا علا بجناحه والملك على خلاف ذلك إذا نزل نزل بجناحه وإذا علا بطبعه وأجنحة الملائكة للنزول إلى ما دون مقامها والطائر جناحه للعلو إلى ما فوق مقامه وذلك ليعرف كل موجود عجزه وأنه لا يتمكن له أن يتصرف بأكثر من طاقته التي أعطاه الله إياها فالكل تحت ذل الحصر والتقييد والعجز لينفرد جلال الله بالكمال في الإطلاق لا إله إلا هو العلي الكبير فإذا تقرر هذا فاعلم أن للملائكة مدارج ومعارج يعرجون عليها ولا يعرج من الملائكة إلا من نزل فيكون عروجه رجوعاً إلا أن يشاء الحق تعالى فلا تحجير عليه وإنما كلامنا في الوقع في الوجود وإنما سمي النزول من الملائكة إلينا عروجاً والعروج إنما هو لطالب العلو لأن الله في كل موجود تجلياً ووجهاً خاصاً به يحفظه ولا سيما وقد ذكر أنه سبحانه وسعه قلب عبده المؤمن ولما كان للحق سبحانه صفة العلو على الإطلاق سواء تجلّى في السفلى أو في العلو فالعلو له والملائكة أعطاهم الله من العلم بجلاله بحيث إذا توجهوا من مقامهم لا يتوجهون إلا لله لا لغيره فلهم نظر إلى الحق في كل شيء ينزلون إليه فمن حيث نظرهم إلى ما ينزلون إليه يقال تنزل الملائكة ومن حيث أنهم ينظرون إلى الحق سبحانه عند ذلك الأمر الذي إليه وله سبحانه مرتبة العلو يقال تعرج الملائكة فهم في نزولهم أصحاب عروج فنزلهم إلى الخلق عروج إلى الحق وإذا رجعوا منا إلى مقاماتهم يقال أنهم عرجوا بالنسبة إلينا وإلى كوفهم يرجعون إلى الحق لغرض ما بأيديهم مما نزلوا إليه فكل نظر إلى الكون ممن كان فهو نزول وكل نظر إلى الحق ممن كان فهو عروج فافهم ثم أن الله عين للرسول معارج يعرجون عليها ما هي معارج الملائكة وعين للأتباع أتباع الرسل معارج يعرجون عليها وهم أتباع الأتباع فإن الرسول تابع للملك والولي تابع للرسول ولهذا قيل للرسول ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقرضي إليك وحيه فهو مصغ تابع للملك ونحن مع الرسول بهذه المثابة فإذا نزل الملك بالوحي على الرسول وتلقاه منه ألقاه الرسول على التابع وهو صاحب فتلقاه منه فإذا عرج الملك عرج بذاته لأنه رجوع إلى أصله وإذا عرج الرسول ركب البراق فعرج به البراق بذاته وعرج الرسول لعروج البراق بحكم التبعية والحركة القسرية فكان محمولاً في عروجه حمله من عروجه ذاتي فتميز عروج الرسول عن عروج الملك ثم إنه لما وصل إلى المقام الذي لا يتعداه البراق وليس في قوته أن يتعداه تدلى إلى الرسول الرفرف فترل عن البراق واستوى على الرفرف صعد به الرفرف وفارقه جبريل فسأله الصحبة فقال أنه لا يطيق ذلك وقال له وما منا إلا له مقام معلوم فلو أراد الحق صعوده فوق ذلك المقام لكان محمولاً مثل ما حمل الرسول صلى الله عليه وسلم ولما وصل المعراج الرفرفي بالرسول صلى الله عليه وسلم إلى مقامه الذي لا يتعداه الرفرف زج به في النور زجة غمره النور من جميع نواحيه وأخذته الحال فصار يتمايل فيه تمايل السراج إذا هب عليه نسيم رقيق يميله ولا يطفئه ولم ير معه أحداً يأنس به ولا يركن إليه وقد أعطته المعرفة أنه لا يصح الإنس إلا بالمناسب ولا مناسبة بين الله وعبده وإذا أضيفت المؤانسة فإنما ذلك على وجه خاص يرجع إلى الكون فأعطته صلى الله عليه وسلم هذه المعرفة الوحشة لانفراده بنفسه وهذا مما يدل أن الإسراء كان بجسمه

صلى الله عليه وسلم لأن الأرواح لا تتصف بالوحشة ولا الاستيحاش فلما علم الله منه ذلك وكيف لا يعلمه وهو الذي خلقه في نفسه وطلب عليه السلام الدنو بقوة المقام الذي هو فيه فتودي بصوت يشبه صوت أبي بكر تأنيساً له به إذ كان أنيسه في المعهود فحن لذلك وأنس به وتعجب من ذلك اللسان في الوطن وكيف جاءه من العلو وقد تركه بالأرض وقيل له في ذلك النداء يا محمد قف إن ربك يصلي فأخذه لهذا الخطاب انزعاج وتعجب كيف تنسب الصلاة إلى الله تعالى فتلا عليه في ذلك المقام هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور فعلم ما المراد بنسبة الصلاة إلى الله فسكن روعه مع كونه سبحانه لا يشغله شأن عن شأن ولكن قد وصف نفسه بأنه لا يفعل أمراً حتى يفرغ من أمر آخر فقال سنفرغ لكم أيها الثقلان فمن هذه الحقيقة قيل له قف إن ربك يصلي أي لا يجمع بين شغلين يريد بذلك العناية بمحمد

صلى الله عليه وسلم حيث يقيمه في مقام التفرغ له فهو تنبيه على العناية به والله أجل وأعلى في نفوس العارفين به من ذلك فإن الذي ينال الإنسان من المتفرغ إليه أعظم وأمكن من الذي يناله ممن ليس له حال التفرغ إليه لأن تلك الأمور تجذبه عنه فهذا في حال النبي عليه السلام وتشريفه فكان معه في هذا المقام بمنزلة ملك استدعى بعض عبيده ليقربه ويشرفه فلما دخل حضرته وقعد في منزلته طلب أن ينظر إلى الملك في الأمر الذي وجه إليه فيه فقبل له تربص قليلاً فإن الملك في خلوته يعزل لك خلعة تشريف يخلعها عليك فما كان شغله عنه إلا به ولذلك فسر له صلاة الله بقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم فشرف بأن قيل له إنما غاب عنك من أجلك وفي حقك فلما أدناه تدلى إليه فأوحى إلى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى العين أي تجلى له في صورة علمه به فلذلك أنس بمشاهدة من علمه فكان شهود تأنيس في ذلك المقام فقد علمت مما أبنته لك معارج الرسل من معارج الملائكة صلوات الله على الجميع فلهذا المعراج خطاب خاص تعطيه خاصية هذا المعراج لا يكون إلا للرسل فلو عرج عليه الولي لأعطاه هذا المعراج بخاصيته ما عنده وخاصيته ما تنفرد به الرسالة فكان الولي إذا عرج به فيه يكون رسولاً وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن باب الرسالة والنبوة قد أغلق فبين لك أن هذا المعراج لا سبيل للولي إليه البتة ألا ترى النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المعراج قد فرضت عليه وعلى أمته خمسون صلاة فهو معراج تشريع وليس للولي ذلك فلما رجع إلى موسى عليهما السلام قال له راجع ربك يخفف عن أمتك الحديث إلى أن صارت خمسة بالفعل وبقيت خمسين في الأجر والمنزلة عند الله والحديث صحيح في ذلك وفيه طول واعلم أن معارج الأولياء بالهمم وشاركتهم الأنبياء في هذا المعراج من كونهم أولياء لا من كونهم أنبياء ولا رسلاً فيعرج الولي بهمته وبصيرته على براق عمله ورفرف صدقه معراجاً معنوياً يناله فيه ما يعطيه خواص الهمم من مراتب الولاية والتشريف فهي ثلاثة معارج متجاوزة مختلفة والمعراج الرابع معراج توجهات الأسماء عليهم فتفيض الأسماء الإلهية أنوارها على معارج الملائكة ولكن من أنوار التكليف والشرائع التي هي الأعمال المقربة إلى السعادة خاصة هذا الذي أريده في هذا الموضع للفرقان بين المعارج فتسطع معارج الملك بذلك النور فينصبغ به الملك كما تنصبغ الحرباء بالحل الذي تكون فيه ثم يفيض الملك على الرسول أي على معراجة فينصبغ به الرسول في باطنه من حيث روحانيته وهو قوله عليه السلام فأعي ما يقول ثم يفيضه الرسول على أتباعه متنوعاً خلافاً ما أعطاه الملك فإن الملك إنما يخاطب واحد والرسول يخاطب الأمة والأمة تختلف أحوالها فلا بد للرسول أن يقسم ذلك الوحي على قدر اختلاف الأمة فإنه رزق مقسوم فيتعين لكل ولي قسطه من ذلك الوحي لنفسه ثم يأخذ منه ما لا يقتضيه حاله ليوصله إلى التابع بعده الذي لم يحضر ذلك المجلس وهكذا إلى يوم القيامة وهم الورثة في التبليغ فيعمل على حاله خاصة ويبلغ ما لا يقتضيه حاله فقد تقتضي حاله تحليل ما حرمه على غيره فيكون مضطراً إلى الغذاء في وقت تحريم أكل الميتة على غير المضطر وهو في تلك الحال من

التبليغ يأكل الميتة على شهود من المبلغ إليه فيقول له كيف تحرم علي تناول ما تناولته أنت فيقول له لأن الحال مختلف فإن حالة الاضطراب لم تحرم عليها الميتة وحالة غير الاضطراب حرمت عليها الميتة فيبلغ ما لا يقتضيه حاله ولا يعمل إلا بما يقتضيه حاله ثم لتعلم إذا رقيت الأولياء في معارج الهمم فغاية وصولها إلى الأسماء الإلهية فإن الأسماء الإلهية تطلبها فإذا وصلت إليها في معارجها أفاضت عليها من العلوم وأنوارها على قدر الاستعداد الذي جاءت به فلا تقبل منها إلا على قدر استعدادها ولا تفتقر في ذلك إلى ملك ولا رسول فإنها ليست علوم تشريع وإنما هي أنوار فهم فيما أتى به هذا الرسول في وحيه أو في الكتاب الذي نزل عليه أو الصحيفة لا غير وسواء علم ذلك الكتاب أو لم يعلمه ولا سمع بما فيه من التفاصيل ولكن لا يخرج علم هذا الولي عن الذي جاء ذلك الرسول به من الوحي عن الله وكتابه وصحيفته لا بد من ذلك لكل ولي صديق برسوله إلا هذه الأمة فإن لهم من حيث صديقتهم بكل رسول وني العلم والفتح والفيض الإلهي بكل ما يقتضيه وحي كل

نبي وصفته وكتابه وصحيفته وبهذا فضلت على كل أمة من الأولياء فلا يتعدى كشف الولي في العلوم الإلهية فوق ما يعطيه كتاب نبيه ووحيه قال الجنيد في هذا المقام علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة وقال الآخر كل فتح لا يشهد له الكتاب والسنة فليس بشيء فلا يفتح لولي قط إلا في الفهم في الكتاب العزيز فلهذا قال ما فرطنا في الكتاب من شيء وقال في ألواح موسى وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء فلا يخرج علم الولي جملة واحدة عن الكتاب والسنة فإن خرج أحد عن ذلك فليس بعلم ولا علم ولاية معاً بل إذا حققته وجدته جهلاً والجهل عدم والعلم وجود محقق فالولي لا يأمر أبداً بعلم فيه تشريع ناسخ لشرعه ولكن قد يلهم الترتيب صورة لا عين لها في الشرع من حيث مجموعها ولكن من حيث تفصيل كل جزء منها وجدته أمراً مشروعاً فهو تركيب أمور مشروعة أضاف بعضها إلى بعض هذا الولي أو أضيفت له بطريق الإلقاء أو اللقاء أو الكتابة فظهر بصورة لم تظهر في الشرع بجمعيتها فهذا القدر له من التشريع وما خرج بهذا الفعل من الشرع المكلف به فإن الشارع قد شرع له أنه يشرع مثل هذا فما شرع إلا عن أمر الشارع فما خرج عن أمره فمثل هذا قد يؤمر به الولي من هناك وأما خلاف هذا فلا فإن قلت وأين جعل الله للولي العالم ذلك بلسان الشرع قلنا قال صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً فقد سن له أن يسن ولكن مما لا يخالف فيه شرعاً مشروعاً ليحل به ما حرم أو يحرم به ما حل فهذا حظ الولي من النبوة إذا سن من هنالك وهو جزء من أجزاء النبوة كما هي المبشرات من أجزاء النبوة وكثير من الأشياء على ذلك فالأسماء الإلهية لها على كل معراج ظهور ولهذا تخبر كل طائفة ممن ذكرنا عن ربها في أوقات بغير واسطة وهو قوله عليه الصلاة والسلام لي وقت لا يسعني فيه غير ربي وهذا المقام لكل شخص من الخلق ألم يقل أن كل مصل يناجي ربه فأين الوسائط في هذا المقام وكذلك في الدار الآخرة في الموقف قال صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله كفاً ليس بينه وبينه ترجمان وكذا هو الآن غير أن في القيامة يعرف كل أحد أن ربه يكلمه وفي الدنيا لا يعرف ذلك إلا العلماء بالله أصحاب العلامات فيعرفون كلام الله إياهم فسبحان من خلقنا أطواراً وجعل لنا على علم الغيب والشهادة دليلاً لئلاً ونهاراً فمحا آية الليل لدلالاتها على الغيب وجعل آية النهار مبصرة لدلالاتها على عالم الشهادة فمنا من كلم ربه غيباً وهو التجلي المشبه بالقمر ليلة البدر فذلك الإبدار صفتك أي إذا كملت حينئذ كلمك الحق في تجلي القمر بداراً لأنه بذاته مع كل موجود ومنا من كلمه ربه شهادة وهو التجلي المشبه بالشمس ليس دونها سحب قال العارف

وبعد أن بان لك المعارج والمدارج وظهرت لك المراتب ومن لها من العالم وامتازت كل طائفة من غيرها بمعراجها فقد نجز بعض الغرض من هذا الباب فلنذكر أمهات ما يحوي عليه من العلوم فإنه مثل شريف وهو يحوي على نحو من سبعين علماً أو يزيد على ذلك فلنذكر منها الأمهات التي لا بد منها وفي ضمنها يندرج ما بقي فمنها علم السؤال فإنه ما كل أحد يعلم كيف يسأل فقد يكون للسائل في نفسه أمر ما ولا يحسن يسأل عنه فإذا سأل أفسده بسؤاله ووقع له الجواب على غير ما في نفسه ويتخيل أن الجيب ما فهم عنه والعيب إنما كان من السائل حيث لم يفهم المسؤول صورة ما في نفسه ويتصور هذا كثير في الدعاوي عند الحكام وتحريرها قال قال صلى الله عليه وسلم إنكم تختصمون إلي ولعل أحدكم يكون ألحن بحجته من الآخر ومعناه أكثر إصابة ومطابقة لما في نفسه عند دعواه ممن لا يحسن ذلك فهو علم مستقل في كل ما يسأل عنه أو يدعي فيه وله شروط معلومة مذكورة وفيه علم القدر القضاء والحكم وفيه علم مقامات الأملاك عمار الأفلاك منهم وغير عمارها وعلم المقادير وعلم الزمان وعلم أحوال الناس في القيامة وعلم النور وعلم الجسر الذي يكون عليه الناس إذا تبدل الأرض وهو دون الظلمة وعلم الظلمة وعلم طبقات جهنم وتفصيلها وأحوال الخلق فيها وعلم الإنسان وما جبل عليه وهل ينتقل عما جبل عليه أم يستحيل ذلك وعلم الديمومية وعلم محادثة الحق وعلم أداء الحقوق وعلم المحاضرة وعلم الخوف وعلم الحفظ الإلهي وعلم مجاوزة الحدود وما يتجاوز منها وما لا يتجاوز وهل لكل حد مطلع أم لا وعلم مراعاة الأمور إذا تعرضت للإنسان في طريق سلوكه إلى ربه وعلم ذي الجلال والإكرام وعلم التفرقة وعلم الخلق والاختراع ولماذا يرجع وعلم الجهات وعلم الأسرار وعلم الكمون والظهور وعلم الاقتدار الإلهي وعلم المسابقة بين الحق والخلق وعلم الإمهال والإهمال وما حكمته وهل الحليم يمهل أو يهمل وعلم البعث فهذا قد أمنت لك ما ذكرت أن أبينه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الخامس عشر وثلاثمائة في معرفة منزل وجوب العذاب

من الحضرة المحمدية

ولكن لا سبيل إلى الوصول

من أجل الاستواء مع النزول

وأين سنا الجليل من الخليل

كما صلى على نفس الخليل

كذا جاء الحديث عن الرسول

عقول حظها علم الدليل

لكان طلوعها عين الأفول

إذا حقت حقائقنا اتحدنا

إلى هذا المقام بكل وجه

وكيف يصح أن يرقى إليه

رأيت حبيبه صلى عليه

فعين الجمع عين الفرق فيه

إذا أفلت شمس العلم تاهت

لو أن الغيب تشهده عيون

اعلم أيها الولي الحميم أن وجوب العذاب وقوعه بالمعذب يقال وجب الحائط إذا سقط ولا يكون السقوط إلا ممن لم يكن له علو ذاتي ولم يستحق العلو لذاته فلما علا من هذه صفته لم يكن له حقيقة تمسك عليه علوه فسقط تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض والصفات النفسية لا تكون مرادة للموصوف بها فمن علا بغيره ولم يكن له حافظ يحفظ عليه علوه سقط وقوتل فالعالي من أعلى الله منزلته كما قال ورفعناه مكاناً علياً فلما كانت الرفعة من الله الذي له العلو الذاتي حفظ على كل من أعلى الله منزلته علوه ومن علا بنفسه من الجبارين والمتكبرين قصمه الله وأخذته ولهذا قال والعاقبة للمتقين أي عاقبة العلو الذي به من أراد علواً في الأرض يكون للمتقين أي يعطيهم الله العلو في المنزل الدنيا والآخرة فأما في الآخرة فأمر لازم لا بد منه لأن وعده صادق وكلامه حق والدار الآخرة محل تميز المراتب وتعيين مقادير الخلق عند الله ومنزلتهم منه تعالى فلا بد من علو المتقين يوم القيامة وأما في الدنيا فإنه كل من تحقق صدقه في تقواه وزهده فإن نفوس الجبارين والمتكبرين تتوفر دواعيهم إلى تعظيمه لكونهم ما زاحمهم في مراتبهم فأنزلهم ما حصل في نفوسهم من تعظيم المتقين عن علوهم وقصدوا خدمتهم والترك بهم وانتقل ذلك العلو الذي ظهروا به إلى هذا المتقي وكان عاقبة العلو للمتقي والجبار لا يشعر ويلتذ الجبار إذا قيل فيه أنه قد تواضع ونزل إلى هذا المتقي فيتخيل الجبار أن المتقي هو الأسفل وأن الجبار نزل إليه بل علو الجبار انتقل إلى المتقي من حيث لا يشعر ونزل الجبار تحت علو هذا المتقي ولو سئل المتقي عن علوه ما وجد عنده منه شيء فثبت أن العلو في الإنسان إنما هو تحققه بعبوديته وعدم خروجه واتصافه بما ليس له بحقيقة ألا ترى حكمة الله تعالى في قوله لما طغى الماء أي علا وارتفع وأصاف العلو له وما أضافه الحق إلى نفسه فلما علا للماء وارتفع حمل الله من أراد نجاته من سطوة ارتفاع الماء في أحشاب ضم بعضها إلى بعض حتى كانت سفينة فدخل فيها كل من أراد الله نجاته من المؤمنين فعلت السفينة بمن فيها على علو الماء وصار الماء تحتها وزال في حق السفينة طغيان الماء فانكسر في نفسه وسبب ذلك إضافة العلو له وإن كان من عند الله وبأمر الله ولكن ما أضاف الله العلو إلا للماء فلو أضاف علو الماء إلى الله تعالى لحفظ علوه عليه فلم يكن تعلو عليه سفينة ولا يطفو على وجه الماء شيء أبداً فهذا شؤم الدعوى فسقوط العذاب بالمعذب إنما كان سقوطه من ارتفاعه في نفسه لكونه صفة ملكية للاسم الله المعذب فأعطته هذه النسمة سمة العلو لأنه صفة من له العلو وهو الاسم المعذب فلما رأى الاسم المعذب ما قام في نفس العذاب من العلو بسببه أسقطه على المعذب به فزال عن العلو الذي كان يزهو به حين كان المعذب موصوفاً به فلهذا يقال بوجوب العذاب على المعذب وتحقيق ذلك أن الأمر الصحيح أن الملك لا يعذب أحداً إلا حتى يقوم به الغضب على ذلك الذي يريد تعذيبه لأمر صدر منه يستوجب به العذاب فأثر ذلك الأمر في نفس الملك غضباً تأذى به الملك والملك جليل القدر لا يليق بمكانته لعلو منصبه أن يتعذب بشيء وقد فعل هذا الشخص أمراً أغضب الملك فأنزل الملك العذاب الذي كان يجده الملك في نفسه المعبر عنه بالغضب أو الذي أثمر الغضب في نفس الملك أوجبه بهذا الشخص أي أسقط عليه فإذا وجب العذاب على هذا الشخص وجد الملك راحته بعذاب هذا الشخص وليس الأمر كذلك هنا وإنما وجود الراحة بزوال العذاب الذي كان في نفس الملك الذي أورثه فعل هذا الشخص فتعذب الملك به فلما أنزله بهذا الشخص انتقل عنه فوجد الراحة بانتقاله ويسمى في العامة التشفي وهو من الشفاء وزوال العلة لا نزول العلة التي كانت في العليل بشخص آخر هذا تحقيق الشفاء والراحة ثم كونه نزل ذلك الألم بشخص آخر لهذا به لذة فتلك لذة أخرى زائدة على لذة زوال العذاب والعلو هنا حقيقة للاسم الإلهي فلهذا اتصف العذاب بالسقوط وهو الوجوب قال تعالى أفمن حقت عليه كلمة العذاب أي وجبت وسقطت فإن قلت

هذا يصح في حق المخلوقين كيف يتمشى ذلك في حق الجناب العالي سبحانه قلنا فلما عجزنا عن معرفة الله وبحق لنا العجز فينبغي لنا إذا تركنا وعقولنا وحقائقنا أن نلتزم ذلك وننفي عنه مثل هذا وغيره فإن قوة العقل تعطي ذلك غير أن قوة العقل والدليل الواضح قاما للعقل على تصديق الرسول الذي بعثه إلينا في إخباره الذي يخبر به عن ربه بما يكون منه سبحانه في خلقه وبما يكون عليه سبحانه في نفسه ومما يصف به نفسه مما يحيله عليه العقل إذا انفرد بدليله دون الشارع فالعقل الحازم يقف ذليلاً مشدود الوسط في خدمة الشرع قابلاً لكل ما يخبر عن ربه سبحانه وتعالى مما يكون عليه ومنه فكان مما قد أخبر الحق عن نفسه أن قال أن الذين يؤذون الله وقال قال صلى الله عليه وسلم لا أحد أصبر علي أذى من الله وقال تعالى كذبي ابن آدم وشتني ابن آدم وقال تعالى وغضب الله عليهم وقالت الأنبياء قاطبة أن الله يوم القيامة يغضب غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وسلم العاقل ذلك كله إلى الله في خبره عن نفسه كما سلم إليه سبحانه أنه يفرح بتوبة عبده وكل من اتصف بالفرح فيتصف بنقيضه ووصف نفسه بأنه يتعجب من الشاب ليست له صبوة ووصف نفسه بأنه يضحك إذا قال مناد يوم القيامة أتستهزئ بي وأنت رب العالمين ووصف نفسه بأنه يتشبه لعبده إذا جاء المسجد يريد الصلاة ووصف نفسه بأنه يكره لعباده الكفر ويرضى لهم الشكر والإيمان فهذا كله واجب على كل مسلم الإيمان به ولا يقول العقل هنا كيف ولا لم كان كذا بل يسلم ويستسلم ويصدق ولا يكيف فإنه ليس كمثل شيء فلما رأيناه وصف نفسه بالغضب والأذى ووصف العذاب بالوجوب والسقوط لا يكون إلا من العلو والعلو لا ينبغي إلا لله تعالى فعلنا أن الأذى الذي وصف الحق به نفسه هو هذا فعلاً الأذى بعلو من اتصف به فأسقطه عن ذلك العلو على من يستحقه وهو الذي آذى الله ورسوله فحل به العذاب في دار الخزي والهوان فإن علمت ما قررناه جمعت بين الإيمان الذي هو الدين الخالص وبين ما تستحقه مرتبتك من التسليم لله في كل ما يخبر به عن نفسه ولا يتكمن في الإفصاح عن هذا المقام بأكثر من هذا ولا أبلغ إلا أن يخبر الحق بما هو أجلى في النسبة وأوضح وإنما غاية المخلوق من هذا الأمر بمجرد عقله هذا الذي قررناه إلا عقولاً أدركها الفضول فتأولت هذه الأمور فنحن نسلم لهم حالهم ولا نشاركهم في ذلك التأويل فإننا لا ندري هل ذلك مراد الله بما قاله فنعتمد عليه أو ليس بمراده فنرده فلهذا التزمنا التسليم فإذا سئلنا عن مثل هذا قلنا إنا مؤمنون بما جاء من عند الله على مراد الله به وإنا مؤمنون بما جاء عن رسول الله قال صلى الله عليه وسلم ورسله عليهم السلام على مراد رسوله صلى الله عليه وسلم ومراد رسله عليهم السلام ونكل العلم في كل ذلك إليه سبحانه وإليهم وقد تكون الرسل بالنسبة إلى الله في هذا الأمر مثلنا يرد عليها هذا الإخبار من الله فتسلمه إليه سبحانه وتعالى كما سلمناه ولا تعرف تأويله هذا لا يبعد وقد تكون تعرف تأويله بتعريف الله تعالى بأي وجه كان هذا أيضاً لا يبعد وهذه كانت طريقة السلف جعلنا الله لهم خلفاً بمنه فطوبى لمن راقب ربه وخاف ذنبه وعمر بذكر الله قلبه وأخلص لله حبه فهذا قد أعلمتك بمعنى وجوب العذاب على من وجب عليه وأكثر من هذا فلا يحتمل هذا الباب فإن مجاله ضيق في العامة وإن كان المجال فيه رحباً عند أمثالنا بما منحنا الله به من المعرفة بالله ولكن العقول المحجوبة بالهوى وبطلب الرياسة والنفاسة والعلو على أبناء الجنس بمنعهم ذلك من القبول والانقياد ونحن فما نحن رسل من الله حتى نتكلف إيصال مثل هذه العلوم بالتبليغ وما نذكر منها ما نذكر إلا للمؤمنين العقلاء الذين اشتغلوا بتصفية نفوسهم مع الله وألزموا نفوسهم التحقق بذلة العبودية والافتقار إلى الله في جميع الأحوال فنور الله بصيرتهم إما بالعلم وإما بالإيمان والتسليم لما جاء به الخبر عن الله وكتبه ورسله فتلك العناية الكبرى والمكانة الزلّفى والطريقة المثلى والسعادة العظمى ألحقنا الله بمن هذه صفته وأما ما يتضمن هذا المتزل من العلوم فهو يتضمن علم الحق ومن ما كنا بسبيله في شرح وجوب العذاب وفيه أيضاً علم الاسم الإلهي الذي

يستفهم منه الحق عباده مثل قوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم وهو أعلم ومثل قوله كيف تركتم عبادي يقوله للملائكة الذين باتوا فينا ثم عرجوا إليه وهو علم شريف وفيه الزواجر الإلهية وهل هي كونية أو إلهية وعلم السبب الموجب لهلاك الأمم عند كفرهم ومن هلك من المؤمنين بهلاكهم وهلاك

المقلدة معهم كل ذلك في الدنيا ومن يخرج من هذا الهلاك في الآخرة ولماذا وقع الهلاك بالمؤمنين حين وقع بالكافرين فعم الجميع واختلفت الصفة وهل هذا من الركون كما قال ولا تركنوا إلى الذين ظلموا وعلم الركون الموجب لمس النار إياهم هل هو ركون حسي أو معنوي وقوله بتضعيف العذاب على الركون وإن قصد خيراً قال تعالى لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ما سبب هذا الضعف الذي هو أشد من العذاب المستحق بالأصالة وما مراد الله في مثل هذه الآية التي لا يعلم ما فيها إلا بتعريف الله وهو علم عظيم يتضمنه هذا المنزل ومن أهلك بنفسه ومن أهلك بغيره وما حد الهلاك بالغير وما حد الهلاك بالنفس وما مقدار زمانه وهل الهلاك في اختلاف أنواعه لاختلاف الأحوال في الهالكين أو لاختلاف حقائق الأسماء الإلهية حتى يأخذ كل اسم إلهي بهذا المقام قسطه من العذاب وما ينعدم من الأسماء بعد وجودها وما يبقى ولا ينعدم بهلاك أو غيره وعلم الفرق بين من عصى الله وعصى رسوله وعصى أولي الأمر وما يتضمنه عصيان الرسول وعصيان أولي الأمر من معصية الله فإن في عصيانهم عصيان أمر الله وليس في عصيان الله عصياناً خاصة فإن في عصيان الله عصيان رسول الله إذ متعلق المعصية الأمر الإلهي والنهي ولا يعرف ذلك إلا بتبليغ الرسول وعلى لسانه فإن الله لا يبلغ أمره إلا رسل الله وليس لغير الرسل من البشر هذا المقام ومع هذا فالله أمر يعصى فيه وللرسول أمر يعصى فيه وشم أمر يجمع فيه معصية الله ورسوله فكل أمر يتعلق بجناب الله ليس لمخلوق فيه دخول فتلك معصية الله وكل أمر يتعلق بجناب المخلوق الذي هو رسول الله فتلك معصية الرسول وكل أمر يتضمن الجانبيين فتلك معصية الله ورسوله قال الله تعالى ومن يعص الله ورسوله وقال ومعصية الرسول فأفرده وقال من يشرك بالله فقد ضل فأفرد نفسه وعلم من يستحق العظمة والصفة التي تطلبها وعلم التذكير وعلم السماع من الحق وعلم الملك وعلم الملك العزة وعلم الملك الحامل وعلم الملك المحمول وعلم ملك الهباء وعلم الهول الأعظم وعلم الكثر الذي تحت العرش قال صلى الله عليه وسلم أن لا حول ولا قوة إلا بالله خرجت من كثر تحت العرش وما هو الكثر وما يتضمن من الذكر المكنوز فيه سوى لا حول ولا قوة إلا بالله وعلم القوة الإلهية والكونية وعلم ضم المعاني بعضها إلى بعض في حضرة الكلمات وهل لها انضمام في أنفسها مجردة عن مواد الكلمات أو ليس لها ضم في أنفسها وإذا لم يكن لها ضم فهل ذلك لاستحالة الأمر في نفسه فلا يقبل الانضمام أو بإرادة الله وما الفرق بين كتابة المخلوق وكتابة الخالق وهو علم عجيب رأيانه وشاهدناه فإن النبي صلى الله عليه وسلم خرج وفي يديه كتابان مطويان قابض بكل يد على كتاب فسأل أصحابه أتدرون ما هذان الكتابان فأخبرهم أن في الكتاب الذي بيده اليمنى أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائرتهم من أول من خلقه الله إلى يوم القيامة وفي اليد الأخرى في الكتاب الآخر أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائرتهم إلى يوم القيامة ولو أخذ المخلوق يكتب هذه الأسماء على ما هي عليه في هذين الكتابين لما قام بذلك كل ورق في العالم فمن هنا يعرف كتابة الله من كتابة المخلوقين وقد حكى عن بعض البله من أهل الحاج أنه لقي رجلاً وهو يطوف طواف الوداع فأخذ ذلك الرجل يمازح هذا الأبله هل أخذت من الله براءتك من النار فقال الأبله لا وهل أخذ الناس ذلك قال له نعم فبكى ذلك الأبله ودخل الحجر وتعلق بأستار الكعبة وجعل يبكي ويطلب من الله أن يعطيه كتابه بعثته من النار فجعل الناس وأصحابه يلومونه ويعرفونه أن فلاناً مزح معك وهو لا يصدقهم بل بقي مستمراً على حاله فبينما هو كذلك إذ سقطت عليه

ورقة من الجو من جهة الميزاب فيها مكتوب عتقه من النار فسر بها وأوقف الناس عليها وكان من آية ذلك الكتاب أنه يقرأ من كل ناحية على السواء لا يتغير كلما قلبت الورقة انقلبت الكتابة لانقلابها فعلم الناس أنه من عند الله وأما في زماننا فاتفق لامرأة أنها رأت في المنام كأن القيامة قد قامت وأعطاه الله ورقة شجرة فيها مكتوب عتقها من النار فمسكتها في يدها واتفق أنها استيقظت من نومها والورقة قد انقبضت عليها يدها ولا تقدر على فتح يدها وتحس بالورقة في كفها واشتد قبض يدها عليها بحيث أنه كان يؤلمها فاجتمع الناس عليها وطمعوا أن يقدروا على فتح يدها فما استطاع أحد على فتح يدها من أشد ما يمكن من الرجال فسألوا عن ذلك أهل طريقنا فما منهم من عرف سر ذلك وأما علماء الرسم من الفقهاء فلا علم لهم بذلك وأما الأطباء فجعلوا ذلك لخلط قوي انصب إلى ذلك العضو فأثر فيه ما أثر فقال بعض الناس لو سألنا فلاناً يريدون إياي بذلك ربما وجدنا عنده علماً بذلك فجاءوني بالمرأة وكانت عجوزاً ويدها مقبوضة قبضاً يؤلمها فسألته عن رؤياها فأخبرتني كما أخبرت الناس فعرفت السبب الموجب لقبض يدها عليها فجئت إلى أذنها وساررتها فقلت لها قربي يدك من فمك وأتو مع الله أنك تبتلعين تلك الورقة التي تحسين بها في كفك فإنك إذا نويت ذلك وعلم الله صدقك في ذلك فإن يدك تنفتح فقربت المرأة يدها من فيها وألزقته وفتحت فها ونوت مع الله ابتلاع الورقة فانفتحت يدها وحصلت الورقة في فمها فابتلعته وانفتح يدها فتعجب الحاضرون من ذلك فسألوني عن علم ذلك فقلت لهم أن مالك بن أنس أمام دار الهجرة اتفق في زمانه وهو ابن ثلاث عشرة سنة وكان يقرأ الفقه على شيوخه وكان ذا فطنة وذكاء فاتفق في ذلك الزمان أن امرأة غسلت ميتة فلما وصلت إلى فرجها ضربت بيدها على فرج الميتة وقالت يا فرج ما كان أزنالك فالتصقت يدها بالفرج والتحمت به فما استطاع أحد على إزالة يدها فسئل فقهاء المدينة ما الحكم في ذلك فمن قائل بقطع يدها ومن قائل يقطع من بدن الميتة قدر ما مسكت عليه اليد وطال النزاع في ذلك بين الفقهاء أي حرمة أوجب علينا حرمة الميت فلا نقطع منه شيئاً أو حرمة الحي فلا يقطع فقال لهم مالك أرى أن الحكم في ذلك أن تجلد الغاسلة حد الفرية فإن كانت افترت فإن يدها تنطلق فجلدت الغاسلة حد الفرية فانطلقت يدها فتعجب الفقهاء من ذلك ونظروا مالكا من ذلك الوقت بعين التعظيم وألحقوه بالشيوخ كما كان عمر بن الخطاب يلحق عبد الله بن عباس بأهل بدر في التعظيم لعظم قدره في العلم ولما علمت أنا بما ألقى الله في نفسي أن الله غار على تلك الورقة أن لا يطلع عليها أحد من خلق الله وأن ذلك سرخص الله به تلك المرأة قلت لها ما قلت فانفتحت يدها وابتلعت تلك الورقة؟؟ ويحوي هذا المثل على علم الجنان والنار وعلم مواقف القيامة وعلم الأحوال الأخروية وعلم الشرائع وعلم ما السبب الموجب الذي لأجله عرفت الرسل مقاديرها مع علو منزلتهم عند الله والفرق بين منزلتهم عند الله ومنزلتهم عند الناس المؤمنين بهم وبأي عين ينظر إليهم الحق وبأي اسم يخاطبهم وعلم التنزيه والتقديس والعظمة وما حضرة الربوبية من حضرات بقية الأسماء المقيدة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب السادس عشر وثلاثمائة في معرفة منزل الصفات القائمة المنقوشة بالقلم الإلهي في اللوح المحفوظ الإنساني من الحضرة الإجمالية الموسوية والمحمدية وهما من أسنى الحضرات

علم الحدوث والقدم

نودي بعبدى فقدم

الدواة والقلم

وذاك مخصوص بمن

كان له فيها قدم	لحضرته من ذاته
في رتبة العلم قدم	وكان من قولهم له
وماشياً على قدم	وجاء يسعى راكباً
مزاج لحم مع دم	وكان قد مازجهم
أشده الحق العدم	وألحق الكون إذا
كمثله حين عدم	فسره في كونه
صاحب أقدام تدم	ولم يكن في وقته
عزم صحيح وندم	فشرط كل تائب
جاء بذل وخدم	ولما أتى حضرته
عيناً على العرش حزم	وعندما أبصره
إذ كان من بعض الخدم	فجادت العين له
مقامه ذاك خدم	وعندما يخرج من

اعلم أيديك الله أيها الولي الحميم والصفى الكريم نور الله بصيرتك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان خلقه القرآن وتخلق بالأسماء وكان الله سبحانه ذكر في كتابه العزيز أنه تعالى استوى على العرش على طريق التمدح والثناء على نفسه إذا كان العرش أعظم الأجسام فجعل لنبية صلى الله عليه وسلم من هذا الاستواء نسبه على طريق التمدح والثناء عليه به حيث كان أعلى مقام ينتهي إليه من أسرى به من الرسل وذلك يدل أنه أسرى به صلى الله عليه وسلم بجسمه ولو كان الإسراء به رؤياً لما كان الإسراء ولا الوصول إلى هذا المقام تمدحاً ولا وقع من الأعراب في حقه إنكار على ذلك لأن الرؤيا يصل الإنسان فيها إلى مرتبة رؤية الله تعالى وهي أشرف الحالات وفي الرؤيا ما لها ذلك الموقع من النفوس إذ كل إنسان بل الحيوان له قوة الرؤيا فقال صلى الله عليه وسلم عن نفسه على طريق التمدح لكونه جاء بحرف الغاية وهو حتى فذكر أنه أسرى به حتى ظهر لمستوى يسمع فيه صريف الأقلام وهو قوله تعالى لنبيه من آياتنا أنه هو السميع العليم البصير فالضمير في أنه هو يعود على محمد صلى الله عليه وسلم فإنه أسرى به فرأى الآيات وسمع صريف الأقلام فكان يرى الآيات ويسمع منها ما حظه السماع وهو الصوت فإنه عبر عنه بالصريف والصريف الصوت قال النابغة له صريف صريف القعو بالمسد فدل أنه بقي له من الملكوت قوة ما لم يصل إليه بجسمه من حيث هو راء ولكن من حيث هو سميع فوصل إلى سماع أصوات الأقلام وهي تجري بما يحدث الله في العالم من الأحكام وهذه الأقلام رتبها دون رتبة القلم الأعلى ودون اللوح المحفوظ فإن كتبه القلم الأعلى لا يتبدل وسمي اللوح بالمحفوظ من الحو فلا يمحي ما كتب فيه وهذه الأقلام تكتب في ألواح الحو والإثبات وهو قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت ومن هذه الألواح تتزل الشرائع والصحف والكتب على الرسل صلوات الله عليهم وسلامه ولهذا يدخل في الشرائع النسخ ويدخل في الشرع الواحد النسخ في الحكم وهو

عبارة عن انتهاء مدة الحكم لا على البدء فإن ذلك يستحيل على الله وإلى هنا كان يتردد صلى الله عليه وسلم في شأن الصلوات الخمسين بين موسى وبين ربه إلى هذا الحد كان منتهاه فيمحو الله عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم ما شاء من تلك الصلوات التي كتبها في هذه الألواح إلى أن أثبت منها هذه الخمسة وأثبت لمصلحتها أجر الخمسين وأوحى إليه أنه لا يبدل القول لديه فما رجع بعد ذلك من موسى في شأن هذا الأمر ومن هذه الكتابة ثم قضى أجلاً وأجل مسمى ومن هذه الألواح وصف نفسه سبحانه بأنه تعالى يتردد في نفسه في قبضه نسمة المؤمن بالموت وهو قد قضى عليه ومن هذه الحقيقة الإلهية التي كنى عنها بالتردد الإلهي يكون سريانها في التردد الكوني في الأمور والحيرة فيها وهو إذا وجد الإنسان أن نفسه تتردد في فعل أمر ما هل يفعله أو لا يفعله وما تزال على تلك الحال حتى يكون أحد الأمور التي تردت فيها فيكون ويقع ذلك الأمر الواحد ويزول التردد فذلك الأمر الواقع هو الذي ثبت في اللوح من تلك الأمور المتردد فيها وذلك أن القلم الكاتب في لوح المحو يكتب أمراً ما وهو زمان الخاطر الذي يخطر للعبد فيه فعل ذلك الأمر ثم تمحي تلك الكتابة بمحوها الله فيزول ذلك الخاطر من ذلك الشخص لأنه ما ثم رقيقة من هذا اللوح تمتد إلى نفس هذا الشخص في عالم الغيب فإن الرقائق إلى النفوس من هذه الألواح تحدث بحدوث الكتابة وتنقطع بمحوها فإذا أبصر القلم موضعها من اللوح ممحواً كتب غيرها مما يتعلق بذلك الأمر من الفعل أو الترك فيمتد من تلك الكتابة رقيقة إلى نفس ذلك الشخص الذي كتب هذا من أجله فيخطر لهذا الشخص ذلك الخاطر الذي هو نقيض الأول فإن أراد الحق إثباته لم يحمه فإذا ثبت بقيت رقيقة متعلقة بقلب هذا الشخص وثبتت فيفعل ذلك الشخص ذلك الأمر أو يتركه بحسب ما ثبت في اللوح فإذا فعله أو ثبت على تركه وانقضى فعله محاه الحق من كونه محكوماً بفعله وأثبتته صورة عمل حسن أو قبيح على قدر ما يكون ثم إن القلم يكتب أمراً آخر هكذا الأمر دائماً وهذه الأقلام هذه مرتبتها والموكل بالمحو على الله تعالى هو الذي يحمو على حسب ما يأمر به الحق تعالى والإملاء على ذلك الملك والأقلام من الصفة الإلهية التي كنى عنها في الوحي المنزل على رسوله بالتردد ولولا هذه الحقيقة الإلهية ما اختلف أمران في العالم ولا حار أحد في أمر ولا تردد فيه وكانت الأمور كلها حتماً مقضياً كما أن هذا التردد الذي يجده الناس في نفوسهم حتم مقضي وجوده فيهم إذ كان العالم محفوظ بالحقائق وعدد هذه الأقلام التي يجري على حكم كتابتها الليل والنهار ثلاثمائة قلم وستون قلماً على عدد درج الفلك فكل قلم له من الله علم خاص ليس لغيره ومن ذلك القلم يتزل العلم إلى درجة معينة من درجات الفلك فإذا نزل في تلك الدرجة ما نزل من الكواكب التي تقطعها بالسير من الثمانية الأفلاك تأخذ من تلك الدرجة من العلم المودع من ذلك القلم بقدر ما تعطيه قوة روحانية ذلك الكوكب فتحرك بذلك فلكها فيبلغ الأثر إلى الأركان فتقبل من ذلك الأثر بحسب استعداد ذلك الركن ثم يسري ذلك الأثر من الأركان في المولدات فيحدث فيها ما شاء الله بحسب ما قبلته من الزيادة والنقصان في جسم ذلك المولد أو في قواه وفي روحه وفي علمه وجهله ونسيانه وغفلته وحضوره وتذكره ويقظته كل ذلك بتقدير العزيز العليم وتحدث الأيام بحركة الفلك الكبير ويتعين الليل والنهار في اليوم بحكم الحركة الكبيرة اليومية على حركة فلك الشمس فإنها تحت حوطته وجعل الأرض كشيقة لا تنفذها أنوار الشمس لوجود الليل الذي هو ظل الأرض ولهذا يكبر النهار في أماكن ويصغر وكذلك يكبر الليل ويصغر وبه تقع الزيادة عندنا بالليل والنهار وبهذا الليل والنهار الموجودين في المعمور من الأرض بهما تعد أيام الأفلاك وأيام الرب وكل يوم ذكر وهو قوله تعالى وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون يعني من أيامنا هذه المعلومة ونحن نعلم قطعاً أن الأماكن التي يكون فيها النهار من ستة أشهر والليل كذلك أن ذلك يوم واحد في حق ذلك الموضع فيوم ذلك الموضع ثلاثمائة وستون يوماً مما نعهده فقد أنبأتك بمكانة هذه الأقلام التي سمع صوت كتابتها رسول الله صلى

الله عليه وسلم من العلم الإلهي ومن يمدّها وإلى أي حقيقة إلهية مستندّها وما أثرها في العالم العلوي من الأملاك والكواكب والأفلاك وما أثرها في العناصر والمولدات وهو كشف عجيب يحوي على أسرار غريبة من أحكام هذه الأقلام تكون جميع التأثيرات في العالم دائماً ولا بد لها أن تكتب وتثبت انتشار الكواكب وانحلال هذه الأجرام الفلكية وخراب هذه الدار الدنيوية وانتقال العمارة في حق السعداء إلى الجنان العلية التي أرضها سطح الفلك الثامن وجهنم إلى أسفل سافلين وهي دار الأشقياء وقد ذكرنا ذلك في هذا الكتاب في باب الجنة وفي باب النار وأما القلم الأعلى فأثبت في اللوح المحفوظ كل شيء يجري من هذه الأقلام من محو وإثبات ففي اللوح المحفوظ إثبات الخو في هذه الألواح وإثبات الإثبات ومحو الإثبات عند وقوع الحكم وإنشاء أمر آخر فهو لوح مقدس عن الخو فهو الذي يمدّه القلم الإلهي باختلاف الأمور وعواقبها مفصلة مسطرة بتقدير العزيز العليم ولقلوب الأولياء من طريق الكشف الإلهي الحقيقي في التمثيل من هذه الأقلام كشف صحيح كما مثلت الجنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في عرض الحائط وإنما قلنا أن ذلك الممثل حقيقة مع كونه ممثلاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيتموني حين تقدمت أردت أن أقطف منها قطفاً لو أخرجته لأكلت منه ما بقيت الدنيا ولما مثلت له النار تأخر عن قبلته لئلا يصيبه من لهبها ورأى فيها ابن لحي وصاحب الحجن وصاحبة الهرة وكان ذلك في صلاة كسوف الشمس وقد قال صلى الله عليه وسلم أن الله في قبلة المصلي وقد رأى الجنة والنار في قبلته كما أن الحائط في قبلته واعلم أن الله تعالى أسماء تختص بالجنة وأهلها وأن الله تعالى أسماء تختص بالنار وأهلها وأن الحق ينجيه المصلي من حيث أسماؤه لا من حيث ذاته إذ كانت ذاته تتعالى عن الحد والمقدار والتقيد فاعلم بما نبهتكم عليه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال الحق ينجيه في قبلته وفي صلاته وما أخرجه مشاهدة الجنان والنار ومن فيها وحرته بالتقدم والتأخر عن كونه مصلياً ظاهراً وباطناً وإنما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بهذا كله في حال الصلاة إعلاماً لنا بما يخطر لنا في صلاتنا من مشاهدة أمورنا من بيع وشراء وأخذ وعطاء وتصريف خواطر المصلي في الأكوان المتجلية له في باطنه في حال صلاته وقد قال عمر عن نفسه أنه كان يجهز الجيش وهو في صلاته فكان خبر النبي صلى الله عليه وسلم لنا بما شاهدته في صلاته أن ذلك لا يقدح في الصلاة المشروعة لنا كما يعتقد بعض عامة الفقهاء ممن لا علم له بالأمور وربما بعض الصالحين يتخيلون أن هذا كله مما يطل الصلاة ويخرج الإنسان عن الحضور مع الحق ما الأمر على ذلك بل كل ما يشاهده المصلي في صلاته من الأكوان هو حق وهو من الصلاة لمن عقل ما المراد بالصلاة وكما لم يقدح في صلاته ما تشاهده عينه من المحسوسات التي في قبلته التي ظهرت لبصره بوجودها وذواتها من العوالم وحركاتها ولا يخرج ذلك عن كونه مصلياً بلا خلاف ويكره للمصلي أن يغمض عينيه في صلاته فكذلك أيضاً ما يتجلى لعين بصيرته وقلبه من مثل الخواطر وصور الأمور التي تعرض له في باطنه وهي من عند الله وعين بصيرته مفتوح مثل عين حسه فكل صورة ممثلة تجلى له الحق بها في باطنه كما تجلى له في المحسوسات في ظاهره فلا بد أن يدركها بعين بصيرته وقلبه كما أدرك صور المحسوسات ببصره وكما أنه لم يخرج ذلك عن كونه مصلياً على حد ما شرع له مع استقباله القبلة بوجهه كذلك لا يخرج ما شاهدته في باطنه من صور الأكوان عن كونه مصلياً على حد ما شرع له مع استقباله ربه وذلك الاستقبال هو المعبر عنه بالنية المطلوبة منه عند الشروع في تلك العبادة فمن لا علم له بالأمور يقدح هذا عنده فإن احتج أحد بقوله صلى الله عليه وسلم في الركعتين اللتين يصليهما العبد عقيب الوضوء لا يحدث نفسه فيهما بشيء فليس بحجة وما فهم ما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما حقق نظره في لفظه بماذا قيده صلى الله عليه وسلم فإنه قيده بالحديث مع نفسه وهذه الصور التي يرى المصلي نفسه فيها إنما يشاهدها بعين قلبه وما تعرض الشارع إلا لمن يحدث لا

لمن يبصر لأنه ليس في قوته أن يغمض عين قلبه عما تجلّى له الحق من الصور ثم قيد الحديث منه مع نفسه فإن تحدث مع ربه أو مع الصورة التي تتجلّى له في صلاته فإن ذلك لا يقدر في صلاته وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته إذا مر في تلاوته بآية استغفار استغفر وبآية رغبة سأل الله في نيل ما تدل عليه وما أخرجته شيء من ذلك عن كونه مصلياً ولا حدث له نية أخرى تخرجه عن صلاته كما لم يتحول في ظاهره إلى جهة أخرى غير جهة قلبه فما دام المصلي لم يتحول عن قلبه بوجهه ولا أحدث نية خروج عن صلاته فصلاته مقبولة ذلك من فضل الله على عباده ورحمته بهم وما كل إنسان يعلم خطاب الحق بعباده وما أراد من عباده وأما الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يقبل من الصلاة عشرها إلى أن وصل إلى نصفها إلى ما عقل منها فلم يصح ولو صح لما قدح فيما ذكرناه واعلم أن هذا المنزل منزل عظيم جليل القدر له بالنبي صلى الله عليه وسلم اختصاص عظيم وهذا القدر الذي ذكرناه منه فيه غنية لمن نظر واستبصر فلنذكر ما يحوي عليه من العلوم فإن أبواب الكتاب كثيرة ويطول الكلام فيها مع كثرتها فيتعذر تحصيله على من يريد فاعلم أنه يحوي على علم الإجمال وهل في علم الله إجمال أو لا يعلم الأشياء إلا على التفصيل وهي غير متناهية ويحوي على علم التفصيل ويحوي على العلم الذي بين الإجمال والتفصيل وهو علم غريب لا يعرفه القليل من العلماء بالله فكيف الكثير وفيه علم الدواوين وترتيبها وفيه علم الأجور والمستحقين لها مع كونهم عبيداً ولم سمي العبد أجيراً فإنه مشعر بأن له نسبة إلى نسبة الفعل الصادر منه إليه فتكون الإجارة من تلك النسبة ومنها طلب العون على خدمة سيده ومن أية جهة تعين الفرض عليه ابتداء قبل الأجرة والأجير لا يفترض عليه إلا حتى يوجر نفسه والعبد فرض عليه طاعة سيده والإنسان هنا مع الحق على حالين حالة عبودية وحالة إجارة فمن كونه عبداً يكون مكلفاً بالفرض كالصلاة المفروضة والزكاة وجميع الفرائض ولا أجر له عليها جملة واحدة في أداء فرضه بل له ما يمتن به عليه سيده من النعم التي هي أفضل من الأجور لا على جهة الأجر ثم إن الله تعالى ندبه إلى عبادته في أمور ليست عليه فرضاً فعلى تلك الأعمال المندوب إليها فرضت الأجور فإن تقرب العبد بما إلى سيده أعطاه إجارته عليها وإن لم يتقرب لم يطلب بها ولا عوتب عليها فمن هنا كان العبد حكمه حكم الأجنبي في الإجارة فالفرض له الجزاء الذي يقابله فإنه العهد الذي بين الله وعباده والنوافل لها الأجور وهي قوله تعالى ولا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصر الحديث فالنافلة أنتجت له المحبة الإلهية ليكون الحق سمعه وبصره والمحبة الإلهية هي التي أنزلته من الحق منزلة أن يكون الحق سمعه وبصره والعلة في ذلك أن التنفل عبد اختيار كالأجير فإذا اختار الإنسان أن يكون عبد الله لا عبد هواه فقد أثر الله على هواه وهو في الفرائض عبد اضطرار لا عبد اختيار فتلك العبودية أوجب عليه خدمة سيده فيما افترضه عليه فبين الإنسان في عبوديته الاضطرارية وبين عبوديته الاختيارية ما بين الأجير والعبد المملوك فالعبد الأصلي ما له على سيده استحقاق إلا ما لا بد منه يأكل من سيده ويلبس من سيده ويقوم بواجبات مقامه فلا يزال في دار سيده ليلاً ونهاراً لا يرح إلا إذا وجهه في شغله فهو في الدنيا مع الله وفي القيامة مع الله وفي الجنة مع الله فإنها جميعها ملك سيده فيتصرف فيها تصرف الملاك والأجير ما له سوى ما عين له من الأجرة منها نفقته وكسوته وماله دخول على حرم سيده ومؤجره ولا الإطلاع على أسرار ولا تصرف في ملكه إلا بقدر ما استؤجر عليه فإذا انقضت مدة إجارته وأخذ أجرته فارق مؤجره واشتغل بأهله وليس له من هذا الوجه حقيقة ولا نسبة تطلب من استأجره إلا أن يمن عليه رب المال بأن يبعث خلفه ويجالسه ويخلع عليه فذلك من باب المنّة وقد ارتفعت عنه في الدار الآخرة عبودية الاختيار فإن تفتنت فقد نبهت على مقام جليل تعرف منه من أي مقام قالت الأنبياء مع كونهم عبيداً مخلصين له لم يملكهم هوى أنفسهم ولا أحد من خلق الله ومع هذا قالوا إن أجري إلا على الله

فيعلم أن ذلك راجع إلى دخولهم تحت حكم الأسماء الإلهية فمن هناك وقعت الإجارة فهم في الاضطراب والحقيقة عبيد الذات وهم لها ملك وصارت الأسماء الإلهية تطلبهم لظهور آثارها فيهم فلم الاختيار في الدخول تحت أي اسم إلهي شاؤوا وقد علمت الأسماء الإلهية ذلك فعينت لهم الأسماء الإلهية الأجور يطلب كل اسم إلهي من هذا العبد الذاتي أن يؤثره على غيره من الأسماء الإلهية بخدمته فيقول له ادخل تحت أمري وأنا أعطيك كذا وكذا فلا يزال في خدمة ذلك الاسم حتى يناديه السيد من حيث عبودية الذات فيترك كل اسم إلهي ويقوم لدعوة سيده فإذا فعل ما أمره به حينئذ رجع إلى أي اسم شاء ولهذا يتنفل الإنسان ويتعبد بما شاء حتى يسمع إقامة الصلاة المفروضة فتحرم عليه كل نافلة ويبادر إلى أداء فرض سيده ومالكه فإذا فرغ دخل في أي نافلة شاء فهو في التشبيه في هذه المسألة كعبد لسيد أولاد كثيرة فهو مع سيده بحكم عبودية الاضطراب إذا أمر سيده لم يشغل بغير أمره وإذا فرغ من أداء ذلك طلب أولاد سيده منه أن يسخروه فلا بد أن يعينوا له ما يرغبه في خدمتهم وكل ولد يحب أن يأخذه لخدمته في وقت فراغه من شغل سيده فيتنافسون في أجره ليستخلصوه إليهم فهو مخير مع أي ولد يخدم في ذلك الوقت فالإنسان هو العبد والسيد هو الله والأولاد سائر الأسماء الإلهية فإذا رأى هذا العبد ملهوفاً فأغاثه فيعلم أنه تحت تسخير الاسم المغيث فيكون له من المغيث ما عين له في ذلك من الأجر وإذا رأى ضعيفاً في نفسه فتلطف به كان تحت تسخير الاسم اللطيف وكذلك ما بقي من الأسماء فتحقق يا ولي كيف تخدم ربك وسيدك وكن على علم صحيح في نفسك وفي سيدك تكن من العلماء الراسخين في العلم الحكماء الإلهيين وتفتر بالدرجة القصوى والمكانة العليا مع الرسل والأنبياء ويحوي أيضاً هذا المتزل على علم التخلق بالأسماء الإلهية كلها وأعني بالكل ما وصل إلينا العلم بها وعلم التمييز وأين يناله العبد وتقدير الزمان الذي بينه وبين الوصول إليه وعلم التفاضل الإلهي بين الله وبين عباده في مثل قوله أحسن الخالقين وأرحم الراحمين ما الوجه الذي جمعهم حتى كان الحق في ذلك الوجه أكمل ولا مفاضلة بين الله وخلقه إذ كان السيد هو الذي لا يكثر ولا يفاضل والكل عبيد له ولا مفاضلة بين السيد وعبده من حيث هو عبد بل السيد له الفضل أجمع وعلم مراتب أهل التصديق أهل التكذيب من مراتب أهل الكفر والشرك وغيرهم وعلم التمني أي اسم إلهي يطلبه وعلم الصفات التي يكرهها السيد من العبد وما السبب الموجب للعبد حتى يدخل فيما يكرهه سيده هل من حقيقة هو عليها تطلب ذلك أو هو راجع إلى القضاء والقدر خاصة وعلم القلوب وعلم العلامات وعلم الإصرار بما يتعلق وقد بيناه في كتاب إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن في قوله تعالى في آل عمران ولم يصروا على ما فعلوا فانظره هناك وعلم الجراء الدنياوي والأخراوي وقد بيناه في التفسير لنا في فاتحة الكتاب في قوله تعالى ملك يوم الدين وعلم التقوى وعلم الفرقان وعلم القرآن وعلم الشدائد والأهوال ولماذا ترجع وعلم وكون أيام الدجال من سنة وشهر وجمعة وسائر أيامه كالأيام المعهودة هل ذلك راجع إلى شدة الفجأة فإن الهام يولد كبيراً ويصغر كلما دام واستصحبه الإنسان هان عليه ما يجد حتى أن المعاقب بالضرب ما يحس به إلا في أول ما يقع به مقدار قليلاً ثم لما يتخدر موضع الضرب فلا يحس به وعلم الانفراد بالحق لأهل الشقاء ما فائدته ولماذا يرجع وعلم المكر والخداع والكيد والاستدراج والفرق بين هذه المراتب وأصحابها وعلم الصبر وعلم عقوبة من لم يصبر ومتى يكون صابراً وعلم العناية وعلم الاجتناب وعلم منازل الصالحين وهو علم غريب شريف ما رأيت من العارفين من يعرفه إلا الأنبياء خاصة فالحمد لله الذي من علينا بمعرفته وما رأينا ذلك إلا بكون الله امتن علينا بالاحترام التام لرسله عليهم السلام وشرائعه المتزلة وعلم الصلاح يختص بهم فممكنني الله من جني ثمرته فقد نبهتكم على الطريق الموصلة إلى علم الصلاح الذي أغفل الناس طريقه وجعلوه في الطبقة الرابعة وأخذوا الطريق خطأً مستقيماً وطريق الحق ليس كذلك وإنما هو مستقيم الاستدارة فإن القوم جهلوا معنى الاستقامة في

الأشياء ما هي فالاستقامة الدائرة أن تكون دائرة صحيحة بحيث أن يكون كل خط يخرج من النقطة إلى المحيط منها مساوياً لصاحبه وسائر الخطوط كما أن الاستقامة في الشكل المربع والمثلث أن يكون متساوي الأضلاع بتساوي الزوايا كما أن الاستقامة في الشكل المثلث المتساوي الساقين أن يكون متساوي الساقين فكل شيء لم يخرج عما وضع له فهي استقامته وعلم العين وعلم الفرق بين المعجزة والكرامة والسحر والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السابع عشر وثلاثمائة في معرفة منزل الابتلاء وبركاته

وهو منزل الإمام الذي على يسار القطب

وأسكنها روحاً كريماً وأبلاها

عجبت لدار قد بناها وسواها

فمن لي بجمع الشمل من لي ببقياها

وخربها تخريب من لا يقيمها

فيا ليت شعري ما الذي كان أدراها

وقد كان علاماً بما قد أقامه

إقامة باق لا يزول محياها

ولم لا بناها أولاً وأقامها

فما كان أسناها وما كان أقواها

وما فعلت ما تستحق به الردا

وبعد زمان ردها ثم علاها

لقد عبثت فينا وفيها يد البلى

على عرشها ملكاً وخذل سكناها

ورد إليها ذلك الروح فاستوى

فأسكنها فردوسها ثم مأواها

وأورثها عدنً وخذلاً عناية

اعلم أيديك الله أيها الولي الحميم والصفى الكريم أن الحياة للأرواح المدبرة الأجسام كلها النارية والترابية والنورية كالضوء للشمس سواء فالحياة لها وصف نفسي فما يظهرون على شيء إلا حيي ذلك الشيء وسرت فيه حياة ذلك الروح الظاهر له كما يسري ضوء الشمس في جسم الهواء ووجه الأرض وكل موضع تظهر عليه الشمس ومن هنا يعلم من هو روح العالم ومن يستمد حياته وما معنى قوله تعالى الله نور السموات والأرض ثم مثل فقال مثل نوره كمشكاة وهي الكوة فيها مصباح وهو النور إلى آخر التشبيه فمن فهم معنى هذه الآية علم حفظ الله العالم فهذه الآية من أسرار المعرفة بالله تعالى في ارتباط الإله بالمألوه والرب بالمربوب فإن المربوب والمألوه لو لم يتول الله حفظه دائماً لفني من حينه إذ لم يكن له حافظ يحفظه ويحفظ عليه بقاءه فلو احتجب عن العالم في الغيب انعدم العالم فمن هنا الاسم الظاهر حاكم أبداً وجوداً والاسم الباطن علماً ومعرفة فبالاسم الظاهر أبقى العالم وبالاسم الباطن عرفناه وبالاسم النور شهدناه فإذا كانت حياة الإنسان الذي هو مقصودنا في هذا الباب لأنه باب الابتلاء وهو يعم المكلفين من الثقلين فإنه كل ما سوى الثقلين ليسوا مثلنا في حكم العبادة والتكليف فكلامي على الإنسان وحده من حيث حياته كلامي على كل ما سوى الله وكلامي على ابتلائه كلامي على كل مكلف من الثقلين قال تعالى وكان عرشه على الماء على هنا بمعنى في أي

كان العرش في الماء كما أن الإنسان في الماء أي منه تكون فإن الماء أصل الموجودات كلها وهو عرش الحياة الإلهية ومن الماء خلق الله كل شيء حي وكل ما سوى الله حي فإن كل ما سوى الله مسيح بحمد الله ولا يكون التسبيح إلا من حي وقد وردت الأخبار بحياة كل رطب ويابس وجهاد ونبات وأرض وسماء وهذه هي التي وقع فيها الخلاف بين أهل الكشف وغيرهم ممن ليس له كشف وبين أهل الإيمان وبين من لا يقول بالشرائع أو من يتأول الشرائع على غير ما جاءت له فيقولون أنه تسبيح حال وأما ما أدرك الحس حياته فلا خلاف في حياته وإنما الخلاف في سبب حياته ما هو وفي تسبيحه بحمد ربه لماذا يرجع إذ لا يكون التسبيح إلا من حي عاقل يعقل ذلك وما عدا الإنسان والجن من الحيوان ليس بعاقل عند المخالف بخلاف ما نعتقد نحن وأهل الكشف والإيمان الصحيح وأعني بالعقل هنا العلم فالعرش هنا عبارة عن الملك وكان حرف وجودي فمعناه أن الملك موجود في الماء أي الماء أصل ظهور عينه فهو الملك كالهيوالي ظهر فيه صور العالم الذي هو ملك الله والعالم محصور في أعيان ونسب فالأعيان وجودية والنسب معقولة عدمية وهذا هو كل ما سوى الله ولما كان الماء أصل الحياة وكل شيء حي والنسب تابعة له قرن بين العرش المجعول على الماء وبين خلقه الموت والحياة في الابتلاء فقال وكان عرشه على الماء ليبلوكم أي يختبركم والعرش كما ذكرت لك أعيان موجودة ونسب عدمية وقال خلق الموت والحياة ليبلوكم فالحياة للأعيان والموت للنسب فظهور الروح للجسم حياة ذلك الجسم كظهور الشمس لاستنارة الأجسام التي ظهرت الشمس لها وغيبة الروح عن الجسم زوال الحياة من ذلك الجسم وهو الموت فالاجتماع حياة والفرقة موت والاجتماع والافتراق نسب معقولة لها حكم ظاهر وإن كانت معدومة الأعيان واعلم أن القوى كلها التي في الإنسان وفي كل حيوان مثل قوة الحس وقوة الخيال وقوة الحفظ والقوة المصورة وسائر القوى كلها المنسوبة إلى جميع الأجسام علواً وسفلاً إنما هي للروح تكون بوجوده وإعطائه الحياة لذلك الجسم وينعدم فيها ما ينعدم بتوليده عن ذلك الجسم من ذلك الوجه الذي تكون عنه تلك القوة الخاصة فافهم إذا أعرض الروح عن الجسم بالكلية زال بزواله جميع القوى والحياة وهو المعبر عنه بالموت كالليل بمغيب الشمس وأما بالنوم فليس بإعراض كلي وإنما هي حجب أبخرة تحول بين القوى وبين مدركاتها الحسية مع وجود الحياة في النائم كالشمس إذا حالت السحب بينها وبين موضع خاص من الأرض يكون الضوء موجوداً كالحياة وإن لم يقع إدراك الشمس لذلك الموضع الذي حال بينه وبينها السحاب المتراكم وكما أن الشمس إذا فارقت هذا الموضع من الأرض وجاء الليل بدلاً منه ظهرت في موضع آخر بنوره أضاء به ذلك الموضع فكان النهار هنالك كما كان هنا كذلك الروح إذا أعرض عن هذا الجسم الذي كانت حياته به تجلى على صورة

من الصور الذي هو البرزخ وهو بالصاد جمع صورة فحييت به تلك الصورة في البرزخ كما قال صلى الله عليه وسلم في نسمة المؤمن أنه طير أخضر فذلك الطير كالجسم هنا صورة حييت بهذا الروح الذي كان يحيا به هذا الجسم وكما تطلع الشمس في اليوم الثاني علينا فتستنير الموجودات بنورها كذلك الروح يطلع في يوم الآخرة على هذه الأجسام الميتة فتحيا به فذلك هو النشر والبعث واعلم أن الصور أوجده الله على صورة القرن وسمي بالصور من باب تسمية الشيء باسم الشيء إذا كان مجاوراً له أو كان منه بسبب ولما كان هذا القرن محلاً لجميع الصور البرزخية التي تنتقل إليها الأرواح بعد الموت وفي النوم فيه سمي صوراً جمع صورة وشكله شكل القرن أعلاه واسع وأسفله ضيق على شكل العالم أين سعة العرش من ضيق الأرض وتنتقل القوى مع الروح إلى تلك الصورة البرزخية نوماً وموتاً ولهذا تكون دراية بجميع القوى سواء فقد أعلمتك بما هو الأمر عليه ومن هنا زل القائلون بالتناسخ لما رأوا أو سمعوا أن الأنبياء قد نبهت على انتقال الأرواح إلى هذه الصور البرزخية وتكون فيها على صور أخلاقها ورأوا تلك الأخلاق

في الحيوانات تخيلوا في قول الأنبياء والرسل والعلماء أن ذلك راجع إلى هذه الحيوانات التي في الدار الدنيا وأنها ترجع إلى التخليص وذكروا ما قد علمت من مذهبهم فأخطؤوا في النظر وفي تأويل أقوال الرسل وما جاء في ذلك من الكتب المتزلة ورأوا النائم يقرب من هذا الأمر الذي شرعوا فيه فاستروحوا من ذلك ما ذهبوا إليه فما أتى عليهم إلا من سوء التأويل في القول الصحيح وهذا معنى قوله ليلوكم أي يجتبر عقولكم بالموت والحياة أيكم أحسن عملاً بالخوض فيهما والنظر فيرى من يصيب منكم ومن يخطئ كأهل التناسخ وجعل ذلك كله دليلاً واضحاً ونصبه برهاناً قاطعاً على اسمه الحي واسمه النور واسمه الظاهر والباطن والأول والآخر ليعلم نسبة العالم من موجدته وإنه غير مستقل بنفسه وأن افتقاره إلى الله افتقار ذاتي لا ينفك عنه طرفة عين وأن النسب دائمة الحكم لبقاء وجود الأعيان وهو العزيز المنيع الحمي عن أن يدركه خلقه أو يحاط بشيء من علمه إلا بما شاء وهو الغفور الذي ستر العقول عن إدراك كنهه أو كنهه جلاله واعلم يا ولي نور الله بصيرتك بعد أن تقرر عندك أن حياة الأجسام كلها من حياة الأرواح المدبرة لها وبانفصالها عنها يكون الموت فيزول نظامهما إذ القوى الماسكة لها زالت بزوال الروح المدير الذي وكله الله بتدبيرها فاعلم أن الحياة في جميع الأشياء حياتان حياة عن سبب وهي الحياة التي ذكرناها ونسبناها إلى الأرواح الأخرى وحياة أخرى ذاتية للأجسام كلها كحياة الأرواح للأرواح غير أن حياة الأرواح يظهر لها أثر في الأجسام المدبرة بانتشار ضوئها فيها وظهور قواها التي ذكرناها وحياة الأجسام الذاتية لها ليس كذلك فإن الأجسام ما خلقت مدبرة فحياتها الذاتية التي لا يجوز زوالها عنها فإنها صفة نفسية لها بما تسبح ربها دائماً سواء كانت أرواحها فيها أو لم تكن وما تعطيها أرواحها إلا هيئة أخرى عرضية في التسبيح بوجودها خاصة وإذا فارقتها الروح فارقها الذكر الخاص وهو الكلام المتعارف بيننا المحسوس تسبيحاً كان أو غيره فيدرك المكاشف الحياة الذاتية التي في الأجسام كلها وإذا اتفق على أي جسم كان أمر يخرج عن نظامه مثل كسر آنية أو كسر حجر أو قطع شجر فهو مثل قطع يد إنسان أو رجله يزول عنه حياة الروح المدير له ويبقى عليه حياته الذاتية فإنه لكل صورة في العالم روح مدبرة وحياة ذاتية تزول الروح بزوال تلك الصورة كالقتيل وتزول الصورة بزوال ذلك الروح كالميت الذي مات على فراشه ولم تضرب عنقه والحياة الذاتية لكل جوهر فيه غير زائلة وتلك الحياة الذاتية التي أخذ الله بأبصار بعض الخلق عنها بما تشهد الجلود يوم القيامة على الناس والألسنة والأيدي والأرجل وبما تنطق فخذ الرجل في آخر الزمان فتخبر صاحبها بما فعل أهله وبما تنطق الشجرة في آخر الزمان إذا اختفى خلفها اليهود حين يطلبهم المسلمون للقتل فتقول للمسلم إذا رآته يطلب اليهودي يا مسلم هذا يهودي خلفي فاقتله إلا شجرة الغرقد فإنها تستر اليهودي إذا لاذ بها فلعنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقال أن الشجرة إنما رأفت مع من استند إليها كما يراه أصحاب الخلق الكريم فلتعلم أن حق الله أحق بالقضاء وتصريف الخلق الكريم مع الله هو الأوجب على كل مؤمن ألا تراه يقول ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله وإنما كانت هذه الحياة في الأشياء ذاتية لأنها عن التجلي الإلهي للموجودات كلها لأنه خلقها لعبادته ومعرفته ولا أحد من خلقه يعرفه إلا أن يتجلى له فيعرفه بنفسه إذ لم يكن في طاقة المخلوق أن يعرف خالقه كما قال الله تعالى وعلمناه من لدنا علماً والتجلي دائم أبداً مشاهد لكل الموجودات ظاهر ما عدا الملائكة والإنس والجن فإن التجلي لهم الدائم إنما هو فيما ليس له نطق ظاهر كسائر الجمادات والنبات وأما التجلي لمن أعطى النطق والتعبير عما في نفسه وهم الملائكة والإنس والجن من حيث أرواحهم المدبرة لهم وقواها فإن التجلي لهم من خلف حجاب الغيب فالمعرفة للملائكة بالتعريف الإلهي لا بالتجلي والمعرفة للإنس والجن بالنظر والاستدلال والمعرفة لأجسامهم ومن دونهم من المخلوقات بالتجلي الإلهي وذلك لأن سائر المخلوقات فطروا على الكتمان فلم يعطوا عبارة التوصيل

وأراد الحق ستر هذا المقام رحمة بالمكلفين إذ سبق في علمه أنهم يكلفون وقد قدر عليهم في قصة آدم معهم فلهذا وقع الستر عنهم لأنهم لو عصوه بالقضاء والقدر على التجلي والمشاهدة لكان عدم احترام عظيم وعدم حياء وكانت المؤاخذة عظيمة فكانت الرحمة لا تنالهم أبداً فلما عصوه على الستر قامت لهم الحجة في المذرة ولهذا كانت الغفلة من الرحمة التي جعلها الله لعباده والنسيان ليجدوا بذلك حجة لو اعترض عليهم ويجدون بها عذراً ولهذا ما كلف الله أحداً من خلقه إلا الملائكة والإنس والجن وما عداهم فإن دوام التجلي لهم أعطاهم الحياة الذاتية الدائمة وهم في تسييحهم مثلنا في أنفاسنا دوام متوال من غير مشقة نجده في تنفسنا بل الأنفاس غير الراحة لنا بل لولاها لمتنا ألا ترى المخنوق إذا حيل بينه وبين خروج نفسه مات ووجد الألم فعلى هذا الحد هو تسييح كل شيء إن فهمت فالحق على الحقيقة هو مدير العالم كما قال تعالى يدبر الأمر يفصل الآيات يعني الدلالات على توحيده فيعطي كل خلق دلالة تخصه على توحيد موجدته كما قال القائل

وفي كل شيء آية

تدل على أنه واحد

وهي هذه الآيات التي يفصلها فيقسمها على خلقه بحسب ما فطرهم الله تعالى عليه فهو سبحانه روح العالم وسمعه وبصره ويده فبه يسمع العالم وبه يبصر وبه يتكلم وبه يبطش وبه يسعى إذ لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ولا يعرف هذا إلا من تقرب إلى الله بنوافل الخيرات كما ورد في الصحيح من الأخبار النبوية الإلهية فإذا تقرب العبد تعالى إليه بالنوافل أحبه وإذا أحبه قال الله تعالى فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ويده وفي رواية كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً فقله كنت يدل على أنه كان الأمر على هذا وهو لا يشعر فكانت الكرامة التي أعطاه هذا التقرب الكشف والعلم بأن الله كان سمعه وبصره فهو يتخيل أنه يسمع بسمعه وهو يسمع بربه كما كان يسمع الإنسان في حال حياته بروحه في ظنه لجهله وفي نفس الأمر إنما يسمع بربه ألا ترى نبيه الصادق في أهل القلب كيف قال ما أنتم بأسمع منهم حين خاطبهم بهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً وكان قد جيفوا فما من أحد من المخلوقات إلا وهو يسمع ولكن فطروا على منع توصيل ما يعلمون ويسمعون وهذه الحياة التي تظهر لأعين الخلق عند خرق العوائد في إحياء الموتى كبقرة موسى وغيرها فالاسم الظاهر هو العالم إن تحققت فإنه للحق بمثالة الجسم للروح المدبرة والاسم الباطن لما خفي عن الموجودات في نسبة الحياة لأنفسهم وبالمجموع يكون الإنسان إذ حده حيوان ناطق فالحيوانية صورته الظاهرة فإن الحيوانية مطابقة في الدلالة للجسم المتغذي الحساس إلا أنها أخصر فرجحوها في عالم العبارة للاختصار لأنها تساويها في الدلالة وهو ناطق من حيث معناه وليس معناه سوى ما ذكرناه فالعالم كله عندنا الذي هو عبارة عن كل ما سوى الله حيوان ناطق لكن تختلف أجسامه وأغذيته وحسه فهو الظاهر بالصورة الحيوانية وهو الباطن بالحياة الذاتية الكائنة عن التجلي الإلهي الدائم الوجود فما في الوجود إلا الله تعالى وأسمائه وأفعاله فهو الأول من الاسم الظاهر وهو الآخر من الاسم الباطن فالوجود كله حق ما فيه شيء من الباطل إذ كان المفهوم من إطلاق لفظ الباطل عدماً ما فيما ادعى صاحبه أنه وجود فافهم ولو لم يكن الأمر كذلك لانفرد الخلق بالفعل ولم يكن الاقتدار الإلهي يعم جميع الممكنات بل كانت الإمكانيات تزول عنه فسبحان الظاهر الذي لا يخفى وسبحان الخفي الذي لا يظهر حجب الخلق به عن معرفته وأعمالهم بشدة ظهوره فهم منكرون مقرون مترددون حائرون مصيبون مخطئون والحمد لله الذي من علينا بمثل هذه المشاهد وجلا لأبصارنا هذه الحقائق فلم تقع لنا عين إلا عليه ولا كان منا استناد إلا إليه لا إله إلا هو العزيز

الحكيم ومن أراد أن يعرف حقيقة ما أومأت إليه في هذه المسألة فلينظر في خيال الستارة وصوره ومن الناطق في تلك الصور عند الصبيان الصغار الذين بعدوا عن حجاب الستارة المضروبة بينهم وبين اللاعب بتلك الأشخاص والناطق فيها فالأمر كذلك في صور العالم والناس أكثرهم أولئك الصغار الذين فرضناهم فتعرف من أين أتى عليهم فالصغار في ذلك المجلس يفرحون ويطربون والغافلون يتخذونه لهواً ولعباً والعلماء يعتبرون ويعلمون أن الله ما نصب هذا إلا مثلاً ولذلك يخرج في أول الأمر شخص يسمى الوصاف فيخطب خطبة يعظم الله فيها ويمجده ثم يتكلم على كل صنف من الصور التي تخرج بعده من خلف هذه الستارة ثم يعلم الجماعة أن الله نصب هذا مثلاً لعباده ليعتبروا وليعلموا أن أمر العالم مع الله مثل هذه الصور مع محركها وأن هذه الستارة حجاب سر القدر المحكم في الخلائق ومع هذا كله يتخذونه الغافلون لهواً ولعباً وهو قوله تعالى الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً ثم يغيب الوصاف وهو بمثالة أول موجود فينا وهو آدم عليه السلام ولما غاب كان غيبته عنا عند ربه خلف ستارة غيبه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الثامن عشر وثلاثمائة في معرفة منزل نسخ الشريعة المحمدية

وغير المحمدية بالأعراض النفسية عافانا الله وإياكم من ذلك بمنه

أنا إن فارقت نفسي قام لي	مثلاً في الحسن من غير البشر
ذات حسن وبهاء وسنا	ليس منها بدليل الشرع شر
فكان الشمس في ذاك السنا	وكأن الشهد في ذلك الأثر
من رأى الشبل إلى جانبه	أسد عن ناب شد فيه وكثر
حذراً منه على أشباله	طالباً كل خؤن وأشر
صار يستعذب في مرضاته	صبر الصبر ويستحلي العشر
فلنترجم بكلام حسن	لا تكن ممن هذى ثم فشر
لا يرى الحق عبيد لم يكن	يبصر المعنى من الحرف نشر
فاذا أبصره قام به	ورأى الكون فقيراً فنشر
رحمة الله على عالمه	ودعا الخلق إليه وحشر

اعلم أيها الولي الحميم أنا روينا في هذا الباب عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً أصاب من عرضه فجاء إليه يستحله في ذلك فقال له يا ابن عباس إني قد نلت منك فاجعلني في حل من ذلك فقال أعوذ بالله أن أحل ما حرم الله إن اله قد حرم أعراض المسلمين فلا أحلها ولكن غفر الله لك فانظر ما أعجب هذا التصريف وما أحسن العلم ومن هذا الباب حلف الإنسان على ما أبيح له فعله أن لا يفعل أو يفعله ففرض الله تحلة الإيمان وهو من باب الاستدراج والمكر الإلهي إلا لمن عصمه الله بالتنبيه عليه فما ثم

شارع إلا الله تعالى قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم لتحكم بين الناس بما أراك الله ولم يقل بما رأيت بل عتبه سبحانه وتعالى لما حرم على نفسه باليمين في قضية عائشة وحفصة فقال تعالى يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك فكان هذا مما أرتته نفسه فهذا يدل على أن قوله تعالى بما أراك الله أنه ما يوحى به إليه لا ما يراه في رأيه فلو كان الدين بالرأي لكان رأي النبي صلى الله عليه وسلم أولى من رأي كل ذي رأي فإذا كان هذا حال النبي صلى الله عليه وسلم فيما أرتته نفسه فكيف رأى من ليس بمعصوم ومن الخطأ أقرب إليه من الإصابة فدل أن الاجتهاد الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما هو طلب الدليل على تعيين الحكم في المسألة الواقعة لا في تشريع حكم في النازلة فإن ذلك شرع لم يأذن به الله ولقد أخبرني القاضي عبد الوهاب الأزدي الاسكندري بمكة سنة تسع وتسعين وخمسمائة قال رأيت رجلاً من الصالحين بعد موته في المنام فسألته ما رأيت فذكر أشياء منها قال ولقد أريت كتباً موضوعة وكتباً مرفوعة فسألته ما هذه الكتب المرفوعة فقلت لي هذه كتب الحديث فقلت وما هذه الكتب الموضوعة فقلت لي هذه كتب الرأي حتى يسأل عنها أصحابها فرأيت الأمر فيه شدة اعلم وفقك الله أن الشريعة هي المحجة البيضاء محجة السعداء وطريق السعادة من مشى عليها نجاً ومن تركها هلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه قوله تعالى وإن هذا صراطي مستقيماً خط رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأرض وخطاً خطوطاً عن جانبي الخط يمناً وشمالاً ثم وضع إصبعه على الخط وقال تالياً وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل وأشار إلى تلك الخطوط التي خطها عن يمين الخط ويساره ففترق بكم عن سبيله وأشار إلى الخط المستقيم ولقد أخبرني بمدينة سلا مدينة بالمغرب على شاطئ البحر المحيط يقال لها منقطع التراب ليس وراءها أرض رجل من الصالحين الأكابر من عامة الناس قال رأيت في النوم محجة بيضاء مستوية عليها نور سهلة ورأيت عن يمين تلك المحجة وشمالها خنادق وشعاباً وأودية كلها شوك لا تنسلك لضيقها وتوعر مسالكها وكثرة شوكة والظلمة التي فيها ورأيت جميع الناس يخطون فيها عشوا ويتركون المحجة البيضاء السهلة وعلى المحجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفر قليل معه يسير وهو ينظر إلى من خلفه وإذا في الجماعة متأخر عنها لكنه عليها الشيخ أبو اسحق إبراهيم بن قرقور المحدث كان سيداً فاضلاً في الحديث اجتمعت بانه فكان يفهم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه يقول له ناد في الناس بالرجوع إلى الطريق فكان ابن قرقور يرفع صوته ويقول في ندائه ولا من داع ولا من مستدع هلموا إلى الطريق هلموا فلا يجيبه أحد ولا يرجع إلى الطريق أحد واعلم أنه لما غلبت الأهواء على النفوس وطلبت العلماء المراتب عند الملوك تركوا المحجة البيضاء وجنحوا إلى التأويلات البعيدة ليمشوا أغراض الملوك فيما لهم فيه هوى نفس ليستندوا في ذلك إلى أمر شرعي مع كون الفقيه ربما لا يعتقد ذلك ويفتي به وقد رأينا منهم جماعة على هذا من قضائهم وفقهائهم ولقد أخبرني الملك الظاهر غازي ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وقد وقع بيني وبينه في مثل هذا كلام فنادى بمملوك وقال جئني بالحرمدان فقلت له ما شأن الحرمدان قال أنت تنكر علي ما يجري في بلدي ومملكتي من المنكرات والظلم وأنا والله أعتقد مثل ما تعتقد أنت فيه من أن ذلك كله منكر ولكن والله يا سيدي ما منه منكر إلا بفتوى فقير وخط يده عندي بجواز ذلك فعليهم لعنة الله ولقد أفتاني فقيه هو فلان وعين لي أفضل فقيه عنده في بلده في الدين والتشرف بأنه لا يجب علي صوم شهر رمضان هذا بعينه بل الواجب

علي شهر في السنة والاختيار لي فيه أي شهر شئت من شهور السنة قال السلطان فلعتته في باطني ولم أظهر له ذلك وهو فلان وسماء لي رحم الله جميعهم فلتعلم أن الشيطان قد مكنه الله من حضرة الخيال وجعل له سلطاناً فيها فإذا رأى الفقيه يميل إلى هوى يعرف أنه يردي عند الله زين له سوء عمله بتأويل غريب يمهّد له فيه وجهاً يحسنه في نظره ويقول له أن الصدر الأول قد دانوا الله بالرأي

وقاس العلماء في الأحكام واستنبطوا العلل للأشياء وطردوها وحكموا في المسكوت عنه بما حكموا به في النصوص عليه للعلة الجامعة بينهما والعلة من استنباطه فإذا مهد له هذه السبيل جنح إلى نيل هواه وشهوته بوجه شرعي في زعمه فلا يزال هكذا فعله في كل ماله أو لسلطانه فيه هوى نفس ويرد الأحاديث النبوية ويقول لو أن هذا الحديث يكون صحيحاً وإن كان صحيحاً يقول لو لم يكن له خبر آخر يعارضه وهو ناسخ له لقال به الشافعي إن كان هذا الفقيه شافعيّاً أو لقال به أبو حنيفة إن كان الرجل حنفيّاً وهكذا أقوال أتباع هؤلاء الأئمة كلهم ويرون أن الحديث والأخذ به مضلة وأن الواجب تقليد هؤلاء الأئمة وأمثالهم فيما حكموا به وإن عارضت أقوالهم الأخبار النبوية فالأولى الرجوع إلى أقاويلهم وترك الأخذ بالأخبار والكتاب والسنة فإذا قلت لهم قد روينا عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال إذا أتاكم الحديث يعارض قولي فاضربوا بقولي الحائط وخذوا بالحديث فإن مذهبي الحديث وقد روينا عن أبي حنيفة أنه قال لأصحابه حرام على كل من أفتى بكلامي ما لم يعرف دليلي وما روينا شيئاً من هذا عن أبي حنيفة إلا من طريق الحنفيين ولا عن الشافعي إلا من طريق الشافعية وكذلك المالكية والحنابلة فإذا ضايقتهم في مجال الكلام هربوا وسكتوا وقد جرى لنا هذا معهم مراراً بالمغرب وبالمشرق فما منهم أحد على مذهب من يزعم أنه على مذهبه فقد انتسخت الشريعة بالأهواء وإن كانت الأخبار موجودة مسطرة في الكتب الصحاح وكتب التواريخ والتجريح والتعديل موجودة والأسانيد محفوظة مصونة من التغيير والتبديل ولكن إذا ترك العمل بها واشتغل الناس بالرأي ودانوا أنفسهم بفتاوى المتقدمين مع معارضة الأخبار الصحاح لها فلا فرق بين عدمها ووجودها إذا لم يبق لها حكم عندهم وأي نسخ أعظم من هذا وإذا قلت لأحدهم في ذلك شيئاً يقول لك هذا هو المذهب وهو والله كاذب فإن صاحب المذهب قال له إذا عارض الخبر كلامي فخذ بالحديث واترك كلامي في الحش فإن مذهبي الحديث فلو أنصف لكان على مذهب الشافعي من ترك كلام الشافعي للحديث المعارض فالله يأخذ بيد الجميع وبعد أن تبين ما قررناه فاعلم أن الإنسان إذا زهد في غرضه ورغب عن نفسه وآثر ربه أقام له الحق عوضاً من صورة نفسه صورة هداية إلهية حقاً من عند حق حتى يرفل في غلائل النور وهي شريعة نبيه ورسالة رسوله فيلقى إليه من ربه ما يكون فيه سعادته فمن الناس من يراها على صورة نبيه ومنهم من يراها على صورة حاله فإذا تجلت له في صورة نبيه فليكن عين فهمه فيما تلقى إليه تلك الصورة لا غير فإن الشيطان لا يتمثل على صورة نبي أصلاً فتلك حقيقة ذلك النبي وروحه أو صورة ملك مثله عالم من الله بشريعته فما قال له فهو ذاك ونحن قد أخذنا عن مثل هذه الصورة أموراً كثيرة من الأحكام الشرعية لم نكن نعرفها من جهة العلماء ولا من الكتب فلما عرضت ما خاطبني به تلك الصورة من الأحكام الشرعية على بعض علماء بلادنا ممن جمع الحديث والمذاهب فأخبرني بجميع ما أخبرته به أنه روي في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ما غادر حرفاً واحداً وكان يتعجب من ذلك حتى أنه في جملة ذلك رفع اليدين في الصلاة في كل خفض ورفع ولا يقول بذلك أهل بلادنا جملة واحدة وليس عندنا من يفعل ذلك لولا رأيته فلما عرضته على محمد بن علي بن الحاج وكان من المحدثين روى لي فيه حديثاً صحيحاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره مسلم ووقفت عليه بعد ذلك في صحيح مسلم لما طالعت الأخبار ورأيت بعد ذلك أن فيه رواية عن مالك بن أنس رواها ابن وهب وذكر أبو عيسى الترمذي هذا الحديث وقال وبه يقول مالك والشافعي وكذا اتفق لي في الأخذ من صورة نبي صلى الله عليه وسلم ما يعرض علي من الأحكام المشروعة التي لم يكن لنا علم بها وأما إذا ظهرت له على غير صورة رسوله فتلك الصورة راجعة إلى حاله لا بد من ذلك أو إلى

متزلة الشرع في ذلك الوقت في ذلك الموضع الذي رآه فيه مثل الرؤيا سواء إلا أن هذا الإنسان يراها في اليقظة والعامية ترى ذلك في

النوم فلا يأخذ عن تلك الصورة إذا تجلت بهذه المثابة شيئاً من الأحكام المشروعة وكل ما أتى به من العلوم والأسرار مما عدا التحليل والتحريم فلا تحجير عليه فيما يأخذه منها لا في العقائد ولا في غيرها فإن الحضرة الإلهية تقبل جميع العقائد إلا الشرك فإنها لا تقبله فإن الشريك عدم محض والوجود المطلق لا يقبل العدم والشريك لا شك أنه خارج عن شريكه بخلاف ما يعتقد فيه مما يتصف به الموصوف في نفسه فلهذا قلنا لا يقبل الشريك لأنه ما ثم شريك حتى يقبل وإن كان قد جاء في قوله تعالى ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فافهم هذه الإشارة فإن الشبهة تأتي من صورة البرهان فهذا ذم للمقلدة لا لأصحاب النظر وإن أخطئوا ثم اعلم أن الغرض هو عين الإرادة إلا أنه إرادة للنفس بما تعشق وهوى فثبتت فسميت غرضاً إذ كان الغرض هو الإشارة التي تنصبها الرماة للمناضلة ولما كانت السهام من الرماة تقصدها وهي ثابتة لا تزول سميت الإرادة التي بهذه المثابة غرضاً لثبوتها في نفس من قامت به لتعشقه بذلك الأمر ولا يبالي من سهام أقوال الناس فيه لذلك وسواء كان ذلك الغرض محموداً أو مذموماً لكنهم اصطالحوا على أنه إذا قيل فيه غرض نفسي ونسبوه إلى النفس أن يكون مذموماً وإذا عري عن هذه النسبة قد يكون محموداً وقد يكون مذموماً ولهذا وصف الحق بأن له إرادة ولم يتصف بأن له غرضاً لأن الغرض الغالب عليه تعلق الذم به وهو عرض يعرض للنفس فأعجم القضاء والقدر عينه فسمي غرضاً لما ذكرناه لما يقوم بصاحبه من اللجاج في إمضائه وهو عين العلة التي لأجلها كان وقوع ذلك الفعل أو تركه إن كان الغرض تركه والعلة مرض والأغراض أمراض النفوس وإنما قلنا بأنه أمر يعرض للنفس لأن النفس إنما خلق لها الإرادة لتريد بها ما أراد الله أن تأتيه من الأمور أو تتركه على ما حد لها الشارع فالأصل هو ما ذكرناه فلما عرض لهذه الإرادة تعشق نفسي بهذا الأمر ولم تبال من حكم الشرع فيه بالفعل أو الترك حتى لو صادف الأمر الشرعي بإمضائه لم يكن بالقصد منه وإنما وقع له بالاتفاق كون الشارع أمره به ففعله صاحب هذه الصفة لغرضه لا لحكم الشارع فلهذا لم يحمد الله على فعله إلا إن سأل قبل إمضاء الغرض هل للشرع في إمضائه حكم يحمده فيفتيه المفتي بأن الشارع قد حكم فيه بالإباحة أو بالنذب أو بالوجوب فيمضيه عند ذلك فيكون حكماً شرعياً وافق هوى نفس فيكون مأجوراً عليه والأول ليس كذلك فإن الأول هوى نفس وغرض وافق حكم شرع محمود فلم يمضه للشرع على طريق القرية فخرس فانظر يا ولي في أغراضك النفسية إذا عرضت لك ما حكمها في الشرع فإذا حكم عليك الشرع بالفعل فافعله أو بالترك فاتركه فإن غلب عليك بعد السؤال ومعرفتك بحكم الشرع فيه بالترك ولم تتركه واعتقدت أنك مخطئ في ذلك فأنت مأجور من وجوه من بحثك وسؤالك عن حكم الشرع فيه قبل إمضائه ومن اعتقداك أولاً في الشرع حتى سألت عن حكمه في ذلك الأمر ومن اعتقداك بعد العلم بأنه حرام يجب تركه ومن استنادك إلى أن الله غفور رحيم يعفو ويصفح بطريق حسن الظن بالله ومن كونك لم تقصد انتهاك حرمة الله ومن كونك معتقد السابق القضاء والقدر فيك بإمضاء هذا الأمر كمسألة موسى مع آدم عليهما السلام فهذه وجوه كثيرة أنت مأجور من جهتها في عين معصيتك وأنت مأثوم فيها من وجه واحد وهو عين إمضاء ذلك الأمر الذي هو هوى نفسك وإن زاد إلى تلك الوجوه أنك يسوءك ذلك الأمر كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن من سرته حسنته وساءته سيئته فبخ على بخ وهذا كله إنما جعله الله للمؤمن إرغماً للشيطان الذي يزين للإنسان سوء عمله فإن الشيطان يأمر بالفحشاء فوعده الله بالمغفرة وهي الستر الذي يجعله الله بين المؤمن العاصي وبين الكفر الذي يرديه عند وقوع المعصية فيعتقد أنها معصية ولا يبيح ما حرم الله وذلك من بركة ذلك الستر ثم ثم مغفرة أخرى وهو ستر خلف سترين ستر عليه في الدنيا لم يمض فيه حد الله المشروع في تلك المعصية وإن ستر عليه في الآخرة لم يعاقبه عليها فالستر الأول محقق في الوقت قال تعالى والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً فهذه المغفرة لأمره بالفحشاء والفضل لما وعد به الشيطان من الفقر في قوله

تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء فأراح الله المؤمن حيث ناب عنه الحق سبحانه في مدافعة ما أراد الشيطان إمضاءه في المؤمن فدفع الله عن عبده المؤمن وعداً إلهياً دفع به وعداً شيطانياً والله لا يقاوم ولا يغالب فالمغفرة متحققة والفضل متحقق وباء الشيطان بالخسران المبين ولهذه الحقيقة أمرنا الله أن نتخذة وكياً في أمورنا فيكون الحق هو الذي يتولى بنفسه دفع مضار هذه الأمور عن المؤمنين وما غرض الشيطان المعصية لعينها وإنما غرضه أن يعتاد العبد طاعة الشيطان فيستدرجه حتى يأمره بالشرك الذي فيه شقاوة الأبد وذلك لا يكون إلا برفع الستر الاعتصامي الحائل بين العبد والشرك والله تعالى يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب التاسع عشر وثلاثمائة في معرفة تنزل سراح النفس

عن قيد وجه ما من وجوه الشريعة بوجه آخر منها وإن ترك السبب الجالب للرزق من طريق التوكل سبب جالب للرزق وإن المتصف به ما خرج عن رق الأسباب ومن جلس مع الله مع كونه رزاقاً فهو معلول

من أمره فيه تبديل وتحويل	الله بين السما والأرض تنزيل
يمحو بها صوراً لهن تمثيل	ينحط من صور في طيها صور
ما الحق فيه وإن لم فهو تضليل	وصورة الحق فيه أن يكون على
وهو الصحيح الذي ما فيه تعليل	الهو يصاحب مجلي الحق في صور
وقد أتى فيه قرآن وتنزيل	هذا مقام ابن عباس وحالتنا
فإنها لك تسبيح وتهليل	فلا تغرنك حال لست تعرفها
أقوى يؤيده شرع ومعقول	وقل بها والتزمها إنها سند
منها زبور وتوراة وإنجيل	تقضي به صحف مثلي مطهرة
على العقول فوجه الحق مقبول	فاشهد هديت علوماً عز مدركها
فإنه تحت قهر الحس مغلول	يحار عقلك فيها أن يكيفها
وصاحب الفكر منصور ومخدول	فالحس أفضل ما تعطاه من منح

اعلم وفقك الله أيها الولي الحميم تولاك الله برحمته وفتح عين فهمك أنه من كانت حقيقته أن يكون مقيداً لا يصح أن يكون مطلقاً بوجه من الوجوه ما دامت عينه فإن التقييد صفة نفسية له ومن كانت حقيقته أن يكون مطلقاً فلا يقبل التقييد جملة واحدة فإنه صفته النفسية أن يكون مطلقاً لكن ليس في قوة المقيد أن يقبل الإطلاق لأن صفته العجز وأن يستصحب الحفظ الإلهي لبقاء عينه فلافتقار يلزمه وللمطلق أن يقيد نفسه إن شاء وأن لا يقيدها إن شاء فإن ذلك من صفة كونه مطلقاً إطلاق مشيئة ومن هنا أوجب الحق على نفسه ودخل تحت العهد لعبده فقال في الوجوب كتب ربكم على نفسه الرحمة أي أوجب فهو الموجب على نفسه ما أوجب غيره عليه ذلك فيكون مقيداً بغيره فقيد نفسه لعبيده رحمة بهم ولطفاً خفياً وقال في العهد وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم

فكلفهم وكلف نفسه لما قام الدليل عندهم بصدقه في قيله ذكر لهم ذلك تأنيساً لهم سبحانه وتعالى ولكن هذا كله أعني دخوله في التقييد لعباده من كونه إلهاً لا من كونه ذاتاً فإن الذات عينة عن العالمين والملك ما هو غني عن الملك إذ لولا الملك ما صح اسم الملك فالمرتبة أعطت التقييد لا ذات الحق جل وتعالى فالمخلوق كما يطلب الخالق من كونه مخلوقاً كذلك الخالق يطلب المخلوق من كونه خالقاً ألا ترى العالم لما كان له العدم من نفسه لم يطلب الخالق ولا المعدم فإن العدم له من ذاته وإنما طلب الخالق من كونه مخلوقاً فمن هنا قيد نفسه تعالى بما أوجب على نفسه من الوفاء بالعهد ولما كان المخلوق بهذه المثابة لذلك تعشق بالأسباب ولم يتمكن له إلا الميل إليها طبعاً فإنه موجود عن سبب وهو الله تعالى ولهذا أيضاً وضع الحق الأسباب في العالم لأنه سبحانه علم أنه لا يصح اسم الخالق وجوداً وتقديراً إلا بالمخلوق وجوداً وتقديراً وكذلك كل اسم إلهي يطلب الكون مثل الغفور والمالك والشكور والرحيم وغير ذلك من الأسماء فمن هنا وضع الأسباب وظهر العالم مربوطاً ببعضه ببعض فلم تنبت سنبلة إلا عن زارع وأرض ومطر وأمر بالاستسقاء إذا عدم المطر تثبيتاً منه في قلوب عباده لوجود الأسباب ولهذا لم يكلف عباده قط الخروج عن السبب فإنه لا تقتضيه حقيقته وإنما عين له سبباً دون سبب فقال له أنا سببك فعلي فاعتمد وتوكل كما ورد وعلى فتوكلوا إن كنتم مؤمنين فالرجل من أثبت الأسباب فإنه لو نفاها ما عرف الله ولا عرف نفسه وقال صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه عرف ربه ولم يقل عرف ذات ربه فإن ذات الرب لها الغنى على الإطلاق وأنى للمقيد بمعرفة المطلق والرب يطلب المربوب بلا شك ففيه رائحة التقييد فبهذا عرف المخلوق ربه ولذلك أمره أن يعلم أنه لا إله إلا هو من كونه إلهاً لأن الإله يطلب المألوه وذات الحق غنية عن الإضافة فلا تقتيد فإثبات الأسباب أدل دليل على معرفة المثلث لها بره ومن رفعها رفع ما لا يصح رفعه وإنما ينبغي له أن يقف مع السبب الأول وهو الذي خلق هذه الأسباب ونصبها ومن لا علم له بما أشرنا إليه لا يعلم كيف يسلك الطريق إلى معرفة ربه بالأدب الإلهي فإن رافع الأسباب سيئ الأدب مع الله ومن عزل من ولاه الله فقد أساء الأدب وكذب في عزل ذلك الوالي فانظر ما أجهل من كفر بالأسباب وقال بتركها ومن ترك ما قرره الحق فهو منازع لا عبد وجاهل لا عالم وإني أعظك يا ولي أن تكون من الجاهلين الغافلين وأراك في الحين تكذب نفسك في ترك الأسباب فإني أراك في وقت حديثك معي في ترك الأسباب ورميها وعدم الالتفات إليها والقول بترك استعمالها يأخذك العطش فتترك كلامي وتجري إلى الماء فتشرب منه لتدفعه بذلك ألم العطش وكذلك إذا جعت تناولت الخبز فأكلت وغايتك أن لا تتناوله بيدك حتى يجعل في فمك فإذا حصل في فمك مضغته وابتلعتة فما أسرع ما أكذبت نفسك بين يدي وكذلك إذا أردت أن تنظر افتقرب إلى فتح عينك فهل فتحتها إلا بسبب وإذا أردت زيارة صديق لك سعت إليه والسعي سبب في وصولك إليه فكيف تنفي الأسباب بالأسباب أترضى لنفسك بهذه الجهالة فالأديب الإلهي العالم من أثبت ما أثبته الله في الموضع الذي أثبته الله وعلى الوجه الذي أثبته الله في الموضع الذي أثبته الله ومن نفى ما نفاه الله في الموضع الذي نفاه الله وعلى الوجه الذي نفاه الله ثم تكذب نفسك إن كنت صالحاً في عبادتك ربك أليست عبادتك سبباً في سعادتك وأنت تقول بترك الأسباب فلم لا تقطع العمل فما رأيت أحداً من رسول ولا نبي ولا ولي ولا مؤمن ولا كافر ولا شقي ولا سعيد خرج قط عن رق الأسباب مطلقاً أدناها التنفس فيا تارك السبب لا تتنفس فإن التنفس سبب حياتك فأمسك نفسك حتى تموت فتكون قاتل نفسك فتحرم عليك الجنة وإذا فعلت هذا فأنت تحت حكم السبب فإن ترك التنفس سبب لموتك وموتك على هذه الصورة سبب في شقائك فما برحت من السبب فما أظنك عاقلاً إن كنت تزعم أن ترفع ما نصبه الله وأقامه علماً مشهوداً ودع عنك ما تسمع من كلام أهل الله تعالى فإنهم لم يريدوا بذلك ما توهمته بل جهلت ما أرادوه بقطع الأسباب كما جهلت ما أراداه الحق بوضع الأسباب وقد ألقيت بك على

مدرجة الحق وأبنت لك الطريقة التي وضعها الله لعباده وأمرهم بالمشي عليها فاسلك وعلى الله قصد السبيل ولو شاء لهداكم أجمعين وبعد هذا فاعلم أن العبد تارة يقيمه الحق في معصيته وتارة يقيمه في طاعته فأنا أبين لك من أين وقع للعبد هذا القبول للأمرين ونبين لك رتبة الإنسان من العالم وأن الإنسان له أمثال من جنسه والعالم يحملته ليس له مثل وما يتعلق بهذه المسألة من الحقائق والأسرار بعد أن نجمع معاني ما أريد تفصيلها في نظم يكون لك كالألم الجامعة المختصرة الضابطة لرؤوس المسائل حتى إذا أردت أن تبسطها لغيرك نبهك هذا النظم على عيوبها فقلنا في ذلك نكفي عن العبد

وإن طاع فقد وفى طريقته

والخلق يطلب بالمعنى خليفته

تعدل به حجة فاعلم حقيقته

فكل أمر فقد وفى سليقته

عناية منه أعطاه خليفته

له ليطعمه جوداً عقيقته

عين التغذية فما أعطاه صورته

إذا عصى الله قد وفى حقيقته

لولا القبول لما كان الوجود له

غن المحال دليل إن نظرت فلا

لا يقبل الكون والإمكان يقبله

لذاك فزنا من الأعلى بصورته

لو كان للكون مثل عق تكرمة

لكنه مفرد والحق ليس له

اعلم وفقك الله أيها الولي الحميم أن العالم لما كان ممكناً لم يكن محالاً قبل حالة الوجود والمحال لا يقبل الوجود فخالفت حقيقة الممكن بقبولها للوجود حقيقة المحال الذي لا يقبله ولما أوجد الله العالم إنساناً كبيراً وجعل آدم وبنيه مختصر هذا العالم ولهذا أعطاه الأسماء كلها أي كل الأسماء المتوجهة على إيجاد العالم وهي الأسماء الإلهية التي يطلبها العالم بذاته إذ كان وجوده عنها فقال صلى الله عليه وسلم إن الله خلق آدم على صورته إذ كانت الأسماء له وعنها وجد العالم فاعلم بحملته إنسان كبير ولما كرمه الله بالصورة طلب العالم والأمثال الشكر من الإنسان على ذلك فكانت العقيقة التي جعل الله على كل إنسان شكراً لما خصه به من الوجود على هذه الحالة وجعلها في سابعه إذ كان على حالة لا تقبل التغذية منها لئلا يكون قد سعى لنفسه فاكلها الأمثال وكل إنسان مرهون بعقيقته وينبغي له إذا عق عن نفسه في كبره أن لا يأكل منها شيئاً ويطعمها الناس ولذلك لم يعق العالم بحملته عن نفسه وإن كان على الصورة لأنه ما ثم من يأكل عقيقته فإنه ما ثم إلا الله والعالم والمعق عنه لا يأكل منها والحق يتزهر عن الغذاء والأكل وليست هذه المتزلة إلا لله فكانت عقيقة العالم تعود عبثاً فجعل سبحانه بدلاً من هذا الشكر الذي هو العقيقة التسبيح بحمده شكراً على ما أولاه من وجوده على صورته فقال وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً فبعنايته الأزلية بنا أعطانا الوجود على الصورة ولم يعطنا السورة التي هي منزلته فإن منزلته الربوبية ومزلتنا المربوبية ولذلك قلنا أن العالم لا يعق عن نفسه ينسك فإنه لا يأكله والحق لا يكون له ذلك ولا ينبغي له فكانت عقيقته التسبيح بحمده لأن التسبيح ينبغي له ولما كانت طبيعة الممكن قبلت الوجود فظهر في عينه بعد أن لم يكن سماه خلقاً مشتقاً من الخليفة وهي طبيعة الأمر وحقيقته أي مطبوعاً على الصورة وهي خليفته ولما أوجده الله على صورته وأوجده لعبادته فكان ما أوجد عليه خلاف ما أوجده له فقال وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون وهو ما أشرنا إليه في العقيقة أنه سبحانه لا ينبغي له أن يطعم

فاشترك الجن مع الإنس فيما وجد له لا فيما وجد عليه ولما كانت صورة الحق تعطي أن لا تكون مأمورة ولا منهيّة لعزتها سرت هذه العزة في الإنسان طبعاً فعصى ظاهراً وباطناً من حيث صورته لأنه على صورة من لا يقبل الأمر والنهي والجبر ألا ترى إبليس لما لم يكن على الصورة لم يعص باطناً فيقول للإنسان اكفر فإذا كفر يقول إبليس إني أخاف الله رب العالمين وما استكبر إلا ظاهراً على آدم فقال أأسجد لمن خلقت طيناً وقال أنا خير منه خلقتني من نار والنار أقرب من الإضاءة النورية إلى النور والنور اسم من أسماء الله والطين ظلمة محضة فقال أنا خير منه أي أقرب إليك من هذا الذي خلقتك من طين وجهل إبليس ما فطر الله آدم عليه في أن تولى خلقه بيديه كمالاً للصورة الإلهية التي خلق عليها ولم يكن عند إبليس ولا الملائكة من ذلك ذوق فاعترض الكل الملائكة بما قالت وإبليس بما قال فمعصية الإنسان بما خلق عليه وطاعته بما خلق له قال تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون أي يتذلّلوا لعزتي ويعرفوا منزلتي من منزلتهم فطريقة الإنسان العبادة فإنه عبد والعبد مقيد بسيده كما أن السيد مقيد بوجهه بعبدته فإنه المسود والله غني عن العالمين فلم يلحق الممكن بدرجة الحال فزها عليه بقبوله الوجود الذي هو صفة إلهية ولم يلحق بدرجة الوجود المطلق لأن وجوده مستفاد مقيد فإذا نظر إلى الحال ودرجته وما حصل له من ربه من الوجود ونظر في نفسه قبوله وامتنازه من الحال أدركه الكبرياء فعصى وقال أنا ربكم الأعلى وادعى الألوهة وما ادعاهما أحد من الجن وإذا نظر إلى افتقاره إلى واجب الوجود واستفادته الوجود منه ومنته عليه وجب الشكر عليه فذل وأطاع ربه فطاعته من وجه ما خلق له ومعصيته من وجه ما خلق عليه وشهوده الحال الذي ليس له هذه المرتبة فلو لم يكن الحال رتبة ثالثة ما وجد الممكن على من يزهو فإن الشيء لا يزهو على نفسه والمفتقر لا يزهو على المفتقر إليه فلم يكن يتصور أن تقع معصية من الممكن فانظر ما أعجب ما تعطيه الحقائق من الآثار والحمد لله على أن

علمنا ما لم نكن نعلم وفهمنا ما لم نكن نفهم وكان فضل الله علينا عظيماً وهذا القدر كاف من هذا الباب ويحتوي هذا المتزل على علم الدعاء وعلم النبوة وعلم خطاب الكل في عين الواحد وعلم الزمان وعلم التقوى وعلم التعدي وعلم البرهان وتركيبه وعلم مكارم الأخلاق وعلم منزلة نفس الإنسان عند الله من غيره وعلم العجز وعلم الإيمان وعلم الأنفاس وعلم التوكل وعلم الغيب وعلم الميزان وعلم التقديس وعلم حضرة الشكوك وعلم من تقدس بعد الخبث وعلم التكوين وعلم التعليم وعلم الحياة الآخرة وعلم الإجارة من غيره وعلم الرحمة وعلم الشدة وعلم الربح والخسران وعلم مدارك العقول وعلم نهاية المطلب وعلم الأمر الإلهي وعلم العالم وعلم الاقتدار الإلهي وعلم الإحاطة وهل ينتهي علم الله في العالم أم لا وما رأيت قائلاً به إلا شخصاً واحداً بمكة كان يرى هذا الرأي وهو مذهب معروف لكني ما كنت رأيت قائلاً به فإنه ما من مذهب إلا وقد رأيت قائلاً به فالله يسلك بنا سواء السبيل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الموفى عشرين وثلاثمائة في معرفة منزل تسبيح القبضتين وتمييزهما

وإن يكن فيه شرك فهو قد سمحا

وخير علم ينال العبد ما منحا

في الوزن حظ لأن العبد ما كدحا

من عامل الحق بالإخلاص قد ربحا

العلم علمان موهوب ومكتسب

كذاك معلوم علم الكسب ليس له

كما يسر إذا ميزانه رجحا

يسعى إلى الحق قدر غير ما قدحا

جهل فلا تلتفت للعقل إن جنحا

علم العيان إذا ما بابه فتحا

يغتتم قلبك إن خفت موازنه

فاقدح زنادك لا تكسل فليس لمن

الفكر في ذات من لا شيء يشبهه

وادخل على باب تفريغ المحل ترى

اعلم أن دار الأشقياء وملائكة العذاب وهم في تعظيم الله وتمجيده كما هم ملائكة النعيم في دار النعيم لا فرق كلهم عبد مطيع الواحد ينعم الله والآخر ينتقم الله وكذلك القبضتان وهما العالمان عالم السعادة وعالم الشقاوة ما منهم جارحة ولا فيهم جوهر فرد إلا وهو مسيح لله مقدس لجلاله غير عالم بما تصرفه فيه نفسه المدبرة له المكلفة التي كلفها الله تعالى عبادته والوقوف بهذه الجوارح وبالعالم ظاهره عندما حد له فلو علمت الجوارح ما تعلمه النفس من تعيين ما هو معصية وما هو طاعة ما وافقته على مخالفة أصلاً فإنها ما تعين شيئاً من الموجودات إلا مسيحاً لله مقدساً لجلاله غير أنها قد أعطيت من الحفظ القوة العظيمة فلا تصرفها النفس في أمر إلا وتحتفظ على ذلك الأمر وتعلمه والنفس تعلم أن ذلك طاعة ومعصية فإذا وقع الإنكار يوم القيامة عند السؤال من هذه النفس يقول الله لها نبعث عليك شاهداً من نفسك فتقول في نفسها من يشهد علي فيسأل الله تعالى الجوارح عن تلك الأفعال التي صرفها فيها فيقول للعين قولي فيما صرفك فتقول له يا رب نظر بي إلى أمر كذا وكذا وتقول الأذن أصغى بي إلى كذا وكذا وتقول اليد بطش بي في كذا وكذا والرجل كذلك والجلود كذلك والألسنة كذلك فيقول الله له هل تنكر شيئاً من ذلك فيحار ويقول لا والجوارح لا تعرف ما الطاعة ولا المعصية فيقول الله ألم أقل لك على لسان رسولي وفي كتيبي لا تنظر إلى كذا ولا تسمع كذا ولا تسع إلى كذا ولا تبطش بكذا ويعين له جميع ما تعلق من التكليف بالحواس ثم يفعل كذلك في الباطن فيما حجر عليه من سوء الظن وغيره فإذا عذبت النفس في دار الشقاء بما يحس الجوارح من النار وأنواع العذاب فأما الجوارح فتستعذب جميع ما يطرأ عليها من أنواع العذاب ولذا سمي عذاباً لأنها تستعذبه كما يستعذب ذلك خزنة النار حيث ينتقم الله وكذلك الجوارح حيث جعلها الله محلاً للانتقام من تلك النفس التي كانت تحكم عليها والآلام في تلك الأفعال المؤلمة والجوارح ما عندها إلا النعيم الدائم في جهنم مثل ما هي الخزنة عليه ممجدة مسبحة لله تعالى مستعذبة لما يقوم بها من الأفعال كما كانت في الدنيا فيتحيل الإنسان أن العضو يتألم لإحساسه في نفسه بالألم وليس كذلك إنما هو المتألم بما تحمله الجارحة ألا ترى المريض إذا نام لا شك أن النائم حي والحس عنده موجود والجرح الذي يتألم به في يقظته موجود ومع هذا لا يجد العضو ألماً لأن الواحد للألم قد صرف وجهه عن عالم الشهادة إلى البرزخ فما عنده خبر فارتفعت عنه الآلام الحسية وبقي في البرزخ على ما يكون عليه إما في رؤيا مفزعة فيتألم أو في رؤيا حسنة فيتنعم فينتقل معه الألم أو النعيم حيث انتقل فإذا استيقظ المريض وهو رجوع نفسه إلى عالم الشهادة قامت به الآلام والأوجاع فقد تبين لك إن كنت عاقلاً من يحمل الألم منك ومن يحس به ممن لا يحمله ولا يحس به ولو كانت الجوارح تتألم لأنكرت كما تنكر النفس وما كانت تشهد عليه قال تعالى وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم وقال إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً فاسم كان هو النفس تسأل النفس عن سمعه وبصره وفؤاده كما قررناه يقال له ما فعلت برعيتك ألا ترى الولي الجائر إذا أخذه الملك وعذبه عند استغاثة رعيته به كيف تفرح الرعية بالانتقام من واليها كذلك

الجوارح يكشف لك يوم القيامة عن فرحها ونعيمها بما تراه في النفس التي كانت تدبرها في ولايتها عليه لأن حرمة الله عظيمة عند الجوارح ألا ترى العصاة من المؤمنين كيف يميتهم الله في النار إماتة كما ينام المريض هنا فلا يحس بالألم عناية من الله بمن ليس من أهل النار حتى إذا عادوا حمماً أخرجوا من النار فلو كانت الجوارح تتألم لوصفها الله بالألم في ذلك الوقت ولم يرد بذلك كتاب ولا سنة فإن قلت فما فائدة حرقها حتى تعود حمماً قلنا كل محل يعطى حقيقته فذلك المحل يعطى هذا الفعل في الصور ألا ترى الإنسان إذا قعد في الشمس يسود وجهه وبدنه والشقة إذا نشرت في الشمس وتتبع بالماء كلما نشفت تبيض فهل أعطي ذلك إلا المحل المخصوص والمزاج المخصوص فلم يكن المقصود العذاب ولو كان لم يمتهم الله فيها إماتة فإن محل الحياة في النفوس يطلب النعيم أو الألم بحسب الأسباب المؤلمة والمنعمة فالفقوا بل هي الموصوفة بما ذكرناه

وإذا أحياهم الله تعالى وأخرجهم ونظروا إلى تغير ألوانهم وكوفهم قد صاروا حمماً ساءهم ذلك فينعم الله عليهم بالصورة التي يستحسنونها فينشئهم عليها ليعلموا نعمة الله عليهم حين نقلهم مما يسوءهم إلى ما يسرهم فقد علمت يا أخي من يعذب منك ومن يتنعم وما أنت سواك فلا تجعل رعبك تشهد عليك فتبوء بالخسران وقد ولاك الله الملك وأعطاك إسمًا من أسمائه فسمك ملكاً مطاعاً فلا تجر ولا تحف فإن ذلك ليس من صفة من ولاك وأن الله يعاملك بأمر قد عامل به نفسه فأوجب على نفسه كما أوجب عليك ودخل لك تحت العهد كما أدخلك تحت العهد فما أمرك بشيء إلا وقد جعل على نفسه مثل ذلك هذا التكون له الحجة البالغة ووفى بكل ما أوجبه على نفسه وطلب منك الوفاء بما أوجبه عليك هذا كله إنما فعله حتى لا تقول أنا عبد قد أوجب علي كذا وكذا ولم يتركني لنفسي بل أدخلني تحت العهد والوجوب فيقول الله هل أدخلت فيما لم أدخل فيه نفسي ألم أوجب على نفسي كما أوجبت عليك ألم أدخل نفسي تحت عهدك كما أدخلت تحت عهدي وقلت لك إن وفيت بعهدي وفيت بعهدك قال تعالى قل يا محمد فله الحجة البالغة وهذا معنى قوله تعالى رب احكم بالحق وهل يحكم الله إلا بالحق ولكن جعل الحق نفسه في هذه الآية مأموراً لنبيه عليه السلام فإن لفظة احكم أمر وأمره سبحانه أن يقول له ذلك قال تعالى قل يا محمد رب احكم بالحق وأكثر من هذا التزول الإلهي إلى العباد ما يكون فيا أيها العبد أليس هذا من كرمه أليس هذا من لطفه ألم يف سبحانه بكل ما أوجبه على نفسه ألم يف بعهد كل من وفى له بعهده ألم يصفح وعفا عن كثير مما لو شاء أخذ به عباده أين أنت أين نظرك من هذا الفضل العظيم من رب قاهر قادر لا يعارض ولا يغالب واعلم أن سبب وصف القبضتين بالتسبيح كونهما مقبوضتين للحق تعالى فجعل القبضتين في يد فقال هؤلاء للنار ولا أبالي وهؤلاء للجنة ولا أبالي فهم ما عرفوا إلا الله فهم يسبحونه ويمجدونه لأنهم في قبضته ولا خروج لهم عن القبضة ثم إن الله بكرمه لم يقل فهؤلاء للعذاب ولا أبالي وهؤلاء للنعيم ولا أبالي وإنما أضافهم إلى الدارين ليعمروهما وكذا ورد في الخبر الصحيح أن الله لما خلق الجنة والنار قال لكل واحدة منها لها علي ملؤها أي أملؤها سكاناً إذ كان عمارة الدار بساكنها كما قال القائل وعمارة الأوطان بالسكان لأنهما محل ولا تكون محلاً إلا بالحلول فيها ولهذا يقول الله لجهنم هل امتلأت فتقول هل من مزيد فإذا وضع الجبار فيها قدمه قالت قطني قطني وفي رواية قط قط أي قد امتلأت فقد ملأها بقدمه على ما شاء سبحانه من علم ذلك فيخلق الله فيها خلقاً يعمرونها قال تعالى إن لهم قدم صدق أي سابقة بأمر قد أعلمهم به قبل أن يعطيهم ذلك ثم أعطاهم فصدق فيما وعدهم به وقد وعد النار بأن يملأها فكونه إذ يملأها بقدمه أي بسابقة قوله أنه سيملؤها فصدق لها في ذلك بأن خلق فيها خلقاً يعمرونها وأضاف القدم إلى الجبار لأن هذا الاسم للعظمة والنار موجودة من العظمة والجنة موجودة الكرم فلهذا اختص اسم الجبار بالقدم للنار وأضافه إليه فيستروح من هذا العموم الرحمة في الدارين وشملها حيث ذكرهما ولم يتعرض لذكر الآلام وقال

بامتثالتهما وما تعرض لشيء من ذلك وهذا كله من سلطان قوله لعباده أن رحمته سبقت غضبه فالسابقة حاكمة أبداً ويقال لفلان في هذا الأمر سابقة قدم فتلك بشرى إن شاء الله وأن السكّن لأهل النار في النار لا يخرجون منها كما قال تعالى خالدين فيها يعني في النار وخالدين فيها يعني في الجنة ولم يقل فيه فيريد العذاب فلو قال عند ذكر العذاب خالدين فيه أشكل الأمر ولما أعاد الضمير على الدار لم يلزم العذاب فإن قال قائل فكذلك لا يلزم النعيم كما لم يلزم العذاب قلنا وكذلك كنا نقول ولكن لما قال الله تعالى في نعيم الجنة أنه عطاء غير مجذوذ أي عطاء غير مقطوع وقال لا مقطوعة ولا ممنوعة لهذا قلنا بالخلود في النعيم والدار ولم يرد مثل هذا قط في عذاب النار فلماذا لم نقل به فإن قلت فقد قال خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملاً قلنا إنما ذلك في موطن من موطن الآخرة والضمير يعود على الوزر لا على العذاب فإذا أقيموا في حمل الأثقال التي هي الأوزار يحملونها كما قال يحملون أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون وهو زمان مخصوص فيقول خالدين

فيه أي في حمل الوزر من الموضع الذي يحملونه من خروجهم من قبورهم إلى أن يصلوا به إلى النار فيدخلونها فهم خالدون فيه في تلك المدة لا يفتر عنهم ولا يأخذه من على ظهورهم غيرهم قال تعالى من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزراً خالدين فيه فأعاد الضمير على الوزر وجعله ليوم القيامة هذا الحمل ويوم القيامة مدته من خروج الناس من قبورهم إلى أن يتزلوا منازلهم من الجنة والنار وينقضي ذلك اليوم بانقضائه جميع ما كان فيه ومما كان فيه الخلود في حمل الأوزار فلما انقضى اليوم لم يبق للخلود ظرف يكون فيه وانتقل الحكم إلى النار والجنان والعذاب والنعيم المختص بهما وما ورد في العذاب شيء يدل على الخلود فيه كما ورد في الخلود في النار ولكن العذاب لا بد منه في النار وقد غيب عنا الأجل في ذلك وما نحن منه من جهة المنصوص على يقين إلا أن الظواهر تعطي الأجل في ذلك ولكن كميته مجهولة لم يرد بها نص وأهل الكشف كلهم مع الظواهر على السواء فهم قاطعون من حيث كشفهم فيسلم لهم إذ لا نص يعارضهم ونبقى نحن مع قوله تعالى أن ربك فعال لما يريد وأي شيء أراد فهو ذلك ولا يلزم أهل الإيمان أكثر من ذلك إلا أن يأتي نص بالتعيين متواتر يفيد العلم فحينئذ يقطع المؤمن وإلا فلا فسبحان المسيح بكل لسان والمدلول عليه بكل برهان وهذا المنزل يتضمن علوماً جمة منها علم التثنية الذي يليق بكل عالم فإن التثنية يختلف باختلاف العوالم وإن كل عالم يتره الحق على قدر علمه بنفسه فيتره من كل ما هو عليه إذ كان كل ما هو عليه محدث فيتره الحق عن قيام الحوادث به أعني الحوادث المختصة به ولهذا يختلف تثريه الحق باختلاف المترهين فيقول العرض مثلاً سبحانه من لا يفتقر في وجوده إلى محل يكون ظهوره به ويقل الجوهر سبحانه من لا يفتقر في وجوده إلى موجد يوجده ويقول الجسم سبحانه من لا يفتقر في وجوده إلى أداة تمسكه فهذا حصر التثنية من حيث الأمهات لأنه ما ثم إلا جوهر أو جسم أو عرض لا غير ثم كل صنف يختص بأمر لا تكون لغيره فسبح الله من تلك الصفات ومن ذلك المقام والإنسان الكامل يسبح الله بجميع تسيحات العالم لأنه نسخة منه إذ كشف له عن ذلك ويتضمن هذا المنزل من العلوم علم تمييز الأشياء ويتضمن علم الحق الخلق به الذي يشير إليه عبد السلام أبو الحكم ابن برجان في كلامه كثيراً وكذلك الإمام سهل بن عبد الله التستري ولكن يسميه سهل بالعدل ويسميه أبو الحكم الحق المخلوق به أخذه من قوله وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وله فيه كلام كبير شاف ويتضمن علم الصورة وهل هي عرض أو جوهر فإن الناس اختلفوا في ذلك وفيه علم الرجعة وفيه علم العلم أي بماذا يعلم العلم وفيه علم الغيب والشهادة وفيه علم الورود والصدور وفي علم الاعتبار وما وحده وفيه علم الأذواق وهي أول مبادي التجلي وفيه علم العلل ومراتبها ومن يجوز أن يوصف بها ممن لا يجوز وفيه علم تجلي الزعامة وهل مدلولها العلم أم لا وقوله عليه السلام الزعيم غارم وزعيم القوم ما رتبته ومن سمي زعيماً

وفيه علم الإيمان وفيه علم النور دون غيره ولكن النور المتزل لا غير وفيه علم الخبرة والمخبرة وفيه علم المتاجر المربحة وأزممنتها وفيه علم الوعد والوعيد وفيه علم الإذن الإلهي وفي ماذا يكون وهل هو عام أو خاص والفرق بين الأمر والإذن وهل يعصى في الإذن كما يعصى في الأمر أم لا وفيه وصف العلم بالإحاطة وفيه علم التوحيد لماذا يرجع وفيه علم التوكل وفيه علم مراتب الخلق في الولاية والعداوة وفيه علم الإنذار والتحذير ومن يحذر من وما يحذر منه وفيه علم الفرق بين الاستطاعة والحق وفيه علم شرف صفة الكرم وفيه علم سبب الطلب الإلهي من العباد وفيه علم نتائج الشكر وفيه علم الفرق بين الحلم والعفو وفيه علم ترتيب الأشياء وفيه علم الحجاب الإلهي الأحمى والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الأحد والعشرون وثلاثمائة في معرفة منزل من فرق بين عالم الشهادة وعالم الغيب

وهو من الحضرة المحمدية

للعقل نور وللايمان أنوار	إن البصائر للأبصار أبصار
العين والسمع والإحساس أجمعه	للعقل في الكسب أعوان وأنصار
بالعين تبصر علم الغيب لا بحجى	لا يحجبك أوهام وأفكار
من لم يحصل علوم الغيب عن بصر	فإنها خلف ستر الصون أبكار
قالوا اعتبر أن في الأكوان معرفة	الدار تجهل رب الدار يا دار

اعلم أيها الولي الحميم أن الوجود مقسم بين عابد ومعبود فالعابد كل ما سوى الله تعالى وهو العالم المعبر عنه والمسمى عبداً والمعبود هو المسمى الله وما في الوجود إلا ما ذكرناه فكل ما سوى الله عبد الله مما خلق ويخلق وفيما ذكرناه أسرار عظيمة تتعلق بباب المعرفة بالله وتوحيده وبمعرفة العالم وربته وبين العلماء في هذه المسئلة من الخلاف ما لا يرتفع أبداً ولا يتحقق فيه قدم يثبت عليه ولهذا قدر الله السعادة لعباده بالإيمان وفي العلم بتوحيد الله خاصة ما ثم طريق إلى السعادة إلا هذان بالإيمان متعلقه الخبر الذي جاءت به الرسل من عند الله وهو تقليد محض نقبله سواء علمناه أو لم نعلمه والعلم ما أعطاه النظر العقلي أو الكشف الإلهي وإن لم يكن هذا العلم يحصل ضرورة حتى لا تقدح فيه الشبه عند العالم به وإلا فليس بعلم ثم نقول والعالم عالمان ما ثم ثالث عالم يدركه الحس وهو المعبر عنه بالشهادة وعالم لا يدركه الحس وهو المعبر عنه بعالم الغيب فإن كان مغيباً في وقت وظهر في وقت للحس فلا يسمى ذلك غيباً وإنما الغيب ما لا يمكن أن يدركه الحس لكن يعلم بالعقل إما بالدليل القاطع وإما بالخبر الصادق وهو إدراك الإيمان فالشهادة مدركها الحس وهو طريق إلى العلم ما هو عين العلم وذلك يختص بكل ما سوى الله ممن له إدراك حسي والغيب مدركه العلم عينه وفيما ذكرناه تاهت العقول وحارت الأبواب ثم إن الإنسان إذا دخل هذه الطريقة التي نحن عليها وأراد أن يتميز في علمائها وساداتها فينبغي له أن لا يقيد نفسه إلا بالله وحده وهو التقييد الذاتي له الذي لا يصح له الانفكاك عنه جملة واحدة وهي عبودية لا تقبل الحرية بوجه من الوجوه وملك لا يقبل الزوال وإذا لم يقيد الإنسان نفسه إلا بما هو مقيد به في ذاته وهو كما قلنا تقييده بالله الذي خلقه فقدره ثم السبيل يسره فينبغي له إذ كانت له هذه المرتبة ولا بد أن لا يقف بنفسه إلا في البرزخ وهو المقام

المتوهم الذي لا وجود له إلا في الوهم بين عالم الشهادة والغيب بحيث أن لا يخرج شيء من الغيب المغيّب الذي يتصف في وقت بالشهادة لا بالغيب الذي لا يستحيل عليه أن يكون شهادة بوجه من الوجوه إلا وهذا الواقف يعلمه فإذا برز إلى عالم الشهادة وأدركه فلا يخلو إما أن يبقى في عالم الشهادة أو لا يبقى كالإعراض فإن لم يبق فلا بد أن يفارق الشهادة وإذا فارق الشهادة فإنه يدخل إلى الغيب الذي لا يمكن أن يدرك أبداً شهادة ولا يكون له رجوع بعد ظهوره إلى الغيب الذي خرج منه لأن مقام الغيب الذي خرج منه هو الغيب الإمكانى والذي انتقل إليه بعد حصوله في الشهادة الغيب المحالى فذلك الغيب المحالى لا يظهر عنه أبداً شيء يتصف بالشهادة ولما لم يكن هذا الذي انتقل إليه يتصف بالشهادة وقتاً ما أو حالاً ما لذلك دخل في ذلك الغيب ولم يرجع إلى الغيب الذي خرج منه وإذا وقف الإنسان في هذا المقام وتحقق به أخذه الحق وأوقفه بينه وبين كل ما سواه من نفسه ومن غيره أعني من نفس العبد فيرى نفسه وعينه وهو خارج عنها في ذلك المقام الذي أوقفه ويراه مع من سواه من العالم وهو عينه كما رأى آدم نفسه وذريته في قبضة الحق وهو خارج عن قبضة الحق التي رأى نفسه فيها في حال رؤيته نفسه خارجاً عنها كما ورد في الخبر الإلهي فإذا وقف في هذا المقام وهو أرفع مقامات الكشف وكل مقام فهو دونه وهذا كان مقام الصديق رضي الله عنه الذي فضل به على من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه فضل عليه أما من الحاضرين أو من الأمة لا يدري أي ذلك أراد صلى الله عليه وسلم إلا من جاءه الخبر الصدق في كشفه لا غير فإذا وقف في هذا المقام استشرف على الغيبين الذي يوجد منه الكائنات والغيب الذي ينتقل إليه بعض الكائنات بعد اتصافها بالشهادة وهذه مسألة جليّة القدر لا يعلمها كثير من الناس أعني هذه الأمور التي خرجت من الغيب إلى الشهادة ثم انتقلت إلى الغيب وهي الأعراض الكونية هل هي أمور وجودية عينية أو هي أحوال لا تتصف بالعدم ولا بالوجود ولكن تعقل فهي نسب وهي من الأسرار التي حار الخلق فيها فإنها ليست هي الله ولا لها وجود عيني فتكون من العالم أو تكون مما سوى الله فهي حقائق معقولة إذا نسبتها إلى الله عز وجل قبلها ولم تستحل عليه وإذا نسبتها إلى العالم قبلها ولم تستحل عليه ثم إنها تنقسم إلى قسمين في حق الله فمنها ما يستحيل نسبته إلى الله فلا تنسب إليه ومما لا يستحيل عليه فالذي لا يستحيل عليه الله يقبله العالم كله إلا نسبة الإطلاق فإن العالم لا يقبله ونسبة التقييد يقبله العالم ولا يقبله الله وهذه الحقائق المعقولة لها الإطلاق الذي لا يكون لسواها فيقبلها الحق والعالم وليست من الحق ولا من العالم ولا هي موجودة ولا يمكن أن ينكر العقل العالم بها فمن هنا وقعت الحيرة وعظم الخطب وافترق الناس وحارت الحيرت فلا يعلم ذلك إلا الله ومن أطلعه الله على ذلك وذلك هو الغيب الصحيح الذي لا يوجد منه شيء فيكون شهادة ولا ينتقل إليه بعد الشهادة وما هو محال فيكون عدماً محضاً ولا هو واجب الوجود فيكون وجوداً محضاً ولا هو ممكن يستوي طرفاه بين الوجود والعدم وما هو غير معلوم بل هو معقول معلوم فلا يعرف له حد ولا هو عابد ولا معبود وكان إطلاق الغيب عليه أولى من إطلاق الشهادة لكونه لا عين له يجوز أن تشهد وقتاً ما فهذا هو الغيب الذي انفرد الحق به سبحانه حيث قال عالم الغيب وما قرنه بالشهادة هو الذي يقابل الشهادة فوصف الحق نفسه بعلم المتقابلين فقال عالم الغيب والشهادة هذا هو المراد هنا وإن اشترك هذا مع الغيب في الاسمية فإن قلت فما فائدة الاستثناء في قوله إلا من ارتضى من رسول قلنا تدبر ما هو الغيب الذي اطلع عليه الرسل بماذا ربطه فتعلم أن ذلك علم التكليف الذي غاب عنه العباد ولهذا جعل له الملائكة رصداً حذراً من الشيطانين أن تلقي إليه ما ينقله إلى الخلق ويعمل به في نفسه من التكليف الذي جعله الله طريقاً إلى سعادة العباد من أمر ونهي ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم فكأنه مستثنى منقطع أي انقطع هذا الغيب من ذلك الغيب انقطاعاً حقيقياً لا

انقطاع جزء من كل لما وقع الاشتراك في لفظة الغيب لذلك قلنا مستثنى ولما خالفه في الحقيقة قلنا منقطع بخلاف المستثنى المتصل فإنه أيضاً منقطع ولكن بالحال لا بالذات تقول في المتصل ما في الدار إنسان إلا زيداً فهذا المستثنى متصل لأنه إنسان قد فارق غيره من الأناسي بحالة كونه في الدار لا بحقيقته إذ لم يكن في الدار إنسان إلا هو فالانقطاع في الحال لا غير فإذا قلت ما في الدار إنسان إلا حمار فهذا منقطع بالحقيقة والحال فكذلك الغيب الذي يطلع عليه الرسل بالرصد من الملائكة من أجل المردة من الشياطين هو الرسالة التي يبلغونها عن الله ولهذا قال ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم فأضاف الرسالة إلى قوله ربهم لما علموا أن الشياطين لم تلق إليهم أعني إلى الرسل شيئاً فتيقنوا أن تلك الرسالة من الله لا من غيره وهل هذا القدر الذي عبر عنه في هذه السورة المعينة في قوله إلا من ارتضى من رسول هل ذلك الإعلام لهذا الرسول بوساطة الملك أو لم يكن في هذا الوحي الخاص ملك وهو الأظهر والأوجه والأولى وتكون الملائكة تحف أنوارها برسول الله صلى الله عليه وسلم كالهالة حول القمر والشياطين من ورائها لا تجد سبيلاً إلى هذا الرسول حتى يظهر الله له في إعلامه من ذلك الوحي ما شاء ولكن من علم التكليف الذي غاب عنه وعن العباد علمه خلافاً لمخالفي أهل الحق في ذلك إذ يرون أن العبد يعلم بعض القربات إلى الله بعقله لا كلها وهذا القول لا يصح منه شيء فلا يعلم القربة إلى الله التي تعطي سعادة الأبد للعبد إلا من يعلم ما في نفس الحق ولا يعلم ذلك أحد من خلق الله إلا بإعلام الله كما قال ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء فليس في كتابنا هذا ولا في غيره أصعب من تصور هذه المسئلة على كل طائفة واعلم أن العبد إذا أوقفه الحق تعالى كما قلنا بين الله وبين كل ما سواه وهذه بينة إله وعبد لا بينة حد فإن الله يتعالى جده أن يعلم حده فإذا وقف العبد في هذا المقام علم أنه معتنى به حيث شغله الله تعالى بمطالعة الانفعالات عنه وإيجاد الأعيان من قدرته تعالى واتصافها بالوجود في حضرة إمكانها ما أخرجها منها ولا حال بينها وبين موطنها لكنه كساها خلعة الوجود فاتصفت به بعد أن كانت موصوفة بالعدم مع ثبوت العين في الحالين وبقي الكلام في ذلك الوجود الذي كساه الحق لهذا الممكن ولم يخرجها عن موطنه ما هو ذلك الوجود هل كان معدوماً ووجد فالوجود لا يكون عدماً ولا موجوداً وإن كان معدوماً فما حضرته إن كانت الإمكان فلا فرق بينه وبين هذه العين التي

خلع عليها الوجود فإن الوجود من حيث ما هو معدوم في هذه الحضرة محتاج إلى وجود وهذا يتسلسل ويؤدي إلى محال وهو أن لا توجد هذه العين وقد وجدت وما خرجت هذه العين عن حضرة الإمكان فكيف الأمر فاعلم أن الوجود لهذه العين كالصورة التي في المرآة ما هي عين الرائي ولا غير عين الرائي ولكن المحل المرئي فيه به وبالنظر المنجلي فيه ظهرت هذه الصورة فهي مرآة من حيث ذاتها والناظر ناظر من حيث ذاته والصورة الظاهرة تتنوع بتنوع العين الظاهرة فيها كالمرآة إذا كانت تؤخذ طولاً ترى الصورة على طولها والناظر في نفسه على غير تلك الصورة من وجه وعلى صورته من وجه فلما رأينا المرآة لها حكم في الصورة بذاتها ورأينا الناظر يخالف تلك الصورة من وجه علمنا أن الناظر في ذاته ما أثرت فيه ذات المرآة ولما لم يتأثر ولم تكن تلك الصورة هي عين المرآة ولا عين الناظر وإنما ظهرت من حكم التجلي للمرآة علمنا الفرق بين الناظر وبين المرآة وبين الصورة الظاهرة في المرآة التي هي غيب فيها ولهذا إذا رأى الناظر يبعد عن المرآة يرى تلك الصورة تبعد في باطن المرآة وإذا قرب قربت وإذا كانت في سطحها على الاعتدال ورفع الناظر يده اليمنى رفعت الصورة اليد اليسرى تعرفه أي وإن كنت من تحليلك وعلى صورتك فما أنت أنا ولا أنا أنت فإن عقلت ما نبهناك عليه فقد علمت من أين اتصف العبد بالوجود ومن هو الموجود ومن أين اتصف بالعدم ومن هو المعدوم ومن خاطب ومن سمع ومن عمل ومن كلف وعلمت من أنت ومن ربك وأين منزلتك وإنك المفتقر إليه سبحانه وهو

الغني عنك بذاته قال بعض الرجال ما في الجبة غلا الله وأراد هذا المقام يريد أنه ما في الوجود إلا الله كما لو قلت ما في المرأة إلا من تجلى لها لصدقت مع علمك أنه ما في المرأة شيء أصلاً ولا في الناظر من المرأة شيء مع إدراك التنوع والتأثر في عين الصورة من المرأة وكون الناظر على ما هو عليه لم يتأثر فسبحان من ضرب الأمثال وأبرز الأعيان دلالة عليه أنه لا يشبهه شيء ولا يشبه شيئاً وليس في الوجود إلا هو ولا يستفاد الوجود إلا منه ولا يظهر لموجود عين إلا بتجليه فالمرأة حضرة الإمكان والحق الناظر فيها والصورة أنت بحسب إمكانياتك فإما ملك وإما فلك وإما إنسان وإما فرس مثل الصورة في المرأة بحسب ذات المرأة من الهيئة في الطول والعرض والاستدارة واختلاف أشكالها مع كونها مرآة في كل حال كذلك الممكنات مثل الأشكال في الإمكان والتجلي الإلهي يكسب الممكنات الوجود والمرآة تكسبها الأشكال فيظهر الملك والجوهر والجسم والعرض والإمكان هو لا يخرج عن حقيقته وأوضح من هذا البيان في هذه المسئلة لا يمكن إلا بالتصريح فقل في العالم ما تشاء وانسبه إلى من تشاء بعد وقوفك على هذه الحقيقة كشفاً وعلماً فإن وقفت عن إطلاق أمر تعطيك الحقيقة إطلاقه فما تتوقف إلا شرعاً أدباً مع الله الذي له التحجير عليك فاعتمد على الأدب الإلهي وتقرب إلى الله بما أمرك أن تتقرب إليه به حتى يكشف لك عنك فتعرف نفسك فتعرف ربك وتعرف من أنت ومن هو والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وفي هذا المتزل علم الوجهين وعلم الحضرة التي يكون فيها عين الصدق من عين الكذب وعلم ما يستتر به العبد مما يكون فيه شقاؤه وعلم اختلاف الأحوال وعلم الختم وعلم العدد وخواصه وعلم التشبيه وعلم الإنسان من حيث طبيعته لا غير وعلم السوابق واللواحق وعلم الأرزاق والخزائن وعلم الحجب المانعة وعلم التمليك وعلم الجود المتوجه وعلم إنفاق الوكيل من مال موكله وتصرفه فيه تصرف المالك مع كون المال ليس له وعلم التمني وعلم القضاء والحمد لله رب العالمين وأقول سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

الباب الثاني والعشرون وثلاثمائة في معرفة منزل من باع الحق بالخلق

وهو من الحضرة المحمدية

جمع الأنعام على إمام واحد	عين الدليل على الإله الواحد
فإذا ادعى غير الإله مقامه	ذاك الدليل على الخيال الفاسد
هيهات أين الواحد العلم الذي	لا يقبل النسب التي في الشاهد
لا يقبل العقل الصحيح من الذي	تعطى الشريعة من وجود الزائد
إلا الذي للفكر فيه مداخل	والواقفي مماثل للجاحد
لا تعبد الأقوام غير عقولهم	والناس بين مسلم ومعاند

قال الله عز وجل وإلهكم إله واحد وقال تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وقال سبحانه إني جاعل في الأرض خليفة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلفاء من قريش والقرش والتقبض والاجتماع ولما كانت هذه القبيلة جمعت قبائل سميت قريشاً أي مجموع قبائل ومنها حيوان بحري يقال له القرش رأيت وهو متقبض مجتمع وكذلك الإمام إن لم يكن متصفاً بأخلاق من استخلفه

جامعاً لها مما يحتاج إليه من استخلف عليهم وإلا فلا تصح خلافته فهو الواحد المجموع فأحدثته أحدية الجمع وله من الأيام يوم الجمعة وهو الاجتماع في المصر على إمام واحد وله من الأحوال الصلاة لأنه لا يقيمها إلا إمام واحد في الجماعة يكون أقرأهم أي أكثرهم جمعاً للقرآن وله من مراتب العلوم علوم الأنوار وإن لم يعط علوم الأسرار فلا يبالي صاحب هذا المقام فإن الصلاة نور والنور يهتدي به ولا بد للإمام من نور يكشف به ويمشي به في العالم الذي ولاه الله عليهم وقد توفرت همم العالم في كل قرية أو بلدة أو جماعة أن يكون لهم رأس يرجعون إليه ويكونون تحت أمره وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث سرية ولو كانت السرية رجلين أمر أحدهما وهو مقام شريف له علم خاص من كان فيه ذلك العلم ينبغي أن يكون إماماً ألا ترى لما طعنت الصحابة في إمارة أسامة بن زيد لما قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجيش فبرز خارج المدينة وأمره أن يبطأ بجيشه ذلك أرض الروم وفي جملة الجيش أبو بكر وعمر فقال صلى الله عليه وسلم للطاعنين في إمارته طال والله ما طعنتم في إمارة أبيه قبل ذلك أما والله أنه لخليق بها أو جدير بها وقد طعنت الملائكة في خلافة آدم عليه السلام وعليهم فأجابهم الله على ذلك كما أجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق أسامة تخلقاً بأخلاق الله في ذلك واتخاذ الإمام واجب شرعاً مع كونه موجوداً في فطرة العالم أعني طلب نصب الإمام فإن قلت فما نص الشارع بالأمر على اتخاذ الإمام فمن أين يكون واجباً قلنا أن الله تعالى قد أمر بإقامة الدين بلا شك ولا سبيل إلى إقامته إلى بوجود الأمان في أنفس الناس على أنفسهم وأموالهم وأهليهم من تعدى بعضهم على بعض وذلك لا يكون أبداً ما لم يكن ثم من تخاف سطوته وترجى رحمته يرجع أمرهم إليه ويجمعون عليه فإذا تفرغت قلوبهم من الخوف الذي كانوا يخافونه على أموالهم ونفوسهم وأهليهم تفرغوا إلى إقامة الدين الذي أوجب الله عليهم إقامته وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب فاتخاذ الإمام واجب ويجب أن يكون واحداً لئلا يختلفا فيؤدي إلى امتناع وقوع المصلحة وإلى الفساد فقد تبين لك ما المراد بتوحيد الله الذي أمرنا بالعلم به أنه توحيد الألوهية له سبحانه لا إله إلا هو قال تعالى فاعلم أنه لا إله إلا الله ولم يقل فاعلم أنه لا تنقسم ذاته ولا أنه ليس بمركب ولا أنه مركب من شيء ولا أنه جسم ولا أنه ليس بجسم بل قال في صفته أنه ليس كمثله شيء ولما لم يتعرض الحق سبحانه إلى تعريف عباده بما خاضوا فيه بعقولهم ولا أمرهم الله في كتابه بالنظر الفكري إلا ليستدلوا بذلك على أنه إله واحد أي أنها لا تدل إلا على الوحدانية في المرتبة فلا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فزادوا في النظر وخرجوا عن المقصود الذي كلفوه فأثبتوا له صفات لم يثبتها لنفسه ونفت عنه طائفة أخرى تلك الصفات ولم ينفها عن نفسه ولا نص عليها في كتابه ولا على السنة أنبيائه ثم اختلفوا في إطلاق الأسماء عليه فمنهم من أطلق عليه ما لم يطلق على نفسه وإن كان اسم تزيه ولكنه فضول من القائل به والخائض فيه ثم أخذوا يتكلمون في ذاته وقد نهامهم الشرع عن التفكير في ذاته جل وتعالى وقد قال سبحانه ويحذركم الله نفسه أي لا تتعرضوا للتفكير فيها فانضاف إلى فضولهم عصيان الشرع بالخوض فيما نهوا عنه فمن قائل هو جسم ومن قائل ليس بجسم ومن قائل هو جوهر ومن قائل ليس بجوهر ومن قائل هو في جهة ومن قائل ليس في جهة وما أمر الله أحداً من خلقه بالخوض في ذلك جملة واحدة لا النافي ولا المثبت ولو سئلوا عن تحقيق معرفة ذات واحدة من العالم ما عرفوها ولو قيل لهذا الخائض كيف تدبير نفسك لبدنك وهل هي داخله فيه أو خارجه عنه أو لا داخله ولا خارجه وانظر بعقلك في ذلك وهل هذا الزائد الذي يتحرك به هذا الجسم الحيواني ويصير ويسمع ويتخيل ويتفكر

لماذا يرجع هل لواحد أو لكثيرين وهل يرجع إلى عرض أو إلى جوهر أو إلى جسم وتطلبه الأدلة العقلية على ذلك دون الشرعية ما وجد لذلك دليلاً عقلياً أبداً ولا عرف بالعقل أن للأرواح بقاء ووجوداً بعد الموت وكل ما اتخذوه دليلاً في ذلك مدخول لا يقوم

على ساق فما من أخذ فيه إلا وهو ممكن والممكن لا يقوم دليل عقلي على وجوب وجوده ولا وجوب عدمه إذ لو كان كذلك لاستحالت حقيقة إمكانه فما لنا إلا ما نص عليه الشرع فالعقل يشغل نفسه بالنظر في الأوجب عليه لا يتعداه فإن المدة يسيرة والأنفاس نفائس وأمضى منها لا يعود فاعلم أن الله إله واحد لا إله إلا هو مسمى بالأسماء التي يفهم منها ومن معانيها أنها لا تنبغي إلا له ولمن تكون له هذه المرتبة ولا تتعرض يا ولي للخوض في الماهية والكمية والكيفية فإن ذلك يخرجك عن الخوض فيما كلفته والزم طريقة الإيمان والعمل بما فرض الله عليك واذكر ربك بالغدو والإصال بالذكر الذي شرعه لك من تهليل وتسييح وتحميد واثق الله فإذا شاء الحق أن يعرفك بما شاء من علمه فأحضر عقلك ولبك لقبول ما يعطيك ويهبك من العلم به فذلك هو النافع وهو النور الذي ينجي به قلبك وتمشي به في عالمك وتأمين فيه من ظلم الشبه والشكوك التي تطرأ في العلوم التي تنتجها الأفكار فإن النور هو النفور منفر الظلم في المحل الذي يظهر فيه فلو كان هذا العلم الذي أعطاه التفكير في الله نوراً كما يزعم ما طرأ على المحل ظلمة شبهة ولا ظلمة تشكيك أصلاً وقد طرأت والظلمة ليس من شأنها أن تنفر النور ولا لها سلطان عليه وإنما السلطان للنور المنفر الظلم فدل ذلك على أن علوم التكلمين في ذات الله والخائضين فيه ليست أنواراً وهم يتخيلون قبل ورود الشبهة أنهم في نور وعلى بينة من ربهم في ذلك فلا يبدو لهم نقصهم حتى ترد عليهم الشبهة وما يدريك لعل تلك الشبهة التي يزعمون أنها شبهة هي الحق والعلم فإنك تعلم قطعاً أن دليل الأشعري في إثبات المسئلة التي ينفيها المعتزلي هو الحق وأنه شبهة عند المعتزلي ودليل المعتزلي الذي ينفي به ما يثبت الأشعري شبهة عند الأشعري ثم إنه ما من مذهب إلا وله أئمة يقومون به وهم فيه مختلفون وإن اتصفوا جميعهم مثلاً بالأشاعرة فيذهب أبو المعالي خلاف ما ذهب إليه القاضي ويذهب القاضي إلى مذهب يخالف فيه الأستاذ ويذهب الأستاذ إلى مذهب في مسألة يخالف فيه الشيخ والكل يدعي أنه أشعري وكذلك المعتزلة وكذلك الفلاسفة في مقالاتهم في الله وفيما ينبغي أن يعتقد ولا يزالون مختلفين مع كون كل طائفة يجمعها مقام واحد واسم واحد وهم مختلفون في أصول ذلك المذهب الذي جمعهم فإن الفروع لا تعتبر ورأينا المسلمين رسلاً وأنبياء قديماً وحديثاً من آدم إلى محمد ومن بينهما عليهم الصلاة والسلام ما رأينا أحداً منهم قط اختلفوا في أصول معتقدهم في جناب الله بل كل واحد منهم يصدق بعضهم بعضاً ولا سمعنا عن أحد منهم أنه طرأ عليه في معتقده وعلمه بربه شبهة قط فانفصل عنها بدليل ولو كان لنقل ودون ونطقت به الكتب كما نقل سائر ما تكلم فيه من ذلك ممن تكلم فيه ولا سيما والأنبياء تحكمت في العامة في أنفسها وأموالها وأهليها وحجرت وأباحت وأوجبت ولم يكن لغيرها هذه القوة من التحكم فكانت الدواعي تتوفر على نقل ما اختلفوا فيه في جانب الحق لأنهم ينتمون إليه ويقولون أنه أرسلهم وأتوا بالدلائل على ذلك من المعجزات ولا نقل عن أحد منهم أنه طرأت عليه شبهة من علمه بربه ولا اختلف واحد منهم على الآخر في ذلك وكذلك أهل الكشف المتقون من أتباع الرسل ما اختلفوا في الله أي في علمهم به ولا نقل عن أحد منهم ما يخالف به الآخر فيه من حيث كشفه وإخباره ولا من حيث فكره فإن ذلك يدخل مع أهل الأفكار فهذا مما يدل على أن علومهم كانت أنواراً لم تتمكن لشبهة أن تتعرض إليهم جملة واحدة فقد علمت أن النور إنما اختص بأهل النور وهم الأنبياء والرسل ومن سلك على ما شرعوه ولم يتعد حدود ما قرروه واتقوا الله ولزموا الأدب مع الله فهم على نور من ربهم نور على نور ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً يعني في نعت الحق وما يجب له فإن الناظر بفكره في معتقده لا يبقى على حالة واحدة دائماً بل هو في كل وقت بحسب ما يعطيه دليله في زعمه في وقته فيخرج من أمر إلى نقيضه وقد دلتك يا أخي على طريق العلم النافع من أين يحصل لك فإن سلكك على صراطه المستقيم فاعلم أن الله قد أخذ بيدك واعتنى بك واصطنعك لنفسه فالحول بيننا وبين

سلطان أفكارنا فيما لم نؤمر بالتفكر فيه وقد بان لك بما ذكرناه أنه ما دخل عليهم ما دخل إلا من الفضول ولهذا وقع الخلاف ولعبت بهم الأفكار والأهواء ألا نرى الأمر الذي أباح لهم الشارع أن يطلبوا علمه ما اختلف فيه اثنان منهم فلو طب منهم غير ذلك مما اختلفوا فيه ما اختلفوا أيضاً فيه فدل ذلك على أنه ما طلب الحق منهم ذلك فإن قلت فما هو الذي اتفقوا فيه قلنا اجتمعت الأدلة العقلية من كل طائفة بل من ضرورات العقول أن لهم موجد أو جدهم يستندون إليه في وجودهم وهو غني عنهم ما اختلف في ذلك اثنان وهو الذي طلب الحق من عباده إثبات وجوده فلو وقفوا هنا حتى يكون الحق هو الذي يعرفهم على لسان رسوله بما ينبغي أن يضاف إليه ويسمى به أفلحوا وإنما الإنسان خلق عجولاً ورأى في نفسه قوة فكرية فتصرف بها في غير محلها فتكلم في الله بحسب ما أعطاه نظره والأمزجة مختلفة والقوة المفكرة متولدة من المزاج فيختلف نظرها باختلاف مزاجها فيختلف إدراكها وحكمها فيما أدركته فالله يرشدنا ويجعلنا ممن جعل الحق أمامه والتزم ما شرع له ومشى عليه إنه المليء بذلك لا رب غيره فاعلم يا ولي أن الله ما بعث الرسل سدى ولو استقلت العقول بأمور سعادتها ما احتاجت إلى الرسل وكان وجود الرسل عبثاً ولكن لما كان من استندنا إليه لا يشبهنا ولا نشبهه ولو أشبهنا عيناً ما كان استنادنا إليه بأولى من استناده إلينا فعلمنا قطعاً علماً لا يدخله شبهة في هذا المقام أنه ليس مثلنا ولا تجمعنا حقيقة واحدة بالضرورة يجهل الإنسان مآله وإلى أين ينتقل وما سبب سعادته إن سعد أو شقاوته إن شقي عند هذا الذي استند إليه لأنه يجهل علم الله فيه لا يعرف ما يريد به ولا لماذا خلقه تعالى فافتقر بالضرورة إلى التعريف الإلهي بذلك فلو شاء تعالى عرف كل شخص بأسباب سعادته وأبان له عن الطريق التي ينبغي له أن يسلك عليها ولكن ما شاء إلا أن يبعث في كل أمة رسولاً من جنسها لا من غيرها قدمه عليها وأمرها باتباعه والدخول في طاعته ابتلاء منه لها لإقامة الحجة عليها لما سبق في علمه فيها ثم أيدته بالبينات والآية على صدقه في رسالته التي جاء بها ليقوم له الحجة عليها وإنما قلنا من جنسها لأنه كذا وقع الأمر قال تعالى ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً أي لو كان الرسول للبشر ملكاً لزل في صورة رجل حتى لا يعرفوا أنه ملك فإن الحسد على المرتبة إنما يقع بين الجنس وقال تعالى لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً ولنا في ذلك

لأن ذلك أنكى في نفوسهم

خليفة القوم من أبناء جنسهم

يقم بهم حسد لغير جنسهم

لو لم يكن منهم لصدقه ولم

قد علم الإنسان أن البهائم وجميع الحيوانات دونه في المرتبة فلو تكلم الحيوان ولو كان خنفساء ونطقت وقالت أنا رسول من الله إليكم احذروا من كذا وافعلوا كذا لتوفرت الدواعي من العامة على اتباعها والتبرك بها وتعظيمها وانقادت لها الملوك ولم يطالبوها بآية على صدقها وجعلوا نطقها نفس الآية على صدقها وإن كان الأمر ليس كذلك وإنما لما نال المرتبة غير الجنس لم يقيم بهم حسد لغير الجنس فأول ابتلاء ابتلى الله به خلقه بعث الرسل إليهم منهم لا من غيرهم ومع الدلالات التي نصبها لهم على صدقهم واستيقنوها حملهم سلطان الحسد الغالب عليهم أن يححدوا ما هم به عالمون موقنون ظلماً وعلواً قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً أي ظلموا أنفسهم وعلوا على من أرسل إليهم فاندراج في ذلك علوهم على الله ولو قلت له يا فلان كيف تتكبر على من خلقتك لاستعاذ من ذلك وقال إن هذا الذي يزعم أنه من عند الله يكذب على الله حاشا الله أن يبعث مثل هذا إلينا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فإن قيل له فقد جاء بالعلامة على أنه رسول من الله إليكم فيقول ألسنت تعلم أن السحر

حق هذه الآية من ذلك القليل هذا مع العامة وأما مع العلماء والخواص مثل الحكماء وغيرهم فإذا قيل لهم أَلستم ترون هذه الآيات الدالة على صدق ما يدعيه فأما العالمون بالنفوس وقواها فيجيبون عن ذلك بأن يقولوا قد علمنا أن القوى النفسانية تبلغ أن يتأثر لها أجرام العالم فهذا من ذلك القليل ويحتج بصاحب العين ويعلم الزجر وأمثال ذلك مما يشبه هذا الفن وأما إن كان عنده علم بمجاري الكواكب ويرى قواها وسيران ذلك في العالم العنصري على مقادير مخصوصة يقول أن الطالع أعطاه ذلك وأن روحانية الكواكب تمدد وأنه بهذا الطالع في مسقط النطفة شرفت عنه وأعطته هذه القوى نفساً شريفة ونال بها المراتب العلية في الإلهيات والذي قال به صحيح فإن الله أودع هذا كله في العالم العلوي حين خلقه ابتلاء يبتلي الله به عباده فإذا أضافوا ذلك إلى هذه القوى الروحانية وجردوه عن نظر الله إليه في ذلك بهذا القدر يسمون كفاراً وإن كانوا مصيبين فيما قالوه فإنه هكذا رتب الله العالم ولكن أتى عليهم من جهلهم في علمهم فمن هنا قالت الطائفة العلم حجاب وإن كان الأمر ليس كذلك فإن علمهم بهذا لا ينافي العلم بأن الله أودع هذا في روحانياتها فما أتى عليهم على الحقيقة من علمهم وإنما أتى عليهم من جهلهم فلما تبينت طرق السعادة بالرسول قال تعالى إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ما بقي بعد هذا إلا أن يوفق الله عباده للعمل بما أمرهم الله به من اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم فيما أمر ونهى والوقوف عند حدوده ومراسمه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ويجوي هذا المتزل على علم التنزيه وعلم الأسماء وعلم الابتلاء وعلم النسب وعلم العلل وعلم الأخبار وعلم مأخذ الأدلة وسبب كثرتها على المدلول الواحد وعلم الاختصاص وعلم المراتب وعلم الصفات وعلم القضاء وعلم الإمامة وعلم الشرائع وعلم الانتقالات وعلم الرجاء وعلم أسباب الفوز والبقاء وعلم الترجيح ومن هذا العلم اتبع الناس أهواءهم وتركوا الحق ونبذوه فالله يعصمنا من قيام هذه الصفة بنا فسيحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

الباب الثالث والعشرون وثلاثمائة في معرفة منزل بشرى مبشر لمبشر به

وهو من الحضرة المحمدية

جاء المبشر بالرسالة يبتغي	أجر المجيء من الكريم المرسل
فأتى به ختم الولاية مثل ما	ختم النبوة بالنبي المرسل
ولنا من الختمين حظ وافر	ورثاً أتنا في الكتاب المنزل

يريد قوله يرثي ويرث من آل يعقوب اعلم أن المشيئة الإلهية لما كان لها أثر في الفعل لهذا نفى تعلقها بما لا يقبل الانفعال من حيث مرجحه لا من حيث نفسه بخلاف مشيئة العبد فإنها إذا وقعت وتعلقت بالمشاء قد يكون المشاء وقد لا يكون ولهذا شرع الله لنا إذا قلنا نفعل كذا أن نقول إن شاء الله حتى إذا وقع ذلك الفعل الذي علقتنا على مشيئة الله كان عن مشيئة الله بحكم الأصل ولم يكن لمشيئتنا فيه أثر في كونه لكن لها فيه حكم وهو أنه ما شاء سبحانه تكوين ذلك الشيء إلا بوجود مشيئتنا إذ كان وجودها عن مشيئة الله فلا بد من وجود عين مشيئتنا وتعلقها بذلك الفعل وهو قوله وما تشاؤون إلا أن يشاء الله يعني أن تشاؤوا وفائدة إخبار الله تعالى بأنه لو شاء لفعل كذا مع كون كذا يستحيل وقوعه عقلاً لكون المشيئة الإلهية لم تتعلق به إعلام لنا أن ذلك الأمر الذي نفى

تعلق المشيئة الإلهية بكونه ليس يستحيل كونه بالنظر إلى نفسه لا مكانه فإنه يجب له أن يكون في نفسه قابلاً لأحد الأمرين فيفتقر إلى المرجح بخلاف الحال لنفسه فإنه يستحيل نفي تعلق المشيئة بكونه فإنه لا يكون لنفسه فإن بعض الناس ذهب إلى أن الله تعالى لو أراد إيجاد ما هو محال الوجود لنفسه لأوجده وإنما لم يوجده لكونه ما أراد وجود المحال الوجود فصاحب هذا القول يقول أن الحق أعطى المحال محاله والواجب وجوبه والممكن إمكانه فهذا القائل لا يدري ما يقول فإنه سبحانه واجب الوجود لنفسه فيلزمه أن يكون هو الذي أعطى لنفسه الوجوب ولو شاء لم يجب وجوده فكان وجوداً لحق مرجحاً لنفسه فهو كما قال القائل أراد أن يعربه فأعجمه فإنه أراد أن ينسب إليه تعالى نفوذ الاقتدار ولم يعلم متعلق الاقتدار ما هو فعلقه بما لا يقتضيه وصير الحق في قبيل الممكنات من حيث لا يشعر فكانت فائدة إخبار الله تعالى بقوله لو شاء فيما لا يقع إعلام أنه بالنظر إلى ذاته ممكن الوقوع ليفرق لنا سبحانه بين ما هو في الإمكان وبين ما ليس بممكن فنفي تعلق المشيئة والإرادة به فإذا علقها بالحال على جهة نفي تعلقها مثل قوله لو أراد الله أن يتخذ ولداً ولو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا وهذا محال لنفسه فكيف ادخله تحت نفي تعلق الإرادة التي لا يدخل تحتها إلا الممكن وهو الذي أشار إليه هذا الذي جهلناه وخطأناه في قوله فاعلم أن هذا من غاية الكرم الإلهي حيث أنه قد سبق في علمه إيجاد مثل هذا الشخص من فساد العقل الذي قضى به له في قسمه فلما قضى بهذا علم أن عقله لا بد أن يعتقد مثل هذا وهو غاية الجهل بالله فأخبر الله تعالى بنفي تعلق الإرادة بالحال الوقوع لنفسه فيأخذ الكامل العقل من ذلك نفي تعلق الإرادة بما لا يصح إن تتعلق به ويأخذ منه هذا الضعيف العقل أنه سبحانه لولا ما قال لو وإلا كان يفعل فيستريح إلى ذلك ولا ينكسر قلبه حيث أراد نفوذ الاقتدار الإلهي وقصد خيراً ولعلم الكامل العقل ما فضله الله به عليه فيزيد شكراً حيث لم يجعل الله عقله مثل هذا الناقص العقل فيعلم أن الله قد فضله عليه بدرجة لم ينلها من قصر عقله هذا القصور وقد قال جماعة بأن الله يقدر على المحال والذي ينبغي أن يقال أن الله على كل شيء قدير كما قال الله والقدرة تطلب محلها الذي تتعلق به كما أن نسبة الإرادة تطلب محلها الذي تتعلق به كما أن العلم يطلب محله الذي يتعلق به نفيّاً كان أو إثباتاً وجوداً أو عدماً وكذلك نسبة السمع والبصر وجميع ما نسب الحق لنفسه فالعالم الوافر العقل يعلم متعلق كل نسبة فيضيفها إليها ومن عرف الأمور بمثل هذه المعرفة عرف حكم مقت الله بمن يقول ما لا يعمل من غير أن يقرن به المشيئة الإلهية فإذا علق المشيئة الإلهية بقوله أن يعمل فلا يكون ذلك العمل لم يمتته الله فإنه غاب عن انفراد الحق في الأعمال كلها التي تظهر على أيدي المخلوقين بالتكوين وأنه لا أثر للمخلوق فيها من حيث تكوينها وإن كان للمخلوق فيها حكم الأثر فالناس لا يفرقون بين الأثر والحكم فإن الله إذا أراد إيجاد حركة أو معنى من الأمور التي لا يصح وجودها إلا في مواد لأنها لا تقوم بأنفسها فلا بد من وجود محل يظهر فيه تكوين هذا الذي لا يقوم بنفسه فللمحل حكم في الإيجاد لهذا الممكن وما له أثر فيه فهذا الفرق بين الأثر الحكم إذا تحققت فلماذا يقول العبد نعمل أو نفعل هكذا ولا أثر له في الفعل جملة واحدة فإن الله يمتته على ذلك ولما علم الحق أن هذا لا بد أن يقع من عباده وأنهم يقولون ذلك شرع بهم الاستثناء الإلهي ليرتفع المقت الإلهي عنهم ولهذا لا يحث من استثنى إذا حلف على فعل مستقبل فإنه أضافه إلى الله لا إلى نفسه وهذا لا ينافي إضافة الأفعال إلى المخلوقين فإنهم محل ظهور الأفعال الإلهية وبهذا القدر تفاوتت درجات العقلاء ألا ترى الحق تعالى كيف قال يا أيها الذين آمنوا ولم يقل يا أولي الأبواب ولا يا أولي العلم لم تقولون ما لا تفعلون فإن العالم العاقل لا يقول ما لا يفعل إلا بالاستثناء لأنه يعلم أن الفعل لله لا له فميز الله بين طبقات العالم ليعلموا أن الله تعالى قد رفع بعضهم فوق بعض درجات فالعقلاء العلماء هم المقصودون للحق من العالم بعموم كل خطاب لعلمهم بمواقع الخطاب فيعلمون أي صنف أراد من العالم بذلك الخطاب ولهذا نوع

الأصناف بتنوع الآيات للمتفكرين وللعالمين وللعقلاء ولأولي الأبواب كما قال تعالى في القرآن العزيز إنه بلاغ للناس يريد طائفة مخصوصة لا يعقلون منه سوى أنه بلاغ ولينذروا به في حق طائفة أخرى عينها بهذا الخطاب وليذكروا أولوا الأبواب في حق طائفة أخرى أيضاً والقرآن واحد في نفسه تكون الآية منه تذكرة لذي اللب وتوحيد الطالب العلم بتوحيده وإنذار للمتقرب الحذر وبلاغاً للسامع ليحصل له أجر السماع كالعجمي الذي لا يفهم اللسان فيسمع فيعظم كلام الله من حيث نسبته إلى الله ولا يعرف معنى ذلك اللفظ حتى يشرح له بلسانه ويترجم له عنه فمن جملة الخطابات الإلهية البشارات وهي على قسمين بشارة بما يسوء مثل قوله فبشرهم بعذاب أليم وبشارة بما يسر مثل قوله تعالى فبشره بمغفرة وأجر كريم فكل خير يؤثر وروده في بشرة الإنسان الظاهرة فهو خير بشري وذلك لا يكون إلا في رجلين أما في شخص يكون في قوة نفسه أن لا تتغير بشرته بما يتحقق كونه وأما شخص غير مصدق بذلك الخبر من ذلك المخبر فلا يخلو هذا القوي النفس هل أثر ذلك الخبر في باطنه أو لم يؤثر فإن أثر خبر هذا المخبر في نفسه فهو أحد رجلين إما عالم محقق بوقوعه وإما مجوز وإن لم يؤثر في نفسه فهو غير عالم ولا مصدق معاً فيكون ذلك الخبر في حق الأول بشري متعلقها الصورة المتخيلة في نفسه التي تأثرت لهذا الخبر فلو لم تقم بخياله تلك الصورة المضاهية للصورة الحسية لما كانت بشري في حقه ولا كانت تؤثر في باطنه سروراً ولا حزن ولكان الأمر لها علماً مجرداً من غير أثر فإن الالتذاذ الروحاني إنما سببه إحساس الحس المشترك مما يتأثر له المزاج في الملازمة وعدم الملازمة وبالقياسات وأما الأرواح بمجردها فلا لذة ولا ألم وقد يحصل ذلك لبعض العارفين في هذا الطريق قال أبو يزيد ضحكت زماناً وأنا اليوم لا أضحك ولا أبكي وهو عين ما قلناه فإنه وقف مع مجرد روجه من غير نظر إلى طبيعته فما شاهد إلا علماً محضاً كما يرتفع عن النظر في توحيد الحق من حيث توحيد الألوهية إلى توحيد ذاته من حيث هو لنفسه لا من حيث المرتبة التي بها يتعلق الممكن فيشاهده في ذلك التوحيد واحداً لا واحداً معرى عن النسب والإضافات مجهولاً للممكنات غير منسوب لنفسه بأنه عالم بنفسه لنفسه فهو في ذلك التوحيد عينه لا من حيث هو عينه ولا من حيث لا هو عينه وهذا أسنى المراتب في تجريد الكون عن التعلق به وهو كمال الوجدانية في سريان أحاديثه في العقائد فإن الوجداني هو الذي يطلب الموحدين والأحادية لا تطلب ذلك كالجسماني هو الذي يطلب الأجسام ليظهر بها حكمه فاعلم فإذا رأيت عارفاً تأتي عليه أسباب الالتذاذ وأسباب التألم ولا يلتذ ولا يتألم لا بالحسوس ولا بالمعقول في اقتناء العلوم الملمذة فتعلم أن وقته التجرد التام عن طبيعته وهذا أقوى التشبه الذي يسعى إليه العلماء بالله وواجهه قليل والقليل الذي يجده قليل الاستصحاب لهذا الوجدان وإنما الله يكرم به من شاء من عباده في خطوات ما ليعلمه بالتوحيد الذاتي الذي ذكرناه فإن طائفة من العقلاء نسبوا الالتذاذ والابتهاج إلى ذلك الجنب بالكمال الذي هو عليه تعالى الأحد في ذاته عن هذا الوصف لكن الوجدانية الإلهية هي التي ينظر إليها القائلون بهذا القول ولا يشعرون قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملئ لهم أن كيدي متين فمن نظر الحق

من حيث ذاته عرف ما قلناه ومن نظره من حيث ألوهيته عرف ما قلناه ألا تنظر إلى مبادي الوحي الإلهي النبوي إنما هي المبشرات وهي التي بقيت في الأمة بعد انقطاع النبوة فتخيل من لا علم له بالأمر بما هو عليه أن ذلك نقص في حق هذه الأمة ليس الأمر كما ظنه من لا علم له بتقسيم الوحي فإن وحي المبشرات هو الوحي الأعم الذي يكون من الحق إلى العبد بلا واسطة ويكون أيضاً بواسطة والنبوة من شأنها الواسطة ولا بد فلا بد من الملك فيها والمبشرات ليست كذلك فالعبد العارف لا يبالي ما فاته من النبوة مع بقاء المبشرات عليه إلا أن الناس يتفاضلون فيها فمنهم من لا يبرح في بشراه عن الواسطة ومنهم من يرتفع عنها كالخضر

والأفراد فلهم المبشرات بارتفاع الوسائط وما لهم النبوة ولهذا ننكر عليهم الأحكام فما كان من حكم في الكون من المبشرات فهو من البشرى بالواسطة وهو تعريف خاصة بما جاء به الرسول وما لم يكن لها حكم الكون إلا العلم المجرد في تكملة ذاته فمن البشرى بترك الوسطة فالرسل فضلت من سواها بتحصيل ضروب مراتب الوحي من المبشرات وغيرها من نزول الأملاك على قلوبهم وعلى حواسهم ولهم المبشرات فهم الأفراد الأقطاب ونحن الأفراد لا الأقطاب وأعني بالأقطاب الشخص الذي تدور عليه رعى السياسات الناموسية المثبوتة في مصالح العالم المؤيدة بالمعجزات والآيات فالله يجعلنا ممن بشره به فنام إلى الأبد ولم ينتبه سأل سهل بن عبد الله رجلاً من أهل عبادان عن سجود القلب وكان قد رأى سهل بن عبد الله قلبه قد سجد فعرض ذلك على جماعة من الشيوخ من أهل زمانه فلم يعرفوا ما يقول لأنهم لم يذوقوا ذلك فرحل في طلب من يعرف ذلك فلما وصل إلى عبادان دخل على شيخ فقال له يا أستاذ أيسجد القلب فقال الشيخ إلى الأبد يعني أنه لا يرفع رأسه من سجده فعرف سهل بن عبد الله في سؤاله أن الله أطلعه على سجود قلبه فلازم تلك الصفة فلم يرفع رأسه من سجده لا في الدنيا ولا يرفعه في الآخرة فما دعا الله بعد ذلك في رفع شيء نزل ولا في إنزال شيء رفع وهذا هو المقام المجهول الذي جهله العارفون وما ثبت فيه إلا المفردون ولولا أن الأنبياء شرع لهم أن يشرعوا للخاص والعام حيث جعلهم الله أسوة لكانت حالتهم ما ذكرناه ولكن صلوات الله عليهم لازموا الحضور في سجود القلب عند التشريع وهذا غاية القوة من حيث أعطوا حكم الحال المستصحب الذي لا يرتفع أبداً فغير النبي إذا علمه تكلف فيه وقد أعلمناك في غير ما موضع أن الأوائل في الأشياء هي المعتبرة في النسبة إلى الله وأنها الصدق الذي لا يدخله مین والقوة التي لا يشوبها ضعف في الخاطر الأول والنظرة الأولى والسماع الأول والكلمة الأولى والحركة الأولى كل أول لا يكون إلا مخلصاً لله لا يقع فيه اشتراك ثم بعد الأول يدخل ما يدخل فيصدق ولا يصدق فانظر أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي المبشرات فحازت المبشرات الأولية فكان لا يرى رؤيا إلا خرجت مثل فلق الصبح لأن فلق الصبح انفلق عن الليل كما انفلق صاحب هذه المبشرة عن النوم فانظر ما أحسن هذا التشبيه الذي شبهته به أمنا عائشة رضي الله عنها فأبقى الله على رجال هذه الأمة أول الوحي الذي لا يخطي أبداً فإن فهمت قدر ما ذكرته لك ونبهتك عليه علمت عناية الله بهذه الأمة فيما أبقي عليها من النبوة وهو زبدة محضتها ويكفي هذا القدر من هذا المتزل ويتضمن هذا المتزل من العلوم علم التتريه وعلم التوحيد الإلهي وعلم تتريه العالم العلوي والسفلي وعلم المشيئة والكلام وعلم الأعمال وتفصيلها وعلم المحبة الإلهية من وجه خاص لا من جميع الوجوه وأعني بالوجه الخاص حبه للتوايين وحبه للمتطهرين وحبه للمؤمنين فلا تتساوى وجوه المحبة لعدم تساوي هذه الطبقات وإن لم يكن كذلك فأية فائدة للتفصيل فيها وعلم السبل الإلهية وعلم مجاهدة النفوس ورياضاتها وعلم الثبات عند الواردات وعلم التأييد بالمناسب الجنسي وعلم العتاب وعلم الجزاء في الدنيا وعلم العناية وعلم الخذلان علم معرفة مراتب الخلق والعلم الحق من العلم الخيالي وعلم التمام وعلم الأنوار وما يذم من الشرك وما يحمد وعلم الإيمان وعلم المغفرة وعلم المحبة المتعلقة بالأكوان وشرف المحمود منها وعلم البشائر وعلم الوصايا الإلهية وعلم تأييد أهل الله إذا صدقوا مع الله والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والحمد لله رب العالمين

الباب الرابع والعشرون وثلاثمائة في معرفة منزل جمع النساء الرجال في بعض المواطن الإلهية وهو من الحضرة المحمدية

في عالم الأرواح والأبدان

وهو المعبر عنه بالإنسان

فصل الإناث به من الذكران

بحقيقة التوحيد في الأعيان

فرقت بينهما بلا فرقان

وظهوره بالحكم عن إحسان

إن النساء شقائق الذكران

والحكم متحد الوجود عليهما

وتفرقا عنه بأمر عارض

من رتبة الإجماع بحكم فيهما

وإذا نظرت إلى السماء وأرضها

انظر إلى الإحسان عيناً واحداً

اعلم أيديك الله أن الإنسانية لما كانت حقيقة جامعة للرجل والمرأة لم يكن للرجال على النساء درجة من حيث الإنسانية كما أن الإنسان مع العالم الكبير يشتركان في العالمية فليس للعالم على الإنسان درجة من هذه الجهة وقد ثبت أن للرجال على النساء درجة وقد ثبت أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس وأن أكثر الناس لا يعلم ذلك مع الاشتراك في الدلالة والعلامة على وجود المرجح وقد قال أنتم أشد خلقاً أم السماء بناها وذكر ما يختص بالسماء ثم ذكر الأرض ودحيها وما يختص بها كل ذلك في معرض التفضيل على الإنسان فوجدنا بالدرجة التي فضل بها السماء والأرض على الإنسان هي بعينها التي فضل بها الرجل على المرأة وهو أن الإنسان منفعل عن السماء والأرض ومولد بينهما منهما والمنفعل لا يقوى قوى الفاعل لما هو منفعل عنه كذلك وجدنا حواء منفعة عن آدم مستخرجة متكونة من الضلع القصير فقصرت بذلك أن تلحق بدرجة من انفعلت عنه فلا تعلم من مرتبة الرجل إلا حد ما خلقت منه وهو الضلع القصير إدراكها عن حقيقة الرجل كذلك الإنسان لا يعلم من العالم إلا قدر ما أخذ في وجوده من العالم لا غير فلا يلحق الإنسان أبداً بدرجة العالم بمجملته وإن كان مختصراً منه كذلك المرأة لا تلحق بدرجة الرجل أبداً مع كونها نقاوة من هذا المختصر وأشبهت المرأة الطبيعة من كونها محلاً للانفعال فيها وليس الرجل كذلك فإن الرجل يلقي الماء في الرحم لا غير والرحم محل التكوين والخلق فيظهر أعيان ذلك النوع في الأنثى لقبولها التكوين والانتقالات في الأطوار الخلقية خلقاً من بعد خلق إلى أن يخرج بشراً سوياً فبهذا القدر يمتاز الرجال عن النساء ولهذا كانت النساء ناقصات العقل عن الرجال لأنهن ما يعقلن إلا قدر ما أخذت المرأة من خلق الرجل في أصل النشأة وأما نقصان الدين فإن الجزاء على قدر العمل والعمل لا يكون إلا عن علم والعلم على قدر قبول العالم وقبول العالم على قدر استعداده في أصل نشأته واستعدادها ينقص عن استعداد الرجل لأنها جزء منه فلا بد أن تتصف المرأة بنقصان الدين عن الرجل وهذا الباب يطلب الصفة التي يجتمع فيها النساء والرجال وهي فيما ذكرناه كونهما في مقام الانفعال هذا من جهة الحقائق وأما من جهة ما يعرض لهما فمثل قوله أن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات إلى قوله والذاكرين الله كثيراً والذاكرات وقوله تعالى التائبون العابدون الحامدون السائحون وقوله تائبات عابدات سائحات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثيرون ومن النساء مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون فاجتمع الرجال والنساء في درجة الكمال وفضل الرجل بالأكمالية لا بالكمالية فإن كملاً بالنبوة فقد فضل الرجل بالرسالة والبعثة ولم يكن للمرأة درجة البعثة والرسالة مع أن المقام الواحد المشترك يقع التفاضل في أصحابه بينهم فيه كما قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقد شرك الله بين الرجال والنساء في التكليف فكلف النساء كما كلف الرجل وإن اختصت

المرأة بحكم لا يكون للرجل فقد يختص الرجل بحكم لا يكون للمرأة وإن كان النساء شقاق الرجال ثم اعلم أن مترلة المرأة من الرجل في أصل الإيجاد مترلة الرحم من الرحمن فإنها شجنة منه فخرجت على صورته وقد ورد في بعض الروايات أن الله خلق آدم على صورة الرحمن وثبت أن الرحم فينا شجنة من الرحمن فترلنا من الرحمن مترلة حواء من آدم وهي محل التناسل وظهور أعيان الأبناء كذلك نحن محل ظهور الأفعال فالفعل وإن كان لله فما يظهر إلا على أيدينا ولا ينسب بالحس إلا إلينا ولو لم نكن من شجنة من الرحمن لما صح النسب الإلهي وهو كوننا عبيداً له ومولى القوم منهم فافتقارنا إليه افتقار الجزء إلى الكل ولولا هذا القدر من النسبة لما كان للعزة الإلهية والغنى المطلق أن يعطف علينا ولا أن ينظر إلينا بهذا النسب صرنا مجالها فلا تشهد ذاتها إلا فينا لما خلقنا عليه من الصورة الإلهية فملكنا الأسماء الإلهية كلها فما من اسم إلهي إلا ولنا فيه نصيب ولا يقوم بنا أمر إلا ويسري حكمه في الأصل قال النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الاسم في أعضاء الإنسان أنه إذا أحس عضو منه بألم تداعى له سائر الجسم بالحمى فأثر وجود ذلك الألم في العضو الخاص الحمى في سائر الأعضاء فيتألم كله لتألم جزء من جسمه فما ظنك بالنفس الناطقة التي هي سلطنة هذا البلد الأمين فإن حامله الحمى النفس الحيوانية في هذا الموضع وهي للنفس الناطقة بمترلة ملك اختل عليه بعض ملكه فهمه يكون أشد ألا ترى الحق سبحانه قد وصف نفسه بالغضب وبالرحمة والقبول وبالإجابة وأمثال هذا وجعل ذلك كله مسبباً عن أسباب تكون منا فإذا عصيناه مجاهرة أغضبناه وإذا قلنا قولاً يرتضيه منا أرضيناه كما قال صلى الله عليه وسلم ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإذا أتينا أثرتنا القبول عنده ولولا سيئاتنا ما عاقب ولا عفا وهذا كله مما يصحح النسب ويثبت النسب ويقوي آثار السبب فنحن أولاد علات أم واحدة وآباء مختلفون فهو السبب الأول بالدليل لا بالمشاهدة ولما تقرر ما ذكرناه أيسد هذا النسب بقوله فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله فانظر ما اعجب هذا الحكم أن قطعها سبحانه من الرحمن وجعل السعادة لنا والوصلة به في وصل ما قطعه فالصورة صورة منازعة وفيها القرب الإلهي ليكون لنا حكم الوصل وهو رد الغريب إلى أهله وليس للحكمة الإلهية في هذا إلا نفى التشبيه فإنه قال ليس كمثل شيء فإذا قطعناها أشبهناه في القطع فإنه جعلها شجنة من الرحمن فمن قطعها فقد تشبه به وهو لا يشبه شيئاً ولا يشبه شيء بحكم الأصل فتوعد من قطعها بقطعه إياه من رحمته لا منه وأمرنا بأن نصلها وهو أن نردها إلى من قطعت منه فإنه قال وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون فأضاف العمل لك وجعل نفسه رقيباً عليه وشهيداً لا يغفل ولا ينسى ذلك لتقتدي أنت به فيما كلفك من الأعمال فلا تغفل ولا تنسى لأنك أولى بهذه الصفة لافتقارك وغناه عنك ولما كانت حواء شجنة من آدم جعل بينهما مودة ورحمة بينه أن بين الرحم والرحمن مودة ورحمة ولذلك أمرك أن تصلها بمن قطعت منه فيكون القطع ل والوصل لك فيكون لك حظ في هذا الأمر تشرف به على سائر العالم فالمودة المجعولة بين الزوجين هو الثبات على النكاح الموجب للتوالد والرحمة المجعولة هو ما يجده كل واحد من الزوجين من الحنان إلى صاحبه فيحن إليه ويسكن فمن حيث المرأة حنين الجزء إلى كله والفرع إلى أصله والغريب إلى وطنه وحنين الرجل إلى زوجته حنين الكل إلى جزئه لأنه به يصح عليه اسم الكل وبزواله لا يثبت له هذا الاسم وحنين الأصل إلى الفرع لأنه يمدده فلو لم يكن له تظهر له ربانية الإمداد كما أن الكون لولاه لم يصح أن يكون رباً على نفسه وهو رب فلا بد من العالم ولم يزل رباً فلم نزل الأعيان الثابتة تنظر إليه بالافتقار أزلاً ليخلع عليها اسم الوجود ولم يزل ينظر إليها لاستدعائها بعين الرحمة فلم يزل رباً سبحانه وتعالى في حال عدمنا وفي حال وجودنا والإمكان لنا كالوجوب له قال

حقق بعقلك إن فكرت مصدرنا

من أعجب الأمر أنني لم أزل أزلاً

قد كان ربك موجوداً وما معه

نفياً لنفي وإثباتاً لإثبات

وأنني مع هذا محدث الذات

شيء سواء ولا ماض ولا آت

فبالمودة والرحمة طلب الكل جزأه والجزء كله فالتحما فظهر عن ذلك الالتحام أعيان الأبناء فصح لهم اسم الأبوة فأعطى وجود الأبناء حكماً للآباء لم يكونوا عليه وهو الأبوة وليس الرب كذلك فإنه لم يزل رباً أزلاً فإن الممكن في إمكانه لم يزل موصوفاً بالإمكان سواء وجد الممكن أو اتصف بالعدم فإن النظر إليه لم يزل في حال عدمه وتقدم العدم للممكن على وجوده نعت أزلي فلم يزل مربوباً وإن لك يكن موجوداً فهذا الفارق بين ما يجب لله وبين ما يجب للعبد من حيث الاسمية والمرتبة التي حدثت له بوجود الابن فالتحق النساء بالرجال في الأبوة ومن لحق النساء بالرجال بل تقوم المرأة في بعض المواطن مقام رجين إذ لا يقطع الحاكم بالحكم إلا بشهادة رجلين فقامت المرأة في بعض المواطن مقامهما وهو قبول الحاكم قولها في حيض العدة وقبول الزوج قولها في أن هذا ولده مع الاحتمال المتطرق إلى ذلك وقبول قولها أنها حائض فقد تتزلت ههنا منزلة شاهدين عدلين كما تتزل الرجل في شهادة الدين منزلة امرأتين فتدخلا في الحكم

فناب الكثير مناب القليل

فمن شاء ألحقه بالثرى

وناب القليل مناب الكثير

ومن شاء ألحقه بالأنثى

لولا كمال الصورة ما صحت الخلافة فمن طلبها وكل إليها ومن جاءته من غير طلب أعين عليها فالطالب مدع في القيام بحققها ومن طب بها مستقيل منها لأنه أمانة ثقلت في السموات والأرض وكل مدع ممتحن كانت هذه الصفة فيمن كانت لا أحاشي أحداً وامتحانه على صورة ما يدعيه وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا شهادة إلهية مقطوع بها فهذه منزلة من جاءته الخلافة من غير طلب والعناية من غير تعمل والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا دعوى موضع الامتحان لولا ما شفع فيه حالة المهدي لعدم استحكام العقل فكان حكمه حكم يحيى وهو الأولى هذا إن كان منطقاً غير متعقل ما ينطق به وإن تعقله فاستحكم عقله وتقوت آلاته في نفس الأمر وفي مشهود العادة عند الحاضرين وهو خرق عادة فإن كان مأموراً بما نطق به فهو مخبر بما آتاه الله وأمر أن يخبر به فليس بمدع ولا طالب فخراً كما قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر بالراء وهو التبجح بالباطل فهذا معرف عن أمر إلهي فمثل هذا لا يمتحن ولا يختبر فإنه ليس بمدع وهذه كلها أحوال يشترك فيها النساء والرجال ويشتركان في جميع المراتب حتى في القطبية ولا يحجبك قول الرسول صلى الله عليه وسلم لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة فنحن نتكلم في تولية الله لا في تولية الناس والحديث جاء فيمن ولاه الناس ولو لم يرد إلا قول النبي صلى الله عليه وسلم في هذه المسألة أن النساء شقائق الرجال لكان فيه غنية أي كل ما يصح أن يناله الرجل من المقامات والمراتب والصفات يمكن أن يكون لمن شاء الله من النساء كما كان لمن شاء الله من الرجال ألا تنظر إلى حكمة الله تعالى فيما زاد للمرأة على الرجل درجة في هذا المقام ليس للمرء في مقابلة قوله وللرجال عليهن درجة فسد تلك الثلمة بهذه الزيادة في المرأة وكذلك ألف حبلى وهمة حمراء وإن ذكرت تعليل الحق في إقامة المرأتين في الشهادة مقام الرجل الواحد بالنسيان في قوله أن تضل إحداها فتذكر إحداها الأخرى والتذكر لا

يكون إلا عن نسيان فقد أخبر الله تعالى آدم أنه نسي وقال صلى الله عليه وسلم فنسي آدم فنسيته ذريته فنسيان بني آدم ذرية عن نسيان آدم كما نحن ذريته وهو وصف إلهي منه صدر في العالم قال تعالى نسوا الله فنسيهم على أن الحق ما وصف إحدى المرأتين إلا بالحيرة فيما شهدت فيه ما وصفها بالنسيان والحيرة نصف النسيان لا كله ونسب النسيان على الكمال للرجل فقال فنسي ولم نجد له عزماً فقد يمكن أن ينسى الرجل الشهادة رأساً ولا يتذكرها ولا يمكن أن تنسى إحدى المرأتين وهي المذكرة لا على التعيين فتذكر التي ضلت عما شهدت فيه فإن خبر الله صدق بلا شك وهو قد أخبر في هذه الآية أن إحداها تذكر الأخرى فلا بد أن تكون الواحدة لا تضل عن الشهادة ولا تنسى فقد اتصفت المرأة الواحدة في الشهادة بإخبار الحق عنها بصفة إلهية وهو قول موسى الذي حكى عنه في القرآن لا يضل ربي ولا ينسى ولو لم يكن في شرف التأنيث إلا إطلاق الذات على الله وإطلاق الصفة وكلاهما لفظ التأنيث جبراً لقلب المرأة الذي يكسره من لا علم له من الرجال بالأمر وقد هانا الشارع أن تتفكر في ذات الله وما منعنا من الكلام في توحيد الله بل أمر بذلك فقال فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وهو هنا ما يحظر لمن نظر في توحيد الله من طلب ماهيته وحقيقته وهو معرفة ذاته التي ما تعرف وحجر التفكير فيها لتعظيم قدرها وعدم المناسبة بينها وبين ما يتوهم أن يكون دليلاً عليها فلا يتصورها وهم ولا يقيدوها عقل بل لها الجلال والتعظيم بل لا يجوز أن تطلب بما كما طلب فرعون فأخطأ في السؤال ولهذا عدل موسى عليه السلام عن جواب سؤاله لأن السؤال إذا كان خطأ لا يلزم الجواب عنه وكان مجلس عامة فلذلك تكلم موسى بما تكلم به ورأى فرعون أنه ما أجابه على حد ما سأل لأنه تخيل أن سؤاله ذلك متوجه وما علم أن ذات الحق تعالى لا تدخل تحت مطلب ما وإنما تدخل تحت مطلب هل وهل سؤال عن وجود المسؤول عنه هل هو متحقق أم لا فقال فرعون وقد علم ما وقع فيه من الجهل إشغالاً للحاضرين لئلا يتفطنوا لذلك أن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ولولا ما علم الحق فرعون ما أثبت في هذا الكلام أنه أرسله مرسل وأنه ما جاء من نفسه لأنه دعا إلى غيره وكذا نسبه فرعون إلى ما كان عليه موسى فوصفه بأنه مجنون أي مستور عنكم فلا تعرفونه فعرفه موسى بجوابه إياه وما عرفه الحاضرون كما عرفه علماء السحرة وما عرفه الجاهلون بالسحر وبقيت تلك الحميرة عند فرعون يحتتمر بها عجين طينته وما ظهر حكمها ولا اختمر عجيبه إلا في الوقت الذي قال فيه آمنت بالذي آمنت به بنو إسرائيل وما سمي الله ليرفع اللبس والشك إذ قد علم الحاضرون أن بني إسرائيل ما آمنت إلا بالإله الذي جاء موسى وهرون من عنده إليهم فلو قال آمنت بالله وهو قد قرر أنه ما علم لقومه من إله غيره لقالوا لنفسه شهد لا للذي أرسل موسى إلينا كما شهد الله لنفسه فرفع هذا اللبس بما قاله وأما تحقيق هذه المسألة فما يعرف ذلك إلا من يعرف مرتبة الطبيعة من الأمر الإلهي فإن المرأة من الرجل بمنزلة الطبيعة من الأمر الإلهي لأن المرأة محل وجود أعيان الأبناء كما أن الطبيعة للأمر الإلهي محل ظهور أعيان الأجسام فيها تكونت وعنها ظهرت فأمر بلا طبيعة لا يكون وطبيعة بلا أمر لا تكون فالكون متوقف على الأمرين ولا تقل أن الله قادر على إيجاد شيء من غير أن يفعل أمر آخر فإن الله يرد عليك في ذلك بقوله إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون فتلك الشيئية العامة لكل شيء خاص وهو الذي وقع فيها الاشتراك هي التي أثبتناها وإن الأمر الإلهي عليها يتوجه لظهور شيء خاص في تلك الشيئية المطلقة فإذا ظهرت الأجسام أو الأجساد ظهرت الصور والأشكال والأعراض وجميع القوى الروحانية والحسية وربما قيل هو المعبر عنه بلسان الشرع العماء الذي هو للحق قبل خلق الخلق ما تحته هواء وما فوقه هواء فذكره وسماه باسم موجود يقبل الصور والأشكال وقد ذكرنا مرتبة الطبيعة وهي هذه الشيئية المطلقة في كتاب النكاح الأول الذي ظهر عنه العالم أسفله وأعلاه وكل ما سوى الله من كثيف ولطيف ومعقول ومحسوس متصف بالوجود فلا نعرف منها إلا قدر ما يظهر لنا كما لا

نعرف من الأسماء الإلهية إلا قدر ما وصل إلينا فمن عرف مرتبة الطبيعة عرف مرتبة المرأة ومن عرف الأمر الإلهي فقد عرف مرتبة الرجل وأن الموجودات مما سوى الله متوقف وجودها على هاتين الحقيقتين غير أن هذه الحقيقة تخفى وتدق بحيث يجهلها أبناءها من العقول فلا تثبتها في العالم البسيط وتثبتها في العالم المركب وذلك لجهلها بمرتبها كما جهلت هنا مرتبة المرأة مع تنبيه الشارع على منزلتها بقوله صلى الله عليه وسلم أن النساء شقائق الرجال فالأمر بينهما يكون علواً وسفلاً ألا ترى التجليات والروحانيات المتجسدة فهل تظهر في غير صور طبيعية وإن كانت الأجساد سريعة الاستحالة فلم تخرج عنها وهذا منزل واسع يتسع المجال فيه فلنذكر أمهات ما يتضمنه من المسائل دون التفريغ فمنها من أي مقام ينادي المؤمن وهل يختلف النداء باختلاف المناادي أم لا وفي هذا المنزل أيضاً علم سبب العداوة بين الله وبين خلقه وهل من شرط العداوة أن توجد من الطرفين أو من الطرف الواحد وهل يعادي أحد من أجل أحد أو لا تكون العداوة إلا من أجل نفسه لا من أجل غيره وعلم إلقاء المحبة في القلوب وثباتها فيه وهل إلقاؤها انتقال وجودي أو خلق بخلق المحل وهل من شرط الحب المناسبة أم لا وعلم التغريب عن الأوطان لموجب النقيض وعلم مشقات السبل الإلهية وعلم طلب الرضا في المنشط والمكروه وعلم السر والعلن وعلم الحيرة عن طريق خاص وعلم محبة السر على التجلي وعلم ثبات السبب الموجب لقطع ما أمر بوصله فيكون قطعه قربة ووصله بعداً وعلم المواطن وكيف ترد الأمور بحكمها وتأثيرها في الأمور الكونية والأحكام الإلهية وهو علم واسع وعلم رؤية الأعمال مع كونها أعراساً كونية والأعراض الكونية ترى أحكامها لا أعيانها بخلاف الأعراض اللونية فإنه يرى أعيانها وأحكامها وعلم الإقتداء بالمتقدمين واتباع الفاضل المفضول وعلم التبري من الجمع لا من أحدية الجمع وعلم ستر أحدية الجمع والكثرة وعلم الحب المشروط والبغض المشروط وهل يصح في نفس الأمر ذلك أو لا يصح وهل يصح فيه استثناء أو لا يصح وهل يقدح في العلم الإلهي رجوع العبد في توكله وأحواله إلى اسم خاص دون سائر الأسماء الإلهية أم لا وعلم الصيرورة من علم الرد والرجوع والفرق بينهما وبين كل واحد منهما وبين الآخر وعلم الاختيار فيما يحمد ويذم وعلم تضمن العزة الحكمة وعلم الرجاء المشترك وعلم ما ينتجه التولي عن الحق المطلق والمقيد وهل يتأثر من يتولى عنه عند التولي أو لا يتأثر وعلم المقاربة من الشيء هل يتصف بما الحق أم لا وعلم كون الرحمة قد تكون بالستر وبغير الستر وعلم سبب إكرام الكريم ومجازاة اللئيم هل يكون بلؤم فيشتركان وإن كان الواحد جزاء أو لا يجاز به إلا بالإحسان وهل يكون لؤم الجزاء لؤماً في نفس الأمر أو هو صفة اللئيم تعود عليه لما ظهرت له في غيره فكرها منه فعلم بذلك أنها صفته وأنها في المجازي أمر عرضي أظهرها للتعليم وهو علم شريف نافع يعرف منه عقوبة الله عبادته على أعمالهم مع غناه في نفسه عن ذلك وعدم تضرره به وهل يمكن للخلق أن يكونوا في الجزاء باللؤم على هذا الحد عند مجازاة اللئيم أو لا يكونون وعلم ما يعامل به أصحاب الدعاوى وعلم الحكم بالعلم وأن الظن قد يسمى علماً شرعاً ولماذا يسمى الظن علماً وهو ضده وهل العلم هنا عبدة عن العلامة التي يحصل بها الظن في نفس الظان الحاكم به فيكون علمه بتلك العلامة علماً بأن هذا ظن غالب يجب الحكم به لرائحة العلم بالعلامة إذ العلم ليس سوى عين العلامة وبه سمي علماً فبالعلم يعلم العلم كما يعلم به سائر المعلومات فهي كلها علامات ولذلك قال ذلك مبلغهم من العلم ولم يكن علماً فكأنه قال ذلك الذي أعطتهم العلامة في ذلك الأمر وعلم الحلال والحرام العقلي والشرعي وعلم المعاوضة في الإبزاع وهو علم عجيب لأنه لا متعلق للمشتري في ذلك إلا الاستمتاع وعلم العدل في الحكم الإلهي والنيابة فيه وعلم الفرق بين العلم والحكمة وعلم اتخاذ الله وقاية لماذا وهل ذلك من مرتبة العلم أو مرتبة الإيمان وعلم أحكام التابع والمتبوع هل يجتمعان في أمر أو لا يجتمعان في أمر وعلم مبايعة الإمام الذي هو السلطان هل حكمها حكم البيع فيتين ما بيع وما

اشترى وهل يدخل فيها بيع النفوس وهو المبيعة على الموت أم لا وعلم التشبيه فهذا ما يتضمنه هذا المتزل من العلوم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الخامس والعشرون وثلاثمائة في معرفة منزل القرآن من الحضرة المحمدية

الجمع معتبر في كل آونة	والوتر في الجمع كالأعداد في الأحد
هذا الإله هو الأسماء أوترها	تسع وتسعون لم تنقص ولم تزد
فالعين مجموع أسماء وليس لها	وتر سوى ما ذكرناه من العدد
فليس ثم سوى فرد بعينه	عين الكثير فلا تلوي على أحد
والله وتر فلا شيء يكثره	مع العلوم التي أعطاك في الرصد
فلا مؤثر غير الله في بشر	والغير ما ثم فاقصد ساكن البلد
يعطيك خيراً بإحسان وجود به	عليك فهو الذي إن شاء لم يجد

اعلم فهمك الله أن كل ما سوى الله أرواح مطهرة مژة موجدتها وخالقها وهي تنقسم إلى مكان وإلى متمكن والمكان ينقسم إلى قسمين مكان يسمى سماء ومكان يسمى أرضاً والمتمكن فيهما ينقسم إلى قسمين إلى متمكن فيه وإلى متمكن عليه فالمتمكن فيه يكون بحيث مكانه والمتمكن عليه لا يكون بحيث مكانه وهذا حصر كل ما سوى الله وكل ذلك أرواح في الحقيقة أجسام وجواهر في الحق المخلوق به وهذه الأرواح على مراتب في التزيه تسمى مكانة وما من مژة لله تعالى إلى وتزيهه على قدر مرتبته لأنه لا يتره خالقه إلا من حيث هو إذ لا يعرف إلا نفسه فيثمر له ذلك التزيه عند الله مكانة يتميز بها كل موجود عن غيره وهذا المتزل يحتوي على تزيه الأرواح المتمكنة لا المكانية وسيرد متزل في هذه المنازل نذكر فيه تزيه المكان والمتمكن معاً فكان هذا المتزل يحتوي على نصف العالم من حيث ما هو مژة ثم أن الله تعالى عاد بالمكانة على هذه المژة بأن كان الحق مجلاه فرأى نفسه ورتبته فسبح على قدر ما رأى فإذا هو نفسه لا غيره وذلك أن الحق أسدل بينه وبين عباد حجاب العزة فوقف التزيه دونه فعلم أن الحق لا يليق به تزيه خلقه وان حجاب العزة أحمى وقهرها أغلب ثم رأى من سواه من العارفين بالله المزهين بنعوت السلوب على مراتب وقد أقر الجميع منهم بأنهم كانوا غالطين في محل تزيههم ما خرج عنهم وذلك لحكمته التي سرت في خلقه فكان ذلك تزيه الحكمة لا غيره ولولا ستر حجاب العزة ما عرفوا ذلك ومن هذا الحجاب ظهر الكفر في العالم وصارت المعرفة خيراً بما وراء هذا الحجاب فظهر الإيمان في العالم بين الستر والمؤمن فالكافر الذي هو الساتر أقرب من أجل الكفر فإن الستر يرى المستور به والمستور عنه وهو صفة الكافر والمؤمن دون هذا الستر فمقامه الحجاب قال تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب والإيمان متعلقه الخير والخير من أقسام الكلام ثم أنه سبحانه أخرج أهل الستر من الغيب إلى الشهادة ليحصل له مقام الجمع بين الحالتين فيتزيه باللسانين ويثبت له الصفتين ولم يكن في ظنه ما فعله الحق به بل كان يتخيل أن الغيب لا يكون في موطن شهادة لعلمه أن الغيب منيع الحمى لا يعلم ما فيه فيوصل إليه وإنما مقامه أن يكون مشعوراً به من غير تعيين ما هو ذلك المشعور به وغفل عن كون الله

يفعل ما يريد وأنه ما في حقه غيب وأن الغيب لا يصح أن يكون إلا إضافياً فلما بدا له من الله ما لم يكن في حسابه علم أن الأمور بيد الله وأنه ما ثم من يستحق حكماً لنفسه بل هو الله الذي أعطى كل شيء خلقه ولما علمت الأشياء أنه لا شيء لها من ذاتها وأنها بحسب ما تقتضيه ذات موجدتها وأن الأحوال تتجدد عليها بحسب ما تطلبه حقائق من استندت إليه وهو الله تعالى خافت حيث لم تقف على علم الله فيها في المستقبل فتركت جميع ما كانت تعتمد عليه في نفسها لما عند خالقها فسيحاً جديداً من خلق جديد وعبرت من النظر إليها إلى النظر إلى من بيده ملكوت كل شيء ولولا هذا المقام الذي أقامها فيها وردها من قريب إليه لنادها من بعيد فكان المدى يطول عليها ويتعرض لها الآفات والصوارف في الطريق فإن المسافر وماله علي قلت ثم أن الله لما حصل الأشياء في هذا المقام رفع لها علماً من أعلام المعرفة أعطاها ذلك العلم أنها شق وأنها على النصف من الوجود وأن كمال الوجود بها ولولاها ما ظهر الكمال في الوجود والعلم فزهت وعظم شأنها عندها وما عرفت أي قسم صح لها من الوجود ثم ظهر ذلك لها في عبادة الصلاة حيث قسمها الحق نصفين بينه وبين عبده فزادت تيهاً فلما سمعت آخر الخبر موافقاً لحالها الذي لم تشعر به في قوله فنصفها لي ولم يقيد وقال في نصف العبد ونصفها لعبدي ما سأل والسؤال مذلة وفقر وحاجة ومسكنة إلا أن العبد لاح له من خلف هذا الحجاب ما لم يكن يظنه وهو أنه في منزل يكون الحق متأخراً عنه مثل قوله والله من ورائهم محيط وذلك لأنه في حكم الفرار إذا استقبله ما لا يطيق حمله فأخبره الله أنه من ورائه وهو الذي يستقبله فإن فر منه فإليه يفر من حيث لا يشعر كما يكون في منزل آخر أولاً له من قوله ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها وقد وصف نفسه بأنه الهادي والهادي هو الذي يكون أمام القوم ليريه الطريق وهو قوله إن ربي على صراط مستقيم ما كنت تدري ما الكتاب ولا

الإيمان فصارت الأشياء مع الحق عقبة فتقدم تعالى الأشياء ليهديها إلى ما فيه سعادتها وتأخر عنها ليحفظها ممن يغتالها وهو العدم فإن العدم يطلبها كما يطلبها الوجود وهي محل قابل للحكمين ليس في قوتها الامتناع إلا بلطف اللطيف ثم إن الله تعالى لما أطلعها على ما حصل لها من العلم بجلال الله أسماء تسبحه بها وتحمده وتثني عليه بما لم تكن تعلم ذلك قبل هذا المشهد كما قال صلى الله عليه وسلم في المقام المحمود يوم القيامة فاحمده بمحامد لا أعلمها الآن يعطيه إياها ذلك المقام بالحصول فيه إلهاماً يلهمه الله فيثني عليه بها وهكذا كل منزلة ومرتبة في العالم دنيا وآخرة إلى ما لا يتناهى له ثناء خاص في كل منزل منها فإذا سبحه ورثه ذلك الثناء علماً آخر لم يكن عنده من علم الإذن الإلهي الذي خلق الله منه بيد عيسى الطير ومنه نفخ عيسى فيه فكان طيراً ومنه أبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى وهو علم شريف تحقق به أبو يزيد البسطامي وذو النون المصري فأما أبو يزيد فقتل غلة بغير قصد فلما علم بما نفخ فيها فقامت حية بإذن الله وأما ذو النون فجاءته العجوز التي أخذ التمساح ولدها فذهب به في النيل فدعا بالتمساح فألقاه إليها من جوفه حياً كما ألقى الحوت يونس فإذا كشف له عن هذا العلم أثني عليه سبحانه بما ينبغي له من المحامد التي يطلبها هذا المقام ومن هنا يكون له الاستشراف على من خرج عن هذا المقام حال الخارجين لأن هذا المنزل هو المنزل الجامع ولهذا سمي منزل القرآن فإذا نزل صاحب هذا المنزل من هذا المقام إلى الكون تعرض له العدو بأجناده وهو إبليس المعادي له بالطبع ولاسيما للبنين فإنه مناف من جميع الوجوه بخلاف معاداته لآدم فإنه جمع بينه وبين آدم اليبس فإن بين التراب والنار جامعاً ولذلك الجامع صدقه لما أقسم له بالله أنه لناصح وما صدقه الأبناء فإنه للأبناء ضد من جميع الوجوه وهو قوله في الأبناء أنه خلقهم من ماء وهو منافر للنار فكانت عداوة الأبناء أشد من عداوة الأب له وجعل الله هذا العدو محجوباً عن إدراك الأبصار وجعل له علامات في القلب من طريق الشرع يعرفه بها تقوم له مقام إدراك البصر فيتحفظ بتلك العلامات من إلقاءه وأعان الله هذا الإنسان عليه بالملك الذي جعله مقابلاً له غيباً لغيب

فهما لم يؤثر في ظاهر الإنسان وظهر عليه الملك بمساعدة النفس كان أجرن للنفس أجرها وأجر المعين وهو الملك لأن الملك لا يقبل الجزاء ولا يزيد مقامه ولا ينقص وإن أثر في ظاهر الإنسان فإن الملك يغنم لذلك ويستغفر لهذا الإنسان وهو أعني الملك ليس بمحل لجزاء الغم فيعود ذلك الجزاء على الإنسان فهو في الحالتين رابح في الطاعة والمعصية والإيمان يشد من الملك ولهذا يستغفر له الملك وأعلم أن القرآن لما كان جامعاً تجاذبته جميع الحقائق الإلهية والكونية على السواء فلم يكن فيه عوج ولا تحريف فمترلته الاعتدال والاعتدال مترل حفظ بقاء الوجود على الموجود ما هو مترل الإيجاد لأن الإيجاد لا يكون إلا عن انحراف وميل ويسمى في حق الحق توجهاً إرادياً وهو قوله إذا أردناه ولما كان مترل الاعتدال كان له الديمومة والبقاء فله إبقاء التكوين وبقاء الكون فلو نزل عن مترله لنزل من الاعتدال إلى الانحراف وهو قوله ولو أن قرآناً سيرت به الجبال وقوله لو أنزلنا هذا القرآن يعني عن مترله على جبل لرأيت خاشعاً متصدعاً يعني الجبل فلم يحفظ عليه صورته لأنه نزل عن مترله ولما كان هذا مترله وتجاذبته الحقائق على سواء كان من به أنزل عليه من رحمة العالمين لأن الرحمة وسعت كل شيء فطلبها كل شيء طلباً ذاتياً لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم في القنوت على من دعا عليه عوتب في ذلك فقليل له وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين أي لترحمهم لأنك صاحب القرآن والقرآن ينطق بأني ما أرسلتك إلا رحمة وإنه ينطق بان رحمتي وسعت كل شيء فهي بين منة ووجوب فمن عبادي من تسعهم بحكم الوجوب ومنهم من تسعهم بحكم المنة والأصل المنة والفضل والإنعام الإلهي إذ لم يكن الكون فيكون له استحقاق فما كان ظهوره إلا من عين المنة وكذلك الأمر الذي به استحق الرحمة كان من عين المنة فإذا نزل القرآن عن مترله فإنه كلامه وكلامه على نسبة واحدة لما يقبله الكلام من التقسيم فإنه يتزل وفيه حقيقة الاعتدال في النسب وهو جديد عند كل تال أبداً فلا يقبل نزوله إلا مناسباً له في الاعتدال فهو معرى عن الهوى ولهذا قيل في محمد صلى الله عليه وسلم وما ينطق عن الهوى ونهى غيره من الرسل الخلفاء أن يتبع الهوى فلم يتزل في المرتبة مترلة من أخبر عنه أنه لا ينطق عن الهوى وما كل تال يحس بتزوله لشغل روحه بطبيعته فيتزل عليه من خلف حجاب الطبع فلا يؤثر فيه التذاذاً وهو قوله صلى الله عليه وسلم في حق قوم من التالين أنهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم فهذا قرآن مترل على الألسنة لا على الأفئدة وقال في الذوق نزل به الروح الأمين على قلبك فذلك هو الذي يجد لتزوله عليه حلاوة لا يقدر قدرها تفوق كل لذة فإذا وجدها فذلك الذي نزل عليه القرآن الجديد الذي لا يلى والفارق بين التزولين أن الذي يتزل القرآن على قلبه يتزل بالفهم فيعرف ما يقرأ وإن كان بغير لسانه ويعرف معاني ما يقرأ وإن كانت تلك الألفاظ لا يعرف معانيها في غير القرآن لأنها ليست بلغته ويعرفها في تلاوته إذا كان ممن يتزل القرآن على قلبه عند التلاوة وإذا كان مقام القرآن ومترله ما ذكرناه وجد كل موجود فيه ما يريد ولذلك كان يقول الشيخ أبو مدين لا يكون المريد مريداً حتى يجد في القرآن كل ما يريد وكل كلام لا يكون له هذا العموم فليس بقرآن ولما كان نزوله على القلب وهو صفة إلهية لا تفارق موصوفها لم يتمكن أن يتزل به غير من هو كلامه فذكر الحق أنه وسعه قلب عبده المؤمن فتزول القرآن في قلب المؤمن هو نزول الحق فيه فيكلم الحق هذا العبد من سره في سره وهو قولهم حدثني قلبي عن ربي من غير واسطة فالتالي إنما سمي تالياً لتتابع الكلام بعضه بعضاً وتتابعه يقضي عليه بحرفي الغاية وهما من وإلى فيتزل من كذا إلى كذا ولما كان القلب من العالم الأعلى وكان اللسان من العالم الأنزل وكان الحق مترل قلب العبد وهو المتكلم وهو في القلب واحد العين والحروف من عالم اللسان ففصل اللسان الآيات وتلا بعضها بعضاً فيسمى الإنسان تالياً من حيث لسانه فإنه المفصل لما أنزل مجملاً والقرآن من الكتب والصحف المترلة بمترلة الإنسان من العالم فإنه مجموع الكتب والإنسان مجموع العالم فهما أخوان وأعني بذلك الإنسان الكامل وليس ذلك إلا من أنزل عليه القرآن من

جميع جهاته ونسبه وما سواه من ورثته إنما أنزل عليه من بين كتفيه فاستقر في صدره عن ظهر غيب وهي الوراثة الكاملة حكى عن أبي يزيد أنه ما مات حتى استظهر القرآن وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذي أوتي القرآن أن النبوة أدرجت بين جنبيه وهذا الفرق بين الأنبياء والأولياء الأتباع لكن من أدرجت النبوة بين جنبيه وجاءه القرآن عن ظهر غيب أعطى الرؤية من خلفه كما أعطىها من أمامه إذ كان القرآن لا يتزل إلا مواجهة فهو للنبي صلى الله عليه وسلم من وجهين وجه معتاد ووجه غير معتاد وهو للوارث من وجه غير معتاد فسمي ظهراً بحكم الأصل وهو وجه بحكم الفرع ولما ذقنا ذلك لم نر لأنفسنا تمييز جهة من غيرها وجاءنا بغتة فما عرفنا الأمر كيف هو إلا بعد ذلك فمن وقف مع القرآن من حيث هو قرآن كان ذا عين واحدة أحدية الجمع ومن وقف معه من حيث ما هو مجموع كان في حقه فرقاناً فشاهد الظهر والبطن والحد والمطلع فقال لكل آية ظهر وبطن واحد ومطلع وذلك الآخر لا يقول بهذا والذوق مختلف ولما ذقنا هذا الأمر الآخر كان التزل فرقاناً فقلنا هذا حلال وهذا حرام وهذا مباح وتنوعت المشارب واختلفت المذاهب وتميزت المراتب وظهرت الأسماء الإلهية والآثار الكونية وكثرت الأسماء والآلهة في العالم فعبدت الملائكة والكواكب والطبيعة والأركان والحيوانات والنبات والأحجار والأناسي والجن حتى أن الواحد لما جاء بالوحدانية قالوا أجعل الله إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب وفي الحقيقة ليس العجب ممن وحد وإنما العجب ممن كثر بلا دليل ولا برهان ولهذا قال ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به وهذه رحمة من الله بمن لاحت له شبهة في إثبات الكثرة فاعتقد أنها برهان بأن الله يتجاوز عنه فإنه بذل وسعه في النظر وما أعطته قوته غير ذلك فليس للمشركين عن نظر أرجى من عفو الله من هذه الآية وقد قلنا أنه ما في العالم أثر إلا وهو مستند إلى حقيقة إلهية فمن أين تعددت الآلهة وعبدت من الحقائق الإلهية فاعلم أن ذلك من الأسماء فإن الله لما وسع فيها فقال اعبدوا الله وقال اتقوا الله ربكم وقال اسجدوا للرحمن وقال ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أي ما تدعوا يعني الله أو الرحمن فله الأسماء الحسنى فزاد الأمر عندهم إلهاماً أكثر مما كان فإنه لم يقل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أي ما تدعوا فالعين واحدة وهذان اسمان لها هذا هو النص الذي يرفع الإشكال فما أبقي الله هذا الإشكال إلا رحمة بالمشركين أصحاب النظر الذي أشركوا عن شبهة وبقي الوعيد في حق المقلدين حيث أهلهم الله للنظر وما نظروا ولا فكروا ولا اعتبروا فإنه ما هو علم تقليد فالمخطئ مع النظر أولى وأعلى من الإصابة والمصيب مع التقليد إلا في ذات الحق فإنه لا ينبغي أن يتصرف مخلوق فيها بحكم النظر الفكري وإنما هو مع الخبر الإلهي فيما يخبر به عن نفسه لا يقاس عليه ولا يزيد ولا ينقص ولا يتأول ولا يقصد بذلك القول وجهاً معيناً بل يعقل المعنى ويجهل النسبة ويرد العلم بالنسبة إلى علم الله فيها فمن نظر الأمر بمثل هذا النظر فقد أقام العذر لصاحبه وكان رحمة للعالمين ثم اعلم أن الله أنزل الكتاب فرقاناً في ليلة القدر ليلة النصف من شعبان وأنزله قرآناً في شهر رمضان كل ذلك إلى السماء الدنيا ومن هناك نزل في ثلاث وعشرين سنة فرقاناً نجوماً ذا آيات وسور لتعلم المنازل وتبين المراتب فمن نزوله إلى الأرض في شهر شعبان يتلى فرقاناً ومن نزوله في شهر رمضان يتلى قرآناً فمننا من يتلوه به فذلك القرآن ومننا من يتلوه بنفسه فذلك الفرقان ولا يصح أن يتلى بهما في عين واحدة ولا حال واحدة فإذا كنت عنده كنت عندك وإذا كنت عندك لم تكن عنده لأن كل شيء عنده بمقدار وهو ليس كذلك بل هو مع كل شيء وعند من يذكره بالذكر لا غير فإنه جليس الذاكرين اعلم أن الله أنزل هذا القرآن حروفاً منظومة من اثنين إلى خمسة أحرف متصلة ومفردة وجعله كلمات وآيات وسوراً ونوراً وهدى وضياء وشفاء ورحمة وذكرراً وعريباً ومبيناً وحقاً وكتاباً ومحكماً ومتشاهماً ومفصلاً ولكل اسم ونعت من هذه الأسماء معنى ليس للآخر وكله كلام الله ولما كان جامعاً لهذه الحقائق وأمثالها استحق اسم القرآن فلنذكر مراتب

بعض نعوته ليعلم أهل الله منزلته

فمن ذلك كونه حروفاً والمفهوم من هذا الاسم أمر أن الأمر الواحد المسمى قولاً وكلاماً ولفظاً والأمر الآخر يسمى كتابة ورقماً وخطاً والقرآن يخط فله حروف الرقم وينطق به فله حروف اللفظ فلماذا يرجع كونه حروفاً منطوقاً بما هل لكلام الله الذي هو صفته أو هل للمترجم عنه فاعلم أن الله قد أخبرنا نبيه صلى الله عليه وسلم أنه سبحانه يتجلى في القيامة في صور مختلفة فيعرف وينكر ومن كانت حقيقته تقبل التجلي في الصور فلا يبعد أن يكون الكلام بالحروف المتلفظ بها المسماة كلام الله لبعض تلك الصور كما يليق بجلاله فكما نقول تجلى في صورة كما يليق بجلاله كذلك نقول تكلم بصوت وحرف كما يليق بجلاله ونحملها محمل الفرح والضحك والعين والقدم واليد واليمين وغير ذلك مما ورد في الكتاب والسنة مما يجب الإيمان به على المعنى المعقول من غير كيفية ولا تشبيه فإنه يقول ليس كمثل شيء فنفي أن يماثل مع عقل المعنى وجهل النسبة فإذا انتظمت الحروف سميت كلمة وإذا انتظمت الكلمات سميت آية وإذا انتظمت الآيات سميت سورة فلما وصف نفسه بأن له نفساً كما يليق بجلاله ووصف نفسه بالصوت والقول وقال أجره حتى يسمع كلام الله كان النفس المسمى صوتاً وكان انقطاعه من الصوت حيث انقطع يسمى حرفاً وكل ذلك معقول مما وقع الإخبار الإلهي به لنا مع نفي المماثلة والتشبيه كسائر الصفات ولما وصف نفسه بالصورة عرفنا معنى قوله أنه الظاهر والباطن فالباطن للظاهر غيب والظاهر للباطن شهادة ووصف نفسه بأن له نفساً وخروجه من الغيب وظهور الحروف شهادة والحروف ظروف للمعاني التي هي أرواحها والتي وضعت للدلالة عليها بحكم التواطىء وقال تعالى وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم وأبلغ من هذا الإفصاح من الله لعباده ما يكون فلا بد أن يفهم من هذه العبارات ما تدل عليه في ذلك اللسان بما وقع الإخبار به عن الكون فيعرف المعنى الذي يدل عليه ذلك الكلام وتعرف النسبة وما وقع الإخبار به عن الله يعرف المعنى الذي يدل عليه ذلك الكلام وتجهل النسبة لما أعطى الدليل العقلي والدليل الشرعي من نفي المماثلة فإذا تحققت ما قررناه تبين أن كلام الله هو هذا المتلو المسموع المتلفظ به المسمى قرآناً وتوراة وزبوراً وإنجيلاً فحروفه تعين مراتب كلمة من حيث مفرداتها ثم للكلمة من حيث جمعيتها معنى ليس لأحد حروف الكلمة للكلمة أثر في نفس السامع لهذا سميت كلمة في اللسان العربي مشتقة من الكلم وهو الجرح وهو أثر في جسم المكلوم كذلك للكلمة أثر في نفس السامع أعطاه ذلك الأثر استعداد السمع لقبول الكلام بوساطة الفهم لا بد من ذلك فإذا انتظمت كلمتان فصاعداً سمي المجموع حكماً لا يكون لمفردات ذلك المجموع فإذا انتظمت الآيات بالغاً ما أراد المتكلم أن يبلغ بمل سمي المجموع سورة معناها مترلة ظهرت عن مجموع هذه الآيات لم تكن الآيات تعطي تلك المترلة على انفراد كل آية منها وليس القرآن سوى ما ذكرناه من سور وآيات وكلمات وحروف فهذا قد أعطيتك أمراً كلياً في القرآن والمنازل تختلف فتختلف الآيات فتختلف الكلمات فيختلف نظم الحروف والقرآن كبير كثير لو ذهبنا نبين على التفصيل ما أومأنا إليه لم يف العمر به فوكلناك إلى نفسك لاستخراج ما فيه من الكنوز وهذا إذا جعلناه كلاماً فإن أنزلناه كتاباً فهو نظم حروف رقمية لا انتظام كلمات لا انتظام سور كل ذلك عن يمين كاتبة كما كان القول عن نفس رحمانى فصار الأمر على مقدار واحد وإن اختلفت الأحوال لأن حال التلفظ ليس حال الكتابة وصفة اليد ليست صفة النفس فكونه كتاباً كصورة الظاهر والشهادة كونه كلاماً كصورة الباطن والغيب فأنت بين كثيف ولطيف والحروف على كل وجه كثيف بالنسبة إلى ما يحمله من الدلالة على المعنى الموضوع له والمعنى قد يكون لطيفاً وقد يكون كثيفاً لكن الدلالة لطيفة على كل وجه وهي التي يحملها الحرف وهي روحه والروح ألطف من الصورة ثم إن الله قد جعل للقرآن سورة من سوره قلباً وجعل هذه السورة تعدل القرآن

عشرة أوزان وجعل لآيات القرآن آية أعطاها السيادة على آي القرآن وجعل من سور هذا القرآن سورة تزن ثلثه ونصفه وربعه وذلك لما أعطته منزلة تلك السورة والكل كلامه فمن حيث هو كلامه لا تفاضل ومن حيث ما هو متكلم به وقع التفاضل لاختلاف النظم فاضرع إلى الله تعالى ليفهمك ما

أومأنا إليه فإنه المنعم المحسن كون القرآن نوراً بما فيه من الآيات التي تطرد الشبه المضلة مثل قوله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وقوله لا أحب الآفلين وقوله فاسألوهم إن كانوا ينطقون وقوله فأت بها من المغرب وقوله إذا لا تبغوا إلى ذي العرش سبيلاً وقوله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً وقوله بسورة من مثله وكل ما جاء في معرض الدلالة فهو من كونه نوراً لأن النور هو المنفر الظلم وبه يسمى نوراً إذ كان النور النفور وأما كونه ضياء فلما فيه من الآيات الكاشفة للأمور والحقائق مثل قوله كل يوم هو في شأن وسنفرغ لكم أيها الثقلان وقوله من يطع الرسول فقد أطاع الله وقوله أنبئوني بأسماء هؤلاء وقوله لما خلقت بيدي وقوله وما تشاؤون إلا أن يشاء الله وقوله كل من عند الله وقوله فألهمها فجورها وتقواها وما أشبه ذلك مما يدل على مجرى الحقائق ومثل قوله والله خلقكم وما تعملون وأما كونه شفاء فكفاتحة الكتاب وآيات الأدعية كلها وأما كونه رحمة فلما فيه مما أوجبه على نفسه من الوعد لعباده بالخير والبشرى مثل قوله لا تقنطوا من رحمة الله وقوله كتب ربكم على نفسه الرحمة وقوله ورحمتي وسعت كل شيء وكل آية رجاء وأما كونه هدى فكل آية محكمة وكل نص ورد في القرآن مما لا يدخله الاحتمال ولا يفهم منه إلا الظاهر بأول وهلة مثل قوله وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون وقوله ولكم في القصص حياة وقوله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وقوله فمن عفى وأصلح فأجره على الله وأمثال هذه الآيات مما لا تحصى كثرة وأما كونه ذكراً فلما فيه من آيات الاعتبار وقصص الأمم في إهلاكهم بكفرهم كقصص قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة وأصحاب الرس وأما كونه عربياً فلما فيه من حسن النظم وبيان الحكم من التشابه وتكرار القصص بتغيير ألفاظ من زيادة أو نقصان مع توفية المعنى المطلوب في التعريف والإعلام مع إيجاز اللفظ مثل قوله يحسبون كل صيحة عليهم وقوله ما ضربوه لك إلا جدلاً وقوله يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين وقوله أوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين كل ذلك في آية واحدة تحتوي على بشارتين وأمرين بعلم نافع وتبيين ببشرى من الله وأما كونه مبيناً فيما أبان فيه من صفات أهل السعادة وأهل الشقاء ونعوت أهل الفلاح من غيرهم كقوله قد أفلح المؤمنون إلى آخر الآيات وقوله أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وآيات الأحكام وكل آية أبان بما عن أمر ليعرف فلهذا أسماء هذه الأسماء كلها وجعله قرآناً أي ظاهراً جامعاً لهذه المعاني كلها التي لا توجد إلا فيه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل كمل السفر الحادي والعشرون بكمال هذا الكتاب

الباب السادس والعشرون وثلاثمائة في معرفة منزل التحاور والمنازعة

وهو من الحضرة المحمدية الموسوية

دون أسماء ذاته الحسنی

ولهذا أزاله عنا

ينزل الله أينما كنا

وهو نور والنور مظهره

وهي أدنى الدنو لا أدنى

جملة الأمر نعم ما حزنا

بالذي قد أراده منا

ولهذا عنا فما زلنا

في هيولى وجوده منا

يطرب الشرب كلما غنى

فاستحلنا عنا وما حلنا

فدوات الكيان مظلمة

ثم حزناه صورة شرفاً

سمع الله صوت سائله

فلهذا نكونه أبداً

فاذا شاء أن يولدنا

بلبل البال في ذرى فنن

فظهر نابه لنا فأبى

اعلم أيديك الله أن هذا المتزل خاصة دون غيره من المنازل ما فيه علم يظهر منه الكون أو يدل عليه في العين أو في الاسم أو في الحكم إلا ولحكم الله من حيث هذا الاسم الذي هو الجامع لمراتب الألوهية فيه أي في ذلك العلم نظر من وجه ووجهين وثلاثة وأربعة وأكثر ولا تجد ذلك من غيره من المنازل فسألت كم علم فيه فرفع لي المتزل بكماله فرأيت فيه ثلاثة وعشرين علماً منصوباً ونظرت إلى الألوهية في تلك الأعلام كلها فوجدت نظرها إليها من أربعين وجهاً وقيل لي ما جمعها إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هذا المتزل كانت سيادته على جميع العالم فمن ورثه فيه من أمته حصل له من السيادة بقدره في هذه الجمعية ومن هذا المتزل تعطى الحكمة لمن اخلص لله أربعين صباحاً فهو يشهد الله في جميع أحواله كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيائه ويتضمن هذا المتزل من المسائل معرفة ازدواج المقدمات للإنتاج وعلم منازعة المرسل إليه للرسول صلى الله عليه وسلم مع إيمانه به وبما جاء به من عند الله فيرجع خصماً في هذا المتزل ويتولى الله الحكم بين الرسول والمرسل إليه مع علمه بأن الرسول لا ينطق عن الهوى وأنه يبلغ عن الله ما أرسله به ومع هذا كله يدعي عليه في نفس ما جاء به فيرتفع إلى الله ليحكم بينهما وهو من أصعب العلوم في التصور لوجود الإيمان والتصديق به من الخصم وفيه علم من ترك خلفه ما شرع له أن يكون أمامه وفيه علم الانتساب أعني انتساب الفروع إلى أصولها ومن ألحق فرعاً بغير أصله ما حكم الله فيه من طريق الكشف وفيه علم ظهور الباطل بصورة الحق والباطل عدم لا وجود له والصورة موجودة فهي حق فأين عين الباطل الذي ظهر والصورة إنما هي للحق وما الستر الذي بين العقل والحق حتى يستره الباطل بصورة الحق وعلم الفرق بين الخاطر الأول والخاطر الثاني وأنه غير مؤاخذ بالخاطر الأول مؤاخذ بالخاطر الثاني والثاني عين صورة الأول فلماذا لم يصدق في الثاني في بعض الأمور كما يصدق في الأول فهل ذلك لمرتبة الثاني فإن الثاني مما زاد في مراتب العدد أصله عدم والأول وجود وبالأول ظهر من الإعداد ما ظهر مما هو ظهر لها وفيه علم إلحاق من استرقه الحجاب من الأمثال بالحرية لمن قلب الحقائق في نظره فألحق الأمور بغير مراتبها والفروع بغير أصولها وفيه علم السبب الإلهي الذي لأجله كان هذا وفيه إضافة علم الأدواق إلى الله تعالى وهو شعور بالعلم بها من غير ذوق فأى نسبة إلهية أعطت مثل هذا الحكم في العلم الإلهي مثل قوله حتى نعلم وهو يعلم فهذا هو علم الذوق وفيه علم مقدار إقامة الصفة التي لا تقبل المثل بالعبد لإزالة رفع هذا الواقع من هذا الشخص الذي أنزل الخف منزلة الأمام في غير موضعه فخلط بين الحقائق وتخيل هذا أن قول النبي صلى الله عليه وسلم أي أراكم من خلف ظهري إنه برؤيته صار إماماً فإنما جعل له حكم النظر كما هو للأمام والأمام أمام والخلف

خلف فإن عجز عن اللبث تحت قدر حكم هذه الصفة العديمة المثل فلم يكشف غلظه ولا رأى الحق لعجزه عن القيام بهذه المدة التي تفنى فيها نفسه حصل في علم آخر في هذا المتزل مجاور لهذا يطلبه بحياة أنفس معدودين موفين له بالصفة التي كان يفني نفسه فيها فظهر شرف نفسه على غيره حيث قام جماعة من أمثاله مقام نفسه مع الاشتراك في الصورة والمقام والحال وقد بين الله الفرقان بينهما وجعل حق النفس على نفسها أعظم من حقوق أمثالها عليه بلغت ما بلغت فأدخل قاتل انفس الغير في المشيئة من غير قطع بالمؤاخذه فهو بين العفو والمؤاخذه مع تعلق حقوقهم به وجعل قاتل نفسه في النار بأن حرم عليه الجنة لعظم حق نفسه على نفسه وقد ورد أن حق الله أحق أن يقضى من حق الغير فجعل كذلك حق النفس وفيه علم السبب الذي لأجله رتب هذه الحقوق هكذا وجعل لها هذه الحدود الإلهية وفيه علم صفة عذاب من يستر الحق عن أهله إذا توجه عليه كشفه لهم بالإيجاب الإلهي وفيه علم من عدل عن الحق بعد إقامة البينة عليه المقطوع بما الذي عدل به عن الحق وما حكمه في هذا العدول عند الله وفيه علم عذاب أهل الحجب هل عذابهم بحجائهم أو بأمر آخر وفيه علم الجمع للتعريف بالأعمال المنسية عندهم وغير المنسية ومن يتولى ذلك من الأسماء الإلهية وفيه علم تعلق علم الله الذي لا تدركه الأكوان بما في العالم بطريق

المشاهدة والمجالسة ثم تأخير التعريف بما كان من الأكوان من الأعمال إلى زمان مخصوص معين عند الله وفيه علم النجوى الأخرى والديناوية وفيه علم آداب المناجاة بين المتناجين وبماذا يبدأ من يناجي ربه أو أحداً من أهل الله وفيه علم اتساع مجالس الذاكرين الله لكون الله جليسهم من الاسم الواسع وفيه علم مراتب الإيمان من العلم وأي الدرجات أرفع وفيه علم المفلسين وما الذي أفلسهم مع ما عندهم من الموجود وفيه علم رجوع الله على العبد متى رجع هل يختلف أو لا يختلف ولماذا يرجع ذلك الاختلاف إن كان مختلفاً هل للراجع أو لحال المرجوع إليه وفيه علم ما ينتجه التولي عن الذكر من الغضب الإلهي وفيه علم ما يغني وما لا يغني وفيه تفرق الأحزاب من أي حقيقة تفرقوا من الحقائق الإلهية وفيه علم الوجوب الإلهي بماذا تعلق وفيه علم من ترك أحباه لماذا تركهم وما حليتهم وصفتهم وفيه علم البقاء والفوز والنجاة وكل علم من هذه العلوم الإلهية من الاسم الله لا من غيره من الأسماء ولا تجد ذلك إلا في هذا المتزل خاصة فإنه متزل مخصوص بحكم الله دون سائر الأسماء مع مشاركة بعض الأسماء فيه فهذا بعض ما يحوي عليه هذا المتزل من العلوم عيناها لك أترفع الهمة منك إلى نيلها فتح مكاشفة من الله ثم نرجع إلى الكلام على بعض ما يحوي عليه هذا المتزل فنقول أن الله قال في كتابه أنه وضع الميزان ليظهر به إقامة العدل في العالم بصورة ظاهرة محسوسة ليرتفع النزاع بين المتنازعين لوجود الكفتين المماثلة للخصمين ولسان الميزان هو الحاكم فإلى أية جهة مال حكم لتلك الجهة بالحق وإن هو بقي في قبه من غير ميل إلى جهة إحدى الكفتين علم أن المتنازعين لكل واحد منهما حق فيما ينازع فيه فيقع له الإنصاف لما شهد له به حاكم لسان الميزان فارتفع الخصام والمنازعة والحاكم لا يكون خصماً أبداً فإن نوزع فما ينازعه إلا من عزله من الحكم أو من جهل أنه حاكم ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند نبي لا ينبغي تنازع أي لا يكون نزاع مع حضوره أو تمكن الوصول إلى حضوره فإذا فقد ظهر النزاع وادعى كل واحد من الخصماء أن الحق بيده فلو أن الله يفتح عين بصائر الخصماء لمشاهدة الحق ويعلمون أنه بالمرصاد وهو الحاكم ويده الميزان يرفع ويخفض لم يصح نزاع في العالم فدل وقوعه أن الكل في حجاب عن الحاكم صاحب الوزن والميزان فإذا رأيت من ينازع في العالم فتعلم أنه في حجاب عن الله فإن نازع أحدهما ولم ينازع الآخر بل سكت عنه فتعلم أن الساكت عنه إما صاحب شهود أو صاحب خلق فإن كان النزاع في تعدي حد إلهي فالمنازع في ذلك صاحب أدب إلهي أو متصور بصورة صاحب أدب إلهي وهو المرائي لكنه خير بالجملة فصاحب الأدب الإلهي ما هو منازع وإنما هو ترجمان منازع والمترجم عنهم هم

الأسماء الإلهية التي منها نشأ النزاع في العالم ومن أحلها وضع الميزان الشرعي في الدنيا والميزان الأصلي في الآخرة فإن المعز والمذل خصم والضار والنافع خصم والحبي والميت خصم والمعطي والمانع خصم وكل اسم له مقابل من الأسماء في الحكم والميزان الموضوع بين هذه الأسماء الاسم الحكم والميزان العدل في القضاء فينظر الحكم استعداد المحل فيحكم له بحسب استعداده فيجعله في حزب أحد الاسمين المتقابلين المتنازعين فإذا علمت وضع الموازين على اختلاف صورها في المعنى والحس كنت أنت عين الحاكم بها وصحت لك النيابة عن الله في كون الميزان بيدك تخفض وترفع غير أن الفارق بينك وبين الله في الوزن أن الله يرفع بالمشيئة ويخفض بالمشيئة وأنت لا أثر لشيئتك في الوزن وإنما تزن لمن ترى الحق بيده فأنت صاحب علامة تعرف صاحب الحق فتزن له والحق صاحب مشيئة وهنا سر يخفى عن بعض العارفين وهو أن المشيئة تعين بالميزان إذا رفعت أو خفضت إن استعداد المحل أعطى ذلك كما أن وجود الحق في نفس الأمر أعطى لصاحب العلامة أن يزن له لعلمه بأن الحق له كما علم الحق تعالى أن استعداد هذا المحل أعطاه الوزن له ولا أثر للمشيئة في الاستعداد بما هو استعداد وإنما أثرها في تعيين هذا المحل الخاص لهذا الاستعداد الخاص إذ يجوز أن يكون لغيره لا يجوز أن تزول حقيقة الاستعداد ولا أن تنقلب مثل ما نقول في علم الطبيعة أن الحرارة لا تنقلب برودة لكن الحار ينقلب بارداً من جهة كونه محلاً وعيناً لا من كونه حاراً ولا

بارداً فالاستعداد الذي هو كذا لا ينقلب للاستعداد الذي هو كذا وإنما المحل القابل لهذا الاستعداد المعين قابل لغيره من الاستعدادات فالمشيئة خصصته بهذا الاستعداد دون غيره ما خصصت الاستعداد فإني رأيت جماعة من أصحابنا غلطوا في هذه المسألة ورأوا أن المشيئة لا أثر لها في هذا المحل لما يعطيه استعداد ذلك المحل إذ لا أثر لها في الاستعداد والأمر على ما بيناه إن عقلت فمن مسائل هذا الباب أن ميزان الطبيعة نازع الميزان الإلهي الروحاني لما علمت أن ميزانها ما هو يجعل جاعل وذهل أن ظهور ميزانها في شيء معين إنما هو يجعل جاعل وهو الميزان الإلهي فلما نازعت الطبيعة بميزانها الميزان الإلهي الروحاني ونازعها الميزان الروحاني الإلهي وهو الأقوى وله الحكم وما وقع الخصام إلا من الطبيعة لأنها ما رضىت بذلك الميزان ولا بالوزن فارتفعت إلى الله تطلب منه أن يحكم بينها وبين الميزان الروحاني ويحكم بينها وبين الروح المتوجه عليها بالنكاح الروحاني النوري لظهور الأجسام الطبيعية والأرواح الجزئية الإنسانية وغير الإنسانية إذ كان كل جسم في العالم مقيداً بصورة روح إلهي يلازم تلك الصورة به تكون مسبحة لله فمن الأرواح ما تكون مدبرة لتلك الصورة لكون الصورة تقبل تدبير الأرواح وهي كل صورة تتصف بالحياة الظاهرة والموت فإن لم تتصف بالحياة الظاهرة والموت فروحها روح تسبيح لا روح تدبير فإذا ظهرت صورة طبيعية تقبل التدبير وظهرت لها نفس جزئية مدبرة لها كانت الصورة بمرتبة الأتني والروح المدبر لها بمرتبة الذكر فكانت الصورة له أهلاً وكان الروح لتلك الصورة بعلاً وهذه الأرواح الجزئية متفاضلة بالعلم بالأشياء فمنهم من له علم بأشياء كثيرة ومنهم من لا يعلم إلا القليل ولا أعلم بالله من أرواح الصور التي لاحظ لها في التدبير لكون الصورة لا تقبل ذلك وهي أرواح الجماد ودونهم في رتبة العلم بالله أرواح النبات ودونهم في العلم بالله أرواح الحيوان وكل واحد من هؤلاء الأصناف مفطور على العلم بالله والمعرفة به ولهذا ما لهم هم إلا التسبيح بحمده تعالى ودون هؤلاء في العلم بالله أرواح الأنس وأما الملائكة فهم والجمادات مفطورون على العلم بالله لا عقول لهم ولا شهوة والحيوان مفطور على العلم بالله وعلى الشهوة والأنس والجن مفطورون على الشهوة والمعارف من حيث صورهم لا من حيث أرواحهم وجعل الله لهم العقل ليردوا به الشهوة إلى الميزان الشرعي ويدفع عنهم به منازعة الشهوة في غير المحل المشروع لها لم يوجد الله لهم العقل لاقتناء العلوم والذي أعطاهم الله لاقتناء العلوم إنما هي القوة المفكرة فلذلك لم تفطر أرواحهم على المعارف كما فطرت

أرواح الملائكة وما عدا الثقلين ولما تفاضلت مراتب الإنس في العلم بالأشياء أراد بعض الأرواح أن يلحق حكم الصورة التي هو مدير لها بحكم الطبيعة التي وجدت عنها تلك الصورة وتترها مترتها في الحكم وهي لا تزل مترتها أبداً فقال له المعلم هذا الذي رمته محال فإن الصورة لا تفعل فعل الطبيعة فإنها منفعة عنها أين رتبة الفاعل من المنفعل ألا ترى النفس الكلية التي هي أهل للعقل الأول ولما زوج الله بينهما لظهور العالم كان أول مولود ظهر عن النفس الكلية الطبيعية فلم تقو الطبيعة أن تفعل فعل النفس الكلية في الأشياء لأن الجزء ما له حكم الكل والكل له حكم الجزء لأنه بما يحمله من الأجزاء كان كلاً فلما عجز هذا الروح الجاهل عن إلحاق الصورة بالطبيعة التي هي أم له قال لعل ذلك لعجز وقصوري عن إدراك العلم في ذلك فيعود في طلب ذلك من الله إلى الله فطلب من الله أن ينفع عن الصورة ما ينفع عن الطبيعة فوجد القوابل التي تؤثر فيها الصورة غير قابلة لما تقبله الصور التي لها قبول أثر الطبيعة والحق سبحانه لا يعطي الأشياء كما تقدم إلا بحسب استعداد المعطي إياه إذ لا يقبل ما لا يعطيه استعداده فلما تبين لهذا الروح خطؤه من صوابه وعلم أنه نفخ في غير ضرم طلب الوقوف مع صورته بحسب ما يعطيه استعدادها فقبل الوصول إلى إبراز ما يلقي منه إلى الصور لإظهار عين ما من أعيان الممكنات المعنوية والحسية أو الخيالية ظهر له في فتوح المكاشفة بالحق لا في فتوح الحلاوة ولا في فتوح العبارة ثلاث مراتب مرتبة الحرية وقد تقدم بإيها وهي التي تخرجه عن رق الأكوان لأنه كان قد استرقه هذا الطلب الذي كان عن جهله بالأمر وكان الله أعلم بذلك أنه لا يقع ولا علم له بما في علم الله ولا بما هو الأمر عليه فإن اتصف بهذا المقام وظهر بهذه الحال مكنه الله من مراده ووهبه قوة الإيجاد وإن عجز عن الاتصاف بهذا المقام فهو بحاله أعجز فإن الحال موهبة إلهية والمقام مكتسب فعدل عند ذلك إلى المرتبة الثانية وهي على الترتيب في الحكم والشهود.

فقام له الحق في التجلي الصمداني فإن قدر على النظر إليه فيه وثبت لتجليه ولم يك جلياً فيصير دكاً ولا موسوياً فيصعق كان له ما طلب من الله من الانفعال عن صورته ما يعطيه استعدادها إذا أمكنه الله من الحكم فيها فإن كان موسوياً أو جلياً لم يثبت لذلك التجلي المفني من يطلب باستعداده الفناء والمهلك من يطلب باستعداده الهلاك قامت له مرتبة إمساك الحياة على العالم القابل للموت فوجده في رتب على عدد درجات التجلي الصمداني فإنه موت أو إمساك حياة فإن اعتنى الله به وأعطاه القوة على ذلك تصرف في صورته كيف شاء وإن لم يعط القوة على ذلك وعجز فإن كان عجزه عن شهود إلهي أعطاه التصرف في صورته وإن كان عجزه من خلف حجاب نفسه منع من التصرف إذ ليست له قوة إلهية يتصرف بها فهذا قد ذكرنا من ذوق رجال هذا المتزل في هذا المتزل ما بيناه ويطول الشرح لما يحمله كل متزل.

وهذا متزل ليس في المنازل له شبيه ولا مقاوم وهو من أقوى المنازل منه يقع الإخلاص للنطق بالحكمة بعد الأربعين لمن أخلص من عباد الله والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السابع والعشرون وثلاثمائة في معرفة منزل المد والنصيف

من الحضرة المحمدية

أنتى عليها الله في تنزيله

فمشرع المسنون من تأويله

الابتداع شريعة مرعية

هذا بغير حقيقة قدسها

اعلم أيديك الله أن من علوم هذا المنزل علم المفاضلة والمفاضلة تكون على ضروب مفاضلة بالعلم ومفاضلة بالعمل والمفاضلة بالعلم قد تقع بفضل المعلومات وقد تكون بطريق الوصول إلى المعلوم فواحد يأخذ علمه عن الله وآخر يأخذ علمه عن كون من الأكوان والذي يأخذ علمه عن الله يتفاضل فمنهم من يأخذ عن سبب كالمتمقي بتقواه ومنهم من يأخذ عن الله لا عند سبب ومن الأسباب الدعاء في الزيادة من العلم والمفاضلة في المعلوم فعلم يتعلق بالأفعال وآخر بالأسماء وآخر بالذات فبين العلماء من الفصل ما بين متعلقات هذه العلوم والكل علم إلهي وكذلك المفاضلة بالأعمال قد تكون بأعيانها وبالأزمان وبالمكان وبالحال فتقدر في كل شيء بحسب ما تعطيه حقيقة ما وقع فيه التفاضل فثم من يكون التقدير فيه بالمكيال والميزان إذا كان إنفاقاً أو وقع التشبيه فيه بالإنفاق كالعقل لما قسمه الله بين الناس بمكيال فجعل لواحد قفيزاً ولآخر قفيزين وقد يكون التقدير فيه بالمراتب والدرجات والذي يحصر لك باب المفاضلة إنما هو العدد وبماذا يقع ما هو فيقال بحسب ما يريد الواضع أو المخبر به يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والنفقة بعد الهجرة لا يبلغ أجرها أجر النفقة قبل الهجرة في أهل مكة ولا في كل موضع يكون العبد مخاطباً فيه بالهجرة منه إلى غيره فيعمل فيه خيراً وهو فيه مستوطن ثم يعمل خيراً بعد هجرته فهذا الخير يتفاضل بقدر المشقة واعلم أن هذا المنزل يتضمن علوماً شتى أو ماناً إلى تسميتها في آخره لتعرف فتطلب وهذا المنزل من منازل التنزيه الذي ذكرناه في أول هذا الكتاب عند ذكرنا منزل المنازل وهو تنزيه نصف العالم ونصف محل وجود أعيان العالم من مقام العزة الحاكمة على الكل بالقهر والعجز عن بلوغ الغاية فيما قصدوه من الثناء على الله مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أحصي ثناء عليك ما قال ذلك حتى عجز عن بلوغ الغاية التي في نفسه طلبها فلم تف الجوارح بذلك ولا ما عندنا من الأسماء الإلهية فإنه ما يثني عليه عز وجل إلا بأسمائه الحسنى ولا يعلم منها إلا ما أظهر ولا يثني عليه إلا بالكلام بتلك الأسماء وهو الذكر ولا يكون إلا منه لا بالوضع منا فإنه لا يجوز عندنا أن نسمى إلا بما سمى به نفسه فلا يثني عليه إلا بما أثنى على نفسه إلا القاضي أبو بكر بن الطيب فإنه ذهب إلى جواز تسميته بكل اسم لا يوهم صفة الحدوث فالعالم كله تحت قهره وفي قبضته يحى بشهوده وتجليه إذا شاء أو لمن شاء ويميته باحتجابه وستره إذا شاء أو في حق من شاء ولكن ما لم يتجل لشخص تجلياً يعلم أنه هو غير مقيد فإذا تجلى في مثل هذا فلا حجاب بعد هذا التجلي فله الحياة الذاتية بشهوده فلا يموت أبداً موت الحجاب والستر فإن لم يتجل له وهو متجل أبداً ولكن لا يعرف فالمحجوب بجعله به ميت فإن حياة العلم يقابلها موت الجهل وبالنور يقع حصوله كما بالظلمة يكون الجهل في حكمه قال تعالى أو من كان ميتاً فأحييناه فقد وصفه بالموت ثم بالحياة لمن أحياه ثم قال وجعلنا له نوراً به يشهده فليس مثله كمن مثله في الظلمات وإن كان حياً وهو الحي يعلم الغيب في الغيب الذي يحكم عليه به الاسم الباطن فغن لم يكن حياً يعلم فتلك الظلمة المحضة والعدم الخالص والله سبحانه الاقتدار على كل ما ذكرناه أخبرني الوارد والشاهد يشهد له بصدقه مني بعد أن جعلني في ذلك على بينة من ربي بشهودي إياه لما ألقاه من الوجود في قلبي أن اختصاص البسملة في أول السورة بتوحيج الرحمة الإلهية في منشور تلك السورة إنما تنال كل مذكور فيها فإنها علامة الله على كل سورة إنما منه كعلامة السلطان على مناشيره فقلت للوارد فسورة التوبة عندكم فقال هي والأنفال سورة واحدة قسمها الحق على فصلين فإن فصلها وحكم بالفصل فقد سماها التوبة أي سورة الرجعة الإلهية بالرحمة على

من غضب عليه من العباد فما هو غضب أبد لكنه غضب أمد والله هو التواب فما قرن بالتواب إلا الرحيم ليؤل المغضوب عليه إلى الرحمة أو الحكيم لضرب المدة في الغضب وحكمها فيه إلى أجل فيرجع عليه بعد انقضاء المدة بالرحمة فانظر إلى الاسم الذي نعت به التواب تجد حكمه كما ذكرناه والقرآن جامع لذكر من رضي عنه وغضب عليه وتويع منازل به الرحمن الرحيم والحكم للتويع فإن به يقع القبول وبه يعلم أنه من عند الله هذا إخبار

الوارد لنا ونحن نشهد ونسمع ونعقل لله الحمد والمنة على ذلك و والله ما قلت ولا حكمت إلا عن نفث في روع من روح إلهي قدسي علمه الباطن حين احتجب عن الظاهر للفرق بين الولاية والرسالة والولاية لها الأولوية ثم تنصحب وتثبت ولا تزول ومن درجاتها النبوة والرسالة فينا لها بعض الناس ويصلون إليها وبعض الناس لا يصل إليها وأما اليوم فلا يصل إلى درجة النبوة نبوة التشريع أحد لأن باهما مغلق والولاية لا ترتفع دنيا ولا آخرة فالولاية حكم الأول والآخرة والظاهر والباطن بنبوة عامة وخاصة وبغير نبوة ومن أسمائه الولي وليس من أسمائه نبي ولا رسول فلهذا انقطعت النبوة والرسالة لأنه لا مستند لها في الأسماء الإلهية ولم تنقطع الولاية فإن الاسم الولي يحفظها ثم إن الله تعالى قدر الأشياء علماً ثم أوجدها حكماً وجعلها طرفين وواسطة جامعة للطرفين لها وجه إلى كل طرف في تلك الواسطة البرزخية إنشاء الإنسان الكامل فجمع بين التقدير وهو العام وبين الإيجاد وهو خاص مثل قوله فينفخ فيه فيكون طائراً بإذني فهو أحسن الخالقين تقديراً وإيجاداً وهذه مسألة غير مجمع عليها من أهل النظر فإنه من لا يرى الفعل إلا الله ثم يفرق بين الحق والخلق بأن يجعل للخلق وجوداً في عينه وللحق وجوداً في عينه لم يقل أحسن الخالقين إلا تقديراً لا إيجاداً ومن أهل الله من يرى ذلك ولكن لا يرى أن في الوجود إلا الله وأحكام أعيان الممكنات في عين وجوده وهذا هو النظر التام الذي لا ينال بالفكر ولكن ينال بالشهود وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه عرف ربه فمن عرف نفسه إنه لم تزل عينه في إمكانها عرف ربه بأنه الموجود في الوجود ومن عرف أن التغيرات الظاهرة في الوجود هي أحكام استعدادات الممكنات عرف ربه بأنه عين مظهرها والناس بل العلماء على مراتب في ذلك فلما أوجد العالم طرفين وواسطة جعل الطرف الواحد كالنقطة من الدائرة وجعل الطرف الآخر كالحيط للدائرة وإنشاء العالم بين هذين الطرفين في مراتب ودوائر فسمي المحيط عرشاً والنقطة أرضاً وما بينهما دوائر أركان وأفلاك جعلها محلاً لأشخاص أنواع أجناس ما خلق من العالم وتجلي سبحانه تجلياً عاماً إحاطياً وتجلي تجلياً خاصاً شخصياً فالتجلي العام تجل رحمني وهو قوله تعالى الرحمن على العرش استوى والتجلي الخاص هو ما لكل شخص شخص من العلم بالله وبهذا التجلي يكون الدخول والخروج والتزول والصعود والحركة والسكون والاجتماع والافتراق والتجاوز ومن يكون بحيث محله وميز العالم بعضه عن بعضه بالمكان والمكانة والصورة والعرض فما ميزه إلا به فهو عين ما تميز وعين ما تميز به فهو مع كل موجود حيث كان بالصورة الظاهرة المنسوبة لذلك الموجود يعلم ذلك كله العلماء بالله من طريق الشهود والوجود فمما ميز الغيب من الشهادة فجعل الشهادة عين تجليه وجعل الغيب عين الحجاب عليه فهو شهادة للحجاب لا للمحجوب فمن كان حجاب عيني صورته والحجاب يشهد ما وراءه فالصورة من الكون تشهده والمحجوب بصورته عن وجود الحق محجوب فهو من حيث صورته عارف بربه مسبح بحمده ومن حيث ما هو غير صورة أو من خلف الصورة محجوب إما بالصورة أو بشهود نفسه فإن رزقه الله شهود نفسه فقد عرفها فيعرف ربه بلا شك فيكون من أهل الصدور الذين أعماهم الله بشهوده عن شهودهم كما قال ولكن تعمى القلوب وهي أعيان البصائر التي في الصدور أي في الرجوع بعد الورود فهو ثناء فإنه لا يصدر إلا بما شاهد في الورود للقوة الإلهية التي أعطاه الله إياها فمن جمع بين العلمين وظهر بالصورتين فهو من أهل العلم بالغيب والشهادة وهو بكل شيء

ومن هذا المنزل حكم الاسم الإلهي الوارث وهم حكم عجيب لأنه ينفذ في السموات وفي الأرض ونفوذ في ذلك دليل على خراب السموات والأرض وهو قوله يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات فكما كان في أول الخلق أن الأرض خلقت قبل السماء كما قدمناه في ترتيب وجود خلق العالم كذلك لما وقع التبديل ابتداءً بالأرض قبل السموات فوقف الخلق على الجسر دون الظلمة وبدل الأرض غير الأرض لا في الصفة فلو كان في الصفة ما ذكر العين ولا يكون وارث إلا من مالك متقدم يكون ذلك الموروث في ملكه فيموت عنه فيأخذه الوارث بحكم الوارث وقد أخبر الله أن له ميراث السموات والأرض فلا يرثها إلا الاسم الوارث لا يكون غير هذا ولو لم يكن لها مالك إلا المتصرف فيها وهي الأسماء الإلهية التي لها التصرف فإذا انقضت مجتها بالحكم فيها ما دامت على هذه الصورة والنظم الخاص وكانت المدبرة لها فما زال تدبيرها وانقضى حكمها الخاص لانقضاء أمد مدة القبول لذلك سمي هذا الزوال موتاً وصارت هذه الأعيان ورثاً فتولاها الاسم الوارث فأزال حكم ما كانت عليه فبدل الأرض غير الأرض والسموات حتى لا تعرف الأرض ولا السماء موجداً لها إلا هذا الاسم ولو بقي عين الأرض والسماء لتقسمت وذكر من كانت ملكاً له من الأسماء قبل هذا فربما حنت إليه والأسماء الإلهية لها غيرة لأن المسمى بها وصف نفسه بالغيرة فتعلق حكمها بالأسماء لتعلقها بالمسمى والغيرة مأخوذة من شهود الأغيار وكل اسم إلهي يريد الحكم له وانفراد المحكوم عليه إليه لا يلتفت إلى غيره فبدل الأرض والسماء في العين فلم تعرف هذه الأرض ولا السماء إلا هذا الاسم الوارث خاصة فزالت الشركة في العبادة وظهر التوحيد وحكم المال الموروث ما هو مثل حكم الملك الأصلي فإن حكم الوارث حكم الوهاب وحكم المالك الأصلي الموروث عنه حكم الكاسب فتختلف الأذواق فيختلف الحكم فيختلف التصريف فالكاسب حاله يتزل بقدر ما يشاء لأنه في موطن تكليف وانتظار سؤال وحساب ومؤاخذه فهو حفيظ لهذه المراتب التي لا بد منها وحكم الوارث يعطى بغير حساب ويتزل بلا مقدار لأن الآخرة لا ينتهي أمدتها فتكون الأشياء فيها تجري إلى أجل مسمى فيتزل بقدر ما يشاء لأجل ذلك الأجل والدنيا لأمر فيها تجري إلى أجل مسمى وينقضي أمدتها فيتزل فيها مالها بقدر معلوم مساو لمدة الأجل فلو أعطي بغير حساب لزاد على الأمد أو نقص فتبطل الحكمة فحكم الوارث حكم الوهاب وحكم المالك الموروث عنه حكم المقدر المقيت ألا تسمع إلى قوله في خلق هذه الأرض الأولى وقدر فيها أقواتها فجعلها ذات مقدار فلن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وإذا استكملت رزقها ذهب حكم الرزاق منها من كونه رازقاً في هذه المدة الخاصة وبقي الرزاق ينظر إلى حكم الوارث ما يقول له فيقول الوارث له أرزق بغير قدر ولا انتهاء مدة ألا ترى أن الله قال للقلم اكتب في اللوح علمي في خلقي إلى يوم القيامة فضرب له الأمد لانقضاء مدة الدنيا وتناهيها ولا يصح أن يكتب علمه في خلقه في الآخرة لأنه لا ينتهي أمدها وما لا ينتهي لا يحويه الوجود والكتابة وجود فلا يصح أن يحصرها لانفصاله فإنه انتهاء ما لا ينتهي وهذا خلف فيرجع حكم الأسماء التي كانت تحكم على الأشياء في الدنيا تحكم فيها في الآخرة بحسب ما يرسم لها الاسم الوارث فمن حاز معرفة الأسماء الإلهية فقد حاز المعرفة بالله على أكمل الوجوه وهذا المنزل يتضمن علوماً جمة منها علم تنزيه العالم العلوي بما هو محصور في أين وتنزيه أين العالم السفلي ومحله لا تنزيهه وعلم الترتيب والمنازل والمرتبات التي لا يمكن أن يوصل إليها ذوقاً ولا حالاً وعلم أصناف الحياة وضروب الموت المعنوي والحسي ومن يقبل ذلك ممن لا يقبله وعلم الأضداد هل يجمعها عين فتكون الأضداد عيناً واحدة أو هي الأحكام لعين واحدة تطلبها النسب وعلم حكم الزمان في الإيجاد الإلهي هل حكمه في ذلك لذاته أعني لذات الزمان أو هو بتولية يمكن عزله عنها ومن هنا يعلم الاسم الإلهي الدهر وعلم الأموات التي توجب المهلة وعدم المهلة

فيحكم على الحق في الأشياء بحسب الأداة فيقدم إن اقتضت الأداة التقديم ويؤخر إن اقتضت الأداة التأخير وعلم الملك بطريق الإحاطة وعلم النكاح الذي يكون عنه التوالد من النكاح الذي لمجرد الشهوة من غير توالد وعلم مشاهدة الحق إيانا بماذا يشهدنا هل بذاته أو بصفة تقوم

به وعلم ما يظهر من الغيب للشهادة وما لا يظهر وعلم رجوع الشهادة إلى الغيب بعدما كان شهادة بحيث أن لا يبقى في الخيال مثال منه فيمن من شأنه أن يتخيل وعلم النور المتزل في ظلمة الطبيعة هل يبقى على صفائه أو يؤثر فيه ظلام الطبيعة فيكون كالسدفة وعلم الإيمان بالمجموع هل يقبل الإيمان الزيادة أو النقص أو لا يقبل وعلم المفاضلة على اختلافها وكثرتها وعلم الربا الحمدود المشروط في المعاملة وما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن الله لينهاكم عن الربا ويأخذ منكم فاعلم أنه لا يأخذ منا ويعطينا إياه ويجوز اشتراطه في معاملة الحق دون الخلق في زمان مخصوص وعلم من ينسب إليه المشي من غير أن يكون موصوفاً بأن له المشي وعلم نطق من ليس من شأنه في رتبة الحس أنه يتكلم وعلم رد الأعمال على العاملين وعلم البرزخ الذي بين الرحمة والغضب الإلهي فلا يكون لواحد حكم يستقل به في الموجود ما حكم ذلك البرزخ وهل له عين موجودة في نفس الأمر أو هو نسبة لها وجهان في الحكم وعلم ما الذي قعد بالثقلين عن النهوض إلى ما فيه سعادتهم بعد إبانة الله طريق السعادة على ألسنة المخبرين عن الله وعلم الموطن الذي يقوم البديل فيها في الحكم مقام المبدل منه من الموطن الذي لا يقبل ذلك مع كونه يقبل التبديل لذاته وعلم المدد ولماذا يرجع عددها المحكوم عليها به هل لعين المدة فيقبل العدد كالأشخاص في النوع الواحد أو هل تختلف المدد لذواتها وعلم ما يحصل من الأثر فيمن هو تحت حكم المدة من قصرها وطولها وعلم اختلاف الأحكام على الأعيان هل تختلف باختلاف استعداد الأعيان باختلاف الأوقات أو هل تختلف باختلاف الأسماء الحاكمة وعلم مراتب العبيد من الأحرار وما لكل واحد من الصنفين من الله وعلم الفرق بين الصديقية والشهادة ومن أي مقام نال السر أبو بكر الذي فضل به غيره وعلم مراتب النار ولماذا تنوعت الأسماء عليها وما لكل اسم من الأصناف الذين يدخلونها وعلم الفرقان بين الناشئين والحياتين وعلم السبب الذي ثبط قوماً وأسرع بآخرين والفرق بين السرعة والسبق وعلم الموطن الذي يقوم به الواحد مقام الكثير وعلم القضاء السابق على الحكم الواقع بالسورة وعلم اتصاف الحق باليسر دون العسر وما هو الأصعب عنده من الأهون إذ كان هو الفاعل للأمرين وعلم مقام إزالة العبد من حكم الصفتين المتقابلتين فلا وصف له كأبي يزيد وعلم ما يؤدي شهوده إلى أن لا يحب الشيء نفسه الذي من شأنه أن يتصف بالحب وعلم المنع الإلهي لما يرجع وعلم المنافع والمضار المحسوسة والمعنوية وعلم الرسالة والرسول وعلم الاختراع والتدبير وعلم من له من كل شيء زوجان وعلم العناية الإلهية هل حكمها في الفرع مثل حكمها في الأصل أم لا فهذا حصر ما يتضمنه هذا المتزل من العلوم وفي كل علم علوم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الثامن والعشرون وثلاثمائة في معرفة منزل ذهاب المركبات

عند السبك إلى البسائط وهو من الحضرة المحمدية

هذا المتزل يعصم الدخول فيه من الموت ما دمت فيه وهو متزل عجيب

في جنة الخلد من نعمي وإحسان

إن المقرب ذو روح وريحان

من هذا المتزل تكون الوقائع للفقراء وهي المبشرات والرؤيا الصادقة ما هي بأضغاث أحلام وهي جزء من أجزاء النبوة ومن هذا المتزل يحصل للمكاشف كشف الميزان الذي بيد الحق الذي يخفض به ويرفع اعلم أن التحليل إذا ورد على المركبات أذهب عين الصورة ولم يذهب عين الجوهر وجعله الله مثلاً للعارفين بالله فيما يظهر من تركيب أعيان الممكنات بعين الحق فيظهر في عين الحق ما يظهر من الصور فإذا رفعت التناسب بين الحق والخلق ذهبت أعيان تلك الصور وبقيت أعيان الممكنات وعين الحق من حيث ما هو موصوف بالغنى عن العالمين فلم تذهب الأعيان لذهاب الصور الظاهرة للحس واعلم أن الصور الظاهرة من الحق على ثلاث مراتب فغن للحق في العالم ثلاثة أوجه إذ وصف نفسه بأن له يدين قبض بما على العالم وأظهر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في الكتابين اللذين خرج بهما على أصحابه في الواحد أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائريهم وفي الآخر أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائريهم ولم يخرج لأهل الله وخاصته كتاباً ثالثاً فإن كتابهم القرآن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل القرآن هم أهل الله وخاصته ومثله ما بين اليدين فلهم القلب والصدر الذي هو محله وحضرته وذلك هو مقام أهل القرية الذين هم خصوص في السعداء أورثهم ذلك المسابقة إلى الخيرات على طريق الاقتصاد من إعطاء كل ذي حق حقه فانقسم العالم لانقسام الوجوه على ثلاثة أقسام لكل يد قسم صنف خاص ولما بينهما صنف خاص ولأصناف الأيدي مرتبة العظمة والهيبة فأما اليد الواحدة فالصنف المنسوب إليها عظيم الشأن في نفسه عظمة ذاتية له والصنف الآخر عظيم المرتبة ليست عظمتة ذاتية فيعظم لرتبته لا لنفسه كأصحاب المناصب في الدنيا إذ لم يكونوا أهل فضل في نفوسهم فيعظمون لمنصبهم فإذا عزلوا زال عنهم ذلك التعظيم الذي كان في قلوب الناس لهم فهذا الفرق بين الطائفتين فصنف من أهل الله يظهر في العالم بالله وصنف آخر يظهر في العالم لله والصنف الذي بين اليدين يظهر بالمجموع وزيادة فأما الزيادة فظهورهم بالذات التي جمعت اليدين وهم أصحاب الهولة الإلهية في أحوالهم التي سارعوا بها في موطن التكليف وأصحاب اليدين أصحاب الذراع والباع الإلهي لما ظهر في موطن التكليف عند تعيين الخطاب بالشير والذراع فوقعت المفاضلة ليقع التمييز في المرتبة فيقول صنف ما بين اليدين أنا من أهوى ومن أهوى أنا في مشاهدة دائمة لا تنقطع مراتبها وإن اختلفت أذواقها فإن الله له عرش لا يتجلى في هذه الصورة الدائمة إلا لأصحاب هذا العرش وهم أهل العرش وهم أهل الوجه ينظر بعضهم إلى بعض في هذا التجلي فيكسو بعضهم بعضاً من الأنوار التي هم عليها مع كونهم في حال التجلي والنظر وما ثم موطن يجمع بين تجلي الحق ورؤية الخلق من غير حضرة الخيال والمثال إلا موطن أصحاب الوجه أعطاهم ذلك قوة الخلق الذي أحلهم فيه الحق وهو محل المقامة وهو الذي ظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض إسرآته فعبّر عنه في حال تدليه إليه برفرف الدر والياقوت فانتقل في إسرآته من براق إلى رفر ففمن حصل في هذا المقام دامت مشاهدته ولم تغيبه عن نفسه ولا عن ملكه ويرى الكثرة في الواحد والتفرقة في الجمع وتقوم لهذا الصنف من الوجه صور حاملة لعلوم محمولة مما بينهم وبينها علاقة ومناسبة عملية ومما لا علاقة بينهم وبينها بل هي زيادة فضل الله لهم يرزقونها من عين المنة لا ينالون هذه العلوم إلا من تلك الصور المنبعثة من الوجه فلا يحجبهم الوجه عن رؤية الصور وما تحمله ولا تحجبهم الصور وما تحمله ولا ذوق تلك العلوم عن

الوجه وهذه الرتبة أعلى رتبة للسعداء ثم يفيضون على أصحاب الأيدي مما حصل لهم من تلك العلوم التي نالوها من تلك الصور فلا يأخذوها أصحاب الأيدي إلا بوساطة أصحاب الوجه كما أن أصحاب الوجه ما نالوها إلا من تلك الصور لم ينالوها من الوجه وسبب ذلك أن تلك العلوم مختلفة الأذواق والوجه ما فيه اختلاف فلا بد أن يظهر تميز تلك المراتب بوجود هذه الصور ليعلم تنوع المشارب فما كان من علاقة التنوع فلتنوع أحوالهم بالشير والذراع والسعي فتتنوع المشروب بالذراع والباع والهرولة وما تنوع من المشارب مما لا علاقة بينها وبينهم فليعلم أن ذلك من الاستعدادات التي هي عليها نشأتهم الذي هو غير الاستعداد العملي الذي كنى عنه بالمقدار من شر وذراع فالهبات الإلهية إنما اختلفت لهذا ولا يذهب شيء من هذا كله بعقولهم ولا ينقصهم من مراتب حظوظ حقائقهم شيئاً فينعمون بكل جارحة وكل حقيقة هم عليها في زمان واحد لا يحجبهم نعيمهم بشيء آخر ومن علم هذا علم صورة النشأة الآخرة وأنها على غير مثال كما كانت نشأة الدنيا على غير مثال وليس في هذا المقام لهذا الصنف أعجب من كونه إذا تجلت لهم صور الوجه يفنون العلوم في المشروبات وهم على حقائق يطلب كل شيء جاءوا به أن يختاروا به منها مع كونها لهم ولا بد لهم من نيلها وأعرفك بسبب ذلك أنهم لا يقع لهم الاختيار إلا في العلوم التي بينهم وبينها علاقة من تلك المشارب لا في علوم الوهب وذلك لأنهم في حال سلوكهم وإنشائهم للأعمال اختاروا بعض الأعمال على بعض فقدموها لما اقتضاه الزمان أو المكان أو الحال فإذا ظهر في هذا التجلي نتائج تلك الأعمال وقع الاختيار منهم في تقدم بعضها على بعض للتناول على صورة ما جرى في حال أعمالهم ألا ترى حكمة قوله في الآخرة أن لأهل السعادة ما تشتهي نفوسهم ولم يقل ما تريد نفوسهم والشهوة إرادة لكن لما لم يكن كل مراد يشتهي لم يكن كل إرادة شهوة فإن الإرادة تتعلق بما يلتذ به وبما لا يلتذ به ولا تتعلق الشهوة إلا بالملذوذ خاصة فأخذوا الأعمال بالإرادة والقصد وأخذوا النتائج بالشهوة فمن رزق الشهوة في حال العمل فالتذ بالعمل التذاده بنتيجته فقد عجل له نعيمه ومن رزق الإرادة في حال العمل من غير شهوة فهو صاحب مجاهدة نال النتيجة بشهوة وهي مرتبة دون الأولى ثم إن لهذا الصنف من الحق في هذه الحال صورة القهر والظفر بما من شأنه أن يمتنع فلا يمتنع لما يعلمه مما هو عليه من صفة الاقتدار على إنزاله أنتج له ذلك الأخذ بالشدائد وترك الرخص فهذا بعض أحوال أهل الوجه وأما الصنفان الآخران فللواحد منهم التكوين وللآخر التسليم فأما أهل التكوين من هذين الصنفين فتميزهم في أحوالهم ومكانهم من العالم العلوي إذا فارقوا هياكلهم بالموت وفتحت لهم أبواب السماء وعرج بأرواحهم إلى حيث أسكنوا عند السدرة المنتهى لا يرحون بها إلى يوم النشور لأنهم في جال أعمالهم بلغوا المنتهى في بذل وسعهم فيما كلفوا من الأعمال وماتوا نوابل بذلوا المجهود الذي لم يبق لهم مساعاً كل على قدر طاقته فلا فرق بين من يتصدق بمائة ألف دينار إذا لم يكن له غيرها وبين من يتصدق بفلس إذا لم يكن له غيره فاجتمع الاثنان في بذل الوسع ومن هناك جوزوا وجمعهم مكان واحد وهو سدرة المنتهى التي غشاها من نور الله ما غشي فلا يستطيع أحد أن ينعتها وقد تبين مثل هذا في قول الشارع سبق درهم ألفاً لأن صاحب الدرهم لم يكن له سواه فبذله لله ورجع إلى الله لأنه لم يكن له مستند يرجع إليه سواه وصاحب الألف أعطى بعض ما عنده وترك ما يرجع إليه فلم يرجع إلى الله فسبقه صاحب الدرهم إلى الله وهذا معقول فلو بذل صاحب الألف جميع ما عنده مثل صاحب الدرهم لسأواه في المقام فما اعتبر الشارع قدر العطاء وإنما اعتبر ما يرجع إليه المعطي بعد العطاء فهو لما رجع إليه فالراجعون إلى الله هم المفلسون من كل ما سوى الله وإن كان صاحب الجدة ممن يرى الحق في كل صورة فما يدرك رتبة من يراه في لا شيء فإنه يراه في ارتفاع النسب والإطلاق وعدم التقييد ولا شك أن الحق إذا تقييد للمتجلي له في صورة فإن الصورة تقييد الرائي وهو تعالى عند كل راء في صورة لا يدركها الآخر

فلا يدرك مطلق الوجود إلا المفلس الذي ذهب الصور عن شهوده كما قال في الظمان حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً فنفى شئيته المقصود ووجد الله عنده يعني عند لا شيء فإنه ليس كمثله شيء وهو غني عن العالمين فلا يدركه إلا من أفلسه الله من العالمين والمفلس من العالمين في غاية الغنى عن العالمين لما تقطعت به الأسباب رده الحق إليه فعلم لمن رجع وبماذا رجع بالإنفلاس لمن له الغنى عنه فعرف الحق حقاً فاتبعه فحق عينه عدم وشهود وحق ربه وجود وشهود قال صلى الله عليه وسلم صاحب الكشف الأتم أن أصحاب الجد محبوسون والمحبوس مقيد والمفلس ماله جد يقيده ولا يحبسه فهو مطلق عن هذا التقيد الذي لأصحاب الجد فهو أقرب إلى الصورة بالإطلاق من أصحاب الجد لتقيدهم فأصحاب الجد في رتبة من يرى الحق في الأشياء فيقيده بها ضرورة لأن المقام يحكم عليه

والمفلس محمدي لا مقام له فإنه قيل له ليس لك من الأمر شيء فأفلسه وليس الجد إلا لمن له الأمر فكل من له الأمر فهو صاحب جد لأن الأمر للتكوين فما أراحه كان فليس بمفلس ومن خرج عن حقيقته فقد زل عن طريقه فما للخلق وللتكوين أن قال أو أمر بحق فالتكوين للحق لا له كما قال فيمن له التكوين فيكون طائراً بإذني وفي آية أخرى فيكون طائراً بإذن الله فأعطاه وجرده فالبقاء على الأصل أولى وهو قوله لأكرم الناس عليه وأتمهم في الشهود وأعلاهم في الوجود ليس لك من الأمر شيء فأفلسه يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا فإن الله ينشئكم فيما لا تعلمون ولقد علمتم النشأة الأولى إنها كانت فيما لا يعلم أفلا تذكرون فأهل الله لا يرحون في موطن الإنفلاس فهم في كل نفس على بينة لا على لبس من علم جديد لم يكن عنده فإنه ينشئه دائماً فيما لا يعلم فليس بصاحب نظر وتدبير ولا روية إذ لا يكون النظر إلا في مواد وجودية وهي الحدود التي حبستهم عن العلم بالله فهم في لبس من خلق جديد وهم فيه وهم لا يشعرون فإذا دخلوا الجنة يوم القيامة فلا يتزلون منها إلا فيما عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وإذا لم يخطر على القلب وله مقام التقليل في الوجوه فما ظنك بالعقل الذي لا تقلب عنده جعلنا الله من هؤلاء المفلسين وحال بيننا وبين مقام أهل الجد المحبوسين ثم أن أصحاب التكوين الذين لهم القوة الإلهية في إيجاد الأعيان إذا شاهدوا نضد العالم وترتيبه وأنه ما بقي فيه خلاء يعمره تكوينهم علموا عند ذلك أن الله قد حال بينهم وبين إيجاد المعدوم وليس التكوين الحقيقي إلا ذلك فما حصل بأيديهم من التكوين إلا تغير الأحوال وهو الموجود في العامة فيكون قائماً فيقعد أو قاعداً فيقوم أو ساكناً فيتحرك أو متحركاً فيسكن ليس في قدرته غير ذلك فإن التكوين الذي هو إيجاد المعدوم ما بقي له مكان في العالم يظهر فيه فزالت الأمكنة بما عمرته من صور العالم وأعيانه من حيث جوهره وما زالت المحال التي يظهر فيها تغير الأحوال فليس لأصحاب التكوين إلا مراتب العوام إلا أن الفرق بينهم وبين العوام أن العامة لها التكوين في معتاد ول هؤلاء التكوين في غير معتاد ولكن هو معتاد لهم فهم بمنزلة العامة في عاداتهم وصاحب الوجود والشهود لا يبرح في ليس لك من الأمر شيء فإذا عاينوا أهل التكوين ما ذكرناه من عمارة الأمكنة ونضد العالم وأنه ما يقبل الزيادة ولا النقصان وأنه قد خلق في أكمل صورة وما بقي لهم تصريف إلا في المحال وإيجاد الهيات كالتجلي الإلهي في الصور انكسرت قلوبهم وعلموا عجزهم وأهم قاصرون مقيدون في التكوين فيطلبون الراحة من تعب التكوين فيأتيهم الخطاب الإلهي في أسرارهم بقوله ألم تر إلى ربك كيف مد الظل لوجود الراحة استراحوا عند هذا الخطاب في ظله الممدود وظل الشيء يخرج على صورة الشيء فجعل الله راحتهم بالعالم لا به والمفلس ما له راحة إلا به فإنه قد أفلسه من العالم فليس له راحة في الظل فلا حكم للعالم عليه ولا مزية فهو لله بالله فإذا أراد الله راحة هذا المفلس قبض الظل إليه قبضاً يسيراً فانكشف عن موضع استراحة هذا المفلس لأنه إذا قبض الظل إليه عمر النور المكان المقبوض منه هذا الظل وهو موضع راحة هذا المفلس فإنه

لحاجته كالمقروور يطلب الشمس لوجود الراحة له في النور فإذا استراح أهل التكوين في علم قوله ألم تر إلى ربك كيف مد الظل استراح المفلس من هذه الآية إلى قوله ألم تر إلى ربك في بدء أمره وفي نهايته إلى قوله ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً فما رأى في البداية والنهاية إلا ربه فهو الأول في شهوده والآخر في انتهاء وجوده وبقي أهل التكوين في علم مد الظل لا في كيفيته والمفلسون ما نظروا في الظل إلا من حيث خاطبهم الحق وهو قوله كيف مد الظل فوققوا مع الكيفية وهي إلهية فما وقفوا إلا مع الله لا مع الظل لأن الكيفية شهود الممد له لا شهود الممدود فجعلهم الحق لهذه المتزلة يفيضون على أهل التكوين من علوم الحياة ما تحيا به قلوبهم فإذا رأوا الإمداد يأتيهم نظروا من أي جهة أتاهم ذلك فأروه من جهة هؤلاء الكمل من رجال الله فعرفوا أن الله رجالاً فوقهم لهم القربة الإلهية بما سبق لهم عند الله فكانوا لهذه السابقة من السابقين المسارعين إلى الخيرات على طريق الاقتصاد وأعطوا كل ذي حق حقه كما أعطى الله كل شيء خلقه

فلهؤلاء العرش ولأهل التكوين الفرش فلهم الاستواء ولأهل التكوين الاتكاء ولهم التزول ولأهل التكوين الارتفاع والصعود ولهم حقائق أسماء التزيه ولأهل التكوين حقائق أسماء التشبيه إذ بها يغيرون الأحوال في المحال فهذا بعض ما هم عليه أهل يد التكوين وأصحاب الوجه الذين لهم ما بين اليدين وأما أهل التسليم فهم في جهد ومشقة في نار مجاهدة ورياضة لا يعرفون برد اليقين ولا حرارة الاشتياق إلى التعيين لأن الشوق لا يتعلق إلا بمعروف ولا يكون إلا لأصحاب الحروف الذين يعبدون الله على حرف لمعناه فإن أصابه خير اطمأن به أي بالحرف لأجل الخير الذي أصابه منه وهو خير مقيد معين عنده الذي لأجله لزم هذا الحرف دون غيره إذ الحروف كثيرة فهو كمن أسس بنيانه على شفا حرف هار فآثار به فهو على شفا لا على شفاء ولكن مع هذا فرحة الله شاملة ونعمته سابغة ولكل موجود في العالم وجهان باطن فيه الرحمة وظاهر من قبله العذاب كالسور بين الجنة والنار والعبد حاله بحسب الوجه الذي ينظر إليه من كل موجود لأن الحق وصف نفسه بالغضب والرضا والعالم على صورته فلا بد مما ذكرناه أن يكون العالم عليه فلا بد من القبضتين ولا بد من اليدين ولا بد من الدارين ولا بد من البرزخ بين كل اثنين ومن كل شيء خلقنا زوجين لأنه مخلوق عن صفتين إرادة وقول وهما اللذان يشهدهما كل مخلوق من الحق فإن العالم نتيجة والنتيجة لا تكون إلا عن مقدمتين وهذا هو التناسل الإلهي ولهذا أوجده على الصورة كوجود الابن على صورة الأب في كل جنس من من المخلوقات فالعالم من حيث أجزاؤه وتفصيله كالأعضاء للاسم الظاهر ومن حيث معانيه وتفصيل مراتبه كالقوى الروحانية الباطنة التي لا تعلم إلا بآثارها للاسم الباطن فقامت نشأة العالم على الظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم لا إله إلا هو العزيز الحكيم فهذا قد بينا في هذا المتزل ما تقتضيه الثلاثة الأوجه الإلهية والمراتب الثلاثة التي ظهر فيها التفاضل بين العالم فلندكر ما يتضمنه هذا المتزل من العلوم فأول ذلك علم المبشرات وعلم الميزان الإلهي الذي بيده للخفض والرفع الوارد حديثه في الخبر النبوي الذي أشهده الحق وفيه علم الحركات الطبيعية خاصة وفيه علم تحليل المركبات وفيه علم ما يبدو للمكاشف إذا شاهد الهباء الذي تسميه الحكماء الهبولى من صور العالم قبل ظهور أعيانها في الجسم الكل وفيه علم الفردية الأولى التي وقع فيها الإنتاج والتناسل الإلهي والروحاني والطبيعي والعنصري وهو علم عزيز وفيه علم الاقتدار الإلهي وفيمن ينفذ وفيمن لا ينفذ ولماذا لا ينفذ في بعض الممكنات وما المانع لذلك هل أحاله الجمع بين الضدين والأصل جامع بين الضدين بل هو عين الضدين وفيه علم التحسين والتقبيح وفيه علم النشاطين وفيه علم الحياة السارية في جميع الموجودات حتى نطقت مسبحة لله بحمده وفيه علم المواد الطبيعية المواد العنصرية وفيه علم المبدأ والمعاد وفيه علم الأصل الذي ترجع إليه هذه المواد وفيه علم الاسطقسات وفيه علم مراتب العلوم وفيه علم الكلمات الإلهية من حيث ما هي مؤلفة وفيه علم

الكتاب المسطور في الرق المنشور وفيه علم تنزيه الصحف ومترلتها من الكتب وما السفارة التي تحمله وفيه علم الفروق بالحدود في أي الأعيان يظهر وما الوجود إلا واحد فبماذا يتميز وعن أي شيء يتميز وما هو ثم وفيه علم التغذي بالعدم وفيه علم الفرق بين نسبة الحق في القرب في الأحياء وفيه نسبة قرب في الأموات وفيه علم الرجعة وفيه علم الثواب في كل صنف صنف أعني في تعيين ثولبهم والفرق بين أصحاب النور وأصحاب الأجور وكيف يكون العبد أجيراً لمن هو عبد له من غير أن يكون مكاتباً ولا مدبراً وفيه علم تنزيه العظمة الإلهية أن تقوم بالأكوان وفيه علم السبب الذي لو علمه من علمه لم يمت ما دام ذلك العلم مشهود له فهذه أمهات العلوم التي يحوي عليها هذا المتزل وفيها تفاصيل لا تتناهى والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب التاسع والعشرون وثلاثمائة في معرفة منزل علم الآلاء والفراغ إلى البلاء

وهو من الحضرة المحمدية

رب العباد وللرحمن قد وجدت

في محكم الذكر والإرسال قد شهدت

ولا ورب العلا نعماء ما جددت

إن العوالم بالرحمن أوجدها

وبالذي قلته الآيات قد نطقت

لولا التألم لم ينكره من أحد

قال النبي صلى الله عليه وسلم أن الله خلق آدم على صورته والعالم مخلوق بالإنسان على صورته فلو فقد منه الإنسان ما كان العالم على الصورة ولو فقد العالم وبقي الإنسان كان على الصورة وقال تعالى كل نفس ذائقة الموت وهو عزلها عن تدبير هذا الهيكل الطبيعي الذي كانت تدبره الدنيا في حال إقامتها فيها وأما قوله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام فلم يقل كل من فيها فان لأنه إذا كان فيها انحفظ بها وإذا كان عليها تجرد عنها فهذا يدل على أن التجلي الإلهي يعم جميع من عليها لأن الفناء لا يكون إلا عن تجل إلهي في غير صورة كونية لأن التجلي في صور المثل إذا عرف أنه عين الصورة اتصف المتجلي له بالخشوع لا بالفناء سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكسوف فقال صلى الله عليه وسلم ما تجلى الله لشيء إلا خشع له فلهذا قلنا بالخشوع لا بالفناء للمناسبة التي بين الحس والخيال ولهذا يسمى الخيال بالحس المشترك وإذا لم يعرف لم يورث خشوعاً يعرف به أنه هو ولكن لا بد أن يورث خشوعاً في المتجلي له ولكن لا يعرف المتجلي له أنه هو ولا سيما أهل الأفكار وهذا من علم الظهور والخفاء فظهر بلا شك أنه هو وخفي بالتقييد في ظهوره فلم يعلم أنه هو فإذا كان العارف الكامل المعرفة بالله في هذا النوع الإنساني يعلم أن عين الحق هو المنعوت بالوجود وأن أحكام أعيان العالم هي الظاهرة في هذا العين أو هو الظاهر بما عرف ما رأى فإن اقتضى الوطن الإقرار أقر به عندما يدعي أنه هو وإن اقتضى الوطن الإنكار سكت العارف فلم ينطق بإنكار ولا إقرار لعلمه بما أراده الحق في ذلك الوطن ولما كان التجلي الإلهي يغني من هو على الصورة عرفنا أن العين لا تذهب بل هو تجريد وخلع لا عزل عن تدبير ملك إذا كان الضمير في عليها يعود على الأرض فهو عزل عن تدبير إلهياً كل التي جعل الله إلهياً تدبيرها وهذا الظهور والخفاء للاسم الرب لا لغيره وإليه يرجع حكمه وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام فيظهر في هذا الحكم أعني الظهور والخفاء في موطنين ليتخذ صاحب الملك وكياً فيما هو له مالك فيكون له التصريف فيه والعبد مستريح في جميع أحواله من يقظة ونوم القسم

الآخر من هذا الحكم أن يكون له في أربعة مواطن في طول العالم وعرضه لوجود الأنعام عليه كما قال وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة فله هذان الحكمان في طول العالم ومثله في عرضه وطول العالم عالم الأرواح وعرضه عالم صور الأجسام وإنما قلنا صور الأجسام ولم نقل الأجسام بسبب الأجسام المتخيلة وإن كانت أجساماً حقيقية في حضرتها فليست أجساماً عند كل أحد لما يسرع إليها من التغيير ولأنها راجعة إلى عين الناظر لا إليها والأجسام الحقيقية هي أجسام لأنفسها لا لعين الناظر فسواء كان الناظر موجوداً أو غير موجود هي أجسام في نفسها والآخر أجسام لا في أنفسها كما قال يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى وهي أجسام في عينها لا حكم لها في السعي فظهرت في عين موسى بصورة الجسم الذي له سعي والأمر في نفسه ليس كذلك والقسم الثالث من هذا الحكم من الظهور والخفاء يظهر في سبعمائة موطن وعشرين موطناً وهو منتهى ما يقبل عالم الدنيا من الاقتدار الإلهي لا أن الاقتدار يقصر أو يعجز فهذا حكم القابل وكذا وقع الوجود ويجوز في النظر الفكري خلافة معرى عن علمه بما سبق في علم الله فما ثم إمكان إلا بالنظر المجرد إلى الأكوان معرفة من علم الله فيها فلا تعرف إلا بالوقوع فانحصرت مواطن الظهور والخفاء بين تجلي إلهي واستتار في سبعمائة موطن وستة وعشرين موطناً بأحكام مختلفة وبين كل موطنين من ظهور وخفاء يقع تجل برزخي في قوله الرحمن على العرش استوى ليحفظ هذا البرزخ وجود الطرفين فلا يرى كل طرف منها حكم الطرف الآخر والبرزخ له الحكم في الطرفين فيسحق الكثيف ويكشف السخيف وله في كل موطن حكم لا يظهر به في الموطن الآخر وهو ما يجري عليه أحكام عالم هذه الدار إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ومن حقيقة هذه المواطن ظهر العالم في الدنيا بصورة الظهور وهو ما أدركه الحس وبصورة الاستتار وهو ما لا يدركه الحس من المعاني وما استتر عن الأبصار من الملائكة والجن قال تعالى فلا أقسم بما تبصرون وهو ما ظهر لنا وما لا تبصرون وهو ما خفي عنا فالعالم بين الأبد والأزل برزخ به انفصل الأبد من الأزل

لولاه ما ظهر لهما حكم ولكان الأمر واحداً لا يتميز كالحال بين الماضي والمستقبل لولا الحال ما تميز العدم الماضي عن العدم المستقبل وهذا حكم البرزخ لا يرح دائماً في العالم وهو الرابط بين المقدمتين لولاه ما ظهر علم صحيح ثم إن الله سبحانه ولى الاسم الرحمن المملكة كلها وجعل الاسم الرب السادن الأول العام وأعطاه اقليد التكوين والتصريف والتزول والمعراج فهو يتلقى الركبان ويتزل بهم على الرحمن والرحمن على عرشه الأسمى يعلم مجموع كلمه في أي عين يظهر من العالم وهو الذي أشرنا إليه بقولنا

اسمه الرحمن لما عملوا

وهو العامل وهو العمل

وعليهم بعليه عولوا

فيه منهم إليه وصلوا

علم القرآن كيف ينزل

بالذي يعطيهم حكمته

فرجال الله قد ما سبقوا

فهم المطلوب لا غيرهم

فقوله الرحمن علم القرآن نصب القرآن ثم قال خلق الإنسان علمه البيان فيتزل عليه القرآن ليترجم منه بما علمه الحق من البيان الذي لم يقبله إلا هذا الإنسان فكان للقرآن علم التمييز فعلم أين محله الذي يتزل عليه من العالم فتزل على قلب محمد صلى الله عليه وسلم نزل به الروح الأمين ثم لا يزال يتزل على قلوب أمته إلى يوزم القيامة فتزوله في القلوب جديد لا يبلى فهو الوحي الدائم فللرسول صلوات الله عليه وسلامه الأولوية في ذلك والتبليغ إلى الأسماع من البشر والابتداء من البشر فصار القرآن برزخاً بين الحق والإنسان

وظهر في قلبه على صورة لم يظهر بها في لسانه فإن الله جعل لكل موطن حكماً لا يكون لغيره وظهر في القلب إحدى العين فجسده الخيال وقسمه فأخذ اللسان فصيره ذا حرف وصوت وقيد به سمع الآذان وأبان أنه مترجم عن الله لا عن الرحمن لما فيه من الرحمة والقهر والسلطان فقال فأجره حتى يسمع كلام الله فتلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه أصواتاً وحروفاً فأسمعها الأعراي بسمع أذنه في حال ترجمته فالكلام لله بلا شك والترجمة للمتكلم به كان من كان فلا يزال كلام الله من حين نزوله يتلى حروفاً وأصواتاً إلى أن يرفع من الصدور ويمحى من المصاحف فلا يبقى مترجم يقبل نزول القرآن عليه فلا يبقى الإنسان المخلوق على الصورة فإذا بقيت صورة جسم الإنسان مثل أجسام الحيوان وزالت الصورة الإلهية بالتجريد نفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلى يوم النشور وهو الظهور الذي لا ضد له فيقابلة الخفاء فمن معافى ومبتلي بحسب ما يحكم فيه من الأسماء إلى الأجل المسمى فتعم الرحمة التي وسعت كل شيء من الرحمن الذي استوى على العرش فتعم النعم العالم وتظهر أحكام الأسماء بالإضافات والمناسبات لا بالتقابل فيكون الأمر مثل قولهم حسنات الأبرار سيئات المقربين ونعيم الأدنى لو أعطى الأعلى بعد ذوقه النعيم الأعلى لتعذب بفقدته لا بوجود النعيم الأدنى لعدم الرضا به فهو عذاب مناسبة وإضافة لبقاء حكم الأسماء الإلهية دائماً رأيت صاحب منزلة علياء كسلطان أخرجه سلطان آخر من ملكه وولاه ملكاً دون ملكه يأمر فيه وينهى ولكن إذا أضفته إلى ما كان فيه أولاً وجدته ذا بلاء مع وجود المكانة من حيث ما هي ولاية تحكم بأمر ونهي ولكن يعلم أن هذه المنزلة بالنظر إلى الأولى عذاب في حق من يحضر الأولى في خاطره فهذا القدر يبقى في الآخرة من حكم الأسماء إذ يستحيل رفعها من الوجود إذ كان لها البقاء الإلهي ببقاء المسمى ثم اعلم أن الظهور الذي نحن بصددده ينقسم الظاهر فيه إلى قسمين قسم له ظهوره خاصة وليس له أمر يعتمد عليه ظهوره من جانب الحق وقسم آخر يكون له من جانب الحق أمر يعتمد عليه وليس ذلك إلا للإنسان الكامل خاصة فإن له الظهور والاعتماد لكون الصورة الإلهية تحفظه حيث كان وغير الإنسان الكامل له الظهور من إنسان وحيوان ونبات وأفلاك وأملاك وغير ذلك فهذا كله نعم أظهرها الحق لينعم بها الإنسان الكامل فلها الظهور ومالها الاعتماد لأنها مقصودة لغير أعيانها والإنسان الكامل مقصود لعينه لأنه ظاهر الصورة الإلهية وهو الظاهر والباطن فليس عين ما ظهر بغير عين ما بطن فافهم فهو الباقي ببقاء الله وما عداه فهو الباقي بإبقاء الله وحكم ما هو بالإبقاء يخالف حكم ما هو بالبقاء فما هو بالبقاء فله دوام العين وما هو بالإبقاء فله دوام الأمثال لا دوام العين حتى لا يزال المتنعم متنعماً تتوالى عليه دائمة مستمرة وما أنشأ الله من كل شيء زوجين إلا ليعرف الله العالم بفضل نشأة الإنسان الكامل ليعلم أن فضله ليس بالجعل فإن الذي هو الإنسان الكامل ظهر به ازدواج من لا يقبل لذاته الازدواج وما هو بالجعل فضمن الوجود الإنسان الكامل الظاهر بصورة الحق فصار للصورة بالصورة زوجين فخلق آدم على صورته فظهر في الوجود صورتان متماثلتان كصورة الناظر في المرأة ما هي عينه ولا هي غيره لكن حقيقة الجسم الصقيل مع النظر من الناظر أعطى ما ظهر من الصورة ولهذا تختلف باختلاف المرأة لا بالناظر فالحكم في الصورة الأكبر لحضرة المجلي لا للمتجلي كذلك الصورة الإنسانية في حضرة الإمكان لما قبلت الصورة الإلهية لم تظهر على حكم المتجلي من جميع الوجوه فحكم عليها حضرة المجلي وهي الإمكان بخلاف حكم حضرة الواجب الوجود لنفسه فظهر المقدار والشكل الذي لا يقبله الواجب وهو الناظر في هذه المرأة فهو من حيث حقائقه كلها هو هو ومن حيث مقداره وشكله ما هو هو وإنما هو من أثر حضرة الإمكان فيه الذي هو في المرأة تنوع شكلها في نفسها ومقدارها في الكبير والصغير ولما كان الظاهر بالصورة لا يكون إلا في حال نظر الناظر الذي هو المتجلي لذلك نسب الصورة إلى محل الظهور وإلى النظر فكانت الصورة الظاهرة برزخية

بين المحل والناظر ولكل واحد منهما أثر فيها يخرج منهما اللؤلؤ وهو ما كبر من الجوهر والمرجان وهو ما صغر منه وهو أثر الحضرة لا أثر الناظر فقال في زوجية ظهور الإنسان الكامل ليس كمثله شيء أي ليس مثل مثله شيء لأي من هو مثل له بوجوده على صورته لا يقبل المثل أو لا يقبل الموجود على الصورة الإلهية المثل فعلى الأول نفى المثلية عن الحق من جميع الوجوه لما أثر المحل المتجلي فيه في الصورة الكائنة من الشكل والمقدار الذي لا يقبله المتجلي من حيث ما هو عليه في ذاته وإن ظهر به فذلك حكم عين الممكن في وجوده وعلى الآخر نفى المثلية عن الصورة التي ظهرت فلم يماثلها شيء من العالم من جميع وجوه المماثلة فلما كان من الصورة زوجان كان بالجعل من كل شيء خلقنا زوجين لأن الأصل قبل الزوجية فظهر حكمها في الفرع ولكن حكمها في الأصل يخالف حكمها في الفرع وهذه مسألة واحدة من مسائل هذا المنزل فلنذكر ما يتضمن من العلوم كما ذكرنا لسائر منازل هذا الكتاب فمن ذلك علم مراتب الأسماء وعلم الفهم في القرآن وعلم نطق كل شيء ومراتبه في البيان عن نفسه وعلم العدد وعلم اشتراك العالم فيما يشترك فيه من الصفات والمراتب وعلم الفرق بين العوالم واختلاف أحكام العدل لاختلاف المواطن والإعصار فما هو حق في شرع عاد باطلاً في شرع آخر بالنسخ الطاري والإيمان بحقيقته واجب وبنسخه واجب وعلم العدول عن الحق وإلى الحق وما يتعلق بذلك من الدم والحمد وعلم المولدات التي هي الأمهات لماذا وضعت في العالم ولم تظهر أعيان الأشياء من غير أن يكون أبناء للأمهات وآباء وما تحمله الأمهات مما فيه صلاح الأبناء وعلم تقرير النعم الظاهرة والباطنة ولم تذهب بالكفر وتريد بالشكر وعلم نشأة الجن والإنس دون غيرهما من الحيوان وعلم الستر والتجلي الذي لأجله لم يكن في الإمكان أبدع من هذا العالم لعمومه جميع المراتب فلم يبق في الإمكان إلا أمثاله لا أزيد منه في الكمال الوجودي الحافظ للأصول وعلم الفواصل بين الأشياء وبين كل اثنين في المعقول والمحسوس كالخط الفاصل بين الظل والشمس لماذا ترجع هذه الفاصل هل لأمر زائد على أعيان المفسولين أم لا وعلم ما تحوي عليه حروف الوجود من المعاني وعلم الإعلام على ما هي أعلام وعلم الفناء والبقاء وعلم ما يفعله الحق مما يظهر في الحال لا غير وعلم إضافة ما يتره العقل إضافته عن الحق إلى الحق وعلم السراقد الإلهي وما فيه من الأبواب وما يفتح تلك الأبواب للذين يريدون الخروج منها ولماذا يخرجون وما يشهدون إذا خرجوا وما يخرجهم وعلم العقاب والعذاب ولماذا سمي عقاباً وعذاباً وعلم ما يؤول إليه محل الملاء الأعلى لا بل الملاء الأوسط وعلم الخرس والسكوت عن العالم وما سببه وعلم العلامات هل تقوم مقام الكلام والعبارة من المتكلم أم لا كالمعجزات والنطق المعلوم من قرائن الأحوال وإن لم يكن هناك عبارة بنظم حروف وإظهار كلمات وعلم ما تعطيه العلامات في الأشياء من الأحكام وعلم تردد الأشياء بين الأشياء وعلم نتائج المقامات والأحوال وعلم حكم الشفعية في العالم الأخراوي وعلم الأسباب الموصلة إلى الحكم من السبب إلى المسبب وعلم الأذواق والأفكار وعلم الالتذاذ بما يرد من الحق على الإنسان من طريق شفيعته أي من حيث شفع الصورة الإلهية لا من حيث ما شابه العالم وعلم من يمنع بتجليه النظر إلى غيره مع القدرة عليه فلا يكون في حال فناء وعلم مقام الأسرار من خلف حجاب الغيرة والصون الإلهي وعلم التشبيه والتمثيل وعلم المجازاة بالأمثال كالذهب بالذهب مفاضلة وهو في حكم الدنيا ربا وعلم المفاضلة وعلم بماذا تقع المفاضلة بين الأمثال وعلم الفرق بين البراقات والرفارف والأوكار في الأشجار وفي الإسرات وعلم مباسطة الحق في قبضه في مباسطته وما يحدث من الزيادة عند صاحب هذه الأحوال فهذا بعض ما يحتوي عليه هذا المنزل من أمهات العلوم التي يتفرع أبنائها بالتناسل إلى ما يتناهي مع الآنات والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الثلاثون وثلاثمائة في معرفة منزل القمر من الهلال من البدر

من الحضرة المحمدية

انظر إلى نوح وعاد واعتبر	في صالح وثم لوط وافكر
وقل لهم قول شفيق ناصح	ونادهم هل فيكم من مذكر
وليس في الكون وجود غيره	وليس في ليس وجود مستقر
فهو له ليس لنا وهو لنا	ليس له بوجه كون مستمر
أين الذي لاح لنا من صور	قد ذهب وأعقبتها من صور
لو ذهب في الغيب زال عينه	وكان مشهود العين وبصر
أو عدمت وما أرى من عدم	يقوم بالكون الكون له ظهر
وما بدا من عدم لكنه	من كون حق ظاهر لا يستسر

اعلم أيديك الله أن القمر مقام برزخي بين مسمى الهلال ومسمى البدر في حال زيادة النور ونقصه فسمى هلالاً لارتفاع الأصوات عند رؤيته في الطرفين ويسمى بدرًا في حال عموم النور لذاته في عين الرائي وما بقي للقمر متزل سوى ما بين هذين الحكيمين غير أن بدريته في استتاره عن إدراك الأبصار تحت شعاع الشمس الحائل بين الأبصار وبينه يسمى محققاً وهو من الوجه الذي يلي الشمس بدر كما هو في حال كونه عندنا بدرًا هو من الوجه الذي لا يظهر فيه الشمس محق وما بين هذين المقامين على قدر ما يظهر فيه من النور ينقص من الوجه الآخر وعلى قدر ما يستتر به من أحد الوجهين يظهر بالنور من الوجه الآخر وذلك لتعويج القوس الفلكي فلا يزال بدرًا دائماً ومحققاً دائماً وذلك لسر أراد الله إعلامه للعارفين بالله فضرب لهم هذا المثل بالفعل ليعتبروا فيه بالعبور إلى ما نصب له من معرفة الإنسان الكامل ومعرفة الله لوجوده على الصورة وتغير أحواله فيها لتغير المراتب التي يظهر فيها قال تعالى والقمر قدرناه منازل ولم يسمه بدرًا ولا هلالاً فإنه في هاتين الحالتين ماله سوى متزلة واحدة بل اثنتين فلا يصدق قوله منازل إلا في القمر فللقمر درج التداي والتدلي وله الأخذ بالزيادة والنقص في الدخول إلى حضرة الغيب والخروج إلى حضرة الشهادة ثم إن الله تعالى نعت بالانشقاق لظهور الإنسان الكامل بالصورة الإلهية فكان شقاً لها فظهورها في أمرين ظهور انشقاق القمر على فلقين ورد في الخبر عن صاحب أن القمر انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند سؤال طائفة من العرب أن يكون لهم آية على صدقه فانشق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للحاضرين اشهدوا وقال تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر فلا يدري هل أراد الانشقاق الذي وقع فيه السؤال وهو الظاهر من الآية فإنه أعقب الانشقاق بقوله وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذا وقع القول منهم لما رأوا ذلك ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للحاضرين اشهدوا لوقوع ما سألوكم وقوعه وما لهم إلا ما ظهر وهل هو ذلك الواقع في نفس الأمر أو في نظر الناظر هذا لا يلزم فإنه لا يرتفع الاحتمال إلا بقول المخبر إذا أخبر أنه في نفس الأمر كما ظهر في العين وقول المخبر هو محل النزاع وما اشترطوا سؤلهم أن لا يظهر منهم ما ظهر منهم من الاعتراض عند وقوع

ما سألوا وقوعه فلم يلزم النبي صلى الله عليه وسلم أكثر مما وقع فيه من السؤال ثم جاء الناس من الآفاق يخبرون بانشقاق القمر في تلك الليلة ولهذا قال الله تعالى عنهم أنهم قالوا فيه سحر مستمر فقال الله كل أمر مستقر كان ذلك الأمر ما كان فالقمر لولا ما هو برزخي المرتبة ما قبل الإهلال والإبدار والحق والسرار فالسحر المستمر داخل تحت حكم كل ذي أمر مستقر فهذا انشقاق بالحق وجهل في عين العلم وهو قوله ذلك مبلغهم من العلم فأثبت علماً واعلم أن النظر والاعتبار من العلوم التي تظهر من الأسرار والأنوار فالنور للبصر والإبصار فقال الله لما ذكر هذا المقام فاعتبروا يا أولي الأبصار أي جوزوا مما أعطاكم البصر بنوره مما أدركه من المبصرات وأحكامها إلى ما تدركونه بعين بصائرهم شهوداً وهو الأتم الأقوى أو عن فكرة وهو الشهود الأدنى عن المرتبة العليا وكلاهما عابر عما ظهر إلى ما استسر وبطن فهي آيات لقوم يتفكرون كما هي آيات لقوم يتقون فالمتقي يتولى الله تعليمه فلا يدخل علمه شك ولا شبهة والمتفكر ناظر إلى قوة مخلوقة فيصيب ويخطئ وإذا أصاب يقبل دخول الشبهة عليه بالقوة التي أفادته الإصابة لاختلاف الطرق فالمتقي صاحب بصيرة والمتفكر بين المبصر والبصيرة لم يبق مع البصر ولا يخلص للبصيرة فلنذكر في هذا المتزل مسألة من مسائله كإخوانه من المنازل وهو منزل شريف عال يسمى منزل النور في الطريق لأن الله جعله نوراً ولم يجعله سراجاً لما في السراج من الافتقار إلى الإمداد بالدهن لبقاء الضوء ولهذا كان الرسول سراجاً منيراً للإمداد الإلهي الذي هو الوحي وجعله منيراً أي ذا نور لما فيه من الاستعداد لقبول هذا الإمداد كالنار التي في رأس الفتيلة التي ينبعث منها الدخان الذي فيه يتزل النور على رأس الفتيلة من السراج فيظهر سراجاً مثله والنور من الأسماء الإلهية وليس السراج من أسمائها لأنه لا يستمد نوره من شيء فعرفت من هذا الاعتبار رتبة

القمر من الشمس قال تعالى وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً فنور السراج مقيد والنور القمري مطلق ولهذا أنكره ليعم الأنوار فكل سراج نور وما كل نور سراج واعلم أنه من العلم بالتحقق بالصورة أن العلم المطلق من حيث ما هو متعلق بالمعلومات ينقسم إلى قسمين إلى علم يأخذه الكون من الله بطريق التقوى وهو قوله إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً وقوله في الخضر وعلمناه من لدنا علماً وعلم يأخذه الله من الكون عند ابتلائه إياه بالتكليف مثل قوله ولنبلونكم حتى نعلم فلولا الاشتراك في الصورة ما حكم على نفسه بما حكم لخلقه من حدوث تعلق العلم فإن ظهر الإنسان بصورة الحق كان له حكم الحق فكان الحق سمعه وبصره فسمع بالحق فلا يفوته مسموع ويبصر بالحق فلا يفوته مبصر عدماً كان المبصر أو وجوداً وإن ظهر الحق بصورة الإنسان في الحال الذي لا يكون الإنسان في صورة الحق كان الحكم على الله مثل الحكم على صورة الإنسان الذي ماله صورة الحق فينسب إليه ما ينسب إلى تلك الصورة من حركة وانتقال وشباب وغضب ورضا وفرح وابتهاج ومن أجل ما بيناه من شأن هذين العلمين جعل الله في الوجود كتابين كتاباً سماه أما فيه ما كان قبل إيجاده وما يكون كتبه بحكم الاسم المقيت فهو كتاب ذو قدر معلوم فيه بعض أعيان الممكنات وما يتكون عنها وكتاباً آخر ليس فيه سوى ما يتكون عن المكلفين خاصة فلا تزال الكتابة فيه ما دام التكليف وبه تقوم الحجة لله على المكلفين وبه يطالبهم لا باللام وهذا هو الإمام الحق المبين الذي يحكم به الحق تعالى الذي أخبرنا الله في كتابه أنه أمر نبيه أن يقول لربه احكم بالحق يريد هذا الكتاب وهو كتاب الإحصاء فلا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وكل صغير وكبير مستطر وهو منصوب عليه في الام التي هي الزبر ومعناه الكتابة وإن كانت أصناف الكتب كثيرة ذكرناها في مواقع النجوم فإنها ترجع إلى هذين الكتابين وسبب إيجاد الكتابين كونه سبحانه خلق من كل شيء زوجين فخلق كتابين أيضاً فمن الكتاب الثاني يسمى الحق خبيراً ومن الأم يسمى عليم بالاول الخبير بالثاني إن عقلت بالقضاء الذي له

المضي في الأمور هو الحكم الإلهي على الأشياء بكذا والقدر ما يقع بوجوده في موجود معين المصلحة المتعدية منه إلى غير ذلك الموجود مثل قوله ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض فلو وجد البغي عن البسط لم تقم الحجة عليهم ولكن يتزل بقدر ما يشاء فما أنزل شيئاً إلا بقدر معلوم ولا خلق شيئاً إلا بقدر فإذا وجد البغي مع القدر قامت الحجة على الخلق حيث منع الغير مما بيده مع حصول الاكتفاء فما زاد فيعلم أنه لمصلحة غيره ومن فضله جعله قرصاً ولا يقع القرض فيما هو رزق له لقوام عينه وجعل هذا الفعل من جملة مصالح العباد فرفع بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ولما أنزل الله سبحانه نفسه منزلة عباده أمضى عليه أحكامهم فما حكم فيهم إلا بهم وهذا من حجته البالغة له عليهم وهو قوله جزاء وفاقاً جزاء بما كنتم تعملون جزاء بما كنتم تكسبون فأعمالهم عذبتهم وأعمالهم نعمتهم فما حكم فيهم غيرهم فلا يلومون إلا أنفسهم كما قال الله غيما حكاة لنا من قول الشيطان لما قضي الأمر أن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان أي من قوة ولا حجة ولا برهان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي وليس كل من دعا تلزم إجابته ولهذا كانت المعجزات تشهد بصدق الدعوة من الرسل أئها دعوة الله والشيطان ما أقام برهاناً لهم لما دعاهم وهو قوله وما كان لي عليكم من سلطان فيا عجباً أن الناس جحدوا دعوة الحق مع ظهور البرهان وكفروا بها وأجابوا دعوة الشيطان العرية عن البرهان فقال لهم فلا تلوموني ولوموا أنفسكم نظراً منه إلى حكم الكتاب الثاني الذي به تقوم الحجة عليهم فلو نظر إلى الأم والزير الأول لم يقل لهم ولوموا أنفسكم فالقضاء للكتاب الأول يطلبه حكم الكتاب الثاني والقدر بالكتاب الثاني وكلا الكتابين محصور لأنه موجود وعلم الله في الأشياء لا يحصره كتاب مرقوم ولا يسعه رق منشور ولا لوح محفوظ ولا يسطره قلم أعلى فله الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون أي إلى الحكم وهو القضاء فالضمير في إليه يعود على الحكم فإنه أقرب مذكور فلا يعود على الأبعد ويتعدى الأقرب إلا بقرينة حال هذا هو المعلوم من اللسان الذي أنزل به القرآن فالحكم على القدر والقدر لا حكم له في القضاء بل حكمه في المقدر لا غير بحكم القضاء فالقاضي حاكم والمقدر مؤقت فالقدر التوقيت في الأشياء من اسمه المقيت قال الله تعالى وكان الله على كل شيء مقبلاً وهذا المنزل أشهدته بقونية في ليلة لم يمر علي أشد منها لنفوذ الحكم وقوته وسلطانه فحمدت الله على قصوره علي تلك الليلة ولم يكن حكم تأييد وإنما كان حكم وقوع مقدر فلما رددت إلي وقد سقط في يدي وعلمت ما أنزل الله علي وما قدره الحق لدي وفرقت بين قضائه وقدره يف الأشياء كتبت به إلى أخ في الله كان لي رحمه الله أعرفه بما جرى كما جرت العادة بين الإخوان إذ كان كتابه قد ورد علي يطلبني بشرح أحوالي فصادف ورود هذا الحال فكتبت إليه في الحال بسم الله الرحمن الرحيم ورد كتاب المولى يسأل وليه عن شرح ما رأى أنه به أولى ليكون في ذلك بحكم ما يرد عليه

سألت تهماً عن شرح حالي

ومثلي من يصد عن الوصال

فها أنا طائع حد الغوالي

تداخلت النبال على النبال

إليه فعل ذكران الرجال

بكاء فقيد واحدة الموالي

شهاب الدين يا مولى الموالي

أنا المطرود من بين الموالي

عصيت زجاجة فجهلت قدري

رميت بأسهم الهجران حتى

فيرميني بأسهمه فآتي

وقفت ببابه أشكو وأبكي

وقلت بعبرة وحنين شجو
أنا العبد المضيع حق ربي
وإن مكارم الأخلاق منكم
وهل نشرت لجالينوس كتب
ويدخر المقوم من سهام
إذا كان العبيد عبيد سوء
وعهدي باقتحام عقاب نفسي
لو استنطقت عن عجزى وضعفى
وها أنا واقف في حال عجزى
بعثت إليه حسن الظن مني
وإن كان الطباع طباع سوء
وجودك قد تحققه رجائي
علمت بأن ذنبي لو تعالى
بلطفك قبل علمي كنت تاجاً
لقد أيدتني وشدت أزمري
بواقية الوليد مننت ربي
أعابن ما أعابن من جمال
وعن صور مقيدة تعالى
فاشهده ويشهدهني فأفنى
ويأخذني لمشهده ارتياح
فما يلتذ بالحسنى سوائي
رأيت أهلة طلعت شمساً

فنفرت الظلام فلا ظلام
سلخت عناية من ليل جسمي
فكان المحو إثبات انفصال

أنا المطرود من بين الموالي
فكيف تضيعني يا ذا الجلال
وإن العفو من كرم الخلال
لغير إزالة الداء العضال
حذار كراهة يوم النضال
فإن الفضل من شيم الموالي
فكيف وقفت دونك في ضلال
لقلت فرضتم عين المحال
ضعيف مثل ربات الحجال
والحافاً عظيماً في السؤال
فحسن الظن من كرم الخصال
وبعد تحققي ما أن أبالي
لكان بجنب عفوك في سفال
فبعد العلم الحق بالنعال
بتوحيد يجل عن المقال
طردت بها القبيح من الفعال
تقدس عن مكاشفة الخيال
عن المثل المحقق في المثالي
كمال في كمال في كمال
كما نشط الأسير من العقال
لحسن عناية وصلاح بال
وأين الشمس من نور الهلال

ولا ليل إلى يوم انفصال
كما سلخ النهار من الليالي
وكان النور آيات اتصالي

وإن وليك لما أراد النهوض في طريقه والنفوذ إلى ما كان عليه في تحقيقه اعترضت لوليك عقبة كؤود حالت بينه وبين الشهود والبلوغ إلى المقصود والتحقيق بحقائق الوجود فخفت أن تكون عقبة القضا لما لسيفه من المضأ فرأيتها صعبة المرتقى حائلة بيني وبين ما أريده من اللقا فوقفت دونها في ليلة لا طلوع لفجرها ولا أعرف ما في طيها من أمرها فطلبت حبل الاعتصام والتمسك بالعروة الوثقى عروة الإسلام فنوديت أن الزم الطلب ما بقيت فعلمت أني بهذا الخطاب في طورة مثالية متجلية في حضرة خياليه وأن علاقة تدبير الهيكل ما انقطع وحكمه فيه ما ارتفع فاستبشرت بزوال إفلاسي عند رجعتي إلى إحساسي فنظمت ما شهدت وخاطبت وليي في نظمي ببعض ما وجدت فإذا نظر وليي إليها فليعمل عليها وليحذر من الأمن من مكر الله فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون فاسمع هديت ما به على لساني نوديت

اعترضت لي عقبة

فأسفرت عن محن

من دونها جهنم

ترمي من الغيظ وجو

بحورها قد سجرت

وشمسها قد كورت

أتيتكم أخبركم

ولا تقولوا مثل من

فكان من أمرهم

قالوا وقد دعاكم ال

فيخرجون خشعاً

شعثاً حفاة حسراً

إلى عذاب وتوى

فلو ترى نبيهم

وقد دعا مرسله

فقال يا عين انكسب

حتى التقى الماء على

فاصطفقت أمواجه

فالحكم حكم فاصل

وسط الطريق في السفر

فيمن طغى أو من كفر

ذات زفير وسعر

ه المجرمين بشرر

وسقفها قد انفطر

ونجمها قد انكدر

لتعرفوا معنى الخبر

قال فما تغنى النذر

ما قد سمعتم وذكر

داعي إلى شيء نكر

مثل الجراد المنتشر

في يوم نحس مستمر

إلى خلود في سقر

حين دعاهم فازدجر

أني ضعيف فانتصر

وأنت يا أرض انفجر

أمر حكيم قد قدر

وذا كم البحر الزخر

والأمر أمر مستقر

كمثل لمح بالبصر
واح نجاه ودر
وعداً لمن كان كفر
أمر مليك مقتدر
جودي فقالوا لا وزر
منها أنا عين الوزر
لديك نعم المستقر
من سح ماء منهمر
ماءك واخزن واحتكر
كان عدواً قد غبر
لكم فهل من مذكر
يكون منكم مستطر
في الكون من خير وشر
كذا أتانا في الزبر
والحشر أدهى وأمر
في بحر دنيا قد زخر
وأنتم على خطر
غير القضاء والقدر
فما من الله مفر
في ليلتي حتى السحر
واتعظوا بمن غبر
شك على ظهر سفر
أمراً عجيباً فيه سر
واعتبروا لفظ السكر
بفضله أعطى البشر

وأمره واحدة
سفينة قامت من أل
تجري بعين حفظه
تسوقها الأرواح عن
أنزلها الجود على ال
ناداهم الحق أخرجوا
خطوا وقالوا ربنا
فيا سماء أقلعي
وأنت يا أرض ابلعي
قد قضي الأمر فمن
تركته تذكرة
وكل ما كان وما
وإنما يفعله
مقدر مؤقت
الموت سم نافع
سفينكم أجسامكم
وأنتم ركابها
ومالكم من ساحل
فابتهلوا واجتهدوا
هذا الذي أشهدته
فازجروا واعتبروا
فالكل والله بلا
من قبل ذا أشهدني
فاستمعوا نطقي به
فالحمد لله الذي

ما عندكم منها خبر
قلت ترى أين مضت
قلت تراها ترعوي
قلت وهل تعرفها
قلت على من نزلت
قلت وماذا تبتغي
ما يعرف السرسوي
تقول زدني يا فتى
قبلتها عانقتها
طعنت في مستهدف
وعرفه كأنه
وجدته كمثّل نا
أردافها كأنها
يا نظرة قد أظهرت
لولا النتاج لم يكن
سر لنا وكن له
إذا التقى السر وكن
وقائل ذا مثّل
على القنا إذا بدا
قلت نعم وبعد ذا
هنا وفي الأخرى وحي
قالوا وكيف الأمر قل
إذا الولي أقبلت
يفضي إليها بالذي
فعندما ينكحها
من جنس ما لو ولدت

بل عندنا منها الخبر
قال مضت تقضي الوطر
قال نعم عند السحر
قال نعم أخت القمر
قال على أبي البشر
قال ضراباً بالذكر
والدتي أم البشر
منه فنعم المختبر
حلت معاقد الأزر
أجرد ما فيه شعر
ريح الخزامى والعطر
ر لمجوس تستعر
أعجاز نخل منقعر
من الوجود ما ظهر
للسر معنى في البشر
وجود خلق مستمر
بدت لعينيك العبر
قرره لمن نظر
لمن يشاء فاعتبر
فهو لأشياء آخر
ث ما نكون فادكر
فقلت سمعاً ما ستر
زوجته على سرر
يحملة من الصور
تصوراً على صور
كان على تلك الصور

من ذي إمام حاكم

فإن يكن أنثى فهي

مثل تجليه سوا

أو ذات غنج وهور

وإن يكن هو فذكر

تحول بلا غير

فليتدبر وليي ما سطرته وليفكر فيما ذكرته وليأخذه عبرة من البصر لبصيرته ومن سره لسريته فقد آن أن يجيء زمان المحن وقد علمت لما أوجدك ورتبة الكمال الذي أشهدك وما طلب منك إلا ما يقتضيه وجودك ويقضي به شهودك فإن أنصفت فقد عرفت وإن تعاميت بعدما أراك ما قد رأيت فقد وهيت فأسد المقالة سؤا آل الإقالة والسلام فسر بورود كتاب عليه وأمعن النظر فيه وإليه فأورثه التفكير فيه علة كانت سبب رحلته وسرعة نقلته فما بقي إلا أياماً ودرج وعلى أسنى معراج إلى مقصوده عرج وشهدت احتضاره بالدار البيضاء إلى أن قضى وسافرت من يومي لاستعجال قومي فهذا بعض ما يحوي عليه هذا المنزل من الأهوال الصعاب التي تعظم فيالشهود صورها واعلم أن الله ما ذكر أخبار القرون الماضية إلا لتكون على حذر من الأسباب التي أخذهم الله بها أخذته الرابية وبطش بهم البطش الشديد وأما الموت فأنفاس معدودة وآجال محدودة وليس الخوف إلا من أخذه وبطشه لا من لقائه فإن لقاءه يسر الولي والموت سبب اللقاء فهو أسنا تحفة يتحفها المؤمن فكيف به إذا كان عالماً بخ على يخ ويتضمن هذا المنزل من العلوم علم الرحمتين وعلم قرب السعي من قرب الشبر والذراع وهو القرب المحدود وعلم الرتق والفتق وعلم المتشابه من المحكم وعلم الأبد وعلوم الأدلة وعلم الاتباع وما يسعد منه وما يشقي وعلم ثبوت الأمور ومرتبة الحكم والحكم وعلم الجزاء الوفاق وعلم الخير بالإجابة إلى المكروه كإجابة أولاد أم عيسى وعلم التلبس فيهبك متاعك من غير الوجهة التي تعرف منها أنه متاعك تلبساً عليك فإذا انكشف الغطاء وكان البصر حديداً علمت أنه ما أعطاك إلا ما كان بيدك فما زادك من عنده ولا أفادكم ما لديه إلا تغير الصور فمن وقف على هذا العلم قال بالري في مشروبه ومن حرمه لم يزل عاطشاً والماء عنده الذي يرويه ولا يشعر به أنه عنده وهو من أسنى علم يوهبه العارفون بالله فهو كالمطر للأرض وليس عين ما تطلبه من الارتواء سوى بخارها صعد منها بخاراً ثم نزل إليها مطراً فتغيرت صورته لاختلاف المحل فما شربت ولا ارتوت إلا من مائها ولو علمت ذلك ما حجبتها المعصرات فتحقق هذا النوع من العلم في العلم الإلهي فما أعطاك إلا منك وما هو عليه فلا يعلمه منه إلا هو فكل عالم فمّن نفسه علمه فلذلك قال أهل الله لا يعرف الله إلا الله ولا النبي إلا النبي ولا الولي إلا الولي ويتضمن أيضاً علم أسباب النجاة والسعادة وعلم الامتحانات بالعسر واليسر للصابر والشاكر وعلم المناسبة التي بها لم يمثل أمر الله من عصي أمه ومن امتثله هل امتثله بأمر مناسب أو بعدم المناسب وعلم سبب تأثير الأدنى في الأعلى كتسليط الحيوانات على الإنسان كقرصة البرغوث إلى ما فوقها وقال تعالى أجب دعوة الداعي إذا دعاني وعلم مشاركة الحيوانات الإنسان في العلوم عن التجلي وعلم من رد كل ما أتاه من الحق من أين رده ومن رد بعضه من أين رده وهل يتساوى الحكم الإلهي فيهم أم لا وعلم من أين انهزم الصحابة يوم حنين وعلم مؤاخذه الأعلى بالأدنى إذا نصب دلالة نصبه من نصبه وعلم السوابق واللواحق وعلم الوحدة في عين الجمع وعلم المراتب والدرجات والله يوقل الحق وهو يهدي السبيل

الباب الأحد والثلاثون وثلاثمائة في معرفة منزل الرؤية والقوة عليها والتداني

والترقي والتلقي والتدلي وهو من الحضرة المحمدية والآدمية

عجبت لعين كيف تدرك عينها

وتعجز عن إدراك من قال أنها

ولم يك مشهود سواه وإنما

شهود ورود الغيب عنها أجنها

اعلم أيديك الله أن هذا المنزل بينه وبين المنزل الذي قبله تخالج لكون النبي صلى الله عليه وسلم شبه رؤيتنا الله برؤيتنا القمر ليلة إبداره والشمس ليس دونها حجاب وأنه لا يدركنا في رؤيته ضيم ولا انضمام ولا ضرر يقوم بنا ولا مضاررة لغيرنا وقد أبان صلى الله عليه وسلم لأمته عن صورة تجلي الحق لعباده بقول ما قاله نبي لأمته قبله وبهذا أثنى الله عليه فقال بالمؤمنين رؤف رحيم وأرسله رحمة للعالمين ولم يخص مؤمناً من كافر فقال صلى الله عليه وسلم لما حذر من الدجال في دعواه الألوهية فقال أقول لكم فيه قولاً ما قاله نبي لأمته وما من نبي إلا قد حذر أمته الدجال ألا أن الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية وإن ربكم ليس بأعور فعرفنا بأي صورة نرى ربنا ولا يقال أنه أراد صورة لا تقبل العور فكانت فائدة الإخبار ترتفع فإن تلك الصورة كانت تعطي بذاتها نفي العور عنها وإنما لما كانت الصورة ممن يقبل ذلك بين لنا أنه ليس كذلك لما علم من وقوع الشبه فيما وقعت فيه السلامة من العيب وإنما كان الدجال أعور لأنه نصف الصورة إذ لم يحز رتبة الكمال كما حازها أكثر الرجال ثم نرجع ونقول أن موسى لما كلمه ربه أدركه الطمع فقال رب أرني أنظر إليك فسأل ما يجوز له السؤال فيه إذ كانت الرسل أعلم الناس بالله وأنه ذو إدراك يدركه به وأنه المدرك بالإدراك لا الإدراك فإنه عالم بأن الأبصار لا تدركه وإنما هي آلة يدرك بها وإنما منع موسى من الرؤية لكونه سألها من غير أمر إلهي أوحى به إليه فيلهم أدباء لا يتبعون إلا ما يوحى به إليه ولا سيما في الجنب الإلهي فلهذا قيل له لن تراني ثم استدرك استدراك لطيف بعبده لما انتهى فيه حد عقوبة فوت الأدب بالسؤال ابتداء الذي حملة عليه شوقه فكان مثل السكران فلما علم أن اليأس قد قام به فيما طلبه استدرك بالإحالة على الجبل في استقراره عند التجلي والجبل من الممكنات فتجلى له ربه فاندك عند ذلك التجلي لكون روحه ما أوجده الله لحفظ الصورة على الجبل مثل الأرواح المدبرة وإنما أوجده ليكون مسبباً له فلذلك لم تحفظ عليه صورة الجبلية وأثر فيه التجلي وحفظ روح موسى عليه السلام على موسى في صعقه عند رؤية ما رآه الجبل الذي كان حجاباً عليه صورة نشأته فلما أفاق رجع موسى وما رجع الجبل جبلاً علم موسى أنه قد وقع منه ما كان ينبغي له أن لا يقه إلا بأمر إلهي فقال تبت إليك لما علم أن الله يحب التوابين وأنا أول المؤمنين بوقوع هذا الجائز إذ ما تقدم لأحد من هذا النوع الإنساني أنه سأل ربه رؤيته ولا أنه رآه فلذلك ادعى موسى أنه أول المؤمنين ثم أعلمنا صلى الله عليه وسلم أنه ما من أحد إلا سيرى ربه ويكلمه كفاحاً وهذا كله إعلام بالصورة التي يتجلى لنا فيها وهي الصورة التي خلقنا عليها ونحن نعلم قطعاً أن ذوق الرسل فوق ذوق الأتباع بما لا يتقارب فلا تظن أن سؤال موسى رؤية ربه أنه فاقد للرؤية التي كانت حالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في قوله ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله هذه الرؤية ما هي الرؤية التي طلبها موسى من ربه فإنها رؤية حاصلة له لعلو مرتبته فإن ذوق الصادق ما هو ذوق الصديق فالرؤية ثابتة بلا شك ذوقاً ونقلاً لا عقلاً فإن رؤية الله تعالى من محارات العقول ومما يوقف عندها ولا يقطع عليها بحكم من أحكامها الثلاثة إذ ليس للأنبياء ولا للأولياء من أهل الله علم بالله يكون عن فكر قد طهرهم الله عن ذلك بل لهم فتوح المكاشفة بالحق فمن الرائي من يراه ولا يقيد ومنهم من يراه به ومنهم من يراه بنفسه ومنهم من لا يراه عنده وهو قد رآه ولا

يعلم أنه رآه لأن هذا الصنف ليس بصاحب علامة في الحق ولا يعرف صورة ظهوره في الوجود ومنهم من لا يراه لعلمه بأن عينه لا تظهر هنا للعالم إلا بصور أحكام أعيان العالم وهو مجلاها فلا يقع الإدراك من الرائي الأعلى صورة الحكم لا على العين فيعلم أنه ما رآه والله المثل الأعلى وهو العزيز الذي لا يرى من حيث هويته الحكيم في تجليه حتى يقال أنه رأى انظر إلى الصورة الظاهرة للعين في الجسم الصقيل وحقق رؤيتك فتجد تلك الصورة قد حالت بينك وبين إدراكك عين لجسم الصقيل الذي هو مجلاها فلا تراه أبداً والحق مجلي صور الممكنات فلم ير العالم إلا العالم في الحق لا بالحق وبالحق ثم لتعلم أن المرئي الذي هو الحق نور وأن الذي يدركه به الرائي إنما هو نور فنور اندرج في نور فكأنه عاد إلى أصله الذي ظهر منه فما رآه سواه وأنت من حيث عينك عين الظل لا عين النور بل النور ما تدرك به كل شيء والنور من الأشياء فلا تدركه إلا من كونك حاملاً للنور في عين ظلك والظل راحة والظلمة حجاب فإذا طلع كوكب الحق ووقع في قلب العبد استنار به القلب وأضاء فأزال عن صاحبه الخيرة والخوف فأخبر عن ربه بالصريح والإيماء وأنواع الإخبارات واعلم أن الأنبياء ما اختارت النوم على ظهورها إلا لعلمها أنه كل ما قابل الوجه فهو أفق له إذ كان لا يقابل الوجه إلا الأفق وشم أفق أدنى أي أقرب إلى الأرض وشم أفق أعلى وهو ما تقابله بوجهك عند استقلالك على ظهرك وإذا كان التجلي في الصور دخله الحد والمقدار وأقرب القرب في ذلك أن يكون عين الخط الذي به تقسم الدائرة نصفين لظهور القوسين اللذين قرب بعضهما من بعض هو القرب الأول والقرب الثاني القرب الخطي الذي هو أقرب من حبل الوريد ولا تكون رؤية الحق أبداً حيث كانت إلا في منازل بين عروج ونزول فالعروج منا والتزل منه فلنا التداني وله التدلي إذا لا يكون التدلي إلا من أعلى ولنا الترقى وله تلقى الوافدين عليه وذلك كله إعلام بالصورة التي يتجلى فيها لعباده وأنها ذات حد ومقدار ليدخل مع عباده تحت قوله في حكمه وما نترله إلا بقدر معلوم وكل شيء خلقناه أي جعلناه بقدر والرؤية مخلوقة فهي بقدر والتنوع في التجلي ظهور محدث عند المتجلي له فهو بقدر ألا ترى تجليه بالحكم في الأعيان المتخذة آلهة للغيرة الإلهية حيث حكم وقضى أنه لا يعبد إلا إياه وكذا أخبر فقال وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه فعلماء الرسوم يحملون لفظ قضى على الأمر ونحن نحملها على الحكم كشفاً وهو الصحيح فإنهم اعترفوا أنهم ما يعبدون هذه الأشياء إلا لتقربهم إلى الله زلفى فأنزلوهم منزلة النواب الظاهرة بصورة من استأنهم وما ثم صورة إلا الألوهية فنسبوا إليهم ولهذا يقضي الحق حوائجهم إذا توسلوا بها إليه غيرة منه على المقام أن يهتضم وأن أخطئوا في النسبة فما أخطئوا في المقام ولهذا قال إن هي إلا أسماء سميتوها أي أتم قلتم عنها أنها آلهة وإلا فسموهم فلو سموهم لقالوا هذا حجر أو شجر أو ما كان فتمتيز عندهم بالإسمية إذ ما كل حجر عبد ولا اتخذ إلهاً ولا كل شجر ولا كل جسم منير ولا كل حيوان فله الحجة البالغة عليهم بقوله قل سموهم واعلم أنه لولا الهوى ما عبد الله في غيره وأن الهوى أعظم إله متخذ عبد فإنه لنفسه حكم وهو الواضع كل ما عبد وفيه قلت

وحق الهوى أن الهوى سبب الهوى

ولولا الهوى في القلب ما عبد الهوى

قال تعالى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم فلولا قوة سلطانه في الإنسان ما أثر مثل هذا الأثر فيمن هو على علم بأنه ليس بإله فإذا كان يوم القيامة جسد الله الهوى كما يجسد الموت لقبول الذبح فإذا جسده قرره على ما حكم به فيمن قام به فحار وجاء بإله عليه فعذب في صورته وأفرد الخل عنه فحصل في النعيم وتجسد المعاني لا تنكر عندنا ولا عند علماء الرسوم فحكمه في مثل هذا الحكم الذي في قوله لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر فكان شيخنا أبو مدين رضي الله عنه يقول صدق يزال

فيدخل صاحبه لجنة دونه ويقي هو في النار صورة مجسدة أو يعود الكبر إلى من هو له فيأخذ كل ذي حق حقه واعلم أن الآلهة المتخذة من دون الله آلهة طائفتان منها من ادعت ما ادعى فيها مع علمهم في أنفسهم أنهم ليسوا كما دعوا وإنما أحبوا الرياسة وقصدوا إضلال العباد كفرعون وأمثاله وهم في الشقاء إلا أن تابوا وهم ممن تشهد عليهم ألسنتهم بما نطق به من هذه الدعوى فما دونها مما يجب عنه السؤال فتتكر ومنها من ادعت ذلك على بصيرة وصحو وتحقق معرفة في مجلس لقرينة حال اقتضاها المجلس لما رأوا أن الحق عين قواهم وما هم هم إلا بقواهم وبقواهم يقولون ما يقولون فقواهم القائلة لا هم وهي عين الحق كما أخبر الحق وكما أعطاه الشهود بانخراق العادة في قولهم عندهم فقالوا إنا لله وإني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدون كأبي يزيد ممن نقل عنه مثل هذا مع صحوه وثبوتة وعلمه بأنه الحق هو الظاهر بأفعاله في أعيان الممكنات وأنه في بعض الأعيان قد نص أنه هو وفي بعض الأعيان لم يذكر أنه هو ولذلك قال بعض العارفين في حق التلميذ الذي استغنى بالله على زعمه عن رؤية أبي يزيد لأن يرى أبا يزيد مرة خير له من أن يرى الله ألف مرة فعبر أبو يزيد فقليل له هذا أبو يزيد فعندما وقع بصره عليه مات التلميذ فقليل لأبي يزيد في موته فقال رأى ما لا يطيق لأنه تجلى له من حيث أنا فلم يطقه كما صعق موسى لأن الله من حيث أنا مجلاه أعظم من حيث المجلى الذي كان يشهده فيه ذلك المريد ومنها من ادعت ذلك في حال سكر كالحلاج فقال قول سكران فخطب وخطب لحكم السكر عليه وما أخلص

بر قلبي عن فؤادي

في دنوي وبعادي

ك أني ومرادي

قد تصبرت وهل يص

ما زجت روحك روحي

فأنا أنت كما أن

فهذا سعد وإن شقي به آخرون فلا جناح عليه ولا حرج لأنه سكران وهم المسؤولون ومثل هذا أيضاً يلحق بأهل لسعادة وإن ضل به عالم فما أضلا لهم بمقصود له فهؤلاء أصناف ثلاثة ادعوا الألوهة لأنفسهم فشقي بها واحد من الثلاثة وسعد اثنان وأما الطائفة الأخرى فادعيت فيها الألوهة ولم تدعها لنفسها كالأحجار والنبات والحيوان وبعض الأناسي والأملاك والكواكب والأنوار والجن وجميع من عبد واتخذ إلهاً من غير دعوى منه فهؤلاء كلهم سعداء والذين اتخذوهم إذا ماتوا على ذلك أشقياء ومن هؤلاء تقع البراءة يوم القيامة من الذين اتخذوهم آلهة من دون الله ما لم يتوبوا قبل الموت ممن يقبل صفة التوبة وليس إلا الجن وهذا النوع الإنساني ومهما علم بذلك المتخذ ولم ينصح ولا وقعت منه البراءة هنا مع كونه لم يدع ذلك ولكنه سكت فإذا عذب الله غداً المشركين الذين ذكرهم الله أنه لا يغفر لهم فإنما يعذبهم من حيث أنهم ظلموا أنفسهم ووقعوا في خلق بكلام ودعوى ساءتهم وتوجهت منهم عليهم حقوق في أغراضهم يطلبونهم بها فمؤاخدة المشركين لحق الغير لا من جهة نفسه تعالى وظلم أنفسهم أعظم من ظلم الغير عند الله بدليل ما جاء في الذي يقتل نفسه من تحريم الجنة عليه فعظم الوعيد في حقه فإذا كان يوم القيامة وأدخل المشركون دار الشقاء وهي جهنم أدخل معهم جميع من عبدوه إلا من هو من أهل الجنة وعمارها فإنهم لا يدخلون معهم لكن تدخل معهم المثل التي كانوا يصورونها في الدنيا فيعبدونها لكونها على صورة من اعتقدوا فيه أنه إله فهم يدخلون النار للعقاب والانتقام والمعبدون يدخلونها لا للانتقام فإنهم ما ادعوا ذلك ولا المثل وإنما أدخلوها نكاية في حق العابدين لها فيعذبهم الله بشهودهم إياهم حتى يعلموا أنهم لا يغنون عنهم من الله شيئاً لكونهم ليسوا بآلهة كما ادعوه فيهم قال تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها

واردون وقد قرئ حطب جهنم وقال وقودها الناس والحجارة وقال لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وقال فيمن عبد من أهل السعادة كمحمد وعيسى عليهما السلام والخلفاء من بعده ومن ذكرناه من مدع عن صحو وعن سكر أن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ولا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتتهت أنفسهم خالدون فمن كان مشتته ربه فهذه صفته وإنما قال لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتتهت أنفسهم خالدون لما يؤثر ذلك السماع في صاحبه من الخوف لأنه ليس هو في تلك الحال بصاحب غضب فيلتذ بالانتقام فإن الغضب لله إنما يقع في دار التكليف وهنالك لا نصيب للغضب في السعداء فإنه موطن شفاعته وشفقة ورحمة من السعداء فلا يغضب في ذلك الموطن إلا الله والسعداء مشغولون بالله في تسكين ذلك الغضب الإلهي بما تعطيه أنواع التسكين كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم في بعض المواطنين سحراً سحراً طلباً للتسكين والموافقة ثم بعد ذلك يشفع في تلك الطائفة عينها لتنوع ما يظهر الحق به في ذلك الموطن فمن سمع حسيسها من السعداء الأكابر أثر ذلك السماع فيهم خوفاً على أمهم لا على نفوسهم فإذا بلغت بهم العقوبة حدها وانقضت فيهم بالعدل مدتها جسدت أهواؤهم التي بها عبدوا غير الله على صور ما اعتقدوه إنهم حين عبدوه وعلى صور بواطنهم فوق العذاب بصور مجسدة ليبقى حكم الأسماء دائماً ويبقى سكان الدار من الناس حيث هم أهلها في نعيم بما ينظرون إلى صور أهوائهم معذبة فينعمون بما فإنها دار تتجسد فيها المعاني صوراً قائمة يشهدها البصر كالموت في صورة كبش أملح فيذبحه يحيى عليه السلام بين الجنة والنار لأن الحياة ضد الموت فلا يزول الموت إلا بوجود الحياة وبهذه الصور المخلوقة يكون ملء النار والجنة فإنه أخبر الجنة والنار أنه سبحانه يملأ كل واحدة فقال لهما إن لكل واحدة منكما ملاءماً فإذا نزلوا فيها وبقي منها أماكن لم يبلغها عمارة أهلها أنشأ إرادات أهل الدارين صوراً قائمة ملاءماً بها وهذه الصور من الفرقتين المعبر عنهما بالقدمين ففي أهل السعادة أن لهم قدم صدق عند ربهم أي سابق عناية بأن يخلق إرادتهم طاعة الله وعبادته صوراً متجسدة وأعمالهم وقد ورد أن أعمال العباد ترد عليهم في قبورهم في صور حسنة تؤنسهم وفي صور قبيحة توحشهم فذلك الصور تدخل معهم في دار السعادة والشقاء وبها يكون ملؤهما وأما دار الشقاء إذا طلبت ملاءماً من الله وضع فيها الجبار قدمه فلهم قدم أيضاً كما كان لأهل السعادة أي سابق عناية يظهر العذاب في ذلك القدم وهو أهواؤهم فدار السعداء التي هي الجنة نعيم كلها ليس فيها شيء يغير النعيم ودار الأشقياء ممتزجة بين منعم ومعذب فإن فيها ملائكة العذاب لهم نعيم في تعذيب من سلطهم الله عليه فلا نعيم لهم إلا بالانتقام لله وهم أصحاب تكليف بأمر لا ينهى فهم يسارعون إلى امتثال أوامر الله ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون فلا يبقى عذاب في النار بعد انقضاء مدته إلا العذاب الممثل المتخيل في حضرة الخيال لبقاء أحكام الأسماء فإنه ليس للاسم إلا ما تطلبه حقيقته من ظهور حكمه وليس له تعيين حضرة ولا شخص وإنما ذلك من حكم الاسم العالم والمريد فحيث ظهر حكم المنتقم من جسد أو جسم أو ما كان فقد استوفى حقه بظهور حكمه وتأثيره فلا تزال الأسماء الإلهية مؤثرة حاکمة أبد الأبد في الدارين وما أهلها منهما بمخرجين ولما كانت الرؤية لأهل الجنان جعل الحجاب في مقابلته لأهل النار وحجابهم مدة عذابهم حتى لا تزيدهم الرؤية عذاباً كما زادتهم السورة القرآنية هنا رجساً إلى رجسهم ومرضاً إلى مرضهم فإذا انقضت المدة بقي الحجاب دونهم مسدلاً لينعموا فإنه لو تجلى لهم هنالك مع ما تقدم لهم من الإساءة واستحقاق العقوبة أورتهم ذلك التجلي الإحساني حياء من الله مما جرى منهم والحياء عذاب وقد انقضت مدته وهم لا يعلمون لذة الشهود والرؤية فلهم نعيم بالحجاب والغرض النعيم وقد حصل ولكن بمن فأين النعيم برؤية الله من النعيم بالحجاب فهم عن ربهم يومئذ محجوبون والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

الباب الثاني والثلاثون وثلاثمائة في معرفة منزل الحراسة الإلهية لأهل المقامات

المحمدية وهو من الحضرة الموسوية

فهو طور وجمعه أطوار

فهو سر في كوننا مستعار

يحكم العقل فيه والاضطرار

فلهذا عقل اللبيب يحار

كل من كال لاستدارة كون

وهو عطف الإله ليس سواء

بدء أعياننا به لوجوب

لوتناها الوجود ما كان كوراً

اعلم أيدك الله أن الله تعالى يقول في حق موسى عليه السلام معرفاً إيانا ونادينا من جانب الطور الأيمن فجعل النداء من الطور لاختناؤه لأنه خرج في طلب النار لأهله لما كان فيه من الحنو عليهم الذي أورثه الانحناء على من خلق من الإنحناء وهي أهله لأنها خلقت بالأصالة من الضلع والضلع له الانحناء وكان الانحناء في الأضلاع لاستقامة النشأة وحفظ ما انحنت عليه من الأحشاء لتعم بانحنائها جميع ما تحتوي عليه فتساوى أجزاؤها في الحفظ لها بخلاف ما لو كانت على غير استدارة لكانت فيها زوايا فارغة بعيدة من الحفظ الذي خلقت له ووقع التجلي لموسى في عين صورة حاجته فرأى ناراً لأنها مطلوبة فقصدها فناداه ربه منها وهو لا علم له بذلك لاستفراغه فيما خرج له وهو قولنا في قصيدة لنا في جزء الزينبيات

وهو الإله ولكن ليس يدريه

كنار موسى يراها عين حاجته

واعلم أن الله ما خلق الذي خلق من الموجودات خلقاً خطياً من غير أن يكون فيه ميل إلى الاستدارة أو مستديراً في عالم الأجسام والمعاني وقال تعالى في السموات وهو ما علا وفي الأرض وهو ما سفل إذ لا أسفل منها أنه لا يؤده حفظهما فوصف نفسه بأنه لكل شيء حفيظ والحفظ حنو من الحافظ على المحفوظ فيكون في شكل كل صورة الأجسام انحناء وفي المعاني والأرواح حنو فلنذكر سبب ميل الأجسام إلى الاستدارة وذلك أن أول شكل قبله الجسم الاستدارة وهو المسمى فلكاً أي مستديراً وعن حركة ذلك الفلك ظهر عالم الأجسام علواً وسفلاً فمنه ما ظهر بصورة ذات الأصل وهو كل من كملت فيه الاستدارة والتقى طرفا الدائرة ومن نقص عن هذه الصورة لا بد أن يوجد فيه ميل إلى الاستدارة يظهر ذلك حساً في الأجسام حتى في أوراق الأشجار والجبال والأغصان فما في عالم الأجسام خط غير مائل إلا بالفرض والتوهم لا بالواقع وإنما ظهر الجسم بصورة الاستدارة أعني الجسم الكل الظاهر بالشكل لأن الله أراد أن يملأ به الخلاء فلو لم يكن مستدير الشكل لبقى في الخلاء ما ليس فيه ملاً والخلاء استدارة متوهمة لا في جسم وإنما وقع الأمر هكذا لصدور الأشياء عن الله ورجوعها فمنه بدأ وإليه يعود فلا بد أن يكون هذا الأمر في عالم الشكل صورة دائرة لأنه لا يعود إليه على الطريق الذي خرج عليه وإنما امتداده ينتهي إلى مبدئه ولا يكون ذلك في الشكل الخطي لأنه لو كان لم يعد إليه أبداً وهو عائد إليه فلا بد من الاستدارة فيه معنى وحساً ومن خلقه العالم على الصورة أن خلقه مستدير الشكل فانظر في حكمة الله ولما كان المرجع إليه ليظهر الحنو الذي صورته انحناء لذلك عمت رحمته جميع الموجودات

ووسعت كل شيء كما وسع هو كل شيء رحمة وعلماً ولم يجر للغضب ذكر في هذه السعة الإلهية والرحمانية فلا بد من مآل العالم إلى الرحمة لأنه لا بد للعالم من الرجوع إلى الله فإنه القائل وإليه يرجع الأمر كله فإذا انتهت رجعته إليه عاد الأمر إلى البدء والمبدأ والمبدي والرحمة وسعت كل شيء والمبدي وسع كل شيء رحمة وعلماً فغرف الأمر في عوده في الرحمة فيأمن من تسرمد العذاب على خلق الله أين أنت من هذا الشهود لولا سبق الرحمة الشاملة العامة الامتنانية لتسرمد العذاب على من ينفي رحمة الله من هذه السعة التي ذكر الله فيها ولكن سبق الرحمة جعله أن يبدو له من الله من الرحمة به مع هذا الاعتقاد ما لم يكن يحتسبه فما آخذه الله بجهله لأنه صاحب شبهة في فهمه فعين بصيرته مطموس وعقله في قيد الجهالة محبوس وما في الحيوان من جرى في مسكنه وعمارة بيته وإقامة صورته على شكل العالم مثل النحل فسدت صور بيوتها حتى لا يبقى خلاء كما سد الشكل الكري الخلاء فلم يبق خلاء وعمرت بيتها بالعسل الذي هو ملذوذ نظير الرحمة الإلهية التي عمت الوجود وغمرته وما عمرته بذلك في حق غيرها وإنما عمرته في حق نفسها وكذا صدر العالم على هذه الصورة فما من شيء من العالم إلا وهو يسبح بحمده فلنفسه أوجده لأنه ما شغله إلا به وقال فيمن جعل فيه استعداداً يمكن أن يسعى به لنفسه ولغير الله فنبه أنه ما خلقهم إلا لعبادته فقال وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون فكونهم ما فعل بعضهم ما خلف له لا يلزم منه بالقصد المذكور أنه خلق لما تصرف فيه ولذلك يسأل ويحاسب كما وقع فيما اختزنته النحلة لنفسها وأظهرته منها القوام ذاتها فأخذه من أخذه وتحكم فيه في غير ما أوجدته له ولما كان الأمر كما ذكرناه في النحل دون غيره لذلك أخبرنا الله عنها أنه أوحى إليها دون غيرها من الحيوان وقال فيما يخرج من بطونها أنه شفاء للناس فأنزله منزلة الرحمة التي وسعت كل شيء وما ذكر له مضره وإن كان بعض الأمزجة يضربه استعماله ولكن ما تعرض لذلك أي أن المقصود منه الشفاء بالوجود كما المقصود بالغيث إيجاد الرزق الذي يكون عن نزوله بالقصد وإن هدم الغيث بيت الشيخ الفقير الضعيف فما كان رحمة في حقه من هذه الجهة الخاصة ولكن ما هي بالقصد العام الذي له نزل المطر وإنما كان ما كان من استعداد القابل للتهدم لضعف البنيان كما كان الضرر الواقع لآكل العسل من استعداد مزاجه لم يكن بالقصد العام واعلم أن حفظ الله للعالم إنما هو لإبقاء الثناء عليه بلسان المحدثات بالترية عما هي عليه من الافتقار فلم يكن الحفظ للاهتمام به ولا للعناية بل ليكون مجلاه وليظهر أحكام أسمائه وكذا خلق الإنسان على صورته فقال وإن ليس للإنسان إلا ما سعى فجعله لا يسعى إلا لنفسه ولهذا قرن بسعيه الأجر حتى يسعى لنفسه بخلاف من لا أجر له من العالم الأعلى والأسفل وليس بعد الرسل ومرتبته في العلم بالله مرتبة فهم المطرقون والمنبهون ومع هذا فما منهم من رسول إلا قيل له قل لأمتك ما أسألكم عليه أي على ما بلغتكم من أجر إن أجري إلا على الله فإنه الذي استخدمه وأرسله فالأجر عليه فما سعوا ولا بلغوا إلا في حظوظ نفوسهم لكن الفرق بين العلماء من أهل الله وبين العامة أنهم علموا ما الأجر ومن صاحبه ومن يطلبه منهم ممن لا يطلبه ولمن يرجع ذلك الحكم فكل ساع في أمر فإنما يسعى لنفسه كان ذلك الساعي من كان لا يستثنى ساع من ساع بل الأمر كله لله وتختلف الأجور باختلاف المقاصد فاعلاها حب المدح والثناء فإنها صفة الهيبة ولأجلها أوجد الله العالم ناطقاً بتسبيحه بحمده ودون ذلك من الأجور طلب الزيادة من العلم بالكوائن ودون ذلك من الأجور ما تطلبه الطبيعة من القوى الروحانية لوجود الانفعال كثيراً عنها ودون ذلك ما تطلبه الطبيعة من القوى الحسية لجرد الالتذاذ الذي للروح الحيواني به وليس وراء ذلك أجر يطلب فما ذكرنا سعيًا إلا وهو حظ للنفس الساعية فإذا علمت حفظ الله العالم علمت قوله تعالى تجري بأعيننا فكثير فقال فإنك بأعيننا فكثير فكل حافظ في العالم أمر أما فهو عين الحق إذ الحفظ لا يكون إلا ممن لا يغالب على محفوظه ولا يقاوى على حفظه فكن حافظاً لما أنت به تكن عين الحق في وجوده فحفاظ

العالم لهم هذه المترلة وهم لا يعلمون أنهم أعين الحق وذلك ليعلم فضل أهل الشهود والوجود على غيرهم وإن وقع الاشتراك في الصفة ولكن ليس من علم مترلته من حضرة الحق مثل من لم يعلم قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الأبواب فهذا إعلام بأنهم علموا ثم طرأ النسيان على بعضهم فمنهم من استمر عليه حكم النسيان فنسوا الله فنسيهم ومنهم من ذكر فتذكر وهم أولوا الأبواب ولب العقل هو الذي يقع به الغذاء للعقلاء فهم أهل الاستعمال لما ينبغي أن يستعمل بخلاف أهل العقول فإنهم أهل قشر زال عنه لبه فأخذه أولو الأبواب فعقلوا وما استعملوا ما ينبغي أن يستعملوه لأن العقل لا يستعمل إلا إذا كان قشراً على لب فاستعمال العقل بما فيه من صفة القبول لما يرد من الله مما لا يقبله العقل الذي لا لب له من حيث فكره فلهذا أهل الله هم أهل الأبواب لأن اللب غذاء لهم فاستعملوا ما به قوامهم وأهل العقل هم الذين يعقلون الأمر علة ما هو عليه إن اتفق وكان نظرهم في دليل فإذا عقلوا ذلك كانوا أصحاب عقل فإن استعملوه بحسب ما يقتضي ذلك المعقول فهم أصحاب لب

وفي الدهن إمداد لمن كان يفهم

وفي اللب لب الدهن إن كنت تعلم

فمن رزق الفهم من المحدثات فقد رزق العلم وما كل من رزق علماً كان صاحب فهم فالفهم درجة عليا في المحدثات وبه ينفصل علم الحق من علم الخلق فإن الله له العلم ولا يتصف بالفهم والحديث يتصف بالفهم وبالعلم وفي الفهم عن الله يقع التفاضل بين العلماء بالله والفهم متعلقه الإمداد الإلهي الصوري خاصة فإن كان الإمداد في غير صورة كان علماً ولم يكن هناك حكم للفهم لأنه لا متعلق له إلا في هذه الحضرة فلهذا يسمى مستفيداً لما استفاده من فهمه إذ لا يصح لمستفيد استفادة من غير حالة الانتقال من محل العالم المعلم إلى محل المتعلم فما استفاد ما استفاد إلا من فهمه فللمعلم إنشاء صور ما يريد تعليمها للطالب المتعلم وللمستفيد الفهم عنه فلولا قوة الفهم ما استفاد فكما لا تستوي الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور ولا الأحياء ولا الأموات كذلك لا يستوي الأعمى وهو الذي لا يفهم فيعلم ولا البصير الذي يفهم فيعلم كما لا تستوي الحسنة ولا السيئة فلا يستوي الحق والخلق فإنه ليس كمثله شيء فاعلم وهو السميع البصير فأبهم فحير العقول والفهوم بين الأعلام والإبهام غير أن الرحمة لما عمت عاملهم الحق بما أداهم إليه اجتهدهم أصابوا في ذلك أم أخطئوا طريق القصد بالوضع إذ لا خطأ من هذا الوجه في العالم الأعلى ما ذكرناه من إضافة شيء إلى غير ما أضيف إليه في نفس الأمر كمن يطلب الشيء من غير سببه الذي وضع له فله أجر الطلب لا أجر الحصول لأنه لم يحصل فهو طالب في الماء جذوة نار فكان في الإبهام عين المكر الإلهي فالعالم يلحق الفروع بأصولها على بصيرة وكشف المبهم عليه يلحق الفروع بالأصول فإن وافقت أصولها فبحكم المصادفة وهو يتخيل أنها أصل لذلك الفرع فإذا صادف سمي خيلاً صحيحاً وإن لم يصادف سمي خيلاً فاسداً فلولا الإبهام ما احتيج إلى الفهم فهي قوة لا تتصرف إلا في المبهمات الممكنات وغوامض الأمور ويحتاج صاحب الفهم إلى معرفة المواطن فإذا كان الميزان بيده الموضوع الإلهي عرف مكر الله وميزه ومع هذا فلا يأمنه في المستقبل لأنه من أهل النشأة التي تقبل الغفلات والنسيان وعدم استحضار العلم بالشيء في كل وقت ولا فائدة في إلحاق الفروع بأصولها إلا أن يكون للفروع حكم الأصول وأصل وجود العالم وجود الحق فللعالم حكم وجود الحق وهو الوجوب من حيث ما هو وجوب ثم كون الوجوب ينقسم إلى وجوب بالذات وإلى وجوب بالغير هذا أمر آخر وكذلك أصل وجود العلم بالله العلم بالنفس فللعلم بالله حكم العلم بالنفس الذي هو أصله والعلم بالنفس بحر لا أحل له عند العلماء بالنفس فلا يتناهى العلم بها هذا حكم علم النفس

فالعلم بالله الذي هو فرع هذا الأصل يلحث به في الحكم فلا يتناهى العلم بالله ففي كل حال يقول رب زدني علماً فيزيده الله علماً بنفسه ليزيد علماً بربه هذا يعطيه الكشف الإلهي وذهب بعض أصحاب الأفكار إلى أن العلم بالله أصل في العلم بالنفس ولا يصح ذلك أبداً في علم الخلق بالله وإنما ذلك في علم الحق خاصة وهو تقدم وأصل بالمرتبة لا بالوجود فإنه بالوجود عين علمه بنفسه عين علمه بالعالم وإن كان بالرتبة أصلاً فما هو بالوجود كما تقول بالنظر العقلي في العلة والمعلول وإن تساوقا في الوجود ولا يكون إلا كذلك فمعلوم أن رتبة العلة تتقدم على رتبة المعلول لها عقلاً لا وجوداً وكذلك المتضايقان من حيث ما هما متضايقان وهو أتم فيما نريد فإن كل واحد من المتضايقين عله ومعلول لمن قامت به الإضافة فكل واحد علة لمن هو له معلول ومعلول لمن هو له علة فعلة البنوة أوجبت للأبوة أن تكون معلولة لها وعلة الأبوة أوجبت للبنوة أن تكون معلولة لها ومن حيث أعيانها لا علة ولا معلول واعلم أنه مما يتعلق بهذا الباب كون العالم عيلاً لله تعالى وبعضه اتخذه أهلاً فقال عليه السلام في الخبر الوارد عنه أن الخلق عيال الله وأخير في خبر آخر أن أهل القرآن هم أهل الله وخاصته والأهلية منزلة خصوص واختصاص من العموم وجعل الرحم التي منها ظهر أولو الأرحام فينا شجنة من الرحمن كما أن الولد شجنة من أبويه وجعل له سبحانه نسباً بينه وبين عباده وهو التقوى فيضع أنساب الالم يوم القيامة ويرفع نسبه فيعلم لأنه أم ثم إلا من يقيه ومن اجترأ عليه فمن كونه أجرأه عليه بما ذكر من حكم نعتة بالعمو والتجاوز والصفح والمغفرة وعموم الرحمة فأشهدهم

هذه النعوت وليس لها أثر يظهر حكمه عموماً لكل ناظر إلا في العصاة ولا سيما العفو فكل عاص ما اجترأ على الله إلا به وهو من حيث نفسه متق لله فإن النسب ما للأحوال فيه أثر إذا هو صح وما اعتبر الله إلا النسب الديني وبه يقع التوارث بين الناس فإذا اجتمع في الشخص النسب الديني والطبي حينئذ له أن يحجب ما يحجبه من النسب الديني والطبي فإذا لم يكن له نسب طبيعي وله نسب ديني رجع على دينه لم يحجبوا بالنسب الطبي وراثته عن النسب الديني فورثه المسلمون أو يكون كافراً فيرثه الكفار وإن كان ذو نسب طبيعي وليس له نسب ديني فيرثه المسلمون فما إلا خرج عن دينه تعالى فإن نسب التقوى يعم كل نحلة وملة إن عقلت فمن حيث أن العالم عيال الله رزقهم ومن حيث أن فيهم من هو أهل له اعتنى بهم فأشفق عليهم ومن حيث أنهم مخلوقون على الصورة على وجه الكمال استأنهم ومن حيث أن بعضهم على بعض الصورة رفق بهم ومن حيث النسب المذكور ونظر إليهم الاسم الرحمن بالوصل وانتظام الشمل فمن كل وجه له نظر إليهم بالإحسان ولهذا تسمى بالبر الرحيم والبر معناه المحسان وهذا القدر كاف في الكلام في هذا المنزل فلنذكر ما يتضمن من العلوم فمنها علم أفضل الأشكال ومنها علم الكتب ومراتبها ومعرفة المبين منها من المنير من الحكيم من الكريم من المحصي من المسطور من المرقوم من المعنوي من الحسي من الأم من الإمام إلى غير ذلك من أصناف الكتب والكتاب فإن الله كتب التوراة بيده وكتب القلم بنفسه عن أمر ربه في اللوح المحفوظ ومرتبة كل كاتب وما كتب من الكتابة في الأرحام وهم كتاب الخلق والرزق والأجل والشقاء والسعادة والكرام الكاتبون والفرق بين المكتوب فيه من لوح محفوظ وألواح غير محفوظة ورق وغير ذلك وصور الكتابة الإلهية من غيرها هذا كله يعلم من هذا المنزل ويشهده من دخله وعلم المعمور من العالم من غير المعمور وغير المعمور هل معمور بما لا تدركه أبصارنا أو ليس بمعمور في نفس الأمر وعمارة الأمكنة بما يتكون فيها من نبات أو حيوان أو معدن أو ما يتزل فيه من حق وملك وجان والفرق بين الاسم الإلهي العلي والرفيع ولماذا جاء الاسم الرفيع مقيداً بالإضافة والعلي مطلقاً من غير تقييد وعلم كيفية إنقلاب الضد إلى ضده إذا جاوز حده هل ذلك من حيث جوهره أو جوهر صورته وعلم الإيلاء الإلهي بنفسه وبالموجودات والمعدومات وعلم المقسم عليه في تقييده بالماضي وهو الواقع أو بالمستقبل الذي لا

بد من وقوعه حكماً أو وجوده عيناً ولماذا اختص المقسوم عليه بالقسم دون غيره وهو من حيث هو عالم واحد وعلم القضاء هل له راد أم لا وذلك الراد هل هو منه أو أمر آخر اقتضاه شرط بالرفع أو بالثبوت وعلم تغير النعوت على المنعوت بما هل كل متغير بذاته أو كان التغير في حكمه لا في عينه ولا في صفته إن كان ذا صفة وعلم السبب المؤدي إلى الجحد مع العلم وأنه لا يتزل منزلة الجاهل في الحكم وهل الجاهل معذور أم لا وعلم العلم المحمود من العلم المذموم وهل الذم له عرضي عرض له من المعلوم أم لا أثر له فيه لا بالحكم العرضي ولا الذاتي وهل للعلم أثر محسوس في النفس والحس أم لا أثر له إلا في النفس كمن يعلم أنه تقع به مصيبة ولا بد فيتغير لذلك مزاجه ولونه وحركته ويتبلبل لسانه ويقول ولا يدري ما يقول فإن العلم أثر في النفس خوفاً وهذه الآثار آثار وجود الخوف عنده ما هي آثار العلم لأن العلم قد يقع في نفس القوي الذي يحكم على نفسه فلا يؤثر فيها خوفاً فلا يتغير مع وجود العلم وعلم الأمر الذي يعذب به الكاذب وهل يعذب بأمر عديمي لمناسبة الكذب أو يعذب بأمر وجودي لكون الكذب له مرتبة وجود في الوجود الذهني وحينئذ يعبر عنه الكاذب فهل عقوبته مثل نسبته إلى الحس فيكون بأمر عديمي أو بمثل نسبته إلى الخيال فيكون بأمر وجودي متخيل وهي علوم عجيبة في المشاهدات لا علم لعلماء الرسوم والنظار بهذه الموازنات لجهلهم بالميزان الموضوع الذي وضعه الله عند رفع السماء وبسط الأرض بين السماء والأرض وأنه مع كونه موضوعاً هو بيد الحق المسمى بالدهر يخفض ويرفع وعلم السحر لماذا يرجع وهل فيه محمود وما فعله وعلم السوء في قوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون وقوله سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وقوله اصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم وموطن الدنيا الذي وقع فيه الاستغفار يقتضي أن يقبل بخلاف موطن الآخرة فكما أنه استوى عندهم الإنذار وعدم الإنذار فلم يؤمنوا كذلك استوى في حقهم في الآخرة وجود الصبر وعدمه فلم يؤثر في نفوذ الجزاء الوفاق وعلم الاعتماد على غير الله مما يحمد الله أن يعتمد عليه ما أثره في الدار الآخرة في الجزاء الوفاق وعلم سبب النكاح الذي لا يكون عنه التناسل لإبقاء ذلك النوع وعلم سبب المعاطاة من غير حاجة إذ المعاطاة لا تكون إلا في ذي حاجة وعلم وجود الامتنان مع المعاوضة في البيوع لا في الهبات لأن الامتنان في الهبات معقول ولهذا شرعت المكافأة عليه ليضعف سلطان الامتنان والسبب الذي يرفع الامتنان من العالم ولم ينبغي الامتنان مع المعاوضة وعلم الفرق بين الكهانة والوحي وعلم ما هو الهوى والعقل الذي يقابله وعلم من أين خلق العالم هل من شيء أو من لا شيء وعلم هل تتفاضل الأرواح في القوة فيؤثر بعضها في بعض كالقوى الجسمانية أم لا وعلم الخرائن الإلهية وما اختزن فيها وأين مكائنها وعلم عندية الحق هل هي نسبة أو ظرف وجودي وعلم ترقى العالم الطبيعي على أي معراج يكون هل على طبيعي فيفتقر أيضاً إلى معراج أو على غير طبيعي وعلم صورة تأثير المعاني اللطيفة في الأجرام الكثيفة وعلم تأثير القصد في الأفعال وعلم ما ينبغي أن يكون عليه الإله من الصفات وعلم سبب خيبة الظنون في وقت دون وقت وعلم أحوال التنزيه فهذا بعض ما يحوي هذا المنزل من العلوم قد ذكرناه لتتوفر همة الطالب على طلبها من الله أو من العالم بما والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الثالث والثلاثون وثلاثمائة في معرفة منزل خلقت الأشياء من أجلك

وخلقتك من أجلي فلا تهتك ما خلقت من أجلي فيما خلقت من أجلك وهو من الحضرة الموسوية

إن النفوس لتجزى بالذي كسبت

من كل خير ولا تجزى بما اكتسبت

ما الاكتساب يكسب إن علمت به

جنيت من خير يوم الدين ما غرست

اعلم أيديك الله أن الله تعالى خلق جميع من خلق في مقام الذلة والافتقار وفي مقام المعين له فلم يكن لأحد من خلق الله من هؤلاء ترق عن مقامه الذي خلق فيه إلا الثقلين فإن الله خلقهم في مقام العزة وفي غير مقامهم الذي ينتهون إليه عند انقطاع أنفاسهم التي لهم في الحياة الدنيا فلهم الترقى إلى مقاماتهم التي تورثهم الشهود والتزول إلى مقاماتهم التي تورثهم الوقوف خلف الحجاب فهم في برزخ النجدين إما شاكراً فيعلو وإما كفوراً فيسفل قال تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما قال إلا في العبادة فلما جعل العبادة بأيديهم وجعلها المقصود منه بخلقهم فمنهم من قام بما قصد له فكان طائعاً مطيعاً لأمر الله الوارد عليه بالأعمال والعبادة فإنه قال لهم أعبدون كما أخبر أنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني هذا أمر بعبادة وأقم الصلاة لذكرى هذا أمر بعمل والعمل ما هو عبادة فالعمل صورة والعبادة روحها فالعبادة مقبولة عند الله على كل حال اقترنت بعمل أو لم تقترن والعمل لغير عبادة لا يقبل علة كل حال من حيث القاصد لوقوعه الذي هو النفس المكلفة لكن من حيث أن العمل صدر من الجوارح أو من جارحة مخصوصة فإنها تجزى به تلك الجارحة فيقبل العمل لمن ظهر منه ولا يعود منه على النفس الآمرة به لجوارح شيء إذا كان العمل خيراً بالصورة كصلاة المرائي والمنافق وجميع ما يظهر على جوارحه من أفعال الخير الذي لم تقصد به النف عبادة وأما أعمال الشر المنهي عنها فإن النفس تجزى بها للقصد والجوارح لا تجزى بها لأنه ليس في قوتها الامتناع عما تريد النفوس بها من الحركات فإنها مجبورة على السمع والطاعة لها فإن جارت النفوس فعليها وللجوارح رفع الحرج بل لهم الخير الأتم وإن عدلت النفوس فلها وللجوارح فإن النفوس ولاة الحق على هذه الجوارح والجوارح مأمورة مجبورة غير مختارة فيما تصرف فيه فهي مطيعة بكل وجه والنفوس ليست كذلك ومن النفوس من لم يقم بما قصد له فكان عاصياً مخالفاً أمر الله حين أمره بالأعمال والعبادة فالتطاع يقع منه العبادة في حالة الاضطراب والاختيار وإن لم يكن مطيعاً من حيث الأمر بالعمل فإن كان مطيعاً طائعاً فقد فاز بوقوع ما قصد له في الخلق والأمر فإن الله الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين وأما العاصي فلا تقع منه العبادة إلا في حال الاضطراب لا في حال الاختيار ويقع منه صورة العمل لا العمل المشروع له فهو مخالف لأمر الله فلم يقم بما قصد له من الخلق والأمر ولما خلق الله الثقلين في هذا المقام الذي قصده بخلقهم وهو أجلية الحق فرغهم لذلك حتى لا يقوم لهم حجة بالاشتغال بما به قوامهم فخلق الأشياء التي بها قوامهم خاصة من أجلهم ليتفرغوا لما قصد بهم فقامت عليهم حجة الله إذا لم يقوموا بما خلقوا له ثم إنه علم من بعضهم أنه يقوم له شبهة في السعي فيما خلق من أجله في حق الغير لما بلغه أن الله يقول جعت فلم تطعمني وقال لما قال له العبد يا رب وكيف تطعم وأنت رب العالمين فقال الله له ألم تعلم أنه استطعمك فلان فلم تطعمه أما أنك لو أطعمته وجدت ذلك عندي فأنزل الحق نفسه منزلة ذلك الجائع فقد لاحت له هذه شبهة قال نسعى في حق الغير وننتفع بما نسعى به بحكم التبع فقال الله له ما فهمت عني ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين لا أنتم فما بقيت لهم حجة بتمام الآية وأما اعتمادهم على ذلك الخبر فلا يقوم لهم به حجة عند الله فإنه لما خلق الأشياء من أجلك التي بها قوامك أعطاك إياها وأوصلها إليك ليكون بها قوامك ثم أفضل لبعضهم من ذلك ما يزيد على قوامهم ليوصله إلى غيره ليكون به قوام ذلك الغير ويحصل لهذا أجر أداء الأمانة التي آمنه الله عليها فذلك هو الذي

عتبه الحق حيث استطعمه فلان وكان عنده ما يفضل عن قوامه فلم يعطه إياه فلم يلزم من هذا الخبر أن يسعى في حق الغير وهو المراد في تمام الآية في قوله ما أريد منهم رزق وما أريد أن يطعمون ولما خلق الله الإنسان وأعطاه الجدل قال بعضهم لما استطعمني فلان وعندي ما يفضل عن قوامي فلو كان لهذا المستطعم أمانة عندي ما استطعت إمساكها فلذلك لم نطعمه فقليل له ما قيل لإبليس متى علمت أنه ليس له أبعد ما منعه أو قبل ذلك أعطاك الله علم الكشف أنه ليس لهذا أو عين لك صاحبه أو علمت أنه ليس له إلا بعد

حصول المنع منك وانصرافه عنك فلا بد أن يقول بعد المنع علمت ذلك فيقال له بذلك أخذت فإن إبليس قال للحق أمرتني بما لم ترد أن يقع مني فلو أردت مني السجود لآدم لسجدت فقال الله له متى علمت أني لم أرد منك السجود بعد وقوع الإباية منك وذهاب زمان الأمر أو قبل ذلك فقال له بعد ما وقعد الإباية علمت أنك لو أردت السجود مني لسجدت فقال الله له بذلك أخذتك ولم يؤخذ أحد إلا بالجهل فإن أهل العلم الذين طالعهم الله بما يحدثه من الكوائن في خلقه قبل وقوعها لا يؤخذون على ما لم يقع منهم مما أمروا به بالواسطة أن يقع منهم فإنهم في عين القربة بالإطلاع وليس المراد امتثال الأمر إلا بالقربة ومحل القربة ليس بمحل تكليف فإذا وقع من المقرين أعمال الطاعات فبشهود فإنهم على بينة من ربهم فهم عاملون من حيث شهودهم الأمر الإلهي من غير الوساطة التي جاءت به فهم بالصورة في الظاهر إتباع الأمر بالواسطة وفي الباطن أصحاب عين لا إتباع فالحاصل من هذا أنه من لم يرغب عن عبوديته لله في كل حال فقد أدى ما خلق له وكان طائعاً وسواء كان مطيعاً أو مخالفاً فإن العبد الآبق لا يخرج منه إياقه عن الرق وإنما يخرج منه عن لوازم العبودية من الوقوف بين يدي سيده لامتنال أو أمره ومراسمه ألا ترى اسم العبودية ينسحب عليه سواء كان مطيعاً أو مخالفاً كما يبقى اسم البنوة على الابن سواء كان باراً أو عاقاً فالعبد الذي وفي ما خلق له لا يخلو أمره في نفسه من حالتين إما أن يكون مشهوده قيمته فهو يقوم في مقام قيمته فيصحبه الانكسار والتسليم والخضوع وإما أن يقام في حال الاعتزاز بسيده فيظهر عليه العجب بذلك النخوة كعتبة الغلام لما زهى فقليل له في ذلك فقال وكيف لا أزهو وقد أصبح لي مولى وأصبحت له عبداً كما هو الأمر في نفسه ولكن الفضل في أن يكون ذلك الأمر مشهوداً له فهاتان حالتان محمودتان تشهد كل واحدة منهما للعبد بأنه وفي بما خلق له وبقي أي الحالتين أولى بالعبد هل شهود القيمة أو الاعتزاز بالسيد فمن قائل بهذا ومن قائل بهذا والصحيح عندي عدم الترجيح في ذلك لما ذكره وذلك أن المقامات والمواطن تختلف فالموطن الذي يطلب ظهور الاعتزاز بالله لا ينبغي أن يظهر فيه العبد إلا بالاعتزاز بالله والموطن الذي يقتضي ويطلب بذاته شهود العبد قيمته لا ينبغي أن يظهر فيه هذا العبد إلا بشهود قيمته وقد احتج بعضهم في الاعتزاز بقوله تعالى ففررت منكم لما خفتكم وبأمر تعالى ففروا إلى الله وهذه حجة للفرقيين فإنه قد يفر إلى الله لطلب الاعتزاز بالله وقد يفر إلى الله لتكون ذلته إلى الله وحاجته لا إلى غيره إذ هو مفطور على الحاجة والافتقار ولهذا قال بعد الأمر بالفرار إلى الله تعالى ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر تفتقروا إليه بل فروا إلى الله في طلب حوائجكم منه التي فطرتم عليها وأما فرار موسى عليه السلام الذي علله بالخوف من فرعون وقومه فما كان خوفه إلا من الله أن يسلطهم عليه إذ له ذلك ولا يدري ما في علم الله فكان فراره إلى ربه ليعتز به فوهبه ربه حكماً وعلماً وجعله من المرسلين إلى من خاف منهم بالاعتزاز بالله وأيده بالآيات البينات ليشد منه ما ضعف مما يطلبه حكم الطبيعة في هذه النشأة فإن لها خوراً عظيماً لكونها ليس بينها وبين الأرواح التي لها القوة والسلطان عليها واسطة ولا حجاب فلازمها الخوف ملازمة الظل للشخص فلا يتقوى صاحب الطبيعة إلا إذا كان مؤيداً بالروح فلا يؤثر فيه خور الطبيعة فإن الأكثر فيه إجراء الطبيعة وروحانيته التي هي نفسه المدبرة له موجودة أيضاً عن الطبيعة فهي أمها وإن

كان أبوها روحاً فللأم أثر في الابن فإنه في رحمها تكون وبما عندها تغذى فلا تتقوى النفس بأبيها إلا إذا أيدها الله بروح قدسي ينظر إليها فحينئذ تقوى على حكم الطبيعة فلا تؤثر فيها التأثير الكلي وإن بقي فيه أثر فإنه لا يمكن زواله بالكلية واعلم أن الطبيعة ولود لا عقم فيها ودود متحبة لزوجها طلباً للولادة فإنها تحب الأبناء ولها الحنو العظيم على أولادها وبذلك الحنو تستحبهم إليها فإن لها التربية فيهم فلا يعرفون سواها ولهذا لا نرى أكثر الأبناء إلا عبيداً للطبيعة لا يرحون من المحسوسات والملدوذات الطبيعية إلا القليل فإنهم ناظرون إلى أبيهم وهم المترحنون وليس علامتهم وعدم التنوع في الصور فإن التنوع في الصور كما هو لهم هو للطبيعة أيضاً وإنما علامة المتروحين على أنهم أبناء أبيهم تزهيمهم عن الشهوات الطبيعية وأخذهم منها ما يقيمون به نشأتهم كما قال صلى الله عليه وسلم حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فهمتهم للحق بأبيهم الذي هو الروح الإلهي اليائي لا الأمري وإنما قلنا اليائي لقوله ونفخت فيه من روحي بياء الإضافة إليه لأنه لا فرق بين روح الأمر وبين روح بياء الإضافة فجعل روح الأمر لما يكون به التأيد وجعل روح البياء لوجود عين الروح الذي هو كلمة الحق المنفوخ في الطبيعة فحن حنين الولد إلى أبيه ليتأيد به على ما يطلبه من شهود الحق الخارج عن الروح والطبيعة من حيث ما هو غني عنهما لا من حيث ما هو متجل للأبناء منهما أو بهما أو فيهما كل ذلك له وهذا مطلب عزيز فإذا ناله وتقوى به أتى الشهوات بحكم المتنان عليها نزولاً منه إليها فهو يحكم بها على المشتبهات ما تحكم عليه شهوة في المشتبهات فهو مشتبه الشهوة وغيره تحت حكم الشهوة فصاحب هذا المقام يحدث عين الشهوة في نفسه قضاء وإجابة لسؤالات من يشتهي من عالمه الخاص به فينالون بتلك الشهوة ما يشتهون فيتنعم الروح الحيواني وهي ناظرة إلى ربها غير محجوبة قد تجلى لها في اسمه الخلاق وخلع عليها هذا الاسم ليتكون عنها ما تريد لا ما تشتهي فهذه هي النفوس الفاضلة الشريفة المشبهة بمن هي له فتنظر إلى الطبيعة نظر الولد البار لأنه مع استغنائه عنها وفاء لحقها وأن الناس انقسموا في هذا الحكم أقساماً فمنهم من عبد الله وفاء لحق العبودية فأقام نشأتها على الكمال فأعطاها خلقها ومنهم من عبد الله وفاء لحق الربوبية الذي تستحقه على هذا العبد فأقام نشأة سيادة خالقه عليه فأعطاها خلقها من غير نظر إلى نفسه كما كان الأول من غير نظر إلى سيادة سيده بما هو ظاهر كل نشأة لا بما هي في نفس الأمر لأن العبد لا تعمل له فيما تقتضيه الأمور لأنفسها ومنهم من عبده لإقامة النشأتين فأعطاها خلقها فاقام نشأة عبوديته ونشأة سيادة سيده وذلك في وجوده وعينه إذ هو محل لظهور هذه النشأة ومنهم من عبد الله لكونه مأموراً بالعبادة وما عنده خبر بإقامة هذه النشآت فعبدته يلازم العبودية فعبادته عن أمر إلهي ما هي ذاتية ومنهم من أقامه الله في العبادة الذاتية فلم يحضر أمره إلا في العمل لا في العبادة ومنهم في عبده بهذه الوجوه كلها وهو أقوى القوم في العبادة والنشأة القائمة من مثل هذا العبد أتم النشآت خلقاً فإن إقامة النشأة لا بد منها فإن كانت مقصودة للعبد أضيفت إليه وحمد عليها وإن لم تكن مقصودة للعبد العابد أقامها الحق تعالى وأضيفت إلى الله وحمد عليها مع ظهورها من العابد والقصد إلى إيجادها أولى من الغفلة عنها أو الجهل بها فمن الناس من يشهد ما ينشئ ومن الناس من لا يشهد ما ينشئ لأنه لا يعلم أنه ينشئ فيتولى الله إنشاءه على غير علم منه حتى تقوم صورة النشأة فيشهدها العابد حينئذ صادرة عنه فيحمد الله حيث ظهر منه مثل هذا فهم على طبقات في هذا الباب أعني باب العبادة وهكذا الحكم فيما ينشئ عنهم من صور الأعمال الظاهرة والباطنة هم فيها على طبقات مختلفة فمنهم الجامع للكل ومنهم النازل عن درجة الجمع

ثم اعلم أن الأحد لا يكون عنه شيء البتة وأن أول الإعداد إنما هو الاثنان ولا يكون عن الاثنين شيء أصلاً ما لم يكن ثالث يزوجهما ويربط بعضهما ببعض ويكون هو الجامع لهما فحينئذ يتكون عنهما ما يتكون بحسب ما يكون هذان الاثنان عليه إما أن

يكونا من الأسماء الإلهية وإما من الأكوان المعنوية أو المحسوسة أي شيء كان فلا بد أن يكون الأمر على ما ذكرناه وهذا هو حكم الاسم الفرد فالثلاثة أول الأفراد وعن هذا الاسم ما ظهر من أعيان الممكنات فما وجد ممكن من واحد وإنما وجد من جمع وأقل الجمع ثلاثة وهو الفرد فافتقر كل ممكن إلى الاسم الفرد ثم إنه لما كان الاسم الفرد مثلث الحكم أعطى في الممكن الذي يوجد ثلاثة أمور لابد أن يعتبرها وحيث يوجده ولما كان الغاية في المجموع الثلاثة التي هي أول الأفراد وهو أقل الجمع وحصل بها المقصود والغنى عن إضافة رابع إليها كان غاية القوة المشرك الثلاثة فقال أن الله ثالث ثلاثة ولم يزد على ذلك وما حكى عن مشرك بالله أنه قال فيه غير ثالث ثلاثة ما جاء رابع أربعة ولا ثامن ثمانية وهكذا ظهرت في البسمة ثلاثة أسماء لما كان من أعطى التكوين يقول بسم الله الرحمن الرحيم والتكوين الإلهي عن قول كن وهو ثلاثة أحرف كاف وواو ونون الواو بين الكاف والنون لا يظهر لها لأمر عارض أعطاه سكون النون وسكون الواو إلا أنه للنون سكون أمر فانظر سريان الفردية الأولية كيف ظهر في بروز الأعيان واعتبر فيما يتكون عنه ثلاثة أمور أجعلها حقوقاً فمن أحضر من العابدين المنشئين صور أعمالهم وعبادتهم هذه الحقوق عند إرادتهم إنشاءها وأعطى كل ذي حق حقه في هذه المنشآت كان أتم وأعلى درجة عند الله ممن لم يقصد ما قصده والصورة المنشأة فيها ثلاثة حقوق يقصدها الموجد الفرد الحق الواحد لله وهو ما يستحقه منها من التزيه أو التسبيح بحمده وحق النفس الصورة من الاسم الفرد وهو إيجادها بعد أن لم تكن لتتميز في حضرة الوجود وتنصغ به وتلحق بما هو صفة خالقها وموجدها وهو الله وهذه الدرجة الأولى من درجات التشبه به للظهور في الوجود والانصباع به والحق الثالث ما للغير في وجودها من المصلحة فتعطيه تلك المنشأة حق ذلك الغير منها وهو مقصود لموجدها وذلك الغير صنفان الصنف الواحد الأسماء الإلهية فتظهر آثارها المتوقف ظهور تلك الآثار على وجود هذه العين والصنف الآخر ما فيها من حقوق الممكنات التي لا تكون لها إلا بوجود هذه الصورة المنشأة فيقصد المنشئ لها في حين الإنشاء هذه الأمور كلها فيكون الثناء الإلهي على هذا العابد بحسب ما أحضر من ذلك وما قصد فمنهم من يجمع هذا كله في صورة عبادته وصورة عمله فيسري التثليث في جميع الأمور لوجوده في الأصل ولهذا قال فيمن قال بالتثليث أنه كافر فقال لقد كفر الذين قالوا أن الله ثالث ثلاثة وما سماه مشركاً فإنه ستر ما كان ينبغي له إذ قال به أن يبين صورته ولو أبان صورته لقال هذا الذي قلناه وتبين للسامع الحق في ذلك فلما ستر هذا البيان سماه كافراً لأنه ما من إله إلا اله واحد وإن كانت له أحكام مختلفة ولا بد منها فلو لم يستر هذا الكافر وأبان لقال ما هو الأمر عليه وأما من يدعي أن الآلهة ثلاثة فذلك مشرك جاهل ونعوذ بالله أن يكون عاقل من المشركين فالعدد أحكام الواحد وقد جاء العدد في الأسماء الحسنى وجاء قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا من حيث دلالة على عين المسمى فله أي لذلك المسمى الأسماء الحسنى التي الله والرحمن منها من حيث ما هي أسماء لكن الأفهام قاصرة عن إدراك ما يريد الله في خطابه بأي لسان كان فهذا بعض ما في هذا المتزل قد ذكرناه فلنذكر ما يحوي عليه من العلوم النافعة على طريق الذكرى فإن الذكرى تنفع المؤمنين فنقول والله يقول الحق ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم فمن ذلك علم أسماء التكوين وعلم حروف التكوين وعلم الأرواح المفرقة لا الجامعة وعلم الأمور الحاملة للأشياء ما يقصد بحملها ولمن تنتهي بالحمل إليه وعلم السعائيات ما نهايتها وما المقصود بها من السعاة هل لنيل ما ليس عندهم أو لإيصال ما عندهم لمن يطلبه إما بذاته الذي هو الطلب الذاتي وإما بسؤال منه في ذلك فيعطيه هذا الساعي بتيسير ويرجحه من سعيه إليه وكده ومشقته وعلم تفاصيل الأمور ولماذا ترجع تفاصيلها وتقسيمها إلى الأصل وهو الأسماء الإلهية أو

للقوابل وهي أعيان الممكنات أو للمجموع أي أمر كان من الأمور التي يطلبها التفصيل والتقسيم وعلم الجزاء وصدق الوعد دون

الوعيد وعلم مدارج الملائكة والأرواح المفارقة المحمولة في الصور الجسدية وعلم الخلاف من علم الاتفاق وفي ماذا ينبغي الاتفاق وفي ماذا ينبغي الاختلاف وهل للاختلاف وجه إلى الموافقة أم لا وعلم السبب الذي منه تنبأ من ليس بنبي وهو المنتبئ وعلم سبب السهو في العالم وعلم الفتن والملاحم وعلم صورة الأخذ من الله كيف يكون على الكشف وما أنتجه في الآخذين من أعمالهم في زمان التكليف وعلم المسامرة بعد إعطاء الحقوق وعلم الستر وعلم التجلي في بعض المواطن وعلم أداء الحقوق ومن يؤدي بعد طلب صاحب الحق حقه ومن يبادر به وعلم علامات اليقين وعلم أبنيات الأشياء ويتميز كل أين بتميز الشئئية التي تطلبه وعلم التشبيه بين الأشياء للروابط التي تجمعها والوجوه وإن فرقتها أمور أخر فحكم الجامع لا يزول كما أن حكم الفارق لا يزول فإنه الحكم المقوم لذات الشيء وعلم حقوق الزائرين وعلم سبب تقديم السلام على تقديم الطعام للضيف النازل وتقديم الطعام قبل الكلام وعلم ما يتعين على الضيف أن يقوله ويعرف به صاحب المنزل وما لا يتعين عليه وعلم الرسالة وظهور الملك في صورة البشر عند أداء الرسالة ما سببه في بعض الأحوال دون بعض وعلم الرسالة البشرية وعلم الأخذات الإلهية وعلم تأثير القوة هل يؤثر في قوي أو ضعيف مطلق أو ضعيف إضافي وعلم التمهيد والسياسات والنواميس والشرائع وعلم النتاج والإنتاج بين الزوجين وعلم ما طلب الحق من عباده على الإطلاق والعموم وعلى التقييد

الباب الرابع والثلاثون وثلاثمائة في معرفة منزل تجديد المعدوم

وهو من الحضرة الموسوية

عن الحق لما أن تحققت الهوى

من الرنق ما يعميه في موقف السوى

فقام خطيباً بين مروءة والصفاء

جباه لعشاق وأوجهها العلا

هوى النور فارتدت عقول كثيرة

وجاء بحب لا يشوب صفاءه

وأثبتته النعت الودود بذاته

وقال أنا العشق الذي سجدت له

اعلم أيديك الله أن تجديد المعدوم لا يكون إلا في المعدوم الإضافي كعدم زيد الذي كان في الدار فعاد إلى الدار بعد ما كان معدوماً عنها بوجوده في السوق قال تعالى في هذا المقام ما يأتيهم من ذكر من رهم محدث فكان محدثاً عندهم لا في عينه وأما في الأعراض فهل ترد بأعيانها بعد عدمها أو هي أمثالها لا أعيانها ففي إمكان النظر العقلي أنه لا يحيل رجوعها في أعيانها بعد عدمها فيكون عين الحركة من المتحرك إذا التحقت بالعدم ثم أعقبها السكون ثم تحرك ذلك الساكن في زمان آخر يمكن أن يكون تحريكه عين حكم تلك الحركة أوجدها الحق بعد عدمها أو زمان عدمها بكونه خلقها في متحرك آخر غير ذلك الحل فيكون ذلك تجديد الوجود عليها فتتصف بالوجود مرتين أو مراراً وهذا في الكشف لا يكون للاتساع الإلهي فلا يتكرر شيء أصلاً فهو في خلق جديد لا في تجديد فإذا أطلق على الجديد اسم التجديد فلما يعطيه الشبه القوي الذي يعسر ميزه وفصله عن مثله فيتخيل لوجود الإمكان في النظر العقلي أنه عين ما أتنعدم جدد الحق عليه الوجود ويقال في الليل والنهار الجديدان لا المتجددان فما هو يوم السبت يوم الأحد ولا هو يوم السبت من الجمعة الأخرى ولا هو من الشهر ولا من السنة الأخرى ولا واحد الأحد عشر المركب من العشرة والواحد

حناجرهم أي يترل من الخيال الذي في مقدم الدماغ إلى اللسان فيترجم به ولا يجاوز حنجرتة إلى القلب الذي في صدره فلم يصل إلى قلبه منه شيء وقال فيهم أنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا ترى فيه أثراً من دم الرمية وكلامنا ليس هو مع من هذه صفته من التالين وليس التالي إلا من تلاه عن قلبه والقرآن صفة ربه وصفة ذاته والقلب المؤمن به التقى الورع قد وسعه فهذا هو العرش الذي وسع استواء الحق الذي هو رفيع الدرجات ذو العرش وما أحسن ما نبه الله على صاحب هذا المقام الذي كان قلبه عرشاً للقرآن ذوقاً وتجلياً فيعلم لذوقه وخبرته اتصاف الرحمن بالاستواء على العرش ما معناه وأمر من ليس يعلم ذلك أن يسأل من يعلمه علم خيرة من نفسه لا علم تقليد فقال تعالى ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً أي فالمسؤول الذي هو بهذه الصفة من الخبرة يعلم الاستواء كما يعلمه العرش الذي استوى عليه الرحمن لأن قلبه كان عرشاً لاستواء القرآن كما قرناه فانظر ما أعجب تعليم الله عباده المتقين الذي قال فيهم أن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً واتقوا الله ويعلمكم ومعناه أن يفهمكم الله معاني القرآن فتعلموا مقاصد المتكلم به لأن فهم كلام المتكلم ما هو بأن يعلم وجوه ما تتضمنه تلك الكلمة بطريق الحصر مما تحوي عليه مما تواطأ عليه أهل ذلك اللسان وإنما الفهم أن يفهم ما قصده المتكلم بذلك الكلام هل قصد جميع الوجوه التي يتضمنها ذلك الكلام أو بعضها فينبغي لك أن تفرق بين الفهم للكلام أو الفهم عن المتكلم وهو المطلوب فالفهم عن المتكلم ما يعلمه؟؟ نزل القرآن على قلبه وفهم الكلام للعامة فكل من فهم من العارفين عن المتكلم فقد فهم الكلام وما كل من فهم الكلام فهم عن المتكلم ما أراد به على التعيين إما كل الوجوه أو بعضها فقد نبهتكم على أمر إذا عملت في تحصيله من الله حصلت على الخير الكثير وأوتيت الحكمة جعلنا الله ممن رزق الفهم عن الله فتزول القرآن على القلب بهذا الفهم الخاص هي تلاوة الحق على العبد والفهم عنه فيه تلاوة العبد على الحق وتلاوة العبد على الحق عرض الفهم عنه ليعلم أنه على بصيرة في ذلك بتقرير الحق إياه عليه ثم يتلوه باللسان على غيره بطريق التعليم أو يذكره لنفسه لاكتساب الأجر وتجديد خلق فهم آخر لأن العبد المنور البصيرة الذي هو على نور من ربه له في كل تلاوة وفهم في تلك الآية لم يكن له ذلك الفهم في التلاوة التي قبلها ولا يكون في التلاوة التي بعدها وهو الذي أجاب الله دعاءه في قوله رب زدني علماً فمن استوى فهمه في التلاوتين فهو مغبون ومن كان له في كل تلاوة فهم فهو رابح مرحوم ومن تلا من غير فهم فهو محروم فالآية عنده ثابتة محفوظة والذي يتجدد له الفهم فيها عن الله في كل تلاوة ولا يكون ذلك إلا بإنزال فتارة يحدث إنزاله من الرب الذي ينظر إلى التالي خاصة لا من حضرة مطلق الربوبية وتارة يحدث إنزاله من الرحمن مطلقاً لكون الرحمن له الاستواء على العرش المحيط مطلقاً وله الرحمة التي وسعت كل شيء فلم يتقيد والرب ليس كذلك فإنه ما ورد الرب في القرآن إلا مضافاً إلى غائب أو مخاطب أو إلى جهة معينة أو إلى عين مخصوصة بالذكر أو معين بدعاء خاص لم يرد قط مطلقاً مثل الرحمن والاسم الله له حكم الرحمن وحكم الرب فورد مضافاً ومطلقاً مثل قوله قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن فورد مطلقاً ومثل قوله وإلهم فوراً مقيداً ولكن بلفظة إله لا بلفظ الله فمن راعى قصد التعريف لم يفرق بين الله والإله ومن راعى حفظ الاسم وحرمة حيث لم يتسم به أحد وتسمى بإله فرق بين اللفظتين وإذا فرق فيكون حكم لفظ الله لا يتقيد فإذا كان حدوثه في الإنزال على القلب من الرب يترل مقيداً ولا بد فيكون عند ذلك قرآناً كريماً أو قرآناً مجيداً أو قرآناً عظيماً ويكون القلب النازل عليه بمثل ما نزل عليه من الصفة عرشاً عظيماً أو عرشاً كريماً أو عرشاً مجيداً وإذا حدث نزوله من الرحمن على القلب لم يتقيد بإضافة أمر خاص فكان القلب له عرشاً غير مقيد بصفة خاصة بل له مجموع الصفات والأسماء كما أن الرحمن له الأسماء الحسنى كذلك لهذا العرش النعوت العلى بمجموعها وإنما قلنا ذلك لأنه نزل علينا في الفهم عن الله في القرآن

إطلاق القرآن في موضع وتقييده بالعظمة في موضع في قوله ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم وقيده في موضع آخر بالجد فقال بل هو قرآن مجيد وق والقرآن المجيد وقيده في موضع آخر بصفة الكرم فقال تعالى إنه لقرآن كريم فلما أطلقه وقيده بهذه الصفات المعينة وجعل القلب مستواه خلع عليه نعوت القرآن من إطلاق وتقييد فوصف عرش القلب بالإطلاق في قوله ثم استوى على العرش الرحمن ولم يقيد العرش بشيء من الصفات كما لم يصف الرحمن ولما قيد العرش قيده بما قيد به القرآن من الصفات فقال في العظمة رب العرش العظيم فأخذه من القرآن العظيم وقال في الكرم ورب العرش الكريم فاستوى عليه القرآن الكريم وقال ذو العرش المجيد في قراءة من حفظ وجعله نعتاً للعرش فاستوى عليه القرآن المجيد فعظم العرش القلي ومجد وكرم لعظم القرآن وكرمه ومجده فجاء بثلاثة نعوت للقرآن لما هو عليه الأمر في نفسه من التثليث وقد تقدم الكلام قبل هذا في غير هذا الباب في الاسم الفرد وأن له في المرتبة الأولى التي يظهر فيها وجود عينه مرتبة الثلاثة فهي أول الأفراد فلتنظر هناك رتبة التثليث في العالم وقد تقدم لنا شعر في التثليث في بعض منظومنا نشير به إلى هذا المعنى وهو في ديوان ترجمان الأشواق لنا وأول المقطوعة

ظباء تريك الشمس في صور الدمى

وأحرس روضاً بالربيع منمنما

ووقتاً أسمى راهباً ومنجما

بذي سلم والدير من حاضري الحمى

فأرقب أفلاكاً وأخدم بيعة

فوقتاً أسمى راعي الطبى بالفلا

إلى آخر القصيدة وشرحناها عند شرحنا الديوان ترجمان الأشواق وقد علمت يا ولي حدوث نزول القرآن المطلق على القلب من غير تقييد وأنه الذكر الذي أتاه من الرحمن ولكن ما أعرض عنه كما أعرض من تولى عن ذكره تعالى بل تلقاه بالقبول والترحيب فقال له أهلاً وسهلاً ومرحباً فرد بتأهيل وسهل ومرحب وجعل قلبه عرشاً له فاستوى عليه بحكمه وأما إذا أتاه القرآن من ربه فإنه القرآن المقيد بالصفات التي ذكرناها فيتلقاه أيضاً هذا العبد كما تلقاه من الرحمن بأهل وسهل ومرحب ويجعل قلبه عرشاً له من حيث تلك الصفة المعينة فيكسوه القرآن صفة ما جاء به من عظمة أو مجد أو كرم فظهرت صورة القرآن في مرآة هذا القلب فوصف القلب بما وصف به القرآن فإن كان نزوله بصفة العظمة أثر في القلب هيبة وجلالاً وحياء ومراقبة وحضوراً وإحباتاً وانكساراً وذلة وافتقاراً وانقباضاً وحفظاً ومراعاة وتعظيماً لشعائر الله وانصبغ القرآن كله عنده بهذه الصفة فأورثه ذلك عظمة عند الله وعند أهل الله وما يجهل أحد من المخلوقات عظمة هذا الشخص إلا بعض الثقلين لأنهم ما سمعوا نداء الحق عليه بالتعريف وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا أحب الله عبداً قال لجبريل إني أحب فلاناً فيحبه جبريل ثم يأمره أن يعلم بذلك أهل السماء فيقول ألا إن الله تعالى قد أحب فلاناً فأحبه فيحبه أهل السماء كلهم ثم يوضع له القبول في الأرض ولكن عند من وأين كان قتلة الأنبياء من هذا القبول أحرنا صاحبنا موسى السدراني وكان صاحب خطوة محمولاً قال لما وصلت إلى جبل قاف وهو جبل عظيم طوق الله به الأرض وطوق هذا الجبل بحية عظيمة قد جمع الله رأسها إلى ذنبها بعد استدارتها بهذا الجبل قال موسى فاستعظمت خلقها قال فقال لي صاحبي الذي كان يحملني سلم عليها فإنها ترد عليك قال ففعلت فردت السلام وقالت كيف حال الشيخ أبي مدين فقلت لها وأنى لك بالعلم بهذا الشيخ فقالت وهل على وجه الأرض أحد يجهل الشيخ أبا مدين فقلت لها كثير يستخفونه ويجهلونه ويكفرونه فقالت عجباً لبني آدم أن الله مذ أنزل محبته إلى من في الأرض وإلى الأرض عرفته جميع البقاع

والحيوانات وعرفته أنا في جملة من عرفه فما تخيلت أن أحداً من أهل الأرض يبغضه ولا يجهل قدره كما هم أهل السماء في حق من أحبه الله فلما سمعت منه هذه الحكاية قلت أين هذا الأمر من كتاب الله قال لا أدري قلت له لما خلق الله آدم الإنسان الكامل على الصورة أعطاه حكمها في العالم حتى تصح النسبة والنسب فقال تعالى ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض فأطلق والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب فعم الأممات والمولدات وما ترك شيئاً من أصناف المخلوقات فلما وصل بالتفصيل إلى ذكر الناس قال وكثير من الناس ولم يقل كلهم فجعل عبده الصالح المحبوب في الحكم على صورته فأحبه بحب الله جميع من في السموات ومن في الأرض على هذا التفصيل وكثير من الناس لا كلهم فكفروه كما كفروا بالله وشتموه كما شتموا الله تعالى وكذبوه كما كذبوا الله وقد ورد في الحديث الصحيح الإلهي أن الله يقول كذبي ابن آدم ولم يكن ينبغي له ذلك وشتمني ابن آدم ولم يكن ينبغي له ذلك الحديث فإذا وجد الإنسان من نفسه هذه الصفة التي ذكرناها عند التلاوة أو استحضار القرآن علم أن القرآن العظيم آتاه من ربه في ذلك الوقت وإذا جلى الله له سبحانه وكشف له عن شرف نفسه بخلقه على صورة ربه وما أعطاه الله من ظهوره بالأسماء الإلهية وما فضله الله به من حيث أنه جعله العين المقصودة ووسع قلبه حتى وسع علماً بما تجلى له وكشف له عن منزلته عنده وقبوله لزيادة العلم به دائماً وتأهله للترقي في ذلك إلى غير نهاية دنيا وآخرة وما سخر في حقه مما في السموات وما في الأرض جميعاً ونظر إلى نظر كل جزء من العالم إليه بعين التعظيم والشغوف عليه ورأى كل العالم في خدمته كما هو في تسبيح ربه لظهوره عندهم في صورة ربه ويظهر هذا كله لهذا الشخص عند التلاوة للقرآن لا غير علم عند ذلك أنه يتلو القرآن المجيد وأنه الذي نزل عليه وآتاه من ربه ولهذا كشف له منزلة وشرفه ومجده فاستوى مجيد على مجيد وإذا جلى الله له سبحانه وكشف له عن كرم نفسه بما يؤثر به على نفعه مع وجود الحاجة لما آثر به وسعى في قضاء حوائج الناس من مؤمن وغير مؤمن ونظر جميع العالم

بعين الرحمة فرحمه ولم يخص بذلك شخصاً من شخص ولا عالماً من عالم بل بذل الوسع في إيصال الرحمة إليهم وقبل أعضائهم وتحمل أعبائهم وجهلهم وأذاهم وجازاهم بالإساءة إحساناً وبالذنب عفواً وعن الإساءة تجاوزاً وسعى في كل ما فيه من راحة لمن سعى له وذلك كله في حال تلاوته علم قطعاً أنه يتلو القرآن الكريم فإن هذه صفته وإنه القرآن الذي آتاه من ربه وأن الله يعامله بمثل ما عامل به وأعظم ما يتكرم به العبد ما يتكرم به على الحق بطاعته وامتنال أمره فإن الله يفرح بتوبة عبده فإذا تكرم على الله بمثل هذا فقد أغاظ عدو الله وهذا أعظم الكرم فإن الأخلاق الحمودة لا تحصل للعبد إلا بهذا الطريق الذي قررناه فمن أخذ الأخلاق كما تقرر أخذها فهو المتمم لمكارم الأخلاق والمنعوت بها وذلك لا يكون إلا بالتكريم على الله فإننا قد علمنا أنه من المحال أن يعم الإنسان بخلقه ويبلغ به رضى جميع العالم عليه في نفسه من المخالفة والمعادة فإذا أَرْضَى زيداً أسخط عدوه عمراً فلم يعم بخلقه جميع العالم فلما رأى استحالة ذلك التعميم عدل إلى تصريف خلقه مع الله فنظر إلى كل ما يرضي الله فقام فيه وإلى كل ما يسخطه فاجتنبه ولم يبال ما وافق ذلك من العالم مما يخالفه فإذا أقيم في هذا النظر في حال التلاوة علم أن القرآن الكريم نزل عليه فأعطاه صورته فإن الله ما نظر من هذا العلم إلا للإنسان لا إلى الحيوان الذي هو في صورة الإنسان فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمني فإذا تصرف هذا التالي في العالم تصرف الحق من رحمته وبسط رزقه وكفنه على العدو والولي والبغض والحبيب بما يعم مما لا يقدح ويخص جناب الحق بطاعته وإن أسخط العدو كما خص الحق بتوفيقه بعض عباده ولم يعم كما عم في الرزق فمن هذه صفته في حال تلاوته فإنه يتلو القرآن الكريم الذي في الكتاب المكنون وهو قلب هذا التالي تنزيل من رب العالمين وما قال رب المؤمنين لعموم الكرم في الرزق

والحياة الدنيا فاعلم يا ولي ما تتلو ومن تتلو ومن يسمعك إذا تلوت ومن تسمع إذا كان الحق يتلو عليك وهذا القدر كاف في التنبيه على شرف هذا المتزل فلنذكر ما يحوي عليه من العلوم فمن ذلك علم منازل القرآن وعلم الأوتاد الأربعة الذين قيل أن الشافعي واحد منهم وعلم تعجب الحق وكل ما يتعجب منه فهو خلقه وعلم ما يؤخذ منك وما يبقى عليك ومن يأخذه منك وهل يأخذه عن عطاء منك أو يأخذه الآخذ جبراً وعلم بعض مراتب الكتب الإلهية التي عنده ولم تنزل إلينا وعلم السبب الذي حال بيننا وبين أن يكون لنا من الله ما كان للرسل منه وهو قوله عليه السلام في الحديث الصحيح في الكشف فقال صلى الله عليه وسلم لولا تزييد في حديثكم وتمريج في قلوبكم لرأيتكم ما أرى ولسمعتكم ما أسمع فهذا قد أبان عن الطريق الموصلة إلى المقام الذي منه رأى ما رأى وسمع ما سمع فهل يوجد من يزول عنه هذا المانع فيصل إلى هذا المقام أم لا فنحن نقول بأنه يزول فإن الله قد أمر أن يبين للناس ما نزل إليهم وما أبان عن مانع عن رقي إلى مرتبة علياء إلا ليزال ولا ذكر مترلة زلفى إلا لتنال فمن جد وجد ومن قصر فلا يلومن إلا نفسه وعلم الاعتبار وعلم مقام الصلاح الذي يطلبه الأنبياء عليهم السلام أن يكون لهم وعلم ما تنتجه الأعمال البدنية من المعارف الإلهية من طريق الكشف وعلم نزول العلم وحكمه في قلوب العلماء وما فيه من زيادة الفضل على من ليس له هذا المقام وعلم تحديد المعدوم وعلم إحصاء الأنفاس بالتمحيص لهذا الإنسان دون غيره وعلم تقاسيم السكر في المشروب وعلم ما هو الصور الذي ينفخ فيه فيكون عن النفخ ما يكون من صعق وبعث بسرعة وعلم التوكيل الإلهي على العبيد إلى أن يبلغ مداه ويزول وعلم العلم الذي يتزل مترلة العين في الطمأنينة الذي قال فيه علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً وعلم التمييز بين الفرق وعلم محل الخصام من الدار الأخرى وعلم السوابق وحكمها وعلم النقص في العالم إنه من كمال العالم وعلم مآل السعداء وطبقاتهم في السعادة وعلم استخراج الكنوز وعلم أحكام أصناف الموصوفين بالوجود وعلم الذكر المؤقت وغير المؤقت وما فائدة التوقيت في ذلك وعلم ما يهون وروده على من ورد عليه مما لا يهون وعلم مراتب العالم فانظر يا ولي أي علم تريده فتعمل في تحصيله من الطريق التي توصلك إليه أو التحلي بالصفة التي تنزله عليه

فإنك بين أعمال بدنية وهي محجة السلوك بالأعمال وبين الأخلاق روحانية وصفات معنوية إذا كنت عليها نزلت إليك المراتب وتجلت ل من ذاتها وطلبتك لنفسها وإذا كنت صاحب محجة وصلت إلى غايتها بالطلب وفرقان بين الطالب والمطلوب والمراد والمريد والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الخامس والثلاثون وثلاثمائة في معرفة منزل الأخوة

وهو من الحضرة المحمدية والموسوية

حارت عقول أولي النهى

من مستواه إلى السما

وبقلبنا وبأينما

تعطي التحير والعماء

ت لنا فصور تناسوا

بين العماء والاستوا

وكذاك عند نزوله

ووجوده في أرضه

هذي المعالم كلها

هي ستة مثل الجها

قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وجاء في الخبر أن المؤمن مرآة أخيه والمؤمن اسم من أسماء الله وقد خلق آدم على صورته وله التخلق بالمؤمن وأخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه بدار الخيزران وأخذ بيد علي وقال هذا أخي وقال الله تعالى إنما المؤمنون أخوة فجعل أباهم الإيمان فهم أخوة لأب واحد وقال موسى لربه حين بعثه إلى فرعون رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري فأتاه الله سؤله فاعلم يا ولي أن المقام الجامع للأسماء الإلهية التي لها التأثير في الممكنات أخ صحيح الأخوة شقيق للمقام الجامع لاستعدادات القوابل الممكنات وهما أخوان لأب واحد يشد كل واحد منهما أزر صاحبه ولكن الأسماء هي الطالبة للاستعدادات أن يشد الله بها أزرها فافهم فإن هذا من علم الأسرار التي مقامها بين الستر والكشف وهو من أصعب العلوم في التصور حيث لا يصح نفوذ الاقتدار إلا باتفاق في الأخوين لا بأحدهما وبهما ظهرت أعيان الممكنات وحصلت في الوجود معرفة الكائنات بالله ووصل بوجود هذه المعرفة المحدث الحق سبحانه إلى عين مطلوبة فإنه ما أوجد العالم إلا ليعرفه العالم والعالم محدث ولا يقوم به إلا محدث فقامت به المعرفة بالله إما بتعريف الله وإما بالقوة التي خلق فيه التي بها يصل إلى معرفة الله من وجه خاص لا غير فمن نزهه بهذه القوة فقد عرفه وكفر من شبهه ومن شبهه بهذه القوة فقد عرفه وجهل من نزهه بل كفره ومن عرفه بالتعريف الإلهي جمع بين التنزيه والتشبيه فتره في موطن التنزيه وشبهه في موطن التشبيه وكل صنف من هذه الأصناف صاحب معرفة بالله فما جهله أحد من خلق الله لأنه ما خلقهم إلا ليعرفوه فإذا لم يتعرف إليهم بهذه القوة الموصلة التي هي الفكر أو بالتعريف الإنبائي لم يعرفوه فلم يقع منه في العالم ما خلق العالم له ولنا في هذا المقام الذي عم المعتقدات نظم وهو هذا

عقد الخلائق في الإله عقائد

لما بدا صوراً لهم متحولاً

ذاك الذي أجنى عليهم خلفهم

إن أفردوه عن الشريك فقد نحووا

فقد أعذر الشرع الموحد وحده

وكذاك أهل الشك أخسر منهم

والقائلون بنفيه أيضاً شقوا

أجنى عليهم من تأله حين ما

لو وافق الأقوام إذ أغواهم

وأنا شهدت جميع ما اعتقدوه

قالوا بما شهدوا وما جحدوه

بجميع ما قالوه واعتقدوه

في ملكه ربا كما شهدوه

والمشركون شقوا وإن عبدوه

والجاحدون وجود من وجدوه

مثل الثلاثة حين لم يجدوه

أهل السعادة بالهدى عبدوه

وتنزهوا عن غيه طردوه

فالعارف الكامل يعرفه في كل صورة يتجلى بها وفي كل صورة يتزل فيها وغير العارف لا يعرفه إلا في صورة معتقده وينكره إذا تجلى له في غيرها كما لم يزل يربط نفسه على اعتقاده فيه وينكر اعتقاد غيره وهذا من أشكال الأمور في العلم الإلهي اختلاف الصور لماذا يرجع هل إليه في نفسه وهو الذي وقع به الإنباء الإلهي وأحاله الدليل العقلي الذي أعطته القوة المفكرة فإذا كان الأمر

على ما أعطاه الإنبياء الإلهي فما رأى أحد إلا الله فهو المرئي عينه في الصور المختلفة وهو عين كل صورة وإن رجع اختلاف الصور لاختلاف المعتقدات وكانت تلك الصور مثل المعتقدات لا عين المطلوب فما رأى أحد إلا اعتقاده سواء عرفه في كل صورة فإنه اعتقد فيه قبول التجلي والظهور للمتجلى له في كل صورة أو عرفه في صورة مقيدة ليس غيرها فمثل هذا العلم لا يعلم إلا بإخبار إلهي وقرينة حال فأما الإخبار الإلهي فقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه الذي يتحول في الصور في الحديث الصحيح وقرينة الحال كونه ما خلق الخلق إلا ليعرفوه فلا بد أن يعرفوه إما كشفاً أو عقلاً أو تقليداً لصاحب كشف أو عقل والرؤية تابعة للمعرفة فكما تعلق به المعرفة فكان معروفاً تعلق به الرؤية فكان مرئياً فإن قال منكر الأمرين الذي لا يقول بالوصول إلى معرفته ولا إلى رؤيته وإنما العلم به معرفة الناظر في ذلك بأنه يعجز عن معرفته فيعلم عند ذلك أن من هو بهذه المثابة هو الله فقد حصل العلم به إجمالاً في عين الجهل به والعجز وهو قول بعضهم العجز عن درك الإدراك إدراك فهذا القدر هو المسمى معرفة بالله وصاحب هذا القول إن جوزي بقوله فإنه لا يرى الله أبداً كما لا يعلمه أبداً وإن لم يجازه الله بقوله وبدا له من الله ما لم يكن يحسب وعلم منه في ثاني حال خلاف ما كان يعلمه فإنه يراه ويعلم أنه هو والصحيح أنه يعلم ويرى فإن الله تعالى خلق المعرفة المحدثه به لكمال مرتبة العرفان ومرتبة الوجود ولا يكمل ذلك إلا بتعلق العلم المحدث بالله على صورة ما تعلق به العلم القديم وما تعلق القديم بالعجز عن العلم به كذلك العلم المحدث به ما تعلق إلا بما هو المعلوم عليه في نفسه والذي هو عليه في نفسه أنه عين كل صورة فهو كل صورة فما وقع العجز من هذا العبد إلا في كونه قصره على صورة واحدة وهي صورة معتقده وهو عين صورة معتقده فما عجز إلا عن الحكم عليه بما ينبغي له ولا يتصف بالعجز عن العلم به إلا من أخذ العلم من دليل عقله وأما من أخذ العلم به من الله لا من دليله ونظره فهذا لا يعجز عن حصول العلم بالله فإنه ما حاول أمراً يعجز عنه فيعترف بالعجز عنه وليس هذا الذي يطلبه بنظره في دليل عقله وعلمه من طريق التعريف والتجلي الذي هو علم موهوب من حكيم حميد فالقائل سبحانه من لا يعرف إلا بالعجز عن المعرفة به صاحب علم نظر لا صاحب تعريف إلهي وأما العجز عن إحصاء الثناء عليه فهذا قول كامل محقق فإنه لا يكون العجز عن إحصاء الثناء عليه إلا بعد العلم بالثنى عليه ما هو فيعلم أنه أعظم من أن يحيط به ثناء ويبلغ فيه وصف منتهاه كما قيل في بعض المخلوقات

إذا نحن أثينا عليك بصالح

فأنت الذي نشني وفوق الذي نشني

هذا قول في مخلوق وهو قول محقق فكيف الثناء على الله سبحانه وإنما حققنا قول هذا الشاعر في هذا الملقوق مع ما يتخيل العقل بنظره أن الإحاطة بالثناء على المخلوق ممكنة وليس الأمر في نفسه كذلك وإنما هذا الشاعر قال حقاً إما مصادفة إما عن تحقق له وذلك في قوله فأنت الذي نشني وهو ما هو عليه ذلك الممدوح في الوقت وفوق الذي نشني فإنه محل قابل لما يخلق الله فيه من النعوت التي يخلق فيه فيثنى عليه بها وهذه النعوت فيه لا نهاية لها أي لما يكون عنها مما يوجب الثناء بها على الممدوح وإذا كان هذا الثناء على الحق تعالى فلها البقاء في الوجود لذاها لا تقبل العدم والثناء منا عليه دائم بتجدد لأنه في كل نفس فينا يتجدد علينا علم بالله فثنى عليه به أو علم بأمر ما لم يكن عندنا فثنى عليه به ونحن ما ننشد هذا البيت كما قاله صاحبه وإنما ننشده على ما قلناه وأعطانا ذلك العلم به فنقول

إذا نحن أثينا عليك بصالح

فأنت الذي تثني ولسنا الذي نشني

وهذا فوق ما قاله الشاعر من وجه ومساو له من وجه سواء قال ذلك عن علم محقق أو مصادفة وهو لا يعلم فنطقه الله تعالى بالحق من حيث لا يشعر كما أنه يستدرج العبد من حيث لا يعلم ويمكر به من حيث لا يشعر والحق معلوم معروف في نفسه والعالم به عاجز عن إحصاء الثناء عليه كما ينبغي له فإنه ليس في الوسع حصول ذلك ولا يعطيه استعداد ممكن أصلاً فهذا ما أعطاه مواخاة الاستعدادات والأسماء الإلهية وهذه أعلى أخوة يوصل إليها ثم يتزل إلى أخوة دونها وهي قوله إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم ومن أسمائه المؤمن وقد وقع التزاع بينهم بما أخبر به عن نفسه أنه كذا فنازعه المؤمن من المخلوقين الذي اجتمع معه في الإيمان فكانت له أخوة معه بهذا الإيمان بنظره في دليله العقلي أنه على خلاف ما أخبر به عن نفسه مع كونه مصداقاً له لكنه تأول عليه فلما ظهرت هذه المنازعة بين المؤمن الحق والمؤمن الخلق قال الله لعلماء الكشف أصلحوا بين أخويكم فدخل المؤمنون العالمون المكاشفون بينهما بالصلح وذلك أن يكون المؤمن الحق مع هذا المؤمن أخيه حتى يبلغه قوته لأنه مخلوق على كل حال وما أعطيته الكشف الكامل ولا ظهرت إليه به فليكن معه بحيث يعطيه منزلته فيقول المؤمن الحق للمبلغ عنه قل لهذا المنازع أي أنا الله ليس كمثله شيء ولا تدركه الأبصار وإني متره عن وصف الواصفين فجاء الرسول بالتوقيع الإلهي إلى هذا المؤمن المنازع بقوله ليس كمثله شيء وبقوله سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وأشابه هذا النوع من التثريه الذي يعطيه دليل العقل النظري فإذا سمع هذا منه طاب قلبه وجنح إليه وزال نزاعه وجاء العلماء إلى المؤمن الخلق في المصالحة من هذا الجانب وقالوا له أنت تعلم أن المؤمن الحق أعلم بنفسه منك به لا بل أعلم بك من علمك بنفسك وأنت إنما تحكم عليه بما هو خلق له مثلك وهو عقلك وفكرك ودليلك فلا فرق بينك وبين كل مخلوق في العجز عما لا يعجز عنه المؤمن الحق فقف معه في موضع التسليم فإنه وإن كان مؤمناً وأنت مؤمن فأنت على مرتبتك التي تليق بك وهو على مرتبته التي تليق به وأنت تعلم أنك لست مثله وإن جمعكما الإيمان فليس نسبته إليه مثل نسبته إليك فإنك لست مثله فلا تغرنك هذه المماثلة واعرف قدرك فإذا سمع مثل هذا طلب الصلح والإقالة مما وقع منه من التزاع وامتن المؤمن الحق عليه بما وقع له في المنشور من التثريه الذي وقع التزاع من أجله فأصلح المؤمنون العالمون بين المؤمن الحق وبين هذا المؤمن الخلق فهكذا فليكن الفهم عن الله فيما أوحى به إلى عباده على السنة رسله وأنزله في كتبه ثم في أخوة الإيمان درجة أخرى من درجات الكشف وهي قوله بعد أن تسمى لنا بالمؤمن وإنما المؤمنون أخوة لأبوة الإيمان قال المؤمن مرآة أخيه وما ينطق عن الهوى هذا القائل فأثبت الأخوة بين المؤمنين وجعل كل واحد من المؤمنين مرآة لأخيه فيراه ويرى فيه نفسه من كونه على أي صورة كان كل مؤمن منهما بهذه المثابة فيكون المؤمن الحق مرآة للمؤمن الخلق فيراه ويعلم أنه يراه كما يعلم صاحب المرآة أن له مرآة ثم ينظر فيها فلا يرى إلا صورته وصورة ما أثرت المرآة فيه ولهذا جعل له عيني ليرى بالعين الواحدة صورته وبالعين الأخرى ما حكمت به المرآة في صورته إذ لم يكن في نفسه على ما حكمت به المرآة عليه في الصورة المحسوسة من الكبير والصغير والطول والعرض والاستقامة والانتكاس على حسب شكل المرآة ولا يرى هذا الأثر كله هذا الناظر إلا في صورته فيعلم أن له فيه حكماً ذاتياً لا يمكن أن يرى نفسه في هذه المرآة إلا بحسب ذلك فإذا كان المؤمن الخلق هو عين المرآة للمؤمن الحق فيراه الحق وهو في نفسه على استعداد خاص فلا يبدو من الحق له إلا على قدر استعداده فلا يرى الحق من نفسه في هذه المرآة الخاصة إلا قدر ذلك فأثرت هذه المرآة في إدراك الرائي القصور على ما رأى بحكم الاستعداد فأشبهه من هذا الوجه فعبّر عن هذا المقام بالأخوة إذ لولا المناسبة بين الأمرين لم يكن كل واحد من الأمرين مرآة لأخيه وما نصب الله هذا المثال وخلق لنا هذه المرآة إلا ليعطينا النظر فيها إصلاح

ما وقع في صورتنا من خلل وما يتعلق بها من أذى لتزيله على بصيرة فهي تجل لإزالة العيوب فيدلك هذا أن الرائي في المرآة يحصل له علم لم يكن يراه قبل ذلك ففي المؤمن المخلوق يقرب ذلك ويصح

وفي المؤمن الحق يعسر مثل هذا فهو قوله تعالى في المؤمن الحق ولنبلونكم حتى نعلم كذلك إذا رأى الحق نفسه في مرآة المؤمن المخلوق رأى أنه بحكم استعدادها لا يرى غير ذلك فيها فيزيل عنه هذا الحكم بنظره في مرآة متعددة فيختلف الحكم في الصورة الواحدة باختلاف الاستعدادات وهو عينه لا غيره فيعلم عند ذلك أن حكم الاستعداد أعطى ما أعكس وأنه على ما هو عليه في نفسه فزال ما تعلق به من أذى التقيد كما أزال الابتلاء أذى التردد وطلب إقامة الحجة ليكون هو الغالب فقال حتى نعلم فجعل الابتلاء سبب حصول هذا العلم وما هو سبب حصول العلم وإنما هو سبب إقامة الحجة حتى لا يكون للمحجوج حجة يدفع بها وإما ماثلة الصورة في الخلق فهي للنيابة والخلافة ما هي للأخوة فإنه من حيث صورة العالم من العالم كما هو الروح من الجسد من صورة الإنسان وهو من حيث صورة الحق ما يظهر به في العالم من أحكام الأسماء الإلهية التي لها التعلق بالعالم فليست الصورة بأخوة كما يراه بعضهم ولهذا لم نذكر الأخوة إلا في أمر خاص وهو المؤمن إلا أن الصورة تشد أزر أخوة الإيمان بالسببية فإن الأسباب لولا ما لها أثر في المسبب ما أوجدها الله ولو لم يكن حكمها في المسببات ذاتياً لم تكن أسباباً ولم يصدق كونها أسباباً ويعلم ذلك فيمن لا يقبل الوجود إلا في محل وما ثم محل ويريد الموجد إيجاداً فلا بد أن يوجد المحل لوجود هذا المراد وجوده فيكون وجود المحل سبباً في وجود هذا المراد الذي تعلقت الإرادة به وبإيجاده فعلمت أن للأسباب أحكاماً في المسببات فهي كالألة للصانع فتضاف الصنعة والمصنوع للصانع لا للألة وسببه أنه لا علم للألة بما في نفس الصانع أن يصنع بها على التعيين بل لها العلم بأنها آلة للصانع الذي تعطيه حقيقتها ولا عمل للصانع إلا بما فصنع الآلة ذاتي وما لجانب الصانع بما إرادي وهو قوله إذا أردناه أن نقول له كن وكن آلة للإيجاد فما أوجد إلا بها وكون تلك الكلمة ذاته أو أمراً زائداً علم آخر إنما المراد هو فهم هذا المعنى وأنه ما حصل الإيجاد بمجرد الإرادة دون القول ودون المريد والقائل فظهر حكم الأسباب في المسببات فلا يزيل حكمها إلا جاهل بوضعها وما تعطيه أعيانها ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ولهذا قال موسى وأشركه في أمري وقال أشدد به أزري وهو أفصح مني لساناً فعلم ما قال وعلمنا نحن من هذا القول ما أشار إليه به ليفهم عنه صاحب عين الفهم فهذا معنى التعاون وهو في قوله واستعينوا بالله وإياك نستعين والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه فلولا المشاركة في المطلوب بالوجود من المستعان به ما صدق المستعين في استعانتة والمستعين قد يستعين شرفاً لمستعان به مع غناه عنه على التعيين وإن كان لا بد من سبب أو يكون ممن يستقل به دون السبب فيقصد جعله سبباً لشرفه بذلك على غيره ليعلم منزلته عنده فإن الله قد جعل المفاضلة في العالم وأما المؤاخاة بين الأسماء الإلهية فلا تكون إلا بين الأسماء التي لا منافرة بينها لذاتها فإن الله ما وأخى إلا بين المؤمنين ما وأخى بين المؤمن والكافر بل لم يجعل لأخوة النسب حظاً في الميراث مع فقد أخوة الإيمان فليس المدعي إلا أخوة الإيمان ألا تراه إذا مات عن أخ له من النسب وهو على غير دينه لم يرثه أخو النسب وورثه أخو دينه والصورة بيننا وبين الحق نسب ودين فلهذا ما يرث الأرض عز وجل إلا بعد موت الإنسان الكامل حتى لا يقع الميراث إلا في مستحق له كما يرث السماء لما فيها من حكم أرواح الأنبياء عليهم السلام لا من كونها محلاً للملائكة فإذا صعقوا بالنفخة ورث الله السماء فأنزل الاسم الوارث الملائكة من السماء وبدل الأرض غير الأرض والسموات كما ذكرناه فيما قبل من هذا الكتاب فالمؤمن للمؤمن كالبنين يشد بعضه بعضاً فالمؤمن لا يبغض المؤمن والمؤمن لا يقتل المؤمن لإيمانه والمؤمن يقتل أخا النسب إذا كان غير مؤمن فهذا القدر كاف في هذا الباب فلنذكر ما يحوي عليه من العلوم فمن ذلك علم

صورة نداء الحق عباده من أين يناديهم هل يناديهم من حكم مشيئته أو يناديهم من حيث ما هم عليه ومن ينادي هل ينادي المعرض أو المقبل أو هما وفيه علم الآداب الإلهية ومنازل المخلوقات وما ينبغي أن يعامل به كل مخلوق بل كل موجود وعلم مصالح الموجودات فلا يتصرف صاحب هذا العلم إلا فيما

هو مصلحة لنفسه أو لغيره على حساب ما يصرفه المطلوب فهو خارج في تصرفاته عن هوى نفسه إنما هو مع المصالح فهو لكل شيء لا عليه وفيه علم الفهم بما يأتي به كل قائل فيعلم من أين تكلم فيقيم له عذراً فيما ينسب إليه عند من لا يعرف ذلك من الخطأ في قوله وهو علم عزيز يقل الإنصاف فيه من أهله فكيف ممن لا يعرفه وما يؤثر تارك العمل بمثل هذا العلم في صاحبه من الحسرة والندامة على عدم استعماله وفيه علم الحكمة في التغافل والتناسي وهو الحلم والإمهال الإلهي أو من ذي القدرة ليرجع المغفول عنه عما هو عليه مما كان لا ينبغي أن يظهر به ولا عليه وفيه علم كون الأشياء بيد الله ليس بيد المخلوقين منها شيء وإن ظهرت الصور بأيديهم فهي بحكم الاستعارة لا بحكم الملك وفيه علم المنن الإلهية التي أسبغها على العباد في الظاهر والباطن وتعين ما يمكن أن يعين منها وعلم برزخ المتشاجرين ليقف فيه من يريد رفع التشاجر بينهم وفيه علم الأسماء وشرفها والفرق بينها وبين ما زاد على الإعلام منها مما وضع لمدح أو ذم وفيه علم العدول عن الطريق التي تحول بين العبد وبين حصول العلم فإنه أعلى ما يطلب وأفضل ما يكتسب وأعظم ما به يفتخر وأسد آلة تعد وتدخر وبه مدح الله نفسه بأن له الحجة البالغة وليس إلا العلم وفيه علم مراتب الخلق الإنساني في الخلق فإنهم على طبقات فيه وما يسمى به الإنسان الذي خلقه الإنسان هل هو إنسان أو حيوان في صورة إنسان من حيث نشأة جسده وما الأمر الذي عجز عنه في ظهور النفس الناطقة في هذا المخلوق هل لعدم الاستعداد فيقضي للمنشئ لهذه الصورة ما يقع به قبول نفس ناطقة من النفس الكل أو هل هو تعجيز إرادي إلهي لأنه أمر عظيم وقد ذكر أنه وقع مثل هذا وذكر في الفلاحة النبطية أن بعض العلماء بعلم الطبيعة كون من المني الإنساني بتعفين خاص على وزن مخصوص من الزمان والمكان إنساناً بالصورة وأقام سنة يفتح عينيه ويغلقها ولا يتكلم ولا يزيد على ما يغذى به شيئاً فعاش سنة ومات فما يدري أكان إنساناً حكمه حكم الأخرس أو كان حيواناً في صورة إنسان وفيه علم الأنساب والأحساب وفيه علم ما يعتبر الله من المكلف هل يعتبر ظاهره أو باطنه أو المجموع في قبول ما يكون منه بعد التكليف وأما قبله فلا يقيد بل يجري بطبعه من غير مؤاخذه أصلاً وهو قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً وإذا كان هذا فمن أين وقع الألم للصغير حتى بكى مما يجده وفيه علم كيفية رد الجاهل إلى العلم وفيه علم صورة رد الأمور إلى الله سبحانه وتعالى في قدسه على أي طريق يكون هل بحكم أنه موجدتها أو أنه غايتها أو ما هو ذلك والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب السادس والثلاثون وثلاثمائة في معرفة منزل مبايعة النبات القطب

صاحب الوقت في كل زمان وهو من الحضرة المحمدية

بنفسه وأي ورابي وما

في أرضه وخلقها أينما

نزوله لعرشه من عما

أقسمت بالله الذي أقسم

بأنه وتر بلا موتر

وأنه ينزل من عرشه

اعلم أيدك الله أن المبايعة العامة لا تكون إلا لواحد الزمان خاصة وأن واحد الزمان هو الذي يظهر بالصورة الإلهية في الأكوان هذا علامته في نفسه ليعلم أنه هو ثم له الخيار في إمضاء ذلك الحكم أو عدم إمضائه والظهور به عند الغير فذلك له فمنهم الظاهر ومنهم من لا يظهر ويبقى عبداً إلا أن أمره الحق بالظهور فيظهر على قدر ما وقع به الأمر الإلهي لا يزيد على ذلك شيئاً هذا هو المقام العالي الذي يعتمد عليه في هذا الطريق لأن العبد ما خلق بالأصالة إلا ليكون لله فيكون عبداً دائماً ما خلق أن يكون رباً فإذا خلع الله عليه خلعة السيادة وأمره بالبروز فيها برز عبداً في نفسه سيداً عند الناظر إليه فتلك زينة ربه وخلعته عليه قيل لأبي يزيد البسطامي رحمه الله في تمسح الناس به وتبركهم فقال رضي الله عنه ليس بي يتمسحون وإنما يتمسحون بحلية حلائها ربي أفأمنعهم ذلك وذلك لغيري وقيل لأبي مدين في تمسح الناس به بنية البركة وتركهم يفعلون ذلك أما تجحد في نفسك من ذلك أثراً فقال هل يجد الحجر الأسود في نفسه أثراً يخرج عنه حجرته إذا قبلته الرسل والأنبياء والأولياء وكونه يمين الله قيل لا قال أنا ذلك الحجر قال تعالى في هذا المقام إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله فنفاه بعدما أثبتته صورة كما فعل ربه في الرمي سواء أثبتته ونفاه وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ثم جعل الله يده في المبايعة فوق أيدي المبايعين فمن أدب المبايعة إذا أخذ المبايعون يد المبايع للبيعة ليقبلوها جعلوا أيديهم تحتها وجعلوها فوق أيديهم كما يأخذ الرحمن الصدقة بيمينه من يد المتصدق فمن الأدب من المتصدق أن يضع الصدقة في كف نفسه ويترنل بها حتى تعلو يد السائل إذا أخذها على يد المعطي حتى تكون هي اليد العليا وهي خير من اليد السفلى واليد العليا هي المنفقة فيأخذها الرحمن لينفقها له تجارة حتى تعظم فيجدها يوم القيامة قد نمت وزادت هذا مذهب الجماعة وأما مذهبنا الذي أعطاه الكشف إيانا فليس كذلك إنما السائل إذا بسط يده لقبول الصدقة من المتصدق جعل الحق يده على يد السائل فإذا أعطى المتصدق الصدقة وقعت بيد الرحمن قبل أن تقع بيد السائل كرامة بالمتصدق ويخلق مثلها في يد السائل ليتنفع بها السائل ويأخذ الحق عين تلك الصدقة فيرببها فتربو حتى تصير مثل جبل أحد في العظم وهذا من باب الغيرة الإلهية حيث كان العطاء من أجله لما يرى أن الإنسان يعطي من أجل هواه ما يعظم شأنه من الهبات ويعطي من أجل الله أحقر ما عنده هذا هو الغالب في الناس فيغار الله لجناحه أن لا يرى في مقام الاستهزام فيربي تلك الصدقة حتى تعظم فإذا جلاها في صورة تلك العظمة حصل المقصود فيد المعطي تعلو على يد الآخذ ولهذا قال تقع والوقوف لا يكون إلا من أعلى وقد قال صلى الله عليه وسلم لو دليت بجبل لهبط على الله أي كما ينسب إلى العلو في الاستواء على العرش هو في التحت أيضاً كما هو بكل شيء محيط للحفظ كما يحفظ محيط الدائرة الوجود أو نسبة الوجود على النقطة التي ظهرت عنها نسبة الإحاطة لوجود الدائرة المحيطة فله الفوق كما له التحت وله الظاهر كما له الباطن فهو المبايع والمبايع فإنه لا يبايع إلا بالسمع والطاعة والسمع لا يكون إلا هو والعمل بالطاعة لا يكون إلا له فهو السميع العامل لما أمر بعمله فلنذكر صورة البيعة ولنا فيها كتاب مستقل سميناه مبايعة القطب يتضمن علماً كبيراً ما علمنا أنا سبقنا إليه وإن كان العارفون من أهل الله شاهدوه وعلموه ولكن شغلهم عن تبينه للناس ما كان المهم عندهم كما كان إظهاره للناس من المهم عندنا إذ هذه الطائفة لا شغل لها إلا بالأهم هذا إذا لم يظهر بحكم القوة الإلهية فإذا ظهر بها لم يشغله شيء عن شيء إذ هو حق كله فاعلم ذلك إيضاح وبيان لمنصب البيعة وصورتها فاعلم أن الله سبحانه إذا ولى من ولاه النظر في العالم لمعبر عنه بالقطب وواحد

الزمان والغوث والخليفة نصب له في حضرة المثل سريراً أقعده عليه ينبئ صورة ذلك المكان عن صورة المكانة كما أنبأ صورة الاستواء على العرش عن صورة إحاطته علماً بكل شيء فإذا نصب له ذلك السرس خلع عليه جميع الأسماء التي يطلبها العالم وتطلبه بها حللاً وزينة متوجاً مسوراً مدمجاً لتعنه الزينة علواً وسفلاً ووسطاً وظاهراً وباطناً فإذا قعد عليه بالصورة الإلهية وأمر الله العالم ببيعته على السمع والطاعة في المنشط والمكروه فيدخل في بيعته كل مأمور أعلى وأدنى إلا العالين وهم المهيمون العابدون بالذات لا بالأمر فيدخل في أول من يدخل عليه في ذلك المجلس الملاء الأعلى على مراتبهم الأول فالأول فيأخذون بيده على السمع والطاعة ولا يتقيدون بمنشط ولا مكروه لأنهم لا يعرفون هاتين الصفتين فيهم إذ لا يعرف شيء منهما إذا بذوق ضده فهم في منشط لا يعرفون له طعماً لأنهم لم يذوقوا المكروه وما منهم روح يدخل عليه للمبايعة إلا ويسأله في مسألة من العلم الإلهي فيقول له يا هذا أنت القائل كذا فيقول له نعم فيقول له في السئلة وجهاً يتعلق بالعلم بالله يكون أعلى من الذي كان عند ذلك الشخص فيستفيد منه كل من بايعه وحينئذ يخرج عنه هذا شأن هذا القطب والكتاب الذي صنفته فيه ذكرت فيه سؤالاته للمبايعين له التي وقعت في زماننا القطب وقتنا فإنها ما هي مسائل معينة تتكرر من كل قطب وإنما يسأل كل قطب فيما يخطر الله في ذلك الحين مما جرى لهذا الذي بايعه من الأرواح فيه كلام فأول مبايع له العقل الأول ثم النفس ثم المقدمون من عمال السموات والأرض من الملائكة المسخرة ثم الأرواح المدبرة للهيكل التي فارقت أجسامها بالموت ثم الجن ثم المولدات وذلك أنه كل ما سبغ الله من مكان وممكن ومحل وحال فيه يبايعه إلا العالين من الملائكة وهم المهيمون والأفراد من البشر الذين لا يدخلون تحت دائرة القطب وما له فيهم تصرف وهم كمثل مثله مؤهلون لما ناله هذا الشخص من القطبية لكن لما كان الأمر لا يقتضي أن يكون في الزمان إلا واحد يقوم بهذا الأمر تعين ذلك الواحد لا بالأولوية ولكن بسبق العلم فيه بأن يكون الوالي وفي الأفراد من يكون أكبر منه في العلم بالله وهذا المتزل يتضمن مبايعة النبات من المولدات ويدخل فيه قوله في الأجسام الإنسانية والله أنبتكم من الأرض فنبتم نباتاً فجاء في ذكرهم بالإنبات أنه أنبتهم ولم يؤكد بالمصدر وجاء بمصدر آخر ليعرف بأنهم نبتوا حين أنبتهم فأوقع الاشتراك بينه وبينهم في الخلق ينبه أنه لولا استعدادهم للإنبات ما أثرت فيهم الأسماء فكان خروجهم من الأسماء والاستعداد فللأسماء قوله أنبتكم من الأرض وللأستعداد قوله نباتاً لأن نباتاً مصدر نبت لا مصدر أنبت فإن مصدر أنبت إنما هو إنبات فانظروا ما أعجب مساق القرآن وإبراز الحقائق فيه كيف يعلمنا الله في إخباراته ما هي الأمور عليه فيعطي كل ذي حق حقه إذ لا ينفذ الاقتدار الإلهي إلا فيمن هو على استعداد النفوذ فيه ولا يكون ذلك إلا في الممكنات إذ لا نفوذ له في الواجب الوجود لنفسه ولا في المحال الوجود فسيحان العليم الحكيم واعلم أن الإنسان شجرة من الشجرات أنبتها الله شجرة لا نجماً لأنه قائم على ساق وجعله شجرة من التشاجر الذي فيه لكونه مخلوقاً من الأضداد تطلب الخصام والتشاجر والمنازعة ولهذا يختصم الملاء الأعلى وأصل وجوده في العالم حكم الأسماء الإلهية المتقابلة في الحكم لا غير هذا مستندهما الإلهي قال تعالى في حق محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال ما كان لي من علم بالملاء الأعلى إذ يختصمون حتى أعلمه الله تعالى فعلم أن للطبيعة فيهم أثراً كما أن للأركان في أجسام المولدات أثراً فلما كان الناس شجرات جعل فيهم ولاة يرجعون إليهم إذا اختصموا ليحكموا بينهم ليزول حكم التشاجر وجعل لهم إماماً في الظاهر واحداً يرجع إليه أمر الجميع لإقامة الدين وأمر عباده أن لا ينازعوه ومن ظهر عليه ونازعه أمرنا الله بقتاله لما علم أن منازعته تؤدي إلى فساد في الدين الذي أمرنا الله بإقامته وأصله قوله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فمن هناك ظهر اتخاذ الإمام وأن يكون واحداً في الزمان ظاهراً بالسيف فقد يكون قطب الوقت هو الإمام نفسه كأبي بكر وغيره في وقته وقد لا يكون قطباً لوقت فتكون الخافة لقطب الوقت الذي لا

يظهر إلا بصفة العدل ويكون هذا الخليفة الظاهر من جملة نواب القطب في الباطن من حيث لا يشعر فالجور والعدل يقع في أئمة الظاهر ولا يكون القطب إلا عدلاً وأما سبب ظهوره في وقت وخفاء بعضهم في وقت فهو أن الله ما جبر أحداً على كينونته في مقام الخلافة وإنما الله أعطاه الأهلية لذلك المقام وعرض عليه الظهور فيه بالسيف حسبما ما أمره فمن قبله ظهر بالسيف فكان خليفة ظاهراً وباطناً ما ثم غيره وإن اختار عدم الظهور لمصلحة رآها أخفاه الله وأقام عنه نائباً في العالم يسمى خليفة يجور ويعدل وقد يكون عادلاً على قدر ما يوفقه الله سبحانه ويكون حكمه وإن كان جائراً حكم الإمام العادل من نازعه قتل ولا يقتل إلى الآخر فإنه المنازع وأمرنا الله أن لا نخرج يداً من طاعته وأخبرنا أنه من عدل منهم عليهم وأن من جار منهم فعليهم ولنا ولما كان الإنسان شجرة كما ذكرناه نهي الله أول إنسان عن قرب شجرة عينها له دون سائر الشجرات كما هو الإنسان شجرة معينة بالخلافة دون سائر الشجرات فنبهه أن لا يقرب هذه الشجرة المعينة على نفسه وظهر ذلك في وصيته لداود ولا تتبع الهوى يعني هوى نفسه فهو الشجرة التي نهي آدم أن يقربها أي لا تقارب موضع النزاع والخلاف فيؤثر فيك نشأة جسدك الطبيعي العنصري يقول ذلك لنفسه الناطقة المدبرة فإن بها يخالف أمر الله فيما أمره به أو نهاه عنه فقوله هذه الشجرة بحرف الإشارة تعيين لشجرة معينة ولما كانت الإمامة عرضاً كما كانت الأمانة عرضاً والإمامة أمانة لذلك ظهر بها بعض الأقطاب ولم يظهر بها بعضهم فنظر الحق لهذا القطب بالأهلية ولو نظر الله للإمام الظاهر بهذه العين ما جار إمام قط كما تراه الإمامية في الإمام المعصوم فإنه من شرط الإمام الباطن أن يكون معصوماً وليس الظاهر إن كان غيره يكون له مقام العصمة ومن هنا غلظت الإمامية فلو كانت الإمامة غير مطلوبة له وأمره الله أن يقوم فيها عصمه الله بلا شك عندنا وقد نبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قررناه كله فنبه على العرض بفعله حيث لم يجبر أحداً على ولاية بل ذكر أنه من تركها كان خيراً له وأنها يوم القيامة حسرة وندامة إلا لمن قام فيها بصورة العدل ونبه على عصمة من أمر بها بقوله فمن أعطيتها عن مسألة وكل إليها ومن جاءته من غير مسألة وكل الله به ملكاً يسدده وهذا معنى العصمة والسؤال هنا إشارة إلى الرضا بها والمحبة لهذا المنصب فهو سائل بباطنه وغيره ممن يكره ذلك يجبره أهل الحل والعقد عليها ويرى أنه قد تعين عليه الدخول فيها والتلبس بها لما يرى أن تخلف عنها من ظهور الفساد فيقوم له ذلك في الظاهر مقام الجبر الإلهي بالأمر على التلبس بها فيعصم فيكون عادلاً إذ الملك الذي يسدده لا يأمره إلا بخير حتى القرين كما قال صلى الله عليه وسلم أنه أعانه الله عليه فأسلم برفع الميم ونصبها وقال فلا يأمرني إلا بخير فمبايعة النبات هذا القطب هو أن تبايعه نفسه لا أن تخالفه في منشط ولا مكروه مما يأمرها به من طاعة الله في أحكامه فإن الله قد جعل زمام كل نفس بيد صاحبها وأمرها إليه فقال وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى يعني نفسه وكذلك في داود ولا تتبع الهوى يعني نفسه فإنه لو كان هوى غيره نهي أن يتبعه فاتبعه فما يتبعه إلا بهوى نفسه فطاوع نفسه في ذلك فلذلك تعين أنه أراد بالهوى نفسه لا غيره وهو أن يأمره بمخالفة ما أمره الله به أن يفعله أو ينهاه عنه فإذا بايعته نفسه انصرف حكم شجريتها إلى منازعة من ينازع أمر الله فبقي حكم حقيقتها في المخالفين أمر الله إذ علم الله أن حقيقة الخلاف لا تزول فإنها شجرة لعينها فلو زال لزال عينها فلماذا عين الله لها مصرفاً خاصاً يكون فيها سعادتها وكل من عرف القطب من الناس لزمته مبايعته وإذا بايعه لزمته بيعته وهي من مبايعة النبات فإنها بيعة ظاهرة لهذا القطب التحكم في ظاهره بما شاء وعلى الآخر التزام طاعته وقد ظهر مثل هذا في الشرع الظاهر أن المتنازعين لو اتفقا على حكم بينهما فيما تنازعا فيه فحكم بينهما بحكم لزمهما الوقوف عند ذلك الحكم وأن لا يخالفا ما حكم به فالقطب المنصوب من جهة الحق أولى بالحكم فيمن عرف إمامته في الباطن من الناس ولهذا التحكم

الذي قلناه منه في ظاهر من بايعه ألحقنا هذه المبايعة ببيعة النبات بل إن حققت الأمر واتبعت فيه الأصل وجدت النباتية في النفس الجزئية الناطقة لأنها ما ظهرت إلا من هذا الجسم المسوى المعدل وعلى صورة مزاجه فهي أرضه التي نبتت منه حين أنبتها الله بالنفخ في هذا الجسم من روحه وهكذا كل روح مدبر لجسم عنصرى فالسعيد من عرف إمام وقته فبايعه وحكمه في نفسه وأهله وماله كما قال صلى الله عليه وسلم في حق نفسه لا يكمل لعبد الإيمان حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين ولهذا يشترط في البيعة المنشط والمكره لأن

الإنسان ما ينشط إلا إذا وافق الله هوى نفسه والمكره إذا خالف أمر الله هوى نفسه فيقوم به على كرهه لإنصافه ووفائه بحكم البيعة فإنه ما بايع إلا الله إذا كانت يد الله فوق أيديهم وما شاهدوا بالإبصار إلا يد هذا الشخص الذي بايعوه والنفس أبداً في الغالب تحت حكم مزاجها والقليل من الناس من يحكم نفسه على طبيعته ومزاجه فإن الأمومة للجسم المسوى والبنوة للنفس وقد أمر الإنسان بالإحسان لأبويه والبر بهما وامتنال أوامرهما ما لم يأمره أحد الأبوين بمخالفة أمر الحق فلا يطعه كما قال تعالى وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلي فأمر باتباع النبيين إلى الله ومخالفة نفوسهم إن أبت ذلك فحق الإمام أحق بالاتباع قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم وهم الأقطاب والخلفاء والولاة وما بقي لهم حكم إلا في صنف ما أبيض لك التصرف فيه فإن الواجب والمحذور من طاعة الله وطاعة رسوله فما بقي للأئمة إلا المباح ولا أجر فيه ولا وزر فإذا أمرك الإمام المقدم عليك الذي بايعته على السمع والطاعة بأمر من المباحات وجبت عليك طاعته في ذلك وحرمت مخالفته وصارحكم ذلك الذي كان مباحاً واجباً فيحصل للإنسان إذا عمل بأمره أجر الواجب وارتفع حكم الإباحة منه بأمر هذا الذي بايعه فتدبر ما ذكرناه وما نبهنا عليه من أمر الإمام بالمباح واعرف منزلة البيعة وما أثرت وكيف نسخت حكم الإباحة بالوجوب عن أمر الحق بذلك فترل الإمام منزلة الشارع بأمر الشارع فتغير الحكم في المحكوم عليه عما كان عليه في الشرع قبل أمر هذا الإمام فمن أنزله الحق منزله في الحكم تعين اتباعه واعلم أن النبات عالم وسط بين المعدن والحيوان فله حكم البرازخ فله وجهان فيعطي من العلم بذاته لمن كوشف بحقيقة ما فيه من الوجود فإن الكمال في البرازخ أظهر منه في غير البرازخ لأنه يعطيك العلم بذاته وبغيره وغير البرزخ يعطيك العلم بذاته لا غير لأن البرزخ مرآة للطرفين فمن أبصره أبصر فيه الطرفين لا بد من ذلك وفي النبات سر برزخي لا يكون في غيره فإنه برزخ بينه من قوله نباتاً وبين ربه من قوله أنبتكم والمنصف العادل من حكم بين نفسه وربه ولا يكون حكماً حتى تكون نفسه تنازع ربما فيحكم له عليها لعلمه أن الحق بيد الله بكل وجه وعلى كل حال وسبب نزاعها كونها على الصورة ففيها مضادة الأمثال لا مضادة الأضداد فيدخل الإنسان حكماً بين ربه وبين نفسه إلا تراه مأموراً بأن ينهها عن هواها فأنزلها منزلة الأجنبي وليس إلا عينها وهي التي ادعت فهي الحكم والخصم ولو اقتصر الأمر دونها على الجسم النامي منه وغير النامي لم تكن منازعة فإنه مفطور على التسبيح لله بحمده فالجسم الإنساني كالنجم من النبات لا يقوم على ساق فلا يرجع شجرة إلا بوجود الروح المنفوخ فيه فحينئذ يقوم على ساق بخلاف الأشجار كلها فإنها تقوم على ساق من غير نفخ الروح الحيواني فيها فهو نجم بالإصالة وشجرة بالنفخ فسجوده لله سجود الظلال وسجود الشجر لله سجود الأشخاص القائمين على ساق ولما كان النبات برزخياً كان مرآة قابلاً لصور ما هو برزخ وهما الحيوان والمعدن إذا بايع بايع لبيعته ما ظهر فيه من صور ما هو برزخ لهما تابعاً له فتضمنت بيعة النبات بيعة الحيوان والمعادن لأن هذا المقام يشاهد الصور الظاهرة في مرآة البرازخ وهو علم عجيب كما يرى الناظر في المرآة في الحس غير صورته مما تقبله المرآة من صور غير

الناظر من الأشخاص فيدرِك فيها ما هي تلك الأشخاص عليه في أنفسها مع كونها في أعيانها غيباً عنه وما رأى لها صورة إلا في هذا الجسم الصقيل فإن أعطته تلك الصورة علماً غير النظر إليها كان ذلك العطاء بمنزلة ما يعطي المبيع في البيعة من السمع والطاعة لمن بايعه وإن لم تعط علماً لم يرجع ذلك إليها وإنما هو رجع إلى الناظر وإنه ليس بإمام ولا خليفة ولا له بيعة أصلاً وبهذا يتميز الإمام في نفسه عن غيره ويعلم أنه إمام فإن أخذ العلم هذا الناظر من تلك الصورة بحكم التفكير والاعتبار فيخيل أنه إمام وقته فليس كذلك إلا أن تعطيه الصور العلم من ذاتها كشفاً من غير فكر ولا اعتبار وإن اتفق أن يساويه صاحب الفكر في ذلك العلم الكشفي فليس بإمام لاختلاف الطريق فإن الإمام لا

يقتني العلوم من فكره بل لو رجع إلى نظره لأخطأ فإن نفسه ما اعتادت إلا الأخذ عن الله وما أراد الله لعنايته بهذا العبد أن يرزقه الأخذ من طريق فكره فيحجبه ذلك عن ربه فإنه في كل حال يريد الحق أن يأخذ عنه ما هو فيه من الشؤون في كل نفس فلا فراغ له ولا نظر لغيره وللعقل إذا استبصر دليل قد وقع يدل على صحة ما ذكرناه فلي النبي صلى الله عليه وسلم عن إبار النخل ففسد لأنه لم يكن عن وحي إلهي ونزوله يوم بدر على غير ماء فرجع إلى كلام أصحابه فإنه صلى الله عليه وسلم ما تعود أن يأخذ العلوم إلا من الله لا نظر له إلى نفسه في ذلك وهو الشخص الأكمل الذي لا أكمل منه فما ظنك بمن هو دونه وما بقي للعارفين بالله علاقة بين الفكر وبينهم بطريق الاستفادة ولا يسمى الشخص إلهياً إلا أن لا يكون أخذه العلوم إلا عن الله من فتوح المكاشفة بالحق يقول أبو يزيد البسطامي أخذتم علمكم ميتاً عن ميت حدثنا فلان وأين هو قال مات عن فلان وأين هو قال مات فقال أبو يزيد وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت فلا حجاب بين الله وبين عبده أعظم من نظره إلى نفسه وأخذه العلم عن فكره ونظره وإن وافق العلم فالأخذ عن الله أشرف وعلم ضرورات العقول من الله لأنها حاصلة لا عن فكر واستدلال ولهذا لا تقبل الضروريات الشبه أصلاً ولا الشكوك إذا كان الإنسان عاقلاً فإن حيل بينه وبين عقله فما هو الذي قصدنا البيان عنه وبعد أن أعلمناك ببيعة النبات ومرتبته وأنت نبات وأمثالك فلنذكر ما يتضمنه هذا المتزل من العلوم لترتفع الهمة إلى الوقوف عليها والتحلي بها فمن ذلك علم الرحمت وعلم فتوح المكاشفة بالحق وعلم فتوح الحلاوة في الباطن وعلم فتوح العبارات في الترجمة عن الله وعلم نسخ الأحكام بعد النبي صلى الله عليه وسلم عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم فإنه المقرر حكم المجتهد لتعارض الأدلة فله الاختيار فيها وعلم العناية الإلهية ببعض العبيد وعلم الإشارات وعلم التمام والكمال وإن التمام للنشأة والكمال بالمرتبة وعلم البيان والتبيين وعلم الاستقامة وما شيب النبي صلى الله عليه وسلم من سورة هود وعلم الكشف على مقامات النص الإلهي هل يؤثر فيه حكم الأكوان أم لا وعلم الطمأنينة والفرق بينها وبين اليقين والعلم وعلم نسبة العالم ملكاً لله وعلم من نازعه فيه بماذا نازعه حتى ذكر الله أن له جنوداً من كونه ملكاً وما هم أولئك الأجناد وهل تعلم بطريق الإحصاء أو لا تعلم إلا بطريق الإجمال من غير تفصيل وهل وقع لأحد العلم بما على التفصيل أم لا وعلم العلل الإلهية في الكون وعلم الرجوع الإلهي على العباد بم يرجع إليه ولماذا يرجع وهو القائل وإليه يرجع الأمر كله فهل هو عين ذلك الأمر الراجع أم لا وهو علم شريف معلم بمنزلة من يستحق التعظيم الإلهي ممن لا يستحقه وعلم الوفاء بالعقد مع الله فيما يعقده معه مما له الخيار في حله ومذهبنا الوفاء به ولا بد إلا أن يقترب به أمر من شيخ معتبر لتلميذ أو لأحد ممن له فيه اعتقاد التقدم فإن له أن يحل ذلك العقد مع الله المخير فيه ولا بد وإن لم يفعل قوبل فإن لم يقترب به مثل هذا فالوفاء به مذهبنا ومذهب أهل الخصوص وعلم السواء بين النشأتين فلا يظهر الظاهر إلا بصورة الباطن وهو المعبر عنه بالصدق وعلم من طلب السر عند تجلي الحقيقة حذراً أن تذهب عينه وعلم التبديل وما لا يقبله مما هو ممكن أن يقبله وعلم الإقبال والتولي هل الإقبال

تول أو هو إقبال بلا تول وعلم رفع الحرج من العالم مع وجوده بماذا يرتفع عند من يرتفع في حقه وعلم الرضاء ومحله وما ثوابه عند الله وعلم ما ينتج التجيل بالخير وعلم الاقتدار الكوني من الاقتدار الإلهي وعلم تأثير العالم بعضه في بعض هل هو تأثير علة أم لا وعلم التعصب في العالم في أي صنف يظهر وهل يتصف به الملاء الأعلى أم لا وهل له مستند في الأسماء الإلهية المؤثرة في الأعيان للأحوال التي يقام فيها أعيان المكلفين كالعاصي إذا توجه عليه الاسم المنتقم وتوجه عليه الاسم العفو فيتعصب له الاسم الثواب والرحيم والغفور والحليم هذا أعني بالمستند الإلهي وعلم ما يظهر على أعيان الممكنات المكلفين هل يظهر بحكم الاستحقاق أو بحكم المشيئة وعلم ما تجتمع فيه الرسل وما تفترق فيه وعلم منازل القرون الثلاثة الآتية على نسق والقرن الرابع وما لها في الزمان من الشهور

الأربعة الحرم التي هي ثلاثة سرد وواحد فرد وعلم ما يطلب بالسجود من الله ومراتب السجود والسجود الذي يقبل الرفع منه الساجد من السجود الذي إذا وقع لم يرفع منه وهل خلق العالم ساجداً أو خلق قائماً ثم دعى إلى السجود أو خلق بعضه قائماً وبعضه ساجداً وتعيين من خلق ساجداً ممن خلق قائماً ثم سجد أو لم يسجد وعلم العلامات الإلهية في الأشياء وما يدل منها على سعادة العبد وعلى شقاوته وعلم تفاصيل الوعد الإلهي ولماذا نفذ بكل وجه ولم ينفذ الوعيد في كل من توعد وكلاهما خير إلهي فهذا بعض ما يجوي عليه هذا المنزل من العلوم وتركنا منها علوماً لم نذكرها طلباً للاختصار والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ومن هذا المنزل علمنا حين وقفنا عليه سنة إحدى وتسعين وخمسمائة نصر المؤمنين على الكفار قبل وقوعه بمدينة فاس من بلاد المغرب

الباب السابع الثلاثون وثلاثمائة في معرفة منزل محمد صلى الله عليه وسلم

مع بعض العالم وهو من الحضرة المحمدية

من أحكام التناقض في الوجود	ألا الله ما الأكوان فيه
جهول بالنزول وبالصعود	فمنهم طائع عاص عليم
ومنهم من تحقق في الشهود	ومنهم من تحقق في غيوب
وحيد بالدلائل والعقود	فتظهر كثرة والعين منها
من أوصاف الألوهة والعبود	فسبحان المراد بكل نعت
ويوصف في المعارف بالمزيد	وسبحان المحيط بكل شيء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد الناس يوم القيامة وعلل ذلك بكماله وقال لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني لعموم رسالته وشمول شريعته فخص صلى الله عليه وسلم بأشياء لم تعط لني قبله وما خص نبي بشيء إلا وكان لمحمد صلى الله عليه وسلم فإنه أوتي جوامع الكلم وقال كنت نبياً وآدم بين الطين والماء وغيره من الأنبياء لم يكن نبياً إلا في حال نبوته وزمان رسالته فلنذكر في هذا الباب منزله ومزله فالمنزل يظهر في بساط الحق ومقعد الصدق عند التجلي والرؤية يوم الزور العلم الأعظم

فيعلم منزله بالبصر والشهود وأما منزلته فهي منزلة في نفس الحق ومرتبة منه ولا يعلم ذلك إلا بإعلام الله وله المقام المحمود وهو فتح باب الشفاعة للملائكة فمن دونهم وله الأولوية في الشفاعة وله الوسيلة وليس في المنازل أعلى منها ينالها محمد صلى الله عليه وسلم بسؤال أمته جزاء لما نالوه من السعادة به حيث أبان لهم طريقها فاتبعوه واعلم أن هذا المنزل من يدخله يرى فيه عجائب لا يراها غيره فمن ذلك أنه يرى أعمال الأشقياء مجسدة وأعمال السعداء كذلك مجسدة صوراً قائمة تعقل وجود خالقها وقد جعل الله في نفوس هذه الصور طلباً على الأسباب التي وجدت عنها وهم العاملون ويجدون في طلبهم فأما أعمال السعداء فيرون على أيمانهم طريقاً يسلكونها فتأخذ بهم تلك الطريق إلى مشاهدة أصحابهم وهم السعداء فيميز بعضهم بعضاً ويتساءلون ويتخذونهم العاملون راكبين فوز ونجاة تحملهم إلى مستقر الرحمة وأما أعمال الأشقياء فتقوم لهم طرق متعددة متشعبة متداخلة بعضها في بعض لا يعرفون أي طريق تمشي بهم إلى أصحابهم فيحارون ولا يهتدون وهذا من رحمة الله بالأشقياء فإذا حارت أعمالهم رجعت إلى الله بالعبادة والذكر ويتفرقون في تلك الطرق فمنهم من لا يهتدي إلى صاحبه أبد الآبدين ومنهم من يصل إلى صاحبه فيشاهده ويتعرف إليه فيعرفه ويكون وجوده إياه مصادفة فيتعلق به ويقول له احملني فقد أتعبتني في طلبك فيجبر العامل على حمله إلى أن تناله الرحمة رحمة الله وإلى جانب موقف هذه الصور طريقان واضحان طريق يكون غايته الحق الوجود وطريق لا غاية له فإنه يخرج السالك إلى العدم فلا يقف عند غايته فيه إذ العدم لا ينضبط بحد فيتقيد به بخلاف الحق الوجود فإنه يتقيد وإن كان مطلقاً بإطلاقه تقيد في نفس الأمر فإنه متميز بإطلاقه عن الوجود المقيد فهو مقيد في عين إطلاقه وطريق ثالث بين هذين الطريقين برزخي لا تتصف غايته بالوجود ولا بالعدم مثل الأحوال في علم المتكلمين فأما الطريق التي يكون غايتها الوجود الحق فيسلك عليها الموحدون والمؤمنون والمشركون والكافرون وجميع أصحاب العقائد الوجودية وأما الطريق الأخرى فلا يسلك عليها إلا المعطلة فلا ينتهي بهم إلى غاية وأما الطريق البرزخي فلا يسلك فيه إلا العلماء بالله خاصة الذين أثبتهم الحق ومحاهم في عيم إثباتهم وأبقاهم في حال فنائهم فهم الذين لا يموتون ولا يحيون إلى أن يقضي الله بين العباد فيأخذون ذات اليمين إلى طريق الوجود الحق وقد اكتسبوا من حقيقة تلك الطريق صفة واكتسبوا منها هيئة تظهر عليهم في منزل الوجود الحق يعرفون بها بعضهم بعضاً ولا يعرفهم بها أحد من أهل الطريقين وهذا ضرب مثل ضربه الله لأهل الله ليقفوا منه على مراتب الهدى والخيرة والمهتدين والضالين وجعل الله لهم نوراً بل أنواراً يهتدون بها في ظلمات بر طبيعتهم وفي ظلمات بحر أفكارهم وفي ظلمات نفوسهم الناطقة برها وبحرها بما هي عليه في نشأتها إذ كانت متولدة بين النور الخالص والطبيعة المحضة العنصرية الصرفية وتلك الأنوار المجعولة فيهم من الأسماء الإلهية فمن كان عارفاً بها وناظراً بها من حيث ما وجدت له وصل بها إلى العلم بالأمور والكشف ومن أخذها أنواراً لا يعلم أنها بالوضع للاهتمام وجعلها زينة كما تراها العامة في كواكب السماء زينة خاصة لم يحصل له منها غير ما رأى ويراه العلماء بمنزلها وسيرها وسباحتها في أفلاكها موضوعة للاهتمام بها فاتخذوها علامات على ما يبتغونه في سيرهم على الطرق الموصلة إلى ما دعاهم الحق إليه من العلم به أو إلى السعادة التي هي الفوز خاصة واعلم أن الله لما جعل منزل محمد صلى الله عليه وسلم السيادة فكان سيّداً ومن سواه سوقة علمنا أنه لا يقاوم فإنه السوق لا تقاوم ملوكها فله

منزل خاص ولما أعطي هذه المنزلة وآدم بين الماء والطين علمنا أنه الممد لكل إنسان كامل منوعت بناموس إلهي أو حكمي وأول ما ظهر من ذلك في آدم حيث جعله الله خليفة عن محمد صلى الله عليه وسلم فأمدّه بالأسماء كلها من مقام جوامع الكلم التي لمحمد صلى الله عليه وسلم فظهر بعلم الأسماء كلها على من اعترض على الله في وجوده ورجح نفسه عليه ثم توالى الخلائف في الأرض

إلى أن وصل زمان وجود صورة جسمه لإظهار حكم منزلته باجتماع نشأته فلما برز كان كالشمس اندرج في نوره كل نور فأقر من شرائعه التي وجه بها نوابه ما أقر ونسخ منها ما نسخ وطهرت عنايته بأتمته لحضوره وظهوره فيها وإن كان العالم الإنساني والناري كله أتمته ولكن هؤلاء خصوص وصف فجعلهم خير أمة أخرجت للناس هذا الفضل أعطاه ظهوره بنشأته فكان من فضل هذه الأمة على الأمم أن أنزلها منزلة خلفائه في العالم قبل ظهوره إذ كان أعطاهم التشريع فأعطى هذه الأمة الاجتهاد في نصب الأحكام وأمرهم أن يحكموا بما هداهم إليه اجتهداهم فأعطاهم التشريع فلاحقوا بمقامات الأنبياء عليهم السلام في ذلك وجعلهم ورثة لهم لتقدمهم عليهم فإن المتأخر يرث المتقدم بالضرورة فيدعون إلى الله على بصيرة كما دعا الرسل محمد صلى الله عليه وسلم فأخبر بعصمتهم فيما يدعون إليه فمنهم المخطئ حكم غيره من المجتهدين ما هو مخطئ عن الحق فإن الذي جاء به حق فإن أخطأ حكماً قد تقدم الحكم به لمحمد صلى الله عليه وسلم وما وصل إليه فذلك الذي جعل له أجراً واحداً وهو أجر الاجتهاد وإن أصاب الحكم المتقدم باجتهاده فله أجر الاجتهاد وأجر الإصابة وإن كان المصيب مجهول العين في المجتهدين عند نفسه وعند غيره فليس بمجهول عند الله وكل من دخل في زمان هذه الأمة بعد ظهور محمد صلى الله عليه وسلم من الأنبياء والخلفاء الأول فإنهم لا يحكمون العالم إلا بما شرع محمد صلى الله عليه وسلم في هذه الأمة وتميز في المجتهدين وصار في حزبهم مع إبقاء منزلة الخلافة الأولى عليه فله حكمان يظهر بذلك في القيامة ما له ظهور بذلك هنا ومثل محمد صلى الله عليه وسلم يوم الزور الأعظم على يمين الرحمن من حيث الصورة التي يتجلى فيها على عرشه ومثله يوم القيامة ليس على يمين الرحمن لكن بين يدي الحكم العدل لتنفيذ الأوامر الإلهية والأحكام في العالم فالكل عنه يأخذ في ذلك الموطن وهو وجه كله يرى من جميع جهاته وله من كل جانب إعلام عن الله تعالى يفهم عنه يروونه لساناً ويسمعونه صوتاً وحرفاً ومثلته في الجنان الوسيلة التي تتفرع جميع الجنات منها وهي جنة عدن دار المقامة ولها شعبة في كل جنة من تلك الجنات من تلك الشعبة يظهر صلى الله عليه وسلم لأهل تلك الجنة وهي في كل جنة اعظم منزلة فيها وهي منازل كلها حسية لا معنوية وليست المعنوية إلا مثلته في نفس موحده وهو الله تعالى وما هذا خاص به بل كل منزلة لا تكون إلا في نفس الله الذي هو الرحمن والمنازل محسوسة محصورة التي هي جمع منزل لا جمع منزلة فاعلم ذلك فإنه من لباب المعرفة بالله تعالى وتقدس في ذاته وأما مثلته في العلوم فالإحاطة بعلم كل عالم بالله من العلماء به تعالى متقدمهم ومتأخريهم وكل منزل له ولأتباعه مطيب بالطيب الإلهي الذي لم يدخل فيه ولا استعملت أيدي الأكوان فيه واعلم أنه من كماله صلى الله عليه وسلم أنه خص بستة لم تكن لنبي قبله والستة أكمل الأعداد وليس في الأشكال شكل فيه زوايا إذا انضمت إليها الأمثال لم يكن بينها خلو إلا الستة وبها أوحى الله إلى النحل في قوله أن اتخذ من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون وأوحى إليها صفة عملها فعملتها مسدسة فأخبر أنه أعطى مفاتيح الخزائن وهي خزائن أجناس العالم ليخرج إليهم بقدر ما يطلبونه بذواتهم إذا علمنا انه السيد ومن اعتبر تعيين الخزائن بالأرض فليس في الأرض إلا خزائن المعادن والنبات لا غير فإن الحيوان من حيث نموه نبات قال تعالى والله أنبتكم من الأرض نباتاً فأخبرنا أنا من جملة الأرض وما أعطيها صلى الله عليه وسلم حتى كان فيه الوصف الذي يستحقها به ولهذا طلبها يوسف عليه السلام من الملك صاحب مصر أن يجعله على خزائن الأرض لأنه حفيظ عليهم ليفتقر الكل إليه فتصح سيادته عليهم ولهذا أخبر بالصفة التي يستحق من قامت به هذا المقام فقال إني حفيظ عليهم حفيظ عليها فلا تخرج منها

إلا بقدر معلوم كما أن الله سبحانه يقول وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم فإذا كانت هذه الصفة فيمن كانت ملك مقاليدها ثم قال بعد قوله حفيظ عليهم أخبر أنه عالم بحاجة المحتاجين لما في هذه الخزائن التي خزن فيها ما به قوامهم عليهم

بقدر الحاجة فلما أعطي صلى الله عليه وسلم مفاتيح خزائن الأرض علمنا أنه حفيظ عليم فكل ما ظهر من رزق في العالم فإن الاسم الإلهي لا يعطيه إلا عن أمر محمد صلى الله عليه وسلم الذي بيده المفاتيح كما اختص الحق تعالى بمفاتيح الغيب فلا يعلمها إلا هو وأعطى هذا السيد مثلة الاختصاص بعبثاته مفاتيح الخزائن والخصلة الثانية أوتى جوامع الكلم والكلم جمع كلمة وكلمات الله لا تنفذ فأعطي علم لا يتناهى فعلم ما يتناهى بما حصره الوجود وعلم ما لم يدخل في الوجود وهو غير متناه فأحاط علماً بحقائق المعلومات وهي صفة إلهية لم تكن لغيره فالكلمة منه كلمات كالأمر الإلهي الذي هو كلمة واحدة كلمح البصر وليس في التشبيه الحسي أعظم ولا أحق تشبيهاً به من اللحم بالبصر ولما علم بجوامع الكلم أعطي الإعجاز بالقرآن الذي هو كلمة الله وهو المترجم به عن الله فوق الإعجاز في الترجمة التي هي له فإن المعاني المجردة عن المواد لا يتصور الإعجاز بها وإنما الإعجاز ربط هذه المعاني بصور الكلم القائم من نظم الحروف فهو لسان الحق وسمعه وبصره وهو أعلى المراتب الإلهية ويتزل عنها من كان الحق سمعه وبصره ولسانه فيكون مترجماً عن عبده كما ترجم تعالى لنا في القرآن أحوال من قبلنا وما قالوه فما فيه ذلك الشرف فإنه يترجم عن أهله والمقرين لديه كالملائكة فيما قالوه ويترجم عن إبليس مع إبلاسه وشيطنته وبعده بما قاله ولا يترجم عن الله إلا من له الاختصاص الذي لا اختصاص فوقه والخصلة الثالثة بعثته إلى الناس كافة من الكفت وهو الضم ألم نجعل الأرض كفاتاً أي تضم الأحياء على ظهرها والأموات في بطنها كذلك ضمت شريعته جميع الناس فلا يسمع به أحد إلا لزمه الإيمان به ولما سمع الجن القرآن يتلى قالوا لقومهم يا قومنا أجيئوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويحرمكم من عذاب أليم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين فأخبر بقوله فليس بمعجز في الأرض عن الجن وقول الله من وليس له إلى مبين فضمت شريعته الجن والإنس فعم بشريعته الإنس والجن وعمت العالم رحمته التي أرسل بها فقال وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين فأخبر الله أنه أرسله ليرحم العالم وما خص عالماً من عالم فإذا أتى بكل ما يرضي العالم صنفاً صنفاً ما عدا بعض من هو مخاطب بحكم شرعه فقد رحمه وقام بالرحمة التي أرسل بها بل نقول أنه جاء بحكم الله وحكم الله يرضى به كل صنف من العالم بلا شك فإن كل العالم مسيح بحمده فهو راض بحكمه من جهة ما جاء به هذا الرسول العام الدعوة العام بنشر الرحمة على العالم غير أن من الناس من لم يرض بالحكم به وإن كان راضياً بالحكم فقد نال من رحمة الله التي أرسل بها على قدر ما رضي به من الحكم المعين الذي جاء به وليس هذا الواقع إلا في الناس خاصة وإنما الجن شيئاً طينهم وغير شيئاً طينهم فإن الله جعل لهم الإغواء وأمرهم من خلف حجاب البعد بالاستفزاز والمشاركة في الأموال والأولاد ابتلاء لهم وامتحاناً فيقول الشيطان للإنسان اكفر فإذا كفر يقول الشيطان إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين هذا إخبار الله عنه ثم قال فكان عاقبتهما أي جاءهما عقيب هذا الواقع أنهما في النار فأعقب الشيطان برجوعه إلى أصله فإنه مخلوق من النار فرجع إلى موطنه وكان للإنسان عقوبة على كفره حيث ظلم بقبول ما جاء به الشيطان ولم يقبل ما جاء به الرسول ثم قال خالدين فيها فخلد الشيطان في منزله وداره وخلد الإنسان جزاء لكفره ولهذا تبرأ منه للافتراق الذي بينهما في العاقبة وقوله وذلك فأشار ببينة الواحد ولم يشن الإشارة إلى العقاب فإنهما ما اشتركا فيه لأن الذي أتى للإنسان عقيب ذنبه إنما هو العذاب والذي كان سهم الشيطان الذي أتاه عقيب فعله وقوله رجوعه إلى أصله الذي منه خلق فلا يغتر العاقل ألا ترى في قصة آدم في الجنة لما وقع منه ما وقع من قرب الشجرة وأعقبه الله الهبوط إلى الأرض من الجنة وأهبط حواء وأهبط إبليس ولهذا قال اهبطوا جميعاً فجمع ولم يشن

ولا أفرد فتزل آدم إلى أصله الذي خلق منه فإنه مخلوق من التراب فأهبطه الله للخلافة لقوله تعالى إني جاعل في الأرض خليفة فما

أهبط عقوبة لما وقع منه وإنما جاء المهبوط عقيب ما وقع منه وأهبط حواء للتناسل وأهبط إبليس عقوبة لا رجوعاً إلى أصله فإنها ليست داره ولا خلق منها فسأل الله الإغواء أن يدوم له في ذرية آدم لما عاقبه الله بما يكرهه من إنزاله إلى الأرض وكان سبب ذلك في الأصل وجود آدم لأنه بوجوده وقع الأمر بالسجود وظهر ما ظهر من إبليس وكان من الأمر ما كان فعلنا أن الله أرسله بالرحمة وجعله رحمة للعالمين فمن لم تنله رحمته فما ذلك من جهته وإنما ذلك من جهة القابل فهو كالنور الشمسي أفاض شعاعه على الأرض فمن استترعه في كن وظل جدار فهو الذي لم يقبل انتشار النور عليه وعدل عنه فلم يرجع إلى الشمس من ذلك منع وأخبر صلى الله عليه وسلم أنه بعث إلى كل أحمر وأسود فذكر من قامت به الألوان من الأجسام يشير إلى أنه مبعوث بعموم الرحمة لمن يقبلها بعموم الشرع لمن يؤمن به وأمه صلى الله عليه وسلم جميع من بعث إليه ليشرع له فمنهم من آمن ومنهم من كفر والكل أمته والخصلة الرابعة أنه نصر بالرعب بين يديه مسيرة شهر والشهر قدر قطع القمر درجات الفلك المحيط فهو أسرع قاطع والحساب به للعرب وهو عربي فإذا نصر بين يديه بالرعب مسيرة شهر يسير القمر لأنه ما ذكر السائر وذكر الشهر ولا يعين الشهر عند أصحاب هذا اللسان الأسير القمر فقد عم نصره بالرعب ما قطعه من المسافة هذا القمر في شهر فعم حكم كل درجة للفلك الأقصى لها أثر في عالم الحون والفساد بقطع القمر تلك المسافة فما قال ذلك إلا بطريق الثناء به عليه ولو كان ثم من يقطع الفلك في أقل من هذه المدة لجاء به فجاء بأسرع سائر يعم سيره قطع درجات الفلك المحيط فعموم رعبه في قلوب أعدائه عموم رحمته فلا يقبل الرعب إلا عدو مقصود يعلم أنه مقصود فما قابله أحد في قتال إلا وفي قلبه رعب منه ولكنه يتجلد عليه بما أشقاه الله ليميز السعيد من الشقي فيوهن ذلك الرعب من جلادة عدوه على قدر ما يريد الله فما نقص من جلادة ذلك العدو بما وجدته من الرعب كان ذلك القدر نصراً من الله والخصلة الخامسة أحلت له الغنائم ولم تحل لأحد قبله فأعطى ما يوافق شهوة أمته والشهوة نار في باطن الإنسان تطلب مشتتها ولا سيما في المغامرات لأن النفوس لها التذاذب بما لكونها حصلت لهم عن قهر منهم وغلبة وتعمل فلا يريدون أن يفوقهم التنعم بما في مقابلة ما قاسوه من الشدة والتعب في تحصيلها فهي أعظم مشتته لهم وقد كانت المغامرات في حق غيره من الأنبياء إذا انصرف من قتال العدو وجمع المغامرات كلها فإذا لم يبق منها شيء نزلت نار من الجو فأحرقتها كلها فإن وقع فيها غلول لم تنزل تلك النار حتى يرد ويلقى فيها ذلك الذي أخذ منها فكان لهم نزول النار علامة على القبول الإلهي لفعلهم فأحلها الله لحمد صلى الله عليه وسلم فقسمها في أصحابه فتناولتها نار شهواتهم عناية من الله بهم لكرامة هذا الرسول عليه فأكرمه بأمر لم يكرم به غيره من الرسل وأكرم من آمن به بما لم يكرم به مؤمناً قبله بغيره والخصلة السادسة أن طهر الله بسببه الأرض فجعلها كلها مسجداً له فحيث أدركته أو أمته الصلاة يصلي والمساجد بيوت الله وبيوت الله أكرم البيوت لإضافتها إلى الله فصير الأرض كلها بيت الله من حيث أن جعلها مسجداً وقد أخبرنا لمن يلازم المساجد من الفضل عند الله فأمته لا تبرح في مسجد أبداً لأنها لا تبرح من الأرض لا في الحياة ولا في الموت وإنما هو انتقال من ظهر إلى بطن وملازم المسجد جليس الله في بيته فهذه الأمة جلساء الله حياة وموتاً لأنهم في مسجد وهو الأرض وكذلك جعل الله أيضاً تربة هذه الأرض طهور فكان لها حكم الماء في الطهارة إذا عدم الماء أو عدم الاقتدار على استعماله لسبب مانع من ذلك فأقام لهم تراب هذه الأرض والأرض طهوراً فإذا فارق الأرض ما فارق منها ما عدا التراب فلا يتطهر به إلا أن يكون التراب فإنه ما كان منها يسمى أرضاً ما دام فيها من معدن ورخام وزرنيخ وغير ذلك فما دام في الأرض كان أرضاً حقيقة لأن الأرض تعم هذا كله فإذا فارق الأرض انفرد باسم خاص له وزال عنه اسم الأرض فزال حكم الطهارة منه إلا التراب خاصة فسواء فارق الأرض أو لم يفارقها فإنه طهور لأنه منه خلق المتطهر

به وهو الإنسان فيطهر بذاته تشريفاً له فأبقى الله النص عليه بالحكم به في الطهارة دون غيره ممن له اسم غير اسم الأرض فإذا فارق التراب الأرض زال عنه اسم الأرض وبقي عليه اسم التراب كما زال عن الزرنيخ اسم الأرض لما فارق الأرض وبقي عليه اسم الزرنيخ فلم تجز الطهارة به بعد المفارقة لأن الله ما خلق الإنسان من زرنيخ وإنما خلقه من تراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأرض أن الله جعلها له مسجداً وطهوراً فعم ثم قال في الخبر الآخر وجعلت تربتها لنا طهوراً فخرج التراب بالنص فيه عن سائر ما يكون أرضاً ويزول عنه الاسم بالمفارقة فهذه ستة خصص بها هذا النبي صلى الله عليه وسلم فكانت منزلة لم ينلها غيره لها حكم في كل منزل من دنيا وهو ما ذكرناه ومن برزخ وقيامة وجنة وكثير فيظهر حكم هذا الاختصاص الإلهي في كل منزل من هذه المنازل ليتبين شرفه وما فضله الله به على غيره مع كونه أعطى جميع ما فضلت به الرسل بعضها على بعض ثم لتعلم أيها الولي أنه من رحمته صلى الله عليه وسلم التي بعثه الله تعالى بها ما أبان الله على لسانه لنا وأمره بتبليغ ذلك فبلغ أنه ليس من شرط الرسالة ظهور العلامات على صدقه إنما هو شخص منذر مأمور بتبليغ ما أمر بتبليغه هذا حظ لا يجب عليه غير ذلك فإن أتى بعلامة على صدقه فذلك فضل الله ليس ذلك بيده فأقام عذر الأنبياء كلهم في ذلك فكان رحمة للرسل في هذا فجاء في القرآن قوله وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه وهذا قول غير العرب ما هو قول العرب لأنه جاء بالقرآن آية على صدقه للعرب إذ لا يعرف إعجازه وكونه آية غير العرب فلم يرد عنه أنه أظهر آية لكل من دعاه من غير العرب كاليهود والنصارى والمجوس ولكن أي شيء جاء من الآيات فذلك من الله لا بحكم الوجوب عليه ولا على غيره من الرسل فقليل له قل لهم إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين ثم قال له أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة لهم فإننا أرسلناك رحمة للعالمين فضمننا القرآن جميع ما تعرف الأمم أنه آية على صدق ما جاء به إذ لم يعلموا منه بقرائن الأحوال أنه قرأ ولا كتب ولا طالع ولا عاشر ولا فارق بلده بل كان أمياً من جملة الأميين وأخبرهم عن الله بأمور يعرفون أنه لا يعلمها من هو بهذه الصفة التي هو عليها هذا الرسول إلا بإعلام من الله فكان ما جاء في القرآن من ذلك آية كما قالوا وطلبوا وكان إعجازه للعرب خاصة إذ نزل بلسانهم وصرفوا عن معارضته أو لم يكن في قوتهم ذلك من غير صرف حدث لهم فجاء القرآن بما جاءت به الكتب قبله ولا علم له بما جاء فيها إلا من القرآن وعلمت ذلك اليهود والنصارى وأصحاب الكتب فحصلت الآية من عند الله لأن القرآن من عند الله فقد تبين لك منزل محمد من غيره من الرسل وخصه الله بعلوم لم تجتمع في غيره منها أنه أعطاه أنواع ضروب الوحي كلها فأوحى إليه بجميع ما سمي وحيّاً كالمبشرات والإنزال على القلوب والآذان وبجلة العروج وعدم العروج وغير ذلك وخصه بعموم علوم الأحوال كلها فأعطاه العلم بكل حال وفي كل حال ذوقاً لأنه أرسله إلى الناس كافة وأحوالهم مختلفة فلا بد أن تكون رسالته تعم العلم بجميع الأحوال وخصه الله بعلم إحياء الأموات معنى وحساً فحصل العلم بالحياة المعنوية وهي حياة العلوم والحياة الحسية وهو ما أتى في قصة إبراهيم عليه السلام تعليمياً وإعلاماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وخص بعلم الشرائع كلها فأبان له عن شرائع المتقدمين وأمره أن يهتدي بهداهم وخص بشرع لم يكن لغيره منه ما ذكرناه في السنة التي خص بها فهذه أربعة منازل لم يتزل فيها غيره من الأنبياء عليهم السلام فهذا منزل محمد صلى الله عليه وسلم قد ذكرت منه ما يسره الله على لساني فلنذكر ما يتضمن منزله من العلوم فمن ذلك علم الحجاب أعني حجاب الجحد وحجاب الحكمة وعلم الفارق الذي تعينت به السبل مثل قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة وهل هم اليوم بعموم بعثة الرسل أمة واحدة أم لا وهل حكم الله على أصحاب الكتب بالجزية وإبقائهم على دينهم شرع من الله لهم على لسان محمد صلى الله عليه

وسلم فينفعهم ذلك ما أعطوا الجزية عن قوة من الآخذين وصغار منهم فقد فعلوا ما كلفوا وكان هذا حظهم من الشريعة فيبقاؤهم على شرعهم شرع محمدي لهم فيسعدون بذلك فتكون مؤاخذه من أحد منهم بما فرط فيه من الشرع الذي هم عليه كسائر العصاة الذين لم يعملوا جميع ما تضمنه شرعهم وإن كانوا مؤمنين به وهذا علم غريب ما أعلم له ذائقاً من فتوح المكاشفة وهو من علوم الأسرار التي غار عليها أهل الله فصانوها وفيه علم ما حير الأكوان فيما تحيروا فيه كان ما كان وفيه علم الإيمان المطلق والمقيد وفيه علم ما يفسد العمل المشروع ويصلحه وفيه علم سريان الحق في الأحكام على اختلافها وأنها كلها حق من الرب وفيه علم الكفارات وفيه علم ما تصلح به أحوال الخلق وفيه علم ما هو الباطل وما هو الحق هل هما أمر وجودي أو ليس وجودي وفيه علم الشركة في الاتباع وإلى ما يؤول كل تابع هل غايته أمر واحد أو مختلف وفيه علم من تضرب له الأمثال ممن لا تضرب وفيه علم القهر الإلهي على أيدي الأكوان وقول أبي يزيد بطشي أشد في هذا المقام وفيه علم الفرج بعد الشدة وهل من شأن الفرج أن لا يكون إلا بعد شدة أم لا وفيه علم أنواع الابتلاء وفيه علم الصفة التي تزيل الحيرة عمن قامت به والإبانة عن ذلك وعلم الأنفاس الإلهية وعلم الأسفار عن نتائج الأسفار وعلم المواعظ وعلم الغلبة التي ليس فيها نصر إلهي بماذا كانوا غالبيين وفيه علم الفرق بين علم العين وعلم الدليل وهل يقوم مقام العين أم لا وفيه علم أنواع الزينة في العالم وفيه علم مراتب العلوم وتفاصيلها وفيه علم القضاء السابق من علم نقاة القدر وفيه علم الطبع والختم والقفل والكن وما هو عمى الأبصار وعمى البصائر ولم يختص عمى القلوب بحالة الصدور وهو الرجوع عن الحق وهل هو الصدور الذي يكون عن ورود متقدم أو هو صدور تكوين ممكن عن واجب أو هو صدور محل لا صفة فيكون عماه من كونه في المحل فإذا فارق المحل بنظره وانفتح له فيه فرج ينظر منها يزول عماه وفيه تعيين علوم المزيد فإنها مختلفة بحكم ما تقع الزيادة عليه وفيه علم الآيات والعلامات على الكوائن وفيه علم توحيد المرتبة الإلهية أنه ما حازها إلا واحد وفيه علم الستور وأصنافها التي تسدل علينا لنستر بها عن إدراك الغير وما هي الستور التي تسدل بيننا وبين من نطلب رؤيته فلا نراه وفيه علم الإقامة في المنزل والتقلب فيه لا عنه وفيه علم العناية بقوم وتركها في حق قوم وفيه ما تنتجه العزائم في الخير والشر وفيه علم الخير والشرور وفيه علم النسب الرحامي وفيه علم ما ينفع من الإيمان مما لا ينفع كما قال أولئك هم الكافرون حقاً وفيه علم البعد والقرب الإلهي وفيه علم ما يؤدي إليه التفكير وفيه علم الرجعة ممن وإلى من وفيه علم ما يؤثر فيه الظن مما لا يؤثر وفيه علم المشاهدة وتعلقها بالمشيئة مع استعداد المحل لقبولها وما هناك منع والمحل قابل وما هذه المشيئة المانعة وفيه علم الغنصاف في المجازاة والفضل وفيه علم الفرق بين الأضداد والأمثال غير الأمثال إلى غير هذا من العلوم فلا يني لا أسوق من ذلك ما أسوقه على جهة الحصر مع علمي بذلك وإنما أسوقه على جهة التنبيه على ما فيه أو بعض ما فيه بحسب ما يقع لي فوقنا أورد ذلك بطريق الحصر بحيث أني لا أترك في المنزل علماً إلا نبهت عليه ووقتاً أقصر عن ذلك والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الثامن والثلاثون وثلاثمائة في معرفة منزل عقبات السوق

وهو من الحضرة المحمدية

فمن تكمل يدعى جامع الحكم

كان علوه له في حضرة الكلم

الفتح فتحة في المعنى وفي الكلم

ولو تسافل في الأكوان منزله

هو المقدم في المعنى برتبته

لا تحقرن عباد الله أن لهم

فعظم الكون فالمدلول يطلبه

في عالم النور لا في عالم الظلم

حظاً من الله ذي الآلاء والنعم

وهو البريء من الآفات والتهم

اعلم أن الله في المقام المحمود الذي يقام فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة باسمه الحميد سبعة ألوية تسمى ألوية الحمد تعطى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وورثته المحمدين في الألوية أسماء الله التي يثني بها صلى الله عليه وسلم على ربه إذا أقيم في المقام المحمود يوم القيامة وهو قوله صلى الله عليه وسلم إذا سئل في الشفاعة قال فأحمد الله بمحامد لا أعلمها الآن وهي الثناء عليه سبحانه بهذه الأسماء التي يقتضيها ذلك الموطن والله تعالى لا يثني عليه إلا بأسمائه الحسنى خاصة وأسمائه سبحانه لا يحاط بها علماً فإننا نعلم أن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ونعلم أنا لا نعلم ما أخفي لنا من قرة أعين وما من شيء من ذلك إلا وهو مستند إلى الاسم الإلهي الذي ظهر به حين أظهره والاسم الإلهي الذي امتن علينا تعالى بإظهاره لنا فلا بد أن نعلمه ونثني على الله به ونحمده إما ثناء تسبيح أو ثناء إثبات فلما عرفت بذلك سألت عن توقيت تلك الأسماء التي يحمد الله تعالى بها يوم القيامة في المقام المحمود فإني علمت أني لا أعلمها الآن ولا يعلمنيها الله فإنها من المحامد التي يختص بها صلى الله عليه وسلم يوم القيامة فإذا سمعناه يحمده بها يوم القيامة في المقام المحمود وانتشرت الألوية بها والمحامد مرقومة فيها ففي ذلك الموطن نعلمها فقل لي أن عدد تلك الأسماء ألف اسم وستمائة اسم وأربعة وستون اسماً كل لواء منها فيه مرقوم تسعة وتسعون اسماً من أحصاها هناك دخل الجنة غير لواء واحد من هذه الألوية فإن فيه مرقوماً من هذه الأسماء سبع مائة وسبعون اسماً يحمده صلى الله عليه وسلم بهذه المحامد كلها وكلها تتضمن طلب الشفاعة من الله وهذا المتزل مما يعطى من يتزله مشاهدة كل لواء من تلك الألوية وعلماً بما فيه من الأسماء ليثني هذا الوارث على الله بها هنالك ولكل لواء منها متزل هنا ناله صلى الله عليه وسلم وتناله الورثة الكامل من أتباعه وهذا المتزل متزل شامخ صعب المرتقى ولهذا سمي عقبة وأضيفت إلى السويق لعدم ثبوت الأقدام فيها لأنها مزلة الأقدام فلا يقطعها إلا رجل كامل من رسول وني ووارث كامل يحجب كل وارث في زمانه وهذا هو المتزل الذي سماه النفري في مواقفه موقف السواء لظهور العبد فيه بصورة الحق فإن لم يمن الله على هذا العبد بالعصمة والحفظ ويثبت قدمه في هذه العقبة بأن يبقی عليه في هذا الظهور شهود عبوديته لا تزال نصب عينيه وإن لم تكن حالته هذه وإلا زلت به القدم وحيل بينه وبين شهود عبوديته بما رأى نفسه عليه من صورة الحق ورأى الحق في صورة عبوديته وانعكس عليه الأمر وهو مشهد صعب فإن الله نزل من مقام غناه عن العالمين إلى طلب القرض من عباده ومن هنا قال من قال أن الله فقير وهو الغني ونحن أغنياء وهم الفقراء فانعكست عندهم القضية وهذا من المكر الإلهي الذي لا يشعر به فمن أراد الطريق إلى العصمة من المكر الإلهي فليزعم عبوديته في كل حال ولوازمها فتلك علامة على عصمته من مكر الله ويبقى كونه لا يأمنه في المستقبل بمعنى أنه ما هو على أمن أن تبقى له هذه الحالة في المستقبل إلا بالتعريف الإلهي الذي لا يدخله تأويل ولا يحكم عليه إجمال وفي هذا المتزل يشاهد قوله ولكن الله رمى ومحمد صلى الله عليه وسلم هو الرامي في الحس الذي وقع عليه البصر ويقوم له في هذا المتزل والله خلقكم وما تعملون واعلم أن السواء بين طريقيين لأن الأمر محصور بين رب وبين عبد فلرب طريق وللعبد طريق فالعبد طريق الرب فالإله غايته والرب طريق العبد فالإله غايته فالطريق الواحدة العامة في

الخلق كلهم هي ظهور الحق بإحكام صفات الخلق فهي في العموم إنها أحكام صفات الخلق وهي عندنا صفات الحق لا الخلق وهذا معنى السواء والطريق الأخرى ظهور الخلق بصفات الحق التي تتميز في العموم أنها صفات الحق كالأسماء الحسنى وأمثالها وهذا مبلغ علم العامة وعندنا وعند الخصوص كلها صفات الحق بالأصالة ما أضيف إلى الخلق منه مما يجعله العامة نزولاً من الله إلينا بها وهي عندنا صفات الحق وإن العبد علت منزلته عند الله حتى تحلى بها فهي عند العامة أسماء نقص وعندنا أسماء كمال فإنه ما ثم مسمى بالأصالة إلا الله ولما أظهر الخلق أعطاهم من أسمائه ما شاء وحققهم بها والخلق في مقام النقص لا مكانه وافتقاره إلى المرجح فما يتخيل أنه أصل فيه وحق له اتباعه في الحكم نفسه فحكموا على هذه الأسماء الخلقية بالنقص وإذا بلغهم أن الحق تسمى بها ويصف نفسه بها يجعلون ذلك نزولاً من الحق تعالى إليهم بصفاتهم وما يعلمون أنها أسماء حق بالأصالة فعلى مذهبنا في ظهور الخلق بصفات الحق تعم الخلق أجمعه فكل اسم لهم هو حق للحق مستعار للخلق وعلى مذهب الجماعة لا يكون ذلك إلا لأهل الخصوص أعني الأسماء الحسنى منها خاصة وعندنا لا يكون العلم بذلك إلا للخصوص من أهل الله وفرق عظيم بين قولنا لا يكون ذلك وبين قولنا لا يكون العلم بذلك فإن الحق هو المشهود بكل عين في نفس الأمر ولا يعلم ذلك إلا آحاد من أهل الله وهو مثل قول الصديق ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله فعرفته فإذا ظهر ذلك الشيء لعينه المقيد وقد رأى الله قبله ميزه في ذلك الشيء وعلم أن ذلك الشيء ملبس من ملابس الحق ظهر فيه للزينة فتلك زينة الله زين بها لعباده هذا مقام الصديق فلا يتميز أهل الله من غيرهم إلا بالعلم بذلك لأن الأمر في نفسه على ذلك وعند العامة لا يكون ذلك إلا لأهل العناية المتحققين بالحق وغيرهم هو عندهم خلق بلا حق ثم نرجع فنقول أن الله جعل لهذا المنزل باباً يسمى باب الرحمة منه يكون الدخول إليه فيعصمه مما فيه من الآفات المهلكة التي أشرنا إليها آنفاً من حكم السواء فإنه لهذا المنزل اعني هذا الباب كالباب في العمل فما تخلل العمل من غفلة وسهو لم يؤثر في صحة العمل فإن النية تجبر ذلك لأنها أصل في إنشاء ذلك العمل فهي تحفظه وكذلك البسملة جعلها الله في أول كل سورة من القرآن فهي للسورة كالباب للعمل فكل وعيد وكل صفة توجب الشقاء مذكورة في تلك السورة فإن البسملة بما فيها من الرحمن في العموم والرحيم في الخصوص تحكم على ما في تلك السورة من الأمور التي تعطي من قامت به الشقاء فيرحم الله ذلك العبد إما بالرحمة الخاصة وهي الواجبة أو بالرحمة العامة وهي رحمة الامتنان فالمال إلى الرحمة لأجل البسملة فهي بشرى وأما سورة التوبة على من يجعلها سورة على حدة منفصلة عن سورة الأنفال فسمها سورة التوبة وهو الرجعة الإلهية على العباد بالرحمة والعطف فإنه قال للمسرفين على أنفسهم ولم يخص مسرفاً من مسرف يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً فلو قال أن الرحمن لم يعذب أحداً من المسرفين فلما جاء بالاسم الله تكون المغفرة قبل الأخذ وتكون بعد الأخذ ولذلك ختم الآية بقوله إنه هو الغفور الرحيم فجاء بالرحيم آخر أي مآلهم وإن أؤخذوا إلى الرحمة وإن الرجعة الإلهية لا تكون إلا بالرحمة لا يرجع على عباده بغيرها فإن كانت الرجعة في الدنيا ردهم بها إليه وهو قوله ثم تاب عليهم ليتوبوا وإن كانت في الآخرة فتكون رجعتهم مقدمة على رجعته لأن الموطن يقتضي ذلك فإن كل من حضر من الخلق في ذلك المشهد سقط في يديه ورجع بالضرورة إلى ربه فيرجع الله إليهم وعليهم فمنهم من يرجع الله عليه بالرحمة في القيامة ومنزلها ومنهم من يرجع عليه بالرحمة بعد دخول النار وذلك بحسب ما تعطيه الأحوال ويقع به الشهود والأمر في ذلك كله حسي ومعنوي فإن العالم كله حرف جاء لمعنى معناه الله ليظهر فيه أحكامه إذ لا يكون في نفسه محلاً لظهور أحكامه فلا يزال المعنى مرتبطاً بالحرف فلا يزال الله مع العالم قال تعالى وهو معكم أينما كنتم فالداخل إلى هذا المنزل في أول قدم يضعه فيه يحصل له من الله تسعة وتسعون تجلياً مائة إلا واحداً تتقدم

إليه منها تسعة يرى فيها صورته فيعلم حقيقته بعد ذلك يقام في التسعين فيرى ما لم يكن يعلم من حضرة جمع ومنعة وعلو عن المقاوم فيترل الحق إليه معلماً له علماً من لدنه وقد تقدمت الرحمة له عند دخوله وهذا منزل حضر صاحب موسى عليه السلام واعلم أن أهلية الشيء لأمر ما إنما هو نعت ذاتي فلا يقع فيها مشاركة لغيره إلا بنسبة بعيدة إذا حقيقتها لم تثبت وزلت قدمك فيها كما قال صلى الله عليه وسلم في الصحيح أما أهل النار الذين هم أهلها أهلها وهم الذين لا يخرجون منها رأساً لأنهم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون فجعل نعتهم نفي الحياة والموت ثم استدرك نعت من دخلها وما هو بأهلها فقال ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم فأماهم الله فيها إماتة فنعتهم بالموت وهو خلاف نعت من

هو لها أهل ثم ذكر خروج هؤلاء من النار فتنبه لكون الحق أنطق العالم كله بالتسبيح بحمده والتسبيح تنزيه ما هو ثناء بآمر ثبوتي لأنه لا يثني عليه إلا بما هو أهل له وما هو له لا يقع فيه المشاركة وما أثني عليه إلا بأسمائه وما من اسم له سبحانه عندنا معلوم إلا وللعبد التخلق به والاتصاف به على قدر ما ينبغي له فلما لم يتمكن في العالم أن يثني عليه بما هو أهله جعل الثناء عليه تسبيحاً من كل شيء ولهذا أضاف الحمد إليه فقال يسبح بحمده أي بالثناء الذي يستحقه وهو أهله وليس إلا التسبيح فإنه سبحانه يقول سبحانه ربك رب العزة عما يصفون والعزة المنع من الوصول إليه بشيء من الثناء عليه الذي لا يكون إلا له عما يصفون وكل مشن واصف فذكر سبحانه تسبيحه في كل حال ومن كل عين فقال تسبح له السموات والأرض ومن فيهن وما ثم إلا هؤلاء وقال أمر الحمد عند انقضاء رسالته وما شرع له أن يشرع من الثناء عليه فسيح بحمد ربك واستغفره فقال أنت كما أثنت على نفسك هذا هو التسبيح بحمده فلما كان الأمر بالثناء على الله على ما قررناه لم يتمكن لنا أن نستنبط له ثناء وإنما نذكره بما ذكر عن نفسه فيما أنزله في كتبه على حد ما يعلمه هو لا على حد ما نفهمه نحن فنكون في الثناء عليه حاكين تالين لأن الثناء على المثنى عليه مجهول الذات لا يقبل الحدود والرسوم ولا يدخل تحت الكيفية ولا يعرف كما هو عليه نفسه وهو الغني عن العالمين فلا تدل على المعرفة به الدلالات وإنما تدل على استنادنا إليه من حيث لا يشبهنا أو لا يقبل وصفنا وما من اسم إلهي إلا وتتصف به فما تلك هي المعرفة المقصودة التي يعلم بما نفسه فشرع التسبيح وفطر عليه كل شيء وهو نفي عن كل وصف لا إثبات ولهذا بعض أهل النظر تنبهوا إلى شيء من هذا وإن كان العلماء لم يرتضوا ما ذهبوا إليه ولكن هو حق في نفس الأمر من وجه ما ملح وذلك أنهم رأوا أن المشاركة بين المحدث والله لا تصح حتى في إطلاق الألفاظ عليه فإذا قيل لهم الله موجود يقولون ليس بمعدوم فإن المحدث موصوف بالوجود ولا مشاركة فإذا قيل لهم الله حي يقولون ليس بميت الله عالم يقولون ليس بجاهل الله قادر يقولون ليس بعاجز الله مريد يقولون ليس بقاصر فأتوا بلفظة النفي والتسبيح تنزيه ونفي لا إثبات فجروا على الأصل الذي نطق الله به كل شيء فسلخوا مسلكاً غريباً يبين النظر والثناء على الله بالتسبيح لا تكل به الألسنة بخلاف الثناء بالأسماء فإن الألسنة تكل وتغيا وتقف فيها ولهذا قال من قال مما شرع له أن يقول من الثناء على الله فقال خاتماً عند الإعياء والحصر لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وانظر حكمة الله تعالى في كونه لم يجعل له صفة في كتبه بل نزه نفسه عن الوصف فقال والله الأسماء الحسنى فجعلها أسماء وما جعلها نعوتاً ولا صفات وقال فادعوه بها وبها كان الثناء والاسم ما يعطي الثناء وإنما يعطيه النعت والصفة وما شعر أكثر الناس لكون الحق ما ذكر له نعتاً في خلقه وإنما جعل ذلك أسماء كأسماء الأعلام التي ما جاءت للثناء وإنما جاءت للدلالة وتلك الأسماء الإلهية الحسنى هي لنا نعوت يثني علينا بها وأثني علينا بها وأثنى الله على نفسه بما لأننا قدمنا أن نزول الشرائع في العالم من الله إنما تنزل بحكم ما تواطأ عليه أهل ذلك اللسان سواء صادف أهل ذلك اللسان الحق في ذلك أولاً وقد تواطأ الناس على أن هذه الأسماء التي سمى الحق بها

نفسه مما يشئ بها في المحدثات إذا قامت بمن تقوم به نعتاً أو صفة فأثنى الله على نفسه بها ونبه على أنها أسماء لا نعوت ليفهم السامع الفهم الفطن أن ذلك من حكم التواطىء لا حكم الأمر في نفسه كما دل دليل الشرع بليس كمثلته شيء من جميع الوجوه فلا يقبل الأينية فإنه لو قبلها لم يصدق ليس كمثلته شيء على الإطلاق فإن قبول الأينية مماثلة وأما الدليل العقلي فلا يقول بها أصلاً ومع هذا الحكم للتواطىء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسوداء الخرساء أين الله فأطلق عليه لفظ الأينية لعلمه أن الأينية في حقه بمرتبة الاسم لا بمرتبة النعت فقالت السوداء في السماء بالإشارة فقبل ما أشارت به وجعلها مؤمنة لأن الله أخبر عن نفسه أنه في السماء فصداقه في خبره فكانت مؤمنة ولم يقل صلى الله عليه وسلم فيها عند ذلك أنها عالمة وأمر بعقها والعق سراح من قيد العبودية تنبيه من النبي صلى الله عليه وسلم بالعق في حقها من قيد العبودية والملك على أنه ليس كمثلته شيء سراح من قيد الأينية وفاء الظرف التي أتت به السوداء في الجواب فانظر ما أعجب الشارع العارف بالله وهذا كله تنزيه فالثناء على الله بصفات الإثبات التي جعلها أسماء وجعلها الخلق نعوتاً كما هي لهم نعوت إذا وقع هذا الثناء من العبد صورة لا يكون روح تلك الصورة تسيحاً بليس كمثلته شيء كان جهلاً بما يستحقه المثني عليه فإنه أدخله تحت الحد والحصر بخلاف كون ذلك أسماء لا نعوتاً فإيا ولي لا يفارق التسبيح ثنائك على الله جملة واحدة فإنك إذا كنت بهذه المثابة نفخت روحاً في صورة ثنائك التي أنشأها فلا تكن من المصورين الذين يعذبون يوم القيامة بأن يقال لهم أحيوا ما خلقتهم ولا قدرة لهم على ذلك هناك لأن الدعوى هناك لا تقع لما هو عليه من كشف الأمور وفي الدنيا ليس كذلك ثم انظر في تحقيق ما ذكرناه من إنشاء صورة الثناء إذا لم تنفخ فيها روح التسبيح قوله لطائفة قل أفرأيت ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض فلو قالوا عيسى دعا إلهاً من دون الله وقد خلق الأرض لما عجنه طيناً لانتظام الأجزاء الترابية بما في الماء من الرطوبة والبرودة فزادت كمية برودة التراب فنقل عن التحليل وعدم الانتظام وأزالت الرطوبة البيوسة التي في التراب فالتأمت أجزاؤه لظهور شكل الطائر فقدم الحق لأجل هذا القول أن خلق عيسى للطير كان بإذن الله فكان خلقه له عبادة يتقرب بها إلى الله لأنه مآذون له في ذلك فقال وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيه فيكون طيراً بإذني فما أضاف خلقه إلا لإذن الله والمأمور عبد والعبد لا يكون إلهاً وإنما جئنا بهذه المسألة لعموم كلمة ما فإنها لفظة تطلق على كل شيء ممن يعقل ومما لا يعقل كذا قال سيبويه وهو المرجوع إليه في العلم باللسان فإن بعض المتحليلين لهذا الفن يقولون أن لفظة ما تختص بما لا يعقل ومن تختص بمن يعقل وهو قول غير محرر وقد رأينا في كلام العرب جمع من لا يعقل وجمع من يعقل وإطلاق ما على من يعقل وإنما قلنا هذا لئلا يقال في قوله ما تدعون من دون الله إنما أراد من لا يعقل وعيسى يعقل فلا يدخل في هذا الخطاب وقول سيبويه أولى فهذا قد ترجمنا عن هذا المنزل بما فيه تنبيه على شموخه وتفلقته من العالم به إن لم يكن له مراقباً دائماً وهو يحوي على علوم منها علم ما خص الله به ألوية الحمد من الرحمة هل أعطاها الرحمة العامة أو الخاصة فإن التي تجاوره الرحمة الواجبة وهي جزء من الرحمة العامة فهل لواء الحمد يقتصر عليها وهو أن لا يشئ على الله إلا بالأسماء الحسنى في العرف أو يتعداها إلى الرحمة العامة في الثناء على الله بجميع الأسماء والكنيات إذ له الفعل المطلق من غير تقييد وله كل اسم يطلبه الفعل وإن لم يطلق عليه فإن الرحمة الإلهية العامة تعم هذه الأسماء التي لم يجز العرف بأن تطلق عليه فتطلق عليه رحمة بما فتجدها مرقومة في اللواء وهو علم شريف كنا قد عزمنا أن نضع فيه كتاباً فاقصرنا منه على جزء صغير سميناه معرفة المدخل إلى الأسماء والكنيات وهو أسلوب عجيب غريب ما رأيت أحداً نبه عليه من المتقدمين مع معرفتهم به ومن علوم هذا المنزل علم الإجمال الذي يعقبه التفصيل من غير تأخير وفيه علم إنزال الكتب من أين تنزل وما حضرها من الأسماء الإلهية وهل جميع الكتب المنزل من حضرة واحدة من الأسماء أو تختلف حضراتها

باختلاف سبب نزولها فإن التوراة وإن كتبها الله بيده فما نزلت للإعجاز عن المعارضة والقرآن نزل معجزاً فلا بد أن تختلف حضرة أسماء الله فيضاف كل كتاب إلى اسمه الخاص به من الأسماء الإلهية وفيه العلم بالحق المخلوق به وهو العدل عند سهل بن عبد الله وفيه علم أهل الحجب في إعراضهم عن دعوة الحق هل إعراضهم جهل أو عناد وجحد وفيه علم ما يتميز به الله عما تدعى فيه الألوهية وليس فيه خصوص وصه الإله وفيه علم ما أخذ الأدلة للعقل بالقوة الفكرية وفيه علم تأخير الإجابة عند الدعاء ما سبب ذلك وفيه علم صيرورة الولي عدواً ما سببه وفيه علم التفاضل في الفهم عن الله هل يرجع إلى الاستعداد أو إلى المشيئة وفيه علم الشهادة الإلهية للمشهود له وعليه واجتماع المشهود له وعليه في الرحمة بعد الأداء ولم يكن الصلح أولاً ولا يحتاج إلى دعوى وإلى شهادة وإذا كان الحق شهيداً فمن الحاكم حتى يشهد عنده فلو حكم بعلمه لم يكن شاهداً ويتعلق بهذا العلم علم الشهادة ومراتب الشهداء والشهود فيها وهل للحاكم أن يحكم بعلمه أو يترك علمه لشهادة الشهود إذا لم تكن شهادتهم زور مثل أن تشهد شهود على أن زيداً يستحق على عمرو كذا وكذا درهماً وهو عندهم كما شهدوا وكان الحاكم قد علم أن عمراً قد دفع له هذا المستحق ييقن وليس لزيد شهود إلا علم الحاكم ويعلم الحاكم أن الشهود شهدوا بما علموا ولم يكن لهم علم بأن عمراً قد أوصل إلى زيد ما كانت الشهادة قد وقعت عليه وفيه علم تكذيب الصادق من أين يكذبه من يكذبه مع جواز الإمكان فيما يدعيه في أخباره وفيه علم أسباب ارتفاع الخوف في مواطن الخوف وفيه علم المناسبة في الجزاء الوفاق وهل ما زاد على الجزاء الوفاق يكون جزاء أو يكون هبة وهل الجزاء المؤلم يساوي الجزاء الملد في الزيادة أم لا تكون الزيادة إلا في جزاء ما يقع به النعيم وأما في الآلام فلا يزيد على الوفاق شيء وقوله تعالى زدناهم عذاباً فوق العذاب لماذا ترجع هذه الزيادة وثوله كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب فهل هذه الجلود المحددة هل هي من الجزاء الوفاق أو من الزيادة وقولهم لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة هل لهم في هذا القول وجه يصدقون فيه أم لا وجه لهم وقول الله في حق هؤلاء بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون هل هو معارض لقواهم لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة فإنه ما كل من دخل النار تمسه فإن ملائكة العذاب في النار وهي دارهم ما تمسهم النار وما قال الله بعد قوله وأحاطت به خطيئته فأولئك الذين تمسهم النار وفيه علم نشء بني آدم وصورت الطبيعية والروحانية وفيه علم الوصف الذي إذا أقيم العبد فيه تجاوز الله عنه فيما أساء فيه وفيه علم الحقوق والمستحقين لها وفيه علم الفرق بين العرض والوقوف فإنه ورد ولو ترى إذ وقفوا على ربهم وورد ويوم يعرض الذين كفروا على ربهم وورد ولو ترى إذ وقفوا على النار وورد يوم يعرض الذين كفروا على النار وهل العرض دخول أم لا وفيه علم المطابقة وهو علم عزيز وفيه علم مضادة الأمثال وفيه علم ما يجب على الرسل مما لا يجب وفيه علم عدم الثقة بالأسباب المعهودة لأمر ما يكون عنها فيظهر عنها خلاف ذلك من أين وقع الغلط للذي وثق بما وفيه علم ما يفنى من الأشياء مما لا يفنى وما يفنى منها هل يفنى بالذات أم لا وفيه علم كل شيء فيك ومنك فلا يطرأ عليك أمر غريب ما هو عندك فلا يكشف لك إلا عنك وهو علم عزيز أيضاً ما يعلمه كل أحد من أهل الله وفيه علم الفرق بين أصناف العالم وفيه علم الاقتداء وفيه علم الزمان الكبير من الزمان الصغير وظهور الزمان الكبير قصيراً كزمان النعيم والوصال وظهور الزمان القصير كبيراً كزمان الآلام والهجران والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب التاسع والثلاثون وثلاثمائة في معرفة منزل جثو لشريعة بين يدي الحقيقة

تطلب الاستعداد من الحضرة المحمدية وهو المنزل الذي يظهر فيه اللواء الثاني من ألوية الحمد الذي يتضمن تسعة وتسعين اسماً إلهياً

إني لأجل خلافتي لمسرح

أين السراح وباب كونك يفتح

ضاعت مفاتها فليست تفتح

شرح لتعلم أن قيدك أرجح

الحجر من شيم الحدوث فلا تقل

هيهات أنت مقيد بخلافة

والقلب خلف مغالق مجبولة

لا تفرحن بشرح صدرك إنه

اعلم أيديك الله أيها الولي الحميم أن الناس تكلموا في الشريعة والحقيقة قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أمراً وقل ربي زدني علماً يريد من العلم به من حيث ماله تعالى من الوجوه في كل مخلوق ومبدع وهو علم الحقيقة فما طلب الزيادة من علم الشريعة بل كان يقول اتركوني ما تركتكم وعلم الشريعة علم محجة وطريق لا بد له من سالك والسلوك تعب فكان يريد التقليل من ذلك وغاية طريق الشريعة السعادة الحسية وليست الحقيقة غايتها في العموم فإن من الناس من ينال الحقيقة في أول قدم يضعه في طريق الشريعة لأن وجه الحق في كل قدم وما كل أحد يكشف له وجه الحق في كل قدم والشريعة المحكوم بها في المكلفين والحقيقة الحكم بذلك المحكوم به والشريعة تنقطع والحقيقة لها الدوام فإنها باقية بالبقاء الإلهي والشريعة باقية بالإبقاء الإلهي والإبقاء يرتفع والبقاء لا يرتفع فهذا المنزل يعطيك شرف الإنسان على جميع من في السماء والأرض وإنه العين المقصودة للحق من الموجودات لأنه الذي اتخذ الله مجلي وأعني به الإنسان الكامل لأنه ما كمل إلا بصورة الحق كما أن المرأة وإن كانت تامة الخلق فلا تكمل إلا بتجلي صورة الناظر فتلك مرتبتها والمرتبة هي الغاية كما أن الألوهة تامة بالأسماء التي تطلبها من المألوهين فهي لا ينقصها شيء كما لها أعني الرتبة التي تستحقها الغنى عن العالمين فكان له الكمال المطلق بالغنى عن العالمين ولما شاء أن يعطي كماله حقه ولم يزل كذلك وخلق العالم للتسبيح بحمده سبحانه لا لأمر آخر والتسبيح لله ولا يكون المسيح في حالة الشهود لأنه فناء عن الشهود والعالم لا يفتر عن التسبيح طرفه عين لأن تسبيحه ذاتي كالنفس للمتنفس فدل أن العالم لا يزال محجوباً وطلبهم بذلك التسبيح المشاهدة فخلق سبحانه الإنسان الكامل على صورته وعرف الملائكة بمرتبته وأخبرهم بأنه الخليفة في العالم وأن مسكنه الأرض وجعلها له داراً لأنه منها خلقه وشغل الملائكة الأعلى به سماء وأرضاً فسخر له من في السموات ومن في الأرض جميعاً منه أي من أجله واحتجب الحق إذ لا حكم للنائب بظهور من استخلفه فاحتجب عن البصائر كما احتجب عن الإبصار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاطب الناس الذين يشبهون الإنسان في الصورة الحسية وهم نازلون عن رتبة الكمال أن الله احتجب عن البصائر كما احتجب عن الأبصار وأن الملائكة الأعلى يطلبونه كما يطلبونه أنتم فكما لا تدركه الأبصار كذلك لا تدركه البصائر وهي العقول لا تدركه بأفكارها فتعجز عن الوصول إلى مطلوبها والظفر به وعلم آدم الأسماء كلها وأمر بتعليم الملائكة الأعلى وأمر من في السموات والأرض بالنظر فيما يستحقه هذا النائب فسخر له جميع من في السموات والأرض حتى المقول عليه الإنسان من حيث تماميته لا من حيث كماله فهذا النوع المشارك له في الاسم إذا لم يكمل هو من جملة المسخرين لمن كمل والحق في كماله بالغنى عن العالمين وهو وحده أعني الإنسان الكامل يعبد ربه الغني عنه فكماله أن لا يستغني عنه وما ثم من يعبد من غير تسبيح إلا الكامل فإن التجلي له

دائم فحكم الشهود له لازم فهو أكمل الموجودات معرفة بالله وأدومهم شهوداً وله إلى الحق نظران ولهذا جعل له عينين فينظر بالعين الواحدة إليه من كونه غنياً عن العالمين فلا يراه في شيء ولا في نفسه وينظر إليه بالعين الأخرى من اسمه الرحمن بكونه يطلب العالم ويطلبه العالم فيراه ساري الوجود في كل شيء فيفتقر بهذه النظرة من هذه العين إلى كل شيء من حيث ما هي الأشياء أسماء الحق لا من حيث أعيانها فلا أفقر من الإنسان الكامل إلى العالم لأنه يشهده مسخراً له فعلم أنه لولا ما هو عليه من الحاجة إلى ما سخروا فيه من أجله ما سخروا فيعرف نفسه أنه أحوج إلى العالم من العالم إليه فقام له هذا الفقر العام مقام الغنى الإلهي العام فتزل في العالم في الفقر منزلة الحق من حيث الأسماء الإلهية التي تطلب التأثير في العالم فما ظهر في فقره إلا ظهور أسماء الحق فهو حق في غناه عن العالم لأن العالم مسخر في حقه بتأثير الأسماء الإلهية فيه أعني في العالم فما يسخر له إلا من له التأثير لا من حيث عين العالم فلم يفتقر إلا لله وهو حق في فقره إلى العالم فإنه لما علم أن الله ما سخر العالم لهذا الإنسان إلا ليشغل العالم بما كلفهم من التسخير عن طلب

العلم به من حيث الشهود فإن ذلك ليس لهم لأنهم نازلون عن رتبة الكمال أظهر الإنسان الكامل الحاجة لما سخر فيه العالم فقوى التسخير في العالم لئلا يفرطوا فيما لأمرهم الحق به من ذلك لأنهم لا يعصون الله ما أمرهم فوافق الإنسان الكامل بإظهار هذا الفقر الحق في أشغال العالم فكان حقاً في فقره كالأسماء وحقاً في غناه لأنه لا يرى المسخر له إلا من له الأثر وهو للأسماء الإلهية لا لأعيان العالم فما افتقر إلا لله في أعيان العالم والعالم لا علم له بذلك ولما أظنت السماء بعمارها وقال صلى الله عليه وسلم وحق لها أن تنط ما فيها موضع شبر إلا وفيه ملك ساجد لله فأخبر في قوله ساجد لله لينبه على نظر كل ملك في السماء إلى الأرض لأن السجود التواطؤ والانخفاض وقد عرفوا أن الأرض موضع الخليفة وأمروا بالسجود فطأطأوا عن أمر الله ناظرين إلى مكان هذا الخليفة حتى يكون السجود له لأن الله أمرهم بالسجود له ولم يزل حكم السجود فيهم لآدم وللكمال أبداً دائماً فإن قلت فيزول في الدار الآخرة مثل هذا السجود قلنا لا يزول لأن الصورة الظاهرة من الإنسان الكامل التي وقع السجود لها أنشأها الله من الطبيعة العنصرية ابتداء وإعادة ففي الابتداء أنبتها من الأرض ثم أعادها إليها بالموت ثم أخرجها منها إخراجاً بالبعث ولها السفلى في الرتبة تطلب بهذه الحقيقة التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم لو دليتم بحبل لhibit على الله وكذا ينبغي أن يكون الأمر في نفسه فلا بد من استصحاب سجودهم للإمام دنيا وآخرة فحاز الإنسان الكامل صورة العالم وصورة الحق ففضل بالمجموع فالساجد والمسجود له فيه ومنه ولو لم يكن الأمر هكذا لم يكن جامعاً فعند الملاء الأعلى ازدحام لرؤية الإنسان الكامل كما يزدحم الناس عند رؤية الملك إذا طلع عليهم فأظنت السماء لازدحامهم فمن عرف الله بهذه المعرفة عرف نعم الله التي أسبغها عليه الظاهرة والباطنة فتبرأ من المجادلة في الله بغير علم وهو ما أعطاه الدليل النظري ولا كتاب منير وهو ما وقع به التعريف مما هو الحق عليه من النعوت فقال ومن الناس من يجادل في الله بغير علم أعطاه دليل فكره ولا هدى يقول ولا بيان أبانه له كشفه ولا كتاب منير وهو ما وقع به التعريف لما نزلت به الآيات من المعرفة بالله في كتبه المتزلة الموصوفة بأنها نور ليكشف بها ما نزلت به لما كان النور يكشف به فنفاهم عن تقليد الحق وعن التجلي والكشف وعن النظر العقلي ولا مرتبة في الجهل أنزل من هذه المرتبة ولهذا جاءت من الحق في معرض الذم يذم بها من قامت به هذه الصفة وإذا عرفوا نعم الله كما قلنا أوجب هذا العلم عليهم الشكر فشغلوا نفوسهم بشكره كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً وينصرك الله نصراً عزيزاً فقام حتى تورمت قدماه شكراً على هذه النعمة وهكذا أخبر لما قيل له في ذلك فقال أفلا أكون عبداً شكوراً فأتى

بفعول وهو بنية المبالغة فكثير منه الشكر لما كثرت النعم فطلبت كل نعمة منه الشكر لله عليها ولا يخطر لصاحب هذا المقام في شكره طلب الزيادة لأنه فعل يطلب الماضي والواقع فكانت الزيادة من النعم للشاكرين فضلاً من الله ولهذا أسماها زيادة يطلبها الشكر لا الشاكر فيجني ثمرته الشاكر فهي من الشكر جزاء للشاكر حيث أوجد عين الشكر في الوجود وأقام نشأته صورة متجسدة تسبح الله وتذكره فطلبت من الله تعالى أن يزيد هذا الشاكر نعمة إلى نعمته حيث كان سبباً في إيجاد عين الشكر فسمع الله منه وأجابه لما سأل فسأله أن يعرف الشاكرين بذلك حتى يعلموا أن الشكر قد أدى عند الله ما وجب عليه من حق الشاكر فقال الله لعباده لئن شكرتم لأزيدنكم فاعلمنا بالزيادة فالعارف بالله يشكر الله ليكون خلاقاً لصورة الشكر ليكثر المسبحون لله القائمون في عبادته فإذا علم الله هذا منه زاده في النعم الظاهرة والباطنة ليدوم له نعت الخلق للشكر فلا يزال الأمر له دائماً دنيا وآخرة وأعظم نشأة يظهر بها الشكر في الوجود نشأة الشكر على نعمة الصورة الكمالية ونشأة الشكر على نعمة التسخير والمزيد من الله للشاكر على قدر صورة الشكر فاعلم كيف تشكر واشتغل بالأهم فالأهم من ذلك فإذا طلب الشاكر بشكره المزيد لما وعد الله به لم يعطه الله من نعمة المزيد

الأعلى قدر طلبه وصورته من التخليط والسلامة فيكون مزيده مغفرة وعفواً وتجاوزاً لا غير وبالجملة فيترل عن درجة الأول الذي أعطى بسؤال الشكر فإن نشأة الشكر بريئة من التخليط في عينها وإن كان الشاكر مخلطاً فلا أثر لتخليطه في صورة الشكر وله أثر في المزيد إذا شكر لتحصيل المزيد فتحصل المفاضلة بين الشاكرين على ما قررناه من الطالبين المزيد وغير الطالبين والمشتغلين بالأهم وغير المشتغلين به فهذه طرق لله مختلفة كما قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وهي الطرق والحقيقة عين واحدة هي غاية لهذه الطرق وهو قوله وإليه يرجع الأمر كله فأما قوله تعالى لنبيه محمد في سورة الفتح وهو فتوح المكاشفة بالحق وفتوح الحلاوة في الباطن وفتوح العبارة ولهذا الفتوح كان القرآن معجزة فما أعطى أحد فتوح العبارة على كمال ما أعطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قال لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهير أي معيناً فقال له إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً في الثلاثة الأنواع من الفتوح فتحاً فأكد به بالمصدر مبيناً أي ظاهراً يعرفه كل من رآه بما تجلى وما حواه ففتوح الحلاوة ثابت له ذوقاً وفتوح العبارة ثابت للعرب بالعجز عن المعارضة وفتوح المكاشفة ثابت بما أشهده ليلة إسرائه من الآيات ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فيسترك عما يستحقه صاحب الذنب من العتب والمؤاخذه وما تأخر يسترك عن عين الذنب حتى لا يجذك فيقوم بك فاعلمنا بالمغفرة في الذنب المتأخر أنه معصوم بلا شك ويؤيد عصمته أن جعله الله أسوة يتأسى به فلو لم يقرمه الله مقام العصمة للزمنا التأسى به فيما يقع منه من الذنوب إن لم ينص عليها كما نص على النكاح بالهبة أن ذلك خالص له مشروع وهو حرام علينا ويتم نعمته عليك بأن يعطيها خلقها إذ قد عرفنا بالمخلقة من ذلك وغير المخلقة وأخبر بهذه الآية أن نعمته التي أعطاه محمدًا مخلقة أي تامة الخلقة صلى الله عليه وسلم ويهديك صراطاً مستقيماً وهو صراط ربه الذي هو عليه كما قال هود عليه السلام أن ربي على صراط مستقيم والشرائع كلها أنوار وشرع محمد صلى الله عليه وسلم بين هذه الأنوار كنور الشمس بين أنوار الكواكب فإذا ظهرت الشمس خفيت أنوار الكواكب واندرجت أنوارها في نور الشمس فكان خفاؤها نظير ما نسخ من الشرائع بشرعه صلى الله عليه وسلم مع وجود أعيانها كما يتحقق وجود أنوار الكواكب ولهذا ألزمنا في شرعنا العام أن نؤمن بجميع الرسل وجميع شرائعهم ألما حق فلم ترجع بالنسخ باطلاً ذلك ظن الذين جهلوا فرجعت الطرق كلها ناظرة إلى طريق النبي صلى الله عليه وسلم فلو كانت الرسل في زمانه لتبعوه كما تبعت شرائعهم شرعه فإنه أوتي جواً مع الكلم وينصرك الله نصراً

عزيراً والعزير من يرام فلا يستطيع الوصول إليه فإذا كانت الرسل هي الطالبة للوصول إليه فقد عز عن إدراكها إياه ببعثته العامة وإعطاء الله إياه جواً مع الكلم والسيادة بالمقام المحمود في الدار الآخرة ويجعل الله أمته خير أمة أخرجت للناس وأمة كل نبي على قدر مقام نبيها فاعلم ذلك وإذا طلب الوصول إليه القائلون باكتساب النبوة عز عليهم الوصول إلى ذلك فإن المكتسب إنما هو السلوك والوصول إلى الباب وأما ما وراء الباب فلا علم للواصلين إليه بمن يفتح له ذلك الباب فمن الناس من يفتح له بالإيمان العام وهو مطالعة الحقيقة كأبي بكر فلم ير شيئاً إلا رأى الله قبله ومنهم من يفتح له بالإنباء العام الذي لا شرع فيه وهذان الفتحان باقيان في هذه الأمة إلى يوم القيامة ومن الواصلين من يفتح له الباب بنبوة التشريع المقصور عليهم ومنهم من يفتح له الباب بالرسالة بما شرع وهذان بابان أو فتحتان قد منع الله أن يتحقق بهما أحد أو يفتح له فيهما إلا أهل الاجتهاد فإن الله أبقي عليهم من ذلك بعض شيء بتقرير الشرع فحكمه للشارع لا لهم فكل ما خرج من وراء الباب عند فتحه ما هو مكتسب والنبوة غير مكتسبة فنصره الله النصر العزيز فلم يصل إليه من قال باكتساب النبوة لأن الموصوف بالعزة لا عين للعزة إلا مع وجود الطالب لمن قامت به فيحامي مقامه وحضرته أن لا يصل طالب إليه فالشرائع الحكيمة السياسية الظاهرة بصورة الشرائع الإلهية ليس لها هذا النصر العزيز وإنما هو مختص بصاحب الشرع الإلهي المتزل وحقيقة تعم الشرعين

الشرع الإلهي والحكمي والسياسي فصاحب الشريعة وهو المؤمن إنما جئى بين يدي المحقق الذي هو صاحب الحقيقة ليبين له مأخذ كل شرع من الحضرة الإلهية ولا يعلم ذلك إلا صاحب الحقيقة فلهذا سمي هذا المتزل بجثو الشريعة بين يدي الحقيقة لأن كل شرع يطلبها إذ هي باطن كل شرع والشرائع صورها الظاهرة في عالم الشهادة ولهذا ما تخلو أمة عن نذير يقوم بسيستها لبقاء المصلحة في حقها سواء كان ذلك الشرع إلهياً أو سياسياً على كل حال تقع المصلحة به في القرن الذي يظهر فيه وبعد أن علمت منزلة الشريعة من الحقيقة ولها باب يخصه من هذا الكتاب قد تقدم فلنذكر ما يتضمنه هذا المتزل من العلوم فمن ذلك علم لواء خاص من ألوية الحمد وأسمائه وعلم ما لهذا اللواء من حكم الرحمة في العالم الذي يكون تحته وعلم المناسبات التي تنضم الأشياء الصورية بها بعضها إلى بعض لإقامة أعيان الصور التي لا تظهر إلا بهذا الانتظام وهي صور تعطي العلم بذاتها للناظر وفيه علم الإعلام بالأعلام المنصوبة على الطريق للسلاك فيه لئلا يضلوا عن مقصودهم الذي هو غاية طريقهم وفيه علم أنواع الأرزاق فإنها تختلف باختلاف المرزوقين وفيه علم فائدة الإخبار بالعبارة المؤيدة بقرائن الأحوال هل حصول العلم بذلك الخبر عن الخبر أو عن قرائن الأحوال أو عن المجموع أو العلم الذي تعطيه قرينة الحال غير العلم الذي يعطيه الخبر أو في موضع يجتمعان وفي موضع لا يجتمعان وفيه علم الفرق بين الاستماع هل يقع بالفهم أو بغير ذلك والفرق بين من هو هو وبين من هو كأنه هو وفيه علم الجزاء الخاص بكل مجازي وفيه علم العلم العام الذي غايته العمل والذي ليس غايته العمل وفيه علم نسبة العالم من الحق بطريق خاص وفيه علم ما تنتجه الأفكار من العلوم في قلوب المتفكرين وفيه علم تقرير النعم وفيه علم ما خلق العالم له وما السبب الذي حال بينه وبين ما خلق له مع العلم بما خلق له ولا أقوى من العلم لأن له الغحابة فمقاومه تحت حيطته فأين يذهب وفيه علم من هو من أهل الأمر ممن هو ليس هو منهم وفيه علم الولاية الوجودية السارية التي بها كان الظالمون بعضهم أولياء بعض والمؤمنون بعضهم أولياء بعض والله ولي المؤمنين من كونه مؤمناً فمن أين هو ولي المتقين ولا يتصف بالتقوى أو يتصف بالتقوى من حيث أنه أخذ الجن والإنس وقاية يتقي بها نسبة الصفات المذمومة عرفاً وشرعاً إليه فتنسب إلى الجن والإنس وهما الوقاية التي اتقى بها هذه النسبة فهو ولي المتقين من كونه متقياً وإذا كان وليهم وما ثم إلا متق فهي بشرى من الله لكل بعموم الرحمة والنصرة على الغضب لان الولي الناصر فافهم وفيه علم المراتب

بالنسبة إلى الشرع خاصة لا المراتب بما يقتضيها الوجود وفيه علم الإله الأعظم الذي شرع اتخاذ الآلهة من دون الله وفيه علم الحيرة فيما يقطع به أنه معلوم لك والعلم ضد الحيرة في معلومه فما الذي حيرك مع العلم وفيه علم سلب الهداية من العالم مع قوله علمه البيان وهو عين الهدى وفيه علم الدهر من الزمان وفيه علم الجمع الأوسط لان الجمع ظهر في ثلاثة مواطن في أخذ الميثاق وفي البرزخ بين الدنيا والآخرة والجمع في البعث بعد الموت وما ثم بعد هذا الجمع جمع يعم فإنه بعد القيامة كل دار تستقل بأهلها فلا يجتمع عالم الإنس والجن بعد هذا الجمع أبداً وفيه علم النحل والملل وعلم عموم النطق الساري في العالم كله وأنه لا يختص به الإنسان كما جعلوه فصله المقوم له بأنه حيوان ناطق فالكشف لا يقول بخصوص هذا الحد في الإنسان وإنما حد الإنسان بالصورة الإلهية خاصة ومن ليس له هذا الحد فليس بإنسان وإنما هو حيوان يشبه في الصورة ظاهر الإنسان فاطلب لصاحب هذا الوصف حداً يخصه كما طلبت لسائر الحيوان وفيه علم ماهية النسخ هل يقع في الأعيان فيعبر عنه بالنسخ كما يقع في الأحكام أم لا وفيه علم مراتب الفوز فإنه ثم فوز مطلق وفوز مقيد بالأمانة ومقيد بالعظمة وما حد كل واحد منهم وفيه علم الاستحقاق وفيه علم اليقين والعلم والظن والجهل والشك والنظر وفيه علم حكم الشهود من حكم العلم وفيه علم من لا يرضى الله عنه وإن رحمه فما رحمه عن رضى والفرق بين المرحوم عن رضى وبين المرحوم لا عن رضى وأين منزل كل واحد منهم من الدارين وفيه علم الكبرياء والجبروت ومتى يظهر عمومته في العالم بحيث يعرف على التعيين فإنه الآن ظاهر لا يعلمه إلا قليل من الناس والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الأربعون وثلاثمائة في معرفة المنزل الذي منه خبا النبي

صلى الله عليه وسلم لابن صياد سورة الدخان

من القرآن العزيز فقال له ما خبأت لك فقال له الدخ وهو لغة في الدخان لأن فيها آية يوم تأتي السماء بدخان مبين فعلم ابن صياد اسمها الذي نواه وأضرمه في نفسه رسول الله صلى الله عليه وسلم في خبته فقال له صلى الله عليه وسلم احسأ فلن تعد وقدرك أي علمك بهذا لا يخرجك عن قدرك الذي أهلك الله له وقد روى فلم تعد قدرك يعني بإدراكك لما خبأته لك وفي هذا القول سر يطالعك إياه هذا القول من النبي صلى الله عليه وسلم لصاف على المقام الذي أوجب على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول مثل هذا القول له فإنه لم يختبره بما خبا له عن وحي من الله فلو كان عن وحي ما عثر عليه ابن صائد لأن الله من وراء ما يأمر به التأييد بل كان هذا القول مثل قوله صلى الله عليه وسلم في إبار النخل فلما خرج خبؤه كان ذلك من الله تأديب فعل ليحفظ عليه مقام المراقبة فلا ينطق إلا عن شهود إذ بقريئة الحال يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم ما خبا له ما خبا إلا ليعجزه فأبى الله ذلك فقال صلى الله عليه وسلم أن الله أدبني فأحسن تأديبي ولو نطق النبي صلى الله عليه وسلم للحاضرين بقصده فيما خبا له لارتدت جماعة من الحاضرين لذلك ولكن الله عصم نبيه صلى الله عليه وسلم عن القول ولم يخرج العلم بالخبية عن كونه كاهناً والحاضرون يعرفون أمر الكهنة وشأنهم ولا سيما أهل اليمن والحجاز وجزيرة العرب فلم يخرج ذلك العلم عن قدره عند الحاضرين وفي هذا المسألة أمور عظيمة يتسع الشرح فيها إلى أمر عظيم

إلا لمن هو دون

ترك الرضى لا يكون

فإن يكن لك حالاً

وإن أبيت رضاه

فكل صعب يهون

فما شاء يكون

هذا المتزل منه خبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن صياد سورة الدخان من القرآن وهو متزل عظيم فيه من المكر الإلهي والاستدراج ما لا تأمن مع العلم به الملائكة من مكر الله فالعقل إذا لم يكن من أهل الاطلاع في تصرفاته فلا أقل من أنه لا يزيل الميزان المشروع له الوزن به في تصرفاته من يده بل من يمينه فيحفظه في نفس الأمر من هذا المكر ولا يخرج عن لوازم عبوديته وأحكامها طرفة عين يعطي من الزيادات في العلوم والأمور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال ممكن يكون العروج إليه من الأرواح المفارقة وغيرها منه تبدو العلامات على صدق الصادق وكذب الكاذب من حصل فيه حصل علم الحكمة الجامعة وتميز له الشقي من السعيد فيه تختلف أحوال الناظرين فما يراه زيد نوراً يراه عمرو ظلمة ويراه جعفر نوراً وظلمة معاً فإنه يكشف به الأشياء فيقول هذا نور ويصره من حيث عينه فيقول ظلمة فيه تكون المنازلات كلها يلتقي فيه الحق النازل والخلق الصاعد فيقول الحق للصاعد إلى أين فيقول إليك ويقول الخلق للنازل إلى أين فيقول إليك فيقول قد التقينا فتعال حتى يعين كل واحد منا ما السبب الذي أوجب لكل واحد منا طلب صاحبه فيقول الحق قصدت بالتزول إليك لنريحك من التعب فنعطيك ونهبك من غير مشقة ولا نصب وأنت في أهلك مستريح لم يكن لي قصد غير هذا ويقول الخلق قصدت بالعروج إليك تعظيماً لك وخدمة لنقف بين يديك وأنت على سرير ملكك وقد علم الملائة الأعلى أي خليفتك وأي أعلم بك منهم لما خصصتني به فإذا رأي الملائة الأعلى بين يديك اقتدوا بي فيما أقوم به بين يديك مما ينبغي لمثلي أن يتأدب معك به فيحصل لهم بالمشاهدة من علم الأدب معك ما لم يكن عندهم لأي رأيتهم جاهلين بمتزلتك مع كونهم يسبحونك لا يفترقون تقول لهم إني جاعل في الأرض خليفة فيعارضونك فيه بما حكيت لي عنهم أنهم قالوا ولم يكن ينبغي لهم إلا السمع كما لك الأمر فلما علمت أن الأدب الإلهي ما استحكم فيهم وقد أمرتني بتعليمهم ورأيت أن التعليم بالحال والفعل أتم منه بالقول والعبارة قصدت العروج إليك ليرى الملائة الأعلى بالحال والفعل ما ينبغي أن يعامل به جلالك والاستواء أشرف حال ظهرت به إلى خلقتك ومع ذلك اعترضوا عليك فكيف لو نزلت إلى أدنى من حالة الاستواء من سماء وأرض فيقول الحق نعم ما قصدت مثلك من يقدر قدر الأشياء فإنه من عرف قدره وقدر الأشياء عرف قدره ووفاني حقي ألا ترى محمداً صلى الله عليه وسلم لما فرضت عليه وعلى أمته خمسين صلاة نزل بها ولم يقل شيئاً ولا اعترض ولا قال هذا كثير فلما نزل إلى موسى عليه السلام فقال له راجع ربك عسى أن يخفف عن أمتك فإني قاسيت من بني إسرائيل في ذلك أهوالاً وأمتك تعجز عن حمل مثل هذا وتسأم منه فبقي محمد صلى الله عليه وسلم متحيراً الأدب الكامل يعطيه ما فعل من عدم المعارضة والشفقة على أمته تطلبه بالتخفيف عنها حتى لا يعبد الله بضجر ولا كره ولا ملل ولا كسل فبقي حائراً فهذا ما أثرت الوسائط والجلساء فأخذ يطلب الترجيح فيما قاله موسى عليه السلام وفيما وفي هو صلى الله عليه وسلم من حق الأدب مع الله وقد كان الله تقدم إليه عند ذكر جماعة من الأنبياء عليهم السلام منهم موسى عليه السلام بأن قال له أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فتناول أن هذا الذي أشار به عليه من هداهم ولم يتفطن في الوقت أن موسى عليه السلام لما كان في حال هديه ما سأل التخفيف وذلك الهدى هو الذي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقتدي به فأعطاه الاجتهاد الرجوع إلى الله فسأله التخفيف فما زال يرجع بين يدي الله تعالى

وبين موسى عليه السلام إلى أن قال ما أعطاه الأدب استحيين من ربي وانتهى الأمر بالتخفيف إلى العشر فتزل به على أمته وشرع له أن يشرع لأمته الاجتهاد في الأحكام التي بها صلاح العالم لأنه صلى الله عليه وسلم بالاجتهاد رجع بين الله وبين موسى عليه السلام فأمضى ذلك في أمته لتأنس بما جرى منه ولا تستوحش وجبر بهذا التشريع قلب موسى في ذلك فإنه لا بد إذا رجع مع نفسه وزال عنه حكم الشفقة على العباد قام معه تعظيم الحق وما ينبغي لجلاله فلم يستكثر شيئاً في حقه وعلم أن القوة بيده يقوي بها من شاء وإذا خطر له مثل هذا وأقامه الحق فيه لا بد له أن يؤثر عنده ندماً على ما جرى منه فيما قاله لمحمد صلى الله عليه وسلم فجبر الله قلبه بقوله ما يبدل القول لدي في آخر رجعة وكان قد تقدم القول بالتكثير وبدله بالتخفيف والتقليل فاعلم موسى أن القول الإلهي منه ما يقبل التبديل ومنه ما لا يقبل التبديل وهو إذا حق القول منه فالقول واجب لا يبدل والقول المعروض يقبل التبديل فسر موسى عليه السلام بهذا القول وإنه ما تكلم إلا في عرض القول لا في حقه وكذلك لما علم بما شرع الله لأمة محمد صلى الله عليه وسلم من الاجتهاد في نصب الأحكام من أجل اجتهاد محمد صلى الله عليه وسلم جبر الله تعالى قلب محمد صلى الله عليه وسلم فيما جرى منه وسرى ذلك في أمته صلى الله عليه وسلم كما سرى الجحد والنسيان في بني آدم من جحد آدم ونسيانه جبراً لقلب آدم فإن هذه النشأة الطبيعية من حكم الطبيعة فيها الجحد والنسيان فكانت حركة آدم في جحده حركة طبيعية وفي نسيانه أثر طبيعي فلو تناسى لكان الأمر من حركة الطبيعة كالجحد من حيث أنه جحد هو أثر طبيعي ومن حيث ما هو جحد بكذ هو حكم طبيعي لا أثر فهذا الفرق بين حكم الطبيعة وبين أثرها والنسيان من أثرها والتناسي من حكمها والغفلة من أثرها والتغافل من حكمها وقليل من العلماء بالله من يفرق بين حكم الطبيعة وأثرها فاجتمع في آدم حكم الطبيعة بالجحد لأنه الأول الجامع في ظهره للجاحدين فحكموا عليه بالجحد فجحد لأن الابن له أثر في أبيه فالجحد وإن كان من حكم الطبيعة فإنه من أثر الجاحدين من أبنائه لأن آدم إنسان كامل وكذا النسيان الواقع منه هو من أثر الطبيعة وحكم الأبناء فإنه حامل في ظهره للناسين من أبنائه فحكموا عليه بالنسيان فانظر ما أعجب هذه الأمور وما يعطيه فتوح المكاشفة من العلوم وجميع ما ذكرناه من أحكام هذا المنزل وله من الحضرة الإلهية الغيب ومن أعيان العالم الطبيعة ومن عالم الشهادة الظلمة ففي الشهادة ترى الظلمة ولا يرى بها وفي الطبيعة تعلم ولا ترى ويرى أثرها ويرى بها وفي الغيب يرى ويرى به مع بقاء اسم الغيب عليه وإنما قلنا هذا لأن الأسماء تتغير بتغير الأحكام ولا سيما في الأسماء الإلهية فإن الحكم يغير الاسم للاسم الآخر الذي يطلبه ذلك الحكم والعين واحدة وفي أحكام الشرائع عكس هذا تغير الأحكام تبع لتغير الأحوال والأسماء والعين واحدة قيل لمالك بن انس من أئمة الدين ما تقول في خنزير البحر من بعض السمك فقال هو حرام فقيل له فسمك البحر ودوا به وميته حلال فقال أنتم سميتموه خنزيراً والله قد حرم الخنزير فتغير الحكم عند مالك لتغير الاسم فلو قالوا له ما تقول في سمك البحر أو دواب البحر لحكم بالحل وكذا تغير الأحوال يغير الأحكام فالشخص الواحد الذي لم يكن حاله الاضطرار أكل الميتة عليه حرام فإذا اضطر ذلك الشخص عينه فاكل الميتة له حلال فاختلف الحكم لاختلاف الحال والعين واحدة واعلم أن الله من هذا المنزل يقبل التجلي في الصور الطبيعية كثيفها ولطيفها وشفافها لأهل البرازخ والقيامة برزخ وما في الوجود غير البرازخ لأنه منتظم شيء بين شيئين مثل زمان الحال ويسمى الدائم والأشياء المعنوية دور والحسية أكر فما في الكون طرف لان الدائرة لا طرف لها فكل جزء منها برزخ بين جزأين وهذا علم شريف لمن عرفه ولهذا جمع في الإنسان الكامل بين الصورتين الطبيعييتين في نشأته فخلقه بجسم مظلم كثيف وبجسم لطيف محمول في هذا الجسم الكثيف سماه روحاً له به كان حيواناً وهو البخار الخارج من تجويف القلب المنتشر في أجزاء البدن المعطي فيه النمو والإحساس وخصه دون العالم كله بالقوة

المفكر والتي بها يدبر الأمور ويفصلها وليس لغيره من العالم ذلك فإنه على الصورة الإلهية ومن صورتها يدبر الأمر يفصل الآيات فالإنسان الكامل من تمت له الصورة الإلهية ولا يكمل إلا بالمرتبة ومن نزل عنها فعنده من الصورة بقدر ما عنده ألا ترى الحيوان يسمع ويصير ويدرك الروائح والطعوم والحر والبارد ولا يقال فيه إنسان بل هو جمل وفرس وطائر وغير ذلك فلو كملت فيه الصورة قيل فيه إنسان كذلك الإنسان لا يكمل فيزول عنه الاسم العام إلى الاسم الخاص فلا يسمى خليفة إلا بكمال الصورة الإلهية فيه إذ العالم لا ينظرون إلا إليها ولهذا لما لم تر الملائكة من آدم إلا الصورة الطبيعية الجسمية المظلمة العنصرية الكثيفة قالت ما قالت فلما أعلمهم الله بكمال الصورة فيه وأمرهم بالسجود له سارعوا بالسجود له

ولا سيما وقد ظهر لهم بالفعل في تعليمه الأسماء إياهم ولم لم يعلمهم وقال لهم الله إني أعطيته الصورة والشورة لأخذوها إيماناً وعاملوه به لأمر الله فإذا كوشف الإنسان على الإنسان الكامل ورأى الحق في الصورة التي كساها الإنسان الكامل يبقى في حيرة بين الصورتين لا يدري لأيتهما يسجد فيخبر في ذلك المقام بأن يتلى عليه فأينما تولوا فثم وجه الله ففي الإنسان وجه الله من حيث صورته وفي جانب الحق وجه الله من حيث عينه فالأي شيء يسجد قبل سجوده فغن الله يقبل السجود للصورة كما يقبله للعين كما تحير رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل هذا المقام في منزلة أخرى لما قيل له حين أسرى به وأقيم في النور وحده فاستوحش وسبب استيحاشه إنما كان حيث أسرى به بجسمه العنصري فأدركته الوحشة بخروجه عن أصله ووقوفه في غير منزله فلم يستوحش منه صلى الله عليه وسلم إلا حقيقة ما ظهر فيه من العناصر فناداه من ناداه بصوت أبي بكر إذ كان قد اعتاد الأنس به فأنس للنداء وأصغى إليه وزالت عنه تلك الوحشة بصوت أبي بكر فقبل له لما أراد الدخول من ذلك الموقف على الله قف يا محمد إن ربك يصلي فتحرير في نسبة الصلاة إليه وكان محمد صلى الله عليه وسلم في مقام الصورة الإلهية الكاملة التي تستقبل بالصلاة والسجود لها فلما دنا استقبله ربه بالصلاة له ولا علم له بذلك فناداه الاسم العليم المنسوب إليه الكلام بصوت أبي بكر ليعرفه بمرتبة أبي بكر ويؤنسه به قف إن ربك يصلي والوقوف ثبات وهو قبله للمصلي فوقف وأفرعه ذلك الخطاب لان حاله في ذلك الوقت التسبيح الذي روحه ليس كمثله شيء فهذا الذي أفرعه فلما تلي عليه عند ذلك هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور تذكر ما أنزله الله عليه في القرآن فزال عنه رعب نسبة الصلاة إلى الله بما ذكره به وكان من أمر الإسراء ما كان وله موضع غير هذا نذكره فيه إن شاء الله فمن أقامه الله بين الصورتين لا يباي لأيتهما سجد فغن رأى هذا الذي كوشف بالصورتين تصافح الصورتين دون سجود إحداهما للأخرى فهي علامة له على كمال الصورة في حق ذلك الإنسان الخاص وإن رأى السجود من الصورة الإنسانية للصورة الأخرى الإلهية فيعلم عند ذلك أن الصورة الإنسانية الكاملة في مقام مشاهدة العين لا مشاهدة الصورة فيوافقها في السجود لها فإن رأى السجود من الصورة الإلهية للصورة الإنسانية هنالك من قوله هو الذي يصلي عليكم لم يوافقها في السجود فغن وافقها هلك بل من حصل في ذلك المقام يعرف الأمور على ما هي عليه فإنه يعلم أن الصلاة من الله على العبد الكامل لا للعبد الكامل والصلاة من العبد الكامل لله لا على الله ومن حصل له هذا الفرقان فقد جمع بين القرآن والفرقان وهذا مشهد عزيز ما رأيت له ذائقاً وهو من أتم المعارف ولما نزل القرآن نزل على قلب محمد صلى الله عليه وسلم وعلى قلوب التالين له دائماً التي في صدورهم في داخل أجسامهم لا أعني اللطيفة الإنسانية التي لا تتحيز ولا تقبل الانتصاف بالدخول والخروج فيقوم للنفس الناطقة القلب الذي في الصدر ليصير لها مقام المصحف المكتوب للبصر فمن هناك تتلقاه النفس الناطقة وسبب ذلك أنه لما قام لها التفوق والفضل على الجسم المركب الكثيف بما أعطيته من تدبيره والتصرف فيه ورأته دونها في المرتبة لجهلها بما هو الأمر عليه وما علمت

أنه من الأمور المتممة لكمالها فجعل الله القلب الذي في داخل الجسم في صدره مصحفاً وكتاباً مرقوماً تنظر فيه النفس الناطقة فتتصف بالعلم وتتحلى به بحسب الآية التي تنظر فيها فتفتقر إلى هذا المحل لما تستفيده بسبه لكون الحق اتخذه محلاً لكلامه ورقمه فيه فترت بهذا عن ذلك التفوق الذي كان قد أعجبت به وعرفت قدرها ورأت أن ذلك القلب مهبط الملائكة بالروح الذي هو كلام الله وما رأت تلك الملائكة النازلة تنظر إليها ولا تكلمها إنما ترقم في القلب ما تنزل به والنفس تقرأ ما نزل فيه مرقوماً فتعلم في فهمها عن الله أن مراد الله بذلك تعليمها وتأديبها لما طرأ عليها من خلل العجب بنفسها فأقرت واعترفت بأن نسبة الله إلى كل شيء نسبة واحدة من غير تفاضل فلم تر لها تفوقاً على شيء من المخلوقات من ملأ أعلى أو أدنى ولا تفضيل ولا ترجيح في العالم ولكن من حيث الدلالة ونسبة الحق لا من حيث هو العالم فإنه من حيث هو العالم يكون ترجيح

بعضهم على بعض ويظهر فيه التفاوت فاعلم أن النفس الناطقة من الإنسان إذا أراد الله بها خيراً كشف لها عن نطق جميع أجزاء بدنها كلها بالتسبيح والثناء على الله بحمده لا بحمد من عندها ولا ترى فيهم فتوراً ولا غفلة ولا اشتغلاً ورأت ذاتها غافلة عما يجب لله تعالى عليها من الذكر مفردة مشغولة عن الله بأغراضها متوجهة نحو الأمور التي تحجبها عن الله والوقوف عند حدوده فيعظم العالم عندها وتعلم أنه شعائر الله التي يجب عليها تعظيمها وحرمت الله وتصغر عندها نفسها وتعلم أن لو تميزت عن جسمها ولم يكن جسمها من المتيمات لها في نشأتها لعلت أن الجسم ذلك المدير لها أشرف منها فلما علمت أن ذلك الجسم أشرف منها علمت أن شرفه بما هو عليه من هذه الصفات هو عين شرفها وأنها ما أمرت بتدبيره واستخدمت في حقه وصيرت كالخديم له وتوجهت عليها الحقوق له من عينه وسمعه وغير ذلك إلا لشغله بالله وتسبيح خالقه فعلمت نفسها أنها مسخرة له فلو كانت هي من الاشتغال بالله في مثل هذا الاشتغال كان لها حكم جسمها ولو وكل الجسم لتدبير ذاته اشتغل عن التسبيح كما اشتغلت النفس الإنسانية وإذا علمت أنها مسخرة في حق جسمها عرفت قدرها وأنها في معرض المطالبة والمؤاخذه والسؤال والحساب فتعين عليها في دار التكليف أداء الحقوق الواجبة عليها لله وللعالم الخارج عنها ولنفسها بما يطلبه منها جسمها ولم تتفرغ مع هذا الاشتغال إلى رؤية الأفضلية ولا تشوقت لمعرفة المراتب وهذه المرتبة أعني مرتبة أداء الحقوق أشرف المراتب في حق الإنسان والخاسر من اشتغل عنها كما أن الراح من اشتغل بها واعلم أن الله تعالى إذا ذكر لك شيئاً بضمير الغائب فما هو غائب عنه وإنما راعى المخاطب وهو أنت والمذكور غائب عنك فإذا ذكره بضمير الحضور من إشارة إليه وغيرها فإنما راعاك ومراعاة شهوده لا بد منها في كل حال ولكن يفرق بين ما يحكيه الله من أقوال القائلين وبين الكلام الذي يقوله من عند نفسه فإذا كان الحق سمع العبد وبصره زالت الغيبة في حق العبد فما هو عند ذلك مخاطب بما فيه ضمير غائب وقد وجد الخطاب لمن هذه صفته بضمير الغائب فكيف الأمر قلنا لما كان العبد المنزل عليه القرآن مأمور بتبليغه إلى المكلفين وتبيينه للناس ما نزل إليهم ومن الأشياء ما هي مشهودة لهم وغائبة عنهم ولم يؤمر أن يحرف الكلم عن مواضعه بل يحكى عن الله كما حكى الله له قول القائلين وقولهم يتضمن الغيبة والحضور فما زاد على ما قالوه في حكايتهم عنهم وقيل له بلغ ما أنزل إليك فلم يعدل عن صورة ما أنزل إليه فقال ما قيل له فإنه ما نزلت المعاني على قلبه من غير تركيب هذه الحروف وترتيب هذه الكلمات ونظم هذه الآيات وإنشاء هذه السور المسمى هذا كله قرآناً فلما أقام الله نشأة القرآن صورة في نفسها أظهرها كما شاهدها فأبصرتها الأبصار في المصاحف وسمعتها الأذان من التالين وليس غير كلام الله هذا المسموع والمبصر وألحق الدم بمن حرفه بعد ما عقله وهو يعلم أنه كلام الله فأبقى صورته كما أنزلت عليه فلو بدل من ذلك شيئاً وغير النشأة لبلغ إلينا صورة فهمه ولا صورة ما أنزل عليه فإنه لكل عين من الناس المنزل إليهم هذا القرآن نظر فيه فلو نقله إلينا على معنى ما فهم لما

كان قرآناً أعني القرآن الذي أنزل عليه فإن فرضنا أنه قد علم جميع معانيه بحيث أنه لم يشذ عنه شيء من معانيه قلنا فإن علم ذلك وهذه الكلمات تدل على جميع تلك المعاني فلا بد لتلك الكلمات التي يعادل إليها من حيث ما هي أعيان وجودية أعيان غير هذه الأعيان التي عدل عنها التي أنزلت عليه فلا بد أن تخالفها بما تعطيه من الزيادة من حيث أعيانها على ما جمعته من المعاني التي جمعتها الكلمات المتزلة فيزيد للناظر في القرآن معاني أعيان تلك الكلمات المعدول إليها وما أنزلها الله فيكون النبي قد بلغ للناس ما نزل إليهم وما لم يتزل إليهم فيزيدون في الحكم شرعاً لم يأذن به الله كما أيضاً ينقص مما أنزل الله أعيان تلك الكلمات التي عدل عنها فكان الرسول قد نقص من تبليغ ما أنزل إليه أعيان تلك الكلمات وحاشاه من ذلك فلم يكن ينبغي له إلا أن يبلغ إلى الناس ما نزل إليهم صورة مكمله من حيث الظاهر حروفها اللفظية والرقمية ومن حيث الباطن معانيها ولذلك كان جبريل

في كل رمضان يتزل على محمد صلى الله عليه وسلم يدارسه القرآن مرة واحدة فكانت له مع جبريل عليهما السلام في كل رمضان ختمة إلى أن جاء آخر رمضان شهدته رسول الله صلى الله عليه وسلم فدارسه جبريل مرتين في ذلك رمضان فختم ختمتين فعلم أنه يموت في السنة الداخلة لا في سنة ذلك رمضان فكانت الختمة الثانية لرمضان السنة التي مات فيها حتى تكون السنة له بعد موته فمات في ربيع الأول وكان نزول القرآن في ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر فأتى بغاية أسماء العدد البسيط الذي لا اسم بعده بسيط إلا ما يتركب كما كان القرآن آخر كتاب أنزل من الله كما كان من أنزل عليه آخر الرسل وخاتمهم ثم أضاف ذلك الاسم الذي هو ألف إلى شهر بالتكثير فيدخل الفصول فيه والشهر العربي قدر قطع منازل درجات الفلك كله ليسير القمر الذي به يظهر الشهر فلو قال أزيد من ذلك لكرر ولا تكرر في الوجود بل هو خلق جديد ولو نقص بذكر الأيام أو الجمع لما استوفى قطع درجات الفلك فلم تكن تعم رسالته ولم يكن القرآن يعم جميع الكتب قبله لأنه ما ثم سير لكوكب يقطع الدرجات كلها في أصغر دورة إلا القمر الذي له الشهر العربي فلذلك نزل في ليلة هي خير من ألف شهر أي أفضل من ألف شهر والأفضل زيادة والزيادة عينها وجعل الأفضلية في القدر وهي المتزلة التي عند الله لذلك المذكور وكانت تلك الليلة المتزل فيها التي هي ليلة القدر موافقة ليلة النصف من شعبان فإنها ليلة تدور في السنة كلها وأما نحن فإننا رأيناها تدور في السنة وأنا رأيناها أيضاً في شعبان ورأيناها في رمضان في كل وتر من شهر رمضان وفي ليلة الثامن عشر من شهر رمضان على حسب صيامنا في تلك السنة فأى ليلة شاء الله أن يجعلها محلاً من ليالي السنة للقدر الذي به تسمى ليلة القدر جعل ذلك فإن كان ذلك من ليالي السنة ليلة لها خصوص فضل على غيرها من ليالي السنة كليلة الجمعة وليلة عرفة وليلة النصف من شعبان وغير تلك من الليالي المعروفة فينضاف خير تلك الليلة إلى فضل القدر فتكون ليلة القدر تفضل ليلة القدر في السنة التي لا ينضاف إليها فضل غيرها فاعلم ذلك ومن هذا المتزل نزل الروح الأمين على قلب محمد صلى الله عليه وسلم بسورتين سورة القدر وسورة الدخان وهما مختلفتان في الحكم فسورة القدر تجمع ما تفرقه سورة الدخان وسورة الدخان تفرق ما تجمعهما سورة القدر فمن لا علم له بما شاهده يتخيل أن السورتين متقابلتان ولم يتفطن للمتزل الواحد الذي جمعهما ولم يتفطن لنشأته التي قامت من جمعها للمتقابلات الطبيعية وصاحب الكشف الصحيح إذا دخل هذا المتزل وكان له قلب وهو شهيد رأى أن سورة القدر لا تقابل بينها وبين سورة الدخان فإنه سورة القدر تجمع ما تعطيه سورة الدخان اتفرقه على المراتب فتأخذ سورة الدخان فتفرقه على المراتب لأنها علمت من سورة القدر أنها ما جمعت ذلك وأعطته إياها إلا لتفرقه فسورة القدر كالجارية لسورة الدخان هكذا هو الأمر وهما سورتان لهما عينان وسانان وشفتان تعرفان وتشهدان لمن دخ هذا

المتزل بأنه من أهل المقام المحمود وأنه وارث مكمل ويتضمن هذا المتزل علم المطابقة والمناسبة والمراقبة وعلم التلويح والرمز وعلم النفوذ في الأمور من غير مشقة لأن النفوذ في الأمور بطريق الفكر من أعظم المشقات وعلم الإبانة والكشف وعلم المنشآت الطبيعية هل حكمها حكم النشآت العنصرية أم لا وعلم الفرق بين الأنوار والظلم ولماذا يرجع النور والظلمة وهما حجابان بين الله وعباده وما يلي العباد من هذه الحجب وما يلي الحق منها وهل ترفع لأحد أو لإنزال مسدلة وهل تعطى هذه الحجب تحديد المحجوب أم لا فإن أعطت التحديد للمحجوب قبأي نشأة تقيدته وتحدّه هل بنشأة عنصرية أو طبيعية وإن لم تقيدّه فبماذا تلحقه هل بما لا يقبل التحيز من العالم فلا يتصف بالدخول في الأجسام ولا بالخروج منها أو تقضي عليه بحكم يخصه خارج عن حكم ما لا يتحيز فلا يقبل المكان ولا الحلول وعلم الرحمة التي يتضمنها الإنذار ممن كان وعلم الأذواق وعلم ما يشقي من الأسماء مما يسعد وعلم تعلم اليقين وعلم التنزيه في الربوبية وهو صعب التصور وعلم مرتبة العلم من مرتبة الشك خاصة وما تعطي كل مرتبة منهما لمن حل فيها ونزل بها وعلم العذاب أهو من علم الآلام أو هو من علم اللذات وعلم عدم قبول التوبة عند حلول البأس وقبولها من قوم يونس خاصة وعلم نفوذ قضاء السوابق هل تنفذ بالشر على من هو على بصيرة أو هل هو مختص بالمحجوبين وعلم طبقات العذاب وعلم الابتلاء وطبقاته وعلم النصائح وعلم أهل العناية عند الله مع شمول الرحمة للجميع وقد ابتلوا أهل العناية في الدنيا بما به ابتلي من ليس منهم في الآخرة ولماذا ترجع عناية الله بأهله مع الابتلاء والبلاء هل لاقتضاء الدارين أو لاقتضاء سابق العلم وعلم وجود الحق بوجوهه في كل فرد فرد من العالم كله وعلم توقيت الجمع الأخير من الجموع الثلاثة وعلم الاستثناء لماذا يرجع وعلم أين يذهب الجهل والظن والشك والعلم بأصحابهم وعلم تقدم الموت على الحياة ومعلوم أن الموت لا يكون إلا عن حياة وعلوم هذا المتزل كثيرة فقصدنا منها إلى التعريف بالأهم من ذلك مما تتعلق السعادة بالعلم به وإن كان العلم كله عين السعادة لكن في العموم ليست السعادة إلا حصول اللذات ونيل الأغراض والفوز من الآلام والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الأحد والأربعون وثلاثمائة في معرفة منزل التقليد في الأسرار

في كل حكم من الأحكام تقليد	وفيه سلطنة فينا وتأيد
لولا ما كان لي في علمنا قدم	به ولا كان تنزيل وتوحيد
إن الخلافة تقليد وسلطنة	فهي الإمام الذي للحق مشهود
هي الأمانة ما ينفك صاحبها	في طاعة وهو عند الله محمود
جميع من في وجود الله يرقبه	في سره فهو في الأكوان مقصود
حلاه ربي بما تعطيه حضرته	من الصفات فما في العلم موجود
سواه فهو أما الخلق كلهم	وهو الإله فمجهول ومحدود

اعلم أيدان الله وإياك بروحه القدسي أن التقليد هو الأصل الذي يرجع إليه كل علم نظري أو ضروري أو كشمي لكنهم فيه على مراتب فمنهم من قلده وهم الطائفة العلية أصحاب العلم الصحيح ومنهم من قلده وهم أصحاب العلوم الضرورية بحيث لو

شككهم فيها مشكك بأمر إمكاني ما قبلوه مع علمهم بأنه ممكن ولا يقبلونه فإذا قلت لهم في ذلك يقولون لأنه لا يقدح في العلم الضروري وأمثلته كثيرة لا أذكرها من أجل النفوس الضعيفة لقبولها فيؤدي ذلك إلى ضرر وهوس فذلك يمنعني أن أبينها ومنهم من قلد عقله فيما أعطاه فكره وما ثم إلا هؤلاء فقد عم التقليد جميع العلماء والتقليد تقييد فما خرج العالم عن حقيقته فإنه الموجود المقيد فلا بد أن يكون علمه مقيداً مثله والتقييد فيه عين التقليد غير أنه ذم في بعض المواطن وهي معلومة وحمد في بعض المواطن وهي معلومة وليس في المنازل أصعب مرتقى من هذا المتزل هو أصعب من متزل عقبات السويق لأن صاحب ذلك المتزل تارة وتارة وصاحب هذا المتزل ثابت القدم فيه فإذا كان التقليد هو الحاكم ولا بد ولا مندوحة عنه فتقليد الرب أولى فيما شرع من العلم به فلا تعدل عنه فإنه أخبرك عن نفسه في العلم به فيما قلدت فيه عقلك من حيث تقليده لفكره الناظر به في دليله وأعطاك نقيضه من العلم به والأصل في العالم الجهل والعلم مستفاد فالعلم وجود والوجود لله والجهل عدم والعدم للعالم فتقليد الحق الذي له الوجود أولى من تقليد من هو مخلوق مثلك فكما استفدت منه سبحانه الوجود فاستفد منه العلم فقف عند خبره عن نفسه بما أخبر ولا تبال بالتناقض في الإخبار فإنه لكل خبر مرتبة يتزل ذلك الخبر فيها وأنت الحضرة الجامعة لتلك المراتب فكن على بينة من ربك لم تقل من عقلك لأنه لا يحيلك إلا على نفسه لأنه خلقك له فلا يعدل بك عنه فإذا تجلّى لك في ضرورة عقلك وجدت استنادك ولا بد إلى أمر ما لا تعلمه من حيث تقليدك لهذه الضرورة العقلية فإذا تجلّى لك في نظر عقلك وجدت في نفسك أن هذا الذي استندت إليه في وجودك أمر وجودي لا يشبهك إذ عينك وكل ما يقوم بك ويكون وصفاً لك محدث مفتقر إلى موجد مثلك فيقول لك عقلك من حيث نظره أن هذا الموجود ليس مثله شيء من العالم وأنت جميع العالم لأن كل جزء من العالم يشترك في الكل في الدلالة على ما قررناه وإذا تجلّى لك في الشرع أبان لك عن التفاوت في مراتب العالم فتجلّى لك في كل مرتبة فقلد في ذلك الشارع حتى يكشف لك الأمر على صورة ما أنت به فقلدت ربك فرأيت مشبهاً ومترهاً فجمعت وفرقت ونزهت وشبهت وكل ذلك أنت لأنه تجلّ إلهي في المراتب وأنت الجامع لها وهي لك وللعالم كله وهي الحاكمة على كل من ظهر فيها فينصبغ في عين الناظر إليه بما ولذلك قلت لك وكل ذلك أنت فإن العالمين من العلامة والعلامة لا تدل إلا على محدود فلا تدل إلا عليك والله غني عن العالمين فالعالم لا يدل على العلم بذاته وإنما يدل على العلم بوجوده فاعلم أن الحق هو على الحقيقة أم الكتاب والقرآن كتاب من جملة الكتب إلا أن له الجمعية دون سائر الكتب ومع هذا فإنه صفة الحق والصفة تطلب من تقوم به والنسبة تطلب من تنسب إليه فلذلك قلنا فيه أنه أم الكتاب الذي عنه خرجت الكتب المتزلة واختلفت الألسنة به لقبوله إياها بحقيقته فقل فيه أنه عربي وأنه عبراني وأنه سرياني بحسب اللسان الذي أنزل به وهذا هو عين الجعل في القرآن وعين نسبة الحدوث إليه في قوله ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث فهو محدث الإتيان وما هو الإتيان عين الإنزال كما أنه ليس بعين الجعل والجعل يكون بمعنى الخلق وبغيره فما ينسب إلى القرآن من قوله محدث فهو من حكم الجعل الذي بمعنى الخلق فلا فرق بين قوله ثم جعلناه نطفة في قرار مكين وبين قوله إنا جعلناه قرآناً عربياً في الحكم واعلم أن تحقيق عندية كل شيء راجعة إلى نفسه ولهذا قال ما عندكم ينفذ فإن حكمكم النفاذ وما عند الله باق فإنه له البقاء فلو كانت عندية الشيء غير نفس الشيء ما نفذ ما عندنا لأننا وما عندنا عند الله وما عند الله باق فنحن وما عندنا باق فبين لك أن عندية كل شيء نفسه والعندية في اللسان ظرف مكان أو ظرف محلي كالجسم للعرض اللوني الذي يدركه البصر فهو أجلى فيما ترومه من الدلالة فهو بحيث محله وصاحب المكان ما هو بحيث المكان والعندية جامعة للأمرين ولما لم يمكن في التقليد الضروري أن يجحد أحد من استند إليه في وجوده لذلك أقر به من من شأنه الإنكار والجود فإن قلت فالمعطلة أنكرت قلنا

المعطلة ما أنكرت مستنداً وإنما أنكرت وعطلت الذي عينتموه أنتم أنه المستند ما عطلت المستند فقلتم أنتم هو كذا فعطلته المعطلة وقالت بل المستند كذا فكما أن أولئك معطلة أنتم أيضاً معطلة تعطيلهم لكن اختص أولئك باسم المعطلة وهم على ضروب في التعطيل محل العلم بذلك وأمثاله العلم بالنحل والملل وهو علم لا ينبغي للمؤمن أن يقرأه ولا ينظر فيه جملة كما يتعين على أهل الله أن يعرفوا علم كل نخلة وملة بالله ليشهدوه في كل صورة فلا يقومون في موطن إنكار لأنه تعالى سار في الوجود فما أنكره إلا محدود وأهل الله تابعون لمن هم له أهل فيجري عليهم حكمه وحكمه تعالى إلى عدم التقييد فله عموم الوجود فلاهله عموم الشهود فمن قيد وجوده قيد شهوده وليس هو من أهل الله واعلم أن الله لما مهد هذه الخليفة جعلها أرضاً له فوصف نفسه بالاستواء وبالترول إلى السماء وبالتصرف في كل وجهة الكون مولياً فأينما تولوا فثم وجه الله فول وجهك شطر المسجد الحرام فإنه لا يرفع حكم أن وجه الله حيثما توليت ولكن الله اختار لك ما لك في التوجيه إليه سعادتك ولكن في حال مخصوص وهي الصلاة وسائر الأينيات ما جعل الله لك فيها هذا التقييد فجمع لك بين التقييد والإطلاق كما جمع لنفسه بين التزيه والتشبيه فقال ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فالعالم كله أرض ممهدة لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً هل ترى من تفاوت فارجع البصر قرأناً عربياً غير ذي عوج والحق صفة العالم لأن صفته الوجود وليس إلا لله ولذلك ورد في الخبر الصحيح كنت سمعه وبصره وهكذا جميع قواه وصفاته فلما كان العالم ظرفاً مكانياً لمن استوى عليه ظهر بصورته سئل الجنيد عن المعرفة والعارف فقال لون الماء لون إنائه فجعل الأثر للظرف في المظروف وذلك لتعلم من عرفت فتعلم أنك ما حكمت على معروفك إلا بك فما عرفت سواك فأى لون كان للإناء ظهر الماء للبصر بحسب لون الإناء فحكم من لا علم له بأنه كذا لأن البصر أعطاه ذلك فله التجلي في كل صورة من صور الأواني من حيث ألوانها فلم يتقيد في ذاته الماء ولكن هكذا تراه وكذلك تؤثر فيه أشكال الظروف التي يظهر فيها وهو ماء فيها كلها فإن كان الوعاء مربعاً ظهر في صورة الترييع أو مخمساً ظهر في صورة التخميس أو مستديراً ظهر في صورة الاستدارة لأن له السيلان فهو يسري في زوايا الأوعية ليظهر تشكلها فهو الذي حمل الناظرين لسريانه أن يحكموا عليه بحكم الأوعية في اللون والشكل فمن لم يره قط إلا في وعاء حكم عليه بحكم الوعاء ومن رآه بسيطاً غير مركب علم أن ما ظهر فيه من الأشكال والألوان إنما هو من أثر الأوعية كما هو في غير وعاء بحده وحقيقته ولهذا ما زال عنه اسم الماء فإنه يدل عليه بحكم المطابقة فهذه الأوعية له كالسبل في الأرض للسالك فيها فينسب السالك في كل سبل منها إلى أنه طالب غاية ذلك السبل الذي سلك عليه في أي صورة ما شاء ركبك من صورته فيكون هو الظاهر لا أنت لأن الظهور للصور لا للعين فالعين غيب أبداً والصور شهادة أبداً ثم إنه لما خلق من كل شيء زوجين بين لنا أن في أرض العالم نجد نحد تكون غايته أنت عند قوم ونجد عند هؤلاء القوم يكون غايته هو أعني الحق وأما عند قوم آخرين فالنجد الواحد تكون غايته أنت في هو النجد الآخر يكون غايته هو في أنت وأما عند قوم آخرين فالنجد الواحد تكون غايته أنت عين هو والنجد الآخر تكون هو عين أنت وأما عند قوم آخرين فيكون غاية النجدين هو وعين النجدين أنت وعين السالك هو أما عند قوم آخرين فيكون غاية النجدين وعين النجدين وإنهما عين اليدين وعين السالك أنت وكل من ذكرناه على صراط مستقيم فتعويج القوس للرمي عين صراطه المستقيم فلا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك فما زلنا من الخلاف لأنهم قد خالفوا المختلفين ولذلك خلقهم فما تعدى كل خلق ما خلق له فالكل طائع وإن كان فيهم من ليس بمطيع مع كونه طائعاً ولما كان الاستواء صفة للحق على العرش وخلق الإنسان على صورته جعل له مركباً سماه فلماً كما كان العرش فلماً فالفلك مستوى الإنسان الكامل وجعل لمن هو دون الإنسان الكامل مركباً غير الفلك من الأنعام والخيول والبغال والحمير ليستوي الإنسان

المراكب وشاركهم في ركوبها الإنسان الكامل فالكامل من الناس يستوي على كل مركوب وغير الكامل لا يستوي على الفلك إلا بحكم التبعية لا لعينه كما ورد في اليقين حين قال عليه السلام في عيسى عليه السلام لو ازداد يقيناً لمشي في الهواء يشير إلى إسرائه ومعلوم أن عيسى عليه السلام أكثر يقيناً منا لا من النبي صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي في الهواء بحكم التبعية لمن نحن أمته صلى الله عليه وسلم لا بأنا أكثر في اليقين من عيسى عليه السلام كما أن أمة عيسى عليه السلام قد مشت على الماء كما مشى عليه السلام على الماء ولكن نعلم وإن كان الأمر في هذا في حقنا بحكم التبعية أن كل الأمة ما مشت في الهواء كما مشى محمد صلى الله عليه وسلم لأنه لم يكن بعض أمته تابعاً له في كل ما أمر بأن يتبع فيه فمن وفى بحق اتباعه كان له حكمه كما قال أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وأين المشي في الهواء في الشرف لمن يكون الحق سمعه وبصره في الدؤب على نوافل الخيرات المنتجة أو المنتج ذلك الدؤب عليها لحبة الله إياه وتلك الحبة أنتجت له أن يكون الحق سمعه وبصره فهذا معنى قولنا بحكم التبعية لما أمر به ونهى عنه لا من كوننا أمة له فقط بل من المجموع وهو اتباع خاص لأنه نبي معين خاص دون غيره فيورث اتباع شريعته بالعمل ما يكون عليه من أحوال رسول تلك الشريعة وهذه عناية من الله تعالى فإن أمة كل نبي لا تطيق حال نبياها إذ لو أطاقت كانت مثلاً له فتستقل بالأمر دونه وليس الأمر كذلك فإنه لو طلع حيثما طلع لا يزال تابعاً وقد أبان صلى الله عليه وسلم عن مثل هذا فقال من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها فله الزيادة عليهم بما له من أجرها الزائد على أجر العاملين بها وليس لهم ذلك الأجر الخاص به فلا يلحقونه أبداً في ذلك المقام فهم تابعون له دنيا وآخرة وكشفاً والرسول عليهم السلام منهم ظهرت السنن فلا تزال أهمهم أتباعاً لهم أبداً واعلم أن الله تعالى لما كان له مطلق الوجود ولم يكن له تقييد مانع من تقييد بل له التقييدات كلها فهو مطلق التقييد لا يحكم عليه تقييد دون تقييد فافهم معنى نسبة الإطلاق إليه ومن كان وجوده بهذه النسبة فله إطلاق النسب فليست نسبة به أولى من نسبة فما كفر من كفر إلا بتخصيص النسب مثل قول اليهود والنصارى عن أنفسهم دون غيرهم من أهل الملل والنحل نحن أبناء الله وأحباؤه فإذا وقد انتسبوا إليه كانوا يعمون النسبة وإن كانت خطأ في نفس الأمر فقال لهم الله فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يقول تعالى النسبة واحدة فلم خصصتم نفوسكم بها دون هؤلاء وإن أخطأتم في نفس الأمر فخطئكم من عموم النسبة أقل من خطئكم من خصوصها فإن ذلك تحكم على الله من غير برهان وأما طائفة أخرى فجعلوا الله ما يكرهون فقالوا الملائكة بنات الله فحكموا عليه بأنه اصطفي البنات على البنين فتوجه عليهم الحكم بالإنكار في حكمهم مع كونهم يكرهون ذلك لنفوسهم مع كونهم يقولون في الشركاء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى مع كونهم جعلوا الله جزءاً من عباده فلو أضافوا الكل إليه لم يكن ذلك من الكفر الظاهر بل يكون الحكم فيه بحكم ما نسبوا فإن وقعت النسبة العامة للخلق بكونهم عبيداً سعدوا وإن وقعت بالنبوة طولبوا بما قصدوا فإن استندوا في ذلك إلى خبر إلهي سلموا بل سعدوا مثل قوله لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى فأجاز التبيي بل فيه رائحة من كون جبريل تمثل لمريم بشراً سوياً وقد وصف الحق تعالى نفسه بالتحول في الصور وأجرى أحكامها عليه وهو علم يومئ إليه لأجل الإيمان ولا يفشي في العموم لما يسبق إلى النفوس من ذلك وبقي تعلق الاصطفاء بمن يتعلق هل بالصاحبة فيكون من باب التجلي في الصور فيكون عين الصورتين لأنه قال لو أردنا أن نتخذ لهواً يعني الولد لاتخذناه من لدنا وماله ظهور إلا من الصاحبة التي هي الأم فيكون الاصطفاء في حق الصاحبة وهي من لدنه فما خرج عن نفسه كما أن آدم عليه السلام ما خرج عن نفسه في صاحبه فما نكح إلا من هو جزء منه به وبالمجموع يكون نفسه فهو قوله من لدنا وجاء بحرف لو فدل على

الامتناع فلم يكن من الوجهين فإن كان الاصطفاء للنبوة فذلك التبيي لا النبوة وإن استندوا إلى غير خبر إلهي وأعني بالخبر الإلهي ما جاء على لسان الرسل في الكتب أو في الوحي فغن كان استنادهم إلى كشف إلهي وإطلاع في ذلك فهم تحت حكم ما اطلعوا ولا عذر للمقلدة في ذلك لأن فيهم الأهلية للإطلاع بحكم النشأة فإن لها استعداداً عاماً وهو الاستعداد للإطلاع وإن تفاضل الإطلاع فذلك لاستعداد آخر خاص غير الاستعداد العام فأهل الجبر إذا استمسكوا بالخبر سعدوا وإن أخطؤوا في التأويل ولم يصادفوا العلم فلهم ثواب الاجتهاد وإن أصابوا فهو المقصود فمنهم من هو على بينة من ربه بإصابته ومنهم من ليس على بينة من ربه وهو مصيب في نفس الأمر وكل من له متمسك إلهي فهو ناج وأما من كفر بالكل فذلك غاية العمى في التحضيض الكوني وهو سر جعله الله في عباده العامة والسالكين في هذا الطريق وأما الخاصة فلا يقع منهم ذلك أدباً إلا أنه ليس بنعت إلهي إلا أنه جاء من الله فيما يرجع إلى الكون لا فيما يرجع إليه سبحانه مثل قوله لولا جاؤوا عليه بأربعة شهداء وأما أداة لو فهي إلهية وتتضمن معنى التحضيض وقد اتصف بها خاصة الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدى ولجعلتها عمرة ولكني سقت الهدى فلا يحل مني حرام حتى يبلغ الهدى محله فرائحة التحضيض في لو هو مل يفهم منه كأنه قال لنفسه هلا أحرمت بعمرة ولا يقع التحضيض من الخواص أبداً إلا فيما شغلوا به نفوسهم من الأفعال التي ترضي الله فيبد ولهم في ثاني زامن رضى الله في فعل ما هو أتم وأعلى من الأول أما في جناب الله أو في حق نفسه أو في حق الغير رفقا بهم وشفقة عليهم لا يقع منهم على جهة الاعتراض على الله بأن يقولوا هلا فعل الله كذا عوضاً من فعله كذا هذا لا يتصور من الخواص أبداً فإنه سوء أدب مع الله تعالى وترجيح تدبير كوني على تدبير إلهي وما وصف الحق نفسه بأنه يدبر الأمر إلا أن يعرفنا أنه ما عمل شيئاً إلا ما تقتضيه حكمة الوجود وأنه أنزله موضعه الذي لو لم يزل فيه لم يوف الحكمة حقها وهو الذي أعطى كل شيء خلقه ولذلك لا يمكن أن يظهر لعباده في صفة تحضيض بالنظر إليه فوضعه في اللسان بل في جميع الألسنة ابتلاء لعباده وتمحيصاً ليجتنبه أهل العناية فيتميزوا بذلك عن غيرهم واعلم أن الاختصاص الإلهي الذي يعطي السعادة غير الاختصاص الإلهي الذي يعطي كمال الصورة وقد يجتمعان أعني الاختصاصين في حق بعض الأشخاص فالاختصاص الذي يعطي السعادة هو الاختصاص بالإيمان والعصمة من المخالفة أو بموت عقيب توبة والاختصاص الذي يعطي كمال الصورة هو الذي لا يعطي إلا نفوذ الاقتدار والتحكم في العالم بالهمة والحس والكمال من يرزق الاختصاصين وأقوى التأثير تأثير من يغضب الله كقوم فرعون حيث قال تعالى فيهم فلما آسفونا انتقمنا منهم أي أغضبونا والله سبحانه نفوذ الاقتدار فانتقم منهم ليجعلهم عبرة للآخرين وجعل ذلك مقابلاً لنفوذ الاقتدار الكوني لأنه قال آسفونا ألا ترى إلى علم فرعون في قوله فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب يقول فلو وهو حرف تحضيض أعطى يعني موسى نفوذ الاقتدار فينا حتى لا ننازعه ونسمع له ونطيع لان اليمين محل القدرة والأسورة وهو شكل محيط من ذهب أكمل ما يتحلى به من المعادن ونفوذ الاقتدار من الاختصاص الإلهي يقول لقومه فما أعطى ذلك موسى والذي يدل على ما قلناه أن فرعون أراد هذا المعنى في هذا القول أنه جاء بأو بعده وهي حرف عطف بالمناسب فقال أو جاء معه الملائكة مقترنين لعلمه بأن قومه يعلمون أن الملائكة لو جاءت لانقادوا إلى موسى طوعاً وكرهاً يقول فرعون فلم يكن لموسى عليه السلام نفوذ اقتدار في حتى أرجع إلى قوله من نفسي بأمر ضروري لا نقدر على دفعه فترجعوا إلى قوله لرجوعي ولا جاء معه من يقطع باقتدارهم فاستخف قومه أي لطف معنهم بالنظر فيما قاله لهم فلما جعل فيهم هذا حملهم على تدقيق النظر في ذلك ولم يكن لهم هذه الحالة قبل ذلك فأطاعوه ظاهراً بالقهر الظاهر لأنه في محل يخاف ويرجى وباطناً بما نظروا فيه مما قاله لهم فلما أخذ قلوبهم

بالكلية إليه ولم يبق لله فيهم نصيب يعصمهم أغضبوا الله فغضب فانتقم فكان حكمهم في نفس الأمر خلاف حكم فرعون في نفسه فإنه علم صدق موسى عليه السلام وعلم حكم الله في ظاهره بما صدر منه وحكم الله في باطنه بما كان يعتقد من صدق موسى فيما دعاهم إليه وكان ظهور إيمانه المقرر في باطنه عند الله مخصوصاً بزمان مؤقت لا يكون إلا فيه وبجالة خاصة فظهر بالإيمان لما جاء

زمانه وحاله فغرق قومه آية ونجا فرعون ببدنه دون قومه عند ظهور إيمانه آية فمن رحمة الله بعباده أن قال فاليوم ننجيكَ ببدنك يعني دون قومك لتكون لمن خلفك آية أي علامة لمن آمن بالله أن ينجيهِ الله ببدنه أي بظاهره فإن باطنه لم يزل محفوظاً بالنجاة من الشرك لأن العلم أقوى الموانع فسوى الله في الغرق بينهم وتفرقا في الحكم فجعلهم سلفاً ومثلاً للآخرين يعني الأمم الذين يأتون من بعدهم وخص فرعون بأن تكون نجاته آية لمن رجع إلى الله بالنجاة ولما كان الاختصاص الإلهي الكامل في الجمع بين السعادة والصورة كان الكمال للمؤمن بالخلافة في المكان الذي من شأنه أن يظهر فيه كمال الصورة من نفوذ الاقتدار عند الإغضاب وليست الجنة بمحل لهذه الصفة فليست بدار خلافة بل هي دار ولاية محكوم على صاحب تلك الولاية بأمر لا يتعداه ولا تعطي نشأته أن يقبل سواء حتى لو كان فيها تقديراً من شأنه أن يغضب ما قبل صاحب الولاية صفة الغضب لأنه على مزاج خاص بخلاف نشأة الدنيا ولهذا قال إني جاعل في الأرض خليفة ولم يقل في العالم ولو لم تعترض الملائكة ما ابتليت بالسجود فكان ما ابتلوا به عن إغضاب دقيق خفي لا يشعر به إلا الراسخون في العلم وهكذا كل انتقام إلهي يقع بالعالم لا يكون إلا بعد إغضاب لأن الله خلق العالم بالرحمة وليس من شأنها الانتقام كما أن الغضب من شأنه الانتقام لكنه أعني الغضب على طبقات فيظهر الانتقام على ميزانه من غير زيادة ولا نقصان ولا يقع الانتقام أبداً إلا تطهيراً لمن كان منه الإغضاب فلذلك لا يكون الانتقام إلى غير نهاية بل ينتهي الحكم به إلى أجل مسمى عند الله وتعقبه الرحمة به لأن لها الحكم الأبدي الذي لا يتناهى ومن جعل باله لما ذكرناه ودقق النظر فيه رأى علماً كبيراً إلهياً من سريان العدل في الحكم الإلهي وشمول الفضل وسبق الرحمة الغضب وأن الحق يجري في حكمه بما هي الحقائق لا تتبدل لأنفسها ولا تتحول فهذا الذي ذكرناه في هذه المسألة من الآيات التي جاء بها الحق على لسان المترجم لقوم يتفكرون ولقوم يعقلون ليست لغيرها هذا الصنف فحافظ على تحصيل معرفة الإغضاب على غاية الاستقصاء حتى تجتنبه فإنه من علم الأسرار ما يعرفه كل أحد وهو كان علم حذيفة بن اليمان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمونه صاحب السر لعلمه بهذا العلم وليس فيما يمنح الله أولياء من العلم به في حقهم أنفع من هذا العلم وما رأيت أحداً له فيه ذوق ولا سمعت عن أحد من أهل الله تعالى بعد حذيفة من ظهر عليه حكم هذا العلم وهو عصمة خفية تكاد لا يشعر صاحبها بها وما في الكشف أتم منه ولا يرزق الله هذا العلم إلا للأدباء أهل المراقبة فإنهم يأخذون الأشياء بحكم المطابقة والمناسبة بين الرب والمربوب والخالق والمخلوق ولا يحكم عليهم حاكم الإمكان والجواز لأنه ليس له في هذه الحضرة قدم ولا عين أعني الإمكان وهذا مقام وراء طور العقل يحكم في مثل هذا بالإمكان والأمر في نفسه ليس كذلك ولكن إذا شهدته قبله وإذا فكر فيه أدخله تحت الإمكان ويختص هذا المتزل من العلوم بعلم الإيهام والإبهام والرموز والألغاز والأسرار وفيه علم الحروف المركبة التي هي الكلمة وفيه علم الأنوار وما يختص به عالم الشهادة من الشهود وفيه علم الجعل وفيه علم الجمع والتفصيل وفيه علم منازل العلو في الأسماء الإلهية وفيه علم الإعجاز وفيه علم التقرير وفيه علم نتائج الجهل وهو أمر عديم فكيف يكون له حكم وجودي وفيه علم مقابلة الاقتدار بالاقتدار وفيه علم سريان وجود الحق في العالم ولهذا ما أنكره أحد وإنما وقع الغلط من طلب الماهية فأدى إلى الاختلاف فيه الذي

ظهر في العالم وفيه علم ما يختص به الحق تعالى لنفسه من غير أن يكون له حكم في العالم وفيه علم الشرائع كلها وأنها بالجعل ولهذا تجري إلى أمد وغايتها حكم الحق بها في القيامة في الفريقين فإذا عمرت الداران وانقضى أمد العقوبة انتشر حكم الرحمة وفيه علم الشفع والوتر وتقدم علم الزوج على الفرد وعلم الحامل والمحمول وعلم شمول النعم في البلايا والرزايا والأمور المؤلمة وفيه علم نفي الطاقة الكونية وردها إلى الله وفيه علم قسمة العالم بين الله وبين العالم وما هو عالم الله وعالم للعالم وصفة من يعلم هذا ممن لا يعلمه والعالم به هل يجب عليه

ستره أو يعطى ستره لذاته وعلم المحاكمات وتفاضل الناس فيها وعلم المطالبات الإلهية متى تكون ولماذا تقول وعلم السبب الذي يرد الخلق كلهم إلى المشيئة الإلهية وهل ما يربط عليه المقلد يكون في حقه علماً أم لا وعلم حكم السابقة على العالم بنقيض ما يعطيه وما هو وهل في العالم شريف وأشرف أم لا مفاضلة في العالم وإذا وقعت المفاضلة بل هي واقعة هل يؤول الناظر فيها إلى التساوي فيكون كل مفضل يفضل على من فضل عليه وهذا مذهب جماعة منهم أبو القاسم بن قسي صاحب خلع النعلين وفيه الحكمة بما جعل الله في العالم من الاختلاف وفيه علم السبب الذي لأجله لزم الشيطان الإنسان وقول النبي صلى الله عليه وسلم أن الله أعانه عليه فأسلم وفيه علم حكم من التبس عليه الباطل بالحق وفيه علم الكشف فإنه ليس لمخلوق اقتدار على شيء وأن الكل بيد الله وهو علم الخيرة من أجل التكليف ووقوعه على من ليس له من الأمر شيء وفيه علم أثر الأسباب الإلهية في المسببات هل هو ذاتي أو جعل إلهي وفيه علم الاعتباط بما يعطيه التجلي الإلهي والاعتصام به وفيه علم التوحيد النبوي وفيه علم الحجب التي تمنع من حكم العلم في العالم مع وجود علمه عنده وفيه علم قبول الرجعة إلى الله عند رؤية البأس وحلول العذاب وأن ذلك نافع لهم في الآخرة وإن لم يكشف عنهم العذاب في الدنيا وما اختص قوم يونس إلا بالكشف عنهم في الحياة الدنيا عند رجعتهم فيكون معنى قوله فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا يعني في الدنيا فإن الله يقول وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون فالراجع مع نزول العذاب به مقبول رجوعه لأنه أتى بما ترجى منه بقوله لعلهم يرجعون وفيه علم أسرار الحق في العالم وظهور العالم بصورة الحق ومثلته وفيه م عموم الولاية في كل نوع وما ينقضي منها وما لا ينقضي وفيه علم الإضافات الإلهية هل هي على طريق التشريف أو على طريق الابتلاء أو منها ما يكون تشريفاً ومنها ما يكون ابتلاء وفيه علم مرتبة من جمع بين الظاهر والباطن ممن لم يجمع وفيه علم حكمة الاستناد إلى الوسائط هل هو على طريق الابتلاء أو المقصود به تشريف الوسائط وفيه علم إقامة الحجة الإلهية على المنازعين وحكم من لم ينازع واعترف بالحق لأهله وفيه علم الإحاطة الإلهية بالذات وفيه علم الزيادات هل هي بأن يؤخذ من زيد ما عنده أو بعض ما عنده فيعطى عمراً أو هي زيادات بإيجاد معدوم أو منها ما هو إيجاد معدوم ومنها ما هو عن انتقال من شخص إلى شخص وفيه علم ما يختص به الله من العلوم وعلم ما يختص به الكون من العلوم مما لا يجوز في العقل أن يكون ذلك حكماً لله وهل حكمه في الشرع كما هو حكمه في العقل أم لا وهو علم الأذواق بالحواس وفيه علم مراتب الشفعاء وعلم صفتهم التي بها يملكون الشفاعة فهذا بعض علوم هذا المنزل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى السفر الثاني والعشرون.

الباب الثاني والأربعون وثلاثمائة في معرفة منزل سرين منفصلين عن ثلاثة أسرار

يجمعها حضرة واحدة من حضرات الوحي وهو من الحضرة الموسوية

ثلاثة أسرار وسران بعدها

مريد وعلام وقدره قادر

وسران قول شرطه في حياة من

يقول لشيء كن بحكمة فاطر

فسبحان من لا شيء يدرك كنهه

هو الأول المنعوت أيضاً بآخر

قال تعالى ليس كمثله شيء فنفي ثم قال وهو السميع البصير فأثبت والآية تقتضي عموم الإثبات في عين النفي وفيما بعده إذا جعلت الكاف للصفة ويؤيد هذا النظر الخبر وهو قوله عليه الصلاة والسلام أن الله خلق آدم على صورته ونفى مماثلته في حال اتصافه بهذا الوصف فورد الشرع بأنه إذا بويع لخليفتين سواء كان في خلافته عام الخلافة أو مقصوراً على طائفة مخصوصة يقتل الآخر منهما فلا تماثل في تلك الطائفة أو في العموم بحسب ما يعطيه الوقت فلولا حكم الإرادة وجوداً وتقديراً لما أمر بقتل الآخر والقتل زوال من صفة الحكم فزل أنت يبقى هو فإنك الآخر فإن قال بعض العارفين فالأول هنا ليس بخليفة فلنا هو خليفة حقاً عن أمر إلهي ونهى عن المشاركة فيما أمر به من خلافته عنك فقال رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذ وكياً والوكيل بلا شك خليفة الموكل فيما وكله فيه وقال أن لا تتخذوا من دوني وكياً فنهى أن نتخذ وكياً غيره فكونه إلهاً ما هو كونه وكياً ونحن إنما تكلمنا في الوكالة وهي الخلافة وفي الوكيل وهو الخليفة كما ينظر باعتبار آخر قوله لنا وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فلنا الإنفاق بحكم الخلافة والإنفاق ملك لنا والإنفاق تصرف فجعلناه عن أمره وكياً عنا في الإنفاق أي خليفة لعلنا بأنه يعلم من مواضع التصرف ما لا نعلمه فهو المالك وهو الخليفة فما ميز الله المراتب وأبناها لنا وظهر بأسمائه في أعيانها وتجلي لنا فيها إلا لنترله في كل مرتبة رأيناه نزل فيها فتحكم عليه بما حكم به على نفسه وهذا هو أتم العلم بالله أن نعلمه به لا بنظرنا ولا بإنزالنا تعالى الله الخالق أن نحكم عليه بما خلق دون أن يظهر له فيما حكم به عليه فيكون هو الحاكم على نفسه لا أنا وهذا معنى قول العلماء أن الحق لا يسمى إلا بما سمي به نفسه أما في كتابه أو على لسان رسوله من كونه مترجماً عنه فمن أقامه الله في مقام الترجمة عنه بارتفاع الوسائط أو بواسطة الأرواح النورية وجاء باسم سماه به فلنا أن نسميه بذلك الاسم وسواء كان المترجم مشرعاً لنا أو غير مشرع لا يشترط في ذلك إلا الترجمة عنه حتى لا نحكم عليه إلا به فإنه القائل تعالى أن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً تميزون به وتفرقون بين ما ينبغي له وما ينبغي لكم فيعطي كل ذي حق حقه فله المقاليد وله الفتح بها ودونها ولنا الفتح بها وما هي لنا بل هي بيده وما كان بيده فليس يخرج عنه لأنه ما ثم إلى أين فهو المعطي والآخذ لأن الصدقة تقع بيد الرحمن واعلم أن الوحي الإلهي إنما يتزل من مقام العزة إلا حمى ولهذا لا يكون بالاكْتساب لأنه لا يوصل إلى ذلك المقام بالتعمل ولو وصل إليه بالتعمل لم يتصف بالعزة فيتزل الوحي لترتيب الأمور التي تقتضيها حكمة الوجود ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً يخالف ترتيب حكمة الوجود وليس إلا من الله فهو في غاية الإحكام والإتقان الذي لا يمكن غيره فليس في الإمكان أبدع من هذا العالم لأنه أعطاه خلقه وأنزله منزلته التي يستحقها فانظر هذه القوة الإلهية التي أعطاه الله لمن أنزل عليه الوحي الذي لو أنزل على جبل لرأيت خاشعاً متصدعاً من خشية الله فإنهم علموا قدر من أنزله فرزقهم الله من القوة ما يطيقون به حمل ذلك الجلال فإذا سمعوا في الله ما يخالف ما تجلى لهم فيه تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً إن دعوا للرحمن ولداً وقد سمع ذلك أهل الله ورسله وما جرى عليهم شيء من ذلك لما أعطاهم من قوة العلم إذ لا أقوى من العلم فتجلى لهم في قوله لو أراد الله أن يتخذ ولداً ولو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا فعمل أهل

الله من رسول ونيي وولي ما لم تعلمه السموات والأرض والجبال من الله فأتتج لهم هذا العلم بالله قوة في نفوسهم حملوا بها ما سمعوه من قول من قال أن المسيح ابن الله وأن عزيزاً ابن الله ولم يتزلزلوا ولو نزل ذلك على من ليست له هذه القوة لذاب في عينه لعظيم ما جاءه فانظر ما أكثف حجاب من اعتقده أن لله ولداً وما أشد عماه عن الحقائق وما مر علي في التجلي الإلهي أمر حيرني وأضعف قوتي أشد من قول الملائكة ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم والله يقول ما على المحسنين من سبيل وأي إحسان أعظم ممن تاب واتبع سبيله وقول نوح وهو من الكمل من أهل الله ولمن دخل بيته مؤمناً فهذا كأنه أبقي شيئاً فإنه ما طلب المغفرة إلا للمؤمن ولم يذكر أتباع سبيل الله لأن المؤمن قد يكون مخالف أمر الله ونهيه والله يقول للمسرفين على أنفسهم أن الله يغفر الذنوب جميعاً فهذا الصنف من الملائكة قاموا في مقام الأدب فحكم عليهم بهذا القول إيثاراً للجناب الإلهي على الخلق ولهذا قدموا وأخروا وما أخبر الله عنهم في قوله قبل هذا الدعاء وسعت كل شيء رحمة وعلماً ففيه روائح طلب المغفرة للمسيئين وأخروا أيضاً قولهم وقهم السيئات أن تقوم بهم فإنه أتم في العناية ومنتق السيئات يومئذ أي يوم تقيه فقد رحمته وهو قولهم وسعت كل شيء رحمة فجاء ما ذكره في الوسط بين هذين كأنه إيثار للجناب الإلهي كما يقول النبي صلى الله عليه وسلم في القيامة سحقاً سحقاً وما علق الله المغفرة إلا بالذنوب حيث علقها وقال عن صنف آخر من الملائكة أنهم يستغفرون لمن في الأرض فأنزل هؤلاء المغفرة موضعها ما قالوا مثل ما قال ذلك الصنف الآخر الذي حكى الله عنهم أنهم يستغفرون للذين آمنوا فتنوعت مشاربهم كما قالوا وما منا إلا له مقام معلوم والولي الكامل يدعو الله بكل مقام ولسان والرسول تقف عند ما أوحى به إليها وهم كثيرون وقد يوحى إلى بعضهم ما لا يوحى إلى غيره والحمد لله يجمع بمرتبته جميع ما تفرق في الرسل من الدعاء به فهو مطلق الدعاء بكل لسان لأنه مأمور بالإيمان بالرسول وبما أنزل إليهم فما وقف الولي الحمدي مع وحي خاص إلا في الحكم بالحلال والحرام وأما في الدعاء وما سكت عنه ولم يتزل فيه شيء في شرع محمد صلى الله عليه وسلم يؤذن يتركه فلا يتركه إذا نزل به وحي على نبي من الأنبياء عليهم السلام رسولاً كان أو غير رسول ثم اعلم أنه من رحمة الله بعباده أن جعل حكم ما اختلفوا فيه إلى الله فنأخذ هذا من جهة علم الرسوم أن ننظر ما اختلفوا فيه وتنازعوا فإن كان الله أو لرسوله حكم فيه يعضد قول أحد المخالفين جعلنا الحق بيده فإننا أمرنا إن تنازعنا في شيء أن نرده إلى الله ورسوله إن كنا مؤمنين فإن كنا عالمين ممن يدعو على بصيرة وعلى بينة من ربنا فنحكم في المسألة بالعلم وهو رد إلى الله تعالى من غير طريق الإيمان وليس لنا العدول عنه البتة هذا حد علم الرسم وأما علم الحقيقة فإن المختلفين حكمهم إلى الله أي حكم ظهور الاختلاف فيهم إلى الله من حيث أن الأسماء الإلهية هي سبب الاختلاف ولا سيما أسماء التقابل يؤيد ذلك قوله في مثل هذا ذلكم الله ربي لأنه ليس غير أسمائه فإنه القائل قل ادعوا الله وادعوا الرحمن ولم يقل بالله ولا بالرحمن فجعل الاسم عين المسمى هنا كما جعله في موضع آخر غير المسمى فلما قال ذلكم الله ربي والإشارة بذا إلى الله المذكور في قوله فحكمه إلى الله فلو لم يكن هنا الاسم عين المسمى في قوله الله لم يصح قوله ربي والخلاف ظهر في الأسماء الإلهية فظهر حكم الله في العالم به فيحكم على الخلاف الواقع في العالم بأنه عين حكم الله ظهر في صورة المخالفين في الأجور وهي الحقوق التي تطلبها الأعمال مخصوصة وهي حكم سار في القديم والحديث فكل من عمل عملاً لغيره استحق عليه أجراً والأجور على قسمين معنوية وحسية فإذا استأجر أحد أحداً على عمل ما من الأعمال فعمله فقد استوجب به العامل حقاً على المعمول له وهو المسمى أجراً ووجب على المعمول له أداء ذلك الحق وإيصاله إليه والمؤجر مخير في استعمال الأجير في الظاهر مضطر في الباطن والأجير مخير في قبول الاستعمال في بعض الأعمال مقهور في بعض الأعمال وحكم

الخيار ما زال عنه لأن له أن لا يقبل إن شاء وأن يقبل إن شاء فهو مخير في الظاهر مضطر في الباطن كالمؤجر له سواء فأول أجبر ظهر في الوجود عن افتقار الممكن إلى الإيجاد وهو عمل الوجود في الممكن حتى يظهر عينه من واجب الوجود هو واجب الوجود فقال الممكن للواجب في حال عدمه أريد أن أستعملك في ظهور عيني بالإيجاد هو العمل والوجود هو المعمول والوجود هو الذي ظهر فيه صورة العمل فكل معمول معدوم قبل عمله فقال له الحق فلي عليك حق إن أنا فعلت لك ذلك وأظهرتك وهذا الحق هو المسمى أجراً والذي طلب المؤجر من المؤجر يسمى إجارة والمؤجر مخير في نفسه ابتداء في تعيين الأجر فإن شاء عين له ما يعطيه على ذلك العمل وإن شاء جعل التعيين للمؤجر والمؤجر مخير في قبول ما عينه المؤجر إن كان عين له شيئاً أوردته وإن تبرع المؤجر بالعمل من نفسه وقال لا آخذ على ذلك أجراً فله ذلك ولكن لا يزول حكم القيمة من ذلك العمل لأن العمل بذاته هو الذي يعين الأجر بقيمته فإن شاء العامل أخذه وإن شاء تركه ولا يسقط حكم العمل أن أجره كذا وهذه مسألة عجيبة تدور بين اختيار واضطرار في المؤجر والمؤجر وكل واحد مجبور في اختياره غير أن الحق لا يوصف بالجبر والممكن يوصف بالجبر مع علمنا أنه ما يبدل القول لديه ولا يخرج عن عمل ما سبق في علمه أن يعمل وعن ترك ما سبق في علمه أن يتركه وليس الجبر سوى هذا غير أن هنا عين الذي يجبره هو عين المجبور إذ ما جبره إلا علمه وعلمه صفته وصفته ذاته والجبر في الممكن أن يجبره غيره لا عينه ولو رام خلاف ما جبر عليه لم يستطع فهو مجبور عن قهر مخير بالنظر إلى ذاته وفي الأول جبر بالنظر إلى ذاته مخير بالنظر إلى العمل من حيث المعمول له فاتفق الممكن مع الواجب الوجود أنه إن عمل فيه الإيجاد وظهرت عينه أنه يستحق عليه أي على الممكن في ذلك أن يعبد له ولا يشرك به شيئاً وأن يشكره على ما فعل معه من إعطائه الوجود بالثناء عليه بالتسبيح بحمده فقبل الممكن ذلك فأوجده الحق سبحانه فلما أوجده طلب منه ما استحق عليه من الأجر في ذلك ولم يعمل نفسه في إيجاده متبرعاً فقال له اعبدي وسبح بحمدي فسبحه وعبدته جميع ما أوجده من الممكنات ووفاه أجره ما عدا بعض الناس فلم يوفه أجر ما أوجده له فتعينت عليه مطالبة العامل وتعين على الحكم العدل أن يحكم على المعمول له بأداء الأجر الذي وقع الاتفاق عليه وسرى حكم هذه الإجارة في جميع الممكنات لأن الأحمال تطلبها بذاتها ولهذا إذا تبرع العامل وترك الأجر لا يزيل ذلك قيمة ذلك العمل فيقال قيمة هذا العمل كذا وكذا سواء أخذ العامل أجره أو لم يأخذه وسواء قدره ابتداء أو لم يقدره فإن صورة العمل تحفظ قيمة الأجر وقد أخبر الله عن نفسه أنه داخل حكم هذه الحقوق وكيف لا يكون ذلك وهو الحكيم مرتب الأشياء مراتبها فمنها ما لم نعرفه حتى عرفنا به مثل قوله وكان حقاً علينا نصر المؤمنين فالنصر أجر الإيمان لذاته ولكن يقتضيه المؤمن وهو الذي صفته الإيمان وهو سبحانه وفي فلا بد من نصر الإيمان ولا يظهر ذلك إلا في المؤمن والمؤمن لا يتبعض فيه الإيمان فاعلم ذلك وكل من تبعض فيه الإيمان لأجل تعداد الأمور التي يؤمن بها فآمن المؤمن ببعضها وكفر ببعضها فليس بمؤمن فإن الإيمان حكمه أن يعم ولا يخص فلما لم يكن له وجود عين في الشخص لم يجب نصره على الله فإذا ظهر الكافر على المؤمن في صورة الحكم الظاهر فليس ذلك بنصر للكافر عليه وإنما الذي يقابله لما ولى وأحلى له موضعه ظهر فيه الكافر وهذا ليس بنصر إلا مع وقوف الخصم فيغلبه بالحجة ومما أوجب الحق من ذلك على نفسه أيضاً أعني من الأجر الرحمة فجعلها أجراً على نفسه واجباً لمن ناب من بعد ما عمل من السوء وأصلح عمله وقد يتبرع متبرع بأجر يتحملة لعامل عمل لغيره عملاً لم يعمل له لهذا المتبرع مثل قوله في المظلوم إذا عفا عمن ظلمه ولم يؤاخذه بما استحق عليه وأصلح فأجره على الله وكان ينبغي أن يكون أجره على من تركت مطالبته بجنايته فتحمل الله ذلك الأجر عنه إبقاء على المسيء ورحمة به فلا يبقى للمظلوم عليه حق يطالبه به ولما كان العمل يطلب الأجر بذاته

ويعود ذلك على العامل وأداء الرسائل عمل من المؤدي لان المرسل استعمله في أداء رسالته لمن أرسله إليه فوجب أجره عليه لأن المرسل إليه ما استعمله حتى يجب عليه أجره ولهذا قالت الرسل لأمتها عن أمر الله تعريفاً للأمم بما هو الأمر عليه قل ما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على الله فذكروا استحقات الأجر على من يستعملهم ولم يقولوا ذلك إلا عن أمره فإنه قال لكل رسول قل ما أسألكم عليه من أجر واختص محمد صلى الله عليه وسلم بفضيلة لم ينلها غيره عاد فضلها على أمته ورجع حكمه صلى الله عليه وسلم إلى حكم الرسل قبله في إبقاء أجره على الله فأمره الحق أن يأخذ أجره الذي له على رسالته من أمته وهو أن يودوا قرابته فقال له قل لا أسألكم عليه أجراً أي على تبليغ ما جئت به إليكم إلا المودة في القربى فتعين على أمته أداء ما أوجب الله عليهم من أجر التبليغ فوجب عليهم حب قرابته صلى الله عليه وسلم وأهل بيته وجعله باسم المودة وهي الثبوت في المحبة فلما جعل له ذلك ولم يقل إنه ليس له أجر على الله ولا أنه بقي له أجر على الله وذلك ليحدد له النعم بتعريفه ما يسر به فقبل له بعد هذا قل لأمتك آمراً ما قاله رسول لأمته قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله فما سقط الأجر عن أمته في مودتهم للقربى وإنما رد ذلك الأجر بعد تعيينه عليهم فعاد ذلك الأجر عليهم الذي كان يستحقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعود فضل المودة على أهل المودة فما يدري أحد ما لأهل المودة في قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأجر إلا الله ولكن أهل القربى منهم ولهذا جاء بالقربى ولم يجيء بالقرابة فإنه لا فرق بين عقيل في القرابة النسبية وبين علي فإنهما إنا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم في النسب فعلي جمع بين القربى والقرابة فوددنا من قرابته صلى الله عليه وسلم القربى منهم وهم المؤمنون ولذلك فرق عمر رضي الله عنه بين من هو أقرب قرابة وأقرب قربي وهو عربي نزل القرآن بلسانه فلولا ما في ذلك فرقان في لسانهم واصطلاحهم ما فرق عمر بين القربى والقرابة وانظر ذلك في القرآن في المغانم في قوله فإن لله خمس وللرسول ولذي القربى وليسوا إلا المؤمنون من القرابة فجاء بلفظ القربى دون لفظ القرابة فإن القرابة إذا لم يكن لهم قربي الإيمان لا حظ لهم في ذلك ولا في الميراث وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم يوم دخل مكة ما ترك لنا عقيل من دار لأنه الذي ورث أباه دون علي لإيمان علي وكفر عقيل وقال تعالى لا نجد قوماً مؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم فلو كان المودة في القربى التي سألتها رسول الله صلى الله عليه وسلم منا يريد به القرابة ما نفاها الحق عنها في قوله يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا قراباتهم فعلمنا أن المودة في القربى أنها في أهل الإيمان منهم وهم الأقربون إلى الله فتميز صلى الله عليه وسلم عن سائر الرسل عليهم السلام بما أعطى الله لأمته في مودتهم في القربى وتميزت أمته على سائر الأمم بما لها من الفضل في ذلك لأن الفضل الزيادة وبالزيادة كانت خير أمة أخرجت للناس أمة محمد صلى الله عليه وسلم وإن كانت كل أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ويؤمنون بالله فحصدت هذه الأمة بأمور لم يخص بها أمة من الأمم ولها أجور على ما خصصت به من الأعمال مما لم يستعمل فيها غيرهم من الأمم فتميزوا بذلك يوم القيامة وظهر فضلهم فالأجور مترددة بين الحق والخلق للحق أجر على خلقه لأعمال عملها لهم وللخلق أجر على الله لأعمال عملوها له ولأعمال عملوها للخلق رعاية للحق كالعفو من العافين عن الناس وللخلق أجر على الخلق بتشريع الحق وحكمه في ذلك والذي يؤول إليه الأمر في هذه المسألة أن الأجور تتردد ما بين الحق والحق ليس للخلق في ذلك دخول إلا أنهم طريق لظهور هذه الأجور لولا وجد الحق في ذلك لم يظهر للإجارة حكم ولا للأجر عين ولذلك كان الأجر جزاء وفاقاً لأن المؤجر حق والمؤجر حق إذ لا عامل إلا خالق العمل وهو الحق والخلق عمل وفيه ظهور العمل فلذلك زاحم و أدخل نفسه في ذلك وأقره الحق على هذه المزاخمة وقبلها فمن الخلق من علم ذلك ومنهم من جهله وهذا

المتزل يتسع المجال فيه ولا سيما لو أخذنا في تعيين الأجور وأصحابها فلنذكر ما يتضمن هذا المتزل من العلوم فمن ذلك علم أجور الخلق دون الحق وفيه علم الاتصال بمن والانفصال عمن والانفصال والاتصال فيمن وهو علم غريب يتضمن الوجود كله وغير الوجود فإن الوجود المقيد قد انفصل عن حال العدم واتصل بحال الوجود انفصال ترجيح واتصال ترجيح وأما الوجود المطلق فانفصاله عن العدم انفصال ذاتي غير مرجح فمن علم هذا العلم علم أين كان ومن انفصل ومن اتصل وفيه علم التشبيه في المعاني بالمناسبات وفيه علم الترتيب في التوقيت وبه يتعلق علم القضاء والقدر وفيه علم الملك والتمليك وهل حكم التملك إذا وقع حكم الملك الأصلي أو يختلف حكمهما وفيه علم ما تميز به عالم الأركان من عالم الأفلاك الأخرى ولماذا قبل الاستحالة عالم الأركان فذهبت أعيان صورته كما تذهب صور أركانه باستحالة بعضها إلى بعض بالسخافة والكثافة وعالم الأفلاك ليس كذلك وإنما استحالتهم ظهورهم في الصور التي يظهرون فيها لعالم الأركان ولما كانت هذه الاستحالة

في الصور الطبيعية التي ظهرت من دون الطبيعة ولم تظهر في العالم الذي فوق الطبيعة وظهرت في التجلي الإلهي وظهر حكمه بالاستحالة العنصرية في أعيان صورته وفي صورته بل لا في صورته وهل يرجع هذا كله لتغير الأمر في نفسه أو يكون ذلك في نظر الناظر وفيه علم المتقابلات هل يفتقر العلم به إلى العلم بمقابله أو ينفرد كل واحد في العلم بنفسه دون العلم بالمقابل من غير توقف عليه وهذا لا يكون إلا عند من لا يرى أن العين واحدة وفيه علم أثر الطبيعة في الملاء الأعلى ومكانه وفيه علم أحوال الملاء الأعلى وفيه علم اجتماع الموحدين والمشركون في الحفظ الإلهي وهل ذلك من باب الاعتناء بالخلق وإن جهلوا أو هو من باب إعطاء الحقائق في أن لا يكون الأمر إلا هكذا إلا أنه من باب العناية بالإعلام الإلهي بذلك بطريق الإيماء لا بالتصريح لأن هذا من علم الأسرار التي لا تفتش في العموم ولكن لها أهل ينبغي للعالم بذلك أن يبيده لأهله فإنه إذا لم يعطه لأهله فقد ظلم الجانبين العلم ومن هو أهل له وفيه علم مراتب الأدوات العاملة والظاهرة أحكامها في العبارات وهو علم الحروف التي جاءت لمعنى فم منها مركب وغير مركب وفيه علم تقسيم الظالمين من ينصر منهم ممن لا ينصر ولماذا يرجع الظلم في وجوده هل وجوده من الظلمة أو من النور وفيه علم كون الحق عين الأشياء ولا يعرف وفيه علم الفرق بين الحياة والأحياء وإذا وقع الإحياء بماذا يقع هل بالحياة القديمة أو ثم حياة حادثة تظهر بالإحياء في الأحياء وفيه علم الرجوع ممن وإلى من والاعتماد في ماذا وعلى من وفيه علم في ماذا خلق الله الخلق هل خلقه في شيء أو خلقه لا في شيء فيكون عين المخلوقات شيئاً وفيه علم اشتراك الحق والخلق في الوجود وجميع ما اشتركوا فيه هل هو اشتراك معقول أو مقول لا غير وفيه علم النواميس الموضوعة في العالم هل تضمنها حضرة واحدة جامعة أو لكل ناموس حضرة أو يجمعها حضرتان لا غير فينسب الناموس الواحد إلى الحكمة والناموس الآخر إلى الحكم الإلهي النبوي وإن كثرت أنواعها وفيه علم الاختصاص الإلهي لبعض المخلوقات بماذا وقع هل بالعناية أو بالاستحقاق وهو علم منع أهل الله عن كشفه في العموم والخصوص لأنه علم ذوق لا ينال بالقياس ولا يضرب المثل وفيه علم كلمة الوصل والفصل هل هي كلمة واحدة أو كلمتان وفيه علم تفاضل أهل الكتب هل هو راجع لفضل الكتب أم لا وهل للكتب المتزلة فضل بعضها على بعض أم لا فضل فيها فإن الله جعل في نفس القرآن التفاضل بين السور والآيات فجعل سورة تعدل القرآن كله عشر مرات وأخرى تقوم مقام نصفه في الحكم وأخرى على الثلث وأخرى على الربع وآية لها السيادة على الآيات وأخرى لها من آي القرآن ما للقلب من نشأة الإنسان وللقرآن تميز بالإعجاز على غيره من الكتب وفيه علم المواخاة بين سور القرآن ولهذا قال عليه السلام شيبتي هود وأخواتها فجعل بينهم أخوة وفيه علم تقرير كل ملة على ما هي عليه وكل ذي نحلة على نحلته وما يلزمه من توفية حقها

وفيه علم من فارق الجماعة ما حكمه وفيه علم المواخاة بين الكتب المترلة من عند الله والموازين الإلهية الموضوعة في العالم على اختلاف صورها المعنوية والمحسوسة فالمعنوية كالبراهين الوجودية والجدلية والخطابية والموازين المحسوسة مشهود بالحس اختلافها وفيه علم مواطن العجلة من مواطن التثبط وفيه علم قوة اللطيف وضعف الكثيف وأن القوة للمتصرف والضعف للمتصرف فيه وفيه علم ما يقتضي الزيادة مما يقتضي النقص وما بينهما من الفضل وفيه علم تأخير حكم الحاكم عن إيقاعه في المحكوم عليه لشبهة تمنعه من ذلك حتى يستيقن أو يغلب على ظنه فيما لا يوصل إلى اليقين فيه فإن الكافر في الدنيا يمكن أن يرجع مؤمناً عند الموت فإن عجل فيه الحكم قبل الموت بالكفر فما أعطى الحاكم حكم الشبهة حقها في مواطنها وفيه علم ما يقبل الزيادة من الأعمال مما لا يقبلها ولا يقبل النقص وهي في الشرائع من جاء بالحسنة فله خير منها وهو عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وفيه علم نفوذ الكلمة هل هو لذاتها أم لا وإنما من الكلم وهو الجرح وهو أثر من الجراح في الجروح وكذلك كل كلمة لها أثر في السامع أدناه سماعه صورة ما نطق به وتكلم إلى ما فوق ذلك مما يحمله ذلك الكلام من المعاني وفيه علم أصل البغي في العالم وهل هو مشتق من بغي يبغي إذا طلب فيكون البغي لما ذمه الله طلباً مقيداً إذ كان الطلب منه ما هو مذموم ومنه ما هو محمود وما دواء ذلك البغي وفيه علم الطي والنشر لحكم الوقت وفيه علم الدلالات والآيات هل ذلك أي كونها دلالات وآيات لأنفسها أو هي بالوضع وفيه علم حدوث المشيئة لماذا يرجع والحق لا تقوم به الحوادث وفيه علم النوازل هل تنزل ابتداء أو تنزل أجزاء وفيه علم السكون والحركة وعلم المواطن التي ينبغي أن يظهر فيها حكم السكون وحكم الحركة وفيه علم ما يعطي الله عباده في الدنيا من علوم ومراتب وغير ذلك هل هو من الدنيا أو هو من الآخرة وفيه علم الاستجابة لأوامر الله إذا قامت صورتها ظاهرة هل تنفع بصورتها وأين تنفع أو هل لا تنفع إلا حتى ينفخ في تلك الصورة روح تحيها به وهو صورة الباطن ويتعلق بهذا العلم علم الصور مطلقاً هل لها ظاهر وباطن أو منها ما هي ظاهرة لا باطن لها وفيه علم ما الباعث للحيوان كله على طلب الانتصار لنفسه هل هو دفع للأذى أو هو جزاء أو طلب انتقام أو بعضه لهذا وبعضه لهذا وفيه علم التحسين والتقبيح هل ذلك راجع لذات الحسن والقبح أو لأمر عارض وفيه علم ما يحب ويكره من النعوت وفيه علم ما يرفع الحرج ممن ظهر منه ما يكرهه الطبع وفيه علم الأسباب التي تمنع ما يطلب الطبع ظهوره وفيه علم ما لا يدرك إلا بالنظر الدقيق الخفي وفيه علم الإقامة والانتقال في الأحوال هل الأحوال تنتقل والعبد ثابت أو العبد منتقل في الأحوال والأحوال ثابتة وهو من العلوم الغريبة الموقوفة على الكشف وفيه علم ما ينكر من الحق مما لا ينكر وعلم ما يقره الحق من الباطل مما لا يقره وما الباطل الذي يقبل الزوال من الباطل الذي لا يقبله وفيه علم الإنتاج وغير الإنتاج مع وجود المقدمات ومتى تنتج المقدمات وفيه علم حجاب ظاهر النشأة وما مسمى البشر منها وهل لباطنها مباشرة كما لظاهرها أم لا وفيه علم ما الحجاب الذي بين الله وبين عبده وفيه علم الكلام المحدث والقديم لماذا يرجع هل يختلف أو حكم ذلك واحد وفيه علم الأنوار ومراتبها وسبحات الوجه ولماذا تعددت والوجه واحد والسبحات كثيرة وفيه علم التمييز بين السبل الإلهية وفيه علم المبدأ والمعاد والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الثالث والأربعون وثلاثمائة في معرفة منزل سرين في تفصيل الوحي

من حضرة حمد الملك كله

لقد فصل الله آياته

وأحكمها لقلوب زكت

ونطق من لم يزل ناطقاً

فحير ألبابنا نطقه

بصير بأنواره ظاهر

لكل لبيب بعيد المدى

ولم تتبع غير سبل الهدى

لأسماعنا ناشداً منشداً

وجاء بنور الهدى فاهتدى

له المنتهى وله المبتدى

اعلم أيديك الله أن الاسمين الإلهيين المدير والمفصل هما رأسا هذا المنزل اللذان يهبان للداخل فيه جميع ما يحمله وما يتضمنه من العلوم الإلهية مما يطلب الأكوان ومما يتعلق بالله وحكم المدير في الأمور أحكامها في حضرة الجمع والشهود وإعطاؤها ما تستحقه وهذا كله قبل وجودها في أعيانها وهي موجودة له فإذا أحكمها كما ذكرناه أخذها المفصل وهذا الاسم مخصوص بالمراتب فأنزل كل كون وأمر في مرتبته ومترلته كأمر المجلس عند السلطان ثم أن المدير لما خلق الله رحمتين وهما أول خلق خلقه الله الرحمة الواحدة بسيطة وخلق الرحمة الأخرى مركبة فرحم بالبسيطة جميع ما خلق الله من البسائط ورحم بالمركبة جميع ما خلق الله من المركبات وجعل للرحمة ثلاثة منازل لأن المركب ذو طرفين وواسطة والواسطة عين البرزخ الذي بين الطرفين حتى يتميزا فيرحم كل مرحوم من المركب بالرحمة المركبة من هذه المنازل فبالرحمة الأولى المركبة ضم أجزاء الأجسام بعضها إلى بعض حتى ظهرت أعيانها صوراً قائمة وبالرحمة الثانية المركبة من المنزل الثاني ركب المعاني والصفات والأخلاق والعلوم في النفس الناطقة والنفس الحيوانية الحاملة للقوى الحسية وبالرحمة الثالثة المركبة ضم النفوس الناطقة إلى تدبير الأجسام فهو تركيب روح وجسم وهذا النوع من التركيب هو الذي يتصف بالموت فأبرز المدير هذه النفوس من أبدانها بتوجه النفخ الإلهي عليها من الروح المضاف إليه تعالى فركبها المدير مع الجسم الذي تولدت عنه وهو تركيب اختيار ولو كان تركيب استحقاق ما فارقه الموت وجعله مديراً لجسد آخر برزخي والحق هذا بالتراب ثم ينشئ له نشأة أخرى يركبه فيها في الآخرة فلما اختلفت المراكب علمنا أن هذا الجسم المعين الذي هو أم لهذه النفس الناطقة المتولدة عنه ما هي مدبرة له بحكم الاستحقاق لانتقال تدبيرها إلى غيره وإنما الجسم الذي تولدت عنه على هذه النفس له من الحق أنها ما دامت مدبرة له لا تحرك جوارحه إلا في طاعة الله تعالى وفي الأماكن والأحوال التي عينها الله على لسان الشارع لها هذا ما يستحقه عليها هذا الجسم لما له عليها من حق الولادة فمن النفوس من هو ابن بار فيسمع لأبويه ويطيع وفي رضاهما رضى الله قال عز وجل أن اشكر لي من الوجه الخاص ولوالديك من الوجه السبي ومن النفوس ما هو ابن عاق فلا يسمع ولا يطيع فالجسم لا يأمر النفس إلا بخير ولهذا يشهد على ابنه يوم القيامة جلود الجسم وجميع جوارحه فإن هذا الابن قهرها وصرفها حيث يهوى وقسم الله هذه الرحمة المركبة على أجزاء معلومة أعطى منها جبريل ستمائة جزء بها يرحم الله أهل الجنة وجعل بيده تسعة عشر جزءاً يرحم بهذه الأجزاء أهل النار الذين هم أهلها يدفع بها ملائكة العذاب الذي هم تسعة عشر كما قال تعالى عليها تسعة عشر وأما المائة رحمة التي خلقها الله فجعل منها في الدنيا رحمة واحدة بها رزق عباده كافرهم ومؤمنهم وعاصيهم ومطيعهم وبها يعطف جميع الحيوان على أولاده وبها يرحم الناس بعضهم بعضاً ويتعاطفون كما قال الله أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض والظالمين بعضهم أولياء بعض والمنافقين بعضهم أولياء بعض كل هذا ثمرة هذه الرحمة فإذا كان في الآخرة يوم القيامة ضم هذه

الرحمة إلى التسعة والتسعين رحمة المدخرة عنده فرحم بها عباده على التدرج والترتيب الزماني ليظهر بهذا التأخير مراتب الشفعاء وعناية الله بهم وتميزهم على غيرهم فإذا لم يبق في النار إلا أهلها القاطنون بها الذين لا خروج لهم منها وأرادت ملائكة العذاب التسعة عشر عذاب أهل النار تجدد من الرحمة المركبة تسعة عشر ملكاً فحالوا بين ملائكة العذاب وأهل النار ووقفوا دونهم وعصدهم الرحمة التي وسعت كل شيء فإن ملائكة العذاب قد وسعتهم الرحمة كسائر الأشياء فيمنعهم ما وسعهم منها عن مقاومة هذه الرحمة المركبة وكان الذي يعصدهم أولاً غضب الله الذي ظهر من إغصاب المخالفين فلما انقضى مجلس المحاكمة وكان الحق قد أمر بمن أمر به إلى السجن وهو جهنم كما قال وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً أي سجنًا لأن المحصور مسجون ممنوع من التصرف بخلاف أهل الجنة فإن لهم التبوأ منها حيث يشاؤون وليس كذلك أهل النار وهذا من الرفق الإلهي الخفي بعباده فلو أعطاهم التبوأ من النار حيث يشاؤون لكانوا لا يستقر بهم قرار طلباً للفرار من العذاب إذا أحسوا به رجاء أن

يكون لهم في مكان آخر منها راحة وفي وقت العذاب ما فيها راحة فكان لا يبقى في جهنم نوع من العذاب إلا ذاقوه والعذاب المستصحب أهون من العذاب الجدد وكذا النعيم ولهذا يدل الله جلودهم في النار إذا نضجت ليدوقوا العذاب فيمشي عليهم زمان يذوقون فيه العذاب مستصحباً إلى أن تنضج الجلود وحينئذ يتجدد عليهم بالتبديل عذاب جديد فلو كان لهم البوأ من جهنم حيث يشاؤون لما استقروا حتى تنضج جلودهم بل كانوا يذوقون في كل موضع ينتقلون إليه عذاباً جديداً إلا حصول الإنضاج فيكون ذلك الانتقال أشد في عذابهم فرحمهم الله من حيث لا يشعرون كما مكر بهم من حيث لا يشعرون فهذه سبعمائة رحمة وتسع عشرة رحمة مائة منها بيد الله لم يتصرف فيها أحد من خلق الله اختص بها لنفسه بها يرحم الله عباده بارتفاع الوسائط بل منه للمرحوم خاصة وهي على عدد الأسماء الإلهية أسماء الإحصاء التسعة والتسعين اسماً رحمة واحدة لكل اسم من هذه المائة التي بيد الله لا علم لمخلوق بها وتنام المائة الرحمة المضافة إليه التي وسعت كل شيء فهذه المائة رحمة ينظر إلى درج الجنة وهي مائة درجة وبها بعد انقضاء زمان استحقاق العذاب ينظر إلى دركات النار وهي مائة درك كل درك يقابل درجة من الجنة فتتأيد بهذه الرحمة الواسعة التسع عشرة رحمة التي تقاوم ملائكة العذاب في النار وتلك الملائكة قد وسعتهم فيجدون في نفوسهم رحمة بأهل النار لأنهم يرون الله قد تجلّى في غير صورة الغضب الذي كان قد حرضهم على الانتقام لله من الأعداء فيشفعون عند الله في حق أهل النار الذين لا يخرجون منها فيكونون لهم بعدما كانوا عليهم فيقبل الله شفاعتهم فيهم وقد حقت الكلمة الإلهية أنهم عمار تلك الدار فيجعل الحكم فيهم للرحمة التي وسعت كل شيء ولهذه التسعة عشرة رحمة التي هي الرحمة المركبة فأعطاهم في جهنم نعيم المرقور والمحور لأن نعيم المرقور بوجود النار ونعيم المحور بوجود الزمهرير فتبقى جهنم على صورتها ذات حرور وزمهرير ويبقى أهلها متنعمين فيها بحرورها وزمهريرها ولهذا أهل جهنم لا يتزاورون إلا أهل كل طبقة فيتزاور المحرورون بعضهم في بعض ويتزاور المرقورون بعضهم في بعض لا يزور مرقور محروراً ولا محرور مرقوراً وأهل الجنة يتزاورون كلهم لأنهم على صفة واحدة في قبول النعيم لأنهم كانوا هنا أعني في دار التكليف أهل توحيد لم يشركوا توحيد علم أو توحيد إيمان وأهل النار لم يكن لهم صفة التوحيد وكانوا أهل شرك فلهذا لم يكن لهم صفة أحدية تعميمهم في النعيم مطلقاً من غير تقييد فهم في جهنم فريقان وأهل الجنة فريق واحد فينفرد كل شريك بطائفة وهؤلاء هم الثنوية ما ثم غيرهم وهم أهل النار الذين هم أهلها وأما أهل التثليث فيرجى لهم التخلص لما في التثليث من الفردية لأن الفرد من نعوت الواحد فهم موحدون توحيد تركيب فيرجى أن تعميم الرحمة المركبة ولهذا سموا كفاراً لأنهم ستروا الثاني بالثالث فصار الثاني بين الواحد والثالث كالبرزخ فربما لحق أهل التثليث بالموحدين في حضرة الفردانية لا في حضرة الوجدانية

وهكذا رأيهم في الكشف المعنوي لم نقدر أن نميز ما بين الموحدين وأهل التثليث إلا بحضرة الفردانية فإن ما رأيت لهم ظلاً في
الوحدانية ورأيت أعيانهم في الفردية ورأيت أعيان الموحدين في الوحدانية والفردانية فعلمت الفرق بين الطائفتين وأما ما زاد على
أهل التثليث فالكل ناحون بحمد الله من جهنم ونعيمهم في الجنة يتبعون منها حيث يشاؤون كما كانوا في الدنيا يتزلون من
حضرات الأسماء الإلهية حيث يشاؤون بوجه حق مشروع لهم كما كانوا إذا توضؤوا يدخلون من أي باب شاءوا من أبواب الجنة
الثمانية وإذا علمت هذا فاعلم أن هذه الرحمة المركبة تعم جميع الموجودات وأنها مركبة من رحمة عامة وهي التي وسعت كل شيء
ومن رحمة خاصة وهي الرحمة التي تميز بها من اصطفاها الله واصطنعه لنفسه من رسول وولي وبهذه الرحمة المركبة جمع الله
الكتب وأنزل كل كتاب سوراً وآيات فمن آياته ما بقي كالقرآن وكل آية ظهرت بطريق الإعجاز ومن آياته ما لم يبق فبقي
اقتصار حكمها على من جاء بها فدللت على غيره كما دلت عليه فإن الله جعلها علامة على صدق ما ادعاه كل واحد ممن ادعى
القرب من الله إما بالحال وإن لم ينطق بالدعوى لما يرى عليه من آثار طاعة ربه وإما بالدعوى من حيث نطقه بذلك ولا يقع ذلك
إلا عن غفلة فإنهم مأمورون بستر هذه الآيات أعني الأولياء فهي منسوخة في الأولياء محكمة في الأنبياء والرسل فقال ما ننسخ من
آية يقول من علامة أو ننسها يقول أو نتركها يعني نتركها آية للأولياء كما كانت آية للأنبياء نأت بخير منها من باب المفاضلة أي
بأزيد منها في الدلالة وهي آيات الإعجاز فلا تكون إلا لأصحابها أو لمن قام فيها بالنبابة على صدق أصحابها فلا يكون لولي قط
هذه العلامة من حيث صحة مرتبته وأما قوله أو مثلها الضمير يرجع إلى الآية المنسوخة فلم يكن لها صفة الإعجاز بل هي مثل
الأولى ولا يصح حمل هذه الآية على أنها أي القرآن التي نزلت في الأحكام فنسخ بآية ما كان أثبت حكمه في آية قبلها فإن الله ما
قال في آخر هذه الآية لم تعلم أن الله عليم خبير ولا حكيم ومثل هذه الأسماء هي التي تليق بنظم القرآن الوارد بآيات الأحكام وإنما
قال الله تعالى أم تعلم أن الله على كل شيء قدير فأراد الآيات التي ظهرت على أيدي الأنبياء عليهم السلام لصدق دعواهم في أنهم
رسل الله فمنها ما تركها آية إلى يوم القيامة كالقرآن ومنها ما رفعها ولم تظهر إلى يوم القيامة فلما جمع الله بهذه الرحمة المركبة
القرآن في الكتب لا في الصدور فإنه في الصدور قرآن وفي اللسان كلام وفي المصاحف كتاب وضع ذلك الاسم المفصل عن أمر
المدبر فإنه متقدم عليه بالرتبة فلماذا له الحكم في التفصيل بالقوة وللمفصل بالفعل ومثل الرحمة رحب واسع المجال فيه وكيف لا
يتسع وقد وسعت كل شيء وهذا القدر كاف فيما يقع به المنفعة للسامعين من الناس فذكرنا حكمها في الدارين وما يعود منها
علينا وهو الغرض المقصود وفي هذا المتزل معرفة منازل الرحمة المركبة وإلى كم تنتهي منازلها والمتزل الذي أكدت فيه والمتزل الذي لم
تؤكد فيه وعلى كم من درج وقع التوكيد فيها وفيه علم ما لا يعلم إلا من طريق الخبر الإلهي وعلم الإبانة عن مقام الجمع كالصلاة
الجامعة بين الله والعبد في قراءة فاتحة الكتاب ومن هنا يؤخذ الدليل بفرضيتها على المصلي في الصلاة فمن لم يقرأها في الصلاة فما
صلى الصلاة التي قسمها الله بينه وبين عبده فإنه ما قال قسمت الفاتحة وإنما قال قسمت الصلاة بالألف واللام اللتين للعهد
والتعريف فلما فسر الصلاة المعهودة بالتقسيم جعل محل القسمة قراءة الفاتحة وهذا أقوى دليل يوجد في فرض قراءة الحمد في الصلاة
وفيه علم تأثير الرحمة المركبة في العالم الحمدي خاصة وفيه علم تزييل المعاني منزلة الأشخاص وفيه علم التراجم وفيه علم الطائفة التي
سمعت وقيل فيها أنها لم تسمع مع وجود الفهم فيما سمعت فما الذي نفى عنها وما الذي أبقى لها وفيه علم الحجب الكونية المظلمة
والظلمانية ومن هو أهل كل حجاب وعمن حجب من حجب هل حجب عن سعادته أو عن مشاهدته ربه أو عن مشاهدة مقام
رسوله وفيه علم اجتراء الكون على الله وفيه علم اللطف الإلهي بالمعاندين الرادين لأوامره المنازعين لناصره وفيه علم ما شيب

رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ذكره في سورة هود وأخواتها وفيه علم طلب السر الإلهي وفيه علم الإحاطة بما لا يتناهى وفيه علم الجزاء الذي هو على غير الوفاق الزماني فإن مدد الأعمال التي تطلب الأجور متناهية والأجر عليها غير متناه فما هو الجزاء الوفاق وفيه علم الإنكار والإقرار والتقرير والتوبيخ وما صفته وأين محله وفيه علم الخلق الجسمي والجسماني ومراتب الخلق وكم له من المقدار الزماني وفيه علم المراتب المضاف إليها الرب وفيه علم القصد الإلهي وفيه علم موضع الأجوبة التي تكون بحكم المطابقة عند سؤال السائل وفيه علم مرتبة العاقل وشرفه على العالم إذا كان عالماً فإن العاقل إذا رأى ما لا بد له منه بادر إليه وغير العاقل لا يفعل ذلك وفيه علم من خلق لأمر واحد ومن خلق لأمرين فصاعداً من وفى بما خلق له ومن لو يوفى بما خلق له وفيه علم سعادة من استكبر بحق ممن استكبر بنفسه كإبليس ومن شاء الله وفيه علم تقرير المناسبة بينه وبين خلقه وأين هذا التقرير من ليس كمثلته شيء ومثل ما جاء في الخبر لله أشد فرحاً بتوبة عبده من رجل في أرض فلاة الحديث وقوله تعالى أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وفيه علم المفاضلة وأصنافها ومحملها وفيه علم الاختيار الكوني وأنه مجبور في اختياره وهل له مستند إلهي في جبره في اختياره أم لا وقوله

فيسبق عليه الكتاب وقوله تعالى ما يبذل القوي لدي وقوله لا تبديل لخلق الله هل معناه إنما التبديل لله ليس للخلق تبديل أو لا تبديل لخلق الله من كونه أعطى كل شيء خلقه وفيه علم حكمة الأخذ الإلهي جزاء هل يعم أو يؤلم ابتداء من غير جزاء كإيلام البريء والصغير فهل هو كما قاله القائل أو ليس الأمر كذلك وإنما هو بريء في ظاهر الأمر مما نسب إليه وما هو بريء عند الله من أمر آخر وقع منه في حق حيوان أو ما لا يعلمه إلا الله والمبتلي أن تذكره فلا يكون على هذا الأخذ أبداً بل له جزاء ابتداء وإنما قاله من قاله بنسبة خاصة رأى الأخذ عندها مع براءة المأخوذ مما نسب إليه من تلك النسبة الخاصة ولم يكن عند الله الأخذ إلا من أمر عمله استحق به هذه العقوبة فانتظر قضاء زمان المهلة فانقضت عند دعوى عليه غير صادقة هو منها بريء فأخذ عندها وإنما كان الأخذ بما تقدم فليل هذا الأخذ وهو بريء مما نسب إليه فصدقوا أنه بريء ولم يصدقوا في أنه أخذ من أجل تلك الدعوى عليه وهو من علم المكاشفة والاعتبار والمكاشفة في تحصيل هذا العلم أتم لأنه يعين لك الكشف العلة على خصوصها والاعتبار يحملها لك من غير تعيين أو يخرج لها عللاً محتملة لا يدري ما أوجب ذلك الأخذ منها فهذا الفرق بين أهل الاعتبار والكشف وفيه علم إلحاق الله بصفة المتقين حتى كان وليهم فإنه ولي المؤمنين لأنه مؤمن وهو ملي المتقين فمن أين يوصف الحق بأنه متق وفيه علم من أين أعطى ما أعطى العلم بنطق العالم من غير جهة الخبر فإن الخبر تقليد وفيه علم تأثير الأحوال في أصحابها عند الله وفيه علم ترك الأدب لما يرحى في ذلك من نيل الغرض المقصود وسواء كان محموداً أو مذموماً لأنه ما كل غرض محمود ولا كل غرض مذموم وفيه علم تغير لأحوال لتغير الوارد وفيه علم المؤاخاة بين الملائكة والناس الصالحاء منهم وفيه علم أين يتزل أهل الله يوم القيامة وفي الجنان وأي اسم يصحبهم من الأسماء الإلهية وفيه علم توقف الأسماء الإلهية بعضها على بعض وأنها تعطي بالجموع أمراً لا يكون يعطيه فرد فرد من ذلك الجموع وفيه علم ما تنتج السياسة الحكيمة التي تقضي بها العقول وأنها في ذلك على بصيرة من حيث لا تشعر أعطتها ذلك تجربتها النفوس وما صفة من يقول بهذا العلم وفيه علم الميل لم يميل ولم يمال وفيه علم النظر في الأولى فالأولى وفيه علم الأعواض وهو إذا اعتاص عليك أمر تعوضت عنه بأمر يقوم مقامه فيما تريد إما موازنة سواء وإما أزيد بقليل أو أنقص منه بقليل بحيث أنه لا يؤثر في المطلوب أثراً يخرج عنه نيل غرضه بالكلية وهل في الوجود من لا عوض له إذا فقد أم لا وفيه علم تمييز الرجال بالأحوال وفيه علم تقاسيم الأوامر الإلهية التي تقسمها قرائن الأحوال وما حكم الأمر إذا تعرضت قرائن الأحوال هل حكمه

الوجوب أم لا أو التوقف وهل تعريه عن قرائن الأحوال قرينة حال عدمية تعطيه الوجوب وهل عندنا قرينة حال تعطي الوجوب للأمر وفيه علم وصف العدم بأوصاف الوجود من الانتقال من حال إلى حال مع كونه عدماً لا يزول عن هذا الوصف وفيه علم من أين قدم الله في نعته نفسه في كلامه بالرحمة على الأخذ ولم يفعل ذلك في صفة الكون فإنه قد قدم في صفة الكون صفة أهل المقت على صفة أهل السعادة كما وقع في سورة الغاشية وأمثالها وهل جاء مثل هذا ليفرق بين الخلق والحق أم لا وفيه علم الوجهين في الأشياء فما من شيء إلا وفيه نفع بوجه وضرر بوجه أي شيء كان إذا اعتبرته ووزنته وجدت الأمر كما قلنا فليس لشيء في الوجود وجه واحد أبداً أعظمها وأرفعها نور الله به ظهرت الأشياء من خلف الحجب ولو شال الحجب لأحرقت ما أوجدته فهي الموحدة المعدمة وكذا نزول القرآن له وجه نفع في المؤمن فإنه يزيد به إيماناً وفيه وجه ضرر للكافر لأنه يزيد رجساً إلى رجسه قال تعالى يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً ثم من رحمته بخلقه أن قال وما يضل به إلا الفاسقين فأعطانا العلامة فمن وجد في نفسه تلك العلامة علم أنه من أهل الضلال وفيه علم البعد الإلهي والقرب الإلهي من السعداء والأشقياء والقرب الكوني والبعد الكوني هل هو على موازنة القرب والبعد الإلهي أو لهذا حكم ولهذا حكم وكذلك هو وفيه علم من علمه علم أنه ليس لله من أعمال البعد شيء وفيه علم ما هو العلم وفيه علم ما يوجب السامة والملل ومن يتصف بهما من العالم ممن لا يتصف بهما مع كون الحق قد وصف نفسه بالملل إذا مل عبده من الخير الذي يكون عليه أو الشر سواء وفيه علم ما لا ينفع من الظنون بالخير عند الله وما ينفع منها وفيه علم أسباب رجعة الكون إلى الله في الدنيا وفيه علم أن الحق هو عين الأشياء بما هو عين الأشياء هل بنفسه أو بشهوده أو بإحاطته وفيه علم ما هو الحق وحكم هذا الاسم حيث ورد هل تختلف أحكامه أو هو عين واحدة في كل موضع ورد فإن الناس تفرقوا في ذلك فرقاً والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

الباب الرابع والأربعون وثلاثمائة في معرفة منزل سرين من أسرار المغفرة

وهو من الحضرة المحمدية

ولا كاذب والشأن صدق وإيمان

مقام ولكن فيه بخس ونقصان

ولا كل كون ما سوى الله إنسان

ومنه صغير فيه حق وبهتان

ولا كانت أسماء ولا كانت أعيان

ولا مالك يقضي بذلك برهان

بأن إله الخلق في الخلق محسان

رأيت رجالاً لا يرون بكافر

فقلت لهم كفوا عن الزور إنه

فما كل عين في الوجود مغاير

ولكنه منه كبير مقدم

فلولا وجودي لم يكن ثم عالم

وكان وحيد الذات ليس بخالق

ودل دليل العقل في كل حالة

قد قدمنا أن لله رحمة عامة ورحمة خاصة وأن الله خص هذه الأمة برحمة خاصة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أمتي أمة مرحومة ليس عليها في الآخرة عذاب إنما عذابها في الدنيا الزلازل والقتل والبلاء خرج هذا الحديث البيهقي في كتاب الأدب له في باب المؤمن قل ما يخلو من البلاء لما يراد به من الخير من طريق أبي القاسم علي بن محمد بن علي الإيادي عن أبي جعفر عبد الله بن إسماعيل إملاء عن إسماعيل بن إسحاق القاضي عن محمد بن أبي بكر عن معاذ بن معاذ عن المسعودي عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وكلهم قالوا حدثنا إلا المسعودي فإنه عنعه وإلا البيهقي فإنه قال أخبرنا وفي الباب عن أبي بردة قال كنت جالساً عند ابن زياد وعنده عبد الله بن يزيد فجعل يؤتى برؤوس الخوارج قال وكانوا إذا مروا برأس قلت إلى النار قال فقال لي لا تفعل يا ابن أخي فأنس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون عذاب هذه الأمة في دنياها وقد ورد في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم ولم يخصص صلى الله عليه وسلم أمة من أمة فإنه ما قال ناس من أمتي فهذه رحمة عامة فيمن ليس من أهل النار ثم قال صلى الله عليه وسلم فأما هم الله فيها إمامة فأكد به بالمصدر فهذا كله قبل ذبح الموت وإنما أماتهم حتى لا يحسوا بما تأكل النار منهم فإن النفوس التامة هي الموحدة المؤمنة فيمنع التوحيد والإيمان قيام الآلام والعذاب بها والحواس أعني الجسوم كلها مطيعة لله فلا تحس بآلام الإحراق الذي يصيرهم حمماً فإن الميت لا يحس بما يفعل به وإن كان يعلمه فما كل ما يعلم يحس به فرفع الله العذاب عن الموحدين والمؤمنين وإن دخلوا النار فما أدخلهم الله النار إلا لتحقيق الكلمة الإلهية ويقع التمييز بين الذين اجتروا السيئات وبين الذين عملوا الصالحات فهذا حديث صحيح يعم الناس ويبقى العذاب على أهل النار الذين هم أهلها يجري إلى أجل مسمى عند الله إلى أن تذكرهم ملائكة العذاب التسعة عشر فإن الملائكة إذا شفعت لم تشفع هذه التسعة عشر فتأخر شفاعتهم إلى أوان اتصافهم بالرحمة عندما يرتفع شهودهم غضب الله إثارةً منهم لجناب الله على الخلق فإن الملائكة تشفع يوم القيامة يقول الله شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون وبقي أرحم الراحمين فيشفع عند شديد العقاب والمنتقم وهذا من باب شفاعة الأسماء الإلهية فيخرج من النار كل موحد وحاد الله من حيث علمه لا من حيث إيمانه وما له عمل خير غير ذلك لكنه من غير إيمان فلذلك اختص الله به وهذا الصنف من الموحدين هم الذين شهدوا مع شهادة الله سبحانه والملائكة أنه لا إله إلا هو فمن هناك سبقت لهم العناية بالاشتراك في الشهادة ولم يعرفهم إلا الله وحده والملائكة وإن عرفهم فإن الملائكة تحت أمر الله كالثقلين فيحترمون جناب الله ويؤثرونه على هؤلاء فلا يقدمون على الشفاعة فيهم لمخالفتهم أمر الله وعدم قبولهم الإيمان فينفرد الله وحده سبحانه من كونه أرحم الراحمين بإخراج هؤلاء من النار ويترك أهلها فيها على حالهم إلى تجليه في صورة الرضا وعموم حكم الرحمة المركبة في عالم التركيب وشفاعة ملائكة العذاب فحينئذ يتغير الحال على أهل النار كما ذكرناه من الحرور والمقرور واعلم أن الموازنة بحكم الاعتدال معقولة غير موجودة الحكم لأنه لو كان لها حكم ما كان التكوين واقعاً لأن حكمها الاعتدال والاعتدال يقابل الميل ولا يكون التكوين إلا بالميل ولما علم النبي صلى الله عليه وسلم من الله أنه ما أوجد العالم إلا بترجيح أحد الإمكانين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاضي الدين إذا وزنت فأرجح فإن الممكن الوجهان فيه على السواء فما أوجده الله إلا بالترجيح ثم إن الله ذكر عن نفسه ما كان عليه ولا عالم فذكر عن نفسه أنه أحب أن يعرف فرجح جانب المعرفة به على مقابله فخلق العالم بالترجيح لجانب العلم على مقابله فلما وازن الله بين الرحمة والغضب رجحت الرحمة وثقلت وارتفع

الغضب الإلهي ولا معنى لارتفاع الشيء إلا زوال حكمه فلم يبق للغضب الإلهي حكم في المآل فإنه في المآل وقع ترجيح الرحمة وارتفاع الغضب لخفته فما ظهر حكم الغضب إلا في

حال وضع الغضب والرحمة في الميزان فحكم ك واحد منهما في العالم إلى أن يظهر الترجيح فيرتفع حكم الغضب وما قلنا هذا إلا رداً لما قاله من يدعي الكشف فقال في الموازنة الإلهية أن الله لا يحكم عدله في فضله ولا فضله في عدله وأن القبضتين على السواء من جميع الوجوه وهذا من أعظم الغلط الذي يطرأ على أهل الكشف لعدم الأستاذ وما يقول هذا إلا من لم يكن بين يدي أستاذ قد ربه أستاذ متشرع عارف بموارد الأحكام الشرعية ومصادرها فإن الله ما نصب طريقاً إلى معرفته التي لا يستقل العقل بإدراكها من حيث فكره إلا ما شرعه لعباده على ألسنة رسله وأنبيائه وإنما قلنا هذا لما علمنا أن ثم طريقاً آخر يقتضيه الوجود ويحصله بعض النفوس الفاضلة فأردنا أن نرفع الأشكال وذلك أن النفوس تصفو بالرياضة وترك الشهوات الطبيعية والاستغراق في الأمور المحسوسة وتشوق إلى ما منه جاءت وما أريدت له وإلى أين مآلها وما مرتبتها من العالم وعلمت من ذاتها أن وراء هذا الجسم أمر آخر هو المحرك له والمدير لما عاينت من الموت النازل به فتتظر إلى آياته على كمالاتها ولا ترى له تلك الإدراكات التي كانت له في زمان وصفه بالحياة فعلمت أنه لا بد من أمر آخر هناك لا تعرف ما نسبته إلى هذا الجسم هل نسبة العرض إلى محله أو المتمكن إلى مكانه أو الملك إلى ملكه ثم علمت أن بين الموت والنوم فرقاً بما تراه في النوم من الصور وما تستفيد من الأحوال الملهمة والمؤلمة وسرعة التغير في صورة النائم من حال إلى حال ولم تر ذلك في صورة الجسم ثم تستيقظ فتري الجسم على حاله في صورته ما تغير وترى انفعال الجسم في بعض الأوقات لما يطرأ للنائم في حال نومه مثل دفع الماء في الاحتلام عند رؤية الجماع في النوم فعلمت بهذا كله أن وراء هذا الجسم أمراً آخر بينه وبين هذه الصورة علاقة ثم أتما رأيت تفاوت الأمثال في العلوم والفهم وافتقار بعضها إلى التعليم ونظرت إلى حال من زهد وفكر واتخذ الخلوات ولم يأخذ من لذات المحسوسات إلا ما تمس إليه الحاجات مما به قوام هذا الجسم وأن صاحب هذا الحال يزيد على نفس أخرى بعلوم وفصائل يفتقر إليه فيها وفي العلم بما فنظرت في الطريق الذي أصل تلك النفوس دون غيرها إلى هذا المقام فلم تر مانعاً إلا انكباب بعض النفوس على تناول هذه المشتبهات الظاهرة الطبيعية والتنافس فيها فزهدت في ذلك كله وتحلت بمكارم الأخلاق ولم تترك لأحد عليها مطالبة ولا علاقة ولم تراهم على ما هم عليه وجنحت إلى الخلوات ورفعت الهمة إلى الاستشراق لتعلم ما هو الأمر عليه فلما كانت بهذه المثابة وكل ذلك نظر منها ما هو عن تقليد شرع إلهي وإنما هو عن فكرة صحيحة وإلهام إلهي ناقص غير كامل لأن الإلهام الكامل أن يلهم لاتباع الشرع والنظر في كلامه وفي الكتب التي قيل لنا أتما جاءت من عند الله فمثل هذا هو الإلهام الأكمل فلما صفت هذه النفس وشفقت وصارت مثل المرأة وزال عنها صدى هذه الطبيعية انتقش فيها صور العالم فرأت ما لم تكن رآته فنطقت بالغيوب والتحقت بالملاء الأعلى التحاق غريب ورد على غير موطنه وهو موطنه ولكن ما عرف لغريبته لما سافر إلى أرض طبيعته وبدنه فلم يكن له ذلك الإدلال ولا كمال الأنس بذلك العالم ورأى اشتغال ذلك العالم عنه بالتسييح والتقديس وما سخرها فيه من الأعمال في حق هذه المولدات العنصرية فرأت ما يختص منهم بتحريك الأفلاك وتسيير كواكبها وما يحدث في الأركان منها وعلمت ما لم تكن تعلم وأخذت عن الأرواح علوماً لم تكن عندها وما علمت أن ثم طريقاً تصل منه إذا سلكت عليه إلى الأخذ عن الله منشئ الكل وأن بينه وبينها باباً خاصاً يخصها فقالت هذا هو الغاية وما ثم إلا هؤلاء ونظرت إلى تفوقها بذلك على غيرها من أمثالها فقنعت فكل ما يأتي به من هذا نعتة وحاله ليس له ذوق إلهي البتة ولا يأخذ أبداً إلا عن الأرواح والعقول الملكية أخذ حال لا أخذ نطق إلا أن تجسد له في خياله أمر يخاطبه وصاحب الطريقة

الشرعية يقلد الشارع فيما أخبره به من أنه ما ثم إله بينه وبين العالم مناسبة وأنه تعالى ليس كمثله شيء ولا يشبه شيئاً من العالم أعلاه وأسفله ومع هذا كله فله عين وأعين ويد ويدان ووجه وكلام ونزول واستواء وفرح ومعية مع عباده بالصحة وقرب وبعد وإجابة لمن دعاه ورحمة وأن العالم كله عبيد له خلقهم وفضل بعضهم على بعض وأن له غصباً وأن له خلفاء في الأرض من هذا النوع الإنساني فعندما سمع ذلك وعلم أن ثم خليفة من نوعه تشوف إلى تلك المرتبة أن ينالها ورأى الطريق التي شرعها شارع وقته وخاطبه بها ورأى جميع ما كان يفعل صاحب تلك النفس التي فكرت بنظرها قد حرصها هذا الشارع عليه وحده وقال به فأخذ به هذا المؤمن من حيث أن هذا الشارع جاء به وعلق المهمة بربه الذي أوجده لما أعلمه الشارع أنه المنتهى فقال له وإن إلى ربك المنتهى وليس وراء الله مرمى فجعله موضع غايته وسلك سلوك المفكر الباحث صاحب النظر العقلي لكن بالطريق الشرعي فصفت نفسه وصقلت مرآته وانتقش فيها صور العالم كله الروحاني وإلى حد الطبيعة التي دون النفس يصل أهل الفكر وما ينتقش فيهم مما فوقها إلا من يكون سلوكه على الطريق المشروع فإذا وصل هذا السالك على طريق الشرع انتقش فيه ما في اللوح المحفوظ فيرى مرتبة الشرائع ويرى نفسه وحظه ونصيبه وغايته من العالم فيعمل بحسب ما يراه فيرتفع بالطلب إلى الوجه الخاص به فيأخذ عن الحق أخذ إلهام وأخذ تجل وأخذ تزيه وأخذ تشبيه ويعاين سريان الوجود في الممكنات ويعلم عند ذلك لمن الحكم فيما ظهر ومن هو الظاهر الذي تظهر فيه هذه الأحكام والاختلافات الروحانية والطبيعية فإذا نطق هذان الشخصان علم الكامل من الرجال الفرق بين الشخصين وعلم من أين أتى كل واحد منهما ولماذا نقص السالك بفكره عن رتبة المشرع فصاحب الفكر لا يزال أبداً منكوس الرأس منتظراً ما يأتيه به الإمداد الروحاني وصاحب الشرع لا يزال منكوس الرأس حياء من التجلي الإلهي في أوقات كما لا يزال شبه الحائر الواله البهوت إذا رآه في كل شيء فلا ينطق إلا به ولا ينظر إلا إليه ولا يعلم أن ثم عيناً سواه فيطلبه الملاء الأعلى والأرواح العلى والأفلاك الدائرة المتحركة والكواكب السابحة لتوصل إليه ما أمنت عليه مما يستحقه عليها فلا تجد من يأخذ عنها بطريق الاعتبار والأدب فتؤدي ذلك أداء ذاتياً ويأخذه منها ما بقي من نشأته أخذاً ذاتياً وهو غائب بربه عن هذا كله فإذا رد إلى رؤية ذاته رأى جميع ما أعطاه العالم كله أعلاه وأسفله مما هو له وهو أمانة عندهم فشكر الله على ذلك وعلم أن كل ما في الكون مسخر له ولأمثاله ولكن لا يعلمون فإذا حصل في هذا المقام رأى أن الذين أوتوا العلم على درجات يزدون بها على غيرهم من أمثالهم ويرى أن أمثاله بمثابته ولا علم لهم بذلك فيفرح بذاته ويحزن لهم حيث هم في مقام واحد معه ولا يشعرون بذلك وأنه ما فضل عليهم إلا بالعلم به وبهم وبما هو الأمر عليه ولما ارتقى هذه الدرجات ارتقاء كشف وتحقيق ومعاينة يقينية طلب من أين له هذه الدرجات التي ارتقى فيها واختص دون أكثر أمثاله بما فتجلى له الحق عند ذلك في اسمه رفيع الدرجات وأنه الملقى من هذه الدرجات الروح على من يشاء من عباده فعلم أنه ممن شاء من عباده فقابل الدرجات بالدرجات فإذا هي عينها لا غيرها ورأى تلك الدرجات في العالم كله وأنه فيها فأخذ يظهر للعالم بها والعالم لا يشعر فيخاطب كل إنسان من حيث هو من درجته التي له فيقول هذا معي وعلى هذا مذهبي واعتقادي فلا ينكره أحد من العالم ولا ينكر هو أحداً من العالم مع لزوم الأدب الإلهي ولا يلزم الأدب إلا صاحب المقام ومقام أن لا مقام مقام وأما صاحب الحال فقد يظهر عليه من هذا لنقصه ونزوله عن صاحب المقام ما يؤدي الناظر فيه إلى معرفته به فالكامل ينصبغ بكل صورة في العالم ويتستر بما يقدر عليه فإن كان ثم من رآه في صورة قد اختلفت عليه لأجل اختلاف الخلق اعتقد فيه عدم التقييد الذي هو عليه هذا الناظر فقال بكفره وزندقته وما علم من أين أتى عليه فينبغي لصاحب هذا المقام أن لا يظهر لشخصين في صورة واحدة أبداً كما لا يتجلى الحق

لشخصين في صورة واحدة أبداً فإن الدرجات في الدرجات فإن كفره وزندقته من ير اختلاف الصور عليه فلذلك جهل منه وحسد فيكون ما ينسبه إليه على صورة ما ينسبه إلى الله جل وعلا من صاحبة والولد والشريك وما نزه الحق نفسه عنه فهذا لا يؤثر في صاحب هذا المقام بل هو على كماله وذلك الواقع فيه من المفتريين فإنه ما حكم عليه إلا بما شاهد منه ويقول بلسانه عنه ما يعلم خلافه في نفسه ظلماً وعلواً كما قال تعالى ووجدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف عاقبة المفسدين وكذلك تكون عاقبة هذا

فدرجات الحق ما هو العالم عليه وصاحب هذا المقام قد تميز فيها حين ميزها فهو الإله الظاهر والباطن والأول في الوجود والآخر في الشهود والله غني عن العالمين فلا يدخله تنكير والإله يدخله التنكير فيقال له فاجعل بالك لما نبهتك عليه لتعلم الفرقان بين قولك الله وبين قولك إله فكثرت الآلهة في العالم لقبولها التنكير والله واحد معروف لا يجهل أقرت بذلك عبدة الآلهة فقالت ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وما قالت إلى إله كبير هو أكبر منها ولهذا أنكروا ما جاء به صلى الله عليه وسلم في القرآن والسنة من أنه إله واحد من إطلاق الإله عليه وما أنكروا الله ولو أنكروه ما كانوا مشركين فيمن يشركون إذا أنكروه فما أشركوا إلا بإله لا بالله فافهم فقالوا جعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب وما قالوا جعل الآلهة الله فإن الله ليس هم عند المشركين بالجعل وعصم الله هذا اللفظ أن يطلق على أحد وما عصم إطلاق إله ولقد رأيت بعض أهل الكفر في كتاب سماه المدين الفاضلة رأيت به يد شخص بمشرقة الزيتون ولم أكن رأيت قبل ذلك فأخذته من يده وفتحته لأرى ما فيه فأول شيء وقعت عيني عليه قوله وأنا أريد هذا الفصل أن ننظر كيف نضع إلهاً في العالم ولم يقل الله فتعجبت من ذلك ورميت بالكتاب إلى صاحبه وإلى هذا الوقت ما وقفت على ذلك الكتاب فمن كان ذا بصيرة وتنبه فليفتن لما ذكرناه فإنه من أنفع الأدوية لهذه العلة المهلكة فاسم الإله من الدرجات المذكورة فلا بد منه إذ لا بد من الدرجات ومن هذا الباب قول السامري هذا إلهكم وإله موسى في العجل ولم قل هذا الله الذي يدعوكم إليه موسى وقول فرعون لعلي أطلع على إله موسى ولم يقل إلى الله الذي يدعو إليه موسى عليه السلام وقال ما علمت لكن من إله غيري فما أحسن هذا التحري لتعلم أن فرعون كان عنده علم بالله لكن الرياسة وحبها غلب عليه في دنياه فإنه قال ما علمت لكم ولم يقل ما علمت للعالم لما علم أن قومه يعتقدون فيه أنه إله لهم فأخبر بما هو عليه الأمر وصدق في إخباره بذلك فإنه علم أنه ليس في علمهم أن لهم إلهاً غير فرعون ولما كان في نفس الأمر أن ثم درجات منسوبة إلى الله بالرفعة بكونه رفيع الدرجات كثر على وجه الاختلاف صور التجلي لهذا نطق السامري بقوله وإله موسى فإن التجلي الإلهي لا يكون إلا للإله وللرب لا يكون لله أبداً فإن الله هو الغني قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وهو سبحانه لا يتجلى لشخص في صورة واحدة مرتين ولا لشخصين في صورة واحدة فلماذا قال وإله موسى فإن تجليه للأنبياء مختلف الصور إحدى الحكم بأنه الإله في أي صورة تجلى ألا تراه في القيامة إذا تجلى ينكر ويعرف باختلاف الصور فإن قلت فقد رجع إلى الصورة حين أنكروا حتى يعرف فقلنا لو علمت قوله هل بينكم وبينه علامة فتلك العلامة هي الدليل لهم حيثما رأوها عليه علموا أنه ربهم فسميت صورة تلك العلامة إذ كل معلوم ينطلق عليه اسم الصورة فبالعلامة عرفوه لا أنه كرر عليهم الصورة وإنما كانت تلك الصورة هي العلامة فدرجات الحق ليست لها نهاية لأن التجلي فيها وليس له نهاية فإن بقاء العالم ليس له نهاية فالدرجات ليست لها نهاية في الطرفين أعني الأزل والأبد اللذين ظهرا بالحال وهو العالم فلو زال العالم لم يتميز أزل من أبد كما هو الأمر عليه في نفسه فما ثم بدء في حق الحق ونفى البدء في حقه درجة من درجاته التي ارتفع بها عن مناسبة العالم ودرجات العالم التي هي عين درجاته لا يتناهى أدبها وإن كان نزول العالم في

درجة منها فتلك الدرجة في بدء العالم لا أن الدرجات لها ابتداء بل ظهور العالم فيها له ابتداء واعلم أن الحق من حيثما تميز عن الخلق كان برزخاً بين الدرجات وبين الدرجات فإنه وصف نفسه بأن له يدين وما بين اليدين برزخ فما كان على اليمين هو درجات الجنة لأهلها وما كان على اليد الأخرى درجات النار لأهلها فنسبة السفلى إليه نسبة العلو لأنه مع العباد أينما كانوا فهو معهم في درجاتهم وهو معهم في درجاتهم كما يليق بجلاله واعلم أنه من الدرجات درجة المغفرة وهما درجتان الواحدة ستر المذنبين عن أن تصيبهم عقوبة ذنوبهم والدرجة الأخرى سترهم عن أن تصيبهم الذنوب وهذا الستر هو ستر العصمة فقال في الستر الواحد من المغفرة وقهم عذاب الجحيم وقال في الستر الآخر من المغفرة وقهم السيئات وما ثم للمغفرة ستر آخر فالستر الحائل بين المذنب والعذاب ستر كرم وعفو وصفح وتجاوز والستر الحائل بين العبد والذنوب ستر عناية إلهية واختصاص وعصمة يوجب ذلك خوفاً أو رجاء أو حياء كما جاء في صهيبي نعم العبد صهيبي لو لم يخف الله لم يعصه فسبب عصمته من وجود المعصية خوفاً ولو لم يكن الخوف لمنعه الحياء من الله تعالى أن يجري عليه لسان ما يسمى ذنباً في حق من كان ولو لم يكن ذنباً في حقه لكونه ما أقيم إلا فيما أبيح له وهذه غاية العناية والعصمة من التصرف في المباح وأعظم المعاصي ما يعميت القلوب ولا تموت إلا بعدم العلم بالله وهو المسمى بالجهل لأن القلب هو البيت الذي اصطفاه الله من هذه النشأة الإنسانية لنفسه فغصبه فيه هذا الغاصب وحال بينه وبين مالكه فكان أظلم الناس لنفسه لأنه حرّمها الخير الذي يعود عليها من صاحب هذا البيت لو تركه له فهذا حرمان الجهل غير أن هنا نكتة ينبغي التنبيه عليها وذلك أن صاحب القلب الذي يرى أنه وسع القلب ربه دون سائر نشأته يتزل عن درجة من يرى أن الحق عين نشأته من غير تخصيص إذ كان الحق سمعه وبصره وجميع قواه فما اختص منه بشيء دون شيء فصاحب القلب مراقب قلبه وصاحب الحالة الأخرى يحكم بربه على كل شيء استتر فيه ربه عن ذلك الشيء وهو مشهوداً صاحب هذه الصفة في ذلك الستر فيعامله بما يوحى إليه به فإن أوحى إليه بالكشف عنه اعتناء من الحق بهذا المستور عنه كشفه له وأعرب له عن نفسه وعرفه ما هو الحق منه وإن أوحى إليه بإبقاء الستر عليه أبقاه ولم يظهر له شيئاً مما هو في نفسه عليه هذا المستور فيحكم صاحب هذه الصفة على صاحب القلب ولا يحكم عليه صاحب القلب لشغله بحراسة قلبه الذي هو بيت ربه لئلا يدخل فيه غير ربه فإنه الحفيظ البواب فإذا فهمت هذا فانظر أي الرجلين تكون ولهذا أهل المراقبة لا يزالون في الحجاب عن التصرف في الكون وهم أهل الحدود في الله فإذا ارتفعوا عن مراقبة قلوبهم فهو أعظم الحجب وإذا تعدوا في مراقبة قلوبهم مراقبة العالم بأسره اتسع عليهم المجال ولكن ما لهم حكم صاحب ذلك الوصف الذي ذكرنا فإنهم مراقبون إياه لكونه مراقباً إياهم لأنه على كل شيء رقيب فقابلوا الحفظ بالحفظ مقابلة الأمثال بالموازنة والمطابقة فكما راقبهم بعينه راقبه هذا المراقب بعينه أيضاً ومن كان حقاً كله في نفسه وفي العالم خرج عن صفة المراقبة فإنها مقام سلوك ومحجة فإذا سلكت فيه به ومنه إليه لم يكن ثم من يراقب إذ لا خوف في ذلك الطريق من مانع يمنع السالك فيه فهو سلوك لا مراقبة فيه ويتضمن هذا المتزل من العلوم علم إسبال الستور وعلى من تسبل فقد يسبل الستر على جهة التعظيم كالحجاب والستر الذي وراءه الملك أو المخدرة ويسبل الستر أيضاً دون من لا يرتضي للكشف لما وراء الستر وقد تسبل الأستار رحمة بمن تسبل دونهم كالحجب الإلهية بين العالم وبين الله إبقاء عليهم لئلا تحرقهم السباحات الوجيهة فيتضمن علم لماذا تسدل وعلى من تسدل وفيه علم صور تركيب الكلام الإلهي مع أحديته من أين قبل التركيب وما هو إلا واحد العين ليفرق الإنسان العالم بين حقيقة الكلام وبين ما يتكلم به من له صفة الكلام فيعلم أن التركيب فيما يتكلم به لا يف الكلام وعلم هذا النوع من المعلومات علم عزيز لا يختص به إلا

العلماء بالله الذين سمعوا كلام الله في أعيان الممكنات وفيه علم القابل والمقبول منه والقبول الذي هو نعت القابل وهل يتنوع القبول لتنوع القابل أو لا أثر للقابل فيه وفيه علم الحدود الإلهية لماذا ترجع هل إليها في ذاتها أو إلى الله أو إلى الممكنات التي هي العالم وفيه علم صفات المنازعين الذين يعلمون الحق فيسترونه مثل الفقهاء الذين يلتزمون مذهباً لا يعتقدون صحته فيناظرون عليه مع علمهم بطلانه والخصم الذي يكون في مقابلته يأتي بالحق على بطلانه ويعلم هذا الآخر أن الحق بيد صاحبه فيرده ويظهر الباطل في صورة الحق على علم منه فهل يستوي هو ومن يظن في الباطل أنه حق فيذب عنه لكونه عنده أنه حق وما حكم هؤلاء عند الله يوم القيامة وهل لهم مستند إلهي أم لا وفيه علم الفرق بين الإنكار والجحد والكذب وهل هذا كله أمر عديم أو وجودي فإن كان وجودياً ففي أي مرتبة هو من مراتب الوجود هل يعمها كلها أو هو في بعضها وكذلك إن كان عديماً في أي مرتبة هو من مراتب العدم هل هو في مرتبة العدم الذي لا يقبل الوجود وهل ثم للعدم مرتبة لا يقبل الوجود بنسبة ما أو ما ثم عدم إلا ويقبل نسبة إلى مرتبة وجودية أو هو في مرتبة العدم الذي يقبل المنعوت به الوجود وهو العدم الممكن وفيه علم هم الأضعف بالأقوى بالسوء هل هو عن قوة حقيقية فما هو أضعف أو هل هو عن قوة متوهمة فهو في نفس الأمر أضعف ولا يعلم فما الذي يحجبه عن ضعفه وفيه علم من جهل قدر الأمور وما تستحقه ما السبب الذي جعله يجهل ذلك حتى ظهر منه ما لا ينبغي وفيه علم مراتب الملائكة فيما يذكرون العالم به عند الله إذ لهم القرب الإلهي وهم الوسائط بين الله وبين خلقه وهم في الوسط في شهادة التوحيد في قوله شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة أولو العلم وفيه علم المفاضلة في كل شيء بين الله وبين خلقه وفيه علم ما ينتجه الاعتراف بالحق عند الله وفيه علم الحكم بالاختيار هل يقدح في العدل أم لا وفيه علم الفرق بين من علم الشيء عن جهل وبين من علمه عن نسيان وما صفة أهل التذكر من صفة غيرهم وفيه علم الإخلاص ممن أوفى حق من وفيه علم ما يكره وما يحب وهل عين ما يكرهه زيد هو عين ما يحبه عمرو أم لا وفيه علم ما ينفرد به الحق دون الخلق هل يعلم ذلك أم لا وهل يمكن الوصول إليه بعناية إلهية من تعريف أم لا وما المانع إن امتنع ذلك وفيه علم منزلة الإمام العادل ومرتبته وفيه علم أحوال المحجوبين عن الله بالظلمة دون النور وعلم المحجوبين عن الله بالنور دون الظلمة وعلم المحجوبين عن الله بالنور والظلمة معاً وهل هذه الحجب رحمة بالمحجوبين أو حجب بعد وفيه علم ما يتوجه على الأعضاء من التكاليف وفيه علم الاعتبار والتفكر وفيه علم تأييد أهل العناية الإلهية بماذا يؤيدهم وفي أي موطن يؤيدهم وما السبب الموجب لتسليط أعدائهم عليهم وتمكنهم منهم ولماذا استند المعتدي عليهم هل يستند لأمر وجودي نفسي وفيه علم ما أنت إذا رأيته قلت فيه أنه حق ثم تقول فيه أنه باطل حق ثم تقول فيه أنه لا باطل ولا حق ثم تقول فيه لا أدري ما هو فعوده إلى الجهل به هل هو عين العلم بذلك الأمر أو يمكن الوصول إلى العلم به ولكن هذا ما وصل فنطق بنعته لا بنعت ما تكلم فيه وفيه علم الإنصاف من غير تعصب وما حضرته وتسكين الغضب من الغاضب بلطف من المسكن لا بقهر فإن القهر لا يسكن الغضب وإنما يخفي حكمه لسلطان القهر عليه وفيه علم إحاطة الملائكة بالعالم يوم يصفون وهم اليوم على تلك الصورة وعلم الفرق بين حكمهم فينا اليوم وبين حكمهم في ذلك اليوم والصفة واحدة من الإحاطة ولماذا ينادي هناك بعضهم بعضاً وهنا ليس كذلك إلا في مواطن مخصوصة لأن القيامة على صورة الدنيا سواء غير أن الحاكم هنالك هو الواحد بارتفاع الوسائط وهنا هو الحاكم الواحد بعينه لكن بالوسائط ليفرق بين الدارين كما فرق بالجنة والنار بين القبضتين وفيه علم من تحكم على الله من أين تحكم وما الذي أجرأه على ذلك هل صفة حق أو صفة جهل وفيه علم العناية الإلهية بالجبارين المتكبرين وفيه علم ما عصم الله من الأسماء الإلهية لماذا عصمته وما لم يعصمه من الأسماء الإلهية كاسمه الأحد ولا يتجلى في هذا الاسم ولا يصح التجلي فيه ولا في

الاسم الله وما عدا هذين الاسمين من الأسماء المعلومات لنا فإن التحلي يقع فيها وفيه علم الحركة في عين السكون وفيه علم الاشتراك بين المؤمن والعالم في أي حضرة يكون ذلك وبماذا يتميزون وهل ينال المؤمن درجة العالم وما يقبله من جهة الخبر الصادق هل يلحق بذلك درجة العلماء أم لا وهل الدليل على تصديق الرسل في ادعائهم أنهم رسل ينسحب في الدلالة على ما جاءوا به من الأخبار والأحكام أو يفتقرون إلى دليل آخر أو يكونون علماء مع كونهم مقلدين وفيه علم الدور في كون الداعي يكون مدعواً لمن دعاه بحكم التعارض وفيه علم حكم طلب النجاة في العالم كله بالطبع ولكن تجهل ومن هو الصنف الذي يعلمها من العالم وما هي النجاة وفيه علم علامة كل داع وما يدعو إليه من الأسماء الإلهية وفيه علم الوقت الذي يلقي الإنسان فيه ما في يده ولا يعتمد عليه ويسلم إلى الله جميع أموره وفيه علم الجين وإعادة السهام على راميها وقد عاينت هذا النبأ بمدينة تلمسان من عالم بصنعة الرمي وإنشاء القسي والنبال فرأيت أنه يرمي بالسهم فإذا انتهى السهم إلى مرماه عاد إلى الرامي

وحده فكان ذلك لي عبرة في كون الأعمال ترجع إلى عاملها وفيه علم ما يتزلزله الزمان وليس بزمان وفيه علم التنازع بعد حكم الحاكم وما سببه إذ لا أثر له في رد الحكم وفيه علم مراتب الشهود من الحاكم وترك الحاكم حكمه بما يعلم ويحكم بقول الشهود وما سبب وضع ذلك في العالم ولكن ليس ذلك عندنا إلا في الأموال لا في النفوس ولا في إقامة الحدود وفيه علم ما لا يجوز تأخير لمسيس الحاجة إليه وما فائدة البيان الذي وضع لحصول العلم ويترك الحكم به وفي أي النوازل يكون ذلك ومن هو على الصواب في هذه المسألة هل من يقول أنه يحكم بعلمه أو المخالف وعندي في هذه المسألة لو كنت عالماً بأمر ما وشهد الشهود بخلاف علمي ولا يجوز لي أن أحكم بعلمي إذا كنت ممن يقول بذلك استنبت في الحكم من لا علم له بالأمر وتركت الحكم فيه وهذا هو الوجه الصحيح عندي والذي أعمل به وإن كان في النفس منه شيء وهذا عندي في الحكم في الأموال وأما الحكم في الأبدان فلا أحكم إلا بعلمي إذا علمت البراءة فإن لم تكن البراءة وعلمت صدق المفترى حكمت بالشهود وتركت علمي وعلم سبب هذا الذي ذهبت إليه يتضمنه هذا المتزل وفيه علم ما يفضل به العالم على الإنسان وهو أن له عليه ولادة وفيه علم مسمى الساعة وفيه علم هل يصح التكبر من العالم على الله أم لا وفيه علم ما تطلبه الأشياء من الأمور طلباً ذاتياً هل يصح فيه حرق العادة فيكون بالجعل أم لا وإن انخرقت فيه العادة فما محل حرق العادة هل في الطالب فيتبعه ما كانت تقتضيه ذاته أم لا وفيه علم حضرة تقرير النعم على المنعم عليه ما يكون من ذلك على جهة التعليم أو على جحده لذلك وفيه علم أصل حياة العالم الحسية والمعنوية هل ترجع إلى أصل واحد أم لا وهل في الطبيعة حياة حتى تعطي الحياة الحسية أم لا وفيه علم النشأة الإنسانية الدنياوية وأحوالها في مدة بقائها في هذه الدار وما يؤول إليه أمرها من حيث جسميتها بعد الموت وفيه علم الموت والحياة هل ذلك نسبة أو عين موجودة تظهر في مواطن مختلفة وحكم المميت هل يميت بموت فيكون سبباً أو يميت فقط وكذلك الحياة فيكون عين الميت عين الموت بحكم المميت وفيه علم القضاء وفضله عن القدر وفيه علم كون الآية التي يأتي بها الرسول ليست بشرط ولا يجب عليه الإتيان بها وفيه علم مراعاة الله عبادته مع سوء أدبهم مع الله وفيه علم عموم نفع الإيمان في الآخرة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الخامس والأربعون وثلاثمائة في معرفة منزل سر الإخلاص في الدين

وما هو الدين ولماذا سمي الشرع ديناً وقول النبي صلى الله عليه وسلم الخير عادة

لكل شخص من القرآن سوره

وسورتي من كتاب الله تنزيل

أتى بها الملاء العلوي يقدمه

عند التنزل مكيال وجبريل

أتى بها تنتهي لنا معافها

وفي جوانبها هدي وتضليل

إذا نظرت ترى في آيها عجباً

نار ونور وتنزيه وتمثيل

بكر النواظر في أجفانها دعب

لم يقتزع طرفها بكحله الميل

تجلى لنا هذه السورة بمدينة حلب وقيل لي لما رأيتها هذه سورة لم يطمئنها إنس ولا جان فرأيت لها ومنها ميلاً عظيماً إلى جانبي وقد مثلت لي في شبه هذا المنزل الذي كنت دخلته قبل ذلك ثم قيل لي هي خالصة لك من دون المؤمنين فلما قيل لي ذلك فهمت الإشارة وعلمت أنها ذاتي وعين صورتي لا غيري فإنه ما لموجود شيء مخلص له ليس لغيره قديمه وحديثه إلا ذاته خاصة فقلت ها أنا ذا فعلت عند ذلك معنى التخليص وعلمت ما تلي علي فيما أنزل علي من القرآن عند التلاوة وذلك أنه لما نزل الإلهام بتلاوة سورة الإخلاص رزقت عين الفهم في تسميتها بهذا الاسم دون غيرها من السور فإنها كلها نسب الله وصفته وهي عين مجموع العالم ففهمت الإشارة بها في أن العالم مع كونه هو الحق المبين من حيث مجموعه لا من حيث جزء جزء منه فتخلص النسب لله من حيث ذاته فهذا المجموع هو في الحق عين واحدة وهو في العالم عين الحق المبين قالت طائفة من الأمة اليهودية أنسب لنا ربك فنسبه لمجموع العالم بما نزل عليه من الله تعالى في ذلك فقيل له قل هو الله أحد فنعتة بالأحادية ولكل جزء من العالم أحادية تخصه لا يشارك فيها بما يتميز ويتعين عن كل ما سواه مع ما له من صفات الاشتراك ثم قيل له الله الصمد وهو الذي يصمد إليه في الأمور أي يلجأ والأسباب الموضوعة كلها في العالم يلجأ إليها ولهذا سميت أسباباً لتواصل مسيبتها إلى الصمد الأول الذي إليه تلجأ الأسباب لم يلد وهو العقيم الذي لا يولد له وبهذه الصفة نعت الريح بالعقيم لأنه من الرياح ما هي لواقع ومنها ما هي عقيم ولم يولد آدم عليه السلام فإن الولادة معلومة عند السائلين فخطبوا بما هو معلوم عندهم ولم يكن له كفواً أحد أراد بالكفو هنا صاحبة لأجل مقال من قال أن المسيح ابن الله وعزير ابن الله والكفاءة المثل والمرأة لا تماثل الرجل أبداً فإن الله يقول وللرجال عليهن درجة فليست له بكفو فإن المنفعل ما هو كفو لفاعله والعالم منفعل عن الله فما هو كفو لله وحواء منفعة عن آدم فله عليها درجة الفاعلية فليست له بكفو من هذا الوجه ولما قال أنه للرجال عليهن درجة لم يجعل عيسى عليه السلام منفعلاً عن مريم حتى لا يكون الرجل منفعلاً عن المرأة كما كانت حواء عن آدم فتمثل لها جبريل أو الملك بشراً سوياً وقال لها أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً فوهبها عيسى عليه السلام فكان انفعال عيسى عن الملك الممثل في صورة الرجل ولذلك خرج على صورة أبيه ذكراً بشراً روحاً فجمع بين الصورتين اللتين كان عليهما أبوه الذي هو الملك فإنه روح من حيث عينه بشر من حيث تمثله في صورة البشر فسمى هذه السورة سورة الإخلاص أي خلص الحق للعالم من التنزيه الذي يرهن عليه العقل وخلصه العالم بمجموع هذه الصفات في عين واحدة وهي أعني هذه الصفات مفرقة في العالم لا يجمعها عين واحد فإن آدم عليه السلام أكمل صورة ظهرت في العالم ومع هذا نقصه لم يلد فإنه أحد صمد لم يولد ولم تكن له حواء كفواً فخلصت هذه السورة الحق من التشبيه كما خلصته من التنزيه فإذا فهمت ما أشرنا إليه فاعلم أن سر الإخلاص هو سر القدر الذي أخفى الله علمه عن العالم لا بل عن أكثر العالم فميز الأشياء بحدودها فهذا معنى سر

القدر فإنه التوقيف عينه وبه تميزت الأشياء وبه تميز الخالق من المخلوق والمحدث من القديم فتميز المحدث بنعت ثابت يعلم ويشهد وما تميز القديم من المحدث بنعت ثبوتي يعلم بل تميز بسلب ما تميز به المحدث عنه لا غير فهو المعلوم سبحانه المجهول فلا يعلم إلا هو ولا يجهل إلا هو فسبحان من كان العلم به عين الجهل به وكان الجهل به عين العلم به وأعظم من هذا التمييز لا يكون ولا أوضح منه لمن عقل واستبصر وأما الإخلاص في الدين فهو الجزاء الوفاق فما ثم الأجزاء وفاق لا ينقص ولا يزيد فإن الله جعله جزاء وفاقاً إنباء عن حقيقة لأن المجازي لا يمكن أن يقبل ما لا يعطيه استعداداه وباستعداداه قبل ما ظهر عليه من الدين الذي يطلب الجزاء فيه بعينه أعني الاستعداد قبل الجزاء فكان الجزاء وفاقاً والأجزاء ما هو إلا للعمل ولا يأخذه العامل إلا من عمله ولهذا قيل أن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهو الصحيح فإنه يصدر من العاملين عمل من غير قصد ما رآته عين ولا سمعته أذن ولا خطر على قلبه إلا عند ما ظهر منه

رآته عينه عند ذلك وخطر له كما يرى ما في الجنة مما لم يره في الدنيا ولا سمع به ولا خطر على قلبه فلذلك هو الجزاء الوفاق لهذا النوع من العمل وهذا العمل هو من قوله تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون فأظهره في منزل لا يعلمه من جهة فكره ولا رآته عينه ولا سمعته أذنه أنه يقام فيه فيكون جزاءه ما ذكره في الجنة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فخلص الجزاء لهذا العمل بصفة الوفاق وهذا من سر القدر ولما كان الدين هو عمل الخير والدين العادة ذكر عليه السلام أن الخير عادة وهذا الذكر بشارة من عالم بالأمور وهو الرسول صلى الله عليه وسلم بأن النفس خيرة بالذات وما تقبل الشر إلا لاجبة من القرين بما يلج عليها به فلم يجعل الشر من ذاتها فقال صلى الله عليه وسلم الخير عادة والشر لاجبة ولما ألح القرين على النفس ولج بالشر الذي هو عين مخالفة أمر الله ونهيه وضاعت منافستها من هذا الإلحاح واللجاج أوحى الله إليها بل كلمها من الوجه الخاص الذي لا يعرفه الملك بأن تقبل منه ما ألح عليها به من الشر فرأى الحق فيها استيحاشاً وخوفاً من المكر الإلهي فأشهدتها حضرة التبديل وأشهدتها مآل المكلفين إلى الرحمة وتلا عليها يبدل الله سيئاتهم حسنات وتلا عليها في المسرفين لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً فأزال وحشتها وقبلت من القرين الشر الذي جاء به إليها فسر بما وقع منها من القبول لجهله بعموم الرحمة وعموم العفو والمغفرة وأن الله ما جعل العفو إلا لهذا الصنف الذي يتلقى من الشيطان القرين ما جاء به من الشر وما علم أن الله قد جعل النفس في قبولها شر القرين باللجاج والإلحاح منزلة المكروه والمكره غير مؤاخذ فسمى الشر لاجبة بشارة إلهية لا يشعر بها كل أحد وجعل الخير عادة فإن النفس بالذات خيرة لأن أباه الروح القدسي الطاهر فطبعها الخير لا غيره وأما هذه الصورة المسواة من هذه الأخلاط فأول قبول ظهر فيها قبول السواء والعدل وهو قوله فسواك فعدلك وقبول العدل عين الخير وقبلت بالأصالة هذه النشأة مجاورة الأضداد وهي الأخلاط ومن عادة الضد المنافرة عن ضده ولم يوجد هنا تنافر فدل على خيرية الأصل ثم قبولها بعد التعديل والتسوية لنفخ الروح القدسي فكان أول قبول قبلته على ما زاد على نشأتها نفخ هذا الروح الخير الطاهر المطهر فلها كان الخير لها عادة بالطبع الذي طبعت عليه ولهذا ترجع في المآل إلى أصلها منها ما ذكرناه من قبول الخير فتلحقها الرحمة في المآل كما كان وجودها عين الرحمة فحتم الأمر بما به بدأ والخاتمة عين السابقة ومما يؤيد ما ذكرناه أن أول نشأة إنسانية التي كانت أصل النشآت الإنسانية كانت في غاية التقديس وأوج الشرف بكونها مخلوقة على الصورة الإلهية فلم يظهر عنها إلا المناسب فكما كان المناسب لها مع وجود المخالفة التي تعطىها حقائق الأسماء الإلهية المقابلة أن لا يتطرق إليها لمخالفة بعضها بعضاً لسان ذم كذلك ما ظهر من المخالفة في هذه النشأة الإنسانية لا يتطرق إليها في المآل تسرمد عذاب فإن الأصل يحميها من ذلك وهو الصورة فكانت مجبورة في مخالفتها فلا بد من

المخالفة لأنه لا بد من تقابل الأسماء في الذي خلقت على صورته فالنافع ما هو الضار ولا المعطي هو المانع ولا بد من ظهور هذه الحقائق في هذه النشأة حتى يصح كمال الصورة فالطائع يقابل العاصي والمشارك يقابل الموحد والمعتل يقابل المثبت والموافق يقابل المخالف من إمداد الأسماء الإلهية وهو قوله كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك يعني الطائع والعاصي وأهل الخير والشر وما كان عطاء ربك محظوراً أي ممنوعاً لأنه يعطي لذاته والمحال القبول تقبل باستعدادها واستعدادها أثر الأسماء الإلهية فيها ومن الأسماء الإلهية الموافق والمخالف مثل الموافق الرحيم والغفور وأشباهه ومثل المخالف المعز والمذل فلا بد أن يكون استعداد هذا المحل في حكم اسم من هذه الأسماء فيكون قبوله للحكم الإلهي بحسب ذلك فإما مخالف وإما موافق ومن كان هذا حاله كيف يتعلق به ذم ذاتي والأعراض لا ثبات لها فالخير في الإنسان ذاتي وهو الذي يبقى لها حكمه والشر عرضي فيزول ولو بعد حين قال تعالى ولتعلمن نبأه بعد حين وهذا مثل قوله يا عبادي فأضافهم إلى نفسه كما أضاف إلى نفسه نفوسهم في خلقها فقال ونفخت فيه من روحي وكلاً نمد هؤلاء

وهؤلاء من عطاء ربك ثم قال الذين أسرفوا على أنفسهم والإسراف كرم عام خارج عن الحد والمقدار وكذا قال في الإنفاق لم يسرفوا ولم يقتروا أي لم يوسعوا ما يخرج عن الحاجة ولم يقتروا لم ينقصوا مما تمس إليه الحاجة لا تقنطوا من رحمة الله فإنها وسعت كل شيء وأنتم من الأشياء وقد عرفتم كيف أنشأتكم ومن أي شيء أنشأتكم من روح مطهرة وطبيعة موافقة قبل طائفة غير عاصية ولا مخالفة إن الله يغفر الذنوب جميعاً فما أبقي منها شيئاً فبأي شيء يسرمد عليهم العذاب ولا يكون إلا جزاء وفاقاً وقد غفر وما غفر له فلا حكم له فإن الذي غفر له هو الغفور الرحيم والغفور الرحيم لذاته فلا يرح من حين له يغفر مغفوراً له لا يعود إليه حكم الذنب لأن الحافظ هو الغفور الرحيم فلو أزاله وغفره غير هذا الاسم وأمثاله أمكن أن لا يثبت لعدم الحافظ له فتنبه لما أعلمناك به فإنه من لباب المعرفة واعلم أن الكمل من رجال الله الخلفاء في العالم الذين عبدوا على المشاهدة لا على الغيب هم الذين تكون لهم الرؤية الإلهية جزاء لا زيادة ومن نزل عن هذا الكمال هو الذي تكون له زيادة على الجزاء في قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وهو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وزنت فارجح لما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان عليه فلما وزنه قال للذي بيده الميزان أرجح ليزيد له على ما يستحق لما رأى أن الحق قد ذكر الزيادة على المعاوضة وقال في هذا المقام أحسنكم أحسنكم قضاء فهذا هو الإخلاص في الدين الذي هو الجزاء وهنا يظهر معنى قوله صلى الله عليه وسلم وأعوذ بك منك لأنه لما نطق صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة به بضمير الخطاب من غير تعيين اسم لم يجد له مقابلاً لأنه ما عين اسماً فلم يجد من يستعيذ منه فرأى نفسه على صورته فقال منك فاستعاذ بالله من نفسه لأن النفس الذي هو المثل وردت في القرآن مثل قوله فلا تركوا أنفسكم أي أمثالكم وقال صلى الله عليه وسلم لا أزكي على الله أحداً وقال كخيفتكم أنفسكم أي أمثالكم فيتوجه قوله وأعوذ بك منك إن الكافين واحدة ويتوجه أن الكاف في منك تعود على المثل وهو نفس المستعيذ فإنه خليفة محصل للصورة على أتم الوجوه فاستعاذ بالله من نفسه لما يعلمه من المكر الخفي الإلهي فإنه ما أظهر الصورة المثلية في هذه النشأة على التشريف فقط بل هي شرف وابتلاء فمن ظهر بحكم الصورة على الكمال فقد حاز الشرف بكلتي يديه فإن الصورة الإلهية لا يلحقها ذم بكل وجهه ومن نقص عن هذا الكمال كان في حقه مكرراً إلهياً من حيث لا يشعر كما أن الخلافة في العالم ابتلاء لا تشريف ولهذا قال صلى الله عليه وسلم أنها في الآخرة مندمة لما يتعين على صاحبها من الحقوق التي يطالب بها يوم القيامة حتى يتمنى أنه لم يل أمراً من أمور العالم وقد جعلنا رعاة فقال كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فلكل شخص حكم من الصورة الإلهية فمن جمعت له الصورة بكمالها لم يسأل فإن الله

لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ومن لا ينطق عن الهوى لا يسأل عما يقول سؤال مناقشة وحساب ولكن قد يسأل سؤال استفهام لإظهار علم يستفيده السامعون كسؤال الحق رسله وهم لا ينطقون عن الهوى يوم يجمعهم فيقول ماذا أجبتم فيقولون لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب فيعلم أهل الموقف أصحاب الكشف أن الرسل هم أتم العالم كشفاً ومع هذا فما أطلعهم الله على إجابة القلوب من أمهم ولا إجابة من وصلت إليهم دعوتهم ولم يكونوا حاضرين ولا من كان حاضراً وأجابه بلسانه هل أجابه بقلبه كما أجابه بلسانه فإن قلت فقد سمع مع إجابة من أجابه بلسانه وما أجابه به قلنا القرائن الأحوال حكم لا يعرفه إلا من شاهدها وقد عرفنا من عين جواب الرسل عليهم السلام أنهم فهموا عن الله عند هذا السؤال أنه أراد إجابة القلوب فإنهم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب فلو فهموا من سؤاله تعالى إجابة الأسئلة لفصلوا بين من سمعوا إجابته بإقراره بلسانه وبين من لم يسمعوا ذلك منه فلما ذكروا في الجواب الغيوب علمنا أن السؤال كان عن جواب القلوب واستفدنا من هذا أن الذي يكشف له ما يلزم أن يعم كشفه كل شيء لكن عنده استعداد الكشف لا غير فما جلي له الحق من أسرار العالم في مرآة قلبه أن كان معنى أو في مرآة بصره أن كان صورة كشفه ورآه لا غير فإن قلت فمن كان الحق بصره قد سمعتك تقول فيمن هذا حاله أنه يدرك كل مبصر في الكون ولا يغيب عن بصره شيء لأنه ناظر بحق قلنا صدقت ولكن فرق ما بين المقام والحال والأحوال لا بقاء لها وهذا حال فعند حصوله صح له هذا الكشف في ذلك الزمان ولما رفع عنه رجع ينظر بعين خلق بإمداد حق لا يحق فيكون حكمه حكم خواص الخلق له الكشف الجزئي لا الكلي إذ لا يكشف إلا المعتاد الذي للعموم فإذا كشف كل مبصر في العالم كشفه على ما هو عليه في وقته فلما رفع عنه لم يعرف ما آل إليه أمر تلك المبصرات في زمان رفع هذا الكشف هل بقوا على ما كانوا عليه أو هل انتقلوا عن ذلك وطلب الله منهم العلم بذلك لقولهم لا علم لنا والجواب بالظنون لا يليق ثم تمموا فقالوا إنك أنت علام الغيوب ففقدوه بالغيوب فإنه في يوم تبلى فيه السرائر والسرائر غيوب العالم بعضهم عن بعض فعلمنا الحق بهذه الآية التأدب مع أصحاب الكشف وأن نعلم مراتب الكشف لئلا نزل صاحب الكشف فوق منزلته ونطلب منه ما لا يستحقه حاله فنتعبه ولا نغدره ونصفه بالجهل في ذلك ولا علم لنا بأننا جهلنا فتكون جهالتان وكما أن للملائكة مقامات معلومة كذلك للبشر مقامات معلومة منها يكون المزيد لهم لا يتعدونها وإن زادوا علماً فمن ذلك المقام وهو المقام الذي يكون فيه عند آخر نفس يكون منه ويفارق الروح تركيب هيكله المسمى موتاً فمن ذلك المقام يكون له المزيد ولهذا يقع التفاضل بين الناس في الدار الآخرة ويزيد الله الذين أوتوا العلم وهم مؤمنون على المؤمنين الذين لم يؤتوا العلم درجات وبالمقامات فضل الله كل صف بعضه على بعض وفي هذا المنزل من العلوم علم العرش هل العرش الذي استوى عليه الاسم الرحمن هو العرش الذي يأتي عليه الله الحكم العدل يوم القيامة للفصل والقضاء الذي تحمله الثمانية أو هو عرش آخر وهل إن كان عرشاً آخر غير الذي استوى عليه فما معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يعني يوم الآخرة قال وهم اليوم أربعة وما هؤلاء الثمانية المنكرة هل كلهم أملاك أو ليسوا بأملاك أو بعضهم أملاك وبعضهم غير أملاك وهل العرش سريراً وهو ملك معين من الملك ما هو الملك كله لأنه فيه أتى للفصل والقضاء بين عبادته وعباده من الملك فلا بد أن يكون ملكاً معيناً وهل هذا العرش الذي يأتي عليه يوم القيامة هو ظلل الغمام التي يأتي فيها الله يوم القيامة أم لا والملائكة هي التي تأتي في ظلل من الغمام ويكون إتيان الله مطلقاً من هذا التقييد وفيه علم نهاية سطح العرش هل له فوقية أم لا وما معنى له حول وما معنى الاستواء عليه إذا لم يتصف بأن له فوقاً فإنه نهاية الجسم فلا خلاء ولا ملأ بعده وهذا كله إذا كان العرش سريراً أو ملكاً خاصاً من العالم فإن كان العرش عبارة عن العالم كله لا عالم

الأجسام كان له حكم آخر ليس هذا حكمه هذا كله يتضمنه هذا المنزل ويحتاج إلى العلم به ليعلم الأمر على ما هو عليه وفيه علم اختلاف الاستواء باختلاف الأدوات الداخلة وبعدهم الأدوات وفيه علم اختلاف الجماعات ولم يكن الكل جماعة واحدة وبماذا تميزت جماعة من أخرى وما الصفة التي عدتها كل جماعة حتى تفرقت الجماعات ولم تفرق إلى آحاد وفيه علم أول قوة يكون لها الحكم عند البعث من قوى الحس وهل يتقدمها حكم قوة أخرى من قوى الحس قبل البعث أم لا وفيه علم انتشار الروح الإلهي على الأجسام كلها وفيه علم أحوال حكم الله يوم القيامة في الخلق وبأي اسم يتجلى في ذلك اليوم وفيه علم القوة الإلهية والنشر والطبي في أي أوان يكون وهل يتقدم بعث العالم أو يتأخر فإن تأخر فأين يكون العالم عند ذلك وهل تجتمع الملائكة والبشر في صعيد واحد في ذلك اليوم أم لا وفيه علم منزلة من وصف الحق بأوصاف الخلق من الذم ومبلغه من العلم في ذلك وفيه علم تأديب الصغير والكبير وهو قول إياك أعني فاسمعي يا جاره وفيه علم الأدوات في ترتيب الخطاب وما تفيد كل أداة منها واشتراك الأدوات في الصورة واختلافها في الحكم كلفظة لا فصورتها واحدة وهي من جملة الأدوات وأحكامها مختلفة بحسب الحضرة التي تتجلى فيها فيكون حكمه النفي ويكون النهي ويكون العطف وهكذا سائر الأدوات وهذا من علم البيان الذي علمه الإنسان وفيه علم الإيمان المذموم في الشرع وهل حكم الإيمان في نفسه حكم الشرع فيه أم لا وهل يعدل به عن حقيقته فيظهر له تجل في غير

حقيقته صورته فيسمى به الصورة التي انتقل إليها وفيه علم مراتب الكذب ومحموده من مذمومه وأين يجب استعماله وأين يحرم استعماله ومراتب المكذبين وفيه علم مرتبة الخنثى وهو الذي تنسب إليه الذكورة فيقبلها وتنسب إليه الأنوثة فيقبلها فهل هو ذكر أو أنثى أو لا ذكر ولا أنثى فإن الله قال خلق الذكر والأنثى فهل يتضمن هذا الخطاب الخنثى فإنه مخلوق ينسب إليه الأمران فيدخل تحت هذا الخطاب أو هو خارج عن هذا الخطاب ويدخل تحت قوله الله خالق كل شيء فإن الخنثى برزخ متوسط فإن اسم الحيوان ينطلق عليه ولا بد فإنه ليس من خصائص الإنسان كما أن الذكورة والأنوثة ليست من خصائص النوع الإنساني وفيه علم التهيؤ لانتظار الفجأت لأنه لا يدري بما يأتي وهذا مقام لم أر أحداً أتم مني فيه لله الحمد على ذلك وفيه علم العمل في اكتساب الأهم فالأهم وهو من الحزم وأين موطنه من موطن التراخي وفي ماذا يكون التراخي أولى من الحزم وما يحمد من الحزم مع كونه سوء الظن ويبتنى هذا على أمور كثيرة فهو علم شريف وفيه علم مآل العالم المكلف من الإنس والجان والذين هم الملائكة وهل يرتفع عنهم الخوف أم لا يزال يستصحبهم أبد الأبد وفيه علم التجلي في غير صورة العلم وفيه علم حجاب النعم ومتى هو الإنسان أتم حضوراً مع الله هل في حال الشدة أو في حال الرخاء ولأي حال هو الحمد العام والحمد الخاص وفيه علم اختلاف المحامد لاختلاف الأحوال وفيه علم الأنس بمن يقع الأنس هل بالمناسب أو بغير المناسب أو بمهما وفيه علم الاعتماد على الأسباب هل كله مذموم أو محمود ومنه ما هو مذموم ومنه ما هو سبب بوضع الحق وما هو سبب بوضع الخلق وفيه علم مراتب العلم بالموت وفيه علم نفي الوكالة من الخلق وفيه علم الكفاية ومن يكتفي وهل يصح الاكتفاء بمخلوق في أمر أم لا وفيه علم ما هو الإحسان ومن هو المحسن وعلم الإساءة ومن هو المسيء وفيه علم المثلين إذا تماثلا من جميع الوجوه المعنوية هل يصطحبان أم لا فإن الفائدة قد ارتفعت ما بينهما وهذه مسألة لا يتنبه إليها إلا منور البصيرة من لا يزال مع الأنفاس يستفيد ومن ليست له هذه الحالة فليس بإنسان كامل الإنسانية لأنه ما أعطي النظر إلا ليستفيد وفيه علم الفرق بين معاملة الله ومعاملة الخلق وهل تتساوى عند العامل المراقبة في المعاملتين أم لا ولا سيما عند من يرى أن الله قد جعل للعالم حقوقاً بعضها على بعض فیتعين على العامل مراقبة الخلق لأداء الحقوق التي أوجبه الله عليه لهم فهل ذلك من مراقبته فيكون ما راقب إلا الحق أو هل ذلك من

مراقبة الخلق فيرجع ذلك إلى استحقاق هذه الحقوق وهل استحقها العالم على هذا الشخص لذا هم أعني لذات المستحقين أو هل يستحقها يجعل الله فيعلم من هذا المتزل صورة الأمر على حقيقته من جمع أو تفصيل وفيه علم تفاضل طبقات العذاب والنعيم وفيه علم ضرب الأمثال ومن ينبغي أن يضرب له مثل ومن ينبغي أن لا يضرب له مثل لقوله فلا تضربوا الله الأمثال وهو قد ضرب الأمثال فقال أن الله يعلم كيف يضربها وأنتم لا تعلمون فباطل بهم الجهل بالمواطن فالعالم يقطع عمره في نظر ما ضرب الله له من الأمثال ولا يستبطل مثلاً من نفسه ولا سيما الله وما أظن يفي عمر الإنسان لتحصيل علم ما ضرب الله له من الأمثال وفيه علم من يبين عن الله هل يسمى هادياً أم لا فإنه مهدي بلا شك وفيه علم حال القرآن في التالين عن الله العارفين بتزله على قلوبهم وما يورثهم ذلك من القبض والبسط وأي الصفتين يتقدم حكمها في التالين بالحال أو في القبض أو البسط وفيه علم فضل العقل في العقلاء وما لب العقل هل حكمه حكم العقل أم لا فإن الله فرق الآيات فجعل آيات لأولي الألباب وآيات لقوم يعقلون فقيدهم من العقال وهو التقييد وفيه علم المقرب هل له حد عند الله في نفوذ عنايته أو تنفذ عنايته مطلقاً وفيه علم شرف اتباع ما شرع الله اتباعه من مكارم الأخلاق وفيه علم الربح والخسران لماذا يرجعان وفيه علم الحذر العقلي والحذر المشروع هل هو الحذر العقلي الذي يعينه العقل أم لا تعيين في ذلك إلا للشرع أو فيه ما جعل الله تعيينه للعقل فاكتمى به عن تعيينه في الشرع ومنه ما جعل الله تعيينه للشرع وفيه علم ما يكره وما لا يكره وفيه علم نشء الذرية لإنشاء الإنسان بما هو إنسان وفيه علم التداخل في الأشياء إذا كانت أحوالاً وأعراضاً كتداخل الرائحة واللون والسكون والعلم والجهل في الذات الواحدة في الزمن الواحد وفيه علم تعيين أنصبة الشركاء في الشيء وأنها إذا تعينت فليسوا بشركاء ولا بد أن يكون النصيب في نفس الأمر معيناً وإن وقعت الإشاعة فلجهل الشركاء في ذلك فإنه لا بد أن يتعين إذا وقعت القسمة إما في عين الشيء أو في قيمته فإذا لا تصح الشركة أصلاً لأن الأمور معينة عند الله في هذا الشيء المسمى مشتركاً فيه وقد ثبت اسم الشركاء عرفاً وشرعاً فلماذا يرجع ألا ترى إلى الذين اتخذوا مع الله شركاء في الألوهة هل لهم منها نصيب فإذا علمت أنه ليس لهم نصيب في الألوهة فما هم شركاء وقد سمو شركاء فيعلم أنه لا تصح الشركة في العالم أصلاً للاتساع الإلهي فلا يشترك اثنان فصاعداً في أمر قط فالذي عند هذا مثل لما عند هذا ما هو عين ما عند هذا وإن انطلق على ذلك اسم الاشتراك فنقول ما وقع به الاشتراك غير ما وقع به الامتياز وما ثم إلا الامتياز خاصة ما ثم اشتراك إذ ليس هذا الذي عند هذا هو عين الآخر عند الآخر فيعلم من هذا الكشف معنى إطلاق الشركة في العرف وان الشرع تبع العرف في ذلك ليفهم عنه لأنه جاء بلسان قومه وهو ما تواطؤا عليه ولهذا اختلف الناس في الرسول هل له وضع لغة في ذلك اللسان أو ليس له ذلك وفيه علم اختلاف تنزل الشرائع من الله باختلاف الأحوال والأزمان والأماكن والأشخاص والنوازل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب السادس والأربعون وثلاثمائة في معرفة منزل سر صدق فيه بعض العارفين

فرأى نوره كيف ينبعث من جوانب ذلك المنزل وهو من الحضرات المحمدية

ولا تبتدي واحكم بما أنزل الله

عجبت لمعصوم يقال له اتبع

مع الوحي والتحقيق ما ثم إلا هو

وكيف يرى المعصوم يحكم بالهوى

فكل هوى في عالم الخلق ساقط

ولكنه المرموز ولا يدرك السنا

وما يعلم المعنى الذي قد قصدته

ألا كل كون حرف لفظ محقق

إذا نظرت من عارف الوقت عيناه

وشاهد حال الوقت عن ذاك أعماه

وبينته إلا حلیم وأواه

ونسبتكم من ذلك الحرف معناه

اعلم أن هذا المنزل من منازل التوحيد والأنوار وأدخلني الله تعالى مرتين وفي هذا المنزل صرت نوراً كما قال صلى الله عليه وسلم في دعائه واجعليني نوراً ومن هذا المنزل علمت الفرقان بين الأجسام والأجساد فالأجسام هي هذه المعروفة في العموم لطيفها وشفافها وكثيفها ما يرى منها وما لا يرى والأجساد هي ما يظهر فيها الأرواح في اليقظة الممثلة في صور الأجسام وما يدركه النائم في نومه من الصور المشبهة بالأجسام فيما يعطيه الحس وهي في نفسها ليست بالأجسام واعلم أن مرتبة الإنسان الكامل من العالم مرتبة النفس الناطقة من الإنسان فهو الكامل الذي لا أكمل منه وهو محمد صلى الله عليه وسلم ومرتبة الكمل من الأناسي النازلين عن درجة هذا الكمال الذي هو الغاية من العالم منزلة القوى الروحانية من الإنسان وهم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ومنزلة من نزل في الكمال عن درجة هؤلاء من العالم منزلة القوى الحسية من الإنسان وهم الورثة رضي الله عنهم وما بقي ممن هو على صورة الإنسان في الشكل هو من جملة الحيوان فهم بمنزلة الروح الحيواني في الإنسان الذي يعطي النمو والإحساس واعلم أن العالم اليوم بفقد جمعية محمد صلى الله عليه وسلم في ظهوره روحاً وجسماً وصورة ومعنى نائم لا ميت وان روحه الذي هو محمد صلى الله عليه وسلم هو من العالم في صورة المحل الذي هو فيه روح الإنسان عند النوم إلى يوم البعث الذي هو مثل يقظة النائم هنا وإنما قلنا محمد صلى الله عليه وسلم على التعيين أنه الروح الذي هو النفس الناطقة في العالم لما أعطاه الكشف وقوله صلى الله عليه وسلم أنه سيد الناس والعالم من الناس فإنه الإنسان الكبير في الجرم والمقدم في التسوية والتعديل ليظهر عنه صورة نشأة محمد صلى الله عليه وسلم كما سوى الله جسم الإنسان وعدله قبل وجود روحه ثم نفخ فيه من روحه روحاً كان به إنساناً تاماً أعطاه بذلك خلقه وهو نفسه الناطقة فقبل ظهور نشأته صلى الله عليه وسلم كان العالم في حال التسوية والتعديل كالجنيين في بطن أمه وحركته بالروح الحيواني منه الذي صحت له به الحياة فأجل فكرك فيما ذكرته لك فإذا كان في القيامة حيي العالم كله بظهور نشأته مكملته صلى الله عليه وسلم عليه وسلم موفر القوى وكان أهل النار الذين هم أهلها في مرتبتهم في إنسانية العالم مرتبة ما ينمو من الإنسان فلا يتصف بالموت ولا بالحياة وكذا ورد فيهم النص من رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم لا يموتون فيها ولا يحيون وقال الله فيهم لا يموت فيها ولا يحيي والملائكة من العالم كله كالصور الظاهرة في خيال الإنسان وكذلك الجن فليس العالم إنساناً كبيراً إلا بوجود الإنسان الكامل الذي هو نفسه الناطقة كما أن نشأة الإنسان لا تكون إنساناً إلا بنفسها الناطقة ولا تكون كاملة هذه النفس الناطقة من الإنسان إلا بالصورة الإلهية المنصوص عليها من الرسول صلى الله عليه وسلم فكذلك نفس العالم الذي هو محمد صلى الله عليه وسلم حاز درجة الكمال بتمام الصورة الإلهية في البقاء والتنوع في الصور وبقاء العالم به فقد بان لك حال العالم قبل ظهوره صلى الله عليه وسلم أنه كان بمنزلة الجسد المسوى وحال العالم بعد موته بمنزلة النائم وحالة العالم ببعثه يوم القيامة بمنزلة الانتباه واليقظة بعد النوم واعلم أن الإنسان لما كان مثال الصورة الإلهية كالظل للشخص الذي لا يفارقه على كل حال غير أنه يظهر للحس تارة

ويخفى تارة فإذا خفي فهم معقول فيه وإذا ظهر فهو مشهود بالبصر لمن يراه فالإنسان الكامل في الحق معقول فيه كالظل إذا خفي في الشمس فلا يظهر فلم يزل لإنسان أزلاً وأبداً ولهذا كان مشهوداً للحق من كونه موصوفاً بأن له بصراً فلما مد الظل منه ظهر بصورته ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً أي ثابتاً فيمن هو ظله فلا يمدده فلا يظهر له عين في الوجود الحسي إلا لله وحده فلم يزل مع الله ولا يزال مع الله فهو باق ببقاء الله وما عدا الإنسان الكامل فهو باق بإبقاء الله ولما سوى الله جسم العالم وهو الجسم الكل الصوري في جوهر الهباء المعقول قبل فيض الروح الإلهي الذي لم يزل منتشرًا غير معين إذ لم يكن من بعينه فحيي جسم العالم به فكما نضمن جسم العالم أجسام شخصياته كذلك تضمن روحه أرواح شخصياته هو الذي خلقكم من نفس واحدة ومن هنا قال من قال أن الروح

واحد العين في أشخاص نوع الإنسان وأن روح زيد هو روح عمرو وسائر أشخاص هذا النوع ولكن ما حقق صاحب هذا الأمر صورة هذا الأمر فيه فإنه كما لم تكن صورة جسم آدم جسم كل شخص من ذريته وإن كان هو الأصل الذي منه ظهرنا وتولدنا كذلك الروح المدبرة لجسم العالم بأسره كما أنك لو قدرت الأرض مستوية لا نرى فيها عوجاً ولا أمتاً وانتشرت الشمس عليها أشرقت بنورها ولم يتميز النور بعضه عن بعضه ولا حكم عليه بالجزئي ولا بالقسمة ولا على الأرض فلما ظهرت البلاد والديار وبدأت ظلال هذه الأشخاص القائمة انقسم النور الشمسي وتميز بعضه عن بعضه لما طرأ من هذه الصور في الأرض فإذا اعتبرت هذا علمت أن النور الذي يخص هذا المنزل ليس النور الذي يخص المنزل الآخر ولا المنازل الآخر وإذا اعتبرت التي ظهر منها هذا النور وهو عينها من حيث انفهاقه عنها قلت الأرواح روح واحدة وإنما اختلفت بالحال الشمس كالأنوار نور عين واحدة غير أن حكم الاختلاف في القوابل مختلف لاختلاف أمزجتها وصور أشكالها ولما أعطيت هذا المنزل سنة إحدى وتسعين وخمسمائة وأقيمت فيه شبه لي بالماء في النهر لا يتميز فيه صورة بل هو عين الماء لا غير فإذا حصل ما حصل منه في الأواني تعين عند ذلك ماء الحب من ماء الجرة من ماء الكوز وظهر فيه شكل إنائه ولون إنائه فحكمت عليه الأواني بالتجزئي والأشكال مع علمك أن عين ما لم يظهر فيه شكل إذا كان في النهر عين ما ظهر إذا لم يكن فيه غير أن الفرقان بين الصورتين في ضرب المثل أن ماء الأواني وأنوار المنازل إذا فقدت رجعت إلى النور الأصلي والنهر الأصلي وكذلك هو في نفس الأمر لو لم تبق آنية ولا يبقى منزل لأنه لما أراد الله بقاء هذه الأنوار على ما قبلته من التمييز خلق لهما أجساداً برزخية تميزت فيها هذه الأرواح عند انتقالها عن هذه الأجسام الدنيوية في النوم وبعد الموت وخلق لها في الآخرة أجساماً طبيعية كما جعل لها في الدنيا ذلك غير أن المزاج مختلف فنقلها عن جسد البرزخ إلى أجسام نشأة الآخرة فتميزت أيضاً بحكم غميز صور أجسامها ثم لا تزال كذلك أبد الآبدين فلا ترجع إلى الحال الأول من الوحدة العينية أبداً فانظر ما أعجب صنع الله الذي أتقن كل شيء فالعالم اليوم كله نائم من ساعة مات رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى نفسه حيث هو صورة محمد صلى الله عليه وسلم إلى أن يبعث ونحن بحمد الله في الثلث الأخير من هذه الليلة التي العالم نائم فيها ولما كان تجلي الحق في الثلث الأخير من الليل وكان تجليه يعطي الفوائد والعلوم والمعارف التامة على أكمل وجوها لأهلها عن تجل أقرب لأنه تجل في السماء الدنيا فكان علم آخر هذه الأمة أتم من علم وسطها وأولها بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعثه الله بعثه والشرك قائم والكفر ظاهر فلم يدع القرن الأول وهو قرن الصحابة إلا إلى الإيمان خاصة ما أظهر لهم مما كان يعلمه من العلم المكنون وأنزل عليه القرآن الكريم وجعله يترجم عنه بما يبلغه إفهام عموم ذلك القرن فصور وشبه ونعت بنعوت المحدثات وأقام جميع ما قاله من صفة خالقه مقام صورة حسية مسواة معدلة ثم نفخ في هذه الصورة

الخطابية روحاً لظهور كمال النشأة فكان الروح ليس كمثله شيء وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وكل آية تسبيح في القرآن فهو روح صورة نشأة الخطاب فافهم فإنه سر عجيب فلاح من ذلك لخواص القرن الأول دون عامته بل لبعض خواصه من خلف خطاب التنزيه أسرار عظيمة ومع هذا لم يبلغوا فيها مبلغ المتأخرين من هذه الأمة لأنهم أخذوها من مواد حروف القرآن والأخبار النبوية فكانوا في ذلك بمنزلة أهل السمر الذين يتحدثون في أول الليل قبل نومهم فلما وصل زمان ثلث هذه الليلة وهو الزمان الذي نحن فيه إلى أن يطلع الفجر فجر القيامة والبعث ويوم النشر والحشر تجلى الحق في ثلث هذه الليلة وهو زماننا فأعطى من العلوم والأسرار والمعارف في القلوب بتجليه ما لا تعطيه حروف الأخبار فإنه أعطاها في غير مواد بل المعاني مجردة فكانوا أتم في العالم وكان القرن الأول أتم في العمل وأما الإيمان فعلى التساوي فإن هذه النشأة لما فطرت على الحسد وبعث فيها نبي من جنسها فما آمن به الأقوى على دفع نفسه لما فيها من الحسد وحب التفوق والنفور من الحكم عليها ولا سيما إذا كان الحاكم عليها من جنسها تقول بماذا فضل علي حتى يتحكم في بما يريده فينسب إلى المؤمن من الصحابة من القوة في الإيمان ما لا ينسب إلى من ليست له مشاهدة تقدم جنسه عليه فكان اشتغالهم بدفع قوة سلطان الحسد أن يحكم فيهم بالكفر بمنعهم من إدراك غوامض العلوم وأسرار الحق في عبادته ولم تحصل له رتبة الإيمان بغيب صورة الرسول وما جاء به لكونهم مشاهدين له ولصورة ما جاء فلما جاء زماننا ووجدنا أوراقاً مكتوبة سواد في بياض وأخبار منقولة ووجدنا القبول عليها ابتداء لا تقدر على دفعه من نفوسنا إذا وفقنا الله علمنا أن قوة نور الإيمان أعطى ذلك ولم نجد تردداً ولا طلبنا آية ولا دليلاً على صحة ما وجدنا مكتوباً من القرآن ولا منقولاً من الأخبار فعملنا على القطع قوة الإيمان الذي أعطانا الله عناية منه وكنا في هذه الحالة مؤمنين بالغيب الذي لا درجة للصحابة فيه ولا قدم كما لم يكن لنا قدم في الإيمان الذي غلب ما يعطيه سلطان الحسد عند المشاهدة فقابلنا هذه القوة بتلك القوة فتساوتا وبقي الفضل في العلم حيث أخذناه من تجلي هذه الليلة المباركة التي فاز بها أهل ثلثها مما لا قدم للثلثين الماضيين من هذه الليلة فيها ثم أن تجليه سبحانه في ثلث الليل من هذه الليالي الجزئية التي يعطيها الجديد أن في قوله أن ربنا يتزل كل ليلة في الثلث الأخير منها إلى السماء الدنيا فيقول هل من تائب هل من مستغفر هل من سائل حتى ينصدع الفجر فقد شاركنا المتقدمين في هذا التزل وما يعطيه غير أنه تجل منقطع وتجلي ثلث هذه الليلة التي نحن في الثلث الأخير منها وهي من زمان موت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة لم يشاركنا في هذا الثلث أحد من المتقدمين فإذا طلع فجرها وهو فجر القيامة لم ينقطع التجلي بل اتصل لنا بتجليه فلم يزل بأعيننا فنحن بين تجل دنياوي وأخراوي وعام وخاص غير منقطع ولا محجوب وفي الليالي الزمانية يحجبه طلوع الفجر فحزنا ما حازوه في هذه الليالي وفرنا بما حصل لنا من تجلي ثلث هذه الليلة المباركة التي لا نصيب لغير أهلها جبراً لقلوبهم لما فقدوه من مشاهدة الرسول صلى الله عليه وسلم وكان خيراً لهم فإنهم لا يعرفون كيف كانت تكون أحوالهم عند المشاهدة هل يغلبهم الحسد أو يغلبونه فكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً فاعرف يا ولي مترلك من هذه الصورة الإنسانية التي محمد صلى الله عليه وسلم روحها ونفسها الناطقة هل أنت من قواها أو من محال قواها وما أنت من قواها هل بصرها أم سمعها أم شمها أم لمسها أم طعمها فإنني والله قد علمت أي قوة أنا من قوى هذه الصورة لله الحمد على ذلك ولا تظن يا ولي أن اختصاصنا في المتزلة من هذه الصورة بمنزلة القوى الحسية من الإنسان بل من الحيوان إن ذلك نقص بنا عن منزلة القوى الروحانية لا تظن ذلك بل هي أتم القوى لأن لها الاسم الوهاب لأنها هي التي تمسب للقوى الروحانية ما تتصرف فيه وما يكون به حياتها العلمية من قوة خيال وفكر وحفظ وتصور ووهم وعقل وكل ذلك من مواد هذه القوى الحسية ولهذا قال الله تعالى في الذي أحبه من عبادته كنت سمعه الذي يسمع به

وبصره الذي يبصر به وذكر الصورة المحسوسة وما ذكر من القوى الروحانية شيئاً ولا أنزل نفسه منزلتها لأن منزلتها منزلة الافتقار إلى الحواس والحق لا يتزل منزلة من يفتقر إلى غيره والحواس مفتقرة إلى الله لا إلى غيره فترل لمن هو مفتقر إليه لم يشرك به أحداً فأعطاهما الغنى فهي يؤخذ منها وعنها ولا تأخذ هي من سائر القوى إلا من الله فاعرف شرف الحس وقدره وأنه عين الحق ولهذا لا تكمل النشأة الآخرة إلا بوجود الحس والمحسوس لأنها لا تكمل إلا بالحق فالقوى الحسية هم الخلفاء على الحقيقة في أرض هذه النشأة عن الله ألا تراه سبحانه كيف وصف نفسه بكونه سميعاً بصيراً متكلماً حياً عالماً قادراً مريداً وهذه كلها صفات لها أثر في المحسوس ويحس الإنسان من نفسه بقيام هذه القوى به ولم يصف سبحانه نفسه بأنه عاقل ولا مفكر ولا متخيل وما أبقى له من القوى الروحانية إلا ما للحس مشاركة فيه وهو الحافظ والمصور فإن الحس له أثر في الحفظ والتصوير فلولا الاشتراك ما وصف الحق بهما نفسه فهو الحافظ المصور فهاتان صفتان روحانية وحسية فتنبه لما نبهناك عليه لئلا ينكسر قلبك لما أنزلت منزلة القوى الحسية لحساسية الحس عندك وشرف العقل

فأعلمت أنك أن الشرف كله في الحس وأنت جهلت أمرك وقدرك فلو علمت نفسك علمت ربك كما أن ربك علمك وعلم العالم بعلمه بنفسه وأنت صورته فلا بد أن تشاركه في هذا العلم فتعلمه من علمك بنفسك وهذه نكتة ظهرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من عرف نفسه عرف ربه إذ كان الأمر في علم الحق بالعالم علمه بنفسه وهذا نظير قوله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم فذكر النشأتين نشأة صورة العالم بالآفاق ونشأة روحه بقوله وفي أنفسهم فهو إنسان واحد ذو نشأتين حتى يتبين لهم للرائين أنه الحق أي أن الرائي فيما رآه الحق لا غيره فانظر يا ولي ما ألطف رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمرته وما أحسن ما علمهم وما طرق لهم فنعم المدرس والمطرق جعلنا الله ممن مشى على مدرجته حتى التحق بدرجة أمين بعزته فإن كنت ذا فطنة فقد أوأنا إليك بما هو الأمر عليه بل صرحنا بذلك وتحملنا في ذلك ما ينسب إلينا من ينكر ما أشرنا به في هذه المسألة من العمي الذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ووالله لولا هذا القول لحكمنا عليهم بالعمى في ظاهر الحياة الدنيا والآخرة كما حكم الله عليهم بعدم السماع مع سماعهم في قوله تعالى ناهياً ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون مع كونهم سمعوا نفى عنهم السمع وهكذا هو علم هؤلاء بظاهر الحياة بما تدركه حواسهم من الأمور المحسوسة لا غير لأن الحق تعالى ليس سمعهم ولا بصرهم فلنذكر ما يتضمنه هذا المتزل من العلوم إن شاء الله فمن ذلك علم عطش العالم الذي لا يقبل معه الري من العلم بالله وفيه علم استناد هذا العلم الذي أعطاه هذا التعطش إلى حضرة الجمع الذي فيه عين الفرقه وفيه علم ما يحصل بالذكر هل هو علم ما نسيه أو مثله لا عينه لشبهه في الصورة فإنه كان عالماً بأمر ثم نسيه لما تعطيه نشأته فلم تحفظ عليه صورة علمه بذلك المعلوم ثم ذكره بعد ذلك فهل ما شاهده في ذكره عين ما نسيه أو مثله فإن الزمان قد اختلف عليه مع شبه الزمان بعضه ببعضه فأنت تعلم أن عين أمس ما هو عين اليوم ولا عين غد مع شبهه به في الصورة فمن أي قبيل هو علم الذكر فإن كان هو عينه فمن حفظه حتى ذكره وأين خزانة حفظه هل هي في الناسي ولا ندري أولها موضع آخر تحفظ فيه زمان نسيانه فإذا تذكر كان عين تجلي ذلك العلم له فيكون الحق خزائنه له والجللى له حتى يذكره هذا الناسي وإن لم يكن الأمر كذلك وإلا فليس بذاكر لما نسي بل هو متعلم علماً جديداً مماثلاً لعلمه الأول وإنما وقع التجديد في التجلي الذي أعطاه ذكر ما نسي وهي مسألة عجيبة في علم كون العبد نسي ربه في أوقات ما لشغله بنفسه أو بشيء من العالم ثم يتذكره وهذا المنسي الذي لا يقبل التجديد بل هو عينه فمن هنا تعرف علم ذكر ما نسبته وفيه علم البدا وهل يستحيل هذا الوصف على الله أم لا ومن هنا أنكر من أنكر النسخ الإلهي في الأمور

والشرائع وقال بإنكاره خلق كثير كما قال بتقريره لا على جهة البدا خلق كثير ونحن سلطنا في علم النسخ طريقاً بين طريقتين فلم نقل بالبدا ولا نفينا النسخ وجعلناه انتهاء مدة الحكم في علم الله إذ لم يرد حكم من الله ذكر أنه مؤبد أو جار إلى أجل معين ثم رفعه قبل وصول ذلك الأجل فلماذا سلطنا هذه الطريقة فيه وفيه علم من ظهر في غير منزلته بصورة غيره حتى جعل نفسه مشقاً أو مثلاً لمن تلك صورته ليوقع اللبس ما حكم الله فيمن هذه صفته وما نعتة الذي ينبغي أن يطلق عليه وفيه علم الحكمة في الأمور التي تعطي التقديم والأمور التي تعطي التأخير بحكم الجزم أو بحكم الاختيار وفيه علم منزلة المعترين في اعتبارهم ومن أين تطرق لهم هذا الزلل مع صحة الاعتبار في نفسه فإنه لا زلل فيه وإنما الزلل في المعترين وتميز طبقاتهم في ذلك وهو علم عزيز إذ ما كل معتبر يقيم الاعتبار في موضعه وهل المعتر فيه بفتح الباء لما نصبه الحق هل نصبه لمجرد الاعتبار خاصة فلا يكون له قرار في نفسه إلا ما دام عبرة فإذا ارتفعت عنه صفة الاعتبار من العالم ارتفع وجوده أو هو مقرر في نفسه لا يزول سواء اعتبره المعتر أو لم يعتبره أو زال الاعتبار من العالم كما يزول في الآخرة عند الإقامة في الدارين وفيه علم إنكار الجاهل على العالم من أين أنكر عليه هل من حضرة أو صفة وجودية في عينها أو عن تخيل لا وجود له من خارج عينه بل

في حضرة خيال المنكر فإن إنكار العالم على الجاهل ما ينكره الجاهل عليه ما هي صورته صورة إنكار الجاهل على العالم وإن اجتماعاً في النكران وهل على الحقيقة في العالم ما ينكر أم لا وما هو الإنكار وعلى ما هو حقيقة هل هو أمر وجودي أو نسبة وفيه علم التنافس من أين ظهر في العالم ولماذا لا يظهر إلا في الجنس وهل التشبه بالإله من هذا القبيل فغن كان فما الجنس الجامع بين الخلق والحق هل الصورة التي نالها الإنسان الكامل المخلوق عليها أو ما ينافس هذا الإنسان الجزئي إلا الإنسان الذي لم يزل يحفظ صورة الحق في نفسه الذي هو ظل له فيحب هذا الإنسان الجزئي أن ينال رتبة ذلك الإنسان الذي هو ظل الصورة الإلهية أو ليس صورة الحق إلا عين هذا الإنسان الذي تميزنا عنه بالظل والحق روح تلك الصورة فيكون الحق ذا صورة وروح كما يتجلى في الآخرة فينكر ويعرف فغن الله ما ذكر ذلك التجلي سدى أعني في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم له في هذه الحياة الدنيا فما ذكره إلا لينبه القلوب على طلب علم ذلك من الله وفيه علم خزائن الرحمات لا الرحمة وفيه علم الرحمة المستندة إلى إعطاء الأنعام وإلى المقام الذي به رفعت حكم الغضب الإلهي من العالم وإلى المقام الذي يكون منه خلق ما يصلح بالعالم وأعني بذلك كله عالم التكليف ومن هذا المقام تكلم القائلون بوجوب مراعاة الأصلاح في حق الحق وفيه علم الترقى في علم الأسباب هل ينتهي أو لا ينتهي وهل الترقى سبب فيرتقي فيه وبه وفيه علم الفتن والملاحم المعنوية ولما تكون الغلبة فيها والظهور وإلى حيث ينتهي أمر هذه الفتن وفيه علم تشبه العالم بالعالم وطبقاته فمن ذلك ما هو تشبه محمود كتشبه عالم التكليف منا بعالم التسييح وهو كل شيء مسبح بحمد الله من العالم وكتشبه الإنسان بمن تقدمه في مكارم الأخلاق ومنه ما هو تشبه مذموم وأما التشبه بالحق فذلك التشبه المطلوب عند أكثر أهل الله وأما عندنا فلا يصح التشبه بالله وما قال به من الحكماء إلا من لا معرفة له بالأمر على ما هو عليه في نفسه وفيه علم الفرق بين قوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى وبين قوله تعالى ما لها من فوق فوحد وثني فما محل التشبه من محل الأفراد أو كيف هو الأمر وفيه علم الخاتمة في الحال قبل كونها هل ذلك خاتمة في حق العالم بما أم لا وهل العلم بذلك من البشرى التي قال الله فيها لهم البشرى في الحياة أم لهذا صورة وللبرشى صورة أخرى فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد بشر جماعة بالجنة وعاشوا بعد ذلك زماناً طويلاً بخلاف بشرى المحتضر وفيه علم القوة الحادثة وتجزئها في المحدثات وهل ثم محدث أخذها كلها أم لا يتصور ذلك وما قدرها من القوة الإلهية هل هي جزء من كذا كذا جزءاً منها أم لا فإن القوة الإلهية محلها الممكنات على الإطلاق والقوة الحادثة محلها بعض

الممكنات فإذا حصرت أجناس العالم الممكن وسميت ما للقوة من الممكنات علمت على القطع مقدار ذلك من القوة الإلهية وفيه علم الفرق بين التسخير العام والتسخير الخاص وهل كون الحق كل يوم هو في شأن وسنفرغ لكم هل هو من علم التسخير وبابه أو هو من حقيقة أخرى فإن السيد بصورة الحال يقوم بما يحتاج إليه عبده فهو تسخير دقيق يعطي كملاً في السيد فإن العبد ليست منزلته أن يسخر سيده ومنزلة العبد أن يكون مسخراً تحت تسخير سيده بالحالين تسخير بأمر سيده وتسخير بنفسه من ذاته لكونه عبداً وقد يسخر لغير سيده من أمثال سيده ومن أمثاله بطرق مختلفة منها ما يكون تسخير له لذلك الغير عن أمر سيده ومنها ما يكون بطريق المروءة مع المسخر له بفتح الخاء ومنه ما يكون عادة لاستصحاب التسخير له من كونه عبداً فصار له ذلك ديدناً يحكم عليه فيتسخر لغير سيده بحكم العادة لا بالمروءة ولا بأمر السيد وفيه علم نظر العالم كله إلى هذا الإنسان هل ينظر إليه من كونه خليفة أو ينظر إليه من حيث ما عنده من الأمانات له ليؤديها إليه فهو مرسل من الحق بحكم الجبر لا بحكم الاختيار لأنه ما خلق بالأصالة إلا لتسييح خالقه وفيه علم ما تقع به العناية الإلهية للعبد وما يعطيه ذلك الاعتناء من المتزلة والعلم وفيه علم الإجمال والتفصيل وفيه علم دقيق وهو أن آدم عليه السلام أعطى لداود من عمره ستين سنة حين رأى صورته بين أخوته فأحبه فقبل ذلك داود فجحد آدم بعد ذلك ما أعطاه فانكسر قلب داود عند ذلك فجبره

الله بذكر لم يعطه آدم فقال في آدم إني جاعل في الأرض خليفة وما عينه باسمه ولا جمع له بين أداة المخاطب وبين ما شرفه به فلم يقل له وعلمتك الأسماء كلها وقال في خلافة داود يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فسماه فلما علم الله أن مثل هذا المقام والاعتناء يورثه النفاسة على أبيه آدم فإنه على كل حال بشر يكون منه ما يكون من البشر وما عرف قدر هذا إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر يعني لنفسه ولحق غيره وأرضى كما يرضى البشر يعني لنفسه ولغيره وكان هذا من التأديب الإلهي الذي أدبه به ربه تعالى فيما أوحى به إليه فقال له قل إنما أنا بشر مثلكم أي حكم البشرية في حكمها فيكم فلما أراد الله تأديب داود لما يعطيه الذكر الذي سماه الله به من النفاسة على أبيه ولا سيما وقد تقدم من أبيه في حقه ما تقدم من الجحد لما امتن به عليه لكون الإنسان إذا مسه الخير منوعاً غير أن آدم ما جحد ما جحده إلا لعلمه بمرتبته حيث جعله الله محلاً لعلم الأسماء الإلهية التي ما أثنت الملائكة على الله بها ولم تعط بعده إلا لحمد صلى الله عليه وسلم وهو العلم الذي كنى عنه بأنه جوامع الكلم فعلم آدم أن داود في تلك المدة التي أعطاه من عمره لا يمكن أن يعبد الله فيها إلى على قدر كماله وهو أنقص من آدم في المرتبة بلا شك لسجود الملائكة وما علمهم من الأسماء فطلب آدم أن يكون له العمر الذي جاد به على ابنه داود عليه السلام ليقوم فيه بالعبادة لله على قدر علو مرتبته على ابنه داود وغيره مما لا يقوم بذلك داود فإذا قام بتلك العبادة في ذلك الزمان المعين وهب لابنه داود أجر ما تعطيه تلك العبادة من مثل آدم ولو ترك تلك المدة لداود لم تحصل له رتبة هذا الجزاء وحصل لآدم عليه السلام من الله على ذلك رتبة جزاء من أثر على نفسه فإنه يجزى بجزاء مثل هذا لم يكن يحصل له لو لم يكن ترك تلك المدة لداود فكما أحبه في القبضه حين أعطاه من عمره ما أعطاه كذلك من حبه رجع في ذلك ليعطيه جزاء ما يقع في تلك المدة من آدم من العمل ولا علم لداود بذلك فلما جبره الله بذكر اسمه في الخلافة قال له من أجل ما ذكرناه من تطرق النفاسة التي في طبع هذه النشأة وإليه لا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله فحذره فشغله ذلك الحذر عن الفرح بما حصل له من تعيين الله له باسمه ولكن قد حصل له الفرح وأخذ حظه منه قبل أن يصل إليه زمان ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله لا عن الله فأمر بمراقبة السبيل ثم تادب الله معه حيث قال له أن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا ولم يقل فإنك إن ضللت عن سبيل الله لك عذاب

شديد وهذا علم شريف وفي هذا المتزل علم أصحاب الكشف أنه ليس من حقيقة الكشف أن يعلمه المكاشف في كل صورة بل ذلك على قدر ما يريده الحق فيستر عنه ما شاء ويطلعه على ما شاء فليس من شأن المكاشف نفوذ بصره في كل صورة تتجلى له بل تقوم له تلك الصورة التي لا يدري ما هي مقام كثافة الصورة عن إدراك الحس البشري لما خطر في نفس تلك الصورة التي أدركها البصر وفي وقت آخر يعطيه الكشف بما تكلم به ذلك الشخص في قلبه وهو الكلام على الخاطر عن علم معين له وكشف لا عن رجز ولا حدى ولا موافقة وفيه علم ما يبقى الرفق الإلهي بالعالم وفيه علم حكمة وجود العالم وفيه علم أسباب التزل وفيه علم الوهب والكسب وفيه علم ما هو الأمر الذي يقوم فيه العبد مقام سيده وفيه علم رعاية الأسباب التي أعطت الخير لصاحب النظر فيها وفيه علم الإبدال أي علم الصور التي يدركها البدل على صورته حيث شاء على علم منه وأن منزلته منزلة عيسى عليه السلام في قوله والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا وعلم الصور التي يقيمها الحق بدلاً من صورة هذا الذي يقام عنه حيث شاء الحق على غير علم من هذا الذي يقام عنه ومنزلته فيها منزلة يحيى عليه السلام في قول الله وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا وأي المقامين أتم وأعلى وكون يحيى لم يجعل له من قبل سمياً واختصاصه بذبح الموت يوم القيامة وفيه علم ما السبب الذي يدعو الإنسان أن يطلب الانفراد بالأتم والأعلى والتفوق على غيره وفيه علم رفع المقادير هل ترفع في نفس الأمر أو لا يصح رفعها وإنما ترفع في حق من ترفع في حقه وهي مقدرة عند الله من حيث لا يشعر العالم بذلك وفيه علم أن كل شيء يعلمه الإنسان إنما هو تذكر لا ابتداء علم وأن كل علم عنده لكنه نسيه وفيه علم صورة تسليط الجن على الإنس والإنس على الجن وهل تسليط الجن على الإنس ظاهراً وباطناً أو هو في حق قوم ظاهراً خاصة والباطن معصوم أو كيف هو الأمر وكذلك القول في تسليط الإنس على الجن إلا أن الإنس ليس لهم تسليط إلا على ظاهر الجن إلا من تروحن من الإنس وتلطف معناه بحيث يظهر في ألطف صور الجن فيسري بذاته في باطن الجن سريان الجن في باطن الإنس فيجهله الجني ويتخيل أن ذلك من حكم نفسه عليه وهو حكم هذا الإنسي للتروحن وما رأيت أحداً أنبه على هذا النوع من العلم وأطلعني الله تعالى عليه فما أدري هل علمه من تقدم من جنسي وما ذكره أم لا وفيه علم الدواء الذي يزيل به الإنسان ما أثر فيه الجن في تسلطه عليه وفيه علم ما ينكشف له بعد ذهاب هذا الأثر منه وفيه علم صدور الكثرة عن الواحد وهل صدر عن الواحد أحدية الكثرة أو الكثرة وفيه علم الصادر عن المصدر أنه يؤذن أن يكون له حكم المصدر فإن ثبت هذا فيكون مآل العالم المكلف إلى الراحة فإن الحق ما صدر عنه العالم من يوم الأحد إلى يوم الجمعة ودخل يوم الأبد وهو يوم السبت والسبت الراحة وهو السابع من الأيام الذي لا انقضاء له وما مس الخالق من لغوب في خلقه ما خلق ولكن كان يوم السبت يوم الفراغ من طبقات العالم وبقي الخلق من الله فيما يحتاج إليه هذا العالم من الأحوال التي لا ينتهي أبدها ولا ينقضي أمدها وفيه علم نشء الملائكة وفيه علم نشء الإنسان ومرتبته وما له من الحضرة الإلهية وتفاضل أشخاص هذا النوع بماذا يكون التفاضل هل بالنشء أو بما يقبله من الإعراض وفيه من العلوم غير هذا ولكن قصدنا إلى المهم فالمهم من ذلك لتنبيه القلوب عليه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب السابع والأربعون وثلاثمائة في معرفة منزل العندية الإلهية

والصف الأول عند الله تعالى

كم بين من يعلم ما كان له

هذا الذي في علمه يرتقي

فالحال للأول من كيفه

وكمه لا ينتهي حكمه

لولا وجود الحرف ما كان لي

فالعلم والفهم لعيني معاً

وبين من زاد على علمه

وذاك ما يبرح من حكمه

والعلم للآخر من كمه

فعلمه يربى على فهمه

فهم وقد يدرك من وهمه

وليس للحق سوى علمه

وقال تعالى وما عند الله باق وقال آتيناها رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً وقال وعنده مفاتيح الغيب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تصف الملائكة عند ربها وقال تعالى أن الله عنده علم الساعة وقال تعالى وإن من شيء إلا عندنا خزائنه فاختلقت إضافات هذه العندية باختلاف ما أضيفت إليه من اسم وضمير وكناية وهي ظرف ثالث ما رأيت من أهل الله من تنبه له حتى يعرف ما هو فإنه ليس بظرف زمان ولا ظرف مكان مخلص بل ما هو ظرف مكانة جملة واحدة على الإطلاق وكذلك هو في قوله تعالى ما عندكم ينفد فجعل لنا عندية وما هي ظرف مكان في حقنا فعجبت من العلماء كيف غفلوا عن تحقيق هذه العندية التي اتصف بها الحق والإنسان ثم إن الله جعل عنديته ظرفاً لخزائن الأشياء ومعلوم أنه يخلق الأشياء ويخرجها من العدم إلى الوجود وهذه الإضافة تقضي بأنه يخرجها من الخزائن التي عنده فهو يخرجها من وجود لم ندركه إلى وجود ندركه فما خلصت الأشياء إلى العدم الصرف بل ظاهر الأمر أن عدمها من العدم الإضافي فإن الأشياء في حال عدمها مشهودة له يميزها بأعيانها مفصله بعضها عن بعض ما عنده فيها إجمال فخزائنها أعني خزائن الأشياء التي هي أوعيتها المخزونة فيها إنما هي إمكانات الأشياء ليس غير ذلك لأن الأشياء لا وجود لها في أعيانها بل لها الثبوت والذي استفادته من الحق الوجود العيني فتفصلت للناظرين ولأنفسها بوجود أعيانها ولم تزل مفصلة عند الله تفصيلاً ثبوتياً لما ظهرت في أعيانها وأنزلها الحق من عنده أنزلها في خزائنها فإن الإمكان ما فارقها حكمه فلولا ما هي في خزائنها ما حكمت عليها الخزائن فلما كان الإمكان لا يفارقها طرفة عين ولا يصح خروجها منه لم يزل المرجح معها لأنه لا بد أن تتصف بأحد الممكنين من وجود وعدم فما زالت هي والخزائن عند الله إذ المرجح لا يفارق ترجيح أحد الممكنين على هذه الأشياء فما لها خروج من خزائن إمكانها وإنما الحق سبحانه فتح أبواب هذه الخزائن حتى نظرنا إليها ونظرت إلينا ونحن فيها خارجون عنها كما كان آدم خارجاً عن قبضة الحق وهو في قبضة الحق يرى نفسه في الوطنين فمن رأى الأشياء ولم ير الخزائن ولا رأى الله الذي عنده هذه الخزائن فما رأى الأشياء قط فإن الأشياء لم تفارق خزائنها وخزائنها لم تفارق عندية الله والضمائر والعندية الإلهية لم تفارق ذاته فمن شهد واحداً من هذه الأمور فقد شهد المجموع

عندية الحق عين ذاته

ينزل منها الذي يراه

إنزاله لم يزلها عنها

عندية ظرفها نزيه

فيها لأشياءه خزائن

فهي لما يحتويه صائن

لأنه أعين الكوائن

ما هي عندية الأماكن

ودهرها الله لا زمان

يملكه بالسكون فيه

ليس لها نقلة بلا هو

ما صفته من دقيق معنى

والدهر ظرف لكل ساكن

مسكنه أشرف المساكن

فهى كملزومه تعاین

وما أنا للغريم ضامن

فما في الكون إن كنت عالماً أحدية إلا أحدية المجموع لأنه لم يزل إلهاً ولا يزال إلهاً وما تجدد عليه حكم لم يكن عليه ولا حدث اسم لم تكن تسمى به فإنه المسمى نفسه ولا قام به نعت لم يكن قبل ذلك منعوتاً به بل له الأمر من قبل ومن بعد فهو ذو الأسماء الحسنى والصفات العليا والإله الذي لم يزل في العماء والرحمن الذي وصف نفسه بالاستواء والرب الذي يتزل كل ليلة في الثلث الباقي من الليل إلى السماء وهو معنا أينما كنا وما يكون من نحوى عدد معين ألا وهو مشفع لك العدد أو موتره فهو رابع الثلاثة وسادس الخمسة وأكثر من ذلك وأدى فهل رأيت أو هل جاءك من الحق في وحيه إلا أحدية المجموع لأنه ما جاء إلا إله واحد ولا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور وأنت تعلم إن كنت من أهل الفهم عن الله أن هذه الأسماء وإن ترادفت على مسمى واحد من حيث ذاته فإننا نعلم أنها تدل على معان مختلفة قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى فما ندعو إلا إلهاً واحداً له هذه الأسماء المختلفة الحقائق والمدلولات ولم تزل له هذه الأسماء أزلاً وهذه هي الخزائن الإلهية التي فيها خزائن الإمكانات المخزونة فيها الأشياء فقابل الجمع بالجمع والكثرة بالكثرة والعدد بالعدد مع أحدية العين فذلك أحدية الجمع وكل مصل يناجي ربه في خلوته معه وإن الله واضح كنفه عليه فهو المطلق المقيد العام في الخصوص الخاص في العموم واعلم أن الله جعل لنا موطين في التصنيف لم يجعل ذلك لغيرنا من المخلوقين صف في موطن الصلاة وصف في موطن الجهاد فقال أن الله يحب الذي يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص وأمرنا بالتراص في الصف في الصلاة وذكر أن الملائكة تتراص في الصف عند ربها وجعل صفوفنا كصفوف الملائكة وليس ذلك لغيرنا من الأمم وجاء ربك والملك صفاً صفاً يوم يقوم الروح وهو والإمام والملائكة صفاً فالإمام صف وحده لأنه مجموع وأحديته أحدية المجموع ولذلك كان صفاً وحده وتجلى الحق لأهل الصفوف في مجموع الأحدية لا في أحدية المجموع لأن كل شخص من أشخاص الصفوف يناجي من الحق وما يعطيه حضوره وما يناسب قصده وما هو عليه من العلم بربه ولهذا تجلى لهم في مجموع الأحدية فسبق لهم المجموع وأضافه إلى الأحدية حتى لا يشركوا مع الله أحداً في عبادتهم مع اختلاف مقاصدهم وعقائدهم وأحوالهم وأمزجتهم ومناسباتهم ولهذا تختلف سؤالاتهم وتكثر فلو تجلى لهم في أحدية المجموع لم يتمكن لهم النظر إلى المجموع مع وجود تقدم الأحدية ولو كلن ذلك لكانت مقاصدهم مقصداً واحداً وسؤالهم سؤالاً واحداً وحالاتهم في الحضور حالاً واحدة وعلمهم بالله علم واحد والواقع ليس كذلك فدل على أن التجلي كان في مجموع الأحدية وإليه يرجع الأمر كله فرجع المجموع إلى الواحد وأضيف إليه لئلا يتخيلوا أن المجموع وجود أعيان وهو وجود أحكام وأن الله ما شرع الإمام في الصلاة إلا ليقابل به الأحدية التي أضاف المجموع إليها ويقابل بالجماعة مجموع الأحدية فالإمام يناجي الأحدية خاصة ولهذا اعتقد من اعتقد عصمة الإمام في الصلاة حتى يسلم وهم أصحاب الإمام المعصوم لأن الواحد لا يسهو عن أحديته إلا المعلم بالفعل فإنه

يقوم به السهو ليعلم كيف يكون حكم الساهي من الجماعة وليس إلا الأنبياء خاصة وما عدا الرسل فهو متبع واحد من أهل الصف فإذا تقدم هو وليس برسول فهو معصوم لأنه ليس بمعلم هذا الذي جعل أصحاب الإمام المعصوم الذين هم الإمامية يقولون بعصمة الإمام والواقع خلاف ذلك فإنه ما من إمام إلا ويسهو في صلاته وإن لم يسهه عن صلاته والجماعة تناجي مجموع الأحدية كل شخص مأموم يناجي ما يقابله من مجموع الأحدية فأى مصل صلي ولم يشاهد ما ذكرناه من إمام ومأموم فما صلى الصلاة المشروعة بالكمال وإن أتمها فما أكملها لأن تمام الصلاة إقامة نشأتها واستيفاء أركانها من فرائضها وسننها من قيام وتكبير وقراءة وركوع وخفض ورفع وهيئة وسلام إذا أتى بهذا كله فقد أتمها وإذا شاهد ما ذكرناه فقد أكملها لأن الغاية هي المرتبة وما وضعت الصلاة إلا لغايتها وهو المعبر عنه في العموم بالحضور في الصلاة أي استصحاب النية في أجزائها من أول الدخول فيها والتلبس بها إلى الخروج منها فانظر يا أخي هل صليت مثل هذه الصلاة إماماً كنت أو مأموماً وهل فرقت بينك وبين إمامك في الشهود أو ميزته عنك بالتقدم المكاني وتقدم المكانة في الحكم فلا تكبر حتى يكبر ولا ترفع حتى يرفع ولا تفعل شيئاً من أفعال الصلاة حتى يفعل فإن ربتك الإتيان فالإمام متقدم على المأموم مكاناً إن كان في جماعة ومكانة إن لم يكن معه إلا واحد فهو إمام بالمكانة يقابل الأحدية ويقابل مجموع الأحدية بانضمام الآخر إليه حتى كأنه الصف فالإمام إذا تقدم بالمكان والجماعة خلفه لم يشهد سوى الأحدية وإن كان في الصف مع المأموم لوحداية المأموم شهد الإمام مجموع الأحدية وأحدية المجموع أو شهد المأموم مجموع الأحدية لا غير فميزته عنه المكانة لاتباعه إياه واقتدائه به فإن خالفه فإن ناصية المأموم بيد شيطان والشيطنة البعد والصلاة قرب فهذا قرب في عين بعد وبعد في عين قرب فلم يشهد هذا المأموم مجموع الأحدية لأنه ليس بمأموم لا مكاناً ولا مكانة وإذا كان بهذه المثابة فغن الإمام في حال مخالفة المأموم له ما يشاهد إلا الأحدية لأنه ليس في صف لفقد المأموم لما زال عن مأموميته فالإمام في هذه الحال كالمصلي وحده بالنظر إلى حال هذا المأموم وهو أمام بالنظر إلى من يصلي خلفه من الملائكة والملائكة لا تصف إلا خلفه والملائكة تصف عند ربها وهي في هذه الحال عند الإمام المصلي بها وهي لم تزل عند ربها فالإمام خليفة فسجد له الملائكة والإمام يسجد لله فالله قبله الإمام والإمام قبله الملائكة وما أم جبريل عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وسلم إلا ليعلمه الصلاة بالفعل فصلى به مكانة لا مكاناً فإنه صلى به وحده ولم يتقدم عليه فعله عدد الصلوات في أوقاتها وهياتها على أتم الوجوه ثم أمره إذا كان في جماعة أن يتقدمهم بالمكان ومن رأى أنه تقدم بالمكان جبريل أيضاً فلم يكن ذلك إلا حتى كشف الله الغطاء عن بصر النبي صلى الله عليه وسلم فرأى الملائكة فرأى الجماعة فصف معهم خلف جبريل وأما على الستر فلا ولهذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم بالرجل وحده وجعله على يمينه في صف واحد لأن ذلك الشخص لم يشاهد الملائكة فراعى الإمام حكم المأموم وما كنت بجانب الطور إذ نادى الله موسى ولا بالجانب الغربي إذ قضى إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين كذلك ما كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أم به جبريل في الصلوات الخمس وما كنت من الشاهدين وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين وليس حكم من شاهد الأمور حكم من لم يشاهدها إلا بالإعلام فللعيان حال لا يمكن أن يعرفه إلا صاحب العيان كما أن للعلم حالاً لا يعرفه إلا أولو العلم ليس لغيرهم فيه ذوق رب أرني كيف تحيي الموتى رب أرني أنظر إليك

ولكن للعيان لطيف معنى

لذا سأل المعاينة الكليم

وما زال سجود الملائكة لبني آدم في كل صلاة كما سجدوا لأبيهم آدم فما زالت الخلافة في بني آدم ما بقي فيهم مصل يقول الله فإن الأمر الإلهي والشأن إذا وقع في الدنيا لم يرتفع حكمه إلى يوم القيامة وقد وقع السجود لآدم من الملائكة فبقي سجودهم لذريته خلف كل من يصلي إلى يوم القيامة كما نسي آدم فنسيت ذريته كما جحد آدم فجحدت ذريته كما قتل قابيل هابيل ظلماً فما زال القتل ظلماً في بني آدم إلى يوم القيامة وعلى الأول كفل من ذلك كما للأول في الخير نصيب من كل من فعله فمن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة وهم الذين يحملون أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم فكل مصل إمام للملائكة والملائكة خلفه تسجد له إلا أن الفرق بين الأصل والفرع أعني آدم وذريته أن الملائكة تسجد لسجود بني آدم في القراءة والصلاة وآدم سجدوا له سجود المتعلم للمعلم فاجتمعوا في السجود واختلفوا في السبب وإنما المقصود الذي أردناه أن نبين أن السجود من الملائكة خلف بني آدم ما ارتفع وأن الإمامة ما ارتفعت من آدم إلى آخر مصل والملائكة تبع لهذا الإمام كما قررناه فنحن عند الله في حال إمامتنا والملائكة في هذه الحال عندنا بالاعتداء فهي عند ربها لأن الإمام عنده فالملائكة عنده لأنها عند الإمام وكل صف إمام لمن خلفه بالغاً ما بلغ وقولي

وعندية الهولا تعقل

وعندية الخلق لا تجهل

وليس لها غيرها محمل

فعندية الرب معقولة

وعندية الله مجهولة

وليس هما عند ظرفية

الضمير في لها يعود على الظرفية وفي هما يعود على عندية الحق والخلق واعلم أن عندية نسبة ما هي أمر وجودي لأن النسب أمور عدمية ثابتة الحكم معدومة العين وسيأتي الكلام إن شاء الله في أحوال الأقطاب فيمن كان هجيريه ما عندكم ينفد وما عند الله باق من هذا الكتاب وإنما قلنا أن عندية الله مجهولة لأن الله بما هو الله لا يتعين فيه اسم من الأسماء الإلهية دون اسم فإنه عين مجموع الأسماء وما تخصصه إلا الأحوال فإنه من قال يا الله افعل لي كذا فحاله تخصص أي اسم أراد مما يتضمنه هذا الاسم الله من الأسماء فلماذا يقال فيه أنه مقيد في إطلاق أي تقيده الأحوال بما تطلبه من الأسماء المدرجة فيه ومطلق من حيث انتفاء الأحوال فهو الاسم القابل لكل اسم كما أن الهيولى الكل قابلة لكل صورة وعندية الرب قريبة من هذا إلا أن الفرق بينهما أن الرب ما أتى قط إلا مضافاً فمن كان عنده فهو عند من أضيف إليه ولا يضاف إلا إلى كون من الأكوان وعندية الخلق معلومة فعندية الرب معقولة وأما عندية الهو فإن الهو ضمير غائب والغائب لا يحكم عليه ما كانت حالته الغيبة لأنه لا يدري على أي حالة هو حتى يشهد فإذا شهد فليس هو لأن الغيبة زالت عنه ألا ترى الساكت لا ينسب إليه أمر حتى يتكلم ولا مذهب ولهذا لا يدخل في الإجماع بسكوته وهذه مسألة خاف والصحيح ما قلناه كما أن ترك النكير ليس بحجة إلا في بقاء ذلك الأمر على الأصل المنطوق به في قوله تعالى خلق لكم ما في الأرض جميعاً وكلام بني آدم مما خلق في الأرض وجميع أفعالهم فإذا رأينا أمراً قد قيل أو فعل بمحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكره فلا نقول أن حكمه لإباحة فإنه لم يحكم فيه بشيء إذ يحتمل أنه لم يتزل فيه شيء عليه وهو لا يحكم إلا بما أوحى الله فيه إليه فيبقى ذلك على الأصل وهو التصرف الطبيعي الذي تطلبه هذه النشأة من غير تعيين حكم عليه بأحد الأحكام الخمسة وهو الأصل الأول أو نرده إلى الأصل الثاني وهو قوله تعالى خلق لكم ما في الأرض جميعاً وليس بنص في الإباحة وإنما هو

ظاهر لأن حكم المخطور خلق أي حكم به من أجلنا أي نزل حكمه من أجلنا ابتلاء من الله هل نمتنع منه أم لا كما نزل الوجوب والندب والكره والإباحة فالأصل أن لا حكم وهو الأصل الأول الذي يقتضيه النظر الصحيح ويتضمن هذا المنزل من العلوم علم حمد السواء وتفصيله فإنه عم الطرفين والواسطة وأضافه إلى العالمين لم يخص عالماً من عالم فقال في الطرف الواحد في أول فاتحة الكتاب الحمد لله رب العالمين وجعل هذا التحميد بين الرحمة المركبة فإنه تقدمه الرحمن الرحيم وتأخر بعده الرحمن الرحيم فصار العالم بين رحمتين فأوله مرحوم ومآله إلى الرحمة وجاء في وسط سورة يونس في صفة أهل الجنة أن آخر دعائهم أن الحمد لله رب العالمين وجاء في سورة الصافات والحمد لله رب العالمين بعد قوله وسلام على المرسلين وهم المرحومون السالمون فحمداً لله رب العالمين عقيب نصره وظفره بخير فهو حمد نعمة فظهر حمد النعمة في أول السورة وفي وسطها وفي آخرها فعم الطرفين والواسطة فهل هذا الحمد في هذه المراتب على السواء من كونه حمد سواء أو هو مختلف المراتب لاختلاف الطرفين والوسط وأي المراتب أعلى فيه هل أحد الطرفين أو الوسط ولمن هو الحمد الأول من العالمين والوسط والآخر كل ذلك علم يعطيه الله العلماء بالله الذين يخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وفيه علم المراتب الملكية والبشرية وهل مراتبها على السواء أو أي المراتب أعلى هل مراتب البشر أو مراتب الملائكة أو لكل صنف منهما مراتب تعلو على مراتب الآخر وفيه علم جلب المنافع وهل المضار في طيها منافع أم لا وتعيين المنافع وفيه علم الإتيان في الإلهيات هل يتبع التابع فيها الذكر أو الفكر وفيه علم توحيد الإضافة لا توحيد الإطلاق وهل التوحيد توحيدان أم لا أعني توحيد الذات وتوحيد الإله في الألوهة وبماذا يدرك كل واحد من هذا التوحيد وفيه علم نسبة الله إلى الأشياء هل هي عين نسبة الأشياء إلى الله أو تختلف وفيه علم هل للشيء الواحد وجوه متعددة أو ليس للشيء الواحد سوى وجه واحد وما يصدر عند إذا كان بهذه المثابة وفيه علم الفرق بين الرمي الإلهي والكوني وفيه علم الديمومة وفيه علم الاختلاس وما حكمه في المختلس بكسر اللام والمختلس بفتح اللام اسم فاعل

واسم مفعول وأن الالتفات في الصلاة اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد وفيه علم ما للعالم من الخلق وفيه علم اجتماع خالقين على مخلوق واحد هل أعطى كل واحد منهما ما أعطى الآخر أم أحكامهما في خلقه مختلفة وفيما اختلفوا فيه من خلقه وفيما اجتمعوا وفيه علم الفرق بالجاهل في الحال وإمهاله ليرجع عن جهله وفيه علم النطق من الجاهل هل حكمه نطق العالم في الإصابة وإن لم يعلم الجاهل المقام الذي منه نطق أم لا وإصابته التي يراها العالم خطأ فساوى العالم الجاهل في جهل المقام الذي منه نطق الجاهل والفرق بين من يدري ذلك ممن لا يدريه من العلماء وما حكم العالم الذي يعلم ذلك وفيه علم تأثير الواحد في الكثيرين من أين أثر مع أحديته وفيه علم الفصل والوصل وفيه علم جمع الصفة للمختلفين بأي حقيقة تجمعهم وفيه علم الهداية إلى الضلال وفيه علم المواقف والقول وهل للرضى مواقف كما للقهر أم لا وكم مواقف القيامة وهل تنحصر مواقف أهل الله كمواقف النفرى أم لا تنحصر أو تنحصر من وجه ولا تنحصر من وجه ولماذا كان الوقوف وهل هو وقوف سكون أم لا يزال منتقلاً في وقوفه وفيه علم الفرق بين أهل الإسلام وأهل الاستسلام وفيه علم طلب العلم من الكون وفيه علم ما يعطيه الاعتراف بالحق في أي موطن كان وهل هو نافع صاحبه بكل وجه أم لا وما ينبغي أن يعترف به مما لا ينبغي أن يعترف به وفيه علم العلم النافع وفيه علم أدوات المعاني ما كان منها مركباً وغير مركب وفيه علم ما ينعم الإنسان وما يعذبه وأنه ليس شيء من الله في أحد وفيه علم الخطوط والحدود الإلهية وأنها موسومة لا تختلط وهي أعلم بمحالتها من محالها بما فإن محالها معلومة لها وليس هي معلومة المكان لمحالها وفيه علم النعم التي ترفع الآلام والفرق بينها وبين النعم التي لا ترفع ألماً وفيه علم الإنس بالمثل وهل يقع الإنس بالله لمن خلق على

الصورة أو من حقيقة كونه على الصورة أنه لا يأنس بالله كما لا يأنس الله به وهل للعالم بجملة هذا الحكم أم لا وهل الإنسان الذي هو كالظل للحق حكمه حكم الإنسان الكامل الخليفة الذي هو جزء من ذلك الإنسان المشبه بالظل أم لا وفيه علم الالتذاذ بالنعم الواقعة بالأغيار هل هو من كمال الالتذاذ المطلوب أو هل هو نقص في المستلذ له وفيه علم النفس في قوله استفت قلبك وإن أفتاك المفتون فإن هنا لطفاً إلهياً في الإعلام أجراه الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أنباء أنه ما يلقي الله في القلب إلا ما هو حق فيه سعادة الإنسان فإن رجع في ذلك إلى نفسه فقد أفلح وهذا معنى قول بعض العارفين بهذا المقام حيث قال ما رأيت أسهل علي من الورع كلما حاك له شيء في نفسي تركته وفيه علم تعظيم ما يعظم من الأحوال في القرائن وفيه علم ما ينبغي أن يثابر عليه وفيه علم المفاضلة في الأحوال من غير نظر إلى أصحابها القائمة بهم وفيه العلم بالماهيات وفيه علم تشابه صورتين واختلاف الحكم وفيه علم حكمة إيجاد الأئمة في العالم المضلين منهم وغير المضلين وفيه علم النداء عند البلاء ولماذا اختص به دون النعم وفيه علم إجابة الداعين والسائلين هل يزيد الحبيب على مطابقة ما وقع فيه السؤال أو لا يزيد فغن زاد فهل هو إجابة سؤال حال فإن النطق لم يكن ثم وفيه علم ارتباط العالم العلوي بالسفلي ليفيد وارتباط السفلي بالعلوي ليستفيد والمفيد هو الأعلى أبداً والمستفيد هو السفلي أبداً ولا حكم للمساحة وعلو المكان وفيه علم تأثير المحجوب في المكشوف له من أي وجه أثر فيه مع علو مرتبته وإن الحق يعضده وما عقوبة ذلك المؤثر وفيه علم الأسفار وفيه علم من وصف بالحلم مع عدم القدرة والحليم لا يكون إلا قادراً على من يحلم عليه وفيه علم أثر الخيال في الحس وأين يبلغ حكمه وفيه علم حكم المراتب على أصحابها بما يكرهون وفيه علم قيمة الأشياء ولها حضرة خاصة وأنه ما من شيء إلا وله قيمة إلا الإنسان الكامل فإن قيمته ربه وفيه علم ما ينتجه الصدق ومراتب الصادقين وأن يسألوا عن صدقهم وفيه علم حضرات البركات الإلهية وفيه علم مراتب الظلم وما يحمد منه وما يذم وفيه علم الاشتراك في الأمر هل حكم ذلك الأمر في كل واحد من الشركاء على السواء أم يختلف الحكم مع الاشتراك في الأمر لاختلاف أحوال الشركاء واستعداداتهم وفيه علم صورة حضرة اجتماع الخصوم بين يدي الحاكم وفيه علم إلحاق الإناث بالذكر وفيه علم القرعة وأين يحكم بها وقول النبي صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا عليه ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لا توهما ولو حبوا وفيه علم الظلمات ولماذا ترجع حقيقة الظلمة هل الأمر وجودي أو عدمي وفيه علم فضل التترية على غيره من الحمد وفيه علم الشفقة على الجنين إذا خرج والرفق به ورحمته وقول النبي صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يرحم صغيرنا وفيه علم اليقين والشك وهل يتصف صاحب اليقين بالشك فيما هو على يقين فيه أم لا وفيه علم انفراد الحق بعلم الحق وفيه علم ما ينبغي أن ينسب إلى الله وفيه علم من في طبعه أمر ما لا يزول عن حكم طبعه وإن عرض له عارض يزيله فليس بدائم الزوال والطبع أغلب وفيه علم تغير الأحوال على الملائكة من أين حصل لهم ذلك وفيه علم العناية وطبقات العالم فيه وفيه علم الأناة والعجلة وفيه علم عموم البشارة وخصوص الإنذار إلى غير ذلك من العلوم التي يطول ذكرها فقصدنا إلى ذكر المهم منها والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الثامن والأربعون وثلاثمائة في معرفة منزل سرين من أسرار قلب الجمع والوجود

من رحمة الله فقل قلب إذا كانا

مع التورع والتقوى إذا زانا

وهو العزيز الذي في عينه هانا

عمري ورقبي وإيماناً وإحساناً

إن قيل هل في وجود الكون أو سع من

بين الإله لإيمان يقوم به

يحيط بالحق علماً عين صورته

القلب ملكي والسكنى لخالقه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأجد نفس الرحمن يأتيني من قبل اليمن فنفس الله عنه بالأنصار فكانت الأنصار كلمات الله نصر الله بهم دينه وأظهره وهذا المنزل هو منزل ذلك التنفس الرحمان وهذا المنزل عنه ظهرت جميع المنازل الإلهية كلها في العالم الذي هو كل ما سوى الله تعالى علواً وسفلاً روحاً وجسماً معنى وحساً ظاهراً وباطناً فمنه ظهرت المقولات العشر وجاء في الخبر النبوي رائحة لما قلناه وله وجوه إلى كل جنس ونوع وشخص من العالم لا تكون لجنس آخر ولا لنوع آخر ولا لشخص آخر ولهذا المنزل صورة وروح وإمداد إلهي من حيث ما نسب الحق إلى نفسه من الصورة ولكن من باطن الصورة وحكم هذا الإمداد في الظاهر والباطن من صورة هذا المنزل لكنه في الباطن أتم ولهذا أخر الاسم الباطن عن الأول والظاهر لما عبر عن هذه النعوت الإلهية وذلك أن الأمر الإلهي في التالي أتم منه وأكمل منه في المتلو الذي هو قبله ففيه ما في الأول وزيادة هكذا هي كلمات الوجود الإلهية والآخر يتضمن ما في الأول والظاهر يتضمن ما في الآخر والأول والباطن يتضمن ما في الظاهر والآخر والأول ولو جاء شيء بعد الباطن لتضمن بالباطن وما قبله ولكن الحصر منع أن يكون سوى هذه الأربعة ولا خامس لها إلا هويته تعالى وما ثم في العالم حكم إلا من هذه الأربعة وعلى صورة هذه الأربعة ظهر عالم الأرواح وعالم الأجسام وما ثم عالم سوى هذين فمن الإلهيات علم وإرادة وقدرة وقول عنها ظهر عالم الأرواح الخارج عن الطبيعة والطبيعة ثم أظهر عن هذه الأربعة الإلهية الطبيعة على أربع وعنهما أظهر عالم الأجسام كثيفها ولطيفها كما أظهر عن هذه الأربع الإلهية من عالم التدوين والتسطير عقلاً ونفساً وطبيعة وهيولى قبل ظهور الأجسام وأظهر الأركان أربعة وهي النار والهواء والماء والتراب وأظهر النشأة الحيوانية على أربعة أخلاط وجعل لهذا الأخلاط أربع قوى جاذبة وماسكة وهاضمة ودافعة فأقام الوجود على التربيع وجعله لنفسه كالبيت القائم على أربعة أركان فإنه الأول والآخر والظاهر والباطن فللباطن ركن الحجر الأسود فإنه يمين الله في الأرض المقبل على جهة البيعة لله فالعين تقع على الحجر والبصيرة تقع على اليمين فاليمين باطن للحجر غير ظاهر للبصر فيشرف ركن الحجر على سائر الأركان فضم حكم الباطن حكم الثلاثة النعوت التي قبل الباطن وهو المخصوص بهذا المنزل ولب هذا المنزل هو الصورة الإلهية التي منها يكون الإمداد له لب تلك الصورة وهو روحها وهو لب اللب وهو خزانة الإمداد لهذا المنزل ولهذا المنزل التحكم في العالم كله كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة توقد من شجرة هويته فهي لا شرقية ولا غربية لا تقبل الجهات عن هذه الزيتونة يكون الزيت وهو المادة لظهور هذا النور فهذه أربعة مشكاة وزجاجة ومصباح وزيت والخامس الهوية وهو الزيتونة المتزهة عن الجهات وكفى عنها بالشجرة من التشاجر وهو

التضاد لما تحمله هذه الهوية من الأسماء المتقابلة كالمعز والمذل والضار والنافع فانظر ما أكمل العبارات الإلهية في الإخبار بما هو الأمر عليه فمن دخل هذا المنزل وفاته شيء من العالم وحقائقه فما دخله وإنما خيل الشيطان له أو النفس أنه دخله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم إذ حضرة الخيال تنشئ كل صورة وكثير من الناس يدخلون هذه الحضرة الخيالية ويشاهدون ما تجلّى لهم من الصور فيزعمون أنهم شاهدوا الوجود الثابت العين على ما هو عليه ولم يكن سوى ما صورته الخيال فمن بلي بمثل هذا فليتربص قليلاً فإن كان ما يشاهده روحاً ثابت العين في الوجود أو محسوساً في العين فإنه يثبت ولا يتغير وإن كان خيالياً فلا يثبت ويسرع إليه التغير في الحال ويرى صورة التغير فيه ويعلم أن الذي ظهر له بالتغير هو عين الأول ويرى بعضهم نفسه في صورتين وأكثر ويعلم أنه هو فبهذا يفرق بين الصور الثابتة في عينها حساً وروحاً وبين الصور الخيالية وهذا ميزانها لمن لا معرفة له فقد نهتك ونصحتك فلا تغفل عن هذا الميزان إن كنت من أهل الكشف وما جعل الله النوم في العالم الحيواني إلا لمشاهدة حضرة الخيال في العموم فيعلم أن ثم عالماً آخر يشبه العالم الحسي ونبيه بسرعة استحالة تلك الصور الخيالية للنائمين من العقلاء على أن في العالم الحسي والكون الثابت استحالات مع الأنفاس لكن لا تدرکها

الأبصار ولا الحواس إلا في الكلام خاصة وفي الحركات وما عدا هذين الصنفين فلا تدرکه صورة الاستحالات والتغيرات فيها إلا بالبصيرة وهو الكشف أو بالفكر الصحيح في بعض هذه الصور لا في كلها فإن الفكر يقصر عن ذلك وأصل ذلك كله أعني أصل التغير من صورة إلى مثلها أو خلافها في الخيال أو في الحس أو حيثما كان في العالم فإنه كله لا يزال يتغير أبد الآبدين إلى غير نهاية لتغير الأصل الذي يمدّه وهو التحول الإلهي في الصور الوارد في الصحيح فمن هناك ظهر في المعاني والصور

ومن صور إلى صور

فمن معنى إلى معنى

وهو قوله تعالى كل يوم هو في شأن وهو ما يحدثه من التغيرات في الأكوان فلا بد أن يظهر في كل صورة تغييرها بحكم لا يكون إلا لذلك المتغير فإن فهمت فقد أبنت لك الأمر على ما هو عليه فإن في ذلك لذكرى أي في تغيير العالم ذكرى بتغير الأصل لمن كان له قلب فإن القلب له التقلب من حال إلى حال وبه سمي قلباً فمن فسر القلب بالعقل فلا معرفة له بالحقائق فإن العقل تقييد من العقل فإن أراد بالعقل الذي هو التقييد ما نريده نحن أي ما هو مقيد بالتقلب فلا يبرح يتقلب فهو صحيح كما نقول بالتمكين في التلوين فلا يزال يتلون وما كل أحد يشعر بذلك ولما علمنا أن من صفة الدهر التحول القلب والله هو الدهر وثبت أنه يتحول في الصور وأنه كل يوم في شأن واليوم قدر النفس فذلك من اسمه الدهر لا من اسم آخر إن عقلت فلو راقب الإنسان قلبه لرأى أنه لا يبقى على حالة واحدة فيعلم أن الأصل لو لم يكن بهذه المثابة لم يكن لهذا التقلب مستند فإنه بين إصبعين من أصابع خالقه وهو الرحمن فتقلب الأصابع للقلب بغير حال الإصبعين لتغير ما يريد أن يقلب القلب فيه فمن عرف نفسه عرف ربه وفي حديث الأصابع بشارة إلهية حيث أضافهما إلى الرحمن فلا يقلبه إلا من رحمة إلى رحمة وإن كان في أنواع التقلب بلاء ففي طيه رحمة غائبة عنه يعرفها الحق فإن الإصبعين أصبعا الرحمن فافهم أنك إذا علمت ما ذكرناه علمت من هو قلب الوجود الذي يمد عالم صورته التي هو لها قلب وأجزاؤها كلها وأنه هو قلب الجمع وهو ما جمعته هذه الصورة الوجودية من الحقائق الظاهرة والباطنة فلما كان الله كل يوم هو في شأن كان قلب العالم الذي هو صورة هذا القلب من حال إلى حال مع الأنفاس فلا يثبت العالم قط على حال واحدة

زماناً فرداً لأن الله خلاق على الدوام ولو بقي العالم على حالة واحدة زمانين لاتصف بالغنى عن الله ولكن الناس في لبس من خلق جديد فسبحان من أعطى أهل الكشف والوجود التره في قلب الأحوال والمشاهدة لمن هو كل يوم في شأن والله هو الدهر فلا فراغ لحكم هذا الدهر في العالم الأكبر والأصغر الذي هو الإنسان وهو أحد المعلومات الأربعة التي لها التأثير فالمعلوم الأول لنا الإنسان والمعلوم الثاني العالم الأكبر الذي هو صورة ظاهر العالم الإنساني والإنسان الذي هو قلب هذه الصورة ولا أريد به إلا الكامل صاحب المرتبة وهو المعلوم الثالث والمعلوم الرابع حقيقة الحقائق التي لها الحكم في القدم والحدوث وما ثم معلوم خامس له أثر سوى ما ذكرناه ويتشعب من هذا المتزل شعب الإيمان وذلك بضع وسبعون شعبة أدناها إمطة الأذى عن الطريق وأرفعها قول لا إله إلا الله وما بينهما من الشعب وهذا المتزل منزل الإيمان ومنه ظهر الإيمان في قلب المؤمن والخاص به الاسم المؤمن من الأسماء الإلهية فمن هنا شرع المؤمن شعب الإيمان وأبائها ومن هذا المتزل أخذت أمة محمد أعمارها فغاية عمر هذه الأمة المحمدية سبعون سنة لا تزيد عليها شيئاً فإن زاد فما هو محمدي وإنما هو وارث لمن شاء الله من الأنبياء من آدم إلى خالد بن سنان فيطول عمره طول من ورثه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في أعمار أمته أنها ما بين الستين إلى السبعين فجعل السبعين الغاية لعمر أمته فعلمنا أنه ما يريد بأمته إلا المحمدين الذين خصهم الله برتبة ما خص الله بها نبيه من الأحكام والراتب على جميع الأنبياء إذ كنا خير أمة أخرجت للناس وكل حكم ورتبة كانت لنبي قبله وإن كانت له ووقع له فيها الاشتراك فلم يخص له وحده وليس له الشرف الكامل إلا بما خلص له دون غيره فأمته مثله فمن كان عند انفصاله عن الدنيا أو في حاله على شرع مشترك من هذه الأمة نسبناه إلى من ظهر به أو لا قبل ظهور محمد صلى الله عليه وسلم ليظهر الفرق بين الأمرين ولتعرف منزلة الشخصين وإن كان ما أخذه إلا من تقرير محمد صلى الله عليه وسلم فإنه من أمته ولكن حكم الاشتراك يتميز عن حكم الاختصاص ومات صلى الله عليه وسلم وله ثلاث وستون سنة والذي يزيد على السبعين سنة بالغاً ما بلغ وإن كان من أمته وممن حصل له الاختصاص المحمدي كله فإنه لا يقبض حين يقبض إلا في الشرع المشترك وما هو نقص به فإنه قد حصل حكم الاختصاص ولكن خروجه عن السبعين التي جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب غاية عمر أمته المقبوضين في الحكم الاختصاصي جعله

أن يفرق بينه وبين غيره من الأمة وهذا من العلوم التي لا تدرك بالرأي والقياس وإنما ذلك من علوم الوهب الإلهي وكذا ذكر أن كل واحد من الخلفاء الأربعة ما مات حتى بلغ ثلاثاً وستين سنة إثباتاً أنهم قبضوا في الاختصاص المحمدي لا في حكم الشرع المشترك فمن هذا المتزل تعين هؤلاء الأربعة من غيرهم وتعينت العشرة أيضاً من هذا المتزل الذين هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسعد وسعيد وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح فهذا هو منزلهم الذي منه عينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد لهم بالجنة في مجلس واحد بأسمائهم فإن المشهود لهم بالجنة كثيرون لكن ليس في مجلس واحد ومقيدون بصفة خاصة كالسبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب وعين منهم عكاشة بن محصن ونبه بقوله بغير حساب أي لم يكن ذلك في حسابهم ولا تحيلوه فبدا لهم خير من الله لم يكونوا يحتسبونه وهم الذين لا يسترقون ولا يكتون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقله لا يسترقون أي لا يستدعون الرقية لإزالة ألم يصيبهم ولا يرقون أحداً من ألم يصيبه وجاء بالاستفعال للمبالغة وإنما رقي النبي صلى الله عليه وسلم واستعمل الطب في نفسه في مرضه لأنه يتأسى به فيتأسى به الضعيف والقوي فإنه رحمة للعالم وهكذا جميع الرسل فما حكمهم حكم أمهم فلا يقدح ذلك في مقامهم فلمهم المقام المجهول حيث يظهرون أمهم بصورة القوة والضعف فلا يعرف أحد لماذا ينسبهم من المقامات وقوله ولا يتصبرون فإن الطائر هو الحظ فهم خارجون عن حظوظ نفوسهم مشغولون بما

كلفهم الله به من الأعمال وفاء لما تستحقه الربوبية عليهم لا يبتغون بذلك حظاً لنفوسهم من الأجر الذي وعد الله به على ما هم عليه من الأعمال فلم يبعثهم على العمل ما نيظ به من الأجر ولكن ما ذكرناه من وفاء المقام فهذا معنى لا يتطرون أي لا يعملون على الحظوظ وقوله ولا يكتوون فإن الاكتواء لا يكون إلا بالنار وقد عصمهم الله أن تمسهم نار فيجدون في نفوسهم أنهم لا يكتوون وتلك عصمة إلهية من حيث لا يشعرون وقوله وعلى ربهم يتوكلون أي يتخذونه وكيلاً فلا يتكلمون عليه اتكال الموكل على الوكيل وهي معرفة وسطى جاءتهم من القصد الثاني فرأوا أن الله خلق الأشياء لهم وخلقهم له فاتخذوه وكيلاً فيما خلق لهم ليتفرغوا إلى ما خلقوا له وإنما قلنا مرتبة وسطى لأن فوقها المرتبة العالية وهو القصد الأول فإن الله ما خلق شيئاً من العالم كله إلا له ليسبحه بحمده وننتفع نحن بحكم العناية والتبعية والقصد الثاني هو هذا لأنه لما سوانا وسخر لنا ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه قصد أن في الخلق في العالم الإنساني وغير الإنساني من يتوكل عليه في أمره كله لأنه مؤمن بأن الله تعالى في كل شيء وجهاً ولا يقول به إلا المؤمن إذ كان غير المؤمن من الناس خاصة من يقول أن الله ما وجد عنه بطريق العلية إلا واحد ولا علم له بجزئيات العالم على التفصيل إلا بالعلم الكلي الذي يندرج فيه جميع العلم بالجزئيات فلماذا جعل التوكل في المؤمنين قال تعالى وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين فجعل التوكل علامة على وجود الإيمان في قلب العبد ولم يتخذ وكيلاً إلا طائفة مخصوصة من المتوكلين المؤمنين الذين امتثلوا أمر الله في ذلك في قوله فاتخذ وكيلاً فيتخيل من لا علم له بالوجود في الأشياء أنك صاحب المال فاتخذته وكيلاً سبحانه فيما هو ملك لك وأن إضافة الأموال إليك بقوله أموالكم إضافة ملك وما علم أن تلك الإضافة إضافة استحقاق كسرج الدابة وباب الدار لا إضافة ملك والذي نراه نحن والأكابر أن الله قال لنا وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فما هو لنا فوكلناه واتخذناه وكيلاً في الإنفاق الذي هو ملكنا لعلنا نعلم الوكيل بالصالح وموضع الإنفاق التي لا يدخلها حكم الإسراف ولا التقدير فتولى الله الإنفاق علينا بأن ألهنا حيث ننفق ومتى ننفق فإن النفقة على أيدينا تظهر فيدينا يد الوكيل في الإنفاق فنحن معصومون في الإنفاق لمعرفتنا بالوجوه ولأن أيدينا حق فإنها يد الوكيل وهذا لا يعلم إلا بالكشف الإلهي فهم بهذه المثابة في التوكل وما يشعرون بذلك لأنه قال بغير حساب فهم على غير بصيرة وأفعالهم أفعال أهل البصائر عناية إلهية يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم والفضل الزيادة واعلم أن العالم لما كان له أصله أن يكون

مربوطاً وجوده بالواجب الوجود لنفسه كان مربوطاً ببعضه ببعض فيتسلسل الأمر فيه إذا شرع الإنسان ينظر في العلم به فيخرجه من شيء إلى شيء بحكم الارتباط الذي فيه ولا يكون هذا إلا في علم أهل الله خاصة فلا يجري على قانون العلماء الذين هم علماء الرسوم والكون فقانونهم ارتباط العالم ببعضه ببعض فلماذا تراهم يخرجون من شيء إلى شيء وإن كان يراه عالم الرسوم غير مناسب وهذا هو علم الله ومعلوم أن المناسبة ثم ولكن في غاية الخفاء مثل قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين فجاء بآية الصلاة وقبلها آيات النكاح والطلاق وبعدها آيات الوفاة والوصية وغير ذلك مما لا مناسبة في الظاهر بينهما وبين الصلاة وأن آية الصلاة لو زالت من هذا الموضع واتصلت الآية التي بعدها بالآيات التي قبلها لظهر التناسب لكل ذي عينين فهكذا علم أولياء الله تعالى سئل الجنيد عن التوحيد فأجاب السائل بأمر فقال له لم أفهمه أعد علي فأجابه بأمر آخر فقال السائل لم أفهمه فأجابه بأمر آخر ثم قال له هكذا هو الأمر فقال أمله علي فقال إن كنت أجريه فأنا أمله يقول أي لا أنطق عن هوى بل ذلك علم الله لا علمي فمن علم القرآن وتحقق به علم علم أهل الله وأنه لا يدخل تحت فصول منحصرة ولا يجري على قانون منطقي ولا

يحكم عليه ميزان فإنه ميزان كل ميزان فلهذا المنزل من عالم الأجسام فلك الشمس من الأفلاك فسبعة فوقه منها ثلاث سموات وفلك

المتزل والأطلس الذي هو فلك البروج والكرسي والعرش المحيط وهو نهاية عالم الأجسام وتحتة أيضاً سبعة ثلاث سموات وكرات الأثير والهواء والماء والأرض وبقطعتها في الفلك تظهر فصول السنة وهي أربعة فصول لوجود التربيع الذي ذكرناه فإن البروج التي هي التقديرات في الفلك الأطلس مربعة قد جعلها الله على أربع مراتب نارية وترابية وهوائية ومائية لحكم الأربعة الإلهية والأربعة الطبيعية ولكل فصل ثلاثة أحكام حكمان للطرفين وحكم للوسط وبينهما أحكام في كل حركة ودقيقة وثانية وثالثة إلى ما لا يتناهى التقسيم فيها وجعل نجم السماء الثانية من جهتنا ممتزجاً وهو الكاتب ولهذا أسكنه عيسى عليه السلام لأنه ممتزج من العالمين فإنه ظهر بين ملك وبشر وهما جبريل ومريم فهو روح عن روح وبشر عن بشر ولم يجعل ذلك في غيره من هذا النوع كما لم يجعل شيئاً من الجواري الخنس على صورة الكاتب فهو السادس من هناك ليحصل له شرف رتبة قوله ولا خمسة إلا هو سادسهم وهو الثاني من جهتنا لأن الثاني هو الباء وهو المبدع الأول بفتح الدال الظاهر عن الإنسان الذي هو ظل الصورة الإلهية الذي لم يزل فذلك هو الأول لا أولية الحق لأن الحق لا تقبل الثاني فإن الواحد ليس بعدد وأول العدد الاثنان فظهر في السنة الامتزاج بظهور الفصول واعلم أن الله لما أعلمنا أنه هو الدهر ذكر لنا سبحانه أن له أياماً من كونه دهرًا وهي أيام الله فعين هذه الأيام أحكام أسمائه تعالى في العالم فلكل اسم أيام وهي زمان حكم ذلك الاسم والكل أيام الله وتفصيل الدهر بالحكم في العالم وهذه الأيام تتوالج ويدخل بعضها في بعض ويغشى بعضها بعضاً وهو ما نراه في العالم من اختلاف الأحكام في الزمان الواحد فذلك لتوالجها وغشيائها وتقليبها وتكررها وهذه الأيام الإلهية ليل ونهار فليها غيب وهو ما غاب عنا منها وهو عين حكمها في الأرواح العلوية الكائنة فوق الطبيعة والأرواح المهيمة ونهارها شهادة وهو عين حكمها في الأجسام الطبيعية إلى آخر جسم عنصري وهي ما تحت الطبيعة وسدفة هذا اليوم عين حكم هذه الأيام في الأرواح المسخرة التي تحت الطبيعة وهم عمار السموات والأرض وما بينهما وهم الصافون والتالون والمسيحون وهم على مقامات معلومة فمنهم الزاجرات والمرسلات والمقسمات والمنقيات والنازعات والناشطات والمدرات وغير ذلك مثل السائحين والعارجين والكاتبين والراقبين كل هؤلاء تحت حكم أيام الله من حيث سدف هذه الأيام فعن غشيئان نهار هذه الأيام ليلها وجدت الأرواح التي فوق الطبيعة وعن غشيئان ليل هذه الأيام نهارها وجدت الأجسام التي دون الطبيعة وعن توالج ليلها بنهارها فليس بنهار خالص لحكم الليل ومشاركته وليس بليل خالص لحكم النهار ومشاركته وهذا الحال لهذه الأيام تسمى سدفاً وجد عن هذا التوالج الأرواح التي دون الطبيعة ولما قسم الله أيامه هذه الأقسام جعل ليلها ثلاثة أقسام ونهارها ثلاثة أقسام فهو سبحانه يتزل لعباده في الثلث الأخير من ليل أيامه وهو تجليه فيه للأرواح الطبيعية المدبرة للأجسام العنصرية والثلث الوسط يتجلى فيه للأرواح المسخرة والثلث الأول يتجلى فيه للأرواح المهيمنة وقسم نهار هذه الأيام إلى ثلاثة أقسام يتجلى في كل قسم إلى عالم الأجسام من أجل ما هي مسبحة بحمد الله دائماً ففي الثلث الأول يتجلى للأجسام اللطيفة التي لا تدركها الأبصار وفي الثلث الوسط يتجلى للأجسام الشفافة وفي الثلث الأخير يتجلى للأجسام الكثيفة ولولا هذا التجلي ما صحت لهم المعرفة بمن يسبحونه فإن المسيح لا بد أن يكون له معرفة بمن يسبحه والمعرفة بالله لا يصح أن تكون عن فكر ولا عن خبر وإنما تكون عن تجليه لكل مسبح فمنهم العالم بذلك ومنهم من لا يعلم ذلك ولا يعلم أنه سبح عن معرفة تجل وذلك ليس إلا لبعض الثقيلين وما عدا هذين فهم عارفون بمن تجلى لهم مسبحون له على الشهود أجساماً عموماً وأرواحاً خصوصاً فكل من ليس له قوة التوصيل لما يشهد فعنده العلم بمن تجلى له وكذلك من له قوة التوصيل غير أنه أمين لا يتكلم إلا عن أمر إلهي فذلك عنده العلم بمن تجلى له ومن علم أن عنده قوة التوصيل وهو تمام يتم بما شاهده وسمعه وليس بأمين ينتظر أمر صاحب

الأمانة فإنه لا يعلمه الحق في تجليه أنه هو وهم المنكرون له إذا تجلى لهم في الدنيا والآخرة جعلنا الله من الأمناء العالمين بمن تجلى لهم فإن قلت فالليل والنهار في اليوم ما يحدثه إلا طلوع الشمس وغروبها فما الشمس التي أظهرت الليل والنهار في أيام الله المسمى دهرًا قلنا اسمه النور الذي ذكر أنه نور السموات والأرض فله الطلوع والغروب علينا من خلف حجاب الإنسان المثلي الذي ذكرنا أنه ظله المخلوق على صورته الأزلي الحكم الذي نفى عنه المثلية وأثبت عين وجوده في قوله ليس كمثله شيء بكاف الصفة فيسمى ليله باطنًا ونهاره ظاهرًا فهو الباطن من حيث ليله وهو الظاهر من حيث نوره وذلك المثل الإنساني يميز طلوع هذا النور فيكون النهار وغروب هذا النور فيكون الليل وهو حكم الظاهر والباطن في العالم وقد قررنا أنه لكل اسم في العالم حكم قبل هذا فالدهر من حيث عينه يوم واحد لا يتعدد ولا ليل له ولا نهار فإذا أخذته الأسماء الإلهية عينت بأحكامها في هذا اليوم الأزلي الأبدي الذي هو عين لدهر الأيام الإلهية التي أمر المذكر أن يذكرنا بها لنعرفها من أيام الزمان وأنه إذا أخذ الاسم النور في وجود الظل المثلي المتره وفي طلوعه على من فيه من العالم سمي العالم الذي في هذا المثل ذلك الطلوع إلى وقت غروبه عنهم نهارًا ومن وقت غروبه عنهم سموه ليلاً وذلك النور غير غائب عن ذلك الظل كما أن الشمس غير غائبة عن الأرض في طلوعها وغروبها وإنما تطلع وتغيب عن العالم الذي فيها والظلام الحادث في الأرض إنما هو ظلال اتصالات ما فيها من العالم فهو على الحقيقة ظل يسمونه ظلامًا والذين يسمونه ظلامًا ما ممن ليس له هذا الكشف يجعل ذلك ظل الأرض لما هي عليه من الكثافة وهي في المثل الظلي الإلهي ظل أعيان عمرته لا غير فاعلم ذلك ثم جعل الله هذه الأيام المعلومة عندنا التي أحدثتها حركة الأطلس والليل والنهار اللذين أحدثتهما حركة القلب أعني الشمس ليقدر بها أحكام الأيام الإلهية التي للأسماء فهي كالموازين لها يعرف بها مقادير تلك الأيام فقال وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون فإذا ضربت ثلاثمائة يوم وستين يوماً في ألف سنة فما خرج لك بعد الضرب من العدد فهو أيام التقدير التي ليوم الرب فينقضي ثم ينشئ في الدهر يوماً آخر لا سم آخر غير اسم الرب وكذلك يضرب ثلاثمائة يوم وستين يوماً في خمسين ألف سنة فما خرج لك بعد الضرب من الأيام فهو أيام التقدير التي ليوم ذي المعارج من الأسماء الإلهية فإذا انقضى ذلك اليوم أنشأ في الدهر يوماً آخر لا سم آخر فير الذي لذي المعارج هكذا الأمر دائماً فلكل اسم إلهي يوم وإنما ذكرنا هذين اليومين يوم الرب ويوم ذي المعارج لكونهما جآ في كتاب الله فلا يقدر المؤمنون بذلك على إنكارهما وما لم يرد إلى على ألسنتنا فلهم حكم الإنكار في ذلك بل الأمر كما ذكرناه أنه ما من اسم إلهي مما يعلم ويجهل إلا وله يوم في الدهر وتلك أيام الله والكل على الحقيقة أيام الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون

فإذا نزلنا من الأسماء الإلهية إلى يوم العقل الأول قسمه حكمه في النفس الكلية إلى ليل ونهار فليل هذا اليوم عند النفس إعراض العقل عنها حين يقبل على ربه بالاستفادة ونهاره عند هذه النفس حين يقبل عليها بالإفادة فهو يومها وجعل الله من هذا الحكم في النفس قوتين قوة علمية وهي ليلها في العالم الذي دونها وقوة عملية وهي النهار في العالم الذي دونها وهو المسمى غيباً وشهادةً وحرافاً ومعنى ومعقولاً ومحسوساً فهذا الحكم في النفس يوم لا نهار فيه ولا ليل وهو من العالم نهار وليل وكذلك يوم الهوى الكل ليلها جوهرها ونهارها صورتها وهي في نفسها يوم لا ليل فيه ولا نهار وشمس كل ليل ونهاره هو المعنى المظهر لهذا الحكم الذي به ينسب إلى هذا اليوم ليل ونهار فإذا نزلنا إلى فلك البروج تعين في حركته اليوم وعين ذلك الكرسي الذي تقطع فيه فتعيينه من فوق لأنه لم يكن ظهر في جوفه بعدما تعين به حركته مستوفاة فهو يوم لا نهار له ولا ليل ولا مقدار أيام من جهة مقعده وهو متمائل الأجزاء ما هو متمائل الأحكام ولما كان الكرسي هو الذي أظهر فيه تعيين الأحكام بتعيين المقادير المسماة بروجاً وجعل لكل مقدار فيها ملكاً

معيناً تعينت المقادير بتلك الأحكام التي وليها ذلك الملك المعين فإذا دار دورة واحدة سميت من جهة الكرسي يوماً وكانت الكلمة في العرش واحدة مثل حكم اليوم فلما وجد الكرسي تحت العرش كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض انقسمت في الكرسي تلك الكلمة الواحدة التي هي يوم العرش فكانت قسمتها بالقدمين اللتين تدلتا إلى هذا الكرسي وهما قدم الرب وقدم الجبار فكانتا أعني هاتين القدمين ليوم العرش كالنهار والليل اللذين قسما اليوم ويوم العرش أحدية كلمته لأن أمر الله واحدة ثم أن الله أوجد فلك الكواكب الثابتة التي ميزتها مقادير البروج ولكل كوكب منها قطع في فلك البروج فإذا قطعه الكوكب كله كان يوماً واحداً من أيام ذلك الكوكب مدة قطعه وهو يقطع درجة من ثلاثمائة وستين درجة في مائة سنة مما نعهده من سنيننا ثم أوجد بين هذين الفلكين الجنة وما فيها ومن العالم ما لا يحصي عددهم إلا الله ومن فلك البروج إلى آخر العالم الجسمي ظهر حكم البروج الهوائية والنارية والمائية والترابية في الفضاء الذي بين كل فلك وفلك ولا يعلم ذلك إلا بالمشاهدة والذين لا علم لهم بذلك يقولون أن الأفلاك تحت مقعر كل فلك منها سطح الذي تحته ولا علم لهم بان بينهم فضاء فيه حكم الطبيعة كما هي في العناصر سواء غير أنها مختلفة الحكم بحسب القوابل ثم أوجد الأركان الأربعة على حكم ما هي عليه البروج التي في الفلك الأطلس لكل ركن طرفان وواسطة للثلاثة الوجوه التي في البروج فلأثير حكم الحمل والأسد والقوس فالقوس والأسد للطرفين والحمل للوسط وللتراب الثور والسنبلة والجدي فالجدي والسنبلة لطرفين والثور للوسط وللحواء الجوزاء والميزان والدالي فالميزان والجوزاء للطرفين والدالي للوسط وللماء السرطان والعقرب والحوت فالحوت للوسط والعقرب والسرطان للطرفين وإنما رتبناها هذا الترتيب لأن وجود الزمان والعالم الذي يحتوي عليه الفلك الأطلس كان بطالع الميزان وقد انتهت الدورة بالحكم إليه من أول مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن اليوم في سلطانه ولهذا كان العلم والعدل في هذه الأمة والكشف أكثر وأتم مما كان في غيرها من الأمم وكل ما مضى الأمر استحکم سلطانه وعظم الكشف حتى يظهر ذلك في العام والخاص فتكلم الرجل عذبة سوطه ويكلم الرجل فخذه بما فعل أهله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقه الله ولما خلق الله الأركان خلق منها دخاناً فتق فيه سبع سموات ساكنة غير متحركة وأوحى في كل سماء أمرها بأن خلق لها أفلاكاً وجعلها محلاً لسباحات الجواري الكنس الخنس وخلق فيها عماراً يعمرونها من الملائكة وجعل لها أبواباً تغلق وتفتح لتزول الملائكة وعروجها وأسكنها أرواح من شاء من أنبيائه وعباده وخلق في الفضاء الذي بين سطح السماء السابعة ومقعر فلك الكواكب سدرة المنتهى التي غشاها من نور الله ما غشى وخلق على سطح هذه السماء البيت الضراح وقد تقدم ذكره وذكر الملائكة التي تدخله في كل يوم ويخرج من أصل هذه السدرة أربعة أنهار تمشي إلى الجنة فإذا انتهت إلى الجنة أخرج الله منها على دار الجلال نهرين

النيل والفرات اللذين عندنا في الأرض فأما النيل فظهر من جبل القمر وأما الفرات فظهر من أرزن الروم وأثر فيهما مزاج الأرض فتغير طعمهما عما كان عليه في الجنة فإذا كان في القيامة عادا إلى الجنة وكذلك يعود سيحون وجيحون ولما فتق الله هذه السموات بعدما كانت رتقاً في الدخان ومعنى الدخان أن أصل لها وهي اليوم سوات كما أن آدم خلقه من تراب أي أصله وهو لحم ودم وعروق وأعصاب كما خلقنا من ماء مهين وأحدث الله الليل والنهار بخلق الشمس وطلوعها وغروبها في الأرض فأما السموات فنور ليس فيها ليل ولا نهار ومخرج الليل من كرة الأرض التي غرب عنها الشمس مخروط الشكل كشكل نور السراج كما تبصره يخرج من رأس الفتيلة فيشعل الهواء مخروط الشكل إلى أن ينتهي إلى أمد قوة اشتعاله وينقطع ويبقى الهواء الذي فوقه محترقاً غير مشعل قوي الحرارة ولما سبحت هذه الأنجم في أفلاكها جعل الله لكل كوكب يوماً من أيام حركة فلك البروج سمي تلك الأيام

زماناً يعد به حركة الفلك كما جعل حركة فلك البروج أياماً كل حركة يوم يعد به مدة الزمان المتوهم الذي يتوهم ولا يعلم ولا يدرك وهو الدهر الذي نهيئنا عن سبه وقال الناهي أن الله هو الدهر فجعله اسماً من أسمائه فله الأسماء الحسنی جل وتعالى فعين لكل يوم ليلاً ونهاراً وفرق بين كل ليلة ونهارها بحكم الكوكب الذي هو لليوم الذي ظهر فيه الليل أو النهار فينظر لمن هي أول ساعة من النهار من الجوّاري فهو حاكم ذلك النهار ويطلب في الليالي فالليلة التي حكم في أول ساعة منها ذلك الكوكب الذي حكم في أول ساعة من النهار فتلك الليلة ليلة ذلك النهار وبالحساب تعرف ذلك وفتق الأرض سبعاً جعل لكل أرض قبولاً لنظر كوكب من الجوّاري إليه وقد ذكرنا ذلك كله فيما تقدم وجعل لكل كوكب قطعاً في فلك البروج فإذا انتهى قطعه فذلك يوم واحد له هو يومه الذي أحدثه قطعه وجعل حركات هذه الأفلاك والأركان في الوسط لا من الوسط ولا إلى الوسط وجعل حركة عمارها إلى الوسط ومن الوسط وتحدث الأشياء عند هذه الحركات في عالم الخلق والأمر وفي الجنب الأقدس وهي آثار محسوسة ومعقولة يحكم بها دليل الشرع والعقل وهي آثار أحوال كترول الحق إلى السماء الدنيا وأعمال وأقوال كإجابة الحق من دعاء وخلق الملائكة من أعمال بني آدم الظاهرة والباطنة وغرس الجنة من أعمال أهلها من بني آدم ويوم شرع محمد إن كمل ليله ونهاره فهو من أيام الرب وإن لم يكمل وانقطع في أية ساعة انقطع فيها فذلك مقداره وهو من الاسم الخاذل والناصر لان الخاذل والناصر ليس ليومهما مقدار معلوم عندنا بل ميزانه عند الله لا يعلمه إلا هو وحكمهما في كل إنسان بقدر عمر ذلك الإنسان وقدرهما في هذه الأمة بقدر بقائها في الدار الدنيا وذلك بحسب نظرها إلى نبيها محمد صلى الله عليه وسلم فإن نظرت إليه كمل لها يوم الرب وإن أعرضت فلها ما انقضى من مدة يوم الرب ويرجع الحكم لاسم آخر له عند الله يوم موقت لا يعلمه إلا هو ويوم هذه الأمة متصل بيوم الآخرة ليس بينهما إلا ليل البرزخ خاصة وفي فجر هذه الليلة تكون نفخة البعث وفي طلوع شمس يومه يكون إتيان الحق للفصل والقضاء وفي قدر ركعتي الإشراق ينقضي الحكم فتعمر الداران بأهلها وذلك يوم السبت فيكون نهاره أبدياً لأهل الجنان ويكون ليله أبدياً لأهل جهنم فإذا انقضت مدة الآلام في جهنم وهو يوم من خمسين ألف سنة في حق قوم وأقل من ذلك في حق قوم وشفعت التسعة عشر ملكاً في أهل جهنم للرحمة التي سبقت ارتفاع الآلام فارتفعت عنهم فافهم وهذا القدر هو نعيم أهل جهنم إن علمت وفي هذا المتزل من العلوم علم رحمة السيادة وأين ينادي بها وبماذا يستحقها وما حكمة كونه نداء ترخيم والترخيم التسهيل ولهذا يوصف به الحسان فيقال في المرأة الحسناء رحيمة الدلال أي سهلة وفيه علم جميع الحكم لا جميع كل شيء فإن الحكم ليس لها عين إلا في الترتيب خاصة معنى وحساً وفيه علم الرسالة على اختلاف أنواعها لاختلاف الرسل فغن الأنبياء رسل والملائكة رسل والبشر رسل وتختلف الرسالة باختلاف الأحوال وكل ذلك شرائع موصلة إلى الله وإلى السعادة الدائمة لا اعوجاج فيها ولا ينبغي لأهلها نزلت من عرش الرحمة متدية بالعزة فلا يؤثر فيها شيء يخرج أممها عن حكمها فما من أمة إلا والرحمة تلحقها كما لحقتها الشريعة التي

خوطبت بها وفيه علم حكمة وضع الشرائع في العالم ولماذا وضعت في الدار الدنيا ولم توضع في الآخرة لماذا وتوقيت ما وضع منها في الدار الآخرة ألا كالتحجير على آدم في قرب الشجرة وآخر كدعاء الحق عباده إلى السجود يوم القيامة وبهذا الحكم الشرعي يوم القيامة يرجح ميزان أهل الأعراف فيثقل ميزانهم بهذه السجدة فينصرفون إلى الجنة بعدما كان مترهم في سور الأعراف ليس لهم ما يدخلهم النار ولا ما يدخلهم الجنة فيه قوة المؤمن فيعدل من قوى الكفار قوى كثيرين ولهذا شرع لهم أن لا يفروا في قتال عدوهم وشرع لبعضهم قوة واحد لعشرة ثم خفف عنهم مع إبقاء القوة عليهم فشرع لهم لكل قوة مؤمن قوة رجلين من الكفار ولهذا قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوعك كما يوعك رجلان من أمته فأعطى قوة رجلين من أمته وفيه علم رحمة وجود الغفلة والنسيان في العالم بل في هذه الأمة لما نص فيها وكذلك الخطأ وفيه علم الفرق بين القول وقول الله والقول المضاف إلى الخلق والكلمة وهل لكل قول وكلمة حق واجب في الإمضاء أو ليس ذلك إلا لخصوص قول فإن كان لخصوص قول دون كلمة فما السبب الموجب لهذا التخصيص والكل قول من حيث ما هو قول وكلمة من حيث ما هي كلمة وإذا كان في نفس الأمر الحكم للقول وهو السابق فلماذا وقع الأخذ بالسؤال والتقرير مع العلم بأنه مجبور في اختياره وهي مسألة صعبة التصور كثيرة التفات ولولا وجود الآلام لهانت وما خطرت على بال وفيه علم تقييد المعاني ووجود آثار أحكامها فيمن قامت به وإلى أين ينتهي حد التقييد منها في نشأة الإنسان وفيه علم السبب الذي لأجله ترفع الوجوه والأبصار إلى الفوق يوم القيامة وفي الدنيا هل حكمهما وسببهما واحد أو مختلف وهل الرفع عن جذب من خلف أم عن اختار وفيه علم كون الإنسان بين قضاء الله وقدره فلا يقدر يتعداهما وهل عم القضاء والقدر جهات الإنسان كلها أو ليس لهما منه إلا جهتان جهة الحادي والهادي وهما السائق والشهيد وما الذي أعمى الناس اليوم عن شهود هذين وفي الآخرة يرونها ولم اختصا بالخلف والأمام دون سائر الجهات والشیطان له مسالك الأربع جهات فهل مكان الخلف والأمام لهما الاستشراق على اليمين والشمال بحكم اليدين اللذين لهما ولو كان لهما اليمين والشمال لتعطلت اليد الواحدة من كل واحد منهما في حق من التزامه فلا بد أن يكون لهما الخلف والأمام وفيه علم نسبة العدم والوجود إلى الممكن وهو لا يعقل إلا بالمرجح وليس عند المرجح إلا وجه واحد من هاتين النسبتين فيرتفع الإمكان فما الصحيح في ذلك هل بقاء الإمكان أو ارتفاعه وفيه علم القوابل هل هي قوابل لكل شيء أو لأشياء مخصوصة أو تتميز في القبول فيكون على صفة توجب لبعض القوابل ما تقبله مما لا تقبله وهل لما تقبله من الأمور التي تأخذها القوابل طريق واحد أم تختلف الطرق وفيه علم وصف الأجر بالعظمة والكرم لماذا يرجع وهو علم شريف وفيه علم الموت وما معنى إحياء الموتى ومن يميتهم هل الله بلا سبب أو هل الملك وما هو ذلك الملك هل هو بعض الأخلاط التي قام بها الجسد الحيواني فإن الأخلاط من ملائكة الله أو هو ملك من ملائكة السموات وإن أضيف إلى السموات هل يضاف إلى واحدة منها بحكم أنه عن حركة ما أوحى الله فيها قوى هذا الخلط القاهر المسمى ملك الموت أو هو ملك غريب من سكان السماء السابعة وكذلك الحيي مثل المميت غير أنه تختلف السماء فغن السماء السادسة معدن الحياة ولها تقوية من كل سماء كما للموت أيضاً والكلام في الحيي كالكلام في المميت أو يكون المميت هو الله من حيث أنه اسم إلهي من أسمائه وكذلك الحيي فهو المميت الحيي ولا نقدر نرفع الأسباب التي وضعها الحق فتبطل حكمة الحق فنرفع الأسباب في الاعتقاد ونقرها في الوجود في أماكنها واسرافيل ينفخ في الصور وعزرائيل يقبض الأرواح وهذا الاستعداد الذي في هذه الصور لقبول الاشتعال فتحيا ولقبول الانطفاء فتموت وهذا الملك الموكل بنا لا بالموت هو الذي يقوي الملك الذي به وبأصحابه قامت نشأة جسد الحيوان فيميت لقوة سلطانه على بقية أصحابه ولهذا تعرف الأطباء أن الإنسان يموت بالعلامات فلو كان الملك غير ما ذكرناه ما انتهى إليه علم الأطباء فإن ذلك من خصائص علم الأنبياء ومن أعلمه الله من عباده وهل المقتول له هذا الحكم الذي للعليل في الموت أم له حكم آخر وهل

للملك الموكل بنا لا بالموت هل له حكم الموت أو حكم قبض الأرواح والعروج بها وهل هو ملك واحد أو ملائكة فإن الله أضاف وفاة الأنفس إليه وإلى ملك الموت وإلى رسله فلا بد من علم هذه الإضافات وما المراد بها وهل تختلف مدارجها أو هي على مدرجة واحدة وفيه علم ما يؤول إليه الجسم بعد الموت والروح وما يبعث في نفخة البعث منهما وهل يتغير النشء بالعرض أو بالصورة

وفيه علم آثار الأكوان وما الحضرة التي تمسك فيها إلى وقت الحشر فيوقف أصحابها عليها وهي آثار المكلفين وهي ما صدر عنهم من الأفعال زمان التكليف لا في غير زمانه مثل النائم والمغلوب على عقله والشخص الذي لم يبلغ الحلم فلهذا قلنا زمان التكليف ولم نقل دار التكليف وفيه علم تتابع الرسل في الأمة الواحدة بخلاف هذه الأمة الحمديّة فإنها ما اختلفت عليها الرسل بل إن ظهر فيها من كان رسولاً التحق بها وقام بشرعها وجرت عليه أحكام شرع محمد صلى الله عليه وسلم وفيه علم النصائح وكون هذه النشأة الإنسانية جبلت على البخل والكرم لها بحكم العرض ما هو لها ذاتي وإذا كانت بهذه المثابة فمن أين صح لها الأجر الكريم وليس بينها وبين الكرم نسبة ذاتية والكرم للأجر ذاتي والعظمة له ذاتية وللأجر العظيم قوم مخصوصون وللأجر الكريم قوم مخصوصون وفيه علم اختلاف أسباب البواعث على العبادة في الثقلين وغيرهما وفيه علم التسليم والتفويض إلى الله وفيه علم التمني وفائدته وصفة القائم به وفيه علم معرفة كون العالم ملكاً لله تعالى من حيث ما هو ملك ومن ينازعه حتى وصف نفسه أن له جنود السموات الأرض وفيه علم ما يضاف إلى الله أنه منعوت بالوحدة وما سبب تكثر هذه الوحدة وما أثرها في العالم وفيه علم الكشف لما كان غيباً وفيه علم القبول مع ظهور الدليل والعلم به أنه دليل وما سبب جهل من جهل أنه دليل وهل لكل معلوم دليل أم هو لبعض المعلومات وفيه علم عدم الرجعة إلى ما خرج منه وفيه علم الحضرة التي يجتمع فيها عالم الدنيا من مكلف وغير مكلف وهل يبعث غير المكلف من حيوان ونبات وحجر لتقوم به المطالبة والحجة من الله على المكلفين أو يعيشون لأنفسهم لما لهم في ذلك من الخبر المعلوم عند الله ثم ما يؤول إليه أمرهم بعد البعث وفيه علم ما اختزن الله لنا في عالم السماء والأرض من المنافع وفيه علم الشكر الواجب من الشكر الذي يتبرع به الإنسان وأيهما أكمل أجراً وفيه علم السبب والحكمة التي لأجلها خلق الله من كل شيء زوجين وهل من هذه الحكمة خلق آدم على صورته وفيه علم الزمان الذي يفصل به اليوم وفيه علم سكون من لا سكون وفيه علم مناهل المسافرين وهل يحصون عدداً أم لا وفيه علم اختلاف الصفات على المسافرين باختلاف طرقهم ومناهلهم وفيه علم السابق الذي يلحق والسابق الذي لا يلحق من المسافرين كالشخص مع ظله لا يلحق ظله أبداً ويلحقه ظله وغير ذلك من المسافرين وهو علم شريف يتضمن جميع الأسفار الإلهية والكونية والعلوية والسفلية وهو علم عزيز المنال بعيد المدرك لا يتفطن له كل أحد وأما الإحاطة به فلا تعلم إلا بإعلام الله ولا يصح الإعلام بما على التفصيل فإنها أسفار لا نهاية لها وفيه علم الطرق التي يسلك فيها كل مسافر وفيه علم الأسباب التي تحول بين بعض المسافرين وبين ما قصدوه في سفرهم والفرق بين السفر الاختياري والجبري وفيه علم زمان الدنيا العام الذي يكون بعد انقضائه القيامة الكبرى وفيه علم زمان عمر الحيوان والمولدات وقيامتهم الصغرى بانقضاء مدتهم والفرق بين هذين الحشرين فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مات فقد قامت قيامته فحشرهم إلى البرزخ قيامة وفيه علم صفات ترجي الرحمة التي تسأل الرحمة بلسانها وفيه علم السبب الموجب الذي لأجله أعرض من أعرض عن النظر في الدلالات العقلية التي جاءت بها الرسل والتي لم تجيء بها من الآيات المعتادة وهل تختلف دلالتها وما صورة دلالتها وهل يختلف مدلولها باختلاف قصد الدال أو قصد الذي يحرك الدال للنظر في الدليل كالرسول يجيء بالدلالة على صدقه في كونه رسولاً وتلك الدلالة بعينها تكون دلالة على وجود الحق وعجز الخلق وفيه علم التأسي بالله فيما ذمه الله هل يذم صاحبه من جهة لسان الحقيقة أو لا يذم إلا بلسان الشرع وفيه علم ما يقبض عليه الإنسان هل يبقى عليه في البرزخ ويحشر عليه أم يتغير عليه الحال ويقبض على ما يبدو له عند كشف الغطاء قبل القبض أو هل عين القبض هو عين الكشف للغطاء وفيه علم رد السائل هل رده عن سؤاله جواب له عن سؤاله أم لا وفيه علم السبب الموجب للإسراع لمن ناداه الحق هل هو إسراع توقع جبر وفيه علم ما سبب اختلاف

كلام المبعوثين من أهل القبور وفيه علم من يجيبهم في ذلك هل يجيبهم الحق أو الملائكة أو العالمون وفيه علم ما يتجلى للذين يبعثون من قبورهم هل هو صورة واحدة أم صور مختلفة وهل ذلك التجلي اسم إلهي أم لا وفيه علم ما السبب الذي أوجب أن يخالف ترتيب البروج وهي طبيعة ترتيب العناصر فإن ترتيب البروج كل برج بين منافر ومناسب بوجه كل واحد إذا أخذته تجده كما ذكرناه وأما الأركان فترتيبها لمناسبة ليس فيها تنافر من جميع الوجوه فالنارية الثلاثة كلها من مائية وترايبية والترايبية كلها من نارية وهوائية والهوائية كلها بين ترايبية ومائية والمائية كلها بين هوائية ونارية والأركان ليست كذلك وفيه علم الفرق بين عندي ولدي وعندنا ولدنا ولدنا ولدني وفيه علم الفصل بين الأشياء لتمييز بعضها عن بعض وفيه علم ما يرى الرائي غير صورته وصفته كان الرائي من كان وفيه علم الاشتغال ولم سمي شغلاً وعمن يشتغل وهل ثم شغل يغني عن سواه بالكلية أم لا وفيه علم الأُنس بمثله إلا بمثلية ليس كمثله شيء وفيه علم الهيات والحالات التي تكتسبها النفوس في الدار الدنيا وفيه علم الأعراس الإلهية وفيه علم ما لكل اسم إلهي من الرحمة من الأسماء التي تعطي بظواهرها ذهاب الرحمة منها وفيه علم الاستحقاق الذي يستحقه العالم من حيث ما هو عليه من الصفة فهو استحقاق الصفة لا استحقاق الموصوف وفيه علم العهد الإلهي والكوني فيماذا وقع وفيه علم حكم المتقدم كيف ظهر في المتأخر ومن أين ظهر وفيه علم البعد الكوني من البعد الإلهي وفيه علم النطق والصمت وتعيين الناطق والصامت وزمانه ومكانه وفيه علم تبدل الصور العلية بالصور الدنية وفيه علم سبب التثبط عن النهوض مع وجود الكشف وفيه علم ما يعطيه إلزامان في نشأة الإنسان وفي سائر المعادن والنبات والحيوان وفيه علم الإيهام والإيضاح وفيه علم اجتماع الكثير على إيجاد الواحد وفيه علم تمليك ما ينشئه المنشئ لكونه إنشاه وفيه علم الرياضة الإلهية والفرق بينها وبين الرياضة الكونية وفيه علم حضرة المنعم ومآلها في الدنيا والآخرة في الحكم وفيه علم سبب الاعتماد على من يعلم أنه ليس ممن يعتمد عليه وفيه علم المبدأ والمعاد وفيه علم التشبيه وعكس التشبيه وما هو الأصل الذي يقع به التشبيه وفيه علم تأثير اجتماع الأضداد من العلم الإلهي ووجود النار في الماء والماء في النار وفيه علم الصفة التي أظهرت العالم في عينه وفيه علم الملكوت وأين حظه من الملك والجبروت والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب التاسع والأربعون وثلاثمائة في معرفة منزل فتح الأبواب وغلقها

وخلق كل أمة من الحضرة المحمدية

نعتاً من الحق والأكوان أعلام

أتى بذلك قرآن وإلهام

ولا تحقق لي قرب وإمام

قضى به في كتاب الله أعلام

لذلك أوجده والله علام

في كل حال فلذات وآلام

لا نرم شيء من الأكوان أن لها

من غيرة الحق كان الحق أعينها

لولا افتقاري وذلي ما اجتمعت به

في حقه كل موجود سعى ومشى

فكل شيء من الأعيان سبحانه

وكل كون من الأكوان مفتقر

قال الله تعالى والله غني عن العالمين وقال تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه لما أمركم به من الفحشاء وفضلاً لما وعدكم به من الفقر والله غني حميد وقال تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد وقال لأيي يزيد البسطامي يا أبا يزيد تقرب إلي بما ليس لي الذلة والافتقار واعلم أن الله أبواباً فتحتها للخير وأبواباً أعدّها لم يصل وقت أو أن فتحتها للخير أيضاً وأبواباً فتحتها للآلام المعبر عنها بالعذاب لما يؤول إليه أمر أصحابه فيستعذبه في آخر الحال ولذلك سماه عذاباً وإنما يستعذبه في آخر الأمر لكونه ذكره بربه فإن الإنسان إذا أصابه الضر وانقطعت به الأسباب وهو أشد العذاب ذكر ربه فرجع إليه مضطراً لا مختاراً فيستعذب عند ذلك الأمر الذي رده إلى الله وذكره به وأخرجه عن حكم غفلته ونسيانه فسماه عذاباً فهو اسم مبشر لمن حل به بالرحمة أنها تدركه فما ألطف توصيل الحق بشارته لعباده في حال الشدة والرخاء ولولا ذلك ما حقت الكلمة في قوله أفمن حقت عليه كلمة العذاب فأتي بلفظة العذاب ألا ترى إبراهيم الخليل عليه السلام يقول يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن والرحمن لا يعطي ألماً موجعاً إلا أن يكون في طيه رحمة يستعذبها من قام به ذلك الألم كشراب الدواء الذي يتضمن العافية استعماله ألا تراه كيف قال لأبيه أن الشيطان كان للرحمن عصياً فلو علم أن في الرحمة ما يوجب النعمة لما رونا أن الله يقول للملك لا تقضي حاجة فلان في هذا الوقت فإني أحب أن أسمع صوته وإن كان يتألم ذلك الشخص من فقد ما يسأل فيه ربه فهذا منع مؤلم عن رحمة إلهية ثم أن السور باطنه فيه الرحمة الخالصة وظاهره من قبله العذاب ولم يقل آلام العذاب لعلمه بما يؤول إليه الأمر فأبان تعالى أن باطن هذا الموجود فيه الرحمة والظاهر منه لا يتصرف إلا بحكم الباطن فلا يكون أمر مؤلم في الظاهر إلا عن رحمة في الباطن فغن الحكم للباطن في الظاهر هل تتصرف الجوارح وهي الظاهرة إلا عن قصد الباطن المصروف لها والقصد باطن بلا شك فما كان العذاب في ظاهر السور إلا عن قصد الرحمة به التي في باطن السور فليس الألم بشيء سوى عدم اللذة ونيل الغرض فما عند الله باب يفتح إلا أبواب الرحمة غير أنه ثم رحمة ظاهرة لا ألم فيها وثم رحمة باطنة يكون فيها ألم في الوقت لا غير ثم يظهر حكمها في المال فالآلام عوارض واللذات ثوابت فالعالم مرحوم بالذات متألم بما يعرض له والله عزيز حكيم يضع الأمور مواضعها ويترها منازلها الإنسان يضرب ابنه أداً ويؤلمه بذلك الضرب عقوبة لذنبه وهو يرحمه بباطنه فإذا وفي الأمر حقه أظهر له ما في قلبه وباطنه من الرحمة به وشفقة الوالد على ولده ولهذا ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة طويلة يقول فيها وأن الله أشفق على عبده من هذه على ولدها وأشار إلى امرأة وهذا كله من علوم الأذواق جعلنا الله والسماعين من أهل الرحمة الخالصة التي لا ألم لها بممنه واعلم أن الله ما أظهر الممكنات في أعيانها موجودة إلا ليخرجها من شر العدم إذ علم أن الوجود هو الخير المحض الذي لا شر فيه إلا بحكم العرض وهو من كونه ممكناً للعدم نظر إليه وهو الآن موصوف بالوجود فهو في الخير المحض فالذي يناله من حيث هو ممكن من نظر العدم إليه في حال وجوده ذلك القدر يكون الشر الذي يجده العالم حيث وجده فإذا نظر الممكن إلى وجوده وأبده سر لاستصحابه الوجود له وإذا نظر إلى الحالة التي كان موصوفاً بها ولا وجود له تألم بمشاهدته لأن الحال له الحكم فيمن قام به وحال هذا الممكن الآن مشاهدة العدم فيتعذب عذاباً وهمياً كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الصراء الحمد لله على كل حال ومن الأحوال الموجبة للحمد أحوال السراء التي حمدها الحمد لله المنعم المتفضل فلولا أن الحمد على كل حال يتضمن

حمد السراء فهو إعلام بأن في الصراء سراء لعموم حمدها والحمد ثناء على المحمود وصاحب الضراء لو لم يكن في طي تلك الضراء سراء لم يكن ذلك الحمد ثناء من الحامد في حال الضراء والحمد ثناء بلا شك في نفس الأمر فما في العالم ضر لا يكون مشوباً برحمة كما أن المؤمن لا تخلص له معصية غير مشوبة بطاعة أصلاً وهي طاعة الإيمان فهو في مخالفته طائع عاص كالمعذب المرحوم ثم لتعلم أن الممكنات

مفتقرة بالذات فلا يزال الفقر يصحبها دائماً لأن ذاتها دائمة فوضع لها الأسباب التي يحصل لها عندها ما افتقرت فيه فافتقرت إلى الأسباب فجعل الله عين الأسباب أسماء له فأسماء الأسباب من أسمائه تعالى حتى لا يفتقر إليه لأنه العلم الصحيح فلا فرق عند أهل الكشف بين الأسماء التي يقال في العرف والشرع أنها أسماء الله وبين أسماء الأسباب أنها أسماء الله فإنه قال أتمم الفقراء إلى الله ونحن نرى الواقع الافتقار إلى الأسباب فلا بد أن تكون أسماء الأسباب أسماء الله تعالى فندعوه بها دعاء الحال لادعاء الألفاظ فإذا مسنا الجوع سارعنا إلى الغذاء المزيل ألم الجوع فافتقرنا إليه وهو مستغن عنا ولا نفتقر إلا إلى الله فهذا اسم من أسمائه أعني صورة ذلك الغذاء النازل منزلة صورة لفظ الاسم الإلهي أو صورة رقمه ولذلك أمر بشكر الأسباب لأنه أمر بشكره فهو الثناء عليه بما واعلم أن من رحمة الله بخلقه أن جعل على قدم كل نبي ولياً وارثاً له فما زاد فلا بد أن يكون في كل عصر مائة ألف ولي وأربعة وعشرون ألف ولي على عدد الأنبياء ويزيدون ولا ينقصون فإن زادوا قسم الله علم ذلك النبي على من ورثه فإن العلوم المنزلة على قلوب الأنبياء لا ترتفع من الدنيا وليس لها إلا قلوب الرجال فتقسم عليهم بحسب عددهم فلا بد من أن يكون في الأمة من الأولياء على عدد الأنبياء وأكثر من ذلك روينا عن الخضر أنه قال ما من يوم حدث فيه نفسي أنه ما بقي ولي لله في الأرض إلا قد رأيتُهُ واجتمعت به فلا بد لي أن اجتمع في ذلك اليوم مع ولي لله لم أكن عرفته قبل ذلك وروينا عنه أنه قال اجتمعت بشخص يوماً لم أعرفه فقال لي يا خضر سلام عليك فقلت له من أين عرفتي فقال لي إن الله عرفني بك فعلمت أن الله عبداً يعرفون الخضر ولا يعرفهم الخضر وأعلم أن الله عبداً أحقياً أبرياء أصفياء أولياء بينهم وبين الناس حجب العوائد غامضين في الناس لا يظهر عليهم ما يميزهم عن الناس وهم يحفظ الله العالم وينصر عباده معروفون في السماء مجهولون في الأرض عند أبناء الجنس لهم المهنة في الدنيا والآخرة ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء لا في الدنيا يعرفون ولا في الآخرة يشفعون انفردوا بالحق في سرائرهم وما كنت عرفت أن الله قد جعل في الوجود ولياله على كل قدم نبي فغن الله تعالى لما جمع بيني وبين أنبيائه كلهم حتى ما بقي منهم نبي إلا رأيتُهُ في مجلس واحد لم أر معهم أحداً ممن هو على قدمهم ثم بعد ذلك رأيت جميع المؤمنين وفيهم الذين هم على أقدام الأنبياء وغيرهم من الأولياء فلما لم يجمعهم مجلس واحد لذلك لم أعرفهم ثم عرفتهم بعد ذلك ونفعني الله برؤيتهم وكان شيخنا أبو العباس العربي على قدم عيسى عليه السلام وكنا نقول قبل هذا أن ثم أولياء على قلوب الأنبياء فقليل لنا لا بل قل لهم على أقدام الأنبياء لا تقل على قلوبهم فعلمت ما أراد بذلك لما أطلعني الله على ذلك رأيتهم على آثارهم يقفون ورأيت لهم معراجين المعراج الواحد يكونون فيه على قلوب الأنبياء ولكن من حيث هم الأنبياء أولياء النبوة التي لا شرع فيها والمعراج الثاني يكونون فيه على أقدام الأنبياء أصحاب الشرائع لا على قلوبهم إذ لو كانوا على قلوبهم لنالوا ما نالته الأنبياء من الأحكام المشروعة وليس ذلك لهم وإن وقع لهم التعريف الإلهي بذلك ويأخذون الشرع من حيث أخذته الأنبياء ولكن من مشكاة أنوار الأنبياء يقترون معه حكم الإتياع فما يخلص لهم ذلك من الله ولا من الروح القدسي وما عدا هذا الفن من العلم فإنه مخلص للأولياء من الله سبحانه ومن الأرواح القدسية وهذا كله لتمييز المراتب عند الله لنعرف ذلك فنعطي كل ذي حق حقه كما أعطى الله كل شيء خلقه وهذا كله

من رحمة الله التي أفاضها على خلقه ثم لتعلم أن الله جعل للملائكة ثلاث مراتب في القوة الإلهية فمنهم من أعطاه قوتين ومنهم من أعطاه ثلاث قوى ومنهم من أعطاه أربع قوى وهي الغاية فإن الوجود على الترتيب قام من غير مزيد إلا أنه كل قوة تضمن قوى لا يعلم عددها إلا الله وذلك من حيث أن الملائكة أجسام نورية فلهذه القوى من حيث أجسامهم فإنهم مركبون كالأجسام الطبيعية فالملك صاحب القوتين على تركيب النبات وصاحب الثلاث على تركيب الحيوان وصاحب الأربع على تركيب الإنسان وانتهت المولدات فانتهدت قوى الملائكة والجسم

يجمع الكل فله الإحاطة فقبلت الملائكة الأجسام النورية من العماء الذي ظهر فيه الجسم النوري الكل وقبل الشكل والصور وفيه تظهر الأرواح الملكية والعماء لهذا الجسم الكل وما يحمله من الصور والأشكال الإلهية والروحانية بمترلة الهيولى في الأجسام الطبيعية سواء والتفصيل في ذلك يطول ومن هذا النور الذي فوق الطبيعة تنفخ الأرواح في الأجسام الطبيعية فما تحت الطبيعة إلى العناصر أنوار في ظلال وما تحت العناصر من الأجسام العنصرية أنوار في ظلمة وما فوق الطبيعة من الأجسام النورية أنوار في أنوار وإن شئت أنوار في أنفاس رحمانية وإن شئت أنوار في عماء كيفما شئت عبر إذا عرفت الأمر على ما هو عليه واعلم أن كل روح مما هو تحت العقل الأول صاحب الكلمة فهو ملك وما فوقه فهو روح لا ملك فأما الملائكة فهم ما بين مسخر ومدبر وكلهم رسل الله عن أمر الله حفظه وهم على مراتب ولهم معارج ونزول وصعود دنيا وآخرة فمنهم المسخرون في الدعاء والاستغفار للمؤمنين وآخرون في الاستغفار لمن في الأرض ومنهم المسخرون في مصالح العالم المتعلقة بالدنيا ومنهم المسخرون في مصالح العالم المتعلقة بالآخرة وهذا القدر من العمل الذي هم عليه هو عبادتهم وصلاتهم وأما تسييحهم فذكر الله في هذه الصلوات التي لهم كالقراءة والذكر لنا في صلاتنا ولا يزال الأمر كذلك إلى الوقت الذي يشاء الله أن تعم الرحمة جميع خلقه التي وسعت كل شيء فإذا عمتهم الرحمة لم يبق لبعض الملائكة الذين كان لهم الاستغفار من عبادتهم إلا التسييح خاصة وبقيت الملائكة الذين لهم تعلق بأحوالنا في الجنان وحيث كان من كان من الدارين فذلك منهم لا ينقطع وزال عن أولئك اسم الملائكة وبقوا أرواحاً لا شغل لهم إلا التسييح والتمجيد لله تعالى كسائر الأرواح المهمة والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار فهذا الصنف المذكور هنا هم الصابرون أهل البلاء من البشر وأما الملائكة التي تدخل على أصحاب النعيم الشاكرين فلم يجز لهم ذكر مع أنه لا بد من دخول الملائكة عليهم من كل باب لأن أبواب النعيم كثيرة كما هي أبواب البلاء ومن رأى أن النعم التي أنعم الله بها على عباده في الدنيا ليست بخالصة من البلاء لما وجه عليهم فيها من التكليف بالشكر عليها وهو أعظم البلاء إذ كانت النعم أشد في الحجاب عن الله من الرزايا فدخل أهل النعيم على هذا في قول الملائكة بما صبرتم فنعم عقبى الدار أي حصلتم في دار نعيمها غير مشوب بتكليف ولا طلب حق فلذلك لم يجز ذكر لأحوال الملائكة مع الشاكرين واقتصر على ما جاء به الحق من التعريف وهو الصحيح فإن الدار الدنيا تعطي هذا وهو الذي يقتضيه الكشف الذي لا تلبس فيه أن جميع من في الدار الدنيا من مبتلي ومنعم عليه له حال الصبر فالصبر أعم من الشكر والبلاء أعم من النعم في هذه الدار وإذا عمت الرحمة وارتفعت الآثار التي تناقض الرحمة ارتفعت نسب الأسماء التي عينتها الآثار لأنها راجعة إلى عين واحدة كما بين تعالى في قوله والله الأسماء الحسنى وقال قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى والأسماء وضعية وضعيتها حقائق الممكنات بما تطلبه فعلى قدر ما تكون عليه من الاستعداد تطلب ما يناسب ذلك من الفيض الإلهي فإذا أعطيته وضعت لكل عين من ذلك أسماء فإذا لم يبق لها استعداد تقبل به الأسماء والعذاب لم يوجد للألم ولا للعذاب عين لعدم القابل فترتفع نسب الأسماء المختصة بهذه الأحكام لارتفاع القوابل وما كان له من

الأسماء حكمان في القابل فإنه يبقى كالغافر وهو السائر فلم يبق ذنب يطلب الغافر وللغافر حكم الحجاب من كونه حجاباً مطلقاً فيبقى الغافر وإن زال المذنب فإن الغفر لا بد منه ولولا ذلك لم يكن مزيد ولا خلق جديد والمزيد على الدوام فرفع الستور على الدوام وليس سوى الاسم الغفور بخلاف المنتقم فإن القابل ارتفع فزال هذا الوضع الخاص فاعلم ذلك وفي هذا المتزل من العلوم علم ثناء السماء والأرض والملائكة دون سائر الخلق وما يثنون به على ربه فإنه لكل عالم ثناء خاص لا يكون لغيره قال تعالى تسبح له السموات السبع والأرض ثم قال ومن فيهن وجمع السموات والأرض جمع من يعقل وفيه علم التشبيه والكنائيات وما في العالم الروحاني من القوى وفيه علم الرسائل المبثوثة في العالم وأنه كل من يمشي في العالم فإنه لا يمشي إلا رسولاً برسالة وهو علم شريف حتى الدودة في حركاتها هي في رسالة تسعى بها لمن عقل ذلك وفيه علم آثار القدرة وتمييزها عن سائر النسب وفيه علم الأنواء وما يحمد منها وقول أبي هريرة رضي الله عنه مطرنا بنوء الفتح وفيه علم الأبواب ومراتبها وفيه علم أن المنع الإلهي عطاء وفيه علم التحديد الإلهي وفيه علم تنزيل الخطاب الإلهي على قدر التواطؤ وفيه علم الإنباء الإلهي في طلب الشكر من عباده وفيه علم رد الخلق إليه تعالى وفيه علم المواعيد على الإطلاق وفيه علم المميز بين الأعداء الظاهرين بصورة الولاء وبين الأولياء وفيه علم مجازاة العدو بالعداوة والولي بالولاية فيما بين العالم وأنه من اتخذ العدو ولياً أو الولي عدواً فهو مخلط لا حقيقة عنده وفيه علم كل داع إنما يدعو لنفسه وإن دعا إلى الله تعالى أو لغير نفسه فإنما يدعو من حيث نفسه فإنه يطلب بذلك الدعاء الأنس بالأشكال في المرتبة وفيه علم ترتيب الثواب على الأعمال وفيه تمييز الأجور فغن منها العظيم والكريم وهي مراتب في الأجور لا بد أن يعرف أصحابها وأعمالها التي توجبها وعلم الأجر المطلق الذي لا يتقيد هل هو مقيد في نفس الأمر أم لا فإن الأجور أربعة كما أن نشأة الإنسان على أربع كما أن نشأة جسده على أربع لكل واحد أجر يخصه على صفة مخصوصة فينسب كل أجر إلى ما يناسبه وفيه علم ما وراء الستور وفيه علم القبيح الذي تحسنه المشاهدة وهو سر عجيب وفيه علم العزل وفيه علم الحث على اشتغال الإنسان بنفسه وفيه علم الظهور من الخفاء وفيه علم الحملات العلوية والسفلية وفيه علم تفاضل الصفات في الموصوفين بشديد وأشد وفيه علم الحضرة الجامعة للمنافع الإنسانية وهي حضرة النعم للراحل والقاطن والمتحرك والساكن وفيه علم التسخير والمسخرات وهل كل مسخر له أجل ينتهي إليه بتسخيره أم لا أو بعضه له أجل وبعضه لا أجل له وفيه علم عند جهينة الخير اليقين وقولهم على الخير سقطت ولم يقولوا على العليم سقطت ولم يقولوا عند جهينة العلم اليقين وفيه علم ظهور الحق وسريانه في كل شيء وتقسيمات الحق في قوله لكل حق حقيقة فادخل عليه كل وفيه علم انفراد كل مكلف بنفسه والفرق بينه وبين من لا ينفرد من المكلفين بنفسه أعني من الثقلين وفيما ينفرد وفيما لا ينفرد وفيه علم القوابل وفيمن يؤثر الداعي وفيه علم ما يكون لأصحاب القبور في قبورهم وما هي القبور وفيه علم الأخذ من كل أحد وصفة المأخوذ والمأخوذ منه وفيه علم الأعراض هل هي نسب عدمية أو أمور وجودية لها أعيان وفيه علم ما يحصل لأهل العناية من العزة والحجاب وفيه علم مراتب اتباع الأنبياء وفيه علم المزيد وفيه علم التمني وفيه علم سريان الحكمة في مراتب الموجودات على ما هي عليه وفيه علم السبق الإلهي للعالم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الموفى خمسين وثلاثمائة في معرفة منزل تجلي الاستفهام ورفع الغطاء

عن أعين المعاني وهو من الحضرة المحمدية من اسمه الرب

فكيف بهيكل ظلمائه

وأجراه فلماً على مائه

وأين التناهي لأسمائه

وتشاهده عين أبنائه

ولا تقعدن بسيئاته

إذا ما كفرنا بنعمائه

وأني من عين آلائه

إذا صعق الروح من وحيه

لقد ثبت الله أركانه

وما هو بحر له ساحل

أبو الكون لو كنت تدري به

فلا تفرحن بإتيانه

فسبحان مذهب أعياننا

ويا عجباً إذ كفرنا بها

اعلم أيّدان الله وإياك أن هذا المنزل منزل الحجب المانعة والآلات الدافعة فمنها حجب عناية مثل قوله صلى الله عليه وسلم أن الله سبعين ألف حجاب أو سبعين حجاباً الشك من نور ظلمة ولو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه وهنا نكتة وإشارة أن البصر هنا بصر الخلق الذي الحق بصره وهو القابل لهذه الحجب وهو الموصوف بأن الحق بصره وهو عين سبحات الوجه فإن الله لا يزال يرى العالم ولم يزل وما أحرقت العالم رؤيته ومنها حجب غير عناية مثل قوله تعالى كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فاعلم أن الحجب على أنواع حجب كيانية بين الأكوان مثل قوله تعالى فاسألوهن من وراء حجاب ومنها حجب احتجبت بها الخلق عن الله مثل قوله وقالوا قلوبنا في أكنة ومنها حجب احتجبت بها الله عن خلقه مثل قوله صلى الله عليه وسلم أن الله يتجلى يوم القيامة لعباده ليس بينه وبينهم إلا رداء الكبرياء على وجهه وفي رواية بينه وبين خلقه ثلاثة حجب أو كما قال ومنها وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب كما كلم موسى عليه السلام من حجاب النار والشجرة وشاطئ الوادي الأيمن وجانب الطور الأيمن وفي البقعة المباركة وكما قال فأجره حتى يسمع كلام الله فكلم الله المستجير من خلف حجاب محمد صلى الله عليه وسلم إذ كان هو عين الحجاب لأن المستجير من المشركين منه سمع كلام الله فلا نشك أن الله كلمنا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما أيضاً كلمنا من وراء حجاب المصلي إذا قال سمع الله لمن حمده فألسنة العالم كلها أقوال الله وتقسيمها لله فيضيف إلى نفسه منها ما شاء ويترك منها ما شاء فأما الحجب الكيانية التي بين الأكوان فمنها جنن ووقايات ومنها عزة وحمايات كاحتجاب الملوك وحجاب الغيرة على من يغار عليه كما قال في ذوات خدور هن المحتجبات ومن ذلك حور مقصورات في الخيام وأما الوقايات والجنن فمنها الحجب التي تقي الأجسام الحيوانية من البرد القوي والحر الشديد فيدفع بذلك الألم عن نفسه وكذلك الطوارق يدفع بها في الحرب المقاتل عن نفسه سهام الأعداء ورماحهم وسيوفهم فيتقي هذا وأمثاله بمجته الحائل بينه وبين عدوه ويدفع بذلك عن نفسه الأذى من خوذة وترس ودرع وقد تكون حجب معنوية يدفع بها الأذى الشخص عمن يتكرم عليه مثل شخص يصدر منه في حق شخص آخر ما يكرهه ذلك الشخص لكونه لا يلائم طبعه ولا يوافق غرضه فيلحق به الذم لما جرى منه في حقه فيقوم شخص يجعل نفسه له وقاية حتى يتلقى هو في نفسه سهام ذلك الذم فيقرر في نفس الذام أنه السبب الموجب لذلك وإن ذلك الأذى كان كله من جهته حتى يتحقق ذلك الذام هذا الأمر أنه كان من جهة هذا الشخص بأي وجه أمكنه التوصل إليه فيعلق الذم به ويكون حائلاً بينه وبين الشخص الذي كان منه الأذى لذلك الذم فوقى عرضه بنفسه كما نلحق

نحن من الأفعال ما قبح منها مما لا يوافق الأغراض ولا يلائم الطبع إلينا مع علمنا أن الكل من عند الله ولكن لما تعلق به لسان الذم فديننا ما يناسب إلى الحق من ذلك بنفوسنا أدباً مع الله وما كان من خير وحسن رفعنا نفوسنا من الطريق وأضفنا ذلك إلى الله حتى يكون هو الحمود أدباً مع الله وحقيقة فإنه لله بلا شك مع ما فيه من رائحة الاشتراك بالخبر الإلهي في قوله والله خلقكم وما تعملون وقوله ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وقال قل كل من عند الله فأضاف العمل وقتاً إلينا ووقتاً إليه فلهذا قلنا فيه رائحة اشتراك قال تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فأضاف الكل إلينا وقال فألهمها فجورها وتقويها فله الإلهام فينا ولنا العمل بما ألهم وقال كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك فقد يكون عطاؤه الإلهام وقد يكون خلق العمل فهذه مسألة لا يتخلص فيها توحيد أصلاً لا من جهة الكشف ولا من جهة الخبر فالأمر الصحيح في ذلك أنه مربوط بين حق وخلق غير مخلص لأحد الجانبين فإنه أعلى ما يكون من النسب الإلهية أن يكون الحق تعالى هو عين الوجود الذي استفادته الممكنات فما ثم إلا وجود عين الحق لا غيره والتغيرات الظاهرة في هذه العين أحكام أعيان الممكنات فلولا العين ما ظهر الحكم ولولا الممكن ما ظهر التغير فلا بد في الأفعال من حق وخلق وفي مذهب بعض العامة أن العبد محل ظهور أفعال الله وموضع جريانها فلا يشهدا الحس إلا من الأكوان ولا

تشهدا بصيرتهم إلا من الله من وراء حجاب هذا الذي ظهرت على يديه المرید لها المختار فيها فهو لها مكتسب باختياره وهذا مذهب الأشاعرة ومذهب بعض العامة أيضاً أن الفعل للعبد حقيقة ومع هذا فربط الفعل عندهم بين الحق والخلق لا يزول فغن هؤلاء أيضاً يقولون أن القدرة الحادثة في العبد التي يكون بها هذا الفعل من الفاعل أن الله خلق له القدرة عليها فما يخلص الفعل للعبد إلا بما خلق الله فيه من القدرة عليه فما زال الاشتراك وهذا مذهب أهل الاعتزال فهؤلاء ثلاثة أصناف أصحابنا والأشاعرة والمعتزلة ما زال منهم وقوع الاشتراك وهكذا أيضاً حكم مثبتي العلة لا يتخلص لهم إثبات المعلول لعلته التي هي معلولة لعلة أخرى فوقها إلى أن ينتهوا إلى الحق في ذلك الواجب الوجود لذته الذي هو عندهم علة العلة فلولا علة العلة ما كان معلول عن علة إذ كل علة دون علة العلة معلولة فالاشتراك ما ارتفع على مذهب هؤلاء وأما ما عدا هؤلاء الأصناف من الطبيعيين والدهريين فغاية ما يؤول إليه أمرهم أن الذي نقول نحن فيه أنه الإله تقول الدهرية فيه أنه الدهر والطبيعيون أنه الطبيعة وهم لا يخلصون الفعل الظاهر منا دون أن يضيفوا ذلك إلى الطبيعة وأصحاب الدهر إلى الدهر فما زال وجود الاشتراك في كل نحلة وملة وما ثم عقل يدل على خلاف هذا ولا خبر إلهي في شريعة تخلص الفعل من جميع الجهات إلى أحد الجانبين فلنقره كما أقره الله على علم الله فيه وما ثم إلا كشف وشرع وعقل وهذه الثلاثة ما خلصت شيئاً ولا يخلص أبداً دنيا ولا آخرة جزاء بما كنتم تعملون فالأمر في نفسه والله أعلم ما هو إلا كما وقع ما يقع فيه تخلص لأنه في نفسه غير مخلص إذ لو كان في نفسه مخلصاً لا بد أن كان يظهر عليه بعض هذه الطوائف ولا يتمكن لنا أن نقول الكل على خطأ فإن في الكل الشرائع الإلهية ونسبة الخطأ إليها محال وما يخبر بالأشياء على ما هي عليه إلا الله وقد أخبر فما هو الأمر إلا كما أخبر لأن مرجوع الكل إليه فما خلص فهو مخلص وما لم يخلص فما هو في نفسه مخلص فإن الله يقول الحق وهو يهدي السبيل فاتفق الحق والعالم جميعه في هذه المسألة على الاشتراك وهذا هو الشرك الخفي والجلي وموضع الحيرة فلا يرجح فما ثم إلا ما قلناه فإذا قد قررنا في هذه المسألة ما قررناه فلنقل أن الجود الإلهي والغيرة الإلهية اقتضيا أن يقولوا ما نبينه إن شاء الله وذلك أن المتكلمين في هذا الشأن على قسمين الواحد أضاف الأفعال كلها إلى الأكوان فقال لسان الغيرة الإلهية كل من عند الله فما هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً أي حادثاً وأما القسم الثاني فأضاف الأفعال الحسنة كلها إلى الله

وأضاف الأفعال القبيحة إلى الأكوان فقال لسان الجود الإلهي قل كل من عند الله لا تكذيباً لهم بل ثناء حميلاً وما ثم من قال أن الأفعال كلها لله ولا للأكوان من غير رائحة اشتراك فلهذا حصرناها في قسمين من أجل الطبيعية والذهرية وأما حجب العناية وهي حجب الإشفاق على الخلق من الإحراق فهي الحجب التي تمنع السبحات الوجهية أن تحرق ما أدركه البصر من الخلق وسبب ذلك أن الله قد وضع الدعاوى في الخلق لأن أعيانهم لما اتصفت بالوجود بعد العدم وأن ذلك الوجود كان عن ترجيح المرجح الذي هو واجب الوجود فما أنكره أحد وإن كانت قد تغيرت العبارات عنه باسم طبيعة ودهر وعلة وغير ذلك فهو هو لا غير فأروا أن الوجود لها وإن كان مستفاداً فإنه لهم حقيقة وأن أعيانهم هم الموجودون بهذا الوجود المستفاد وهذه هي أعيان الحجب التي بين الله وبين خلقه فلو كشفها عموماً كما كشفها خصوصاً لبعض عبادته لأحرقت أنوار ذاته المعبر عنها بسبحات وجهه ما أدركه بصره من أعيان الموجودات أي أن بصره كان يدرك من الموجودات سوى وجود الحق ويذهب الكل الذي قررتة الدعاوى فيتبين أنه الحق لا غيره فعبّر عن هذا الذهاب بالإحراق لما جعلها أنواراً والأنوار لها الإحراق لكنه تعالى أبقي حجب الدعاوى ليميز أهل الله من غيرهم فلم تزل الممكنات عند أهل الله من حيث أعيانهم موصوفين بالعدم ومن حيث أحكامهم لم يزالوا موصوفين بالوجود وهو الحق كما قال تعالى كنت سمعه وبصره في الخير الصحيح فأثبت العين للعبد وجعل نفسه عين صفته التي هي عين وجوده عين صفة العبد فعين الممكن ثابتة غير موجودة والصفة موجودة ثابتة وهي عين واحدة ولو تكثر

بنسبها فإنها كثيرة في النسب فهي سمع وبصر وغير هذين إلى جميع ما في العالم من القوى من ملك وبشر وجان ومعدن ونبات وحيوان ومكان وزمان ومحل ومعقول ومحسوس وما ثم إلا هذا ولما قرر الله دعاوى المدعين بإرسال الحجب بينهم وبين ما هو الأمر عليه وشغلهم بالحجب التي بينهم وبينه في الأفعال وضرب الكل بالكل انفراد بخاصته وجعلهم جلساء له عنده بالشهود وفي صورهم المحسوسة بالذكر فهو جليس الذاكرين وهم آخر الطوائف ليس بعدهم أحد له نعت يذكر قال تعالى لما وصفهم ذكراً وإنثاً والذاكرين الله كثيراً والذاكرات فختم بجلساته وما بعد جلساته من يقبل صفة إلا صفة بعد عن هذه المجالسة ألا ترى أبا يزيد رحمه الله حين جهل الأسماء الإلهية وما تستحقه من الحقائق كيف صنع لما سمع القارئ يقرأ يوم الجمعة يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً طار الدم من عينيه حتى ضرب المنبر وتأوه وقال هذا عجب كيف يحشر إليه من هو جلسه فإنه في تلك الحالة كان جليساً مع الأسماء من حيث ما هي دالة على الذات كل واحد منها لم يكن مع الاسم من حيث ما تطلبه حقيقته من عين دلالة على الذات فأنكر ما لم يعطه مشهده مع كونه كلام الحق وقد وقع منه الإنكار بل ما وقع منه إلا التعجب خاصة فهو يشبه الإنكار وليس بإنكار حتى أنه لو كان هذا القول من غير الله لأمر القائل بالسكوت وزجره عن ذلك وإنما الرجل أظهر التعجب من قول الله في حق المتقين الذين هم جلساء الله كيف يحشرون إليه فكأنه إبراهيمي المشهد في طلب الكيفية في إحياء الموتى فأراد أبو يزيد ما أراده إبراهيم في كيفية إحياء الموتى لاختلاف الوجوه في ذلك لا إنكار إحياء الموتى فدل هذا الكلام من أبي يزيد على حاله في ذلك الوقت فهذا مثل قول إبراهيم يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن الرحمة تناقض العذاب إلا على الوجه الذي قررناه في المنزل الذي قبل هذا المنزل وهو منزل فتح الأبواب كذلك أبو يزيد لو علم أن المتقي ما هو جليس الرحمن وإنما هو جليس الجبار المرید العظيم المتكبر فيحشر المتقي إلى الرحمن ليكون جلسه فيزول عنه الالتقاء فإن الرحمن لا يتقى بل هو محل موضع الطمع والادلال والأنس لكنهم رضي الله عنهم صادقون لا يتعدون ذوقهم في كل حال بخلاف العامة من أهل الله فيهم يتكلمون بأحوال غيرهم والخاصة لا سبيل لهم إلى ذلك وإن اتفق أن يتكلم أحد منهم في حال نبي أو ولي هو فوقه فيبين أنه مترجم عن حال غيره

حتى يعرف السامع عمن يقول هذه حالهم رضي الله عنهم ولا يقع منهم مثل هذا إلا في النادر لضرورة تدعو إليه فإن لهم الكشف الخيري عن مقامات من هو فوقهم وما لهم الكشف الذوقي إلا فيما هو مقامهم وحالهم فلولا هذه الحجب التي أسدلها الله بين الأكوان وبينه ما تميزت المراتب واختلطت الحقائق وهذا سبب وضع الحدود في الأشياء وقد لعن الله من غير منار الأرض ومن هذا الباب أن الله ما جمع لأحد بين مشاهدته وبين كلامه في حال مشاهدته فإنه لا سبيل إلى ذلك إلا أن يكون التجلي الإلهي في صورة مثالية فحينئذ يجمع بين المشاهدة والكلام وهذا غير منكور عندنا وقد بلغنا عن الشيخ العارف شهاب الدين السهروردي ببغداد رضي الله عنه أنه قال بالجمع بين المشاهدة والكلام ولكن ما نقل عنه أكثر من هذا فإني سألت الناقل فلم يذكر لي نوع التجلي والظن بالشيخ جميل فلا بد أن يريد التجلي الصوري ألا ترى السيارى من رجال رسالة القشيري حيث قال ما التذ عاقل بمشاهد قط ثم فسر فقال لأن مشاهدة الحق فناء ليس فيها لذة والخطاب في حال الفناء لا يصح لأن فائدة الخطاب أن يعقل ولذلك قال وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب وما زال البشر عن حكم البشرية كمسألة موسى والحجاب عين الصورة التي يناديه منها وما يزول البشر عن بشريته ولئن فني عن شهودها فعين وجودها لا يزول والحد يصحبها وإنما قلنا هذا لأنني سمعت بعض الشيوخ يقول هذا حظ البشر فإذا زال عن بشريته كان حكمه حكماً آخر فأبنت له رضي الله عنه أن الأمر ليس كما يظنه فلما تحقق ما ذكرناه رجع عن ذلك وقال ما كنت أظن أن الأمر على ما قلته لم أجعل بالي من هذا فإنه تكلم في شرح الآية فغلط ما تكلم في ذلك عن ذوق الأمر ومن هنا يقع الغلط ونحن نعلم أن الذي قاله الله حق كله وأنه لا يخالف الأذواق فلا بد أن يكون كلام الذائق مطابقاً للإخبارات الإلهية حتى يقول من لا معرفة له بمقام الرجال أن هذا المتكلم يتكلم بما لا يخالف ما جاء به قرآن أو سنة إنما هو أخذه منهما وهو مفسر لهما وصاحب الذوق ما قال إلا ما ذاقه فمن المحال أن يخالف شيئاً مما جاء عن الله لكن الأجنبي الذي لا ذوق له يقول هذا عن الذائق بل جماعة من أهل الطريق ممن لا ذوق لهم يتخيلون مثل هذا ويقولون أن فلاناً يتكلم من حيثما ورد في الأخبار الإلهية ليس له مادة غيرها وينكرون الذوق لأنهم ما عرفوه من نفوسهم مع كونهم يعتقدون في نفوسهم أنهم على طريق واحدة وكذلك هو الأمر أصحاب الأذواق هم على طريق واحدة بلا شك غير أن فيهم البصير والأعمى والأعشى فلا يقول واحد منهم إلا ما أعطاه حاله لا ما أعطاه الطريق ولا ما هو الطريق عليه في نفسه ولا سيما السلوك المعنوي فإن عمى القلوب أشد من عمى الأبصار فإن عمى القلوب يحول بينك وبين الحق وعمى البصر الذي لم يرقط صاحبه ليس يحول إلا بينك وبين الألوان خاصة ليس له إلا ذلك وهذا العمى من الحجب وكذلك الصمم والقفل والكن والغشاوة دون العمى في الحكم إلا أن تكون الغشاوة تعطي الظلمة فلا فرق بينهما وبين العمى فإن خرجت عن حد الظلمة إلى حد السدفة فقد يكون حال صاحبها أحسن من حال صاحب الظلمة ومن حال الأعمى قال بعضهم لمحمد صلى الله عليه وسلم ومن بيننا وبينك حجاب وهو الأكنة فاعمل أننا عاملون أي اعمل في رفع ذلك ويحتمل قولهم أننا عاملون في رفع ذلك في حق من يحتمل صدقه عندهم فإنهم اعترفوا أن قلوبهم في أكنة مما يدعوهم إليه فما جحدوا قوله ولا ردوه كما اعتقد غيرهم ممن لم يقل ذلك فلا أدري ما آل إليه أمر هؤلاء فإنهم عندي في مقام الرجاء فإننا نعلم قطعاً أن الرسول يعمل في رفع الغطاء عن أعينهم بلا شك حتى قال لأزيدن على السبعين ولذا قال في الآية وويل للمشركين ولم يقل وويل لكم فهذا يدل بقرينة الحال أنهم عاملون في رفع الحجاب وإخراج قلوبهم من الأكنة وإنما كثر الأكنة لاختلاف أسباب توقفهم في قبول ما أتاهم به فمنهم من كنه الحسد وآخر الجهل وآخر شغل الوقت بما كان عنده أهم حتى يتفرغ منه والكل حجاب ومن أعجب الأشياء الواقعة في الوجود ما أقوله وذلك أن الملائكة إذا تكلم الله بالوحي كأنه سلسلة على

صفوات تصعق الملائكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه الوحي كسلسلة على صفوان يصعق وهو أشد الوحي عليه فيترل جبريل به على قلبه فيفنى عن عالم الحس ويرغو ويسجي إلى أن يسري عنه وأنه ليرتل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيتفصد جبينه عرقاً وموسى صلى الله عليه وسلم كلمه الله تكليماً بارتفاع الوسائط وما صعق ولا زال عن حسه وقال وقيل له وهذا المقام أعظم من مقام الوحي بوساطة الملك فهذا الملك يصعق عند الكلام وهذا أكرم البشر يصعق عند نزول الروح بالوحي وهذا موسى لم يصعق ولا جرى

عليه شيء مع ارتفاع الوسائط وصعق لذلك الجبل فاعلم أن هذا كله من آثار الحجب فإن الحكم لها حيث ظهرت فإن الله لما خلقها حجباً لم يمكن إلا أن تحجب ولا بد فلو لم تحجب لما كانت حجباً وخلق الله هذه الحجب على نوعين معنوية ومادية وخلق المادية على نوعين كثيفة ولطيفة فالكثيفة لا يدرك البصر سواها واللطيفة يدرك البصر ما فيها وما وراءها والشفافة يدرك البصر ما وراءها ويحصل له الالتباس إذا أدرك ما فيها كما قيل

رق الزجاج ورقت الخمر

فتشاكلا فتشابه الأمر

فكأنما خمر ولا قدح

وكأنما قدح ولا خمر

وأما المرائي والأجسام الصقيلة فلا يدرك موضع الصور منها ولا يدرك ما وراءها ويدرك الصور الغائبة عن عين المدرك بها لا فيها فالصور المرئية حجاب بين البصر وبين الصقيل وهي صور لا يقال فيها لطيفة ولا كثيفة وتشهدها الأبصار كثيفة وتتغير أشكالها بتغير شكل الصقيل وتتموج بتموجه وتتحرك بتحريك من هي صورته من خارج وتسكن بسكونه إلا أن يتحرك الصقيل كتموج الماء فيظهر في العين فيها حركة ومن هي صورته ساكن فلها حركتان حركة من حركة من هي صورته وحركة من حركة الصقيل فما في الوجود إلا حجب مسدلة والإدراكات متعلقها الحجب ولها الأثر في صاحب العين الدرك لها وأعظم الحجب حجابان حجاب معنوي وهو الجهل وحجاب حسي وهو أنت على نفسك فأما الحجاب الأعظم المعنوي فقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسري به في شجرة فيها وكرا طائر فقعد جبريل في الوكر الواحد وقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآخر فلما وصلا إلى السماء الدنيا تدلى إليهما شبه الرفرف دراً وياقوتاً وكان ذلك نوعاً من تجلي الحق قال عليه السلام فأما جبريل فغشي عليه لعلمه بما تدلى إليه وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فبقي على حاله لكونه ما علم ما هو فلم يكن له سلطان عليه فلما أخبره جبريل عندما أفاق أنه الحق قال صلى الله عليه وسلم عند ذلك فعلمت فضله يعني فضل جبريل علي في العلم فالعلم أصعق جبريل وعدم العلم أبقي النبي صلى الله عليه وسلم على حاله مع وجود الرؤية من الشخصين فهذا أعظم الحجب المعنوية وأما كونك حجاباً عليك وهو أكتف الحجب الحسية فقول القائل

بدا لك سر طال عنك اكتتامه

ولا صباح كنت أنت ظلامه

فأنت حجاب القلب عن سر غيبه

ولولاك لم يطبع عليه ختامه

إذا غبت عنه حل فيه وطنبت

على منكب الكشف المصون خيامه

وجاء حديث لا يمل سماعه

شهي إلينا نثره ونظامه

فما جعل حجاباً عليك سواك ثم نرجع إلى مسألتنا ونقول أما موسى عليه السلام فكان قد استفرغه طلب النار لأهله وهو الذي أخرجه لما أمر به من السعي على العيال والأنبياء أشد الناس مطالبة لأنفسهم للقيام بأوامر الحق فلم يكن في نفسه سوى ما خرج إليه فلما أبصر حاجته وهي النار التي لاحت له من الشجرة من جانب الطور الأيمن ناداه الحق من عين حاجته بما يناسب الوقت أني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى ولم يقل لما أوحى أني أنا الله فثبته الخطاب الأول بالنداء لأنه خرج على أن يقتبس ناراً أو يجد على النار هدى وهو قوله أو آتيكم منها بخير أي من يده على حاجته فكان منتظراً للنداء قد هياً سمعه وبصره لرؤية النار وسمعه لمن يده عليها فلما جاءه النداء بأمر مناسب لم ينكره وثبت فلما علم أن المنادي ربه وقد صح له الثبوت وجاءه النداء من خارج لا من نفسه ثبت ليوفي الأدب حقه في الاستماع فإنه لكل نوع من التجلي حكم وحكم نداء هذا التجلي التهيؤ لسماع ما يأتي به فلم يصعق ولا غاب عن شهوده فإنه خطاب مقيد بجهة مسموع يأذن وخطاب تفصيلي فالمثبت للإنسان على حسه وشهود محسوسه قلبه المدبر لجسده ولم يكن لهذا الكلام الإلهي الموسوي توجه على القلب فليس للقلب هنا إلا ما يتلقاه من سمعه وبصره وقواه حسبما جرت به العادة فلم يتعد الحال حكمه في موسى عليه السلام وأما أمر محمد صلى الله عليه وسلم فهو نزول قلبي وخطاب إجمالي كسلسلة على صفوان فاجعل بالك لهذا التشبيه فاشتغل القلب بما نزل إليه ليتلقاه فغاب عن تدبير بدنه فسمي ذلك غشية وصعقاً وكذلك الملائكة أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن الملائكة في طريان هذا الحال أنه إذا كان الوحي المتكلم به كسلسلة على صفوان وكان نزوله على قلوب الملائكة فإنه قال حتى إذا فزع عن قلوبهم ثم لما أفاقوا أخبر عنهم بأنهم يقولون ماذا وهنا وقف ثم يجيبهم فيقول بكم وهنا وقف فيقولون الحق بالنصب أي قال الحق كذا علمناه وهو العلي عن هذا النزول في هذا النزول الكبير عن هذا التشبيه في هذه النسبة وعلى الوجه الآخر قالوا ماذا قال ربكم وهنا وقف فيقول بعضهم لبعض الحق وهو العلي الكبير من قول الله لا من قول الملائكة فعلى الوجه الأول لما أفاقوا وزال الخطاب الإجمالي المشبه وزالت البديهة قالوا ماذا فقال لهم ربكم وهو قوله قال ربكم فما صعقوا عند هذا القول بل ثبتوا وقالوا الحق أي قال ربنا القول الحق يعنون ما فهموه من الوحي أو قوله قال ربكم أو هما معاً وهو الصحيح فهذا الفرق بين حال موسى عليه السلام وبين حال محمد صلى الله عليه وسلم وحال الملائكة عليهم السلام واعلم أن في هذا المنزل من العلوم علم ثناء الحق على نفسه بخلقه وهو المثني على نفسه بغناه عن خلقه فأبي الثناءين وما هو الحقيقة منهما أو كلاهما حقيقتان لحقين أو هما حقان ولهما حقيقتان وفيه علم الفرق بين العلم والحكمة والخبرة وفيه علم العلم بما في العالم بتقاسيم أحوالهم وفيه علم النيابة في الأجوبة عن الله ولا يكون ذلك إلا لرسول أو نبي أو وارث عن سماع لخطاب إلهي لا عن تجل ولا خطاب حال وفيه علم الله وفيه علم أين أودع الله علمه في خلقه من العوالم وهل أودعه في واحد أو فيما زاد على واحد وفيه علم بماذا تتميز به القبضتان في عالم الشهادة وبماذا تتميز في عالم الغيب وفيه علم الدلالة على العلماء وأصحاب الأخبار الإلهية لنعرفهم فتلقى منهم ما يأتون به عن الله فنساويهم في العلم بذلك رغبة في أن تلحق نفوسنا بنفوسهم في الصورة وإن اختلفت الطرق فلا أثر لاختلافها في صورة العلم وهذا هو الذي يحرض الأكابر من العلماء الأكابر على نشر العلم كما يحرض المتعلمين على طلب العلم من أكابر العلماء الذين يعلمون أنهم أعلم بالله منهم ومن هذا قال الرجل للتلميذ لأن ترى أبا يزيد مرة خير لك من أن ترى الله ألف مرة لفضله عليه في العلم بالله لما علم أن ظهور الحق لعباده على قدر علمهم به فرؤيتنا الله بعلم العلماء به إذا استفدنا منهم أتم من رؤيتنا بعلمنا قبل أن نستفيد منهم وفيه علم إحاطة

الاعتبار بالجهات وأن علم الاعتبار لا يخص حالاً من حال ولا جهة من جهة وأنه علم عام وهو علم يعطي الدلالة لمن رجع إلى الله بالعبادة وفيه علم الأمر والنهي الإلهي بالمساعدة في

العبادة وأعمال الخير وفيه علم إرسال النعم الخارقة وما يحجب منها وماذا يحجب وفيه علم قوى المسخرات في التسخير وإلى أين تنتهي قواهم فيما سخروا فيه وفيه علم الموت المجهول في الميت وماذا يعرف كما حكى القشيري في رسالته عن بعضهم أنه مات إنسان فنظر إليه الغاسل فتحير فلم يدر أهو ميت أم ليس بميت وهو ميت في نفس الأمر ومثل هذا ظهر على صاحب لي كان يخدمني فمات عندي فشك فيه الغاسل عند غسله هل هو ميت أم لا وفيه علم أثر العلم في العالم ومن ادعى العلم ولم يؤثر فيه ما هو عالم وهي مسألة مشككة يورث الأشكال فيها الحس فإنه ما رأينا أحداً يلقي نفسه في النار لعلمه أنها تحرقه إلا طائفتين الواحدة من تتخذها قرباناً فتلقي نفسها فيها طلباً للإحراق قربة إليها أو من يعلم أنها لا تحرقه فعلمنا أن العلم له أثر في العالم وفيه علم آيات النعم وعلى ماذا تدل وما حقها على من يراها آية وفيه علم العلم القوي الذي يذهب بما سواه من العلوم التي يجدها في القلب وفيه علم الأدنى والأعلى وما السبب الموجب للطالب في طلبه الأدنى وتركه الأعلى مع علمه بمرتبة كل واحد منهما وفيه علم أسباب الجزاء في الخير والشر وفيه علم البعد والقرب الكياني والإلهي وفيه علم ما في علم القرب والبعد من الآيات الدالة على الله وفيه علم موافقة الظن العلم وماذا يعلم صاحب الحق أنه علم لا ظن وقد كان يعتقد أن ذلك ظن وفيه علم حال أهل الريب وبمن يلحقون من الأصناف وما ينظر إليهم من الأسماء وفيه علم الحوالة وفيه علم أحوال الملائة الأعلى واختلافها عليهم لاختلاف الواردات في مقامهم المعلوم وفيه علم ما لا ينسب إلى الله أعني لا يوصف به هل هو أمر عديم أو وجودي وفيه علم أين يشك العالم وهو ليس بشاك ولماذا يظهر بصورة الشاك وفيه علم ما يسأل عنه وما لا يسأل عنه وفيه علم في ماذا يجمع الله بين عبادته ثم يفصل بينهم في عين هذا الجمع فهم فيه مفصلون وفيه علم من ادعى أمراً طولب بالدليل على ما ادعاه إذا ادعى ما يريد أن يؤثر به في أحوال العالم وفيه علم ما لا يقبل التقدم ولا التأخر من الأحوال وفيه علم الحجاج وفيه علم التقريب وإلى من يكون القرب هل إلى كونه أو إلى الله وهل يصح القرب إلى الله أم لا وهو أقرب إلى كل إنسان من حبل الوريد كما قال تعالى وفيه علم الإعراض وفيه علم الفرق والتبري بين الأرواح وفيه علم ما يقال عند رؤية الدلالات وفيه علم الأجر المعاد وإلحاق الشيء بجنسه وفيه علم من يدري ما يقول وما يقال له ومن لا يدري ما يقول وما يقال له من ذلك وفيه علم رد الأمور كلها حيرتها وإنابتها إلى الله وخيرها وشرها وأن الشر ليس إلى الله وفيه علم الإدراك الإلهي وفيه علم ما لا يدرك مما يجوز أن يدرك وفيه علم ما يمنع الاحتلام بالرؤية وفيه علم الموانع والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الحادي والخمسون وثلاثمائة في معرفة منزل اشتراك النفوس والأرواح في الصفات وهو من حضرة الغيرة المحمدية من الاسم الودود

فلا مقام له في الكون يحويه
والله في كل حال فيه مجريه
فاعلم إذا قمت فيه من نتاجيه

إن المكمل لا نرسي مراسيه
ففلكه سابح والريح ترجيه
وما له فلك أعلى فيقطعه

الكل لي وله على السواء فمن

أدناه خالقنا لا بد أدنيه

بالله يا أخت موسى عجلي وخذي

جناح طيري فقصيه وقصيه

اعلم أيدنا الله وإياك أن هذا المتزل من أعظم المنازل له الاسم الأول والآخر والظاهر والباطن والخلق والأمر يحوي على مقامات وأحوال لا يعرفها إلا القليل من الناس عظم الله مقداره وأعلى مناره له زمام التكوين وعنه ظهر وجود العالم الحق والعالم الأعلى والأسفل ناظر إليه له الغيرة والوصول والحجب هو العيب الذي يظهر منه ولا يظهر يعطي عالم الشهادة ويخفي عالم الغيب في الغيب سلطانه قوي لا يرام ومقامه عزيز لا يضام نعتة النقص والكمال بصورته يظهر الليل والنهار أول شيء أعطى الانقياد الإلهي الكوني

فانقياد لانقياد

عند رب وعباد

بين منع وعطاء

من بخيل وجواد

فصلاح لصلاح

وفساد لفساد

واتفاق لاتفاق

وعناد لعناد

وانفصال لانفصال

واستناد لاستناد

وبياض لبياض

وسواد لسواد

وبقاء لبقاء

ونفاد لنفاد

واقتراب لاقتراب

وبعاد لبعاد

وسرير لاستواء

وسماء لمهاد

وحجاب لبغيض

وتجل لوداد

ومحل قد تهيا

كل وقت لازدياد

من علوم بأمر

علمها عين الرشاد

وعذاب في نعيم

لمريد ومراد

يقطعان الليل ذكرا

بسجود واجتهاد

يسألان الله أمناً

يوم أسماع المنادي

ولما رجع الله وجود الممكنات على عدمها لطلبها الترجيح من ذاتها كان ذلك انقياداً من الحق لهذا الطلب الإمكانى وامتناناً فإنه تعالى الغني عن العالمين ولكن لما وصف نفسه بأنه يجب أن تعرفه الممكنات بأنه لا يعرف ومن شأن الحب الانقياد للمحسوب فما انقاد في الحقيقة إلا لنفسه والممكن حجاب على هذا الطلب الإلهي الذي طلبه حب العرفان به من نفسه وتبعه ما طلبه الممكن من ترجيح الوجود على عدمه فلما أوجده عرفه أنه ربه فعرفه أنه ربه ما عرف منه غير ذلك ولا يتمكن لغير الله أن يعرف الله من حيث ما يعرف الله نفسه ثم طلبه بالانقياد إليه فيما يأمره به وينهاه عنه فقال الممكن هذا مقام صعب لا أقدر عليه كما انك يا رب ما

يبدل القول لديك ولا يكون عنك إلا ما سبق به علمك فمشيئتك واحدة والاختيار المنسوب إلي منك فالذي تقبله ذاتي من الانقياد إليك أن أكون لك حيث تريد لا حيث تأمر إلا إن وافق أمرك إرادتك فحيث أجمع بينهما وأكثر من هذا فما تعطي على حقيقي إذا نسبتها إليك أنت القائل أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تتخذ من في النار وهو أكرم المكلفين عليك وهذا الحكم منك وعليك يعود فما كان انقيادك إلا إليك وأنا صورة مماثلة للمحجوبين الذين لا يعرفونك معرفتي فيقولون قد أجاب الحق سؤالنا وانقاد إلينا فيما نريده منه وأنت ما أحببت إلا نفسك وما تعلقت به إرادتك فانقيادي أنا لنفسي فإنه لا يتمكن أن أطلبك لك وإنما أطلبك لنفسي فلنفسى كان انقيادي لما دعوتني وجعلت حجاباً بين من خلقت الذين لا يعرفون فقالوا فلان أجاب أمر ربه حين دعاه وما علموا أن الانقياد مني إنما كان لإرادتك لا لأمرك فإنه ما يبدل الحكم لدي فإني ما أقبل غير هذا قبول ذات وفيه سعادي ثم إنك سبحانه نسبت لي ذلك وأثبتت علي به وأنت تعلم كيف كان الأمر فظهرت بأمر تشهد الحقيقة بخلافه فقلت لا يعصون الله ما أمرهم والحقيقة من خلف هذا الشاء تنادي لا يعصون الله ما أراد منهم وقرن الأمر منه بإرادته فذلك هو الأمر الذي لا يعصيه مخلوق وهو قوله إذا أردناه أن نقول له كن هذا هو الأمر الذي لا يمكن للممكن المأمور به مخالفته لا الأمر بالأفعال والتروك يعرف ذلك العارفون من عبادك ذوقاً وشهوداً فإن أمرت الفعل المأمور به أن يتكون في هذا العبد المأمور بالفعل تكون فتقول هذا عبد طائع امتثل أمري وما بيده من ذلك شيء فالصمت حكم وقليل فاعله فمن تكلم بالله كانت الحجة له فإن الحجة البالغة لله ومن تكلم بنفسه كان محجوباً كما أن الحق إذا تكلم بعبد كان كلامه ظاهراً بحيث يقتضيه مقام عبده فإذا رد الجواب عليه عبده به لا بنفسه وظهر حكمه على كلام ربه نادى الحق عليه وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً وإن قال الحق ولكن ما كل حق يحمد ولا كل ما ليس بحق يذم فالأدباء يعرفون المواطن التي يحمد فيها الحق فيأتون به فيها ويعرفون المواطن التي يحمد فيها ما ليس بحق فيأتون به فيها مغالطة جزاء وفاقاً إلهياً فمن عرف الانقياد الإلهي والكوني كما قرناه كان من العارفين ولكن فيه أسرار وآداب ينبغي للإنسان إذا تكلم في هذا المقام وأمثاله أن لا يغفل عن دقائقه فإن فيه مكرراً خفياً لا يشعر به إلا أهل العناية ومن أراد العصمة من ذلك فلينظر إلى ما شرع الله له وأتى على السنة رسله فيمشي معه حيث مشى ويقف عنده حيث وقف من غير مزيد وإن تناقضت الأمور وتصادمت فذلك له لا لك وقل لا أدري هكذا جاء الأمر من عنده وارجع إليه وقل رب زدني علماً فهذا قد أبنا عن المقام الأول وأما المقام الثاني الذي بيد اسمه المؤمن فإنه نتيجة عن الاسم المؤمن الكياني وهو المظهر له إذا كان بمعنى المصدق لا بمعنى معطي الأمان فإن كان بمعنى معطي الأمان فالاسم الإلهي المؤمن متقدم على المؤمن الكياني فأعطاه الأمان في حال عدمه أنه لا يعده إذا أوجده ولا يحول بينه وبين معرفته بوجوده واستناده إليه فأعطاه الأمان في ذلك كله فمن عرف ذلك لم يخف وكان من الآمنين

ولولاه لم يصدق وإن كان صادقاً

هو الأصل فاسبرها فإن الحقائقا

فتبدي لكم فيها سنى وطرائقا

ويمشي بها حقاً مبيناً وخالقاً

إذا كنت بالرحمن ربا ورازقا

فتصديق صدق الحق من صدق كونه

فلا تنتظر الأشياء من حيث أنه

تريك أموراً لم تكن عالماً بها

فتبصرها بالنور من خلف ستره

فيدعوك من في الكون فقراً وحاجة

صدق الممكن ربه فيما أخبره به من أعطاه الأمان من العدم إذا أوجده فصدقه الله في صدقه وأجرى له الصدق في خلقه فالصدق والصدق ما هو الصادق إلا بنسبتين مختلفتين والخبر لا يكون أبداً إلا من الأول والتصديق لا يكون أدباً إلا من الآخر والأول والآخر اسمان لله فإذا أقام الله عبده في الأولية أعطاه الأخبار فأخبر وأقام الله نفسه في الاسم الآخر فصدقه فيما أخبر به وإذا أقام الله نفسه في الاسم الأول وأخبر أقام العبد في الاسم الآخر فصدقه في خبره فالصادق للأول أبداً والصدق للآخر أبداً قال تعالى والذي جاء بالصدق وهو الأول وصدق به وهو الآخر أولئك هم المتقون المفلحون الباقون بهذا الحكم

فلولا وجود القول ما صدق العبد

فجيء معه من حيث ما جاء فإنه

له الحكم في الأشياء والذم والحمد

وإن كان عن قصد فقد حكم القصد

فإن كان عن وفق كما قال بعضهم

جهول بنعت الحق بالقبل والبعد

وما قال بالوافاق إلا مغلط

فالصدق متعلقه بالخبر ومحله الصادق وليس بصفة لأصحاب الأدلة ولا للعلماء الذين آمنوا بما أعطتهم الآيات والمعجزات من الدلالة على صدق دعواه فذلك علم والصدق نور يظهر على قلب العبد يصدق به هذا المخبر ويكشف بذلك النور أنه صدق ويرجع عنه برجوع المخبر لأن النور يتبع المخبر حيث مشى والصدق بالدليل ليس هذا حكمه إن رجع المخبر لم يرجع لرجوعه فهذا هو الفارق بين الرجلين وهذه المسألة من أشكال المسائل في الوجود فإن الأحكام المشروعة أخبار إلهية يدخلها النسخ والتصديق يتبع الحكم فيشبه ما دام المخبر يشبهه ويرفعه ما دام المخبر يرفعه ولا يتصف الحق بالبده في ذلك وهو الذي جعل بعض الطوائف ينكرون نسخ الأحكام وأما الصادق فما اكذب نفسه في الخبر الأول وإنما أخبر بشبوه وأخبر برفعه وهو صادق في الحالتين ولا تناقض ولما كان من حقيقة الخبر الإمكان لحكم الصفتين الصدق والكذب من حيث ما هو خبر لا من حيث النظر إلى من أخبر به لذلك ميزنا بين القائل بصدق المخبر للدليل والقائل بصدقه للإيمان فغن الإيمان كشف نوري لا يقبل الشبه وصاحب الدليل لا يقدر على عصمة نفسه من الخل عليه في دليله القادح فيرده هذا الدخل إلى محل النظر فلذلك عريناه عن الإيمان فغن الإيمان لا يقبل الزوال فإنه نور إلهي رقيب قائم على كل نفس بما كسبت ما هو نور شمسي كوكبي يطلع ويغرب فيعقبه ظلام شك أو غيره فمن عرف ما قلناه عرف مرتبة العلم من جهة الإيمان ومرتبة العلم الحاصل عن الدليل فإن الأصل الذي هو الحق ما علم الأشياء بالدليل وإنما علمها بنفسه والإنسان الكامل مخلوق على صورته فعلمه بالله إيمان نور وكشف ولذلك يصفه بما لا تقبله الأدلة ويتأوله المؤمن به من حيث الدليل فينقصه من الإيمان بقدر ما نفاه عنه دليله وفي هذا المنزل صمت العبد إذا كلمه الحق والحق يكلمه على الدوام فالعبد صامت مصغ على الدوام على جملة أحواله من حركة وسكون وقيام وقعود فإن العبد الممنوح السمع لكلام الحق لا يزال يسمع أمر الحق بالتكوين فيما يتكون فيه من الحالات والهيئات ولا يخلو هذا العبد ولا العالم نفساً واحداً من وجود التكوين فيه فلا يزال سامعاً فلا يزال صامتاً ولا يمكن أن يدخل معه في كلامه فإذا سمعتم العبد يتكلم فذلك تكوين الحق فيه والعبد على أصله صامت واقف بين يديه تعالى فما تقع الأسماع إلا على تكوينات الحق فافهم فإن هذا من لباب المعرفة التي لا تحصل إلا لأهل الشهود

فما ثم إلا الصمت والحق ناطق

وما ثم إلا الله لا غير خالق

تدل عليه في الوجود الحقائق

فيشهدنا تكوينه في شهودنا

التقييد صفة تضيفها العقود والكشف إلى الممكنات وتقصرها العقول عليها وتضيف الإطلاق إلى الحق وما علمت أن الإطلاق تقييد فإن التقييد إنما أصله وسببه التمييز حتى لا تختلط الحقائق فالإطلاق تقييد فإنه قد تميز عن المقيد وتقييد بالإطلاق ولا سيما وقد سمي نفسه حليماً لا يعجل فإمهاله العبد المستحق للأخذ إلى زمان الأخذ حبس عن إرسال الأخذ في زمان الاستحقاق ولذلك سمي نفسه بالصبور فما ثم إطلاق لا يكون فيه تقييد لأن المقيد الذي هو الكون تميز عن إطلاقه بتقييده فقد قيده بالإطلاق وهو تحليله في كل صورة وقبوله كل حكم ممكن من حيث أنه عين الوجود فقد قيدته أحكام الممكنات

فتقييده إطلاقه من وثاقنا

فما ثم إطلاق يكون بلا قيد

فمن عرف الأشياء قال بقولنا

فعود على بدء وبدء على عود

فحاذر وجود المكر إن كنت مؤمناً

فمن مكره مكري ومن كيده كيدي

له قوة المكر التي لا تردّها

قوى عبده الموصوف بالعلم والأيد

الشدة نعت إلهي وكياني قال موسى أشدد به أزري وتلي بحضرة أبي يزيد أن بطش ربك لشديد فقال بطشي أشد وذلك لخلو بطش العبد من الرحمة الكونية ويطش الله ليس كذلك فإن الرحمة الإلهية تصحبه وهو يعلمها وكذا هي في بطش العبد إلا العبد لا يشهدها ولا يجد لها أثراً في نفسه وإن كان يرحم نفسه بذلك البطش ولكن لا يعلم والله عليم بكل شيء فهو عليم بأن رحمته وسعت كل شيء فوسعت بطشه ويطش الكون ولكن ما كل باطش يعلم ذلك ولما كان للعبد بطش من حيث عينه وله بطش بربه وليس للرب في الحقيقة بطش بعبد فأضاف أبو يزيد بطش ربه إلى بطشه فقال بطشي أشد لأن فيه بطش ربي وما في بطش ربي بعباده بطشي فإذا وصف الحق نفسه بالشديد فهو ما يوجده من الأشياء بالأسباب الموضوعة في العالم فيعذب عباده بالنار فللنار حكم في العذاب مضاف إلى ما يوجده الله من الألم القائم بالمعذب وهو في الحجاب عن الله وليس للمعذب شهود إلا للأسباب فبطشه بالعبد بمشاهدة الأسباب من كونه شديد الأمن كونه معذباً فالشدة تطلب الغير ولا بد وهذا لا يقدر أحد على إنكاره فإن المشاهدة لأسباب الآلام أعظم في العذاب ممن يجد الألم ولا يشهد سببه ولا سيما إن كان يعلم أنه قادر على إزالة السبب

ليس للشدة حكم مستقل

دون أن يبدو لعن الشخص ظل

فإذا أبصره يبهره

ذلك الظل الذي عنه انفعّل

فهو لا يبرح من شدته

فإذا غيبه عنه انتقل

الخضوع عند تجلي الحق ومناجاته هو الحمود وما سوى هذا فهو مذموم ويلحق الذم بمن ظهر عليه إلا من يرى الحق في الأشياء كلها من الوجه الإلهي الذي لها ولكن على ميزان محقق لا يتعداه فغن الله قد وضع له ميزاناً عندنا في الأرض قال تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان فليصرفه بحسب وضع الحق فهو وإن شهدته في كل شيء فما يريد تعالى أن يعامله بمعاملة واحدة في كل شيء بل يحمدّه في المواضع التي تطلب منه المحامد ويقبل عليه ويعرض عنه في المواضع التي يطلب منه الإعراض عنه فيها فلا يتعدى الميزان

الذي يطلبه منه وهذا المشهد المكر فيه خفي ولا مزيل له إلا العلم بالميزان الإلهي المشروع فمن عرفه ووقف عنده وتأدب بآداب الله التي أدب بها رسله فقد فاز وحاز درجة العلم بالله قال تعالى معلماً ومؤدباً لمن عظم صفة الله على غير ميزان عبس وتولى إن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى يعني ذلك الجبار وأن الله عند المنكسرة قلوبهم أصحاب العاهات غيباً وهو في الجبارة المتكبرين ظاهر عيناً ولظهور حكم أقوى وكان صلى الله عليه وسلم حريصاً على الناس أن يؤمنوا بوحداية الله وإزالة العمى الذي كانوا عليه فلما جاء الأعمى في الظاهر البصير في الباطن فكان باطن الجبارة ظاهر هذا الأعمى فحصل في النفس البشرية ما حصل والنبي صلى الله عليه وسلم ليس له مشهود إلا صفة الحق حيث ظهرت من الأكوان فإذا رآها أعمل الحيلة في سلبها عن الكون الذي أخذها على غير ميزانها وظهر بها في غير موطنها وهو صلى الله عليه وسلم غيور فقيل له أما من استغنى فأنت له تصدى يقول أنه لما شاهد صفة لحق وهي غناء عن العالم تصدى لها حرصاً منه أن يزكى من ظهر بها عنده فقيل له ما عليك ألا يزكى ولك ما نويت وحكمه لو تزكى لما فاتك شيء سواء تزكى أو لم يترك وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى لكونه أعمى أي لا تتطير فنهاه عن الطيرة فمن هنا كان يحب الفأل الحسن ويكره الطيرة وهو الحظ من المكروه والقال الحسن الحظ والنصيب من الخير وقيل له أيضاً واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وانظر فيهم صفة الحق فإنها مطلوبك في الكون فإنني أدعو عبادي بالغداة والعشي وفي كل وقت أريد وجههم أي ذاهم أن يسمعوا دعائي فيرجعوا إلي ولا تعد عيناك عنهم فإنهم ظاهرون بصفتي كما عرفتك تريد زينة الحياة الدنيا فهذه الزينة أيضاً في هؤلاء وهي في الحياة الدنيا فهنا أيضاً مطلوبك ولا تطع فإنهم طلبوا منه صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم مجلساً ينفردون معه لا يحضره هؤلاء إلا عبد من أغفلنا قلبه عن ذكرنا أي جعلنا قلبه في غلاف فحجبناه عن ذكرنا فإنه إن ذكرنا علم أن السائدة لنا وأنه عبد فيزول عنه هذا الكبرياء التي ظهر بها التي عظمتها أنت لكونها صفتي وطمعت في إزالتها عن ظاهريهم فإنني أعلمتك أني قد طبعت على كل قلب متكبر جبار فلا يدخله كبر وإن ظهر به واتبع هواه أي غرضه الذي ظهر به وكان أمره فرطاً أي ما هو نصب عينيه له وهو مشهود له لا يصرف نظره عنه إلى ما يقول له الحق على لسان رسوله وما يريد منه وقل الحق من ربكم فمن شاء الله أن يؤمن فليؤمن ومن شاء الله أن يكفر فليكفر فإنهم ما يشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقبل عليه هؤلاء قال صلى الله عليه وسلم مرحباً بمن عتيني فيهم ربي ويمسك نفسه معهم في المجلس حتى يكونوا هم الذين ينصرفون ولم تزل هذه أخلاقه صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إلى أن مات فما لقيه أحد بعد ذلك فحدثه إلا قام معه حتى يكون هو الذي ينصرف وكذلك إذا صافحه شخص ولم يزل يده من يده حتى يكون الشخص هو الذي يزيلها هكذا رويناه من أخلاقه صلى الله عليه وسلم

إذا ظهرت فيه لذي العين أكوان

به عن رسول الله شرع وقرآن

كما هو إيمان كما هو إحسان

لرؤيتنا النعت الإلهي ميزان

يعامله الحبر اللبيب بما أتى

فذاك هو الإسلام فاعمل بحكمه

أداء الحقوق نعت إلهي طوبى به الكون قال تعالى أعطى كل شيء خلقه فذلك حق ذلك الشيء الذي له عند الله من حيث ذاته فهو حق ذاتي والحق العرضي الذي له عند الله هو قوله أوف بعهدكم فهذا حق على الله أوجهه على نفسه لمن وفى بعهده ومن لم

يف فليس له عند الله عهدان إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة فمن عباد الله من يدخل الجنة بالاستحقاق ومنهم من يدخلها بالمشيئة لا بالاستحقاق كما أنه ثم من يدخل النار بالاستحقاق وهم المجرمون خاصة وهم أهلها فلا يخرجون منها أبداً ولهذا يقال لهم يوم القيامة وامتازوا اليوم أي أهل الاستحقاق الذين يستحقون سكنى هذه الدار ما عدا المجرمين فإنهم وإن دخلوا النار فلا بد وأن يخرجوا منها بشفاعة الشافعين أو بمنة الله عليهم وهم الذين ما عملوا خيراً قط وإن كان المجرمون قد عملوا خيراً ولكن الاستحقاق يطلبهم بالإقامة فيها فصورهم صورة من يفعل ذلك بالخاصية فمن أعطى الحق من نفسه فما ترك عليه حجة لأحد ومن زاد على الحق فذلك امتياز له وثناء من الله خاص وهذا نعت فيه بين أهل الله كلام فإنه في إعطاء الواجب عبد اضطرار وفي الامتنان عبد اختيار فمن الناس من رجع مقام عبودية الاختيار على عبودية الاضطرار فغن الاضطرار جبر فحكمه غير حكم المختار قال الله تبارك وتعالى ألا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان وغير المكره إذا كفر أخذ بكفره وأي شيء فعل جوزي بفعله بخلاف المجبور وما بقي النظر إلا في معرفة من هو المجبور المكره وما صفته فإن بعض العلماء لم يصح عنده الجبر والإكراه على الزنا فيؤاخذ به فإن الآلة لا تقوم له إلا بسرمان الشهوة وحكمها فيه وعندنا أنه مجبور في مثل هذا مكره على أن يريد الوقاع ولا يظهر حكم إرادته إلا بالوقوع ولا يكون الوقاع إلا بعد الانتشار ووجود الشهوة وحينئذ يعصم نفسه من المكره له على ذلك المتوعد له بالقتل إن لم يفعل فصح الإكراه في مثل هذا بالباطن بخلاف الكفر فإنه يقنع فيه بالظاهر وإن خالفه الباطن فالزاني يشتهي ويكره تلك الشهوة فإنه مؤمن ولولا أن الشهوة إرادة بالتذاذ لقلنا أنه غير مرید لما اشتهاه

غير مرید لما اشتهاه

في ظاهر الأمر إذ رآه

ينفعه الله إذ حماه

عساه يجري إلى مداه

من يشتهي الأمر قد نراه

لكنه اضطر فاشتهاه

فقل له يحتمي عساه

قد قلت قولاً إن كان حقا

ومن ذلك

على شاهد أو على غائب

يقوم بها قام بالواجب

ق دعتة الشريعة بالغاصب

أداء الحقوق من الواجب

وما ثم إلا حقوق فمن

ومن لم يقم بأداء الحق

الممكن إذا وجد لا بد من حافظ يحفظ عليه وجوده وبذلك الحافظ بقاءه في الوجود كان ذلك الحافظ ما كان من الأكوان فالحفظ خلق لله فلذلك نسب الحفظ إليه لأن الأعيان القائمة بأنفسها قابلة للحفظ بخلاف ما لا يقوم بنفسه من الممكنات فإنه لا يقبل الحفظ ويقبل الوجود ولا يقبل البقاء فليس له من الوجود غير زمان وجوده ثم ينعدم ومتعلق الحفظ إنما هو الزمان الثاني الذي يلي زمان وجوده فما زاد فالله حفيظ رقيب والعين القائمة بنفسها محفوظة مراقبة وحافظ الكون حفيظ زمان وجوده والحق مراقب بفتح القاف للعبد غير محفوظ له فإنه لا يقبل أن يكون محفوظاً فإنه الصمد الذي لا مثل له ألا تراه قد قال لنبيه عليه السلام ما يقوله لمن عبد غير الله ينبههم أن كل ما سوى الله من معبود يطلب بذاته من يحفظ عليه بقاء وجوده فقال له يا محمد قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم وقد قرى الثاني في الشاذ بفتح الياء فكل موجود له بقاء في وجوده فلا بد من

حافظ كياني يحفظ عليه وجوده وذلك الحافظ خلق الله وهو غذاء هذا المحفوظ عليه الوجود فلا تزال عينه وإن تغيرت صورته ما دام الله يغذيه بما به بقاءه من لطيف وكثيف ومما لا يدرك ومما لا يدرك فالسعيد من الحافظين هو من يرى أنه مجعول للحفظ قال تعالى وإن عليكم لحافظين وليس هؤلاء من حفظة الوجود وإنما هؤلاء هم المراقبون أفعال العباد وإنما الحفظة العامة في قوله ويرسل عليكم حفظة فنكر فدخل تحت هذا اللفظ حفظة الوجود وحفظة الأفعال

فما هو إلا خلقه ما به الحفظ

ودل عليه من عبارتنا اللفظ

سيرديك إن حققته ذلك اللفظ

إذا قلت أن الله يحفظ خلقه

فهذا هو المعنى الذي قد قصدته

فلا تلفظن ما قلت فيه فإنه

القلم واللوح أول عالم التدين والتسطير وحقيقتهما ساريتان في جميع الموجودات علواً وسفلاً ومعنى وحساً وبهما حفظ الله العلم على العالم ولهذا ورد في الخبر عنه صلى الله عليه وسلم قيدا العلم بالكتابة ومن هنا كتب الله التوراة بيده ومن هذه الحضرة اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجميع الرسل عليهم السلام كتاب الوحي وقال كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون وقال في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وقال وكل شيء أحصيناه في إمام مبين وقال في كتاب مكنون وقال في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة وقال ونكتب ما قدموا وآثارهم والكتب الضم ومنه سميت الكتبية كتيبة لانضمام الأجناد بعضهم إلى بعض وبانضمام الزوجين وقع النكاح في المعاني والأجسام فظهرت النتائج في الأعيان فمن حفظ عليها هذا الضم الخاص أفادته علوماً لم تكن عنده ومن لم يحفظ هذا الضم الخاص المفيد العلم لم يحصل على طائل وكان كلاماً غير مفيد

وما كل موجود يكون عن الضم

له الحكم فينا بالتعاقب واللثم

إلى لوحه فالكون في رتبة الكم

وكن منه في هذا الوجود على علم

إذا كان إنتاج فلا بد من ضم

فمن كان دون اللوح والقلم الذي

فلا بد من كون يكون بضمه

وفي الكيف فانظر في الذي قد نظمته

اعلم أن الله مجالس مع عباده وعددها على عدد ما فرض عليهم سبحانه مما كلفهم به ابتداء فلما سواها دعاهم إليها ليجالسوه فيها فمن تخلف عن مجالسته فيها فقد عصى دعوته والله مجالس تسمى مجالس الإيمان خيرهم في مجالسته فيها على وجه خاص فيجالسهم فيها إذا دخلوها من حيث دعاهم إليها فيجدون خيراً كثيراً فإن دخلوها لا من حيث دعاهم إليها لم يجالسوه فيها ولا وجدوا فيها خيراً ولا شراً وعدد هذه المجالس بعدد ما أباح لهم في الشرع أن يتصرفوا فيه مما لا أجر فيه ولا وزر فإذا فعلوا المباح من حيث أن الله تعالى أباحه لهم وهم مؤمنون بذلك حضر معهم بالإيمان فهذا معنى قولي من حيث ما دعاهم إليها والله مجالس في هذه المجالس التي أباح لهم الدخول فيها ليجالسوه إذا جاءوا إليها من حيث ما دعاهم إلى الدخول فيها فإذا لم يأتوا إلى هذه المجالس التي في مجالس الإباحة المعينة منها ولا جالسوا الحق فيها فقد عصوه وكان حكمهم في ترك مجالسته فيها حكم مجالس الفرائض وأعني بالفرائض كل ما أذكره من فعل وترك حتى يشمل الحظر والكراهة التي في مقابلة الندب وعدد هذه المجالس بعدد ما أوجبه على أنفسهم بالنذر فأوجبه الله عليهم وبعدد ما أمرهم به أولو الأمر منهم فأوجب الله عليهم طاعتهم في ذلك فغن لم يدخلوها هذه

المجالس فقد عصوا وإنما جعلنا هذه المجالس معينة في مجالس الإباحة لأن النذر لا يكون إلا فيما أبيح له فعله وخيره الحق فيه بين الفعل الترك وكذلك ما أمرهم به أو لو الأمر منهم ما لهم أمر فيهم إلا بما أبيح لهم فعله فيجالسهم الحق في هذه المجالس المعينة مجالسته لهم في مجالس الفرائض والله مجالس أعدها سبحانه لعباده تسمى مجالس نوافل الخيرات بينها وبين مجالس الإباحة الترجيح فإن الإباحة ليس فيها ترجيح وكما قلنا في كل ذلك من فعل وترك وقرن تعالى محبته العالية السامية لأهل مجالس الفرائض وقرن محبة أخرى دون هذه المحبة لأهل مجالس نوافل الخيرات وعدد هذه المجالس بعدد النوافل ولا تكون نافلة إلا ما كان له مثل في الفرائض كصدقة المتطوع نافلة لأن لها أصلاً في الفرائض وهو الزكاة وكذلك الحج والصيام والصلاة وكل فرض والله مجالس يجالس الحق فيها عباده تسمى مجالس السنن الكيانية وهو قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة وتسمه في العامة بدعة حسنة لأنه مبتدعة لمن سنها ما كتبها الله علينا ولا أوجبها وعددها على عدد ما سن من ذلك وعدد من عمل بها كل ذلك يكون مجالسة الحق فيها مع من سنها من حيث لا يشعر إلا أن يكشف الله له في سره بمجالسته إياه بعدد كل عامل بها فيرى مجالسته غريبة وهو غير عامل لها في الوقت فيقال له أن فلاناً وفلاناً عملاً بالخير الذي سننته فجالسناه فيه فجالسناك فأحمد فعلك فيشكر الله على ذلك ولكل مجلس باب عليه يكون الدخول إلى هذه المجالس وعلى كل باب بواب وهو الإيمان ومن المجالس ما يكون عليها بوابان الإيمان والنية والأبواب ما هي غير المشروع في ذلك العمل الذي هو بمنزلة الدخول فالحال الذي يكون عليه في أول الشروع الذي هو الدخول ذلك هو الباب قال تعالى والذين هم على صلاتهم دائمون والمصلي يناجي ربه والمناجاة ذكر وهو جليس من ذكره سبحانه والدوام على مناجاته أن يكون العبد في جميع أحواله وتصرفاته مع الله كما هو في صلاته يناجيه في كل نفس وسبب ذلك كونه لا بد أن يكون على حال من الأحوال ولا بد أن يكون للشارع وهو الله في ذلك الحال حكم أي حكم كان وهو سبحانه حاضر مع أحكامه حيث كانت فالمراتب تناجيه في كل حال محظور وغير محظور لأن الأفعال والتروك وهي أحوال العبد التي تعلق بها أحكامهم الحق مقدرة فلا بد من وقوعها وهو سبحانه خالقها فلا بد من حضور فيها فيناجيه هذا العبد الذي قد عرف بحضور الحق معه في حاله فهذا هو الدوام على الصلاة وقالت عائشة تخبر عن حال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يذكر الله على كل أحيانه تشير إلى ما قلناه فإنه قد كان يأتي البراز وهو ممنوع أن يذكر بلسانه ربه في تلك الحال وقد كان من أحيانه يمازح العجوز والصغير ويكلم الأعراب ويكون في هذه الأحيان كلها ذاكراً وهذا هو الذي يقال فيه ذكر القلب الخارج عن ذكر اللفظ وذكر الخيال فمن ذكر الله بهذا الذكر فهو جليسه دائماً وهو الذي أثنى عليه ربه وألحقه بالذين هم على صلاتهم دائمون ولما فسر الله

الصلاة ما فسرنا إلا بالذكر وهو التلاوة فقال يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدي عبدي فقسم المناجاة بينه وبين عبده فالمناجاة هي عين الصلاة والمناجاة فعل فاعلين فيقول ويقول قال تعالى فاذكروني أذكركم

ممن يجالسه ومن يناجيه

تلاه صلى وفيه بعض ما فيه

بأن فيه وذكره ليس يحويه

وليس كل مصل منه يدره

إذا تلوت كتاب الله كنت به

فما الصلاة سوى الذكر الحكيم فمن

من أجل فاتحة القرآن قلت لكم

فالحمد فرص المصلي في قراءته

الرجوع الاختياري إلى الله يشكر عليه العبد قال عز وجل وإليه يرجع الأمر كله فإذا علمت هذا فارجع إليه مختاراً ولا ترجع إليه مضطراً فإنه لا بد من رجوعك إليه ولا بد أن تلقاه كارهاً كنت أو محباً فإنه يلغاك بصفتك لا يزيد عليها فانظر لنفسك يا ولي قال صلى الله عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب لقاءه ومن كره لقاء الله كره لقاءه وأخبرنا في الكشف بالإخبار الإلهي المنفوث في الروح من الوجه الخاص فقل لنا من استحي من لقاء الله آنسه الله وأزال حجله وذلك أن العبد ما يجعله يستحي إلا ما ظهر به من المخالفة أو التقصير عن حق الاستطاعة وما ثم غير هذين فأنس الحق في ذلك أن يقول له يا عبدي إنما كان ذلك بقضائي وقدري فأنت موضع جريان حكمي فيأنس العبد بهذا القول فلو قال هذا القول العبد لله لأساء الأدب مع الله ولم يسمع منه وهذا بعينه يؤنس الحق فهو من جانب الحق في غاية الحسن ومن جانب الخلق في غاية القبح قال صلى الله عليه وسلم الحياء خير كله قال والحياء لا يأتي إلا بخير وأي خير أعظم من هذا الخير أن يقيم الحق حجة العبد أنساً له ومباشطة وإزالة خجل ورفع وجل فسبحان اللطيف الخبير المنعم المتفضل ولما ورد علي هذا التعريف الإلهي لم يسعني وجود بل ضاق عني الوجود مما امتلأت من هذا الخطاب والتعريف الإلهي حيث جعلني محلاً لخطابه وأهلني لما أهل له أهل خصوصه وقد علمنا أن لقاء الله لا يكون إلا بالموت علمنا معنى الموت فاستعجلناه في الحياة الدنيا فمتنا في عين حياتنا عن جميع تصرفاتنا وحركاتنا وإراداتنا فلما ظهر الموت علينا في حياتنا التي لا زوال لها عنا حيث كنا التي بها تسبح ذواتنا وجوارحنا وجميع أجزائنا لقينا الله فلقينا فكان لنا حكم من يلقيه محباً للقائه فإذا جاء الموت المعلوم في العامة وانكشف عنا غطاء هذا الجسم لم يتغير علينا حال ولا زدنا بقينا على ما كنا عليه فما ذقنا إلا الموتة الأولى وهي التي متناها في حياتنا الدنيا فوقانا ربنا عذاب الجحيم فضلاً من ربك ذلك هو الفوز العظيم قال علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً فمن رجع إلى الله هذا الرجوع سعد وما أحس بالرجوع المحتوم الاضطراري فإنه ما جاءه إلا وهو هناك عند الله فغاية ما يكون الموت المعلوم في حقه أن نفسه التي هي عند الله يحال بينها وبين تدبير هذا الجسم الذي كانت تدبره فبقى مع الحق على حالها وينقلب هذا الجسد إلى أصله وهو التراب الذي منه نشأت ذاته فكان داراً رحل عنها ساكنها فأنزله الملك في مقعد صدق عنده إلى يوم يبعثون ويكون حاله في بعثه كذلك لا يتغير عليه حال من كونه مع الحق لا من حيث ما يعطيه الحق مع الأنفاس وهكذا في الحشر العام وفي الجنان التي هي مقره ومسكنه وفي النشأة التي يتزل فيها فيرى نشأة مخلوقة على غير مثال تعطيه هذه النشأة في ظهورها ما تعطيه نشأة الدنيا في باطنها وحيالها فعلى ذلك الحكم يكون تصرف ظاهر النشأة الآخرة فينعم بجميع ملكه في النفس الواحد ولا يفقده شيء من ملكه من أزواج وغيرهن دائماً ولا يفقدتهم فهو فيهم بحيث يشتهي وهم فيه بحيث يشتهمون فإنها دار انفعال سريع لا بطء فيه كباطن هذه النشأة الدنياوية وفي الخواطر التي لها سواء فالإنسان في الآخرة مقلوب النشأة فباطنه ثابت على صورة واحدة كظاهره هنا وظاهره سريع التحول في الصور كباطنه هنا قال تعالى أي منقلب ينقلبون ولما انقلبنا قلبنا فما زاد علينا شيء مما كنا عليه فافهم وهذا الرجوع المذكور في هذا الوصل ما هو رجوع التوبة فإنه لذلك الرجوع المسمى توبة حد خاص عند علماء الرسوم وعندنا وهذا رجوع عام في كل الأحوال التي يكون عليها الإنسان فهذا الفرق بين الرجوعين فإن التوبة رجعة بندم وعزم على أمر وهذا ليس كذلك فالتوبة في العموم معلومة وهذا الرجوع في الخصوص معلوم لا يناله إلا أهل الله الذين هم هم.

إن الرجوع هو المطلوب لله

فلا تقولن للأشياء لست به

فكن مع الله في الأحوال أجمعها

فإن لله عيناً غير نائمة

إليه عن كل كون فيه بالله

فليس في الكون إلا هو وإلا هي

ولا تكن عن شهود الله بالساهي

بها يراك ولا يشهد سوى الله

من أعجب الأمر أن الأمر واحدة

فذي التقاسيم في أكواننا ما هي

العبودية ذلة محضة خالصة ذاتية للعبد لا يكلف العبد القيام فيها فإنما عين ذاته فإذا قام بحققها كان قيامه عبادة ولا يقوم بها إلا من يسكن الأرض الإلهية الواسعة التي تسع الحدوث والقدم فتلك أرض الله من سكن فيها تحقق بعبادة الله وأضافه الحق إليه قال تعالى يا عبادي إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون يعني فيها ولي مذ عبدت الله فيها من سنة تسعين وخمسمائة وأنا اليوم في سنة خمس وثلاثين وستمائة ولهذا الأرض البقاء ما هي الأرض التي تقبل التبديل ولهذا جعلها مسكن عباده ومحل عبادته والعبد لا يزال عبداً أبداً فلا يزال في هذه الأرض أبداً وهي أرض معنوية معقولة غير محسوسة وإن ظهرت في الحس فكظهور تجلي الحق في الصور وتجلي المعاني في المحسوسات ولا تظهر المعاني في الصور الحسية إلا لقصور بعض النفوس عن إدراك ما ليس بمادة فإذا كان متضلعا من المعرفة بالله لم ير المعاني في مواد ولا أرى المواد في غير نفسها فأدرك كل شيء في شئنيته كانت ما كانت وهذا هو الإدراك الذي يعول عليه لأنه بريء من التلبس ولا يصح بوجه من الوجوه أن يشهد الإنسان محض عبوديته ولا يقام في عبادته المحضة التي لا يخالطها شيء من الربوبية التي تعطيه الصورة التي خلق عليها إلا عن تجل إلهي فإذا لم يكن تجل فإن الإنسان يقام في الصورة التي خلق عليها فيكون عبداً ربا مالكا مملوكاً مثل العامة سواء غير أن الفارق بينه وبين العامة أنه للعامة اعتقاد ولعلماء الرسوم علم ولهذا الطائفة شهود وهو العبد الممتزج الظاهر بالحققتين وما يتخلص من هذا المزج إلا أهل العناية الذين يعمرن هذه الأرض الواسعة التي لا نهاية لها وكل أرض سواها فمحدودة ليس لها هذا الحكم ولهذا أربابها كثيرون فإن لكل عبد فيها ملكاً يملكه ويتصرف فيه فلا يتعدى غيره عليه وبنفس ما يملك منها كان مالكا وربا فيها وهذه الأرض الواسعة هي المتصرف في سكانها الحاكمة عليهم بذاتها وهي مجلى الربوبية ومنصة المالك الحق وفيها يرويه فمن كان من أهلها حيل بينه وبين الصورة التي خلق عليها فكان عبداً محضاً شاهداً يشاهد الحق في عين ذاته فالشهود له دائم والحكم له لازم وهؤلاء هم المسودون الوجه في الدنيا والآخرة إذا علمت ذلك فالرب رب والعبد عبد فلا تغالط ولا تخالط

إن أرض الله واسعة

بلغوه في عبادتكم

فالذي له لكم وادلي

وإذا ما قال لست هنا

ذلكم معنى الخلافة في

فاعبدوا فيها الذي هي له

بالذي ترجونه أمله

لك من نعت فما هو له

إنه أقامكم مثله

أرضه فاسلك بها سبله

ولتقم بعين صورته

في الذي أقامكم بدله

واعملوا في كل آونة

بالذي أراكم عمله

الانتقالات في الأحوال من أثر كونه كل يوم هو في شأن والعالم كله على الصورة وليس هو غير الشؤون التي تظهر بها ولا يشهد هذا الأمر كشفاً إلا أصحاب الأحوال ولا يشهد هذا حالاً إلا أهل السياحات ولا يشهد علماً إلا القائلون بتجدد الأعراض في كل زمان فإن من عباد الله من لا يعرف بمكان إلا انتقل عنه إلى مكان غيره منه على الله وعلى نفسه فأما غيرته على الله فإنه لا يعرف إلا به فحاله هو الذي يظهره الحق لهم فيغار على الجنب الإلهي حيث لا يذكر الله إلا به وينبغي في نفس الأمر أن لا يذكروا الله إلا بالله فلما رأوا أن الأمر ظهر بالعكس وهو قوله عليه السلام حين قيل له من أولياء الله قال الذين إذا رأوا ذكر الله فغاروا من هذا وأرادوا احترام الجنب الإلهي حتى يذكروه ابتداء لا بسبب رؤيتهم وأما غيرتهم على نفوسهم فإنهم ما تحققوا بالحق في تقلباتهم لمشاهدتهم شؤون الحق إلا حتى لا يعرفهم الخلق كما لا يعرفون الحق فما داموا يجهلون في العالم طاب عيشهم وعلموا أن الله قد جعلهم أخفاء أبرياء مصانين في الكنف الأحمى من جملة ضنائه فمتى ما عرفوا انتقلوا إما بالحال وهو التصرف بحكم العادات التي هي مثل الآيات المعتادة فلا يعرفها إلا الذين يعقلون عن الله وإما بالانتقال الحسي المكاني من مكان إلى مكان لتحقيقهم بالحق في نزوله من سماء إلى سماء فمن أراد أن يتمتع بوجود هذا الصنف ومشاهدته ويستفيد منه من حيث لا يشعر فلا يظهر له أنه يعرفه ويظهر العزة عليه والاستغناء عنه ويصحبه صحبة عادة العامة ولا تبدو منه كلمة لا يرضاها الله فإنه لا يحتملها صاحب هذا الحال وينفر منه كما ينفر ممن يعلمه فلا يعامله إلا بواجب أو مندوب أو مباح خاصة هكذا يقتضي حالهم

من شهد الحق في شؤونه

أقامه الحق في فنونه

فهو عليم بكل شيء

أشده ذلك من مبينه

فهو الإمام الذي سنه

يظهر في الكون من جفونه

فكل شيء تراه عينه

فإنما ذاك من عيونه

تفجرت في القلوب علماً

عيناً وحقاً إلى يقينه

سبحان من لا يراه غيري

كما أراه على شؤونه

الحالة البرزخية لا يقام فيها إلا من عظم حرمت الله وشعائر الله من عباده وهم أهل العظمة وما لقيت أحداً من هذا الصنف إلا واحداً بالموصل من أهل حديثه الموصل كان له هذا المقام ووقعت له واقعة مشكلة ولم يجد من يخلصه منها فلما سمع بنا جاء به إلينا من كان يعتقد فيه وهو الفقيه نجم الدين محمد بن شائي الموصلي فعرض علينا واقعته فخلصناه منها فسر بذلك وثلج صدره واتخذناه صاحباً وكان من أهل المقام وما زلت أسعى في نقلته منه إلى ما هو أعلى مع بقاءه على حاله فإن النقلة في المقامات ما هي بأن تترك المقام وإنما هو بأن تحصل ما هو أعلى منه من غير مفارقة للمقام الذي تكون فيه فهو انتقال إلى كذا لا من كذا بل مع كذا فهكذا انتقال أهل الله وهكذا الانتقال في المعاني لا يلزم من انتقل من علم إلى علم أن يجهل العلم الذي كان عليه بل لا يزال معه إذا كان عالماً وصاحب هذا الحال بين الله وبين نفسه فهو ناظر إلى نفسه ليرى ربه منها أو فيها فإذا لم يبد له مطلوبه صرف النظر بالحال إلى

ربه ليرى في ربه نفسه فإذا رآه الحق على ذلك جاءه الاسم الغيور فخاف عليه أن يناله فردّه إلى رؤية نفسه وأشهدّه في نفسه ربه وهو المقام الذي يأتي عقيب هذا إن شاء الله

ثلاثة أعلامها تشهد

وأنه بعلمها السيد

أعلمه بحاله المشهد

له جباه للنهي تسجد

وهو الذي يسجد والمسجد

من حالة البرزخ أن يشهدا

بأنه حصل أعيانها

يحكم في ذاك وذا بالذي

فهو الإمام المرتضى والذي

فهو الذي يسجد من أجله

من شهد نفسه شهود حقيقة رآها ظلاً أزلياً لمن هي على صورته فلم يقم مقامه لأن المنفعل لا يقوم مقام فاعله فلا تسجد الظلال إلا لسجود من ظهرت عنه فالظلال لا أثر لها بل هي المؤثر فيها وكل منفعل ففاعله أعلى منه في الرتبة فلا تشهد الأشياء إلا بمراتبها لا بأعيانها فإنه لا فرق بين الملك والسوقة في الإنسانية فما تميز العالم إلا بالمراتب وما شرف بعضه على بعضه إلا بها ومن علم أن الشرف للرتب لا لعينه لم يغالط نفسه في أنه أشرف من غيره وإن كان يقول أن هذه الرتبة أشرف من هذه الرتبة وهذا مقام العقلاء العارفين يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً في هذا المقام في حق نفسه وتعليماً لنا إنما أنا بشر مثلكم فلم ير لنفسه فضلاً علينا ثم ذكر المرتبة وهي قوله يوحى إلي ولا خلاف بين العقلاء أنه من تعاضم في نفسه بشرف غيره أنه أخرج جاهل إذ لم يكن شرفه بنفسه والأمر ليس كذلك فالعقل الحاضر الشهيد لا يرى لنفسه شرفاً يفتخر به على أمثاله ألا تراه صلى الله عليه وسلم أنه قال أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر فنفي أن يقصد بذلك الفخر ثم ذكر الرتبة التي لها الفخر الذي هو صلى الله عليه وسلم مترجم عنها وناطق بلسانها فذكر رتبة الشفاعة والمقام الحمود فالفخر للرتبة لا لنا فما هلك أمرؤ عرف قدره ولنا بحمد الله في هذا المقام القدم الراسخة والمراتب نسب عدمية فلا فخر بالذات إلا لله وحده وإذا كان الفخر فينا للرتب والرتب نسب عدمية فما فخرنا إلا بالعدم ناهيك ممن فخره بالعدم

فأنت المراد وأنت الإمام

فأنت المجهول الذي لا يرام

وللجهل فينا حجاب الظلام

ستعلم ذلك عند الحمام

غطاء فلاحت بدور التمام

فإن كنت تعقل ما قلته

وإن كنت تجهل ما قلته

فللعلم فينا حجاب السنا

فقل للجهول بأحواله

إذا كشف الله عن عينه

الأمر الإلهي نافذ في المأمور لا يتوقف فإذا ورد الأمر الإلهي على لسان الكون ظهر في الأمثال فاعتزت النفوس أن تكون تتصرف تحت أوامر أمثالها فردت أوامر الحق إما على جهالة بأنها أوامر الحق وإما على علم بأنها أوامر الحق لكن أثرت فيها الواسطة لأن الحل برد الحال فيه إلى صورته كالماء في الأوعية إلا أن المأمور إذا كان على بينة من ربه أبصر المأمور به ليس في قدرته إيجاد عينه إلا أن

يتعلق به الأمر الإلهي الذي له النفوذ فيهيئ محله لوجود المأمور به عند إيجاد الحق إياه فإذا هياً محله أوجده الحق فيقال في المحل أنه عبد طائع لله فيما أمره به ولسان الحال والكشف يقول ليس لك من الأمر شيء وإذا لم يهيئ محله لوجود المأمور به لم يظهر للمأمور به عين فقيل عبد عاص أمر ربه مخالف ولسان الحال والكشف يقول له ليس لك من الأمر شيء وسواء كان الوساطة يأمر أو يتكلم بلسان حق أو بغير لسان حق فإن هذه مسألة قد فشت في العامة وهي مبنية على أصل فاسد فيقولون في المذكرين إذا لم يؤثر في السامعين أنه لو خرج الكلام من القلب لوقع في القلب وإذا كان من اللسان لم يعد الآذان ويشيرون بذلك إلى المذكر لو كان صادقاً فيما يدعو به الناس إلى الله لأثر ومعلوم أن الأنبياء والرسل عليهم السلام صادقون في أحوالهم بل هم أصدق الدعاة إلى الله ثم إنهم يدعون على بصيرة إلى الله بصورة ما أوحى به إليهم فهم صادقون بكل وجه ومع هذا يقول نوح عليه السلام إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً فلم يزدتهم دعائي إلا فراراً وقال فلما جاءهم نذير يعني دعاء الحق على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ما زادهم إلا نفوراً استكباراً في الأرض فلا تغالط نفسك وانظر فيما دعيت إليه فإن كان حقاً ولو كان من شيطان فاقبله فإنك إنما تقبل الحق ولا تبال من جاء به هذا مطلب الرجال الذين يعرفون الأشياء بالحق ما يعرفون الحق بالأشياء وأصحاب هذا الوصف هم العارفون بالموازن الإلهية المعرفة التامة وهم قليلون في العالم إلى وقتي هذا ما رأيت منهم واحداً وإن كنت رأيته فما رأيته في حال تصرفه في هذا المقام وهم حكماء هذا الطريق ناطقون بالله عن الله ما أمرهم به الله

عليه قلوب لها عاكفه

من أحوالهم صفة صارفه

فلله من خلقه طائفه

وليست لهم في الذي قد دعا

يراهما على بابها واقفه

بمن قد دعاها له عارفه

إذا ما دعاها بأنفاسها

تبادر للأمر من كونها

إذا أضيف حكم من أحكام الوجود إلى غير الله أنكره أهل الشهود خاصة وهم الذين لا يشهدون شيء ولا يرونه إلا رأوا الله قبله كما قال الصديق عن نفسه وأما العلماء فهم في هذا المقام على حكم الحق فيه لا على ما يشهدونه فينكرون النكرة ويعرفون المعرفة إذ كان الوجود مبناه على المعرفة وهو الأصل فلما جاءت الأمثال والأشباه ظهر التنكير فافتقرنا إلى البدل والنعوت وعطف البيان ولولا الأمثال وحصول التنكير ما احتجنا إلى شيء وليس الحدود الذاتية للأشياء تقوي قوة النعوت فإن الحدود الذاتية مثلاً للإنسان بما هو إنسان لا تميز زيدا عن عمرو فلا بد من زيادة يقع بها تعريف هذا التنكير لو قلت جاني إنسان لم يعرف من هو حتى تقول فلان فإن كان في حضرة التنكير نعته أو أبدلت منه أو عرفته بعطف البيان حتى تقيمه في حضرة التعريف ليعرف المخبر به من أردت وهذا مقام لم يتحقق به أحد مثل الملامية من أهل الله وهم سادات هذا الطريق ومن الناس من ينكر على الحق لا على جهة الاعتراض عليه وإنما يطلب بذلك أن يعلم ما هو الأمر عليه للذي جهله بالتعريف الإلهي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد على من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ومن هذا المقام قولي

مالك لا تبقى الذي تخلق

أخلقه في نفسه ضيق

قلت لمن يخلق ما يخلق

فقال لي أن المحل الذي

فاسكت فغن الباب لا يغلق

فلا تبالي أنه مطلق

والناس في لبس فلا تتطق

لذلك الوهم لهم يسبق

فإنها المسك الذي يعيق

ما هو غير هكذا حققوا

من صورة في ذاتنا تعلق

وروحهم من ثمري تعلق

ما يقبل التكوين إلا كذا

ما العين إلا واحد دائم

أجدد التكوين في عينه

خلف حجاب المثل أبصارهم

فاستنشق العرف من أعراضهم

فانظر إلى موجد أعيانهم

فكل ما يرى منه بناؤه

أرواحهم غذاء أشباحهم

الحدود الذاتية الإلهية التي يتميز بها الحق من الخلق لا يعلمها إلا أهل الرؤية لا أهل المشاهدة ولا غيرهم ولا تعلم بالخبر لكن قد تعلم بعلم ضروري يعطيه الله من يشاء من عباده لا يلحق بالخبر الإلهي وما ثم أمر لا يدرك من جهة الخبر الإلهي إلا هذا وما عدا هذا فلا يعلم إلا بالخبر الإلهي أو العلم الضروري لا غير فحدود الموجودات على اختلافها هي حدود الممكنات من حيث أحكامها في العين الوجودية وحد العين الوجودية الذاتي ليس إلا عين كونها موجودة فوجودها عين حقيقتها إذ ليس لمعلوم وجود أصلاً وغاية العارفين أن يجعلوا حدود الكون بأسره هو الحد الذاتي لواجب الوجود والعلماء بالله فوق هذا الكشف والمشهد كما ذكرناه قبل وهم رضي الله عنهم يحافظون على هذا المقام لسرعة تغلته من قلوبهم فإنه من لم تستصحيبه الرؤية دائماً مع الأنفاس فإنه لا يكون من هؤلاء الرجال وهذا مقام من يقول ما رأيت إلا الله فإن قيل له فمن الرائي قال هو فإن قيل له فمن القائل قال هو فإن قيل له فمن السائل قال هو فإن قيل له فكيف الأمر قال نسب تظهر فيه منه له فما ثم في ثم إلا هو وهو عين ثم وهذا هو مشهد أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه بالخال

بوجودي وبها قد عرفا

مثل ما شاهدتها ما انصرفا

لم يزل بربه متصفا

بوجودي أو حكيماً منصفا

إن الله حدوداً عرفت

لو يراها أحد من خلقه

لا يرى ما قلته إلا الذي

أو عليماً عن دليل قاطع

ومن عرف الحق من كان الحق سمعه وبصره وجميع قواه فمن قواه العلم بالأمر والحق تلك القوة والعبد موصوف بما فهو موصوف بالحق والحق يعلم نفسه فهذا العبد عالم به من حيث ما هو الحق عين صفته فما علمه إلا به ومن له هذا المقام من العلم بالله فلا يجاريه أحد في علمه بالله فهذا هو العالم بالحد الذاتي لا ينقال رأيت بقونية في مشهد من المشاهد شخصاً إلهياً يقال له سقيط الررف ابن ساقط العرش ورأيت بفاس شخصاً يوقد في الأتون ممن سقط وصحبته وانتفع بنا فإن جماعة من أهل الله يعرضون عن الساقطين وسبب ذلك أنهم ما بلغوا من معرفة الله بحيث أنهم يرونه عين كل شيء فلما حصروه صار عندهم كل من سقط من ذلك المقام

الإلهي الذي عينوه أعرضوا عنه أبعدده عندهم من الله تعالى والعلماء بالله ما لهم حالة الإعراض عن هؤلاء لأنهم في حال الثبوت وحال السقوط ما خرجوا عن المقام الإلهي وإن خرجوا عن المقام السعادي فلا أثر للسقوط عندهم فهم مقبلون على كل ساقط قبول رحمة أو قبول علم ومعرفة لأنهم علموا أين حصل لما سقط أو من هو الذي سقط وقد رفع الله المؤاخذه عنهم وعن كانوا عنده وهذا من أعظم العناية لمن عقل عن الله بهم وهم لا يشعرون ولا يشعر بهم أي العلماء بالله تعالى وما تسقط من ورقة وهي ما تسقط إلا من خشية الله كما قال وأن منها لما يهبط من خشية الله والهبوط سقوط بسرعة عن غير اختيار والجبر الأصل فهذا حكم الأصل قد ظهر في الساقطين.

إذا سقط النجم من أوجه

وكان السقوط على وجهه

فما كان إلا ليدري إذا

تدلى إلى السفلى من كنهه

فيعرف من نفسه ربه

كما يعرف الشبه من شبهه

وأما رجال الله الذين يحفظون نفوسهم من حكم سلطان الغفلة الحائلة بينهم وبين ما أمروا به من المراقبة فهم قسمان قسم له الإطلاق في الحفظ كإطلاق حكم الشرع في أفعال المكلف وقسم له التقييد في الحفظ ظاهر إلا باطناً فأما أهل الإطلاق فمنهم من يحافظ على ما عين الحق له منه أنه وسعه وهو القلب ومنهم من يحافظ على ملازمة الحجاب الذي يعلم أن الحق وراءه فيكون له كالحجاب في العالم ينفذ أوامره وهذه حالة القطب فليس له من الله إلا صفة الخطاب لا الشهود لأنه صاحب الديوان الإلهي فلا يكون إلا من وراء حجاب إلى أن يموت فإذا مات لقي الله وهو مسؤول عن العالم والعلم مسؤول عنه وهذا هو مقام الرسل صلوات الله عليهم أجمعين وشركهم في هذا المقام من يحافظ على الصلوات في الجماعات إذا قدر عليها وعلى كثرة النوافل منها ليلاً نهاراً ولما علموا أن الله على كل شيء حفيظ وهم من الأشياء وهم الذين ادعوا أنهم أهل الصورة المثلية لزمهم أن يقوموا في هذه الصفة فيصدق عليهم اسم الحفيظ على كل شيء فيحفظوا ما خصص الله به نفسه في ملكه من الحقوق التي له أن ينازعه فيها أحد من عالمهم وينوب عن العالم بأسره فيما فيه مصالحهم لما هو العالم عليه من الغفلة والجهل فبالجهل لا يعرف مصالحه من غير مصالحه وبالعفلة يغفل عن مصالحه وإن كان يعرفها إذا نبه لها فيكون هذا العبد الحفيظ على كل شيء مستحقاً هذا الاسم ولما علم أن عليه من الله حافظاً يكتب ما عمله من أفعاله حفظ ما يملأ عليه حتى يقع لصحيفته ميز على سائر الصحف إذا رفعت إلى الله هذا شأن القوم وأما أنا فأقول

قل لمن يحفظ الأمور عليه

إنما يحفظ الوجود الحفيظ

ولهذا إذا الحفيظة جاءت

وأتى للذي أتاه يغيط

قام فرد فزاحمته أمور

فيرى لازدحامهن كظيظ

قلت من زاحم الأمور فقالوا

هو قلب فظ عليه غليظ

ولما رأيت ما ينبغي لله وما ينبغي للعبد ورأيت ما حجب الله به عباده المنسويين إليه من حيث أنه جعل لهم في قلوبهم أنهم يعتقدون أن لهم أسماء حقيقية وأن الحق تعالى قد زاحمهم فيها وحجبهم عن العلم بأن تلك الأسماء أسماءه تعالى زاحموه بالتخلق بالأسماء الإلهية

وقابلوا مزاحمة بمزاحمة وما تفتنوا لما لم يراهم فيه من الذلة والافتقار الذي نبه لأبي يزيد عليها ولنا اعتناء من الله فهذه أسماءهم لا ما ادعوها فزاحموه فيما تخيلوه من الأسماء أنما لهم وهم لا يشعرون ولقد كنت مثلهم في ذلك قبل أن يمن الله علي بما من به علي من معرفته فعلمي أن الأسماء أسماءه وأنه لا بد من إطلاقها علينا فأطلقناها ضرورة لا اعتقاداً وأطلقتها أنا ومن خصه الله بهذا العلم علي الله اعتقاداً وأطلقها غيرنا اضطراراً إيماناً لكون الشرع ورد بها لا اعتقاداً فحفظنا عليه ما هو له حين لم يحفظه ومكر بعباده وفي ذلك قلت

فلو يضاهيه خلق من بريته

ضاهاه قلبي ولكن عزه منعنا

فقلت للقلب لا تحجب بصورته

فما أجاب ولا أصغى ولا سمعا

دعاه قلبي فلباه بحاجته

فعزه قوله لبيك حين دعا

لو أن قلبي يدري ما أقول له

في مثل ما يبتغيه منه ما طمعا

لكنه جاهل بالأصل مبتئس

فعند ما جاء ما أغناه قال دعا

فمن حفظ علي نفسه ذله وافتقاره وحفظ علي الله أسماءه كلها التي وصف بها نفسه والتي أعطى في الكشف أنها له فقد أنصف فاتصف بأنه علي كل شيء حفيظ.

ولما فتح الله باب الرحمتين وباب الصبح بهما لذي عينين أوقف الحق من عباده من شاء بين يديه وخاطبه مخبراً بماله وعليه وقال له إن لم تتق الله جهلته وإن اتقيته كنت به أجهل ولا بد لك من إحدى الخصلتين فلهذا خلقت لك الغفلة حتى تتعري عن حكم الضدين والنسيان لأنه بدون الغفلة يظهر حكم أحدهما فاشكر الله على الغفلة والنسيان ثم قيل له احذر من أهل الستور أن يستدرجوك إليها فإنهم أهل خداع ومكر أيكون الستر علي من هو منك أقرب من حبل الوريد فما استتر عنك إلا بك فأنت عين ستره عليك فلو رأيت باطنك رأيته وكذلك ذو الوجهين فإن له وجهاً معك ووجهاً معه فيحريك فاحذره كما تحذر الحجاب فهم جعلوا أنفسهم حجاباً ما أنا اتخذهم حجة فإذا رأيت من يدعوك إلي فيك فأولئك حجتي فاصغ إليهم فإنهم نصحوك وصدقوك ثم قيل له لم يتسم الله بالحكيم إلا من أجلك وتسمى بالعليم من أجلك ومن أجله فقد خصك بأمر فقد خصك بأمر ليس له وهو لك فأنت أعظم إحاطة في الصفات منه لأنه كل ما له لك فيه اشتراك فما اختص بشيء دونك وهو كما له الذي ينبغي له واختصت أنت بأمر ليس له وهو كما لك الذي ينبغي لك ولا ينبغي له فما ثم إلا كمال في كمال ثم قيل له اتبع الخير ولا تتبع النظر المعرى عن الخير فإن الله ما تسمى بالخبير إلا لهذا ثم قيل له اعتمد عليه تعالى في وكالتك واحذر أن تكون له وكيلاً ثم قيل له أنت قلب العالم وهو قلبك فشرفك به وشرف العالم بك ثم قيل له لا تجهل من أنت له وهو لك مثل من أنت منه وما هو منك كما لا تجعل من هو منك من أنت منه واجر مع الحقائق علي ما هي عليه في أنفسها فإن لم تفعل وقلت خلاف هذا تكذبك مشاهدة الحقائق فتكون من الكاذبين وهذا هو قول الزور لأنه قول مال بصاحبه عن الحق الذي هو الأمر عليه وزال عن العدل ثم قيل له ليكن مشهودك ما تقصده حتى تعرف ما تقصد فإن اجتهدت وأخطأت بعد الاجتهاد فلا بأس عليك وأنت غير مؤاخذ فإن الله ما كلف نفساً إلا ما أتاها فقد وفّت بقسمها الذي أعطاه الله فهو الذي ستر ما ستر لحكمه وكشف ما كشف لحكمه رحمة بعبادة ثم قيل له الحق أولى

بعباده المضافين إليه المميزين من غيرهم وهم الذين لم يزالوا عبادته في حالة الاضطراب والاختيار من نفوسهم وما هو مع من لم يصف إليه بهذه المثابة فلكل عالم حظ معلوم من الله لا يتعدى قسمه ثم قيل له إذا بذلت معروفاً فلا تبدله إلا المعروف وأنت تعرف من هو المعروف فإن للمعروف أهلاً لا يعلمهم إلا الله ومن أعلمه الله ثم قيل له قد علمت أن الله ميثاقين وأنت مطلوب بهما فإن العلماء ورثة الأنبياء فانظر لمن أنت وارث فإن ورثت الجميع تعين عليك العمل بميثاق الجميع وإن كنت وارثاً لمعين فأنت لمن ورثته ثم قيل له أصدق ولا تأمن ثم قيل له إن ذكرت النعم كنت لها وكنت عبد نعمة وإن ذكرت الله كنت له وكنت عبد الله وإن ذكرت الأمرين كنت عبد المنعم وعبد الله فأنت أنت حكيم الوقت فإن لم تنادى بعبد المنعم فاعلم أنك عبد المنعم خاصة فاجعل بالك إذا نوديت من شرك بأي اسم تنادى من أسماء إضافة العبودية إليه فكن منه على حذر ثم قيل له أن الله قهراً خفياً في العالم لا يشعر به وهو ما جرهم عليه في اختيارهم وقهراً جلياً وهو ما ليس لهم فيه اختيار يحكم عليهم فرجال الله يراقبون القهر الخفي لأنه عليه يقع السؤال من الله والمطالبة فإن شهدت الجبر في اختيارك كنت ممن شهد الجبر الجلي فيرفع عنك المطالبة ذلك الشهود ولكن المشاهد له عزيز ما رأيت من أهل هذا اللسان والحال إلا قليلاً بل ما رأيت إلا واحداً بالشام ففرحت به ثم قيل له لك ست جهات أربعة منها للشيطان وواحدة لك وواحدة لله فأنت فيما منها لله معصوم فمن ثم خذ التلقي واحذر من الباقي وهو الخمسة ولذا جاء الشرع بخمسة أحكام منها جهتك وجهات الشيطان منك وأما جهته منك فلا حكم فيها للشرع وهي جهة معصومة لا يتزل على القلب منها إلا العلوم الإلهية المحفوظة من الشوب ثم قيل له إذا كنت مؤمناً فكن عالماً حتى لا تزلزلك الشبه وما علم لا يزلزل صاحبه الشبه إلا ما كان من الله فكل علم عن غير الله تراحمه الشبه والشكوك في أوقات ثم قيل له لا يقيّدك مقام فإنك محمدي فلا تكن وارثاً لغيره تحز المال كله فمن ورثه من أمته زاد على سائر الأنبياء بصورة الظاهر فيهم ما شهدوه حين أخذوا عنه رسالاتهم إلا باطناً كما يتميز على سائر الأنبياء من أدرك شريعته الظاهرة كعيسى عليه السلام والياس فهذان قد كمل لهم المقام المحمدي ثم قيل له الاستئذان في الخبر دليل على الفتور والرغبة فإن استأذنت ربك في خير تعلم أنه خير فانظر فإن أجابك بالعمل به فحسن وإن خيرك فقد مكر بك واستدرجك وغن لم تقع عندك منه إجابة فاعلم أن في إيمانك ثلثة فإنك ما علمت أنه خير إلا من جهة الشارع والشارع الله فلا شيء تستأذن بعد العلم فجدد إيمانك بين يديه وقل لا إله إلا الله محمد رسول الله آمنت بما جاء من عندك واشرع في العمل ولا تستأذن في شيء قط فإن الله عليك رقيب فهو يلهمك ما فيه مصالحك وميزان الشرع الذي شرع لك بيدك لا تضعه من يدك ساعة واحدة ولا نفساً واحداً بل لا يزال أهل الله مع الأنفاس في وزن ما هم عليه فهم الصيارفة النقاد ثم قيل له أنت على ملكك وعن ملكك زائل وعن بلدك أحل وعن الدنيا منتقل فلا تفرط في الزاد فإنك ما تأكل إلا ما تحمل معك ولا تشرب إلا ما ترفع معك في مزادتك فالطريق معطشة والبلاد مجدية ثم قيل له لا ترد في العهود ويكفيك ما جبرت عليه ولهذا كره رسول الله صلى الله عليه وسلم النذر وأوجب الوفاء به لأنه من فضول الإنسان كما كان السؤال هو الذي أهلك الأمم قبل هذه الأمة من فضولهم فإن السؤال يوجب إنزال الأحكام وكما جرى في هذه الأمة من إثبات القياس والرأي فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب التقليل على أمته من التكليف وبالقياس كثر بلا شك فشغلوا نفوسهم بما كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لهم في ذلك أجراً لأنهم أخطؤوا في الاجتهاد في إثبات القياس بلا شك فالله ينفعهم بما قصدوا وأما سائر الأمة فلا يلزمهم إلا ما جاء عن الله وعن رسوله وما كان عن رأي أو قياس فهم فيه مخيرون إن اتبعوه وقلدوا صاحبه فما قلدوا إلا ما قرر الشارع حكمه في ذلك الشخص وفي هذا نظر فإنه ما أمرنا أن نسأل إلا أهل الذكر وهم أهل القرآن يقول الله تعالى إنا نحن نزلنا الذكر

يريد القرآن ثم قيل له لا تسلك من الطرق إلا ما تقع لك فيه المنفعة والربح فإنها تجارة وهكذا أسماها الله قال هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ثم ذكر الإيمان والجهاد وقال فما ربحت تجارتهم في حق من ابتاع الضلالة بما كان في يديه من الهدى ثم قيل له عليك بالالتحاء إلى من تعرف أنه لا يقاوم فإنه يحميك ثم قيل له عليك بآثار الأنبياء فإنها طرق المهتدين ثم قيل له إياك والحسد فإنه يخلق الحسنات وأول ما يعود وباله على صاحبه ثم قيل له لا يكون التيسير الإلهي من نعوت الحق إلا إذا ظهر الحق بصورة أهله فإن المنازع لله في إيجاد الممكن الذاتي الذي للممكن فانظر ما يزيله والأمر الذاتي يحكم لنفسه فتعمل في الخروج من هذه الشبهة ثم قيل له خلق الله العالم أطواراً وكل طور يزهد في طوره ويذمه ويثني على ما سواه فما الذي دعا إلى ذلك وما الذي أفرح كل أحد بما عنده حتى منعه ذلك الفرح من الخروج عنه ثم قيل له الاقتداء شأن الرجال فاقتد بالله من كون الميزان في يده فإن فاتك هذا الاقتداء هلكت ثم قيل له الإيمان برزخ بين إسلام وأحصان وهو الاستسلام فلهذا يكون الإسلام ولا إيمان ويكون الإيمان ولا استسلام فالزم الاستسلام تفز بالجميع وما ثم برزخ لا يقوي قوة الطرفين إلا الإيمان فكل برزخ فيه قوة الطرفين هم الإيمان ثم قيل له ألحق المتأخر بالمتقدم فتسعد ولا تعكس الأمر ثم قيل له لا تبديل لخلق الله وخلق الله كلماته ولا تبديل لكلمات الله وإنما التبديل لله من كونه متكلماً لا من كونه قائلاً فغن ظهرت القولة بصورة الكلمة لم تبدل لكونها قولاً لا من حيث أنها كلمة من الكلام ثم قيل له الجزاء بالخير حتم وبالشّر في المشيئة ثم قيل له الاستناد إلى القوي حمى لا ينتهك فيرجع طالب انتهاكه خاسراً ثم قيل له التزول من العلو بإنزال وبغير إنزال فمن نزل من غير إنزال فهو محمود ومن نزل بإنزال فقد يحمى والخلافة أرفع الدرجات ولها العلو فمن خلع نفسه منها حمد وإن كان فيها ومن خلع منها فقد يحمى وهو بحسب ما يقع له إن كنت وارثاً فلا ترث إلا الحق فقال وكيف يورث الحق فقال إذا أشهدك الحق غناه عن العالمين فقد تركهم فهذه تركة إلهية لا يرثها إلا أنت إن كنت صاحب هذا الشهود فتعرف من هذا الورث ما لم تكن تعرفه قبله من العالم ثم

قيل له لا تخط بين الأمور وأنزل كل شيء حيث أنزلته حقيقته فلا تقل ما ثم إلا الله ولو كان كذلك وهو كذلك أليست المراتب المعقولة قد ميزت بين كونه كذا وكونه كذا والعين واحدة كما تقول ولكن هو من كذا أمر ومن كذا أمر آخر وأراك تحس بالألم وتقرّب منه فما الذي دعاك إلى ما منه تقرّب وأراك تحس باللذة وأراك فاقداً ما كنت تطلب فبهذا القدر أثبت عينك واعرف دينك فعلى كل حال الكثرة موجودة والأغيار مشهودة وعالم وجاهل وأمر ومأمور وحاكم ومحكوم عليه ومحكوم به ومحكوم فيه ومريد ومراد وتخيير وجبر وفصل ومفصول وواصل وموصول وقريب وأقرب ووعد ووعد فالفائدة في مخاطب ومخاطب وخطاب ومخاطب به الإنسان واحد بجملته وأعضاؤه متميزة وقواه متعددة وهو هو لا غير فأى شيء تألم منه سرى الألم في كله وترى شخصاً يتألم وآخر يحزن لذلك فلو كان الأمر واحداً كما هو في الإنسان لسرى الألم في العالم بأسره إذا تألم منه واحد فليس الأمر كما تخيلته إذا كشف الغطاء علمت ما أقول فانصح نفسك إن أردت أن تلحق بالعلماء بالله الذين أسعدهم الله فالظاهر لله والباطن كالروح والجسد فكما لا يفترقان كذلك لا يفترقان فما الأمر إلا عبد ورب فما هو إلا أنت وهو فالطائع مهتد والعاصي حائر بين ما أريد منه وما أمر به واعلم أن الله لما أنكح العقل النفس لإظهار الأبناء لا للحصول لذة الابتغاء أسكنها أرض الطبيعة فأثرت في مزاجها إذ كانت الأرض يقلب ما يزرع فيها إلى طبيعتها اجعل بالك إلى قوله تعالى تسقى بماء واحد والأرض واحدة وتختلف الطعوم والروائح والألوان فإن قلنا في العسل أنه حلو لذيد فترى بعض الأمزجة تتألم به ولا تتلذذ وتجده مرّاً وكذلك الروائح والألوان فرأينا هذا الاختلاف يرجع إلى الإدراكات لا إلى الأشياء فرأيناها نسباً لا حقيقة لها في أعيانها إلا من حيث جوهرها ثم قيل

له قف عند الإضافات والنسب تعثر على الأمر على ما هو عليه ثم قيل له إذا أيه الله بك فاعلم من أين نوديت وأين كنت ولماذا دعيت ومن دعاك وما دعاك فكن بحسب ما ينتج لك ما ذكرته ثم قيل له السعادة في الإيمان لا في العلم والكمال في العلم فإن جمعت بينهما فأنت إذا أنت ما فوقك غاية ثم قيل له هذه حضرة الأخبار فاجعل بالك لكل خير يأتيك فيها فإنك إن فقدتها لم تنل في غيرها ما تنال فيها وفيها من العلوم ما أذكره لك إن شاء الله فمن ذلك علم من أين صدر الأمر والنهي وجميع الأحكام والنواميس الوضعية والإلهية وفيه علم التنبيه على حقائق الأشياء بالتصريح والتضمن والإيماء وفيه علم خلق باطن الإنسان دون ظاهره وكم إنسان في الوجود فإذا علمت أنه ما في الوجود إلا ثلاثة أناسي الإنسان الأول الكل الأقدم والإنسان العالم والإنسان الآدمي فانظر ما هو الأتم من هؤلاء الثلاثة وفيه علم ما لا يعلم إلا بالإيمان وفيه علم الموازنة وفيه علم ما يؤثره القصد في الأمور مما لا يقصد وفيه علم الالتحام وفيه علم الدواوين الإلهية والكتاب والعمال والمتصرفين وفيه علم الشروط والشهادات والقضايا الميثوقة في العالم وفيه علم محاسبة الديوان العمال وفيه علم الحركة والسكون وفيه علم الإطلاق الذي لا تقييد فيه فإذا علمه من علمه تقييد فيه وفيه علم الميل والاعتدال وبأيهما يقع التكوين وفيه علم الخواص في الإنسان وهي الطبيعة المجهولة وفيه علم الإهمال والإمهال ومن يتولى ذلك من الأسماء وقوله قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم وفيه علم المحاربة الإلهية وفيه علم المنع الإلهي وهو يناقض الجود المطلق هل اقتضاه من اقتضائه لذاته أو لأمر آخر وفيه علم عصمة الرسل وفيه علم تنوع العالم أين قبله وما صدر فيما يعطيه الدليل العقلي إلا من لا يقبل التنوع وفيه علم الأنبياء والأولياء والعقلاء والفروق بين هؤلاء وفيه علم حكمة التقديم والتأخير الزماني والوجودي والمكاني والراتب وفيه علم القبول والرد وفيه علم ما يجده الحيوان من الخوف هل هو أمر طبيعي أم إلهي ووصف الملائكة بالخوف ولما خافت الملائكة ربما من فوقها فإنه لا يخاف تعالى إلا لما يكون منه مما فوق الملائكة من الأسباب المخيفة وأي الملائكة هم الموصوفون بالخوف هل كلهم أو جنس منهم وفيه علم تدبير الروح الواحدة نفوساً كثيرة ومن هنا تعرف النشأة الآخرة وفيه علم تعظيم العقوبة على المقرب صاحب الرتبة العليا ولماذا لم تحمه رتبته

عن العقوبة والفرق بين العقوبة والعذاب والألم والآلام وفيه علم ما جبلت عليه النفوس من التراع والمخالفات وفيه علم طهارة النفوس هل طهارتها ذاتية أو مكتسبة وفيه علم فضل الشهادتين وما يحمد من الشرك وما يذم وفيه علم مرتبة المؤمن من غيره مع الاشتراك في الإنسانية ولوازمها وحدودها والذي وقع بين التمييز موجود في كل إنسان لأنه محقق في نفس الأمر فنسبته إلى كل إنسان نسبة واحدة فلماذا خصص به المؤمن من غيره وفيه علم مراعاة الأكوان من الأكابر دون الحق هل ذلك من الرحمة بهم أو هو من خور الطبع وفيه علم مرتبة الواجبات الإلهية وفيه علم الشروط والشهادة والقضايا الميثوقة في العالم في العالم وفيه علم الانتساب إلى الله ومن ينبغي أن ينسب إلى الله وبماذا يقع النسب إلى الله الزائد على العبادة وفيه علم غريب وهو نزول الحق إلى العالم في صفتهم أو عروج العالم إلى الله بصفاته فإن الأمر فيه في غاية الغموض فإن أكثر العلماء بالله يقولون أن الحق نزل إلى نعوت عباده والحقائق تأتي ذلك والكشف وفيه علم الأنوار النبوية المقتبسة من السبحات الإلهية لا الوجهية وفيه علم النقض بعد الإبرام فلماذا أبرم وفيه علم الاختصاص وأهله في المحسوس والمعقول وفيه علم قرب النفوس وبعدها من الحضرة الإلهية وفيه علم التحجير على الأكابر من العلماء بالله وشهودهم لا يقضى بهم وفيه علم الآداب الإلهية وماذا حجب الله عن عباده من المعارف وهل المعارف هي العلوم أو تختلف حقائقها كما اختلفت أسماؤها وفيه علم النفوس والأرواح هل هما شيء واحد أو يفترقان وفيه علم السبب الذي لأجله ظهر السلام في كل ملة وفي الملائكة قال تعالى سلام عليكم بما صبرتم وفيه علم الاسم الإلهي الصبور وهل للاسم الحليم فيه

حكم أم لا وفيه علم أسباب رفع الأذى من بعض العالم وهل يرتفع من العالم حتى لا يبقى له حكم أم لا وفيه علم فضل ما سوى الإنسان على الإنسان هل هو عام من جميع الوجوه أو يفضل عليه في شيء ويفضل هو على غيره في شيء وما العلة في ذلك والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الثاني والخمسون وثلاثمائة في معرفة منزل ثلاثة أسرار طلسمية

مصورة مدبرة من الحضرة المحمدية

لولاك ما كنت في قتلاك لولاك

فإن رضيت بذاك القدر أغناك

إلى الكمال فبيت الفقر مأواك

في الكون من يعرف المطلوب إلاك

يا قرة العين إن القلب يهواك

مالي سوى عين ما لي قد علمت به

إن الوجود له فقر ومسكنة

لا تعجزن لإدراك الكمال فما

اعلم أيديك الله أنه إنما سمي الطلسم بهذا الاسم لمقلوبه يعني أنه مسلط على كل من وكل به فكل مسلط طلسم ما دام مسلطاً فمن ذلك ما له تسليط على العقول وهو أشدها فإنه لا يتركها تقبل من الأخبار الإلهية والعلوم النبوية الكشفية إلا ما يدخل لها تحت تأويلها وميزانها وإن لم يكن بهذه المثابة فلا تقبله وهذا أصعب تسليط في العالم فإن صاحبه المحجور عليه يفوته علم كثير بالله فطلسمه الفكر وسلطه الله عليه أن يفكر به ليعلم أنه لا يعلم أمر من الأمور بالله فعكس الأمر هذا المسلط فقال له لا تعلم الله يا عقل إلا بي والطلسم الآخر الخيال سلطه الله على المعاني يكسوها مواد يظهرها فيها لا يتمكن لمعنى يمنع نفسه منه والطلسم الثالث طلسم العادات سلطه الله على النفوس الناطقة فهي مهما فقدت شيئاً منها جرت إليه تطلبه لما له عليها من السلطان وقوة التأثير وما يتميز الرجال إلا في رفع هذه الطلسمات الثلاثة فأما الطلسم الأول فرأيت جماعة من أهل الله قد استحکم فيهم سلطانه بحيث أنهم لا يلتذون بشيء من العلوم الإلهية التذاذهم بعلم يكون فيه رائحة فكر فيكونون به أعظم لذة من علمهم بما يعطيهم الإيمان المحض بنوره الذي هو أكشف الأنوار وأوضحها بياناً وسبب ذلك ما نذكره وذلك أن نور الإيمان وهب إلهي ليس فيه من الكسب شيء ولا أثر للأدلة فيه البتة فإننا قد رأينا من حصل العلم بالأدلة وبما دلت عليه بحيث لا يشك ومع هذا لا أثر للإيمان فيه بوجه من الوجوه فلما خرج عن كسب العبد فكأنه إذا فرح بما أعطاه نور الإيمان من العلم فرح بما ليس له وإنه إذا عمل الفكر في تحصيل علم بأمر ما وحصل له عن فكره ونظره فيه واجتهاده كان له تعمل واكتساب فكانت لذته بما هو كسب له أعظم مما ليس فيه كسب لأنه فيما اكتسبه خلاق ولم يكن ذلك من هؤلاء إلا لجهلهم بأصولهم وبنفوسهم لأنهم لو علموا أنهم ما خرجوا من العدم إلى الوجود إلا بالمنة والوهب وهبة الله لهم فأوجدتهم فلم يمن لهم تعمل في ذلك وهم في غاية من الالتذاذ بوجودهم فكانوا على ما يعطي هذا الأصل أفرح بعلوم الوهب الذي يعطيهم نور الإيمان من الذي يعطيهم الفكر بنظره ثم الحجاب الآخر في جهلهم بنفوسهم وبما فيهم أن العقل والفكر ما حصل لهم من الحق بتعمل ولا اكتساب بل بوهب إلهي وهم به فرحون فهلا كان فرحهم

بما وهبهم الحق من العلم بنور الإيمان أعظم من فرحهم بما نالوه من جهة الفكر ثم إنهم من جهلهم وحجابهم أنهم يشهدون في أوقات في علم ما اتخذوه بالفكر شبهاً تدخل عليهم فيه فتزيلة من أيديهم أو تخيرهم فيه فيغتمون لذلك الغم الشديد ويعملون فكرهم في أمر من أنواع الدلالات إما أن يزيل عنهم تلك الشبهات حتى يعملوا أنها شبهات فيرجعوا إلى ما كانوا عليه بلا مزيد ويخسرون ما يعطيه المزيد الإلهي في كل نفس وإما أن يعطيهم الفكر أن تلك الشبهة ليست بشبهة بل هي دليل أعطاهم العلم بضد ما كانوا عليه وأين الأمر الذي كانوا عليه فيفرحون به ويقولون هو علم لم يكن كذلك بل كان شبهة فلو فتح الله عليهم لكانوا في هذا الذي رجعوا إليه تحت إمكان أيضاً كما ظهر لهم في حكم الأول الذي رجعوا عنه فلو لم يكن لصاحب الفكر في العلم الإلهي صارف يصرفه عنه إلا هذا لكان فيه كفاية وكلامنا هذا إنما هو في حق المؤمنين من أهل الله وأما من يرى أنه لا يأخذ إلا من الأرواح العلوية وأنها الممددة لهم وأنهم يستزلونها لتفيدهم وأن جميع ما هم فيه إنما هو منهم كما يرون أن كل ما يحجبهم عن مثل هذا إنما هو نظرهم إلى شهواتهم واشتغائهم بالأمور الطبيعية من أكل وشرب ونكاح وغير ذلك من مثل هذه الأمور فلا كلام لنا معهم فإنهم عبيد أكوان لا عبيد الله ليس لهم رائحة إلا بعلم واحد أنه الأصل من غير تفصيل ولا استرسال واستصحاب وظهور في كل جزء جزء من العالم إلا على مساحة ومعنى والعالم الأسفل مساحة ومعنى وفهم عن هذا كله محجوبون وبه غير قائلين ولما كان الطلسم في أصل الوضع لا يضعه واضعه إلا لخفاء ما يمكن أن يشهد ويحصل أعملت الحيلة في رفع حكم ذلك الطلسم حتى يبدو ما كان يخفيه مما ينتفع به فالإنسان من حيث قيوميته التي يعتقدونها في نفسه هو طلسم على نفسه وبذلك القيومية استخدم فكره وجميع قواه لأنه يعتقد أنه رب ي ذاته وفي ملكه مالك ثم رأى الحق قد كلفه واستعمله فزاد تحقيقاً في قيوميته ولو لم يكن له قيام بما كلفه الحق ما كلفه فيقول باستعمالي لهذه القوى يكون لي الدليل على أي صدقت ربي وهو الصادق فيما كلفني به من استعمالها ولم يتحقق هذا المسكين الموضع التي يستعملها فيها ثم إنهم رأوا أن أشرف ما يكتسبونه بها العلم بذات الله وما ينبغي لها أن تكون عليه فتركوا استعمال قواهم فيما يمكن لهم أن يصلوا إليه واستعملوها فيما لا يمكن الوصول إليه مع تبين الحق لهم فيما شرع من قول الله ويحذركم الله نفسه أي لا تستعملوا فيها الفكر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفكروا في ذات الله فعصوا الله ورسوله مع أنهم من أهل الله بالمعصية المقدرة عليهم فلا بد من نفوذ حكمها فيهم فالله يجعلنا ممن عصمه الله أن يستعمل قواه فيما ليس لها التصرف فيه وأنه ولي كريم منعم محسان فإذا أراد الله أن يوفقك لرفع حكم هذا الطلسم حتى تشهد ما حجبك عنه وفقك لإزالة قيوميتك بقيوميته واستعملك في فقرك وذلك وشهود أصلك واستعمل فكرك في أنك لك موهوب وأنك صادر من عين منته عليك في وجودك وفي تقلبك في أطوار نشأتك المحسوسة والمعنوية وفي إسلامك وإيمانك إلى أن جعلك من أهله واصطنعك لنفسه وحجب غيرك ممن هو مثلك لا ليدلك عليه بل سابق عناية بك ومنة اختصاص فإذا وفقك لمثل هذا النظر وفقك للنظر أيضاً في قواك وما بين لك من مصارفها فلم تعد بما مصرفها الإلهي ووقفت عند حدوده وعرفت قدرك فعرفت قدره وجعلت أمرك كله فيما تصرف فيه وهباً إلهياً من عين منته ونظرت إليه بنور الإيمان الذي وهبك إياه فأشهدك الأمور كما هي عليه في نفسها وكشف لك عن الحق ورزقك اتباعه وكشف لك عن الباطل ورزقك الاجتناب عنه ورأيت جماعة في هذا الكشف من أصحاب الأفكار العقلاء النظائر قدر أراهم الفكر الحق باطلاً فحققوه فاجتنبوا الحق واتبعوا الباطل ولا علم لهم بذلك إذ الباطل في جبلة كل أحد اجتنابه فإذا رأيتهم على ذلك رحمتهم فرما تدعوهم إليه وهو يقذفون بالغيب من مكان بعيد فيجهلونك فيما تدعوهم إليه من الحق كما كان صلى الله عليه وسلم يدعو أهل الشرك إلى التوحيد فيقول إذ دعاهم إلى ذلك ودعوه إلى ما هم

عليه ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار فيا ولي لا تقل في جوابي أنهم أيضاً يقولون له مثل ما قال لهم ليس الأمر كذلك فإنهم مشركون فقد أثبتوا بكوتهم مشركين عين ما دعاهم إليه هذا الرسول وهو ما أثبت الشريك وهم قالوا إنما ندعوهم ليقرّبونا إلى الله زلفى فأثبتوا له سبحانه وتعالى التعظيم والمترلة العظمى التي ليست لشركائهم فمن هناك لم يتمكن لهم أن يقولوا في الجواب مثل ما قال لهم فإنه قال لهم ما ليس لي به علم وهم علماء بما دعاهم الرسول إليه فلما دعاهم دعاهم بحالهم ولسانهم من حيث ما أثبتوا عين ما دعاهم إليه وزادوا الشريك الذي لا علم لمحمد صلى الله عليه وسلم به فإذا قال صاحب الكشف لصاحب الفكر مثل هذا كان جواب صاحب الفكر له أشد في البعد عن الله من المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المشركون أسعد حالة من أصحاب الفكر فإنهم أثبتوا على كل حال عين ما دعاهم إليه أنه له المترلة العليا وهؤلاء قالوا أن الله لا يعلم ما نحن عليه حيث قالوا أنه أعظم من أن يعلم الجزئيات بل علمه في الأشياء علم كلي وهو أن يعلم أن في العالم من يتحرك ويسكن لا أنه يعلم أن زيد بن عمر وهو المتحرك عند زوال الشمس هذا أعطاهم فكرهم فمن هنا يعلم أن المشرك أسعد حالاً منهم وأعطاهم فكرهم أن هذه النواميس الإلهية السائرة في العالم إمداد الأرواح العلوية للنفوس الفاضلة القابلة لمصالح العالم في الدنيا فهي أوضاع روحانية على ألسنة قوم قد خلصوا نفوسهم من رق الشهوات وأسر الطبيعة وصفوا مرآتي قلوبهم فأقبلت عليهم الأرواح العلوية وجالسوا بأفكارهم الملاءم الأعلى فأمدتهم بما وضعوه في العالم من أسباب الخير فسموا أنبياء وحكماء ورسلاً وليس إلا هذا وجعلوا ما وضعوه من الوعد والوعيد المغيّب المسمى الدار الآخرة سياسات يسوسون بها النفوس الشوارد عن النظر فيما ينبغي لهم مما وجودوا له لا غير ونعوذ بالله من هذا القول وهذا العلم فهذا ما أعطاهم الفكر حيث استعملوه في غير موطنه وذهبوا به في غير مذهبه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وأما الطلسم الثاني وهو

الخيال فيجسد المعاني ويدخلها في قلب الصور الحسية فهو طلسم أيضاً على أهل الأفهام القاصرة التي لا علم لها بالمعاني المجردة عن المواد فلا تشهدها ولا يشهد هؤلاء إلا صوراً جسدية فيحرم من حكم عليه طلسم الخيال إدراك الأمور على ما هي عليه في أنفسها من غير تخيل فهؤلاء لا يقبلون شيء من المعاني مع علمهم بأنها ليست صوراً جسدية إلا حتى يصوروها في خيالهم صوراً متجسدة متحيزة متميزة فيجمعون بين النقيضين فأنتم تعلمون أنها ليست صوراً ولا يقبلونها إلا صوراً فمن أراد رفع حكم هذا الطلسم فإن الطلسم لا يرتفع أبداً من هذه النشأة فإنه وضع إلهي وكذلك جميع الطلسمات الإلهية لا ترتفع أعيانها ولا ترفعه أحكامها في الموضع الذي جعل الحق تعالى حكمها فيه ولكن بعض الناس خرجوا بها عن طريقها فذلك الحكم الذي أعطاه ذلك الخروج هو الذي يرتفع لا غيره فاعلم ذلك فيرتفع حكم صاحب هذا الطلسم إذا أبصر الفكر قد دخل لخزانة هذا الخيال ثم انصرف خارجاً منه فيصحبه إلى العقل ليشهد المعاني مجردة عن الصور كما هي في نفسها فأول ما يشهد من ذلك حقيقة الفكر الذي صحبه إلى العقل فيراه مجرداً عن المواد التي كان الخيال يعطيه إياها فيشكر الله ويقول هكذا كنت أعلمه قبل أن أشهده وما كان الغرض إلا أن يوافق الشهود العلم فإذا ارتفع إلى العقل شاهده أيضاً مجرداً عن المواد في نفسه فيحصل له أنس بعالم المعاني المجرد عن المواد فإذا تحقق بهذه المشاهدة انتقل إلى مشاهدة الحق الذي هو أثره في التجرد من المعاني فإنه وإن تجردت المعاني المحدثّة فما تجردت عن حدوثها وإمكانها فيشاهد فيها صاحب هذا المقام عدمها الأصلي الذي كان لها ويشاهد حدوثها ويشاهد إمكانها كل ذلك في غير صورة مادية فإذا ارتقى إلى الحق فأول ما يشاهد منه عين إمكانه فيقع له عند هذا تحير فيه فإنه علمه غير ممكن فيأخذ الحق بيده في ذلك بأن يعرفه أن

الذي شاهده من الحق ابتداء عين الإمكان الذي يرجع إلى المشاهد وهو الذي يقول فيه أنه يمكن أن يشهدين الحق نفسه ويمكن أن لا يشهدين فهذا الإمكان هو الذي ظهر له من الحق في أول شهوده فإنه قد ترجح له بالشهود أحد الوجهين من الإمكان فيسكن عند ذلك وتزول عنه الحيرة ثم يتجلى له الحق في غير مادة لأنه ليس عند ذلك في عالم المواد فيعلم من الله على قدر ما كان ذلك التجلي ولا يقدر أحد على تعيين ما تجلى له من الحق إلا أنه تجلى في غير مادة لا غير وسبب ذلك أن الله يتجلى لكل عبد من العلم في حقيقة ما هي عين ما تجلى بها لعبد آخر ولا هي عين ما يتجلى له بها في مجلى آخر فلذلك لا يتعين ما تجلى فيه ولا ينقال فإذا رجع هذا العبد من هذا المقام إلى عالم نفسه عالم المواد صحبه تجلي الحق فما من حضرة يدخلها من الحضرات لها حكم إلا ويرى الحق قد تحول بحكم تلك الحضرة والعبد قد ضبط منه أولاً ما ضبط فيعلم أنه قد تحول في أمر آخر فلا يجمله بعد ذلك أبداً ولا ينحجب عنه فإن الله ما تجلى لأحد فأنحجب عنه بعد ذلك فإنه غير ممكن أصلاً فإذا نزل العبد إلى عالم خياله وقد عرف الأمور على ما هي عليه مشاهدة وقد كان قبل ذلك عرفها علماً وإيماناً رأى الحق في حضرة الخيال صورة جسدية فلم ينكره وأنكره العابر والأجانب ثم نزل من عالم الخيال إلى عالم الحس والمحسوس فترل الحق معه لتزوله فإنه لا يفارقه فيشاهده صورة كل ما شاهده من العالم لا يخص به صورة دون صورة من الأجسام والإعراض ويراه عين نفسه ويعلم انه ما هو عين نفسه ولا عين العالم ولا يحار في ذلك لما حصل له من التحقيق بصحبة الحق في نزوله معه من المقام الذي يستحقه ولا عالم وراءه يتحول في كل حضرة بحسب حكمها وهذا مشهد عزيز ما رأيت من يقول به من غير شهود إلا في عالم الأجسام والأجساد وسبب ذلك عدم الصحبة مع الحق لما نزل من المقام الذي يستحقه فكان القائلون به في عالم الأجسام والأجساد مقلدين ويعرف ذلك من كونه لا يصحبهم ذلك وتتوالى الغفلات عليهم فإذا حضروا بنفوسهم حينئذ يقولون بذلك وصاحب الذوق لا غفلة عنده عن ذلك جملة واحدة فإنه معلوم عنده والغفلة إنما تكون عن شيء دون شيء لا تعم فكل ما يبقى من الأمور غير مشهود لصاحب الغفلة فإن صاحب الذوق يشهد الحق فيه فما بقي له مشهود في حال غفلته ومن ليس له هذا المقام ذوقاً يغفل عن الحق بالأشياء حتى يستحضره في أوقات ما فهذا هو الفارق بين أصحاب الذوق وبين غيرهم فلا تغالط نفسك وما رأيت واحداً من أهل هذا المقام ذوقاً إلا انه أخبرني أهلي مريم بنت محمد بن عبدون أنها أبصرت واحداً وصفت لي حاله فعلمت أنه من أهل هذا الشهود إلا أنها ذكرت عنه أحوالاً تدل على عدم قوته فيه وضعفه مع تحققه بهذا الحال والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وأما الطلسم الثالث وهو طلسم العادات الحاكمة على النفوس لناطق لما حصل لها من الألفة بها وتوقف المنافع والمصالح عليها دائماً لا يرتفع فإذا أراد من أراد أن يرتفع عن حكم هذا لطلسم إذ علم أنه لا يرتفع فإن الأسباب المألوفة هي أوضاع إلهية لا يمكن رفعها ولا دفعها يرجع هذا الشخص إلى النظر في وجهه الخاص به الذي لا أثر للسبب فيه وهو خفي جداً فيعمد إلى بابه فيفتحه ويكثر العكوف عليه ويحس بالأسباب تجذبه عنه ليأخذ منها ما بيدها من الأمانات له فلا يفعل ولا يقبل ما تأتيه به فإذا جاءه خاطر أن ذلك سوء أدب مع الله فخذ ما أعطاك وكن من الشاكرين وأن هذه الأسباب لا يمكن رفعها فلا تبطل حكمة الله في حقه فتكون من الجاهلين فلا يصغ إلى هذا العتب ولا إلى هذا المعلم فإنه خاطر نفسي ما هو خاطر إلهي وليثبت على اعتكافه بالباب الخاص وليقل لذلك المعلم أن الله قد نهي أن تؤتى البيوت من ظهورها فلو كنت من الله لأتيت البيوت من أبوابها وأنا بيت لا يزيده على هذا فإذا أراد الحق لذلك المقام أدخل عليه ذلك السبب بما عنده من الأمانة له على باب ذلك الوجه الخاص الذي قد واجهه هذا العبد واعتكف عليه وذلك هو باب بيته فإذا أعطاه ذلك السبب ما أعطاه قبله منه لأنه ما جاءه إلا من باب الوجه الذي يطلب الأمر منه وقد أتى البيت هذا السبب من بابه وهذا هو

المسمى خرق العوائد في العوائد فإن العالم لا يشهدون صاحب هذا المقام إلا آخذاً من الأسباب فلا يفرقون بينهم وبينه فهو وحده يعرف كيف أخذ وبليس هذا المقام إلا للملامية وهم أعلى الطوائف فإنهم في خرق العادة في عين العادة وبينهم ما بين المحجوب والمشاهد ولكن لا يشعرون وأصحاب خرق العوائد الظاهرة ما لهم هذا المقام ولا شئوا منه رائحة أصلاً وهم الآخذون من الأسباب فإن الأسباب ما زالت عنهم ولا تزول ولكن خفيت فإنه لا بد لصاحب خرق العادة الظاهرة من حركة حسية هي سبب وجود عين ذلك المطلوب فيعرف أو يقبض بيده في الهواء فيفتحه عن مقبوض عليه من ذهب أو غيره فلم يكن إلا بسبب حركة من يده وقبض فما خرج عن سبب لكنه غير معتاد بالجملة لكن القبض معتاد وحركة اليد معتادة وتحصيل هذا الذي حصل له من غير هذا الوجه معتاد وتحصيله من هذا الوجه غير معتاد فقليل فيه أنه خرق عادة فاعلم ذلك فمن أراد رفع حكم طلسم العادات فليعمل نفسه فيما ذكرناه فلا تحكم عليه العوائد وهو في العوائد غير معروف عند العامة والخاصة ومن علوم هذا المنزل علم الإشارات والخطاب وفيه علم الدخل بالشبه على أصحاب الأدلة وفيه علم الاسم الذي توجه على الخلق بالإيجاد والتقدير وعلم ما بين الإيجاد والتقدير من المدة وفيه علم ترتيب الموجودات في الإيجاد بمرور الأزمان وعلى من مرت هل على الموجد أو على الموجودات فيعلم من تقيد بها وهل كان ذلك التقيد بما اختياراً أو شيء لا بد منه وفيه علم ما إذا توجه الحق على إيجاد أمر ما هل في ذلك إعراض عن أمر آخر أم لا وفيه علم لماذا يستند الفكر في حكمه وهل له سلطان إلهي يعضده حتى يتمسك بذلك أهل الأفكار أم لا وإن لم يشعروا بذلك أو ربما أحالوه لو بين لهم وهو في نفس الأمر صحيح وفيه علم نزول الأمر الإلهي ورجوعه إلى ما منه نزل وكم مدة ذلك من الزمان وفيه علم ارتباط السبب بالمسبب اسم فاعل بكسر الباء وهل يصح فعل ذلك من الله من غير هذا السبب المعين أو من غير سبب أم لا وفيه علم ارتباط العلم والرحمة والعزة مع ما بين الرحمة والعزة من التنافر وفيه علم الأعلى في الأنزل وما ثم علم الأنزل في الأعلى وفيه علم الأحسن في عالم الأمر والخلق وبما هو أحسن وما ثم قبيح ولا مفاضلة في الحسن وفيه علم منزلة هذه النشأة الإنسانية على غيرها من النشآت والعناية بها مع كونها خلقت لشقاء ولسعادة وكان الأمر يقتضي أن لا شقاء لما ظهر من العناية بها وفيه علم ما يتولد عن هذا الإنسان في العالم من الأمور وفيه علم المساكن وما قدم منها وما آخر وما يتبدل منها وما لا يتبدل وما يلحقه التغيير وما لا يلحقه التغيير وفيه علم ما يختلف فيه نشأة الإنسان في الدارين من حيث صورته الظاهرة وما لا يختلف من نشأته في صورة روحه أو لتلك النشأة الأخرى روح آخر يخلقه الله لها بحسب استعدادها وكيف هو الأمر في نفسه إذ قد وردت الإعادة فما حقيقتها وفي ماذا تكون وهو علم غريب وفيه علم كون الحق لا يلقاه العبد إلا بالموت وهل هو لقاء خاص أو ما ثم لقاء إلا بالموت وفيه علم الموت ويبد من هو وفيه علم اختلاف العالم لماذا يرجع في صورته وتخليه وفيه علم التحديد الإلهي في الآخرة مع كونها دار كشف للحقائق عند الناس أو حكمها حكم الدنيا في بعض الأمور وفيه علم ما يردك إلى مشاهدة حقيقتك وإن في ذلك سعادتك وفيه علم حب الإنسان بالطبع في أن يكون قيوماً مع ذله وافتقاره وما الذي يدعوه إلى ذلك ثم اختلافهم في القيام فمنهم من يقوم عبداً ومنهم من يقوم سيذاً والذي يقوم سيذاً منهم من يقوم سيذاً بالحجاب ومنهم من يقوم سيذاً بكشف صحيح وفيه علم ما لا يعلم إلا هناك وفيه علم أدنى الدين وأدنى الدنو وما حقيقة هذا وفيه علم اختلاف أسماء أهل الاستحقاق مع وجود الاستحقاق وفيه علم الأولوية وفيه علم الحكم الإلهي يوم القيامة بماذا يحكم ويفصل وفيه علم الاستبصار وعلم ما ينفع من الخطاب وعلم الفتح الإلهي والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى السفر الثالث والعشرون

الباب الثالث الخمسون وثلاثمائة في معرفة منزل ثلاثة أسرار طلسمية حكيمية

تشير إلى معرفة منزل السبب وأداء حقه وهو من الحضرة المحمدية

قل للإمام أبي إن كنت تأنس بي	فإن أنسي بربي لا بأشكالي
أنسي بربي لا بالوالدين ولا	بالأهل إن وجود المثل أمثالي
مني هربت ومني استوحشت خلقي	فكيف أنسى بالماضي وبالحال
وكيف يؤنسني من لا يناسبني	ولا يناسبه شيء من أحوالي
والمثل ضد فكيف الأنس يا سكني	والعقل يمنعه فالحال كالحال
لما جهلت الذي لا شيء يشبهه	سواي أخطرتة جهلاً على بالي
ما لي أقول بأن الحق يطلبني	ولست أعرفه ما لي به ما لي
الإنس يطلبنا بان يقوم بنا	وليس يأنس دون الدون بالعالي
قد حرت فيه وإيحاشي يلزمي	ولست أطرده إلا بآمالي
لا ذاق أنسا حكيم ما بدت مثل	لعينه من علوم أو من أعمال

اعلم أيديك الله بروح منه أن الله لما خلق النفس الناطقة المدبرة لهذا الهيكل المسمى إنساناً سلط عليه في هذا المزاج الخاص بهذه النشأة الدنيوية ثلاثة أشياء جعلها من لوازم نشأته النفس النباتية والنفس الشهوانية والنفس الغضبية فأما النفس النباتية والغضبية فيزولان في نشأة أهل السعادة في الجنان ولا يبقى في تلك النشأة إلا الشهوانية فهي لازمة للنشأتين وبها تكون اللذة لأهل النعيم وأما النفس النباتية فهي التي تطلب الغذاء لتجبر به ما نقص منه فينمى به الجسم فلا ينفك يتغذى دائماً فأما من خارج يجلب إليها وهو المعبر عنه بالأكل وأما من حيث شاء الله من غير تعيين ولها أربعة وزعة الجاذب والماسك والهاضم والدافع فأما الجاذب فحكمه أن ينقل الغذاء من مكان إلى مكان فينقله من الفم إلى المعدة إلى الكبد ومن الكبد إلى القلب وإلى سائر العروق وأجزاء البدن فإنه المقسم على أجزاء البدن ما يحتاج إليه مما يكون به قواها ويساعده الدافع فإنه يدفع به عن مكانه إذا رآه قد استوفى حقه من ذلك المكان وما بقي له فيه مشغل ودفع به حتى لا يزاحم غيره إذا ورد فهو يساعد الجاذب وأما الماسك فهو الذي يمسكه في كل مكان حتى يأخذ التدبير فيه حقه فإذا رأى أنه وفي حقه ترك يده عنه فتولاه الدافع والجاذب وأما الهاضم فهو الذي يغير صورة الغذاء ويكسوه صورة أخرى حتى يكون على غير الصورة التي كان عليها فإنه كان على صورة حسنة وذا رائحة طيبة فلما حصل بيده وغير صورة شكله وكساه صورة متغيرة لريح مبددة النظم ولهذا سمي هاضماً من الاهتضام ولكن وجود الحكمة في هذا الاهتضام فإنه لولا الهضم ما وجد المقصود الذي قصده الغاذي بالغذاء فظاهر الأمر فساد وباطنه صلاح ولا يزال هذا الهاضم ينقله من صورة إلى صورة والماسك يمسك عليه بقاءه حتى يدبر فيه ما يعطيه علمه وما وكل به فإذا استوفياه بحسب ذلك الموطن تركاه وأخذته الجاذب والدافع فإذا أنزلاه ونقلاه إلى المكان الآخر رداه إلى الماسك وإلى الهاضم فيفعلا في مثل ما فعلاه في المكان الذي قبله ويفتح فيه

صوراً مختلفة فيأخذها الجاذب والدافع فيسلكان بتلك الصور طرماً معينة لا يتعديانها ما دام يريد الله إبقاء هذه النشأة الطبيعية ولولا هؤلاء الوزعة ما تمكنت النفس النباتية من مطلوبها فإذا أراد الله هلاك هذه النشأة الطبيعية طلبت النفس النباتية مساعدة الشهوة لها حتى تنبعث النفس المدبرة لجلب ما تشتهي فلم تفعل وأضعفها الله باستيلاء سلطان الحرارة على محلها فضعفت كما يضعف السراج في نور الشمس فيبقى لا حكم له فتبقى النفس النباتية بحقيقتها تقول لوزعتها لا بد لي من شيء أتعذى به فتتعذى بإخلاء البدن وما بقي فيه من الفضول ووزعتها قد ضعفوا أيضاً مثلها فلا تزال النشأة في نقص متزايد والدافع يقوى والجاذب يضعف وكذلك الماسك إلى أن يكون الإنسان ولولا هذا التدبير بهذه الآلة لهذه النشأة ما سمعت أذن ولا نظر بصر ولا كان حكم لشيء من هذه القوى الحسية والمعنوية وأما النفس الشهوانية فسلطانها في هذا الهيكل طلب ما يحسن عندها ولا تعرف هل يضرها ذلك أو ينفعها وهذا ليس إلا في نشأة الإنسان وأما سائر الحيوان فلا يتناول الغذاء إلا بالإرادة لا بالشهوة ليدفع عن نفسه ألم الجوع والحاجة فلا يقصد إلا لما له فيه المنفعة ويبقى حكم الشهوة في الحيوان في الاستكثار من الغذاء فمنه يدخل عليه الخلل والإنسان يدخل عليه الخلل كذلك من الاستكثار مما ينفع القليل منه ومن تناوله ما لا ينفعه أصلاً مما تطلبه الشهوة ويتضرر به المزاج فهذا الفارق بين الإنسان والحيوان في تناول الغذاء فالنفس الشهوانية للنفس النباتية كما قيل في ذلك

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت

له عن عدو في ثياب صديق

فلها الصداقة مع النفس النباتية لأنه المساعدة لها على الغذاء وتناوله وهي العدو حيث تدخل عليها من الأغذية ما يضرها ولا ينفعها فمساعدتها للنفس النباتية إنما هو بالعرض لا بالذات فهي العدو اللازم الذي لا يمكن مفارقتها ولا يؤمن شره وأما النفس الغضبية وهي السبعية فهي التي تطلب القهر لما رأت من تفوقها على سائر الحيوان بما أعطيت من القوى والتمكن من التصرف وأبصرت العالم مسخراً لنشأتها ولمدبرها ورأت أن في الوجود عوارض تعرض إتفاقية أو لأسباب تظهر يمنعها ذلك كله من وصولها إلى أغراضها فتغضب لعدم حصول الغرض فإن كان لها سلطان قوي مساعد من همة فعالة أو أمرة من خارج لها بها إمضاء غضبها في الغضب عليه أهلكته وأظهرت الانتقام منه ولا تعرف ميزان الظلم والعدل في ذلك الانتقام والقهر لان ذلك ما هو لها وإنما ذلك للعقل وناموس الوقت ولذا أخطأ الشاعر الذي قال

الظلم من شيم النفوس فإن تجد

ذا عفة فلعله لا يظلم

فلو قال القهر بدلاً من الظلم لقال الصحيح فإن الظلم لا يأتي به إلا الشرعي فمنه يعرف فليس للنفس إلا القهر حمية جاهلية فإن صادفت الحق كانت حمية دينية ولهذا يحمد الغضب لله وفي الله ويذم الغضب لغير الله وفي غير الله وهذا من تدبير الحكيم الحق الذي رتب الأمور مراتبها وأعطى كل شيء خلقه ليكون آية له لأولي الأبواب ولسائر أهل الآيات من العالم إذ كانوا مختلفي المآخذ في ذلك كما عددهم الله في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وضم هذه الآيات كلها في كتاب الوجود الذي ما فيه سوى البيان والرحمة لا غير فكل ما ظهر في العالم من جانب الحق أو من معاملة بعضه بعضاً يناقض الرحمة فأمر عرضي في الكتاب أبان عنه البيان حيث هو ذلك العارض ما هو في نفس هذا الكتاب رحمة كله من حيث ذاته وبيان فما جعله الله عذاباً فالله أكرم أن يعذب خلقه عذاباً لا ينتهي الأمر فيه إلى أجل ضمه وعينه بيان الكتاب ثم يرجع الحكم للرحمة هذا

ما لا بد منه والله غفور رحيم ثم لتعلم أن الله أطلعني على حكم غريب يتعلق بالعلم الإنساني ولا أدري هل له تعلق بما عدا الإنسان من العالم أم لا ما أطلعني الله على ذلك ولا ينبغي لي أن أقول عن الله ما لا أعلم الله يعصمني وإياكم من ذلك وهذا الحكم يظهر في العالم الإنساني عند انقضاء كل ثلاثة آلاف عام من أعوام الدنيا وهو عند الله يوم واحد لا أدري لأي اسم إلهي رجع هذا اليوم لأني ما عرفت به غير أن الحق تعالى قسمه لي ثلاث أثلاث كل ثلث ألف سنة والألف سنة يوم واحد من أيام الرب هذا الذي أخبرني به ربي وهذه المدة التي هي ثلاثة آلاف سنة حكمها في الإنسان حكم بدء وعود وحياة وموت كيف يشاء الله وحيث يشاء الله غير أن الله لما رقم لي هذا الأمر في درجي كلمات وقفت عليها مشاهدة جعل كلمة بفضة وكلمة يذهب على هذه الصورة رقمها فعملت أنها أحوال وأحكام تظهر في الإنسان في الجنة بمرور هذه المدة المعينة وما أثروا الله عندي خبر إلهي ورد علي ما أثر هذا من الجزع والخوف والقلق فما سكن روعي إلا كون الكلمات من ذهب وفضة الكلمة الذهبية إلى جانبها الكلمة الفضية ولما فرغ هذا الإلقاء الإلهي والتعريف الرباني وسكن عني ما كنت أجده من ألم هذا التجلي في هذه الصورة وسرى عني نظمت نظم إلهام لأنظم روية ما أذكره

لنا حبيب نزيه لا أسميه	وهو الحبيب الذي حار الورى فيه
إن قلت هذا فإن الحد يحصره	أو قلت هو فكلام لست أدريه
كيف السبيل إلى غيب وأعينا	في كل حين تراه من تجليه
أو قلت عندي جاء الظرف يطلبه	والظرف حق ولكن ليس يحويه
ما أن رأيت وجوداً لست أدريه	إلا الذي أنا معنى من معانيه
قد حرت فيه وحار الكون في وكم	أدناي قد سمعت من قولة فيه
هذا الذي وجلال الحق أمرضه	فهل له عوض منه فيشفيه
هو الشفاء هو الداء فأين أنا	العين واحدة وكلنا فيه

ضمير أمرضه يعود على الكون واعلم أن لنا من الله الإلهام لا الوحي فإن سبيل الوحي قد انقطع بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الوحي قبله ولم يجيء خبر إلهي أن بعده وحياً كما قال ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك ولم يذكر وحياً بعده وإن لم يلزم هذا وقد جاء الخبر النبوي الصادق في عيسى عليه السلام وقد كان ممن أوحى إليه قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه عليه السلام لا يؤمننا إلا منا أي بستتنا فله الكشف إذا نزل والإلهام كما لهذه الأمة ولا يتخيل في الإلهام أنه ليس بخبر إلهي ما هو الأمر كذلك بل هو خبر إلهي وإخبار من الله للعبد على يد ملك مغيب عن هذا الملهم وقد يلهم من الوجه الخاص فالرسول والنبي يشهد الملك ويراه رؤية بصر عند ما يوحى إليه وغير الرسول يحس بأثره ولا يراه رؤية بصر فيلهمه الله به ما شاء أن يلهمه أو يعطيه من الوجه الخاص بارتفاع الوسائط وهو أجل الإلقاء وأشرفه وهو الذي يجتمع فيه الرسول والولي أيضاً فأصابع الرحمن للوجه الخاص وله الملك للوجه المشترك والإلهام إلهي أكثره لا واسطة فيه فمن عرفه عرف كيف يأخذه ومحل النفس قال تعالى فألهمهما فالفاعل هو بيته فهو الملهم لا غيره فجورها ليعلمه لا ليعمل به وتقواها ليعلمه ويعمل به فهو إلهام إعلام لا كما يظنه من لا علم له

ولذلك قال وقد خاب من دساها والدس إلحاق خفي بازدهام فألحق العمل بالفجور بالعمل بالتقوى وما فرق في موضع التفريق فجمع بينهما في العلم والعمل والأمر ليس كذلك وسبب جهله بذلك أنه رمى ميزان الشرع من يده فلو لم يضع الميزان من يده لرأى أنه مأمور بالتقوى منهى عن الفجور مبين له الأمان معاً ولما أضاف الله الفجور لها والتقوى علمنا أنه لا بد من وقوعهما في الوجود من هذه النفس الملهمة وكان الفجور لها ما انفجر لها عن تأويل تأولته فما أقدمت على المخالفة انتهاكاً للحرمة الإلهية ولا يتمكن لها ذلك وكان هذا من رحمة الله بالأنفس ولما كان الفجر فجرين فجر كاذب وفجر صارق وهو الفجر المستطيل الكاذب أهمها تقواها أي تتقي في فجورها الفجر المستطيل لأنه يستطيل عليها بالأولية لتأخر المستطير الذي يطير حكمه عنها فألهمها فجورها الفجر المستطيل فتبين لها بهذا الانفجار ما هو المشكوك فيه من غير المشكوك وتقواها وما تتقي به ما يضرها حكمه فيها فلو لا ما مكنها مما تتقي به وهو المعنى الذي ألهمها لتتنبه النفس على استعماله فتفرق ما بين الشبهة والدليل ما تمكنت من الفرق بينهما فإن الله سبحانه كما لم يأمر بالفحشاء لم يلهم العبد العمل بالفحشاء كما يراه بعضهم ولو ألهمه العمل بالفحشاء لما قامت الحجة لله على العبد بل هذه الآية مثل قوله وهديناه النجدين أي الطريقين بينهما له فقال إنا هديناه السبيل أي بينا له إما شاكراً فيعمل في السبيل بمقتضاه إن كان نهيّاً انتهى وإن كان أمراً فعل وإما كفوراً يقول يستر على نفسه فيخادعون أنفسهم فإنه ما ضل أحد إلا على علم فإن بيان الحق ليس بعده بيان ولا فائدة للبيان إلا حصول العلم ثم يستره العالم به عن نفسه لغرض يقوم له فتقوم الحجة لله عليه بالإلهام إعلام إلهي فمن زكى نفسه بالتقوى فاتقى من الفجور ما ينبغي أن يتقي منه وأخذ منه ما ينبغي أن يؤخذ منه ومن دس نفسه في موضع قيل له لا تدخل منه فقد خاب فمن أراد طريق العلم والسعادة فلا يضع ميزان الشرع من يده نفساً واحداً فإن الله بيده الميزان لا يضعه يخفض القسط ويرفعه وهو ما هو الوجود عليه من الأحوال فلو وضع الحق الميزان من يده لفني العالم دفعة واحدة عند هذا الوضع وكذلك ينبغي للمكلف بل للإنسان أن لا يضع الميزان المشروع من يده ما دام مكلفاً لأنه إن وضعه من يده نفساً واحداً فني الشرع كله كما فني العالم لو وضع الحق الميزان من يده فإن كل حركة في المكلف ومن المكلف وسكون لميزان الشرع فيه حكم فلا يصح وضعه مع بقاء الشرع فهذا الميزان له من كونه مكلفاً وأما الميزان الآخر الذي لا ينبغي أن يضعه الإنسان إلا من كونه مكلفاً بل هو بيده دنيا وآخرة فذلك هو ميزان العلم الذي ميزان الشرع حكم من أحكامه وهو مثل الميزان الذي بيد الحق فيه يشهد وزن الحق فنسبته إلى ميزان الحق نسبة شخص بيده ميزان وشخص آخر بيده مرآة فرأى في مرآته التي في يده صورة ذلك الميزان والوزن والوزن فعلم صورة الأمر

من شهوده في وجوده وكان هذا الأمر من ورائه غيباً له لولا المرأة ما شهدته فأضاف ما رآه في مرآته إليه لكون مرآته ليس غيره فالغيب الذي يزن والوزن والميزان حضرة الحق والمرأة حضرة الإنسان فالوزن لله تعالى والشهود لمن كانت نفسه مرآة فهو السعيد الصادق وإنما كشف الله هذا السر لمن كشفه ليرى في مرآته صورة الخلق الإلهي وكيف صدور الأشياء وظهورها في الوجود من عنده وهو قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه ما رأيت شيء إلا رأيت الله قبله فيرى من أين صدر ذلك الشيء فيكون صاحب هذا الكشف خلاقاً وهو الذي أراد الحق منه بهذا الكشف بل يعلم أنه خلاق وهو الذي أراد الحق منه بهذا الكشف بل يعلم أنه خلاق وهو الذي أراد الحق منه بهذا الكشف بل يعلم أنه خلاق من هذا الكشف ولم يزل كذلك وهو لا يشعر فأفاده هذا الكشف العلم بما هو الأمر عليه لا أنه بالكشف صار خلاقاً فأمره الله عند ذلك أن يعطي كل شيء حقه من صورته كما أعطاه الله خلقه في صورته فلا تتوجه عليه مطالبة لمخلوق كما لا يتوجه على الحق تعالى مطالبة لمخلوق هذا ما أعطاه ذلك الكشف من الفائدة فإذا أقامه الحق تعالى في فعل من أفعاله المأمور بها أو المحجور

عليه فيها نظر إلى ما لها من الحق قبله فوفى ذلك الفعل حقه فإن كان من الأمور المأمور بفعلها أعطاهها حقها في نشأتها حتى تقوم
سوية الخلق معدلة النشء فلم يتوجه لذلك الفعل حق على فاعله فله الخلق وللعبد الحق فالحق أعطى كل شيء خلقه والخلق أعطى
كل شيء حقه فدخل الحق في الخلق ودخل الخلق في الحق في هذه المسألة وإن كان من الأمور المنهي عنها فحقها على هذا العبد أنه
لا يوجد لها ولا يظهر لها عيناً أصلاً فإن لم يفعل فما وفاها حقها وتوجهت عليه المطالبة لها فلم يعط كل شيء حقه فلم يقيم في الحق
مقام الحق في الخلق فكان محجوجاً فهكذا ينبغي أن تعرف الأمور والأوامر الإلهية وصورة التروك في الجنب الإلهية هو الذي لم
يوجد من أحد الممكنين لوجود الآخر المرجح وجوده فهو من حيث أنه لم يوجد ترك له وهذه مسألة نبهناك عليها لعلنا أنك ما
تجدها في غير هذا الكتاب لأنها عزيزة التصور قريبة المتناول لمن اعتنى الله به تعطي الأدب مع الله وحفظ الشريعة على عباد الله وهي
من الأسرار المخزونة عند الله التي لا تظهر إلا على العارفين بالله ولا ينبغي كتمها عن أحد من خلق الله فإن كتمها العالم بما فقد
غش عباد الله ومن غشنا فليس منا أي ليس من سنتنا الغش ولما وقفنا على هذه المسألة في كتاب الرحمة الإلهية الذي هو سرح عيون
قلوب العارفين شكرنا الله تعالى حيث رفع الغطاء وأجزل العطاء فله الحمد والمنة وإذا قام العبد صورة ما ذكرناه من كونه خلاقاً
تعين عليه من تمام الصورة الإلهية التي هو عليها أن يحفظ على ما أوجده صورته ليكون له البقاء أعني ذلك الموجود عنه فيدفعه لمن
يحفظ البقاء عليه وهو الله فاتخذة وكيلاً في ذلك الأمر وأمثاله عن أمر ربه فلا ينسب إلى سوء الأدب في ذلك فالعبد في كل نفس
مشغول بخلق ما أمر بخلقه والحق بتوكيل هذا العبد له قائم بحفظ ما خلقه بإذن ربه في الخلق والتوكيل وهذا علم دقيق إلهي وهو رد
الحفظ إلى الله بحكم الوكالة عن أمر الله وإيجاد الأشياء عن العبد بأمر الله فلم يزل هذا العبد في كل حال تحت أمر الله ومن لم يزل
تحت أمر الله في جميع أحواله لم يزل عند الله في شهوده أبداً دائماً دنيا وآخرة فإنه له النشء حيث كان في الأولى والآخرة عن أمر
الله قال تعالى في حق عيسى وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فنفخ فيه فيكون طيراً بإذني وكذلك أمر المكلف بالعمل فما عمل
إلا بإذن الله وموطن هذا العبد واستقراره إنما هو عند ربه من حيث هو خير وأبقى وللآخرة خيراً لك من الأولى ولسوف يعطيك
ربك فترضى وهو عطاء كن في ظاهر العين كما هو له في الباطن فإن الإنسان له في باطنه قوة كن وما له منها في ظاهره إلا

الانفعال وفي الآخرة يكون حكم كن منه في الظاهر وقد يعطى لبعض الناس في الدنيا وليس لها ذلك العموم فمن رجال الله من أخذ
بها ومن رجال الله من تأدب مع الله فيها لعلهم أن هذا ليس بموطن لها ولا سيما وقد رأى الأكابر الذين لا خلاف في تقدمهم عليه
وعليها قد قيل له أنك لا تهدي من أحببت وقيل له أفأنت تنقذ من في النار لأنه إذا أسلم فليس من أهل النار فلما رآها رجال الله
غير عامة الحكم في هذه الدار جعلوا حكم ما لا تعم إلى حكم ما
تعمه فترك الكل إلى موطنه وهذه حالة الأدباء العلماء بالله الحاضرين معه على الدوام فالأديب خلاق في هذه الدار بالعمل لا بكن
بل بيسم الله الرحمن الرحيم ليسلم في عمله من مشاركة الشيطان حيث أمره الله بالمشاركة في الأموال والأولاد فهو ممثّل هذا الأمر
الإلهي حريص عليه ونحن مأمورون باتقائه في هذه المشاركة فطلبنا ما نتقيه به لكونه غيباً عنا لا نراه فأعطانا الله اسمه فلما سمينا الله
على أعمالنا عند الشروع فيها توحدنا بها وعصمنا من مشاركة الشيطان فإن الاسم الإلهي هو الذي يباشره ويحول بيننا وبينه وإن
بعض أهل الكشف ليشهدون هذه المدافعة التي بين الاسم الإلهي من العبد في حال الشروع وبين الشيطان وإذا كان العبد بهذه
الصفة كان على بينة من ربه وفاز ونجا من هذه المشاركة وكان له البقاء في الحفظ والعصمة في جميع أعماله وأحواله وهذا المنزل
يحوي على علوم منها علم الفرق بين الدليل والآية وأن صاحب الآيات هو الأولى بنسبة الحكمة إليه وبالأسم الحكيم من صاحب

الدليل فإن الآية لا تقبل الشبهة ولا تكون إلا لأهل الكشف والوجود وليس الدليل كذلك وفيه علم الاختراع الدائم ولا يعمون في الأمثال إلا فيما تتميز به بعضها عن بعض ذلك القدر هو حكم الاختراع فيها وما وقع فيه الاشتراك فليس بمخترع فافهم وفيه علم الخواص وفيه علم السبب الذي لأجله لا يرفع العالم بما علمه رأساً مع تحققه أن ذلك الوضع له يضره وفيه علم الفرق بين قول الإنسان في الشيء نعم بفتح العين وبين كسرهما وأين يقول ذلك وأين يقول لا وبلى وفيه علم تميز الجنات بعضها من بعض هل هو تميز حالات في جنة واحدة أو تميز مساحات فإن كل اسم جاءنا للجنات تستحقه كل جنة إن كان التمييز بالمساحات فكل جنة لا نشك أنها جنة مأوى وجنة عدن وجنة خلد وجنة نعيم وجنة فردوس وهي واحدة العين وهذه الأحكام لها ولو تميزت بالمساحات فلا بد من حكم هذه الأسماء لها وفيه علم الفرق بين الخلود والتأبيد والتسرمد وعدم الخروج وفيه علم الفرق بين الوعد والوعد بالمشيئة في أحدهما دون الآخر ولماذا قبل الوعد بالمشيئة دون الوعد وكلاهما إخبار إلهي وأين وجود الحكمة في ذلك وفيه علم السماء هل هي شبه الأكرة أو شبه الخيمة أو هل هي أكرة في خيمة أو خيمة في أكرة فتدور الأرض لدورانها وهل السماء ساكنة أو متحركة فإن الشهود يعطي جميع ما ذكرناه وما بقي إلا علم ما هو الأمر في نفسه من غير نظر إلى شهود هل هو علم كما يقضي به شهود كل شاهد أم ليس كذلك وفيه علم وجود الزوجين وبماذا تكرم كل واحد من الزوجين على صاحبه هل هو بما هو محتاج إليه كل واحد منهما أم قد يكون بما لا حاجة فيه فلا يفرق بين العنين وبين أهله وفيه علم من يدعي الألوهة هل له خلق أم لا فإن المدعي الألوهة لا خلق له ألبتة في حال دعواه فإذا فارق الدعوى كان حكمه حكم سائر الموجودات التي ليست لها هذه الدعوى وفيه علم حكم من اتخذ إلها من غير دعوى منه بل هو في نفسه عبد غير راض بما نسب إليه وعاجز عن إزالة ما ادعى فيه وأنه مظلوم حيث سلب عنه هذا المدعي ما يستحقه وهو كونه عبداً فظلمه فينتصر الله له لا لنفسه فاتخاذ الشريك من مظالم العباد وفيه علم الحكمة ما هي وفيه علم إلحاق ما ليس بنبي مشرع بالأنبياء في الرتبة العلمية بالله تعالى وفيه علم الوصايا والآداب الإلهية النبوية الموحى بها والملممة إليها وفيه علم الأخذ بالأولى والمبادرة إليه وفيه علم ما يدخل تحت القدرة الحادثة مما لا يدخل وفيه علم ما لا بد منه وفيه علم الفرق بين الصوت والحرف والكلام والأنغام وفيه علم النعم الجليلة والخفية والعامّة والمقصورة وفيه علم نجاة استناد الناظر ولو كان شبهة وفيه علم من ينبغي أن يلحق به المذام من العالم وفيه علم الفرق بين من رجع إلى الله عن كشف وبين من رجع إليه عن غير كشف وفيه علم المتقدم والعاقب وهو واحد وفيه علم ما ينبغي أن لا يؤبه بالجهل به وفيه علم ما لا يمكن الجهل به وفيه علم الوقت الذي يتعين فيه الثناء الجميل وعلى ماذا يتعين والأحوال كلها تطلبه والأزمان وفيه علم ما يقع به الاكتفاء من الثناء فلا يقبل المزيد وفيه علم حكم الكثير حكم الواحد عند الواحد واستناد الكثير إلى الكثير واستناد الكثير إلى الواحد وفيه علم التناكح للتناسل ولغير التناسل وما هو الأعلى منهما وفيه علم ما يشترك فيه الحق والباطل وليس ذلك إلا في الخيال وفيه علم ما هو علم وليس بعلم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الرابع والخمسون وثلاثمائة في معرفة المنزل الأقصى السرياني

وهو من الحضرة المحمدية

وجماع الخير في الكلم

معدن الآيات في العجم

فطرة الرحمن تطلبني

فلتكن في رأس مرقبة

فهو المزجى سحائبه

واتبع ما أنت طالبه

هذي وصية صدرت

بصنوف الحكم والحكم

كشهاب لاح في علم

في غمام النور والظلم

وارتفع عن موضع التهم

من حديد الطرف غير عم

اعلم أيديك الله بروح منه أن التزيه في العبد نظير التزيه في الحق سواء فمن نزاه الحق عند أداء ما أوجب الله عليه من العبادات في العهد الذي أخذه عليه عقلاً وشرعاً أشرك الله نفسه مع عبده في هذا الحكم بما أوجبه على نفسه له بما كتبه على نفسه من الرحمة به والوفاء بعهده وبرأه عن أداء ما أوجب عليه بأن كشف له عن قيام الحق عنه فيما كلفه من العمل الذي كان أهل الحجاب ينسبونه إليه ويقولون أن فلاناً من الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله لهذه البراءة وجهياً فقالوا عند هذا الشهود بنور الإيمان لا فاعل إلا الله فقالوا قولاً سديداً وبمثل هذا القول أمر الله عباده المؤمنين أن يقولوه فإذا قالوه أصلح لهم أعمالهم وغفر لهم ذنوبهم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً فالسعيد من حال الله بينه وبين ربوبيته وأقامه عبداً في جميع أحيانه يخاف ويرجو إيماناً ولا يخاف ولا يرجو عياناً

إنما العبد من يخاف ويرجو

ولهذا من كل سوء يوقى

فتراه بكل وجه سعيداً

يحشر العبد في الوفود إليه

فإذا ما نجى الذي يتقيه

كل من تدرك الحقائق منه

ليس بالعبد من يخاف ويرجى

ولهذا عن كل فعل يزجى

وإذا زل بالقضاء ينجى

وإذا لم يكن بعبد فيرجى

فالذي قام في المعارف أنجى

ما لديه مما لها فمنجى

اعلم أيديك الله أن العالم عند الله من علم علم الظاهر والباطن ومن لم يجمع بينهما فليس بعالم خصوصي ولا مصطفى وسبب ذلك أن حقيقة العلم تمنع صاحبها أن يقوم في أحواله بما يخالف علمه فكل من ادعى علماً وعمل بخلافه في الحال الذي يجب عليه عقلاً وشرعاً العمل به فليس بعالم ولا ظاهر بصورة عالم ولا تغالط نفسك فإن وبال ذلك ما يعود على أحد إلا عليك فإن قلت قد نجد من يعلم ولا يرزق التوفيق للعمل بعلمه فقد يكون العلم ولا عمل قلنا هذا غلط من القائل به لتعلم أن مسمى العلم ينطلق اسمه على ما هو علم وما ليس بعلم فإن الله تعالى يقول فاعرض عن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من اللم فأعلمنا أنهم علموا ولكن لا أريد بالعلم إلا ما حصل عن مشاهدة المعلوم فإن حصل عن دليل فكري فليس بعلم حقيقي وإن كان في نفس الأمر علماً كما قال النبي صلى الله عليه وسلم حين ذكر سورة في القرآن ولم يسمها ليختبر أصحابه فوقع في نفس بعض أصحابه أنها ربما تكون الفاتحة فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنها الفاتحة ولم تقع للصاحب على جهة القطع فقال له رسول الله صلى الله

عليه وسلم حين أخبره بما وقع له ليهنك العلم فهو علم في نفس الأمر لا عند هذا الصاحب الذي وقع له ذلك فلما كان هذا كذلك ذهب من ذهب إلى القول بالعمل بخلاف العلم مع وجود العلم والصحيح إذا اختبرته وبحثت عليه وجدت الحق فيما ذهبنا إليه ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن فهم عنه أن الله إذا أراد مضاء قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم حتى إذا أمضى فيهم قضاءه وقدره ردها عليهم ليعتبروا وليس سوى ذهاب العلم عنهم والاعتبار عمل أوجب العلم فهذا عين ما ذهبنا إليه قال تعالى في حق قوم يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا فعملوا بما علموا وهم عن الآخرة هم غافلون فلم يعملوا لها فإنه أغفلهم عنها ففسوا آخرتهم فتركوا العمل لها إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد قال تعالى آمراً وذكر يعنى بالعلم من غفل عنه أو نسىه فإن الذكرى تنفع المؤمنين وهم الذين علموا ما تم بنور الإيمان كشفاً ثم أنهم غفلوا فحيل بينهم وبين ما علموه من ذلك وكان المشهود لهم ما كانوا به عالمين في وقت نسيانهم فإذا ذكروا تذكروا وقال لهم شهود ما قد كانوا علموه فنفعتهم الذكرى فعملوا بما علموا فشهد الله أن الذكرى تنفع المؤمنين فإذا رأيت من يدعي الإيمان ويذكر فلا يقع له نفع بما ذكر به علمت أنه في الحال ليس بعالم بما آمن به فليس بمؤمن أصلاً فإن شهادة الله حق وهو صادق وقد أعلمنا أن المؤمن ينتفع بالذكرى وشهدتا أن هذا لم ينتفع بالذكرى فلا بد أن نزيل عنه الإيمان تصديقاً لله ولا معنى للنفع إلا وجود العمل منه بما علم وما نرى أحداً يتوقف بالعمل فيما يزعم أنه عالم به إلا وفي نفسه احتمال ومن قال له في شيء احتمال فليس بعالم به ولا بمؤمن بمن أخبره بذلك إيماناً يوجب له العلم مع أنك لو سألته لقال لك ما نشك في أن ما جاء به هذا الشخص حق يعنى الرسول عليه السلام وأنا به مؤمن فهذا قول ليس بصحيح إلا في وقت دعواه عند بعض الناس ثم إذا خلى بفكره قال معه الاحتمال فكان ذلك الذي تخيل أنه علم أمر عرض له وبعضهم لا يزول عنه الاحتمال في وقت شهادته أن هذا حق صريح مع وجود الاحتمال وسبب هذه الشهادة بذلك أن الأمر إذا كان يحتمل أن يكون صدقاً ويحتمل أن يكون كذباً فتجلى له في الوقت صدق ورده وتصديقه لذلك الذي هو به مؤمن أحد محتملات ذلك الخبر وهو كونه صدقاً هذا هو المشهود له في ذلك الحال فيقطع في ذلك الوقت بصدقه وبأنه لا يشك فيه وما علم أن ذلك من تجلي أحد محتملاته فإذا غاب عنه ذلك الوارد قامت معه المحتملات على السواء فلم يترجح عنده ذلك إلا بطريق الظن لا بالعلم فانظر يا أخي ما أخفى غوائل النفس وما أعظم حجاب الجهل مع كونه عدماً فكيف بنا لو كان وجوداً فلله الحمد والمنة وإنما نبهناك على هذا لتعلم حظك من الإيمان ومترلتك فإن النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث الصحيح عنه لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن أي مصدق بالعقاب عليه فإنه تعالى قد يغفر وإن الإيمان إذا لم يعط الكشف الذي يعطيه العلم فليس بإيمان فاعلم أن العلم يعطي العمل من خلف حجاب رقيق وفي حديث آخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الزاني إذا زنى خرج عنه الإيمان حتى صار عليه كالظلة ولنا فيه تأويل حسن وهو أن الزاني قد تعرض لبلاء من الله يتزل عليه فيخرج الإيمان حتى يصير عليه كالظلة يمنع نزول ذلك البلاء عليه إن نزل فلا تغفل يا ولي عن هذا القدر الذي نبهتك عليه ألا ترى الله تعالى ما نصب الآيات وكثرها إلا ليحصل بها العلم لعلمه أن العلم إذا حصل لزم العمل ألا ترى إلى شارب الدواء وهو عمل ما شربه وتجرع مرارته إلا لعلمه أن ثم دواء مزيلاً لهذه العلة التي يشكو منها فيقول عسى يكون ذلك الدواء عين هذا الذي شربته فيشربه بالإمكان والترجي فكيف به لو علم أنه عين الدواء بلا شك لسارع إليه فهذا حاله مع الترجي والإمكان فإن قلت فقوله تعالى وأضله الله على علم في حق من اتخذ إلهه هواه قلنا له الإله له القوة في المألوه وإله هذا هو هواه فحكم عليه وأضله عن سبيل الله وأما قوله على علم يعني من أنه أضله الله على علم لا أن الضال على علم فإن الضال هو الحائر الذي لا يعرف في أي جهة هو مطلوبه

فتعلق على علم أضله وهو العامل فيه وهو فعل الله تعالى والذي على الله إنما هو البيان خاصة قال تعالى وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون أي ليحير قوماً بعد أن هداهم في أخذ الميثاق والفطرة التي ولدوا عليها حتى يبين لهم ما يتقون فإذا أبان لهم حيرهم فمنهم من حيره بالواسطة فشك في النبوة وحرار فيها وما تحقق أن هذا نبي فتوقف في الأخذ عنه ومنهم من حيره في أصل النبوة هل لها وجود أم لا ومنهم من حيره فيما جاء به هذا النبي مما تحيله الأدلة النظرية فأورثهم البيان الإلهي هذه الحيرة وذلك لعدم الإيمان فلم يكن لهم نور إيمان يكشف لهم عن حقيقة ما قاله الله وأبان عنه ومن لم جعل الله له نوراً هنا من إيمانه فما له من نور في القيامة إن الله بكل شيء عليم فعمل بما علم أنه يكون لم يكن فكان عمله بعلمه قد أنزله بعلمه والإنزال عمل أوجده العلم فلما أبان الحق ما أبانه لعباده فمنهم من رزقه الله العلم فعمل به ومنهم من حرمة الله العلم فضل وحرار وشك وارتاب وتوقف وأما قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فإفهم مصدقون بكتابتهم وهذا النعت فيه وقد أبصروه فيعلمون أنه عين هذا النعت ولا يعرفون الشخص الذي قام به هذا النعت لجواز أنه يقوم ذلك النعت بأشخاص كثيرين فدخلهم الاحتمال في الشخص لا في النعت وأما قوله تعالى وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون أنه الحق فيكتمونه عن مقلديهم وعن النبي عليه السلام أنهم عرفوه أنه صاحب هذا النعت ولا يلزم من العالم بالحق الإقرار به في الظاهر وإنما يستلزمه التصديق به في الباطن فهو مصدق به وإن كذبه باللسان فقد عمل بما علم وهو التصديق وقوله تعالى في مثل هذا واستيقنتها أنفسهم ألما آيات فعلموا وعملوا بما علموا وهو التيقن الذي هو استقرار العلم في النفس فلولا ما علموا ما تيقنوا وما كل عمل يعطي عموم النجاة بل يعطي من النجاة قدراً مخصوصاً من عموم أو خصوص فإن قلت فإن أهل النار قد علموا صدق الله في إنفاذ الوعيد وقالوا ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل فلا نشك أنهم في هذه الحال حصل لهم العلم والله يقول ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه مع هذا العلم الذوقي الذي حصل لهم قلنا لما علم الله أن هذه الدار الدنيا جعلها الله على طبيعة مخصوصة وجعل نشأة الإنسان على مزاج يقبل النسيان والغفلة وحب العاجلة ويقبل ضد هذا على حسب ما يقام فيه فعلم سبحانه أن نشأة هؤلاء الذين عينهم أنهم لو ردوا إلى الدنيا في نشأتهم التي كانوا عليها في الدنيا لعادوا إلى نسيان ما كانوا قد علموا وجعل على أعينهم غطاء على ما لو شهدوه لعلموا الأمر فعملوا له فهذا معنى لعادوا لما نهوا عنه لأن النشأة ليست إلا تلك فلو بقى لهم هذا العلم لما عادوا ألا ترى النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الصحيح عنه أنه يؤتى في القيامة بأنعم أهل الدنيا فيغمس في النار غمسة فيقال له هل رأيت نعيماً قط فيقول لا والله ومعلوم أنه رأى نعيماً ولكن حجه شاهد الحال عن ذلك النعيم فنسيه وكذلك صاحب البؤس إذا غمس في الجنة غمسة يقال له هل رأيت بؤساً قط فيقول لا والله ما رأيت بؤساً قط فكذلك لو ردوا لكانوا بحسب النشأة والحال التي يردون فيها وأما عصاة المؤمنين فإفهم عالمون

بإنفاذ الوعيد ولكن لا يعلمون فيمن فلو تعين لواحد منهم أنه هو الذي ينفذ فيه الوعيد لما قدم على سببه الذي علم أنه يحصل له إنفاذ الوعيد به وإذا جبر في اختياره فذلك لا يعلمه لأنه لا يجد ذلك من نفسه فإن الأمر في ذلك مشترك وقد تقدم هذا الكلام عليه في بعض المنازل فمن شهد الجبر في اختياره علماً من طريق الكشف والشهود أتى المخالفة بحكم التقدير لا بحكم الانتهاك فكان عالماً بما علم فلم يضره ذلك العمل بل هو مغفور له واعلم أن هذا القدر الذي ذكرناه في هذه المسألة هو من العلم الذي ورد فيه الخبر الذي لفظه أن من العلم كهية المكنون لا يعلمه إلا العالمون بالله فإذا نطقوا به لم ينكره عليهم إلا أهل الغرة بالله وهذا من طريق الكشف عند أهله حديث صحيح مجمع عليه عندهم خاصة عرفوه وتحققوه فجعله كهية المكنون ما جعله مكنوناً إذ لو كان مكنوناً

لأنفرد به تعالى فلما لم يعلمه إلا العلماء بالله علمنا أن العلم بالله يورث العلم بما يعلمه الله فهو مستور عن العموم معلوم للخصوص ومعنى العلم بالله أنه لا يعلم فقد علمنا أن ثم ما لا يعلم على التعيين وما عداه فيمكن العلم به فأكنة هذا العلم قلوب العلماء بالله فإذا نطقوا به فيما بينهم إذ لا يصح النطق به الأعلى هذا الحد واتفق أن يكون في المجلس من ليس من أهله ولا من أهل الله فإن أهل الله هم أهل الذكر وهم العلماء بالله أنكره عليهم أهل الغرة بالله فأضاف أهليتهم إلى الغرة وهم الذين يزعمون أنهم عرفوا الله فمن العلم الذي هو كهيئة المكنون وما هو بمكنون هذا العلم فإن العلم المكنون يعلم شهوداً ولا ينقال بخلاف علوم الفكر فإنها كلها تنقال فإذا حصلت أيضاً لصاحب الكشف من غير فكر ولا روية فإنها تنقال من غير دليل فيقبلها منه العالم بالدليل فهذا العلم هو الذي كهيئة المكنون لأن العالم به غير عالم بالدليل فاعلم أن الديار داران دار تسكنها الأرواح الناطقة وهو البدن الطبيعي المسوى المعدل الذي خلقه الله بيديه ووجه عليه صفتيه فلما أنشأه أسكنه داراً أخرى هي دار الدار وقسم سبحانه دار الدار قسمين قسماً سماه الآخرة ثم علم ما يصلح لسكنى كل دار من الساكنين الذين هم ديار النفوس الناطقة فخلق للدار الدنيا لفنائها وذهب عينها وتبدل صورتها ووضعها وشكلها وخفاء حياتها ساكناً هو هذه الدار التي أسكنها النفس الناطقة فجعل هذه النشأة مثل دار سكنها خفية الحياة فانية ذاهبة العين متبدلة الصورة والوضع والشكل فاتصف ساكنها وهو النفس الناطقة الجهل والحجاب والشك والظن والكفر والإيمان وذلك لكثافة هذه الدار التي هي نشأته البدنية وحال بينه وبين شهود الله وجعله في حجر أمه ترضعه وتقوم به فما شهد من حين أسكن هذه النشأة سوى عين أمه حتى أنه جهل أباه بعض الساكنين ولولا أن الله من عليه بالنوم وجعل له في ذلك أمراً يسمى الرؤيا في قوة تسمى الخيال فإذا نام كأنه خرج عن هذه النشأة فنظر إليه أبوه وسريه وألقى إليه روحاً آنسه وبادرت إليه الأرواح وتراءى له الحق من تزييه وبدا له ذلك كله في أجسام ألف شهودها من جنس دار نشأته التي فارقها بالنوم فيظن في النوم أنه في دار نشأته التي ألفها ويعرفها ويظن في كل ما يراه في تلك المواد أنها على حسب ما شهدها فهذا القدر هو الذي له في هذه النشأة الدنيا من الأنس بأبيه وإخوانه من الأرواح ومن الإنس بربه ومنهم من يتقوى في ذلك بحيث أنه يرى ذلك في يقظته وأعطاه علماً سماه علم التعبير عبر به في مشاهدة تلك الصور إلى معانيها فإذا أراد الله أن يخلي هذه الدار الدنيا من هذه النشأة التي هي دار النفس الناطقة أرحل عن هذه النشأة روحها المدبر لها وأسكنه صورة برزخية من الصور التي كان يلبسها في حال النوم فإذا كان يوم القيامة وأراد الله أن ينقله إلى الدار الأخرى دار الحيوان وهي دار ناطقة ظاهرة الحياة ثابتة العين غير زائلة أنشأ لهذه النفس الناطقة داراً من جنس هذه الدار الأخرى مجانسة لها في صفتها لأنها لها لا تقبل ساكناً لا يناسبها فخلق نشأة بدنية طبيعية للسعداء عنصرية للأشقياء فسواها فعدلها ثم أسكنها هذه النفس الناطقة فأزال عنها حجب العمى والجهل والشك والظن وجعلها صاحبة علم ونعيم دائم وأراها أباه ففرحت به وأراها خالقها ورازقها وعرف بينها وبين إخوتها وانتظم الشمل بالأحباب وأشهدها كل شيء كان في الدار الأولى غائباً وأسكن هذه النشأة الدار الأخرى المسماة جنة منها فإنه قسم الدار الأخرى إلى مترلين هذا هو المنزل الواحد والمنزل الآخر المسمى جهنم جعل نشأة بدن أنفسها الناطقة عنصرية تقبل التغيير وأصحابها الجهل وسلب عنها العلم فأعطى جهل المؤمنين من أهل التقليد من كان من أهل هذه الدار دار الشقاء عالماً بدقائق الأمور فدخل بذلك الجهل النار إذ كان من أهلها وهي لا تقبل العلماء وأعطى هذا العالم الذي كان في الدنيا عالماً بدقائق الأمور ولم يكن من أهل الجنة جهل المؤمن المقلد فإن الجنة ليست بدار جهل فيرى المؤمن الأبله المقلد ما كان عليه من الجهل على ذلك العالم فيستعيز بالله من تلك الصفة ويرى قبحها ويشكر الله على نعمته التي أعطاه إياها بما كساه وخلع عليه من علم ذلك العالم الذي هو من أهل النار وينظر إليه ذلك العالم

فيزيد حسرة إلى حسرته ويعلم أن الدار أعطت هذه الحقائق لنفسها فيقول يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين لعلمهم إذ كانوا مؤمنين إن كانوا جاهلين أنهم إذا انتقلوا إلى دار السعادة خلعت عنهم ثياب الجهالة وخلع عليهم خلع العلم فلا يبالون بما كانوا عليه من الجهل في الدنيا لحسن العاقبة وما علموا أنهم لو ردوا إلى الدنيا في النشأة التي كانوا عليها لعادوا إلى حكمها فإن الفعل بالخاصية لا يتبدل فما تكلموا بما تكلموا به من هذا المتني إلا بلسان النشأة التي هم فيها وتخيلوا أن ذلك العلم يبقى عليهم وما جعل الله في هذه النشأة الدنيا النسيان للعلماء بالشيء فيما قد علموه ويعلمون أنهم قد كانوا علموا أمراً فيطلبون استحضاره فلا يجدونه بعدما كانوا عالمين به إلا إعلاماً وتنبهاً أنه على كل شيء قدير بأن يسلب عنهم العلم بما كانوا به عالمين إذ أدخلوا النار يختص برحمته من يشاء وهو قوله تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وأي ملك أعظم من العلم وهو ما أعطاه من العلم للمؤمن المقلد الجاهل السعيد في الدار الآخرة وتترع الملك ممن تشاء وأي ملك أفضل من العلم فيترعه من العالم غير المؤمن الذي هو من أهل النار وتعز من تشاء بذلك العلم وتذل من تشاء بانتزاع ذلك العلم منه.

علمت أنني مسؤول ومقصد

دنيا وآخرة والحق معبود

إلا ويشهد أن الحق مشهود

فالأمر والشأن موجود ومفقود

وكلنا وجه والوجه محدود

فليس ثم سوى الرحمن موجود

دار اللطيف فما في الكون تجريد

لما علمت بأن الله كلفني

وأنتي لا أزال الدهر أعبد

وما تجلى لشيء من خليقته

من عين صورته لا من حقيقته

لأننا بعيون الوجه نبصره

هو الوجود ومن في الكون صورته

الدار داران دار الدار يعمرها

ولولا أن الحقائق تعطى أن المال إلى الرحمة في الدار الأخرى فيرحمه معنى وحساً فثم من تكون الرحمة بين عين العافية لا غير وارتفاع الآلام وهذا مخصوص بأهل النار الذين هم أهلها فهم لا يموتون فيها لما حصل لهم فيها من العافية بزوال الآلام فاستعذبوا ذلك فهم أصحاب عذاب لا أصحاب ألم ولا يحيون أي ما لهم نعيم كنعيم أهل الجنان الذي هو أمر زائد على كونهم عافاهم من دار الشقاء

إلا الذي بشهود الحس ينشيه

فمن يمر على قلبي فينبيه

فإنه بشهود الحال يبريه

إلا الذي كان قبل اليوم يبيديه

في القلب منك لهيب ليس يطفئه

إنني أخاف على الأشراف من شرف

إذا أتى صاحب العاهات يطلبه

وما يعيد على قلبي تنعمه

واعلم أنه من زعم اليوم أن العلم هو السعادة فإنه صادق بأن العلم هو السعادة وبه أقول ولكن فاتته ما أدركه أهل الكشف وهو أنه إذا أراد الله شقاوة العبد أزال عنه العلم فإنه لم يكن العلم له ذاتياً بل اكتسبه وما كان مكتسباً فجائز زواله ويكسوه حلة الجهل فإن عين انتزاع العلم جهل ولا يبقى عليه من العلم إلا العلم بأنه قد انتزع عنه العلم فلو لم يبق الله تعالى عليه هذا العلم بانتزاع العلم لما

تعذب فإن الجاهل الذي لا يعلم أنه جاهل فارح مسرور لكونه لا يدري ما فاته فلو علم أنه قد فاته خير كثير ما فرح بحاله ولتألم من حينه فما تألم إلا بعلمه ما فاته أو مما كان عليه فسلبه ولقد أصابني ألم في ذراعي فرجعت إلى الله بالشكوى رجوع أيوب عليه السلام أدباً مع الله حتى لا أقاوم القهر الإلهي كما يفعله أهل الجهل بالله ويدعون في ذلك أنهم أهل تسليم وتفويض وعدم اعتراض فجمعوا بين جهالتين ولما تحققت ما حقني الله به في ذلك الوجع قلت

وذاك مني لضيق باعي

فأين دعواك في اتساعي

له فضري عين انتفاعي

خرجت عنه وعن طباعي

صاحب حال بالاتباع

لما دعاني إليه داع

فقال أبغي عين المتاع

فعين وصلّى عين انقطاعي

وغاب عني ما كنت أشهده

ولولا وجود اللوح ما كنت أمليه

ولولا حصول العلم ما كنت أجريه

فما عنده علم بما حقه فيه

هو الأمر في عين الحقيقة يكفيه

شكوت منه ومن ذراعي

فقلت للنفس تدعيه

قالت أنا أشتكيك منه

لولا التشكي مما أقاسي

وذاك جهل يدريه قلب

لولا شر ودي عنه بجهلي

فقلت لبنيك من دعاني

قد نفق الشوق فاغتنمه

فخف عني ما كنت أجده

فلولا وجود العقل ما كنت أدريه

ولولا شهود الكون ما كنت أوفيه

فمن قال أن الخلق يعرف كونه

ويكفيه هذا القدر من جهله بما

إذا انكشفت الحقائق فلا ريب ولا مين وبان صبحها الذي عينين كان الاطلاع وارتفع التراع وحصل الاستماع ولكن بينك وبين هذه الحال مفاوز مهلكة وبيداء معطشة وطرق دراسة وآثار طامسة يحار فيها الحريت فلا يقطعها إلا من يحى ويميت لا من يحيا ويموت فكيف حال من يقاسي هذه الشدائد ويسلك هذه المضايق ولكن على قدر آلام المشقات يكون النعيم بالراحات وما ثم ببيداء ولا مفاوزة سواك فأنت حجابك عنك فزل أنت وقد سهل الأمر فمن علم الخلق علم الحق ومن جهل البعض من هذا الشأن جهل الكل فإن البعض من الكل فيه عين الكل من حيث لا يدري فلو علم البعض من جميع وجوهه علم الكل فإن من وجوه كونه بعضاً علم الكل وهذا المتزل من المنازل التي كثرت آياتها واتضحت دلالاتها ولكن الأبصار في حكم أعطيتها والقلوب في أكنيتها والعقول مشغولة بمحاربة الأهواء فلا تتفرغ للنظر المطلوب منها وفي هذا المتزل من العلوم علم مقاومة الأعداء وتقابل الأهواء بالأهواء فإن العقول إن لم تدفع الهوى بالهوى لم تحصل على المقصود فإن النفوس ما اعتادت إلا الأخذ عن هواها فإذا كان العقل عالماً بالسياسة حاذقاً في إنشاء الصور أنشأ للنفس صورة مطلوبه في عين هواها فقبلته قبول عشق فظفر بها وفيه علم خواص الأعداد والحروف

وفيه علم بسائط الأعداد وما حكمها فيما تركب منها وهل يبقى فيها مع التركيب خواصها التي لها من كونها بسائط أم لا وفيه علم الظروف الزمانية ويبد من هي وفيه علم الزمان المستقبل إذا كان حالاً ما حكمه وفيه علم أحدية العلم وما ينسب إليه من الكثرة ليس لعينه وإنما ذلك لمتعلقاته وإنما ذلك لمتعلقاته وفيه علم ما ينتجه النظر الفكري في الظروف المكانية وفيه علم آجال الأكوان في الدنيا والآخرة مع كون الآخرة لا نهاية لها وعموم قوله كل يجري إلى أجل مسمى فلا بد لكل شيء من غاية والأشياء لا يتناهى وجودها فلا تنتهي غاياتها فالله يجدد في كل حين أشياء وكل شيء له غاية تلك الغاية هي أجله المسمى فليس الأجل إلا لأحوال الأعيان والأعيان غايتها عين لا غاية وفيه علم الحقيقة والحجاز والاعتبار ومم يعبر وإلى ماذا يعبر وما فائدة ذلك وفيه علم عمارة الدارين وهو الذي ذكرنا منه طرفاً في هذا الباب وما استوفينا وفيه علم اختلاف المكلفين في أحوالهم وأن الله يخاطب كل صنف من حيث ما هو ذلك الصنف عليه لا يزيده على ذلك وفيه علم يقضي بأن الأمر بدء كله لا إعادته وفيه علم كون الحق يتزل في الخطاب إلى فهم المخاطب وكله حق وإن تناقض وظهر فيه تقابل فثم عين واحدة تجمعهم كالسواد والبياض ضدان متقابلان يجمعهما اللون وكالألوان حقائق مختلفة يجمعهن العرض وفيه علم التوحيد بعين التشبيه وفيه علم التفضيل وفيه علم حكم كلمات الله حكم خلق الله وفيه علم تكوين الأعمال الكونية وأقامتها صوراً وفيه علم الجمع والوجود وفيه علم ما تقتضيه النشأة الطبيعية من الأحكام وفيه علم العلل والأسباب والجزاء وفيه علم الفرق بين أسباب الدنيا وأسباب الآخرة وفضل أسباب الدنيا عليها وفيه علم ما يعود على الإنسان من عمله وما يضيف إلى الله من ذلك يضيفه إلى نفسه وفيه علم التكوين الإلهي من الأسباب الكونية وهي الآثار العلوية البرزخية لا غير وفيه علم تغير الأحوال لتغير الحركات الفلكية وفيه علم حال الحيوان من حيث نشأته إلى حين موته وفيه علم القياس الإلهي وفيه علم تأثير الكون في الكون وعلم ما يتقي به ذلك التأثير وفيه علم القيامة وأحوالها ومراتبها وفيه علم أمر العالم بجملته وفيه علم فضل أهل النواميس الإلهية على أهل النواميس العقلية الحكيمة فهذا ذكر أكثر ما يحوى عليه هذا المنزل من العلوم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الخامس والخمسون وثلاثمائة في معرفة منزل السبل المولدة وأرض العبادة

واتساعها وقوله تعالى يا عبادي أن أرضي واسعة فإياي فاعبدون.

وسماء الله تنكحها

ويمين الجود تفتحها

وبنور العلم يشرحها

وعلم الكشف توضحها

حضرة المحسان تمنحها

فعسى الرحمن يصلحها

ما لأرض الله واسعة

مجمع الأبواب مغلقة

وصدور ضاق مسكنها

مبهمة السر مظلمة

كل ما أعطيت من نعم

ثم إن قام الفساد بها

ثم إن شدت وإن عدلت

كل دعوى غير صادقة

زند ذي البلوى بكل أذى

فلجام الهدى يكبحها

فلسان العجز يفضحها

من بلاء الكون يقدحها

قال الله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ولم يقل منها ولا إليها فهي أرض الله سواء سكنها من يعبده أو من يستكبر عن عبادته وقال عز من قائل يا عبادي إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون فأضافها إليه أشد إضافة من قوله إن أرض الله وكذلك أضاف العباد إليه إضافة الأرض إضافة اختصاص وكذلك أضافهم في الأمر بالعبادة إليه فقال فإياي فاعبدون وقال في غير هذا الموطن اعبدوا الله واعبدوا ربكم فمن عرف قدر هذه الإضافة إلى المتكلم عرف قدر ما بين الإضافتين وإن كان المقصود بالعبادة واحداً فضيق في توسعه في إضافتهم إلى المتكلم ووسع في إضافتهم إلى الاسم وهنا أسرار لا يعلمها إلا من يعلم الأمر على ما هو عليه في نفسه وهو قوله عليه السلام لما فتح مكة لا هجرة بعد الفتح مع أن مكة أشرف البقاع وأنها بيت الله الذي يحج إليه من مشارق الأرض ومغاربها ولكن أمر وعظم الأجر لمن يهاجر منها من أجل ساكنيها فلما فتحها الله وأسكنها المؤمنين من عباده قال لا هجرة بعد الفتح فمن فتح الله عليه رآه في كل شيء

أو عين كل شيء فلم يهاجر لأنه غير فاقد فإن هاجر فعن أمره فيها جرح به منه إليه عن أمره مثل خروجه إلى أداء الصلاة في مسجد الجماعة ومثل خروجه إلى مكة يريد الحج وكخروجه أيضاً إلى الجهاد وإلى الزيارة وزيارة أخ في الله تعالى أوفى السعي على العيال فهذا كله ليس بهجرة على الحقيقة وإنما هي سياحة عن أمر إلهي على شهود فإن لم يكن على شهود ولا كأنه شهود فما هو من مطلوبنا في هذا الموضع فإن أدنى مرتبة الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ولما خلق الله الإنسان الكامل بالصورتين الموجود بالنشأتين الذي جمع الله له بين الاسمين الأول والآخر وأعطاه الحكيم في الظاهر والباطن ليكون بكل شيء عليم خلقه من تراب الأرض أنزل موجود خلق ليس وراءها كما أنه ليس وراء الله مرمى فجعل مسكنه في أشرف الأماكن وهو النقطة التي يستقر عليها عمدة الخيمة وجعل العرش المحيط مكان الاستواء الرحماني كما يليق بجلاله إعلاماً بالارتباط الإلهي الذي بين العرش والأرض وما بينهما في مراتب العالم المتحيز العام للمساحات من الأفلاك والأركان فجميع العالم في جوف العرش إلا الأرض فإنها مقر السرير فلما أراد الله أن يخلقنا لعبادته قرب الطريق علينا فخلقنا من تراب في تراب وهو الأرض التي جعلها الله ذلولاً والعبادة الذلة فنحن الأذلاء بالأصل لا نشبه من خلق نوراً من النور وأمر بالعبادة فبعدت عليهم الشقة بعد الأصل مما دعاهم إليهم من عبادته فلولا أن الله أشهدهم بأن خلقهم في مقاماتهم ابتداء لم يزلوا منها فلم يكن لهم في عبادتهم ارتقاء كما لنا ما أطاقوا الوفاء بالعبادة فإن النور له العزة ما له الذلة فمن عناية الله بنا لما كان المطلوب من خلقنا لعبادته أن قرب علينا الطريق بأن خلقنا من الأرض التي أمرنا أن نعبد فيها ولما عبد منا من عبد غير الله غار الله أن يعبد في أرضه غيره فقال وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه أي حكم فما عبد من عبد غير الله إلا لهذا الحكم فلم يعبد إلا الله وأخطؤوا في النسبة إذ كان لله في كل شيء وجه خاص به ثبت ذلك الشيء فما خرج أحد عن عبادة الله ولما أراد الله أن يميز بين من عبده على الاختصاص وبين من عبده في الأشياء أمر بالهجرة من الأماكن الأرضية التي يعبد الله فيها في الأعيان ليميز الله الخبيث من الطيب فالخبيث هو الذي عبد الله في الأغيار والطيب هو الذي عبد الله لا في الأغيار وجعل تعالى هذه الأرض محلاً للخلافة فهي دار ملكه وموضع نائبه الظاهر بأحكام أسمائه فمنها خلقنا وفيها أسكننا أحياء وأمواتاً ومنها يخرجنا

بالبعث في النشأة الأخرى حتى لا تفارقنا العبادة حيث كنا دنيا وآخرة وإن كانت الآخرة ليست بدار تكليف ولكنها دار عبادة فمن لم يزل منا مشاهداً لما خلق له في الدنيا والآخرة فذلك هو العبد الكامل المقصود من العام النائب عن العالم كله الذي لو غفل العالم كله أعلاه وأسفله زمناً فرداً عن ذكر الله وذكره هذا العبد قام في ذلك الذكر عن العالم كله وحفظ به على العالم وجوده ولو غفل العبد الإنساني عن الذكر لم يقم العالم مقامه في ذلك وخرب منه من زال عنه الإنسان الذاكر قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة وفي الأرض من يقول الله الله ولما خلق الله هذه النشأة الإنسانية وشرفها بما شرفها به من الجمعية ركب بها الدعوى وذلك ليكمل بها صورتها فإن الدعوى صفة إلهية قال تعالى إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني فادعى أنه لا إله إلا هو وهي دعوى صادقة لم تتوجه عليه حجة وكان له السلطان على كل من رد عليه دعواه لأن له الشدة والغلبة والقهر لأنه صادق والصدق الشدة فلا يقاوم ولما كانت الدعوى خيراً والخير نسبة الصدق إليه ونسبة الكذب على السواء بما هو خير يقبل هذا وهذا علمنا عند ذلك أنه لا بد من الاختبار فادعى المؤمن الإيمان وهو التصديق بوجود الله وأحديته وأنه لا إله إلا هو وإن كل شيء هالك إلا وجهه وأن الأمر لله من قبل ومن بعد فلما ادعى بلسانه أن هذا مما انطوى عليه جنانه وربط عليه قلبه احتمل أن يكون صادقاً فيما ادعاه أنه صفة له ويحتمل أن يكون كاذباً في أن ذلك صفة له فاختبره الله لإقامة الحجة له أو عليه بما كلفه من عبادته على الاختصاص لا العبادة السارية بسريان الألوهة ونصب له وبين عينيه الأسباب وأوقف ما تمس حاجة هذا المدعي على هذه الأسباب فلم يقض له بشيء إلا منها وعلى يديها فإن رزقه الله نوراً يكشف به ويخترق سدف هذه الأسباب فيرى الحق تعالى من ورائها مسبباً اسم فاعل أو يراه فيها خالقاً وموجداً لحوائجه التي اضطره إليها فذلك المؤمن الذي هو على نور من ربه وبينه من أمره الصادق في دعواه الموفي حق المقام الذي ادعاه بالعناية الإلهية التي أعطاه ومن لم يجعل الله له نوراً فمَلْ له من نور فقال بعد إقراره بربوبية خالقه لما أشهده على نفسه في أخذ الميثاق حين قال له ولأمثاله أَلست بربكم قالوا بلى فلما أوجده في هذه الدنيا أوجده على تلك الفطرة فقال بألوهية الأسباب التي رزقه الله منها وجعلها حججاً بينه وبين الله ولم يكن له نور يهتدي به في ظلمات البر والبحر وليس إلا النجوم وهي هنا نجوم العلم الإلهي فأضاف الألوهة إلى غير مستحقها فكذب في دعواه لكثرة الأسباب وإقراره في شركه بأن ذلك قرينة منه إلى الله خالق الأسباب وجعلها آلهة فلم يصدق قوله لا إله إلا هو ولهذا قال من قال أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب وليس العجب إلا ممن كثر الآلهة والذي لم يقل بنسبة الألوهة للأسباب لكنه لم ير إلا الأسباب وما حصل له من الكشف ما يخرجها عنها مع توحيد الألوهة كان ذلك شركاً خفياً لا يشعر به صاحبه أنه شرك يحجبه عن الأمر العالي الذي طلب به فلم يوجد صاحب هذه الدعوى في توحيد الله وتوحيده في أفعاله مع الاضطراب عند فقد السبب وسكونه عند وجوده صادقاً فنقصه على قدر ما فاته من ذلك هذا ولم يجعل للأسباب آلهة فإن قلت فالمشرك الذي ادعى أنه مشرك فهو صادق في دعواه أنه مشرك فلماذا لم ينفعه صدقه قلنا هو كاذب في دعواه في نسبة الألوهة إلى من ليس بالإله هذه دعواه التي كفر بها فهو صادق في أنه مشرك وليس بصادق في أن الشركة في الألوهة صحيحة لأنه بحث عن ذلك بأدلة العقلية والشرعية فلم يوجد لما ادعاه عين في الصدق فاختبر الله العباد بما شرع لهم بإرسال الرسل واختبر الله المؤمنين بالأسباب فكل صنف اختبره بحسب دعواه فمن صدق أورثه ذلك الصدق ما تعطيه دعواه ولهذا يسأل الصادقين عن صدقهم فيما صدقوا فيه هل صدقوا فيما أمروا به وأبيح لهم أو هل صدقوا في إتيان ما حرم عليهم إتيانه مع كونهم صادقين فيقال لهم فيم صدقتم فإن النمايين صادقون والمغتايين صادقون وقد ذمهم الله وتوعد على ذلك مع كونه صادقاً فلماذا يسأل الصادقين عن صدقهم فيما صدقوا فهذا من اختبار الله إياهم وأصل هذا كله ما ركب فيهم من الدعاوى

ومما اختبرهم الله به في الخطاب أن جعل ما ابتلاهم به ليعلم الله الصادق في دعواه من الكاذب فأنزل نفسه في هذا الاختبار منزلة من يستفيد بذلك علماً وهو سبحانه العالم بما يكون منهم في ذلك قبل كونه فمن المتهمة في زعمهم من يقول أن الله لا يستفيد من ذلك علماً فإنه لا يعلم الأمر من حيث ما هو واقع من فلان على التعيين فرد كلام الله وتأوله إذ خاف من وقوع الأذى به لذلك ومن الظاهرية من التزم أنه يعلم بذلك الاختبار وقوفاً عند هذا اللفظ ومن الناس من صرف ذلك إلى تعلق العلم به عند الوقوع فالعلم قديم والتعلق حادث ومن المؤمنين من سلم علم ذلك إلى الله وآمن به من غير تأويل معين وهذا هو أسلم ما يعتقد وهذا كله ابتلاء من الله لعباده الذين ادعوا الإيمان به بألسنتهم فإنه قال حتى نعلم كما قال ولنبلونكم وقال أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين فميز بينهما فيجازي المجاهد بجزاء معين ويجازي الصابر عليه بجزاء معين وقال فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين لما ذكر الفتنة وهي الاختبار فإذا نظر الإنسان إلى نشأته البدنية قامت معه الأرض التي خلق منها وجعل منها غذاؤه وما به صلاح نشأته لم يرزقه الله في العادة من غيرها ومن حرق الله فيه العادة بأن لم يرزقه منها رزقه من أمر طبيعي خفي وهو السبب الذي أبقي عليه حياته به فوفر عليه حرارته ورطوبته التي هي مادة حياته بأمر لطيف لا يعلمه إلا الله ومن أطلعه عليه لأن الله لما وضع الأسباب لم يرفعها في حق أحد وإنما أعطى الله بعض عباده من النور ما اهتدى به في المشي في ظلمات الأسباب غير ذلك ما فعل به فعينوا من ذلك على قدر أنوارهم فحجب الأسباب مسدلة لا ترفع أبداً فلا تطمع وإن نقلك الحق من سبب فإنما ينقلك بسبب آخر فلا يفقدك السبب

جملة واحدة فإنه حبل الله الذي أمرك بالاعتصام به وهو الشرع المنزل وهو أقوى الأسباب وأصدقها ويده النور الذي يهتدي به في ظلمات بر هذه الأسباب وبحرها فمن عمل كذا وهو السبب فجزاؤه كذا فلا تطمع فيما لا مطمع فيه ولكن سل الله تعالى رشة من ذلك النور على ذاتك وأظهر الأمور اللطيفة أن جعل بدنك ذا مسام وأحاط بك الهواء الذي هو مادة الحياة الطبيعية فإنه حار رطب بالذات وجعل فيك قوة جاذبة فقد تجذب في وقت فقدك الأسباب المعتادة الهواء من مسامك فتغذي به بدنك وأنت لا تشعر وقد علمنا أن من الحشرات من يكون عداؤه من مسام بدنه مما يجذبه من الرطوبات على ميزان خاص يكون له البقاء من غير إفراط ولا تفريط ثم لتعلم أيها الأخ الولي أن أرض بدنك هي الأرض الحقيقية الواسعة التي أمرك الحق أن تعبده فيها وذلك لأنه ما أمرك أن تعبده في أرضه إلا ما دام روحك يسكن أرض بدنك فإذا فارقها أسقط عنك هذا التكليف مع وجود بدنك في الأرض مدفوناً فيها فتعلم أن الأرض ليست سوى بدنك وجعلها واسعة لما وسعته من القوى والمعاني التي لا توجد إلا في هذه الأرض البدنية الإنسانية وأما قوله فتهاجروا فيها فإنها محل للهوى ومحل للعقل فتهاجروا من أرض الهوى منها إلى أرض العقل منها وأنت في هذا كله فيها ما خرجت عنها فإن استعملك الهوى أرداك وهلكك وإن استعملك العقل الذي بيده سراج الشرع نجوت وأنجأك الله به فإن العقل السليم المبرأ من صفات النقص والشبه هو الذي فتح الله عين بصيرته لإدراك الأمور على ما هي عليه فعاملها بطريق الاستحقاق فأعطى كل ذي حق حقه ومن لم يعبد الله في أرض بدنه الواسعة فما عبد الله في أرضه التي خلق منها فإن الله يقول وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين وهو الماء الذي نبع من هذه الأرض البدنية واستقر في رحم المرأة ثم سواه فبعد تسوية أرض البدن وقبوله الاشتعال بما فيه من الرطوبة والحرارة نفخ الله فيه فاشتعل فكان ذلك الاشتعال روحاً له فما خرج إلا منه فمنه خلق وجعل العقل في هذه النشأة نظير القمر في الأرض نوراً يستضاء به ولكن ما له ذلك النفوذ بالحجب المانعة من البيوت والجدران والأكنة وجعل الشرع لهذا العقل في هذه الأرض البدنية سراجاً فأضاءت زوايا هذه الأرض بنور السراج فأعطى

من العلم بما فيها ما لم يعطه نور العقل الذي هو بمنزلة القمر ثم يعيدنا فيها يعني في النشأة الأخرى أيضاً كما خلقنا فيها ويخرجنا إخراجاً لمشاهدته كما أنشأنا منها وأخرجنا لعبادته فخلق أرواحنا من أرض أبداننا في الدنيا لعبادته وأسكننا أرض أبداننا في الآخرة لمشاهدته إن كنا سعداء كما آمنّا به في النشأة الأولى لما اعتنى الله بنا والحال مثل الحال سواء في تقسيم الخلق في ذلك وكذلك يكونون غداً والموت بين النشأتين حالة برزخية تعمر الأرواح فيها أجساداً برزخية خيالية مثل ما أعمارها في النوم وهي أجساد متولدة عن هذه الأجسام الترابية فإن الخيال قوة من قواها فما برحت أرواحها منها أو مما كان منها فاعلم ذلك فأرض الله التي هي ركن موجودة وأنت فيها مدفون وما أمرت بعبادة ربك وما دمت في أرض بدنك الواسعة مع وجود عقلك وسراج شرعك فأنت مأمور بعبادة ربك فهذه الأرض البدنية لك على الحقيقة أرض الله الواسعة التي أمرك أن تعبد فيها إلى حين موتك ومن مات فقد قامت قيامته وهي القيامة الجزئية وهو قوله وفيها نعيدكم فإذا فهمت القيامة الجزئية بموت هذا الشخص المعين علمت القيامة العامة لكل ميت كان عليها فإن مدة البرزخ هي للنشأة الآخرة بمنزلة حمل المرأة الجنين في بطنها ينشئه الله نشأ بعد نشأ فتختلف عليه أطوار النشأ إلى أن يولد يوم القيامة فلهذا قيل في الميت أنه إذا مات فقد قامت قيامته أي ابتداء فيه ظهور نشأة الأخرى في البرزخ إلى يوم البعث من البرزخ كما يبعث من البطن إلى الأرض بالولادة فتدبير نشأة بدنه في الأرض زمان كونه في البرزخ ليسويه ويعدله على غير مثال سبق مما ينبغي للدار الآخرة فيعبد فيها أعنى في أرض نشأته الأخرى عباداً ذاتية لا عبادة تكليف فإن الكشف يمنعه أن يكون عبداً لغير من يستحق أن يكون له عبداً كما ينال هذا المقام رجال الله هنا ولما خلق الله أرض بدنك جعل فيها كعبة وهو قلبك وجعل هذا البيت الغلي أشرف البيوت في المؤمن فأخبر أن السموات وفيها البيت المعمور والأرض وفيها الكعبة ما وسعته وضاقته عنه ووسعه هذا القلب من هذه النشأة الإنسانية المؤمنة والمراد هنا بالسعة العلم بالله سبحانه فهذا يدل على أنها الأرض الواسعة وأنها أرض عبادتك فتعبد كأنك تراه من حيث بصرك محجوب أن يدركه بصرك فإنه في الباطن منك فتعبد الله كأنك تراه في ذاتك كما يليق بجلاله وعين بصيرتك تشهده فإنه ظاهر ظهور علم بعين بصيرتك وكأنك تراه من حيث بصرك فتجمع في عبادتك بين الصورتين بين ما يستحقه تعالى من العبادة في الخيال وبين ما يستحقه من العبادة في غير موطن الخيال فتعبد مطلقاً ومقيداً وليس ذلك لغير هذه النشأة فلهذا جعل هذه النشأة المؤمنة حرمة الحرم وبيته المعظم المكرم وقد أشرت إلى هذا المعنى بقولي

قد زال عنه كله

وأنت منه ظله

فالأمر حق كله

فالحل لا يحله

فإنه يجله

من كان حقاً كله

فالحق شخص قائم

أو أنت فيه ظله

حرامه محترم

عن كل ما لا ينبغي

فكل من في الوجود من المخلوقات يعبد الله على الغيب إلا الإنسان الكامل المؤمن فإنه يعبد على المشاهدة ولا يكمل العبد يعبد على المشاهدة ولا يكمل العبد إلا بالإيمان فله النور الساطع الذي يزيل كل ظلمة فإذا عبده على الشهادة رآه جميع قواه فما قام

بعبادته غيره ولا ينبغي أن يقوم بها سواه فما ثم من حصل له هذا المقام إلا المؤمن الإنساني فإنه ما كان مؤمناً إلا بربه فإنه سبحانه المؤمن واعلم أنك إذا لم تكن بهذه المترلة ومالك قدم في هذه الدرجة فأنا أدلك على ما يحصل لك به الدرجة العليا وهو أن تعلم أن الله ما خلق الخلق على مزاج واحد بل جعله متفاوت المزاج وهذا مشهود بالبديهة والضرورة لما بين الناس من التفاوت في النظر العقلي والإيمان وقد حصل لك من طريق الحق أن الإنسان مرآة أخيه فيرى منه ما لا يراه الشخص من نفسه إلا بوساطة مثله فإن الإنسان محبوب بمهواه متعشق به فإذا رأى تلك الصفة من غيره وهي صفته أبصر عيب نفسه في غيره فعلم قبحها إن كانت قبيحة أو حسننها إن كانت ذات حسن واعلم أن المرائي مختلفة الأشكال وأما تصوير المرائي عند المرائي بحسب شكلها من طول وعرض واستواء وعوج واستدارة ونقص وزيادة وتعدد وكل شيء يعطيه شكل تلك المرآة وقد علمت أن الرسل أعدل الناس مزاجاً لقبولهم رسالات ربهم وكل شخص منهم قبل من الرسالة قدر ما أعطاه الله في مزاجه في التركيب فما من نبي إلا بعث خاصة إلى قوم معينين لأنه على مزاج خاص مقصور وأن محمد صلى الله عليه وسلم ما بعثه الله إلا برسالة عامة إلى جميع الناس كافة ولا قبل هو مثل هذه الرسالة إلا لكونه على مزاج عام يحوي على مزاج كل نبي ورسول فهو أعدل الأمزجة وأكملها وأقوم النشآت فإذا علمت هذا وأردت أن ترى الحق على أكمل ما ينبغي أن يظهر به لهذه النشأة الإنسانية فاعلم أنك ليس لك ولا أنت على مثل هذا المزاج الذي لحمد صلى الله عليه وسلم وأن الحق مهما تجلى لك في مرآة قلبك فإنما تظهر لك مرآتك على قدر مزاجها وصورة شكلها وقد علمت نزولك عن الدرجة التي صحت لمحمد صلى الله عليه وسلم في العلم بربه في نشأته فالزم الإيمان والاتباع واجعله أمامك مثل المرآة التي تنظر فيها صورتك وصورة غيرك فإذا فعلت هذا علمت أن الله تعالى لا بد أن يتجلى لمحمد صلى الله عليه وسلم في مرآته وقد أعلمتك أن المرآة لها أثر في ناظر المرائي في المرائي فيكون ظهور الحق في مرآة محمد صلى الله عليه وسلم أكمل ظهور وأعدل له وأحسنه لما هي مرآته عليه فإذا أدركته في مرآة محمد صلى الله عليه وسلم فقد أدركت منه كمالاً لم تدركه من حيث نظرك في مرآتك ألا ترى في باب الإيمان وما جاء في الرسالة من الأمور التي نسب الحق لنفسه بلسان الشرع مما تحيله العقول ولولا الشرع والإيمان به لما قبلنا من ذلك من حيث نظرنا العقلي شيئاً ألبتة بل نرده ابتداءً ونجهل القائل به فكما أعطاه بالرسالة والإيمان ما قصرت العقول التي لا إيمان لها عن إدراكها ذلك من جانب الحق كذلك قصرت أمزجتنا ومرائي عقولنا عند المشاهدة عن إدراك ما تجلى في مرآة محمد صلى الله عليه وسلم أن تدركه في مرآتها وكما آمنت به في الرسالة غيباً شهدته في هذا التجلي النبوي عيناً

لما كان الذي كانا

من الرحمن مولانا

وسمي ذلك تبياناً

وفرقاناً وقرآناً

ب بالأفكار برهانا

وإيماناً وإحساناً

به ليراه محساناً

فلولاه ولولانا

ولا جاءت رسالات

بأخبار وأحكام

وتوراة وإنجيلاً

وسماه أولو الألبا

وثلت ذاك إسلاماً

فسبحان الذي أسرى

وخص بصورة الرحم

وجاءت رسله تترى

وأعطانا وحابانا

وجنات وأنهارا

وكشفاً ثم إلهاداً

ن من سماه إنسانا

زرافات ووحدا

هنا ما شاء كتماننا

وروحاً ثم ريحانا

وإسراراً وإعلاناً

فقد نصحتك وأبلغت لك في النصيحة فلا تطلب مشاهدة الحق إلا في مرآة نبيك صلى الله عليه وسلم واحذر أن تشهده في مرآتك أو تشهد النبي وما تجلى في مرآته من الحق في مرآتك فإنه يتزل بك ذلك عن الدرجة العالية فالزم الاقتداء والاتباع ولا تطأ مكاناً لا ترى فيه قدم نبيك فضع قدمك على قدمه إن أردت أن تكون من أهل الدرجات العلى والشهود الكامل في المكانة الزلفى ولقد أبلغت لك في النصيحة كما أمرت والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وفي هذا المنزل من العلوم علم مرتبة الحسبان والظنون وعلم التقدير الإلهي وفيه علم الأسرار الخفية عن أكثر الناس وفيه علم الأفراد وفيه علم الملاحم وفيه علم المسابقة وأين حلبة المسابقة التي بين الله وبين عباده وهو علم شريف فيه من الرحمة الإلهية ما لا يصفه واصف وفيه علم الرد على من يقول بإنفاذ الوعيد وشمول الرحمة للجميع وذلك أن الإنسان إذا عصى فقد تعرض للانتقام والبلاء وأنه جار في شأو الانتقام بما وقع منه وأن الله يسابقه في هذه الحلبة من حيث ما هو غفار وعفو ومتجاوز ورحيم ورؤف فالعبد يسابق بالمعاصي والسيئات الحق تعالى إلى الانتقام والحق أسبق فيسبق إلى الانتقام قبل وصول العبد بالسيئات إليه فيجوز به بالغفار وأخواته من الأسماء فإذا وصل العبد إلى آخر الشأو في هذه الحلبة وجد الانتقام قد جازه الغفار وحال بينه وبين العصاة وهم كانوا يحكمون على أنهم يصلون إليه قبل هذا وهو قوله تعالى في العنكبوت أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا أي يسبقون بسيئاتهم مغفرتي وشمول رحمتي ساء ما يحكمون بل السبق لله بالرحمة لهم هذا غاية الكرم وهذا لا يكون إلا في الطائفة التي تقول بإنفاذ الوعيد فيمن يموت على غير توبة فإذا مات العاصي تلقته رحمة الله في الموطن الذي يشاء الله أن تلقاه فيه وفيه علم قول النبي صلى الله عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ولم يقل لم يلقه فما كره الله إلا لقاءه الذي كره وهو أن يلقاه آخذاً له على جريمته ومنتمماً فكره الله أن يلقاه بما كره هذا المسيء فلقبه تعالى بالمغفرة والرضوان لأنه علم أنه ما كره لقاء الله مع كونه مؤمناً بقاءه إلا لما هو عليه من المخالفة فكرهه الله لقاءه بما تستحقه المخالفة من العقوبة فلقبه بالعفو والمغفرة وفيه علم ما تستحقه الذات لنفسها لا من حيث اتصافها بأثامها إله وفيه علم أن رد الأمور كلها وإن كانت لله فإن الله بعد وقوفه عليها بردها بما شاء على عباده وفيه علم إرسال الستور بين النفوس المؤمنة وبين المخالفات ومن خالف منهم أرسلت الستور بينه وبين العقوبات وفيه علم معاملة الله عباده بما يوافق أغراضهم وفيه علم منزلة الأسباب الموضوعة في العالم التي لها الآثار فيه وفيه علم ما تدعوه إليه الأسباب وما ينبغي أن يجيب منها وما ينبغي ألا يجيب وفيه علم إلحاق الأبعد بالأداني والأسافل بالأعالي في التحام ذلك وفيه علم جهل من يساوي بين الحق والخلق ومن جهل مراتب العالم عند الله وفيه علم التفسير والتمييز وفيه علم ما يعود على العامل من عمله وما لا يعود وفيه علم أعمار الأشياء وهو بقاء الشيء إلى زمان فساد صورته التي بزوالها يزول عنه الاسم الذي كان يستحقه جماداً كان أو نباتاً أو حيواناً وفيه علم الأخذ

الإلهي بالأسباب الكونية وأن كل مأخوذ به جند من جنود الله وفيه علم كون العالم آيات بعضه لبعض وفيه علم النصائح من المؤمنين وغير المؤمنين وفيه علم بيان العلم بالأدلة وفيه علم ما تمس الحاجة إليه في كل وقت وفيه علم الاعتبار وفيه علم الإرادة والمشئنة وفيه علم ما ينبغي أن يعتمد عليه في الأمور ومن لا يعتمد عليها وفيه علم من أراد بأخيه المؤمن سوءاً عاد عليه وهو سار في كل جنس من الأمم وفيه علم من استعجل صفة ما يكون في يوم القيامة هنا وما حكمه عند الله وفيه علم الهجرة والمهاجر وفيه علم الوهب من غير الوهب وفيه علم ما أدى الجاهل مع علمه أن يقول أن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين فانظر في هذا الخير الإلهي فإنه مبالغة منهم في التكذيب إذ لو احتمل عندهم صدق الرسول ما قالوا مثل هذا القول فإن النفوس قد جبلت على جلب المنافع لها ودفع المضار عنها وفيه علم الرفق بالأمم والادعاء عليهم من أنبيائهم وفيه علم العلم بالدار الآخرة والزمان الآخر ولماذا يرجع وما ثم شمس تطلع ولا ليل يقبل وفيه علم تنوع الأسباب وفيه علم مراتب من اتخذ من الآلهة دون الله وفيه علم فصل العلماء والحكماء الإلهيين وفيه علم ما ينبغي للمؤمن أن يثابر عليه وفيه علم الصناعة والصانع وفيه علم التنازع في الحديث ومراتب المتنازعين وفيه علم الحمل من الحكم من المعضل من المتشابه وفيه علم تعلق الإيمان بما ليس بحق مثل قوله والذين آمنوا بالباطل وفيه علم الداعي الذي يوجب استعجال طلب الشقا وفيه علم مواطن الإيمان والزلف وفيه علم مراتب الصبر والتوكل وفيه علم من عرف الحق واجتنبه وما يحمد من ذلك وما يذم كالحق المأمور باجتنابه كالغيبية وفيه علم البسط المحمود والمذموم وفيه علم من علم أمراً فقليل له ما تعلمه وفيه علم الحياة السارية في الموجودات وبطونها في الدنيا وظهورها في الآخرة وبأي بصر كشفها في الدنيا من كشفها وفيه علم الاضطراب وكيف يذهب بذهابه وفيه علم الطرق إلى الله وإن اختلفت فكلها حق وما يحمد منها ويذم وما يوصل إلى السعادة منها وما يحيد بسالكه عن سعادته مع كونه يصل إلى الله وفيه علم المعية الإلهية ومراتب الموجودات فيها فهذا بعض ما يحوي عليه هذا المتزل من العلوم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السادس والخمسون وثلاثمائة في معرفة منزل ثلاثة أسرار مكتمة

والسر العربي في الأدب الإلهي والوحي النفسي والطبيعي وهو من الحضرة المحمدية.

بذلت نفسي لنفسي كي أفوز بمن	قد كان عندي ولم أشعر بموضعه
حتى رأيت له شكلاً يماثلني	فغبت فيه بأمر من مشرعه
هل للنعيم به أو للتخلق بالأ	سماء فانظر إلى أحوال مبدعه
فإن يخاطبك الرحمن من كتب	بسر حكمته فاحضر عسر تعه

اعلم أيدكم الله أن الله تعالى لما عمر الخلاء بالعالم كله امتلاء به وخلق فيه الحركة ليستحيل بعضه لبعض وتختلف فيه الصور بالاستحالات لطبيعة الخلاء الذي ملأه من العالم ذلك الذي استحال إليه فلا يزال يستحيل دائماً وذلك هو الخلق الجديد الذي أكثر الناس منه في لبس وشك ومن علم هذا من أهل الله الذين أشهدهم الله ذلك عيناً في سرائرهم على استحالة الدنيا إلى الآخرة واستحالة الآخرة بعضها إلى بعض كما استحال منها ما استحال إلى الدنيا كما ورد في الخبر في النيل والفرات وسيحان وجيحان

أثما من أثمار الجنة استحالته فظهرت في الدنيا بخلاف الصورة التي كانت عليها في الآخرة ومن ذلك قوله بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة فاستحالت تربة في الدنيا في مساحة مقدرة معلومة وكذلك وادي محسر هو واد في النار استحال إلى الدنيا وآدم وحواء وإبليس من عالم الآخرة استحالوا إلى الدنيا ثم يستحيلون إلى الآخرة فتغير عليهم الصور بحسب ما تعطيه طبيعة المكان المتوهم الذي تنقلهم إليه الحركة فتؤثر فيهم روحاً كان أو جسماً متحيزاً كان أو غير متحيز والله محركه على الدوام ولو لا نحن ما تميزت آخرة من دنيا فإن الله ما اعتبر من العلم في هذه الإضافة إلا هذا النوع الإنساني والجان فجعل الظهور للإنس من اسمه الباطن وجعل الباطن للجان من اسمه الباطن وما عداهما فمسخر لهما كما هو في نفسه مسخر لبعضه لبعض من أجل الدرجات التي أنزلهم فيها فأعطتهم الدرجات صور ما استحالوا إليه لما نقلتهم الحركة الإلهية إليها ولما لم تظهر لأعياننا إلا هنا سميت هذه الدار دار الدنيا والأولى وسميت الحياة الدنيا فإذا استحلنا إلى البرزخ واستحلنا من البرزخ إلى الصور التي يكون فيها النشر والبعث سميت تلك الآخرة ولا يزال الأمر في الآخرة في خلق جديد منها فيها أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار إلى ما لا يتناهى فلا نشاهد في الآخرة إلا خلقاً جديداً في عين واحدة فالعالم متناه لا متناه ولما كان الأمر هكذا لذلك يرى الإنسان نفسه إذا هو نام في الجنة أو في القيامة أو غيره مكانه وبلده مما يعرفه أو يجهله وفي غير صورته وفي غير حاله فقد استحال في نفسه بحركته التي نقلته من اليقظة إلى النوم إلى صور يعهدها في أوقات ولا يعهدها في أوقات إلى أحوال محمودة حسنة يسر بها وأحوال مذمومة قبيحة يتألم لها ثم تسرع إليه الاستحالة فيرجع إلى اليقظة إما باستيفاء المعنى الذي استحال إليه في النوم فلم يبق فيه ما يعطيه في تلك الاستحالة الخاصة وهو الذي ينتبه من غير سبب وهو الانتباه الطبيعي لما أخذت النفس للعين حقها من النوم الذي فيه راحتها فإن انتقل من النوم إلى اليقظة بسبب أما من جهة الحس وإما من أمر مفزع أو حركة ما مزعجة ظهرت منه في حال نومه فاستيقظ فإن وافق ذلك الأمر استيفاء العين حقها من النوم الطبيعي كان وإن لم يوافق وبقي من حق العين بقية لولا ذلك السبب لاستوقاها فإنه يستوفيها في نوم آخر ولذلك بعض النائمين يطول نومهم في وقت وسبب طوله ما ذكرناه وأما قصر نومه فلا أحد أمرين وهو ما ذكرناه إمال لسبب يوقظه أو لاستيفاء العين حقها من تلك النومة الخاصة من أجل المزاج الذي يكون عليه فإنه لا يستوي مزاج المتعوب ومزاج المستريح فالتعوب يطلب من الراحة ما يزيل به ذلك التعب فيستغرقه النوم ويطول لأنه يجب استيفاء الراحة فلا يوقظه قبل الاستيفاء إلا أحد ثلاثة أشياء أو كلها أو بعضها على حسب ما يقع إما بأمر مزعج يراه في نومه أو يوقظه أحد من المتيقظين قصد أو صيحة عظيمة أو حركة أو ما كان من هذه الأسباب في عالم الحس مقصوداً لانتباهه أو غير مقصود بل يقع بالاتفاق والأمر الثالث أن تكون النفس متعلقة الخاطر بقضاء مشغل ما تحب أن تفعله فتنام على ذلك الخاطر وهو متعلق بذلك الأمر فيزعجه فينتبه قبل استيفاء حقه من النوم وليس المقصود مما ذكرناه إلا تعريفك بأن العالم لا يخلو في كل نفس من الاستحالة ولو لا أن عين الجوهر من الذي يقبل هذه الاستحالة في نفسه واحد ثابت لا يستحيل من حيث جوهره ما علم حين يستحيل إلى أمر ما ما كان عليه من الحال قبل تلك الاستحالة غير أن الاستحالات قد يخفى بعضها ويدق وبعضها يكون ظاهراً تحس به النفس كاستحالة خواطرها وحركاتها الظاهرة وأحوالها وتدق وتخفى كاستحالاتها في علومها وقواها

وألوان المتلونات بتجديد أمثالها فهي لا تدرك ذلك الأمر إلا من كان من أهل الكشف فإنه يدرك ذلك وأزال عنه الكشف ذلك اللبس الذي أعمى غيره عن إدراك هذا الأمر فإن قلت فهذه الصورة التي يستحيل إليها جواهر العالم ما هي قلنا الممكنات ليس غيرها هي في شئئية ثبوتها وهي قوله تعالى إنما قولنا لشيء إذا أردناه فإذا ظهر عن قوله كن ليس شئئية الوجود وهو قوله وقد

خلقتك من قبل ولم تك شيئاً أي قدرتك أي ما كانت لك شيئية الوجود وهي على الحقيقة شيئية الظهور ظهور لعينه وإن كان في شيئية ثبوته ظاهراً متميزاً عن غيره بحقيقته ولكن لربه لا لنفسه فما ظهر لنفسه إلا بعد تعلق الأمر الإلهي من قوله كن بظهوره لنفسه فعرف نفسه وشاهد عينه فاستحال من شيئية ثبوته إلى شيئية وجوده وإن شئت قلت استحال في نفسه مع كونه لم يكن ظاهراً لنفسه إلى حالة ظهر بها لنفسه بتقدير العزيز العليم فالعالم كله طالع غارب وفلك دائر ونجم سابح ظاهر بين طلوع وغروب عن وحي إلهي وهو ما يتوجه عليه من أمر بظهور وخفاء ووحى نفسي وهو ما يطلبه منه الحق وما يطلب من الحق تعالى فيوحي إلى الحق كما أوحى الحق إليه فيعمل الحق بما أوحى إليه عبده وقتاً وقد لا يعمل وقتاً كما أن العبد إذا أوحى الحق إليه فأمره بشيء يعمل أو يتركه فيطيعه وقتاً ويعصيه وقتاً فظهر الحق للمكلف بصورته في العطاء والإبابة فما رأى العبد في الحق إلا صورته فلا يلو من إلا نفسه إذا دعا الحق في أمر فلم يجبه ألا ترى إلى الملائكة لما لم يعصوا الله تعالى فيما دعاهم إليه من فعل كما أخبر عنهم ما دعوه في شيء إلا أجابهم لأهم ليسوا على صورة منع مما دعاهم الحق إليه والعالم لا يشهد من الحق إلا صورة ما هو عليه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فيمن يقول آمين بعد قراءة الفاتحة من وافق تأمينة تأمين الملائكة غفر له لأن تأمين الملائكة مقبول عند الله مجاب فوافق زمان الإجابة للملائكة فحصلت له الإجابة بحكم التبعية إلا أن يكون وقته وقت إجابة له جزاء لما امتثل من أمر الحق في وقت ما والأصل في العالم قبول الأمر الإلهي في التكوين والعصيان أمر عارض عرض له نسي وفي الحقيقة ما عصى الله أحد ولا أطاعه بل الأمر كله لله وهو قوله وإليه يرجع الأمر كله فأفعال العباد خلق لله والعبد محل لذلك الخلق فالعالم كله محصور في ثلاثة أسرار جوهره وصوره والاستحالة وما ثم أمر رابع فإن قلت فمن أين ظهر حكم الاستحالة في العالم من الحقائق الإلهية قلنا أن الحق وصف نفسه بأنه كل يوم هو في شأن والشؤون مختلفة ووصف نفسه بالفرح بتوبة عبده ولم يفرح بها قبل كونها وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم أن الله لا يمل حتى تملوا وذكر عنه العارفون به وهم الرسل عليهم السلام أن الله تعالى يغضب يوم القيامة غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله كما يليق بجلاله فقد نعتوه بأنه كان على حالة قبل هذا الغضب لم يكن فيها منعوتاً بهذا الغضب وقد ورد في الصحيح تحوله في الصور يوم القيامة إذا تجلى لعباده والتحول هو عين الاستحالة ليس غيرها في الظهور ولو لا ذلك ما صح للعالم ابتداء في الخلق وكان العالم مساوقاً لله في الوجود وهذا ليس بصحيح في نفس الأمر فكما قبل تعالى الظهور لعباده في صور مختلفة كذلك أيضاً لم يخلق ثم خلق فكان موصوفاً في الأزل بأنه عالم قاد رأي متمكن من إيجاد الممكن لكن له أن يظهر في صورة إيجاداً وأن لا يظهر فظهر في إيجاد صورة الممكن لما شاء ولا فرق بين الممكنات في النسبة إليه سبحانه ونحن نعلم أن زيدا ما أوجده الله مثلاً إلا أمس أو الآن فقد تأخر وجوده مع كون الحق قادراً فكذلك يلزم الحكم في أول موجود من العالم أن يكون الله يتصف بالقدرة على إيجاد الشيء وإن لم يوجده كما أنك قادر على الحركة في وقت سكونك وإن لم تتحرك ولا يلزم من هذا محال فإنه لا فرق بين الممكن الموجود الآن المتأخر عن غيره وبين الممكن الأول فإن الحق غير موصوف بإيجاد زيد في وقت عدم زيد فالصورة واحدة إن فهمت غير أن إطلاق لفظ الاستحالة لا يطابق على الله وإن كان قد أطلق على نفسه التحول فتقف عنده مع معقولية ما ذكرناه فما ثم إلا الله والتوجه وقبول الممكنات لما أراد الله بذلك التوجه فهذه ثلاثة لا بد منها ومن ظهور حكمها فالغروب لا يكون إلا عن طلوع من طالع ثم غروب والظهور لا يكون إلا من

بطون لا عن بطون وأعني بقولي لا عن بطون أنه لم يكن ظاهراً ثم بطن ثم ظهر عن ذلك البطون بل لم يزل باطناً ثم أظهره الله فظهر لنفسه لما كان الوصف النفسي للموصوف لا يتمكن رفعه إلا ويرتفع معه الموصوف لا عين الموصوف ليس غيره وكان تقدم العدم

للممكنات نعتاً نفسياً لأن الممكن يستحيل عليه الوجود أزلاً فلم يبق إلا أن يكون أزلي العدم فتقدم العدم له نعت نفسي والممكنات متميزة الحقائق والصور في ذاتها لأن الحقائق تعطي ذلك فلما أراد الله أن يلبسها حالة الوجود وما ثم إلا الله وهو عين الوجود وهو الموجود ظهر تعالى للممكنات باستعدادات الممكنات وحقائقها فرأت نفسها بنفسها في وجود موجدتها وهي على حالها من العدم فإن لها الإدراكات في حال عدمها كما أنها مدركة للمدرك لها في حال عدمها ولذا جاء الشرع أن الله يأمر الممكن بالتكوين فيتكون فلولا أن له حقيقة السمع وأنه مدرك أمر الحق إذ توجه عليه لم يتكون ولا وصفه الله بالتكون ولا وصف نفسه بالقول لذلك الشيء المنعوت بالعدم فكذلك للممكن جميع القوى التي يدرك بها المدركات التي تخص هذه الإدراكات فلما أمرها بالتكوين لم تجد وجوداً تتصف به إذ لم يكن ثم إلا وجود الحق فظهرت صوراً في وجود الحق فلذلك تداخلت الصفات الإلهية والكونية فوصف الخلق بصفات الحق ووصف الحق بصفات الخلق فمن قال ما رأيت إلا الله صدق ومن قال ما رأيت إلا العالم صدق ومن قال ما رأيت شيئاً صدق لسرعة الاستحالة وعدم الثبات فيقول ما رأيت شيئاً ومن قال ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله فهو ما قلنا أن للممكن إدراكاً في حال عدمه فإذا جاء الأمر الإلهي بالتكوين لم يجد إلا وجود الحق فظهر فيه لنفسه فرأى الحق قبل رؤية نفسه فلما لبسه وجود الحق رأى نفسه عند ذلك فقال ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله أي قبل أن يتكون فيه فيقبل الحق صورة ذلك الشيء فمن لم يعلم الأمر هكذا وإلا فما علم الحق ولا الخلق ولا هذه النسب فكل شيء هالك بالصورة للاستحالات إلا وجهه والضمير في وجهه يعود على الشيء فالشيء هالك من حيث صورته غير هالك من حيث وجهه وحقيقته وليس إلا وجود الحق الذي ظهر به لنفسه له الحكم أي لذلك الشيء الحكم في الوجه فتختلف عليه الأحكام باختلاف الصور وإليه ترجعون في ذلك الحكم أي إلى ذلك الشيء يرجع الحكم الذي حكم به على الوجه فالحكم والتحكيم للإحالة لأنها المقصود لا محالة فما ثم إلا هلاك وإيجاد في عين واحدة لا تبديل إلا لله ولا تبديل لخلق الله لا تبديل لكلمات الله بل التبديل له كما له الأمر من قبل ومن بعد يقضي بذلك كونه أخبر عن نفسه أنه الأول والآخر من عين واحدة فليس إلا صور ظاهر هنا وفي البرزخ والآخرة وهو الذي جاء به قولنا إنا مردودون في الحافره توهموا ذاك وما حققوا لذلك قالوا كره خاسره فلو رأوها لرأوا أنها ليست سوى أعيانها الظاهرة فما أحالوها ولا عرجوا عنها لكونهم ما نظرت أعينهم إلا إليها فكيف ينكرون ما رأوه أو يجحدون عن نفوسهم ما يتقنوه ومن لم يكن له هذا الإدراك فقد حرم العلم والمعرفة التي أعطها الشهود والكشف وفي هذا المتزل من العلوم علم المعجزات وعلم الطمس وعلم التتالي وتتابع الموجودات في الخلق وفيه علم اليقين وفيه علم ما يحصل بالخبر وفيه علم ما يحمد ويذم وفيه علم الغضب ولا يقع إلا ممن لم يعط الأمور حقها في حدودها وفيه علم الرحمة بالضعفاء والخلق كلهم ضعفاء بالأصالة فالرحمة تشملهم وفيه علم ورث الكون للأسماء الإلهية وفيه علم التمكين وفيه علم الإشهاد وفيه علم البيان لتمييز ما يحذر وما لا يحذر وفيه علم إلحاق الإنان بالذكور وهو إلحاق المنفعل بالفاعل من حيث ما ينفع عنه منفعل آخر حتى ينتهي الأمر إلى منفعل آخر لا ينفع عنه منفعل كما ينتهي الأمر من الطرف الآخر إلى فاعل لا يكون منفعلاً عن فاعل وهو الحق تعالى وفيه علم اختلاف الوجوه في العين الواحدة وفيه علم الآثار وما تعطي العالم بها من العلوم ومن هنا أخذ السامري القبضه من أثر جبريل فلولا علمه بما تعطي الآثار وما فعل ومن هذا الباب الذين يقصون الأثر في طلب الشيء ومن هذا الباب تعرف أقدام السعداء من أقدام الأشقياء إذا رأى صاحب هذا العلم وطأهم في الأرض وإن لم ير أشخاصهم فإذا رأى أثر أرجلهم حكم عليهم بما يظهر له وفيه علم التعريض وقولهم في المثل السائر أن في المعارض لمندوحة عن الكذب وفيه علم التورية ولذلك كان صلى الله عليه وسلم إذا أراد غزو جهة ورى بغيرها وفيه علم ما تعطي

الأسباب من الحكم في العالم وفيه علم حكم الأحوال على الرجال الأقوياء بل حكم الأحوال على كل شيء ومن هذا الباب رضى الله عن المطيع وغضبه على من يشاء من العصاة وفيه علم من أين نصر الشخص من يشبهه في الصفة إذا تعدى عليه آخر وهو ضد لمائله بالجد الذي ركب الله عليه ويظهر ذلك في الحيوان كثيراً وفيه علم الأسباب التي تورث الالتجاء إلى الله عز وجل وهي أسباب القهر وفيه علم سفر الخواطر وسفر الأجسام وما ينتج كل سفر منها وفيه علم من أين يترك الإنسان طلب ما هو محتاج إليه بالطبع مثل قول بعضهم في أن الفقير من ليست له إلى الله حاجة وهذا وإن كان لفظه في غاية القبح فهو من جهة المعنى في غاية الحسن لأنه أرفع درجات التسليم وصاحب هذا المقام هو الذي اتخذ الله وكياً لعلمه بأنه تعالى أعلم بما يصلح لهذا العبد فلا يعين له العبد حاجة لجهله بالمصالح والفقير ليست له حاجة معينة بل رد أمره كله إلى الله وفيه علم ما ينتج من له هذا المقام وكان حاله وفيه علم من عرف مقدار النساء ومترلتهم في الوجود ولهذا حبهن الله لحمد صلى الله عليه وسلم فإنه من أسرار الاختصاص ولما علم الله موسى عليه السلام قدر هذا استأجر نفسه في مهر امرأة عشر سنين وأعني بالنساء الأنوثة السارية في العالم وكانت في النساء أظهر فلهذا حبيت لمن حبيت إليه فإن النظر العقلي لا يعطي ذلك لبعده عن الشهوة الطبيعية وما علم هذا العقل أنه ما تتره عن الشهوة الطبيعية الحيوانية في زعمه إلا بالشهوة الطبيعية فما زهد في شيء إلا بما زهد فيه فما خرج عن حكمه وهذا أجهل الجاهلين ولو لم يكن من شرف النساء إلا هيئة السجود لهن عند النكاح والسجود أشرف حالات للعبد في الصلاة ولولا خوفاً أن أثير الشهوة في نفوس السامعين فيؤدي ذلك إلى أمور يكون فيها حجاب الخلق عما دعاهم الحق إليه لجهلهم بما كنت أذكره في ذلك ولكن له مواطن يستعمل فيها لأظهرت من ذلك ما لا يظهر على فضله فضل شيء ولذلك قرن معه حب الطيب والصلاة ومن أسماء الله تعالى الطيب ولو نظرت فيما أنتج الله من الكلام الإلهي لموسى عليه السلام حين خرج ساعياً لأهله لما كانوا يحتاجون إليه من النار فبسعيه على عياله واستفراغه ناداه الحق وكلمه في عين حاجته وهي النار فقال له أن يورك من في النار ومن حولها وفيه علم وجود الحق في عين الخلاف كما يوجد في عين الاتفاق لمن عقل وفيه علم افتقار الأعلى إلى الأدنى وحاجته إليه وهذا العلم من أصعب العلوم لدقة ميزانه فإنه ما كل أحد يقدر وزن بهذا الميزان ولا سيما في قوله وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون فمن أي شيء تحفظ في قوله ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ونحن نعلم أنه لا يطعم ولا يطلب الرزق من عباده بل هو الرزاق ذو القوة لما كانت القوة فينا للغذاء فقال أن يطعمون فتكون قوتي مما طعمت بل لي القوة من غير غذاء ولا طعام وفيه علم الإمامة في العالم وأنه لا يجتمع أمر العالم إلا بها ولا تكون المصالح إلا بها وفيه علم تعليم العلم وفيه علم الغيب الإضافي وما ثم غيب مطلق وفيه علم من طلب شيئاً فلما أعطيه رده ولم يقبله فما السبب الذي حمل الطالب على طلبه وما السبب الذي جعله يرده ولا يقبله فينبني على هذا علم السبب المؤدي إلى الطلب على الإطلاق من غير تخصيص طالب من طالب وفيه علم ما يتبع الشخص إلا من له الحكم فيه وما يحكم فيه إلا من له التعشق به وهذا اتباع الاختيار لا اتباع الجبر فإن اتباع الجبر قد لا يكون له حكم ما ذكرناه وإن كان العاشق مجبوراً للعشق القائم به ولكن الفرق ظاهر بين الحركتين وفيه علم التوصيل وما ينتج وفيه علم الأصناف الذين يضاعف لهم العطاء في الآخرة وفيه علم ما ينبغي أن يطلب له العالم وفيه علم ما يحذر من الاتباع وما لا يحذر وما يذم من الحذر وما لا يذم وفيه علم السبب الموجب لهلاك ما يهلك من العالم وفيه علم المفاضلة في العالم بالمراتب وفيه علم الأنساب والأحساب وما يقع به الشرف في الانتساب وما لا يقع منه النقص صلى الله عليه وسلم عن الطعن في الأنساب وفيه علم الأهوال الشاغلة وفيه علم الجبر ومن هو المجبور وفيه علم

التزیه وفيه علم عواقب الشاء وأوائله وفيه علم الأحكام ولمن تنسب ومن يحكم بها وفيه علم التقدير الذي لم يقع لو وقع ما ينتج وهل ترك وقوعه من باب الرحمة بالعالم أم لا وفيه علم إقامة الحجج وفيه علم الابتلاء وما فائدته وفيه علم صنعة الكيمياء وفيه علم الاعتبار وفيه علم التمني وما يفيد منه وينفع المتمني وما لا يفيد ولا ينفع وفيه علم أهلية كل موجود لما أهل له وفيه علم من جازى بأفضل مما عمل له ومن أجاب بأكثر مما سئل عنه وفيه علم ما نهى عنه المؤمن هل هو بقاء على الأصل لأنه ترك ولماذا تأخر عن الأمر وكلاهما حكم الله والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب السابع والخمسون وثلاثمائة في معرفة منزل البهائم من الحضرة الإلهية

وقهرهم تحت سرين موسويين

إلا لأمر عظيم كله جل	هيهات ما تسدل الأستار والكلل
لما بدت نحل فينا ولا ملل	لو أن ما سترت يبدو لأعيننا
ولا دواء ولا طب ولا علل	ولا بدا عرض في طيه مرض
ولا التوسط منه لا ولا الثمل	ولا جديد تكون النفس تلبسه
وليس يدركها في ذلكم ملل	إن الستور ترى في العين صورتها
والحجب تبصر ما لا تبصر المقل	وأعين الكون خلف الستر ناظرة

اعلم أيدك الله أيها الطالب أن معرفة الأمور على ما هي عليه في أنفسها أنك لا تعلم ذلك إلا إذا أوقفك الله عليك من نفسك وأشهدك ذلك من ذاتك فيحصل لك ما طلبته ذوقاً عندما تقف عليه كشفاً ولا سبيل إلى حصول ذلك إلا بعناية أزلية تعطيك استعداداً تاماً لقبوله برياضات نفسية ومجاهدات بدنية وتخلق بأسماء إلهية وتحقق بأرواح طاهرة ملكية وتطهير بطهارة شرعية مشروعة لا معقولة وعدم تعلق بأكوان وتفرغ محل عن جميع الأغيار لأن الحق ما اصطفى لنفسه منك إلا قلبك حين نوره بالإيمان فوسع جلال الحق فعان من هذه صفته الممكنات بعين الحق فكانت له مشهودة وإن لك تكن موجودة فما هي له مفقودة وقد كشف لبصيرته بل لبصره وبصيرته نور الإيمان حين انبسط على أعيان الممكنات أنها في حال عدمها مرئية ومسموعة سامعة برؤية ثبوتية وسمع ثبوتي لا وجود له فعين الحق ما شاء من تلك الأعيان فوجه عليه دون غيره من أمثاله قوله المعبر عنه باللسان العربي المترجم بكن فأسمعه أمره فبادر المأمور فتكون عن كلمته لا بل كان عين كلمته ولم تزل الممكنات في حال عدمها الأزلي لها تعرف الواجب الوجود لذاته وتسبحه وتمجده بتسبيح أزلي وتمجيد قديم ذاتي ولا عين لها موجودة ولا حكم لها مفقود فإذا كان حال الممكنات كلها على ما ذكرناه من هذه الصفات التي لا جهل معها فكيف تكون في حال وجودها وظهورها لنفسها جماداً لا ينطق أو نباتاً بتعظيم خالقه لا يتحقق أو حيواناً بحاله لا يصدق أو إنساناً بربه لا يتعلق هذا محال فلا بد أن يكون كل ما في الوجود من ممكن موجود يسبح الله بحمده بلسان لا يفقه ولحن ما إليه كل أحد يتنبه فيسمعه أهل الكشف شهادة ويقبله المؤمن إيماناً وعبادة فقال تعالى وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً فجاء باسم الحجاب والستر وهو قوله غفوراً

وجاء بالاسم الذي يقتضي تأخير المؤاخذه إلى الآجل وعدم حكمها في العاجل وهو الحليم لما علم أن في عباده من حرم الكشف والإيمان وهم العقلاء عبيد الأفكار والواقفون مع الاعتبار فجازوا من الظاهر إلى الباطن مفارقين الظاهر فعبروا عنه إذ لم يكونوا أهل كشف ولا إيمان لما حجب الله أعينهم عن مشاهدة ما هي عليه الموجودات في أنفسها ولا رزقوا إيماناً في قلوبهم يكون له نور يسعى بين أيديهم وأما المؤمنون الصادقون أولوا العزم من الأولياء فعبروا بالظاهر معهم لا من الظاهر إلى الباطن وبالحرف عينه إلى المعنى ما عبروا عنه فرأوا الأمور بالعينين وشهدوا بنور إيمانهم النجدين فلم يتمكن لهم إنكار ما شهدوه ولا جحدوا ما تيقنوه فأسمعهم الله نطق الموجودات لا بل نطق الممكنات قبل وجودها فإنها حية ناطقة داركة بحياة ثبوتية ونطق ثبوتي وإدراك ثبوتي إذ كانت في أنفسها أشياء ثبوتية فلما قبلت شيئية الوجود قبلتها بجميع نعوتها وصفاتها وليس نعتها سوى عينها فهي في حال شيئية وجودها حية بحياة وجودية ناطقة بنطق وجودي داركة بإدراك وجودي إلا أن الله سبحانه أخذ بأبصار بعض عباده عن إدراك هذه الحياة السارية والنطق والإدراك الساري في جميع الموجودات كما أخذ الله ببصائر أهل العقول والأفكار عن إدراك ما ذكرناه في جميع الموجودات وفي جميع الممكنات وأهل الكشف والإيمان على علم مما هو الأمر عليه في هذه الأعيان في حال عدمها ووجودها فمن ظهرت حياته سمي حياً ومن بطننت حياته فلم تظهر لكل عين سمي نباتاً وجهاداً فانقسم عند المحجوبين الأمر وعند أهل الكشف والإيمان لم ينقسم فأما صاحب الكشف والشهود أهل الاختصاص فقد أعطاهم الشهود وما أعطى المحجوبين شهودهم فيقول أهل الشهود سمعنا ورأينا ويقول المحجوبون ما سمعنا ولا رأينا ويقول أهل الإيمان آمنا وصدقنا قال تعالى وإن من شيء إلا يسبح بحمده وشيء نكرة وقال ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب فذكر الجماد والنبات والحيوان الذين وقع فيهم الخلاف بين المحجوبين من أهل العقول والأفكار وبين أهل الشهود والإيمان وقال تعالى والله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة وقال ويسبح الرعد بحمده وقال والله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال وقال قالت غملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكاً من قولها وقال وعلمنا منطق الطير وقال عن الهدهد أنه قال لسليمان أي أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ نبأ يقين أي وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله فانظر فيما أعطى الله هذا الهدهد من العلم بالله فيما ذكره وقال تعالى أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم ثم أخبر أن طائفة من العباد لا توقن بذلك وتخرجه بالتأويل عن ظاهره فقال أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون أي لا يستقر الإيمان بالآيات التي هذه الآية منها في قلوبهم بل يقبلون ذلك إيماناً وطائفة منهم تتأول ذلك على غير وجهه الذي قصد له وقال صلى الله عليه وسلم يشهد للمؤذن مدى صوته من رطب ويابس وقال في أحد هذا جبل نجبنا ونحبه وقال إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث ثم أنه قد صح أن الحصى سبح في كفه وصح حنين الجذع إليه الذي كان يستند إليه إذا خطب الناس قبل أن يعمل له المنبر فلما صنع له المنبر تركه فحن إليه فترل من منبره وأتاه فلمسه بيده حتى سكن وصح أن كتف الشاة المسموم كلمه وقال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تكلم الرجل عذبة سوطه وتخبره فخذه بما فعل أهله بعده وثبت عنه في قتل اليهود في آخر الزمان إذا استتر اليهود خلف الشجر يقول الشجر يا مسلم هذا يهودي خلفي اقتله إلا شجرة الغرقد فإنها ملعونة لا تنبه على من يستتر بها من اليهود وهنا سر إلهي عجيب يعلم أن من الأشجار من راعى حق من استجار به اعتماداً من تلك الشجرة على رحمة الله ووفاء لحق الجوار وهو من الصفات الحمودة في كل طائفة وفي كل ملة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنة عمه أم هانئ قد أجرنا من أجزت يا أم

هانئ وكان مشركاً واليهود أهل كتاب على كل حال فهم أولى بأن يوفى لهم بحق الجوار وكان هذا من الله في حق هذه الشجرة التي استجار بها اليهود فسترهم ليتحقق عندنا قوله يختص برحمته من يشاء فجاء بلفظة من وهي نكرة فدخل تحتها كل شيء لأن كل شيء حي ناطق فدخل تحت قوله من لأن بعض النجاة يعتقدون أن لفظة من لا تقع إلا على من يعقل وكل شيء يسبح بحمد الله ولا يسبح إلا من يعقل من يسبحه ويثني عليه بما يستحقه فمن تقع على كل شيء إذ كل شيء يعقل عن الله ما يسبحه به فالله تعالى يرزقنا الإيمان إذا لم تكن من أهل العيان والكشف والشهود لهذه الأمور التي أعمى الله عنها أهل العقول الذين تعبدتهم أفكارهم وغير المؤمنين الذين طمس الله على قلوبهم فمن علم أن كل شيء ناطق ناظر إلى ربه لزمه الحياء من كل شيء حتى من نفسه وجوارحه فإن الله يقول يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وقال تعالى اليوم نختتم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون وأخبر تعالى عن بعض الناس المشهود عليهم أنهم يقولون للجلودهم أم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله يعني بالشهادة عليكم الذي أنطق كل شيء فيا ولي لا تكن الجلود أعلم بالأمر منك مع دعواك أنك من أهل العقل والاستبصار فهذه الجلود قد علمت نطق كل شيء وإن الله منطقته بما شاء ثم قال وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم أي هذا لا يمكن الاستتار منه لأنكم ما تعملون الذي تأتون من المنكرات إلا بالجوارح فإنها عين الآلة تصرفونها في طاعة الله أو معصيته فلا يتمكن لكم الاستتار عما لا يمكنك العمل إلا به ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون هذا خطاب لمن يعتقد أن الله لا يعلم الجزئيات خاصة ثم قال وذلکم ظنکم الذي بربكم أرداكم أي أهلككم فأصبحتم من الخاسرين والخسران ضد الربح وهو نقص من رأس المال لما كان الأمر تجارة اتصف بالربح والخسران يقول تعالى فما رجت تجارتهم وما كانوا مهتدين عقيب قوله أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فلما باعوا الهدى بالضلالة خسروا وقال هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ثم ذكر ما هي التجارة فقال تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيله وإنما عدل في هذه الأمور إلى التجارة دون غيرها فإن القرآن نزل على قرشي بلغة قريش بالحجاز وكانوا تجاراً دون غيرهم من الأعراب فلما كان الغالب عليهم التجارة كسى الله ذات الشرع والإيمان لفظ التجارة ليكون أقرب إلى أفهامهم ومناسبة أحوالهم وبعد أن أبنت لك عن الأمور على ما هي عليه إن كنت ذا نظر أو

إيمان فإني ما أخبرتك بمحال فلنقل بعد هذا البيان الشافي والإيضاح الكافي لأهل طريق الله خاصة وخاصته من عباده من مكاشف ومؤمن أن البهائم ما اختصت بهذا الاسم المشتق من الإبهام والمبهم إلا لكون الأمر بهم علينا فإننا قد بينا لك ما هي عليه من المعرفة بالله وبالموجودات وإنما سميت بذلك لما أنبهم علينا من أمرها فإبهام أمرها إنما هو من حيث جهلنا ذلك أو حيرتنا فيه فلم نعرف صورة الأمر كما يعرفه أهل الكشف فهي عند غير أهل الكشف والإيمان بهائم لما نبهم عليهم من أمرها لما يرون من بعض الحيوان من الأعمال الصادرة عنها التي لا تصدر إلا عن فكر وروية صحيحة ونظر دقيق يصدر منهم ذلك بالفطرة لا عن فكر ولا روية فأبهم الله على بعض الناس أمرهم ولا يقدر على إنكار ما يرونه مما يصدر عنهم من الصنائع المحكمة فذلك جعلهم يتأولون ما جاء في الكتاب والسنة من نطقهم ونسبة القول إليهم ليت شعري ما يفعلون فيما يرونه مشاهدة في الذي يصدر عنهم من الأفعال المحكمة كالعناكب في ترتيب الحبالات لصيد الذباب الذي جعل الله أرزاقهم فيه وما يدخره بعض الحيوان من أقواتهم على ميزان معلوم وقدر مخصوص وعلمهم بالأزمان واحتياطهم على أنفسهم في أقواتهم فيأكلون نصف ما يدخرونه خوف الجذب فلا يجدون ما يتقوتون به كالنمل فإن كان ذلك عن نظر فهم يشبهون أهل النظر فأين عدم العقل الذي ينسب إليهم وإن كان ذلك علماً ضرورياً

فقد أشبهونا فيما لا ندركه إلا بالضرورة فلا فرق بيننا وبينهم لو رفع الله عن أعيننا غطاء العمى كما رفعه الله عن أبصار أهل الشهود وبصائر أهل الإيمان وفي عشق الأشجار بعضها بعضاً التي لها اللقاح فإن ذلك فيها أظهر آيات لأهل النظر إذا أنصفوا واعلم أن العاقل كان من كان من أي أصناف العالم إن شئت إذا أراد أن يوصل إليك ما في نفسه لم يقتصر في ذلك التوصيل على العبارة بنظم حروف ولا بد فإن الغرض من ذلك إذا كان إنما هو إعلامك بالأمر الذي في نفس ذلك المعلم إياك فوقتاً بالعبارة اللفظية المنطوق بها في اللسان المسماة في العرف قولاً وكلاماً ووقتاً بالإشارة بيد أو برأس أو بما كان ووقتاً بكتاب ورقوم ووقتاً بما يحدث من ذلك المريد إفهامك بما يريد الحق أن يفهمك فيوجد فيك أثراً تعرف منه ما في نفسه ويسمى هذا كله أيضاً كلاماً كما قال تعالى أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم فأخبر أنها تكلمنا وذلك أنها خرجت من أجياد وهي دابة أهلك كثيرة الشعر لا يعرف قبلها من دبرها يقال لها الجساسة فتنفخ فتسم بنفخها وجوه الناس شرقاً وغرباً جنوباً وشمالاً براً وبحراً فيرتقم في جبين كل شخص ما هو عليه في علم الله من إيمان وكفر فيقول من سمته مؤمناً لمن سمته كافراً أعطني كذا وكذا وما يريد أن يقول له فلا يغضب لذلك الاسم لأنه يعلم أنه مكتوب في جبينه كتابة لا يمكنه إزالتها فيقول الكافر للمؤمن نعم أو لا في قضاء ما طلب منه بحسب ما يقع فكلامها المنسوب إليها ما هو في العموم سوى ما وسمت به الوجوه بنفختها وإن كان لها كلام مع من يشاهدها أو يجالسها من أي أهل لسان كان فهي تكلمه بلسانه من عرب أو عجم على اختلاف اصطلاحاتهم يعلم ذلك كله وقد ورد حديثها في الخبر الصحيح الذي ذكره مسلم في حديث الدجال حين دلت تميم الداري عليه وقالت له أنه إلى حديثك بالأشواق وهي الآن في جزيرة في البحر الذي يلي جهة الشمال وهي الجزيرة التي فيها الدجال واعلم انه ما من صورة في العالم الأسفل إلا ومثلها في العالم العلوي فصور العالم العلوي تحفظ على أمثالها في العالم السفلي الوجود ويؤثر فيها ما تجده من العلم بالأمور التي لا تقدر على إنكارها من نفسها لتحقيقها بما تجده فهذا أثر الصور العلويات الفلكيات في الصور السفليات العنصريات وتؤثر الصور العنصريات السفليات في الصور العلويات الفلكيات الحسن والقبح والتحرك بالوهاب لما تحتاج إليه بما هي عليه من الاستعدادات فلا تقدر الصور العلويات أن تحفظ نفسها عن هذا التأثير لأن لهذا خلقت وبين العالمين رقائق ممتدة من كل صورة إلى مثلها متصلة غير منقطعة على تلك الرقائق يكون العروج والتزول فهي معارج ومدارج وقد يعبر عنها بالمناسبات وبين تلك الصور العلويات الفلكيات وبين الطبيعة رقائق ممتدة عليها يتزل من الطبيعة إلى هذه الصور ما به قوام وجودها فإذا انصبغت بذلك أفاضت على

الصور السفليات العنصريات ما به قوام وجودها ولكن من حيث ما هي أجسام وأجساد لا غير ليحفظ عليها صورها وبين هذه الصور العلويات الفلكيات وبين النفس الكلية التي عبر عنها الشارع صلى الله عليه وسلم عن الله باللوح المحفوظ لما حفظ الله عليه ما كتب فيه فلم ينله محو بعد ذلك ولا تبديل فكل شيء فيه وهو المسمى في القرآن بكل شيء تسمية إلهية ومنه كتب الله كتبه وصحفه المنزلة على رسله وأنبيائه مثل قوله تعالى وكتبنا له في الألواح من كل شيء وهو اللوح المحفوظ موعظة وتفصيلاً لكل شيء وهو اللوح المحفوظ ففصلت الكتب المنزلة بحمله وأبانت عن موعظته فبين هذه الصور وبين هذه النفس رقائق ممتدة من حيث أرواحها المدبرة لصور أجسادها تتزل عليها العلوم والمعارف بما شاء الله إما من العلم به أو العلم بما شاء من المعلومات الموجودات والمعقولات فإذا حصلت أرواح هذه الصور العلويات الفلكيات ما شاء الله من العلوم التي هي لها بمنزلة الغذاء لصورها الجسمية فيه قوام وجودها ونعيمها ولذتها فإذا انصبغت بتلك الأنوار وتحققت بما أفاضت على نفوس الصور السفليات العنصريات من تلك العلوم بحسب ما قبله استعدادها فيتفاضلون في العلم لتفاضل الاستعداد ثم يعلم بعضهم بعضاً وليس التعليم الأرفع الحجب التي حجبها

استعدادهم عن قبول ذلك الفيض فكفى عن ذلك الرفع بالتعليم فلم يكن التعليم إلا من ذلك الفيض من تلك الصور العلويات الفلكيات كما يرفع المانع الذي يمنع الماء عن جريته فإذا رفعته جرى الماء في ذلك الموضع الذي كان المانع يمنع من جريته عليه ففتح هذا السد لم يجر الماء كذلك المعلم من هذه الصور السفليات لغيرها من أمثالها إنما رفع عنها حجاب الجهل والشك فانكشف لذلك الفيض الروحاني فقبلت من العلوم ما لم يكن عندها فتخيلت أن المعلم لها من رفع غطاء جهلها وليس الأمر كذلك فافهم وبين هذه الصور العلويات الفلكيات وبين الصور السفليات العنصرية رقائق ممتدة للأسماء الإلهية والحقائق الربانية وهي الوجوه الخاصة التي لكل ممكن الذي صدر منه عن كلمة كن بالتوجه الإرادي الإلهي الذي لا يعلمه المسبب عنه من غيره وإن كان له وجه خاص من نفسه يعلم ذلك أو يجهله ومن ذلك الوجه يفتر كل شيء إلى الله لا إلى سببه الكوني وهو السبب الإلهي الأقرب من السبب الكوني فإن السبب الكوني منفصل عنه وهذا السبب لا يتصف بالانفصال عنه ولا بالاتصال المجاور وإن كان أقرب في حق الإنسان من حب الوريد فقربه أقرب من ذلك فيعطي الله تعالى لكل صورة علوية وسفلية من العلوم الاختصاصية التي لا يعلم بها إلا ذلك المعطى له خاصة ما شاء الله وهذه هي علوم الأذواق التي لا تنقال ولا تنحكي ولا يعرفها إلا من ذاقها وليس في الإمكان أن يبلغها من ذاقها إلى من يم يذوقها وبينهم في ذلك تفاضل لا يعرف ولا يمكن أن يعرف عين ما فضله به فلما كان في العلم هذا الاختصاص كان ثم جنات اختصاص واعلم أنه ليس في المنازل ولا في المقامات منزل عم جميع العالم والإنسان إلا هذا المنزل فله عموم الرحمة في العلم لأن العالم في حقيقته قام على أربعة أركان في صورته الجسمية والروحانية فهو من حيث طبيعته مربع ومن حيث روحه مربع فمن حيث جسده ذو أربع طبائع عن أركان أربعة ومن حيث روحه عن أب وأم ونفخ وتوجه فجاءته الرحمة من أربعة وجوه لكل وجه رحمة تخصه فالرحمة التي تبقي عليه رطوبته حتى لا تؤثر عليها يبوسته غير الرحمة التي تحفظ عليه يبوسته لئلا تنفيتها رطوبته والرحمة التي تحفظ عليه برودته لئلا تنفيتها عليه حرارته حتى لا تنفيتها برودته فتمانعت فبقيت لهذا التمانع والتكافؤ صورة الجسم ما دام هذا التكافؤ والممانعة ومن هذا المنزل انبعثت هذه الرحمت الأربع فمن وقف عليها من نفسه علم مآله ومن لم يقف عليها من نفسه جهل حاله وإنما حجب الله من حجب عن شهودها حتى لا يتكلموا كما ورد في حديث معاذ وحديث عمر وكشفها الله للأمناء حيث علم منهم أنهم لا يؤدون الأمانة إلا لأهلها فإن الله قد خلق للعلم أهلاً بمثل هذا وجعل وصول العلم إليهم بمثل هذا على نوعين إما منه إليهم وإما من معلم قد علم أمانة غيره وهو أمين مثل ما علم من أمانته فألقى ذلك العلم إليه إذ كان من أهله وهو مأمور من الله تعالى بأداء الأمانة فإذا وقفت على هذه الرحمت من نفسك حالت بينك وبين كل ما يؤدي إلى بعدك عن الله تعالى وعن سعادتك واتصفت بالانقياد إلى الله في كل حال بما دعاك إليه هذا أثرها فيك إذا شاهدتها فتورثك الأدب الإلهي ولا يكون هذا الآتي بهذا العلم إليك إلا عالماً بك وبما تكون به حياتك وهو من الأرواح السيارة والملائكة أولى الأجنحة على طبقاتها في الأجنحة فأعلامهم أفلهم أجنحة وأفلهم أجنحة من له جناحان فإنه ما ثم من له جناح واحد لا مساعد له إما من جناح أو غيره وقد رأينا حيواناً على فرد رجل وقد خرج من صدره شبه درة المحتسب يحركه تحريك الجناح ويعدو بتلك الحركة ويحرك رجله الواحدة بحيث أن السابق من الخيل لا يلحقه ما بين القل وجيجل ببلاد المغرب ولهذا لما من لا مساعد له فمن الملائكة من له جناحان يتزلزلهما إلى قلب هذا العبد فإن أجنحة الملائكة للتزول لا للصعود وأجنحة أيدي ملك كريم مطيع لا يعصي الله ما أمره له جناحان يتزلزلهما إلى قلب هذا العبد فإن أجنحة الملائكة للتزول لا للصعود وأجنحة الأجسام العنصرية للصعود لا للتزول لأن الملائكة تجريب بطبعها الذي عليه صورة أجسامها إلى أفلاكها التي عنها كان وجودها

فإذا نزلت إلى الأرض نزلت طائفة بتلك الأجنحة وهي إذا رجعت إلى أفلاكها ترجع بطبعها بحركة طبيعية وإن حركت أجنحتها حتى أنها لو لم تحرك أجنحتها لصعدت إلى مقرها ومقامها بذاتها وأجسام الطير العنصري يحرك جناحه للصعود ولو ترك تحريك جناحه أو بسطه لتزل إلى الأرض بطبعه فما ييسر جناحه في التزول إلا للوزن في التزول لأنه إن لم يزن نزوله وبقي مع طبعه تأذى في نزوله لقوة حكم الطبع فحركة جناحه في التزول حركة حفظ فاعلم ذلك واعلم أن البهائم تعلم من الإنسان ومن أمر الدار الآخرة ومن الحقائق التي الوجود عليها ما يجهلها بعض الناس ولا يعلمه كما حكى عن بعضهم أنه رأى رجلاً ركباً على حمار وهو يضرب رأس الحمار بقضيب فنهاه الرائي عن ضربه رأس الحمار فقال له الحمار دعه فإنه على رأسه يضرب فجعله عين الحمار وعلم الحمار أنه مجازى. يمثل ما فعل معه وقوله دعه لما علم الحمار ما له في ذلك من الخير عند الله أو لعلمه أيضاً بأنه ما وفي له بحق ما خلق له من التسخير فعلم أنه مستحق بالضرب فنبه بذلك السامع له أن الشخص إذا لم يجيء بحق ما تعين عليه لصاحبه استحق الضرب أدباً وجزاء لما كان منه وهذه كلها وجوه محققة لصورة هذا الفعل والقول من هذا الحمار إلى غير ذلك من الوجوه التي يطلبها هذا الفعل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناقته لما هاجر إلى المدينة وبركت الناقة في فناء أبي أيوب الأنصاري فأراد من حضر من أصحابه صلى الله عليه وسلم أن يقيمها والنبي صلى الله عليه وسلم راكب عليها فقال دعوها فإنها مأمورة وقال حبسها حابس الفيل يعني عن مكة وحديث الفيل مشهور الصحة فجميع ما سوى الثقلين وبعض الناس والجان على بينة من ربهم في أمرهم من حيوان ونبات وجماد وملك وروح ويتضمن هذا المتزل من العلوم علم الأعداد وعلم الحروف وهو علم الأولياء كذا قال محمد بن علي الترمذي الحكيم وعلم الحمل وعلم الحمات المختصة بالإنسان وعلم التبيان وعلم البشائر وعلم مراتب الإيمان وعلم إقامة نشأة الأعمال من المكلفين وغير المكلفين وعلم التلقي الروحاني المظهر من الملقى الذي هو الحق لا الملك وعلم أداء حقوق الغير وعلم ما يكون من الله لمن مشى في حق أخيه وعلم تولي الحق ذلك بنفسه وعلم ما هي الحضرة الإلهية عليه من الأمان الذي لا يعلمه إلا العالمون بالله ذوقاً وعلم تقلب الأحوال فتتقلب لتقلبهم المواهب الإلهية وعلم الآيات والدلالات وعلم ماذا تدل واختلافها مع أحدية المدلول وعلم ما يحجب القلب عن العلم بالشيء مع وجود البيان في ذلك وعلم العناية الإلهية بوهب العلم وعلم ما يحصل من العلم بطريق الورث وعلم مراتب الحيوان وفيماذا يتفاضلون وما يكونون فيه على السواء وهل الإنسان يلحق بالحيوان أو هو نوع خاص وبماذا يختص عن الحيوان وقد علمنا أن كل حيوان فهو ناطق وعلم آداب الملوك وكيف ينبغي أن يكون الملك في ملكه ولنا في هذا الفن كتاب سميناه التديبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية وعلم النصائح لدفع الضرر والتوقي وعلم التوحيد الذي يختص بالبهائم وعلم جواز الكذب على كل ناطق مع العلم بأنه صادق ماعدا الثقلين فإنهما قد يكذبان في كثير مما يخبرون به وعلم اتخاذ الملوك الجواسيس وما ينبغي للجاسوس أن يظهر به الصفات في حال تجسسها وما يحمد من ذلك وإن كان كذباً وعلم مشورة الأعلى للأدنى مع علمه بأنه يصل إلى العلم بما يريد العلم به من غير مشورة وكون الحق تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه في الأمر الذي يعن له إذا لم يوحى إليه في شيء وعلم قول النبي صلى الله عليه وسلم تهادوا تحابوا وما للعتاء في النفوس من الأثر القادح في الإيمان هل هو محمود أو مذموم فإن الإحسان محبوب لذاته فهل المحسن مثل ذلك أم ينفصل عن الإحسان فإنها مسألة خطيرة عظيمة في إحسان من أمرك الله أن تعاديه فتقبل إحسانه من غير أن يؤثر فيك مودة له إثارةً لجناب الله وامتنالاً أمره وهذا هو خروج عن الطبع وهو صعب مشكل يمكن أن لا يتصور وقوعه وإن لم يظهر له حكم في الظاهر فإن الباطن لا يمكن له دفع ذلك وعلم الموازنة بين المحسنين فيما أحسنا فيه لشخص بعينه هل يقع للنفس وترجيح من حيث ما أحسنا به

لا من حيث الإحسان فإن وقع فيه تفاضل هان الأمر فيه على المؤمن العلم المشاهد إحسان الله العام المسخر وعلم الخواص والظهور به في موطن القرية إلى الله تعالى بذلك وعلم شكر المنعم وعلم ما تستحقه الربوبية مما لا يقع فيه اشتراك وعلم الالتباس للابتلاء وعلم النظر إلى المخطوبة وما أبيح للناظر أن ينظر منها شرعاً فإنه أمر بذلك وعلم صورة تعلم العلم وعلم الاعتراف بين يدي المعلم بالجهل وعلم الحيل والمكر والكيد وما يذم من ذلك وما يحمد وعلم الثناء المطلق والمقيد وهل ثم ثناء مطلق أو لا يصح ذلك بالحال وإن أطلقه اللفظ وعلم حصر ما يتقيد به الثناء من كل مثنى ومثنى عليه وفيه علم التخيير من العالم بالحق وفيه علم منزلة الأرض وما زينت به وفيه علم سبب إجابة الله دعاء الكافر والمشرک ومتى يوحد المشرک ربه وفيه علم اندراج النور في الظلمة وفيه علم الخلق والرزق وفيه علم القيامة وفيه علم إنكار الممكن وفيه علم كشف الغيب في حضرة الغيب وفيه علم من ينادي ولا يجاب وفيه علم هل يعم الحشر كل ميت أو لا يحشر إلا بعض الموتى وفيه علم الناقور الذي هو الصور وما هو وفيه علم أي جزاء هو أفضل من عمله أو كل جزاء أفضل من عمله وهو شريف وفيه علم عبادة الرب من حيث ما هو مضاف إلى كون ما وفيه علم ما تعطي الرؤية من علم ما كان يعلم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.